شؤون فلسطينية

١

آذار (مارس) ١٩٧١

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: الدكتور انيس صايغ

رقم ١ آذار (مارس) ١٩٧١

دورية فكرية لمعالجة أحداث القضيــة الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر ست مرات في السنة. ينشرها مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . العنوان : بناية مكارم وابو عزالدين (الطابق الخامس) شارع كولومبــاني (متفرع من السادات ، راس بيروت) بيروت ، لبنــان . ص.ب ١٦٩١ تلفون ٢٩٣٧٧٨ مؤقتا ، برقيا مرابحاث، بيروت . ثمن العدد : ٣ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي ، ٢/١ ٢ دولار في الخارج . الاشتراك السنوي ١٨ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي ، ١٥ دولارا في الخارج (بريد جوي) . هيئة التحرير : بلال الحسن ، أحمد خليفة ، الحكم دروزه ، يوسف شبل ، ابراهيم العــابد ، د. صادق جــلال العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب . المستشارون : د. ابراهيم ابراهيم ، د. صلاح الدباغ ، د. نبيــل شعث ، د. هشام شرابي ، د. يوسف صايغ . وجميع الآراء الواردة في «شؤون فلسطينية» تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

المحتويات

عربية] كتاب **دراسات يسارية** . ليلى خالد [الفدائيــة التي اشتركت في عمليتي خطف طائرات] كتاب **حرب ليلى الخاطفة.** انا كنفاني [الاعلامية السويدية في القضية الفلسطينية] كتاب **حرب فلسطين.** منير شفيق [من اعلاميي الثورة الفلسطينية] كتاب **نحو فلسطين ديمقراطيــة** . دنس جونســون دافــز [المستشرق البريطاني الخبير بالاداب العربية ومترجم عدة أعمال أدبيــة عربية الى الانجليــزية] كتاب **عــدو الشمس** ن. ع. ، كتاب **دراسات في المسألة اليهودية** . دافد متشــل [المستشرق البريطاني والخبير بالشؤون العربية] كتاب **الى أين تسير اسرائيل** . جمانة سعد [اعلامية فلسطينية] كتاب **قضية الخطف .**

صفحة ١٩٩ **فلسطينيات** : د. محمد المجذوب [استاذ القانون الدولي في الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية] **الجمعية العامة للامم المتحدة : تطبيق احكام اسرى الحرب في افــراد المقاومة** . د. حسن صعب [استاذ العلــوم السياسية في الجامعة اللبنانية ورئيس ندوة الدراسات الانمائيــة] **المؤتمر الدولي للدين والسلام في اليابان** . منح الصلح [الكاتب والمفكر والمؤلف اللبناني] **انطباعات عامة حول جولــة في الولايــات المتحدة** . مارلين ابو شديد [المشرفة على القسم الفرنسي في م. ا.] **حديث مع كريستيان بيلون.** ح. ق. ، **محمود درويش وجائزة اللوتس** . د. منذر عنبتاوي [استاذ القانون الدولي في الجامعة الاردنية] **ندوة جامعــة لوفان حول نهضــة العالم العربي** . د. موسى الخوري [استاذ الادب الانجليزي في الجامعة السورية في دمشق ورئيس تحرير مجلة « المقاومة » بالانجليــزية] **المجلس التاسع لمنظمــة الشعوب الافريقيــة الاسيوية** . ا. ن. ، **جمعية دراسات الشرق الاوسط** . فؤاد بوارشي [الباحث في م. أ ورئيس اتحــاد طلاب الجامعــة الاميركية في بيروت] **ندوة الدراسات المسيحية حول القضية الفلسطينية** . ص. ج. ع.، **انطباعات حول اليسار الاميركي.** م. ش. ، **المؤتمر التاسع لكونفدرالية الطلاب الفلسطينيين في المانية والنمســة** . مراسلنا في الامم المتحــدة ، **حول الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحــدة** أ. ص. ، **عيسى ابو الطبول** . د. حاتم الحسيني [خبير الاعلام في مكتب جامعة الدول العربية في واشنطن] **توفيق صايغ .**

صفحة ٢٢٦ **ثلاث وثائق عن معاملة العرب في الارض المحتلة :** مذكرتان ونشرة للرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية في تل أبيب .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

بهذه النشرة الدورية تتحقق أماني أسرة مركز الابحـــاث في منظمة التحرير الفلسطينية واصدقائهم وزملائهم .
أمان بنشرة ، مهما كان اسمها وشكلها وانتظام صدورها ، تختص بالشؤون الفلسطينية بأدق معاني الاختصاص وأوسع معاني الشؤون : شؤون الشعب الفلسطيني ، وشؤون القضية الفلسطينية ، وشؤون النضال الفلسطيني ، وشؤون أرض فلسطين ومجتمع فلسطين وثقافة فلسطين — ماضيا وحاضرا ومستقبلا . يعالجهـــا خبراء الموضوع ، بأسلوب علمي وتحر دقيق واخلاص صادق ، مستهدفين البحث عن الحقيقة واعلانها .
أمان بمنبر حر للحوار الهادىء الرزين . تلتقي فيه الآراء المتباينة . ويستضيف جميع الاتجاهات والافكار . ويناقش فيه الفكر بالفكر . ويرد على الحقائق بالحقائق .
أمان بلقاء متواصل بين مفكري الشؤون الفلسطينية وكتابها وبين جماهير المثقفين ، يولد نتاجا يخصب معرفة الجماهير بنفسها وبعدوها ويغني تحسس الكتاب بأبعاد المسألة وبواقع النضال .
أمان كثيرة ، يعاني منهـــا ، ويتمتع بها في آن واحد ، آلاف المثقفين غير أفـــراد أسرة مركز الابحاث ، أمان قديمـــة ومستمرة ، بمنبر ، بلقاء ، بنشرة ، مـــن هذا النوع .
و« شؤون فلسطينية » هي ، في الواقع ، محاولة لتلبية الحاجة ولتحقيق هذه الاماني .
ليست « شؤون فلسطينية » مجلة اخرى عـــن فلسطين . وليست اداة جديدة للاعلام الفلسطيني . ولا هي سبيـــل للوعظ والارشاد . فهنـــاك ، لهذه الاغراض ، مجلات ومجالات ، ولسنا لزيادتها ولا لمجاراتها .
« شؤون فلسطينية » محاولة لاداء رسالة . رسالة الفكر الواعي والحر ، متعدد الآراء والمواقف والاصوات ، المجمع على الايمان بحق كامل في فلسطين كاملة .
وستطل « شؤون فلسطينية » مرة كل شهرين . وقد تنجح وتطل مرة كل شهر . وقد تلقى التشجيع والدعم فتتقوى . وقد تعترضها العراقيل فتضمـــر . ولكنها ، وفي كل الحالات ، ستحتفظ بعزمها الحـــالي ، وستسعى نحو الهدف الذي تسعى نحوه الآن ، بالايمان الذي يعمر قلبها وسيظل يعمر قلبها . ولن تصدر الا لحمل الرسالة التي تجندت لحملها . هذا هو غرضها الوحيد . وهذا هو مبرر وجودها، ومبرر استمرارها الوحيد. وهو مقياس نجاحها الوحيد .

"الحمائم والصقور" في اسرائيل

عبد الحفيظ محارب

عندما اخذت ازمة الشرق الاوسط تشتد وتتصاعد يوما بعد يوم ، في شهر ايار ١٩٦٧ ، واخذت الحلقة تضيق حول عنق اسرائيل ، بدت في الافق علامة سؤال كبيرة حول مستقبل مصير اسرائيل ، لاول مرة منذ تأسيسها .

وفي هذا الجو القاتم تشكلت حكومة الائتلاف ، وعين « موشيه دايان » وزيرا للدفاع في الحكومة الاسرائيلية .

كما قام وزير الخارجية « ابا ايبن » بجولة « دراماتيكية » في بعض بلدان اوروبا والولايات المتحدة ، حيث اجتمع مع قادتها وزعمائها خاصة مع الرئيس الاميركي السابق لندون جونسون ، الذي تم الاتفاق بينه وبين وزير الخارجية ، سرا على فترة انتظار تستغرق اسبوعين ، وتنتهي في الثامن من حزيران ، تقوم بعدها اسرائيل بهجوم واسع النطاق(١) .

وعندما عاد وزير الخارجية من جولته تلك وقدم تقريرا مفصلا عن محادثاته التي اجراها في اوروبا واميركا ، وعن الاتفاق السري الذي تم بينه وبين الرئيس الاميركي « لندون جونسون » حول ضرورة التريث لمدة اسبوعين كاملين ، قبل البدء في شن هجوم واسع النطاق ، انقسمت وزارة الائتلاف الوطني الى فئتين رئيسيتين :

الفئة الاولى : تفضل شن هجوم فوري رادع دون اللجوء الى الانتظار والتريث .

الفئة الثانية : تفضل اتباع الطرق الدبلوماسية لفض الازمة الطارئة والاخذ برأي الرئيس الاميركي « لندون جونسون » بشأن التريث والانتظار لمدة اسبوعين اضافيين .

وقد قررت الحكومة الاسرائيلية التريث والانتظار لمدة من الزمن . غير انها قررت فيما بعد استباق نهاية الاسبوعين الاضافيين ، اللذين تم الاتفاق عليهما وخرجت اسرائيل الى الحرب في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ .

بعد الانتصار الذي احرزه الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة ، هذا الانتصار الذي ازال علامة السؤال الكبيرة التي كانت تحوم عشية الحرب حول مستقبل الكيان الاسرائيلي ، والذي تأتى عنه اضافة رقعة واسعة من الاراضي العربية ، تابعة لثلاث دول عربية ، تحت هيمنة الجيش الاسرائيلي ، اخذت تبرز في الصحف ووسائل الاعلام الاسرائيلية كنيتان مستعارتان من عالم الطيور . وهما « الحمائم والصقور » ، حيث اخذت وسائل الاعلام تلك تصف كل زعيم في اسرائيل ، فضل اتباع الطرق الدبلوماسية لفض الازمة الطارئة « بالحمامة » وكل زعيم سياسي او قائد عسكري ، ممن عارضوا سياسة الاعتدال والمرونة ، ودعوا الى المبادرة بالقيام بعملية ردع عسكرية في الحال وبدون تردد « بالصقر »(٢) .

لم تأت وسائل الاعلام الاسرائيلية بجديد ضد استخدامها هذا الوصف ، المشتق من

عالم الطيور ، خاصة وان اصطلاح « الحمائم والصقور » قد سبق واطلقه الاميركيون في الولايات المتحدة في وصف المؤيدين لحصار كوبا والمعارضين لهذا الحصار ، والمؤيدين لاستمرار الحرب في فيتنام والمعارضين لاستمرارها، حيث نعت المتشددون «بالصقور». بينما نعت المعتدلون « بالحمائم » .

لم يقتصر مفهوم « الحمائم والصقور » بعد حرب الايام الستة على اولئك الذين ايدوا الخروج الفوري للمعركة ، واولئك الذين ايدوا فترة الانتظار ، فحسب ، بل اخذ يتسع ويتشعب بعد احتلال اسرائيل لاراض عربية ، تفوق مساحتها ثلاثة اضعاف ونصف الضعف ما كانت اسرائيل قد حصلت عليه عام ١٩٤٨ . فبعد حرب الايام الستة اخذ النقاش يحتدم ويشتد حول مصير المناطق المحتلة في حال الاتفاق مع الدول العربية على سلام دائم .

وقد انقسمت حكومة الائتلاف الوطني الى فئتين : فئة تطالب بابقاء المناطق المحتلة تحت الحكم الاسرائيلي بشكل رسمي ، وتدعو الى عدم اعادة « شبر واحد » من الاراضي المحتلة الى الدول العربية ، وفئة ثانية تدعو الى اعادة بعض المناطق العربية المحتلة مقابل سلام دائم مع العرب . ويمكن القول ان حكومة الائتلاف الوطني اصبحت اسيرة اتجاهين : الاتجاه الاول يمثله دعاة الضم الكلي الذين يدعون الى ابقاء المناطق المحتلة، تحت الحكم الاسرائيلي، والاتجاه الثاني يمثله دعاة الضم الجزئي الذين يعتقدون ان على اسرائيل ان تدفع ثمناً مقابل السلام الحقيقي مع الدول العربية ، وهذا الثمن يتمثل في التنازل عن بعض المناطق المحتلة . ويقف هؤلاء ضد سياسة « ولا شبر» ويقولون — كما ورد على لسان وزير الداخلية السابق « موشيه شبيرا » (الحزب الوطني المتدين)(٣) : « لن تحل بنا مصيبة ان اعدنا بعض الاشبار » !

ومما تجدر الاشارة اليه ان هنالك فئة متطرفة بين صفوف دعاة الضم الكلي ، تمثلها كتلة حيروت الاحرار المعروفة بأسم « جاحال » . فهذه الفئة لا تكتفي بسياسة « ولا شبر » ، بل تدعو الى عدم «**تصور**» اعادة شبر واحد ! او كما جاء في صيغة المقررات التي اتخذها مؤتمر حزب حيروت : « لا يمكن التصور قط ان يعاد شبر واحد من أرض اسرائيل الى حكم الاجانب » !(٤).

ومع اشتداد الصراع بين هاتين الفئتين ، في الثلث الاخير من عام ١٩٦٨ ، حول مصير المناطق المحتلة ، استطاعت فئة الصقور احراز نصر جزئي في الصراع الداخلي . حيث ظهر ان معظم « الحمائم » اصبحت تؤمن انه لا مناص من ابقاء المناطق التالية الى الابد ، ضمن حدود دولة اسرائيل :

١ — قطاع غزة ، العريش وضواحيها
٢ — هضبة الجولان
٣ — القدس الشرقية وضواحيها
٤ — الخليل والقرى العربية المحيطة بها
٥ — قلقيلية(٥).

ثم اخذ الصراع بين فئتي الحمائم والصقور يتسع ويأخذ اشكالا وقوالب اخرى ، حول مواضيع شتى ، مثل : التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في المناطق المحتلة، ومسألة دمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ، ومسألة « العمل العبري » والدعوة الى اسرائيل الكبرى او الى اسرائيل الصغرى وسياسة العقاب الجماعي ، وحول مواضيع اخرى .

والامر الذي يستدعي الانتباه عند التحقق في مواقف صقور اسرائيل وحمائمها ، انها لا تستقر دائما على فكرة معينة (باستثناء صقور كتلة « جاحال ») . ففي بعض الاحيان تتغير المواقف ، وتأخذ الحمامة الوديعة « بالتصقر » ، ويأخذ ريش الصقر بالتحول

الى ريش حمامة ، او كما جاء على لسان يوسف الموغي (« حزب العمل » مقرب من فئة الصقور) : « لدى كل صقر جناح حمامة ، ولدى كل حمامة جناح صقر »(٦).
وظاهرة التنقل من هذه الفئة الى تلك ، ظاهرة نابعة من عدم وجود بون شاسع بين الفكرتين او نابعة من الصراع الداخلي في اسرائيل على الخلافة . ولنأخذ على سبيل المثال التغير الفجائي الذي حدث على موقف يجال الون ، عند طرح «مشروع روجرز» لحل ازمة الشرق الاوسط ، والضغط الاميركي الذي وجه على اسرائيل لقبول هذا المشروع . ففي اعقاب ذلك اخذ يجال الون يلائم نفسه مع الاحداث المتغيرة والمستجدة، وتحول من صقر الى حمامة ، ثم اخذ يقف على رأس فئة الحمائم .
ومن المعروف ان يجال الون كان صقرا طيلة الفترة التي سبقت طرح مبادرة روجرز ، والمشروع الذي يحمل اسمه خير دليل على ذلك ، فمشروع الون « يدعو الى ضم هضبة الجولان ، ومنطقة القدس ، وغور الاردن وشاطىء البحر وشرم الشيخ »(٧) وهذا المشروع يختلف اختلافا كبيرا عن مشروع روجرز . اذن ما الذي دفع الون الى تغيير موقفه ؟
ان الامر يكمن في الصراع الداخلي الدائر في اسرائيل ، حول وراثة رئيسة الوزراء غولدا مئير .
تقول مجلة هعولام هزيه : « لدى يجال الون الجديد ، كرئيس لفئة الحمائم ، احتمالات كبيرة ، فقد أصبح مرة اخرى ، المرشح الطبيعي لوراثة غولدا من قبل المجموعة الحاكمة في حزب العمل — بنحاس سبير وجهاز مباي »(٨).
ومما تجدر الاشارة اليه ان صفة التشدد ليست مقتصرة بالضرورة على فئة «الصقور»، كما أن صفة التساهل ليست مقتصرة على فئة « الحمائم » ، وان كان هذا التشدد او ذاك التسامح لا يخرج من الدائرة الصهيونية .
وعلى سبيل المثال نجد ان «موشيه ديان» (صقر) لا يتخوف من التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في المناطق المحتلة ، ويدعو الى دمجهم في اقتصاد الدولة ، وتشغيلهم في اسرائيل . بينما نجد في المقابل « بنحاس سبير » (حمامة) يتصدى له ، ويعارض دمج سكان المناطق المحتلة باقتصاد اسرائيل ، خوفا من التكاثر لدى السكان العرب، وبالتالي خوفا على الصبغة اليهودية لدولة اسرائيل . كما وانه يعارض تشغيل السكان العرب داخل اسرائيل . وذلك لحماية « العمل العبري » من التلوث .
ولكي ترتسم الصورة واضحة امامنا ، نورد هنا الصراع الذي دار في الثلث الاخير من عام ١٩٦٨ ، بين وزير الدفاع « موشيه ديان » وبين السكرتير العام لحزب العمل « بنحاس سبير » .
في اليوم السادس من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٦٨ ، دعا وزير الدفاع موشيه ديان ، في اجتماع عام عقده فرع حزب العمل في مدينة بئر السبع ، الى « تحويل مناطق القدس والخليل وبئر السبع الى وحدة اقتصادية تنظيمية واحدة ، مع دمج كامل للسكان العرب » ، وذلك من اجل محو « الفوارق » وازالة « العداء ». وقال في دعوته: « انه لا توجد هنالك صعوبات تحول دون تحويل هذه المناطق اليوحدة واحدة في ميادين المواصلات وشبكات المياه والكهرباء . وفي الحقل الزراعي » وقال : « انه ليس من المعيب ان يعمل عربي من الخليل في بئر السبع . وان يعمل عربي من رام الله في القدس »(٩).
ورد عليه بنحاس سبير بقوله انه ينبغي عدم دمج المليون عربي في المناطق المحتلة باقتصاد اسرائيل « لان ذلك يحمل في ثناياه خطرا لكيان دولة كدولة يهودية » .
وقال « سبير » معللا رأيه : « ان التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب يزيد على التكاثر الطبيعي لدى السكان اليهود بثلاثة اضعاف » واضاف « اذا ما انضم مليون

عربي اخر للاقلية العربية في اسرائيل ، فان المرء لا يحتاج الى عملية حساب كبيرة ليدرك بأن العرب سيصبحون خلال فترة قصيرة اكثرية في البلاد ، وحتى لـو استمرت الهجرة اليهودية الى اسرائيل بمعدل ٢٠ ــ ٣٠ الف نسمة في العام ، عند ذلك ستصبح الدولة ثنائية القومية ، وبعد ذلك دولة عربية »(١٠).

ويرد « ديان » على تخوفـات « سبير » من مسألة التكاثر الطبيعي لدى سكان المناطق المحتلة ، بقوله انه يوجد في منطقة الخليل حوالي ١٢٠ الف عربي اما في منطقة بئر السبع فيوجد ١٦٠ الف يهودي ، ويوجد في منطقة القدس اليهودية ٢٠٠ الف نسمة ، بينما لا يوجد مثل هذا العدد في القدس العربية وضواحيها ولذا فانه لا مكان للتخوف من سيطرة عربية من الداخل(١١).

وقد تطور هذا الجدل الذي دار بين « موشيه ديان » كممثل لفئة « الصقور » ، وبيـن « بنحاس سبير » كممثل لفئة الحمائم واصبح يشمل كافة القوى السياسية في اسرائيل حيث انقسم الحزب الواحد على نفسه بين مؤيد لفئة الحمائم وبين مؤيد لفئة الصقور.

كما واصبح الشغل الشاغل للصحافة الاسرائيلية الذي رأت فيـه حربا بين اليهـود انفسهم ونعتته « بحرب اليهود »(١٢).

لم يقتصر هذا الجدل على الامـور المبدأية ، بل أخذ ايضـا يتسم بالمنافسة والعـداء الشخصي ، خاصة وانه جاء في الفترة التي كانت تبذل فيها محاولات لضم حزب العمال الموحد « مبام » (يساري النزعة ، ويعتبر قادته من الحمائم) الى كتلة التجمع العمالي.

وكان على رأس الساعين الى وحدة الحزبين « بنحاس سبير » الذي كان يستهدف من وراء ذلك تعزيز فئة الحمائم داخل كتلة التجمع العمالي ، وبالتالي ، تعزيز مركزه ، في منافسة موشيه ديان ، على وراثة كرسي الحكم .

وقد وقف « موشيه ديان » في وجه انضمام حزب العمال الموحد «مبام» الى كتلة التجمع لكي يضمن تفوق فئة الصقور في كتلة التجمع العمالي ، وبالتالي ، المحافظة على مركزه القوي كمرشح لخلافة رئيس الحكومة ليفي اشكول .

ولذلك أخذ الجدل بين « الحمامة » و« الصقر » يأخذ شكـل قـالب المنافسة علـى الوراثة . وبدأ كل منهما يتهكم على الاخر مثل قول ديان مشيرا الى « سبير » دون لفظ اسمه : « اني أعرف انه يوجد سكرتيرو حزب « يتراكضون » الان بين الفروع في البلاد ، ويعارضون دمج عرب المناطق المحتلة باقتصاد اسرائيل ... ربمـا يكون بـاستطاعة هؤلاء السكرتيريين تنظيم انتخابات غير انهم لا يستطيعون فصم عـرى ارتبـاط هـذا الشعب بالخليل ، وتحويلها الى مدينة لليهود »(١٣).

ورد عليه سبير بقوله دون ان يلفظ اسم « ديان » : « لولا انني لم اركض فـي الحملـة الانتخابية ، لكان من المشكوك فيه أن يجلس « هو » في مركزه هذا »(١٤).

وعندما احتدم الجدل واصبح يتسم بالطابع الشخصي اخذت الصحافة الاسرائيلية تدعو الى ايقافه . وقد قرر حزب التجمع العمالي الطلب من الاثنين ، الكف عن الاستمرار في الجدل .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الحوار الشديد الذي دار بين ديان وسبير ، قد أعطى فئة الحمائم ، بعض التشجيع لرفع صوتها واسماعه ، ذلك لان هذه الفئة كانت قبل ذلـك التاريخ ، تتفوه همسـا عندما تريد الافصاح عن رأيها خوفا من انقضاض فئة الصقور عليها ، واتهامها « بتوجيه ضربة من الخلف » .

وقد اوضح سبير بعد انتهاء الحوار بينه وبين ديان ، « انه كان يرمي من الحملة التي قام بها اضفاء صفة العلنية على الراي الثاني (راي الحمائم) بين صفوف المواطنين ، وجهاز الحكم . هذا الراي الذي كان غير مسموع ، ولم يصل بشكـل كـاف الى أسماع الجماهير »(١٥).

وبالنسبة « للعمل العبري » فقد دافع « سبير » عن ابقاء العمل بأيدي اليهود تمشيا مع سياسة بن غوريون القديمة ، وقد استعان سبير في دفاعه بوجهة نظر بن غوريون المعروفة حول العمل العبري ، واعتبر وجهة نظر بن غوريون هذه ، بمثابة « شجرة سنديان قوية يمكن الاتكاء عليها». ويعتقد سبير ان العمل العربي يشكل خطرا على كيان الدولة ، هذا الكيان الذي يدافع عنه بمقدار لا يقل عن فئة الصقور ، فقد قال ردا على سؤال وجه اليه : « انا حمامة ، غير انني اعتقد ان « الحمائم » هي « الصقور » الهامة من ناحية مصير اسرائيل وكيانها »(١٦).

أما موقف سبير من مصير المناطق العربية المحتلة فيكتنفه الغموض ، ذلك لانه لا يبدي موقفا محددا واضحا تجاه مصير هذه المناطق مثل ديان ، او فئة الصقور بشكل عام التي تدعو الى عدم اعادة شبر واحد من الارض ، فهو يكتفي بالقول : « انه طالما لا يوجد هناك سلام فليس من الممكن اجراء حوار حول اعادة مناطق »(١٧).

من هنا يبدو ان سبير يؤيد ابقاء المناطق المحتلة بوضعها الحالي ، الى أن يحين السلام الحقيقي ، ثم يمكن بعد ذلك اجراء حوار حول المناطق التي يمكن اعادتها ، والتي لا يمكن اعادتها. اي جعل قسم من هذه المناطق قابلا للمساومة مع العرب في حالة الجلوس معهم على مائدة المفاوضات . ويؤيده في وجهة النظر هذه غالبية فئة الحمائم وعلى راسها ابا ايبن .

اما موقف فئة الصقور بالنسبة للمناطق المحتلة فهو اوضح . فهذه الفئة لا تقبل ان يخضع اي قسم من المناطق المحتلة للمساومة مع العرب في حالة الجلوس على مائدة المفاوضات ذلك لان هذه المناطق ، بمفهوم هذه الفئة ، هي جزء من ارض اسرائيل الكبرى ، ولا يمكن المساومة عليها في اي حال من الاحوال كما وأنه لا يمكن اعادة شبر من الاراضي المحتلة الى « الاجانب » ، كما ينسب في بعض الاحيان الى زعيم فئة صقور كتلة « جاحال » .

اما « صقور » التجمع العمالي وعلى راسها موشيه ديان ، ويجآل الون ، التي تنطلق من ايمانها بأن احتمالات السلام بعيدة ، فانها تتبنى سياسة الامر الواقع ، وخلق وقائع جديدة في المناطق المحتلة ، لطمس معالمها العربية .

والجدير بالملاحظة ان فئتي الحمائم والصقور تؤيدان فكرة الاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة ، ولا يوجد فارق بينهما الا في الاسلوب تجاه هذه المسألة ، وهذا الامر يتنافى ومطالب فئة الحمائم التي تسعى الى جعل المناطق العربية قابلة للمساومة حين اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب .

من هنا يتضح لنا بعد استعراض الصراع الذي دار بين ديان ، كممثل لفئة الصقور ، وبين سبير كممثل لفئة الحمائم ، ان الفئتين تؤيدان التوسع ، وان اختلفتا في المقدار كما ويتضح ايضا ان فئة الحمائم تجنح الى التشدد ، اكثر من الفئة الاخرى ، حول بعض المواضيع مثل الصبغة اليهودية للدولة والحفاظ على العمل العبري . فصفة التشدد ليست مقتصرة على فئة الصقور بل تشمل ايضا فئة الحمائم .

هنالك موضوع آخريعتبر مثار جدل بين فئتي الحمائم والصقور ، وهو موضوع سياسة « العقاب الجماعي » التي كان قد اعلن عنها وزير الدفاع موشيه ديان في مؤتمر صحفي عقد في تل ابيب في النصف الاول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٦٩ .

تعتمد سياسة العقاب الجماعي هذه ، على فرض العقوبة ليس على الفدائيين او الذين يساعدونهم فحسب ، بل تشمل ايضا اولئك الاشخاص الذين تحدث الاعمال الفدائية بالقرب من بيوتهم او داخل قريتهم حتى ولو لم يكن لهم ضلع بهذه الاعمال(١٨).

وقد تم تنفيذ هذه السياسة في قرية حلحول حيث اقدمت السلطات الاسرائيلية على هدم عشرات البيوت بحجة ان اصحابها يعرفون بشكل او بآخر الاماكن التي يتستر بها

الفدائيون ، دون ابلاغ السلطات المختصة بذلك. كما طبقت هذه السياسة ايضا في قطاع غزة بعد مقتل التاجر اليهودي «شلومو ليفي»(١٩)، حيث هدمت السلطات هناك ثمانية منازل بالقرب من مكان حادث الاغتيال . وقد أوردنا هاتين الحادثتين على سبيل المثال لا الحصر .

ومما تجدر الاشارة اليه ان وزير الدفاع موشيه‌ديان كان قد اطلق على سياسته الجديدة في المناطق المحتلة ، اسم سياسة « عقاب الجوار » بدلا من الاسم الحقيقي والملائم لهذه السياسة ، في محاولة منه لتخفيف وقعها على الراي العام العالمي ، غير ان وكـالات الانباء الاجنبية اخذت تتناقلها تحت اسم « العقاب الجماعي » ، مما ساعد على تشويه سمعة اسرائيل على الصعيد العالمي ، الامر الذي دفع وزير الخارجية « ابـا ايبن » (حمامة) للتصدي لهذه السياسة .

وقد ساءت العلاقات بين وزير الدفاع موشيه ديان ، الذي يعتقد بـأن سياسته تجلب فوائد جمة لامن اسرائيل ، بغض النظر عن الراي العام العالمي وسمعة الدولة فـي الخارج وبين وزير الخارجية « ابا ايبن » الذي يعتقد بأن هذه السياســة تجلب الضرر لاسرائيل وتشوه سمعتها في الاوساط الدولية(٢٠).

وقد نعت « ابا ايبن » هذه السياسة الجديدة « بالافلاس الاخلاقي » وبعث ببرقية الـى رئيسة الوزراء غولدا مئير ، اعلن فيها تحفظه التام من سياسة «العقاب الجماعي» غير انه تبين فيما بعد أن رئيسة الوزراء (وهي تعتبر من فئة الصقور) قد صادقت على هذه السياسة !

وهناك مواضيع‌أخرى تسيء،حسب وجهة نظر فئة الحمائم، الى صورةاسرائيل‌في المحافل الدولية ، وتظهرها بالشكل « المتعنت » أمام انظار العالم . وهذا الامر ناجم ــ كما تدعي هذه الفئة ــ عن تهرب حكومة الائتلاف الوطني من اظهار المرونة ، تجاه المقترحـات السياسية المختلفة ، وامتناعها عن اتخاذ مواقف حاسمة في مجال السياسة الخارجية ، او تحديد سياسة واضحة بالنسبة لمستقبل ومصير المناطق المحتلة،وذلك تحاشيا لحدوث ازمة حكومية ، لتعدد وجهات النظر داخل حكومة الائتلاف الوطني . ويعتقد هؤلاء ان هذه الحكومة «قد نجحت في شيء واحد فقط. وهو عدم اتخاذ القرارات الواضحة»(٢١). الامر الذي من شأنه ان يرسم انطباعــا في أذهان الرأي العام العالمي بـأن اسرائيل دولة « متعنتة » .

لم تدع هذه الفئة ، وخاصة فئة حمائم حزب العمل صراحة ، الى حل حكومة الائتلاف الوطني ، التي تعتبر حجر عثرة ، امام اتخاذ القرارات الحاسمة والواضحة ، حول كافة المواضيع الرئيسية التي تواجه اسرائيل ، بل اكتفت بابراز المواقف المختلف عليها بين كتلة « جاحال » التي تتبنى سياسة عدم «تصور» اعادة شبر واحد ، وتدعو الى الحفاظ على ارض اسرائيل الكاملة وبين حزب العمل ، الذي تبدي حمائمه مرونة اكثر بالنسبة لمستقبل المناطق المحتلة .

اخـذت هــذه الفئة توجــه نقــدا الــى الحكومة ، دون التجــرؤ علــى المطــالبة بحل حكومة الائتلاف الوطني ، فقد عبر عضو الكنيست « اهارون يدلين » (حمــامة ــ حزب العمل) في النقاش السياسي الذي دار في سكرتارية الحزب ، عــن راي يؤيد بقاء حكومة الائتلاف الوطني ، غير أنه قال : « ينبغــي ان لا تطمس هــذه الحكومة التناقضات القائمة بين كتلة « جاحال » وحزب العمل »(٢٢).

اما عضـو الكنيست ، مردخاي بن فورات (حمامة ــ حزب العمل) فقد قال في نفس الجلسة « ان اشتراك كتلة « جاحال » لم يمنعنا من اتخاذ المبادرات ، ولم يحل دون غولدا مئير وقبول محادثات على غرار رودس »(٢٣).

غير أن سكرتير الهستدروت عضو الكنيست ، « يتسحاق بن اهارون » قد تجرأ اكثـر

من زميله ، ومس صلب الموضوع حيث قال في نفس الجلسة : « انني ابارك اليوم الذي نستطيع فيه ان نودع هذا الائتلاف الحكومي ، الذي يساعد في المجال السياسي على تلويث صورة حزب العمل»(٢٤).
ولكن رئيسة الحكومة غولدا مئير ، لم تقف مكتوفة اليدين ، ازاء الانتقادات التي وجهت من قبل فئة الحمائم ، فقد القت خطابا شديد اللهجة ، هاجمت فيه تلك الفئة من حمائم حزب العمل التي تجرأت على التلميح او الجهر بعدم رضاها عن استمرار قيام حكومة الائتلاف الوطني ، وحاولت فيه وضع حد للانتقادات الموجهة الى استمرار قيام هذه الحكومة .
وردا على الانتقادات الموجهة من قبل بعض الحمائم حول عدم اشتمال بيانات الحكومة على كلمة « انسحاب » قالت رئيسة الوزراء بالحرف : « لقد سافر « بن غوريون » خصيصا الى اوروبا لمقابلة عربي معتدل (المقصود موسى العلمي) بعد أن سبق له أن اعلن بأنه يعتقد ان على اسرائيل ان تعيد كافة المناطق باستثناء القدس والجولان ، اذا ما تم التوصل الى تسوية سلمية . ولكن ايضا في هذه الشروط لم يتوصل الى تفاهم مع العربي » .
واضافت « اننا نفتش عن ظل صغير لاي خيط سلام — ولكننا لا نجد » !
وقالت « انه اذا ما استخدمنا هذه الكلمة (تعني الانسحاب) فانهم سيطلبون منا أن نحدد الى أين سننسحب »(٢٥).
ومن المعروف ان صقور حزب العمل وحمائمه لم تتطرق خلال الاعوام التي تلت « حرب الايام الستة » الى كلمة « انسحاب » الا فيما ندر وفي الاونة الاخيرة بعد الموافقة على « مبادرة روجرز » ذلك لان كلمة « انسحاب » تعتبر بمثابة منطقة حرام ولا يجوز لاي شخص ولوجها .
يقول « يتسحاق طوبنكين » (صقر — حزب العمل) في محاولة غريبة لتبرير موقف الصقور من عدم اشتمال بيانات الحكومة على كلمة « انسحاب » ولتوجيه سيف الارهاب ضد اولئك الذين يوجهون هذا الانتقاد من فئة الحمائم في حزب العمل ، الى الحكومة ، يقول بالحرف : « لا يوجد سلام لليهود الذين لا يملكون سلطة على اراضيهم . واذا ما ابقينا البلاد على ما هي اليوم، فان ذلك يكون بمثابة الخطوة الاولى للسلام . **فالانسحاب هو وسيلة ضد السلام** . كما وان تقسيم البلد هو الذي ادى الى حرب الايام الستة » !!(٢٦).
ومما تجدر الاشارة اليه ان فئتي الحمائم والصقور في حزب العمل كانت خلال الاعوام التي تلت حرب الايام الستة ، تستخدم كلمة « تنازلات » عند حديثها عن الثمن الذي ينبغي على اسرائيل ان تدفعه ، مقابل السلام الحقيقي الذي تتوخاه اسرائيل ، بدل استعمال كلمة « انسحاب » .
لا يقتصر اصطلاح الحمائم والصقور في اسرائيل على اولئك الذين يعملون في الحقل السياسي فحسب ، بل يشمل ايضا الجمهور الاسرائيلي . ففي استفتاء اجراه «رفائيل جيل » مدير مؤسسة « بوري » لاستقصاء الرأي العام في اسرائيل ، تبين أن ٥٤٫٥ ٪ من الخاضعين للاستجواب قالوا عندما طلب منهم ان يصنفوا انفسهم بين الحمائم والصقور ، انهم صقور . بينما قال ٢٥٫٧٪ انهم حمائم . ولم يفصح ١٩٫٦ ٪ عن ارائهم(٢٧).
ولكي ترتسم الصورة بشكل اوضح واشمل نورد هنا موقف الجمهور الاسرائيلي حيال مسائل جوهرية ، مثل فرض عقوبة الاعدام بحق الفدائيين ، واستعمال السياسة الصارمة ضد الدول العربية ، والاستيطان في المناطق المحتلة ، وحكومة الائتلاف الوطني .

بالنسبة لموضوع فرض عقوبة الاعدام بحق الفدائيين العرب ، نجد ان معظم السكان (اليهود) في اسرائيل يؤيدون فرض هذه العقوبة بحق الفدائيين . فقد اظهر معهد استطلاع الرأي العام الاسرائيلي المحدود الضمان ، ان ٧٠٪ من سكان اسرائيل اليهود يعتقدون بوجوب فرض عقوبة الاعدام بحق فدائيي « فتح »ويعتقد ٦٤٪ بضرورة اعدام الفدائيين من اجل كل حادث يقترفونه داخل اسرائيل ، بينما يقول ٦ ٪ بحق فرض عقوبة الاعدام بحق الفدائيين الذين يقترفون «اعمالا معينة» فقط .
وفي المقابل نجد ان ٢٣ ٪ يعارضون فرض عقوبة الاعدام ولم يكن هناك راي محدد لـ٧٪ حول الموضوع(٢٨).
اما فيما يتعلق باتخاذ سياسة صارمة تجاه الدول العربية فاننا نجد ايضا ان الاكثرية في اسرائيل تؤيد هذه السياسة .
فقد اتضح من الاستفتاء الذي اجراه «معهد البحث الاجتماعي» وشمل ٣٥٠٧ أشخاص، والذي قدمت نتيجته الى رئيسة الوزراء ، واعضاء الحكومة، اتضح ان ٧٣٪ من بين الذين شملهم الاستفتاء يؤيدون اتخاذ سياسة صارمة تجاه الدول العربية . واظهر الاستفتاء ان نسبة المؤيدين عالية عند مواليد اسيا وافريقيا (٨٠ ٪) بالنسبة الى مواليد البلاد (٧٠ ٪) بينما تقل عند مواليد اوروبا (٦٥ ٪) .
وقد جاء في نتائج الاستفتاء « انه مع ارتفاع مستوى الثقافة تقل نسبة المؤيدين لهذا الراي »(٢٩).
ربما تكون النتيجة التي توصل اليها معهد الاستفتاء صحيحة بالنسبة للانسان الاسرائيلي العادي ، غير أنها ليست صحيحة بالنسبة للكتل السياسية القائمة في اسرائيل فالمستوى الثقافي لدى زعامة كتلة « جاحال » ، التي تؤيد اتخاذ السياسة الصارمة ضد الدول العربية ، لا يقل عن المستوى الثقافي لدى زعامة حزب «المبام» التي تفضل اتباع سياسة اللين .
وفيما يتعلق بقضية الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، فقد اظهر نفس الاستفتاء الذي قدمت نتائجه الى رئيسة الوزراء ، والى اعضاء الحكومة الاسرائيلية ان ٧٣ ٪ يؤيدون الاسراع في عملية استيطان المناطق المحتلة ، ومن بين هؤلاء ٤١ ٪ يؤيدون فكرة اكثر تطرفا ، تطالب بسريان القانون الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، و٣٢٪ يفضلون ابقاء الوضع على ما هو عليه مع مضاعفة حركة الاستيطان .
وفي المقابل ، أيد ١٩ ٪ الامتناع من احداث تغييرات ، بينما أيد ٨ ٪ فقط ، قيام اسرائيل بمبادرة تنازل(٣٠).
وبالنسبة لحكومة الائتلاف نجد ان الاكثرية تؤمن بضرورة قيام حكومة تكتل وطني ، فقد اظهر استفتاء اجراه معهد (بوري) لاستقصاء الراي العام في اسرائيل ان ٦١،١ ٪ يؤيدون ذلك ، بينما يبارك ١٤ ٪ بقاء كتلة « جاحال » في المعارضة ، ويعتقد ٥٧،٨ ٪ انه من المحتمل ان تقدم كتلة « جاحال » امورا ايجابية لحكومة التكتل الوطني ، بينما يقول ٨،٣ ٪ انها لا تملك شيئا تقدمه لحكومة تكتل وطني(٣١).
ربما يكون من المفيد هنا ، استعراض التقسيم الذي اورده عضو الكنيست حاييم لنداو (صقر ـــ جاحال) ليهود اسرائيل . فقد قسم « لنداو » يهود البلاد الى ثلاثة أقسام :
١ ـــ « اولئك الذين آمنوا ان جميع ارجاء ارض اسرائيل لهم ، وقد ربحوا » . ويقول : « بعد عشرات السنين من العزلة ، والشجب ، آمنوا وربحوا » .
٢ ـــ « اولئك الذين لم يكن يهمهم اذا ما كانت جميع أرض اسرائيل الغربية لنا ، بيد انهم رأوا ان الامر حسن ، لشعب اسرائيل ، ويدعون اليوم : هذه بلادنا » .
٣ ـــ « اولئك الذين يعتبر النصر بالنسبة لهم كبيرا للغاية ، والبلاد واسعة جدا، والعبء يبدو لهم ثقيلا لا يمكن تحمله »(٣٢).

يتضح لنا بعد التمعن في نتائج الاستفتاءات الانفة الذكر ، والتي حاولنا ، عند اختيارنا لها ، ان تكون حول مواضيع رئيسية مختلفة ، وفي فترات متباينة ، ان الجمهور الاسرائيلي يميل بأغلبيته الى فئة « الصقور » بينما تقف اقلية ضئيلة مع فئة «الحمائم».
وسوف يتضح لنا بعد القاء نظرة على قائمتي الحكومة والكنيست المذيلتين في اخر هذه الدراسة، ان الجمهور الاسرائيلي يجنح الى التطرف، بشكل اكثر ، من مجموعة اعضاء الحكومة ومجموعة اعضاء الكنيست . في المجموعتين الانفتي الذكر ، نرى ان عدد الحمائم والصقور ، يكاد يكون متساويا ، ولا توجد هناك هوة سحيقة بينهما . ويعود هذا الامر الى سببين رئيسيين :

١ ــ ان الانسان الاسرائيلي العادي ، عندما يسأل في استفتاء ، حول موضوع معين ، يفضي برايه حسب ما تمليه عليه عاطفته اولا ، وحسب ما تمليه المسؤولية ثانيا .بعكس المسؤول الاسرائيلي الرسمي ، سواء في الحكومة او الكنيست او الحزب ، فانه يضع نصب عينيه المسؤولية قبل كل شيء اخر .

٢ ــ ان الموجهين لمجريات الامور في اسرائيل هم من فئة الصقور ، ذلك لان المراكز الحساسة في اسرائيل هي بايدي فئة الصقور ، مثل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ورئاسة الوزارة ووزارة الدفاع ، التي تمتلك مجتمعة ، يدا طولى في بلورة وتجسيد الراي العام الاسرائيلي .

ويتضح لنا ايضا ان المسؤولين الاسرائيليين يقومون بين الفينة والاخرى باستجلاء الراي العام الاسرائيلي حول مواضيع مركزية وخطيرة مثل قضايا استيطان المناطق المحتلة والسياسة الواجب اتخاذها تجاه الدول العربية بواسطة معاهد استطلاع الراي العام الاسرائيلي ، حيث تضع هذه المعاهد ، نتيجة الاستفتاءات بين يدي هؤلاء المسؤولين لكي يهتدوا بها في مواقفهم .

قبل ان نتطرق الى الحكومة والكنيست والتكتلات السياسية في اسرائيل ، وتصنيفها لحمائم وصقور ، تجدر بنا الاشارة الى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية : فهذه المؤسسة تعتبر العمود الفقري لتوجيه وبلورة السياسة الاسرائيلية ، خاصة فيما يتعلق بالمواقف الواجب اتخاذها مع الدول العربية ، والتعامل الواجب اتباعه مع سكان المناطق المحتلة . وهذا الامر ليس مستغربا بالنسبة لدولة مثل اسرائيل ، التي لم تنعم منذ قيامها بالاستقرار الامني ، كمعظم دول العالم ، بحكم نزاعها المستمر والمتواصل مع الدول العربية المحيطة بها .

وقد أدى عدم الاستقرار الامني الى بروز ظاهرتين في اسرائيل : الاولى تتمثل بوجود قادة عسكريين ، اكفاء وقادرين ، على راس المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، جاؤوا كنتيجة منطقية لعدم الاستقرار الامني . اما الظاهرة الثانية فتتمثل بالنظرة الضيقة والمتطرفة ، من قبل هؤلاء القادة لمفهوم الامن . وهذه النظرة تأتي ايضا كنتيجة منطقية لعدم الاستقرار الامني . وخير دليل على ذلك سياسة العقاب الجماعي ، التي انتهجها وزير الدفاع « موشيه ديان » في المناطق العربية المحتلة ، ونفذتها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

والجدير بالذكر ان الصحافة الاسرائيلية ، لا تتطرق مطلقا الى تقسيم قادة المؤسسة العسكرية الى حمائم وصقور ، بحكم المراكز الامنية ، التي يشغلها هؤلاء القادة . غير ان المرء لا يجد صعوبة تذكر في تصنيف قادة المؤسسة العسكرية ، اذا ما اخذ بعين الاعتبار الظاهرتين الناجمتين عن عدم الاستقرار الامني (كفاءة وقدرة القيادة، ونظرتها الضيقة لمفهوم الامن) واللتين تشكلان بطبيعة الحال، موقفا متصلبا يعتمد كل الاعتماد على مفهوم القوة . وعليه فانه ليس من المستغرب ان يكون المكان الملائم لقادة المؤسسة العسكرية بين فئة « الصقور » . غير انها تختلف عن كافة الصقور المدنية في قوة تأثيرها

على مجرى الاحداث في اسرائيل ، فتقارير المؤسسة العسكرية التي تقدم الى السلطة المدنية ، تعتبر ذات مفعول قوي ، ولا يمكن اهمالها او التغاضي عنها .
ومن المع شخصيات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في الوقت الحاضر ، باستثناء وزير الدفاع «موشيه ديان»،رئيس هيئةالاركان العامة اللواء «حاييم بارليف»، ورئيس شعبة العمليات في قيادة الاركان الزعيم « دافيد اليعازار » ، ورئيس الاستخبارات العسكرية الزعيم « اهارون يريف »، ورئيس المخابرات الاسرائيلية الزعيم « تسفي زمير » ، وقائد المنطقة الجنوبية ، الزعيم « اريل شارون » ، وقائد المنطقة الوسطى الزعيم « رحبعام زئيف » ، وقائد المنطقة الشمالية الزعيم « مردخاي جور » .
هنالك ثمة مجموعتان صغيرتان في اسرائيل محدودتا التأثير، ظهرتا بعد « حرب الايام الستة » ولم تنجحا في الوصول الى الكنيست السابعة : الاولى «جماعة ارض اسرائيل الكاملة » التي تنظر الى القضايا السياسية من زاوية التطرف المطلق ، وتقف على رأس قائمة الصقور،ويتزعمها «يسرائيل الداد» احد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الارهابية.
اما الثانية فهي «الحركة من اجل السلام والامن»التي تنظر الىالامور من زاويةالاعتدال، وتعتبر في اسرائيل ضمن مجموعة الحمائم الوديعة ، وتضم اساتذة جامعات ومثقفين . ومن بين قادتها البارزين «نتان يلين مور» ، احد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الارهابية وممثلها في الكنيست الاولى !
وهناك شخص لا يشغل مركزا حكوميا او حزبيا او برلمانيا في اسرائيل ، ولكنه مع ذلك يتصادم ويتصارع مع القوى المسيرة لمجرى الاحداث في اسرائيل، خاصة معفئةالصقور، وهو الدكتور ناحوم غولدمان « رئيس الكونغرس اليهودي العالمي » الذي يعتبر في اسرائيل بمثابة « حمامة وديعة » تمقتها « الصقور » ، وتتحفظ منها « الحمائم » . ويعود هذا « المقت » وذاك « التحفظ » الى وجهة نظره الخاصة حيال النزاع العربي — الاسرائيلي ، التي اوردها في كتابه « سيرة ناحوم غولدمان » .
يعتقد الدكتور غولدمان « ان اسرائيل لا يمكنها ان تبقى الى الابد ، كجزيرة معادية في محيط عربي . . . »(٢٣)، وكحل بديل للجزيرة المعادية الواقعة في محيط عربي، يدعوناحوم غولدمان الى تحييد اسرائيل مع منحها ضمانات من قبل الامم المتحدة كطريق لحل النزاع العربي الاسرائيلي .
يقول الدكتور ناحوم غولدمان في كتابه ان البديل الوحيد للحل السابق وهو تحييداسرائيل هو « دمج اسرائيل في اتحاد فدرالي شرق أوسطي لدول متساوية»(٢٤)، غير انه يشك في امكانية اقامة اتحاد كهذا ، ويعزو ذلك الى التجزئة العظيمة القائمة في العالم العربي، والتي تحول بدورها دون قيام اتحاد كهذا .
نعود الان الى الحديث عن الحكومة الاسرائيلية والكنيست الاسرائيلية لنلقي مزيدا من الضوء على اعضائهما ، خاصة من زاوية تصنيف هؤلاء الاعضاء الى حمائم وصقور.
بالنسبة للحكومة الاسرائيلية ، عمدنا عند تصنيف اعضائها الى حمائم وصقور ، الى اختيار حكومة ائتلاف وطني ، وخاصة حكومة الائتلاف الوطني التي تشكلت عشية حرب الايام الستة ، ويعود ذلك الى عدة اسباب ، منها ، ان هذه الحكومة او اية حكومة ائتلاف وطني ، تحوي بداخلها عدة تيارات مختلفة الاتجاهات ، وبالتالي فان الصراع داخلها ، سواء كان منه الصراع المتستر او الصراع العلني ، يكون اوضح منه، في حكومة اخرى ، غير حكومة ائتلاف وطني ، ومن ثم يمكنتصنيف اعضائها بشكل اسهل واوضح، لتعدد مشارب واهواء اعضائها .
وهناك سبب اخر دفعنا الى اختيار حكومة الائتلاف الوطني التي تشكلت عشية حرب الايام الستة ، وهو ان اصطلاح « حمائم وصقور » قد نما وترعرع في اسرائيل بفضل نتائج حرب الايام الستة ، اولا ، وبفضل المناخ الخصب الذي وفرته له حكومة الائتلاف

الوطني ثانيا .
وقد اعتمدنا في قائمة الحكومة المذيلة في اخر هذه الدراسة علـى مقـالة للصحفـي الاسرائيلي « شلومو نكديمون » مؤلف كتاب « نحو ساعة الصفر » والمطلع على خبايا الامور التي تجري داخل التكتلات الحزبية ، والهيئات السياسية في اسرائيل . وقـد نشرت مقالته تلك في صحيفة « يديعوت احرونوت » بتاريخ ١٩٦٨/١١/٢٩ .
اما القائمة الثانية ، فتشمل أعضاء الكنيست السابعة (الحالية) . وقد اعتمـدنا في تصنيف الاعضاء الى « حمائم وصقور » على القائمة التي أعدها مراسلو مجلة هعولام هزيه بالاستعانة بالمراسلين البرلمانيين ، لعدد من الصحف الاخـرى (هعولام هـزيه تاريخ ١٩٧٠/٤/١٥) كما اعتمدنا بالنبذة الموجزة عنحياة كل عضو علىما نشرتهصحيفة يديعوت احرونوت في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٩/١١/١٧ .
لم يعتمد مراسلو مجلة هعولام هزيه عند تصنيفهم اعضاء الكنيست على التصريحـات العلنية لهؤلاء الاعضاء فحسب ، بل اعتمدوا ايضا على تصرفاتهم داخل كتلهم ،روجهات نظرهم تجاه القضايا المختلفة . وقد صنفوا اعضاء الكنيست السابعـة (الحالية) الى ثلاثة انواع .
آ ـــ حمائم (المستعدون لاعادة جميع او معظم المناطق المحتلة ، مقابل سلام)
ب ـــ صقور (الذين ليسوا على استعداد لاعادة كل او معظم المناطق المحتلة ، مقابل سلام)
ج ـــ حمائم / صقور (الذين لم يقرروا بوضوح الى اي من الفئتين ينتمون ، او ان رأيهم غير معروف)(٣٥)
هناك ثلاث ملاحظات تجدر الاشارة اليها ، قبل التمعن بقائمة اعضاء الكنيست المصنفة الى حمائم وصقور .
١ ـــ ان القائمة الشيوعيةالجديدة (جماعة فلنر ـــ طوبي) او التي اصطلحعلى تسميتها باللغة العبرية بقائمة « راكاح » ، ليست كالحمائم الاسرائيلية المعروفة ، ولا يوجـد بينها وبين تلك الحمائم اي عامل موحد ، اللهم الا اذا كان هذا العامل الموحد ، هـو الجلوس معا في قاعة الكنيست . فالقائمة الشيوعية الجديدة لا تسر من حشر اسمها بين فئة الحمائم لانها ترى في هذه الحمائم « صقورا » تسعى الـى افتراس جزء مـن الاراضي العربية ، كما ان فئة الحمائم لا تسر ايضا من تصنيف القائمة الشيوعية الجديدة بين صفوفها لانها تعتبر موقف هذه القائمة بمثابة صدى للموقف الروسي أو العربي .
٢ ـــ ان أعضاء الكنيست العرب المرتبطين بالتجمع العمالي (ثلاث حمائم وصقر واحد!) يختلفون اختلافا كليا عن فئتي الحمائم والصقور في الكنيست الاسرائيلية،فهؤلاء الاعضاء لا يملكون من الراي سوى ما يردده على اسماعهم اسيادهم الذين اوصلوهم الى قاعة الكنيست .
غير ان ثمة عضوا من هؤلاء الاربعة، وهو الشيخ «جبر معدي» يسترعي الانتباه، حيث يبدو انه قد خرج من « دائرة الترديد » وربط مصيره شخصيا بالحركة الصهيونية . ففي مقابلة اجرته معه جريدة « بلدر » الناطقة بلسان اتحاد طلبة جامعةتل ابيب قال الشيخ جبر معدي « ليس فقط انه يجب الا نعيد الاراضي ، بل ويجب **توسيع حدودنـا** في حال استمرار العدوان العربي . علينا ان نصل الى وضع تكون فيه قواعد المخربين والقتلة بعيدة الى أقصى حد ممكن » .
وطالب ايضا « بفرض عقوبة الاعدام على الفدائيين » وقال « ان الغاء الحكم العسكري أمر سيىء بالنسبة للعرب »(٣٦) .
٣ ـــ ان فئة الحمائم لم تصل بعد (وربما لن تصل أبدا) الى تكوين حركة واحدة تجمعها، سواء داخل الكنيست أو داخل كل حزب بمفرده ، ذلك لان قوة الالتزام الحزبي هي التي

توجه هؤلاء في القضايا الاساسية والمركزية ، وهذا الامر واضح بشكل ملموس في حزب العمل الذي تهيمن عليه فئة الصقور . فاذا ما القينا نظرة على اعضاء حزب العمل في الكنيست (٥٦ عضوا) نجد ان ٣٠ منهم يعتبرون من فئة الحمائم و١٧ من فئة الصقور و٩ من فئة حمامة / صقر . ويبدو لنا لاول وهلة ان يد فئة الحمائم هي العليا ، بيد أن الواقع غير ذلك ، لان الشخصيات المركزية والموجهة لسير الاحداث في حزب العمل هي من فئة الصقور .

لقد سبق لنا ان ذكرنا ان اصطلاح « حمائم وصقور » قد اخذ مكانه في اسرائيل ، بعد حرب الايام الستة ، ووجد مناخا ملائما له ، في ظل حكومة الائتلاف الوطني التي تشكلت عشية حرب حزيران وان مصدر هذا الاصطلاح هو اميركا .

والامر الذي ينبغي القاء الضوء عليه، هو أن استخدام اسرائيل لهذا الاصطلاح، كايماءة منها بأن وجهتي النظر المختلفتين في كل من اسرائيل والولايات المتحدة شبيهتان ، هو أمر على جانب كبير من التضليل . ويعود ذلك الى اختلاف طبيعة الصراع الاميركي الفيتنامي ، عن طبيعة الصراع العربي الاسرائيلي . فأميركا وصقورها تسعى من وراء هذا الصراع الى تثبيت النفوذ الاميركي الاستعماري في فيتنام . بينما تسعى اسرائيل وصقورها الى ضم المناطق العربية الى اسرائيل ، وهنالك فرق بين فرض النفوذ على بلد ما وبين احتلال مناطق من ذاك البلد وضمها الى الابد ، الى البلد المحتل . وفي حين نرى ان « الحمائم » الاميركية تدعو الى ايقاف القتال في فيتنام وحل المشكلة الفيتنامية بالطرق الدبلوماسية ، نرى فئة الحمائم الاسرائيلية تضع شرطا مسبقا للسلام الدائم مع العرب ، يتمثل في ابقاء القدس العربية وهضبة الجولان الى الابد ، كجزء لا يتجزأ من الأرض الاسرائيلية .

ومع ذلك ، يوجد هنالك في اسرائيل من لا يروقه هذا التشبيه المضلل بين صقور اميركا وحمائمها من جهة وبين صقور اسرائيل وحمائمها من جهة اخرى ، ففي النقاش الذي دار في الكنيست بتاريخ ١٩٦٨/١١/١٢، قال عضو الكنيست شمعون بيرس عند تطرقه لفئتي الحمائم والصقور في اسرائيل :

« ان الوضع يختلف عما هو عليه في أمريكا » وادعى متسائلا : «هل يوجد بيننا من يقترح بجد استئناف القتال ، او من يدعو الى تصعيد التوتر ؟ » واضاف متسائلا : « أي منقار مفترس لدى « الصقور » في اسرائيل ، واي غصن زيتون لدى الحمائم التي تسعى ان تكون بين صفوفنا ؟ »(٢٧).

لقد كان شمعون بيرس مغالطا الى أبعد الحدود في تساؤلاته الاولى التي حاول فيها نفي الصفة العدوانية عن فئة الصقور الاسرائيلية ، هذه الصفة التي أصبحت مرادفة لصقور أمريكا . فبالنسبة لهذه التساؤلات لا يجد المرء أية صعوبات تذكر في كشف مغالطات « بيرس » ، فافتراس المناطق العربية وتصريحات فئة الصقور الاسرائيلية على اختلاف انتمائها السياسي والتي تقول لن نعيد «المناطق المحررة» أي المناطق المحتلة مرة اخرى، الى حكم « الاجانب » أي العرب كما تدعي صقور كتلة « جاحال » او التي تقول لن نعيد القدس وهضبة الجولان ومناطق عربية أخرى الى ايدي العرب ، حتى ولو مقابل سلام حقيقي مثل صقور الاحزاب الاخرى ، بالاضافة الى خلق وقائع جديدة في المناطق العربية المحتلة ، كل هذه أصبحت ليست خافية على احد ، ويمكنها فضح مغالطة « بيرس » بشأن عدم وجود منقار مفترس لدى فئة الصقور الاسرائيلية ، التي ينتمي اليها .

اما بالنسبة لتساؤله الاخير : «أي غصن زيتون لدى الحمائم التي تسعى أن تكون بيننا؟» فقد كان للانصاف محقا ومصيبا على حد سواء ؛ وان كان يريد بتساؤله التهكم على فئة الحمائم والانتقاص منها . فهذه الفئة لا تضع بديلا واضحا للسياسة التي تنادي بها الصقور كما يتصور المرء ، بل تتفق مع فئة الصقور على الامور الرئيسية وتختلف معها

حول الامور الثانوية ، تتفق في ضم اراض عربية ، وتختلف معها في مقدار هذا «الضم»، تتفق معها في خلق وقائع جديدة في المناطق المحتلة ، وتختلف في حجم هذه « الوقائع الجديدة » ، تتفق معها في اقامة مستوطنات يهودية في المناطق المحتلة ، وتختلف معها في كمية المناطق التي ينبغي اقامتها ، تتفق معها في اتباع سياسة صارمة ضد الدول العربية ، وان اختلفت معها في الاسلوب .

ومن الملاحظ ان فئة الحمائم تحاول اضفاء مسحة من « التساهل المحدود » على المواقف المتشددة لفئة الصقور تجاه هذه المواضيع الرئيسية ، فاختلاف وجهات النظر بين الفئتين يدور حول الاسلوب وليس حول الهدف .

ويمكن القول ان فئتي الحمائم والصقور في اسرائيل هما وجهان لعملة واحدة . هذه العملة هي الصهيونية ، وكل ما تمثله الصهيونية من معان ، وان اختلف الوجه الاول من العملة عن الوجه الاخر .

وخير دليل على ذلك ما اورده الكاتب الاسرائيلي الساخر « عاموس كينان » على شكل قصة تمثل الصراع الدائر بين افراد هاتين الفئتين ، وماهية هذا الصراع ، والنوايا الكامنة فيه .

يقول « عاموس كينان » :

« منذ مدة ليست بالبعيدة ، تجولت في حديقة الحيوانات واستمعت الى حديث بين « حمامة » اسرائيلية و« صقر » اسرائيلي كانا يجلسان بوئام تام في قفص واحد

قالت الحمامة : اترى ذلك الارنب ، اريد أن آكله .

قال الصقر : لا يا حمامتي ، لا تأكليه دفعة واحدة ! قبل كل شيء ينبغي تليينه !

الحمامة : ولكنني جائعة ! اريد ان آكل ! قم وافترسه بسرعة .

الصقر : لماذا « أنا » بالذات ؟

الحمامة : لانني حمامة ، أنا لست مفترسة ، ولكن اذا ما افترست انت ، فانني سآكل .

الصقر : اتعرفين يا حمامتي ؟ كنت اود ان انفذ لك مطلبك ، غير انني خائف .

الحمامة : مما تخاف يا « صقري » ؟

الصقر : منك يا حمامتي ! بعد أن تأكلي الارنب فان ذلك سيجد استحسانا بعينيك ، ثم تقومين وتفترسينني ، أنا الاخر ! »(٣٨) .

حكومة الائتلاف الوطني الاول

ايبن ، أبا (حزب «مباي» ــ «العمل») وزير الخارجية «حمامة» ــ في فترة الانتظار والتريث التي سبقت حرب الايام الستة وذلك خلال شهر مايو ١٩٦٧، عارض ابا ايبن بشدة القيام بهجوم معاكس. قام بجولة دراماتيكية، زار خلالها اوروبا والولايات المتحدة واجتمع مع قادتها . وعند عودته ، ونتيجة لتوصية منه ، قررت الحكومة التريث لفترة اسبوعين اضافيين . حظي ابا ايبن بمقدار كبير من التقدير من جانب رئيس الحكومة السابق ليفي أشكول قبل وفاته ، خاصة بعد أن اتهمته بعض الصحف المحلية ، بنقل تقارير غير دقيقة للحكومة عن الزيارات والمقابلات التي أجراها عشية « حرب الايام الستة » في أوروبا والولايات المتحدة . من ميزاته المرونة والليونة ، يؤمن بالامم المتحدة، ويؤيد التفاوض مهما كان نوعه حتى لو لم يكن مباشرا . يحسب الحسابات للاعتبارات الدولية والضغوط الخارجية، مستعد لدفع ثمن عال مقابل الحصول على«السلام»، يؤمن انه يحق لوزير الخارجية التصرف بحرية مطلقة دون اللجوء الى تقييده «بمبادىء صلبة» خاصة عند قيامه باتصالات دولية . ومع ذلك فانه يتمتع بتأييد غالبية الوزراء .

الون ، يجال (« احدوت هعفودا » — «العمل») نائب رئيسة الوزراء ووزير شــؤون الهجرة « صقر » — طالب في عشية « حرب الايام الستة » ، الخروج توا الى الحرب ، لكن فيما بعد وافق على التريث والانتظار بعض الوقت . واضع « مشروع الون » الذي تشتم منه رائحة « صقر معتدل » ؛ لا ترفضه « الحمائم » . يتلخص « مشروع الون » بالامتناع عن ضم المناطق التي تتسم بتحشدات من جانب السكان العرب،باستثناء وادي الاردن الذي تقل فيه كثافة السكان العرب حيث يطالب الون باستيطانه وجعله قطاعا دفاعيا . يعتقد « الون » انه في حالة ضم المناطق المحتلة سيصبح عدد السكان العرب خلال ٣٠ سنة مساويا لعدد السكان اليهود . ويقول يجآل الون في مشروعه ان نهــر الاردن والخط الذي يقطع البحر الميت في الوسط ، يجب ان يكون الحد الفاصــل بين اسرائيل والاردن ، لكن يلاحظ ان « الون » يحاول بين الحين والاخر ادخال التعديلات على برنامجه .

الموغي ، يوسف (« رافي » — « العمل ») وزير العمل شبيه « بالصقر » — قال مؤخرا « ان قدر للسلام ان يتحقق في المستقبل بحيث يدور النقاش حول السؤال : اعادة المناطق مقابل ماذا . . . فانني سأطالب باجراء استفتاء شعبي حول هذا الموضوع بدل أن يتخذ القرار في المؤسسات الحكومية » . تقوم وزارة العمل التي يشرف عليها بتأمين العمل لعمال وموظفي المناطق المحتلة . يجد نفسه بين موقفي ديان والون .

آران ، زلمان (« مباي » — « العمل ») وزير التعليم « حمامة » — أيد التريث والانتظار طيلة فترة الانتظار التي سبقت « حرب الايام الستة ». يرفض الافصاح عن رأيه بالنسبة للمناطق المحتلة لا في الحاضر ولا في المستقبل (انا لست عيي اللسان ، فلو اردت ان ادلي برأيي لافصحت عنه بكل وضوح وجلاء لكنني لا اريد ذلك عن قصد) . يذيع على نفس الموجة التي يستعملها الوزيران « ابا ايبن » و« بنحاس سبير » ، ويعتقد انه سيؤيد موقف بنحاس سبير بكل ما يتعلق بالمناطق المحتلة ومستقبلها .

أشكول ، ليفي (« مباي » — « العمل ») رئيس الحكومة يؤيد في الغالب رأي «الصقور» لكنه يجد لغة مشتركة مع « الحمائم » — . في فترة الانتظار أيد فكرة الخروج الفوري للحرب ، لكنه بعد التقارير التي تلقاها منوزير الخارجية عند عودته من زيارته الىخارج البلاد ، ابدى موافقته على التريث لفترة من الزمن . يرى في نهر الاردن حدودا دفاعية، حيث لا يسمح للجيش الاردني باجتيازه . قال في احدى خطبه في الكنيست انه لن يسمح للقوات الاردنية المسلحة بالعودة الى الضفة الغربية . يؤيد « مشروع آلون » . متردد بالنسبة لقضية التعاون بين اسرائيل والمناطق المحتلة . قال في جلسة مغلقة لزعــامة حزب العمل انه يرى في حقل التعاون القائم حاليــا بين سكان المناطق واليهود أرضا « بعلا » لا يمكننا حل جميع المشاكل . كان أول مسؤول كشف النقاب عــن ان خمسة آلاف عربي من المناطق المحتلة يعملون داخل اسرائيل .

بيجن، مناحيم (« حيروت » — « جاحال ») وزير بلا وزارة«صقر»— يؤيد الوحدة التامة بين اسرائيل والضفة الغربية ، ويطالب بالحاح بخلق أمر واقع بالنسبة لهذه الوحدة . يرفض الادعاء القائل بضرورة اعادة المناطق المحتلة بسبب قضية تكاثر السكان . قال مؤخرا ان المناطق المحتلة التي يطالب غالبية الوزراء باعادتها (غالبية الضفة الغربية) انما تضم فقط ٥٥٨ الف مواطن عربي ، بينما تضم المناطق الاخــرى ٤٤٨ الف مواطن عربي . ويعتقد بيجن انه في حالة ضم جزء من هذه المناطق الى اسرائيل فان عدد السكان العرب سيصبح مساويا لعدد السكان اليهود خلال ست وعشرين سنــة . اما في حالة الضم الكلي فان المدة ستتقلص الى عشرين سنة . لا يخشى الوزير « بيجن » من خطر تكاثر السكان العرب في الدولة ، ذلك انه يمكن في اعتقاده تلافي هذا الخطر عن طريق زيادة الولادة وعن طريق الهجرة الجماهيرية الى اسرائيل . اما بالنسبة لصحراء سيناء

فانه يعتقد ان متطلبات اسرائيل الامنية تستلزم الابقاء على المناطق التي استخدمت في السابق كقواعد للهجوم على اسرائيل . يعتبر « بيجن » من اشد خصوم وزير الخارجية « ابا ايبن » ، وله لغة مشتركة مع الوزراء « موشيه ديان » و« كرمل » و« جليلي » . اما علاقته مع رئيسة الحكومة فهي حسنة للغاية .

بورغ ، يوسف («مفدال» الحزب الوطني المتدين) وزير الشؤون الاجتماعية «حمامة» ــ أيد التريث والانتظار طيلة الفترة التي سبقت نشوب الحرب . حــدد موقفه كما يلي : « كيهودي متدين علي ان اضع نصب عيني أمرين اثنين : اولهما : ما هو مدى مقدرتنا على التنازلات ؟ والثاني : ماذا يمكن ان يحدث في المستقبل بعد هذه التنازلات ؟ علينا ان ندرك ان حساب الضمير والسلام هما من المبادىء السماوية التــي تلزمنا العمل من اجلهما . . . » .

بنطوف ، مردخاي (« مبام » حزب العمال الموحد) وزير الاسكان « حمامة » ــ اثناء النقاش الذي اجرته الحكومة قبيل حرب الايام الستة كان في طليعة الداعين الى التريث والانتظار . وعندما تقرر الخامس من حزيران موعدا للقيام بعملية عسكرية اقترح تأجيل ذلك لفترة ثلاثة ايام ، حتى تكتمل مدة الاسبوعين المقررين للانتظــار ، والتي اعطيت للرئيس جونسون . قدم للحكومة برنامج حزبه « مبام » للسلام والذي يدعو الى اعادة جميع المناطق المحتلة ، مع الطلب بتجريد سيناء والضفة الغربية مــن السلاح واجراء تعديلات امنية على الحدود . من المع المؤيدين لسياسة ابا ايبن .

برزيلاي ، يسرائيل (« مبام » حزب العمال الموحد) وزير الصحة « حمامة » ــ موقفه كموقف رفيقه الوزير « بنطوف مردخاي » .

جباتي ، حاييم (« احدوت هعفوداه » ــ « العمل ») وزير الزراعة «حمامة» ــ عارض الانتظار بشدة في الفترة التي سبقت نشوب الحرب لكنه انضم فيما بعد الى كتله المؤيدة لفكرة التريث ، خاصة بعد الطلب الذي تقدم به الرئيس الاميركي « لندون جونسون » بشأن الانتظار لمدة اسبوعين . يؤيد على ما يظهر « مشروع يجآل الون » ، لكنه اقرب ما يكون الى موقف كل من الوزيرين « مناحيم بيجن » و« موشيه ديان » ومؤيديهم . تقوم وزارته بنشاطات واسعة النطاق في الضفة الغربية .

جليلي ، يسرائيل (« احدوت هعفوداه » ــ « العمل ») وزير الاعلام « صقر » ــ في شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ عارض الانتظار والتريث لكنه رضخ لهذا الامر بعد عودة وزير الخارجية من زيارته الى اوروبا والولايات المتحدة . يؤيد « مشروع يجآل الون » مع بعض التحفظات حول عدد من بنوده . يتحدث في كثير من الاوقات علــى موجة واحدة سوية مع « موشيه ديان » و« مناحيم بيجن » . يؤيد السياسة المتبعة حاليا في المناطق المحتلة ويطالب باتخاذ خطوات فعالة لخلق حقائق ثابتة في هذه المناطق .

ديان ، موشيه (« رافي » ــ « العمل ») وزير الدفاع « صقر » ــ يعمل من خلال ايمانه بأن احتمالات السلام بعيدة ، وعليه ، فانه يؤيد سياسة الامر الواقع . ينادي بضرورة تحقيق الدمج الاقتصادي في المناطق المحتلة واسرائيل ، ويؤيد فكرة اقامة ادارة مدنية مستقلة في مدن الضفة الغربية وقراها ، وعلى هذا الاساس فقد اقترح مؤخرا ضرورة تحقيق الاندماج التنظيمي والاقتصادي في منطقة القدس والخليل وبئر السبع . يقترح اقامة مدن يهودية في المناطق المحتلة كي تحمي ظهيرة القواعد العسكرية الاسرائيلية . في رده على اسئلة الطلاب ، صرح قبل مدة وجيزة انه في حالة عدم تحقيق الســلام فانه سيكون من الضروري الاعلان عن ضم المناطق وذلك من خلال تأكيده بأن الحكومــة لا ترغب في ضم المناطق بكاملها . يقوم تعاون بينه وبين الوزيــر « بيجن » في مواضيع سياسية ودفاعية مختلفة . وكان مثل هذا التعاون قائما بينه وبين الوزير « يجآل الون » لكنه يعتقد بأن « الون » قد قلب له ظهر المجن بعد ان تقرب الى معسكــر « الحمائم »

مخالفا بذلك راي زميليه الوزيرين « جليلي » و« كرمل » .
فيرهفتج ، زيرح (« مفدال » الحزب الوطني المتدين) وزير الاديان « حمامة » — أيد فكرة الانتظار طيلة الفترة التي سبقت نشوب حرب الايام الستة . يقول بأن اقامة « اسرائيل الكبرى » أمر على غاية الاهمية لكن هناك في الطرف الاخر «حساب الضمير» من الناحية السياسية وهذا معناه : انه في حالة الاضطرار للتنازل فان الامر متوقف على رجال السياسة . لكنه مع هذا قد ادلى في بعض المناسبات بتصريحات دعت الى دمج الضفة الغربية باسرائيل والى ضرورة اقامة المستوطنات . نجده مع معسكر «الصقور» في قضايا حساسة تتعلق بالدين .
يشعياهو ، يسرائيل (« مباي » — « العمل ») وزير البريد «صقر» — عارض الانتظار في بداية النقاش حول الازمة التي نشأت في مايو ١٩٦٧ ، لكنه بعد عودة ابا ايبن، اصبح من اشد الداعين الى التريث والانتظار لمدة اسبوعين كاملين . قال في محادثات شخصية جرت معه: « لقد كونت لنفسي فكرة خاصة سأكشف عنها في اللحظة الاخيرة التي تسبق ساعة الصفر » . ينشط حاليا في تطوير خدمات البريد في المناطق المحتلة . قال في حينه انه يجب اعتبار صحراء سيناء وكأنها « غنيمة حرب » وعليه فمن الضروري الابقاء عليها الى الابد بيد اسرائيل وذلك لمنع استخدامها من جانب المصريين كقاعدة عسكرية كبيرة.
كرمل ، موشيه (« احدوت هعفوداه » — « العمل ») وزير المواصلات « صقر » — كان من اشد المعارضين لفكرة الانتظار التي سبقت حرب الايام الستة ، بقي وحيدا في موقفه هذا ، وذلك على الرغم من اجماع الحكومة على قبول الاقتراح بشأن الانتظار الذي قدمه « ابا ايبن » بعد عودته من الخارج . فيما يتعلق بمستقبل الضفة الغربية ، نجد مكانه بين الوزراء « يجآل الون » و« مناحيم بيجن » و« موشيه ديان » لكنه اقرب الى الاثنين الاخيرين .
سبير ، يوسف (« ليبراليون » — « جاحال ») وزير بلا وزارة « صقر » — اشترك في مؤتمر « حيروت » الذي عقد مؤخرا لوضع صيغة المقررات التي اتخذها المؤتمر والتي جاء فيها : « لا يمكن التصور قط ، ان يعاد شبر واحد من ارض اسرائيل الى حكم الاجانب » . يؤيد السياسة الراهنة في المناطق المحتلة ، كما يدعم بصورة مطلقة موقف زميله الوزير « مناحيم بيجن » .
سبير ، بنحاس (« مباي » — « العمل ») وزير بلا وزارة — السكرتير العام لحزب « العمل » وصفته صحيفة نيويورك تايمز « بالحمامة الكاسرة » — قبيل نشوب الحرب أيد الانتظار ، لكنه اعلن انه لن يصوت ضد الحرب اذا ما جرى تصويت بشأنها . يعارض بشدة ضم مناطق من الضفة الغربية لاسرائيل . تشغل باله كثيرا فكرة التكاثر الطبيعي ، ومشكلة مئات الالوف من السكان العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة . يعارض الضم لانه يرى في مثل هذا العدد الضخم من السكان العرب خطرا على الغالبية اليهودية . يعارض بشدة اية محاولة تهدف الى دمج الاقتصاد في المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ، كما يعارض كل ما يمت الى هذا الموضوع بصلة .
كول ، موشيه (« الليبراليون — المستقلون ») وزير السياحة والتطوير « حمامة » — من مؤيدي الانتظار والتريث في الفترة التي سبقت الحرب . يؤيد السياسة الراهنة في المناطق المحتلة . يوصي بقيام تعاون اقتصادي وثيق بين المناطق المحتلة واسرائيل . ويعتقد انه لا علاقة بتوثيق العلاقات الاقتصادية وبين ما سيقرره السياسيون فيما بعد بالنسبة لمستقبل المناطق خاصة وان التطوير الاقتصادي لا يخلق حقائق سياسية واقعة. يؤيد « مشروع الون » مع بعض التحفظات ، كما انه يقف الى جانب اقامة المستوطنات اليهودية في المناطق غير المأهولة في غور الاردن . يؤيد اقامة مستوطنات زراعية ثابتة في شرم الشيخ حيث يعتمد سكانها على الاصطياف وصيد السمك والمشاريع الرياضية .

شبيرا ، يعقوب (« مباي » ــ « العمل ») وزير العدل « صقر » ــ عارض الانتظار قبيل نشوب الحرب ، لكنه انضم الى راي الاكثرية في وقت لاحق .

شبيرا ، موشيه (« مفدال » ــ «الحزب الوطني المتدين») وزير الداخلية «حمامة»ــ أيد الانتظار في الفترة التي سبقت نشوب الحرب ، لكنه كان من الداعين ، وبشدة ، الى ضرورة ضم كل من « موشيه ديان » و« مناحيم بيجن » الى حكومة التكتل الوطني . **يؤيد** بحماس سياسة وزير الخارجية « ابا ايبن » . قال في اكثر من مناسبة « لن تحل بنا مصيبة ان اعدنا بعض الاشبار » . يؤمن بأن الطبيب فقط قادر على تعيين نوع العلاج ، بمعنى اخر انه من حق العاملين في حقل السياسة ان يقرروا بالنسبة لمصير المناطق المحتلة ومستقبلها . جابه نقدا شديدا من جانب رفاقه في الحزب ، مما اضطره الى الصمود في وجههم . يقوم حزبه في الظروف الراهنة ، بوضع تخطيط جديد ، لخريطة اسرائيل طبقا لمبادىء الحزب الوطني المتدين .

شيريف ، زئيف («مباي» ــ «العمل») وزير المالية والصناعة والتجارة، تقريبا«صقر»ــ في مايو ٦٧ عارض الانتظار ، لكنه قبله بعد التوصية التي قدمها وزير الخارجية « ابا ايبن ». يلاحظ انجراره وراء موقف رئيس الوزراء ، بالنسبة لقضايا الدفاع والشؤون الخارجية . يؤيد «مشروع يجال الون » . كما يدعو الى تجريد صحراء سيناء من السلاح واجراء تعديلات في الحدود بين اسرائيل والعربية المتحدة . تظهر وزارته نشاطا ملحوظا في المناطق المحتلة .

ساسون ، الياهو (« مباي » ــ « العمل ») وزير الشرطة، تقريبا «صقر» ــ عارض الانتظار في شهر مايو ١٩٦٧ . لكنه بعد عودة وزير الخارجية الى البلاد ، وافق على مطلب الرئيس « جونسون » بضرورة تأجيل بدء الحرب . يرفض العودة الى حدود الخامس من حزيران ويطالب بالحد الاعلى من الامن ، وبالحد الادنى من السكان العرب . وهذا يعني انه يؤيد فكرة التوصل الى اتفاق مع الملك حسين ، تعاد بعده جميع المناطق المكتظة بالسكان العرب الى الاردن . وفي حالة تعذر ذلك ، فانه يدعم فكرة الكيان الفلسطيني المستقل . يرفض الادلاء برأيه حول دمج الاقتصاد ما بين اسرائيل والضفة الغربية .

قائمة اعضاء الكنيست السابعة

التجمع العمالي (مباي ، احدوت هعفودا ، مبام)

٥٦ عضوا

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
غولدا مئير	معلمة	٧١	روسيا	١٩٢١	٦،٥،٤،٣،٢،١	صقر
يجآل الون		٥١	فلسطين	ـــ	٦،٥،٤	صقر
أبا ايبن		٥٤	جنوب افريقيا	ـــ	٦،٥،٤	حمامة
موشيه ديان		٥٤	فلسطين	ـــ	٦،٥،٤	صقر
مئير يعري		٧٢	اسبانيا	١٩٢٠	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
بنحاس سبير		٦٢	بولندا	١٩٣٠	٦،٥،٤	حمامة
يعقوب شمشون شبيرا	قانوني	٦٧	فلسطين	١٩٢٤	٦	حمامة/صقر
زئيف شيرف		٦٣	رومانيا	ـــ	٦	حمامة
يسرائيل جليلي		٥٨	روسيا	١٩١٤	٦،٥،٤،٣،١	صقر

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
يعقوب حزان		٧٠	بولندا	١٩٢٣	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
حاييم جباتي		٦٨	روسيا	١٩٢٤	٦	حمامة
شمعون بيرس		٤٦	بولندا	١٩٣٤	٦،٥،٤	صقر
يسرائيل يشعياهو		٦١	اليمن	١٩٢٩	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
يوسف الموغي		٥٩	بولندا	١٩٣٠	٦،٥،٤،٣	حمامة/صقر
الياهو ساسون		٦٧	سوريا	١٩٢٧	٦	حمامة
رؤوبن بركات		٦٤	ليطا	١٩٢٦	٦	حمامة
جاد يعقوبي		٣٤	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
موشيه كرمل		٥٨	بولندا	١٩٢٤	٦،٥،٤	صقر
رؤوبن ارزي	قانوني	٦٢	بولندا	١٩٤٩	٦	حمامة
اهارون بيكر		٦٤	روسيا	١٩٢٥	٦،٥،٤،٣	حمامة
موشيه بارعام		٥٨	روسيا	١٩٣١	٦،٥،٤	حمامة
يسرائيل كرجمان		٦٣	روسيا	١٩٢٩	٦،٥،٤	حمامة
حاييم تسدوق	قانوني	٥٦	بولندا	١٩٣٥	٦،٥،٤	حمامة
مردخاي بن فورات	قانوني	٤٩	العراق	١٩٤٥	٦	صقر
يتسحاق بن اهارون		٦٣	النمسا	١٩٢٨	٥،٤،٣،٢،١	حمامة
دوف زكين		٤٤	بولندا	١٩٣٧	عضو جديد	حمامة
اهارون يدلين		٤٣	فلسطين	—	٦،٥	حمامة
اريه ايلي آف		٤٨	روسيا	—	٦	حمامة
دكتور تسفي دينشتاين		٤٣	فلسطين	—	٦	حمامة/صقر
مناحيم كوهين	موظف	٤٧	فلسطين	—	٦،٥،٤	حمامة/صقر
يتسحاق نفون		٤٨	فلسطين	—	٦	حمامة
عيدا فاينبرغ ـ سيراني	معلمة		فلسطين	—	عضو جديد	صقر
شلومو روزن		٦٤	تشيكوسلوفاكيا	١٩٢٦	٦	حمامة
موشيه فرتمان		٤٥	بولندا	١٩٤٧	٦	حمامة
ابراهام زيلبربرغ		٦٩	روسيا	١٩٢٢	عضو جديد	حمامة
زينا هرمان		٥٤	—	١٩٤٠	عضو جديد	حمامة/صقر
تسفي جرشوني		٥٤	رومانيا	١٩٣٦	عضو جديد	حمامة
مردخاي بيبي	قانوني	٤٩	العراق	١٩٤٥	٦،٥،٤	صقر
دافيد كورن	عضو كيبوتس	٥٢	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
هايكا غروسمان	عضو كيبوتس	—	بولندا	١٩٤٨	عضو جديد	حمامة
مردخاي زار		٥٥	ايران	١٩٣٥	٦،٥،٤	صقر
عوزي فاينرمان	سكرتير حركة المشفيم	٤٥	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
مردخاي عوفير	عضو في شركة «ايجد»	٤٦	فلسطين	—	٦	حمامة
شلوم ليفن		٥٣	روسيا	١٩٣٧	عضو جديد	حمامة
متيلدا جاز	موظفة شؤون اجتماعية	—	تونس	١٩٥٦	٦	صقر
عبد العزيز الزعبي		٤٦	فلسطين	—	٦	حمامة
شوشانا اربيلاي الموزلينو		—	العراق	—	٦	صقر
اريه انكوريون	قانوني	٦١	لتوانيا	١٩٣٣	٦،٤	حمامة
زئيف هرينج		٥٩	جليتسيا	١٩٤٠	عضو جديد	حمامة/صقر

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
يتسحاق كورن		٥٨	رومانيا	١٩٤٠	٤،٥	حمامة
يهونتان يفراح		٤٠	مراكش	١٩٥١	عضو جديد	حمامة/صقر
بن تسيون حلفون		٣٩	ليبيا	١٩٤٦	عضو جديد	حمامة/صقر
عديئيل اموراي		٣٥	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
مردخاي سركيس		٦١	بولندا	١٩٣٢	٦	صقر
ابراهام عوفيد		٤٧	بولندا	١٩٣٣	عضو جديد	حمامة
يزهار هراري	قانوني	—	—	—	١،٢،٣،٤،٥،٦	حمامة/صقر

القوائم العربية المرتبطة بالتجمع العمالي

٤ اعضاء

سيف الدين الزعبي		٥٦	فلسطين	١،٢،٣،٦	حمامة
جبر معدي		٥٠	فلسطين	٢،٥،٦	صقر
ذياب عبيد		٥٨	فلسطين	٥،٦	حمامة
الياس نخله		٥٦	فلسطين	٤،٥،٦	حمامة

كتلة حيروت الاحرار « جاحال »

٢٦ عضوا

مناحيم بيجن		٥٦	بولندا	١٩٤٢	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
يوسف سبير		٦٧	فلسطين	—	١،٢،٣،٤،٥،٦	حمامة/صقر
دكتور يوحنان بدر	قانوني	٦٤	بولندا	١٩٤٣	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
دكتور اليميلخ ريملت		٦٢	بولندا	١٩٣٩	٢،٣،٤،٥،٦	حمامة/صقر
دكتور بنيامين هليفي	قانوني	٥٩	المانيا	—	عضوجديد	صقر
يوسف سرلين		٦٣	بولندا	١٩٣٣	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
اريكاين اليميزر (١)		٥١	بولندا	١٩٢١	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
بروفسور يتسحاق كلينجهوفر		٦٤	بولندا	١٩٥٣	٥،٦	حمامة/صقر
حاييم لنداو	مهندس	٥٣	بولندا	١٩٣٥	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
نسيفي تسيمرمان		٥٤	بولندا	١٩٤٤	٤،٥،٦	صقر
استر رزئيل ناؤور		٥٧	روسيا	١٩٢٣	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
سمحا ارليخ		٥٤	بولندا	١٩٣٤	عضو جديد	حمامة
يوسف كرمرمان		٤٤	فلسطين	—	٥،٦	صقر
اهارون غولدشتاين		٦٧	روسيا	١٩٢١	٥،٦	صقر
مناحيم يديد		٥١	سوريا	١٩٣٥	٦	صقر
يوسف تمير		٤٦	فلسطين	—	٦	صقر
ابراهام شخترمان	مهندس	٥٩	روسيا	١٩٢٤	عضو جديد	صقر
سينؤور زلمان ابرموف		٦١	روسيا	١٩٢٠	٤،٥،٦	حمامة
يورام اريدور		٣٨	فلسطين	—	عضو جديد	صقر

(١) توفي وحل محله « جدعون فات » وهو من فئة « حمامة/صقر »

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
ابراهام كاتس		٣٨	فلسطين	—	عضو جديد	حمامة/صقر
حاييم كورفو		٤٧	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
موشيه بنيامين نسيم	قانوني	٣٤	فلسطين	—	٤	صقر
بن تسيون كاتزنلنبوجن		٥٥	لاتفيا	١٩٣٣	عضو جديد	صقر
دافيد ليفي	عامل	٣١	مراكش	١٩٥٧	عضو جديد	صقر
دوف ميلمان	قانوني	٥٠	لاتفيا	١٩٣٧	عضو جديد	صقر
يعقوب غوشتان	قانوني	٤٤	بلغاريا	—	عضو جديد	صقر

الحزب الوطني المتدين ـ « مفدال »

١٢ عضوا

الاسم	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
موشيه حاييم شبيرا	٦٧	بولندا	١٩٢٥	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
دكتور يوسف بورغ	٦٦	المانيا	١٩٣٩	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
دكتور زيرح فرهفتج	٦٣	بولندا	١٩٤٧	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
دكتور يتسحاق رفائيل	٥٦	بولندا	١٩٤٧	٦،٥،٤،٣،٢	حمامة
دكتور يسرائيل شلومو بن مئير	٥٩	بولندا	١٩٥٠	٦،٥	صقر
الحاخام تسيف موشيه نريه	٥٥	بولندا	١٩٣٠	عضو جديد	صقر
ميخائيل يعقوب حزاني	٥٦	بولندا	١٩٥٢	٦،٥،٤،٣،٢	حمامة/صقر
دنيئل يتسحاق ليفي	٥١	مراكش	١٩٥٧	٦	صقر
زبولون هر	٣٣	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
سمحا فريدمان	٥٨	المانيا	١٩٣٨	عضو جديد	صقر
طوباه سنهدراي	—	بولندا	١٩٣١	٦،٥،٤	صقر
بنيامين شحور	٥٣	فلسطين	—	٦،٥،٤	صقر

حزب « اجودات يسرائيل »

٤ اعضاء

الاسم	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
الحاخام يتسحاق مئير ليفن	٧٦	بولندا	—	٦،٥،٤،٣،٢،١	صقر
الحاخام شلولو لورانس	٥١	هنغاريا	١٩٣٩	٦،٥،٤،٣،٢	حمامة/صقر
مناحيم بروش	٥٣	فلسطين	—	٦،٥،٤	صقر
شلومو يعقوب جروس	٦١	هنغاريا	١٩٤٠	٦،٥	حمامة

حزب « عمال اجودات يسرائيـل »

عضوان

الاسم	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
الحاخام كلمان كهانه	٥٩	بولندا	١٩٣٨	٦،٥،٤،٣،٢،١	صقر
ابراهام فرديجر	٤٨	بولندا	١٩٤٨	٦	صقر

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة

الحزب الليبرالي المستقل

٤ اعضاء

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
موشيه كول		٥٨	بولندا		٦،٥،٤،٣،٢	حمامة
جدعون هاوزنر	قانوني	٥٤	بولندا		٦	حمامة/صقر
يهودا شعاري		٤٩	رومانيا		٦،٥	حمامة
يتسحاق جولان		٥٧	روسيا		٦،٥،٤	حمامة

القـــائمة الرسمية

٤ اعضاء

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
دافيد بن غوريون		٨٣	بولندا	١٩٠٦	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
دكتور م. ابيزوهر	مؤرخ	٤٦	فلسطين	—	عضو جديد	حمامة/صقر
يجآل هورفيتس		٥١	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
ايسر هرئيل	الرئيس السابق للمخابرات	٥٧	بولندا	—	عضو جديد	صقر

القائمة الشيوعية الجديدة

٣ اعضاء

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
مئير فلنر		٥١	بولندا	—	٦،٤،٣،٢،١	حمامة
توفيق طوبي		٤٧	فلسطين	—	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
اميل حبيبي		٤٨	فلسطين	—	٦،٥،٤،٣،٢	حمامة

المركز الحـــر

عضوان

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
شموئيل تمر		٤٦	فلسطين	—	٦	صقر
اليعيزر شوستك		٤٨	بولندا		٦،٥،٤،٣	صقر

قائمة هعولام هزيه ـــ قوة جديدة

عضوان

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
اوري افنيري	صحفي	٤٧	المانيا	—	٦	حمامة
شلوم كوهين	—	٤٣	العراق	١٩٤٦	عضو جديد	حمامة

الحزب الشيوعي الاسرائيلي

عضو واحد

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
موشيه سنيه	طبيب	٦٠	بولندا		٥،٤،٣،٢،١	حمامة

المراجــع :

١ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٨/١١/٢١ .
٢ ـ يديعوت احروثوت ١٩٦٨/١١/٢٩ .
٣ ـ المصدر نفسه .
٤ ـ المصدر نفسه .
٥ ـ يديعوت احرونوت ١٩٧٠/١١/٢٩ .
٦ ـ المصدر نفسه .
٧ ـ همولام هزيه ١٩٧٠/٨/٤ .
٨ ـ المصدر نفسه .
٩ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٧ .
١٠ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١٠ .
١١ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٧ .
١٢ ـ دابار ١٩٦٨/١١/١٠ .
١٣ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٧ .
١٤ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١٠ .
١٥ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١١ .
١٦ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٦ .
١٧ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١٠ .
١٨ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
١٩ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٦٩/١١/١٧ .
٢٠ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
٢١ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١٠/٣١ .
٢٢ ـ معاريف ١٩٧٠/٥/٨ .
٢٣ ـ المصدر نفسه .
٢٤ ـ المصدر نفسه .
٢٥ ـ المصدر نفسه .
٢٦ ـ المصدر نفسه .
٢٧ ـ جويش كرونيكل ١٩٦٩/٨/٢٢ .
٢٨ ـ معاريف ١٩٦٨/٨/٩ .
٢٩ ـ معاريف ١٩٧٠/٦/١٨ .
٣٠ ـ المصدر نفسه .
٣١ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
٣٢ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١١/١٣ .
٣٣ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٩/١٠/٣٠ .
٣٤ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٩/١٠/٣٠ .
٣٥ ـ همولام هزيه ١٩٧٠/٦/١٥
٣٦ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٦٩/١٢/٩ .
٣٧ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١١/١٣ .
٣٨ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١١/١٥ .

اسرائيل والامبريالية العالمية

الدكتور اسعد رزوق

توطئــة

ان الروابط التي تشد اسرائيل الى الامبريالية العالميــة ليست مجرد نسيج من صنــع المخيلة العربية ، ولا هي اكتشفت مؤخرا فقط على يد منظري الثورة العالمية لكي تفي ببعض المتطلبات العقائدية ويتسنى لها تصوير الدولــة الاسرائيليــة بمثابــة « اداة للامبريالية » ، بينما يجري اعتبار البلدان العربية كـــ « طليعة الكفاح التحرري فـــي سبيل التقدم » .

فالمغامرة الصهيونية . منذ ان جرى التخطيط لها خلال العقد الاخير من القرن الماضي ، لم تحاول ابدا اخفاء طابعها الاستعماري والعنصري والتوسعي. ولطالما تبنت الصهيونية بشكل صريح ومتواصل دور الحركة السائرة في ركب الامبريالية . فهـــي باعتبارهـــا أيديولوجية سياسية ــ قومية تهدف الى الاستيلاء على اراضي فلسطين واقامة دولـــة يهودية هناك على أساس استعمار اقليمي النزعة ، قد ارتمت في احضان المعسكـــر الامبريالي بدافع من منطقها الداخلي الخاص .

وبعد انشاء دولتها الاستيطانية استمرت الصهيونية في عملية تدعيم مركزها الاقليمي على الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط ، بينما استأنفت تأدية دور « الحـــارس » للمصالح والمشاريع الامبريالية في المنطقة العربية .

ان دولة اسرائيل لا يمكن تنصيلها من الدور الذي اتخذته ونسبته لنفسها ، وهو الدور الذي يقوم به مركز امامي من مراكز الامبريالية في قلب العالم العربي . وسواء طـــاب لنا الامر ام لا ، فان اسرائيل اصبحت تؤلف جزءا جوهريـــا لا يتجـــزأ مـــن المعسكـــر الامبريالي . ان سلوكها وحضورها الامبريالي ، بالاضافة الى ارثها مـــن الاستعمـــار الاقليمي المتأصل قد جعل من اسرائيل « قلعة اسبارطية من قلاع الدفـــاع الغربي » ، مثلما حولها الى « راس جسر » للحركة المضادة للثورة ، هذه الحركة التي تتزعمها قوى السيطرة والامبريالية الجديدة في العالم المعاصر .

تهدف هذه المقالة الموجزة الى محاولة القيام بعرض توثيقي لتحالف اسرائيل مع المعسكر الامبريالي،وذلك بارجاع التحركات والمواقف الاسرائيلية الراهنة الى جذورها الصهيونية في كل من هذين المجالين : مجال المخطط الاستعماري الاقليمي والرامي الى غرس اكثرية يهودية في صميم فلسطين بطابعها العربي السائد ، والى ارساء دعائم النزعة التوسعية والاستيلائية في المستقبل . ومجال التحالف الصهيوني ، بناء على تخطيط مدروس بدقة ، مع الامبريالية التقليدية ، وتحت رعاية تلك الدولة الاجنبية التي لهـــا أوفر الحظ ببسط نفوذها وسيطرتها على فلسطين .

ان اقامة دولة المستوطنين الاسرائيلية ينبغي النظر اليها بمثابة الذروة لعملية استعمارية

من نوع قائم بذاته . هذه العملية الاستعمارية ، متى جرى درسها على حقيقتها وتحليلها الى عناصرها ومقوماتها الاساسية ، تكشف لنا الكثير عن طبيعة العلاقات بين اسرائيل والامبريالية العالمية . حتى ان هذا الكشف يناشد المراقب المتجرد عن الهـوى دون الالتزام بموقف محدد من النزاع القائم لكي يرى وضع اسرائيل الحـاضر وموقعهـا بالنسبة للمعسكر الامبريالي من زاوية الخدمات التـي تسديهـا دولـة المستوطنـين الصهيونيين الى الامبريالية العالمية .

وبناء عليه، نجد من الضروري ان يتم التمييز بين بعدين اساسيين ومتلازمين من ابعاد العملية الاستعمارية التي تقع على عاتقها مسؤولية انشاء اسرائيل :

أ ــ الحقيقة التاريخية لتلك العملية ،

ب ــ والارث الذي خلفته العملية ، بحيث يتحدد الدور الذي تلعبه ولعبتـه اسرائيـل في تنفيذ المخطط الاستراتيجي للامبريالية .

ان جوهر القضية يمكن التعبير عنه بصورة ملائمة فيما لو استعرنا ما قاله الدكتور فايز صايغ بهذا الصدد :

« ان العملية الاستعمارية التي انشئت اسرائيل بواسطتها لـم تصل الى نهايتها لحظة اعلان قيام الدولة . بل على العكس من ذلك ، اذ تركت هذه العملية طابعها على كل من طابع الدولة التي افرزتها ، الى جانب طبيعتها الجوهرية ومسلكها . فالعملية هي أكثر من حقيقة تاريخية : أنها ارث تؤلف الناحية الاستعمارية منه في ظل المناخ السائد في عالم اليوم عائقا اكثر ممـا تؤلف حسنة »(١).

١ ــ التكوين : ١٨٩٧ ــ ١٩١٧

« ان امانينا تشير الى فلسطين مثلما تشير البوصلة الى الشمال . ولذا ينبغي علينا الاتجاه صوب تلك الدول التي تقع فلسطين تحت نفوذها » .

ماكس نوردو

هناك وصف صحيح للحركة الصهيونية ، خلال العقدين الفاصلين بين اطلاق برنامج بازل رسميا (١٨٩٧) وصدور وعد بلفور البريطاني (١٩١٧) ، يرى فيهـا حركـة « تبحث عن اعتراف دولي » . لقد اتخذ هذا البحث مختلف الاشكال ، ومر عبـر العديد من التحولات : من حيث التشديد والاتجاه . لكنه بقي هو هو في جوهره ، اي السعي لاقامة تحالف مع تلك الدولة التي تقع فلسطين تحت سيطرتها او من المتوقع لفلسطين ان تخضع لنفوذها متى أصبح تقسيم الامبراطورية العثمانية الى مناطق نفوذ بمثابة الامر الواقع .

يتوجه هرتزل في كراس **« الدولة اليهودية »** (١٨٩٦) الى القارىء الاوروبي العادي ويخاطب الذهنية الامبريالية لدى الجماهير عند نهاية القرن الفائت، معتبرا ان الاستيلاء على فلسطين وغزوها يمثل امتدادا لسياسة اوروبا في الخارج . فهو يعلن ابان ذروة العصر الامبريالي باننا « سوف نؤلف هناك جزءا من المتراس الاوروبي ضد اسيا ، ومركزا اماميا للمدنية بوجه البربرية » .(٢)

ثم يكرس السنوات الاخيرة من حياته الصهيونية لكي يطرق جميع الاتجاهات والاحتمالات الممكنة ويجرب نيل الحظوة لدى اربابها : من السلطان العثماني وحلفائه الالمان الـى الحكومة البريطانية وحكام روسيا القيصرية . ان قصة هذه الاتجاهات وما رافقها من تحولات وتبديلات لا يمكن سردها الان بكافة تفاصيلها . وربما يفي بغرض هذه المقالة ان نختار بعض العينات التي تمثل على ذلك أصدق تمثيل :

أ ــ **المحمية الالمانية :** حاول هرتزل توجيه الحركة الصهيونية صوب المانيا الامبراطورية.

أملا الحصول على حماية المانيا للمستوطن الاستعماري المنشود في فلسطين . ففي رسالة مؤرخة في منتصف اذار (مارس) ١٨٩٩ ، وموجهة من رئيس المنظمة الصهيونية العالمية الى وزير الدولة الالماني وناظر الخارجية ، فون بولو ، نجد هرتزل يصور له أبعاد المغامرة الاستعمارية التي ينوي الصهيونيون الاقدام عليها بالشكل الاتي :

« لكن فلسطين اصبحت ايضا مشكلة تتعلق بالسير والمواصلات ، لانها تؤلف اقصر طريق الى الهند — لا بل اقصر طريق جنوبي الى آسيا كلها، بما أن الطريق الشمالي الجديد هو في حوزة روسيا دون سواها . وينبغي مد خط حديدي بين شواطيء البحر المتوسط والخليج الفارسي ، علما بأن اليهود وحدهم يملكون القدرة على تنفيذ ذلك . فقد صار الناس الانيعرفون ما كان مجهولا قبل ٣٠ عاما خلت لدى دوائر الدولة في اوروبا : اهمية الطريق القصير من طراز قناة السويس . ان حل « المسألة الفلسطينية » — ولا اقول « المسألة اليهودية » بعد اليوم — يأتي بمثابة تكملة للاحداث الجارية مؤخرا في آسيا » .(٣)

ب — **البراءة العثمانية** : وحين التفت هرتزل الى السلطان العثماني ، راح يقطع له الوعود بتقديم خدمات ثمينة لقاء امتلاك اليهود لفلسطين. فالحركة الصهيونية سوف تأخذ على عاتقها مسألة تدبير شؤون الامبراطورية وتسديد الديون المترتبة عليها بالاضافة الى التأثير في الرأي العام العالمي لصالح السلطان . وفي بادرة ذكية حاول هرتزل المزايدة على شتى العروض الاوروبية بأن رسم أمام ناظري السلطان صورة مثلى للمستوطن الاستعماري الصهيوني في فلسطين . فهو يخاطبه على النحو التالي :

« أن ما تحتاجه هذه البلاد (اي : فلسطين) هو الجهد والمبادرة الصناعية لدى شعبنا (اليهودي) . فالاوروبيون الاخرون يأتون الى بلادكم بقصد الاثراء على جناح السرعة والهرب بالثروات التي جمعوها او غنموها . ومما لا ريب فيه ان الربح الشريف والنظيف الذي يجنيه المرء منمشروعاته لا يضير ابدا ، غير انه يترتب على المنتفعين البقاء داخل البلد الذي جمعوا ثرواتهم فوق اراضيه » .(٤)

ج — **امبراطورية انجلترا الاستعمارية** : اما عندما يقوم هرتزل بتحويل الاتجاه الصهيوني صوب بريطانيا ، فأنه يدرك على جناح السرعة بأن « الانجليز كانوا اول من أدرك ضرورة التوسع الاستعماري في العالم الحديث . لذا نجد راية بريطانيا العظمى خفاقة عبر البحار . وبناء عليه ، اعتقد بأن الفكرة الصهيونية ، وهي فكرة استعمارية ، يجب ان تحظى بتفهم سهل وسريع من جانب انجلترا »(٥).

لقد تفوه هرتزل بتلك الكلمات اثناء خطاب القاه في لندن عام ١٨٩٩ . وبعد مضي سنة واحدة ، خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن (١٩٠٠) ، راح هرتزل يشدد على اهمية الاستيطان اليهودي بفلسطين **كمحطة للمدنية** ، وعلى مساهمة الصهيونية المنشودة في حل ما يدعوه بـ « المشكلة الاسيوية » . فهو يقول :

« نحن هم الذين على استعداد بدمائنا وعنصرنا المادي لتأمين هذا المركز للمدنية . وينبغي لكل طالب سياسة ان يدرك بسرعة البرق الخاطف بأن الصهيونية تقدم فرصة ثمينة امام ايجاد مأخذ سهل لآسيا »(٦).

ثم يتابع مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة — وخالق ذلك « التجريد » الذي تحول الى واقع عيني عند اقامة الدولة اليهودية ، في مدى خمسين عاما — مجرى تفكيره على الوتيرة نفسها فيغدق عبارات الثناء على آماله وتوقعاته البريطانية . ويعزف على نغم مدهش بما ينطوي عليه من رؤيا تنبؤية ، فيقول :

« انجلترا ، أنجلترا العظمى ، وانجلترا الحرة، انجلترا سيدة البحار سوف تتفهم اهدافنا . ويجوز لنا التأكد بأن الفكرة الصهيونية سوف تنطلق من هنا في طيرانها محلقة الى اجواء اعلى وأبعد » .(٧)

فلو اعتبرنا الاستشهادات الواردة اعلاه بمثابة دليل واضح علـى الطبيعة الحقيقيـة للمغامرة الصهيونية كمشروع استعماري يسعى للحصول على اعتراف دولي تحت ستار التوازي بين المصالح اليهودية والبريطانية ، لوجب ان يمثل وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ نقطة التحول في الاتجاه الصهيوني والطابع المتأصل للعمليـة الاستعمـارية الصهيونية . اي ان الوعد المذكور يرمز الى تركيز الاهتمام علـى العطف البريطـاني بالنسبة لاقامة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين .

ان البحث عن اعتراف دولي يصبح بحثاً ، تحت رعاية بريطانيا وفي ظل انتدابها ، عـن تأمين الاكثرية اليهودية داخل فلسطين واستحصال اكبر نسبة ممكنة من اراضيها ، لكي يتم ايواء المستعمرين والمستوطنين العتيدين .

٢ ــ التنفيذ : ١٩١٨ ــ ١٩٤٨

« هنا تقدم الصهيونية الحل لمعضلة مؤلة . فلو كنا نحن اليهود على استعداد لتوطيد دعائـم المركز البريطاني في الشرق الاوسط ، وعلى استعداد للوقوف الى جانب انجلترا في حراسة قناة السويس ، وعلى الطريق الى الهند ، وللحؤول دون طغيان النفوذ الاجنبـي والمعـادي ، ودون تصادمه مع المصالح الحيوية للامبراطورية ، نكون بذلك قد اسدينا الى انجلترا خدمـة تستحق ان تؤخذ بعين الاعتبار المادي » .

(ماكس نوردو : ١٩٢٠)

عندما أدلى ماكس نوردو بهذا البيان الصريح عن الاهداف والاماني الصهيونية ، منذ خمسين عاما ، كانت العملية الاستعمارية التي بلغت ذروتها في قيـــام اسرائيل قيـد التنفيذ ، بينما أضحى التحالف بين الصهيونية وبريطانيا الامبريالية حقيقة ثابتة وراهنة . بيد ان النضال الاكبر في رسم معالم هذا التحالف المصلحي بين الطرفين يرجع الى صهيوني أممي كان صاحب اليد الطولى في ذلك . فالمعلق العسكري في صحيفـة « المانشستر غارديان » ـــ هربرت سايد بوثام ـــ والذي درج على توقيع مقالاته بعبارة « طـالب الحرب » ، هو السباق الى ابراز حسنات التحالف المنشود والتنويه بمنافعه .

لقد كتب سايد بوثام مقالاته قبل أن يتبنى بلفور مبدأ الصهيونية (عام ١٩١٦) ، فحاول تعيين الخطوط العريضة للاولويات البريطانية والتوقعات الصهيونية الملازمة لهـا ، وفعل ذلك من زاوية خلق « دولة عازلة بصورة مثلى » أمام مصر ـــ اي اقامة « دولة يهودية في المستقبل تحت رعاية التاج البريطاني وسيطرته » . وعلى اساس الافتراض الرئيسي القائل بأن « فلسطين تؤلف الان ، وفي كل آن، مفتاح مصر » رأى سايد بوثام متطلبات الاستعمار البريطاني في ضوء ما يلي :

« انه لمن الواضح ، اذن ، وقياسا على ما حدث في الهند ، يبدو ان ما نتطلبه لتأمين دفاع افضل عن مصر ، وتخفيف اعباء هذا الدفاع ، هو دولة تؤدي بالنسبة لحدود تلك الوظيفة التي أدتها افغانستان بالنسبة للهند . وبدون ذلك سوف يكون مركزنا الى الجنوب مما يعرف بالامبراطورية التركية الان في وضع صعب للغاية . فسواء اخذنا ظروفنا السياسية بعين الاعتبار ، أو نظرنا الى الامبراطورية البريطانية من حيث كونها تستند بصورة رئيسية الى السيادة البحرية ، او من زاوية قدرتنا على تطوير قوتنا العسكرية بسرعة لمواجهة الطوارىء المفاجئة ، فان تجربتنا السعيدة في الهند ينبغي تكرارها في المنطقة الجديدة « عبر الهند » .(٨)

لكن غيرة سايد بوثام على رؤية « التجربة السعيدة » التـــي مرت بهـــا الامبراطورية البريطانية تتكرر مرة اخرى فوق ارض فلسطين ــ وهي الارض التي يصفها بـــ «المنطقة الجديدة عبر الهند» ــ ليست وليدة البواعث الاستراتيجية والعسكرية وحدها .فالدولة اليهودية المقترحة يتوقع لها أن تلعب دورا يتعدى دور الدولة العازلة في خدمة المصالح الامبريالية البريطانية . اما اليهود فهم بالنسبة له يؤلفون المستعمرين المحتملين على نطاق واسع ويستحق الذكر في فلسطين . ولا ينازعهم في هذه الميزات منازع !

ان هربرت سايد بوثام يتصور المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين بطريقـــة تفضح الكثير من عناصره الهرتزلية ، رغم ما يورده عن «القياس الهندي» . فهو يتحدث بالاسلوب الهرتزلي ذاته ، ويقول :

> « لا شيء يبدو أكثر تأكيدا ، فيما لو اصبحت فلسطـــين تؤلف جزءا مـــن الامبراطورية البريطانية ، من ان استعمارها بالمعنى الحقيقي لن يتم على يد أمثال اولئك الانجليز الذين عمروا كندا واستراليا . فاليهود وحدهـــم يستطيعون استعمار فلسطين » .

ثم يمضي صاحب هذا القول الىتطوير عناصر الحجة الداعية الى اجراءتجربة استعمارية يهودية تحت رعاية الامبريالية البريطانية على النحو الاتي :

> « وحدهم يستطيعون انشاء ممتلكة مستقلة (dominion) وجديدة على شاطيء البحر الابيض المتوسط ، حيث ترتبط هذه الممتلكة منذ البداية مع بريطانيا في العمل الامبريالي ، وتكون في آن واحد : حصنا واقيا ضد الشرق الغريب ووسيطا بينه وبيننا ، لا بل مدنية تتميز عن مدنيتنا لكنها متشربة بأفكارنا السياسية ، تقف وايانا في المرحلة ذاتها مـــن التطور السياسي ، وتدشن حياتها الثانية كأمة تدين لهذه البلاد بعرفان الجميل وترى فيها الاب الثاني لها » .(٩)

فلنرجع الى عبارة ماكس نوردو الواردة في مطلع هذا القسم اذاك تتبدى لنا المغامرة الصهيونية الاستعمارية ، منذ مطلع عهدها تحت الاحتلال البريطاني لفلسطين وكأنها قد وطدت العزم على اداء المهمة المنوه عنها اعلاه : الوفاء بالدين المترتب عليها لحساب الاب الثاني ، اي الامبريالية البريطانية. وهناك وصف مسهب للدور الصهيوني في حماية المصالح الامبريالية البريطانية على لسان ماكس نوردو . ففي معرض تقديمه لوضع على اساس معضلة لن يستطيع حلها سوى الصهيونية وحدها ، نجده يكتب عام ١٩٢٠ ما يلي :

> « ان انجلترا لا تستطيع ضم فلسطين ، لان الحلفاء تخلوا رسميا عن جميع المكاسب الاقليمية . أما اذا تركت فلسطين وشأنها لكي تخدم أمر مصيرها بيدها ، فانها سوف تصبح نقطة نزاع وخلاف بين فرنسا ودولة فيصـــل العربية . ولا يسع انجلترا ان تتخلى عن فلسطين لصالح فرنسا ، مثلما انها لا تستطيع بنفسها ان تقيـــم هناك جسرا ثابتا يصل بين الوطنيـــين المصريين الذين يشنون كفاحا مريرا للتخلص من الحماية البريطانية ، وبين الوطنيين العرب السوريين الذين يحلمون بأمبراطورية عروبيـــة سرعان ما تشكل خطرا يتهدد امن قناة السويس وسلامة الطريق الى الهند».(١٠)

وقبل أن يدلي نوردو بهذه الاراء بسنة تقريبـــا كان الكولونيل ر. ماينرتزهاغن قد كتب الى رئيس الوزراء البريطاني من باريس اثناء انعقاد مؤتمر الصلح لكي يشرح التحدي الذي سيواجه مركز بريطانيا الامبريالي في الشرق الاوسط علـــى يد الموجة القوميـــة والوطنية العربية الصاعدة . أما الاقتراح الذي تقـــدم به ماينرتزهاغن بغيـــة مجابهة التحدي السافر للوجود الامبريالي البريطاني في المنطقة فانه يتضمن الامور التالية :

> « نحن لا نستطيع مصادقة اليهود والعرب على حد سواء. ويستند اقتراحي

الى مصادقة ذلك الشعب الذي يرجع ولاءه الصادق لنا ـــ اعني : اليهود . فهم يدينون لنا بالكثير وعرفان الجميل من الخصال البارزة لدى عنصرهم . ورغم اننا فعلنا كثيراً لاجل العرب ، فانهم لا يعرفون معنى عرفان الجميل . وفضلا عن ذلك ، فالعرب سوف يشكلون عائقا وعثرة ، بينمـــا سيكون اليهودي خير سند وعون لنا . »(١١)

ثم ينتقل رجل الاستخبارات البريطانية الى تعـــداد الحسنات المرجو تحقيقها من جراء الضم البريطاني لشبه جزيرة سيناء . فيعدد الحسنات التالية منها :

أ) الضم البريطاني سوف يقيم منطقة عازلة او فاصلة بين فلسطين ومصر .

ب) سوف يعطي بريطانيا موطىء قدم قوي في الشرق الاوسط ويتيح لها الوصول الى البحر المتوسط والبحر الاحمر على حد سواء .

ج) انه سيزود بريطانيا بالمجال الكافي لاقامة قاعدة استراتيجية ، مثلما تؤمن لها الموافقة اليهودية افضل ميناء على الشاطىء الشرقي للمتوسط .

د) سوف يضع بريطانيا في مركز يؤهلها لاحباط كل تحرك مصيري يرمي الى اغلاق قناة السويس بوجه السفن البريطانية ، مثلما انه يمكنها من حفر قناة ثانية تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط .

هـ) بما أن تعداد السكان العاديين في سيناء لا يتجاوز بضعة الاف نسمة ، فليس من المتوقع بروز مسألة قومية هناك .(١٢)

هذه الاقتراحات وغيرها من المفاهيم التي اخذت تتبلور عشية الانتداب البريطاني على فلسطين وجدت تجسيدها الفعلي ودلالتها العملية خلال حملة سيناء ١٩٥٦ والعدوان الثلاثي ضد مصر وعلى منطقة قناة السويس . كما ان العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ يؤلف برهانا ساطعا على العهدة الى دولة المستوطنين الصهيونيـــة بمهمة تنفيذ الاطماع القديمة وتحقيق الاهداف المنشودة .

وفي عام ١٩٢٦ كشف الميجور البريطانيبولسون نيومان عن اهميةفلسطين الاستراتيجية بالنسبة للسياسة الامبريالية التي تتبعها بريطانيا في الشرق الاوسط ، فابرز تلـــك الاهمية كما يلي :

« كان من المقدر لفلسطين ان تصبح احد المرتكزات الرئيسية في السياسة الجوية للامبراطورية البريطانية. وذلك باعتبارها الشريان الجوي الرئيسي بين الشرق والغرب ، وباختصار ، فان فلسطين كانت ستصبح « قناة السويس الجوية » ، بحيث تقوم على الصعيد الجغرافي جنبا الى جنب مع « قناة السويس البحرية » .(١٣)

وحتى بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وقيام الدولة الاسرائيلية فان السلوك العسكري للمركز الامامي الصهيوني اضفى المزيد من الثقل الاثباتي والتصديق على تلك العملية التي اطلقتها الامبريالية الغربية ثم قامت بتوجيهها صوب حماية مصالحهـــا المستشرية في الشرق الاوسط ، والاشراف على تأمـــين تلك المصالح دون ان يعتـــرض سبيلها عائق او عثرة .

ان التحالف الصهيوني مع الامبريالية البريطانية خلال فترة الانتداب شهـــد بصورة تدريجية تحولا في التشديد منذ اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية فصاعدا . واذا كانت السيطرة على الحركة الصهيونية العالمية اثناء العقدين المتدين من ١٩٢٠ الى ١٩٣٩ « وقفا على الصهيونيين الاوروبيين واليشوف الفلسطيني دون سـواهم » ، فان مجيء صيف ١٩٤٠ يمثل نقطة التحول في « انتقال مركز النشاطات السياسية الصهيونية الى الولايات المتحدة الامريكية » .(١٤) وعلاوة على ذلك ، فانه ليس من قبيل الصدفـــة المجردة ان يأتي التحالف اللاحق بين الصهيونية والامبريالية الامريكية في اعقاب الحرب العالمية الثانية بمثابة«قطيعة» مع بريطانيا ،وان يؤدي بالتالي الىقيام دولة اسرائيل .

لقد استمرت العملية ، لكن بريطانيا « خرجت » منها لكي تفسح المجال أمام التفاعل بين السيادة الامريكية والاطماع الصهيونية .

وفي ١٦ نيسان ، ١٩٤٤ اختار الدكتور ناحوم غولدمان ، عضو اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، ان يخاطب اجتماع المجلس الاداري للمنظمة الصهيونية الامريكية بالعبارات التـــالية :

« لم أكن يوما احد اولئك الذين يعتقدون بأن مركز الثقل الصهيوني انتقل من لندن الى واشنطن . فما زلت عند اعتقادي بأن لندن هي مركز الثقل، وبكل تأكيد طالما ان تشرشل هو رئيس الوزراء . ذلك لانني استبعد لجوء الرئيس روزفلت الى محاربة تشرشل جديا حول اي اقتراح بالحل يتقدم به الثاني في نهاية المطاف . »

ثم يتابع غولدمان قائلا :

« بيد ان الولايات المتحدة سوف تلعب دورا هاما في تكويـــن السياســـة المتعلقة بفلسطين . فالزعماء البريطانيون من اصدقاء الصهيونية يريدون تصعيد المشاركة الامريكية وزجها اكثر فأكثر في الصورة ، لانه كلما ازداد استعداد اميركا لتحمل اعبـــاء المسؤولية المعنوية والسياسيـــة ، أصبح من الاسهل على بريطانيا ان تنصرف الى معالجة الوضع ازاء العرب . ان الولايات المتحدة ، كدولة داعمـــة ، تستطيـــع ممارســـة دور حيـــوي جدا . » (١٥)

هذه الامال الصهيونية تحققت خلال فترة قصيرة،وسرعان ما قفزت الامبريالية الاميركية لتحتل مكان السلف البريطاني . وقد تمادت السياســـة الاميركية في تدعيم النشـــاط الصهيوني ، حتى ان احد الصهيونيين الاميركيين تمكن من اصدار الحكم التالي علـــى الوضع التحالفي الناشىء :

« عند مجيء عام ١٩٤٧ بنوع خـــاص ، برزت الولايات المتحدة الاميركية كقوة رئيسية في الشرق الاوسط لتحل عمليا محل بريطانيا في المنطقة اياها، وتعمل على انتهاج سياسة خاصة بها . لكن الناطقين الرسميين بلسان الحركة الصهيونية ، في سعيهم لكسب التأييد الاميركي لفكـــرة الدولـــة اليهودية ، لم يكونوا قد لجأوا بعد الى تقديم الحجة المتعلقة بمصلحـــة اميركا القومية في قيام الكومنولث اليهودي كمعقل للافكار الغربية وكحصن ضد التغلغل الشيوعي في الشرق الاوسط . »(١٦)

ولدى قيام اسرائيل تبنت السياسة الامريكية الدور الرئيسي ، وجرى توجيه العملية الاستعمارية للصهيونية الاقليمية صوب خدمة مصالح الامبريالية الاميركية فالصندوق القومي اليهودي ــ وهو الاداة المالية التي انشأها المؤتمر الصهيوني عام ١٩٠١ لكي تكون بمثابة « المؤسسة القومية لابتياع الاراضي » في فلسطين ، بحيث تصبح الاراضي المبتاعة « ملكا مشتركا وثابتا للشعب اليهودي » ــ هذا الصندوق ، اطلق عليه الرئيس ترومان وصفا يستحق الاهتمام ويسترعي الانتباه ، اذ اعتبره « النقطة الرابعةالاميركية وكأنها قد خطط لها قبل خمسين عاما » .(١٧) بيد ان هذا التشبيه الاميركي لنشاطـــات الصندوق المعروف بالكيرن كايمت واسقاطه على النقطة الرابعة لا يبين سوى نـــاحية واحدة من نواحي التحالف الصهيوني مع الامبريالية الجديدة خلال العقدين الماضيين . فلنوجه اهتمامنا ، اذن ، نحو طبيعة ومدى التحالف الاسرائيلي مع القوى العصريـــة للامبريالية الجديدة وقوى المعسكر المضاد للثورة التحررية في العالم. ففي هذين المجالين تنعقد ثمار التكوين الصهيوني ويكتمل نضج التنفيذ ، بحيث تتكشف لنا تلك الخدمات التي تؤديها دولة المستوطنين الصهيونيين لمصالح الامبريالية المستشرية في هذه الرقعة من العالم .

٣ ــ تحالف للغزو والاحتواء : ١٩٥٠ ــ ١٩٧٠

« والنقطة الرئيسية في ملاحظاتي اليوم هي ان منظمة حلف الاطلنطي فيحيرتها الحاضرة ليس لديها الكثير لكي تتعلمه من اسرائيل فحسب ، بل هي بحاجة ماسة الى اسرائيل » .

(John Conell — *Israel: Western Defence Bastion*, July, 1963)

ان صاحب القول الوارد اعلاه كان يحاول التحسر على الخسارة المستمرة التي منيت بها بريطانيا في الشرق الاوسط طيلة العقدين الماضيين ، وهي خسارة على صعيد الوجود العسكري والنفوذ السياسي . فالخلف الاميركي الذي ورث التركة الضائعة للسيطرة البريطانية يبدو في نظر الرجل وكأنه يكرر أرتكاب أخطاء السلف ، بينما يضيف اليها تنويعات خطيرة من عندياته . غير أن خلاصة الملاحظات التي يبديها جون كونل بحضور الفايكونث صموئيل حول موضوع اسرائيل كقلعة من قلاع الدفاع الغربي، يمكن ايرادها على لسانه بالشكل الاتي :

« في اعتقادي انه منذ ١٩٤٨ فصاعدا كان بالامكان ، لا بل من الواجب ، أن تصبح اسرائيل نقطة ارتكاز السياسة البريطانية في الشرق الوسط . . . ان جميع مساعينا وجهودنا الدبلوماسية والسياسية ، رغم براعتها ومشقتها، وبالاضافة الى انفاق المبالغ المالية الكبيرة ، كلها كانت عبثا . وذلك لاننا ، في غمرة الاقرار المتردد بوجود اسرائيل كحقيقة وواقع قائمين لم يخطر لنا أبدا ان نواجه المضاعفات المنطقية الكاملة التي تتأتى عن هذا الوجود ــ وجودها كدولة قومية ، متغربة وموالية للغرب ، على مستوى عال من التطور والفعالية الى جانب الاقدام والعزم : وسط مستنقع الشرق الاوسط الاسن. نحن لم نتبع طريق الشرق ولم ننتهج سبيل المصلحة : بل كنا نتعامى عن مصالحنا اكثر مما تعامينا عن مسؤوليتنا . »(١٨)

الا ان هذا التحسر على زوال الوجود العسكري البريطاني في الشرق الاوسط يجب الا يعمينا عن حقيقة اعتماد اسرائيل على المعسكر الامبريالي . وعن استعدادها لحراسة المصالح العائدة للامبريالية الجديدة بمتابعة الخط الذي تسير عليه السياسة الخارجية الاميركية .

فقد أكد هربرت ماركوزي عقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بما يلي :

« لم تكن هناك ثمة مناسبة في الامم المتحدة عندما اتخذ ممثل اسرائيل او ممثلوها موقفا الى جانب الكفاح التحرري في العالم الثالث وضد الامبريالية . »(١٩) فالمواقف الاسرائيلية الرسمية على صعيد المنظمة العالمية وفي اوساط الامم المتحدة تناهض كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الامبريالية الجديدة ، وتلتزم بالخط الموضوع للسياسة الاميركية الى حد بعيد . »

ومن السهل للمرء أن يعدد الكثير من الامثلة للتدليل على تحالف اسرائيل مع قوى الامبريالية الجديدة والثورة المضادة في العالم .

فلنتعرف الى بضعة عينات منها :

أ) عند اندلاع نيران الحرب الكورية عام ١٩٥٠ انحازت الحكومة الاسرائيلية بشكل مفضوح الى جانب الولايات المتحدة الاميركية(٢٠) وجاءت هذه البادرة لتؤكد بما لا يقبل الشك ان عدم الانحياز المزعوم عند اسرائيل لم يتبلور او يتجاوز حدود الدعاية والتبني اللفظي .

ب) عام ١٩٥٦ قامت اسرائيل بدورها كراس حربة في حملة سيناء للعدوان الانجلو ــ فرنسي ضد مصر ، وقد جاء ذلك في أعقاب البادرة المصرية لتأميم شركة قناة السويس .

جـ) بعد مضي ثلاث سنوات تقريبا على العدوان الثلاثي ضد مصر ، ومع قيام العديد من الدول والبلدان المستقلة حديثا في افريقيا واسيا ، لجأت اسرائيل الى تدشين سياسة ترمي لتدعيم مصالح الامبريالية الغربية وتوسيع مدى المشاريع الراسمالية بتكريس المزيد من الاهتمام للدول المستقلة حديثا في القارة الافريقية .

ففي المقالة الطويلة التي كتبها دافيد بن غوريون لتتصدر الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٥٩ ـــ ٦٠ ، نجده يقدم التقييم التالي لمركز اسرائيل الدولي في كل من اسيا وافريقيا :

« لقد انقضت ثلاث سنوات تقريبا على حملة سيناء والكفاح السياسي الذي تلاها . وكان بعض الزملاء قد ساورتهم المخاوف لئلا تؤدي الحملة الى استعداء الشعوب الاسيوية والافريقية ، حتى ان هذه المخاوف بدت وكأن هناك ما يبررها خلال الاشهر الاولى عقب الحملة » .

ثم يتابع بن غوريون تحليله للوضع فيقول :

« ان هذه السنوات الثلاث اظهرت بوضوح كيف ان تلك المخاوف لم يكن لها من أساس البتة ، ولم تتجسد على صعيد الواقع العملي . فاسرائيل اليوم هي واحدة من الدول التي تحظى ببالغ الاحترام والاعجاب بين الشعوب الاسيوية والافريقية ، كما أن حملة سيناء وبطولة قوات « جيش الدفاع الاسرائيلي » اثناء القتال أسهمت بقسط وافر في بروز هذا الموقف الجديد » . (٢١)

ومنذ عام ١٩٦٠ فصاعدا تتخذ اسرائيل لنفسها في غربي آسيا دورا مشابها لدور اليابان في الشرق الاقصى . بيد أن هذا التشابه في الادوار يجب الا يعمينا عن طبيعة الخدمات التي تسديها اسرائيل للامبريالية . فالموقف الاسرائيلي من حرب فيتنام ومن حكومة جنوب افريقيا العنصرية ومن مختلف حركات التحرر في العالم لا يحتاج الى كثير من البحث والتنقيب ، وقد كفت اسرائيل نفسها جميع الباحثين مؤونة ذلك .

ورغم ان اسرائيل تقوم بدور الوسيط بين الامبريالية الاميركية والبلدان المستقلة حديثا في افريقيا ، فان الدولة الصهيونية تلعب دورا مزدوجا في هذا النشاط المضاد لحركات التحرر الثورية : انها تسعى لاقامة علاقات صداقة ومودة مع تلك البلدان الناشئة طمعا في الحصول على تأييدها وكسب دعمها في المجال الدولي . والى جانب ذلك نجدها تضع وكالاتها الدبلوماسية والعسكرية ومؤسساتها « الانمائية » تحت تصرف الامبريالية الاميركية لكي تعمل على توطيد دعائم السيطرة الغربية وتساهم في اجهاض الحركات الثورية للكفاح الوطني التحرري .

ثمة دراسة اجرتها مؤخرا « جماعة البحث في افريقيا » عن الرسالة الامبريالية لاسرائيل في القارة الافريقية . حيث قدمت الدراسة دلائل وافية تفضح طبيعة النشاط الاسرائيلي وتؤكد على ارتباطه الوثيق بمصالح الامبريالية العالمية . لقد توصل القائمون بتلك الدراسة الى اثبات صحة الحقائق التالية :

١ ـــ ان حكومة الولايات المتحدة ساعدت في تكوين أسلوب ومادة برامج المساعدة الاسرائيلية لافريقيا .

٢ ـــ ان اميركا وحلفاءها ساعدوا في تمويل هذه البرامج عن طريق استخدام الحيلة المستورة نسبيا بالعمل من خلال « البلد الثالث » (الوسيط) .

٣ ـــ تركزت برامج المساعدة الاسرائيلية في مجالات لها أهمية استراتيجية ، وخصوصا في حقل التدريب العسكري المتخصص ، مع تطبيقات مباشرة على صعيد مكافحة الثورات ومحاولة اجهاضها .

٤ ـــ ان هذه البرامج الاسرائيلية تخدم مصالح اسرائيل الامبريالية على نطاق صغير نسبيا ، لكنها تندمج بصورة متكاملة وملائمة في نطاق الاستراتيجية الامبريالية التي

تسير عليها الولايات المتحدة في مختلف دول العالم وعبر قومياته وشعوبه .(٢٢)
ويكفي ان نتذكر الموقف الاسرائيلي من حرب فيتنام والزيارة التي قام بها الجنرال موشيه دايان منذ أربعة اعوام لمسرح الحرب هناك ، حيث اطلع عن كثب على اساليب الامبريالية الامركية في مكافحة الثورات الوطنية والوقوف بوجه حرب العصابات .
نحن لا نستطيع الدخول في التفاصيل ضمن النطاق المحدود لهــذه المقالة . لكن جميع الحقائق والدلائل المتوافرة تؤكد باستمرار ووضوح لا يرقى اليه الشك على الدور الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الاوسط وخارجه ، كخادم للمصالح الامبريالية . ومما لا ريب فيه ان اسرائيل تحاول تأمين مصالحها الخاصة من خلال ذلك وتسعى للحصول على مزيد من التأييد لسياستها العنصرية والتوسعية. وهذا الامر يتم عن طريق الخدمات الاسرائيلية لقضايا الامبريالية والثورة المضادة في العالم الثالث .
ان اسرائيل تنتعش على هذا الارتباط المثلث الاطراف، وقوى الامبريالية الجديدة لا يسعها الا الانشراح لرؤية معارفها التقنية ورساميلها يتم « تصديرها » عــن طريق اسرائيل وبرامجها الفنية الى البلدان الاسيوية والافريقية. اي أن اسرائيل تستورد هذه «السلع» الغربية لكي تقوم بتصديرها فيما بعد الى بلدان العالم الثالث تحت ستار المساعدات الفنية وبرامج التدريب والانماء .
ويمكن القول باطمئنان ان رسالة اسرائيل كخادم للامبريــالية الامركية وتوظيفــات الرساميل في بلدان آسيا وافريقيا بنوع خاص تتيح للمعسكر الامبريالي انتهاج سياسة مضادة لثورات التحرر الوطني بحيث تؤدي الى نتائج من هذا القبيل :
— ضمان السيطرة الغربية وتأمين استمرارها .
— الابقاء على الاتكالية الاقتصادية لدى تلك البلدان .
— « احتواء » الحركات الثورية للكفاح الوطني والتحرري . وتقديم العون اللامحدود لقوى الثورة المضادة بالاضافة الى ربطها بعجلة الامبريالية العالمية .
يبدو ان القوى الامبريالية في حلف الاطلنطي يمكنها ان تتعلم من اسرائيل ، بالاضافة الى حاجتها الماسة لاسرائيل، اسلوب ممارسة النفوذ والاستعباد الاقتصادي عن طريق طرف ثالث . ان امبريالية اسرائيل السائرة في ركاب الامبريالية الجديدة تلعب دورا بارزا في تمهيد السبيل أمام التغلغل الامبريالي الغربي في كل من افريقيا وآسيا . هذه الامبريالية المحدودة نسبيا تخدم مصالحها من خلال الخدمات التي تسديها لمصالح الامبريالية العالمية تحت ستار وكالات المساعدة الفنية وبرامج الانماء والتدريب .
ان شعب فلسطين الذي شرده المستوطنون الصهيونيون وجردوه من ممتلكاته واستولوا على أرضه ، ذهب ضحية لعملية استعمارية تمتعت بتأييد مطلق من جانب الامبريالية .
فلا عجب ، اذن ، ان تقوم دولة اسرائيـــل بدور الخــادم المخلص والامين لاسيادهـــا الامبرياليين ، وفي محاولتها الرامية الى احباط حركة التحرر الوطني الفلسطيني وتصفية الدفع الثوري بين الفلسطينيين .
ثمة ناحية اخرى لهذا الكفاح في سبيل التحرر والعودة والعدالة، وهي تشير الى التحالف القائم بين اسرائيل وجميع القوى المضادة للثورة والموالية للامبرياليـــة الجديدة . ان حراسة قناة السويس اصبحت تشمل حراسة المصالح الامبريالية الامركية في المنطقة ، والاستعداد لضرب حركات التحرر الوطني .
لذا يصبح من الضروري بالنسبة لجميع قوى التقدم والتحرر في العالم ان تقف صفا واحدا بوجه الامبريالية وان تؤيد بكل الوسائل الممكنة حركة الشعب الفلسطيني وثورته الوطنية ضد خدام الامبريالية في العالم الحديث .
فلا يكفي ان نعرف طبيعة الارتباطات التي تشد اسرائيل الى معسكر الامبريالية العالمية، بل ينبغي العمل يدا واحدة في سبيل احباط ذلك التواطؤ وقطع الطريق على كل تحالف امبريالي النزعة والطابع يهدف الى خنق الثورات الوطنية والتحررية في مهدها .

المراجـع :

1. Fayez Sayegh: "The 'Non-Colonial' Zionizm of Mr. Abba Eban", reprinted from *Middle East Forum,* Vol. XLII, No. 4(Beirut, 1966), p. 71.
2. Theodor Herzl — *The Jewish State:* An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question, 4th ed., trans. by Sylvie D'Avigdor, (London: 1946) p. 30.
3. *The Complete Diaries of Theodor Herzl,* ed. by R. Patai, trans. by H. John (New York: Herzl Press, Thomas Yoseloff, 1960), Vol. II, pp. 799-800.
4. Alex Bein — *Theodore Herzl.* A Biography, (The Jewish Publication Society of America, Philadelphia: 1940), p. 357.
5. Oskar Rabinowicz: "Herzl and England", in *Herzl Yearbook,* Vol. 3, (Herzl Press, New York: 1960), p. 42.43.
6. Ibid., p. 43.
7 Ibid.
8. Herbert Sidebotham — *England and Palestine.* Essays towards the Restorations of the Jewish State, (London: 1918) p. 183.
9. Ibid.
10. انظر المقتطفات المأخوذة من مقالات ماكس نوردو في صيف ١٩٢٠ ، وقد أعيد نشرها في عام ١٩٤٧ على صفحات الجريدة التالية :

    The Jewish Standard, December, 1947, page 3, "1920's Warning to 1947".
11. Colonel R. Meinertzhagen — *Middle East Diary:* 1917-1956, (London: The Cresset Press, 1959), p. 18.
12. Ibid , p. 19.
13. E. W. Polson Newman — *The Middle East,* (London: 1926), p. 6.
14. Joseph B. Schechtman — *The United States and the Jewish State Movement,* The Crucial Decade: 1939-1949, (Herzl Press and Thomas Yoseloff, New York: 1966), p. 70.
15. Ibid., pp. 406-407.
16. Ibid., p. 408.
17. Bernard A. Rosenblatt — *The American Bridge to the Israel Commonwealth,* Foreword by Dr. Harris J. Levine (President, Jewish National Fund of America), New York: 1959, p. viii.
18. John Connel — *Israel: Western Defence Bastion,* Published by the Anglo-Israel Association, Pamphlet No. 3, (London: July, 1963), p. 4.
19. Herbert Marcuse — "Fur eine gemeinsame Front"

    وهي مجموعات ملاحظات بعنوان «نحو جبهة مشتركة»، نشرت في العدد الخاص من مجلة *Diskussion* (Zeitschrift Fur Probleme der Gesellschaft und der dentsch-israelischen Beziehungen, 8 Jahrgang, Nr. 23, 1967, p. 3.

20. N. Israeli: "Israel and Imperialism" (a brief Analysis), in *International Socialism*, (Spring, 1968), p. 34.
21. David Ben Gurion: "Israel's Security and her International Positions Before and after the Sinai Campaign", in *Israel Government Yearbook 1959-60*, pp. 54 and 55.
22. Africa Research Group: "Israel: Imperialist Missions in Africa", reprinted from *Tricontinental* as chapter 5 in *Palestine: Crisis and Liberation* (Collection Analysis), pp. 109-110.

احداث ايلول ومسؤولية النظام الاردني

بلال الحسن

من يتحمل مسؤولية الصدام الدامي الذي وقع في ايلول بين حركة المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني ؟

هذا السؤال الهام ، يحاول كتاب يعده مؤلفه للنشر ان يجيب عليه بالاستناد الى وقائع المواقف السياسية التي سبقت تشكيل الحكومة العسكرية الاردنية صباح ٧٠/٩/١٦ ، والتي كانت فاتحة عشرة ايام دامية ، ولدت نتائج هامة وخطيرة .

والفصل المنشور هنا هو جزء من هذا الكتاب ، يتناول بالتحليل ، مواقف المنظمات الفلسطينية، ممثلة بمواقف ثلاث منظمات هي : فتح ، والجبهة الديمقراطية ، والجبهة الشعبية ، كما يتناول بالتحليل تحركات النظام الاردني السياسية والعسكرية ، بحيث يمكن في نظرة مقارنة سريعة بينهما ، تحديد مسؤولية المجزرة وتقييم الحملة الاعلامية التي روج لها النظام الاردني، محاولا رمي التبعات كلها على عاتق العمل الفدائي .

لقد جرت محاولات دؤوبة من قبل النظام الاردني لتصوير تنوصع وكأن حركة المقاومة سوف تباشر تنفيذ الاستيلاء على السلطة الاردنية ، وان كل ما جرى في الاردن ، كان ردا على هذا الموقف الفدائي ، لذلك فقد عالج الكتاب بشيء من التفصيل جذور الازمة بين المقاومة والنظام ، والتي ترجع الى تخوف الحكم الاردني من فكرة الكيان الفلسطيني ، مبينا مواقف المجالس الوطنية الفلسطينية المتلاحقة ، التي اكدت اكثر من مرة رفضها لكل مشاريع الدولة الفلسطينية ، ومظهرا كيف أن النظام الاردني كان يحارب بروز الشخصية الفلسطينية اكثر مما يحارب قضية الكيان ، باعتبار ان بروز الشخصية الفلسطينية كان مرحلة من مراحل النضال الوطني الذي حاربته السلطة الاردنية باستمرار .

وقد ولد هذا التعارض العام تعارضا اخر في المواقف السياسية ، حول التسوية السياسية ، ممثلة اولا بقرار مجلس الامن ، وممثلة ثانيا بمبادرة روجرز التي حاولت ان تضع التسوية السياسية موضع التنفيذ العملي . ومن خلال هذين التعارضين ولدت كافة الاصطدامات المعروفة بين المقاومة والنظام .

ثم يتحدث الكتاب عن موقف حركة المقاومة من التسوية السياسية شارحا نقاط الاتفاق والاختلاف حول هذا الموضوع ، ونمط الحوار الفلسطيني الذي دار حوله . وسار في اتجاهين: اتجاه يعتبر مسؤولية الرفض مسؤولية فلسطينية خالصة ، واتجاه اخر يرى أن هذا الرفض، اذا لم يقترن بتحالف مع الجماهير العربية، عبر حركاتها الوطنية ، سوف يبقى رفضا ضعيف التاثير . وكيف ان هذين الخطين في الحوار التقيا جزئيا في المجلس الوطني الفلسطيني السابع، وفي المجلس الوطني الفلسطيني الاستثنائي ، حيث خرجت حركة المقاومة بقرار عام يدعو لتحويل

الاردن الى « معقل للثورة الفلسطينية » .
وانطلاقا من هذا القرار العام يحاول الكتاب ان يرصد مواقف حركة المقاومة في الرد على مبادرة روجرز ، من خلال المؤسسات الفلسطينية المشتركة (المجلس الوطني - اللجنة المركزية) معتبرا ان العمل الفدائي ، لم يخرج من خلال هذه المؤسسات بقرار سياسي واضح ، يمكن ان تبنى عليه خطة عمل مضادة للنظام ، تدفع النظام نفسه للرد .
وعلى ضوء ذلك ينتقل الكتاب لبحث مواقف المنظمات ، كل تنظيم على حدة ، ثم الى بحث تحركات النظام الاردني .

المنظمات والرد على مشروع روجرز

يلاحظ المراقب المتتبع للوضع في الاردن ان الشهرين اللذين يفصلان بين الاعلان العربي عن قبول مبادرة روجرز وبين بدء المجزرة في الاردن ، قد تميزا بتوتر عسكري يومي ، وبحملة اعلامية علنية من قبل بعض منظمات المقاومة الاساسية .. وكلا الوضعين ، التوتر العسكري ، والحملة الاعلامية العلنية ، تعبير عملي عن اتساع نطاق التناقض بين حركة المقاومة والنظام الاردني حول مشروع روجرز، وقد كانت هناك ثلاثة اساليب في معالجة الموقف ، يمثل كل اسلوب منها عينة نموذجية لطبيعة التنظيم المعني ، ونمط تفكيره السياسي .

الاسلوب الاول مثلته منظمة فتح ، وهو اسلوب « الدفاع عن النفس » . عدم الاقدام على خطوة مبادرة لضرب النظام ، مع الاستعداد العسكري لمواجهته ، اذا هو اقدم على ضرب حركة المقاومة. واثناء فترة الإشتباكات اليومية(1) التي سبقت الاشتباك الكبير ، لم تستعمل فتح امكانياتها العسكرية لغير اغراض الدفاع عن النفس . وكانت في صحيفتها اليومية واضحة تماما في هذا الموضوع، وتكاد تكون كل افتتاحيات صحيفة « فتح » طوال شهر كامل قبل المجزرة تدور كلها حول هذا الموضوع . نقرا مثلا « كل تحركات السلطة تشير الى أنها تعد لمؤامرة جديدة تستهدف ضرب الثورة على أمل تمرير الحل السلمي عن طريق صدام مسلح ... اما نحن فلا نريد هذا الصدام ... ونحن لا ندري هل فات الاوان لوقف الصدام ام لم يفت ؟ ولكن كل الدلائل تشير الى أن بدايات الصدام قد بدأت فعلا ... فليتحمل النظام اذا كل المسؤولية، وكل دماء الضحايا التي ستراق دماؤهم ، حيث سيكون الامر مختلفا هذه المرة»(2).

وبالرغم من هذا الموقف الدفاعي ، كانت حركة فتح تدرك أن هذا الصدام لن يكون من نوع الاصطدامات السابقة ، التي تنتهي بحل وسط ، او باتفاقية مرضية للطرفين تعكس موازين القوى،بل هو صدام حاسم ونهائي « اذا ارادت السلطة الصدام ، وهذا يبدو واضحا من كافة تصرفاتها وجرائمها . اذا ارادت الصدام فان ثورتنا ستجد نفسها مرغمة على خوضه . ولكن هذا الصدام حتما سيكون الصدام الاخير. ونتيجة الصدام، ستصنعه جماهيرنا الثورية المسلحة : الانتصار المحتم »(3).

وحين اخذت حالة التوتر تزداد حدة في عمان ، بدأت مواقف فتح تعبر عن نفسها بشكل اوضح ، فانتقلت من موقف المتوقع للصدام والمستعد له الى موقف التحذير ، فقد شهد يوم ٣٠ اب هجوما واسعا من السلطة على اكثر من موقع فدائي في عمان وتعليقا على ذلك كتبت جريدة فتح تقول « الثورة لن تسمح لمجموعة الاوضاع المتردية التي تحاول السلطة فرضها على المواطنين أن تستمر ... والثورة لن تسمح بأن يصرفها احد طويلا عن واجبها الاساسي الذي انطلقت من اجله »(4). واذا كانت الثورة لن تسمح باستمرار التردي ، فهي انما تفعل ذلك ليس من اجل اسقاط النظام ، بل حتى لا تنصرف طويلا عن واجبها الاساسي اي واجب تحرير فلسطين .

ومن غير الممكن في حالة شديدة من التوتر ، مثل التي كانت قائمة في عمان ، ان يستمر الموقف السياسي عند حد التحذير ، فلا بد من اقتراح صيغة للحل ، وفي ظل الموقف الدفاعي فان اي صيغة للحل هي حتما نوع من الحل الوسط . وقد كانت صيغة الحل التي اقترحتها فتح هي « السلطة الوطنية » .

لقد بقي هذا الشعار الذي طرحته اللجنة المركزية وتبنته فتح شعارا غامضا . ونجد فقط محاولتين في جريدة فتح لشرحه ، المحاولة الاولى تصور وجود فريقين في السلطة الاردنية ، فريق عميل متآمر على الثورة ، وفريق اخر موجود في مواقع السلطة ، ولكنه لا يملك اي سلطة فعلية(5). الفريق الاول هو رجالات القصر ، والفريق الثاني هو الوزارة . وبناء على هذا التصوير للوضع ، يمكن استبدال الفريق

العميل بفريق وطني .
المحاولة الثانية هي التي حددت فيها جريدة فتح ست صفات للسلطة الوطنية هي :
« اولا : ان تملك سيطرة كاملة على كافة اجهزة الجيش والامن والدولة .
ثانيا : ان تقوم بتطهير كل هذه المؤسسات من العملاء والحاقدين من اعداء الشعب والثورة .
ثالثا : ان تقوم على الفور بمحاكمة كل المجرمين والقتلة الذين ارتكبوا المذابح البشعة بحق الشعب.
رابعا : ان تختفي كافة اشكال التعبئة الاجرامية الحاقدة التي تمارسها السلطة العميلة داخل الجيش وبين المواطنين .
خامسا : ان يبنى التلاحم المصيري بين القوات المسلحة الوطنية وبين الثورة حتى يمكن التفرغ بكامل قوتنا بالتوجه للعدو الذي يحتل ارضنا .
سادسا : ان يتم تأمين جو من الامن الكامل بتصفية كل الجيوب العميلة والمنظمات المشبوهة ، حتى يطمئن ثوارنا الى سلامة ظهورهم ولامن وطمانينة جماهيرهم اثناء توجههم لقتال المحتل »(٦).
ان هذه المواصفات الست للسلطة الوطنية تتجاهل اي اشارة لموضوع التسوية السياسية ومشروع روجرز . وهي في حقيقتها مواصفات حكومة وطنية، وليست مواصفات سلطة وطنية . اي انها دعوة لتغيير الحكومة بحكومة جديدة ذات صفة وطنية من جهة ، وذات صلاحيات من جهة اخرى ، وليست ابدا دعوة لتغيير النظام من أساسه . وكل ما يهم فتح من هذه الحكومة ان تؤمن حالة من الامن والاستقرار الداخلي ، اذ انها لا تطالبها بأي مهام اقتصادية او عسكرية او سياسية من نوع جديد . وجريدة فتح لا تحدد الجهة التي يتوجب عليها ان تحقق صيغة « السلطة الوطنية هذه » ، ولكن ما دام الموضوع يتناول تغيير الحكومة وليس تغيير النظام ، يصبح من المنطقي القول بأن هذا الطلب موجه الى الملك بصفته الجهة التي يحق لها اقالة او تشكيل اي حكومة جديدة داخل نظامه .
وقد كانت اللجنة المركزية اكثر وضوحا في معالجة الموضوع ، اذ دعت الملك صراحة الى انجاز هذه المهمة حين اعلنت انها توصلت الى قناعة تامة بأن « الواجب الوطني المقدس لانقاذ وحماية البلاد والشعب والثورة الفلسطينية ، اصبح يقضي ابعاد هذه العناصر المتآمرة عن مواقع السلطة ، واستبدالها بعناصر وطنية موثوقة ، لكي تصبح السلطة سلطة وطنية ... وان اللجنة المركزية تناشد الملك حسين ... بأن يفصل العناصر الفاسدة والعميلة عنه »(٧).
واذا كانت هذه الاستشهادات المعبرة عن موقف فتح الدفاعي هي الطابع العام الذي عبرت عنه صحيفتها ، الا اننا نجد خروجا من هذا الخط العام في بعض الاحيان ، فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الاستثنائي لبحث مشروع روجرز دعت صحيفة فتح المجلس الى « ان ينتقل من موقف الرفض الى موقف احباط المشروع ، اي من سلبية الرفض الى ايجابية الافشال . ابواب الانتصار مشرعة لان بنادق الثوار تحت التنشين ، وما على المجلس الوطني الا ان يدخل باب الانتصار »(٨).
والمرة الثانية التي خرجت فيها فتح عن خطها الدفاعي العام كانت في ندوة فلسطين العالمية الثانية التي عقدت في عمان ، فقد نشرت جريدة فتح نص الحوار التالي بين احد أعضاء الندوة وبين احد مسؤولي فتح بعد ان القى كلمة فيها .
« سؤال : ما هو المقصود بأن تكون عمان هانوي الثورة ، وما هي الوسائل لتصبح كذلك ؟
جواب : يتم ذلك بتثوير كافة الاوضاع ، بتنظيم الشعب في مؤسسات ، وتسليحه ، وتدريبه ، بناء اقتصاد ثورة متكامل ، وان تتغير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين ابناء الشعب لتقوم على أساس العدالة الاجتماعية دون اي استغلال . ويتحقق ذلك بأن تصبح السلطة في البلد ، سلطة ثورية »(٩).
نلاحظ هنا كلاما واضحا عن السلطة الثورية وعن مواصفاتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . ولكن جوابا في ندوة يبقى اقل دلالة من افتتاحية رسمية . كما أن هذا الجواب يتناقض مع الخط العام الذي عبرت عنه الصحيفة باستمرار ، كما يتناقض مع مواقف فتح في المجلس الوطني ، حيث رفضت أن تذهب الى ما هو ابعد من صيغة « معقل الثورة » بدون تحديد . وقيمته الوحيدة كما يبدو، انه يتنافى مع الخط العام لحركة فتح اكثر مما يعبر عنه .
الاسلوب الثاني في مواجهة الازمة ، مثلته الجبهة الشعبية الديمقراطية وهو أسلوب التحريض الجماهيري ، لتوسيع اطار النضال من اجل انشاء السلطة الوطنية . وقد كانت الجبهة الديمقراطية واضحة تماما في التعبير عن نفسها ، منذ بدأت

تصدر صحيفتها(١٠)، حتى يوم المجزرة . وتملك الجبهة ما هو اكثر من تحديد موقف سياسي لمواجهة مشروع روجرز ، تملك وجهة نظر متكاملة حول طبيعة الصراع بين حركة المقاومة والنظام الاردني. فالجبهة الديمقراطية ترى انه منذ ان وجد العمل الفدائي في الاردن ، بدأت سلطة ثانية توجد الى جانب سلطة النظام . وهذه السلطة الثانية وجدت في البداية في حالة جنينية ، ثم اخذت تنمو وتتطور وتكسب اعتراف الجماهير بها . ثم بدأت السلطة الثانية ، سلطة العمل الفدائي ، تنشىء اجهزتها الخاصة الى جانب اجهزة النظام. و«اخذت الجماهير تنفض شيئا فشيئا عن اجهزة السلطة القديمة وتفقد احترامها لها »(١١).

وقد كان شيئا طبيعيا ، ان ينشب الصراع بين هاتين السلطتين ، وعلى هذا الاساس تفسر الجبهة الديمقراطية كافة الصراعات التي نشبت بين النظام الاردني وحركة المقاومة . اذ ان هذه الصراعات هي النتيجة الحتمية لسلطتين تتنازعان اكتساب مواقع النفوذ في البلد الواحد . أما توقيت هذه الصراعات فترى الجبهة انه مرتبط بتوازن القوى من جهة ، وبتحرك الحلول التصفوية من جهة اخرى .

وترى الجبهة الديمقراطية ان ازمة ١٩٧٠/٢/١٠ كانت « دليلا على توطد سلطة المقاومة ... كما كانت ايذانا بتحول حاسم في ميزان القوى بين السلطتين لترجيح كفة سلطة المقاومة »(١٢). ويلاحظ انه اثناء تلك الازمة رفعت شعارا علنيا يوضح هذا الفهم يقول « لا سلطة فوق سلطة المقاومة » ففي تعميم توجيهي للاعضاء صدر أثناء الازمة المذكورة دعت الجبهة اعضاءها الى « التأكيد باستمرار بأن على الجماهير الاعتراف بسلطة واحدة، هي سلطة لجان التنسيق ، ولا سلطة فوق سلطة المقاومة ومنظماتها »(١٣). وعندما قامت مظاهرات الاحتجاج ضد زيارة سيسكو للاردن فيشهر نيسان ١٩٧٠ ذيلت الجبهة بياناتها العلنية بهذا الشعار . وحين نجحت المظاهرات الجماهيرية في الغاء زيارة سيسكو كتبت الشرارة تقول « أن وجود سلطتين في هذا البلد ، سلطة الرجعية العميلة ، وسلطة جماهير الشعب والمقاومة المسلحة ، هو حقيقة قائمة لا يمكن حتى للرجعيين انكارها، والواقع يؤكد انسلطة الجماهير هي التي تقرر منذ اليوم بشكل متعاظم مصير وطنها ومستقبله »(١٤).

وقد كان هم الجبهة الديمقراطية الاساسي ، أن تبقى حالة ازدواجية السلطة قائمة لاطول فترة ممكنة ، حتى يتم اثناء ذلك ترسيخ سلطة المقاومة وتعميقها، وتحويل الالتفاف الجماهيري حولها من التفافعفوي سائب ، الى التفاف منظم يعبر عن نفسه في مؤسسات ديمقراطية ، والا تحول شعار « لا سلطة فوق سلطة المقاومة » الى شعار محافظ ، بعد أن اصبح امرا واقعا بعد الانتصارات الجماهيرية في شهري شباط ونيسان من عام ١٩٧٠ . وقد سعت الجبهة من اجل توطيد حالة ازدواجية السلطة الى رفع شعارات اخرىتكسب شعارها الاساسي مضامينه العملية ، فدعت الى انشاء المجالس الشعبية المنتخبة التي تعبر عن « ضرورة منح سلطة المقاومة طابعا جماهيريا ثوريا ، ينفي سماتها البيروقراطية »(١٥)،وكانت ترى ان المجالس الشعبية مدعمة بالميليشيا ، والنقابات ، هي المؤسسات الديمقراطية التي تنمو في رحم النظام القديم مبشرة بولادة نظام جديد ، اذ « ان المهمة المركزية التي تواجهها الثورة في هذه الساحة ، من اجل تأمين نجاحها في انجاز مهمتها الاستراتيجية الكبرى في تحرير الارض المحتلة بطريق الحرب الشعبية ؛ هي مهمة اقامة نظام وطني ديمقراطي ... يستند الى الشعب المسلح والمنظم في كتائب الميليشيا والمجالس الشعبية »(١٦). ولكن كيف يتم الوصول الى هذا النظام الوطني الديمقراطي . ؟ ان التقليد المتبع في المنطقة هو تقليد الانقلابات العسكرية . وقد رفضت الجبهة فكرة الانقلاب العسكري بشدة ، لان ذلك سيؤدي الى سلب المقاومة « طابعها الجماهيري الثوري »(١٧)، ففي ظل حركة جماهيرية مسلحة ، يشكل اللجوء للانقلابات العسكرية ، خطوة الى الوراء ، وتكون النتيجة نصرا « مغامرا » يقدم كهبة للجماهير ، بينما المطلوب ان تصنع الجماهير انتصاراتها بنفسها في اللحظة التي تكون حركتها السياسية ناضجة لذلك ، حتى تتمكن من المحافظة على هذا النصر .

كذلك رفضت الجبهة الديمقراطية في تلك الفترة فكرة «الحكومة الوطنية»، قائلة «ان قدوم حكومة وطنية سوف يعني التوفيق بين السلطتين »(١٨)، بينما المطلوب هو تعميق حالة ازدواجية السلطة ، اذ ان التوفيق بين السلطتين ، يشكل خطوة للوراء ، وتنازلا عن مكسب هام من مكاسب النضال الجماهيري .

ولما كانت الجبهة ترفض الانقلاب العسكري ، والحكومة الوطنية ، فقد دعت بالمقابل للنضال من اجل « نظام حكم وطني ديمقراطي معاد للامبريالية والصهيونية والرجعية »(١٩). يتم الوصول اليه عن طريق تعزيز النضال الجماهيري ، وعن طريق تعميق ازدواجية السلطة ، حتى تصل سلطة حركة المقاومة ، الى مستوى يؤهلها لحسم الصراع بين السلطتين لصالحها ، وبالاعتماد على قوة الجماهير المسلحة فقط ، « ان المزيد من نضوج الازمة الثورية داخل السلطة المزدوجة ، والمزيد من اقامة منظمات ديمقراطية واسعة للجماهير ، والمزيد من تسليحها والعمل بين صفوفها ، لرفع درجة وعيها السياسي وتجذيره سوف يدفع القوى الاكثر تقدما والاكثر ثورية نحو مواقع القيادة في حركة الجماهير وداخل السلطة الوطنية ، حتى يمكن قيادة الجماهير نحو حكم وطني ديمقراطي...»(٢٠).

وواضح ان مثل هذه المهمة تحتاج الى مدى زمني كاف ، واي تعجل في حسم التناقض بين السلطتين، سوف يؤدي الى اجهاض سلطة المقاومة ، لذلك « علينا ان نرسم مواقفنا التكتيكية اليومية بحيث نحول دون نشوب صدام نهائي مبكر بين السلطتين، وفي حال نشوب الصدام ان نحول قدر الامكان دون دفعه الى نهاياته »(٢١). ويبقى هذا التكتيك ساري المفعول حتى يتعزز « موقع اليسار داخل حركة المقاومة وتنمو الحركة الجماهيرية الى تلك الدرجة من الصلابة والوعي والنضج ، بحيث تمكنها من جعل السلطة القادمة ، مهما كانت طبيعتها ، اسيرة للمد الجماهيري ، ان لم تكن منبثقة عنه »(٢٢).

هذا الموقف الواضح للجبهة الديمقراطية ، الذي يرى وجود سلطتين ، ويدعو الى تعميق التناقض بينهما ، والى تأجيل نشوب صدام نهائي حتى تصل سلطة المقاومة الى مرحلة كافية من النضج، تعرض لانعطاف سريع بعد بروز مشروع روجرز ، والموافقة العربية عليه . فمنذ مشروع روجرز، اختفى شعار « لا سلطة فوق سلطة المقاومة »وبرز شعار اخر يقول « كل السلطة للمقاومة » .

فمع مشروع روجرز ، ادركت الجبهة الديمقراطية، كما ادركت فتح ، ان التسوية السياسية قد دخلت مرحلتها العملية .

ومع مشروع روجرز ، ادركت الجبهة الديمقراطية، كما ادركت فتح ، ان « الهدف الحقيقي للصفقة الاستسلامية هو رأس المقاومة والجماهير المسلحة»(٢٣).

ومع مشروع روجرز ، ادركت الجبهة الديمقراطية، كما ادركت فتح ان «الرجعية تخطط لجر الجيش الى معركة مع الشعب ومع المقاومة ... لتفرض عليهم الصلح مع اسرائيل ، والعودة الى حكم «الارهاب الرجعي»(٢٤).

وبعد هذه النقاط المتفق عليها ، يبدأ الخلاف في وجهات النظر بين فتح والجبهة الديمقراطية .

فالجبهة الديمقراطية ترى ان كل هذه المواقف جيدة جدا ، ولكنها ليست كافية ، اذ أن « صيانة الثورة وضمان حقها في مواصلة القتال على طريق حرب التحرير ، يرتبطان منذ الان بشكل لا يقبل الانفصام بالنضال من اجل قاعدة ثابتة للثورة ، من اجل هانوي عربية في عمان، من اجل سلطة وطنية ثورية، تستند الى ارادة المقاومة»(٢٥). واذ تؤكد الجبهة ضرورة النضال من أجل اقامة السلطة الوطنية الثورية ، فهي لانها لا ترى مخرجا امام حركة المقاومة غير هذا المخرج ، ذلك ان امام حركة المقاومة « واحدا من مخارج ثلاثة : أما ان نموت بشرف... او ان نصبح جزءا ذليلا من لعبة التسوية الاستسلامية ... او ان نناضل من اجل سلطة وطنية ثورية تستند الى منظمات المقاومة والجنود والشعب المسلح »(٢٦) .

ولا تكتفي الجبهة بوضع هذا المطلب النضالي أمام منظمات حركة المقاومة ، بل هي تدعو لطرحه على الجماهير ، منتقدة آراء قالت في المجلس الوطني الاستثنائي ، انه لا يجوز طرح مثل هذه القضايا للبحث العلني فتقول « هل صحيح ان قرارا من هذا النوع ينبغي ان لا يعلن الى الجماهير ! اذن من الذي ينبغي ان يناضل ضد الرجعية والثورة المضادة غير الجماهير ! ... القوى الثورية ليست منظمات تآمرية ، وانما عليها ان تطرح كل مواقفها بوضوح أمام الجماهير ... فالافكار الثورية حين تقتنع بها الجماهير تصبح قوة مادية لا تقهر »(٢٧). وتتابع الجبهة الديمقراطية بهذا الموقف ، اصرارها على رفض المواقف التآمرية (الانقلاب) متمسكة بتعميق النضال الجماهيري وتوسيع مداه .

والسعي لاقامة السلطة الوطنية الثورية ، لا يرتبط فقط ، بالنضال من اجل تحرير الارض المحتلة ، بقدر ما يرتبط ايضا بالنضال من اجل توفير الحماية لمصالح الطبقات الكادحة . ففي تعليق على خلاف بين الفلاحين ، وأحد الاقطاعيين حول مياه (سيل

الزرقاء) ، كان معروضا على المحاكم للبت فيه تقول الشرارة «بالرغم من تأكد الفلاحين والمزارعين بأن الحكم في هذه القضية لن يكون لصالحهم ... الا أنهم سيتابعون نضالهم الوطني والطبقي لاقامة النظام الذي يمثل مصالحهم ، ويصفي كل اشكال الاستغلال والاضطهاد الذي يتعرضون له »(٢٨).

وهنا من المفيد ان نشير الى ملاحظتين :

الاولى ان اساس السلطة الوطنية التي دعت لها الجبهة الديمقراطية كان متذبذبا بين موقفين : موقف يقول ان المقاومة هي اساس السلطة الوطنية . وموقف آخر يقول ان المقاومة والجنود والشعب المسلح هي الاساس . ويبدو ان توسيع نطاق اساس السلطة الوطنية من المقاومة الى المقاومة والجنود والشعب المسلح، مرتبط بالرد على الحملة الاعلامية التي شنها الحكم الاردني لتحريض الجيش على الفدائيين من جهة، ولخلق نزعة التفرقة بين الفلسطينيين والاردنيين من جهة اخرى .

والملاحظة الثانية : ان جريدة فتح خاضت حوارا « غير مسمى » بينها وبين جريدة الشرارة ، فبينما كانت الشرارة تدعو الى رفض مشروع روجرز ، وتعرية الموقف الرسمي العربي الموافق على المشروع ، وشن نضال جماهيري لاقامة سلطة وطنية في الاردن ، وترى ان هذه القضايا الثلاث تشكل موقفا سياسيا موحدا ، كانت جريدة فتح ترد على هذا الموقف قائلة « ان الذين يريدون ان يقاتلوا الفا من الاعداء في وقت واحد ، ويفتحون النار على المحايدين والحلفاء ، ولا يرون ثوريا غير الذي ينتمي الى صفوفهم مباشرة ، اولئك لا يدركون معنى القوانين الموضوعية لحرب الشعب التي تتجه لتحقيق هدف التحرير الوطني الديمقراطي . الخطر في مثل هذه النظرة الضعيفة لا يكمن في عدم فهم قوانين حرب الشعب فحسب ، وانما ايضا يكمن في تعريض كافة مكتسبات الثورة الى الدمار »(٢٩).

ثم كانت جريدة فتح اكثر وضوحا في ردها على قضية « اعلان الموقف ، والعقلية التآمرية » فقالت « ليس ثمة ما هو اخطر من فهم القواعد الثورية والنظريات الثورية بصورة متحجرة وجامدة ... مثال على ذلك تبني القاعدة التي تقول ان الثورة ليست مؤامرة . لذلك على الثورة ان تفصح عن كل خططها . هذه القاعدة تبدو للوهلة الاولى صحيحة ... طبعا الثورة ليست مؤامرة ، ولكن الثورة ايضا ليست تخبطا عشوائيا وليست تصرفا اهوجا وشعارات في غير محلها »(٣٠). ولكن يجب ان نلاحظ انه بعد هذا الموقف بعشرة ايام فقط ، تبنت جريدة فتح شعار السلطة الوطنية ، واعلنت عن المواصفات المطلوبة لهذه السلطة ، فالخلاف اذا ليس على موضوع الاعلان عن الموقف او عدمه . فقد كانت مواقف فتح واضحة تماما . انما يكمن الخلاف حول الموقف نفسه، هل هو موقف دفاعي ام موقف مبادر ؟.

الاسلوب الثالث في مواجهة الازمة مثلته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وهو الاسلوب الذي يقوم على خلق حالة من التحدي والشغب ضد الحكومات العربية التي وافقت على مشروع روجرز ، من اجل رفع صوت الرفض للمشروع عاليا في وجه الجميع .

وتنطلق الجبهة الشعبية لمواجهة مشروع روجرز ، من نفس النقطة التي تنطلق منها فتح والجبهة الديمقراطية ، وهي النقطة التي تقول ان الحلول السلمية ، ومنها مشروع روجرز « لا يمكن ان تتم الا على جثة حركة المقاومة . بعبارة اخرى : ان تصفية ، ذبح ، ضرب ، سحق ، انهاء ، حركة المقاومة شرط اساسي جدا حتى تسير هذه الحلول بمجراها الطبيعي »(٣١).

ورأت الجبهة الشعبية ان محاولة تصفية حركة المقاومة كشرط لتنفيذ الحلول السلمية ، عملية محكوم عليها بالفشل وذلك لعدة اسباب :

السبب الاول هو تأييد الجماهير لحركة المقاومة « نرى جماهيرنا وهي تحاول فعلا الحفاظ على ثورتنا ، من هنا نشعر منذ الان اننا سنربح هذه المعركة » (٣٢).

السبب الثاني يعود الى فشل محاولات ضرب حركة المقاومة في السابق ، مما يجعل نفس القانون ساري المفعول « لقد جرت حتى الان ست محاولات لضرب حركة المقاومة . ثلاث منها في لبنان ، وثلاث منها في الاردن ، ومع ذلك لم تنجح ... ولن تنجح بالتالي اي محاولة قادمة »(٣٣).

السبب الثالث عسكري لانه « في النهاية لا يمكن حسم موضوع سحق حركة المقاومة الا عسكريا ... اذا استثنينا موضوع التدخل الخارجي الامريكي ، فالقوى العسكرية هي نفس القوى التي واجهناها في المرات السابقة ، وانتصرنا عليها » (٣٤).

ان هذه الاسباب الثلاثة ، لا تقدم كما هو واضح تبريرا مقنعا لاحتمالات فشل النظام الاردني بتصفية

حركة المقاومة ، اذ ان التأييد الجماهيري للمقاومة لا يكفي (بدون تنظيم وتهيئة مسبقة) لتحقيق الانتصار . كذلك فان فشل محاولات التصفية السابقة لا يعني بالضرورة فشل المحاولات اللاحقة. كما ان ميزان القوى العسكرية يمكن ان يتبدل ويتغير.ولكن ما يهمنا من ابراز هذه الاسباب الثلاثة ليس متانتها وواقعيتها ، انما يهمنا ابراز ادراك الجبهة الشعبية لخطورة المعركة المنتظرة، وتفاؤلها الواضح والمسبق حول النتائج .

ان الجبهة الشعبية تبرز تفاؤلها في نفس الوقت الذي تعترف فيه بوجود خلاف في وجهات النظر بين المنظمات الفدائية ، حول اسلوب مواجهة مشروع روجرز « اذا كان هناك خلاف بين فصائل المقاومة فهو خلاف حول مخطط المواجهة ، كيف نواجه هذا الامر ؟ نحن كجبهة شعبية نقول : منذ الان يجب ان توضع كل الحقائق امام الجماهير ، دون اعتبارات ، وتعرف كل الاخطار المعرضة لها ، والتي تحيط بقضيتها ، وتعتمد على نفسها، وتصمم على احباط هذه الاخطار من اي جهة جاءت»(٣٥).

فالبند الاول في المواجهة : وضع الحقائق أمام الجماهير ، والتصميم على احباط المؤامرات .

واذا وصلت الامور الى حد ذبح حركة المقاومة « فان حركة المقاومة سترد ، وترد بدون تحفظ ، ودون اي اعتبار ، وسيكون لديها الاستعداد الكامل لان تجعل اذا استطاعت ، من الساحة الفلسطينية والاردنية واللبنانية والعربية بشكل عام، جهنم على كل اعداء الجماهير »(٣٦). وهذا الرد سوف يكون موجها الى « كل المصالح الاستعمارية ، وكل المصالح الرجعية »(٣٧).

فالبند الثاني في المواجهة هو الرد بدون تحفظ في كل منطقة عربية وتحويلها الى جهنم تحرق المصالح الاستعمارية والرجعية .

واذا كان الدكتور جورج حبش قد وضع في مؤتمره الصحفي ، انجاز هذه المهمة الكبيرة ، مهمة ضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، على عاتق حركة المقاومة ، فان ناطقا آخر باسم الجبهة الشعبية ، يعطي للموقف بعدا آخر حين يقول « ان المقاومة الفلسطينية لن تكتفي بالطبع برفض المشروع الامريكي ... ولكنها ستكون حريصة على ان تبلور هذا الرفض مع جماهير الامة العربية ، في اندفاعة ثورية حقيقية ، للمضي في تعميم استراتيجيتها على مستوى الوطن العربي »(٣٨).

فالبند الثالث في المواجهة هو الحرص على تعميم استراتيجية الكفاح المسلح على مستوى الوطن العربي .

لقد كان هذا الموقف ببنوده الثلاثة، هو الرد الاولي للجبهة الشعبية حول اسلوبها المقترح لمواجهة مشروع روجرز ، الا ان الجبهة لم تحافظ على بنودها المقترحة — باستثناء البند الاول — في نشراتها اللاحقة ، ففي كل البيانات والمقالات التي صدرت بعد ذلك ، لا نعثر ابدا على ما يشير الى ضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، كما لا نعثر على اي اشارة لتعميم استراتيجية الكفاح المسلح على مدى الوطن العربي.وحين ينقطع الخط البياني لهذا الموقف ، يبرز خط بياني آخر ، لموقف آخر يحصر اهتمامه في دائرة العمل الفلسطيني بالدرجة الاولى. فما دام الاختلاف قائما حول مخطط مواجهة مشروع روجرز لذلك فان « المقاومة مطالبة بخطة عمل موحدة ، ذات نفس تصاعدي ... ينبغي ان تكون خطة عمل المقاومة خطة هجومية ، اذ ليس من مصلحة المقاومة ، ان تقبل الوقوف في الزاوية الدفاعية لريثما تحرر الانظمة شروط الاستسلام على جماهيرنا . ومن المصيري ان يحدث ذلك بأسرع ما يمكن »(٣٩).

هذه الخطة الموحدة ما هي بنودها ؟ يجيب على هذا السؤال بيان للجبهة الشعبية قائلا « ان الجماهير الفلسطينية والعربية مطالبة بالرفض الكامل لكل المشاريع الاستسلامية ، وعلى رأسها مشروع روجرز . كما ان عليها ان تفضح وتعري كل الراكضين وراء تنفيذ هذه المشاريع ... وعلى مستوى الساحة الفلسطينية — الاردنية لا بد من تعزيز الوحدة الوطنية ... وتطوير اللجنة المركزية للمقاومة ، عبر برنامج واضح للعمل ، وعلاقات محددة ، للوصول الى شكل ارقى للوحدة الوطنية، من أجل تصعيد القتال، والتصدي للمؤامرة الكبرى التي يجري الان تنفيذها فوق ارضنا »(٤٠). ولا يتطرق البيان للحديث عن كيفية تعزيز وتطوير الوحدة الوطنية واللجنة المركزية ، كذلك لا يتطرق للحديث عن برنامج العمل الواضح المطلوب. بالرغم من اصرار الجبهة الشعبية الدائم على الحديث عن الرؤيا الواضحة ، وقد قامت الجبهة الشعبية بمحاولة وحيدة لوضع بنود خطة العمل التي اكثرت الحديث عنها فدعت الى :

« — وحدة برنامج عمل ومخطط وقيادة لمواجهة

مهمات هذه المرحلة (مرة اخرى بدون شرح) .
ـ رسم قانون لمعاقبة اي خيانة منتظرة .
ـ شن حملة اعلامية مشتركة تفضح معنى القبول العربي بشروط الاستسلام ، وتعبيء الجماهير ضد ذلك .
ـ تحطيم حالة وقف اطلاق النار باي وسيلة ممكنة »(٤١).

وهذه البنود (وهي اوضح ما يمكن العثور عليه في نشرات الجبهة) لا تتطرق الى ضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، وتحصر اهتمامها في العمل الفلسطيني ، مكتفية على النطاق العربي بالحملة الاعلامية .

الا انه في الوقت الذي تخلت فيه الجبهة الشعبية عن كل حديث يتعلق بضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، قامت بخطف اربع طائرات وانزال ثلاث منها في « مطار الثورة » قرب مدينة الزرقاء(٤٢) ، معتبرة خطف الطائرات (حسب موقفها المعروف) تجسيدا عمليا لضرب المصالح الاستعمارية ، ووسيلة لمواجهة مشروع روجرز ، فكتبت تعليقا على خطف الطائرات «ان توجيه اعنف الضربات للمصالح الامبريالية الاميركية هو التجسيد العملي لتصميم الثورة على احباط مؤامرات التصفية الامبريالية التي تتعرض لها القضية الفلسطينية من خلال الحلول الاستسلامية التي تتم محاولة فرضها على جماهيرنا »(٤٣) .

وتشرح الجبهة كيف شكلت عمليات خطف الطائرات ونسفها تجسيدا عمليا لاحباط مؤامرات التصفية ، فتقول « أمام وقف اطلاق النار ضد العدو وفتحه ضد المقاومة . امام التآمر الاعلامي والسياسي والدولي والعربي ... كان لا بد من القيام بسلسلة عمليات تخترق كل ذلك (!) فكانت عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين »(٤٤) . وتعليقا على نسف طائرة « الجمبو جيت » في مطار القاهرة(٤٥) قالت ان الحادث كان « نسفا لمفصل رئيسي من مفاصل الحل السلمي »(٤٦). وقد احدثت عمليات خطف الطائرات ضجيجا ودويا كبيرين ، انشغلت به لفترة من الزمن كثير من الصحف العربية والاجنبية، وبلغ انشغالها بهذا الموضوع الى الحد الذي تجاهلت فيه تغطية انباء الاشتباكات اليومية في الاردن بين السلطة والمقاومة . ولكن عند اعلان الحكومة العسكرية ، اختفى ضجيج الطائرات ، وبرزت انباء المجزرة الى المقدمة .

ضمن مسار هذه المواقف الثلاثة تحركت فصائل المقاومة ، كل فصيل على حدة، وباسلوبه الخاص، للرد على مشروع روجرز ومحاولة تنفيذه ، فهل يمكن اعتبار اي من هذه المواقف مسؤولا عن بدء الاصطدام ؟

ان العرض الذي قدمناه عن المواقف الاساسية لحركة المقاومة كما عبرت عنه ثلاث منظمات رئيسية ، يضعنا أمام الحقائق التالية :

اولا : ان حركة فتح التي تمتلك اكبر قوة عسكرية ضاربة ، والتي تتمتع بأوسع تأييد جماهيري ، قد بقيت حتى اللحظة الاخيرة في مواقف دفاعية . وكانت آخر درجات تطرفها ، تطالب بالتغيير في اجهزة السلطة ، تحت مظلة النظام نفسه، وذلك انسجاما مع خطها العام الذي يدعو لعدم التدخل في شؤون اي بلد عربي ، باستثناء مطلب واحد هو حماية أمن الثورة ، فموقفها السياسي لا يشكل اي تهديد للنظام الاردني ، فيما لو تركت تمارس دورها الذي رسمته لنفسها بالعمل ضد اسرائيل .

واذا كانت حركة فتح قد قامت في تلك الفترة بحشد كميات كبيرة من الذخائر داخل مدينة عمان ، فان عملية الحشد هذه لا يمكن فصلها عن موقفها السياسي ، موقف الاستعداد للدفاع عن النفس ، اذا تحرك النظام الاردني لضرب حركة المقاومة .

ثانيا : اما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فان موقفها السياسي لم يتطرق لا من قريب ولا من بعيد لموضوع اسقاط النظام الاردني ، وحصرت الجبهة كل حديثها ، بتوجيه عام يدعو للنضال من اجل افشال الحل السلمي ، دون شرح للوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ، لا في الموقف العلني ، ولا في المواقف المطروحة على المجلس الوطني الاستثنائي، او على اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ، فلا يمكن اعتبار مواقفها بأي حال من الاحوال مبررا لخوف النظام، واقدامه بالتالي على تحرك مضاد . اما عمليات الطائرات التي قامت بها ، فقد شكلت تحديا لهيبة النظام ، وخاصة على الصعيد الدولي ، ذلك ان نسف ثلاث طائرات لثلاث دول اجنبية، فوق اراضي الاردن ، دليل مادي على فشل النظام الاردني في السيطرة على اراضي دولته ، استعمل كمبرر لضرب حركة المقاومة (مع جملة مبررات اخرى) ، ولكنه « مبرر » ليس غير ، اذ ان نسف الطائرات تحد معنوي ، لا يمكن ان يقود الى اسقاط النظام ، كما ان موقف اللجنة المركزية الذي وصل الى حد

اعلان تجميد عضوية الجبهة الشعبية فيها ، بسبب أسلوبها في معالجة القضية ، كان موقفا كافيـا لاذابة مرارة التحدي ، لو ان النظام الاردني لم يكن حريصا على التمسك بالمبررات لتنفيذ مخططه.

ثالثا : ويبقى في النهاية موقف الجبهة الديمقراطية ، التي دعت علنا الى اعطاء « كل السلطة للمقاومة »، وشنت حملة تحريضية واسعة لتوحيد الموقف السياسي ، للمنظمات وللجماهير ، حول هذا الشعار .

لقد كان هذا الموقف ، هو الموقف الوحيد الواضح السائر باتجاه الاصطدام مع النظام ، لحسم الصراع لصالح حركة المقاومة . وقد استعمل ايضا كمبرر أساسي في التهيئة لحملة أيلول ، ولكن تركيز الانظار على هذا الموقف ، لم يكن ايضا سوى « مبرر » وذلك لعدة اسباب :

١ ــ ان الجبهة الديمقراطية ، حتى لو أتيحت لها آنذاك الفرصة الكاملة لتحقيق شعارها، فانها لا تملك القوة العسكرية الكافية لانجاز هذه المهمة . خاصة وان القوة العسكرية لاي منظمة فدائية ، ليست ــ داخل الاردن ــ سرا من الاسرار ، فالمنظمات تعرف قوى بعضها البعض جيدا، كما ان المخابرات الاردنية ضليعة بهذه المعرفة .

٢ ــ ان الجبهة الديمقراطية ، حين رفعت شعار « كل السلطة للمقاومة » رفعته كشعار نضالي ، كهدف للجماهير ، وليس كشعار مطروح للتنفيذ الفوري . وهي في مواقفها التي شرحناها من قبل أكدت بوضوح أهمية تأجيل اي صدام مع النظام، واهمية ابقاء الصدامات ــ اذا وقعت ــ ضمن نطاق معين ، حتى تتوفر ظروف نضج اكبر داخل حركة المقاومة .

٣ ــ ان رفع هذا الشعار كهدف للنضال الجماهيري ، يعني أن تنفيذه مرهون ، بموافقة المنظمات الاخرى عليه ، وبانحياز غالبية الجماهير الى جانبه ، وآنذاك لا يكون التحرك المطلوب تحركا من الجبهة الديمقراطية وحدها ، بل من كل القوى الملتفة حول هذا الشعار .

في حالة كهذه هل يشكل هذا الشعار كموقف سياسي ، تهديدا عمليا للنظام الاردني ؟ ان الجواب على ذلك واضح تماما ، وتوضحه اكثر مواقف فتح التي لم تقتنع بموقف الجبهة الديمقراطية . ومواقف الجبهة الشعبية ، التي لم تكن تمت بصلة لمنهج تفكير الجبهة الديمقراطية . وبناء على ذلك نستطيع ان نقول ان شعار كل السلطة للمقاومة ، لا يشكل حين يوضع تحت مجهر الدرس خطرا « آنيا » على النظام الاردني . ان خطره يتبلور ، حين تصبح الجبهة الديمقراطية قوة جماهيرية قائدة ، وهذا ما لم يكن باديا في الافق القريب ، بحيث يشعر النظام الاردني انه مضطر للدفاع عن نفسه .

والنتيجة التي نخرج بها من كل ذلك ان القرار السياسي الذي خرجت به منظمات حركة المقاومة ، لا يمكن اعتباره ــ على غرار القرار السياسي الذي خرجت به المؤسسات الفدائية المشتركة ــ رميا للقفاز في وجه النظام ، فاما ان يدافع عن نفسه أو ان ينهار !

لقد كان هناك صراع لا شك فيه ، ولكن محركه الرئيسي ليس المواقف المشتركة لحركة المقاومة ، وليس المواقف المنفردة لكل تنظيم على حدة ، ان محركه الرئيسي هو التناقض الكبير بين حركة المقاومة والنظام الاردني حول التسوية السياسية ، حين اقتنعت كل الاطراف ان الموافقة على مشروع روجرز ، تضع هذه التسوية فوق عربة التنفيذ العملي لقرار مجلس الامن . هذا هو الوجه الاول والاساسي لحملة ايلول ، اما وجهها الثاني ، فهو ان حركة المقاومة ككل ، اصبحت من القوة ، بحيث تستطيع ــ الى حد ما ــ عرقلة مشاريع التسوية السياسية ، فلا بد اذا من حسم هذه المسألة ، حتى يمكن اعطاء الموافقة على مشروع روجرز قيمتها العملية . اما كل ما يتذرع به النظام الاردني والمدافعون عنه ، من ان سبب حملة ايلول ، هو توجه حركة المقاومة لاسقاط النظام ، فليس كما قلنا غير تبريرات استعملت في التغطية الاعلامية للمجزرة .

الاستعداد العسكري وحملات التمهيد

في الوقت الذي كانت فيه حركة المقاومة الفلسطينية، تعيش حالة من التردد السياسي ، ويسيطر على موقفها الغموض والعمومية ، كان النظام الاردني، على العكس من ذلك تماما ، يشحذ خناجره، ويقوم بتعبئة شرسة في الاوساط المؤيدة له ، متنقلا حسب مخطط مدروس من مرحلة الى مرحلة ، ومن معركة جزئية الى معركة اخرى ، بحيث تكاملت اجراءاته كلها في النهاية ، لتكون حملة ايلول البربرية التتويج النهائي لكل ذلك . وسنحاول في هذا البحث تتبع مواقف النظام الاردني لنستنتج منها ، من كان

المسؤول بالفعل ، عن بدء الاصطدام العسكري . ان مخطط النظام الاردني لضرب حركة المقاومة الفلسطينية مخطط قديم ، بدأ تنفيذه قبل الاعلان عن مشروع روجرز ، مما يؤكد ان رد فعل المنظمات ضد مشروع روجرز لم يكن ابدا نقطة انطلاق النظام الاردني للصدام . وحين وضع مخطط النظام الاردني لضرب حركة المقاومة موضع التنفيذ ، كانت المنظمات الفدائية اليسارية ، كالجبهة الديمقراطية على سبيل المثال ، لم تزل فتية في بداية تكوينها ، فلم تكن بالتالي الهدف الاساسي لعملية التصفية ، بالرغم من التركيز الاعلامي الضخم على مواقفها فيما بعد ، وتصوير هذه المواقف على أنها المفجر الاساسي للصدام . ان حركة فتح في ذلك الوقت كانت في رأس قائمة المنظمات الموضوعة كهدف للتصفية ، ثم استنبطت بعد ذلك شعارات العمل الفدائي الشريف ، والعمل الفدائي غير الشريف ، وما اليها من شعارات ، لتكون في خدمة المخطط الموضوع سلفا ، قبل ان يوجد الشعار نفسه .

لقد مر مخطط السلطة الاردنية في ثلاث مراحل ، لم تكن حملة ايلول سوى المرحلة الثالثة منها . وسنحاول هنا رسم الملامح العامة لهذا المخطط.

المرحلة الاولى

١ ـ قوات الامن الخاصة

في منتصف عام ١٩٦٩ ، بدأت السلطة الاردنية تكوين « قوات الامن الخاصة » ووضعت تحت تصرفها امكانيات مالية وعسكرية كبيرة ، واوكلت اليها ، مهمة خلق الاجواء السياسية والنفسية والعسكرية ، التي تمكن من ضرب حركة المقاومة الفلسطينية . وقد بقيت « مهمة قوات الامن الخاصة » مجهولة لفترة من الزمن من قبل منظمات حركة المقاومة ، الى ان استطاعت حركة فتح اعتقال عدد من قادة وعناصر هذه القوات حيث ادلوا باعترافات مذهلة ، عن المخطط الموضوع لهم ، والمهمات المكلفين بتنفيذها . وتلتقي كل هذه الاعترافات عند نقاط واحدة : مراقبة مكاتب المنظمات ، واحصاء عناصرها العسكرية ، ومعرفة أماكن سكن قياداتها ، ونشر شائعات تضخم اخطاءها ، والرد على مواقف المنظمات السياسية .. الخ . ولكن اخطر هذه الاعترافات واكثرها وضوحا ، اعتراف المدعو سعيد علي ابراهيم ، واسمه الحركي (نصر) ، احد قياديي القوات المذكورة .

يقول (نصر) في اعترافاته ان الخطة الاساسية لقوات الامن الخاصة كانت تصفية العمل الفدائي المسلح تحت حجة أن **التنظيمات** الفدائية هي الذراع المسلح للافكار اليسارية ، وان الاردن يؤمن بالنظام الاقتصادي الحر ، ومرتبط بمصالح الاقتصاد الرأسمالي الدولية ، وان هذه **المنظمات** هدفها القضاء على النظام . وحيث ان الرأسمالية والاشتراكية لا يمكن ان تلتقيا ، وان **المنظمات** الفدائية المسلحة لا يمكن ان تلتقي مع النظام الملكي الاردني القائم ، فلا بد اذن من **الاصطدام** ان عاجلا او آجلا . وبما ان المبدأ يقول ان افضل وسائل الدفاع هي الهجوم فلا بد من تنفيذ خطة **هجومية** تؤدي الى **سحق** هذه التنظيمات قبل أن تصبح مطلبا جماهيريا حقيقيا . لذلك لا بد من عمليات اشغال جانبية تبعد هذه التنظيمات عن دورها الاساسي حتى لا تستطيع الاستناد على القاعدة الشعبية الكاملة ، وبالتالي تخسر عامل الزمن ، في التفرغ للعمل داخل الارض المحتلة ، الذي سيكون الرباط القوي الذي يشد الجماهير للتلاحم مع حركة المقاومة ، فتعمل الشعبة الخاصة بسرعة على افتعال احداث تؤدي بالتالي الى ايجاد تناقض وصراع مسلح بين التنظيمات . وتخلق حول التنظيمات جوا من الاشاعات يقف فاصلا بين حركة المقاومة والجماهير ،فتكون حركة المقاومة قد خسرت الزمن الضروري لحياتها ، وتكون الشعبة الخاصة قد أمنت الزمن الضروري لتنفيذ الخطة ، بايجاد **قاعدة شعبية مسلحة** ، تتصدى لحركة المقاومة بالسلاح ، فتقع الحرب الاهلية ، ويتدخل النظام الملكي حكما فيصلا ليمنع استمرار الحرب الاهلية الدموية ، ويبرز النظام وكأنه فوق الاحداث والخلافات ، وتبرز حركة المقاومة ، وكأنها عدوة الشعب ، بدلا من ان تكون القوة العاملة على تحريره .

ولقد وضعت مدة ستة شهور لتنفيذ هذه الخطة ابتداء من شهر ايلول ١٩٦٩ وحتى شباط ١٩٧٠ . ولقد أجرت السلطة « مناورة » ١٩٧٠/٢/١٠ لتعمل على تقدير القوى وردود الفعل الداخلية والدولية ، استعدادا للانقضاض الكامل خلال ثلاثةاشهر(٤٧)، بعد مناورة شباط في محاولة لسحق حركة المقاومة. ولقد جرت الاتصالات ووزعت الادوار ، وبدأت العمليات الجانبية لجر حركة المقاومة الى معارك داخلية . والمزايدات الاعلامية الرسمية بضرورة

تواجد التنظيمات على خط القتال ، مع افتعال الاحداث الداخلية لاشغال التنظيمات، كانت محاولة لتشويه المقاتلين امام الجماهير ، وترسيخ فكرة ان المقاتل يجب ان يكون بعيدا عن المدن ، فيبرز المقاتل وكأنه رجل عصابات اجرامية . وكل هذه الاعمال هي لدفع القوات الفدائية الى مناطق الحدود ، اي الى مناطق التقتيل بعيدا عن حماية الجماهير ، حتى تسهل عملية سحقها دون اية ردود فعل شعبية .

ومن ناحية ثانية فقد كان هناك سعي لخلق شعور عام داخل القوات المسلحة بأن التنظيمات هي عبارة عن عصابات كاذبة غايتها هتك الاعراض، والاعتداء على البيوت في المدن ، مما سيولد لدى القوات المسلحة شعورا بالمرارة والحقد على هذه التنظيمات ، وبالتالي خلق شعور نفسي مريح لدى الجنود ، بأنهم يؤدون واجبا مقدسا عند ضرب التنظيمات لتخليص البلاد من مجرمين مرتزقة(٤٨).

ويمضي المدعو (نصر) في شرح تنظيم قوات الامن الخاصة فيرسم لها هيكلا تنظيميا واسع النطاق تتسلسل فيه المراتب من : الادارة التي هي بمثابة القيادة ، الى المغاوير اي المسؤولين العسكريين ، الى الانصار وهم اساس الجهاز العسكري وعموده الفقري ، الى المقاومة الشعبية التي تشبه جهاز الميليشيا لدى المنظمات ، واخيرا الجبهة الوطنية وهي التنظيم الشعبي المحيط بكل هذه الاجهزة .

ومارست قوات الامن الخاصة مهمة اعلامية مدروسة ، اذ كانت تنشر بيانات تتضمن ردا على مواقف المنظمات ، ودفاعا عن مواقف السلطة ، تحت اسم « اللجنة الثورية للتوعية » .

واحاطت بها مؤسسات علنية مثل « المنظمة الهاشمية » و«الاتحاد الوطني الاردني» و« المنظمة الشعبية الاردنية لمساندة الجيش » .

وحين نراجع قوائم الاسماء التي وزعت عليها الاسلحة في كثير من مدن وقرى الاردن ، ضمن نطاق المقاومة الشعبية ، نلاحظ ان غالبية هذه الاسماء، ان لم نقل كلها من ابناء الضفة الشرقية . ذلك ان النظام الاردني قد عمل بدأب على زرع التفرقة بين الفلسطينيين والاردنيين ، في محاولة منه للبروز بمظهر المدافع عن مصالح «الاردنيين» امام محاولات « تسلط الفلسطينيين » .

وقد حاول النظام الاردني في كثير من الاحيان ان يصور عمليات التوتر والاصطدام بين الفدائيين والجيش على انها من صنع العناصر المتطرفة في كلا الجانبين ، حتى يبرز القصر في النهاية كمنقذ ومخلص ، كما قال (نصر) في افادته ، ولكن هناك من الوثائق ما يثبت ان اعلى مستويات النظام في الاردن كان على صلة وثيقة بكل هذا التخطيط ، ففي رسالة من الملك حسين الى اللواء الركن محمد خليل عبد الدايم نقرأ الفقرة التالية « انني اذ اثبتك في منصبك نائبا لرئيس الاركان العامة للقوات المسلحة ، لاجد ان اضيف الى وظيفتك وظيفة المفتش العام للقوات المسلحة ، آملا ان تبقى كلما سمحت بذلك ظروف عملك الاول ، في حركة دائمة بين جميع وحداتنا وتشكيلاتنا المقاتلة والقيادية والادارية ، مضاف اليها **جيشنا الشعبي مراقبا وموجها من قبلي شخصيا** »(٤٩).

ان هذا الاعتراف يحتاج الى وقفة قصيرة . فتاريخه يؤكد ان مخطط تصفية حركة المقاومة قد وضع موضع التنفيذ قبل الاعلان عن مشروع روجرز ، وقبل أن يبرز رد فعل المنظمات العنيف ازاءه . وفي تلك الفترة ، لم تكن حركة فتح تعطي اهتماما كبيرا لحشد قوتها العسكرية داخل عمان . كما ان الجبهة الديمقراطية لم تكن قد رفعت بعد شعار « كل السلطة للمقاومة » ، كذلك لم تكن الجبهة الشعبية قد قامت بنسف الطائرات في « مطار الثورة » . ويؤكد هذا مرة اخرى ان مواقف منظمات المقاومة استعملت كمبررات لتنفيذ المخطط الموضوع سلفا ، وان هذا المخطط لم يكن ابدا كما يدعي النظام الاردني ، رد فعل لمواقف المنظمات . وقد اختير موعد تنفيذه ، في وقت مناسب جدا وضروري للنظام ، وهو الوقت الذي بدت فيه احتمالات كبيرة امام نجاح التسوية السياسية .

اما تفاصيل الاعتراف فتبرز ان النظام الاردني لا يفرق في نظرته للعمل الفدائي بين تنظيم واخر، بين تنظيم معتدل ، وتنظيم متطرف ، بين عمل مهتم بالفداء ، وعمل مهتم بالحزبية والايديولوجيات كما ركز في حملته الاعلامية اثناء مجزرة ايلول . فالاعتراف يتحدث اكثر من مرة عن التنظيمات بدون تمييز ، ويعتبرها كلها بدون استثناء غير قادرة على التعايش مع النظام . وهو يؤكد ان الاصطدام محتم، وان على النظام ان يأخذ المبادرة في هذا الاصطدام. وهو يتحدث عن « القاعدة الشعبية المسلحة » اللازمة لتنفيذ الخطة قبل أن يشتهر أمر المقاومة الشعبية ،وامتدادها الواسع بين انصار السلطة .

ويتحدث الاعتراف عن ازمة ٧٠/٢/١٠ على أنها مناورة اختبارية فقط . وامام هذا التفسير، نستطيع ان نلقي شيئا من الاضواء على سبب مرونة الملك حسين ، في المفاوضات التي جرت انذاك بينه وبين الوفد المفاوض بأسم القيادة الموحدة(٥٠). فلم يحتج الامر لغير جلسات محدودة وافق فيها الملك على التراجع عن مطالبه كلها .

واذا كان الاعتراف يتحدث عن « استعداد للانقضاض الكامل خلال ثلاثة اشهر بعد مناورة شباط » فمن المهم أن نلاحظ انه بعد اربعة اشهر انفجرت ازمة ٧٠/٦/٧ التي كانت اعنف بكثير من كل الازمات التي سبقتها ، اتبع فيها بشكل كامل نفس التكتيك الذي نفذ في مجزرة ايلول ، الا ان التدخل الرسمي العربي لعب دورا مهما في ايقافها ، وادى هذا التدخل الى ايفاد اللجنة الرباعية التي توصلت الى عقد اتفاق هدنة بين الطرفين . فبقي بذلك المجال مفتوحا امام معركة اخرى حاسمة .

وحين يتحدث الاعتراف عن الحملة الاعلامية داخل القوات المسلحة لتشويه سمعة المنظمات ، فان هذه الحملة الاعلامية تكتسب معناها التام، حين نعلم أن قيادة الجيش كانت تعطي للجنود مبلغا من المال تطلب منهم استعماله للانتقال من اماكن سكنهم بين تجمعات الفلسطينيين (في مخيم الوحدات مثلا) الى اخرى تكون غالبيتها من الشرق اردنيين ، بحجة ان الفلسطينيين يهيئون مجزرة لذبحهم . اما داخل القطعات فقد كانت تنقل لهم انباء ملفقة عن انتهاكات الاعراض التي تجري في المدن ، وعن المنازل التي تسرق في وضح النهار .

ان هذا الاعتراف بمجمله وبتفاصيله يشكل وثيقة هامة ، ولو اراد اي مسؤول من حركة المقاومة، ان يقدم وصفا لمخطط السلطة الاردنية لضرب العمل الفدائي لما استطاع ان يقدم وصفا أدق .

٢ ــ مؤتمرات العشائر

تكميلا لمخطط السلطة ، وسعيا منها لاظهار موقفها وكأنه مدعوم بتأييد الجماهير ، شكلت ما سمي « باللجنة التحضيرية للمؤتمر الاردني العام » ردا على المؤتمر الذي كانت تعد له الحركة الوطنية الاردنية بالتعاون مع حركة المقاومة الفلسطينية . وهذا المؤتمر كان في حقيقته مؤتمرا للعشائر فقط ، وليس مؤتمرا للقوى الاردنية ، وكانت مهمته التحريض ضد العمل الفدائي الفلسطيني ، وليس ايا من الاهداف التي ذكرت في البيانات العلنية .

ومع ذلك ففي بيانات اللجنة التحضيرية ما يلفت النظر ، فهي تقول ان من اهداف المؤتمر الاردني العام « ١ ــ تجسيد ارادة الشعب الاردني الثابتة في الوقوف الى جانب القضية الفلسطينية ، وذلك بدعم كفاح الشعب العربي لاستعادة حقه في وطنه (لنلاحظ هنا لعبة الالفاظ التي استبعدت اي ذكر للشعب الفلسطيني) ٢ ــ من اجل الوقوف بشجاعة وحزم في وجه كل ما يستهدف بلدنا قيادة ونظاما وكيانا»(٥١). (لنلاحظ هنا ايضا النزعة التحريضية التي توحي بأن «الفلسطينيين» يعملون للاطاحة بالنظام والكيان) .

ان هذه المعاني التي ترد بشكل خفي في بيانعلني، سوف تتضح تماما في المؤتمر الذي اقتصر على عدد من زعماء العشائر.لقد عقد المؤتمر يوم ٧٠/٨/٢١ في منزل محجم العدوان في « صويلح » قرب عمان ، وقال محجم العدوان في كلمة الافتتاح « ليكن معلوما للعموم اننا اجتمعنا تحت شعار واحد (الله ــ الوطن ــ الملك) . فلكل امة هدف تجتمع لتحقيقه ، ونحن هدفنا الاساسي ان نحافظ على بلدنا الاردن ، وعلى كرامتنا التي هدرت، وعلىاعراضنا وشرفنا الذي ديس (!) (نفس الاجواء التي كان يركز عليها في اوساط الجنود) وعلى ملكنا لانه رمز وحدتنا ووجودنا ... ليعرف الناس الاخرون (!)اننا كنا نذبح الرجل من اجل عباءته . فكيف اذ تعرض ملكنا لبعض المكروه(٥٢)؟ يجب ان نكون يدا واحدة نعمل لصيانة كرامتنا التي ذبحت (!) وهنا ساد جو من الحماس ، وصاح بعض الشباب ، نريد سلاح يا محجم علشان نوري هالفلسطينيين »(٥٣).

٣ ــ التحرك العسكري

في نفس الوقت الذي كانت فيه قوات الامن الخاصة تواصل عملها ، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه مؤتمرات العشائر توالي تحريضها،كانت قوات الجيش الاردني تتحرك حسب خطة عسكرية واحدة، للتمركز في المناطق الحساسة التي تمكن من محاصرة الفدائيين من جهة ، وقطع طرق الامداد عنهم من جهة اخرى . وكان شهر آب هو الشهر الذي تم فيه تحريك معظم قطعات الجيش الاردني باتجاه المدن الرئيسية . وكانت المنظمات الفدائية تتلقى باستمرار انباء هذه التحركات .

ــ ففي عمان واصلت « القوى المضادة للثورة تعزيز مواقعها، فقد ارتفع عدد الكمائن فيالكلية العسكرية من ثلاثة الى ستة ، وتم تركيب رشاشين (الفا ٦)

في نفس الموقع ،يشرفان علـى جبل الاشرفيـة وعوجان ، وخط عمان ـ الزرقاء »(٥٤).

وفي الفترة الواقعة بين١٤/٨ ـ ١٩٧٠/٨/٣٠ سجل رصد فتح تمركز ٣ الوية و٩ كتائب وسريتي دبابات في داخل عمان وفي المواقع المحيطة بها،ونقلت معظم هذه القوات من مناطق الغور المواجهة للمناطـق المحتلة . ونقل رصد فتـح بتاريخ ٧٠/٨/٢٩ ان الكتيبة التي تمركزت على طريق عـين غزال ـ الجامعة الاردنية ، مهمتها اقتحام مخيم الحسـين والنزهة . وان الكتيبتين المتمركزتين عند الاذاعـة مهمتهما اقتحام مخيم الوحدات .

ـ أما في المنطقة الشمالية « فقد نقلت ثمانيوحدات من سلاح الدروع والمدفعية لتتمركز على الحـدود العراقية والسورية . كما تم سحب لواء مشاة من الجبهة وانتشر في مواقع قتالية على امتداد الحدود السورية بحجة اجراء مناورات »(٥٥) وسجل رصد فتح ان «لواء مجحفل» تحرك نحو منطقة «الاكيدر» ليقومبمهمة قطعخط الامداد بين الثورة وسوريا(٥٦) وبعد ذلك بأيام صدرت اوامر للقوات المتمركزةحول مدينة اربد «بضرورة تحصين مداخل المدينة من والى الاغوار وعلى الممرات والطرق ، لمنـع اي تحرك فدائي »(٥٧).

ـ وفي نفس الفترة ايضا نقلت قوات كبيرة الـى مدينة الزرقاء فقد تمركز فيها لواء مدرع انتشر من المدينة حتى منطقة ماركا القريبة من مطار عمان ، كما تمركزت فيها ايضا كتيبة نقلت من الغـور ، ومجموعة من دبابات سنتوريون ، نقلت من قرية ام قيس(٥٨).

لقد شكل تنفيذ هذه الاجراءات المرحلة الاولى مـن مخطط السلطة الاردنية ، امـــا المرحلة الثانيـة المتداخلـة معهـا زمنيـا) فقـد كـانت من نوع مختلف ، رتب النظام فيها سلسلة من العمليـات العسكرية، اختلف اسلوبها باختلاف المناطق التي تمت فيها .

المرحلة الثانية

يمكن من الناحية النظرية تقسيم الاردن الى ثلاث مناطق ، من ضمن حالة ازدواج السلطة التي كانت قائمة حتى حملة ايلول .

أ ـ مناطق تميل فيها كفة النفوذ لصالح النظام . وهي مناطق جنوب الاردن .

ب ـ مناطق يتساوى فيها النفوذ بين سلطة النظام وسلطة المقاومة مثل مدينتي عمان والزرقاء .

جـ ـ مناطق تميل فيها كفة النفوذ لصالح المقاومة ، وهي مناطق الشمال التي تشمل اربـد وجـرش وعجلون .

وفي كل منطقة من هذه المناطق قـامت السلطـة الاردنية ، بسلسلة مـن العمليـات العسكريـة التمهيدية ، تتناسب مع توازن القوى القائم فيها ، وكانت في كل هذه العمليات الطرف المبادر .

١ ـ مجزرة جنوب الاردن

لم يكن مؤتمر العشائر في صويلح الذي تحدثنا عنه سوى نموذج واحد، لعدد اخر منالمؤتمرات المحلية، التي عقدت في مناطق جنوب الاردن ، بتحريـض وتخطيط من قبل المخابرات العامة ، وقوات الامن الخاصة ، واسفرت عن شن حملات ارهابية ضد مكاتب المنظمات الفدائيـة ، وضـد المواطنـين الفلسطينيين . أسفرت عن عدد غير معروف مـن القتلى والجرحى ، وخلقت حـالة واضحة مـن الارهاب ، كرست الى حد بعيد حـالة التفرقـة الاقليمية بين الفلسطينيين والاردنيين في الوقت الذي كانت كل وسائل الاعلام الاردنية تتباهى بالحديث عن « الاسرة الهاشمية » . ومن الملفت للنظر ان وسائل الاعلام العربية ، تجاهلت تماما ذكر اي خبر يتعلق باحداث جنوب الاردن ، بالرغم من ان صحف حركة المقاومة نقلت اكثر من مرة تفاصيل ما يجري هناك.

وقد بدأت احداث جنوب الاردن ، حين عقدت بعض العناصر القبلية المؤيدة للسلطة اجتماعا في منـزل (عبدالله ابو العشائر) في مدينة الشوبك ، ترأسه المدعو (علي مخر) احد رجال الحرس الملكـي المتقاعدين . وطلبت عناصر السلطة من اهـــالي الشوبك مهاجمة مدرسي المدرسة الصناعية وقواعد الفدائيين .

وفي يوم ٧٠/٩/٤ ترأس « فيصل بن جازي »اجتماعا لعدد من رؤساء العشائر ، وحضرته عناصر مـن السلطة ، وطالبوا باجلاء الفدائيين من الجنوب ، وكل من يتعاطف معهم ، او سبق أن قدم لهم اية مساعدة .

وفي يوم ٧٠/٩/٥ تجمعت بعض عناصر السلطة في معان لتصل بعد قليل عدة سيارات تنقل مسلحين ، وبدأوا على الفور بمهاجمة مكاتب المنظمات الفدائية وقتل من فيها واحراقها(٥٩). ثم توزع المسلحون على مفارق الطرق ، على طريق معان ـ الحسا ـ القطرانه ، وبدأوا بايقـاف جميـع السيارات ، والتدقيق في هويات الركاب ، وانزال كل من يتبين

انه من الضفة الغربية او قطاع غزة ، وقتله على الفور .

وفي مدينة الطفيلة ، رتبت عملية مماثلة ، وقام مسلحون باطلاق النار على مكاتب المنظمات . وامتدت هذه العمليات ايضا الى مدينة الكرك(٦٠). حيث دعت اجهزة السلطة لعقد « مؤتمر عشائري يحضره كافة وجوه ومشايخ العشائر ... اجتمعوا في بيت المدعو « دليوان المجالي » ، وكان المدعو (عارك المجالي) من أبرز الخطباء في هذا الاجتماع. ثم خرج العملاء الى الشوارع وهم يطلقون الرصاص ... وقاموا بالاعتداء على احد المطاعم ، وكسر اقفال عدد من المحلات »(٦١).

وكان الصوت الوحيد الذي خرج من جنوب الاردن اثناء هذه المذبحة التي سكتت عنها اجهزة الاعلام العربية، هو صوت استغاثة صادر عن سكان مناجم الحسا، ففي يوم ٧٠/٩/٦ وصلت الى اللجنة المركزية برقية باسم مهندسي وموظفي وعمال مناجم الحسا تقول «تعرضنا للتهديد والقتل والنهب وهتك الاعراض من القبائل المحيطة بنا ، وذلك **بحضور مدير منجم الحسا ، وممثلي الحكومة والمقاطعة والمخفر** ... راجين اتخاذ الخطوات السريعة لانقاذنا ، او نموت دون عرضنا وشرفنا »(٦٢).

بهذه العملية التي تمت بشراسة وصمت ، فرضت السلطة سيطرتها على جنوب الاردن ، وسط جو من الارهاب الذي لا مثيل له ، وقد مكنها من اللجوء الى هذا الاسلوب الارهابي ، تمتعها بنفوذ يفوق نفوذ حركة المقاومة في المنطقة ، وكون غالبية السكان من العشائر التي يعتمد عليها النظام الاردني في حماية نفسه ، وتعتمد هي عليه في معاشها ، بواسطة الهبات التي يقدمها لهم باستمرار .

٢ — معارك عمان والزرقاء

في مدينتي عمان والزرقاء ، اللتين عاشتا لفترة من الزمن في ظل توازن بين سلطتي النظام والمقاومة ، لم يكن النظام قادرا على ترتيب عمليات قمع مثل تلك التي قام بها في منطقة الجنوب ، فلجأ الى اسلوب اخر يتناسب مع توازن القوى القائم ، هو اسلوب العمليات العسكرية الصغيرة واليومية ، التي تؤدي في النهاية الى نتيجتين : الاولى انهاك قوى العمل الفدائي عسكريا ونفسيا ، والثانية دفع المواطنين نحو حالة تجعلهم يطالبون فيها بتوفير الاستقرار حتى يتمكنوا من تأدية اعمالهم وكسب رزقهم ، اذ ان الاشتباكات اليومية ، كانت تؤدي — بالاضافة الى الخسائر في الارواح — الى تعطيل مظاهر العمل اليومي (اغلاق المحلات — تعذر وصول العمال الى اماكن عملهم .. الخ) ، كل ذلك بهدف الوصول الى اللحظة التي يصبح فيها الضرب العسكري العنيف مهيئا له في اذهان الناس . وبعد ان تكون عملية الترويع اليومية ، المترافقة مع حملة اعلامية تلقي اللوم على الفدائيين ، قد اوصلت قطاعا لا بأس به من الناس الى موقف الحياد ، اما بدافع الخوف ، او بدافع الطمع بحالة من الهدوء المفقود .

وقد بدأ اتباع هذا التكتيك في مدينتي عمان والزرقاء بشكل منتظم منذ يوم ٧٠/٧/٢٦ اي قبل يوم واحد من انعقاد المجلس الوطني الاستثنائي . ومنذ ذلك التاريخ ، حتى اعلان تشكيل الحكومة العسكرية ، شهدت عمان اشتباكا يوميا على الاقل ، تفاوتت درجات العنف فيه ، ولكن اعنفها كان الاشتباك الذي وقع يوم ٧٠/٩/٢ ، وكانت حصيلته ٤٠ قتيلا ومئة جريح(٦٣)، وعقد على أثره اجتماع طارىء للجامعة العربية لبحث الموقف .

وفي هذه الفترة ، عقدت بين السلطة والمقاومة ثلاث اتفاقيات لوقف اطلاق النار في مدى خمسة ايام فقط(٦٤)، كانت كلها تنقض فورا بعد ساعات من توقيعها .

وقد تميزت الايام القليلة التي سبقت بدء المجزرة بظواهر ملفتة للنظر اهمها :

١ — ان الملك حسين قد كشف عن نوايا نظامه من العمليات التي رتبها حين قال «ان حكومتي **في الوقت الحاضر هي** وحدها التي يحق لها التكلم بالنيابة عن الفلسطينيين . والشعب الفلسطيني ينتمي الى الاسرة الكبيرة التي احكمها »(٦٥).

٢ — كان النظام الاردني يقوم بكل هذه العمليات غير عابىء باللجنة الرباعية العربية التي جددت عملها بعد اجتماع الجامعة العربية الطارىء لوضع اتفاقية جديدة لتهدئة الموقف ، بينما كانت الصحف الاردنية تواصل نشر اخبار التقدم الذي تحرزه اللجنة يوما بعد يوم .

٣ — ان بعض المراقبين الصحفيين توقعوا «احتمالات قيام حكومة عسكرية كبيرة وقوية جدا . لان الوضع الداخلي المتردي يتطلب وجود رئيس حكومة يمسك بكل السلطة ويضغط عليها بالقوة نفسها ، ويشد بيده على السلطة المدنية وعلى السلطة العسكرية

مما ، وبقدر واحد من الكفاية والفعالية »(٦٦). وقد تحققت هذه التوقعات بسرعة، ولكن رئيس الوزراء المنتظر لم يكن رجلا قويا، بل ضعيفا الى الحد الذي يسمح بتنفيذ كل شيء باسمه دون قدرة على الاحتجاج او الرفض .

٣ ــ معارك الشمال

في المنطقة الشمالية من الاردن ، والتي كان فيها توازن القوى يميل لصالح حركة المقاومة ، لجأت السلطة الاردنية الى اسلوب في العمل ، يعبر عن الواقع القائم فيها . فسيطرة حركة المقاومة في هذه المنطقة لم تكن تسمح بخلق حالة ارهاب مضادة ، ولم تكن تسمح كذلك بتنفيذ سياسة الانهاك التي مورست في عمان والاسلوب الوحيد المفتوح امام النظام لاستعادة النفوذ ، هو اسلوب الهجوم المباشر ،وقد مارسه ايضا بشراسة وبوضوح لا مجال معهما للقول مطلقا بأن « اساءات » العمل الفدائي كانت دافع الجيش للتحرك ، كما أكد مخطط اعلام السلطة باستمرار .

بدأ هجوم السلطة المباشر على منطقة الشمال في اليوم التاسع من ايلول ، اي بعد أيام من مجزرة الارهاب في الجنوب ، وقبل اسبوع واحد من بدء حملة ايلول . ففي فجر ذلك اليوم تحركت قوة من دبابات اللواء ٤٠ ، ومجنزرات محملة بالمشاة وقامت بقصف مركز وشديد على قواعد الفدائيين في المناطق المحيطة بمدينة اربد ، وهي مناطق كفر اسد ، والخراج . وتقدمت قوات اخرى على طريق عجلون، وقصفت قواعد الفدائيين هناك ، وقد استمر هذا الهجوم طوال يوم كامل . هوجمت فيه عند منتصف النهار قواعد الفدائيين عند قرى الطيبه ــ الصما ــ وادي العرب ــ دير ابو سعيد . وقامت القوات المهاجمة باغلاق الطرق التالية بعد ان مهدت لعملياتها بقصف مدفعي مركز :

— طريق اربد — ايدون
— طريق اربد — كفراسد
— طريق اربد — الحصن .

كما اغلقت قوات الجيش طريق منطقة الاغوار المؤدية الى المناطق المحتلة ، وقصفت في الاغوار ايضا قواعد الفدائيين المتقدمة .

وقد « سقط نتيجة لهذه المجزرة الغادرة عشرات الشهداء والجرحى ، وبلغ عدد الشهداء حتى الساعة الخامسة مساء ٢٥ شهيدا »(٦٧).

وبهذه العملية نفذت السلطة الاردنية الجزء الاول من مخططها في منطقة الشمال ، وهو الجزء المتعلق بضرب قواعد الفدائيين وتشتيت المقاتلين فيها، كخطوة مبدئية لتقليص نفوذ حركة المقاومة في الشمال .ولا يمكن مطلقا القول بأن « اعادة الامن » للشمال ، او اعادة هيبة السلطة ، كان هو المقصود من هذه العملية . فالضربة وجهت اساسا لقواعد الفدائيين المنتشرة في الجبال، ولم توجه لمراكز نفوذ العمل الفدائي ، المتصادمة مع مركز نفوذ السلطة ، داخل المدن والقرى ، وهنا يبرز كيف أن النظام الاردني ، كان يستعمل احابيله الاعلامية ، الداعية لحفظ الامن ، حين يكون ذلك ممكنا ، ولكنه كان يضرب بكل ذلك عرض الحائط ، حين يكون خداع هذه الحجج مكشوفا تماما .

الجزء الثاني من مخطط السلطة في منطقة الشمال كان يهدف الى قطع خطوط التموين والاتصال بين سوريا وقواعد الفدائيين . واستعملت في ذلك القوات التي نفذت الى مناطق الحدود (كما ذكرنا سابقا) ، وقد قامت هذه القوات بمحاولة جديدة للسيطرة على قرية الطرة قرب اربد ، ونجحت في ذلك ، ثم عادت قوات الفدائيين وسيطرت على المنطقة ،وقد كان ثمن احدى الاشتباكات للسيطرة على هذا الطريق الحيوي ١٢ شهيدا سقطوا نتيجة القصف المدفعي للجيش يوم ٧٠/٩/١٣(٦٨).

وهنا ايضا يتضح تماما ان الهدف الاساسي للعمليات هو السيطرة على طرق تموين الفدائيين وليس ايا من ادعاءات السلطة بالسيطرة على الامن واعادة الهدوء والنظام .

ان هذه الاجراءات العسكرية التمهيدية التي تحدثنا عنها في مناطق الاردن الثلاث ، لا تدع مجالا للشك في ان النظام الاردني ، كان الجهة التي بدأت التحضير للاشتباك العسكري العام ، ولم يكن هذا التحضير حدثا طارئا ، بل جزءا من خطة شاملة بدأت في منتصف عام ١٩٦٩ بتشكيل «قوات الامن الخاصة» ثم تتابعت حلقاتها بمؤتمرات العشائر ، وبتسليح المؤيدين .

وقد أنجزت السلطة الاردنية كل مخططاتها ، في الوقت الذي كان فيه قرار حركة المقاومة السياسي، غارقا في العموميات ، وفي المواقف الدفاعية ، وفي أحسن الاحوال ، بالمواقف التحريضية المرهونة بحدوث تغير جماهيري وتنظيمي حاسم باتجاه حسم الصراع المحتم (نتيجة كل هذه الاجراءات التمهيدية) لصالح حركة المقاومة .

وبالمقارنة بين الموقفين،تتبلور بشكل ناصع مسؤولية النظام الاردني عن تدبير حملــة أيلول ، وعن كل نتائجها ، وتسقط كل الحجج التي تذرع بها النظام الاردني لتبرير المجزرة .

المراجع :

١ ــ سنتحدث عن هذا الموضوع في مكان اخر
٢ ــ فتح ــ العدد ٦٣ ــ ٧٠/٨/٢٥
٣ ــ فتح ــ العدد ٦٩ ــ ٧٠/٨/٣١
٤ ــ فتح ــ العدد ٧٠ ــ ٧٠/٩/١
٥ ــ ...
٦ ــ فتح ــ العدد ٨٠ ــ ٧٠/٩/١٠
٧ ــ من بيان اللجنة المركزية ــ جريدة فتح ــ العدد ٨٠ ــ ٧٠/٩/١٠
٨ ــ فتح ــ العدد ٦٥ ــ ٧٠/٨/٢٧
٩ ــ فتح ــ العدد ٧٦ ــ ٧٠/٩/٦
١٠ ــ منذ ٧٠/٨/١٥ بدأت الجبهة الديمقراطية اصدار جريدتها المركــزية « الشرارة » مرتين في الاسبوع وكانت قبل ذلك تصدر بشكل غير منتظم . ثم توقفت عن الصدور اثناء الاصطدامات وبعدها
١١ ــ تقرير المكتب السياسي المقدم الى مؤتمر الجبهة التأسيسي المنعقد في ٧٠/٨/٢١ الفصل الاول ص ٨
١٢ ــ نفس المصدر ــ ص ١٠
١٣ ــ تعميم داخلي ــ مكتب التنظيم المركزي ــ ٧٠/٢/١٥
١٤ ــ الشرارة ــ العدد السابع ــ ايار ١٩٧٠
١٥ ــ تقرير المكتب السياسي ــ الفصل الاول ــ ص ١٧
١٦ ــ نفس المصدر ــ ص ١٤
١٧ ــ ١٨ ــ نفس المصدر ــ ص ٢١
١٩ ــ نفس المصدر ــ ص ٤٨
٢٠ ــ الشرارة ــ العدد السابع ــ ايار ١٩٧٠
٢١ ــ ٢٢ ــ تقرير المكتب السياسي ــ ص ٢٢
٢٣ ــ الشرارة ــ العدد ٨ ــ ٧٠/٨/١٥
٢٤ ــ الشرارة ــ العدد ١٣ ــ ٧٠/٩/١٠
٢٥ ــ الشرارة ــ العدد ٨ ــ ٧٠/٨/١٥
٢٦ ــ الشرارة ــ العدد ١٢ ــ ٧٠/٨/٢٩
٢٧ ــ الشرارة ــ العدد ١٢ ــ ٧٠/٨/٢٩
٢٨ ــ الشرارة ــ العدد ١٠ ــ ٧٠/٨/٢٢
٢٩ ــ فتح ــ العدد ٥٩ ــ ٧٠/٨/٢٠
٣٠ ــ فتح ــ العدد ٦٩ ــ ٧٠/٨/٣١
٣١ ــ مؤتمر جورج حبش الصحفي الذي عقده بمخيم البداوي قرب طرابلس ــ لبنان/الهدف ــ العدد ٥٣ ــ ٧٠/٨/١
٣٢ ــ نفس المصدر
٣٣ ــ نفس المصدر
٣٤ ــ نفس المصدر
٣٥ ــ ٣٦ ــ ٣٧ ــ نفس المصدر
٣٨ ــ غسان كنفاني ــ الهدف ــ العدد ٥٣ ــ ٧٠/٨/١
٣٩ ــ غ.ك ــ الهدف ــ العدد ٥٤ ــ ٧٠/٨/٨
٤٠ ــ بيان صادر في ٧٠/٨/٣ ــ الهدف ــ العدد ٥٥ ــ ٧٠/٨/١٥

٤١ — غسان كنفاني — الهدف — العدد ٥٨ — ٧٠/٩/٥
٤٢ — تم خطف الطائرات يوم ٧٠/٩/٦
٤٣ — بيان صادر في ٧٠/٩/١٢ تعليقا على نسف الطائرات الثلاث في مطار الثورة بالزرقاء
٤٤ — عدنان بدر — الهدف — العدد ٦٠ — ٧٠/٩/١٩
٤٥ — نسفت الطائرة بتاريخ ٧٠/٩/٧
٤٦ — عدنان بدر — الهدف — العدد ٦٠. ٧٠/١٩/٦
٤٧ — بدأت أزمة ٧٠/٢/١٠ حين فاجأ النظام الاردني حركة المقاومة ببيان يتضمن نقاطا تحد من حرية العمل الفدائي وسهولة تحركه
٤٨ — من ملفات رصد فتح — والاعتراف بتاريخ نيسان ١٩٧٠
٤٩ — من وثائق رصد فتح
٥٠ — انبثقت القيادة الموحدة اثناء ازمة ٧٠/٢/١٠ .وسميت فيما بعد بأسم اللجنة المركزية
٥١ — منشور صادر بتاريخ ٧٠/٨/٧
٥٢ — اشارة الى ادعاء النظام ان محاولة جرت لاغتيال الملك على طريق مطار عمان بتاريخ ٧٠/٩/١ من قبل الفدائيين
٥٣ — من تقرير رصد فتح
٥٤ — الشرارة — العدد ٩ — ٧٠/٧/١٨
٥٥ — الشرارة — العدد ٩ — ٧٠/٧/١٨
٥٦ — تقرير مرفوع من رصد فتح الى القيادة العامة لقوات العاصفة بتاريخ ٧٠/٨/٢١
٥٧ — نفس المصدر — تقرير بتاريخ ٧٠/٨/٢٩
٥٨ — نفس المصدر
٥٩ — استشهد في هذا اليوم ٤ فدائيين في مكتب فتح ، و٤ في مكتب الجبهة الشعبية ، واحرق مكتب الصاعقة
٦٠ — فتح — العدد ٧٧ — ٧٠/٩/٧
٦١ — الشرارة — العدد ١٥ — ٧٠/٩/٨
٦٢ — فتح — العدد ٧٦ — ٧٠/٩/٦
٦٣ — جريدة النهار — ٧٠/٩/٢
٦٤ — وقع الاتفاق الاول بتاريخ ٩/٥ والثاني في ٩/٨ والثالث في ٧٠/٩/١٠
٦٥ — مقابلة مع جريدة لوموند اجراها اريك رولو . النهار — ٧٠/٩/٩
٦٦ — وفيق رمضان — مراسل النهار في عمان — ٧٠/٩/٤
٦٧ — فتح — العدد ٧٩ — ٧٠/٩/٩
٦٨ — جريدة فتح

تطور القضية الفلسطينية
في عهد الحكومة العربية في دمشق

خيرية قاسمية

هذه الدراسة محاولة شاملة لاعطاء فكرة عن التطورات التي واجهتها القضية الفلسطينية قبل ان يمنح الحلفاء الانتداب للحكومة البريطانية على فلسطين عام ١٩٢٠، في الفترة التي تلت الحرب العالمية مباشرة حيث اقيمت في دمشق حكومة عربية بين عامي ١٩١٨ — ١٩٢٠ تحقيقا لمبداي الوحدة والاستقلال اللذين نادت بهما الحركة القومية منذ سنوات . وكانت فلسطين جزءا ولو نظريا من هذه الحكومة باعتبارها الاقليم الجنوبي من سورية ، الا انها عمليا كانت تحت الادارة العسكرية البريطانية منذ أن دخلت قوات اللنبي حدودها الجنوبية .

ولاقت القضية الفلسطينية — كجزء من القضية العربية — نصيبها من مناورات مؤتمر السلم في باريس في جلساته العلنية والسرية . وكان يضاعف خطورتها التزام الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عام ١٩١٧ ، مما دفعها في محاولات متكررة للحصول على موافقة الزعامة العربية على خططها في فلسطين بجرها الى الاتفاق مع الحركة الصهيونية . ولكن شدة المعارضة الداخلية وردود الفعل المحلية فرضت على هذه الزعامة التخلي عن قبول اي تسوية . وستثبت الاحداث التالية في عهد الانتداب ان الحكومة البريطانية كانت مخطئة في تقديرها لقوة المعارضة الوطنية .

فلسطين قبل قيام الحكومة العربية :

لم تشكل فلسطين خلال العهود التاريخية المختلفة كيانا منفصلا عن سورية . وحتى اواخر العهد العثماني لم تكن وحدة ادارية بل كانت تتوزع بين متصرفية القدس (المرتبطة بوزارة الداخلية مباشرة) وولاية بيروت (وتشمل لوائي عكا ونابلس) .

ولم تكن فلسطين بعيدة عن الاحداث التي كانت تجري في المنطقة ، وقد ساهم ابناؤها في الحركة القومية الحديثة التي بدات تتجلى منذ نهاية القرن التاسع عشر . وكان لشباب الاوساط المثقفة دور كبير في المشاركة في تشكيل الجمعيات والاحزاب السياسية السرية والعلنية خاصة بعد عام ١٩٠٨ حين اخذت حركة التململ والتذمر من الحكم العثماني طابعا عربيا اكثر تحديدا كرد فعل للتحدي التركي(١) .

وتحمل هذا الاقليم عبئا كبيرا اثناء الحرب العالمية الاولى وخاصة لانه اتخذ نقطة انطلاق لهجوم تركي على جبهة السويس ، وكانت نتائج الهزيمة التركية على ابناء المنطقة قاسية ، وعانوا من مظالم جمال باشا كسائر اهل البلاد .

وكانت فلسطين مشمولة في الميثاق الذي وضعه زعماء الجمعيات العربية في دمشق وسلم الى فيصل في مايو ايار ١٩١٥، ويتضمن الشروط التي يطالب زعماء العرب بتحقيقها —

كي يقوموا بثورة يعلنها الشريف حسين — تكون اساسا للعمل المشترك بينهم وبين انكلترة ، وارفق بالميثاق مصوّر يعين حدود البلاد العربية في آسية التي يجب ان يدور السعي على أساسها لنيل الاستقلال(٢).

واستخدم الحسين نصوص الميثاق في مطالبه الاقليمية اثناء مفاوضاته مع مكماهون.وفي مذكرة مكماهون ٢٤ اكتوبر تشرين أول ١٩١٥ قبل هذا الاخير بالحدود التي وضعها الحسين عدا بعض التحفظات ، ولم يثبت ان فلسطين منصوص عليها بصراحة او ضمنا في تحفظات مكماهون(٣).

الا ان الاتفاقية السرية المعروفة بأسم سايكس بيكو (مايو ايار ١٩١٦) في توزيعها المناطق الاسيوية من الامبراطورية العثمانية بين الدول الكبرى قد استثنت هذه المنطقة لتجعلها خاضعة لحكم دولي خاص على ان يعين شكله بعد الاتفاق مع بقية الحلفاء وممثل شريف مكة . وربما اتخذ هذا القرار نظرا لتضارب مصالح الدول الكبرى بالنسبة لفلسطين ، او بضغط من الصهيونية تمهيدا لفصل فلسطين عن سورية ووضعها ضمن نطاق النفوذ البريطاني. الا ان هذه الاتفاقية ظلت سرية وشارك العرب في احداث الحرب العالمية الاولى ، ومع أن فلسطين كانت من نصيب القوات البريطانية الزاحفة من مصر بقيادة اللنبي ولم يسمح للقوات العربية بالمشاركة في دخول القدس٩—١٢—١٩١٧ الا ان مساهمة الشباب العربي في فلسطين لم تكن اقل نصيبا من اخوانهم في احداث الثورة العربية(٤).

وحسب ابناء فلسطين — بعد ان تحررت اجزاء كثيرة منها من الحكم العثماني قبل انتهاء الحرب — ان عهدا جديدا قد بدأ لممارسة حقهم في الاستقلال(٥)، ولكن خاب املهم من جهة بوضع المنطقة المحررة تحت الحكم العسكري البريطاني ، ومن جهة اخري أعتراف الحكومة البريطانية بالاهداف السياسية للحركة الصهيونية في تصريح بلفور ٢ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٧ .

ومع أن وعد بلفور لم يذع رسميا وحاولت السلطات العسكرية عدم نشره برقابة ودعاية نشطة(٦) ، الا ان اخباره وصلت مصر اولا ثم تسربت الى فلسطين واثار خوفا وشكوكا في اهدافه الحقيقية وراى فيه العرب انكارا لرغباتهم ولحريتهم السياسية . وقد كان العداء العربي للمطامع الصهيونية معروفا للحكومة البريطانية قبل وبعد تصريح بلفور ، وتقارير كلايتون ووينجيت بعد الاحتلال البريطاني تذكر الاستياء العربي ضد السياسة البريطانية تجاه الصهيونية والتخوف من اقامة حكومة يهودية في فلسطين(٧). وحاول خبراء الشئون العربية في الحكومة البريطانية القضاء على هذا التخوف وفرضت رقابة مشددة على كل الاخبار والصحف الواردة الى فلسطين(٨). الا ان مجيء اللجنة الصهيونية الى فلسطين (ابريل نيسان ١٩١٨) برئاسة وايزمان هو في حد ذاته دليل عن الدعم البريطاني للحركة الصهيونية . في حين حرمت اغلبية الشعب في فلسطين من وجود منظمة مشابهة للدفاع عن مصالحها(٩).

وحاولت اللجنة الصهيونية ان تخفف من مخاوف العرب وتقنعهم بفكرة التعاون مع التأكيد على المعنى الضمني للتصريح بخلق مركز روحي معنوي في فلسطين(١٠) ، كما هيأت السلطات البريطانية لقاء بين فيصل ووايزمان في معسكر الاول قرب العقبة في ٤—٦—١٩١٨ ، علق وايزمان عليه اهمية كبرى لترسيخ اسس الصداقة بينه وبين فيصل(١١). واصدرت بريطانية وحلفاؤها تصريحات جديدة كانت ترافق زحف القوات العربية والحليفة في سورية تؤكد عن عزم الحكومة البريطانية على احترام وعودها نصا وروحا بعد الحرب(١٢) .

قيام الحكومة العربية في دمشق والتطورات الادارية والسياسية في فلسطين :
توجت الثورة العربية بدخول دمشق ١٩١٨/٩/٣٠ واعلان الحكومة العربية عنها. الا انه عمليا لم يكن بيد هذه الحكومة الا القسم الداخلي من سورية ، أمـــا العراق وفلسطين فكانت تحتلهما القوات البريطانية،كما نزلت القوات الفرنسية في ساحل سورية الشمالي وفشلت محاولة لاعلان حكومة عربية هناك .
وتولىاللنبي بصفته القائد العام للقوات الحليفة المسؤولية الكاملة فيسورية التياعتبرت جزءا من اراضي العدو المحتلة Occupied Enemy Territory وقسمت الى ثلاث مناطق ادارية : المنطقة الشرقية وتعرف بأسم .O.E.T.E وكانت تشمل ولاية دمشق (بما فيها ألوية حماه حوران الكرك) مع القسم الجنوبي من ولاية حلب ، وضعت تحت الادارة العربية العسكرية وتولى فيصل قيادة القوات العربية بصفته قـــائدا من قـــواد الحلفاء . المنطقة الغربية : .O.E.T.W وتشمل جبل لبنان وكل منطقة الساحل من عكا حتى اسكندرون وهي تحت الادارة الفرنسية العسكرية . اما فلسطين فقـــد اعتبـــرت المنطقة الجنوبية من اراضي العدو المحتلة .O.E.T.E وكانت تحت الادارة البريطـــانية العسكرية(١٣) .
وقبل العرب هذا الاجراء لانه مؤقت الى ان تتم التسوية النهائية ، طالما ان هذه المناطق هي جزء من الدولة العربية الواحدة التي كانوا يتطلعون الى تحقيقها في مؤتمـــر السلم المقبل في باريس ، على أساس انها حقهـــم الطبيعي في الاستقلال والوحدة الذي دعـــم بانتصار القوات العربية ووعود الحلفاء اثناء الحرب .
وشغل القائمون في الحكم في دمشق بمهام ادارة شئون البلاد واعادة تنظيمها وساهم في ذلك ابناء البلاد العربية ، وشارك في ذلك ابناء فلسطين سواء في الدوائر الحكومية او في المجالات الثقافية(١٤) . كما ازداد النشاط السياسي وشكلت احزاب جديدة الى جـــانب الاحزاب السياسية التي تعود الى مطلع اليقظة العربية الحديثة قبل الحـــرب الاولى ، وتمتعت بدعم شعبي وأسع لما نادت به من مبادىء عامة كالاستقلال والوحدة . ولـــم يقتصر هذا النشاط على حدود المنطقة الشرقية بل امتد الى الجنوب والساحل . وفي مطلع نوفمبر تشرين الثاني ١٩١٨ تأسس في القدس ناد عربي غايته « حفظ كيان البلاد . . . يسعى لاثبات شخصيته ووجوده في الساحات الحربية يدافع عن استقـــلال الامة . . . ويسعى لتثبيت روح الجد والنشاط في الاعمال بين افراد الشعب في فلسطين . . ويسعى لبث روح العلوم العربية . . فقد اعاد مدرسة روضة المعارف الوطنية . . وتبرع كثير من اعضائه في التعليم في هذه المدرسة الوطنية . . . (١٥) وبعد أيام تأسس في نابلس ناد مماثل يسعى الى غايتين : ضم شتات النابتة النابلسية وجمع الفتها . . . والثـــانية القـــاء المحاضرات العلمية والادبية . . . »(١٦) كما تشكلت الجمعيات الاسلامية المسيحية في جميع انحاء فلسطين وتولت قيادة الحركة الوطنية، وقامت تظاهراتفي كل مكانوبشكل سلمي تنادي بشعارات الوحدة من طورس الى رفح . وتبنت شعارا يدل على معنى عميق من الوحدة الوطنية الهلال وبداخله الصليب الذي حل محل النجمة في الشعار العثماني(١٧) .
وكان برأي اللنبي ان لا يحدث اي تغيير في الانظمة والقوانين الموجودة حتى قرار مؤتمر السلم ، واعتبر ان اي تشجيع من وزارة الخارجية البريطانية للصهيونية سابق لاوانه . ولا يعني هذا انه لم يكن يعطف على آمال اليهود في زيادة الهجرة الا انه كان يعبر عـــن تخوفه منأعمال العنف التي يقوم بها شعب فلسطين لو ظهر ايتسامح رسميللمشاريع الصهيونية(١٨) . واصبح اللنبي بذلك هدفا للانتقاد الصهيوني ، فاتهم مع جهازه الاداري العسكري بالموقف المعادي وغير المتعاطف مع الامال الصهيونية،وانه كان يرى من الافضل دعم المطلب العربي في سورية الموحدة تحت اشراف بريطانية بدلا مـــن تجزئتهـــا مـــع الفرنسيين(١٩) .

ولكن الواقع ان السياسة البريطانية قد ذهبت في تطرفها لدعم الصهيونية في فلسطين حدا كبيرا ، فقد كان من بين كبار الموظفين (وجميعهم بريطانيون) تسعة يهود اثنان منهم على الاقل من الصهيونيين الكبار ولم يستلم احد من العرب مركزا تنفيذيا ، ومن عين منهم في مصالح استشارية كان من خارج فلسطين ممن جاءوا مع الجيش البريطاني من مصر والسودان(٢٠).

وكان للصهيونية وسائل كثيرة في التأثير على ساسة بريطانية وعلى وزارة الخارجية بالذات ، وارسل وايزمان مذكرات طويلة حول المطالب الصهيونية – مع اتهامات مبالغ فيها موجهة الى الموظفين الانجليز – منها نقل بعض املاك الدولة الى الصهيونيين ، وتسليم حائط المبكى والاملاك التابعة للمعسكرات الالمانية قرب يافا والقدس، ومشاركة اليهود في الادارة والاعتراف بالعبرية لغة رسمية وانشاء لجنة اراضي صهيونية وحل الجنود اليهود في فلسطين(٢١).

وقد بدأ رد الفعل العربي في فلسطين في وقت مبكر وبشكل سلمي اولا ، فمنذ اللحظات الاولى للاحتلال البريطاني قدمت الاحتجاجات الى القدس ولندن . وقدم طلب رسمي(٢٢) من عرب فلسطين الى مؤتمر السلم يطلبون فيه تمثيلهم للظهور امام الهيئة الدولية ولم يلب هذا الطلب بعكس الصهيونيين الذين مثلهم وفد منظم(٢٣) .

وتولت الجمعيات الاسلامية المسيحية قيادة الحركة الوطنية فدعت الى عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الاول في القدس بين ٢٧ يناير كانون الثاني و١٠ شباط ١٩١٩ الذي وضع مبادىء الحركة الوطنية واهدافها في ميثاق نص على مقاومة الصهيونية والعمل على تحقيق وحدة الاقاليم السورية (ومنها فلسطين) واستقلالها والوحدة العربية الشاملة ، واصبح هذا الميثاق اساسا للحركة الوطنية الفلسطينية(٢٤).

وحاولت الحكومة البريطانية تهدئة الاحتجاجات ضد السياسة الصهيونية ، فأرسلت سايكس الى سورية – وكان قوة موجهة في التأثير على سياسة بريطانية في الشرق الادنى اثناء الحرب – ومن حلب ارسل الى وايزمان عن طريق وزارة الخارجية برقية يشرح فيها الشعور المعادي للصهيونية في سورية(٢٥).

القضية الفلسطينية في مؤتمر السلم : مناورات ومساومات :

كان العرب كسائر الشعوب الصغيرة يتطلعون الى قرار مؤتمر السلم الذي سيعقد في باريس ليحقق لهم الاعتراف بمطلبهم في الاستقلال ، او على الاقل مبدأ حق تقرير المصير الذي اعتبر مبدأ لتسوية ما بعد الحرب (٢٦). وتصوروا ان الهدف الذي قاموا من اجله قد تحقق بعد أن قاموا بنصيبهم كاملا في الاتفاقية بينهم وبين الحلفاء او بريطانية بالذات.

ولكن تبين على ابواب المؤتمر البون الشاسع بين ما يطالب به العرب وبين ما ترضى الحكومة البريطانية ان تعترف به ، ومع ذلك اعتبروا – او على الاقل الوفد العربي الوحيد الذي سمح له بالتمثيل في مؤتمر السلم وهو الوفد الحجازي برئاسة فيصل ممثل الحسين – الحكومة البريطانية صديقتهم الوحيدة في تلك الفترة منها يستمدون النصح والمشورة .

ووقفت الحركة الصهيونية كانجاه اخر (الى جانب المشاريع الفرنسية) لمعارضة تحقيق المطالب العربية في المؤتمر ، وكان زعماؤها قد اقدموا على توسيع نشاطهم بعد أن مالت كفة الحلفاء الى النصر بعقد اجتماعات ومؤتمرات بتوجيه من وزارة الخارجية البريطانية لوضع الخطوط العريضة للوطن القومي اليهودي استعدادا لمؤتمر السلم(٢٧) . وقد كسبوا الى جانب الدعم البريطاني دعم الوفد الامريكي الرسمي وعلى راسه ويلسون الذي ذكر بأن « الوطن القومي اليهودي كان احد اثنين من المنجزات الجديدة التي انبثقت عنها الحرب الى جانب عصبة الامم »(٢٨).

وانتظارا لافتتاح مؤتمر السلم جرت في لندن مباحثات جانبية بدأها بلفور وكليمنصو حيث

اتفقا على اجراء تعديل في توزيع مناطق النفوذ حسب سايكس بيكو تنـــازل كليمنصـــو بموجبه عن منطقة الموصل ، كما رضي ان يستبدل الادارة الدولية في فلسطين بأشراف بريطاني وذلك كله مقابل دعم بريطاني لمطالب فرنسة في سورية امام مؤتمر السلم(٢٩).
وبعد أسبوع من هذا التفاهم بدأت مباحثات رسمية بين الوفد العربي برئاسة فيصـــل ووزارة الخارجية البريطانية تولاها بلفور شخصيا ولم يذكر بلفور في التقارير التي كتبها عن المحادثات فيما اذا كان قد تباحث معه حول السياسة البريطانية المقبلة فيما يتعلق بفلسطين والعراق اذ كان واثقا كوالده ان العرب سوف يتوصلون الى تسوية وديـــة حول هذه الامور(٣٠) . وقد شعر فيصل من مجرى مباحثاته ان الادعاءات الفرنسية هي الخطر المباشر للدولة العربية فيسورية، وان بريطانية ليست مستعدة للنزاع مع فرنسة حول سورية مهما كانت تعطف على الاماني العربية ، وانه لا يمكن تأمين دعم بريطاني ــ وهو الدعم الوحيد الى الان نظرا لان بقية الدول مشغولة بشئونها الخاصة وليس لها مصالح مباشرة مع سورية ــ الا بالتنازل عن بعض المصالح العربية . ويبدو ان وزارة الخارجية البريطانية كانت تحتاج الى اعتراف من فيصل بسياستها حيال الصهيونيـــة قبل عرض القضية على مؤتمر السلم دون الرجوع الى عرب فلسطين ، فدفعته الـــى الاتفاق مع الزعماء الصهيونيين للتوفيق بين المطالب الصهيونية والعربية ، كما ان فيصلا كان يرى انه اذا توصل الى تفاهم مع الصهيونيين فسيوحدون جهودهم للحد من اطماع فرنسة في سورية(٣١). وقد ذكر فيصل الى الصحفي البريطاني جفرز في مـــارس اذار ١٩٢٠ « ان العرب قد حرموا من الوصول الى المتوسط وانه كان يطالب بالوفاء بالوعود التي اعطيت لوالده ولكن ايديا حكومية رسمية كانت تقبض عليه وتدفعه فـــي صداقة جديدة نحو وايزمان »(٣٢).

ولا يعرف بالضبط ما الذي تم بين الامير ووزارة الخارجية حتى تمكنت بشخص لورنس (الذي كان قد الحق نفسه بالوفد العربي دون صفة رسمية) من اقناعه بعقد اتفاق مع وايزمان في٣ يناير كانون‌ثاني١٩١٩كتبها لورنس بخط يده بالانجليزية وقدمها الىفيصل‌بعد ان أعطى ايضاحا شفهيا عن محتوياتها . ويبدو أن فيصلا قد قبل في الاتفاقية تساهلا مع البرنامج الصهيوني في فلسطين او على ما قيل القبول بمضمون تصريح بلفور : فقد اتفق الطرفان على أن تتخذ كافة الاجراءات لتنفيذ وعد ٢ نوفمبر في دستور ادارة فلسطين (مادة ٣) . وان تتخذ كل التدابير الضرورية لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على ان تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين العرب (مادة ٤) وان ترسل المنظمـــة الصهيونية لجنة لدراسة اوضاع فلسطين وامكانياتها ومدى استثمارها لصالح العـــرب واليهود (مادة ٧) وان تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حالة نشوب خلاف بين الطرفين (مادة ٩)(٣٣).

وقد ذكر لي المرحوم عوني عبد الهادي (وكان عضو الوفد العربي الذي لم يشترك احد منه في المحادثات) « وكم كانت دهشتنا كبيرة نحن اعضاء الوفد الحجازي حين اعلمنـــا سموه انه وقع اتفاقية مع الزعيم الصهيوني كتبها لورنس بخط يده بالانكليزية وترجمها لسموه بلغته العربية الركيكة ، ولما شاهد دهشتنا لتوقيع اتفاقية كتبها اجنبي لصـــالح اجنبي باللغة الانكليزية ولا يعرف سموه كلمة منها قال : من حقكم ان تدهشوا لتوقيعي مكتفيا بترجمتها ولكن دهشتكم ستزول حين تعلمون اني لم اوقع هذه الاتفاقية قبل أن اعلق خطيا موافقتي عليها في حالة موافقة الحكومة البريطانية على المذكرة التي سبق ان قدمتها الى وزارة الخارجية والتي تحوي طلب استقلال البلاد العربية كافة في آسيـــة وفلسطين تدخل في هذه الحدود واكدت اني غير مسئول عن تنفيذ كل ما ورد في هـــذه الاتفاقية فيما اذا عدل في هذه المذكرة اي شيء ورد فيها » .
وقد اورد انطونيوس هذا الشرط في كتابه على النحو التـــالي : « يجب ان اوافق علـــى

المواد المذكورة اعلاه بشرط ان يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت بمذكرتي المؤرخة في ٤ ينـاير كانون ثاني ١٩١٩ المرسل الى وزارة الخارجية البريطـانية ، ولكـن اذا وقع اقل تعديل او تحويل مني ان لا أكون عندها مقيدا بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية يجب ان لا أكون مسئولا بأي طريقة »(٢٤) وكما اخبر فيصل الصحفي جفرز شخصيا في مارس اذار ١٩٢٠ بأنه لم تكن لديه افكار واضحة عما تعنيه المقترحات او عن المشاريع الجديدة للصهيونية وكل ما اخبر به هو خطة لايجاد مستعمرات يهودية لهـا حكم ذاتي بشروط ستسوى فيما بعد ، ورأى انه بالامكان ايجاد تعاون بين العرب واليهود خاصة بعد ما علمه من تأكيدات هوغارت ووايزمان ولورنس بأن اليهود لا يسعون الى اقـامة دولة مستقلة في فلسطين وان هدفهم انعاشـها فقط دون انيؤثر ذلك على مصالح العرب المشروعة(٢٥) . الا ان المرحوم عوني عبد الهادي قد ذكر لي « ان هذا لا يخلي سمـوه من نقد الناقدين واعتبار عمله هذا خطأ سياسيا كبيرا ، ومـا كـان لفيصل أن يعـود باجنبيين احدهما يهودي والثاني انكليزي ويوقع على اتفاقية كتبها اجنبي بلغة اجنبيـة مهما بلغت ثقته بلورنس ، وان علاقة لورنس نفســه بالاتفـاقية حجـة كبيرة ضـد فيصل »(٢٦) .

ورغم الاهمية الكبرى التي يعزوها وايزمان الى الاتفاقية نجد انكل ما ادعاه الصهيونيون قد وافق عليه فيصل بشكل شخصي وانها كانت مجرد اقتراح لم تقدم على الاطلاق لتصل الى مرحلة المعاهدة ونظرا لانها لم تعرض على الحسين او على الحكومة العربية فليس لها ادنى قيمة في التعبير النهائي من السياسة العربية ، وان مجرد انتظار وايزمان سبعة عشر عاما لنشر الاتفاقية كانت فيها فلسطين تعاني القلق والدمار دليل كاف علـى ان لا قيمة لها .

واهمية الاتفاقية انها كانت احدى وثيقتين تنسبان الـى فيصل ويملكهـا الصهيونيون كدليل على حصولهم على موافقة العرب على الخطط الصهيونية قبل البدء بتنفيذهـا . والوثيقة الثانية هي التي نسب الى فيصل انه قد وجهها الى فرانكفورتر (عضو الوفـد الصهيوني الاول الى مؤتمر الصلح وقاض في المحكمة العليا واستاذ في جامعة هارفارد) بعد احتجاج زعماء الصهيونيين على تصريح ادلى به فيصل الى صحيفة الماتان Matin في مارس ١٩١٩ بمعارضته تأسيس وطن قومي لليهود . وجاء التوضيح علـى شكل رسالة تؤكد على التفاهم المتبادل بين اهداف العرب واليهود الذين « هم اولاد عمومـة في العرق يعانون مظالم متشابهة على يد دول اقوى منهم » وعن عطف العرب وخاصة المثقفين منهم على الحركة الصهيونية ، وموافقة الوفد العربي في باريس على مقترحات المنظمة الصهيونية . . وعن سعي الطرفين للعمل من أجـل احيـاء الشرق الادنى . . « والتعاون لازالة المرارة التي خلقتها المؤامرات التركية بين سكان المستعمرات اليهودية والفلاحين العرب وذلك بالارادة المشتركة والمعرفة الكاملة »(٢٧) . وفي مذكرات لم تنشر بعد يذكر المرحوم عوني عبد الهادي «انه لا صحة اطلاقا لرسالة فرنكفورتر وانما اذاعها وايزمان ولورنس لتضليل الرأي العام ومن الادلة على عدم صحتها : لم يترام الى علمه ان مقابلة تمت في ذلك التاريخ بين الامير ووايزمان وفرنكفورتر ولورنس ، كمـا انه لم يشهد بوصفه سكرتيرا للامير احتجاجا من هذا النوع . . » كما انه غير صحيح ان عوني انكر المقابلة الصحفية بين رئيس تحرير الماتان وبين فيصل . . «لو صح ما يدعيه وايزمان عن هذه المقابلة وانكار سموه لها فلماذا لم يطلب من سموه تكذيب هذه المقابلة في جريدة الماتان ليطلع جميع الناس على الحقيقة بدلا من هذه الرسالة المزعومة »(٢٨) .

وتعتبر هذه الرسالة مثل الاتفاقية السابقة خطة ستراتيجية للحصول على وثيقة عربيـة بالموافقة على الخطط الصهيونية ، وكان فيصل الذي يقع تحت تأثير وضغط الحكومـة البريطانية ــ كما يبدو ــ هو الوسيلة الوحيدة لاستمالة العرب مع انه بالفعل كان عاملا

ثانويا لان الحلفاء بيدهم كل شيء .
بعد هذه المباحثات الجانبية عرضت القضية العربية على مؤتمر السلم في ١٩١٩/٢/٦، وكانت فرص فيصل في النجاح ضئيلة والى جانبه لورنس الذي ربط نفسه بالوفد العربي دون صفة رسمية رغم ان الفرنسيين كانوا معادين لوجوده واعضاء الوفد العربي يشكون بخطخطه(٣٩) . وكان خطاب فيصل امام مجلس العشرة في مبنى وزارة الخارجية الفرنسية توسيعا لمذكرتين قدمهما الوفد العربي الى مؤتمر السلم : الاولى في ١/١/١٩١٩(٤٠) والثانية في ١٩١٩/١/٢٩(٤١). في المذكرة الاولى عرضت المطالب العربية على أساس مباديء عامة منها حق الشعوب الناطقة بالعربية في آسية – اعتبارا من الخط الممتد شمال الاسكندرون ودياربكر حتى سواحل الهندي جنوبا – بالاستقلال والوحدة ، ولكن نظرا لتباين هذه الشعوب الاجتماعي والاقتصادي (حسب ما تذكره المذكرة) فقد اقترح تعيين مصير كل جزء منها : ان تمنح سورية نظرا لتطورها السياسي والاقتصادي استقلالا ذاتيا ولا بأس من الاستعانة باخصائيين اجانب ، اما الجزيرة (شمال سورية) والعراق فرغم المطالبة بحكومة عربية فيهما فلا مانع من اشراف احدى الدول الكبرى على مساعدتهما لتطوير امورهما الداخلية ، اما بالنسبة لفلسطين فرغم ان اكثرية سكانها من العرب وصلتهم وثيقةمعاليهودفلا بد منوصايةاحدى الدولالكبرى لمنع أي منازعات قد تحدث في المستقبل بين العنصرين . ولكن هذه الفروق الاجتماعية والاقتصادية لا تشكل عقبة أمام الوحدة التي هي هدف الحركات القومية(٤٢) .
واكدت المذكرة الثانية في ١٩١٩/١/٢٩ على طلب الاستقلال والوحدة وارفق بالمذكرة النقطة الثانية من خطاب ويلسون في مونت فرنون ٤ يوليو تموز ١٩١٨(٤٣). ورغم ان الصهيونيين لا يمثلون دولة، والسكان اليهود يشكلون أقل من ١٠٪ من سكان فلسطين فقد ارسلوا وفدا استقبل بود في باريس للحصول على تأكيد دولي لوعد بلفور وتأمين ضمه الى نص معاهدة السلم وميثاق العصبة ، لذلك رفضوا ضم فلسطين الى دولة عربية او تدويلها كما عارضوا مبدأ تقرير المصير لانه اذا طبق على فلسطين سيحول دون تأسيس دولة يهودية ، ورحبوا بادارة بريطانية للمنطقة فاتفقت مصالحهم بذلك مع مصلحة بريطانية ، وقد رفعت المنظمة الصهيونية مذكرتها الى مؤتمر السلم في ٣/٢/١٩١٩ وطالبت بحق الشعب اليهودي التاريخي باقامة وطن قومي في فلسطين على أن يعهد الى بريطانية بالانتداب من قبل العصبة لوضع فلسطين في ظروف سياسية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي وتعمل على تشجيع الهجرة والاستيطان وتوسيع الحكم الذاتي ، والحق بالمذكرة الحدود التي تقترحها المنظمة الصهيونية لفلسطين، ومن الملاحظ ان المذكرة وضعت في مقدمتها الفقرات الخاصة المتعلقة بفلسطين من مذكرة فيصل في ١٩١٩/١/١(٤٤) . وظهر الوفد الصهيوني امام مجلس العشرة في ٢٣ فبراير شباط وعرض سوكولوف حق اليهود باقامة وطن قومي على أساس وعد بلفور وطلب انتدابا بريطانيا يؤمن هجرة يهودية وحكومة محلية،كما بحث وايزمان المركز الاقتصادي للشعب اليهودي ، وطالب بايجاد ادارة في فلسطين تحت حكم الانتداب تكفل حسب الشروط الطبيعية للبلاد تشجيع الهجرة اليهودية على ان تصبح فلسطين يهودية بقدر ما هي انجلترا انجليزية(٤٥).

لم يتوصل مؤتمر السلم الى اي قرار نهائي حول مستقبل البلاد العربية عدا القرارالذي اتخذ في ١٩١٩/١/٣٠ بفصل اجزاء معينة من الامبراطورية العثمانيسة تشمل سورية وفلسطين والعراق وارمينية وكليكيا واجزاء اخرى من آسية الصغرى ووضعها تحت اشراف العصبة عن طريق حكومات تعمل كدول منتدبة تستطيع ان تأخذ على عاتقها رفاهية الشعوب وتقدمها ! وكان هذا القرار اساسا للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم الذي أنهى وضع مسودته النهائية في ١٩١٩/٤/٢٨ . الا ان اهم قرار في صالح القضية

العربية هو موافقة المجلس الاعلى للحلفاء في ١٩١٩/٣/٢٥ على اقتراح ويلسون بارسال لجنة تحقيق من هيئة خبراء ومن الدول الكبرى لمعرفة رغبات السكان في المنطقة والتحقق من الوضع « وعلى أساس الوقائع المكتشفة يمكن ارساء العدالة وتأمين السلام »(٤٦). وكانت فرنسة لا ترغب لاي لجنة بالدخول الى البلاد من أجل التحقيق الا اذا شمل العراق وفلسطين(٤٧) . كما وقفت بريطانية من القضية موقف الفتور نظرا للخلاف الذي كان يدور حول حدود الموصل وبسبب الضغط الصهيوني . فقد وقفت الحركة الصهيونية ضد فكرة التحقيق في فلسطين وكان بلفور قد احتج منذ ١٩١٩/٣/٢٢ على ضم فلسطين الى منطقة التحقيق حتى لا يكشف تقرير اللجنة الذي سيوصي بانشاء حكومات وادارات تستمد سلطتها من الاختيار الحر للسكان « ان العرب يرغبون بحكومات عربية »(٤٨).

ونتيجة لانسحاب فرنسة وانكلترة من عضوية اللجنة اصدر ويلسون تعليماته الى الاعضاء الامريكيين بالذهاب الى سورية حيث وصلوا يافا في ١٩١٩/٦/١٠ باسم The American Section of the International Commission on Mandatory in Turkey. وعرفت باختصار بأسم لجنة كنغ كرين(٤٩).

فلسطين والمؤتمر السوري ولجنة كنغ كرين :

كان السوريون يعلقون اهمية كبرى على اللجنة الدولية ويرون انها ستقرر مصير البلاد، وخاصة لما كان يذيعه فيصل بعد قدومه عن الامال المرتقبة التي ترتبط بمقدم لجنة التحقيق الدولية . وقد تقدم عدد من المسئولين في الحكومة العربية باقتراح تشكيل مؤتمر وطني عن طريق انتخابات شرعية تجمع ممثلين عن المناطق السورية الثلاث على قدم المساواة ، وذلك لتتبين اللجنة القادمة راي الشعب في مصير البلاد(٥٠).

وكانت الصعوبة الكبرى التي واجهت الجميع هو انتخاب الاعضاء اذ ان السلطات العربية لم تكن ممثلة في مناطق الاحتلال الفرنسي والبريطاني ، ونظرا لاعتقاد الجميع ان اللجنة ستصل قريبا جرت انتخابات سريعة في المنطقة الشرقية وفقا لقانون الانتخاب العثماني . أما المنطقتان الغربية والجنوبية (أي الساحل السوري الشمالي وفلسطين) فقد شارك ممثلوها في المؤتمر بمضابط توكيل من الاعيان والزعماء . وشاركت فلسطين (أو ما أصبح يعرف بأسم سورية الجنوبية)بـ ١٥ عضوا(٥١) من اصل ٦٩ ومع انه لم يراع النهج المألوف في الاجراءات الانتخابية في كل المناطق فمما لا ريب فيه ان المؤتمر كان مجلسا تمثيليا لسورية كلها بمناطقها الثلاث ، ومقرراته تعد معبرة عن الاراء التي كانت تسود الاكثرية ، وقد اقر بذلك اعضاء اللجنة الامريكية انفسهم(٥٢). وتمخضت مداولات المؤتمر عن عشرة قرارات(٥٣) عمل فيها الاعضاء جهدهم لتأكيد استقلال سورية التام ضمن وحدة عربية مستقلة دون حماية ولا وصاية، مع اظهار احتجاجهم على المادة ٢٢ من ميثاق العصبة . وكانت المواد المتعلقة بفلسطين هي ثلاث : مادة ٧ : « اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، اي فلسطين ، وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا ، لانه ليس لهم فيها ادنى حق ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا » . مادة ٨ : « اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين ، والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري ، ونطلب ان تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان » . مادة ١٠ : « .. ان القاعدة الاساسية من قواعد الرئيس ويلسون التي تقضي بالغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية، او كل وعد خصوصي يرمي الى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا، ونطلب ان تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان » .

وكانت مهمة اعضاء المؤتمر السوري الاول عرض هذه القرارات على اللجنة الامريكية

حين وصولها وتعريفها على رغبات الشعب . وقد استعدت الاوساط الوطنية في فلسطين لاستقبال اللجنة التي قابلت عددا من الوفود كما تلقت عرائض كثيرة . وقد اتفقت ٨٥٪ من العرائض على رفض البرنامج الصهيوني (٢٢٢ عريضة من اصل ٢٦٠) . وكل من استشارته اللجنة كان يؤمن بأن البرنامج لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ، عدا يهود فلسطين الذين لم يتجاوز عددهم عشر السكان اذ لم يتورعوا عن تأييد المطالب الصهيونية وطلب وصاية انكلترة(٥٤).

وقد وجدت بين مجموعة اوراق محب الخطيب ورقتان مطبوعتان توضحان ما دار بين اللجنة الدولية وسكان سورية الجنوبية (فلسطين) والمطالب التي قدموها على النحو التالي : « ١ — ان تكون بلادنا (سورية) التي تبتدىء شمالا بجبال طوروس وتنتهي برفح وغربا بالبحر المتوسط وشرقا بالبادية كتلة واحدة غير متجزئة مستقلة استقلالا تاما بلا حماية ولا وصاية ولا ما يغير معناها. ٢ — ان تكون مقاطعتنا سورية الجنوبية «فلسطين» التي هي جزء لا ينفك عن سورية مستقلة استقلالا داخليا تنتخب حكامها وتسن قوانينها الداخلية وفقا لرغائب سكانها الوطنيين وحاجات البلاد. ٣ — نرفض هجرة اليهود الى بلادنا رفضا باتا ونحتج على الصهيونية بكل قوانا ولا نرضى بحال من الاحوال ان تكون مقاطعتنا وطنا قوميا لليهود . أما اليهود الاصليون الموجودون في بلادنا قديما فاننا نعتبرهم وطنيين لهم ما لنا وعليهم ما علينا »(٥٥). وقد سألت اللجنة وفد الاهالي في يافا « لماذا ترفضون المهاجرة الصهيونية ؟ وهل ترفضونها ابديا ام لمدة ؟ فأجابوا نرفضها ابديا لان البلاد بلادنا وهي عرب قبل اليهود وللاسباب الاقتصادية (وفصلوا الاسباب) »(٥٦). وقد سألت اللجنة وفد الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس « لماذا ترفضون المهاجرة الصهيونية ؟ فأجابوا : للاسباب الاقتصادية والجغرافية (كما ذكر اليافاويون) فسئلوا : وان لم يمكن رفض المهاجرة فماذا تعملون ؟ فأجابوا : اما ان نلقيهم في البحر او يردونا الى البادية »(٥٧).

وقد قضت اللجنة ٤٢ يوما في انحاء متفرقة من المناطق السورية وفي ١١ يوليو تموز ١٩١٩ ارسل كنغ وكرين برقية الى ويلسون لخصا اراءهما حول الوضع في سورية « ان هناك أمورا لا يمكن الخطأ فيها وهي الرغبة العميقة بالوحدة والاستقلال في سورية وفلسطين »(٥٨). وكان من جملة الملاحظات التي أرسلت الى لندن عن طريق القاهرة في ١٩ يوليو « بأن البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ، ضد رغبات العرب ، وان هناك رغبة عامة بالوحدة السورية »(٥٩).

ووصفت توصيات اللجنة في ١٩١٩/٨/٢٨ في تقرير طويل :(٦٠) :

وكانت أهم التوصيات هي المتعلقة بفلسطين فقد بدأت اللجنة عملها وذهنها مهيأ مسبقا في صالح الصهيونية اذ كانت معجبة بنجاح أساليبها الحديثة ولكن واجهتها حقائق صريحة دفعتها الى التوصية بتعديل كبير للبرنامج الصهيوني المتطرف حين اجتمعت اللجنة بالصهيونيين الذين يتطلعون نحو تجريد كامل للسكان المحليين من غير اليهود بأشكال مختلفة من البيع(٦١). « ... فاذا كان هذا المبدأ (أي مبدأ ويلسون) واذا كانت رغائب السكان في فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود في فلسطين — وهم تسعة أعشار السكان كلهم تقريبا — يرفضون البرنامج الصهيوني رفضا باتا ... فتعريض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لا حد لها ولضغط اقتصادي اجتماعي متواصل ليسلم بلاده — نقض شائن للمبدأ العادل الذي تقدم شرحه ، واعتداء على حقوق الشعب وان كان ضمن صور قانونية ... ولا ينبغي لمؤتمر الصلح ان يتجاهل ان الشعور ضد الصهيونية في فلسطين وسورية بالغ اشده وليس من السهل الاستخفاف به فان جميع الموظفين الانجليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون ان البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة ويجب ان لا تقل هذه القوة عن

خمسين الف جندي ، وهذا في نفسه برهان واضح على ما في البرنامج الصهيوني من الاجحاف بحقوق غير اليهود ... بناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود ان الواجب يقضي عليها بأن تشير على المؤتمر ان لا يؤيد غير برنامج صهيوني معتدل يجب العمل فيه بالتدريج وبعبارة اخرى يجبتحديد المهاجرة اليهودية الىفلسطين والعدول بتاتا عن الخطة التي ترمي الى جعل فلسطين حكومة يهودية ... ولا يوجد هناك سبب يمنع ضم فلسطين الى سورية المتحدة كاقسام البلاد الاخرى ووضع الاماكن المقدسة تحت ادارة لجنة دولية دينية تكون تحت اشراف الدولة الوصية وعصبة الامم ويكون لليهود بالطبع عضو في هذه اللجنة .. »(٦٢).

لم ينشر تقرير لجنة التحقيق الامريكية في حينه ، واختفى في ملفات وزارة الخارجية الامريكية في واشنطون حتى عام ١٩٢٢ حيث نشر بعد ان فقد اي تأثير في تسوية القضايا التي عالجها(٦٣). وربما كانت التوصيات المتعلقة بالشعور المعادي لفرنسة في سورية وللبرامج الصهيونية في فلسطين قد دفع كلا من الحكومة الفرنسية والبريطانية للتدخل لدى الوفد الامريكي ووزارة الخارجية في واشنطون لاخفاء التقرير . ووجهات النظر الصهيونية اعتبرت التقرير منحازا . وتوصياته لا يمكن العمل بها وان اخفاءه كان الطريقة الوحيدة لانهاء الوضع الذي خلقه تعيين اللجنة(٦٤).

وبذلك اثبتت هذه المحاولة التي قام بها مؤتمر السلم للكشف بدقة معقولة عن الرغبات الحقيقية في المنطقة عدم جدواها في التأثير على مجرى السياسة نظرا لانه قد تقرر توزيع مناطق النفوذ بين الحكومة الفرنسية والبريطانية حتى قبل ان تباشر اللجنة مهامها(٦٥).

عودة الى مناورات لندن وباريس :

بعد رحيل اللجنة كانت سورية بمناطقها الثلاث في حالة قلقآخذ في الازدياد لعدم الوصول الى تسوية حول تقرير مصير البلاد . وقد صور تقرير مرسل من مقر قيادة الحملة المصرية في ٣٠ اغسطس الوضع في سورية بعد رحيل اللجنة ، وان المعارضة للصهيونية قد نمت في فلسطين الى حد كبير ، وان عرب فلسطين يعتبرون انفسهم قبل كل شيء سوريين كجزء من بقية السكان ، كما بين التقرير الصعوبات العملية في الوقت الحاضر التي تحول دون تحقيق الوطن القومي اليهودي والتي ستزداد خطورة في المستقبل(٦٦).

تبين لفيصل بالذات صعوبة ايقاف المقاومة الفلسطينية للسياسة الصهيونية(٦٧). فطالب في رسالة له الى لويد جورج « باسم الشرف البريطاني والعدالة الانسانية ان لا يكون جزاء العرب على اخلاصهم وتضحياتهم هو تجزئة بلادهم »(٦٨).

والواقع ان الحكومة البريطانية كانت ترغب بالانتهاء من مغامرة الحرب في الشرق بشكل يرضي مؤقتا فرنسة والمصالح الصهيونية دون ادنى اهتمام للمشاعر العربية ، ولعب بلفور دورا بارزا في توجيه السياسة البريطانية ، فقدم مذكرة في ١٩١٩/٨/١١ حول سورية وفلسطين والعراق بين فيها ان سبب المصاعب الحالية هو التناقضات الموجودة بين الوثائق التالية : مراسلات الحسين مكماهون ، اتفاقية سايكس بيكو ، التصريح المشترك ، ميثاق العصبة ، التعليمات التي اعطيت الى لجنة كنغ كرين . وبرأيه ان التناقض يبدو اكثر وضوحا بين لغة الميثاق وسياسة الحلفاء في فلسطين، فالدول الغربية قد وعدت بتأييد الصهيونية : « فكيف يمكن التوفيق بين هذا الوعد وبين الميثاق او تعليمات لجنة التحقيق الامريكية ؟ »(٦٩). ولذلك اقترح التمسك بالفكرة الاساسية التي تكمن وراء سايكس بيكو .

وعلى ضوء هذه المذكرة قدملويد جورج الى المجلس الاعلى لمؤتمر السلم في ١٩١٩/٩/١٥ صورة عن اتفاقية فرنسية انجليزية مؤقتة لسحب القوات البريطانية من سورية الداخلية عدا فلسطين والعراق على ان تحل القوات الفرنسية غربي خط سايكس بيكو والعربية شرقي هذا الخط(٧٠).

وفيما كان الراي العام العربي ينتظر جلاء القوات الاجنبية كلها عن سورية كاملة ، اذ به يفاجأ برسم حدود فرنسية بريطانية عبر سورية على أساس خط سايكس بيكو ورغبات الصهيونية . وكانت هذه الاتفاقية بداية لتقسيم سورية الى منطقتي انتداب وخلق فلسطين كوحدة منفصلة ، رغم ما قيل ان الاتفاقية مؤقتة .
وكان لا بد من ابلاغ فيصل شخصيا بموضوع انسحاب القوات الانجليزية(٧١) وبدأت سلسلة مباحثات في داونبغ ستريت من ٩/١٩ — ١٩١٩/١٠/١٤ انتهت بالفشل . وفي خلال مباحثات فيصل في لندن تقرب منه وايزمان من جديد يعرض عليه تقديم اموال وخبراء للحكومة العربية ، واقناع الحكومة الفرنسية بالتخلي عن ادعائها في المنطقة الداخلية مقابل مساعدة الامير في تحقيق البرامج الصهيونية في فلسطين .
ويبدو ان الامور قد توقفت عند هذا الحد لان الامير كان يريد من الصهيونيين ان يضعوا ثقلهم الى جانب العرب ضد الفرنسيين ، بينما كان وايزمان يرى بأن يحتل الفرنسيون المناطق الساحلية الان ثم يمكن اخراجهم فيما بعد(٧٢) .
وفي حديث لفيصل الى مندوب صحيفة الجويش كرونكل ١٩١٩/١٠/٣ ردا على عبارة ادلى بها اسرائيل زانجويل « بأن كل اليهود يتطلعون الى اقامة وطن قومي في فلسطين بحيث يصبح في النهاية دولة يهودية » ، ذكر « أن فلسطين هي جزء من سورية .. ومع انه لا يزال يتفق مع راي وايزمان في الهجرة والاستيطان ولكنه لا يعتقد ان فلسطين يمكن ان تستوعب اكثر من ١٠٠٠ — ١٥٠٠ مهاجر سنويا وقد تشكل فلسطين فيما بعد ولاية من الدولة السورية ذات حكم ذاتي يتمتع فيها اليهود بحقوق متساوية مع العرب»(٧٣) .
واثار هذا التصريح رد فعل صهيوني عبر عنه هربرت صموئيل فيما بعد في محاضرة امام الجمعية التاريخية اليهودية في لندن ١٩٣٥/١١/٢٥ ذكر فيها بأنه كان عليه ان يزيل سوء التفاهم الناجم عن العبارة التي ظهرت في الجويش كرونكل وان فيصلا قد اخبره بأن ما يعترض عليه هو التأسيس المباشر لدولة يهودية في فلسطين ، مثل هذا العمل سيضع الاغلبية تحت حكم الاقلية ولكنه لا يعترض على ما يريده زعماء الصهيونية ، اي تنمية الهجرة والاستيطان . وابرز هربرت صموئيل رسالة ذكر بأنفيصلا كان قد ارسلها له في ١٠ ديسمبر كانون أول سنة ١٩١٩ من باريس ونشرتها التيمس في ١٢ يناير (كانون ثاني ١٩٢٠) يشكر له فيها ازالة سوء التفاهم ويؤكد ان هناك اتفاقا تاما بينه وبين وايزمان سيكفل الانسجام اللازم لنجاح قضيتهما المشتركة(٧٤) .
ولو ثبت صحة هذه الرسالة فليس من العدل ان نقول ان كتابتها كغيرها من الرسائل السابقة كانت بالنيابة عن الحركة العربية او عن زعمائها لانه لم يكن هناك اي زعيم له صلاحية منح هذه الوثائق ، فقد بدأت بفيصل وانتهت به ، ونظرا لانها لم تعرض على الحسين ولا على غيره من زعماء الحركة العربية فليس لها أدنى قيمة كتعبير نهائي عن السياسة العربية(٧٥) .

لم يلاق فيصل نجاحا في مباحثاته في لندن اذ كانت المصالح الفرنسية والبريطانية قد سويت ، واضطر في مباحثاته مع كلمنصو في باريس الى التوصل الى اتفاقية مبدئية من عدة بنود في ١٩٢٠/١/٦ تعترف فرنسة فيها بدولة سورية مستقلة ضمنحدود سيعترف بها مؤتمر الصلح على ان تتعهد هذه الدولة بالتالي بأولوية فرنسة بامدادها بالخبراء والمستشارين لتنظيمالادارتين المدنية والعسكريةوان تعترف باستقلال لبنانتحت الانتداب الفرنسي(٧٦) . وقد ذكر فيصل الى الكولونيل تايلور في بيروت في ١٩٢٠/١/١٤ « ان من نقاط الاتفاقية هو سورية الموحدة ومن ضمنها فلسطين تحت مساعدة فرنسية ... وان امله في النجاح ان يقدم للشعب فكرة بأن الانتداب الفرنسي يعني سورية الموحدة ... ورغم ان عليه ان يطالب بفلسطين ... وقد وعده كلمنصو بأن يدعمه في ذلك .. الا انه ليس له امل في النجاح»(٧٧) .

فلسطين جزء من المملكة السورية :

شعر فيصل بعد عودته بقوة المعارضة(٧٨). فقـــرر ان يسير فـــي الخط الموافق لهـــذا الاتجاه ، فبعث الى اللنبي برسالة في ١١/٢/١٩٢٠؛ يصور فيها حراجة موقفه بعد عودته الى سورية وخاصة بعد أن نشرت الصحف المحلية مراسلات الحسين ومكماهون وبرقية والده التي تستنكر اي عمل لا يتفق مع وحدة واستقلال البلاد العربيـــة ، وانه قد وجد نفسه ملزما لمعرفة السياسة الحقيقية للحكومة البريطانية حول فلسطين والعراق « حتى يمكنني ان اعطي أملا للشعب وان احمي شرفي وشرف عائلتي التي قامت من اجل قضية نبيلة وعرضت مركزها للخطر ووضعت اعتمادها الكلي على الحكم القوي »(٧٩).

ولم يعد ممكنا ان يطلب من الرأي العام الانتظار فترة أطول لقرار مؤتمر السلم، وخاصة بعد ان انتشرت اخبار متضاربة عن المصير الذي سيمنح للبلاد، فوافق على اقتراح أقرب المستشارين والاصدقاء بضرورة وضع الحلفاء أمام الامر الواقع باعلان استقلال سورية المتحدة بجميع مناطقها وتقرر جمع اعضاء المؤتمر السوري من جديد (بعـــد ان أجلت جلساته في ديسمبر ١٩١٩) وعقدت اجتماعات تمهيدية لبحث مقدمات اعلان الاستقلال.

وكان اكثر هذه الاجتماعات اهمية هو اجتماع المؤتمر الفلسطيني في دمشق ٢٧/٢/١٩٢٠ اشترك به مندوبون عن الاحزاب السياسية والوجهاء ورجـــال الدين للمناقشة واقرار الوضع حول فلسطين ، واعلنوا ان سورية الجنوبية (فلسطين) هي جزء من سورية ، وعارضوا الصهيونية لخطرها على كيان البلاد السياسي والاقتصادي والقومي مع عدم الاعتراف بأي حكومة وطنية في فلسطين قبل ان تعترف الحكومة المحلية بمطالب شعب فلسطين التي قدمت الى اللجنة الامريكية(٨٠) وفي نفس اليوم الذي كان يعقـــد فيه هذا المؤتمر انطلقت في القدس مظاهرة يتقدمها رئيس البلدية موسى كاظم الحسيني بعـــد اجتماع في نادي الجمعية الاسلامية المسيحية احتجاجا علـــى قرار مؤتمر الصلح تحمل اللافتات (فلسطين جزء من سورية)(٨١).

وقد اتخذ اعضاء المؤتمر السوري في دمشق قرارا بالاجماع ينص على « استقلال بلادنا السورية ، التي منها فلسطين بحدودها الطبيعية استقلالا تاما لا شائبة فيه ، مبنيا على الاساس المدني النيابي وحفظ حق الاقلية ورفض مزاعـــم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود او محل هجرة لهم»(٨٢). وقرروا تقديم العرش للامير فيصل يوم ٨ مارس آذار ١٩٢٠ ، ولحق ذلك قرار المؤتمر العراقي الذي اجتمـــع في دمشق في نفس اليوم ليعلن استقلال العراق .

وقد اعتبر البعض ان اعلان الاستقلال تسرع لا مبرر له وانه لما كانت العراق وفلسطين في يد الاحتلال البريطاني والمناطق الساحلية الغربية في يد فرنسة لم تكن قرارات دمشق لتؤدي الى اي نتيجة عملية . ولكن الواقع ان هذا القرار كان تعبيرا عن الارادة الشعبية وما يعتقده القوميون انه الموقف العربي الصحيح بعد سنة ونصف مـــن الانتظار تحت الاحتلال الاجنبي والادارات العسكرية(٨٣).

وقد أكد فيصل في حديثه الى الصحفي جفرز بعد اعلان الاستقلال « بأن لقبه كملك يشمل فلسطين كذلك .. ما لم يكن هناك شك حول هذه النقطة بسبب سوء استعمال الدول الغربية لكلمة سورية والتي تعني بالنسبة لهم القسم الشمالي في البلاد فقط... لقد كان هدف الحسين دوما ضم فلسطين الـــى المنطقة التـــي اشترط ان يشملها الاستقـــلال العربي»(٨٤).

وكان من الطبيعي ان يرحب عرب فلسطين ، التي كانت جزءا من سورية والتي شارك ممثلوها في المؤتمر السوري بقرار اعلان الاستقلال ، وتجلت فـــي الاحتفـــالات الوطنية وتقدم المحتفلون في المدن الرئيسية اعضاء الجمعيات الاسلامية المسيحية والعلماء والتجار والادباء وأشرف على تنظيمها مراكز النوادي العربية(٨٥).

وهذا ما دفع الصهيونيون الى القيام بمعارضة قوية لضم فلسطين الى الدولة السورية وبدأوا يشككون بما فعله الوطنيون في جميع أنحاء البلاد بمناسبة اعلان الاستقلال(٨٦).
وكان رد الفعل لاعلان الاستقلال لدى الحكومتين البريطانية والفرنسية عنيفا، وفي رسائل مشتركة أرسلت من لندن استنكرت الحكومتان اجراءات المؤتمر السوري لان مستقبل سورية والعراق ستقرره دول الحلفاء(٨٧).

وبذلت الحكومة العربية كل جهودها للمحافظة علـى الصلات الودية مع جميع الحلفاء وتوضيح الاسباب التي ادت الى هذه الخطوة(٨٨). وأبدى فيصل ثقته الكبرى ببريطانية فهو لا يزال يعتبرها حليفة العرب الرئيسيه منذ ان وضعت اساس الاعتراف بدولة عربية ضمن الحدود التي رسمها الحسين(٨٩).

ولم تجد هذه المحاولات فقد رفضت الحكومتان الاعتراف بشرعية قرارات المؤتمر في دمشق ودعت فيصلا الى أوروبة لبسط قضيته لان مستقبل الاجزاء العربية لا يزال بيد مؤتمر السلم.

بدء المقاومة:

شعر عرب فلسطين ازاء هذا التصميم العنيد للحلفاء برفض الاعتـراف بالاستقلال ان اليهود هم العقبة الرئيسية لضم فلسطين الى الدولة السورية المستقلة الجديدة فبدأوا يتبعون أسلوب العنف لاثبات حقهم احتجاجا على خطـر المشاريـع الصهيونية ودعـم السلطات البريطانية(٩٠). ولا يعرف تماما الموقف الذي اتخـذه فيصل في حماية هـذه الاعمال(٩١)، ولكن ما هو ثابت ان بعض ما كان يجري في فلسطـين كان مركزه دمشق بديره رجال غير مسئولين يؤيدهم الرجال المسئولون والاحزاب بالمال والسلاح(٩٢). ومن أمثلة هذه الحوادث هجوم جماعات وطنية في مارس (آذار) ١٩٢٠ على مستعمرة صهيونية في منطقة الحولة وقتل عدد من اليهود الذين استنجدوا بالسلطات الفرنسية(٩٣)، وهجومين آخرين في ابريل نيسان قامت بهما القبائل البدوية عبر الاردن على مستعمرات يهودية محاطة بأسلاك ومسلحة ببنادق انكليزية، كما هوجمت الحاميـات البريطانية في سمخ وبيسان وجرح ضابط بريطاني واسقطت طائرة عسكرية، وأدى ذلك الى انقطاع سير القطارات بين دمشق وحيفا وتعطل المواصلات البرقية والهاتفية، وارسلت الحكومـة البريطانية نجدات بالقطارات وقصفت المهـاجمين بالطائرات(٩٤)، وكـانت السلطات الانكليزية تعتقد ان لحكومة دمشق يدا في هذه القلاقل لذلك منعت الجنود العـرب مـن التجول على الحدود للمحافظة على المحطات(٩٥). وفي تعليق جريدة الدفاع الدمشقية على هذه الاحداث «ان العرب لم يرموا في حربهم الى مقاتلة الانكليز بل الى طرد اليهود من بلادهم .. وأدرك العرب ان السلطة الانكليزية هـي التي سلحت اليهـود أصحـاب المستعمرات»(٩٦).

واتخذ الاضطراب في القدس شكل ثورة ضد اليهود في ٤ ابريل نيسان ١٩٢٠ وكانت أول سلسلة في الاحداث التي تطبع تاريخ فلسطين في الثلاثين سنـة التالية، وقد تفجرت بمناسبة احتفال النبي موسى الديني والقومي(٩٧)، فقد تعرض اليهود لمظاهرة عربية كانت تهتف للاستقلال وتحمل صور فيصل وتنادي بسقوط الصهيونيـة ورد العرب عليهـم بمهاجمة احياء المدينة اليهودية وانتشرت الاضطرابات في كل مكان(٩٨). ويذكر مراسل التيمس ان الحوادث امتدت من ٤ـ٥ أيام حتـى تمكنت القوات الهندية والبريطانية بعدها من اعادة الامن(٩٩). وكانت الحركة مظهرا للشعور القومي العربي ولم تكن طائفية بل موجهة ضد الصهيونية وعملية الهجرة. واعترفت لجنة التحقيق التي شكلتها الحكومة البريطانية للنظر في القضية بأن سبب الاحداث الدموية هو خيبة أمل العرب لعدم تحقيق الاستقلال ولوعد بلفور، اذ يخشون ان يخضعهم تاسيس الوطن القومي لليهود اقتصاديا وسياسيا(١٠٠).

وأسف فيصل لحوادث القدس وبعث برسالة الى اللنبي يحتج فيها بأن المسلمين والمسيحيين قد حكموا بأحكام هي اشد بكثير من التي حكم بها على اليهود .. كما احتج بأن السلطة الانجليزية في فلسطين تسمح لليهود بأن يتسلحوا ضد العرب بينما يمنع هؤلاء من اقتناء السلاح تحت عقاب غرامة كبيرة وسجن لمدة طويلة(١٠١).

مؤتمر سان ريمو وفرض الانتداب :

هذه المحاولات الى جانب جهود الحكومة العربية للمحافظة على صلاتها الودية مع الحلفاء لم تعق تنفيذ القرارات التي اتفق عليها منذ فترة طويلة والتي تقضي بتجزئة الامبراطورية العثمانية طبقا لبنود الاتفاقيات السرية . وحدد موعدا للاجتماع الثاني لمؤتمر السلم (مجلس الحلفاء الاعلى) في سان ريمو في ايطالية ٢٥ ابريل نيسان ١٩٢٠ .

ورفض فيصل التجاوب مع دعوة بريطانية لشرح موقفه الشخصي امام المجلس الاعلى قبل ان يأتيه تأمين من الدولتين انجلتره وفرنسة بوحدة استقلال سورية وعدم فصل فلسطين عنها واتخاذها وطنا قوميا لليهود(١٠٢). وفي رسالته الى لويد جورج ذكر « اني ارغب بكل قلبي اجابة الدعوى . . . ولكن حيث اني لا أعلم ما هو الاساس الذي سيتخذ لحل المسألة السورية خاصة العربية عامة فلذا وخوفا من انه بعد استماعي أيضا يصدر قرار يخالف رغباتكم فعندئذ أكون في موقف جدا حرج امام الامة العربية وأمام المجلس الاعلى والحلفاء ، فلذا أطلب ان تخبروني مبدئيا عن القرار الذي سيتخذ وتطمنوني اولا عن استقلال البلاد السياسي ووحدتها فاذا كان يعترف بذلك فاني لا أرى انشاء وطن قومي في فلسطين(١٠٤).

ومع ذلك فقد قرر الساسة المجتمعون في سان ريمو في ٢٥ ابريل تقسيم المناطق العربية التي وزعت دبلوماسيا اثناء الحرب ــ مع ان الصلح مع تركية لم يعقد بعد ، ومع ان نظام الانتداب لم يعرض على مجلس العصبة ــ فقدم الانتداب على سورية ولبنان الى فرنسة ، وعلى العراق وفلسطين وشرق الاردن الى بريطانية . وتقرر ان تضم المعاهدة مع تركية مادة تعترف باستقلال سورية بما فيها لبنان والعراق ، أما فلسطين فلم يشر الى أمر استقلالها بل ان المادة ٩٥ من المعاهدة قد نصت ان يعهد الفرقاء الموقعون بتطبيق نصوص المادة ٢٢ من ميثاق العصبة على الادارة في فلسطين الى دولة منتدبة تنتخب من بين دول الحلفاء الكبرى وستكون مسئولة على ان تضع في حيز التنفيذ التصريح الذي اعلن في نوفمبر من قبل ممثل الحكومة البريطانية والذي تبنته الدول الحليفة الاخرى حول انشاء وطن قومي في فلسطين(١٠٤).

وخاب أمل العرب في فصل فلسطين عن سورية ، اذ ان ذلك لا يتناقض ورغبات السكان فقط بل يهمل بشكل تام الوحدة بين جزئي البلد في اللغة والتقاليد والعرق والاقتصاد .

ونقل اللنبي القرارات الى فيصل في ١٩٢٠/٤/٢٧ مع الالحاح عليه بالسفر الى اوروبة لبسط قضيته لان وضعه لا يمكن ان يستقر الا بواسطة مؤتمر السلم ، وان الدولتين مستعدتان للاعتراف به ملكا على سورية شرط قبول الانتداب الا ما كان يتعلق منها بفلسطين ، اذ انه بشأن فلسطين فقد ذكر اللنبي « انك كنت تعرف دائما ان حكومة جلالته ملتزمة بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لان حكومة جلالته تعتبر نفسها ملزمة بحماية مصالح السكان المحليين في البلاد بكل ما في الكلمة من معنى ، وهذا الالتزام ستؤكده بنود الانتداب»(١٠٥). وكان رد فيصل الى اللنبي «بأنه فيما يتعلق بقرار الانتداب .. أرى من واجبي عدم الخوض فيه ، لان الشعب السوري يشعر بأنه يمثل خطرا على امنهم واستقلالهم ، وقد احتجوا احتجاجا مريرا ضده ورفضوا قبوله .. اما فيما يتعلق بمستقبل فلسطين فلم نر اي وضوح في خطابكم بالنسبة للاعتراف بهذا البلد كجزء لا يتجزأ من سورية ، رغم ان فلسطين بحكم جغرافيتها وتقاليدها واقتصادها وايضا بحكم لغتها وامانيها القومية لا يمكن ان نعتبر الا جزءا من سورية .. كما اني قد وجدت ضمن

المراسلات بين الحسين ومكماهون رسالة مؤرخـــة في ٢٥ ديسمبر ١٩١٥ تعترف فيها الحكومة البريطانية بأن فلسطين جزء من الدولة العربية، وتعترف بحدودها من قبـــل الحكومة البريطانية ... وكما يظهر من حيثيات المقابلات في داوننغ ستريت تعتبر هذه المراسلات لها نفس قيمة الالتزامات مع رئيس الجمهورية الفرنسية .. وحتى اتفاقية سايكس بيكو عن قضية فلسطين قد اوضحت في الفقرة الثالثة بأن تقام ادارة دولية في المنطقة السمراء ويجب ان تقرر نوعية هذه الادارة بعد موافقة ممثلي شريف مكـــة ولا بوجد في هذه الوثيقة اي شيء يذكر عن الصهيونيين او اليهود . وبما أنه من الضروري تهدئة شعبي الذي في حالة قلق ذهني وروحي فاني آمل ان احصل مـــن بريطـــــانية العظمى على تصريحات مرضية... كي يثبت له ان اي معاهدة بين بريطانية والصهيونيين لن تكون اكثر اهمية من أي معاهدة اخرى مع الملك حسين او رئيس الجمهورية الفرنسية.
وبخصوص موضوع ايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين فاني اؤمن بأن هناك بعض سوء الفهم ، كل ما اعترفت به هو الحفاظ على حقوق اليهود في هـــذا البلد بنفس الاعتراف لحقوق المواطنين العرب المحليين واعطائهم نفس الحقوق والامتيازات، ولقد احتج عرب فلسطين المسلمون والمسيحيون في كل مناسبة على اي اتفاق او تعهد يجعلان من ارض اجدادهم وطنا قوميا لليهود ... »(١٠٦).
ولم تجد هذه الاحتجاجات اذ كانت وزارتا الخارجية والحربية في لندن قد بحثتا في امكانية فصل فلسطين عن اشراف اللنبي السياسي والعسكري وتعيين حاكم مدني له خبـــرة ادارية حتى قبل ان يمنح الانتداب الى بريطانية . ولم يعهد في ذلك الى حيادي بل الى صهيوني هو هربرت صموئيل .
وقبل ان يذاع خبر تعيينه رسميا قدم فيصل احتجاجا رسميا ليس فقط لان صموئيل كان يهوديا بل بسبب أنه كان « صهيونيا غايته تأسيس حكومة يهودية على انقاض قسم كبير من سورية(١٠٧)... وطلب من الحكومة البريطانية ان كان خبـــر التعيين صحيحا ان ترجع عن قرارها الذي يمس مصالح وعواطف العرب »(١٠٨).
وخصصت جلسات في المؤتمر السوري في دمشق لتقديـــم احتجاج الجمعيـــة العربية الفلسطينية على تعيين هربرت صموئيل وتقرر رفع احتجاج من طرف المؤتمر لمن يلزم(١٠٩).
كما قام بعض اعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني ووجوه البلاد في القدس بمناسبة وداع (بولز) الحاكم السابق بتقديم احتجاج على مجيء صموئيل الى جميع المعتمدين ومقاطعته مقاطعة تامة مع الاضراب ٣ أيام عند قدومه(١١٠).
وقدمت مذكرات من جميع انحاء فلسطين الى الحكومة المحتلة في المنطقة الجنوبية احتجاجا على قرار سان ريمو الذي كان كارثة قومية بعد سنتين ونصف من الاحتجاجات ضـــد تصريح بلفور ، وكانت هذه الاحتجاجات تتمسك بالمطالب المحضرة في استقلال سورية المتحدة من اقصى حدودها الشمالية الى رفح جنوبا ورفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا.
وقد فشلت محاولة صهيونية اخيرة لاعادة الاتصال بفيصل وببعض الفلسطينيين مـــن اعضاء المؤتمر السوري في دمشق تولاها هذه المرة حاييم كالفارسكي (الذي تولى رئاسة الجمعية العربية اليهودية في فلسطين التي تدعو الى التعايش السلمي) فقد قدم الى دمشق في يونيو (حزيران) ١٩٢٠ واتصل ببعض اوساط فيصل كما حاول التأثير على بعض الفلسطينيين المقيمين في دمشق واقناعهم بضرورة التفاهم بين العرب واليهود مع عرض جديد بتحسين الاوضاع الثقافية والاقتصادية . وكان الرد حاسما ففلسطين هي جزء من المملكة السورية ولا يمكن التفاهم الا بالتخلي عن فكرة الوطن القومي والهجرة، مع ضمان حقوق اليهود الوطنيين المدنية والدينية(١١١).
وبسبب انشغال الحكومة العربية بمشاكلها على الحدود الغربية مع السلطات الفرنسية نتيجة للتطورات الاخيرة بعد سان ريمو والتي وصلت اوجهـــا في انذار غورو (١٤ تموز

يوليو ١٩٢٠) فقد ترك الشعب في فلسطين ليتابع وحده نضاله السياسي . وتم الانتقال من ادارة عسكرية الى مدنية على يد هربرت صموئيل الذي وصل في ٣٠ يونيو حزيران. وقد وصفت التايمس في عدد ١٩٢٠/٧/٥ الاستقبال الحار الذي استقبل به يهود فلسطين هربرت صموئيل بينما شكت من موقف العرب العدائي . وقد رفع ممثلو المدن احتجاجا يعربون عن خيبة املهم برسالة ملك بريطانية الى فلسطين والتي ورد فيها « ... ان الدول المتحالفة قد قررت ان تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومي لليهود بالتدريج وهذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الاهالي المدنية او الدينية ولا تنتقص ما للرقي المعنوي لعموم طبقات الشعب الفلسطيني »(١١٢). . وهذا ما دفع وجهاء يافا الى القول بعد خيبة املهم بهذه الرسالة « لقد عدنا توا من جنازة الارض المقدسة»(١١٣).

المراجع :

١ ـ بين اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** كراس يتضمن أسماء اعضاء الفتاة وتاريخ انتسابهم منذ ١٩٠٩ الى ١٩٢٠ ويتبين منه ان نسبة تمثيل الفلسطينيين كانت عالية .

٢ ـ **انطونيوس (جورج)** ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الاسد ، احسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ ص ٢٤٣ .

تمتد الحدود من خط مرسين واضنه شمالا الى حدود ايران وخليج العرب شرقا ثم المحيط الهندي باستثناء عدن جنوبا والبحر الاحمر والمتوسط غربا .

٣ ـ استثنت التحفظات المناطق التركية والمناطق التي عقدت بريطانية مع زعمائها معاهدات في الجزيرة والمناطق التي لفرنسة مصالح خاصة غربي مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب ، واحتفظت بريطانية لنفسها بحق اقامة نظام اداري خاص في ولايتي البصرة وبغداد . انظر : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ، الجامعة العربية ، ادارة فلسطين ١٩٥٧ ، ص ٣٩ ـ ٤٢ .

٤ ـ تشكلت في القدس اثر الاحتلال البريطاني لجنة خاصة لارسال المتطوعين الى قوات الثورة العربية عرفت باسم **Arab Recruiting Committee** **F. O. 371/3409/143493.**

٥ ـ كان الجيش البريطاني في اثناء تقدمه يوزع منشورات تعد بتحرير العرب انظر :
Tibawi, **Syria in War Time, Islamic Quarterly, Jan. 1968 p. 35.**
نقلا عن : **Cmd. 3530 (Shaw Report) 1930, pp. 126-27.**

٦ ـ برقية من وزارة الخارجية الى وينجيت رقم ١٠٢٢ بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ **F. O. 371/3054.**

٧ ـ برقية من وينجيت الى الخارجية رقم ١٢٨١ في ١٩١٧/١١/٢٨ **F. O. 371/3054.**

٨ ـ حول وقف عدد من مجلة الكوكب ٢٥ يونيو ١٩١٨ **F. O. 371/3388/120738/1495.**

٩ ـ **F. O. 371/3395/88469.**

١٠ ـ حول خطاب ايزمان في القدس في مأدبة اقامها حاكم القدس العسكري رونالد ستورز حضرها عدد من اعيان المدينة **F. O. 371/3395/98470/11053.**

١١ ـ سجل الضابط **Joyce** الذي كان يترجم الاجتماع في مقال في **Arab Bulletin June 18, 1918**

١٢ ـ اهم هذه التصريحات : التصريح الى السبعة ١٦ يونيو ١٩١٨ . والتصريح المشترك ٧ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٨ الذي يؤكد على مبادىء ويلسون الاربعة عشر بحق الشعوب في تقرير مصيرها .

١٣ ـ **Zeine, Z. The Struggle for Arab Independence, western diplomacy and the rise and fall of Faisal's Kingdom in Syria, Beirut 1960.**

١٤ ـ من بين هذه الاسماء عيسى العيسى رئيس ديوان الامارة ، عوني عبد الهادي امين السر السياسي ، احمد قدري طبيب الامير الخاص ، صبحي الخضراء ومحمد علي التميمي (الامن العام) الشيخ سعيد الكرمي (عضو المجمع العلمي) ، وكان بين اساتذة معهد الحقوق القومي التسعة عشر اربعة اساتذة من فلسطين بينهم عبد اللطيف صلاح مدير المعهد .

١٥ ـ **مجلة الكوكب** (القاهرة) ١٢ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٨ .

١٦ ـ المصدر نفسه ٢٦ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٨ .

١٧ ـ *Newton*, F. Fifty Years in Palestine, London 1948 p. 133.

١٨ ـ *Wavell*, A. Allenby, Soldier and Statesman, London 1946 pp. 261-262.

١٩ ـ *Esco* Foundation for Palestine, Palestine — Study of Jewish, Arab and British Policies, vol. I Yale University press 1947-1948, p. 127.

٢٠ ـ *Tibawi*, A. Syria from the Peace Conference to the Fall of Damascus, Islamic Quarterly, vol. XI, July-December 1967 p. 99.

٢١ ـ *F. O. 371/3395/182887/11053.* وقد بعث الجنرال كلايتون الى الخارجية برقية في ٥ ديسمبر ١٩١٨ رقم ٢١٣ ذكر فيها ما اثاره نشر هذه المطالب من التخوف وعدم الثقة بين السكان (غير اليهود) في فلسطين انظر : F.O. 371/3885/201968/747.

٢٢ ـ *Newton*, op. cit., p. 127.

٢٣ ـ كان من خطة العربية الفتاة ان ترسل وفدا منتخبا من المناطق السورية المختلفة ، وقد وجدت بين اوراق المرحوم **محب الدين الخطيب** محضر الجلسة الثانية للهيئة المركزية للفتاة في دمشق في ١٩١٨/١٢/٢٢ وفيها « تقرر ذهاب الشباب الفلسطينيين الى بلادهم للقيام بانتخاب الوفد المنوي ارساله الى اوربة » .

٢٤ ـ **محمد عزة دروزة** ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج ١ صيدا ١٩٥٩ طبعة ثانية ص ٣٥ـ٣٦ . كان المؤتمر برئاسة عارف الدجاني وسكرتيرية عزة دروزة .

٢٥ ـ *Tibawi*, Islamic Quarterly, July-Dec. 1967. op. cit., p. 82.

٢٦ ـ *Baker, R. S.*, Woodrow Wilson and World Settlement. London 1923, vol. I p. 12.

٢٧ ـ *Weizmann*, Ch., Trial and Error, London 1949.

٢٨ ـ *Jeffries*, J. Palestine, The Reality, London 1936, p. 243.

٢٩ ـ *Cumming*, H, Franco-British Rivarly in the Post-War Near East. The decline of French influence, 1914-1923, p. 60.

٣٠ ـ *Tibawi*, Islamic Quarterly July-Dec. 1967 op. cit., p. 79.

٣١ ـ من تقرير لضابط الارتباط البريطاني في دمشق (كورنوالس) حول حديث ادلى به فيصل في ٢٥ سبتمبر ١٩١٩ . *Documents* on British Foreign Policy vol. IV, pp. 421-422.

٣٢ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 249. وقد ذكر لي المرحوم عوني عبد الهادي في صيف ١٩٦٨ « وكان احد اعضاء الوفد العربي » : ان موقف الوفد العربي اصبح حرجا فاما ان يغادر اوروبة او يقبل بمساعدة انكلتره للمسألة العربية .

٣٣ ـ انطونيوس ص ٥٩٢ ـ ٥٩٤ .

ومن الملاحظ انه في كتاب *Weizmann*, Trial and Error p. 308 لم ترد الا المادتان الثالثة والرابعة من الاتفاقية ولم ينشر لا وايزمان ولا اي مصدر صهيوني آخر الى هذه الاتفاقية امام مؤتمر السلم ولا امام لجنة شو ١٩٢٩ حتى نشرها وايزمان في التايمس Times في ١٩٣٦/٦/١٠ ووردت في تقرير اللجنة الملكية ١٩٣٧ وكانت نسخة من الاتفاقية (بدون شرط فيصل) قد قدمت الى D.H. Miller عضو الوفد الامريكي لمباحثات السلم كوثيقة رسمية ضمها الى مجموعته :

My Diary of the Conference of Paris with Documents: vol. I, New York 1924. p. 67.

٣٤ ـ **انطونيوس** ص ٥٩٢ ، وقد ذكر المؤلف انه ترجمه عن صورة فوتوغرافية عن الاصل (ولم يذكر اين وجد الاصل) .

٣٥ ـ Jeffries op. cit., p. 249.

٣٦ ـ في مقابلة اخرى مع **المرحوم عوني عبد الهادي** ذكر ان « حقيقة لورنس بدأت تتكشف لفيصل بعد حادثة جرت في لندن حين دعت سيدة انكليزية اسمها مسز بروك لحضور ندوة تقام في بيتها يحضرها عدد من اعضاء الوفد الحجازي وبعض رجالات الانكليز للاحتجاج على وعد بلفور وما يعرضه من اخطار لمصالح بريطانية السياسية والاقتصادية في بلاد الشرق ، وقد استقبلتني مسز بروك والدموع تترقرق في عينها

واطلعتني على الرسالة التي بعث بها اليها لورنس واعتذر عن حضور الندوة لاعتقاده انها في غير مصلحة البـــلاد » .

٣٧ ـ حول نص الرسالة انظر : *Weizmann*, op. cit., p. 306.
Jeffries, op. cit., p. 256-257.
Esco, op. cit., p. 142.

٣٨ ـ أثير موضوع هذه الرسالة في احدى جلسات لجنة شو ١٩٢٩ اذ عرض المحامي اليهودي فريمان على اللجنة نسخة مكتوبة وموقعة بالانجليزية من هذه الرسالة المزعومة ليقول ان اليهود لم يحضروا لفلسطين الا بعد موافقة زعماء العرب وطلبت هنا (أي **عوني عبد الهادي**) بوصفي محامي العرب لدى اللجنة ان يبرز المحامي النسخة الاصليــة للرسالة ان كان لها وجود . وارسلت برقية الى فيصل لسؤاله عن صحة ادعاء فريمان فتلقيت برقية من رستم حيدر رئيس ديوان جلالته يقول : « ان جلالته لا يـــذكر شيئا من هـــذه الرسالــة .. »

٣٩ ـ مقابلة مع المرحوم عوني عبد الهادي .

٤٠ ـ *Zeine*, Z., op. cit., Appendex C. pp. 248-51.

٤١ ـ **انطونيوس** ، المصدر السابق ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

٤٢ ـ وقد اتخذت المذكرة الاولى دليلا على ارتباط فيصل ببريطانية ومعرفته خططهم في فلسطين ، وقد وجدت بين مجمــوعة اوراق عوني وثيقة من اوراق الوفد الحجازي في مؤتمر السلم تلخص القسم الاول من المذكرة حول حق الاجزاء العربية بالاستقلال والوحدة ولكنها لا تتعرض للقسم الثاني الذي يعين مصير كل جزء على حدة ، وهذا ما دعى المرحوم عوني عبد الهادي الى أن ينفي وجود مذكرة ١٩١٩/١/١ كلها ولا يقبل الا بمذكرة ١/٢٩ التي تطالب بالاستقلال الكلي للمنطقة ومن ضمنها العراق وفلسطين التي طلبت مذكرة ١٩١٩/١/١ وصاية عليهما ، وكما روى لي ان للورنس دورا فيها لارضاء الصهيونية ، وخاصة ان لورنس كان يترجم خطاب فيصل ولم يكن احد من اعضاء الوفد العربي يعرف الانجليزية كما لم يكن احد من اعضاء المؤتمر يعرف العربية غير لورنس .

٤٣ ـ ترى هذه النقطة أن حل كل مسألة سواء كانت تتعلق بالارض او السيادة او المسائل الاقتصادية ، والسياسية يجب ان يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولا حرا لاعلى المصالح المادية او لفائدة اي دولة او امة اخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجي او لسيادتها .

٤٤ ـ حول نص المذكرة انظر :
Hurewitz, J. Diplomacy in the Near and Middle East vol. II pp. 45-50.
من الملاحظ ان الحدود المقترحة تمتد من جنوب صيدا وحتى منحدرات جبل الشيخ ثم الى خط يقع غربي الخط الحجازي ويوازيه وينتهي بخليج العقبة .

٤٥ ـ *Weizmann*, op. cit., pp. 305-306

٤٦ ـ *Howard*, H., An American Experiment in Peace Making, the King Crane Commission. Moslem World. Vol. 32. April 1942, p. 126.

٤٧ ـ *Ibid*, p. 144.

٤٨ ـ *Tibawi*, Islamic Quarterly, July-Dec. 1967, op. cit., p. 87.

٤٩ ـ حول اعمــال لجنة كنغ كرين انظر كتاب :
Howard, H., The King-Crane Commission (An American Inquiry into the Middle East) Beirut 1963.

٥٠ ـ **مجلة المنار** (القاهرة) ج ٥ مجلد ٢٣ ، ٢٧ مايو ١٩٢٢ ، ص ٣٩ .

٥١ ـ الاعضاء الفلسطينيون في المؤتمر السوري هم : عزة دروزة ، امين التميمي ، رفيق التميمي ، عادل زعيتر ، ابراهيم عبد الهادي ، الدكتور احمد قدري ، معين الماضي ، صلاح الدين الحاج يوسف ، سليم عبد الرحمن ، يوسف العيسى ، عبد الرحمن الخولي ، ابراهيم العلي ، رشيد الحاج ابراهيم ، حسين الزعبي ، علي مهدي . انظر : **يوسف الحكيم** ، سورية في العهد الفيصلي بيروت ١٩٦٦ ص ٩٣ .

٥٢ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 292.

٥٣ ـ حول نص قرارات المؤتمر السوري انظر : **انطونيوس** المصدر السابق ص ٥٩٦ ـ ٥٩٩

٥٤ ـ **الشهابي ، مصطفى** ، القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١٢٥ .

٥٥ ـ وثيقة من اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** تحت عنوان « سؤال وجواب اللجنة في فلسطين » .

٥٦ ـ **المصدر السابق** .

٥٧ ـ **الوثيقة السابقة** من اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** .

٥٨ ـ *Howard,* Moslem World, op. cit., p. 134.

٥٩ ـ Woodward and Butler (ed). *Documents* on British Foreign Policy, 1919-1939, Ist. Series. vol. IV, pp. 315-316.

٦٠ ـ حول توصيات اللجنة انظر : *Hurewitz,* op. cit., vol. II, pp. 66-74.
و **انطونيوس** ، يقظة العرب ، المصدر السابق ملحق ح ص ٦٠٠ ـ ٦١٦ .

٦١ ـ *Howard,* Moslem World, op. cit , pp. 141-152.

ويذكر Howard في كتابه The King Crane Commission op. cit., p. 320. ان التطورات في فلسطين بعد ١٩١٩ تبرر هذه التوصيات فقد اصبحت فلسطين ارض صراع بين القومية العربية والصهيونية والامبريالية الانجليزية .

٦٢ ـ **انطونيوس** المصدر السابق ٦٠٦ ـ ٦١٠ ملحق ح .

٦٣ ـ انظر كتاب : *Baker,* op. cit., vol. II ch. XXI.

٦٤ ـ *Esco,* op. cit., pp. 212-213.

٦٥ ـ يذكر *W. Yale* في كتابه The Near East, A Modern History, University of Michigan Press, 1958, p. 337.

« ان العرب قد عرفوا بذكائهم انه ليس للجنة امنية منحهم الاستقلال وعندما سأل كرين وجهاء الخليل عن الدولة المنتدبة التي يطلبونها ، اجابوا بذكاء « ان كل الحكومات سيئة » ، وبعد ان فهموا عدم جدوى احتجاجهم غادروا المكان بعد ان ابلغوا اعضاء اللجنة بانه اذا اصر المؤتمر على فرض حاكم عليهم « فهل للجنة ان تتفضل وتبلغ الرئيس ويلسون اننا نفضل الله » .

٦٦ ـ *F. O. 371/4182/180392.*

٦٧ ـ *Documents* on British Foreign Policy, vol. IV op. cit., p. 290.

٦٨ ـ *F. O. 371/4182.*

٦٩ ـ *Documents* op. cit., pp. 340-346.

٧٠ ـ *Zeine, Z.* op. cit., Appendex 6, pp. 260-62.

٧١ ـ *Documents,* op. cit., p. 371.

٧٢ ـ *Documents,* op. cit., pp. 421-422.

٧٣ ـ *Esco,* op. cit., p. 203 and Jeffries, op. cit., p. 306.

وكانت جريدة العاصمة قد اشارت الى التصريح عدد (٦٦) ١٣/١٠/١٩١٩ .

٧٤ ـ حول النص الكامل للرسالة انظر : *Jeffries,* op. cit., p. 308 and *Esco,* op. cit., p. 204.

وقد نفى **المرحوم عوني عبد الهادي** (سكرتير فيصل حينذاك) صحة هذه الرسالة واثبتت انها موضوعة من قبل الصهيونيين ودليله على ذلك ان أحد اعضاء المنظمة الصهيونية (لا يذكر اسمه) كان قد تقرب الى فيصل في لندن وقدم له نسخة عن تقرير يرجون سموه ان يصدره تصحيحا لما اورده في صحيفة (الجويش كرونيكل) وقد اطلعت على مسودة هذا التقرير بين اوراق المرحوم عوني عبد الهادي وقد كتب عليه التعليق التالي : « اعطى الكتاب الى عوني ووضعه بين الاوراق المهملة ولم يطلع عليه فيصل ... لم يلتفت اليه » اما التقرير فهو على النحو التالي : « سمو الامير فيصل

يا صاحب السمو

اتشرف بان اعرض لكم مسودة تقرير على النحو الذي اشرتم اليه امس في محادثتكم مع مستر هربرت صموئيل وبالنظر للوقت الطويل الذي مر على صدور حديث مقابلة « جويش كرونيكل » اليهودي وسوء المفهومية الناتجة عن عدم وجود تفصيل كاف عن الظروف التي وقعت فيها هذه المقابلة فمن الاهمية الكبرى

ان يصدر ايضاحا سريعا عنها نرجو امكان اعطاء قرار الى روتر في هذا المساء واذا اردتم ان تخاطبوني اليوم فليكن ذلك الى مركزنا في ٧٧ كرويت وسل ستريت بكل احترام واعتبار اتشرف ان ابقى خادم سموكم المطيع » .

صورة التقرير :

استقبل سمو الامير فيصل ممثلي الهيئة الصهيونية التي ذكرت له بعض الملاحظات عن الصهيونية وفلسطين المنسوبة اليه في حيز المقابلة المنشورة في جويش كرونيكل في ٣ اكتوبر ١٩١٩ وهو قد فوض (بنشر) القرار الاتي :

انا مسرور بالفرصة التي خولت زيارة ممثلي الهيئة الصهيونية لي لاصلاح خبر مكدر . افهم ان السؤالات الموجهة الي في المقابلة المنشورة في جويش كرونيكل كانت عن موقفي تجاه تأسيس مملكة يهودية في فلسطين حالا فانا صرحت اني لا اوافق هذا الطلب والحقيقة ان مثل هذا الطلب لم يوجه من قبل الدكتور وايزمان ولا من قبل ... » . انتهى .

٧٥ — *Jeffries*, op. cit., p. 308.

٧٦ — *Documents*, op. cit., pp. 624-626.

٧٧ — *Documents*, op. cit., p. 360. وذكر لي **المرحوم عوني عبد الهادي** انه في اثناء مباحثات فيصل مع **بيشون** (وزير الخارجية الفرنسي) قال **بيشون** لماذا لا تطالب ولا مرة بفلسطين كما تطالب بسورية فقال له اني كل مرة اطالب بها بسورية أجد من يردد صوتي في المطالبة فلو كنتم انتم تدعموني بالمطالبة في فلسطين لما ترددت في ذلك ... انا مستعد الان ان اصرح واطالب بملء صوتي بفلسطين لو كنت اضمن انكم تؤيدوني .

٧٨ — كانت اخبار المعارضة قد وصلت الى فيصل وهو لا يزال في اوروبة ، وقد سارت في دمشق مظاهرة سلمية تقدمت باحتجاج الى دار الامارة ومعتمدي الدول ووزارة الخارجية ضد كل تسوية « تقضي بتجزئة بلادنا وحرمانها من استقلالها وجعل جنوبها موطنا لليهود ... » **العاصمة** عدد ٧٤ في ١٩١٩/١١/١١ .

٧٩ — النص الكامل بالانجليزية بين مجموعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** .

٨٠ — **السفري ، عيسى** ، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ ص ٣٤ .

٨١ — **المصدر نفسه** ص ٣٤

٨٢ — **الحصري ، ساطع** ، يوم ميسلون ، بيروت — طبعة اخيرة ، ص ٢٧٨ — ٢٨١ .

٨٣ — **مقابلة شخصية مع السيد عزة دروزه**

٨٤ — *Jeffries*, op. cit., p. 325.

٨٥ — جريدة **العاصمة** (دمشق) عدد ١١١ ٢٢ اذار ١٩٢٠ نقلا عن جريدة (سورية الجنوبية)

٨٦ — ورد في جريدة **الدفاع (الدمشقية)** عدد ٥٠ ، ٩ مارس ١٩٢٠ ، « ارسلت برقيات من جمعيات صهيونية الى اوروبة تذكر بان كل ما ظهر من مظاهرات انما هو عمل شرذمة قليلة من ارباب الغايات وطلاب الوظائف » .

٨٧ — *Young*, H., The Independent Arab, London 1933. p. 305.

٨٨ — **العاصمة** عدد ١٠٩ ١٥ مارس اذار ١٩٢٠

٨٩ — *Jeffries*, op. cit., p. 323-24.

٩٠ — في جريدة **الدفاع الدمشقية** عدد (٦٥) ١٩٢٠/٣/٢٨ مقال حول التخوف من الهجرة الصهيونية الى فلسطين ثم اخبار مظاهرات اظهر الوطنيون فيها استياءهم من الهجرة .

٩١ — بين مجموعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط فيصل كتبها الى اللنبي يذكر فيها الصداقة الشخصية « التي تمنعني واياكم ان تتصدر سحب السلاح ضد بعض .. لا يوجد في العرب نية عدائية ضد اي حكومة كانت وبالاخص الحكومة البريطانية وجيشها » .

٩٢ — **داغر ، اسعد** مذكراتي على هامش القضية العربية ، **القاهرة** ١٩٥٩ ، ص ١٢٩ .

وقد وجدت بين اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** اقتراح من فلسطين (دون توقيع) الى اللجنة الوطنية العليا التي كانت تتولى تدريب المتطوعين في دمشق وارسالهم الى مناطق الحدود من اجل اشراك

الفلسطينيين بالحركة الوطنية مع بيان اسمــاء زعماء البلاد وامراء العربان .

٩٣ ـ جريدة **الدفاع الدمشقية** عدد ٥٠ ٩ مارس ١٩٢٠

٩٤ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 321. وقد وصف المؤلف بعض هذه الاحداث في اثناء رحلته الى دمشق قادما من مصر لمتابعة الاحداث التي تلت اعلان الملكيــة .

٩٥ ـ **الدفاع الدمشقيــة** عدد ٩٥ ١٩٢٠/٥/٤

٩٦ ـ **المصدر نفسه** عدد ٩١ ١٩٢٠/٤/٢٩

٩٧ ـ يقال ان اول من أوجد هذا الاحتفال صــلاح الدين الايوبي وهـــو يتطابق مــع الفصـــح المسيحـي واحيانا يتطابق مع الفصح اليهودي ، وكان هذا الاحتفال يجلب منذ العهد العثماني جماهير كثيرة من القرى المجاورة خاصة من الخليل ونابلس ومعها الرايات وهي تنشد الاناشيــد القومية . وقد ذكر الاستاذ اكـــرم زعيتر في رسالة شخصية انه تبين له بعد التحري ان الظاهر بيبرس هو اول من اوجد هذا الاحتفال.

٩٨ ـ *Newton*, op. cit., p. 133. وقد ورد في **العاصمة** عدد ١١٦، ١٢ نيسـان ابريل ١٩٢٠ عن حادثة القدس ان احد الصهيونيين تعرض للعلم الســوري وصورة صاحب الجلالة اللذين كان يحملهما زوار الخليل اثناء مجيئهم الى القدس فنشأت فتنة تكررت في اليوم الثاني حين اطلق صهيوني آخر رصاصا على جنازة احد الشهداء ...

٩٩ ـ *Times*, History of the War, vol. XXI, p. 448-49. قدرت الاصابات بـ ٥ قتلى و ٢١١ جريحا يهوديا و ٤ قتلى و ٢٢ جريحا عربيا .

١٠٠ ـ **صايغ ، انيس** ، الهاشميون وقضية فلسطين ، ص ٥٢ .

١٠١ ـ من مجموعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط الملك فيصل .

١٠٢ ـ من مجمــوعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط الملك فيصل .

١٠٣ ـ الوثيقــة الســابقــة .

١٠٤ ـ *Esco*. op. cit., p. 148.

١٠٥ ـ *Documents* on British Policy, Ist. Series vol. 13. London 1963. Edited by Butler a Bury. Document no. 442.

١٠٦ ـ بين مجمــوعة اوراق**المرحوم عوني عبد الهادي** نسخة عــن هذه الرسالة باللغة الانجليزية وقد وجدت مسودة بخط الملك فيصل لجزء من هذه الرسالة باللغة العربية على النحو التالي :

« ... اما مسألة جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فاني لم اتعهد ابدا به لا كتابة ولا شفاهة وكل ما تعهدت به واتعهــد به اليوم ايضا هو ان حقوق اليهود تبقى محفوظة في بلادنا كما كانت في الماضي بمعنى انــنــا نحافظ عليهم محافظتنا على العرب الوطنيين ويكون لهم من الحقوق والوظائف ما يكون للوطنيين فيها ... اني اريــد قبل كل شيء ان يصرح لي بصورة مطبقة ان المؤتمر لا يريد ان يفصل بيــن فلسطين وسوريـــة ويقطع ما بينهمـــا من الروابط ... »

وقد وجدت في هذه المجموعة ايضا مسودة اقتراح ارسله فيصل الى الحكومة البريطانية بتأسيس حكومة عربية في فلسطين وان تقبل الحكومة البريطانية .

١٠٧ ـ من مجمــوعة **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط فيصل .

١٠٨ ـ الدقيقــة الســابعــة .

١٠٩ ـ **العاصمة** عدد ١٣٦ ١ تموز ١٩٢٠

١١٠ ـ **الكنانة الدمشقية** عدد ٢٩٦ ، ١٩٢٠/٦/٣٠

١١١ ـ **الكنانة الدمشقية** عدد ٢٩١ ، ١٩٢٠/٦/٢٣ ، **الدفاع الدمشقية** عدد ١٣٦ ، ٢٥ يونيو ١٩٢٠ .

وقد ذكر لي السيد **عزة دروزه** وكان من جملة من قابلهم كالفارسكي « انه لم يستطع ان يؤثر فينا .. حتى لقد فكر البعض باغتياله وكلنا وجدناه لا يستحق العناية » .

١١٢ ـ **الدفاع الدمشقية** عدد ١٥١ ١٩٢٠/٧/١٣

١١٣ ـ **المصدر نفســه** .

سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة

احمد خليفة

في حزيران من العام ١٩٧٠ ، ربما بمناسبة الذكرى الثالثة لاحتلال المناطق الجديدة ، صدر عن وزارة الدفاع الاسرائيلية تقرير شامل مطول عن نشاطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة . الذي أعد التقرير هو البريغادير جنرال شلومو غازيت ، المنسق الرئيسي لعمليات الحكومة في المناطق المحتلة ، ويحتوي على المبادىء الموجهة لسياسة الحكومة ، وعلى معلومات وافرة عن البنية الادارية للحكم العسكري والنشاطات الاقتصادية والخدمات العامة المقدمة للسكان ... كما يحتوي على احصاءات عامة وجداول احصائية متنوعة ذات دلالات اقتصادية واجتماعية وسياسية بالغة الاهمية(١). ان دراسة مادة التقرير ، ودراسة آخر التطورات على صعيدي حركة الاستيطان وقمع المقاومة المسلحة والسياسية للاحتلال ، تظهر بوضوح ان السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق المحتلة قد اصبحت محددة ومبلورة ، وان خطوات كبيرة قد قطعت على صعيد فرض الوقائع الجديدة، ودمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي، باتجاه ابتلاع المناطق وضمها الى اسرائيل . كما تظهر الدراسة ايضا ان الاراء التي سادت بالمحصلة فيما يتعلق بالسياسات الواجب اتباعها تجاه المناطق كانت مزيجا من آراء الون نائب رئيسة الحكومة وموشيه دايان وزير الدفاع ، مع بعض التحفظات التي فرضتها حقائق الوضع الدولي وآراء ساسة معتدلين نسبيا كآبا ايبان وزير الخارجية ، وبنحاس سابير وزير المالية والمرشح الاقوى لخلافة رئيسة الحكومة .

— ١ —

ان المناطق المحتلة لم تطرح على اسرائيل المشاكل التي تطرحها عادة منطقة محتلة على سلطة احتلال فحسب ، وانما ايضا ايقظت فيها احلام الحركة الصهيونية القديمة فيما يتعلق بأرض اسرائيل الكبرى . يقول دايان فيما يشبه الكشف الذاتي ملخصا مشاعر الصهيونيين تجاه نتائج الحملة العسكرية الكبيرة الثالثة منذ بدء الغزو الاستيطاني الصهيوني للارض العربية منطلقا من فلسطين :

لمدة عشرين عاما ، من حرب التحرير (حرب الاغتصاب : ١٩٤٨*) وحتى حرب الايام الستة، عشنا الشعور بأننا نحيا في القمة ، نتنفس هواء صافيا . قاتلنا حتى وصلنا القمة ، واكتفينا بما حصلناه ... ولكن بالنسبة لمشتهاتنا ، بيننا وبين انفسنا ، لم نكن في الحقيقة سعداء او مكتفين ، ولكننا قبلنا على انفسنا ان ايلات هي حدنا الجنوبي ، وان عرض دولة اسرائيل هو المدى بين تلقيلية والبحر البالغ اقل من عشرين كيلومترا ، وان القدس القديمة خارج الحدود ، وان هذه هي الدولة وعشنا فيها . وفي حياة الواقع اليومية عقدنا سلمنا الخاص مع كل هذا .

ان مصدر الهزة الكبيرة التي نحياها اليوم ... كامن في ادراكنا للحقيقة باننا كنا مخطئين ، وعلينا ان نعترف لانفسنا بذلك.حسبنا اننا بلغنا القمةولكن اتضح لنا اننا ما زلنا في مراقي الجبل . القمة أعلى : ايلات لن تكون حدنا الجنوبي وانما شرم الشيخ ، وليست متوله (المطله) حدنا الشمالي وانما القنيطرة . وغزه ستكون جزءا من اسرائيل، والحد الغربي مكانا ما في سيناء . هذه قمة جديدة ...

هذه خلق خريطة جديدة ، خلق حدود جديدة ، خلق اسرائيل جديدة(٢).

الخريطة والحمائم

ان فكرة خلق خريطة جديدة لاسرائيل فكرة تستحوذ

على تفكير وزير الدفاع الاسرائيلي . انه يحدد «خلق خريطة جديدة لاسرائيل » كهدف أساسي من أهداف الجيل الاسرائيلي الراهن . يقول في خطبة القاها امام طلبة الجامعة العبرية في القدس الجديدة : « ان هدف جيلنا هو ... تقرير خريطة ارض اسرائيل . ليس مرة اخرى خريطة رمزية (كخريطة عام ١٩٤٨) ، وليس فقط استقلالا سياسيا ، وانما التقرير الجذري لخريطة ارض اسرائيل ، خريطة المناطق ، خريطة الامن ، وخريطة شكل العلاقات على الحدود بيننا وبين جيراننا(٣). وهو يرى ان جوهر ما حدث في عام ١٩٤٨ على صعيد تحقق اهداف الحركة الصهيونية كان مجرد حصول الشعب اليهودي على الاستقلال السياسي . وان هذا الاستقلال كان الروح ، وان الجسد الذي الحق به — الحدود ، المناطق — كان كافيا فقط، من الناحية الكمية ، لمجرد البقاء على قيد الحياة . وجاءت حرب حزيران لتفسح المجال لخلق جسد جديد وحدود جديدة . وردا على اولئك الذين يتساءلون، داخل اسرائيل ، عن مصير الشعب الفلسطيني وحقوقه في حالةخلق الجسد والحدود المطلوبة ، يقول دايان بايجاز : « لا اعتقد ان هدف جيلنا هو اعطاء اختيارات مفتوحة للعرب ... ان المهمة الملقاة على عاتقنا في هذا الجيل هي اعطاء الحلول الصحيحة لارض اسرائيل»* انه يطلب من اسرائيل ان تحدد مصالحها الاساسية اولا ، ومن ثم تترك للسكان العرب التصرف بما لا يتناقض مع تلك المصالح(٤).

اما بالنسبة لمساحة الخريطة ، او بعبارة اخرى مكان الحدود الجديدة ، فان دايان يبقى غامضا بشأنها . انه يضع التأكيد في تصريحاته وخطبه على العمل لخلق وقائع جديدة :

هناك خلافات في الرأي حول خريطة المستقبل لدولة اسرائيل ، وانما في رأيي لا ضرورة لان يكون هناك خلاف في الرأي حول النقطة التالية : في الاماكن التي لا نريد الانسحاب منها ، وهي جزء من الخريطة الاقليمية الجديدة لدولة اسرائيل ، علينا ان نخلق وقائع جديدة : ان نقيم مستوطنات — مدن ، ومستوطنات زراعية وصناعية ، وقواعد عسكرية . وهكذا تتشكل خريطة جديدة ، ليس بيوم واحد او بشهر واحد ... ولكن تتشكل(٥).

ان الخلافات في الرأي التي يشير اليها دايان بين اعضاء الحكومة الاسرائيلية نبعت من اعتبارات ثلاثة اولها الخلاف في الرأي حول احتمالات تحقق السلام بين العرب واسرائيل والخشية من ان تنسف خريطة اكبر من اللازم هذه الاحتمالات . وثانيها الخشية على الطابع اليهودي للدولة من الزوال في المستقبل نتيجة لتفوق نسبة التزايد لدى السكان العرب على مثيلتها لدى اليهود(٦). وثالثها عوامل الضغط الدولي . ان فريق « الحمائم » في الحكومة الاسرائيلية ، وأبرز عناصره ابيان وسابير وممثلو حزب المابام ، بدا ميالا للتخلي عن مساحات اكبر من الاراضي المحتلة حديثا مقابل سلم حقيقي ، وعارض مبدأ الاستيطان الواسع او تقرير خريطة محددة لاسرائيل قبل استنفاد فرص السلام . واظهر انه « يكتفي » بالجولان وقطاع غزة وشرم الشيخ اضافات للخريطة ويترك الضفة الغربية وصحراء سيناء مجالا قابلا للاخذ والرد في مباحثات مقبلة . بينما طالب فريق « الصقور » بالمقابل ، وأبرز عناصره في الحكومة دايان وألون(٧) ، باستيطان الضفة الغربية ، اضافة للجولان وغزه واجزاء من سيناء ، استيطانا حثيثا وعلى نطاق واسع ، واعيا بأن استيطانا كهذا فقط يمكن أن يكبل يدي الحكومة في اية مفاوضات قادمة ويستدعي بالضرورة اضافات اقليمية للخريطة(٨). ان فريق الصقور كان يخشى كما يبدو من ان تؤدي عوامل معينة الى ازدياد الضغط على اسرائيل لكي تنسحب من معظم المناطق ، ومن ان يغير فريق « الحمائم » والرأي العام الاسرائيلي تحت الضغط موقفه في اللحظة الاخيرة من مسألة احداث « تغيير جذري في خريطة اسرائيل » ، ومن هنا وضع تشديده على ضرورة خلق وقائع جديدة « لا تكبل فقط ايدينا وانما ايضا يدي الطرف الاخر ويدي الواقع »(٩) معتبرا انه هنا يكمن جوهر القضية . وقد اصبح واضحا الان، بعد مرور ثلاث سنوات ونصف على الاحتلال، أن الفريق الذي سادت وجهة نظره كان فريق الصقور ، وان مجمل تأثير آراء الحمائم كان ابطاء سير عملية الاستيطان ، لا الغاءها . وقد تكرس سقوط وجهة نظر الحمائم نهائيا بموافقة لجنة الامن والخارجية التابعة للكنيست في ايار من هذا العام على سياسة الحكومة بشأن اقامة (٢٥٠) مسكنا يهوديا في الخليل وبشأن اقامة مدينة في الضواحي الشرقية لمدينة الخليل(١٠). اذ مثلت هذه الخطوة نقلة في التفكير الاسرائيلي بشأن الاستيطان من مرحلة المستوطنات الزراعية والدفاعية الى مرحلة المستوطن — المدينة ، وهي مرحلة (مستثنيا القدس)(١١) كان فريق الحمائم قد نجح في تأخيرها

حتى لحظة اتخاذ الحكومة قرارا بهذا الشأن في آذار من عام ١٩٧٠ .

وقائع الصقور الجديدة ـــ آلون

ان عبارة « خلق وقائع جديدة » من العبارات التي يكثر فريق الصقور في اسرائيل مـــن استخدامها . والوقائع الجديدة لا تتمثل فقط في الاستيطان، وانما ايضا في الدمج الاقتصادي التدريجي ، وفي انشاء القواعد والمراكز العسكرية ، وفي توسيع شبكة الطرق وتحسينها .

ان نظرة ايغال آلون بالنسبة للاستيطان تختلف عن نظرة دايان ، وان كانت المحصلة العملية للنظرتين في النهاية واحـــدة . ان آلون يضـــع التأكيد في الاستيطان على الجانب الامني بالمعنى « السياسي ـــ العسكري » له ، وان كان طـــرأ تحول على تفكيره بالنسبة لهذه المسألة مؤخرا . ولكن قبل ان نتكلم بشيء من التفصيل عن النظرتين يجدر بنا ان نشير الى ان الجـــدل الاساسي حول الاستيطان والدمج الاقتصادي كان يمس الوضع فـــي الضفة الغربية ، وربما غزة ، وليس الجولان بالتأكيد . ان الجولان اعتبرت جزءا مـــن اسرائيل ، فالغي العمل بالقانون السوري والعملة السورية واحل محلهما القانون والعملة الاسرائيلية . وتظهر الارقام المتعلقة ببناء المستوطنات ، ما تم انشاؤه حتى الان وما هو تحت الانشاء ، ان الاستيطان في الجولان كان يسير بسرعة حثيثة ، كمـــا تظهر المخططات الموضوعـــة لتطوير الاستيطان ومصـــادر المياه والزراعة في الهضبة انه لم يكن هنـــاك ثمة خلاف كبير داخل الحكومة الاسرائيلية حول هذا الموضوع. فمن أصل (٢٢) مستوطنة كانت قد تمت اقامتها حتى شهر آذار من عـــام ١٩٧٠ ، تقع (١٠) مستوطنات داخل تخوم هضبة الجولان ، وتتوزع الباقية كالتالي : (٥) في غور الاردن ، و(٣) في شمال سينـــاء ، و(٢) في غوش عتسيون بين القدس والخليل، وواحدة في بيت نوبا (موديعين). ومن اصل (٨) مستعمرات كان العمل جاريا في انشائها حتى ذلك التاريخ تقع (٤) ضمن تخوم الهضبة ، مقابل واحدة في غور الاردن ، واثنتان في مدخل رفح وواحدة في غوش عتسيون(١٢). ونشرت جريدة هآرتس الرصينة في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٦/١ انه قد تمت الموافقة على برنامج خماسي لتطوير مستعمـــرات هضبـــة الجولان وتثبيتهـــا اقتصاديا ، وان المتحدث بلسان وزارة الزراعة صرح بأن مبلغ (١٧٠) مليون ليرة اسرائيلية مطلوب لتنفيذ هذا المخطط لاستثمارهـــا في اعمال مختلفة كاقامة المباني وتطوير الحقول المنتجة . وذكر حاييم جفتي وزير الزراعـــة الاسرائيلي في تصريح نشرته جريدة دافـــار بتاريخ ١٩٧٠/٨/١٧ أن الاولويـــة بالنسبة لتطوير الهضبة ستعطى لتنمية مصادر المياه للتوصل الى (٢٨) مليون كم مربع من المياه في السنة(١٣).

هذا بالنسبة للجولان . ولم يكن الامر كذلك بالنسبة للضفة الغربية . ان التصورات بشأنها ما زالت غامضـــة وان كان هذا لا يعنـــي ان حركة فرض الوقائع الجديدة فيها غير جارية . ان اسرائيل لم تصرح حتى الان بشكل رسمي انهـــا معنية بضم الضفة الغربية ومـــا زال القانون الاردني ساري المفعول والعملة الاردنية معمولا بهـــا . والسبب الرئيسي هو ان الضفة الغربية عامرة بالسكان ومن الصعب جدا ، ضمن الظروف السائدة الان في المنطقة والعالم ، تفريغها من سكانها الفلسطينيين العرب . ان آلون يرى في الضفة الغربية « متسعا أمنيا وطيدا نستطيع بواسطته صد كل اعتداء من الشرق »(١٤).ويصرح بانه مهما كان الحل السياسي للمناطق المأهولة بالسكان في القرى العربية في الضفـــة الغربية فان نهـــر الاردن وغور الاردن وسلسلة الجبال العالية التي تمتد بمحاذاة نهـــر الاردن بما في ذلك الصحراء الواقعـــة بين البحر الميت والخليل يجب ان تبقى كلها بيد اسرائيل(١٥). وقد قدم آلون مشروعا اشتهر بأسمه [illegible] نيه الى اقامة سلسلة من المستوطنات تغلب عليها الصبغة العسكرية في المناطق الا[illegible]راتيجية غير المأهولـــة كثيرا بالسكان [illegible]ـس حزاما أمنيا يمتد على طول نهر الاردن ويساعد اسرائيل على محاربة التسلل الفدائي ومنع دخول أي جيش عربي الى الضفة في المستقبل . ويرى أيلي نيســان ، احد كتاب جريدة دافار ، ان اكبر مزية لمشروع آلون تكمن في مرونته ازاء « الشريك » للتسوية ... فقد اوجد المشروع، في رأيه ، امكانية للتسوية مع المملكة الاردنيـــة ، أو مع كيان فلسطيني يحصل على سيادته ضمن حدود المملكة الهاشميـــة ... كما أوجد امكانية لاقامة منطقة من الحكم الذاتي في المناطق المأهولة من الضفة الغربية(١٦).

من الواضح ان الكاتب المذكور، في اعتباره المشروع منسجما مع الاختيارات المذكورة كلها ، ينطلق من تصوره لفارق كبير موجود بين استيطان آلون الذي تغلب عليـــه الصبغة « الامنيـــة ـــ العسكرية »

واستيطان دايان أو بيجن الذي تغلب عليه الصبغة التوسعية . ولكن البيان الذي ادلى به الون في الكنيست في آذار ١٩٧٠ حول استيطان مدينة الخليل وانشاء مدينة يهودية ملاصقة لها يؤكد ان هذا التصور لم يعد يستند الى اساس قائم بعد .
يقول ألون بالحرف الواحد مخاطبا الكنيست :
ان الروابط التاريخية التي تشد الشعب اليهودي لمدينة الخليل ، والمكانة التي تحتلها كمدينة الاباء ومهد الامة ، أمر معروف للجميع . ان اهمية حافة البحر الميت ، وصحراء يهودا ، وجبل الخليل من الناحية الاستراتيجية ، ليست أيضا خافية عن نظر الحكومة . ولذلك لم يكن من المستغرب ان تقرر الحكومة السابقة استيطان غوش عتسيون ...
ان الحكومة السابقة ، منطلقة من المكانة الخاصة التي تحتلها مدينة الخليل ، وافقت على سكنى مجموعة المستوطنين في مدينة الخليل ... ان اليهود المقيمين هناك مقيمون كأصحاب حق ، مقيمون بمعرفة الحكومة ومساندة الحكومة ، وتقدم لهم دوائر الحكومة المختلفة كل الخدمات المطلوبة ...
ان الحكومة السابقة كلفت فريقا من الخبراء ... باعداد بحث شامل عن امكانات انشاء ضاحية يهودية كبيرة ملاصقة لمدينة الخليل .
وقد جددت الحكومة الحالية مناقشاتها لتوصيات فريق الخبراء وكلفت فريقا آخر بالبدء فورا باعداد مشروع نموذجي للضاحية المذكورة،بدءا بمواصفاتها وانتهاء بمخطط لبناء المدينة وكل المسائل الصورية المتعلقة بذلك ...
وتدرس الحكومة الان طرائق عديدة ... لتنمية عدد السكان اليهود حول نواة المستوطنين الحالية ، دون ان تربط ذلك بالتخطيط النهائي للضاحية(١٧).
وردا على سؤال فيما اذا كانت اقامة الضاحية اليهودية المذكورة — وهي خطوة تهويد واضحة لمنطقة آهلة بالسكان — لا تتناقض ومشروع ألون، يقدم نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية الاجابة التالية المنشورة في ملحق هآرتس — ١٩٧٠/٤/٩ :
على العكس من ذلك . يجب السعي لادخال صحراء يهوذا ضمن خارطة اسرائيل المستقبلة ... ان صحراء يهوذا تحيط بالبحر الميت . ان المبنى الطبوغرافي لها ملائم لحرب العصابات وهي تحيط بالضواحي الجنوبية والشرقية لمدينة القدس. ولهذا من وجهة نظر امنية صرفة علينا التمسك بها .. انها لا تصلح لاستيطان زراعي كلاسيكي ولهذا فان بناء مدينة يهودية على رأس الجبل... يلبي حاجتين في وقت واحد حاجة توطين سكان يهود بكثرة في الطرف الغربي لصحراء يهودا من جهة ، ومن جهة اخرى يعطينا الاقتراب من مدينة الاباء اكتفاء ادبيا تاريخيا .
لقد اقتبسنا هذه الفقرات من اقوال الون بشكلها المطول لندلل على أمرين في منتهى الاهمية : أولا ان الفوارق في وجهات النظر ، بين الصقور ، فيما ينطلق بطبيعة الاستيطان (أمني مقابل توسعي) تضيق بمرور الوقت تحت وطأة السير المتسارع لحركة خلق الوقائع الجديدة وتسحب معها مجمل افراد الحكومة الاسرائيلية. وثانيا ان هذه الفوارق لم تكن منذ البداية أصيلة وثابتة لتصمد في وجه المطامع القابعة في اعماق القلب والضغط المعنوي والخطوات التنفيذية لسياسة الامر الواقع .

وقائع دايان

ان مهندس سياسة « الوقائع المفروضة » والدينامو المحرك لها في الحكومة الاسرائيلية هو ، كما لا بد وضح من كلامنا ، موشي دايان . انه يصر على أن السؤال الوحيد الواقعي المطروح امام الحكومة ليس برنامج السلام هذا او ذاك ، وانما « ما العمل ؟ ابقاء الاختيارات مفتوحة والامتناع عن عرض وقائع حتى لا تصبح عائقا في طريق مفاوضات السلام — او الانطلاق بجهد متواصل على مدى الـ ٢٤ ساعة لخلق وقائع جديدة ، وتحطيم القديمة ، وتغيير الواقع ... تغييره بشكل يقربنا من الوضع الذي نطمح اليه»(١٨).
ان دايان ، بدءا ، لا يضع التأكيد بالنسبة لمسألة الاستيطان على الجانب الامني — العسكري ، ان الجانب الاكثر أهمية والاثقل وزنا في رأيه هو ان الاستيطان يخلق « وقائع سياسية جديدة . وذلك من ضمن الافتراض ... بأن المكان الذي نقيم فيه مستوطنة او ممتلكا لن نتحرك منه »(١٩). وهو يعلن صراحة انه لا توجد اليوم اهمية خاصة للاستيطان من الناحية الامنية وان الدفاع عن حدود غير مستوطنة ممكن تماما كالدفاع عن حدود مستوطنة . ويضرب مثلا على صحة كلامه خط قناة السويس ، الخالي من المستوطنات ، والمسيطر عليه — حسب اعتقاده — ليس أقل من خط غور الاردن او بيسان(٢٠).
ولذلك لا يكتفي دايان بمستوطنات الون«الدفاعية»، وانما يطالب باقامة مدن يهودية في الضفة الغربية في أماكن مشرفة على الطرق الاستراتيجية . ان

المدن في رأيه تمتاز بمزايا ثلاث : اولا تحتاج الى ارض اقل وتضم سكانا اكثر وبالتالي من الممكن الدفاع عنها بسهولة اكثر . ثانيا من الممكن اقامة المدن في الاراضي غير الصالحة للزراعة وبالتالي تقل الحاجة لمصادرة أراض زراعية لاقامتهـا . وثالثا المدن بطبيعتها أقل احتياجا من المستوطنات الزراعية لتأمين كفايتها من البضائع والخدمات . ويعتقد دايان انه ، متى تم انشاء المدن ، فان دمج اقتصاد الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي سوف يتحقق تلقائيا(٢١).

ان دمج اقتصاد الضفة الغربيةبالاقتصاد الاسرائيلي يمثل في الحقيقة المطلب الثاني لدايان بالنسبة لخلق الوقائع المفروضة . وهو مطلوب لتقليل اعتمادها على الدول العربية المجاورة وزيادة اعتمادها على اسرائيل ، ومطلوب ايضا لصياغة شكل العلاقة التي يطمح دايان لرؤيتها في المستقبل قائمة بين العرب واليهود . انه يقول في خطاب علني ألقاه في بئر السبع بتاريخ ١٩٦٨/١١/٦ بأن على اليهود ان يتعلموا الحياة مع السكان العرب ما دام ليس في نيتهم طردهم من الضفة والقطاع ، وليس في نيتهم التخلي عن « حقهم » في الحياة في الخليل واستيطانها . انه يدعوهم للعمل على تغيير شكل العلاقة القائمة بحيث يصبح الواقع واقع تمايش — كما يفهمه هو طبعا — لا واقع حواجز وعداء . انه يطرح السؤال : ما معنى الحياة سوية ؟ ويجيب عليه « شيئان . أولا بمقدار ما يتعلق الامر بنـا سحق الحواجز والتغلب على مشاعر العداء . ثانيا تحقيق الدمج الاقتصادي ، ربط شبكات الكهرباء الرئيسية* ، ربط شبكات المياه ، اقامة شبكة مواصلات مشتركة ووضع برنامج زراعي مشترك للمنطقة كلها ... واكثر مـن ذلك ، يجب اتاحة الفرصة لعرب الخليل للعمل في بئر السبع لانه توجد هناك بطـالة في الخليل مقـابل نقص في الايدي العاملة في بئر السبع ، كما هو الامر بالنسبـة لسكان رام الله العاملين في القدس»(٢٢).

ولكن هناك مشكلة معينة تقلق دايان : انها نسبة عدد السكان العرب الى السكان اليهود في منطقة الخليل — بئر السبع . ان هناك في منطقة الخليل حوالي الـ (١٢٠) الف عربي ، وفي منطقة بئر السبع حوالي الـ(١٦٠) الف يهودي،و«هذه نسبة غير مرضية . الا انه ليس هناك ما يحول دون تحويل غوش عتسيون ، التي هـي بين القدس والخليل ، الى مركز يهودي مديني ، صناعي ، زراعي وروحاني . وفي امكاننا أن نفعل ذلك ... ان بئر السبع التي انطلقت كبلدة نامية عقب حرب الاستقلال أصبح عدد سكانهـا عقب حرب الايام الستة ٨٠ الف نسمة »(٢٣).

ان استيطـان الضفة الغربيـة ودمجها اقتصاديا بالاقتصاد الاسرائيلي يحقق لدايان اذن أمرين : بقاء الضفة منطقة آمنة عسكريا ومفتوحة لليهود « للزيارة ، والعيش ، والاستيطان » من جهة ، وخلق اوضاع ماديـة وانمـاط حياة جديدة بـين الفلسطينيين العرب وبين اليهود من جهة اخرى ، وهذا ما يعنيه دايان بعبارة « تكبيل يدي الواقع». أما بالنسبة للوضع السياسي فان دايان يقول بأنه لا يهمه كثيرا اذا اختار سكانها ان تكون جزءا من الاردن مع شيء من الاستقلال الذاتي ، او اختاروا لها البقاء مستقلة ، او قرروا بكل بساطة ان تكون جزءا من الاردن ، ولكـن بشرط ان تقبل مطالب اسرائيل . وهو يصوغ هـذه المطالب بالشكـل التالي : « أولا : أن يكون لنا ، كحق وليس كمنة، ان نزور ، ونعيش ، ونستوطن . ثانيا : أن يكون لنا قواعد عسكرية هنـاك ، وان يكون الجيش الاسرائيلي قادرا على العمل بحرية ، سواء في الحرب الصغيرة الان ضد الفدائيين ، او في حالة وقوع حرب اكثر شمولا . ويجب ان تكون بالطبع قادرين على منع دخول أي جيش عربي للضفـة الغربية »(٢٤).

ولذلك كما قاتل دايان من اجل فرض العمل العربي داخل اسرائيل رغم معارضة سابير وبن غوريون القوية له ، قاتل من أجل ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفة الغربية والاردن . ان هناك ابعادا أمنية واقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة سوف ترد في سياق البحث ، ولكن هناك بعدا سياسيا لهـذه السياسة مربوطا بالمصير الذييتصوره دايان لسكان الضفة. ان دايان لا يريد فرض الجنسية الاسرائيلية على عرب الضفة والقطاع لما تتضمنه من حقوق سياسية ، ولا يسمح لهم بالتوطن داخل حدود ما قبـل حزيران ، لانه يريد الحفاظ علـى الطابع اليهودي للدولة — ولكنه يدرك في الوقت ذاته انه من المستحيل ابقاء مجتمع بأكمله قاصرا سياسيا . اذن ما الحل ؟ ان منطلق الحل الذي يتوصل اليه دايان هو « ابقاء الاتصال بين السكان العرب في المناطق والدول العربية مستمرا ... وتمكينهم من الاحتفاظ بروابط قومية وثقافيـة وثيقة مع الدول العربية ، ومن الذهاب الى هناك للدراسة ...

والتفتيش عن طريقة ما كي يظلوا قادرين على البقاء كمواطنين اردنيين »(٢٥). اما الحل ذاته فان دايان يرفض ان يلزم نفسه به ، ولكنه يغامر بتصور وضعية يراها معقولة ، وان كان يدخلها في حيز اللعب بالافتراضات : « ان سكان مدينة القدس ، كمواطني المدينة ، يحق لهم التصويت في انتخابات المجلس البلدي ، ولكنهم كمواطنين اردنيين لا يحق لهم التصويت في انتخابات الكنيست . انني لا أرى اي خطأ في وضعية كهذه . لنفترض انه تم التوصل الى سلم مع الاردن ، معاهدة سلم كاملة ، وسمحت الاردن لهم بالتصويت في انتخابات البرلمان الاردني. في هذه الحالة سيكون لديك مواطن من القدس هو عضو في الوقت ذاته في برلمان عمان... انك لا تستطيع ان تبقي مجتمعا بأكمله قاصرا سياسيا . عاجلا او آجلا أنت مضطر لان تمنحه نفس الحقوق السياسية التي تملكها . فاما ان يكون له الحق بالتصويت في انتخابات الكنيست ، او الحق بالتصويت لانتخاب برلمان آخر »(٢٦).

ان مثل هذا الحل ، بالطبع ، ليس حلا وانما مجرد « لعب » لا اكثر ولا اقل . وقد اوردناه لندلل على « جدية » الجدل الدائر حول مصير المناطق داخل اسرائيل مقابل جدية الحركة الجدلية المتمثلة في الخطوات الحثيثة على درب الوقائع المفروضة. ضمن هذا الاطار من المطامح والتصورات يجب النظر الى سياسات اسرائيل المتعلقة بالاستيطان والدمج الاقتصادي. وضمن هذا الاطار تجب مراقبة الخطوات التي تم تنفيذها حتى الان : المستوطنات التي أنشئت والمخطط لانشائها، الاستيطان اليهودي في مدينة الخليل والمخطط لانشاء خليل يهودية ، مصادرة الاراضي ، القواعد العسكرية ، شبكة الطرقات التي مدت او وسعت او حسنت نوعيتها(٢٧)، شبكة كهرباء غزة التي ربطت باسرائيل والمركز الصناعي الذي أقيم في شمالها هذا العام ، مراكز البحث العلمي والزراعي لدرس التربة والمناخ والتنقيب عن مصادر المياه ، العمل العربي في اسرائيل ، الاستثمارات اليهودية في المناطق ، والجسور المفتوحة . انها كلها تسير باتجاه واحد. فرض وقائع جديدة تكون محصلتها العملية فيما لو استمرت الحركة قيام اسرائيل اكبر تحكم شعبا فلسطينيا ليس « قاصرا سياسيا » وانما مغلوبا على أمره ، مسموحا له بالاحتفاظ بروابط « قومية وثقافية » مع البلدان العربية تخديرا لمشاعره حتى لا يثور .

محتفظين في ذهننا بهذا الاطار ننتقل الان الى الجانب الاخر من سياسات اسرائيل في الضفة الغربية ، وهو الجانب العملي المتمثل بسياسة القمع (او التهدئة كما يسميها العسكريون الاسرائيليون) والاتجاهات والخطوات الاقتصادية التي ينفذها الحكم العسكري المحتل .

— ٢ —

مباشرة بعد حرب الايام الستة اقيمت في المناطق المحتلة حكومة عسكرية لتتولى مهام الامن واعادة الحياة الى مجاريها الطبيعية . وقد قسمت المناطق المحتلة الى أربع وحدات ادارية وعين على رأس كل وحدة حاكم عسكري. والوحدات الادارية الاربع هي (١) الجولان (٢) الضفة الغربية (٣) قطاع غزة وشمال سيناء (٤) منطقة شرم الشيخ في جنوب سيناء ويطلق عليه المحتلون اسم « منطقة شلومو » . وقد كان الدافع لهذا التقسيم اختلاف القوانين المعمول بها في كل من المناطق المذكورة من جهة وتسهيل ادارتها من جهة اخرى . وبينما ظل القانون الساري في غزة وسيناء بمنطقتيها هو القانون المصري ، والقانون الساري في الضفة الغربية هو القانون الاردني، ألغي القانون السوري في الجولان في عام ١٩٦٨ وأحل محله القانون الاسرائيلي . واعتبرت الجولان جزءا من اسرائيل ومنطقة تطوير واستيطان .

قمع المقاومة

وقد اعتبرت الحكومة العسكرية ان المهمتين الاوليتين اللتين كان عليها ان تواجههما في البداية في المناطق الاهلة بالسكان — وهي الضفة والقطاع — هما تهدئة الاوضاع واعادة تنشيط الاقتصاد . فقد قابل السكان في المناطق المحتلة الاحتلال في الاشهر الاولى بمحاولة عصيان مدني تمثلت في الاضرابات والامتناع عن دفع الضرائب واغلاق المدارس وامتناع المحامين عن المرافعة امام المحاكم ومقاطعة البضائع اليهودية وحملة تحريض وتوقيع لعرائض الاحتجاج والاستنكار . وقد كان المحرك الرئيسي لهذه الحملة، في راي شلومو غازيت منسق عمليات الحكومة في المناطق،هو اعتقاد السكان الفلسطينيين في الضفة أن عصيانا مدنيا على نطاق واسع معززا بضغط دولي على اسرائيل يمكن ان يرغمها على الانسحاب(٢٨).

وقد كان رد فعل الحكومة تجاه حملة العصيان المدني منذ البداية الرد التقليدي لسلطة احتلال

عسكرية: سجن ونفي العناصر التي اعتقدت سلطة الاحتلال انها مسؤولة عن حملة العصيان المدني ، وانزال القوات العسكرية الى الشارع للارهاب وقمع التظاهرات، وفرض منع التجول والتفتيشات المقصود منها العقاب والازعاج والمضايقة، ومحاولة شراء متعاونين معهـا للتخريب على الحملة من الداخل . وعندما كانت الحملة تشتد احيانا كانت السلطة تلجأ الى مصادرة المحلات التجارية وأبنية المدارس واغلاق الاسواق لفترات معينة، كما حدث عندما اغلقت السلطة العسكرية مركز السوق التجاري في نابلس وصادرت مدرسة الصلاحية الثانوية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ومدرسة فلسطين الثانوية في غزة في تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام وحولتهما الى مبنيين من مباني الحكم العسكري(٢٩).

ان العصيان المدني الذي جابه به السكان الاحتلال في الاشهر الاولى له ظل مجرد محاولة ولم يتفتح الى عصيان مدني حقيقي . والسبب هو عجز القيادات السياسية التقليدية والانفصام القائم بينها وبين السكان في المدن ، والموقف المتعاون الذي اتخذه الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل، وغياب القيادات السياسية اصلا عن الريف . ويضاف لذلك كله بالطبع اجراءات السلطة المحتلة ومبادرتها لابعاد كل عنصر فعال سياسيا الى الضفة الشرقية بموجب أمر اداري . وقد ذكر دايان في تصريح نشرته جريدة دافار (عدد ١٩٦٩/١٢/١٧) ان عدد القادة العرب المطرودين من الضفة الغربية الى الاردن حتى تاريخ ١٩٦٩/١٢/١ بلغ (٧١) شخصا . وتظهر قائمة تفصيلية بأسماء المبعدين انه في عام ١٩٦٩ فقط تم ابعاد (١٣١) شخصا من المناطق المحتلة(٣٠).

ان محاولة العصيان المدني تمحورت حول رفض قضيتين اساسيتين: ضم القدس واجراءات التهويد العملية ، وحذف مادة واسعة من المنهج الدراسي المقرر للمدارس بحجة انها تنمي في الطلاب مشاعر العداء تجاه اليهود واتضح انها شملت كل ما من شأنه أن ينمي الشعور الوطني او الوعي السياسي لدى الفلسطينيين . وقد انتهت محاولة العصيان المدني هذه في النهاية الى الفشل ... ونجح الحكم العسكري في تصفية مظاهرها تدريجيا . فانتظمت الخدمات البلدية وافتتحت المدارس واصبحت الاضرابات فيها متقطعة وازدادت الضرائب المجموعة في الضفة سنة عن سنة(٣١)، وانتظم العمل في المحاكم ، ولم يبق من مظاهر حملة العصيان المدني بعد مرور اكثر من ثلاث سنوات على الاحتلال الا اضراب المحامين الذي استمر دونما أية فعالية حقيقية .

الا ان التحدي الاكبر للاحتلال لم يكن صادرا في الحقيقة عن القيادات السياسية التقليدية التي رأت في حملة عصيان مدني الرد المناسب او الممكن ، وانما من المنظمات الفدائية التي رأت في الكفاح المسلح الوسيلة الاكثر نجاعة والوحيدة التي تعد بأمل في المستقبل . وقد بدأت العمليات الفدائية الاولى بعد الاحتلال في شهر اب (اغسطس) من عام ١٩٦٧ ، ونفذت في المناطق المحتلة قديمـا ، وتمثلت في نسف عدد من الجسور وانابيب المياه ، ومهاجمة عدد من المنشآت الصناعية ، ووضع القنابل في أماكن تجمعات سكانية . وكان وضع المتفجرات في اكتوبر ١٩٦٧ التي اكتشفت قبل ان تنفجر في سينما صهيون في القدس الجديدة اشهر هذه العمليات(٣٢).

ان العمل الفدائي قام بعد الاحتلال مباشرة بمحاولة لنقل مركز الثقل في نشاطاته الى داخل المنطقة المحتلة ، وبشكل أساسي الضفة الغربية . فقد أعلنت منظمة العاصفة ، الذراع العسكري لفتح، في اواخر حزيران ١٩٦٧ ان قياداتها قد انتقلت الى المناطق المحتلة وانها ستواصل عملياتها ضد العدو من هناك . ومن المعروف ان « أبو عمار » شخصيا كان من بين الاشخاص الذين انتقلوا للضفة الغربية للاشراف على التخطيط لبدء العمل المسلح ضد الاحتلال وانه غادر الضفة بعد ان بدأت حملة الاعتقالات في صفوف فتح . كما قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، المشكلة انذاك حديثا، بتسريب عدد كبير من العناصر القيادية الى الضفة والقطاع مفترضة ، وفتح ، ان المجال الحيوي للمقاومة المسلحة هو الشعب الفلسطيني في المناطق ، وان الكفاح المسلح لا يمكن ان يشتد وينمو ويحقق اهدافه الا اذا نجح في تعبئة الشعب بحيث يقاتل ويوفر الحماية والاختفاء للمقاتلين . ان السلطة الاسرائيلية أدركت منذ البداية « ان عاملا وحيدا يمكن ان يرجح كفة الميزان [الى جانب العمل الفدائي او جانب التهدئة] وهو : موقف وعلاقة مجموع السكان العرب في المناطق المحتلة بخلايا المخربين» (٣٣). وبالتالي حددت اسرائيل كهدف أساسي من أهداف سياستها في المناطق المحتلة عزل الفدائيين عن مجموع السكان . ومن

اجل تحقيق هذه الغاية لجأت السلطة المحتلة الى وسيلتين . الوسيلة الاولى مباشرة وآنية وتلخصها عبارة « الترهيب والترغيب » المألوفة — ايقاع العقاب القاسي بالفدائيين والمشاركين في التنظيم او العمليات من جهة ومن جهة اخرى اعطاء السكان امتيازات (يمكن ان تحجب) مثل : حرية الانتقال والسفر ، وحرية المتاجرة، وضرائب أقل ، وحرية الكلام ، وجهاز اداري حكومي مكون في غالبيته من العرب(٢٤). اما الوسيلة الثانية فهي أكثر جذرية وتعطي نتائجها في مدى زمني ارحب — انعاش الاقتصاد ورفع المستوى المعيشي للسكان .

ان العقاب القاسي يتمثل في السجن والتعذيب والنفي ونسف البيوت ومصادرة الممتلكات ، رغم أن السلطات المحتلة ، بالطبع ، عندما تتكلم عن « العقاب القاسي والسريع » كوسيلة من وسائل الردع الاساسية لا تدخل التعذيب من ضمنه ، وان كان اصبح ثابتا ان السلطات الاسرائيلية تمارسه على نطاق واسع(٢٥). ان السلطة العسكرية معطي مبدأ نسف البيوت اهمية خاصة كوسيلة من وسائل الردع ، وتعتبر انه على الصعيد العملي يمكن ان يعطي نتائج بالنسبة لارهابمجموع السكان اكثر من السجن او النفي . ان محاكمة الشخص الذي القى القنبلة على مغارة المكيفلة في الخليل مثلا قد تأخذ ، كما يقول غازيت ، وقتا طويلا ، ولكن نسف بيته في اليوم التالي لالقاء القبض عليه هو « عمود من الدخان يستطيع كل واحد ان يراه ويسمعه ويفهم منه ما يجب أن يفهم »(٢٦). وقد صرح دايان (دافار — ١٩٦٩/٢/١٧) ان عدد البيوت المنسوفة حتى تاريخ ١٩٦٩/١٢/١ بلغ (٥١٦) منزلا . ولم يقتصر نسف البيوت على بيت الفدائي أو الذي آوى الفدائي او ساعده ، وانما تجاوز ذلك الى نسف البيوت في المنطقة التي وقعت فيها العملية . وهكذا في تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٦٩ نسفت السلطة المحتلة في حلحول (الخليل) ١٨ بيتا انتقاما لمقتل ملازم أول في الجيش وجرح عدد من الجنود ، وفي غزة عمدت السلطة العسكرية في ذات الشهر الى نسف كل البيوت الموجودة على طول الشارع الذي قتل فيه التاجر اليهودي شلومو. وكان « عمود الدخان » هذه المرة اوضح من اللازم ، وثارت عاصفة داخل اسرائيل وبين أنصارها في العالم ، لان النسف الجماعي للبيوت اثبت بما لا يدع مجالا للشك ما كانت السلطة العسكرية تنكره — وهو لجوؤها الى « العقوبات الجماعية» السيئة الصيت ، والتي تحرمها اتفاقيات جنيف . ان المتتبع لاخبار الاحتلال الاسرائيلي للمناطق سيذكر دون شك العاصفة التي اثارها المقال الذي كتبه مايكل آدامز في الغارديان فيشباط ١٩٦٨ ، وسجل فيه مشاهداته حول « الارهاب الجماعي » الممارس ضد السكان في الضفة والقطاع . ان كثيرين من الاسرائيليين ، رسميين وغير رسميين ، بادروا في حينه الى نفي المعلومات الواردة في المقال وقبل انصار اسرائيل في الراي العام العالمي وقائع النفي . ان احداثا كثيرة وقعت منذ أن كتب مايكل آدامز مقاله ، وكتب كثيرون غيره ، ولكن ممارسة اسرائيل للعقاب الجماعي ظلت مجال أخذ ورد حتى ارتفع دخان البيوت المنسوفة المذكور ولم يعد بعد مجال للرد . فتمت العملية المألوفة للاسرائيليين عندما تسقط كل الستارات . اطلق على الحدث والوسيلة اسم « عقاب الجوار » وقيل للانصار : اسرائيل ليست المانيا النازية .

ان الارهاب من جهة ، واداة قمع على مستوى عال من الكفاءة والتدريب موجهة ضد الفدائيين من جهة ثانية ، والانتعاش الاقتصادي من جهة ثالثة ، ادت الى انحسار العمل الفدائي في الضفة الغربية وتراجعه الى ما وراء نهر الاردن . ان انسحاب القيادات ، او بالاحرى ما لم يقتل او يسجن منها ، من الضفة الى ما وراء النهر قد تم في بدايات عام ١٩٦٨ واستمر حتى لحظة كتابة هذا المقال . وتشير الدلائل الى ان فعالية العمل الفدائي في الضفة الغربية في عام ١٩٧٠ كانت ضعيفة . وبالتالي يستطيع المرء ان يقول ان السلطة العسكرية قد نجحت الى حد كبير في تهدئة الاوضاع في الضفة ، وفي عزل السكان عن العمل الفدائي .

أما الصورة بالنسبة لقطاع غزة فانها مختلفة بدون شك . ان اضراب غزة الشامل في الاسبوع الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ لمدة ثلاثة أيام حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع، والتظاهرات واطلاق النار على قوات الاحتلال في الجنازة التي اقيمت له ، دليل على طبيعة العلاقة المستمرة بين الفدائيين واهالي القطاع . ونترك لجريدة دافار (١٩٧٠/١٠/٨) تصوير الوضع هناك :

« من يتابع حالة الامن في قطاع غزة يصل الى استنتاج مؤلم جدا . ان السؤال الذي لا بد من طرحه : من يحكم قطاع غزة حقا ؟ ان تدفق اليهود الى مستوطنات القطاع توقف منذ وقت طويل . حتى ان نساء عسقلان وبئر السبع تخلين عن الموجودات المتوفرة في أسواق غزة . ويمتنع المواطنون الاسرائيليون من الاقتراب من مدخل المدينة . واما اليهود الذين يواصلون السفر اليها فهم قوات الجيش الاسرائيلي وموظفو الحكم العسكري .

« ان فتح طريق يتجنب المرور في القطاع ساعد السيارات اليهودية على السفر دون الاضطرار لاستعمال طرق القطاع . لان غزة وبقية مدن القطاع بتصرف رماة القنابل ..

« ولايجاد تعاون اقتصادي بين العرب واليهود يقام قرب الخط الاخضر شمالي مدينة غزة .. مركز تجاري وصناعي لسكان القطاع . ومن المفروض ان يؤدي هذا التعاون الى توفير الامن للاسرائيليين الذين يحضرون الى المنطقة .

« منذ حرب الايام الستة يسيطر الجيش الاسرائيلي على مناطق يهودا وشمرون [المقصود الضفة] وغور البحر الميت وهضبة الجولان . ويزداد عدد اليهود الذين يزورون هذه المناطق كسياح وللقيام بأعمال تجارية وزراعية . أما قطاع غزة فانه « مغلق » أمام هؤلاء الاشخاص واصبح بمثابة منطقة « خارج النطاق » لان كل من يحرص على روحه يمتنع عن الاقتراب من مداخلها . »

الانعاش الاقتصادي

قلنا في مستهل الجزء الثاني من المقال ان الحكم العسكري في المناطق المحتلة اعتبر ان المهمة الاساسية العاجلة الثانية له في بداية الاحتلال [المهمة الاولى — التهدئة] هي تنشيط الاقتصاد وترتيب الاوضاع الادارية لتأمين احتياجات السكان المعاشية واستمرار تقديم الخدمات العامة . ان دافع الحكم العسكري لذلك له في الحقيقة وجهان: الوجه الاول نابع من كون الحكم العسكري هو السلطة الوحيدة الموجودة في المناطق والوجه الثاني نابع من اعتبارات امنية — سياسية ، ومرتبط بالمهمة الاولى . يقول غازيت في هذا الصدد : «ان المشكلة الكبرى التي تواجهنا هي اقامة « حاجز بين التعاطف السلبي مع الفدائيين والمشاركة الفعالة في أعمالهم .. ان العوامل الاقتصادية تلعب دورا كبيرا في حل هذه المشكلة»(٢٧).

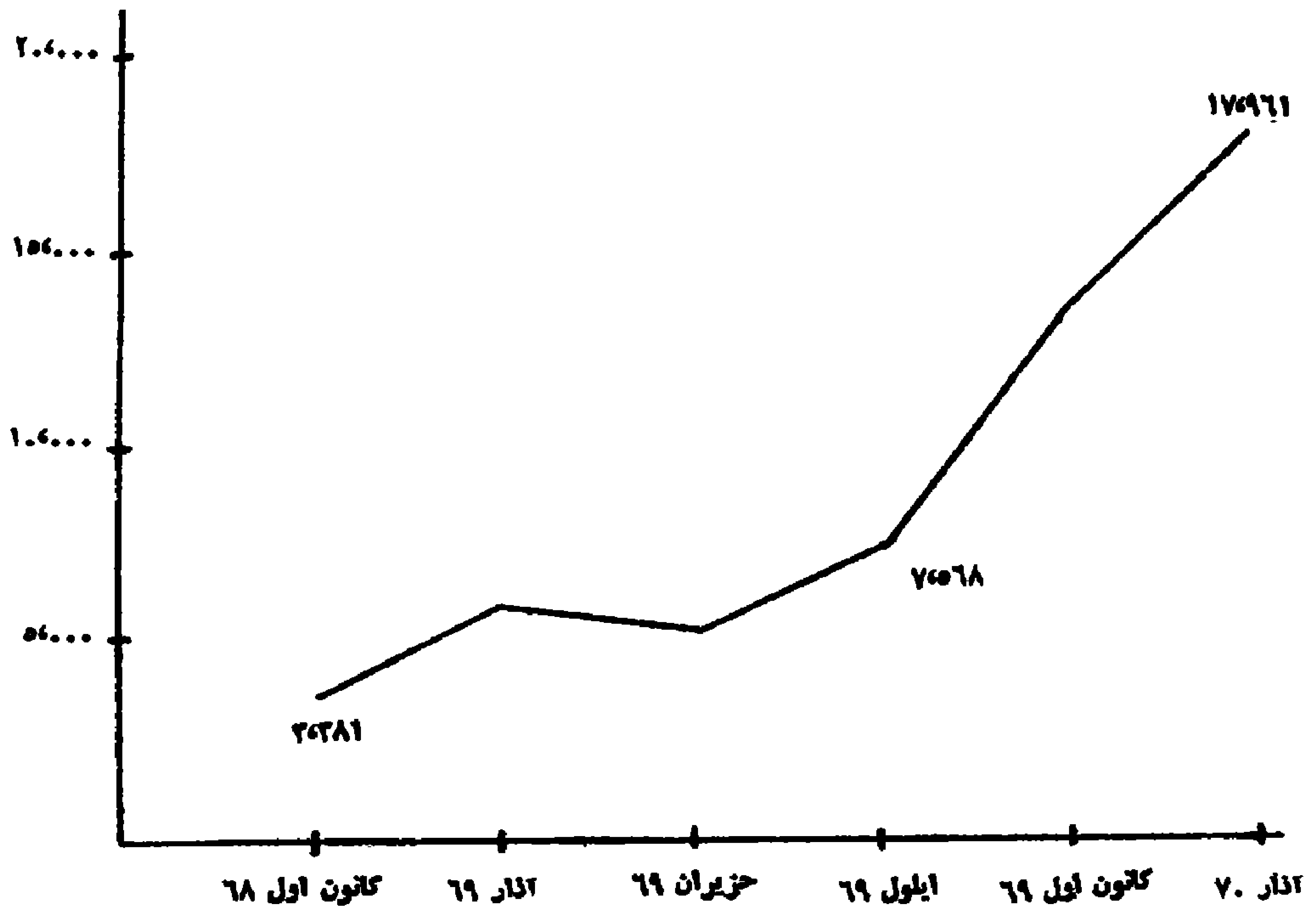
وقد كان الاجراء الاول الحاسم الذي اتخذه الحكم العسكري بصدد تنشيط الاقتصاد في الضفة الغربية هو السماح بتصدير المنتوجات الزراعية الى الضفة الشرقية ، وبذلك امكن تصريف الفائض منها في الاسواق المعتادة لها في الاردن والبلدان العربية . ثم سمح فيما بعد باستيراد البضائع عبر الجسور المفتوحة ، بدءا بتلك التي كانت مطلوبة قبل حرب حزيران ووصلت للمخازن في الضفة الشرقية، ومن ثم كل البضائع التي تعتبر الجهة الشرقية مصدرها الطبيعي . ان سياسة «الجسور المفتوحة» ، كما تذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** [تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ — ص ٣٠٦] قد ساهمت « أكثر من أي اجراء اخر في حل المشكلة الاقتصادية ... واعادة الحياة في الضفة الى مجاريها الطبيعية » . ان المجال لا يتسع في هذه المقالة للتفصيل في سياسة «الجسور المفتوحة» كعامل من عوامل تنشيط الوضع الاقتصادي في الضفة ، ويكفي ان نذكر هنا ان الضفة قد صدرت للاردن والبلدان العربية في عام ١٩٦٨ منتوجات زراعية وبضائع بقيمة (٥١،٤) مليون ليرة اسرائيلية مقابل استيراد حجمه (١٧،٥) مليونا . وارتفع الرقم في عام ١٩٦٩ الى (٦٤،٤) مليون ليرة تصدير مقابل (٢٤،٥) مليون ليرة استيراد(٢٨).

أما الاجراء الثاني الحاسم ، وقد اتخذته الحكومة الاسرائيلية في عام ١٩٦٨، فقد كان السماح للعمال العرب من المناطق بالعمل في الاراضي المحتلة سابقا . ان دراسة الجدول المتعلق بعدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل يظهر زيادة مطردة في عدد العاملين هناك . [الجدول على الصفحة التالية](٢٩).

ان الرقم يصل في اذار ١٩٧٠ الى (١٧،٩٦١) عاملا . وتذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** في عددها الصادر في اب — أيلول (اغسطس — سبتمبر) ١٩٧٠ (ص ١٨٧) ان احصاءات دائرة البحث في بنك اسرائيل تظهر بالنسبة لعام ١٩٦٩ زيادة في الانتاج القومي الاجمالي (G N P) للمناطق بنسبة مقدارها ٢٥٪ ، وتسجل ان عمال المناطق في العام المذكور كسبوا من عملهم في اسرائيل (٥١) مليون اسرائيلية تمثل ٣٠٪ من الزيادة المذكورة .

وقد ساهم السماح للعمال من المناطق بالعمل في اسرائيل ليس في امتصاص نسبة البطالة فحسب ، وانما في زيادة حجم القوة العاملة . ان الاحصاء

(جدول عمال الضفة المستخدمين في اسرائيل)



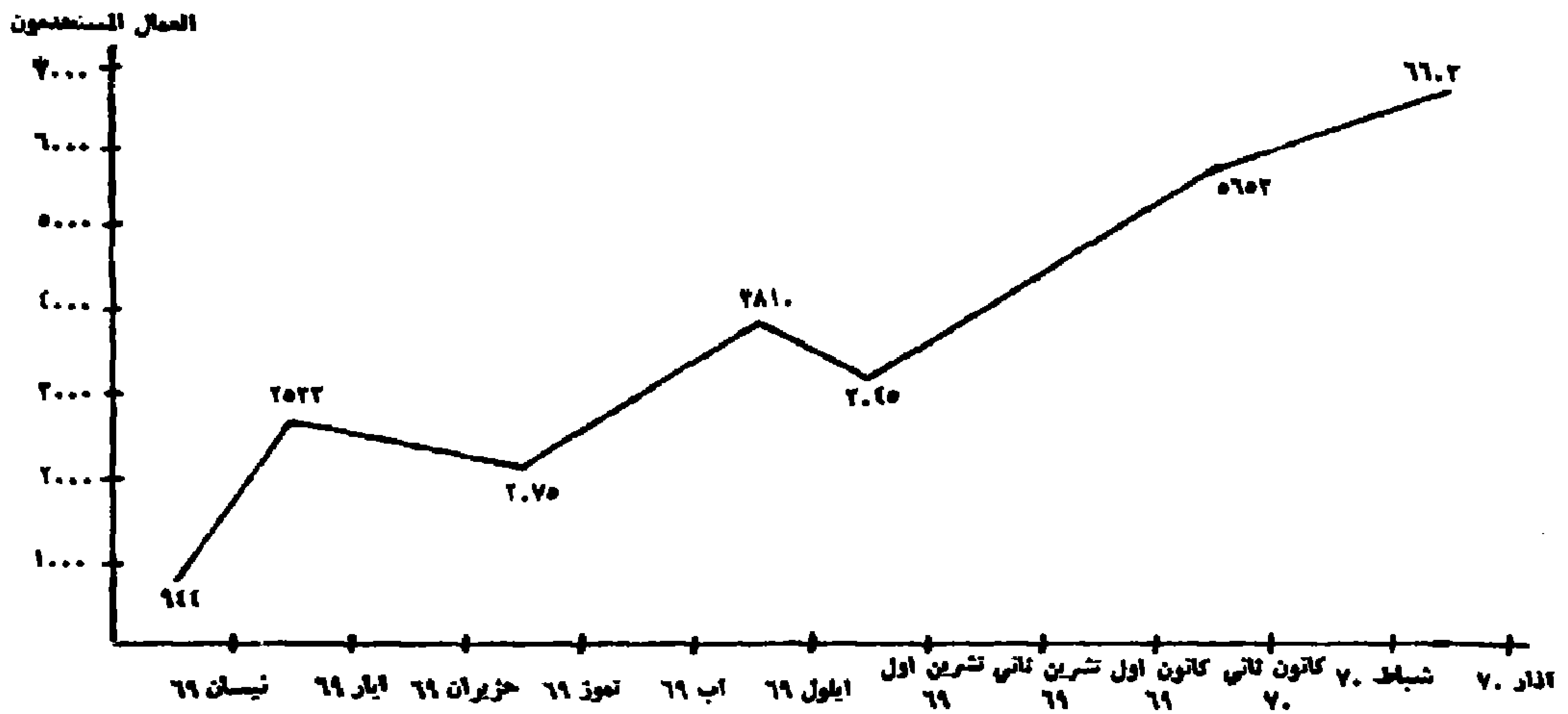
الذي اجري في ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٦٧ اظهر أن هناك (١٨٤) الف رجل في سن العمل (١٤ فما فوق) في الضفة الغربية منهم (٦٧،٦) الفا مشاركين في القوة العاملة بينهم (٦٠،٢) الفا عاملين . اي ان نسبة المشاركين في القوة العاملة [نسبة العمالة] كانت ٤٦٪ ونسبة العاملين ٨٩ ٪ وكان عدد العاطلين عن العمل في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧ حوالي ٧،٤٠٠ . أما احصاءات تشرين اول ـ كانون اول (اكتوبر ـ ديسمبر) ١٩٦٩ المتعلقة بنفس الموضوع فتظهر ان القوة العاملة بلغ تعدادها (٨٦،٩) الف رجل منهم (٨٤،٦) الفا عاملين . وبهذا تكون نسبة المشاركة في القوة العاملة خلال العامين المذكورين قد ارتفعت من ٤٦ ٪ الى ٦٣ ٪ وارتفعت نسبة العاملين من ٨٩٪ الى ٩٧٪ وبقي فقط ٢،٣٠٠ رجل عاطلين عن العمل .

اما الوضع بالنسبة للعمالة في قطاع غزة وشمال سيناء فانه يبدو مشابها في اتجاهاته العامة. وعلى الصفحة التالية الجدول المتعلق بالعمل العربي من غزة في اسرائيل(٤١).

وفيما يتعلق بحجم القوة العاملة في القطاع يسجل احصاء أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧ انه كان هناك (٨٩) ألف رجل في سن العمل منهم (٣٦،٦) ألفا مشاركين في القوة العاملة بينهم (٣١،٢) ألفا عاملين . وبهذا تكون نسبة المشاركة في القوة العاملة ٤٣٪ ونسبة العاملين ٨١٪ وبلغ عدد العاطلين عن العمل ٧،٤٠٠ . اما احصاءات ١٩٦٩ (تشرين الاول ـ كانون الاول/اكتوبر ـ ديسمبر) فتظهر ان القوة العاملة بلغ تعدادها (٥٣،٦) الفا منهم (٥١،٩) الفا عاملين . اي ان نسبة المشاركة في العمل خلال العامين المذكورين قد ارتفعت من ٤٣٪ الى ٦٦٪ ونسبة العاملين ارتفعت من ٨١٪ الى ٩٧٪ وكان عدد العاطلين عن العمل فقط ٣،١٠٠(٤٢).

ان دراسة التقارير عن الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية والقطاع تشير الى ان هناك فارقا كبيرا بين الجهد الاولي الذي بذل في بداية الاحتلال لانعاش الاقتصاد والذي تمثل في فتح الجسور لحركة التجارة وتشغيل العاطلين عن العمل في توسيع وتحسين الطرقات بوسائل بدائية(٤٣) وبين الجهد المبذول بعد مرور الاشهر الاولى لعام ١٩٦٨ . ان الجهد الاول كان جهد سلطة احتلال مترددة ، بينما يمثل الجهد اللاحق جهد سلطة احتلال تخطط للبقاء

(جدول عمال الضفة المستخدمين في اسرائيل)



في المناطق ، وتستهدف ربطها اقتصاديا ومعاشيا باسرائيل ، وتهتم بتطوير الاقتصاد ورفع مستوى الخدمات لتجنب «اضطرابات اجتماعية...فيما لو ظل المستوى المعيشي [المنخفض] في المناطق المحتلة متخلفا بشكل جذري عن المستوى المعيشي [المرتفع] في اسرائيل»(٤٤).

توجهات الجهد الاقتصادي زيـادة العمـالة

ان المعطيات اللازمة لدراسة الموضوع بشكل شامل ليست متوفرة ولذلك لا مناص من الاكتفاء بالاشارة للاتجاهات العامة مع اختيار نماذج انتقائية للتوضيح ان هناك توجها واضحا لرفع المستوى المعيشي للسكان عن طريق انعاش الاقتصاد وزيادة حجم ونسبة العمالة وليس عن طريق المعونات الاجتماعية والاستخدام غير الاقتصادي سواء في الضفة او القطاع . والدافع لهذا الجهد هو كما ذكرنا سابقا الامل في عزل السكان عن الفدائيين من جهة ، وقطع الطريق من جهة اخرى على اضطرابات اجتماعية واسعة يمكن ان تنشأ في المستقبل نتيجة للهوة الواسعة الموجودة بين المستوى المعيشي لسكان المناطق وسكان اسرائيل . وبمعزل عن الدافعين السابقين يسجل المرء أن الاقتصاد الاسرائيلي يشكو من نقص كبير في الايدي العاملة نتيجة للتعبئة العسكرية القائمة منذ الحرب ، وان الانتعاش الاقتصادي وازدياد القوة الشرائية لسكان المناطق المحتلة — ويبلغ تعدادهم المليون — يفتح للصناعات الاسرائيلية سوقا جديدة ويعطيها حوافز اضافية .

ان الجدولين في الصفحة التالية يبينان ان الميزانية العامة للسنوات المالية١٩٦٨ الى١٩٧١ هي ميزانية خدمات عامة ومعونات اجتماعية بالدرجة الاولى اذ تتجاوز المبالغ المخصصة للاغراض الاجتماعية الـ ٥١٪ من المجموع ، ويدخل ضمن بند الاغراض الاجتماعية نفقات الصحة والتعليم والشؤون الدينية والمعونة الاجتماعية . ولكن ميزانية عام ١٩٧٠—٧١ تسجل مقارنة بالسنوات السابقة قفزة واضحة فيما يتعلق بالبند المخصص للاغراض الاقتصادية يقابله انخفاض واضح في البند المخصص للاغراض الاجتماعية وحتى في البند المخصص لاغراض مصروفات الاجهزة الادارية الحكومية والقضاء والبوليس . اذ ترتفع النسبة المتعلقة بالاغراض الاقتصادية [الجدول المتعلق بالضفة] من١٨٫٩٪ لسنة ١٩٦٩ — ٧٠ الى ٢٧٫٤٪ لسنة ١٩٧٠—٧١ بينما تنخفض نسبة بند الاغراض الاجتماعية من ٥٥٫٦٪ الى ٥٠٫٨٪ وبند المصروفات الادارية والاغراض الاخرى من ٢٥٫٥٪ الى ٢١٫٨٪ . هذا بالنسبة للضفة الغربية ويبدو الامر بالنسبة للقطاع أبين وأكثر بروزا .

جدول رقم (١) — الضفة الغربية : اغراض الميزانية (المخصصات بالنسبة المئوية)(٤٥)

الاغراض	٦٨/٦٩	٦٩/٧٠	٧٠/٧١
أغراض اقتصادية	١٨٫٧	١٨٫٩	٢٧٫٤
أغراض اجتماعية	٥٨٫٨	٥٥٫٦	٥٠٫٨
أغراض ادارية وشؤون أخرى	٢٢٫٥	٢٥٫٥	٢١٫٨
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

جدول رقم (٢) ــ قطاع غزة وشمال سيناء : اغراض الميزانية (المخصصات بالنسبة المئوية)[٤٦]

الاغراض	٦٩/٦٨	٧٠/٦٩	٧١/٧٠
أغراض اقتصادية	١٤،٧	١٩،٧	٣١،٦
أغراض اجتماعية	٥٧،٠	٥٦،٣	٣٩،٩
أغراض ادارية			
وشؤون أخرى	٢٨،٣	٢٤،٠	٢٨،٥
المجموع	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

ان العامل الاساسي في تبديل النسب، كما يذكر تقرير الحكم العسكري[٤٧]، يرجع الى ارتفاع نسبة العاملين بحيث أمكن تحويل قسم من المبالغ المصروفة في المعونة الاجتماعية سابقا الى اتتنية في المجال الاقتصادي.

اما بالنسبة للاستثمارات فيذكر التقرير أن الحكم العسكري قدم في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ قروضا وتسهيلات مصرفية للصناعيين في الضفة الغربية بمقدار (٨،٢٦٣،٣٠٠) ليرة اسرائيلية مقابل (٧،٨٢٥،٩٠٠) لسنة ١٩٦٨ ــ ٦٩ على ان تصرف هذه المبالغ في انشاء صناعات جديدة وتوسيع الصناعات القائمة[٤٨]. وقدم لمئة مزارع في الضفة في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ قروضا بلغ مجموعها (١،٥٠٠،٠٠٠) ليرة اسرائيلية فارتفع بذلك مجموع القروض التي قدمها الحكم العسكري للمزارعين في الضفة منذ الاحتلال الى (٣) ملايين ليرة[٤٩]. وتعكس القروض المقدمة للصناعيين والمزارعين في غزة في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ زيادة كبيرة في الاهتمام الذي يوليه الحكم العسكري لانعاش الاوضاع الاقتصادية في القطاع بأقصى سرعة ممكنة . اذ قدم الحكم العسكري للمزارعين في السنة المذكورة قروضا بمقدار (٦،٢) مليون ليرة اسرائيلية[٥٠]، وقدم للصناعيين قروضا بمقدار (٤) ملايين ليرة مقابل (١،٢) مليون ليرة اسرائيلية للسنة المالية ١٩٦٨ ــ ٦٩[٥١].

ان هذه الارقام بحد ذاتها ليست كبيرة . ولكن اذا أضفنا اليها الاستثمارات الخاصة والاستثمارات في المجالات الاخرى[٥٢]، وأضفنا العدد الكبير من عمال المناطق المستخدمين في اسرائيل بأجر صاف متوسط للعامل غير الفني مقداره (١١) ليرة اسرائيلية في اليوم الواحد ، وأضفنا الجسور المفتوحة لتصريف المنتوجات الزراعية والصناعية في الاسواق العربية واستقبال الحوالات المالية من الاقرباء العاملين في الخارج ومبالغ الحكومة الاردنية المرسلة ، واضفنا العادات الشرائية المتواضعة لسكان المناطق ، فان التأثير الاجمالي لكل هذه العوامل لا بد وان يكون بالضرورة انتعاش اقتصادي ملموس وارتفاع كبير في نسبة العمالة والعاملين وارتفاع في معدلات الاجور[٥٣].

وقبل أن ننتقل للحديث عن التوجه الثاني المعنيين باثباته للجهد الاقتصادي لسلطة الاحتلال في المناطق المحتلة ، نمر بسرعة على برامج التدريب المهني ، فنذكر ان مراكز التدريب المهني في الضفة خرجت في عام ١٩٦٨ ــ ٦٩ (٤٣٠) عاملا فنيا، وفي عام ١٩٦٩ ــ ٧٠ (١،٢٦٠)[٥٤]. بينما خرجت مراكز التدريب المهني في القطاع، وعددها ستة (٣٩٠) عاملا فنيا السنة المالية ١٩٦٨ ــ ٦٩ و(٣٥٠) في ٦٩ ــ ٧٠[٥٥].

توجهات الجهد الاقتصادي ربط الاقتصادين

التوجه الثاني للجهد الاقتصادي الاسرائيلي المعنيين بايضاحه هو ربط اقتصاد المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي عن طريق المبادلات التجارية ، والعمل العربي في اسرائيل ، والاستثمار اليهودي في المناطق وعن طريق تخطيط زراعي يحول المنتجات الزراعية في المناطق المحتلة الى منتوجات ملائمة للاحتياجات المحلية واحتياجات اسرائيل بالدرجة الاولى . وقد اوردنا أعلاه الارقام المتعلقة بحجم العمل العربي في اسرائيل ، وأوردنا جزءا من الارقام المتعلقة باستثمارات الحكم العسكري ... ونذكر الان بسرعة جانبا اخر من الاستثمار اليهودي متمثل في عقود العمل الوسيطة (subcontracting) التي تنتج بموجبها مؤسسات عربية في المناطق مصنوعات لحساب مؤسسات صناعية اسرائيلية تقدم لها المواد الخام او المواد شبه الجاهزة[٥٦].

ان القطاع أنتج في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ لصالح مشروعات اسرائيلية ما قيمته (٤٥٠) الف ليرة اسرائيلية مقابل (١٥٠،٠٠٠) لسنة ١٩٦٨ ــ ٦٩ . وانتجت الضفة الغربية ما قيمته (١،٣٨٥،٠٠٠) ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ مقابل (٨١٠،٠٠٠) في عام ١٩٦٨[٥٨].

ان الجهود المبذولة لربط اقتصاد المناطق بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي ، وطبيعة العلاقات بين الاقتصادين ، تبدو كأوضح ما يكون ، في ارقام التبادل التجاري بين المنطقتين . فيما يلي لوحتان بأرقام التجارة الخارجية بين الضفة والقطاع للسنتين ١٩٦٨ و١٩٦٩ :

لوحة رقم (١) : التجارة الخارجية ــ الضفة الغربية (المبلغ بملايين الليرات الاسرائيلية)[٥٩]

١٩٦٨

الواردات — مجموع ــ ١٦٨٫٧

الواردات	
الاردن	١٧٫٥
اسرائيل	١٣١٫٣
بلدان اجنبية	١٩٫٩

الصادرات — مجموع ــ ٨٩٫٧

الصادرات	
الاردن	٥١٫٤
اسرائيل	٣٧٫٤
بلدان اجنبية	٠٫٩

١٩٦٩

الواردات — مجموع ــ ٢٠٤٫٥

الواردات	
الاردن	٢٤٫٥
اسرائيل	١٦٠٫٧
بلدان اجنبية	١٩٫٣

الصادرات — مجموع ــ ١٠٣٫٢

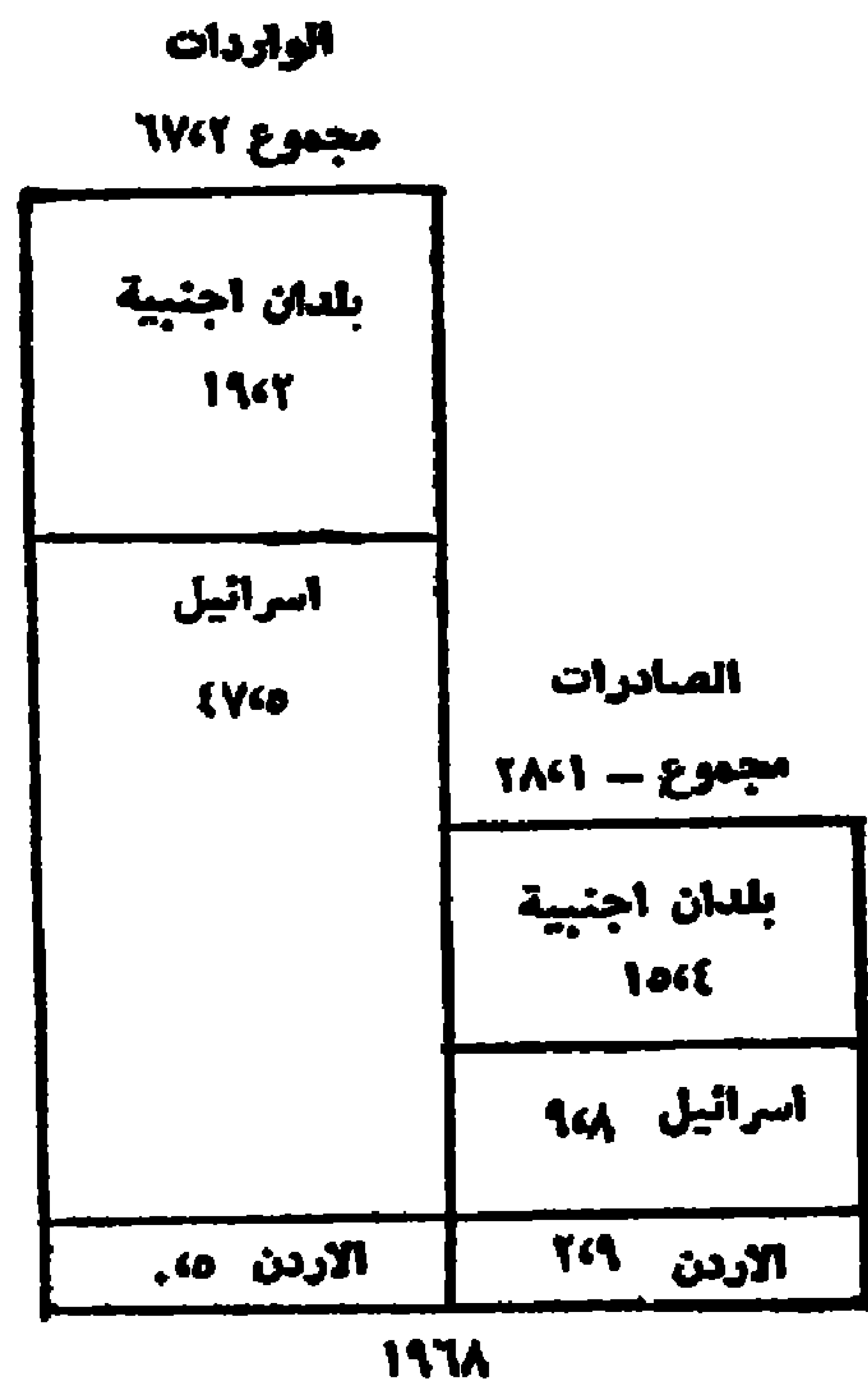
الصادرات	
الاردن	٦٤٫٤
اسرائيل	٣٧٫٣
بلدان اجنبية	١٫٥

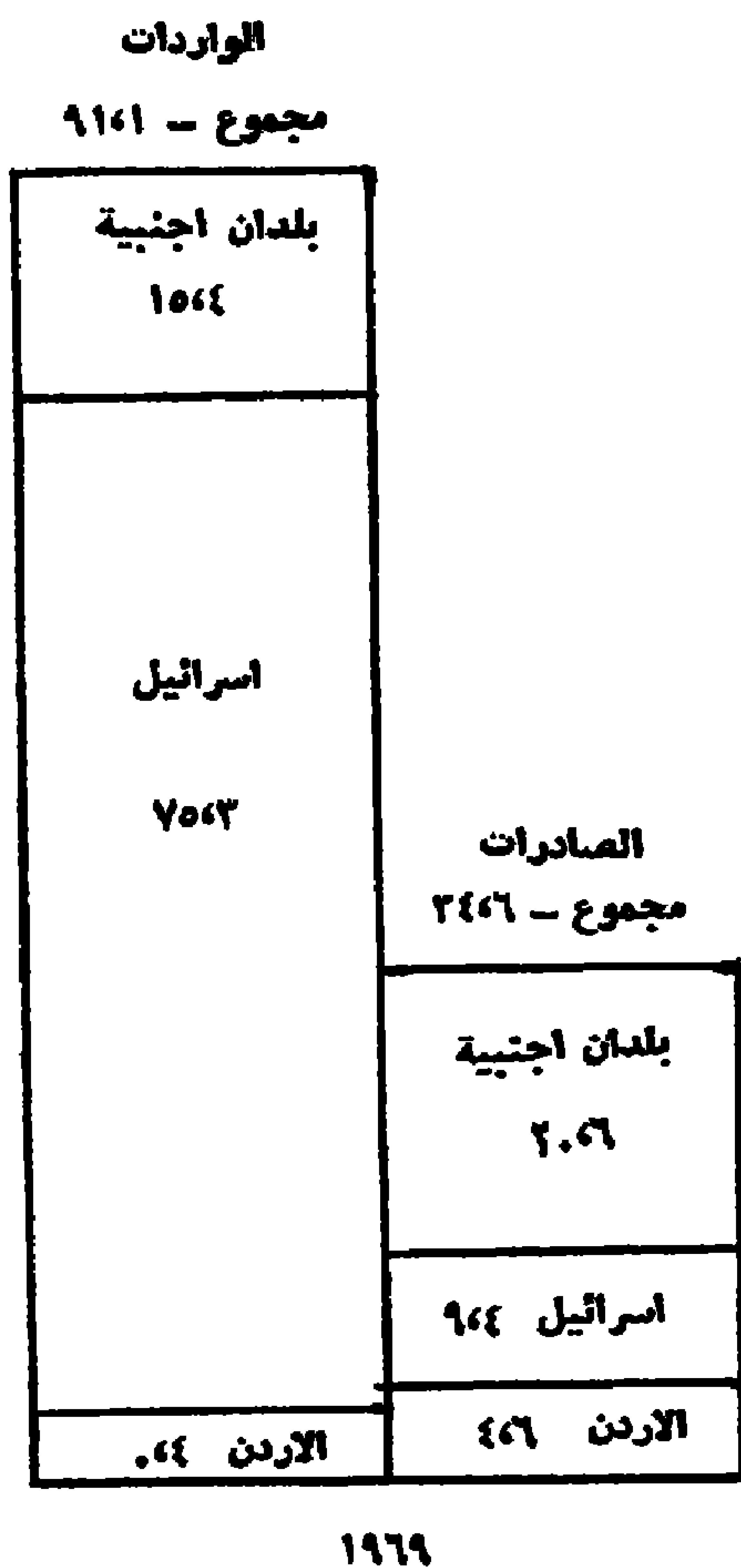
ان اللوحتين تظهران ان اكثر من ثلثي تجارة المناطق المحتلة الخارجية في عام ١٩٦٩ كان مع اسرائيل ، وان الميزان التجاري مختل لصالح اسرائيل اختلالا هائلا ، وانه في الوقت الذي فيــه ظلت قيمــة الصادرات من المناطق الى اسرائيل تقريبا على حالها ، ازدادت قيمة الواردات من اسرائيل في عام ١٩٦٩ زيادة كبيرة بلغت في الضفة الغربيــة (٢٩٫٤) مليون ليرة اسرائيلية وفي القطاع (٢٧٫٨). وهذا هو في الحقيقة الوضع الطبيعي المفروض ان يسود بين اقتصادين احدهما نام ومتطور والاخر متخلف ومكبوح ، وخاصة عندمــا تكون السلطة المنظمة للعلاقة بين الاقتصادين معنية بأن يظــل الاقتصاد المتخلف تابعا للاقتصاد المتطــور وتكون معنية بتطويره فقط في اتجاهات معينة .

الخطة الزراعية

ان الضفة الغربية تعدل الميزان التجاري الخاسر مع اسرائيل عن طريق الفائض من الميزان التجاري الرابح مع الاردن والدول العربية ، وعن طريــق الخدمات التي تصدرها وتقدمها متمثلة بالعمل داخل اسرائيل والخدمات السياحية،وعن طريق الحوالات المالية الواردة من الخارج والمبالغ التي تدفعهــا الحكومة الاردنية لبعض اهالي الضفة . ان اغلاق الجسور المفتوحة الان يمكن ان يؤدي الى هــزة اقتصادية في الضفة الغربية قد تهــدد ما تسمى

لوحة رقم (٢) : التجارة الخارجية — قطاع غزة وشمال سيناء (المبلغ بملايين الليرات الاسرائيلية)(٦٠)





اسرائيل لتحقيقه . ولذلك وضعت اسرائيل خطة في الحقل الزراعي تستهدف تقليل اعتماد الضفة الغربية في تصريف منتوجاتها على الاسواق العربية. ومفتاح هذه الخطة تغيير الحاصلات الزراعية بحيث تتلاءم اكثر مع امكانيات التصدير لاسرائيل والبلدان الاجنبية ، مصنعة او غير مصنعة . ونقتبس من الخطة الخمسية الموضوعة لاعوام ١٩٦٩ — ١٩٧٤ البندين الرابع والخامس(٦١) :

اهداف الخطة ...

(البند الثاني) : زيادة الانتاج مع اعطاء افضلية نسبية لما يلي :

* منتوجات طازجة او مصنعة للتصدير الى اوروبا.
* منتوجات تحل محل المنتوجات التي تستوردها الضفة .
* منتوجات للبيع في اسرائيل ، مكملة او تحل محل المنتوجات التي تستوردها اسرائيل .

(البند الخامس) : — المنتوجات يجب الا تنافس المنتوجات الاسرائيلية

ان مراكز البحث الزراعية ، وهي أربعة انشئت بعد الحرب مباشرة(٦٢)، قد درست التربة والمناخ والمياه في الضفة الغربية ، واجرت تجارب لزراعة غلات جديدة كالقطن والبندورة والخيار الصالح للتطليب الخ.. ، وأرسلت نتائج أبحاثها الى وزارة الزراعة الاسرائيلية .

ان المادة حول نتائج البحث ليست بين يدينا ولكن الحكم العسكري يحب ان يذكر كمثال على نجاحه في « اقناع » السكان بتغيير انواع الحاصلات الزراعية انقاص المساحة المخصصة لزراعة البطيخ (الذي كانت غالبيته تسوق في الضفة الشرقية والبلدان العربية ولا مجال لتسويقه في اسرائيل او اوروبا) من (٤٣) الف دونم في عام ١٩٦٨ الى (٢٦) الف دونم في عام ١٩٦٩ ، وازدياد مساحة

الارض المخصصة لزراعة التبغ من (١٥٠٠) دونم الى (٨٤٠٠٠) دونم في العامين المذكورين(٦٣).

تقول مجلة اسرائيل ايكونومست [عدد آب ـ ايلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٧٠ ، ص ١٨٢] :

« ان الروابط التجارية الوثيقة التي قامت خلال السنوات الثلاث الماضية بين المناطق المحتلة واسرائيل يمكن أن تؤدي في حالة انقطاعها الى خلق صعوبات كبيرة لسكان المناطق . ان العودة الى الحكم الاردني او المصري قد تتسبب في خلق بطالة كبيرة ومن الارجح أن يعود مستوى الاجور الى الانخفاض . ان عددا متزايدا من السكان العرب بدأ يدرك ذلك وقد نجد في هذه الحقيقة تفسيرا للدرجة العالية من التعاون المتحقق مع السلطة العسكرية في المجال الاقتصادي » .

ان هذا القول ، مهما كانت نسبة الصحة فيه ، يمثل المطامح الاسرائيلية الكامنة وراء الجهد الاقتصادي للسلطة العسكرية في المناطق المحتلة : أن تتوثق الروابط الاقتصادية بين اسرائيل والمناطق المحتلة ، أن ينتعش الاقتصاد، أن يستكين السكان فلا يعودوا يفكرون بمقاومة الاحتلال . وتدريجيا يتم الدمج الاقتصادي والمعاشي ، وتدريجيا تبتلع اسرائيل الضفة والقطاع ، وتدريجيا تولد اسرائيل اكبر ، ويورث الجيل الاسرائيلي الحالي للجيل القادم رصيفا اكبر للوثوب .

* * *

يقول دايان : « تحت تصرفنا الان وقت ، ومناطق، وصلاحيات سلطة ، وعلينا ان نستغل الثلاثة(٦٤)».

يقول اوري افنيري مخاطبا الكنيست :

« مثل روح والد هاملت يحوم الكيان الفلسطيني على مسرح المنطقة ، لا يكل ولا يمنح الراحة ... مثل تلك الروح في مسرحية شكسبير لم يكف الكيان الفلسطيني ، ولا للحظة واحدة ، عن القاء ظله الراعب على المنطقة .

بقي في مخيمات اللاجئين ... وجد تعبيره في سلسلة لا تنقطع من الانتفاضات ضد الحكم الهاشمي ... ساعد دونما انقطاع حالة العداء بين اسرائيل والحكام العرب ... وتجلى اخيرا في قيام منظمات الفدائيين وتعاظم قوتها ... منظمات الفدائيين التي اصبحت الان عاملا مستقلا يهدد النظم العربية ويقرر الى حد كبير سير تصاعد الحرب بيننا وبينهم (٦٥)».

نقول لدايان هاوي اثريات الماضي ومحترف الحرب :

يجدر أن تقرأ ، أو تعيد قراءة ، مسرحية الكاتب العظيم .

المراجـــع :

١ ـ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري / ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠** (الترجمة الانكليزية ـ ستانسل) ، وزارة الدفاع الاسرائيلية، ١٩٧٠. توجد نسخة محفوظة في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية، منظمة التحرير، بيروت.

* شبه الجملة بين القوسين . ملاحظة من كاتب المقالة .

٢ ـ **معرخوت** (عبرية) ، منشورات وزارة الدفاع الاسرائيلية ، العدد ٢٠٤ ، كانون ثاني (يناير) ، ١٩٧٠ ص ٢٣ . الاقتباس مأخوذ من المقالة الاولى في المجلة ، وهي بعنوان «الامن في اسرائيل ١٩٧٠» بقلم البريغادير جنرال ي. رافيف ، سكرتير موشيه دايان وزير الدفاع .

٣ ـ موشيه دايان ، **خريطة جديدة ـ علاقات جديدة** (بالعبرية) ، « مكتبة معاريف » و « شكمونه » ، تل ابيب وحيفا ، ١٩٦٩ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ . ويحتوي الكتاب على مختارات من الخطب والمحاضرات التي القاها دايان في الفترة بين ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ .

* المرجـع نفسه ، ص ١٧٧ .

٤ ـ **جروزالم بوست ـ الملحق الاسبوعي** (عدد ١٩٧٠/١٠/٢٧)

٥ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٧٩ .

٦ ـ نشرت **دافار** (١٩٧٠/٨/٣٠) نتائج دراسة اجريت بغية بلوغ تصورات السكان في اسرائيل والمناطق المحتلة في عام ١٩٨٥ ... وقد اظهرت نتائج الدراسة ان نسبة السكان العرب ستصبح في ذلك التاريخ ٤٤٪ من مجموع السكان ، وانه بعد عشرين سنة ستفقد الغالبية اليهودية .

٧ ـ يعتبر مناحيم بيجن ، زعيم كتلة جاحال ، اضافة لدايان وألون ثالث ابرز ثلاثة « صقور » في اسرائيل ، وقد ظل عضوا في الحكومة الاسرائيلية حتى ١٩٧٠/٨/٤ عندما قدم استقالته هو واعضاء كتلته من

الحكومة احتجاجا على موافقة الحكومة على مبادرة روجرز .

٨ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٦٣ .

٩ ـ المرجع نفسه .

١٠ ـ ورد الخبر حول موافقة اللجنة في جريدة **هآرتس** (١٩٧٠/٥/٢٠) .

١١ ـ يعد كاتب المقالة بحثا مستقلا حول مدينة القدس ، ولذلك يغفل الحديث عنها في هذه المقالة .

١٢ ـ الارقام المذكورة مأخوذة من بيان ادلى به نائب رئيسة الحكومة ايغال الون في الفترة ما بين ٩ـ١١ آذار (مارس) ١٩٧٠ ، راجع **محاضر جلسات الكنيست** (بالعبرية) ، الكنيست السابعة ، الجلسة ب (٩ـ١٩٧٠/٢/١١) ، ص ١٠٧٢ـ٧٣. وبالنسبة لاسماء المستوطنات واماكن اقامتها ومعلومات اضافية عن الاستيطان راجع كتاب الدكتور انيس صايغ : **المستعمرات الاسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧** ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٩ .

١٣ ـ نشرت **دافار** (عدد ١٩٧٠/٩/٤) ان لجنة مشتركة من قسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية ووزارة الاسكان قد استعرضت ٤٥ الف دونم من الاراضي الصالحة للزراعة في الجولان (٣٠،٠٠٠ في الجزء الجنوبي من الهضبة ، ١٢،٠٠٠ في الجزء الشمالي و ٣،٠٠٠ في المنحدرات) . وانه نظرا لان الشرط الاول لتطوير مرتفعات الجولان هو توفير المياه بالكميات المطلوبة فان اللجنة المذكورة على استعداد لاستثمار (٦٠) مليون ليرة اسرائيلية في تطوير مشاريع الري في الجولان على اساس الحاجة لـ (٢٩) مليون متر مكعب من الماء في العام . ويذكر دون بيرتز في مقالة بعنوان « قضايا انتخابات عام ١٩٦٩ في اسرائيل » نشرها في مجلة **ذي ميديل ايست جورنال** (شتاء ١٩٧٠ ، ص ٣٧ـ٣٨) ان هناك خطة موضوعة لايصال عدد المستوطنات في الجولان الى عشرين مستوطنة وان قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية خطط لاستثمار مبلغ (٥٠) مليون ليرة اسرائيلية في زراعة حاصلات للتصدير . ان الجهود والارقام المذكورة توضح مدى اهتمام السلطة المحتلة بأعمار وتطوير الهضبة ، والاولوية الخاصة التي تعطيها لها .

١٤ ـ **دافار** (١٩٧٠/٩/٣)

١٥ ـ **جويش ابزرفر** (١٩٦٨/١٢/٢٧) ، ص ٧ .

١٦ ـ **دافار** (١٩٧٠/١/٢٥) .

١٧ ـ **محاضر جلسات الكنيست** ... المرجع السابق ، ١٠٧٣ .

١٨ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٦٣ـ٦٤.

١٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٧٩ .

٢٠ ـ المرجع نفسه .

٢١ ـ **جويش ابزرفر** (١٩٦٨/١٢/٢٧ ، ص ٧) . ويجدر بنا هنا ان نذكر ان رأي بيجن ، كما يلخصه كاتب المقالة عاموس بن فيرد في **الجويش ابزرفر** (نفس العدد والصفحة) ، شبيه برأي دايان وان كان يصدر عن منطلقات مختلفة . ان بيجن يطالب بان تتحول كل مدينة في الضفة الغربية الى مدينة يهودية ـ عربية مشتركة . فكما توجد هناك ناصرة عليا يهودية وناصرة عربية متلاصقتان يجب ان تكون هناك خليل عليا ونابلس عليا يهوديتان وبذلك يتحقق الدمج من القاعدة . ويلاحظ ان مشروع اقامة « خليل » يهودية يمكن ان يعتبر تحقيقا لهذا المطلب .

* تم ربط شبكة كهرباء غزة بشبكة الكهرباء الاسرائيلية في ١٩٦٩/٢/٣ (**دافار** ٤ـ٢ـ١٩٦٩) ، واقرت وزارة الاسكان في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٩٧٠/٢/٢٩ ربط جنوبي مرتفعات الجولان بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ... وتعهدت الشركة بالبدء بالعمل فورا لتحقيق ذلك (**دافار** ١٩٧١/٢/٢٠) .

٢٢ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

٢٣ ـ المرجع نفسه ، ص ١٥٤ .

٢٤ ـ **جروزالم بوست ـ الملحق الاسبوعي** (١٩٦٩/١٠/٢٧) .

٢٥ ـ المرجع نفسه .

٢٦ ـ المرجع نفسه .

٢٧ ـ بلغ مجموع المبالغ المنفقة على توسيع الطرق وتحسينها وصيانتها وانشاء طرق جديدة في الضفة الغربية خلال الاعوام الثلاثة ١٩٦٧ـ١٩٧٠ مقدار (٢٩٬٧٧٩٬٥٥٠) ليرة اسرائيلية . كما بلغ مجموع المبالغ المنفقة لنفس الغاية في نفس المدة في القطاع وشمال سيناء مقدار (٥٬٥٣٤٬٢٠٠) ليرة ، انظر **ثلاث سنوات** .... ، ص (٢٢) و (٩٢) .

٢٨ ـ **معرخوت** ، المرجع السابق .

٢٩ ـ **دافار** (٢٩ـ١٠ـ١٩٦٩) و (١٧ـ١١ـ١٩٦٩) .

٣٠ ـ انظر ابراهيم العابد ، **حقوق الانسان في المناطق المحتلة** (بالانكليزية) ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٣ ـ ٣٨ .

٣١ ـ انظر **ثلاث سنوات ...** ، ص ٧٩ .

٣٢ ـ **معرخوت...** ، المرجع السابق ، ص ٣٦ . المعلومات والاقتباسات التي نرجمها لهذا المرجع من الان فصاعدا مأخوذة من المقالة الثانية في العدد ، وهي بعنوان «المناطق المحتلة ، السياسة والانجاز» بقلم البريجادير جنرال شلومو غازيت ، منسق عمليات الحكومة في المناطق .

٣٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٧ .

٣٤ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

٣٥ ـ **انظر حقوق الانسان ...** ، المرجع السابق ، ص ١٨ـ٢٢ . انظر ايضا التقرير الوثائقي الذي اعده جورج ديب وفؤاد جابر : **انتهاك اسرائيل لحقوق الانسان في المناطق المحتلة ـ تقرير وثائقي** (بالانكليزية) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، وفيها شهادة كاتب المقالة ص ١٤٣ ـ ١٦٤ . وقد كان كاتب المقالة شاهد عيان لعدة حالات تعذيب .

٣٦ ـ **معرخوت ...** ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

٣٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٣١ .

٣٨ ـ **ثلاث سنوات ...** ، ص ١٣ .

٣٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦ .

٤٠ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠ .

٤١ ـ المرجع نفسه ، ص ٩٠ .

٤٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

٤٣ ـ في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ وصل عدد العاملين في الطرقات من السكان العرب في الضفة الى ٨٠٠٠ مستخدم . انظر المرجع نفسه ، ص ٢١ .

٤٤ ـ **ثلاث سنوات ...** ، ص ٤ .

٤٥ ـ المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

٤٦ ـ المرجع نفسه ، ص ١٢٦ .

٤٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

٤٨ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

٤٩ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

٥٠ ـ المرجع نفسه ، ص ٩٥ .

٥١ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠٠ .

٥٢ ـ تذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** عدد آب ـ ايلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٧٠ ، ص (١٨٢) ان الاستثمارات في الموجودات الثابتة في عام ١٩٦٩ بلغ مقدارها في الضفة (٤٥) مليون ليرة اسرائيلية قدم الحكم العسكري منها (٢٠) مليونا بينما قدم الافراد والمؤسسات الخاصة الباقي . وبلغ مقدارها في القطاع (٢٣) مليون ليرة قدم الحكم العسكري (١٤) مليونا .

٥٣ ـ تذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** (المرجع نفسه) ان متوسط أجر العامل غير الفني قد ارتفع في الضفة في عام ١٩٧٠ الى (٧٬٠٠) ليرات اسرائيلية في اليوم . وارتفع في القطاع الى (٥٬٧٠) ليرة .

٥٤ ـ **ثلاث سنوات ...** ، ص ١٨

٥٥ ــ المرجــع نفسه ، ص ٩١ .
٥٦ ــ ان جريدة هآرتس الصادرة بتاريخ ١٦/١٠/١٩٧٠ تذكر ان شركة كور قررت بناء مصنعين في قطاع غزة، وان شركة ايجد قررت اقامة مؤسسة كبيرة لخدمة باصاتها ، وان الحكم العسكري يخطط لاقامة مصنع لتعليب الاسماك في العريش . ان هذه المشاريع لو تحققت تكون قد رسمت فعلا منحى جديدا فيما يتعلق بالاستثمارات الاسرائيلية في المجال الصناعي في المناطق . اذ ان الصناعيين الاسرائيليين ، لاسباب عديدة ، فضلوا حتى لحظة كتابة هذه المقالة الاستثمار عن طريق عقود العمل الوسيط المذكورة اعلاه .
٥٧ ــ **ثلاث سنوات ...** ، ص ٩٩ .
٥٨ ــ المرجع نفسه ، ص ٣٢ .
٥٩ ــ المرجــع نفســه ، ص ١٣ .
٦٠ ــ المرجــع نفسه ، ص ٨٨ .
٦١ ــ **اسرائيل ايكونومست** ، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ، ص ١٠٣ .
٦٢ ــ **ثلاث سنوات ...** ، ص ٢٥ .
٦٣ ــ المرجــع نفسه ، ص ٢٧ .
٦٤ ــ **خريطة جديدة ...** ، ص ١٤٩ .
٦٥ ــ **محاضر جلسات الكنيست ...** المرجع السابق ، ص ١٠٧٤ .

الاطفال الفلسطينيون : جيل التحرير

باسم سرحان

لهذه الدراسة* السوسيولوجية هدفان رئيسيان هما : ١) دراسة مدى الوعي الوطني والشخصي المميز للاطفال الفلسطينيين الذين ولدوا خارج فلسطين . ٢) معرفة درجة ارتباط هؤلاء الاطفال بوطنهم الام ومدى استعدادهم للتضحية في سبيله .

وفي حال الحصول على نتائج ايجابية لهذين الامرين نكون قد دحضنا النظرية الشائعة والمقبولة حتى في بعض الاوساط العلمية والتي تقول بأن عوامل مرور الزمن وتشرد الفلسطينيين وعدم معرفة الصغار لوطنهم معرفة مادية وحسية ، ستؤدي بالشعب الفلسطيني الى فقدان شخصيته الوطنية الخاصة به ، وبالتالي يتحول هذا الشعب الى افراد ، الرباط الوحيد الذي يربط بينهم هو انهم قدموا اصلا من وطن لم يعد له وجود .

العينــة :

يقوم البحث الحالي على عينتين للاطفال الفلسطينيين . اخذت العينة الاولى من الاردن والعينة الثانية من لبنان . وتتألف كل عينة من ٢٥ طفلا اختيروا بطريق عشوائية . تضم العينة الاردنية عشرة اطفال فلسطينيين من عمان وخمسة عشر طفلا من مخيمين قرب عمان . وتضم العينة اللبنانية عشرة اطفال فلسطينيين من بيروت ، وخمسة عشر طفلا من مخيمين في لبنان . قد يبدو عدد الحالات في العينتين صغيرا جدا بحيث لا يمثل الاطفال الفلسطينيين كلهم ، لكنه في الواقع يفي بهدف الدراسة الذي يتطلب دراسة في العمق وليس مسحا اجتماعيا .

خصائص العينة :

تضم العينة (مجموع العينتين) اطفالا تتراوح اعمارهم بين عشر وخمس عشرة سنة ولد معظمهم خارج فلسطين (نازحو ١٩٤٨) . بعض هؤلاء الاطفال اشبال يتلقون توجيها سياسيا معينا من منظماتهم ، وبعضهم أطفال لا ينتمون الى اي تنظيم وبالتالي لا يتلقون اي توجيه سياسي .

كل اطفال العينة يذهبون الى المدرسة . وتضم العينة بعض الفتيات .

يأتي افراد العينة من مختلف مناطق فلسطين ، وينتمون الى عائلات مختلفة في المدخول والتعليم والمهنة والديانة ، وفي تاريخ النزوح وعدد مراته .

١ ــ وعي الاطفال الفلسطينيين الوطني وهويتهم الوطنية :

التركيز هنا يكون على ثلاثة جوانب للوعي الوطني والهوية الوطنية وهي : المصدر او المصادر التي استمد منها الاطفال الفلسطينيون هويتهم ووعيهم الوطنيين ، معرفتهم لقصة فلسطين التي تكون دليلا حسيا وجزءا لا يتجزأ من الوعي الوطني، مدى احساسهم

* هذا المقال مبني على دراسة اجتماعية للاطفال الفلسطينيين قام بها المؤلف وصدرت عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية باللغة الانجليزية (سلسلة ابحاث فلسطينية رقم ٢٣) .

بهويتهم الفلسطينية والذي يقاس بمدى رغبتهم في العودة الى وطنهم الام والاسباب الكامنة وراء تلك الرغبة . الجانب الرابع لوعي الهوية الوطنية هو موقف الاطفال الفلسطينيين من الذين كانوا السبب في بؤسهم وشعورهم نحوهم :

الهوية القومية : وضعنا ثلاثة اسئلة لقياس الهوية الوطنية وهي :

من اي بلد انت ؟ اين هي فلسطين ؟ هل انت لبناني ، اردني ، لاجىء ، مصري ، فلسطيني ؟ (سئلت كل اسئلة البحث بالعامية وصيغت بكلام مبسط جدا) .

اظهرت نتائج الاجابات على السؤال الاول ان كل الاطفال الفلسطينيين يعرفون انهم فلسطينيون وليسوا لاجئين او لبنانيين او اردنيين او سوريين الخ . وبالطبع فانهم يدركون هويتهم القومية وهي الهوية العربية ، اذ اجاب معظمهم انهم عرب فلسطينيون . لقد كانت الاجابات حول الوطنية واضحة لا مجال للشك او التردد فيها . فمثلا لم يقل اي طفل أنا أردني او لبناني من اصل فلسطيني ، رغم ان بعض الفلسطينيين الكبار في السن يستعملونها احيانا .

حين سألنا « أين هي فلسطين ؟ » لم نكن نبغي من وراء سؤالنا اختبار معلومات الاطفال الجغرافية ، بل كان هدفنا الوصول الى تصور الاطفال لموقع فلسطين سواء كان ذلك التصور جغرافيا أم غير جغرافي . وقد أتت النتائج لتضع تصور الاطفال لموقع فلسطين ضمن اربعة مجالات للتصور العام لشيء ما او شخص ما :

الفئة الاولى من الاطفال وتبلغ ١٦٪ من افراد العينة تصورت فلسطين تصورا عاطفيا وقالت « فلسطين بعيدة او بعيدة جدا » .

الفئة الثانية وتبلغ ٥٠٪ من افراد العينة تصورت فلسطين تصورا سياسيا عبر عنه بالجمل التالية : « فلسطين في ايدي الصهاينة » ، « فلسطين مع اليهود »(١) ، و« فلسطين هي الارض المحتلة التي سرقها اليهود » .

التصور الثالث كان تصورا قوميا من قبل ٢٤٪ من افراد العينة : « فلسطين في قلب الوطن العربي » ، و« فلسطين جزء من البلاد العربية » .

الفئة التي أعطت الموقع الجغرافي لفلسطين كانت ٨٪ من أفراد العينة ، ومن بعض الاجابات : « فلسطين في جنوب لبنان » ، « فلسطين في الضفة الغربية » ، « فلسطين على المتوسط قرب لبنان وسوريا والاردن ومصر » .

فقط طفل واحد (٢ ٪) لم يعط اي تصور لموقع فلسطين . (انظر الجدول ادناه)

تصور موقع فلسطين

	عدد	النسبة المئوية
١ ـ تصور عاطفي	٨	١٦
٢ ـ تصور سياسي	٢٥	٥٠
٣ ـ تصور قومي	١٢	٢٤
٤ ـ تصور جغرافي	٤	٨
٥ ـ لا يعرف	١	٢
المجموع	٥٠	١٠٠

ان معرفة القضية الفلسطينية يدل ، كما ذكرنا سابقا ، على وعي لوضع الاطفال الفلسطينيين الحالي . وقد اجاب ٩٦٪ من افراد العينة على سؤال « بما انك فلسطيني ماذا تفعل هنا ؟ » (اي لماذا تعيش هنا وليس في فلسطين ؟) بالقول ان ذلك يعود الى ان « الاسرائيليين » او « اليهود » او « الصهاينة » احتلوا فلسطين بالقوة وطردوهم منها . وقد اضاف ١٦٪ من افراد العينة ان اليهود تمكنوا من طرد الشعب الفلسطيني لانه « لم يكن مسلحا » او « لم يتنبه للخطر اليهودي » وبذلك لم يتمكن من مقاومته .

السؤال المهم الذي يلي هو كيف تم حفظ الوعي الوطني الفلسطيني لجيلين بعد النكبة والتشريد ؟

اظهرت نتائج الدراسة ان هذا الوعي وهذه الروح ، اذا صح التعبير ، قد حفظا وغرسا بواسطة العائلة اثناء تربية الطفل . لقد رضع الطفل قضية بلاده كما رضع الحليب .

ان ارادة الشعب الفلسطيني في المحافظة على هويته وكيانه هي التي مكنت هذه الهوية وهذا الكيان من البقاء . الاب يخبر أبناءه ، والجد يفهم احفاده ، والام تخبر اولادها من هم وما الذي حدث لهم ومن السبب في محنتهم .

بالاضافة للعائلة ، كانت هناك ثلاث قنوات اتصال اجتماعية اخرى حفظت من خلالها الشخصية الفلسطينية ، وهذه القنوات هي : (١) البيئة الاجتماعية ككل ، (٢) وضع الفلسطينيين المادي ، (٣) حركة المقاومة الفلسطينية . (انظر الجدول ادناه) .

قنوات نقل وحفظ الوعي الوطني والهوية القومية

	العدد	النسبة المئوية
١ ــ العائلة (الاهل)	٣٤	٦٨
٢ ــ وضع الفلسطينيين	٤	٨
٣ ــ البيئة	١٠	٢٠
٤ ــ حركة المقاومة	٢	٤
المجموع	٥٠	١٠٠

لقياس موقف الاطفال الفلسطينيين من اليهود سألنا اربعة اسئلة هي :

أ) هل تحب اليهود ، تكرههم ، لا تحبهم ولا تكرههم ؟ لماذا ؟

ب) هل تكره اليهود الذين اخذوا بلدك أم كل يهود العالم ؟

جـ) ما هو الفرق بين اليهودي والصهيوني ؟

د) هل تقبل ان تعيش مع اليهود في فلسطين ؟ لماذا ؟

اظهرت نتائج البحث ان موقف الاطفال الفلسطينيين من اليهود ليس موقفا موحدا ، وان الفرق الاساسي في النظرة الى اليهود هو بين الاطفال الموجهين توجيهــا سياسيا وبين الاطفال الذين لا يتلقون أي توجيه سياسي .

فقد ذكر ٣٤٪ من افراد العينة انهم يكرهون الصهيونيــين او الحركة الصهيونيــة ولا يكرهون اليهود . والذين اتخذوا هذا الموقف هم اشبال من فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقيادة العامة . اما الاطفال غير الموجهــين سياسيا فقد ذكروا كلهم انهــم يكرهون اليهود لسبب واحد هو ان اليهود استولوا على فلسطين وطردوهم منها . وقد ذكر ١٠٪ من افراد العينة انهم يكرهون اليهود لانهم « يحاربوننا » او لانهم « يقتلون الفدائيين » .

لقد استطاع كل الاطفال الموجهين سياسيا ، ٣٢٪ من افراد العينة ، ان يميزوا بين اليهودي والصهيوني . ولم يستطع ٣٢٪ آخرون ان يفرقوا بين اليهودي والصهيوني ، وقال ٣٦٪ غيرهم أنه ليس هناك فرق بين اليهودي والصهيوني .

قال ٨٧٪ من الاطفال الموجهين سياسيا انهم يقبلون بالعيش مع اليهود في فلسطين على اساس الدولة الديمقراطية . اما بقية الاطفال الموجهين سياسيا ١٣٪ فقد ذكروا أنهم يرفضون العيش مع اليهود في فلسطين « خوفا منهم » أو لان « فلسطين لا تقبل انصاف الحلول ولنا كل الحق فيها » .

يدحض موقف الاطفال الفلسطينيين ، وخاصة الموجهين سياسيا ، المزاعم الصهيونية القائلة بأننا نربي اولادنا على الحقد على اليهود كلهم وكرههم والمطالبة بدمائهم . حتى ان منظمات المقاومة التي تهدف الى ازالة الكيان الصهيوني من فلسطين توجه افرادها

توجيها بناء في سبيل الدولة الديمقراطية .
الحقيقة الهامة التي توصل اليها البحث هي ان كل طفل فلسطيني يعرف انه فلسطيني ولديه فكرة معينة عن فلسطين ، ويعرف قصة فلسطين بشكل عام وهو بالتالي يرفض اي تعريف آخر لنفسه وخاصة تعريف « لاجيء » الذي حاولت جهات عديدة في الوطن العربي وخارجه الصاقه به وغرسه في نفسه لاحداث تغيير تام في تصور الفلسطيني لنفسه وبالتالي لمحو هويته الوطنية وعزله نفسيا وسياسيا عن تجمعات الفلسطينيين المختلفة في انحاء الوطن العربي وخارجه . ان الطفل الفلسطيني لا يدور في فراغ فلا يعرف من هو ومن اين أتى ، بل انه يقف على ارض صلبة ويعرف كل شيء عن ماضيه وحاضره وله موقف واضح ومحدد من عدوه .

٢ ــ التصميم على تحرير فلسطين :

قبل حزيران ١٩٦٧ ، لم يعط الفلسطينيون الفرصة ولم يسمح لهم بايجاد الفرصة للقتال من اجل الحرية والتحرير . لكن بعد حرب حزيران ١٩٦٧ زالت معظم العقبات التيكانت تقف بين الفلسطينيين والكفاح المسلح .
لقد مضت ثلاث سنوات على اشتعال الثورة ومرت الثورة بانتصارات ومحن . ان الوضع الحالي للثورة يفرض علينا أن نتوجه الى دراسة الاطفال الفلسطينيين ، لان اطفال اليوم هم الذين سيقررون مصير المعركة من اجل فلسطين : فبامكانهم أن يقاتلوا حتى النصر او أن يضعوا حدا للمعركة . ما نريد ان نعرفه بشكل محدد اكثر هو : اين يقف الاطفال الفلسطينيون من مسألة التحرير ؟ ما هو مدى تصميمهم على القتال ؟ اين تقع ولاءاتهم ؟ ما هي تطلعاتهم ؟ وما هي قيمهم ؟
يقاس التصميم على القتال بواسطة مؤشرات مباشرة وغير مباشرة كخطط المستقبل والخطط البديلة ، سلم الولاءات ، سلم الافضليات ، والاماني الشخصية الخ. سوف نخصص هذا الجزء من البحث لتحليل هذه المؤشرات ثم ربطها ببعضها بعضا لاعطاء صورة واضحة عن مدى تصميم الاطفال الفلسطينيين على تحرير وطنهم المحتل .

أ) الحياة اليومية للفلسطينيين والمشكلة الفلسطينية :

ان حضور المشكلة الفلسطينية في حياة الفلسطينيين اليومية عامل رئيسي في رغبة الفلسطينيين في التغيير . انهم يشعرون ان عليهم ان يفعلوا شيئا ، وهم يرددون أن كونهم احياء دون أن يحيوا أمر لا يمكن تحمله الى الابد. ان المهرب المرغوب الوحيد الذي يقبل به الفلسطينيون هو العودة . وهناك مظاهر واقوال عديدة في حياة الفلسطينيين اليومية تبرز تشديدهم على العودة . فهناك قولهم المعروف «عيدنا عودتنا» ، ومعايدتهم على بعضهم بعضا بقولهم « العيد القادم في فلسطين » . كما ان رغبة الكبار الشديدة بالموت في فلسطين هي مظهر آخر من مظاهر هذا النمط الاجتماعي . فكثيرا ما نسمع العجوز يقول لابنه « اتمنى ان اموت في فلسطين » و« طلبي الوحيد ان تنقلوا عظامي الى فلسطين بعد تحريرها » .
كانت القضية الفلسطينية حاضرة في حياة الفلسطينيين اليومية منذ تشردهم . وكان حضورها اكثر كثافة في حياة سكان المخيمات منه في حياة سكان المدن ، وذلك لسببين : كون وضع سكان المدن الاقتصادي افضل ، مكنهم من تفادي ضغوط خارجية كثيرة ، ثم ــ وهذا الاهم ــ كون سكان المخيمات يؤلفون وحدة عاطفية متماسكة نظرا لتقاربهم السكني والجسدي ، بينما الروابط العاطفية بين سكان المدن متصورة على بضع عائلات فلسطينية . ان سكان المخيمات يواجهون مشاكل الحياة اليومية معا وهم يخضعون لنفس الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ان اطفال المخيمات يذهبون الى نفس المدارس ــ الانروا ــ بينما اطفال المدن يذهبون لكافة انواع المدارس ويواجهون مشاكل الحياة اليومية كل بمفرده .

تظهر نتائج البحث الحالي ان الاطفال الفلسطينيين الذين يعيشون في المدن يفكرون بالمشكلة الفلسطينية ويصطدمون بنتائج محنتهم ، لكنهم يفكرون ايضا بأشياء اخرى كالادب والتمثيل والرياضة والدروس الخ. لكن الاطفال الفلسطينيين الذين يعيشون في المخيمات غارقون تماما في محنتهم ، فكل ما يفعلونه او يفكرون به موجه الى المشكلة الفلسطينية ومتصل بها . ان تيار فكرهم الرئيسي تيار سياسي ، وحياتهم اليومية حياة سياسية (الاستماع للاخبار ، فتح احاديث حامية حول المشكلة ، والانضمام للاحزاب والحركات السياسية الخ) .

وقد كثفت الثورة الفلسطينية حضور المشكلة الفلسطينية في حياة سكان المخيمات، واصبحت محل اهتمام قطاع كبير من سكان المدن . حتى ان العديد من سكان المدن الذين كانوا يائسين من اي عمل سياسي ، اصبح لهم نشاط سياسي كبير عندما برهنت لهم الثورة الفلسطينية على ان هناك أملا وعلى ان النصر اكيد .

وقد سئل الاطفال الفلسطينيون : « ما هي أكثر ثلاثة أمور تتحدث عنها مع رفاقك كل يوم ؟ »

ظهر ان كل الاطفال الموجهين سياسيا (الاشبال) لا يتحدثون عن اي شيء غير الثورة . فهم يتكلمون عن مختلف نواحي الثورة — من انواع السلاح المستعمل والتدريب والعمليات والمقاتلين وحياة المعسكر ، الى الجهود العربية العسكرية والعودة والتحرير . كما ان اشبال الجبهة الشعبية بشكل خاص يتحدثون عن التركيب الطبقي للمجتمع الفلسطيني والعربي .

اما بين الاطفال غير الموجهين سياسيا ، فان اطفال المخيمات ايضا يقصرون حديثهم على الجوانب المختلفة للمشكلة الفلسطينية . اما الموضوع الرئيسي الاخر الذي يبحثونه فهو الدروس والمدرسة . ومن بين هؤلاء الاطفال طفل واحد (٢٪) ذكر انه بالاضافة الى الحديث عن فلسطين ، يتحدث عن ركوب الدراجات مع رفاقه. اطفال المدن غير الموجهين سياسيا يتحدثون كثيرا عن المشكلة الفلسطينية ، لكنهم يعطون مجالا اكثر من المجال الذي يعطيه أطفال المخيمات للحديث عن الرياضة والافلام والمدرسة الخ. ان اكثر كلمتين يستعملهما الاطفال الفلسطينيون في لبنان هما كلمتا « كلاشينكوف » و« فدائي ».

ب) خطط المستقبل والاختيارات البديلة :

لقد عرضنا بعض الخطط على افراد العينة وفي ذهننا هدفان : الهدف الاول هو اعطاء الفلسطينيين اختيارات مغرية بديلة لان يصبحوا فدائيين . والهدف الثاني هو معرفة مدى استعدادهم لقبول الخطط البديلة ، ثم معرفة خططهم للمستقبل او على الاقل اتجاهاتهم الحالية التي تشير الى خططهم الممكنة للمستقبل .

الخطط الثلاث التي عرضناها هي :

١ — منحة دراسية — مدتها خمس سنوات — للدراسة في الولايات المتحدة او اي بلد اوروبي يختاره الطفل .

٢ — فترة تدريب — مدتها خمس سنوات — في احدى التجارات في الكويت تنتهي بأن يصبح المدرب تاجرا كبيرا .

٣ — جولة سياحية مجانية — مدتها خمس سنوات — لخمسة بلدان يختارها الطفل.

وقد اخترنا مدة الخمس سنوات كمدة كافية لابعاد الطفل عن التأثير الاجتماعي « لجبهة القتال » ولانها في الوقت نفسه تمكنه من اتخاذ مهنة ثابتة .

قد يعني قبول طفل باحدى الخطط انه غير مرتبط بالمعركة بعد وقد لا يعني ذلك . ولذلك سألنا سؤالا مكملا لمعرفة ما اذا كان قبول الخطة يعني الانفصال عن المعركة ، وكان السؤال : « بعد انتهاء الخمس سنوات هذه ، ماذا تحب او ترغب ان تفعل ؟ » .

مع ان الاشبال مرتبطون بالمعركة ، فقد عرضنا عليهم الخطط لاعطائهم فرصة لفك

ارتباطهم والخروج من المعركة. وكانت النتيجة ان كل الاشبال (٣٢٪) قد رفضوا بدون ادنى تردد خطتي السياحة والتجارة . الاسباب التي اعطوها لرفضهم كانت : « نحن الان لسنا في مرحلة التجار والناس الكبار » ، « اريد اولا استعادة فلسطين » ، « اريد ان اصبح مقاتلا » ، و« وضعي الطبقي لن يسمح لي ، بعد التدرب في الكويت على التجارة ، ان اعود للقتال » ، « افضل ان تعطى النقود التي ستصرف على رحلتي الى حركة المقاومة » ، « افضل ان اخدم وطني من اضاعة وقتي » و« لا اريد ان اترك المعركة قبل ان نستعيد فلسطين » .

اما خطة المنحة الدراسية فقد قبلها ٨٧،٥٪ من الاشبال .

هذه الحقيقة ليست غريبة او متناقضة مع الارتباط بالثورة اذا اخذنا بعين الاعتبار القيمة العالية التي يعطيها الفلسطينيون للعلم ، وخطط الاشبال بعد انتهاء دراستهم . فقد ذكر كل الاشبال الذين قبلوا خطة المنحة الدراسية انهم سيعودون للالتحاق بالثورة بعد انتهاء الدراسة .

بعكس ما هو متوقع ، رفض معظم الاطفال الفلسطينيين (٨٨٪) غير الموجهين والذين يسكنون المخيمات ، الخطط الثلاث كلها دون ادنى تردد . وكان سببهم الوحيد في ذلك هو عزمهم على الالتحاق بالثورة .

ومن بعض اجوبتهم : « لا اريد ان اصبح تاجرا ، اريد ان اتدرب لاكون مقاتلا » ، « اريد ان اقاتل » ، « خلال خمس سنوات استطيع تدمير جزء من قوة العدو » ، « لسنا بحاجة الى شهادات الان ، فلسطين بحاجة الى مقاتلين » . طفل واحد رفض الخطط الثلاث لسبب شخصي ، وهو انه لا يريد ان يبتعد عن اهله . وطفل آخر فقط قبل الخطط الثلاث وقال انه لا يعرف ماذا سيفعل بعد مرور الخمس سنوات . ان احتمال انضمام اي من هذين الطفلين الى المعركة احتمال ضعيف .

كان للمدخول اثر على موقف الاطفال غير الموجهين والذين يسكنون المدن وتبين ذلك من موقفهم من الخطط المختلفة المعروضة عليهم(٢). فان الاطفال الذين دخل عائلاتهم منخفض اتخذوا مواقف مشابهة لاطفال المخيمات . لكن الاطفال الذين تحظى عائلاتهم بدخل مرتفع (١٦٪ من افراد العينة) اتخذوا مواقفهم على اساس شخصي بحت . وقد قبل ٧٠ ٪ من هذه الفئة الاخيرة من الفلسطينيين « الاغنياء » الخطط الثلاث . لكن القبول بالخطط المعروضة لا ينفي الشعور بالواجب الوطني عند الاطفال « الاغنياء » . ان لدى هؤلاء كل عزم على مساعدة الثورة ماديا واجتماعيا وسياسيا ، لكنهم لا يفكرون في ان يصبحوا مقاتلين . بناء على نتائج هذه الدراسة نعتقد ان الغالبية الساحقة للجيل الحالي من الاطفال الفلسطينيين « الاغنياء » ستبقى في صفوف « الجبهة المساندة » للثورة . واننا نقدر نسبة هؤلاء الاطفال من مجموع الاطفال الفلسطينيين بـ ١٠ ٪ — ١٥ ٪ ، وبالطبع سيكون بينهم افراد يصبحون مقاتلين .

لقد لاحظنا ان غالبية الذين يرغبون في ان يكونوا في « الجبهة المساندة » هم من فلسطينيي لبنان . ويمكن تفسير هذه الظاهرة بتشديد المجتمع اللبناني على «تقديم العون» والعمل السياسي والدبلوماسي بدلا من القتال .

ليس هناك اي فرق في المواقف من الخطط الثلاث بين الاشبال ، واطفال المخيمات ، واطفال المدن « الفقراء » الذين يسكنون الاردن ولبنان (هذه الفئات الثلاث تؤلف ٨٤٪ من العينة) .

د) سلم الافضليات :

التفضيل عادة ، وفي حال بقاء عوامل اخرى ثابتة ، دليل على القرارات التي ستتخذ ثم على القيام بخطوات لتنفيذها . اذا عرفنا افضليات الاطفال الفلسطينيين يمكننا ان نعرف خطواتهم الاكثر احتمالا في المستقبل . وبما ان موضوع هذا البحث يعالج التفضيل بين

القتال ونشاطات اخرى ، فقد سألنا السؤال التالي : « هل تفضل ان تدخل : كلية هندسة ، كلية طب ، كلية عسكرية ، كلية مهنية ، غيرها ؟ ولماذا ؟ »
لقد اختار ٧٨٪ من اصل ٨٤٪ من الفئات الثلاث ــ الاشبال واطفال المخيمات واطفال المدن الفقراء ــ الكلية الحربية . وحتى الحالات الثلاث الاخرى (٦ ٪) اظهرت ان اختيارها قائم على دوافع وطنية . فقد اختار طفل ان يدخل كلية هندسة لكي يصبح « مهندسا مع فتح » ، واختار آخر ان يصبح طبيبا « ليعالج الفدائيين الجرحى » ، واختارت فتاة ان تصبح اما طبيبة فدائية او مهندسة فدائية .
كل الاطفال « الاغنياء » ، باستثناء طفل واحد ، فضلوا دخول كليات الهندسة والطب والاداب والعلوم ، ولم يربطوا اختيارهم بأي دافع وطني .
يمكن ان نستنتج من المعلومات السابقة ان معظم الاطفال الفلسطينيين يتأثرون تأثرا كبيرا باعتبارات وطنية حين يتخذون قرارات شخصية . يبدو أن الطفل الفلسطيني يقول في داخله « قبل ان اقوم بهذا العمل او ذاك ، يجب أن اعرف اذا كان يؤثر على دوري في الثورة » . ومن الواضح ان الاطفال الفلسطينيين ــ بناء على هذه الحقيقة وحدها ــ هم اكثر ثورية ، في طريقة تفكيرهم وفي ارتباطهم بالثورة ، من الفلسطينيين الراشدين .
وقد عبر الاطفال الفلسطينيون عن نظرتهم للامر بأقوال منها : « اوضاعنا الان ليست للطب والهندسة ، همنا الاول ارجاع وطننا » ، و« الكلية العسكرية هي التي ترجع فلسطين » و« كلية عسكرية طبعا لكي احمي شعبي » .
ملاحظة اخرى هامة نستمدها من هذه الاقوال وهي انه لم يقل اي طفل فلسطيني انه يفضل دخول الكلية العسكرية لكي « يقتل اليهود » او « يرميهم في البحر » او اي ادعاء صهيوني من هذه الادعاءات المعروفة .

د) سلم الولاءات :

تدرس الولاءات الفرديةعلى انها جزء اساسي من البنيان الذييتحكم في التصرف الانساني ويوجهه ومن نظام القيم في مجتمع ما .
لقرون عديدة كان ولاء الفرد العربي اولا وقبل اي شيء آخر لعائلته . ان بعض الناس يعتبرون الولاء للدين اهم من الولاء للعائلة عند العرب ، وبعضهم الاخر يقول ان الولاء للدين يأتي مباشرة بعد الولاء للعائلة . نحن نميل الى تأييد الفريق الثاني . الولاءات الاقل اهمية هي الولاء للجماعة والولاء للقرية . أما الولاء القومي او الوطني فكان غائبا تماما عن سلم ولاءات الفرد العربي ، ولم يدخله الا حديثا (في اواخر القرن التاسع عشر) . رغم ان ولاء العربي لقوميته نما باطراد ، الا انه حتى الان لا يضاهي الولاء العائلي او الديني في المجتمع العربي عامة : في لبنان وفي سوريا وفي مصر الخ . لقد اظهرت دراسة اميرة حبيبي عن نزوح ١٩٦٧ (صدرت عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) ان الولاء للعائلة والحرص على سلامتها كانا من الاسباب الرئيسية التي شجعت على النزوح ، وان الفلسطينيين الذين هربوا لم يفكروا بنتائج هروبهم على الصعيد القومي بتاتا .
السؤال الان هو : هل تختلف ولاءات الاطفال الفلسطينيين عن ولاءات اهلهم وولاءات الراشدين من العرب ؟
وضعنا ميزانا لقياس ولاءات الفرد العربي يقيس الولاءات التالية : الدين ، العائلة ، الوطن ، النفس ، المال .
وقد اظهر البحث ان كل الاطفال الفلسطينيين لهم نفس نظام الولاءات ، وان مكان اقامتهم او مدخولهم او توجيههم السياسي عوامل غير مؤثرة على سلم ولاءاتهم . (بالطبع ان التقيد التام بنظام ولاءات معين أمر غير موجود في اي نظام اجتماعي ، وبالتالي من الطبيعي ان نجد بعض الشواذ بين الاطفال الفلسطينيين) .

سلم ولاءات الاطفال الفلسطينيين هو على الشكل التالي :
١ ــ الولاء الاول والاساسي هو للوطن . فقد قال ٩٢٪ من افراد العينة انه اسهل على الشخص انه يفقد عائلته ودينه وامواله وان يقاسي شخصيا من ان يفقد وطنه. هذا حقا شعور جديد وخاصة بين اطفال لم يروا وطنهم .
٢ ــ اتى الدين ثانيا بعد الوطن في سلم الولاءات . وهــذا أمر مخالف لتوقعات الباحث خاصة وان الدين مسألة روحية يصعب على الاطفال فهمها بينما العائلة شيء يلمسونه وله أثر كبير في مجرى حياتهم اليومية .
٣ ــ العائلة أتت ثالثا في سلم ولاءاتهم . يبدو ان الاطفال الفلسطينيين سيكونون الجيل العربي الاول الذي يكسر قبضة العائلة الحديدية على الفرد . وان الثورة تساعده على ذلك التغيير الجذري مساعدة كبيرة .

هـ) تصوّر الاطفال لطريق التحرير :

سألنا الاطفال الفلسطينيين : « هل تفضل العودة الى فلسطين ام الاستقرار حيث أنت؟» وقد أجابوا جميعا انهم يفضلون العودة الى فلسطين . وقال معظمهم (٩٠٪) ان السبب في رغبتهم هو أن فلسطين بلدهم . واعطى الاخرون (١٠ ٪) أسبابا مختلفة منهــا : « الحياة هناك احسن » ، « نحن غرباء هنا » ، « فلسطين أرض خصبة تعطــي لبنــا وعسلا » .
احد الدوافع الرئيسية وراء الرغبة في العودة هي « استعادة الكرامة » . وقد عبر ٢٠ ٪ من الاطفال عن هذا الواقع بقولهم : « من لا وطن له لا كرامة له » ، « الناس هنا يقولون اننا لاجئون ، والواحد ليس له قيمة هنا » ، و« لكي نعيش هنــاك في عزة وكرامة » .
السؤال التالي كان « لقد قلت انك تريد العودة الى فلسطين ، فهل يسمح لــك اليهود بالعودة ؟ » .
هذا سؤال استدراجي وجوابه معروف سلفا ، وقد جاءت الاجابات كلها بالنفي . السؤال الطبيعي الذي يلي هو « بما انهم لن يسمحوا لك بالعودة فكيف ستعود ؟ » .
أجاب كل الاطفال (١٠٠ ٪) انهم يستطيعون العودة بواسطة القوة وخــاصة قــوة السلاح . وقد عبر معظم الاطفال (٨٦ ٪) عن القوة بكلمة « حرب » ، و« القتــال » و« الثورة » . وقد قال ٨ ٪ منهم أن الجيوش العربية ستعيد فلسطين ، بينمــا قــال ٢٠ ٪ منهم ان حرب التحرير الشعبية هي الطريق الوحيد للعودة . وقال طفل واحــد فقط (٢ ٪) ان العودة ممكنة من خلال حل سلمي عادل .
لزيادة التأكد من تصور الاطفال لسبل العودة والتحرير ، ولمعرفة تصورهــم لمستقبــل الشعب الفلسطيني وللدور الذي يجب ان يلعبه كل فلسطيني ، استعملنا طريقة أتمام الجملة . وقد طلبنا من الاطفال أتمام الجمل التالية :

أ) لا يرجع فلسطين الا . . . . .
ب) لن يحرر فلسطين غير . . . . .
جـ) كل فلسطيني يجب ان . . . . .
د) الفلسطينيون سوف . . . . .

اتفق كل افراد العينة على أن القوة هي السبيل الوحيد لارجاع فلسطين ، ورمزوا للقوة بكلمات مثل : « بالدم » ، « بدماء الشهداء » ، « بالثورة » ، « بالفكر والبندقية » الخ .
أتم الاطفال الجملة الثانية بكلمات مثل : « الحرب » ، « حــرب التحرير الشعبيــة » ، « الفدائيين » ، « الفلسطينيين » و« ابناءنا » .
تصور ٨٤٪ من افراد العينة للدور الذي يجب ان يلعبه كل فلسطيني هو دور الفدائي (المقاتل) . فقد اتم هؤلاء جملة كل فلسطيني يجب ان يكون بكلمات « فدائي » و«ثوري» و« مقاتل » . أما باقي الاطفال ، ١٦ ٪ ، ومعظمهم من « الاغنياء » فقد تصوروا دور

الفلسطيني على أنه المساهمة في المعركة بقدر امكانياته . وقد عبر طفل عن هذا التصور بقوله : « كل فلسطيني يجب أن يقدم شيئا » .
الجملة الرابعة اظهرت ثقة الاطفـــال بمستقبل شعبهم . فقد أتـم معظمهم جملـة « الفلسطينيون سوف » بكلمة « ينتصرون » او « يستعيدوا فلسطين » . لقد بدا وكأن كل طفل « يعرف » ان فلسطين سترجع عربية يوما ما .

و) من هو البطل :

تتألف صورة او فكرة البطل من جزئين : الشخص المثالي بالنسبـة للفـرد (للطفـل) والصفات التي يتحلى بها البطل .
وقد سألنا سؤالين هما : ١) من معارفك ، من الذي تعجب به كثيرا وتحب ان تكون مثله؟ ٢) من هو البطل بالنسبة لك ؟
استطاع الاطفال في ٥٢ ٪ من الحالات ان يشيروا الى شخص معين من معارفهم على انه الشخص الذي يعجبون به ويتمنون أن يصبحوا مثله . وفي ١٢ ٪ من الحالات ذكر الاطفال شخصيات معروفة مثل كاسترو وغيفارا وابو عمار وجورج حبش . أمـا ٣٠٪ من الاطفال فلم يحددوا شخصا معينا لكنهم أبدوا أعجابهم بتعابير عامة أي « الفدائي » او « المقاتل » أو « الشبل » . ثلاثة اطفال فقط (٦٪) قالوا انهم لا يعجبون بأحد .
في حال الاطفال الذين ابدوا اعجابهم بأشخاص حولهم ، كان هؤلاء الاشخاص فدائيين أو ثوريين . من الامثلة على ذلك : « اخي محمد لانه فدائي » ، « ابن عمي طلال الذي قتل وهو يحارب في عجلون » ، « مدربي ابو رشيد الذي نقل الى السلـط واستشهـد هنـاك » .
طفلان فقط أرادا ان يكونا مثل والديهما « لانه رجل طيب » ، وطفل ثالث أراد أن يكون مثل مدير مدرسته .
معظم الاطفال « الاغنياء » ابدوا اعجابهم بأشخاص من خارج الثورة ، مثلا : « أعجب بأخي المهندس واريد ان اصبح مثله » ، « عمي لانه تاجر ناجح وغني » .
البطل بالنسبة لخمسين بالمئة من الاطفال الفلسطينيين يتمثل بشخصي عبـد النـاصر وابو عمار . اما الخمسون بالمئة الاخرون فقد انقسموا الى فئتين . الفئة الاولى (٢٤٪) اعتبرت أن « الفدائي » او « الثوري » هو البطل . والفئة الثانية (٢٦٪) أعطت تعريفا او وصفا للبطل دون أن تسمي احدا . فقد وصف افراد هذه الفئة البطل بأنه « الشخص الذي يكافح ليحرر الارض والانسان » او « الذي يقدم أعز ما يملك لوطنه » او « الـذي يموت في سبيل وطنه ويحميه » . كل هذه الاوصاف تدور حول معنى واحد : التضحية .
البطل اذن بالنسبة لـ ٢٦ ٪ من الاطفال الفلسطينيين هو الشخص الذي يضحي بكـل شيء في سبيل شعبه ووطنه .

ز ــ الاحتكاك بالفدائيين والمشاعر تجاههم :

يعتبر الباحث الاحتكاك الشخصي والجسدي للاطفال مع الفدائيين عاملا رئيسيا في تصميم الاطفال على أن يصبحوا فدائيين . ان عامل التقليد ، وهو عامل هام من عوامل تحديد السلوك الاجتماعي ، يلعب دورا كبيرا في دفع الاطفال للانضمام الى حركة المقاومة . التأثير الكبير الاخر للاحتكاك بين الاطفال والفدائيين هو أن الاطفال يلمسـون مكانـة « الفدائي » ومدى احتفاء الناس به ، حتى ان كل شخص يود ان يقدم شيئا او يفعـل شيئا للفدائي الذي « يموت من أجلنا » .
لذلك اهتم البحث الحالي بقياس مدى احتكاك الاطفال بالفدائيين ونتائج ذلك الاحتكاك كما تعكسها مشاعر الاطفال نحو الفدائيين .
قال ٨٢٪ من أفراد العينة انهم يرون الفدائيين كل يوم ويتحدثون اليهم . هذا امر متوقع لان الفدائيين هم عادة اقرباء او جيران او أصدقاء هؤلاء الاطفال . الاستنتاج الاساسي

هو أن هناك احتكاكا شخصيا كبيرا بين الاطفال والفدائيين .
توجد ثلاثة مظاهر في الثورة الفلسطينية تثير مخيلة الناس، وخاصة الاطفال، وتحرك أعمق مشاعرهم . هذه المظاهر الثلاثة هي : ١) العمليات الفدائية في الارض المحتلة، ٢) جنازات الفدائيين الذين يقتلون في هذه العمليات و ٣) عرض الميليشيا العسكري في المخيمات والقرى .
وقد هدف البحث الحالي الى دراسة كيفية ومدى تأثير هذه المظاهر على الاطفال الفلسطينيين .
١ — **عمليات الفدائيين** : سألنا الاطفال : « كيف تشعر عندما تسمع بعملية في الارض المحتلة ؟ » .
وقد ظهر ان هذه العمليات لها تأثيرات مختلفة على الاطفال . ان ٢٨٪ منهم يشعرون بالسعادة حين يسمعون بعملية في الارض المحتلة لان « اسرائيل تخسر سلاحا وجنودا » أما غالبية الاطفال (٦٨٪) فيشعرون بالحماس والشجاعة ويودون ان يصبحوا فدائيين وان يقوموا بالعمليات نفسها . طفل واحد (٢٪) يزداد امله بالعودة بعد تلك العمليات، وطفل اخر (٢٪) يشعر « بجهود الثورة » .
٢ — **جنازات الفدائيين** : سألنا الاطفال : كيف تشعر عندما تسمع بموت فدائي ؟ هل شاهدت او سرت في جنازة فدائي ؟ كيف كان شعورك اثناء الجنازة ؟
قال ٥٠٪ من الاطفال انهم يشعرون بالحزن عندما يسمعون بموت فدائي . وقال ٢٦٪ منهم أنهم يشعرون بالفرح عندما يسمعون بموت فدائي « لان الجيل القادم سيحرر فلسطين » و« لان الكثيرين سيلحقون به » و« لانه مات من أجل فلسطين » . أما بقية الاطفال (٢٤٪) فمشاعرهم مختلفة ومتفرقة، مثلا « من الطبيعي ان يموت الفدائي » و« يجب ان يموت عشر مرات » .
قال كل الاطفال انهم شاهدوا على الاقل جنازة واحدة لفدائي، وقال ٨٢٪ منهم انهم مشوا في جنازة فدائي او أكثر .
شعر ثلث الاطفال تقريبا (٣٠٪) بالحزن اثناء الجنازة وشعر ثلث اخر تقريبا (٣٠٪) بأن الجنازة اعطتهم الحماس والقوة للانضمام الى حركة المقاومة . أما مشاعر ٤٠٪ الاخرين فكانت مختلفة : بعضهم خاف، بعضهم شعر بالفخر والعزة، وبعضهم تمنى ان تكون له نفس الجنازة الخ .
٣ — **استعراضات الميليشيا** : ذكر كل الاطفال انهم حضروا استعراضا للميليشيا (بعضهم طبعا افراد ميليشيا) . وقد ظهرت بينهم ثلاثة مواقف تجاه هذه الاستعراضات . الموقف الاول كان شعورا بالفرح والسرور عند ٥٠٪ من الاطفال . الموقف الثاني كان الرغبة في ان يلتحق بالميليشيا مثلهم، وقد شعر بذلك ٣٤٪ من الاطفال . الموقف الثالث شعر به ١٦٪ منهم وهو موقف الثقة بأن الجيل القادم سيحرر فلسطين .
نستنتج من النتائج اعلاه ان مظاهر الثورة الثلاثة تؤثر تأثيرا ايجابيا على الاطفال الفلسطينيين، اي انها تجذبهم بقوة الى الثورة وتشجعهم وتعطيهم ثقة بالنصر . بكلام آخر، ان الاصابات والجنازات والتدريب القاسي لا تخيف الاطفال الفلسطينيين من الثورة .

د) لماذا يقاتل الفلسطينيون :

يرجع بعض المراقبين المطلعين انتفاضة الفلسطينيين وثورتهم الى احوالهم الاقتصادية والاجتماعية، ويرجعها بعضهم الاخر الى اضطهاد الحكومات العربية للفلسطينيين، بينما يرجعها عملاء اسرائيل والاستعمار الى رغبة الفلسطينيين بالانتقام . وبالطبع يقول مراقبون اخرون ان سبب الثورة هو رغبة الفلسطينيين في استعادة كيانهم كشعب وفي استعادة هويتهم الوطنية .

اهتم الباحث بدراسة تصور الاطفال لاسباب ثورة الشعب الفلسطيني لان هذا التصور يعطي فكرة عن الاسباب التي سيقاتل الاطفال من أجلها .
لتسهيل الامر على الاطفال وضعنا اربعة اسباب قد يقاتل الاطفال من اجلها وهي كرامة الشعب الفلسطيني ، التخلص من الخيام والفقر ، الانتقام من الاسرائيليين ، واستعادة وطنهم حيث يريدون ان يعيشوا .
كانت النتائج مثيرة . فقد قال ٩٢٪ من الاطفال ان الفلسطينيين يقاتلون لاستعادة وطنهم حيث يريدون ان يعيشوا . وقال ٦٪ منهم ان الفلسطينيين يقاتلون من اجل كرامتهم ، بينما قال ٢٪ فقط ان الفلسطينيين يقاتلون للانتقام من الاسرائيليين . ولم يعتقد اي طفل ان الفلسطينيين يقاتلون للتخلص من الفقر والخيام والاعاشة .
تدل النتائج بوضوح تام على أن الاطفال الفلسطينيين ينظرون الى معركتهم كمعركة قومية وليس معركة اقتصادية ـ اجتماعية او معركة يغذيها الحقد .
يمكن ايضا ان نستنتج ان الاطفال الفلسطينيين لن يرضوا بالتعويض المادي او التوطين، وان الامر الوحيد الذي يرضيهم هو العودة الى بلادهم واستعادة سيادتهم الوطنية .

ط) اماني الاطفال الفلسطينيين :

حاولنا ان نعرف اماني الاطفال الفلسطينيين لسبب هام : اذا كانت النزعة العامة عندهم هي نحو الاماني الشخصية والمصالح الذاتية ، فان امكانية انضمامهم للمعركة تكون منخفضة ، والعكس صحيح .
سألنا الاطفال : ما هي امانيك الثلاث التي تود ان تتحقق في حياتك ؟ اذكرها حسب الاهمية . وقد سئل هذا السؤال في وقت مبكر من المقابلة لتجنب تأثر الاطفال بالاسئلة السابقة وبالجانب الوطني المقابلة كلها .
الامنية الاولى التي ذكرها كل الاطفال الذين قابلناهم هي استرجاع فلسطين وتحريرها . وقد ذكر ١٠٪ من الاطفال ان هذه امنيتهم الوحيدة في الحياة .
بشكل عام وقعت اماني الاطفال الفلسطينيين في النطاق الوطني . لكن هذا الامر لا ينطبق تماما على الاطفال « الاغنياء » .
كانت الامنية الثانية لـ٧٦٪ من الاطفال امنية وطنية وهي : أن يصبحوا فدائيين ، ان يستشهدوا من اجل فلسطين وان تتحد منظمات المقاومة فيما بينها .
الامر الاكثر اهمية وبروزا هو أن الاماني الثلاث لـ ٦٦٪ من الاطفال الفلسطينيين كانت وطنية . فالامنية الثالثة لهذه الفئة كانت « استعادة كرامتي » و« خدمة وطني » و« الوحدة العربية » و« ان يموت اليهود » .
فيما يتعلق بالفئة التي كانت لها امنية شخصية واحدة على الاقل وهي تؤلف ٣٤٪ من العينة ، فان اكثر امنية شخصية رددتها هي «أن اتابع تعليمي» او «أن اصبح طبيبا / محاميا / مهندسا الخ» . من الاماني الشخصية الاخرى : «ان يبقى والدي على قيد الحياة» ، «ان احصل على كل ما ارغبه» ، «ان أملك سيارة جميلة وسريعة» و«ان ينتصر السلام العالمي والاشتراكية العالمية » .
تظهر هذه النتائج ان هناك احتمالا كبيرا في أن ينضم معظم الاطفال الفلسطينيين الى الثورة . ان اهتمامهم الكبير بالاهداف الوطنية يؤيد هذا التوقع .

٣ ـ الاستنتاج العام للبحث :

تمكننا حقائق هذا البحث من تكوين عدة تعميمات علمية حول الاطفال الفلسطينيين ، وخاصة فيما يتعلق بهويتهم الوطنية ووعيهم القومي ، وتصميمهم على القتال لتحرير فلسطين من قبضة الصهيونية العنصرية .
لكن على القارىء ان يتذكر دائما ان التعميمات المتعلقة بالتصميم على القتال تبقى في نطاق القيم والاماني الى ان يتحول القول الى عمل في المستقبل . ونحن نعتقد ان الاطفال

الفلسطينيين سيعملون على تحقيق تطلعاتهم وامنيتهم وايمانهم اذا لم تقف في وجههم قوة خارجية كبيرة ، كمؤامرة دولية او اجهاض عربي جماعي للثورة الفلسطينية .

التعميمات التي توصلنا اليها من خلال بحثنا هي :

١ ـ يملك الاطفال الفلسطينيون درجة عالية من الوعي الوطني . فهم يعرفون من أين اتوا ، ومن هم اعداؤهم ، وما هي أسباب وضعهم الحالي .

٢ ـ الاطفال الفلسطينيون يعرفون انفسهم كفلسطينيين فقط .

٣ ـ الاطفال الفلسطينيون يرفضون التوطين او التعويض ويصرون على التحرير .

٤ ـ فلسطين هي المكان الوحيد الذي يشعر الاطفال الفلسطينيون انه وطنهم الحقيقي.

٥ ـ لم ينجح التشرد وحياة اللجوء في تحطيم او تفكيك وحدة الشعب الفلسطيني القومية. فقد حافظت تلك الوحدة على قيمها وتقاليدها وروابطها العاطفية .

٦ ـ يؤمن كل الاطفال الفلسطينيين بأن فلسطين عربية .

٧ ـ العائلة هي القناة الرئيسية لاستمرار الهوية والشخصية الفلسطينيتين .

٨ ـ محنة الشعب الفلسطيني تمس كل جوانب حياة غالبية الاطفال الفلسطينيين . وهي تؤثر كثيرا على تطلعاتهم وتصوراتهم وامانيهم ونشاطاتهم اليومية .

٩ ـ ولاء الاطفال الفلسطينيين الاول هو لوطنهم .

١٠ ـ يؤمن الاطفال الفلسطينيون بأن تحرير فلسطين لن يتم الا بكفاح الفلسطينيين المسلح .

١١ ـ الاطفال الفلسطينيون لا يريدون ان يقاتلوا من أجل الثأر بل من اجل استعادة وطنهم .

١٢ ـ الثورة الفلسطينية نفسها تشكل قوة دافعة كبيرة للاطفال الفلسطينيين . فقد أصبحت الثورة طريقة حياة وقيمة بالنسبة للفلسطينيين . ان الاطفال ينظرون الى اي نشاط او عمل غير ثوري كأمر بغيض او على الاقل ثانوي وتافه .

المراجع :

١ ـ **ملاحظة هامة** : كلمة « يهود » كما يستعملها الفلسطينيون والعرب الاخرون تشير الى الجالية اليهودية التي استولت على فلسطين بالقوة . انها لا تشير الى اليهود في اميركا او روسيا او لبنان مثلا . وهي لا تشير الى الساميين وبذلك فهي ليست تعبيرا عنصريا . وسوف يستعمل الكاتب كلمة يهود خلال البحث بنفس المعنى .

٢ ـ لا تتضمن هذه الدراسة اي تحليل طبقي ـ رغم اهمية هذا التحليل ـ وذلك لان البنيان الطبقي الفلسطيني لم يدرس حتى الان ومن الصعب تحديده .

الدكتورة سلمى الخضرا الجيوسي

العالم الميت

من اوجدني
ارض شبقة
ونسيم يحمل مبخرة
ويثير النوم على وطني

من اخمد انفاسي العبقة
واثار الرجفة في قلمي ؟
وبغى وعتا
وامتص دمي ؟

من احرقني ؟
ملك من ارض الثلج اتى
عيناه منابع من تعب
واصابعه برد لزج
ترتاح علي وتحدق بي
وبقيت اوارا مشتعلا
اشوى واعذب في لهبي

من اغرقني ؟
سفني كانت غررا بيضا
تختال على جفن الافق
من شق الثغرة في سفني ؟
(وازاح الستر عن الاوهام وحررني ؟)
فرأيت وقد دميت عيني
الافق مغارة ساحرة
والسفن مراكب من ورق

عرّاف الريح يعذبني
ويداورني ويخادعني
ويحدث اخبارا كبرت :
« فغدا ستشع مجنحة
رايات الشمس على مدني

وغدا سأحرر من كفني »
وأكذبه !
أصدقه ؟
وانا لا ارض ولا احباب ولا مصباح يظللني ؟
وانا في اللجة اشرعة
ترتاد اليم بلا سفن ؟

أصدقه ؟
وانا اقتات على المي ؟
الصدق ان غدا وعد
وسترسخ في الدنيا قدمي
سأكذبه .
فالعالم ميت والبرد
قد عشش في عرق الرحم
وانا ؟ الغربة منطلقي
أذوي واضمخ من عبقي
وطنا يشتاق الى عدمي

الكويت ١٩٦٤

الجنازة

عاشق يتفرج فوق الحصون على ضجة النادبين
ابدا يعبرون بها ، فوق تابوتها فلة وكتاب
وهو فوق الحصون تسمر لا غزوة لا اياب
والجنازة لا تنتهي :
تتدحرج ، تتنهد بين الازقة ، حول القصور
تتمطى على قاسيون ، تدب على ورق الغار ، توغل في النهر ، تجري ، تفر .
الجنازة لا تنتهي . وهو فوق الحصون يكسر اقواسه لا يقر
يكتب الشعر يهجو رداها الذي لا يرد ولا يستقر .
صفعته الرياح
(وكان ابنها أمس ، كانت له الماء والياسمين
يتغسل فيها مع الفجر) دارت عليه الرياح
نخرت صدره وهو فوق الحصون تسمر لا غزوة لا رواح
يرقب النادبين
فرقت رئتيه الرياح .

عمان ١٩٦٤

في الكاسبا

ظننت ان الحرب . . .
انا هنا دمي متنا ، حرثتنا عجلات الحرب
وانت في الكاسبا ؟
الم اشلاء بني من زوايا الدرب
اعبر في الكابوس ، أخرى
أخرج منه جلدة مشوية ، اغوص فيه مرة اخرى

اطير احبو أختبي تنشرني الاصوات نشرا
اباع اشرى ، ألف صل يكتوي في القلب
وانت في الكاسبا
والناس مرعى حرب !

لندن ٥ تموز ١٩٦٧

حزيران ١٩٦٧

قطع الصيف الماضي آخر عرق من قلبي
اسمعت بأخبار وفاتي ؟ بجنازتي ، الصامتة الخفرة
المهزلة الكبرى ان الميت يدفن ، يعلن عنه ، يساق ، يراه الشارع محمولا ويغيب في حفرة !
ليت التابوت يذوب كقلبي ، يتلاشى كالاحلام النضرة .
اسمعت بموتي ؟ ذاك الكأس العقرب ، ذاك الموت المشتاق الى الموت ؟
لا بد ، فناعيل رآني ادفن اذ القوة الى جنبي .

لندن حزيران ١٩٦٨

ترى ما الذي ؟

ترى ما الذي خض صدرك يوما
احالك سطحا سمنتا
من عنك ريحان امي وصحو ابي
وخلاك منفضح الستر في عالم من رموز ؟
هي الحرب ؟
من قال؟
لولاك ما انهدت الحرب كالرجس بين ذراعي عجوز .

لندن صيف ١٩٦٨

سيد الويل

ستكون حبيبي ، ليتك تعلم اي هوى أهواك !
العتمة غمر وهواك هلال غنى في الليل
قبلت النعل حلمت بانك سيد هذا الويل
وشربت لتاجك كأس السم ، صرخت الروح فداك
وفداك جراح القوم ، صغار القوم ، نساء القوم ، الكل فداك !
قمر هاو في الليل ، الكل فداك .
قلب يهوى اوجاع الليل ، الكل فداك .
ما اضيق قلبي دونك يا سعة الاحزان القصوى يا مرج الاشواك !
غفرانك سينا ! لا قلب لدي اقدمه ، لا مال لدي اقدمه ، لا خيل
بل سيل يهوي ، سيل يهوي ، سيل يهوي ، فوق هدير السيل .

لندن ١٩٦٨

قمريـــات

القمر الاعرج

ايها القمر الاعرج

يا رفيق صبانا
تدل على ارضنا
وفي السر ضاجع قرانا .

ايها القمر الابله الاهوج
ضننتنا !
فالعدو رآك وهب يروم لقانا
وأتانا وفي يدنا قمر أبلج .

لندن حزيران ١٩٦٨

حكاية

كان عمي
يصلي لفردوسه ، بعد ان قام واغتسل
سنة الله والرسول ونهر من القبل
تتلوى حضارة الجنس في فخذيه ، في السرة المترعة
زوجه مهرجان السرير واولاده زينة الاجل .

كان زوجي
يصلي لبرغوثه ويصر الدنانير كي يشتري زوجة معه .

وانا ؟
ندبة في الجبين المهاجر ، ختم علي الريح ، عقد زواج مع النفي ، اهلي موات ،
صغاري مصابيح مقصورة شاردة
وبلادي ؟
بلادي قمير من الحزن غاب
وجثمان امي توغل بين الهضاب
الرياح على قبرها جامدة .

لندن ربيع ١٩٦٩

السماء الضائعة

(الى مي)

الهلال اراق دماءه
كم بحثت على شعره الاسود البكر في عتمات الوجوه
وصرخت له عبر ساحات لندن ، فوق المداخن ان يستريح
وسألت عيون الزجاج عليه فقالوا تخبأ في الريح
ما يريد الهلال المعذب ، يلبد في عطفات الدهاليز ، يسفح فيها رداءه
وجهه الشرق يبحث عن أهله ويتوه
استرح يا هلال ، جيوب المغارة قبر فسيح

استرح يا هلال ، استرح يا شريد ، استرح يا هلال
الاهلة تمرح فوق التلال
يا تميرا اضاع سماءه .

لندن خريف ١٩٦٩

البدر والكلاب

اول بدر نبحته الكلاب
غبات في جوفها
سهم من الضوء تلاشى وذاب
بلا بقايا .
هل رأيت الكلاب ؟
منفوخة الاوداج ، عوج الرقاب
والبدر في جوفها
تمشي كأن الارض في كفها
العوبة أو كتاب ؟

لندن ١٩٧٠

بلع الحوت القمر
يوم كانت زاهرات النجوم
في اجازة
بلع الحوت القمر
وأحال السماء
مأتما او مفازة

فخلعنا سماءنا والقمر
واخترعنا سماءنا والقمر
وحفرنا طريقنا في الرجوم
في براري الحجر
ودفنا الجنازة

لندن ايلول ١٩٧٠

القصة الكاملة لحركة الارض

حبيب قهوجي

في اربع جلسات طويلة استغرق كل منها اكثر من ثلاث ساعات ، روى الاستاذ حبيب قهوجي ، المناضل الفلسطيني في الارض المحتلة وأحد مؤسسي حركة الارض الرائدة في النضال ضد اسرائيل من الداخل ، قصة هذه الحركة بالتفصيل ، وأجاب على أسئلة بعض أفراد أسرة « شؤون فلسطينية » ، د. أنيس صايغ والاساتذة الحكم دروزه وبلال الحسن وابراهيم العابد واحمد خليفة والانسة ليلى القاضي . واشترك في المناقشة الاستاذ صبري جريس ، من زملاء الاستاذ قهوجي في النضال في الداخل . ويسرنا ، اذ نلخص في الصفحات التالية حديث الاستاذ قهوجي، أن نشير الى انه يعد حاليا دراسة تاريخية شاملة عن الارض، بتكليف من مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية الذي سيتولى نشر الدراسة بالعربية وبلغة او أكثر من اللغات الاوروبية . كما ان شؤون فلسطينية ستنشر ، في عدد قريب ، تفاصيل جلسة أخرى أدار الاستاذ صبري جريس الحديث فيها .

كيف ومتى نشأت حركة « الارض » ؟ وما هي مقومات نشوئها ؟

ـــ لم يكن في الارض المحتلة حركة عربية مستقلة تمثل النضال العربي . كان هناك فقط الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، الذي كان يعرف قبل العام ١٩٤٨ باسم « عصبة التحرر الوطني » . وقد أيد هذا الحزب قيام اسرائيل ، ولكنه بعد عام او اثنين من قيامها أخذ ينتقد الوضع القائم وحمل لواء معارضة الحكومة . وكان من الطبيعي أن ينبري الحزب الشيوعي للدفاع عن حقوق الاقلية العربية، اذ كان العرب يتحملون القسط الاكبر من الاضطهاد. فتجاوب الحزب مع الرغبات اليومية لعرب الارض المحتلة وأصبح يناضل ضد الحكم العسكري ويطالب بمساواة العرب باليهود وبالكف عن مصادرة الاراضي العربية ، ولكنه لم يكن يعبر عن مطامح عرب الارض المحتلة من وجهة نظر قومية ، أي بوصفهم أقلية قومية .

في العام ١٩٥٢ قمت مع بعض الاخوان بتأليف رابطة أسميناها رابطة الشعراء وكان من بين أعضائها عصام العباسي وجمال قعوار وجورج نجيب خليل وحنا ابو حنا وفرج نور سلمان وراشد حسين ، كما كان بعض اعضائها من الشعراء اليهود العراقيين ومنهم سليم شعشوع وزكي بنيامين وسامي المعلم وشالوم الكاتب .

وفي الفترة ما بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٦ تعاونت وبعض الاخوان مع الحزب الشيوعي لاقامة مؤتمرات ولجان ذات أهداف محددة . وكان من بين الاشخاص الذين ساهموا في ذلك من غير الحزب الشيوعي منصور كردوش وطاهر الفاهوم من الناصرة وبني يني رئيس بلدية كفرياسيف وجبور جبور رئيس بلدية شفاعمرو وشكري الخازن مدير الكلية الارثوذكسية العربية في حيفا والشيخ جمال السعدي (توفي) شيخ جامع الجزار والقس رفيق فرح رئيس الطائفة الانجيلية في حيفا وبولس فرح أحد أعضاء عصبة التحرر الوطني البارزين وكان قد ترك الحزب الشيوعي احتجاجا على قبوله

التقسيم . في هذه الاعوام قمنا بانشاء لجنة الدفاع عن المواطنين وطالبنا باعطاء الجنسية الاسرائيلية للعرب في الارض المحتلة ، ولم يكن هدفنا بالطبع الحصول على الجنسية الاسرائيلية لذاتها ، بل كنا نريد أن نضمن الامن للمواطن العربي فلا يعود مثلا باستطاعة المحتل رميه خارج الارض المحتلة في أي وقت يشاء ، كما أردنا من وراء المطالبة بالجنسية الفضح السياسي على اساس ابراز المفارقة الكامنة في اعطاء اليهودي من بولونيا مثلا الجنسية الاسرائيلية بمجرد وصوله الارض المحتلة بينما لا يعطى العربي الساكن الاصيل هذه الجنسية. كذلك اقمنا مؤتمرا للدفاع من حقوق الاقلية العربية ومؤتمر الاراضي العربية ولجنة الدفاع ضد الحكم العسكري . وقد اشترك معنا في هذه المؤتمرات واللجان عدا الحزب الشيوعي بعض اليهود الذين نستطيع أن نقول أنهم تقدميون مثل حركة العمل السامي التي خرج منها اوري افنيري فيما بعد واعضاء حركة القوة الثالثة التيكان يقودها الدكتور شتاين وجماعة اليسار الجديد مثل مكسيم غيلان وأيضا بعض أساتذة الجامعة العبرية مثل البروفسور سيمون والدكتور شرشسكي . ولم نكن بالطبع متفقين مع هؤلاء على برنامج كامل ، ولكننا كنا نتفق على قضايا محددة ، وكنا نهتم باجتذابهم الى جانبنا حرصا على جماهيرية القضايا التي نطرحها ولكي يؤثروا في الرأي العام اليهودي في الداخل ، وحتى نفوت على السلطات فرصة تصويرنا للعالم الخارجي على أننا مجرد عناصر عربية مشاغبة ، فنبين ان هناك يهودا مثقفين يتحسسون الظلم الواقع على العرب ويقفون الى جانبهم .

بقينا نناضل بهذه الطريقة الى العام ١٩٥٧ . ففي الاول من أيار لهذا العام اشتبكت تظاهرة قادها الحزب الشيوعي والعناصر القومية العربية في الناصرة بالشرطة ووقع عدد من الجرحى ، فقامت الشرطة اثر ذلك بحملة اعتقالات واسعة شملت ثلاثمائة او ثلاثمائة وخمسين شخصا أودعوا السجون بموجب احكام ادارية او حكموا بالسجن ثلاثة او اربعة اشهر بعد محاكمات صورية ، وكان بين المعتقلين عدد كبير من الشيوعيين والقوميين ويعود السبب في وقوع الاشتباك الى أن التظاهرة رفعت شعارات تزعج السلطة ، اذ جرت العادة أن تقوم الجماهير العمالية من شتى الاحزاب الصهيونية اليسارية وحتى الماباي بتظاهرات احتفاء بعيد العمال العالمي ، ولكن العرب في الارض المحتلة كانوا يستغلون فرصة التظاهر ليعبروا عن مطامحهم القومية فيرفعون شعارات تطالب بتحرير الجزائر وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وتؤيد كل الحركات الثورية في الوطن العربي ، مما كان يزعج السلطة لانها ترى في ذلك تعبئة للجماهير فتحاول ضرب هذه التظاهرات أو حصرها في أقل حجم ممكن وتحت أقل الشعارات تطرفا .

عندما حدث ذلك ، رأيت الفرصة سانحة لاقناع الحزب الشيوعي بأن نعمل معه في اطار مشترك، فقمت وصديقي منصور كردوش بالاتصال بالحزب الشيوعي وعرضنا عليه تشكيل جبهة نعمل ضمنها سوية متفقين على الحد الاعلى من الشعارات التي يمكن أن نناضل في سبيلها معا .

استجاب الحزب الشيوعي ، وشرعنا في ارسال دعوات الى شخصيات مختلفة لها ماض نضالي أو لديها استعداد للعمل لتشكيل لجنة تحضيرية . وقعت هذه الدعوات مع شكري الخازن ، مدير الكلية الارثوذكسية العربية ، وعقد الاجتماع في حيفا وتم الاتفاق فيه على القيام بعمل مشترك مع الحزب الشيوعي ، ولم يعترض على ذلك سوى اثنان هما الياس كوسا المحامي وبولس فرح الذي اقترح انشاء جبهة من جميع العناصر المستقلة بدون الشيوعيين .

بذلك أنشأنا الجبهة وأسميناها « الجبهة العربية » وأصدرنا في حوالي تموز ١٩٥٧ بيانا يجمل اهدافها بما يلي :

١ — المساواة بين العمال العرب واليهود .

٢ — الغاء الحكم العسكري بجميع صوره وأشكاله.

٣ — ايقاف مصادرة الاراضي العربية واعادة ما صودر منها لاصحابه .

٤ — تحسين التعليم في المدارس العربية واستعمال اللغة العربية كلغة رسمية في البلاد .

٥ — الغاء جميع مظاهر التمييز بين العرب واليهود داخل البلاد .

٦ — المطالبة بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى أملاكهم .

كان هذا هو القاسم المشترك الاعظم من الشعارات التي تم الاتفاق عليها . بعد ذلك قدمنا طلبا لتسجيل الجبهة ، ولكن السلطة رفضت تسجيلها بهذا الاسم متذرعة بقانون عثماني يقضي بمنع تسجيل جمعيات واحزاب عنصرية على اعتبار أننا أسميناها الجبهة العربية وهذا اسم عنصري ، متناسية أن

كل الاحزاب والمؤسسات الصهيونية تقوم على أساس عنصري، فما كان منا الا أن استبدلنا الاسم وأسميناها الجبهة الشعبية الديمقراطية . بدأنا نناضل ضمن هذا الاطار ، ونجحت الجبهة في اقامة عدة مراكز لها في القرى والمدن داخل الارض المحتلة ، ففي ذلك الحين كان المد الجماهيري العربي في الارض المحتلة في أوج صعوده ايام تأميم قناة السويس ومطالبة الجماهير العربية بالوحدة العربية ، فالجماهير في الارض المحتلة متفاعلة دوما مع الجماهير العربية في الخارج وهي ترتبط بها فكرا وروحا ، وتتخطى في تطلعاتها الحدود التي فرضتها اسرائيل .

بقينا نناضل مع الشيوعيين سوية ضمن الجبهة الى أن قام انقلاب قاسم العسكري في العراق ونشب الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، فعكس هذا الخلاف نفسه علينا في الداخل واتخذ الحزب الشيوعي موقفا الى جانب قاسم ، وكنا نحن الذين أصبحنا آنذاك نعرف بالجناح القومي في الجبهة الشعبية الديمقراطية نرى أن الحق في جانب الجمهورية العربية المتحدة . أدى ذلك الى اشكالات عديدة على صعيد العمل المشترك وخشينا أن تتفتت الجبهة مما يضعف النضال في الداخل . فعرضنا على اللجنة المركزية للجبهة أن يكف الجميع عن التدخل في قضية خلاف العراق والجمهورية العربية المتحدة لان واجبنا في الداخل يحتم علينا أن نوحد شعاراتنا وجماهيرنا في الداخل لنشن نضالا مخططا وأكثر نجاحا . وافق الاستاذ اميل توما ، وكان ممثل الحزب الشيوعي في اللجنة المركزية للجبهة ، على ذلك وقال « والله يا رفاق انتم محقون ، ولكنني امثل حزبا ، ولذا سأعود للجنة المركزية للحزب لارى ما تقول في هذا الكلام» . وبعد بضعة أيام جاءنا اميل توما ليقول أن الاحزاب الشيوعية في العالم العربي تتعرض لهجوم من جانب العناصر القومية ومن واجب الحزب الشيوعي الوقوف الى جانبها ومهاجمة العناصر القومية ، واضاف قائلا « اذا كان هذا لا يعجبكم ، أنشئوا جريدة لكم وهاجمونا كما نهاجمكم » . قال هذا وهو يعرف حق المعرفة اننا لن نستطيع انشاء جريدة لان الحكومة لن ترخص لنا في ذلك ولاننا لا نملك المال والتنظيم اللازمين . كانت هذه نهاية اشتراكنا في الجبهة فلم نعد نحضر اجتماعاتها واصبحت اللجنة مقتصرة على الحزب الشيوعي وثلاثة او اربعة آخرين يتعاونون معه مثل يني يني وشكري الخازن وطاهر الفاهوم .

هنا بدأ التفكير في انشاء حركة قومية عربية مستقلة داخل الارض المحتلة ، وكنت ومنصور كردوش نمثل الجناح القومي في اللجنة المركزية للجبهة فدعونا الى اجتماع حضره بالاضافة الينا حنا مسمار من الناصرة ومحمود السروجي وعبدالرحمن يحيى من عكا وتوفيق سليمان عوده وهو نقابي من الناصرة وزكي البحري وهو أيضا نقابي من حيفا . فكان هذا الاجتماع الذي وقع في نيسان ١٩٥٩ هو الاجتماع الذي تأسست فيه حركة الارض .

خرجنا من الاجتماع بقرار يقضي بأن نصدر جريدة وأن نقوم قبل ذلك بفرض انفسنا على السلطة فنوزع منشورا يتضمن أهدافنا كي لا يعود بامكان السلطة اعتبارنا حركة سرية . وزعنا المنشور وكان فيه على ما اذكر ، ما يلي : — « نحن الجناح القومي في الجبهة الشعبية الديمقراطية نعلن اننا جزء من الشعب الفلسطيني الذي هو بدوره جزء من الامة العربية . واننا نناضل داخل هذه البلاد من اجل المساواة التامة بين العرب واليهود ، ونطالب اسرائيل ان كانت ترغب حقا في العيش في هذه المنطقة أن تنتهج السياسة التالية : —

أولا — الاعتراف بأن حركة القومية العربية هي الحركة المقررة في هذه المنطقة .

ثانيا — أن تقطع ما بينها وبين الفكر الصهيوني والحركة الصهيونية قطعا باتا .

ثالثا — أن تنتهج سياسة حياد ايجابي وتعايش سلمي .

رابعا — أن تساعد الشعب الفلسطيني وأن تعترف بحقه في تقرير مصيره وتسمح لجميع الذين تركوا هذه البلاد بالعودة اليها .

فاذا انتهجت اسرائيل هذه الخطوات ، فاننا نعتبر انها بذلك تضع قدمها على الطريق الصحيح للوصول الى سلام عادل ودائم في هذه المنطقة » .

اعتبرنا ان هذه الشعارات تعني عمليا تفريغ اسرائيل من محتواها ، وقد توصلنا الى ذلك بعد نقاش طويل ، فلم يكن سهلا علينا ان نقول اننا لا نعترف باسرائيل فذلك يعني دخولنا السجن منذ البداية بموجب قانون يقضي بسجن كل من ينتقص من حدود الدولة . وقد قدرنا أنه اذا أفرغت اسرائيل من محتواها السياسي والاقتصادي والعسكري فانها تصبح شعبا يستطيع الشعب الفلسطيني مع الشعب العربي استيعابه بسهولة. في البداية لم تهاجمنا الاحزاب الصهيونية بل أخذت

تترقب . اما الحزب الشيوعي فبدأ يهاجمنا مباشرة ويقول اننا عناصر اشترتها الاحزاب الصهيونية . قدمنا طلبا الى وزير الداخلية للحصول على ترخيص للجريدة . وبعد أخذ ورد قالوا لنا سنعطيكم ترخيصا بعد انتخابات الكنيست لان الحكومة كانت محلولة آنذاك اثر ازمة وزارية . حينئذ بحثنا عن طريقة نلعب بها على القانون ، فوجدنا أن القانون يبيح لكل مواطن أن يصدر نشرة لمرة واحدة من دون ترخيص . قلنا : عظيم ! نصدر الجريدة كل مرة باسم شخص مختلف . وبدأنا نبحث في تسمية الجريدة فاستقر رأينا أن نسميها الارض ، لان كلمة الارض تحتوي كل القيم التي نناضل من اجلها ، فالصهيونية تحاول الاستيلاء على الارض ونحن نتشبث بالارض والصهيونية تحاول أن تقيم دولة على الارض العربية ونحن نرفض هذا الجسم الغريب الذي يحاول أن يفرض نفسه على الارض العربية .

أصدرنا العدد الاول من الصحيفة « الارض » ويصدرها حبيب قهوجي ، وكانت أشبه بالمجلة ففيها الافتتاحية والمقال السياسي وصفحة للطلاب وصفحة تتحدث عن التراث العربي وخصوصا الفلسطيني وتتكلم عن ابطال فلسطين عبر العصور وصفحة تتحدث عن الفلاحين العرب والزراعة العربية وصفحة للشعر والادب وصفحة للقصة. ثم أصدرنا العدد الثاني وأسميناه «الارض الطيبة» ويصدرها منصور كردوش ، ثم « شذى الارض » ويصدرها صبري جريس ، وهكذا اصبحت الصحيفة تصدر مرة واحدة ثم تغلق نفسها بنفسها لتصدر باسم جديد وعلى مسؤولية محرر جديد ، فاستطعنا بذلك ان نتحايل على القانون .

بعد العدد السادس ، ارسلوا لنا عربيا كي يحاول اقناعنا بالترغيب والتهديد أن نكف عما نقوم به ، فلم ينجحوا في ذلك ، فبدأوا يرسلون الى كل منا على حدة ويعرضون عليه وظيفة او نقودا او يهددونه بمصادرة أملاكه وما الى ذلك ، فلم يجدهم ذلك ايضا. عندها عقدتْ المخابرات اجتماعا في الناصرة ضم أربعة وعشرين من ضباط فروع المخابرات في المناطق العربية ، كما علمنا . وكان موضوع البحث فيه هو كيف القضاء على هذه الجماعة (أي نحن) قبل أن يستفحل شرها . استقر رأي المجتمعين على أن تقوم الصحافة الصهيونية بشن حملة علينا وأن تجري مطاردتنا سياسيا واقتصاديا ومن جميع الوجوه ، وبعد ذلك نقدم للمحاكمة بتهمة التحايل على القانون واصدار نشرة هي في الواقع صحيفة .

كنا الى ذلك الحين نطبع ثلاثة آلاف عدد من الجريدة ، ولكننا لم نعد نجد مطبعة ترضى بطبعها ، فلجأنا الى شخص عربي في عكا عنده بقايا مطبعة منذ ما قبل العام ١٩٤٨ ، واصبحنا نطبعها هناك ونقوم بتوزيعها وبيعها بأنفسنا فأبيعها أنا مثلا في حيفا وصبري جريس يبيعها في القدس حيث كان طالبا في الجامعة العبرية ومنصور كردوش يبيعها في الناصرة ومحمود سروجي يبيعها في عكا والجليل وصالح برانسي في الطيبة وهكذا. وكنا نحاول ان نوصل ولو عشرة اعداد الى كل بلد .

بعدئذ شنت الصحف علينا حملة شعواء وقال بعضها ان هذه الجماعة جماعة متفقة وعنيدة ومخلصة وغير قابلة للاصلاح وهي ليست جماعة طائفية فبينها من هو روم ارثوذكس ومن هو ماروني ومن هو كاثوليك ومن هو مسلم ومن هو درزي ، وقالوا أننا نصدر مجلة قومية عربية تحاول ان تجمع العرب حولها وتبيع اعداد المجلة بأثمان مختلفة تبلغ احيانا خمس ليرات ترصد جميعها للقضية ، يقصدون بذلك القضية الفلسطينية محاولين تضخيم الامر وتصويره على انه عملية ثورة .

اتخذت السلطات قرارا نهائيا باعتقالنا بعد أن اصدرنا العدد الثاني عشر ، وبدأنا جميعا سواء أكان الواحد منا في حيفا ام القدس ام عكا نلاحظ ان المخابرات تقتفي اثارنا باستمرار ، اربعة وعشرون ساعة في اليوم وبشكل تظاهري . وبعد ذلك بيومين او ثلاثة داهم رجال الشرطة منزلي في حيفا حوالي الساعة الرابعة صباحا وبدأوا يفتشون اوراقي وكتبي واستمروا في ذلك حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم اخذوني الى السجن حيث وجدت انهم قد اعتقلوا كذلك منصور كردوش من الناصرة ومحمود سروجي من عكا والياس معمر من الناصرة وصبري جريس من الجامعة العبرية وصالح برانسي من الطيبة أي أنهم اختاروا ستة كلواحد منهم منمنطقة ليرهبوا العرب في كل المناطق ، ولم يعتقلونا جميعا في محاولة منهم لتنفسيخ الحركة . وحوكمنا بثلاث تهم هي : اصدار جريدة دون ترخيص واصدار نشرة دون تمريرها على حاكم اللواء والتحايل على القانون ، واصدرت المحكمة حكمها بتغريم كل منا الف ليرة والسجن ثلاثة اشهر مع وقف التنفيذ . استأنفنا

الحكم الى المحكمة المركزية نثبتته ، ثم استأنفنا الى محكمة العدل العليا نخفضت الغرامة الى خمسمائة ليرة .

اثناء هذه المعركة مع القضاء ، تقدمنا بطلب تسجيل شركة الارض المحدودة الضمان ، وكنا نهدف من انشاء هذه الشركة الى الحصول على وسيلة لاصدار الصحيفة وعلى غطاء للعمل السياسي والى الحصول على الاموال اللازمة لاصدار الصحيفة . جعلنا رأس مال الشركة عشرين الف ليرة وقسمناه الى أسهم قيمة كل منها خمسون ليرة اسرائيلية على أساس ان نزيد رأس المال الى نصف مليون ليرة اذا زاد عدد الاعضاء . ولكي نتأكد من ان احدا لن يستطيع شراء الشركة وتحويلها الى شركة تجارية جعلنا الاسهم من نوعين : اسهما ممتازة واسهما عادية ، وتعطى الاسهم الممتازة للمؤسسين ولهم ٧٥٪ من الاصوات داخل اللجنة المركزية .

رفض مسجل الشركات تسجيل الشركة مدعيا ان أصحابها ذوو اهداف تخريبية تجاه اسرائيل وما الى ذلك . رفعنا الامر الى محكمة العدل العليا فقضت بتسجيل الشركة ، وكان ذلك في اواخر العام ١٩٦٠ . طرحنا الاسهم للبيع فبيع القسم الاكبر منها ، ولم نكن نبيع الاسهم من أي كان ، بل كنا نبيعها ممن نتأكد انه سيزاول العمل السياسي معنا من خلال الشركة ، فيقوم بتكوين حلية في مدينته او قريته ويحضر الاجتماعات بانتظام ويبيع الجريدة ويستطيع نقل اهداف الحركة وافكارها الى الجماهير ونقل تطلعات الجماهير ومدى تجاوبها الى الحركة .

لم تكن حركة الارض قد اتخذت حتى ذلك الحين شكل التنظيم الحزبي الدقيق ، فهي قد ورثت الخلايا القومية من تنظيم الجبهة الشعبية الديمقراطية ، وقصدنا أن نجعل الحركة فضفاضة في تنظيمها حتى لا نضعها وجها لوجه امام السلطة. ولم نطلق على أنفسنا منذ البداية اسم « حركة الارض » بل اطلقنا اسم « اسرة الارض » ولكن السلطة أصبحت تسمينا « جماعة الارض »فعرفنا بين الناس بهذا الاسم، ولكن اسمنا كان قانونيا شركة الارض ومن ثم حركة الارض ، اي اننا مررنا بعدة تسميات : اسرة وجماعة وشركة ومن ثم حركة .

بعد أن سجلنا الشركة تقدمنا بطلب اصدار صحيفة على ان تكون شركة الارض المحدودة الضمان صاحبة الامتياز ويكون صالح برانسي المحرر المسؤول، فرفضت السلطة اعطاء صالح الترخيص على اعتبار انه لا يحمل شهادة الدراسة الثانوية الاسرائيلية ، فطلبنا الترخيص لصبري جريس فما كان من السلطة الا ان رفضت ذلك معتمدة على البند ١١١ من قانون الطوارىء الذي كان ساريا زمن الانتداب والذي يحق بموجبه لحاكم اللواء او من يقوم مقامه رفض اعطاء ترخيص دون ابداء الاسباب .

استغرق نضالنا من أجل الحصول على ترخيص قرابة سنة فلما فشلنا في الحصول عليه تابعنا نضالنا وصرنا نعقد الاجتماعات ونوزع المنشورات وندعو لمؤتمرات . وخلال هذه الفترة حاولنا ان نجد طريقة ما للوصول الى الجماهير وتنظيمها ، فقررنا انشاء نواد رياضية وثقافية نمارس منخلالها نشاطنا السياسي ، فصار اعضاء « الارض » في القرى يتقدمون بطلبات لانشاء مثل هذه النوادي، ونجحنا في انشاء ما يقرب من خمسة عشر ناديا ، أغلبها في قرى المثلث وقسم منها في قرى الجليل كالمكر وعرابة ودير الاسد. وكانجزء منهذهالنوادي يعمل بحكم الامر الواقع ، لان القانون ينص على انه اذا مرت فترة محددة على تقديم طلب بالترخيص ولم يجب الطلب بالموافقة او الرفض فان النادي يستطيع اذ ذاك ان يمارس نشاطه . ظلت النوادي تمارس نشاطها الى أن تنبهت السلطات الى حقيقة الامر فقامت باقفال النوادي التي لم تكن مرخصة وتعمل بحكم الامر الواقع ، وبقي بعض النوادي الذي تمكن من الحصول على تراخيص يمارس نشاطه ، مثل نادي الطيرة الذي لم يغلق نهائيا الا قبل ما يقارب السنة .

في العام ١٩٦٤ كتبنا مذكرة الى الامم المتحدة نتحدث فيها عن القوانين التي سنتها السلطات وصادرت بموجبها الاف الدونمات منالاراضي العربية ونتحدث عن الحكم العسكري وعن كل مظاهر الظلم والاجحاف الواقعة على العرب ونشرح ايضا كيف ضاقت السلطات ذرعا بحركة سياسية عربية مستقلة ورفضت منحها ترخيصا لاصدار صحيفة في الوقت الذي تملك فيه كل الاحزاب الصهيونية وغير الصهيونية صحفا، وتحدثنا كذلكعن زيفالديمقراطية الاسرائيليةواوضحنا انمن يسمونهم ممثلي العرب في الكنيست ليسوا سوى دمى وعبرنا عن تحدينا للسلطات ان تسمح لنا بالكلام لنرى من يمثل الاقلية العربية حقا .

طبعنا المذكرة في السر خوفا من أن تصادرها

السلطات قبل طبعها ، وبعد ذلك ارسلنا منها اثنتين وتسعين نسخة بالبريد العادي من اماكن مختلفة من المدن ومن المستعمرات والكيبوتزات ، حتى نضمن ان تنفذ احدى النسخ وتصل حيث نريد ، ثم اتبعنا ذلك بارسال نسخ من المذكرة الى كل السفارات الاجنبية في اسرائيل ، وارسلناها ايضا الى كل أعضاء الكنيست والوزراء ورئيس الوزراء وذلك لكي لا تتهمنا السلطات بأننا نشكوها الى هيئات اجنبية مع اننا مواطنون في البلد .

بعد أن ارسلنا المذكرة ، قمنا بانشاء حركة اسميناها حركة « الارض » ووضعنا لها اهدافا ودستورا يقول « للفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم في نطاق الاماني العليا للامة العربية » . وكنا نقصد بعبارة « في نطاق الاماني العليا للامة العربية » أن نؤكد على وحدة المصير بين شتى اقطار الوطن العربي وعلى قومية القضية، فالقضية في رأينا فلسطينية بقدر ما هي قومية وقومية بقدر ما هي فلسطينية .

ضمنا الاهداف والدستور مذكرة ارسلناها الى مسجل الاحزاب وحاكم اللواء طالبين الترخيص للحركة ، وبعد بضعة أشهر اجاب حاكم اللواء برفض تسجيل الحركة لانها تطالب بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وهذا يعني عمليا الغاء دولة اسرائيل .

ذاع خبر المذكرة ، فأحدثت ردود فعل عنيفة واجتمع الكنيست بكامل اعضائه ، ثم اجتمعت الوزارة لتبحث في مذكرة « الدس والاكاذيب » كما اختار ليفي أشكول ان يسميها ، وقال حينئذ اننا نفر من المشاغبين شوه سمعة اسرائيل في الخارج مشيرا بذلك الى ان مندوبي الدول العربية في الامم المتحدة استخدموا الحقائق الواردة في المذكرة للرد على ادعاءات جولدا مئير التي كانت تقول ان العرب في اسرائيل يعيشون في مستوى افضل من العرب في الدول العربية .

اثر ذلك ، قامت السلطة بحملة اعتقالات في كل قرى الجليل والمثلث شملتني كما شملت صبري جريس ومنصور كردوش وصالح برانسي . وجهوا لنا تهمة الاتصال بالدول العربية والخطر على أمن الدولة واقامة علاقات مع الفدائيين ومنظمة التحرير الفلسطينية وانشاء حركة سرية في الارض المحتلة. وبعد اسبوع من اعتقالنا اصدر ليفي أشكول قرارا بحل شركة الارض وحركة الارض واعتبارهما خارجتين على القانون . واذا اجتمع اكثر من عشرة من اعضائهما فان الاجتماع يعتبر غير قانوني ويعاقب عليه بالسجن عشر سنوات او بغرامة مالية او بالعقوبتين معا . وخلال اعتقالنا في سجن الجلمة جرى تحقيق طويل معنا ، ولكنهم لم يكونوا يحققون معنا في التهم الموجهة لنا بقدر ما كانوا يناقشوننا في السياسة : القومية العربية والوحدة والشعب الفلسطيني وحقوقه الاشتراكية . واذكر نقاشا جرى مع احد المحققين فهو يلقي ضوءا على طبيعة التفكير الصهيوني . قال الضابط ويدعى زيف : لنتحدث بصراحة . نحن دولة صغيرة تقف على رجل واحدة ، وانتم انشأتم حركة خطرة . القي القبض على واحد من عبلين مثلا فيقول لي أنا من اسرة الارض ولا دخل لي بحركة الارض ، والقي القبض على اخر من عكا فيقول لي انا من مؤيدي الارض ولست من شركة الارض وهذا يقول شركة الارض وذاك يقول حركة الارض . شيء فوق الارض وشيء تحت الارض ، صرنا في بلبلة من امرنا . نحن لا نأبه لكل العرب الذين في الخارج فنحن نعرف مدى امكانياتهم ونعرف مدى ما يفهمون عن اسرائيل . أما هنا فالامر مختلف ، هناك ٣٠٠ الف عربي فاذا وحدتموهم واستطعتم تجنيد خمسة الاف منهم في الحركة فسيكون ذلك خطيرا .

قضينا في السجن ثمانية عشر يوما ، تقدمنا بعدها لمحكمة حيفا فقضت باخراجنا من السجن بكفالة قدرها ستة الاف ليرة . رفضنا أنا والاخ صبري وقلنا سنبقى في السجن فليس هناك من يكفلنا ، بعد ثلاثة ايام اخرجونا من السجن بكفالة قدرها نصف ليرة .

بعد أن خرجنا من السجن في العام ١٩٦٤ ، وضعونا قيد الاقامة الجبرية في البيوت مدة سنة ، اي أن الواحد منا يحظر خروجه من البيت من الساعة السادسة مساء حتى بعد شروق شمس اليوم التالي بساعة واحدة ، ويتوجب على كل منا ان يثبت وجوده في مركز الشرطة يوميا . وكانوا خلال هذه السنة يأتون الينا كل ثلاثة أشهر ويحاولون اقناعنا بالتبرؤ من حركة الارض فكنا نرفض ذلك . وكانت السلطة تهدف من حجزنا الى تقييد حريتنا مدة سنة تسبق الانتخابات التي كانت ستحل في العام ١٩٦٥ ، وتخويف العناصر التي تؤيدنا باشعارها أن مصيرها سيكون مماثلا لمصيرنا ومحاولة ارهابنا كي نعلن براءتنا من حركة الارض ليستخدم ذلك ضدنا فيما بعد لو أردنا دخول

الحياة السياسية العامة .

عندما حان موعد الانتخابات ، قررنا ان ندخل من الشباك بعد أن طردونا من الباب ، فنرشح قائمة للانتخابات.وكنا على يقين من اننا سنستطيع ايصال عدد منا الى الكنيست اذا سمح لنا بالترشيح ، فاذا لم يسمح نكون قد اسقطنا ورقة التوت عن عورة ديمقراطية السلطة . أعددنا قائمة اسميناها القائمة الاشتراكية كان على رأسها صالح برانسي يليه حبيب قهوجي ثم صبري جريس ثم سبعة أشخاص اخرين اخرهم منصور كردوش ، بذلك كان في القائمة اربعة من قيادة الارض وستة من مؤيديها . أصبح يتعين علينا كي نحصل على حق الترشيح ان ندفع خمسة الاف ليرة ونحصل على ٧٥٠ توقيعا بالتزكية منأشخاص لهم حقالانتخاب. حصلنا على دفاتر التزكيات ووقعناها فحصلنا على اكثر من ١٥٠٠ تزكية ، وتعرضنا خلال ذلكللمطاردة وكنا نخشى ان يسرقوا الاوراق منا او يفعلوا شيئا من هذا القبيل . بعد أن حصلنا على التزكيات قررت السلطة اعتقالنا . فاعتقلتنا في الليلة ذاتها ونفيت الى طبريا ونفي صبري الى صفد ومنصور الى عراد في النقب وصالح الى بيسان ووضع عشرات من نشيطي الحركة قيد الاقامة الجبرية ، وقامت السلطة بحملة تفتيش شملت اكثر من ستين من مراكزنا الانتخابية ، وبدأت الصحف والاذاعة تشن حملة علينا . ولم تكتف السلطات بذلك ، فقد كانت تخشى ان ننجح في الانتخابات على الرغم من كل هذه الاجراءات فتكون لدينا اذ ذاك حصانة برلمانية نستطيع استغلالها في بعث الحياة فيالحركة فما كان من السلطة الا أن اوعزت الى لجنة الانتخابات وهي مؤلفة من ستة وعشرين عضوا برفض ترشيحنا على أساس اننا ننتمي الى حركة غير قانونية محلولة . ولكن اللجنة تخطت بذلك صلاحياتها ، اذ أن مهمتها تنحصر في تدقيق الترشيحات من وجهة نظر تكتيكية لترى ما اذا كانت التزكيات صحيحة ام مزورة . في الوقت ذاته مارست الشرطة نشاطا واسعا في الضغط على من منحونا التزكيات فسحب ثلاثمائة منهم تزكياتهم ، ولكن ذلك لم يؤثر علينا اذ كنا لا نزال نحمل تزكيات تفوق العدد المطلوب ، كما اننا كنا نخفي قائمة اخرى من التزكيات لنستعملها اذا اقتضى الامر . قررنا خوض المعركة مع السلطة فطالبنا بلجنة تحقق في أمر سحب التزكيات ، فشكلت اللجنة برئاسة القاضي زوسمان وحققت في الامر وتوصلت ان سحب التزكيات قد تم تحت الضغط وبذلك تعتبر جميعها قائمة . ولكن السلطة اخذت قرارا اعتباطيا بمنعنا من الترشيح . فما كان منا الا ان رفعنا الامر الى محكمة العدل العليا ، فأصدرت المحكمة قرارا مخاتلا يقضي بأن لنا الحق في الترشيح ولكن كأفراد وليس كقائمة . ولما لم يكن قد تبقى للانتخابات سوى يوم واحد وكنا في المنفى ، فقد كان ذلك يعني عمليا حرماننا من الترشيح .

بعد أن انتهت الانتخابات وتشكلت الحكومة الغي قرار نفينا وكنا قد امضينا في المنفى قرابة ثلاثة اشهر . وبعد خروجنا من السجن فرض علي ان لا اغادر حيفا ، واستمرت الامور على هذا النحو الى أن اندلعت حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

عشية الحرب ، قامت السلطات بحملة اعتقالات واسعة بين العرب فاعتقلت وزوجتي ووجهت لنا تهمة الاتصال مع « العدو » على أساس انهم وجدوا ملفات تثبت ذلك في غزة والجولان . ولكنهم لم يقدموني ولا قدموا زوجتي للمحاكمة بل قضوا! بسجننا ثلاثة أشهر سجنا اداريا بموجب انظمة الطوارىء ، ولما انتهت الاشهر الثلاثة الاولى صدر قرار بحبسنا ثلاثة اشهر اخرى وهكذا حتى بلغ مجموع ما قضيناه في السجن قرابة سنة ، كانوا خلالها يعرضون علينا ان يطلقوا سراحنا شرط ان نغادر البلاد ، فكنا نرفض ، وعندما قاربت السنة على الانتهاء خيرونا بين الخروج من البلاد بصورة شرعية وبجواز سفر وبين ان يلقوا بنا على حدود احدى الدول العربية ، فاخترنا بعد أن تداولنا في الامر مع الاخوان ان نخرج بجواز سفر، فخرجنا في أيار ١٩٦٨ .

يقول البعض ان اسم الارض قد اختير لسببين : الاول لكي تميزوا انفسكم عن الشيوعيين فهم يشددون على كلمة « العمل » فشددتم انتم على كلمة « الارض » كتعبير قومي ، والسبب الثاني هو ان في شمال فلسطين مجموعة كبيرة من الفلاحين والمزارعين العرب اردتم ان تكسبوهم فاستعملتم كلمة محببة لهم . وينتهي كاتب الى القول انه كان يوجد في فلسطين جريدة اسمها «نداء الارض» وقد يكون هناك علاقة بين هذه التسمية والتسمية الجديدة ، فهل هذا صحيح ؟

— في الواقع ، عندما قررنا اصدار جريدة تداولنا في أمر تسميتها فعرضنا عدة اسماء منها الكفاح والنضال والهدير ، ثم اتفقنا على تسميتها

« الارض » لاننا من جهةلا نريد لها اسما رومانطيقيا شاعريا ، بل اسما واقعيا ماديا ، ولان كلمة الارض من جهة ثانية تعبر عن جوهر نضالنا فالعدو الصهيوني يحاول تجريدنا من الارض ونحن نتشبث بالارض وباستعادة ما فقدناه منها ، والصهيونية تعتبر ان ارض فلسطين كانت مستعبدة لشعوب اجنبية وغريبة وانهم الان يعتقونها كما يعتق العبد، ونحن نعتبر ان ارض فلسطين الان مستعبدة لشعب اجنبي وغريب وان علينا واجب اعتاقها .

ما السبب في ان معظم اعضاء حركة الارض وما سبقها من جماعات وجمعيات كان من الشمال ؟

ــ لهذا الامر أسباب متعددة . اولها ان الاغلبية الساحقة من عرب الارض المحتلة موجودة في الشمال ، فهناك في الشمال ١٨٠ او ١٩٠ الفا من مجموع ٣٠٠ الف عربي في الارض المحتلة . وثانيها أن عرب الشمال اقرب الى المراكز الثقافية من عرب المثلث ، فقد كانت قرى المثلث ترتبط ثقافيا مع يافا وطولكرم وجنين ونابلس ، لكن يافا لم يبق فيها سوى خمسة او ستة الاف عربي ، وانقطعت صلة قرى المثلث الصغير اي نابلس وجنين وطولكرم ، فبقي مجتمع عرب المثلث مقطوعا عن جذوره وارتباطاته الثقافية . ثالث الاسباب ان معظم عرب الجليل قد مارس النضال زمن الانتداب ، فقيادة الحزب الشيوعي مثلا من الشمال وبالذات من حيفا والناصرة وعكا ، السبب الرابع هو أن مجتمع المثلث مجتمع اسري ، يؤثر فيه رب الاسرة على ابنائه واحفاده ويلزمهم مثلا بالتصويت للماباي للحصول على مكاسب عائلية ، وذلك بعكس الوضع في الشمال . خامس هذه الاسباب هو ان غالبية عرب الشمال الذين بقوا في الارض المحتلة هي من المسيحيين ، والمسيحيون ليسوا بالضرورة اذكى، ولكنهم قد أتيحت لهم فرصة الاتصال بالثقافة في وقت مبكر عن طريق مدارس الارساليات التي استفادت من وجودها ايضا الطوائف الاخرى ، حتى ان الاحصاء الذي قامت به اسرائيل يبين ان نسبة المثقفين بين المسيحيين العرب تبلغ ٩٣٪ ونسبتهم بين اليهود ٨٧٪ وبين المسلمين ٦٧٪ وبين الدروز ٢٣٪ ثم فيما بعد ٤٥٪ عندما اقبل الجيل الجديد على العلم .

جعلت الاسباب التي ذكرت عرب الشمال اكثر استعدادا للقيادة ، ولكننا نجد أنعرب المثلث اكثر حماسة للعمل ، واذكر اننا عندما كنا نجمع التزكيات لقائمتنا الانتخابية كنا ننتقل بشكل سري بين قرى الجليل لنجمع في كل منها عشرة تواقيع، بينما اصطف العمال العائدون من بيتح تكفا ويافا في الطيبة امام منزل صالح برانسي وصاروا يوقعون بالعشرات . **صبري جريس** : لو اتجهنا أبعد الى الجنوب ووصلنا النقب لوجدنا ان الوعي محدود جدا خصوصا بين البدو الذين يتعاونون مع السلطة بصورة فظيعة جدا ، حتى ان السلطة فقدت صوابها لمجرد أن الشيوعيين احرزوا صوتين من اصوات احدى القبائل في احد الانتخابات .

هل تعطوننا فكرة عن عدد اعضاء حركة الارض وعن تركيبها الطبقي ؟

ــ في الحقيقة لم يكن لدينا في أي وقت من الاوقات تعداد كامل للاعضاء ، ذلك اننا لم نكن معنيين باجراء مثل هذا التعداد . على اي حال كانت قوة الحركة في افكارها ومؤيديها وانصارها اكثر مما كانت في تجمع مادي . وكنا نتوخى ان لا نجعل منها تجمعا ماديا لئلا تصبح هدفا سهل المنال للسلطات . كنا نريد ان نجعل السلطة تطوح بقبضتها القوية في فراغ عندما تضرب بها فلا تجد امامها الا بضعة أشخاص . اما عدد اعضاء اللجنة المركزية فقد كان في مرحلة من المراحل ثلاثة وعشرين عضوا ، وتنبثق عن اللجنة المركزية قيادة جماعية من اربعة اشخاص .

هذا بالنسبة لعدد الاعضاء ، اما بالنسبة للتركيب الطبقي فقد كانت الحركة تتألف من العمال الصناعيين والحرفيين ثم المثقفين والمثقفين المتازين من خريجي الجامعات والمعاهد العليا ثم الطلبة الثانويين وطلبة الجامعة العبرية ومعلمي المدارس غير الحكومية (مدارس الارساليات) ثم الفلاحين .

هناك عدد كبير من العرب يفد الى المدينة للعمل فيها من قرى الجليل والمثلث . فهل كانت نسبة هؤلاء كبيرة في حركة الارض ام لا ؟

ــ في الواقع ، يصبح الشبان الذين يتركون القرية للعمل في المدينة اكثر ثورية ممن يظلون في القرية، لان من يظل في القرية يبقى عرضة للضغوطات العائلية ولتحذيرات الاهل والمختار«احذر الحكومة، لا تخرب بيتنا» . أما من يرتحل الى المدينة فانه يلتقي بنخبة من العمال وبعناصر مثقفة اخرى،ويحتك بالنضال السياسي المتركز في المدن ، ولذا كان في حركة الارض عدد كبير من هؤلاء .

الملاحظ في اسماء القياديين ان بينهم بعض ابناء العائلات الكبيرة : الفاهوم مثلا . الم تشعروا

بالتناقض احيانا بين هذا البعض وبين جمهرة الاعضاء من عمال ومثقفين وفلاحين ؟

— في الواقع ، كان هؤلاء في الجبهة الشعبية الديمقراطية وليس الارض ، وقد توخينا الاستفادة منهم كواجهات لاستقطاب الجماهير التي لم تعتد النضال المباشر بعد والتي لم تكن لتركن الى أسماء غير معروفة وشابة كحبيب قهوجي وصبري جريس مثلا . وقد ادى هؤلاء دورهم المطلوب . فعندما كنا نقيم مؤتمرا مثلا كانت اسماؤهم تظهر على لائحة الخطباء بينما كنا نحن الذين نجند الجماهير ونوزع المنشورات ونصطدم بالسلطةغالبا. **صبري جريس:** أود أن أضيف الى كلام الاخ حبيب ان أسماء العائلات القديمة الكبيرة لم تكن لتعني الشيء الكثير ، اذ أن مجتمع عرب الارض المحتلة تفتت بفضل نكبة عام ١٩٤٨ ثم عاد وتشكل من جديد ، وهذا يجعله مختلفا عن مجتمع ثابت راسخ ، ففي مجتمع كهذا قد لا يكترث اشخاص مثل بني بني او جبور جبور او طاهر الفاهوم بحركة سياسية وطنية ناشئة ، وبالمقابل قد لا يستطيع اشخاص مثلنا لعب دور قيادي الا بعد سنوات . أما في مجتمع الاقلية العربية في فلسطين المحتلة فقد كان بعد النكبة الفراغ . كان هناك كما قال عبد الناصر دور يبحث عمن يتقمصه، ومن هنا ابتدأ عملنا .

ترى هل كان للعوامل الاقتصادية اثرها على مدى اقبال عرب الارض المحتلة على الانخراط في العمل السياسي سواء في الجبهة الشعبية الديمقراطية او الارض ؟

— تستخدم سلطات الاحتلال القهر الاقتصادي لتطويع العرب في الارض المحتلة، فاذا كان المناضل عاملا هددته بسحب تصريحه واذا كان موظفا هددته بالفصل من العمل واذا كان تاجرا فرضت عليه ضرائب باهظة لا قبل له بها . وتستطيع السلطات استخدام الرادع الاقتصادي بسهولة كبيرة لسيطرتها على الاقتصاد والبنوك والشركات ومؤسسات التعليم وكل شيء ، وهي الى ذلك تستخدمه بحنكة . ولهذا نجد أن معظم من يستنكفون عن النضال او يتساقطون على دربه لهم مصالح اقتصادية .

هل كان تشكيل الجبهة الديمقراطية ثم الارض اول بوادر التحرك السياسي لعرب الارض المحتلة ام سبقت ذلك محاولات اخرى ؟

— **صبري جريس** : كان عرب الارض المحتلة في السنوات الاولى للنكبة مصابين بالذهول ويعانون الارتباك . وفي تلك الفترة ، كان المطران حكيم يرفع لواء المعارضة العربية لاسرائيل ، فكان يكتب في مجلة « الرابطة » مقالات عن هدم القرى وسلب الاراضي العربية وما الى ذلك . وكان المطران يتعاون مع المحامي الياس كوسا ثم نشب بينهما خلاف حاول كوسا على اثره ان يؤسس حزبا بأسم الحزب العربي ولكن يبدو ان كوسا لم يشتغل سوى فترة قصيرة ثم اندثر الحزب .

— **حبيب قهوجي :** لقد بدأ الحزب العربي نشاطهفي اوائل الخمسينات وكان محركه الياس كوسا وكان فيه جورج معمر وشكري الخازن وجورج أبو نادر، أي أنه كان تجمع شخصيات أبعد ما تكون عن السياسة المناضلة مما جعله يولد ميتا.ولقد كانت أهدافالحزب محليةجدا منها مساواة اللغة العربية بالعبرية ورفع الضرائب التي تثقل كاهل الفلاحين العرب والمحافظة على الوقف الاسلامي والكنائس والمقابر والمدارس العربية .

وهل بقي المطران حكيم على معارضته لسلطات الاحتلال ؟

— لم يكن للمطران حكيم سياسة معينة يثابر على انتهاجها . فقد حاول في بداية الاحتلال أن ينشىء حزبا سياسيا عربيا يجمعفيه حولهبعض الشخصيات المعروفة ليكون صاحب نفوذ في البلد ، ولكن هذا كان برضى من السلطات ، وكون الحزب الذي حاول انشاءه عربيا لا ينفي عنه الارتباط بالسلطة بشكل او آخر ، فالسلطة احيانا تبارك اشياء حتى ولو كانت تحمل اسماء عربية . وعندما كان المطران حكيم يهاجمالسلطة فانه لم يكن يهاجمها لموقف قومي ولكن لانها لم تلب له او للطائفةهذا الطلب او ذاك، اما اذا لبت السلطة طلباته فكان يقف في الناس خطيبا يدعوهم لانتخاب جبرا الداهش والياس نخلة مثلا وهما من مرشحي الماباي العرب . وظل موقف المطران متأرجحا ، ففي السنوات الاخيرة اشتكى اسرائيل الى الفاتيكان وكتب ضد الاسرائيليين في لندن واعطى تصريحا منددا بهم لهيئة الاذاعة البريطانية ، ولكن هذا كله كان ايضا لانهم لم يستجيبوا لبعض طلباته منهم . وخلال حرب عام ١٩٦٧ طلب المطران من الناس ان يتبرعوا بالدم لاسرائيل وقال أنه فخور لكونه يعيش بين شعب تعداده ثلاثة ملايين يقف في وجه مائة مليون . ثم ان المطران انتمى الى الهستدروت وجعل القسس ينتمون اليه . ولما خرج المطران حكيم الى العالم

العربي ، اصبح يتكلم بصوت مرتفع عن حقوق الشعب الفلسطيني ،

صبري جريس : هناك نقطة اود ان اضيفها . لقد كان نشاط المطران مشبوها والدليل على ذلك حادثة قرية اقرط . واقرط هذه قرية كاثوليكية بقي أهلها فيها خلال حرب ١٩٤٨ ، وبعد اسبوعين من قيام اسرائيل طردوا من بيوتهم . رفع الامر الى المحكمة فقضت بعودتهم ، ولكن السلطة أخذت تحاور وتداور ، واهل القرية المقترون المشردون يرفضون الانصياع لضغط السلطة والقبول بتعويضات تدفع لهم . ولم تحل هذه المشكلة الا عندما تدخل المطران وأصبح يرسل الى اهل القرية ويحاول اقناعهم أن يقبلوا التعويضات ، فتمكن من اقناع ٣٠٪ من سكان القرية ، لدرجة أن كتاب الحكومة السنوي عام ١٩٦٤ او ١٩٦٥ اشاد بالمساعي الحميدة التي بذلها المطران في تصفية هذه القضية .

هل تبقى شيء اسمه جماعة النادي الارثوذكسي ؟ وهل كان للجبهة الشعبية الديمقراطية او الارض علاقة بهذه الجماعة أو بقاياها ؟

— كان هناك في حيفا قبل العام ١٩٤٨ ناد يسمى النادي الارثوذكسي وكانت له سمعة طيبة وبخاصة في المجال الثقافي . ولكن هذا النادي انتهى عام ١٩٤٨ ، وشكل بعض اعضاء الطائفة الارثوذكسية مجلسا اطلقوا عليه اسم مجلس الملة الارثوذكسية وكان بعضهم من بقايا النادي الارثوذكسي ، اذكر منهم سليمان تطران وهو عميل كبير وسمسار وسليم جبران وهو عميل للقسم العربي في الهستدروت وجان مجدلاني وهو موظف كبير في الجمارك وبشارة عصفور وهو عنصر وطني مخلص هاجر فيما بعد الى بيروت وحنا نقارة وهو شيوعي .

الملاحظ أن هناك فرقا واضحا بين برنامج الجبهة الشعبية الديمقراطية وبين برنامج « الارض » ، فبرنامج الجبهة محلي جدا يركز على الغاء الحكم العسكري ومساواة العرب باليهود ، بينما نجد ان برنامج الارض مسيس الى حد بعيد فهو يركز على هيمنة حركة القومية العربية على المنطقة واعادة اللاجئين وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والحياد الايجابي ... الخ. فما هي العوامل التي ادت الى هذا الانتقال النوعي ؟ هل هي عوامل عربية ودولية أم عوامل داخلية في الارض المحتلة، أم ظروف ذاتية خاصة بجماعة الارض ؟

— كانت الجبهة الشعبية الديمقراطية تتألف من ثلاث فئات : عناصر عربية وطنية يهمها الدفاع عن مصالح المواطن العربي في اسرائيل ، وعناصر قومية عربية لها أفكارها القومية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والقضية العربية ككل ، والحزب الشيوعي الاسرائيلي قبل أن ينشق على نفسه . ولذا كان لا بد من رفع الشعارات التي تتفق عليها هذه الفئات الثلاث ، فكانت الشعارات المحلية البحتة. أما العناصر القومية التي شكلت فيما بعد حركة الارض فكانت تؤمن مسبقا بالمبادىء والشعارات التي اعلنتها « الارض » ، ولكنها لو رفعت هذه الشعارات في المرحلة الاولى لخسرت تعاون الحزب الشيوعي والعناصر الوطنية . ولكن عندما أتيحت لنا حرية العمل وحدنا واصدرنا صحيفتنا «الارض» اعلنا عن مبادئنا واهدافنا ومواقفنا من كافة القضايا محلية وعربية ودولية .

هل كان بينكم وبين تنظيمات سياسية خارج فلسطين علاقات في وقت من الاوقات ؟

— في الواقع ، لم يكن لحركة الارض اي علاقة مع أي حزب سياسي أو دولة في العالم العربي . ولكن كان هناك علاقات فكرية ، فما كان يحدث في العالم العربي كان يترك أثرا في حركة الارض في الداخل . وكنا نعتبر انفسنا جزءا من حركة الثورة العربية ولو أن اهتمامنا ينصب على قضايانا الداخلية ، وكان لنا مواقف من مسائلها العامة ، فكنا نؤيد الوحدة شرط ان يكون مضمونها تقدميا فهي في رأينا الطريق الى تحرير فلسطين ، وكنا نعتبر أن الاشتراكية هي الحل لمشاكل الانسان العربي ضمن الوحدة العربية ، فكنا بذلك على انسجام فكري تام مع الحركة الناصرية والى حد كبير مع حركة القوميين العرب . ولقد سمعت في الاونة الاخيرة أن هناك منظمة تسمي نفسها منظمة الارض وتدعي ان اعضاءها في الارض المحتلة كانوا يقومون بنضالات جريئة شتى ، ولكن الحقيقة أنه ما من علاقة بيننا وبينهم فنحن نختلف عنهم فكرا وتنظيما وأسلوبا ، وهم يقولون ان للارض تنظيما عسكريا رهيبا في الارض المحتلة ونحن لم ندع ذلك يوما .

في العام ١٩٦٦ أرسلت حركة القوميين العرب دوريتين مسلحتين الى الارض المحتلة عن طريق لبنان ، وكان أحد الاهداف الاساسية من ذلك الاتصال بحركة الارض ، فهل جرى اتصال من هذا النوع ؟

— في الحقيقة لم يجر اتصال كهذا في العام ١٩٦٦، ولكنني اعتقد أن منظمة التحرير الفلسطينية أرسلت في العام ١٩٦٤ دورية القي القبض عليها عند

الحدود الشمالية واعترفت انها كانت تبحث عن حبيب قهوجي وصبري جريس ، فدخلنا السجن اثر ذلك بتهمة الاتصال بـ « العدو » .

صبري جريس : خلال اعتقالي في العام ١٩٧٠ في سجن الرملة قابلت معتقلا اخبرني انه كان من الجماعة التي دخلت عام ١٩٦٤ للاتصال بنا ، ساعتها صدقت الرواية الاسرائيلية عندما استخدموا ذلك كحجة لاعتقالنا .

هل تحدثوننا عن التجمعات اليهودية التي كنتم تتعاونون معها واشكال هذا التعاون ؟

ـــ التجمعات اليهودية التي كنا نتعاون معها تجمعات صغيرة ، وهي ان كانت تنطلق من القبول باسرائيل الا أنها تعارض اخضاع العرب للحكم العسكري فتطالب بالغائه وتطالب بالكف عن مصادرة أراضي الفلاحين العرب وعودة قسم من اللاجئين . وتقول هذه التجمعات ان سياسة الاحزاب الكبيرة لا تؤدي الى السلام ويعتبرون أنفسهم ورثة العهد القائم ويقولون بضرورة التفاهم مع حركة التحرر العربية ويعتقدون أنهم مؤهلون للعب هذا الدور . فكانوا يميلون الى التعاون معنا ويبررون ذلك للشارع اليهودي بأننا جزء من حركة التحرر العربية وانهم اذا وقفوا الى جانبنا وتفاهموا معنا فمن الممكن ان يساهم ذلك في مد جسر التفاهم بين العالم العربي واسرائيل يوما ما.وتتفاوت مواقف هذه الجماعات ، فهناك مثلا أوري أفنيري الذي يحمل نظرة صهيونية معدلة فهو يريد أن يسكن اليهود شرقي الارض ايضا ليقوم اتحاد سامي بين الشعبين الساميين . وهناك جماعة ايحود وهم نفر من الاساتذة الجامعيين حمل آراء ماغنيس من بعده . فقد كان ماغنيس عميدا للجامعة العبرية وكان يخالف بن جوريون الرأي ، فبن جوريون يقول نقيم الدولة أولا ثم يأتي السلام مع العرب ، اما ماغنيس فيقول السلام أولا ثم الدولة . ويشعر أعضاء هذه الجماعة أن الاقلية العربية مظلومة ومضطهدة وانهم كأساتذة يحملون لواء العلم والثقافة والتحرر لا يستطيعون الوقوف الى جانب الجلادين مع الحكم العسكري المفروض على العرب ومع مصادرة أراضيهم ومع الوجه الاسود لاسرائيل . فكانوا محافظة منهم على الوجهة العلمية الحضارية التي يؤمنون بها يقفون مع الحركات التي تنشأ في الجانب العربي ومنها حركة الارض ، ولكن الى حد لا يتنافى مع وجود الصهيونية ككل .

وقد اتخذ التعاون فيما بيننا أشكالا عدة ، فقمنا بتظاهرة مشتركة ضد الحكم العسكري وأقمنا مؤتمرات مشتركة للمطالبة بالكف عن مصادرةأراضي الفلاحين العرب ، وكدنا نعقد مؤتمرا في وقت مبكر يعود الى العام ١٩٥٨ للمطالبة بعودة اللاجئين العرب لولا أن أحبط الشيوعيون جهدنا باصرارهم على توجيه الدعوة للمؤتمر باسمهم واسم الجبهة الشعبية الديمقراطية فقط بدل أن توجه باسم المشاركين جميعا . وقد اجتمعت هذه الجماعات عام ١٩٥٨ وأصدرت بيانا عنيفا جدا يندد بالحكم العسكري ، وفي عامي ١٩٦١ و١٩٦٢ استطاعت أن تثير ضجة كبيرة حول الحكم العسكري ، تقدمت على اثرها جميع الاحزاب في الكنيست عدا المباي بمشروع موحد لالغاء الحكم العسكري ولم يفشل المشروع الا بفارق صوت واحد .

عندما ترشحتم للانتخابات أسميتم قائمتكم « قائمة الاشتراكيين » ، فلماذا اخترتم هذا الاسم بالذات ، وهل كان وراءه مضمون فكري معين ؟

ـــ لقد تبنت حركة الارض في مرحلة متأخرة الافكار الاشتراكية ، وكان هذا نتيجة نقاش دائم بيننا وبين الشيوعيين . كان يقال لنا ما الفرق بينكم وبين الشيوعيين ، فكنا نقول هم اشتراكيون ونحن اشتراكيون ولكننا نختلف على القضية القومية فهم يتنكرون لعروبة فلسطين ويوافقون على التقسيم . ومن الطبيعي ان يكون خلاف بيننا وبين حزب شيوعي كلاسيكي فكيف اذا كان هذا الحزب موجودا في اسرائيل وبقيادة موشيه سنيه الذي كان مرة نائب القائد الاعلى للهاجاناه ومرة كان قائدها ، وكنا نرى أن قيادة الحزب الشيوعي تلجم نضال الحزب وتحد من ثوريته وبالتالي تعطل نضال الجماهير العربية ولا تساعدها . صحيح أننا لم نطرح شعار الاشتراكية في المرحلة الاولى لنشوء حركة الارض ، ذلك اننا كنا نرجو جمع كل العناصر القومية وصهرها في بوتقة الحركة القومية فالصراع ما بيننا وبين الصهيونية ليس صراعا طبقيا ، فكل العناصر الصهيونية من عمال وفلاحين ورأسماليين مستفيدة من الاستيلاء على فلسطين وكل العرب اقطاعيين ورأسماليين وعمالا وفلاحين قد خسروا نتيجة الغزو الصهيوني ، فالصراع اذا صراع قومي يحتم علينا محاولة جمع القدر الاكبر من الوطنيين العرب في حركتنا .

ومتى بدأ التفكير الاشتراكي يأخذ طريقه اليكم ؟

ـــ بدأ ذلك في الوقت الذي اصدرنا فيه الصحيفة ، ولكنه أصبح أكثر الحاحا فيما بعد ، وفي أوائل

الستينات تبنينا الاشتراكية العلمية لانها في رأينا الحل الوحيد لمشاكل جماهير الامة العربية ، وان لم تكن كذلك لعرب اسرائيل .

هل تقصد بالاشتراكية العلمية الماركسية ــ اللينينية؟

ــ نعم ، فنحن نعتقد أنه ليست هناك اشتراكية اسلامية وأخرى عربية وثالثة روسية . هناك اشتراكية واحدة في العالم ولكن تطبيقها يختلف من بلد لاخر طبقا لظروف البلد المعنى التاريخية والاجتماعية والسياسية والفكرية .

هل كانت قيادة الارض جميعها تتبنى الماركسية ــ اللينينية ؟

ــ نعم ، انما القاعدة كانت تتفاوت في فهمها لذلك، أي أن جزءا منها لم يكن يدري ما هي الاشتراكية وما هي الماركسية ــ اللينينية فقد كان يناضل على أساس قومي ، وفي الوقت ذاته كنا نثقفه بقدر ما نستطيع .

هل دار نقاش في الاوساط القيادية حول تبني الماركسية ــ اللينينية ؟ وكيف امكن لهذه النظرية أن تستوعب منطلقات قومية كمنطلقات الارض ؟

ــ لقد دار نقاش كهذا ، وفي النهاية كتب صالح برانسي كتابا عن الاشتراكية رد فيه على الشيوعيين وامتدح بعض جوانب التطبيق الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة وانتقد البعض الاخر . ونستطيع القول أن هذا الكتاب يمثل فكرنا الاشتراكي .

قلت أن أفكار حركة الارض كانت قريبة الى الافكار الناصرية وأفكار حركة القوميين العرب . ولكن في الفترة التي صدرت فيها صحيفة الارض ما كان الناصريون يؤمنون بالاشتراكية العلمية بل كانوا يقولون بالاشتراكية العربية ، وما كانت حركة القوميين العرب تتبنى الماركسية اللينينية بل على العكس من ذلك كانت تاخذ منها موقفا مضادا . فهل كنتم تعون هذه الفوارق ؟

ــ كان اكثر ما يستحوذ على وعينا هو الصراع القومي.وكنا نرى في الوحدة الطريق لحل المشكلات العربية ، كما كنا نرى أن الوحدة يجب أن تكون اشتراكية المضمون . وفي معاناتنا للاحتلال كانت الوحدة على رأس اهتماماتنا فكنا نشعر أننا نلتقي بكل من يناضل من اجل الوحدة وضد الاستعمار سواء أكان قوميا عربيا أم بعثيا ، ولم نكن لنرى فرقا ما بين البعث والقوميين العرب ، ونحن لا نرى الان فرقا بين الجبهة الشعبية الديمقراطية والجبهة الشعبية . انني أتألم اسى من خلافات كهذه ليس لها مبرر . فالكل يريد الوحدة العربية والاشتراكية والنضال ضد الاستعمار .

وهناك منظمات لا تتبنى الاشتراكية : فتح مثلا . ولكننا كنا نؤيدها عندما كنا في الارض المحتلة ولا نزال نؤيدها على أساس انها تحمل البنادق وتتوجه بها بفعالية نحو العدو الاسرائيلي وتحاول جمع كل الطاقات الفلسطينية . وعندما نسمع أن منظمة او جبهة فدائية تختلف مع أخرى فاننا نتأثر لذلك ونرى أن هذه الخلافات لا مبرر لها . يجوز انكم هنا تجدون لها مبررات فكرية وتنظيمية ولكننا نحن لا نحس بذلك .

هل يمكن القول أن حركة الارض قد تحولت من مجرد حزب تقليدي الى نوع من الجهاز التنظيمي ؟

ــ صحيح أن حركة الارض ابتدأت بسبعة أشخاص ، ولكنها نمت وانشأت لها تنظيما في كل قرية ومدينة تقريبا . وصحيح أن هذا التنظيم لم يكن تنظيما حديديا ، ولكنه استطاع الوصول الى قطاعات واسعة يمكن القول انها تمثل الاكثرية الساحقة من الاقلية العربية في الداخل ، لدرجة أن تنظيمات نشأت في بعض الاحيان دون معرفتنا بانتظار أن تستنح لها الفرصة للاتصال بنا . أي أننا استطعنا أن نوحد وراء أهداف حركة الارض القطاع الاوسع من الجماهير العربية من العمال الصناعيين والحرفيين ومن المثقفين والفلاحين .

هناك من يقول أن حركة الارض كفت عن أن تكون فاعلة بعد أن اعتقل قادتها وعدد من اعضائها عام ١٩٦٥ ، هل في هذا شيء من الصحة في رايكم ؟

ــ لقد انتهت حركة الارض فعلا في العام ١٩٦٥ ولكن قانونيا فقط ، اذ أن اعضاءها بقوا على نشاطهم ، فمن كان في لجنة الغاء الاحكام العسكرية أو لجنة الدفاع عن الاراضي العربية أو لجنة الطلبة الجامعيين بقي يعمل في هذه اللجان وينشط من خلالها . صحيح أنه لم يعد يعمل باسم الارض ولكنه ظل يعمل بروحها وبوحي منها وبهديها . وصحيح أنه ظاهريا لم يعد هناك شيء اسمه « الارض » ولكن من كانوا أعضاء في الارض لا يزالون يعتبرون أنفسهم كذلك ، ولا تزال السلطات ذاتها تعتبرهم كذلك .

واضح ان عمل « الارض » قد دار ضمن نطاق الشرعية القانونية الاسرائيلية ، الم يكن ممكنا استبدال هذا العمل بالعمل السياسي المباشر المتحدي الذي يستهدف احداث حركة فعل ورد فعل في صفوف الجماهير العربية بدءا من توزيع المنشور

الى التظاهرة الى العصيان المدني وربما الى الكفاح المسلح ؟ على الاقل الم يكن ممكنا ان يسير هذان النوعان من العمل بموازاة بعضهما ؟

— في الواقع كنا نناضل من أجل الحصول على الشرعية حتى نستطيع توطيد اقدامنا ليصبح بمقدورنا التحرك في المستقبل لعمل ما . ولم نكن نستطيع في المرحلة المبكرة عام ١٩٥٩ و١٩٦٠ أن نقيم تنظيما سريا ونعطيه مهمات محددة بفعل الظروف التي كانت سائدة آنذاك . ولو أقمنا مثل هذا التنظيم لكان تنظيما بدون مهام ، ولاعطى هذا العمل الفاشست من الصهيونيين الفرصة لذبح الاقلية العربية ولاعطى السلطة ايضا مبررا وذريعة لضربنا قبل أن نستطيع الوصول الى الجماهير تحريكها وتعبئتها . باختصار يمكن القول أن نضالنا من أجل الشرعية وضمن الشرعية كان تكتيكا يهدف الى الوصول الى تنظيم في المستقبل قد يكون له أهداف اوسع من تلك التي أعلناها ، ولكن الاهداف والشعارات مرهونة بالظروف ولا يجوز الاعلان عن أهداف ورفع شعارات لم يحن الظرف المناسب لها بعد .

من الواضح أن اهداف حركة الارض كانت شبيهة باهداف الحركات القومية العربية وخاصة حركة القوميين العرب ، ولكن ما هو الدور الخاص المحدد الذي كنتم تعدون انفسكم له ؟

— كنا نريد أن نبدأ بداية متواضعة جدا بأن نجعل الثلاثمائة الف عربي في الارض المحتلة يشعرون بكرامتهم وعزتهم القومية وترابطهم القومي ، وذلك في وجه محاولات التفتيت والتشتيت التي كانت تقوم بها السلطات وفي وجه روح العدمية القومية التي كانت تحاول بثها في صفوف العرب . وكنا نتصور نضالنا جزءا من نضال الشعب الفلسطيني الذي هو بدوره جزء من نضال الامة العربية ، وكنا اكثر من ذلك نتصور أن باستطاعة الاقلية العربية في فلسطين ان تلعب دورا تعجز عنه القطاعات العربية الاخرى.

ولماذا لم يحدث ذلك ؟ لقد كانت فعالية حركة الارض بعد الاحتلال الاسرائيلي قليلة بالمقارنة مع الدور الذي كان مؤملا أن تلعبه ؟

— لقد حلت الارض في اواخر العام ١٩٦٤ ، ولكن أعضاءها استمروا ينشطون كأفراد في اللجان والمؤتمرات المختلفة للدفاع عن حقوق الاقلية العربية . وقد حاولنا ان نجد صيغا جديدة للعمل كأن تنشىء عناصر اخرى غيرنا حركة بشعارات متواضعة بحيث يسمح لها بالعمل ثم ننضم اليها .

كذلك فكرنا في أن نقنع الحزب الشيوعي المنشق بتغيير بعض مواقفه كي ننضم اليه ، ولكنه كان يخشى أن تحله السلطات . بقينا على هذا الحال الى أن فاجأتنا الحرب ودخل قسم كبير من الاعضاء السجن وقضوا فيه مددا مختلفة ، ومنهم مثلي من خرج من السجن ليطرد خارج الارض المحتلة . غير أن بعض الاعضاء السابقين في حركة الارض قد انضم الى منظمات الكفاح المسلح ، وأنا أعتقد أن المنظمات وقعت في خطأ لانها كانت تتصل بعناصر غير مقررة وتجندها للعمل فتنكشف هذه العناصر بعد أن تقوم بعمل بسيط أو قبل أن تقوم بعمل على الاطلاق ، وقد ساهم في هذا عدم تماسك تنظيم الارض وعدم وضوح موقفها من العمل المسلح مما أدى بالاعضاء أن يتصرفوا تصرفا فرديا . ويوجد الان في السجون الاسرائيلية وتحت الاعتقال الاداري عدد كبير من أعضاء الارض يربو على ثمانين شخصا ، رغم أن حركة الارض في الاساس حركة سياسية قد يكون أعضاؤها جميعا جيدين سياسيا ولكن مواصفات وشروط الفدائي مختلفة عن شروط ومواصفات المناضل السياسي .

واضح أنكم بعد عام ١٩٦٥ لم تعودوا تستطيعون العمل كحركة ، والان يشعر المرء ان ما كانت تمثله « الارض » لم يعد كافيا لاستيعاب الدور الذي يمكن أن يلعبه عرب الارض المحتلة ضمن الظروف الجديدة . أقصد أن الارض قامت في ظل برامج معينة ومفاهيم معينة ولعبت دورها التاريخي وانتهت ، فاذا ساهمت عناصر من حركة الارض في خلق أطر تنظيمية جديدة ببرامج جديدة فان هذه الاطر لن تكون امتدادا لحركة الارض بل ستكون شيئا جديدا مختلفا . اليس كذلك ؟

صبري جريس : أود أن أوضح أننا لم نكن نعمل في دولة عربية ، بل كنا نعمل في قلب اسرائيل ، أي في ظل نظام معاد للعرب ، يقوم على أنقاض شعب عربي . وكان لا بد أن نتوجه للاقلية العربية ، فلم يكن أمامنا سوى سبيلين لذلك : الاول أن نقيم خلايا سرية هنا وهناك ، وفي هذه الحالة وضمن الظروف القائمة لم يكن بامكان خلايا كهذه أن تفعل شيئا سوى أن تتحول الى مخابرات لصالح الدول العربية ، والثاني ان نعمل عملا سياسيا ضمن نطاق الشرعية . فاخترنا السبيل الثاني لان الاقلية العربية صغيرة ومفككة ونحن نحاول تعبئتها ولا يمكن لنا ذلك بعمل سري ، اذ لا يمكن ان نصل اليها ونخاطبها الا بعمل علني . وأدى اختيارنا سبيل

العمل العلني الى محاولة كسب الصفة الشرعية ، وبالتالي لم نكن نستطيع القول أننا نريد القضاء على اسرائيل ، ففي اللحظة التي نقول فيها شيئا كهذا يكون مصيرنا السجن دون أن نحقق شيئا . ولكننا في الوقت ذاته لم نكن نعلن رأيا في أي من الجوانب الجوهرية لهذه المسألة ، فعندما كان يطلب الينا أن نقول أننا نعترف باسرائيل كنا نجيب ان على اسرائيل ان تعتـرف بحق الشعب العـربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، وعندما كان يقال لنا : ما هي حدود الدولة ؟ كان كل منـا يجيب اجابة مختلفة فأحدنا يقول حدود التقسيم والاخر يقول دولة مشتركة والثالث يقول دولة ثنائية ، وهكذا لم نكن نلتزم بشيء محـدد . استمر عملنا حذرا واستمرت محاولاتنا الدؤوب لكسب الصفة الشرعية الى أن حلت الحركة . عندئذ لم يعد بامكاننا العمل تحت شعار « الارض » لان ذلك هو السخف بعينه، اذ يكفي أن يقال أنك تعمل في منظمة غير قانونية ليصفوك ويأمنوا شرك . وبعد حرب ١٩٦٧ تفككنـا وأصبح كل منا في جهة ، الاخ حبيب معتقل والاخ صالح سجين وأنا قيد الاقامة الجبرية وهكذا ، غير أن كادر « الارض » البشري لا يزال موجودا ، ولكن بريق « الارض » خبا في خضم الاحداث ، اذ لم تعد السلطة مهتمة بها وبمشاكلها فعندها فتح والجبهة والمخربون والقنابل الخ .

ولكنكم أقريتم التقسيم في مذكرتكم الى الامم المتحدة، أليس كذلك ؟

— لقد وجدت حركة الارض اسرائيل واقعا قائما ، فلم يكن بامكاني مثلا أن الغي ولادتي واقامتي في اسرائيل . اذن انا اقبـل البقاء تحـت الحكـم الاسرائيلي كما يقبل شيوعي انجليزي مثلا البقاء في بلاد الانجليز الرأسمالية . اي أننا لا نوافق على التقسيم ونعتبره خطأ ، وهـذا ما نقوله في تثقيفنا للجماهير وفي نقاشنا مع العناصر اليهودية . وكنا نضيف : لكننا هنا موجودون ومضطرون الى حمل الهوية الاسرائيلية والعمل ضمن اطار الشرعية الاسرائيلية لان هذا هو الواقع . ولقد أوضحنا موقفنا حين قلنا ان على اسرائيل ان تعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وأن تقطع ما بينها وبين الحركة الصهيونية وأن تكف عن أن تكون رأس جسر للاستعمار وتعترف بأن حركة القومية العربية هي الحركة الوحيدة والمقررة في المنطقة ، وكل هذا يكون نقطة الانطلاق في سبيل سلام مقيم في المنطقة .

وعندما كتبنا للامم المتحدة لم نكن نستطيع أن نقول أننا نطالب بالغاء اسرائيل فالامم المتحدة ذاتهـا تعترف باسرائيل . كنا نستطيع فقط أن نطالب الامم المتحدة بأقصى ما يمكن أن تفعله ، فقلنا في المذكرة أننا نطالب اسرائيل بتنفيذ قرار الامم المتحدة الخاص بالتقسيم ونطالب بعودة اللاجئين . ولكن هذا لا يعني أن ذلك نهاية المطاف ، فقد قلنا في دستور حركة الارض أن الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصيره ضمن نطاق الاماني العليا للامة العربية ، وهذا كلام واضح جدا .

العلاقات السياسية العربية ـ الاميركية في محتواها الاسرائيلي

الدكتور اميل نخلة

اولا : نظرة عامة :

قال وزير خارجية اميركا وليم روجرز ، في تحديده للمصالح الاميركية في الشرق الاوسط عام ١٩٦٩ ، ان الولايات المتحدة تظل « مهتمة باقامةعلاقات جيدة مع كل دول المنطقة ... وتظل على استعداد للتعاون مع الاخرين .. طالما ينشدون باخلاص الهدف الذي تنشده : سلم عادل ودائم ».(١) بعد ذلك بشهرين ، حدد الرئيس نيكسون الوضع الاميركي في الشرق الاوسط من وجهة نظر الحرب الباردة . وقد تحدث نيكسون أكثر عن وجهة نظره هذه في تقريره الى الكونغرس في شباط ١٩٧٠ :(٢)

١ ـ « ان مصالح الدول الكبرى تدخل في صراع القوى المحلية ، لكن للدول الكبرى مصلحة مشتركة في تجنب الصدام المباشر .

٢ ـ « للولايات المتحدة علاقات قديمة وعليها التزامات لعدد من دول المنطقة .

٣ ـ « لكن الولايات المتحدة سوف تنظر الى جهود الاتحاد السوفياتي للسيطرة على الشرق الاوسط كأمر خطير جدا .

٤ ـ « وانا الان أؤكد عزمنا التام على مراقبة ميزان القوى العسكرية وذلك لتزويد اصدقائنا بالسلاح كلما تدعو الحاجة » .

وقد عاد الرئيس نيكسون الى نغمة الحرب الباردة هذه في مقابلة تلفزيونية خاصة في تموز ١٩٧٠ ، ووعد مرة اخرى بحفظ التوازن العسكري لصالح الولايات المتحدة وصالح بعض « الدول الصديقة » في المنطقة . وقد شدد على « ان مصلحة الولايات المتحدة تقضي بحفظ التوازن العسكري بين اسرائيل والدول العربية ، وبالتالي فان الولايات المتحدة سوف تحافظ على ذلك التوازن ».(٣) هذا الراي شبيه بسياسة الحرب الباردة التي اتبعها وزير الخارجية جون فوستر دالس في عهد ايزنهاور في الخمسينات ، وهو ايضا ارتباط اميركي بحفظ الوضع الراهن الذي تفيد منه اسرائيل أكثر من غيرها . رغم النفي الكثير لانحياز حكومة الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل ، فان السياسة الفعلية تشير دائما الى تعاون عسكري وسياسي اوثق ومساندة اكبر من قبل الولايات المتحدة لاسرائيل.(٤) ولا يمكن ان يبرز هذا النمط بوضوح اكثر من الوضوح الذي بدا فيه في القتال الاخير في الاردن . فقد أعدت خطة اميركية ـ اسرائيلية مشتركة للتدخل في الاردن لانقاذ عرش الملك حسين ، وتقضي الخطة بهجوم اسرائيلي تدعمه أميركا.(٥)

ان تحليل العبارات السابقة في ضوء سياسة الولايات المتحدة وتصرفاتها في الشرق الاوسط خلال الخمس وعشرين سنة الماضية ، يظهر بوضوح ان السياسة الاميركية

فشلت فشلا ذريعا في تفهم قوى التغير في المنطقة ، وفي استيعاب أبسط رغبات ومطالب وتطلعات شعوب المنطقة. السبب في هذه السياسة برأي السناتور وليم فولبرايت «ليس خير الولايات المتحدة بل وجود جماعة ضاغطة في الولايات المتحدة تهدف الى زج الصراع العربي — الاسرائيلي في السياسة المحلية». (٦) وسنرى كيف يتم ذلك في الاجزاء اللاحقة من هذا المقال .

ثانيا : **سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط : موجز :**

لقد تأثرت العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة والشرق الاوسط العربي منذ الحرب العالمية الثانية بثلاث مسائل رئيسية وهي : اسرائيل / فلسطين ، البترول ، والصراع العقائدي الامريكي — السوفياتي في الشرق الاوسط. (٧) هذه المسائل الثلاث دفعت الى تورط امريكي كبير في الشرق الاوسط يتصف بالتناقضات، وبسوء الفهم التام، وباحساس مشوه بالاولويات .

الكتابات متوفرة حول موقف الولايات المتحدةمن المسائل الثلاث ورد الفعل الامريكي على التحدي الناتج عن هذه المسائل خلال العقدين الاخيرين . (٨) لكن ، هذا المقال سوف يبحث مسألة العلاقات السياسية العربية — الاميركية مـن وجهة نظر مختلفة : تأثير مساندة أميركا السياسية المحلية لاسرائيل على تقرير سياسة أميركا الخارجية . هذا الاسلوب في المعالجة لا يقلل من اهمية عوامل اخرى كالبتـرول العربي والتأثير الروسي في تقرير سياسة اميركا الخارجية . لكنه يهدف الى اظهار عامل اكثر أهمية لكنه مخفي اكثر وهو التأثير المحلي على تخطيط السياسة ودوره في تفسير المصلحـة الوطنية في مكان معين وتحت ظروف معينة . هذا الدور بالذات هو الذي فشل مخططو السياسة العرب في فهمه او معالجته بفعالية . ان التفـاعل الدقيق بين عـامل سياسي محلي ، النشـاط الصهيوني في الولايات المتحدة، وبين عملية تخطيط السياسة الخارجية أمر بالغ الاهمية. رغم ان صانعي السياسة الاميركية خلال الخمس وعشرين سنة الماضية حاولوا وضع أهداف قومية عريضة وبعيدة المدى في الشرق الاوسط ، فانهم غالبا ما فشلوا في تفريق هذه الاهداف عن اهداف الصهيونيين الاميركيين .

كتب الرئيس هاري ترومـان عـام ١٩٤٧ عـن الضغط الذي فرضه عليـه انصاره الصهيونيون : « لقد اعتقد العديد من اليهود ان سياستنا في فلسطين هي نفس البرنامج الصهيوني لاقامة اسرائيل . . . الحقيقة البسيطة هي ان سياستنا كانت سياسة أميركية ولم تكن سياسة عربية أو يهودية» . (٩)

اما عن كثافة ذلك الضغط فقد كتب : « لا أعتقد اني تعرضت لأية ضغوط ودعاية موجهة نحو البيت الابيض كما في هذه الحالة . ان الحاح عدد صغير مـن الزعماء الصهيونيين المتطرفين — وهو الحاح له دوافع سياسية ويتضمن تهديدات سياسية — قد ازعجني وضايقني» . (١٠) ان عبارات ترومان هي احدى نتائج التفاعل بين السياسة **الاميركيـة** والسياسة **الصهيونية** في الشرق الاوسط . مع ان الرئيس ترومان أعطى وصفا لما حصل في هذه المنطقة من خلق لدولة اسرائيل، فان كلماته اتت كالنبوءة لما حدث في البيت الابيض منذ انتهاء ولايته . مع نشوب الحرب الباردة ، استطاع انصار الصهيونية في الولايات المتحدة ان يفرضوا الصراع العربي — الاسرائيلـي على الحرب البـاردة بين الشرق والغرب . وستظهر وسائلهم التي استعملوها في الصفحات التالية .

ثالثا : **عوامل تحديد السياسة الخارجية : تحديد نظري :**

يقوم المستنقع الدبلوماسي الدائم للشرق الاوسط علـى ثلاثة عوامل : برنامج سياسي منسق لصالح اسرائيل ، تلاشي دور مجلس الشيوخ كصانع للسياسة الخارجية وبروز المجلس التنفيذي (الحكومة) كمحرك للسياسة العامة ، واخيرا ظهور العقيدة — خاصة في الخمسينات — على انها المقياس الرئيسي للسياسة الخارجية . قد تبدو هذه العوامل

مستقلة عن بعضها بعضا لكنها في الواقع متشابهة كثيرا ، خاصة عندما ننظر اليها من زاوية المصلحة الوطنية .
بما ان المصلحة الوطنية هي « المقياس الرئيسي »(١١) و« القوة الدافعة »(١٢) للسياسة الخارجية ، فان مصادر المصلحة الوطنية ، في مكان وزمان معينين ، تصبح ذات اهمية عظمى . تعرف المصلحة الوطنية عادة من خلال عنصرين : العقيدة القومية (« القيم التي تشارك بها الجماهير في السياسة الخارجية والتي تطلب الاكثرية من الحكومة تحقيقها »)(١٣) والتفسير الشخصي الذي تعطيه مجموعة صغيرة من صانعي السياسة ومتخذي القرارات المنغمسين مباشرة في تلك السياسة .
من المتفق عليه ان اي تفسير يعطى للمصلحة القومية في وقت معين يجب ان يعكس على الاقل ثلاث رغبات : المحافظة على النفس ، الامن ، والخير الذاتي. (١٤) ان اي ارتباط تعطيه الولايات المتحدة علنا او سرا لاية دولة يجب أن يخدم مصلحة اساسية وهي أمن ارض ومؤسسات الولايات المتحدة. . . (١٥) وهو مقياس لم يظهر في ارتباط اميركا باسرائيل.
العامل الهام الاخر الذي يحدد السياسة الخارجية في دولة ديمقراطية هو الدور الذي يلعبه الرأي العام واستغلال هذا الرأي من قبل فئة ضاغطة منظمة تنظيما حسنا. وهذه الفئة في الولايات المتحدة هي اللجنة التنفيذية الصهيونية التابعة للوكالة اليهودية .
بكلمات ف. او. ي جونيور ، الراي العام « قد يؤخذ على انه آراء الاشخاص القلائل التي تجد الحكومة ان من الحكمة اتباعها ». (١٦) يمكن ان يصبح الرأي العام كطاقة في النظام السياسي ، قوة هائلة في تقرير منتوج هذه السياسة . وتحدد درجة فاعلية الرأي العام في هذه الحالة بنوع الجمهور الذي يبدي الرأي ، وبكيفية ترجمة الرأي الى طاقة سياسية وعلى اي مستوى داخل النظام السياسي يجري ادخال ذلك الرأي . وقد ميز الاستاذ غبريال الموند بين ثلاثة « جماهير » في الولايات المتحدة : الجمهور العام ، النخبة المختارة التي يصغى اليها ، والنخبة التي تقرر السياسة العامة. (١٧) في رأي الاستاذ الموند ان قطاع النخبة وليس الجمهور العام هو الذي يقرر الرأي العام . قطاع النخبة « مطلع ومهتم بمشاكل السياسة الخارجية ». (١٨) وهكذا فانه الجمهور الوحيد الذي يعني شيئا بالنسبة لعملية رسم السياسة للولايات المتحدة . ان هذا القطاع « يلعب اهم دور في تحديد تفكير الجماهير لانه يفهمها كيف تفكر » . (١٩)
لقد استغلت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الرأي العام بنجاح ، وخاصة « الجماهير » و« الاراء » النخبة التي يمكنها ان تؤثر تأثيرا كبيرا على الاقوياء وذوي النفوذ في النظام السياسي الاميركي. لقد قطفت الدعاية الصهيونية ثمار النجاح في أوساط فروع الحكومة الثلاثة تصاغ القوانين وتنفذ . لقد اقام الزعماء الصهيونيون اتصالات فعالة في واشنطون مع مجلس الشيوخ والبيت الابيض ومؤسسات تنفيذية أخرى . وقد دعم هؤلاء الزعماء موقف المحكمة العليا للولايات المتحدة الذي اتخذته عام ١٩٦٧ والقاضي باعطاء حق الجنسية المزدوجة (راسك مقابل افرويم) .

رابعا : **طبيعة وأساليب الدعاية الصهيونية :**

وجهت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة نحو هدف واحد محدد وهو تأييد اسرائيل. وفي هذا السبيل شن الصهيونيون الاميركيون حملة جريئة ، لا تراجع فيها ، وذات قوة دعائية هائلة . كان لهذه الحملة الدعائية عدة أهداف : كبار المسؤولين في القسم التنفيذي ، مشرعو القوانين في مجلس الشيوخ ، الكنائس ، وسائل الاعلام ، وجمعيات حقوق الانسان .
بما ان أهداف الحملة متنوعة ، فان النقاط التي ركزت عليها الحملة متنوعة ايضا . مثلا، اثارة مبدأ الديمقراطية من قبل الانصار الصهيونيين الذين يطلبون مساندة اسرائيل لانها قلعة الحرية وسط دول عربية شبه اقطاعية وملكية وغير ديمقراطية . كذلك فانهم

بلجأون الى اثارة الروح الاميركية البروتستانتية التي تمجد العمل الجاد ، وذلك بادعائهم ان المستعمرين الصهاينة قد طوروا الارض في فلسطين وهكذا اثبتوا استحقاقهم لملكيتها.
وحين يخاطب الصهاينة الفئات المتدينة في اميركا فانهم يشددون على العلاقة الخاصة التي أوجدوها بين اليهود وفلسطين وعلى دور اسرائيل في تطوير « العهد الجديد » من الانجيل . اما في نطاق حقوق الانسان فان الصهاينة يشيرون باستمرار الى قتل ستة ملايين يهودي في المانيا النازية وذلك لاضفاء صفة الشرعية على وجودهم في فلسطين .
بناء على هذه النقطة أصبحت تهم اللاسامية والخيانة والغدر سلاحا في يد الصهيونية تستعمله ضد المسؤولين الاميركيين من يهود وغير يهود اذا هم نظروا الى المصالح الاميركية من وجهة نظر تخالف وجهة النظر الصهيونية . من الامثلة على ذلك الحملة الشعواء ضد وزير الدفاع السابق جيمس فورستال واتهامه باللاسامية .(٢٠) يقول الاستاذ صموئيل هالبرن أن الدعاية الصهيونية قد ركزت على تسع نقاط :(٢١)
« ١. الصهيونية هي وسام الشرف اليهودي ... ما يحدث في فلسطين يقوي العزة اليهودية ويزيد احترام الذات عند اليهود .
« ٢. اليهود في كل مكان يؤلفون شعبا واحدا ... اليهودي الذي يهتم بشعبه هو صهيوني لان فلسطين تعتمد عليه .
« ٣. القضية الصهيونية مأساوية لانها تقاتل اعداء الشعب اليهودي وفي الوقت نفسه تعيد بناء الدولة والامة اليهودية .
« ٤. الصهيونية طريقة بناء لحل المشكلة اليهودية ... البلد الوحيد الذي يقبل اللاجئين اليهود هو فلسطين .
« ٥. الصهيونية تحافظ على اليهودية وتمكن اليهود من العيش كشعب مميز وله كيانه الخاص .
« ٦. الصهيونية سوف تقضي على اللاسامية وذلك بقضائها على حالة عدم وجود وطن قومي يهودي ، وهي حالة غير طبيعية .
« ٧. الدولة اليهودية محتملة — النبوءة الانجيلية والحاجة العالمية وانجازات يهود فلسطين الرائعة ، كل هذه تتطلب اقامة الدولة اليهودية .
« ٨. المساعدة لفلسطين منسجمة مع الولاء للولايات المتحدة .
« ٩. الحل الصهيوني يقترح عدالة تاريخية ... الدولة اليهودية تعويض عادل عن المذابح التي لا تحصى ، وخاصة الستة ملايين يهودي شهداء النازية والفاشية » .
كما ان عطف الاميركيين التقليدي على الضعفاء والمضطهدين قد استغل مرارا من قبل الصهيونيين لمصلحة اسرائيل ... لكن استغلال هذه النقطة قد خف منذ ١٩٦٧ .
كان الضغط الصهيوني اشد ما يكون على القسم التنفيذي اثناء عهد ترومان . الحقيقة الواضحة هي ان البيت الابيض قد تعرض لضغط صهيوني كبير قبل انشاء دولة اسرائيل. اما الحقيقة الثانية فهي ان الصهيونيين حاولوا دائما توريط الولايات المتحدة في فلسطين. ويمكن تحمل القول بأن الرئيس ترومان ومن خلفه من الرؤساء حاولوا التوفيق بين السياسة الاميركية في الشرق الاوسط والسياسة الاميركية العالمية . لكن الامر المرعب، هو ان الدعم الذي نالته اسرائيل من مؤتمرات الاحزاب الاميركية منذ عام ١٩٤٨، والدعم الذي نالته من مجلس الشيوخ الاميركي ومن البيت الابيض ومن مستويات حكومية أصغر ، يدل على ان **واقع** الارتباط الاميركي باسرائيل كان منسجما مع **واقع** وجود اسرائيل خلال العقدين الماضيين . هذا الارتباط لم يسبق له مثيل في تاريخ اميركا الدبلوماسي ، وهو يخلق مخاطر كبيرة لمستقبل سياسة اميركا العالمية .
يمكن تتبع قتالية militancy الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٣ عندما استلم ابا هليل سلفر ، وهو حاخام من أوهايو وصديق حميم للشيخ روبرت تافت،

رئاسة مجلس الطوارىء الاميركي الصهيوني ، اي جهاز الدعاية في الحركة الصهيونية الاميركية . كان أسلوب سلفر في كسب الدعم للمخططات الصهيونية في فلسطين أسلوبا مباشرا ونشطا وغير متوتر ، بعكس أسلوب الزعماء الصهيونيين الاخرين مثل حاييم وايزمن . فقد اعلن سلفر في رسالة الى وايزمان كتبها في آذار ١٩٤٤ انه يرفض الدبلوماسية الصامتة لانها غير فعالة . وقد شرح الحاخام سلفر قاعدته في النجاح للزعماء الصهيونيين في رسالة عام ١٩٤٤ . كتب يقول « لا تتركوا مستقبل حركتنا في ايدي افراد مهما كانوا محبين ومهما كانوا عظماء ، اتجهوا الى الجماهير ، تحدثوا الى أميركا كلها ، قوموا بدعاية تثقيفية نشيطة في محيط تأثيركم وبين اصدقائكم ومعارفكم . وسوف ينعكس أثرها على الدوائر العليا . »(٢٢) وقد نفذت الدعاية الصهيونية منذ ١٩٤٠ افكار سلفر كلها .

من ناحية تنظيمية ، نظمت الدعاية الصهيونية من خلال الوكالة اليهودية في القدس وذراعها الاميركي ، القسم الاميركي للوكالة اليهودية ، والذي تم تسجيله في وزارة العدلية كممثل للوكالة اليهودية في القدس . سجل الميثاق بين الحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية الصهيونية في دائرة العدل الاميركية في تموز ١٩٦٩ ، وبذلك أصبحت اللجنة التنفيذية الصهيونية ممثلا اجنبيا يعمل بتكليف من دولة اسرائيل ولها. المؤسسات الاخرى داخل التنظيم الصهيوني في الولايات المتحدة والتي تلقت عونا ماديا خلال العقدين الاخيرين بطريقة مباشرة او غير مباشرة من الوكالة اليهودية ــ القسم الاميركي و/أو قنصلية اسرائيل في نيويورك هي لجنة الشؤون الاميركية ــ الاسرائيلية العامة ، مجلس المعابد اليهودية في اميركا ، ومؤسسة الثقافة العبرية. (٢٣)

استطاع الصهيونيون في اميركا أن يصلوا الى الرأي العام الاميركي ويكسبوه الىجانبهم من خلال العمل الدبلوماسي ، ووسائل الاعلام ، وأعطاء المنح لمؤسسات التعليم العالي وللجمعيات الدينية . قاد الجهود الدبلوماسية لصالح المجلس الصهيوني الاميركي خلال العقدين الماضيين السيد ا. ل. كنن وهو المدير التنفيذي للجنة الشؤون الاميركية ــ الاسرائيلية العامة . وقد دفع المجلس الصهيوني الاميركي رسم اشتراك جماعي في مجلة السيد كنن التي تدعى **تقرير الشرق الادنى** ، بحيث يوزعها على أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي دون مقابل. (٢٤) المجلة الاخرى التي تنشرها الوكالة اليهودية وتستعمل لبث الدعاية الصهيونية تدعى **« الملخص الاسرائيلي »**. (٢٥)

في حقل التعليم العالي ، كانت الاموال الصهيونية التي تؤخذ من القسم الاميركي للوكالة اليهودية تعطى لجامعات هارفرد وكولومبيا وغيرها بواسطة مؤسسة الثقافة العبرية . وقد اعطت هذه المؤسسة منحا للجامعات والكليات الاميركية «لانشاء كراريس في اللغة العبرية او الدراسات الاسرائيلية او الدراسات اليهودية او الدراسات الشرق ــ أوسطية » . (٢٦)

اما في مجال الجمعيات الدينية ، فان مجلس المعابد اليهودية الاميركية قد تلقى معونات من القسم الاميركي للوكالة اليهودية وذلك لتحضير وتوزيع « مواد تعليمية وثقافية تتعلق ببناء اسرائيل ، وخاصة ما يتعلق بالعلاقة التاريخية والروحية بين الجاليات اليهودية خارج اسرائيل والارض المقدسة » . (٢٧) لم يقصر مجلس المعابد اليهودية الاميركية نشاطه في النطاق الديني ، بل شن حملة دائمة في واشنطن في سبيل « استمرار الدعم المتبادل لأمن اسرائيل » . (٢٨)

بالرجوع الى هذه النقطة ارسل الحاخام مارك تاننباوم ، المدير التنفيذي السابق لمجلس المعابد اليهودية الاميركية، رسالة سرية بتاريخ ٢١ حزيران الى السيد غاتليب هامر ، نائب الرئيس التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل في نيويورك، يعلمه فيها بالخدمات التي اداها مجلس المعابد اليهودية الاميركية « نتيجة للمنح السخية »(٢٩) التي تلقاها من خلال

مكاتب الوكالة اليهودية لاسرائيل . ان التقرير المفصل الذي تضمنته الرسالة يدل بوضوح على ان نشاطات مجلس المعابد اليهودية الاميركية تتعدى اعماله الدينية والتعليمية والثقافية . وفيما يلي مقطع من ذلك التقرير :(٣٠)

« نيسان ١٩٥٩ — ادلى ممثلون عن مجلس المعابد اليهودية الاميركية بشهادات أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب وامام لجان الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ حول الدوافع الاخلاقية وراء برنامج المساعدة الخارجية الاميركية . وقد تكلم حول الموضوع نفسه كل من الحاخام ثيودور آدامز ، رئيس مجلس المعابد في ذلك الوقت ، والقس فلتون شين والقس الدكتور ادوين داهلبرغ ، رئيس المجلس الوطني للكنائس، في مؤتمر البيت الابيض حول المساعدة والتجارة الخارجيتين ، واشترك في البرنامج الرئيس ايزنهاور والرئيس ترومان ووزير الخارجية جون فوستر دالس ، ونائب الرئيس نيكسون ، ودين اتشيسون ، وادلاي ستيفنسون . كانت المساعدات المشتركة لامن اسرائيل مهددة بالتخفيض في ذلك الوقت . **وقد دعا رؤساء مجلس المعابد الدينية بالحاح اثناء القاء شهاداتهم ، الى استمرار العون المشترك لامن اسرائيل .** واعتبر المراقبون دعوة هؤلاء الرؤساء كعامل اساسي في استمرار الدعم لامن اسرائيل على ما هو عليه . »

اظهرت النشاطات الصهيونية تنظيما هائلا في نطاق السياسات الحزبية . كتب الحاخام سلفر عام ١٩٤٤ الى حاييم وايزمان : « أصدقاؤنا الطيبون هنا لن يتحركوا من تلقاء انفسهم أو بوحي من عدالة قضيتنا . . . يمكن دفع اصدقائنا للتحرك وللقيام بأعمال محددة بواسطة ضغط خمسة ملايين يهودي في سنة انتخابية حرجة. »(٣١)

أصدرت التعليمات الى اللجان الصهيونية المحلية عام ١٩٤٣ في مذكرة خاصة « للعمل على طرفي الشارع السياسي » . وقد أخبروا انه من الحكمة « كسب الزعيم السياسي المحلي لانه غالبا ما يكون صديقا لشيخ او نائب والذي يمكن حثه على القاء وزنه وقوته السياسيتين خلف قضيتنا . . اذا كان نائبكم الحالي جمهوريا فسوف ينافسه في الانتخابات القادمة ديمقراطي. يجب تأييد المرشح الاخير والأوفر حظا ».(٣٢) مثلا، استغل الحاخام سلفر علاقته الوثيقة بالحزب الجمهوري ، من خلال الشيخين تافت وواغنر ، لمصلحة القضية الصهيونية . وقد فعل ادي جاكوبسون الشيء نفسه حين استغل صداقته للرئيس ترومان لاقناعه بمقابلة حاييم وايزمان عام ١٩٤٨ .(٣٣)

لقد لاقى برنامج تأييد المرشحين السياسيين الكبار ثم طلب تأييدهم فيما بعد للقضية الصهيونية نجاحا هائلا . منذ ١٩٤٨ ، اصبحت العادة ان يقوم المرشحان الرئيسيان للرئاسة في اميركا بالتحدث في مؤتمر صهيوني وطني . من الناحية التشريعية ، اظهر مجلس النواب تأييدا صريحا للصهيونية واسرائيل اكثر مما اظهرته اللجنة التنفيذية.(٣٤) ابتداء من عام ١٩٤٨ اعترف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل **كامر واقع** « بعد مضي احد عشر دقيقة على اعلان قيام دولة اسرائيل ».(٣٥) لكن اثناء حملة الرئاسة الانتخابية عام ١٩٤٨ اتهم الحزب الجمهوري الرئيس ترومان والحزب الديمقراطي بالتردد في اتخاذ موقف حاسم من قضية فلسطين . دعا الجمهوريون ، رغم معارضتهم الخفية لاستعمال القوة لتطبيق تقسيم فلسطين ، الى الاعتراف الكامل باسرائيل وبحدودها التي حددتها الامم المتحدة ، والى مد يد العون لها لتنمية اقتصادها . لم يذكر اي حزب من الحزبين الاميركيين عرب فلسطين .

في انتخابات ١٩٥٢ ، لم يتضمن برنامج الحزب الجمهوري اي بند حول الشرق الاوسط. لكن برنامج الحزب الديمقراطي تضمن بندا حول الشرق الاوسط هو : « اننا نتعهد بالعون المستمر لاسرائيل لكي تحقق مهمتها الانسانية في تأمين المأوى والامان للاجئين اليهود الذين لا وطن لهم بينما هي منهمكة في تقوية تنميتها الاقتصادية». وقد تبنى الحزب

الديمقراطي بندا مماثلا في انتخابات ١٩٥٦ . كما دعا الديمقراطيون عام ١٩٥٦ الى بيع السلاح لاسرائيل .

اما برنامج الحزب الجمهوري عام ١٩٥٦ فقد تضمن تأييدا مطلقا لاسرائيل : « نحن نعتبر بقاء اسرائيل احد المعتقدات الهامة للسياسة الخارجية الاميركية . نحن مصممون على المحافظة على وحدة دولة اسرائيل المستقلة . اننا سوف ندعم استقلال اسرائيل في وجه اي اعتداء مسلح عليها » . كما ان المواقف التي اتخذها كلا الحزبين في انتخابات ١٩٦٠، ١٩٦٤ ، و١٩٦٨ تدعو الى دعم اسرائيل كما دعت في الخمسينات . . . وتركز على ارتباط اميركي واضح ببقاء اسرائيل .

مع انه يمكن فهم موقف الحزبين المؤيد لاسرائيل ضمن نظام السياسة الاميركية ، فمن الواضح ان الارتباط الاميركي باسرائيل على أساس عقائدي او عاطفي او سياسي ، والذي نتج عن الصراع الحزبي اثناء الانتخابات الاميركية الوطنية قد فرض عبئا على الولايات المتحدة وسياستها الخارجية . . . وهو عبء يصعب تحمله اذا ترجم الى حقيقة كما حدث في فيتنام . لقد تعثرت سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط نظرا للسياسة الاميركية الداخلية ولقصر النظر العقائدي . عندما ساوى وزير الخارجية السابق سياسته ببحث اسطوري عن الخير لم يستطع أن يستوعب وجود مناطق كئيبة في العالم . لم يقدر ان يحتمل عودة بروز القومية العربية بقيادة الرئيس عبدالناصر لانها كانت تشذ عن الصورة « المانوية » (الصراع بين الظلام والنور) التي رسمها للعالم .

ان المحرمات العقائدية التي حدت من مقدرة جون فوستر دالس على النظر الى السياسة الخارجية من وجهة نظر دولية شاملة ساعدت على ظهور عامل توافق جديد في العلاقات الاميركية ـــ الاسرائيلية . وما يزال هذا الوضع قائما حتى الوقت الحاضر . ان ما نراه في الستينات والسبعينات هو مجرد اضافة للرؤية العقائدية التي كانت سائدة في الخمسينات . . . رؤية اسطورية مشابهة لكنها جديدة تقول انه يجب حفظ ميزان القوى بين العرب واسرائيل .(٢٦) الوهم الذي تتعلق به حكومة نيكسون هو ان الولايات المتحدة يجب أن تكون الطرف الوحيد الذي يراقب توازن ميزان القوى . هذه الرؤية الملتوية لحقائق القوة الفعلية والرفض المحسوب من قبل أميركا لقبول عامل فلسطيني جديد قد وضع السياسة الاميركية في ازمة أسوأ من التي خلقها تصور دالس « المانوي » في الخمسينات . ان بروز العنصر الفلسطيني قد اظهر الافلاس التام لسياسة اميركا التقليدية للحرب الباردة في المشرق العربي .

الجزء التالي من هذا المقال سوف يركز على هذا الفشل وعلى ما يجب عمله الان .

خامسا : عودة ظهور فلسطين والاسلوب القادم الذي ستتبعه السياسة الاميركية في الشرق الاوسط :

قال الشيخ مارك هاتفيلد بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٧٠ في معرض تعليقه على مستقبل السياسة الاميركية في الشرق الاوسط : « علينا ان نجابه القوة الثالثة الصاعدة في الشرق الاوسط ، الحركة الفلسطينية . يجب فهم القضية الفلسطينية ومعناها بنظر العالم العربي كله . يجب ان تبدي آراؤنا حساسية تجاه الظلم الذي يشعر به الفلسطينيون ، ويجب ان نبني سياساتنا على اساس معالجة هذا الظلم ».(٢٧) يبدو ان على اي سياسة اميركية في الشرق الاوسط أن تأخذ الحقائق بعين الاعتبار لكي تصيب أي قدر من النجاح. ما هي بعض هذه الحقائق ؟

اولا ، لم تتحقق ابدا النتائج التي أراد جون فوستر دالس تحقيقها من وراء سياسة الحرب الباردة في الشرق الاوسط . على العكس ، كانت سياسة دالس السبب غير المباشر في تغلغل السوفيات في المنطقة ، وبالتالي فان التأثير الاميركي والمكانة الاميركية في المشرق العربي هما ادنى مما كانا في اي وقت مضى.(٢٨)

ثانيا ، الصراع في الشرق الاوسط لم يعد اساسا بين اسرائيل والدول العربية بل بين الكيان الصهيوني في فلسطين والشعب الفلسطيني . ان ما يسمى بالصراع العربي — الاسرائيلي الان وفي احسن حالاته ليس سوى اسم تحاول اسرائيل وحلفاؤها الابقاء عليه ، اما في اسوأ حالاته فهو تشويه للحقائق ووضعها في غير اطارها الصحيح . ان جعل الصراع فلسطينيا **Palestinization** وخاصة منذ عام ١٩٦٧ ، ظاهرة حقيقية في الشرق الاوسط يجب ان يحسب حسابها . ان فكرة هذه الظاهرة بسيطة : لقد خرج الفلسطينيون من بؤس المخيمات وهم مدركون انهم شعب واحد ويرغبون في ازالة الظلم الذي الحقته بهم القوى المحلية والقوى العالمية خلال الجيل الماضي . القضية هي فلسطين ، والفلسطينيون ليسوا الاردن او لبنان او سوريا او مصر او اسرائيل . « الفلسطينيون سوف يقررون مصيرهم » هذا ما قاله البروفسور جون بادو مؤخرا .

ثالثا ، من خلال تبنيهم الكفاح المسلح والتأكيد على هويتهم القومية بالعنف ، أظهر الفلسطينيون — من خلال حركة المقاومة الفلسطينية — افلاس سياسة القانون الدولي التقليدية وأظهروا ايضا ان العنف قادر على احداث تغيير سياسي . انهم مقتنعون بفعالية العنف . فقد اعترفت الاطراف المعنية (الحكومات العربية واسرائيل وغيرها) بوجودهم ككيان فلسطيني . للاسف ، تابعت الولايات المتحدة تعلقها بأسطورة محادثات السلام وتجاهلت الحقائق الجديدة . في الواقع ان الولايات المتحدة قالت للفلسطينيين : « سوف نكون مستعدين للتحدث اليكم عندما تصبحون أقوياء كفاية للاخلال بالوضع الراهن »(٣٩) . لم تستفد الولايات المتحدة ، من الدرس الذي تعلمته في فيتنام ، واعترافها بالفيتكونغ **اعترافا واقعيا** ، في تجربتها مع الفلسطينيين .

رابعا ، ان حرب التحرير الشعبية التي يعتقد الفلسطينيون انه لا مفر منها لنجاح ثورتهم، سوف تكون ضربة قاضية للمصالح الاميركية البعيدة المدى في المنطقة . والولايات المتحدة تقبل تدريجيا بصحة هذه النقطة ، وخاصة ازاء التيار الانعزالي الذي يسري بين جمهور النخبة الاميركي . هذا التيار يقطع الطريق على اي تورط اميركي طويل الامد في البلدان الاجنبية . سيذكر الاميركيون درس فيتنام لسنين عديدة ، ومجرد احتمال تورط مماثل سوف يلقي معارضة شديدة ، حتى او كان الامر يتعلق بالعلاقات الاميركية — الاسرائيلية .(٤٠)

في ضوء ما تقدم يجب اثارة سؤال واحد : ما هي السياسة التي يتوجب على الولايات المتحدة اتباعها **ازاء** فلسطين ؟ يقترح البروفسور جون كامبل ان على الولايات المتحدة ان تقيس سياستها القادمة في الشرق الاوسط بعاملين على الاقل : « أن تبقي نصب عينيها الاسس التي سترسو عليها اية تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، وان تخفض المستوى العسكري بدلا من تصعيده . »(٤١) وفي سبيل ذلك يجب على صانعي السياسة الاميركية ان يفرقوا بين قضايا السلامة والامن والقضايا التي تتعلق سطحيا فقط بالسلامة والامن . ويجب أن يفعلوا ذلك باعطاء الاولوية لامن اميركا كما يراه صانعو السياسة الاميركية وليس غيرهم .(٤٢) يجب ان تكون سياسة الولايات المتحدة الخارجية سياسة اميركية .

كتبت **التايم** في معرض تعليقها حول ما اذا كانت هناك سياسة يهودية خارجية في الولايات المتحدة : « أن قوة دعم الجالية الاميركية اليهودية لاسرائيل يخلق انطباعا بأن واشنطن تتصرف على اساس خوفها من غضب اليهود وليس على اساس مصلحتها الوطنية . »(٤٣) كما ان مجلة **ذي ناشينال اوبزرفر** قد اثارت سؤالا أكثر خطورة حول نشاطات وكالات الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة والتفاعل بين هذه النشاطات وسياسة اميركا الخارجية . قالت المجلة المذكورة : « النشاط الصهيوني يخلق اهتماما خاصا في اوساط الجالية اليهودية الاميركية وأوساط الحكومة الاميركية بالنسبة لليهود الاميركيين ، يخلق

اصرار الصهيونية على الولاء الاول لاسرائيل مصاعب شخصية تنتج عن الولاء المزدوج. اما بالنسبة لواشنطن الرسمية ، فان هنالك قلقا اصيلا حول مقدرة الصهيونيين التي لا شك فيها في التأثير على السياسة الامريكية لصالح اسرائيل ».(٤٤) يبدو ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو «ان يقوم احد رؤساء الولايات المتحدة في أحد الاوقات بمراجعة سياسة أميركا في الشرق الاوسط مراجعة جذرية ، وان يأخذ باعتباره بشكل محدد ما اذا كان ثمن دعم اميركا لاسرائيل يساوي الخسائر الاميركيــة الاقتصادية والسياسيــة في العالم العربي ».(٤٥)

فيما يتعلق بفلسطين ، على الولايات المتحدة ان تخلق تأييدا جديدا لسياستها المقبلة ، اذا كانت حقا تريد اقامة سلم عادل وذلك باتخاذ الخطوات التالية :

أ) بحث جدي لامكانية قيام تركيب سياسي جــديد في فلسطين حيث يمكــن ان يتعايش الفلسطينيون ، يهودا وعربا .

ب) مجهود حقيقي لاقامة حوار مع حركة المقاومة الفلسطينية .

ج) الاعتراف بأن التجربة الصهيونية في فلسطين كحل « للمشكلة اليهودية » التي خلقتها اللاسامية في أوروبا قد فشلت ، لانها بدلا مــن ان تحل المشكلة اليهودية خلقت مشكلة فلسطينية .

د) دعم قرارات الامم المتحدة العديدة التي اقرت حقوق الفلسطينيــين في العودة الى ديارهم وفي تقرير مصيرهم .

هـ) الاعتراف بأنه اذا لم تحل المشكلة الفلسطينية لا يمكن اقامــة سلم دائم في الشرق الاوسط .

و) رفض ادعاء بعض صانعي السياسة في الولايات المتحدة بأنه يمكن للولايــات المتحدة تحمل حالة دنيا من التوتر في المنطقة ، لانه لا يمكن السيطرة على اية حالة توتر وابقائها عند حد معين بصورة دائمة .

يجب على الولايات المتحدة ان تبذل كل جهد لتحقيق السلام في المنطقة لان حالة التوتر الحالية ، كما يعلمنا التاريخ، ليست سوى عين اعصار نائم له صوت واحد هو الغضب.

المراجع :

1. William P. Rogers, *A. Lasting Peace in the Middle East: An American View* (Washington, D.C.: Department of State, 1969), p. 10.

2. Richard Nixon, *U.S. Foreign Policy for the 1970's: A New Strategy for Peace* (Washington, D.C., 1970), pp. 80-81. A report to the Congress by Richard Nixon, President of the United States, February 1970.

3. Department of State, *A Conversation with the President* (Washington, D.C.: Government Printing Office, July 1970), p. 33. Publication 8545.

4. «It is not in our national interest to be a partisan for Arabs or Israelis, any more for Greeks or Turks over Cyprus. U.S. Policy is thus at one with the United Nations and the interests of the free world.» See Department of State, *Issues, No. 1 — The Middle East* (Washington, D.C., 1968), p. 19.

5. *The New York Times*, October 8, 1970.

6. *Congressional Record*, 86th Congress, 2d Session (April 28, 1960). A Special excerpt of this *Record* was obtained from Senator Fulbright's office.

7. George Lenczowski in Paul Seabury and Aaron Wildavsky, *U.S. Foreign Policy:*

Perspectives and Proposals for the 1970's (New York: McGraw-Hill, 1969), p. 194.

8. The Middle East Institute, *The Middle East: A Selected Bibliography of Recent Works* (Washington, D.C., 1970). See also the bibliography in Fred Khouri, *The Arab-Israeli Dilemma* ((Syracuse, N. Y. : Syracuse University Press, 1968), pp. 413-414.

9. Harry S. Truman, *Memoirs*, Vol. II (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1956), p. 157.

10. *Ibid.*, p. 158.

11. Charles O. Lerche, Jr., *Foreign Policy of the American People* (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, 1967), p. 5.

12. *Ibid., loc. cit.*

13. *Ibid.*, p. 6.

14. *Ibid.*, p. 11.

15. Hans J. Morgenthau, *A New Foreign Policy for the United States* (New York: Praeger, 1968), p. 241.

16. V.O. Key, Jr., *Public Opinion and American Democracy* (New Yory: Knopf, 1961), p. 14.

17. Gabriel Almond, *The American People and Foreign Policy* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1950), p. 138.

18. *Ibid., Ioc. cit.*

19. Charles O. Lerche, Jr., *op. cit.*, p. 32.

20. Walter Millis (ed.), *The Forrestal Diaries* (New York: Viking, 1951).

21. Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism* (Detroit, Michigan: Wayne State University Press, 1961), pp. 255-256.

22. *Ibid.*, p. 271.

23. Committee on Foreign Relations, Hearings: *Activities of Non-diplomatic Representatives of Foreign Principals in the United States*, Part 12, 88th Congress, 2d Session (Washington, D.C.: Government Printing Office, 1963).

24. *Ibid.*, pp. 1779-1780.

25. *Ibid.*, p. 1754.

26. *Ibid.*, p. 1758 and 1764.

27. *Ibid.*, p. 1765.

28. *Ibid.*, p. 1767.

29. *Ibid., loc. cit.*

30. *Ibid., loc. cit.*

31. Halperin, *op. cit.*, p. 271.

32. *Ibid.*, p. 273.

33. *Memoirs, op. cit.*, p. 160.

34. For a comprehensive report on pro-Zionist Congressional resolutions prior to 1948 see Joseph B. Schechtman, *The United States and the Jewish State Movement* (South Brunswick, New Jersey : Thomas Yoseloff, 1966), pp. 64-92. For complete information on recent pro-Zionist and pro-Israeli resolutions in Congress see Congressional Quarterly, *Congress and the Nation: 1945-1964* (Washington, D.C., 1965) *and Congress and the Nation: 1965-1968* (Washington, D. C., 1969). See also *Legis-*

lation on Foreign Relations With Explanatory Notes, 89th Congress, 2d Session, a Joint Committee Print (Washington, D.C.: Government Printing Office, 1966)

35. *Memoirs, op. cit.*, p. 164.

36. See footnote 3 *supra*.

37. *The New York Times* (June 17, 1970).

38. «U.S. Policy in the Middle East,» *The Near East Conflict: Hearings Before the Subcommittee on the Near East*, 91st Congress, 2d Session ,Washington, D.C.: July 1970), pp. 381-372. Hereafter referred to as *Hearings*.

39. See «Statement of John S. Badeau, Director, Near and Middle East Institute, Columbia University, New York» in *Hearings, Ibid.*, pp. 59-64.

40. «Problems of American Policy-Makers in the Middle East,» *Hearings, Ibid, pp.* 330-361.

41. «The Arab-Israeli Conflict: An American Policy,» *Foreign Affairs*, Vol. 49, no. 1 (October 1970), p. 64.

42. *Ibid., loc. cit.*

43. «Is There a Jewish Foreign Policy?» *Time* (March 16, 1970), p. 15.

44. Lawrence Mosher, «Zionist Role in U S. Raises New Concern,» *The National Observer* (May 18, 1970).

45. Drew Middleton, «The Arab World: U.S. Viewed As Friend of the Enemy, Israel,» *The New York Times* (July 17, 1968).

الفكر العنصرى الاستعماري وراء " اسرائيليون يردون "

الدكتور نبيل علي شعث

الاعلام الاسرائيلي الموجه الى العرب وهو ما يعرف بالحرب النفسيـة سلاح قديـم استخدمته الصهيونية وكانت وسيلته الاساسية منذ ١٩٤٨ هي اذاعة اسرائيل . وقد جرب العدو استخدام الاعلام المكتوب دون نجاح يذكر في السابق ولكنه بعد حرب ١٩٦٧ قرر اجراء محاولات جديدة فأنشأ اجهزة وواجهات جديدة تكتب منشورات أنيقة وبلغة اعلانات امريكا التجارية موجهة اساسا نحو المثقفين او أنصاف المثقفين داخـل البلاد العربية وخارجها . والواجهتان الاساسيتان لاجهزة مخابرات العدو واعلامه الموجهة نحو العرب هما ما يسمى بجمعية احلال السلام في الارض المقدسة التي أصدرت عدة كتيبات أنيقة مثل « جاران عليهما اتخاذ قرار » و« أربعة حلول للمشكلة الفلسطينية » وجمعية«طلاب اسرائيليين لشؤون الشرق الاوسط»التي تتولىاصدار نشرة مستمرة وان كانت غير دورية اسمها « اسرائيليون يردون » ترسل للبلاد العربية عن طريق ايطاليا وبلاد أوروبية أخرى باللغتين العربية والانجليزية .

وسوف نحاول فيما يلي ان نحلل باختصار الفكر الاعلامي وراء عشرين نشرة من نشرات « اسرائيليون يردون » صدرت في الفترة بين سبتمبر ١٩٦٩ ويونيو ١٩٧٠ ، ووصلت الى بيروت باللغتين العربية والانجليزية، وسنحاول قدر الامكان في هـذا التحليل استخدام الجمل الاصلية بحذافيرها مع الاشارة الى العدد الذي اخذت منه .

والتركيز في النشرة كما يوحي به اسمها هو الرد على العرب فيمـا يقولونه وينشرونه والتصدي لبياناتهم واعلامهم . ولا تهدف هذه المقالة الى الرد على الرد الاسرائيلي ولا الى الاستجابة للدعوة المتكررة مـن هذه النشرة ، الـى فتح حوار بين الفلسطينيين والاسرائيليين . ولكن الى تفهم التفكير العنصري الاسرائيلي ومخططاته والى تحليل أبعاد الحملة الاعلامية الاسرائيلية ، فليس هناك داخل التنظيمـات الصهيونية والاجهـزة الاسرائيلية فكر مستقل تجاه العرب ونشرة «اسرائيليون يردون» تصدر عن هذه الاجهزة التي ينسق بينها الان الوزير اسرائيل جاليلي .

الفكر الصهيوني وراء هذه النشرة هو ذاته الذي يسير«نيو أوتلوك»و« نيو ميدل ايست» وغيرها من المجلات الدورية والنشرات غير الدورية التي تدعـي الاعتدال نحو العرب والتفهم لقضية الفلسطينيين وحقوقهم كما تدعي اليسارية والاشتراكية، وهو نفسه وراء تكوين لجان فلسطين ـــ اسرائيل في اوروبا ، التي قـام بتنظيمها « موني القايم » في فرنسا بمساعدة الصحفية الفرنسية الصهيونية كلارا هالتر . .

وهذا « الفكر الجديد » انما يمثل الاتجاه الصهيوني لحل مشاكل ما بعد الـ ١٩٦٧ ، فلقد نتج عن حرب الايام الستة احتلال اسرائيل لرقعة ارض عربية ضخمة يقطنها مليون عربي فلسطيني يصعب استيعابهم في فترة قصيرة كما يصعب اقتلاعهم من جذورهم مرة واحدة . كما نشأت نتيجة للغزوة الصهيونية في الخامس من حزيران يقظة الفلسطينيين وظهور ثورتهم من اجل تقرير مصيرهم وتحرير بلادهم ، مما أدى الى تحول النظرة العالمية للقضية عما كان يصوره الاسرائيليون على انه «المشكلة العربية ـ الاسرائيلية» وقضية اللاجئين الى طرح مشكلة الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره .

لقد أحس رجال الاعلام الاسرائيليون بردة الفعل المعادية التي واجهت تصريحات جولدا مايير في يونيو ١٩٦٩ بأنه « لا يوجد ثمة شيء اسمه الفلسطينيون » ، وبقولها « لن نرد الارض المحتلة ؟ اذ لا يوجد شعب فلسطيني يمكننا ان نردها له » . كما احست اسرائيل منذ حرب حزيران ١٩٦٧ بصعوبة استيعاب سكان الارض المحتلة بعد حرب الايام الستة لان استيعابهم في اسرائيل كما قال دايان « سيغير من الشخصيـــة اليهودية لاسرائيل .. فنحن نريد أسرائيل يهودية كمـــا فرنسا فرنسية وانجلترا انجليزية » . ولذلك فان الحل المثالي للمشكلتين الاساسيتين هو طرح شعار «الدولة الفلسطينية» الذي يعطي الفلسطينيين « كيانا » وعلما وحكومة ... تحت السيطرة الاسرائيلية .. ومما يعطي اسرائيل الوقت اللازم لابتلاع الارض المحتلة واستيعابها ، كما يسحب البساط من تحت الثورة الفلسطينية ويقنع الفلسطينيين والعالم عموما بأن حقوق الشعب الفلسطيني قد اعترف بها وانه قد اصبح للفلسطينيين كيان مستقل وحكومة . وبذلك تزول العقبة الاساسية أمام الاعتراف العربي باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها .

والواضح ان هذا الحـــل يرضي أمريكا ودولا اخرى عـــديدة ، والاختلاف الرئيسي بين اسرائيل والدول الاخرى هو في حدود الارض التي ستعطى للدولة الفلسطينية المقترحة. فاسرائيل تريد الاحتفاظ في المرحلة الحالية على الاقل بالقدس وقطـــاع غزة والجولان وشرم الشيخ والتلال المشرفة على نهر الاردن وتلك المطلة على الخليل ، ولذلك فهي تفضل حكما ذاتيا فلسطينيا ـــ داخل الدولة الاسرائيلية ـــ للارض الباقية ، اما اذا أصر الفلسطينيون على كيان مستقل تماما فاسرائيل ليست علـــى استعداد للانسحاب من الارض المحتلة ، بل على الفلسطينيين في هذه الحالة ان يقيموا كيانهم هـــذا في « شرق الاردن » او في لبنان او اي مكان آخر من الارض خارج التراب الفلسطيني.

هذا هو الفكر وراء « اسرائيليـــون يردون » وغيرها مـــن منشورات أجهـــزة الاعلام والمخابرات الاسرائيلية الموجهة الى العرب والى اصدقائهم في اوروبا .

ولننظر الان بالتحديد الى نشرات «اسرائيليون يردون »لنتابع تطبيق الحملة الاعلامية .

الموضوعات التي تطرقها النشرات

١ ـــ خصصت ثلاث نشرات (من العشرين موضع الدراسة) للقضية الفلسطينية بشكل عام وان كانت كلها موضوعة في صورة ردود على الرئيس الراحل عبدالناصر او ابو اياد او احمد بهاءالدين او فتح .. الخ

٢ ـــ وخصصت اربع نشرات لمهاجمة فكرة الدولة الديمقراطية الفلسطينية ..

٣ ـــ خصصت ثلاث نشرات بالاضافة الى جزء هام من نشرتين أخرتين الى محاولة ابراز كذب البلاغات العربية (المصرية بالذات) والتأكيد، بالمخالفة، علـــى صدق البلاغـــات والبيانات الاسرائيلية ، وذلك بغرض تحطيم ثقة العرب بالبيانات التي تصدرها حكوماتهم وتنظيماتهم .

٤ ـــ واخيرا خصصت أربع نشرات للهجوم على العرب من خلال استغلال حوادث خاصة مثل مظاهرات الطلبة المصريين في نوفمبر ١٩٦٨ او الصراع بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية في ابريل ١٩٦٩ .

كيف ترى النشرة الاسرائيلية المشكلة الفلسطينية

يمكن تحديد معالم هذه الرؤية بالنظر الى العبارات الآتية والمستقاة مباشرة من النشرات:

١ — « الاسرائيليون هم اسرائيليون والفلسطينيون هم فلسطينيون والمسألة الرئيسية هي اين يجب ان تكون الحدود بينهم » (العدد ١٣) .

٢ — اننا نحن الاسرائيليين لا ننكر حق الفلسطينيين من تعريف انفسهم كما يشاءون **فاذا ادعوا بانهم شعب** فنحن نوافق على قبول ذلك اخذا **بهذا الادعاء** . ولكن الادعاء بأنهم شعب وفي الوقت نفسه انكار حق الاسرائيليين في ذلك معناه تحويل الميثاق الفلسطيني من برنامج وطني الى مخطط عنصري . (العدد الاول سبتمبر ١٩٦٩) .

٣ — لا نستطيع القول ان الفلسطينيين هم امة اما الاسرائيليون فليسوا بأمة .. اذا اصبحت (المساواة) مجزأة كما تريدها فتح أن تكون فستصبح غير انسانية كالفاشية . (العدد ١٤)

٤ — المنظمات الفلسطينية تعارض المطالبة بحق الفلسطينيين الذين يكونون اغلبية في **الاردن** من تقرير مصيرهم ، وبدل ذلك تعمل هذه المنظمات من اجل تقرير مصير الاسرائيليين الذين يكونون **امة أخرى** . (العدد ١٦)

٥ — الفلسطينيون يكونون فعلا أغلبية في بلد عربي مستقل هو الاردن . ومشاكلهم الاساسية لا تتعدى قضية اللاجئين واحتلال اسرائيل للضفة الغربية لدولة الاردن واسرائيل ترغب فعلا في مناقشة لتسوية هاتين المشكلتين . (العدد ١٦)

٦ — قدمت الجمهورية العربية المتحدة تضحيات جبارة من اجل استمرار الحرب ضد اسرائيل وذلك من اجل ما تدعيه بالمحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني . ولكننا نتصور ان حقوق الشعب الفلسطيني يمكن المحافظة عليها بشكل افضل اذا اعيد فتح القناة للملاحة وخصصت مصر ايرادها السنوي كله — ويقدر بـ ٢٥٠ مليون دولار في السنة — من اجل رفاهية الشعب الفلسطيني ، وكذلك بالمحافظة على اتفاقية وقف اطلاق النار في القناة واستمرار النشاط الاقتصادي في منطقة القناة وتخصيص كافة ارباحه وعوائده التي تصل الى ٢٠٠ مليون دولار في السنة ، لرفع مستوى معيشة الفلسطينيين . وكذلك باعطاء الفلسطينيين ١٠٠٠ مليون دولار في السنة عوضا عن تخصيصها لحرب فاشلة ضد اسرائيل . (العدد رقم ١٩) .

وبذلك فان اسرائيل على استعداد للاعتراف للفلسطينيين بما يدعونه بأنهم يكونون شعبا مقابل ان يعترف الفلسطينيون بأن الاسرائيليين هم ايضا شعب . على أن اعتراف الفلسطينيين بالاسرائيليين يعطيهم الحق في أرض فلسطين بيد ان اعتراف الاسرائيليين بالفلسطينيين لا يعطيهم الا الحق في حكم الاردن لا فلسطين كما يعطيهم الحق في اموال الجمهورية العربية المتحدة ان هي تصالحت مع اسرائيل واوقفت حالة الحرب معها .

واذا انكر الفلسطينيون صفة الشعب او الامة على الاسرائيليين اي انكروهم حقهم في كافة الارض الفلسطينية المغتصبة اصبحوا فاشيين وعنصريين وغير متسامحين .

وتعقد النشرة (العدد ١٦) مقارنة بين الثورة الفلسطينية والثورة الجزائرية تعلن فيها ان الثورة الجزائرية حازت اعجاب الاسرائيليين (كذا) لان الثورة الجزائرية عملت من اجل حصول الجزائريين على حق تقرير مصيرهم وامتنعت عن القول للفرنسيين ما يجب عليهم عمله في فرنسا نفسها !! (اي اسرائيل هنا بالمقارنة) .

والنشرة تفترض أن الكيان الاسرائيلي هو الكيان الدائم والسابق على وجود الفلسطينيين بينما ان الكيان الفلسطيني هو كيان طارىء ومدعى ويحتاج الى الاعتراف به من قبل اسرائيل ليقوم .. ويظهر ذلك جليا في مناقشة الميثاق الفلسطيني (العدد رقم ١) :

١ — اذا حاول الفلسطينيون ان يفرضوا على الاسرائيليين جنسية فلسطينية فلماذا لا يحاول الاسرائيليون فرض جنسية اسرائيلية على الفلسطينيين ؟ (وماذا عن الفلسطينيين

الذين يعيشون في اسرائيل ؟)
٢ ــ اذا كان القضاء على الكيان الاسرائيلي هو هدف الفلسطينيين فلماذا يجب على الاسرائيليين العمل على الحفاظ على الكيان الفلسطيني (الواضح ان النشرة تتناسى تماما الكيان الفلسطيني الذي دمره الاستعمار الاستيطاني الصهيوني والذي اقتلع سكانه من جذورهم سنة ١٩٤٨) .
٣ ــ اذا كان وجود اسرائيل غير مقبول أساسا من الفلسطينيين فلماذا يقبل الاسرائيليون وجودا فلسطينيا ؟! (أيضا يستمر الخط الاعلامي في وقاحته ، فالمفروض ان الاعلام الاسرائيلي للاجانب يعتمد على انهم نسوا تماما كيف نشأت اسرائيل ويركز على الافتراض بأنها كانت في فلسطين منذ بدء التاريخ ، ولكن هذا الخط يقدم الان للفلسطينيين ذاتهم وللعرب عموما دون تعديل !) .
٤ ــ اذا كان الفلسطينيون يعتبرون الحل السلمي استسلاما فلماذا ينسحب الاسرائيليون ولو شبرا واحدا من خطوط وقف اطلاق النار الحالية (وهنا ايضا تستخدم النشرة خطا دعائيا موجها للغرب أساسا وهو أن اسرائيل بلد محب للسلام وانما القضية كلها هي ضمان عدم اعتداء جيرانه عليه وقيام حدود آمنة . والتهديد هنا يرتكز على انه ان لم يغير العرب موقفهم الفكري ، فان اسرائيل لن تنسحب من الحدود الحالية ، والقضية المتنازع عليها هي حدود سنة ١٩٦٧ ، لا حدود سنة ١٩٤٩) .
٥ ــ اذا كانت الصهيونية عنصرية ومتعصبة ونازية (كما يدعي الميثاق الفلسطيني في المادة ٢٢) فما القول اذن عن الميثاق الفلسطيني الذي ينكر على الاسرائيليين حقهم في ان يكونوا أمة كباقي الامم ؟ (تضع النشرة هنا موازنة عجيبة جدا بين العنصرية الاسرائيلية التي تتضح في طرد الفلسطينيين من ارضهم وفي قانون العودة الذي يتيح لليهود فقط حق العودة الى فلسطين والتجنس بالجنسية الاسرائيلية ، وفي معاملة العرب في اسرائيل معاملة مواطن الدرجة الثانية ، وفي الاعتداءات والمذابح المستمرة للانسان الفلسطيني ، وبين العنصرية الفلسطينية التي تتمثل في انكار الميثاق الوطني الفلسطيني قبول استمرار الاحتلال الصهيوني لفلسطين باسم الامة الاسرائيلية او القومية الاسرائيلية !)
وتفترض النشرات ان الكيان الفلسطيني الجديد يجب أن يقوم فيتجه للتفاوض بين الفلسطينيين والاسرائيليين . والمفاوضات يجب أن تنتهي باتفاقية تشبه اتفاقية ايفيان بين الفرنسيين والجزائريين وتنص على تعاون وثيق بين اسرائيل (فرنسا)، والفلسطينيين (الجزائريين) . ولكن على الفلسطينيين ان يدركوا ان اتفاقية ايفيان اعترفت بحاجة فرنسا الى الاحتفاظ بقواعد عسكرية وجوية وبحرية في الجزائر لاغراضها الذاتية (العدد رقم ١٦) ولذلك فلاسرائيل ان تطالب بالشيء ذاته في فلسطين الجديدة . ويبدو ان هذا امر لا تدركه المنظمات الفلسطينية لانها « غير قادرة على الاعتراف بأن اي حل للنزاع يجب ان يأخذ بعين الاعتبار مشاكل اسرائيل الدفاعية » (العدد نفسه) . والنتيجة النهائية لمفاوضات فرنسا مع الثورة الجزائرية كانت حصولها على **« اعتراف فرنسا بها »** وهذا ايضا ما يجب على المنظمات الفلسطينية العمل على تحقيقه بدلا من محاولة القضاء على اسرائيل (العدد نفسه) .

الموقف تجاه الدولة الديمقراطية اللاطائفية في فلسطين

أحس الاسرائيليون منذ بداية عام ١٩٦٩ بأن فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية في فلسطين تمثل اكبر تحد لكل مخططاتهم الدعائية في العالم ولذلك خصصوا للتصدي لها اربع نشرات ونصف النشرة (اي ٢٢٫٥٪ من النشرات المدروسة) . والهجوم الاعلامي الاسرائيلي (كما يتضح ذلك من نشرات اسرائيليون يردون) يركز أساسا :
١) على أن العرب لا يمكن تصديقهم وان ما ينشرونه باللغة الانجليزية للاستهلاك الخارجي يختلف عما يقصدونه حقيقة ويتضح من كتاباتهم باللغة العربية الموجهة للعرب

(الاعداد ١٣ ، ١٤ ، ٢٠) وان ما يريده العرب حقا هو ان تكون فلسطين عربية ، تقوم على هدم جميع اشكال الكيان الاسرائيلي وعلى تعريب الاسرائيليين الباقين، وان معنى ذلك حرمان الاسرائيليين من حق تقرير المصير ، ومن ثقافتهم الوطنية ولغتهم وتاريخهم .. الخ .
٢) على ان تحقيق ذلك غير ممكن لان اسرائيل موجودة وباقية (العدد ١٨) .
٣) على أن اسرائيل هي دولة ديمقراطية علمانية حرة !! وان العرب يريدون انشاء دولة اسلامية في فلسطين وان حواتمه وحبش وعرفات لم يصرحوا ولا مرة واحدة وباللغة العربية بأن هذه الدولةالجديدة لن تكون دولة اسلامية (العدد ١٨) !!
٤) ان على الفلسطينيين — اذا شاءوا — ان ينشئوا مثل هذه الدولة في الاردن حيث تتوفر لهم الاغلبية هناك .

عن ضرورة فتح الحوار بين الاسرائيليين والعرب

نركز كل النشرات تقريبا على ضرورة فتح الحوار بين العرب والاسرائيليين ولكن النشرات لا تدعو الفلسطينيين الى ذلك الآن ما لم يستسلموا لوجهة النظر الاسرائيلية. « اذ ليس لاسرائيل جدول اعمال للتفاوض مع الفلسطينيين بالنظر الى انه لا يمكن لامة التفاوض مع شعب يريد القضاء على وجودها المستقل» (العدد١) ولكن النشرات توجه دعوة لفكري اباظة واخرى للرئيس الراحل عبد الناصر شريطة ان يقبل النصيحة بأن يتصرف كديجول ويخاطر بحياته من اجل عقد السلم مع اسرائيل والاعتراف بأن اسرائيل مثلها مثل الجزائر هي ايضا شعب .
على ان النشرة لا تعجبها دعوة رئيس سابق للمنظمة الصهيونية العالمية لزيارة القاهرة (الاشارة الى قضية جولدمان) وتفضل بدلا عنها ان تدعو القاهرة خبراء زراعة القطن الاسرائيليين كي يعلموا المصريين كيف يزرعون القطن ويضاعفون انتاجيته (العودة الى فكرة الامتياز الحضاري والرسالة الاستعمارية التحضيرية) وان اسرائيل لا يمكنها رفض مثل هذه الدعوة الجريئة ، وان الحكومة المصرية قد تحصل من هؤلاء الخبراء — دون ان تتوقع — على مناقشة لامكانية انسحاب القوات الاسرائيلية من بعض المناطق (العدد ١٩) .
على أن النشرة تعود لمطالبة الرئيس الراحل بالتفاوض مع اسرائيل حتى ولو اسمي ذلك استسلاما طالما ان الاستسلام معناه نهاية الصراع وتدعوه لان يقتدي بثلاثة ابطال عالميين . ١ — هيروهيتو امبراطور اليابان لانه استسلم للامريكيين بعد حرب وحشية ، وانه فعل ذلك ضد رغبات ضباطه . ٢ — ديجول الذي خلص فرنسا من حرب وحشية في الجزائر ، ضد رغبات ضباطه . ٣ — بن جوريون الذي وافق على قبول تعويضات من المانيا وانشاء علاقات دبلوماسية معها مما ادى الى رفاهية اسرائيل ، وانه فعل ذلك ضد رغبات الكثير من الاسرائيليين الوطنيين . (العدد ١٩ ايضا .. ولا تعليق).

أساليب الحرب النفسية التقليدية

تمتلىء النشرات بأساليب الحرب النفسية التقليدية من محاولة تحطيم المعنويات والتشكيك في القيادات وبياناتها وفي اهداف القتال ذاتها . والامثلة عديدة .
« فعندما يقتل الجنود المصريون في جبهة السويس هم لا يموتون من اجل استقلال مصر بل يموتون من أجل رفض العرب منح اسرائيل حق البقاء (العدد ١٠) » ، « قام عبد الناصر ببناء صرح من الاكاذيب » (العدد نفسه) . « استمعنا بأسى الى خطاب عبد الناصر شاعرين بتعب الرجل ويأسه المتصاعد ازاء الظروف التي اقحم نفسه فيها والتي لا يجرؤ على الخروج منها » . « ان اسلوب جنكيز خان ليس من طباع الشعب المصري، فالشعب المصري مثلنا خفيف الروح ويحب الحياة ، وغريزة الشعب المصري كغريزتنا ، ولا بد ان نفهمهم بأن بحرا من الدماء لا يحل شيئا » .

« ان اسرائيل ستصمد في هذه الحرب المستمرة لان هذه الحرب بالنسبة لنا ان هي الا فصل قصير من فصول تاريخ شعبنا الممتد ثلاثة الاف سنة عبر التاريخ .. اننا سنصمد في هذا الكفاح ، أما انتم فلن يكتب لكم النجاح فيه اكثر مما كتب لاعداء الشعب الاسرائيلي في الماضي ، من فرعون الى هتلر » (العدد رقم ٦) — (ويلاحظ ان هذه الجملة وردت على لسان طالب اسرائيلي في رسالة الى احمد بهاء الدين ، ولكن المنشورات عادة تتفادى مثل هذا التهجم الوقح والتبجح الاسرائيلي التقليدي الواضح، ولكن لا مانع من التلميح به حينا والتصريح به حينا اخر ، مستخدمين التهديد والترغيب لتحقيق اهداف الحملة الاعلامية) . وعلى كل فالغرور الصهيوني يقود — بالرغم من المحاولات المستمرة لاستخدام لغة الاعلانات والعلاقات العامة الامريكية — الى التهجم والاسفاف احيانا ، « يجب ان تعلموا انه بالرغم من ادعاءاتكم بأنكم اشتراكيون فان اسرائيل تعتبركم عنصريين لا تستطيعون ابداء اي تسامح تجاه من هو غير مسلم !! » (العدد ٦) « ان عنصريتكم وعدم تسامحكم يخرجانكم عن اطواركم ، الامر الذي أدى الى هذه الحرب الناشبة بينكم وبيننا اليوم » (العدد ٦) .

« لا زلنا نذكر كيف أمر الملك فاروق جيشه بغزو اسرائيل سنة ١٩٤٨ وكيف انه عندما فر جيشه هاربا الى سيناء بعد ستة اشهر لجأ للحكومة البريطانية التي أمرت سلاح الطيران البريطاني بحماية بقايا الحملة المصرية الغازية ، وان نتيجة ذلك كان اسقاط خمس طائرات بريطانية على يد الطيران الاسرائيلي الصغير السن ، وانه نتيجة لذلك اعترفت بريطانيا باسرائيل فورا واقامت معها علاقات دبلوماسية » (العدد ١٩) .

اي أن قوة اسرائيل الجوية الاسطورية (والصغيرة حينذاك) اجبرت بريطانيا على الاعتراف باسرائيل بينما بقيت بريطانيا ثماني سنوات اخرى في مصر قبل انسحابها منها (نفس العدد)وفي ذلك ايحاء طبعا بما ستفعله اسرائيل بالاتحاد السوفياتي الذي « يحمي مصر الان» فتجبره على التسليم لها بينما يبقى محتلا لمصر سنوات عديدة (نفس العدد).

خاتمة

يتضح من التحليل المختصر الذي قدمناه فيما سبق الخط الدعائي الصهيوني تجاه الفلسطينيين والقضية الفلسطينية ، وهو خط لا يختلف كثيرا عن الاتجاه العام للفكر العنصري الصهيوني من هرتسل الى دايان : مع اختلاف في التركيز . فبدلا من المشكلة الاسرائيلية — العربية توجد الان المشكلة الاسرائيلية — الفلسطينية ، وفي الحالتين ليس هناك علاقة مفترضة بين الفلسطينيين والعرب . وما يطرحه الاعلام الصهيوني — من خلال « اسرائيليون يردون » على الفلسطينيين هو الاعتراف بهم كشعب او كأمة اذا لزم الامر شريطة ان يقيموا دولتهم خارج فلسطين ، وفي الاردن بالذات . أي ان يتكرس نفيهم من وطنهم وبعدهم عنه وذلك بمطالبتهم لقاء الاعتراف بأنهم شعب بأن يعترفوا بأن الاسرائيليين هم ايضا شعب وان وطن الاسرائيليين هو اسرائيل (فلسطين) وان جذورهم فيها تعود لالاف السنين وان العلاقات بين دولة الفلسطينيين ودولة اسرائيل يمكن أن تتسم بشكل العلاقة بين الجزائريين وبين فرنسا شريطة ان يشمل ذلك سماح الفلسطينيين لاسرائيل باقامة قواعد بحرية وجوية وبرية لها في دولتهم .

ونلاحظ انه بالرغم من محاولة استخدام اسلوب جديد ومهذب ومعتدل في كتابة النشرات الا ان النزعة التهجمية الاستعلائية تظهر بجلاء في الكثير من العبارات المستخدمة . والظاهر أن اجهزة الدعاية والمخابرات الاسرائيلية قد سلمت بفشل هذه النشرات ، فعدد الذين وصلتهم كان قليلا جدا ، وكان استقبال غالبيتهم العظمى لها باردا مشمئزا ساخرا . ولذلك فان الاعداد التي وصلت البلاد العربية منها بعد العدد العشرين الصادر في مايو ١٩٧٠ أصبحت قليلة جدا ومتقطعة. ولسوف يحاول الاسرائيليون مرة أخرى ، وبطرق جديدة .

شهريات

(١) السياسة الاسرائيلية

أهم ما كان يشغل بال الساسة الاسرائيليين في الشهرين الاخيرين في العام الماضي كان في الحقيقة موضوع العودة لمفاوضات يارنغ . وقد كان هذا الموضوع مثار جدل شديد احتل ليس فقط صدر الصحافة الاسرائيلية وانما جزءا كبيرا من صفحاتها الداخلية أيضا ، واثار زوابع في جلسات الحكومة وقاعة الاجتماعات العامة في الكنيست ، واعتلى منابر الكثير من المحاضرات والندوات . ويستطيع المرء أن يقول انه لم يبق في الشهرين الاخيرين من العام الماضي زعيم سياسي أو كاتب في حقل السياسة الا وادلى بدلوه في الموضوع المخاض .

اما أهم حدثين آخرين فقد كانا الانتخابات البلدية في مدينة الناصرة العربية ، ومؤتمر حزب حيروت العاشر . وبرز على المسرح السياسي أيضا حدث افتتاح الدورة الشتوية الجديدة للكنيست السابع، والحملة الانتخابية داخل حزب العمل لانتخاب مندوبين لمؤتمر الحزب ، واستقالة رئيس كتلة « القائمة الرسمية »(١).

العودة لمفاوضات يارنغ : ان النقاش في الشهرين الاخيرين من العام الماضي حول العودة لمفاوضات يارنغ ضمن اطار مبادرة روجرز تبلور في الحقيقة حول تصريحات معينة ادلى بها دايان في نهاية الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ١٩٧٠ . ففي يومي ٧ — ١٩٧٠/١١/٨ ، في حيفا وتل أبيب ، ألقى دايان خطابين هامين بمناسبة الحملة الانتخابية الدائرة آنذاك في صفوف حزب العمل لانتخاب مندوبين لمؤتمر الحزب القريب . وكان من جملة ما قاله دايان : « من الضروري انهاء الحرب ... ليس ثمة طريق لانهاء الحرب سوى الوصول الى اتفاق ، مباحثات ، ترتيبات مع الطرف الاخر . وهذه هي مفاوضات يارنغ . أنا أؤيد بشدة ذهابنا الى مفاوضات يارنغ ، رغم معرفتي بأن هناك جبال جليد ضخمة في المياه الباردة التي سنضطر للسباحة فيها . ولكن ليس لنا خيار الا أن نقفز ... »

ان هذه الكلمات التي تبدو مجرد تعبير عن رأي شخصي ، كانت في الواقع بمثابة قنبلة تفجرت في الميدان السياسي الاسرائيلي ، وظلت أصداؤها تتردد في أرجائه حتى لحظة موافقة الحكومة الاسرائيلية الاخيرة في ١٩٧٠/١٢/٢٨ على العودة الى المفاوضات . ولم تكن العواصف التي أثارها التفجر آتية من جهة المعارضة المتمثلة بكتلة جاحال وغيرها فحسب ، وانما من جهة الحكومة أيضا ، وان كانت دوافع الفريقين لذلك مختلفة .

ولكي ندرك أسباب التفجر لا بد لنـ' : رسم الخلفية التي أسقطت فيها هذه التصريحات . عندما اتضح للحكومة الاسرائيلية .ىر الموافقة الاولى على مبادرة روجرز في ا'ا.ل اوغسطس ١٩٧٠ انصواريخ سام (٢) وسام (٣) قائمة في الخط الامامي من ا.جبهة المصرية على القنال عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعا عاجلا لبحث الموضوع ، وكان راي دايان في ذلك الاجتماع أن الامر يستدعي القيام بعمليات حربية فورية لتدمير قواعد الصواريخ . ولكن الاقتراح المقدم لم يحز الا على موافقة اربعة وزراء ، وبالتالي سقط ، وتقرر بدلا من ذلك تعيين تكواع ممثلا لحكومة اسرائيل في المفاوضات القادمة، وتكليفه باثارة موضوع الصواريخ .

وعندما وصلت الحكومة الاسرائيلية لاحقا الى القناعة بأن مصر ما زالت توالي نقل الصواريخ الى

---

١ — تشكلت « القائمة الرسمية » قبل انتخابات الكنيست السابعة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ . وقد شكلها بن غوريون كبديل لحزب رافي الذي سقط عمليا بانسحاب ابرز عناصره وانضمامهم الى حزب العمل .

الخط الامامي لجبهة القتال عقدت الحكومة اجتماعا حاسما في ٤ سبتمبر ١٩٧٠ لبحث الامر ، وقررت في نهاية الاجتماع الانسحاب من المفاوضات وعدم العودة اليها الا اذا **سحبت مصر كل الصواريخ التي نقلتها الى الوراء** . وقد كانت غولدا مئير هي التي صاغت الجزء الاساسي من نص البيان الذي ألقي في الكنيست بهذا الصدد وأصبح يمثل موقف الحكومة الرسمي من موضوع العودة للمفاوضات ، وكان دايان من الاشخاص الذين ضغطوا لكي تعلن اسرائيل سحب الصواريخ كشرط لا بد منه للعودة. وفي وجه معارضة ايغال ألون وايبان وغاليلي لايراد شرط كهذا مستحيل التحقيق هدد دايان تلميحا بالاستقالة . . .وهكذا أقر البيان وانسحبت اسرائيل من المفاوضات ، واضعة نفسها بذلك ، على حد تعبير ألون في نفس الجلسة ، في « برج عال من الصعب النزول منه » .

ومن فوق هذا « البرج العالي » ، قبل يومين او ثلاثة من خطابي دايان ، أدلت غولدا مئير في لندن بتصريح قالت فيه ان اسرائيل لن تعود مطلقا الى المفاوضات الا اذا سحبت مصر كل الصواريخ من الخط الامامي لجبهة القناة . وكان الضغط الامبركي على اسرائيل للعودة الى المفاوضات آنذاك في ابان ذروته ، وجاءت تصريحات دايان ، المسقطة سحب الصواريخ من حسابها ، لتهز « برج الحكومة » وتبعث الرعدة في اوصال مئير ، لان الامبركيين — كما يقول الصحفي الاسرائيلي المعروف يوسف حريف في معريف (١٩٧٠/١٢/١١) — لديهم قناعة ثابتة بأنه عندما يقول دايان عائدون للمفاوضات ، فمعنى ذلك ان حكومة اسرائيل عائدة .

ان المسألة لم تكن في أن حكومة اسرائيل كانت جازمة في مسألة عدم العودة لسبب بسيط هو انها لا تملك ، عندما تضغط الولايات المتحدة عليها ، الا أن تستجيب . لان الولايات المتحدة بكل بساطة هي مصدر اسرائيل الوحيد تقريبا للسلاح، وهي المصدر الاساسي للاموال التي تحتاجها لدعم اقتصادها المنهك ، وهي التي تملك قوة ردع الاتحاد السوفياتي . ان المسألة هي في أن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد قبل أن تتراجع أولا أن تهيىء الراي العام داخليا للتراجع فتتقي هجمات جاحال وثانيا ان تبتز اكثر ما يمكن ابتزازه من حكومة الولايات المتحدة . وأتت تصريحات دايان قبل الاوان لتطلق حجمة جاحال على سياسات الحكومة، ولتظهر مدى هشاشة قشرة «التصلب الاسرائيلي» تجاه ضغط الولايات المتحدة .

ومن هنا شهدت الجلسة الاولى للحكومة بعد يوم واحد من عودة غولدا مئير من لندن في١٩٧٠/١١/٦ نقاشا عاصفا وعتابا بين دايان ووزراء الحكومة ، اضطر فيه دايان لان يقول بأنه لم يكن يقصد من كلامه الحديث عن الحاضر او المستقبل ، وانما عن الماضي . وانه كان يقصد بكلامه الرد على انتقادات جاحال لقرار الحكومة بالموافقة أصلا على مبادرة روجرز . وان كان أنصار دايان خارج مجلس الوزراء ظلوا يقولون بأن دايان انما أراد بكلامه مساعدة غولدا على النزول من « البرج العالي » وتمهيد الطريق داخليا لذلك . وتعويضا عن الاضعاف الذي نجم بالضرورة عن كلام دايان لموقف الحكومة تجاه الضغط الامبركي ، اعلن هذا بأن اسرائيل وان كانتلم تعد تصر على سحبالصواريخ فانها تصر على ارتكاز عودة اسرائيل المجددة الى مفاوضات يارنغ على اساس جديد لاتفاق وقف اطلاق النار . واقترح أن يكون سحب المدفعية من جانبي القتال وتخفيف عدد القوات من جانب الطرفين الاساس الجديد . ولكن مبادرة مصر الى رفض اقتراح دايان(٢)، واعلانها بأن القتال سيتجدد ليس فقط اذا لم تعد اسرائيل بدون شروط وانما ايضا اذا رفضت الموافقة على جدول زمني بالانسحاب ، جعلت اقتراح دايان الجديد يبدو أقل قيمة من الشرط الاول ، وهو سحب الصواريخ . ولكي تتجنب غولدا مئير جدلا داخل مجلس الوزراء مع دايان وانصاره ، اقترحت عليه ان يذهب الى واشنطن ليحاول اقناع الرئيس نيكسون بقبول اقتراحه . وسافر دايان الى الولايات المتحدة في ١٩٧٠/١٢/٩ ، وبحث الموضوع مع الرئيس ، ويبدو انه لم يخرج بشيء . اما غولدا مئير فقد

---

٢ — ان اقتراح دايان الذي رفضته مصر كان يدعو الى سحب القوات من طرفي القناة واعادة فتحها للملاحة . وقد نفى دايان في جلسة مجلس الوزراء ان يكون قدم اقتراحا كهذا ، واعلن ان اقتراحه يدعو فقط لسحب المدفعية وتخفيف المشاة . ولكن أصبح معروفا ان دايان كان فعلا قد سرب اقتراحا بفتح القناة الى الصحافة الغربية .

عمدت الى توجيه رسالة شخصية الى الرئيس نيكسون قدمت فيها للولايات المتحدة مطالب جديدة سياسية وعسكرية واقتصادية كثمن لعودة اسرائيل الى المفاوضات: طالبت بوضع برنامج تسليح يشمل ليس فقط السنة الحالية وانما السنوات الخمس القادمة،وطالبت بأن تعد الولايات المتحدة باستعمال حق الفيتو في مجلس الامن فيما لو لجأت مصر اليه لاستصدار تفسير لقرار مجلس الامن في حالة تعثر المفاوضات ، وطالبت بمزيد من المعونات الاقتصادية ... وأضافت مرة اخرى مطلبا كانت قدمته من قبل ، وهو أن تعد الولايات المتحدة بالا تضغط عليها للقبول بما يسمى « بخارطة روجرز » المتضمنة «تعديلات طفيفة» على الحدود «لاعتبارات أمنية » ، وهي الخارطة الواردة ضمنيا في مشروع روجرز المشهور الذي قدمه في نهاية عام ١٩٦٩ ، ورفضه العرب في حينه . ويمكن ان يلخص المرء جواب الولايات المتحدة بـ « نعم » للمطالب الاقتصادية والتسليحية و«لا» لاستخدام حق الفيتو وابطال خريطة روجرز .

وفي أعقاب اقرار مجلس الشيوخ الاميركي تخصيص مبلغ (٥٠٠) مليون دولار قروضا ومعونات لاسرائيل ، وفي اعقاب تزويدها بكميات معينة من السلاح ، اعلنت اسرائيل في ١٩٧٠/١٢/٢٨ بأن الظروف ملائمة للعودة الى مفاوضات روجرز ، ووافقت على العودة اليها ، وخف الجدل داخل الحكومة .

هذا من ناحية الحكومة . اما من ناحية جاحال فان تفسير غضبتها لتصريحات دايان أسهل . ان كتلة جاحال عندما تهاجم أي تصريح يشتم منه القبول بالتفاوض تحت اشراف يارنغ ضمن اطار مبادرة روجرز فانما تكون بذلك تؤكد موقفا سابقا اتخذته من المبادرة الاميركية وأدى الى انسحابها من الائتلاف الحكومي في ٤ آب ١٩٧٠ يقوم برنامج كتلة جاحال لانهاء الحرب ، كما يطرحه زعيمها بيجن في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العاشر لحركة حيروت المنعقد في ١٩٧٠/١١/٨ على البنود التالية : معاهدة سلام ، مفاوضات مباشرة ، منع قيام منظمات تخريب (!) في الدول العربية ، الاقرار بحق شعب اسرائيل التاريخي في أرض اسرائيل (!) اعطاء الافضلية لتكامل تراب الوطن والسيطرة على قواعد العدوان (!) ، الاعتراف بالعرب في ارض اسرائيل الغربية(٣) كاقلية قومية لها حقوق مواطنة (!) .

ومن الواضح ان برنامجا كهذا يتناقض مع مشروع روجرز ومبادرته في بندين اساسيين : الانسحاب والمفاوضات المباشرة . ان مشروع روجرز المطروح في نهاية عام ١٩٦٩ يتضمن انسحاب اسرائيل من معظم المناطق التي احتلتها وهذا ما ترفضه كتلة جاحال رفضا جازما حيث تطالب بعدم التخلي عن شبر واحد من « تراب الوطن » . كما تدعو مبادرة روجرز التي قدمت للدول المعنية في حزيران من العام الماضي الى قيام مفاوضات غير مباشرة باشراف يارنغ لتطبيق قرار مجلس الامن المتضمن الانسحاب ، وهذا ما ترفضه جاحال ايضا . ان جوهر الرفض يكمن في الحقيقة في الاصرار على عدم الانسحاب من المناطق المحتلة بينما تمثل المفاوضات المباشرة — غير المقبولة من العرب — مجرد غطاء من الاغطية التي تحاول اسرائيل عن طريقها حجب الجوهر البشع ، وان كان بيجن لدى مهاجمة الحكومة على قبولها بمبادرة روجرز يضع المبداين، عدم الانسحاب والمفاوضات المباشرة ، على صعيد واحد ويتهم الحكومة بالتخلي عنهما . ان بيجن يعدد في الجلسة التي عقدتها جاحال في اوائل آب (اغسطس) ١٩٧٠ لاتخاذ قرار حول الانسحاب من الحكومة ثلاثة اسباب تدعوه وكتلته لمغادرة الحكم: اولا قبول الحكومة الاسرائيلية لقرار مجلس الامن ثانيا قبول الحكومة بمبدأ الانسحاب ثالثا تخلي الحكومة عن مطلب المفاوضات المباشرة. ولذا اذا كان من الطبيعي ان يستقبل بيجن تجميد المبادرة الاميركية الاخيرة بارتياح ، فانه من الطبيعي أيضا أن يستقبل احتمال تجددها باستياء ، وان يبادر لاقتناص الفرصة لابراز موقفه كزعيم للمعارضة ، وموقف كتلته المعارض لسياسات الحكومة تجاه المفاوضات — وهكذا كان .

أن بيجن كان في الحقيقة أول المهاجمين لتصريحات دايان المقتبس جزء صغير منها اعلاه. ففي الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العاشر لحركة حيروت المنعقد بتاريخ ١٩٧٠/١١/٨ ، أي بعد فترة وجيزة من ظهور تصريحات دايان ، القى بيجن خطابا عنيفا هاجم فيه سياسات الحكومة وافتتحه بهجوم حاد على آراء دايان . ويلمس المرء في هجوم بيجن ليس فقط جانبا عاما نابعا من خلاف على السياسة ، وانما ايضا جانبا شخصيا نابعا من شعور بيجن

٣ — المقصود عرب الارض المحتلة سابقا والضفة وغزة .

بأن دايان تخلى عنه وعن حركة حيروت وخيب الامال التي علقتها عليه الحركة المذكورة في صدد جهودها لمنع ما يسميه بيجن «باعادة تقسيم ارض اسرائيل». يخاطب بيجن دايان قائلا « اذا كانت [مفاوضات يارنغ] هي الطريق الوحيدة لانهاء الحرب ، ولا بديل لها ، لماذا ، ايها الزميل دايان ، لم تخترها قبل سنتين او اكثر ؟ انك تعرف مثلي انه اكثر من مرة اقترح علينا في الحكومة ان نتعهد بتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ، واقترح علينا الا نتعنت بشأن المفاوضات المباشرة ومعاهدات السلام واستخدام كلمة « انسحاب ». وكنا نحن الاثنين بين اولئك الذين رفضوا بشدة واصرار نصائحهم هذه ولم نخضع للضغوطات ... انني اجدك الان وصلت الى النتيجة بأن هذه الاقتراحات ، التي تشكل اساس مفاوضات يارنغ، هي الطريق ، بـ «ال» التعريف ، لانهاء الحرب. اذا كان الامر كذلك فعليك الاعتراف بأنك كنت على خطأ جسيم .. ان الرجل الذي يدعي ان هناك طريقا وحيدة لانهاء الحرب لا يستطيع القول بأنه لم يخطىء برفضه السير بها زمنا طويلا » .

ومن موافقة دايان الاصلية على قبول مبادرة روجرز الى دعوته الجديدة للعودة الى المفاوضات دون اشتراط سحب الصواريخ المصرية : « ان تهدد بالاستقالة اذا لم يتخذ قرار معين وبعد ذلك تكون اول من يدعو لالغائه — هذا اكثر من اللازم حتى بالنسبة لرجل معتاد على تغيير ارائه ... ان مفاوضات يارنغ هي بديل كاذب للسياسات التي ساهمنا انا [وانت] في بلورتها » .

ان بيجن يقول بأن هناك في اسرائيل الان معسكرين واضحين : حكومة ملتزمة باعادة تقسيم « ارض اسرائيل » ، ومعارضة ملتزمة بالحفاظ على تكاملها . وقد كانت تصريحات دايان المناسبة التي أعاد فيها كل من الفريقين طرح وجهات نظره ، وكان المصلب الذي تروشقت النيران حوله ، كالعادة ، وزير الدفاع. وكانت نهاية الجدل الجديد العودة تحت الضغط لمفاوضات يارنغ .

ولكن هذا ، اذا صح التعبير ، بين المعسكرين داخل اسرائيل ، فماذا عن المعسكر الثالث مقابل الاثنين — العرب. ان عقدة العقد في طريق التسوية السياسية لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، وهي في الحقيقة ازمة الوجود الاسرائيلي ذاته ، كانت وما تزال كما اتضح هي الانسحاب من المناطق المحتلة . ان معسكر الحكومة داخل اسرائيل ، كما تشير الدلائل ، يطرح على مائدة المفاوضات خريطة لاسرائيل تضم اضافة للارض المغتصبة سابقا الجولان وغزة وشرم الشيخ وممرا اليها وجزءا من الضفة الغربية . وتطرح الدول العربية القابلة لمشروع روجرز ، بالمقابل ، الانسحاب الكامل من جميع الاراضي المحتلة ، وتراقب بلا اكتراث الجدل الدائر بين الحكومة والمعارضة في اسرائيل حول ان تنسحب هذه من بعض المناطق او لا تنسحب من أي شبر — تراقبه بالاكتراث لان كلا الموقفين مرفوض اصلا . ان فريق المعارضة الاسرائيلية يقول : كما تراجعت الحكومة الاسرائيلية عن مواقفها السابقة ستتراجع ايضا تحت الضغط حتى تنتهي الى الانسحاب شبه الكامل . فهل يحدث ذلك حقا ؟

ان الولايات المتحدة تخشى ارتفاع مستوى التدخل السوفياتي في الحرب المنتظرة اذا لم تتم التسوية، وتخشى النتائج المترتبة على مثل هذا التدخل فيما لو وقعت الحرب . وتضغط بالتالي على اسرائيل للوصول الى حل . ان اسرائيل لا تريد الانسحاب ، وتناور لافشال المفاوضات دون ان تخسر تأييد الولايات المتحدة ، وتدخل المفاوضات بنية سيئة الى ابعد الحدود . اما الدول العربية التي قبلت بمشروع روجرز فتتسلح وتتهيأ لاستئناف الحرب اذا لم يتم الانسحاب الكامل ، ويدعمها الاتحاد السوفياتي ضمن الحدود التي تمكنها من الضغط الى أبعد مدى ممكن . وبين هؤلاء الفرقاء يتحرك يارنغ ويبدأ اتصالاته . وفوق هؤلاء جميعا تحلق المقاومة الفلسطينية ، رمز ارادة شعب فلسطين في التحرير وأمله الراهن . فعن اي شيء يتمخض مخاض المستقبل القريب ؟ — من يجرؤ على التنبؤ يكون نبيا .

انتخابات الناصرة : لانتخابات بلدية الناصرة اهمية سياسية قد لا تعادلها انتخابات اية بلدية في العالم . ان الناصرة اكبر مدينة عربية في الارض المحتلة سابقا ، ومركز الثقل السياسي للعرب هناك ، ومجمع قوة راكاح (القائمة الشيوعية الجديدة) التي تمثل المتنفس السياسي لعرب الارض المحتلة ، ومن هنا توليها الحكومة الاسرائيلية عادة اهمية كبرى ، ولا تدخر جهدا او مالا في سبيل ان تجيء نتائجها كما تريد لها أن تكون . وقد تمت الانتخابات في ١٩٧٠/١٢/٨ ، وجاءت نتيجتها كما جاءت نتيجة الانتخابات السابقة ، وظل ميزان القوى السياسية على حاله ، وتنفست الحكومة

السعداء .
دخلت الانتخابات البلدية في الناصرة ست قوائم :
١ – القائمة المركزية لحزب العمل الحاكم ، برئاسة سيف الدين الزعبي نائب رئيس الكنيست ، ونالت (٢٦٩٢٧) صوتا ، وبالتالي (٥) مقاعد في مجلس البلدية المكون من (١٥) مقعدا .
٢ – قائمة العمال الشباب برئاسة حبيب سيباني، وهي مرتبطة ايضا بحزب العمل . ونالت (٧٥٥) صوتا ، ومقعدا واحدا .
٣ – قائمة ثالثة مرتبطة ايضا بحزب العمل ، ونالت (٨٠٧) أصوات ومقعدا واحدا .
٤ – القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ، برئاسة الشاعر المعروف توفيق زياد ، ونالت (٤٤٩١٩) صوتا ، و(٧) مقاعد .
٥ – الجبهة الموحدة المرتبطة بالحزب الوطني المتدين برئاسة يعقوب سالم ، ونالت (١٤٣٧٢) صوتا ومقعدين .
٦ – قائمة حزب المابام ، برئاسة عبد العزيز الزعبي الذي عين مؤخرا نائبا لوزير الزراعة فكان بذلك اول نائب وزير عربي ، ونالت (٧٦٩) صوتا، ومقعدا واحدا .
وقد كان مجموع عدد الناخبين الذين مارسوا حقهم الانتخابي (١٢٤٨٨٧) من أصل (١٥٤٩٨٦) لهم حق الانتخاب ، وكانت النسبة المئوية للمنتخبين ٨٥٪ .
ان معنى نتائج كهذه هو ان رئيس بلدية الناصرة لن يكون من القائمة الشيوعية الجديدة ، وانما من الموالين للحكومة ، وسيكون هو الوجه الذي يعكس للداخل والخارج مدينة الناصرة ، ويدعي التعبير من مشاعر عربها . ولكن هل هذا الوجه في الحقيقة يعكس وجه عرب الناصرة ؟
يقول ايلي آيل في معريف ١٩٧٠/١٢/٤ قبل حدوث الانتخابات : « ان فوز او خسارة راكاح ليس فوزا او خسارة للافكار الماركسية اللينينية وسط عرب الناصرة ، وانما فوز أو خسارة للافكار القومية العربية التي تجد متنفسها في حزب رسمي وشرعي . راكاح مقابل كل البقية – هذا ما تدور عليه المعركة في الناصرة ». ممكن – ولكن السؤال ليس هنا ، وانما : هل كان من الممكن أن تفوز راكاح في انتخابات بلدية الناصرة .
ان مجلس البلدية في النهاية هو مجلس بلدية ، اي مجلس مطلوب منه الاهتمام بشق الطرقات ، والانارة ، ومد شبكات المياه وانابيب المجاري ، وبناء المدارس ، وتقديم الخدمات المطلوب من اي مجلس بلدية اخر في العالم ان يقدمها . وبالتالي اذا رفضت الحكومة المركزية ، التي تقرر ميزانية البلدية والمعونات الخاصة لها ، ان تتعاون مع مجلس البلدية المعني ، فان معنى ذلك هو أن تصاب مشاريع البلدية بالشلل . وهذا ما يدركه أي ناخب ، وهذا ما كانت حكومة اسرائيل معنية بايضاحه اثناء الحملة الانتخابية للبلدية ، بشكل مباشر وغير مباشر .
بشكل مباشر في ارسالها بنحاس سابير وزير المالية الحالي وسكرتير حزب العمل السابق بصفته الحزبية الى الناصرة ، ليساهم في الحملة الانتخابية لانجاح قوائم حزب العمل ، وليوضح للناخبين العرب ان حزب العمل الحاكم لن يأتلف ولا بأي شكل من الاشكال مع شيوعيي القائمة الجديدة ، في الناصرة ولا في غيرها .
وبشكل غير مباشر عندما قدمت الحكومة في الاسابيع الثلاثة السابقة للانتخابات قروضا ومعونات خاصة بمقدار (٦٠٠) الف ليرة اسرائيلية لشق (١٥) شارعا جديدا وتحسين الانارة، و(٤٠٠) الف ليرة لبناء مدارس جديدة واجراء تصليحات للقديمة . وسارع سابير للتلميح بأن الحكومة في حالة فوز القائمة الشيوعية الجديدة ستوقف كل المعونات الخاصة التي تقدمها لبلدية الناصرة .
ان راكاح ، مثلها مثل بقية القوائم ، اعلنت انها لا تخلط السياسة بالشؤون المحلية ، وطرحت برنامجا ذا اهداف محلية فقط وحصرت حملتها الانتخابية به ، واعلنت انها مستعدة للدخول في ائتلاف شامل مع كل القوائم في حالة فوزها بالاغلبية . ولكن الحكومة والمراقبين السياسيين رأوا في بيان وزع قبل الانتخاب بيومين ، وحمل تواقيع (١١) محاميا من أصل (١٧) موجودين في مدينة الناصرة، الصوت الحقيقي لراكاح ، ورأوا في الضجة التي ثارت حول البيان في المدينة الاهتمامات الحقيقية لعربها .
يقول البيان حول مغزى فوز راكاح او خسارتها :
« اذا ضعفت ... قسوة الشيوعيين ستمضي السلطات في طمس حقوقنا وكرامتنا وينتشر في اسرائيل والعالم ان العرب في اسرائيل يؤيدون السياسة الداخلية والخارجية للحكومة المعزولة عالميا ... »
ولم تضعف قوة راكاح ، وحافظت على نسبة الـ ٤٠٪ من الاصوات التي نالتها في الانتخابات السابقة ايضا . وكانت محافظتها هذه ، في وجه كل

الضغوطات ، بمعنى ما نصرا لها .

مؤتمر حركـة حيروت العاشر : في ١٩٧٠/١١/٨ عقدت حركة حيروت ، الشريكة الكبرى في كتلـة جاحال ، الجلسة الافتتاحية لمؤتمرها العـاشر ، واستمر المؤتمر عدة أيام . وقد تقاسم الاضـواء في المؤتمر مناحيم بيجن (رئيس الحركة والزعيـم الارهابي السابق المعروف) ، وعيزر وايزمن (قائد سلاح الطيران سابقا والمرشـح فالمنتخب كرئيس لادارة الحركة) . وقد كان الخطابان الاساسيان اللذان القاهما المذكوران مقتصرين تقريبا على ما يسمى في اسرائيل بشؤون الخارجية والامن ، اي السياسة الواجب اتباعها تجـاه المجابهة بـين اسرائيل والعرب سياسيا وعسكريا .

وكما ركز بيجن في خطابه الذي أشرنا اليه اعلاه هجومه على وزير الدفاع دايان ومنه عبر لذكـر البنود الاساسية لما سماه برنامج السلام ، ركز وايزمن ايضا هجومه على آراء دايان دون أن يذكره بالاسم . قال في اشارة واضحة لمياه دايان الباردة : « من أنا الصغير لاجرؤ على القفز لمياه سياسات الامن الباردة ! » واستطـرد منتقـدا العودة لمفاوضات يارنغ قائلا : « عندمـا حرك المصريون (١٢) بطارية صواريخ انسحبوا مـن المفاوضات ... والان وقـد حركت مصر (٥٠) يعودون اليها ... من الصعب فهم هذا .. ان الصواريخ لم تختف من الجانب الغربي من القناة وانما اختفت من حقلنا السياسي » ، لينتقل بعد ذلك الى مهاجمة تخوفات دايان من احتمالات ازدياد التدخل الروسي ، ذاكرا ان اسرائيل اوقفتغارات العمق لما ظهر الطيارون الروس في سماء مصر ليتضح لها فيما بعد انها تستطيع ان تسقط فـي معركة جوية (٤) طائرات ميغ يقودها طيارون روس ... ولخص رأيه في النهاية بأن اسرائيل يجب ان لا تتردد في عبور القناة واحتلال القاهرة وايضا بغداد وعمان اذا اقتضى الامر ذلك، وانها يجب الا تخشى الروس لانه ليس في قدرتهم ارسال العـدد الكافي من الجنود لايقاف تقدم الجيش الاسرائيلي . وهي آراء نال عليها وايزمن بعد أقل من اسبوعين من دايان ، بصدد رد الاخير الساخر عليه فـي اجتماع مغلق ، لقب فيلسوف جاحال الجديد ووزير دفاع حكومة الظل .

ان عيزر وايزمن ، الذي انتخب في ١٩٧٠/١٢/٩ من قبلمركز الحركة كرئيس لادارة حيروت هو النجم الصاعد الان في المسرح السياسي الاسرائيلي ، ومن المتوقع أن يلعب دورا متناميا في الحيـاة السياسية الاسرائيلية ، وخاصة بعد انتقال كتلة جاحال الـى صفوف المعارضة . أن المراقبـين السياسيين يرون في انتخاب عيزر وايزمن ، وهو حديث العضوية في الحركة المذكورة ، ما يشبـه الانقلاب فيها . فهذه اول مرة في تاريخ الحركـة ينتخب فيهـا عضـو لـم يرق تدريجيـا مراتب الحـزب لمثـل هـذا المركـز الحساس الـذي يأتي ترتيبه فـي الاهمية مباشرة بعد مركز الرئاسة الذي يشغله منـاحيم بيجن . ويـرى المراقبون في انتخابه تعزيزا لما يسمى بكتلـة كرمرمـسان في الحركة ، وهي مجموعة برجماتية تدعو لانتهاج سياسة اكثر واقعية وديناميكية من السياسة التي كانت تتبعها الادارة المذهبية الجامدة السابقة . ويتوقع المراقبون ان يقرب وايزمن اليه الجنرالات المتقاعدين المتواجدين في صفوف الحركة ، وعددا من الاقتصاديين والمنظمين الجديدين ، وأن يلائـم برامج الحـزب لتصبـح اكثـر انسجامـا مع ظروف الواقع الدولي الراهن المختلفة عن ظروف واقع نشأة ونمو الحركة .

كما رأى المراقبون في تألق نجم الجنـرال عيزر وايزمن (قائد سلاح الطيران ورئيس شعبة عمليات الجيش سابقا بالتتالي) تعبيرا عن ظاهرة باتـت ملموسة بشكل واضح في ميـدان السياسـة الاسرائيلية ، وهي ظاهرة تزايد عدد الجنرالات في صفوف الحزبين السياسيين الكبيرين في البلاد : حزب العمل وحركة حيروت . يعدد موشيه مايلزس في مقال كتبه في معريف (١٩٧٠/١١/٢٣) أسماء ستة جنرالات سابقين مشهورين يحتلون الان مراكز مرموقة في حزب العمل وهم : يوسف افيـدر ، عوزي نركيس ، اهرون رمز ، يوسف جيبـع ، شلومو لهط ، والعاد بيلد . كما يعدد اسماء عشرة اخرين كانوا يحملون رتبة بريغادير جنرال . ويذكر ان عددا من الضباط الكبار العاملين حاليا فـي الجيش اتصلوا مؤخرا بحركة حيروت ليبدوا لها المشورة . ويرى المراقبون السياسيون ان الخطر في تزايد الميل لدى الحزبين الرئيسيين لضـم الجنرالات الى صفوفهما يكمن في احتمال ان يصبح هؤلاء الجنرالات ، بآرائهم العسكرية الضيقة ، السلطة المقررة لسياسات الاحزاب فيما يتعلـق بشؤون الامن .

احزاب اخرى

وفي نفس الوقت الذي كانت خلاله حركة حيروت

تعقد مؤتمرها العاشر كانت الحملة الانتخابية الداخلية في حزب العمل تمهيدا لمؤتمر الحزب في أوجها.وقد أظهرت النقاشات التي دارت في فروع الحزب ان الكتل الثلاث التي يتكون منها حزب العمل (المباي — احدوت هعفودا — رافي) لا تزال قائمة داخله . وقد عبر سكرتير الحزب الجديد ، أريبه (لوبه)الياب خلف سابير، عن رأيه بأن المندوبين الذين سيحضرون المؤتمر سيأتون وفي اعماق كل منهم هويته الحزبية السابقة .

ويبدو أن المسائل التي احتلت مركز الصدارة في مناقشات فروع الحزب ومؤسساته المختلفة كانت مسألة الوراثة ، بمعنى من يكون او يخلف غولدا مئير في رئاسة الوزراء ، ومسألة الموقف من مفاوضات يارنغ ، ومسألة النظام الانتخابي الجديد الذي اقر الحزب رسميا تبنيه بدلا من النظام السابق .

على صعيد الوراثة كان الشخص الذي بذل النشاط الاكبر في الحملة الانتخابية هو موشيه دايان . وقد أبدى الوزير المذكور في اكثر من مناسبة رأيا قال فيه ان انتخابات الحزب الداخلية لا تقل اهمية عنده من انتخابات الكنيست ، ان لم تكن تفوقها في الاهمية . ويبدو انه ، رغم سخرية بيجن وآخرين من هذا القول ، يعتبرها فعلا كذلك . اذ يذكر المراقبون ان الجهد والوقت الذي خصصه دايان للظهور في اجتماعات ومناسبات الحملة الانتخابية فاق بكثير الوقت والجهد الذي خصصه في انتخابات الكنيست التي تمت في نوفمبر ١٩٦٩ . ولم يخف كثير من المراقبين وخصوم دايان السياسيين رأيهم في أن تصريحاته التي أثارت الجدل العاصف المحكي عنه أعلاه كانت نابعة في حقيقتها من رغبته في اظهار نفسه بمظهر الشخص المعتدل الذي يمكن أن يكون زعيما لحزب العمل بمجموعه وليس مجرد زعيم لكتلة «الصقور المتطرفة» المتبلورة حوله .

الا أنه رغم ذلك يشير المراقبون الى أنه ما زال الوقت باكرا لاعتبار دايان وريثا محتملا لغولدا مئير ، أو لشغل منصب رئيس الحكومة . واشارت الاستفتاءات التي أجريت داخل مؤسسات الحزب ، والمؤشرات الاولية لانتخابات الفروع كما تمت ، الى أن الرجل ٢الاقوى على مستوى الحزب ما يزال بنحاس سابير السكرتير السابق ، وان كان هذا قد أعلن انه لن يرشح نفسه لمنصب رئاسة الحكومة ، وفهم المراقبون من ذلك أنه يفضل أن « يتوج » بدلا من أن يحكم .

وعلى صعيد مفاوضات يارنغ انتهى النقاش حولها كما هو معروف بارتصاص صفوف التيارات جميعها وراء قرار الحكومة بالعودة اليها، والمناورة ضمنها لانتزاع اقصى ما يمكن انتزاعه من مكاسب . وأما على صعيد تغيير نظام الانتخابات فنذكر القارىء بأن هذا كان احد المطالب الاساسية لحزب رافي سابقا، ومثل احدى النقاط الاساسية التي تركز حولها الجدل لما انفصلت مجموعة بن غوريون في عام ١٩٦٥ عن حزب المباي لتكون الحزب الجديد . ان هناك قرارا متخذا من الحزب بتغيير النظام الانتخابي من نظام نسبي الى نظام مناطقي — نسبي في آن واحد دون تحديد عدد المناطق وعدد النواب الواجب انتخابهم في كل منطقة ، وبالمقابل عدد النواب الواجب انتخابهم على اساس نسبي . ان النظام الانتخابي الاسرائيلي الحالي يقوم على اساس توزيع مقاعد الكنيست الاسرائيلية على القوائم الانتخابية وفقا للنسبة التي تحوزها كل قائمة من مجموع الاصوات على مستوى البلد ككل.

وتغيير نظام الانتخابات من نظام نسبي الى مناطقي يمكن ان يؤدي الى سقوط كثير من الاحزاب الصغيرة ، اذ يصبح من الارجح في هذه الحالة فوز المرشح الاقوى في كل منطقة ، مسقطا بفوزه مرشحي الاحزاب الصغيرة التي تصل الى الكنيست الان بحكم مجموع الاصوات التي تنالها في مختلف انحاء البلاد . وليس سرا ان زمرة قوية في حزب العمل ، لاسباب مختلفة ، ليست متحمسة لتغيير نظام الانتخابات ، وتؤجل بالتالي وضع برنامج اكثر تفصيلا بشأنه ، وان كانت لم تعترض على اجراء اتصالات مع الحزب الليبرالي ، شريك حيروت في كتلة جاحال ، بغية جس النبض للاتفاق على مشروع قانون يطرح في الكنيست لتعديل نظام الانتخابات ، حيث ان الحزب المذكور يدعو ايضا لنفس الفكرة .

وفي الوقت الذي يتجه فيه حزب العمل (مباي/ رافي/أحدوت هعفودا) وكتلة جاحال (حيروت/ الليبراليون) نحو مزيد من الوحدة ، بدت علائم التفكك تظهر على « القائمة الرسمية » ، وهي القائمة التي شكلها بن غوريون بعد عودة ابرز عناصر رافي (دايان — بيرس) الى حزب العمل ، متسببين بذلك في سقوطه كحزب مستقل . فقد قدم عضو الكنيست ، ابيزوهار ، رئيس القائمة والشخص الثاني فيها بعد بن غوريون ، استقالته من رئاسة القائمة في النصف الثاني من نوفمبر ١٩٧٠ ، معلنا ان الخلافات بين اعضائها لا يمكن

التوفيق بينها . واتهم ابيزوهار عضوي القائمة البارزين هوروفيتس وأ.هرئيل بأنهما يحاولان فرض آرائهما الشبيهة بآراء بيجن على القائمة بأكملها. ان القائمة لم تنشق رسميا بعد ، وقد اجتمعت سكرتاريتها بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٣ وأصدرت بيانا عبرت فيه عن استيائها من تصريحات ابيزوهار . ولكن المراقبين السياسيين يتنبؤون لها بالانشقاق بعد فترة ليست بالطويلة ، وبتوزع عناصرها على حزبي العمل وكتلة جاحال . وهي نبوءة كانت قد طرحت كاحتمال بعد اعتزال بن غوريون للحياة السياسية في أيار (مايو) من العام الماضي ، ويبدو أن التطورات داخل القائمة الرسمية تأتي لتعززها.

الدورة الشتوية الجديدة للكنيست السابعة : واثناء غياب غولدا مئير وأبا ايبن عن البلاد لحضور دورة الامم المتحدة افتتحت الكنيست السابعة دورتها الشتوية ، خلافا للعرف المتبع ، بنقاش حول شؤون مالية وقضائية روتينية بحضور سابير وزير المالية وشابيرا وزير العدلية .

وقد افتتح روبين بركات ، رئيس الكنيست ، الدورة بقوله : « خلافا للمألوف والمرغوب ، لا تفتتح الكنيست دورتها هذه المرة بنقاش سياسي ... » معبرا بذلك عن استيائه من خرق الحكومة لهذا العرف ، مبديا عدم اقتناعه بالحجة القائلة بأن السبب في ذلك يرجع الى غياب رئيسة الحكومة ، اذ كان ممكنا ان ينوب عنها ايغال ألون او موشيه دايان في ذلك . وربما كان السبب في مخالفة الحكومة لاعراف الكنيست رغبة الحكومة في تحاشي نقاش في الكنيست يمكن ان ينجم عنه احراج لرئيسة الحكومة ووزير الخارجية في المحفل الدولي.

ان قراءة سريعة لتقارير الصحافة عن جلسات الكنيست تظهر أن الدورة المعقودة ظلت طوال الفترة المستعرضة في هذا الباب باهتة وعادية .

وأبرز جلستين فيها ، من زاوية القارىء العربي، وربما الاسرائيلي ايضا ، كانت اولا جلسة ليل ١٩٧٠/١١/١٧ التي اعلنت فيها غولدا مئير انها لن تعود لمحادثات يارنغ الا اذا وجدت «ظروفا جديدة» تبرر العودة . وقد استمر النقاش في تلك الجلسة (٧) ساعات واعطتها حيويتها هجمات جاحال على سياسات الحكومة بشأن مفاوضات يارنغ . وثانيا جلسة ١٩٧٠/١٢/٢ التي ادلى فيها ايغال ألون ببيان حول سير الاستيطان . وقد ذكر ألون في بيانه ان الحكومة وافقت مؤخرا على اقامة اربع مستوطنات جديدة ، وبناء مستوطن شبه مديني... وانه تمت مصادرة (١١٤٤٠٠) دونم في القدس العربية لبناء مساكن جديدة .

وعقب البيان نهض بيجن ليتهم الحكومة بالتباطؤ ويكرر الدعوة لانشاء مدن يهودية في جميع انحاء المناطق المحتلة . وتساءل : لماذا تسمح الحكومة باستيطان الخليل ولا تسمح باستيطان غيره ؟

وفي معرض رد ألون على زعيم المعارضة الاسرائيلية ذكر أنه قد تمت اقامة (٢٨) مستوطنة « ذات أهمية أمنية وقومية من الدرجة الاولى » في المناطق المحتلة منذ حرب حزيران . وانه اضافة للخطوات المذكورة اعلاه شرعت الحكومة باقامة الضاحية اليهودية في الخليل . وأكد ان الحكومة ما زالت عند تعهدها بالاستمرار في الاستيطان المحدود في جميع أنحاء المناطق . ولم ينس أن يذكر أن المابام، رغم تحفظه تجاه سياسة الاستيطان ، قد وقع على الخطوط الموجهة لسياسة الحكومة . ويذكر مراسل معريف (١٩٧٠/١٢/٣) انه « رغم حساسية الموضوع جرى النقاش بين ألون وبيجن بهدوء ... وتبادل الاثنان الابتسامات أكثر من مرة » .

أ. خ.

---

(٢) الاقتصاد الاسرائيلي

مضى على وقف اطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل والهدوء الذي ساد باقي الجبهات العربية ما يزيد على الستة أشهر . وقد كان من المتوقع أن يترك هذا الوضع الجديد أثره على النشاط الاقتصادي في اسرائيل سواء في القطاع الخاص ام القطاع العام. وخلال هذه الفترة توقعت كثير من الاوساط والهيئات الاقتصادية في اسرائيل ان تظهر بوادر التغيير من خلال الميزانية العامة للحكومة للعام الحالي ٧٢/١٩٧١ والتي ظهرت ملامحها في الصحف الاسرائيلية في منتصف تشرين الثاني عام ١٩٧٠ . ولا شك ان الميزانية الاسرائيلية تعتبر من أهم المؤشرات التي تعكس عملية توزيع

الموارد الاقتصادية في اسرائيل نتيجة للدور الكبير الذي تلعبه الحكومة في التأثير على مستوى النشاط الاقتصادي سواء من جانب النفقات او من جانب الواردات . فالنفقات العسكرية والانشائية هي المحرك الاساسي لجمل النشاط الاقتصادي وتؤثر تأثيرا كبيرا على مستويات الدخل والاسعار والعمالة كما ان الضرائب والقروض من ناحية الواردات تؤثر على كل من حوافز الانتاج وعلى حجم الدخل المتبقي في حوزة الجمهور .

١ - الميزانية العامة للسنة المالية ١٩٧١/٧٢ :
عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعا استثنائيا في اليوم الاول من كانون الاول ١٩٧٠ لاقرار الميزانية العامة للسنة المالية ١٩٧١/٧٢ . وقد بلغت جملة الميزانية (١٣٢٣٠٠) مليون ليرة اسرائيلية أي ما يساوي ٣٫٨ بليون دولار . وتمثل هذه الميزانية زيادة قدرها (٢٢٠٠) مليون ليرة اسرائيلية أي ما يوازي ٢٠٪ زيادة عن الموازنة السابقة .

وخلافا لما توقعه الكثير من المراقبين فانه لم يطرأ أي تغيير على حجم موازنة الدفاع اذ بقيت في حدود (٥٤٠٠) مليون ليرة اسرائيلية حيث لا تزال تمثل ٤٠٪ من مجمل الميزانية كما لم يلحظ اي تغيير يذكر على مخصصات الابواب الثابتة مثل الاجور والرواتب والمصاريف الادارية . وفي رأي مصادر وزارة المالية الاسرائيلية ان الحكومة راعت خمسة امور في الميزانية الجديدة :

أ - الامتناع عن ادخال اي زيادة اضافية على معدل الضريبة بعد ان وصلت الى اعلى مستوى لها منذ عشرين عاما والتي اصبحت تهدد حوافز الانتاج الخاص بأوخم العواقب .

ب - محاولة الحفاظ على مستوى ثابت للاسعار حتى لا تمتص الزيادة في مستوى الاسعار اية زيادة حقيقية في الانتاج .

ج - اقناع نقابات العمال الممثلة « بالهستدروت » بعدم المطالبة بزيادة في مستوى الاجور حتى لا تفقد الصناعات الاسرائيلية قدرتها على المنافسة في الاسواق العالمية .

د - زيادة مخصصات التثمير في قطاعات الزراعة والصناعة والسكن بعد ان هبطت في السنوات الثلاث الاخيرة حتى يستطيع الاقتصاد الاسرائيلي ان يحافظ على معدل مرتفع للنمو الاقتصادي بعد الانخفاض في حجم النفقات العسكرية الفعلية .

هـ - الاتجاه نحو مصادر التمويل الداخلي على شكل قروض داخلية من الجمهور والتخفيف قدر الامكان من اللجوء لمصادر التمويل الخارجي لتخفيف العبء على ميزان المدفوعات .

واذا ما استمر الوضع على ما هو عليه حاليا على الجبهات العربية واذا ما تمدد وقف اطلاق النار بعد الخامس من شباط فمن المتوقع ان تحقق الميزانية الاسرائيلية وفرا في مخصصات الدفاع . فالمعروف ان أرقام الميزانية تقديرية وان المؤشر الاكثر اهمية هو المبالغ المنصرفة فعلا على كل بند من بنود الميزانية .

وقد يبدو غريبا ان تبادر الحكومة الاسرائيلية الى تخصيص نفس النسبة من الميزانية لامور التسلح والنفقات العسكرية من الميزانية الجديدة رغم توقف اطلاق النار واحتمال عدم تجدد القتال لمدة اخرى على الجبهات العربية . والواقع ان هذا الاتجاه لم يفاجيء كثيرا من المراقبين .

ان تخصيص نفس النسبة لمخصصات الدفاع في الميزانية الجديدة رغم حالة وقف اطلاق النار يهدف الى تحقيق جملة اغراض سياسية واقتصادية ونفسانية في داخل اسرائيل وخارجها يمكن تلخيصها بما يلي :

اولا : الاستمرار في وضع المواطن الاسرائيلي في حالة تأهب نفسي حتى يظل راضيا عن التضحيات المادية التي لا يزال يتحملها .

ثانيا : اشعار دول المواجهة وخصوصا الجمهورية العربية المتحدة بأن اسرائيل مستعدة لمجابهة عسكرية جديدة اذا اقتضى الامر في حالة عدم تجديد وقف اطلاق النار في ٥ فبراير (شباط) .

ثالثا : الضغط على نقابات العمال في اسرائيل (الهستدروت) لكي تستمر في التقيد باتفاقية الاجور الموقعة بين الحكومة والهستدروت والتي تنص على عدم مطالبة العمال بزيادات جديدة في الاجور . وهذا الاجراء احترازي ويحمي الاقتصاد الاسرائيلي من اية بوادر تضخمية لا يريد تحملها في هذه الظروف .

رابعا : تجنب وقوع الاقتصاد الاسرائيلي في حالة من الركود الاقتصادي المؤقت الذي يرافق عادة تحول الموارد الاقتصادية من تمويل النفقات العسكرية الى تمويل اوجه النشاط الاقتصادي المدني خصوصا وأن الصناعات الحربية أصبحت المحرك الرئيسي لقطاع الصناعة في اسرائيل .

خامسا : الاستمرار في جباية الاموال من الجاليات اليهودية في العالم عن طريق استنفارها واقناعها بأن حالة الحرب لا تزال قائمة .

وفي مقابلة اذاعية مع المستشار الاقتصادي لوزارة الدفاع الاسرائيلية أكد «يسحاق زوسمان» ان وقف اطلاق النار لن يؤثر على حجم النفقات العسكرية على أساس تعويض المعدات والذخيرة التي فقدتها اسرائيل اثناء المعارك التي جرت على جبهة قناة السويس في العام الماضي .

٢ ــ الميزان التجاري وميزان المدفوعات : تؤكد التقديرات الاولية أن العجز المرتقب في الميزان التجاري الاسرائيلي سيكون في حدود (١٤٥٠) مليون ليرة اسرائيلية أي ما يوازي ٤١٦ مليون دولار علما بأن العجز الحاصل في ميزان المدفوعات لعام ١٩٧٠ سجل رقما قياسيا لم يبلغه من قبل ، اذ وصل الى ١٣٠٠ مليون دولار . (الميزان التجاري هو حصيلة الفرق بين الواردات والصادرات في حين ان ميزان المدفوعات يشمل بالاضافة الى الميزان التجاري الخدمات وانتقال رؤوس الاموال والمساعدات وغيرها) .

والتقديرات الحالية تشير الى أن حجم الاستيراد سيرتفع من ٧٠٠ مليون دولار الى ٨٢٦ مليون دولار أي بزيادة ١٨٪ ، في حين ان الصادرات سترتفع من ٣٥٠ مليون دولار الى ٤١٠ ملايين دولار اي بزيادة قدرها ١٧٪ .

وقد دعا « سابير » وزير المالية الصناعيين الى زيادة صادراتهم وتنمية الصناعات التقنية وكذلك تنمية الصناعات التي تعمل للجهد الحربي .

ونتيجة للعجز الحاصل في ميزان المدفوعات فقد انخفض احتياطي اسرائيل من العملات الاجنبية الى ٤٢٠ مليون دولار . والمعروف أن ديون اسرائيل الخارجية وصلت الى ٢٨٠٠ مليون دولار وان حجم الفوائد التي ستدفع لهذه القروض سيبلغ ١٨٠ مليون دولار خلال ١٩٧١ .

وفي تصريح للمدير العام لوزارة المالية الاسرائيلية اثناء تقديمه الميزانية الجديدة لرجال الصحافة أعلن ان مستوى الضرائب سيظل على حاله ، والمعروف ان معدلات الضريبة تصل الى ٤٠٪ على دخل الافراد ذوي الشرائح العالية للدخل وان كل اسرة اسرائيلية تدفع سنويا ضرائب تصل في المتوسط الى ٦٨٥ جنيها اسرائيليا .

٣ ــ التحديات التي تواجه الاقتصاد الاسرائيلي : لا تزال مشكلة الارتفاع في مستوى الاجور العقبة في وجه زيادة حقيقية في مستوى الانتاج . وقد طالب محافظ بنك اسرائيل المركزي الوقوف بحزم في وجه زيادة الاجور وقال « ان نجاح سياسة اسرائيل الاقتصادية او فشلها يتوقف على تجميد الاجور على مستواها الحالي » . واضاف « ان احتياطي اسرائيل من النقد الاجنبي لا يعود الى تحسن ميزان مدفوعاتها بل يرجع فقط الى تدفق التبرعات والقروض من الخارج والتي بلغت ٥٠٠ مليون دولار خلال عام ١٩٧٠ » . والمشكلة الثانية هي ارتفاع مستوى الاسعار للسلع الاستهلاكية وهذه المشكلة مرتبطة بارتفاع الاجور على اساس ان ارتفاع اسعار السلع الاستهلاكية يدفع « الهستدروت » الى المطالبة بزيادة الاجور . وبعد ان استطاعت السلطات الاسرائيلية التحكم بمستوى الاسعار مدة ثلاثة أعوام عادت الاسعار الى الارتفاع بشكل ملحوظ خلال عام ١٩٧٠ حيث ارتفعت بنسبة تتراوح بين ١٠ ــ ١٢٪ نتيجة لفرض ضرائب غير مباشرة على كثير من السلع الاستهلاكية والى الزيادة الكبيرة في حجم الانفاق العام .

وحيث ان الزيادة المتحققة في الناتج الوطني كانت في حدود ٩٪ خلال العام ١٩٧٠ فان ذلك يعني ان الاقتصاد الاسرائيلي لم يحقق اية زيادة حقيقية في حجم الناتج الوطني خلال العام المشار اليه .

والملاحظ في هذا الصدد ان السياسة الاقتصادية الحالية هدفها تعبئة الموارد البشرية عن طريق تحقيق مستوى مرتفع للعمالة لكي تتجنب المشاكل الاجتماعية التي تخلقها حالة البطالة .

٤ ــ هل من تخفيض جديد ؟ لا تزال الاوساط الاقتصادية الاسرائيلية تتحدث عن امكانية اضطرار الحكومة الاسرائيلية الى تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية مرة إخرى اذا فشلت الحكومة هذا العام في ضبط العجز في ميزان المدفوعات في نطاق معقول . وتحاول الحكومة الاسرائيلية تجنب هذا الاجراء نظرا للاثار التضخمية التي يتركها التخفيض بالنسبة لارتفاع الاجور واسعار السلع المستوردة من الخارج .

٥ ــ المناطق العربية المحتلة : لا تزال سياسة اسرائيل الاقتصادية بالنسبة للاراضي العربية المحتلة تهدف الى غرضين رئيسيين : الاول اجتذاب المزيد من اليد العاملة للعمل في قطاعي البناء والزراعة للتخفيف من مشكلة النقص في اليد العاملة في اسرائيل نظرا لحالة التعبئة العسكرية ولانخفاض مستوى اجور العمال العرب بالمقارنة للعمال الاسرائيليين . ويتوقف مدى نجاح الخطة الاسرائيلية لزيادة التثميرات الموجهة صوب قطاعي البناء والزراعة على اجتذاب المزيد من اليد العاملة

العربية للعمل في اسرائيل والتي تقدر الان بـ ٤٠ الفا اي ما يساوي ٤ ٪ من مجموع القوى العاملة في اسرائيل .
ثانيا جعل الضفة الغربية وغزة مجالا حيويا للتجهيزات الزراعية والبضائع الاستهلاكية المنتجة في اسرائيل . وتدل آخر الاحصائيات المنشورة في نهاية ديسمبر عام ١٩٧٠ ان ٨٠٪ من واردات الضفة الغربية تأتي من اسرائيل ، في حين ان المناطق العربية المحتلة لا تصدر الى اسرائيل أكثر من ٤٠٪ من صادراتها .
وتأمل اسرائيل في النهاية ان تكون الاراضي العربية المحتلة الجسر الاقتصادي الذي ستعبر من طريقه الى الاسواق العربية في البلدان العربية المجاورة.

يوسف شبل

---

(٣) المقاومة الفلسطينية

هل يمكن القول ان معركة أيلول في الاردن قد انتهت ؟ ان أشد المراقبين تفاؤلا لا يستطيع المغامرة برأي من هذا النوع. فمنذ أن أعلن اتفاق القاهرة، ومنذ ان تشكلت اللجنة العربية برئاسة الباهي الادغم ، والاردن يعيش في حالة غليان ، هي استمرار طبيعي لمعركة أيلول . والمعركة المستمرة هذه، تسير في اتجاهين متناقضين ، اتجاه «داخلي» تعكف فيه حركة المقاومة الفلسطينية ، في مؤسسات الوحدة الوطنية ، وداخل صفوف كل فصيل فدائي، على القيام بعملية مراجعة لكل سياساتها الماضية، للخروج من عملية المراجعة هذه بتصور سياسي وعسكري جديد ، ينسجم مع نتائج معركة أيلول . واتجاه « خارجي » تخوض فيه حركة المقاومة سلسلة من الصراعات العسكرية الصغيرة والمتلاحقة ، مع النظام الاردني . وفي بعض الاحيان يتداخل الاتجاهان ، حتى يصبح من الصعب على المراقب البعيد أن يفصل بينهما ، فتقع أخطاء واضحة في التقييم .
وسنحاول هنا أن نبرز أهم التطورات على الصعيدين الداخلي والخارجي اللذين ذكرناهما .
١ ــ الحوار الفلسطيني الداخلي : في بداية الشهر الماضي ، ويوم ٧٠/١٢/٣ بالتحديد ، عقدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية اول اجتماع رسمي كامل لها منذ توقف القتال . وكان من المفروض سلفا ان تكون لهذا الاجتماع اهمية خاصة، فهو الاجتماع الذي سيقرر الخط السياسي لحركة المقاومة ، على ضوء نتائج المعركة ، وهو الاجتماع الذي يعقد بعد أن قامت كافة فصائل المقاومة بعقد سلسلة من المؤتمرات الداخلية بلورت فيها وجهات نظرها ، في ظرف سياسي ، يعتبر من أعقد الظروف التي واجهت العمل الفدائي حتى الان ، وهو ايضا الاجتماع الذي يعقد بعد أن قام السيد ياسر عرفات بجولة عربية واسعة لاستطلاع وجهات النظر الرسمية .
وقد أعلنت نتيجة لهذا الاجتماع بعض القرارات المتعلقة بالتوحيد العسكري ، ولكن لم ينشر بعد شيء رسمي عن طبيعة المناقشات التي دارت واتجاهاتها السياسية ، باستثناء بعض التصريحات الصحفية العامة ، ومع ذلك يمكن رصد بعض الاتجاهات الاساسية التي تفاعلت اثناء المناقشات.
لقد تقدم اكثر من فصيل فدائي ، بمذكرات رسمية لاجتماع اللجنة المركزية، يشرح فيها تحليله لمعركة أيلول ، ويقترح حلولا للعمل الفلسطيني الموحد حتى يكون قادرا على مواجهة الظروف الجديدة ، والمحافظة على بقاء حركة المقاومة واستمرارها .
والفصائل التي قدمت مذكرات رسمية هي (الجبهة الشعبية الديمقراطية ــ الجبهة الشعبية ــ جيش التحرير الفلسطيني ــ الجبهة الشعبية : القيادة العامة ــ قوات الانصار (فصيل مراقب) ــ المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين) بالاضافة الى مذكرتين قدمهما المستقلون في اللجنة المركزية ، مذكرة قدمها السيد ابراهيم بكر ، ومذكرة اخرى قدمها عبدالخالق يغمور ، ويحيى حموده رئيس المجلس الوطني الفلسطيني .
ويمكن استخلاص تيارين سياسيين رئيسيين من خلال كل هذه المذكرات :
التيار الاول : يركز اهتمامه على العلاقات الداخلية بين فصائل حركة المقاومة ، داعيا الى الاندفاع خطوة كبيرة على طريق التوحيد ، وخاصة توحيد القوات العسكرية .
والتيار الثاني : يركز اهتمامه على العلاقات بين الحركة الوطنية الفلسطينية ، وبين الحركة الوطنية الاردنية داعيا الى تعميق التحالف بينهما وتبني برنامج عمل اجتماعي مشترك معتبرا ان ذلك هو

المدخل الطبيعي لمواجهة حملة النظام الاردني المستمرة لضرب العمل الفدائي .

وتوضيحا لهذين التيارين في الحوار ، نقتطف بعض النصوص التي وردت في المذكرات المقدمة . فقد جاء في مذكرة جيش التحرير الفلسطيني ، تجسيدا للتيار الاول « ان المرحلة الراهنة التي تواجهها القضية الفلسطينية ، ويتعرض لها الشعب العربي الفلسطيني ، وتمر بها المنطقة العربية بأسرها ، لم تعد تسمح بأي شكل من الاشكال بالابقاء على تعدد المنظمات في ساحة العمل الفلسطيني على النحو القائم حتى الان . وان مرحلة التحرر الوطني التي يعيشها شعبنا لا تجيز استمرار اي تناقضات بين ابناء فلسطين بعد الان . وان جدية الموقف ، وخطورة النتائج ، وامانة العمل ، وتقدير المسؤولية ، تحتم كلها توحيد العمل الفلسطيني توحيدا حقيقيا ، وقيام قيادة جماعية ، تأخذ على عاتقها المضي بالمسيرة الفلسطينية الى هدفها الصحيح » .

وجاء في مذكرة الجبهة الشعبية الديمقراطية ، تجسيدا للتيار الثاني « ان النضال من اجل تحقيق المهام الوطنية المطروحة على شعبنا لا يمكن ان ينفصل عن العمل على بناء القاعدة الوطنية الصلبة في الضفة الشرقية ، وعن تحقيق أفضل الشروط من أجل رفع مستوى معيشة اوسع قطاعات الشعب ، لان الشعب الذي يحرم من أبسط حقوقه الوطنية الديمقراطية ، لا يكون بالتالي مستعدا لمجابهة أعداء وطنه » ونتيجة لهذا الفهم دعت الجبهة الى ان « تتشكل في الضفة الشرقية للاردن على امتداد الساحة الفلسطينية — الاردنية جبهة لكافة القوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية ، من فصائل المقاومة ، والاحزاب السياسية ، والنقابات والاتحادات المهنية ، والشخصيات الوطنية » .

الاتجاه الاول كانت تدفع باتجاهه حركة فتح ، وجيش التحرير ، والمنظمات الصغيرة ، والمستقلون . والاتجاه الثاني كانت تدفع باتجاهه الجبهة الديمقراطية ، والجبهة الشعبية ، والصاعقة .

وتفيد المعلومات المتوفرة ، ان اغلب النقاش الذي دار ، تركز حول افكار التيار الثاني الذي تحدثنا عنه ، والذي كان يدعو الى :

أ — انشاء جبهة وطنية فلسطينية — اردنية واحدة .

ب — ان يكون لهذه الجبهة برنامج اجتماعي « وطني ديمقراطي » مشترك .

ومن السهل ان نتصور — بناء على خلفية المنظمات الفكرية — طبيعة النقاش الذي دار بين اصحاب الموقفين . والذي اسفر عن حل وسط عبر صيغة مشتركة جاءت على الشكل التالي : « التأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني الاردني ، ووحدة الساحة الفلسطينية — الاردنية ، والعمل على بلورة هذه الوحدة ضمن صيغة عملية تجسد العلاقات بين الحركة الوطنية الاردنية والثورة الفلسطينية ، وتنفيذ مقررات المجلس الوطني الاستثنائي في هذا الخصوص ، وتعزيز وحدة الشعب في الاردن ، ومحاربة كل أشكال التفرقة الاقليمية في الاردن » .

ان هذه الصيغة تدعو الى « التحالف » مع الحركة الوطنية الاردنية ، وترفض فكرة الدمج وتشكيل عمل موحد ، وفي نطاق التحالف ، فان طرح برنامج اجتماعي « وطني ديمقراطي » يصبح من مهمة الحركة الوطنية الاردنية فقط .

وحين انتهى النقاش حول هذه النقطة ، برزت الى المقدمة القضية الاخرى الرئيسية ، قضية الوحدة الوطنية ، وخاصة في الاطار العسكري . وهنا نستطيع تسجيل الملاحظات التالية :

١ — ان كافة الفصائل الفدائية ، كانت شديدة الحماس لتشكيل وحدة عسكرية كاملة .

٢ — ابدت كافة الفصائل استعدادها للالتزام بكل قرارات اللجنة المركزية .

٣ — كانت كافة الفصائل متفقة ، على ان تبقى « الحياة الداخلية » لكل تنظيم مستقلة تماما ، من حيث التثقيف ، والتوسع التنظيمي ... الخ .

٤ — أدت الموافقة على الالتزام بقرارات اللجنة المركزية ، تلقائيا ، الى الموافقة على توحيد الاعلام المرتبط بكل تنظيم ضمن خطوط اللجنة المركزية .

كانت هذه النقاط تلخص جو الحوار حول موضوع الوحدة الوطنية ، وهي ظاهرة تبرز بهذا الشكل لاول مرة في تاريخ حوار الوحدة الوطنية بين الفصائل الفدائية . ولاول مرة أيضا ، وقف تنظيم فدائي ، لرايه وزن مرموق ، يطالب بالتمهل في تحقيق الوحدة العسكرية الكاملة ، داعيا ان تتم هذه الوحدة على مراحل . لذلك من المهم هنا أن نقول ان صيغة الوحدة العسكرية التي اتفق عليها ، قد أبقت مرحليا على قيادات المنظمات العسكرية .

هنا ... من المهم أن نطرح سؤالا حساسا : لماذا تحل فجأة عقد الحوار بين المنظمات الفدائية حول الوحدة الوطنية ؟ بعض القوى الفلسطينية تميل لارجاع هذه الظاهرة ، الى الاحساس بالخطر .

ولكن هذا التفسير يبسط الامور اكثر من اللازم ، اذ ان التفسير المنطقي لهذه الظاهرة ، يرجع الى الاسئلة السياسية التي طرحتها معركة أيلول .

ان لكل مرحلة من مراحل العمل الفلسطيني اسئلته السياسية ، وسابقا كان الخلاف الفلسطيني ، والحوار الناشىء عنه ، يتركز حول منهج العمل لتحرير فلسطين : هل هو منهج فلسطيني بحت ، أم هو منهج فلسطيني — عربي . واذا كان للجماهير العربية دور فيه، فهل يتم ذلك من خلال «المساندة» أم على أساس التخطيط والعمل المشترك ضمن نطاق الاوضاع العربيـــة ذات المساس بالقضيـــة الفلسطينية . وكان هذا الحوار يستدعي ، أن يحتفظ كل فصيل باستقلاله الكامل ، حتى يتمكن من نشر وجهات نظـره ، وكان اساس كل لقاءات الوحدة الوطنية ، أن يبقى لكل تنظيم هذا الحق .

حاليا ، وعلى ضوء معركة أيلول ، طرأ تغير كبير على الاسئلة السياسية المطروحـــة على العمل الفدائي في الاردن . لم تلغ الاسئلة السابقة ، ولكن أسئلة أخرى برزت الـــى المقدمة . وهذه الاسئلة هي :

١ — هل من الممكن الاستمـــرار في التعايش مع النظام الاردني بعد أن قام بمعركة أيلول ، وبعد أن جاء بوصفي التل الى رئاسة الوزارة ، وبعد استمراره بالاجراءات العسكرية في أكثر من منطقة بالاردن ؟

٢ — اذا كان التعايش قد أصبح عملية صعبة ، فكيف نواجه عملية التحدي الجديدة التي يفرضها النظام الاردني على العمل الفلسطيني ؟ هل يكفي تنظيم الجماهير وتسليحها وتوجيهها باتجاه اسرائيل، أم ان مهمة الدفاع عـــن النفس تستدعي طـــرح شعارات أخرى أمام الجماهير تجري التعبئة على أساسها ؟.

٣ — اذا أصر النظام الاردني على الاستمرار في عملية التحدي ، هل تكون مواجهته بأسلوب معركة ايلول (الصمود في المواقع الثابتة) أم ان هناك أساليب أخرى في العمل تساعـــد اكثر في حماية العمل الفدائي ؟

٤ — حين يتابع النظام الاردني عملية التفريق بين الفلسطينيين والاردنيين فهل يكفي شعار «التحرير» للقضاء على هذه التفرقة ، ام أن التعامل بقضايا الجماهير الاردنية اليومية هو السبيل الى ذلك ؟

٥ — اذ كان شعار « التحرير » لا يكفي لمواجهة عملية التفرقة الاقليمية ، فمن هي الجهة التـــي ستتولى مسؤولية ذلك . هل هي الحركة الوطنية الفلسطينية ، ام الحركة الوطنية الاردنية ؟

٦ — ما هو نمط العلاقات الذي يجب أن يقوم بين الحركتين ، بحيث يكون نمط هذه العلاقات قادرا على مواجهة التحدي القائم ؟

ان هذه الاسئلة السياسية الجديدة ، هي التي دفعت المنظمات — بوعي أو بدون وعي — الى أن توافق على كثير مما كانت تتحفظ عليه في السابق ، مدركة بدرجات متفاوتة من الوعي ، طبيعة التغير الذي طرأ بعد معركة أيلول .

وحين نحـــاول أن نقيم نتائج اجتماعات اللجنة المركزية ، فان عملية التقييم يجب ان تتم من خلال تقصي نمط الاجابات الذي قدم على الاسئلة المذكورة اعلاه ، دون ان نقع في خطأ التقليل مـــن قيمة التوحيد في اجهزة حركة المقاومة .

ثمة نقطة أخرى هامة برزت في اجتماعـــات اللجنة المركزية ، واوكل لامانة السر التـــي تشكلت من تسعة أعضاء مهمة البحث فيهـــا ، وهي النقطة المتعلقة بمؤسســات منظمة التحرير الرئيسية ، أي تركيب المجلس الوطني ، وتركيب اللجنة المركزية. فهناك احساس عام بأن تغييرا جوهريا لا بد أن يطرأ على شكل هاتين المؤسستين وعلى مضمونهما. ومن الطبيعي اذا ما تبلور رأي حول هذا الموضوع أن يطرح للبحث والاقرار في المجلس الوطني الثامن الذي لا بد ان يعقد في فترة قريبة ، حسب ما ينص النظام الداخلي للمجلس (دورة كل ستة اشهر).

٢ — الاشتباكات العسكرية في الاردن: منذ أن أعلن اتفاق القاهرة ، وتم وقف اطلاق النار رسميا ، والاردن يواجه حالة مضطربة ، تتوالى فيهـــا حوادث العنف ، والاشتباكات المسلحة . وليس من المهم ازاء موقف من هذا النوع أن نتحرى الجهة المسؤولة عن بدء كل اشتباك على حده ، لان هذا المدخل لبحث الموقف يجر أي مراقب الـــى دوامة التفاصيل التي لا تنتهي ، والتي لا يمكن بناء عليها الخروج بأية نتيجة . وقد غرقت اللجنة العربية لفترة من الزمن في دوامة التفاصيل هذه ، فكانت تنتقل الى موقع كل اشتباك ، وتحقق فيه ، وتجد نفسها أمام تقارير متناقضة تجعلها عاجزة عن اداء مهمتها بشكل صحيح وفعال ، بحيث شعرت اللجنة العربية نفسها أنها مضطرة للعودة الى المنطلقات الاولى لاتفاقي القاهرة وعمان ، ومناقشة أسسهما مع رجال النظام الاردني وقادة حركة المقاومة . ولذلك فقد حاول السيد الباهي الادغم ، حين عاد

مؤخرا الى عمان ، بناء على طلب من اللجنة المركزية ، أن يركز البحث على هذا الموضوع ، وأن يضع اجابات له في الاتفاق الجديد الذي تم التوصل اليه يوم ٧٠/١٢/١٤ .

والان ... ما هي ظواهر حالة التوتر في الاردن ؟

ان اتفاق القاهرة ينص على مبدأ وجود العمل الفدائي في الاردن ، وعلى حرية تنقل المقاتلين في كافة انحاء الاردن . ومن جهة اخرى فان الاتفاق ينص على حق الحكومة الاردنية في الاشراف على موضوع الامن الداخلي . ولكن الذي يجري لا يعبر عن هذه النصوص ، بقدر ما يعبر عن توازن القوى . فالسلطة الاردنية تتصرف على اساس منع أي تواجد فدائي في المناطق والمدن التي سيطرت عليها كليا أثناء معارك أيلول . كذلك منع اي عودة فدائية اليها . ونذكر على سبيل المثال الوقائع التالية :

١ — قامت السلطة الاردنية ، في مدينتي الزرقاء والكرك ، بعملية تمشيط للمدينتين ، بحثا عن سلاح عناصر الميليشيا ، فصادرت السلاح ، واعتقلت أصحابه ، بقصد فرض السيطرة الرسمية عليها نهائيا .

٢ — أما في أحياء عمان التي تسيطر عليها السلطة (جبل الحسين — جبل اللويبدة — جبل عمان) ، فانها تمنع حتى تنقل الفدائيين فيها في ساعات الليل ، وتحتجز كل سيارة فدائية تمر ، بالرغم من اوراق اللجنة المركزية الرسمية التي تحملها .

ان سياسة السلطة الاردنية في هذه المناطق تقوم على الاساس التالي (منع عودة العمل الفدائي لاي منطقة سيطر عليها الجيش اثناء معارك أيلول) . وبسبب ذلك يضم ملف اللجنة العربية ، كثيرا من الشكاوى حول رفض السلطة الاردنية الاعتراف بالوثائق الرسمية الصادرة عن اللجنة المركزية ، رغم ان اتفاقيات عمان تنص على ذلك صراحة .

بالمقابل ترد حركة المقاومة على موقف السلطة الاردنية بالمثل ، في محاولة للضغط من اجل تنفيذ الاتفاقيات بكامل نصوصها، فتحاول جهدها الاحتفاظ بمواقع نفوذها كاملة . ولذلك فهي تمنع دخول السلطة الاردنية الى الاحياء التي تسيطر عليها في مدينة عمان ، (مثل جبل الاشرفية والتاج والجوفة) . وتنفيذا لهذه السياسة أغلقت مخفرا للشرطة أقامته الشرطة الاردنية في حي المريخ الذي يعتبر أحد مداخل جبل الاشرفية ، وهددت بضرب كل مخفر من المخافر الستة التي قررت السلطة انشاءها في جبل الاشرفية .

ظاهريا يمكن القول — وهذا ما حدث فعلا — أن حركة المقاومة تعرقل تنفيذ بند من بنود اتفاق القاهرة يعطي للسلطة الاردنية حق الاشراف على موضوع الامن . ولكن تحت هذا المنطق الظاهري، قدمت حركة المقاومة ردودا وجيهة . وجاء في هذه الردود : ان حركة المقاومة لا تعرقل فتح أي مخفر للشرطة ، ولكن ما يجري عمليا هو وضع عدد قليل من رجال الشرطة داخل المخفر في الايام الاولى لفتحه ، ثم يعزز بعد ذلك بعدد كبير من الجنود الذين يرتدون لباس الشرطة ، والمزودين بأسلحة ثقيلة لا ضرورة لها لحفظ الامن ، فيصبح كل مخفر في هذه الحالة ثكنة عسكرية ، الهدف من ورائها واضح تماما . كذلك قالت حركة المقاومة ، أنه طوال السنوات الماضية اكتفت السلطة الاردنية بمخفر واحد لجبل الاشرفية، فلماذا تفكر الان بستة مخافر دفعة واحدة ؟

ان هذه الظواهر للاشتباكات العسكرية ، تبدو جزئية ومشتتة . ولكنها في النهاية تندرج ضمن نسق (عسكري — سياسي) واحد يهدف الى الاستمرار في تطويق العمل الفدائي تكميلا لمعارك أيلول . وبسبب جزئية الاحداث وتشتتها يصعب احيانا على المراقب أن يكتشف الخط العام الذي يجمعها. ولكن ما جرى في مدينة جرش يقدم نموذجا اكثر وضوحا عن الخط العام الذي تسير ضمنه اجراءات السلطة . لقد تطورت أحداث جرش على الشكل التالي :

١ — قامت السلطة الاردنية باحتلال (تلة عصفور) التي تشكل المدخل الغربي للمدينة .

٢ — احتلت السلطة الاردنية أيضا قرية رحاب التي تشكل المدخل الشرقي للمدينة .

٣ — وضعت السلطة الاردنية نقطة حراسة مشددة ومعززة على جسر سيل الزرقاء الذي يقع على الطريق بين عمان وجرش من جهة الجنوب .

٤ — كانت منذ معارك أيلول قد احتلت نقطة تقاطع الطرق المؤدية الى المفرق واربد من جهة الشمال.

وباحتلال هذه المواقع اصبحت مدينة جرش محاصرة من كافة جهاتها ، دون أن يقوم العمل الفدائي بأي تعرض لتحركات السلطة . وهنا انتقلت اجراءات السلطة الى داخل المدينة ، حسب نفس التكتيك السابق المتعلق بموضوع المخافر . فوضعت عددا قليلا من رجال الشرطة داخل المخفر ، وبعد أيام عززت قوة المخفر بستة عشر جنديا يرتدون لباس

رجال الامن ، وقامت أيضا بتعزيز الحراسات عند مبنى المقاطعة الذي يضم دوائر الحكومة ، ويشكل مبنى المخفر بالاضافة الى مبنى المقاطعة موقعين عسكريين يمكن منهما السيطرة على كثير من أحياء المدينة . هنا تدخلت حركة المقاومة وقامت باحتلال المخفر ، واخراج رجال الشرطة والجيش منه . فتحركت قوات السلطة من كافة مداخل المدينة وقامت باحتلالها ، بحجة الدفاع عن المخفر ، بينما هي في الواقع تستعد لهذا الهجوم منذ أن بدأت باحتلال المواقع التي ذكرناها. والامر الذي يؤسف له أن كثيرا من الصحف العربية ، ابرزت الموضوع، على انه موضوع مخفر المدينة فقط ، فنقلت بذلك صورة جزئية جدا أخفت معالم الموضوع الحقيقية . بعد جرش بدأت حركة المقاومة تتوقع هجوما أردنيا آخر باتجاه اربد ، خاصة وان اجراءات مماثلة جرى اتخاذها حول المدينة (ضرب القواعد المحيطة باربد بالمدفعية ، نشر لواء اردني على الحدود الفاصلة بين الاردن وسوريا) . ولكن قدوم الباهي الادغم ، ورد الفعل العربي (رسالة السادات — تصريحات القذافي) أوجد وضعا سياسيا يصعب معه الاستمرار في نفس السياسة . ولكن معطيات الامور تشير الى أن هذا التوقف مرهون بالوقت فقط ، ومن المتوقع جدا أن تبدأ معركة جديدة حول اربد ، حين تنتهي حدة المراقبة العربية للوضع . هذه الحالة من التوتر المستمر ، ولدت — كما قلنا — لدى اللجنة العربية ، احساسا بضرورة التوجه لوضع أسس لتنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان ، بعيدا عن الغرق في تفاصيل كل حادث . وقد قاد هذا الاسلوب في التفكير الى عقد اتفاقية جديدة ، وابرز ما في هذه الاتفاقية :

١ — جمع أسلحة الميليشيا ، وتخصيص أماكن معينة لها ، تتمتع بحصانة تامة .

٢ — جمع اسلحة المقاومة الشعبية التابعة للجيش بنفس الطريقة .

٣ — ازالة الصبغة العسكرية عن جميع مخافر الامن .

٤ — سحب لواء الامن من عمان (وهو اللواء الذي يستعمل كقوة عسكرية تحت ستار رجال الشرطة).

٥ — الغاء نقط التفتيش داخل العاصمة .

ونلاحظ ان موافقة الحكومة الاردنية على هذه النقاط تتضمن اعترافا واضحا بأنها كانت تنفذ فعلا التكتيك الذي شرحناه قبل قليل . وتطبيقا لذلك تم في اليوم التالي لتوقيع الاتفاق اغلاق مخفر في جبل الاشرفية وتم سحب افراد لواء الامن الذين يشغلونه ، وتم ايضا ابدال افراد لواء الامن الذين يشغلون مخفرا آخر في جبل الهاشمي بأفراد شرطة عاديين .

ان هذه الاجراءات لا تعني انهاء الاشتباكات (والوقائع كل يوم تؤكد ذلك) ولكنها تعطي صورة واقعية عن نمط العلاقات القائمة بين النظام والمقاومة ، وتعطي ايضا صورة عن وضع اللجنة العربية ، وعن أسلوب عملها ، في مهمة تكاد تبدو مستحيلة ، مهمة التوفيق بين النظام الاردني وبين حركة المقاومة بعد معارك ايلول .

تبقى قضية هامة في هذا السياق لا بد من الوقوف عندها ، قضية سحب سلاح الميليشيا ووضعه في أماكن تتمتع بالحصانة . لقد أثارت هذه القضية ، ولا زالت تثير جدلا واسعا فيأوساط حركة المقاومة، ذلك ان بقاء السلاح في أبدي عناصر الميليشيا ، هو الرمز المفهوم جماهيريا ، لبقاء المقاومة وقدرتها على حماية نفسها . ونظرا لحساسية القرار فقد عقدت أمانة سر اللجنة المركزية اجتماعا خاصة مع قيادة الميليشيا لشرح الخطوة لاعضائها واقناعهم بها ، ويبدو أن مهمة أمانة السر لم تكن سهلة ، لذلك دأبت امانة السر على القول أكثر من مرة ، ان السلاح لم ينزع من الميليشيا ، وان كل ما حصل هو تجميع هذا السلاح في مراكز معينة، وان توزيعه على الجميع حين يقتضي الامر ذلك سهل وميسور. وأن الهدف الاساسي من وراء ذلك هو التحكم بهذا السلاح ، حتى لا يكون استعماله عرضة للمواقف والتصرفات الفردية .

والجدير بالذكر ان موضوع الميليشيا كان قد طرح في مؤتمر القمة الذي عقد اثناء حوادث أيلول ، ولطلب الملك حسين سحب هذا السلاح،ولكن الوفد الفلسطيني برئاسة السيد ياسر عرفات رفض ذلك مؤكدا أن السلطة الاردنية تملك «المقاومةالشعبية» ولا يمكن سحب سلاح الميليشيا مع وجود المقاومة الشعبية . ويفسر هذا الموقف لماذا اشتملت الاتفاقية الاخيرة على بندين ، بند يتعلق بالميليشيا ، وبند اخر يتعلق بالمقاومة الشعبية .

٣ — العمل الفدائي في لبنان : عقب معركة ايلول مباشرة ، ترددت آراء في أوساط جماهيرية ، تتوقع أحداثا في لبنان على غرار أحداث الاردن . أما الاوساط القيادية الفلسطينية ، فلم تكن ميالة لهذه الاراء ، لانها لم تشهد وقائع من شأنها أن تدعمها. وقد بدا لفترة من الزمن ، أن ثمة شواهد على

امكان انفجار الوضع في لبنـــان ، لو أن القيادة الفلسطينية اتصالت وراء هـــذه الشواهد ، و تحاول أن تواجهها وان تضعها في نطاقها الصحيح، وتتلخص هذه الشواهد في موضوعين :

الاول : حدوث سلسلة عمليات اغتيال في لبنان ، رافقتها شائعات قوية تحاول أن تلصق هذه الاحداث بالعمل الفدائي . كنوع من التغطية عن الفاعلين الاصليين .

والثاني : قدوم عدد من عناصر المخـــابرات الاردنية الى بيروت ، وفسر قدومهم على أنه محاولة لاقناع المسؤولين اللبنانيين (وخاصة الجهات المعادية لمبدأ وجود العمل الفدائي) بضرورة متابعة معركة الاردن في لبنان ، مع استعدادهم لوضع خبـــراتهم تحت تصرف من يطلب ذلك . بينما قالت معلومات أخرى ان هذه العناصر جاءت الى لبنان لتنفيذ عمليات اغتيال لبعض القادة الفلسطينيين .

وقد أجرت اللجنـــة السياسيـــة العليا لشـــؤون الفلسطينيين في لبنان ، اتصالات على مستوى عال مع المسؤولين اللبنانيين ، وطرحت هذه القضايا معهم بوضوح في محاولة جادة لتخطيها . ويبدو أنها قد نجحت في مهمتها .

وبالاضافة الى هـــذه الاتصالات ، قامت بنشاط اعلامي يهدف تنبيه الجماهير الفلسطينية وقواعد المنظمات ، حتى لا تبقى نهبا للشائعات ، وجاء في بيان صادر عن اللجنة السياسية ان «رد القوى المعادية للثورة بدأت في الاسابيع القليلة الماضية محاولات متعددة لمد نشاطها الى الساحة اللبنانية، كما تأكدت من وصول عدد مـــن العناصر العميلة والمعروفة باتصالاتها الوطيدة بالدوائر الاستعمارية الى العاصمة اللبنانية ، وذلك تمهيدا لتحريك الاجواء المتوترة ، وخلق مناخ مضاد للثورة » .

ولاحظت اللجنة السياسية أن هناك محاولات «لخلق جو من التوتر بين فصائل المقاومة عن طريق شائعات خبيثةتستهدف هز الثقة العميقة بين هذه الفصائل». ودعت اللجنة السياسية الى تكريس «شعار التآخي الوثيق بين الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني » ولكنها نبهت الى وجود جهات لبنانية تحاول الاساءة للعمل الفدائي .

وردا على شائعات ربط الاغتيـــالات التي حدثت بالعمل الفدائي ، اصدرت اللجنة السياسية بيانا آخر اعلنت فيه « استنكارها ورفضها لاساليب الاغتيالات والتصفيات الجسدية التي لوحظ تكرارها في الفترة الاخيرة ، والتي تستهدف القاء الشكوك حول الحركات النضالية وتشويه سمعتها علـــى حساب المرتكبين الحقيقيين لهذه الجرائم » .

اما على صعيد الوضع الداخلي الفلسطيني في لبنان ، فقد حدثت بعض المشاكـــل التي طوقت بسرعة ، وعولجت بطريقة تؤدي الى تلافي بعض الاخطاء القائمة .

فقد حدثت اولا أزمة صغيرة بين جبهة النضال الشعبي وبين قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، حين قامت عناصر من جبهة النضال يوم ٧٠/١١/٢٦ بتطويق مبنى الكفاح المسلح بقصد اخراج عناصر من الجبهة كانت قد اعتقلت لارتكابها أخطاءادارية. وقد ادانت اللجنة السياسية هذا الموقف ، وجمدت عضوية الجبهة في لبنان ، وشكلت لجنة تحقيق للبت نهائيا بالامر . ثم عقد اجتماع آخر الغي فيه قرار التجميد بعد ان تعهد السيد بهجت ابو غربيـــه المسؤول الاول في جبهة النضال اتخاذ اجراءات كفيلة بمنع وقوع حوادث من هذا النوع .

وحدثت ثانيا ازمة اخرى بين الهيئة العاملـــة لتحرير فلسطين وقيادة الكفاح المسلح ، حين قامت عناصر من الهيئة العاملة بقتل فدائي من منظمة فتح يوم ١٩٧٠/١٢/٣١ . وخطورة هذا الحادث ان يكون قد تم بقرار من قيادة الهيئة العاملة ، ولكن مجرى التحقيق يشير الى أن الحادث فردي، وليست وراءه بالتالي أية عقلية تدعو لحل اي خلاف بين المنظمات عن طريق العنف .

وحدث ثالثا اعلان فتح اغـــلاق مكاتبهـــا فـــي مخيمات لبنان يوم ٣ ك٢ ١٩٧٠ وهو الاعلان الذي أبرزته الصحافة اللبنانية بشكل ملحوظ . والواقع ان هناك سابقتين لهذا القرار . السابقة الاولى تمت حين أعلنت اللجنة السياسية في اجتماع ترأسه السيد ياسر عرفات في بيروت ، اختصار مكاتب المنظمات في العاصمة اللبنانية الى مكتب واحـــد فقط . والسابقة الثانية تمت في الاردن على مرحلتين. في المرحلة الاولـــى وافقت اللجنة المركزية فـــي مفاوضاتها مع اللجنة العربية، ان تفتح المكاتب في الاردن باسم اللجنة المركزية فقط ، وان لا تكون هناك مكاتب مستقلة للمنظمات . وفي المرحلـــة الثانية أقرت اللجنة المركزية ان يجري تنفيذ القرارات التي تتخذ في عمان على كافة المناطق التي يتواجد فيها العمل الفدائي (سوريا — لبنان) . ولذلك فان موقف فتح هذا هو تطبيق لقرارات اللجنـــة المركزية التي ووفق عليها بالاجماع . ومن المقرر ان تصل قريبا الى بيروت لجنة خاصة من أمانة سر

اللجنة المركزية للاشراف على تنفيذ القرارات التي اتخذتها . وسيدخل ضمن ذلك ، تنظيم توزيع سلاح الميليشيا على غرار ما تم في الاردن .

٤ ـ النشاط الفدائي العسكري : من الواضح أن المشاكل الكبيرة التي واجهتها حركة المقاومة الفلسطينية في الفترة الماضية قد انعكست على نشاطها العسكري ضد اسرائيل بشكل ملحوظ . وهذا أمر طبيعي جدا فرضته الظروف التي دعت حركة المقاومة الى حشد كل قواتها العسكرية للدفاع عن وجودها في الاردن . وبما أن معركة ايلول وذيولها لا زالت قائمة حتى الان ، فمن الطبيعي كذلك ان تستمر حالة الهدوء العسكري على الحدود مع اسرائيل .

وقد حاولت حركة المقاومة جهدها أن يستمر العمل العسكري على نفس المنوال في الجولان وفي الجليل الاعلى ، وذلك بالرغم من ان جزءا كبيرا من القوات المتواجدة في هاتين المنطقتين نقل الى الاردن اثناء الاشتباكات . كذلك حاولت حركة المقاومة أن تزيد من نشاط خلاياها داخل الاراضي المحتلة .

واذا أخذنا فترة الشهر الواقعة بين الخامس من كانون الاول ، والخامس من كانون الثاني كمثال ، فاننا نجد هدوءا ملحوظا في منطقة الاغوار فقد تمت في هذه الفترة عمليتان فقط ، بينما نجد أن حوالي ٢٠ عملية تم تنفيذها في منطقتي الجليل الاعلى والجولان . وقد أدت هذه العمليات الى رد فعل اسرائيلي شديد ، اذ شنت اعتداءين كبيرين على لبنان في ٢٨ و٣٠ كانون الاول .

أما داخل الاراضي المحتلة فقد جرت اكثر من ١٥ عملية ، قامت بجزء بارز منها حركة فتح. وقد لوحظ ان فتح قامت بتنفيذ عمليات مدروسة في الذكرى السادسة لانطلاقتها (٦٥/١/١) .

اما في قطاع غزة فان ظواهر هامة وملفتة للنظر برزت في الاونة الاخيرة . فبالرغم من جو الارهاب القاسي الذي تفرضه السلطات الاسرائيلية ، لا تكتفي حركة المقاومة بالتعبير عن نفسها بالعمليات العسكرية التي تنظم بالخفاء ، بل هي تحاول تغذية النضال الجماهيري ، على غرار المظاهرة المسلحة التي قامت اثناء تشييع جنازة احد المسؤولين العسكريين في الجبهة الشعبية ، كذلك حالة التوتر الجماهيري التي سادت بعد اقالة رئيس بلدية غزة السيد راغب العلمي بسبب « سلوكه المعادي وفشله في التعاون مع الحكومة العسكرية» كما قال مسؤول اسرائيلي ، والتي أسفرت عن عدد من الهجمات العسكرية ، وعن محاولات لتنظيم مظاهرات قمعت بالقوة . وقد عبر قدوم « شلومو هليل » وزير الشرطة الى غزة لمراقبة الوضع ، عن حدة حالة التوتر ، وعن اهتمام المسؤولين الاسرائيليين بها .

ب. ح.

---

(٤) القضية الفلسطينية عربيا

يوم الخامس من كانون الثاني اعلن يو ثانت رسميا عودة مبعوثه الشخصي « غونار يارينغ » لاستئناف مهمته في الشرق الاوسط . وقد تقررت هذه العودة في جو سياسي حالك ، تكتنفه المناورات السياسية من كل جانب ، وتسيطر عليه ضغوط متبادلة تقوم بها الدول الكبرى ، في محاولات للتأثير على مجرى هذه المرحلة من المباحثات . وطابع التشدد الذي يرافق هذه المرحلة من مهمة يارينغ يبدو في الظاهر وكأنه يعود بالمحادثات الى بداياتها الاولى . ولكن كثيرا من المراقبين يميلون الى القول بأن كل هذا الذي يجري هو جزء من لعبة المفاوضات ، سواء من زاوية التشدد حتى يمكن الوصول الى نقطة التراجع المقررة سلفا ، او من زاوية اتعاب الخصم حتى يصل الى مرحلة الادراك بأن لعبة شد الحبل قد انتهت .

وقد لا يكون هذا التبسيط مناسبا بالنسبة لقضية معقدة ومتشابكة مثل القضية الفلسطينية ، اذ نجد الى جانب التعارض العربي ـ الاسرائيلي في المواقف تعارضا دوليا آخر يجعل الصراع المحلي جزءا من صراع الدول الكبرى يذكر الى حد بعيد بأجواء سياسة الحرب الباردة . فهل يستطيع « غونار يارينغ » أن يكتشف الخط الفاصل بين الحرب الباردة والحرب الحارة، بين الموقف المناور والموقف الحقيقي ، لينفذ من خلال كل ذلك الى نقطة الالتقاء حول تفسيرات قرار مجلس الامن ، التي كاد القرار نفسه يضيع تحت انقاضها ؟. ان الاجابة على هذا السؤال تقتضي وقفة أمام وجهات نظر الاطراف الاساسية الموافقة على القرار، في محاولة

لاستكشاف ابعادها ، ونقاط التعارض فيما بينها .
١ – موقف المتحدة : « لن نجـدد فترة وقف اطلاق النار مرة اخرى : الا اذا لمسنا جدية في الاتصالات لتنفيذ قرار مجلس الامن كاملا بكل بنوده واولها الانسحاب » . بهذا القرار السياسي افتتح العهد الجديد في الجمهورية العربية المتحدة نشاطه حول قضيته الاساسية الكبرى . وعلى الفور بدأ النظام حملة شاملة ومتعددة الجوانب ، لوضع هذا القرار موضع التنفيذ . والذي يراقب تحركات النظـام المصري الان يشهد تحركا دؤوبا على كافة الجبهات، وسط صراع دقيق مع الزمن ، وهذا التحرك المصري يدور على أربع جبهات .

الجبهة الاولى : هي جبهة الموقف السياسي الجديد الذي أشرنا اليـه ، والذي أكـده السيد أنور السادات بشكل جازم ، ولا زال يؤكده يوميا في لقاءاته المتصلة مع ابناء المحافظات ، ومع رجالات الفكر والاعلام والقضاء . وقد شرح السادات أكثر من مرة مبررات موقفه هذا، وهي تدور حول الفكرة القائلة بأن هدف واستراتيجية اميركا واسرائيل عام ١٩٧١ يتمثلان في أمرين :

الاول : عدم تنفيذ قرار مجلس الامن .

والثاني : جعل وقف اطلاق النار وقفا دائما لان هذا هو أنسب وضع يمكن أن تعيش فيه اميركا واسرائيل لتدخلا القضية في الحرب البـاردة ، ونبقى عشرين سنة اخرى حيث يكون العدو موجودا في الضفة الشرقية ، ومن ثم يفقد العالم اهتمامه بالقضية .

وردا على هذا الفهم لاستراتيجية اميركا واسرائيل يحدد السادات موقف المتحدة على الشكل التالي : ان استراتيجيتنا في عام ١٩٧١ ، او في الستة اشهر الاولى من هذا العام ، هي الا نسمح على الاطلاق بأن يكون وقف اطلاق النار وقفا دائما ، ما لم تكن هناك جدية في مفاوضات السلام . وتتمثل هذه الجدية ، بالاتفاق على جدول زمني للانسحاب وتنفيذ قرار مجلس الامن .

وقد أكد السادات أن « الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٧١ مصيرية بالنسبة الينا ، ومن ٥ شباط سنواجه اول موقف حاسم في المرحلة الحالية » . وهذا التأكيد على رفض تجديد وقف اطلاق النار تقابله نقطة توازن تقول « اننا نسعى الـى الحل السلمي بكل قوانا ، في الوقت الذي ندعم قواتنا المسلحة بكل ما نستطيع » . بهذا التوضيح ، لا يعود هناك مجال للقـول بأن تغيرا طرأ علـى الاستراتيجية المصرية ، ولكن هناك تغيرا واضحا في التكتيك ، ينقل الديبلوماسية المصرية الى موقف الضاغط والمهاجم . والانتقال الى موقف الضاغط والمهاجم ، يفرضه فهم المسؤولين المصريين للموقف الاسرائيلي ، على انه موقف مناور . فتعليقا على قرار اسرائيل العودة الـى محادثات يارينغ قال السادات « ان القرار مناورة هدفها تجنب لوم محتمل من مجلس الامـن ، وفي الوقت نفسـه الحصول على تمديد جديد لوقف اطلاق النار ، لكننا لن نسمح لهذه المناورة ان تنجح » .

وحين ثار جدل واسع حول معنـى رفض المتحدة لتجديد وقف اطلاق النار ، وبدأت الصحف الغربية تقول ان مصر ستعلن الحرب على اسرائيل ، قطع السيد انور السادات الجدل حول هذا الموضوع حين قال في جامعة اسيوط « يقولون اني ساعلن الحرب في ٥ شباط . الذي قلته هو انني لن أكون ملزما بوقف اطلاق النار في ٥ شباط ، ولن اجدد وقف اطلاق النار ، وهذا شيء يختلف تماما عن اعلان الحرب » .

الجبهة الثانية التي يدور فوقها التحـرك المصري هي الجبهة الداخلية . وقد شهدت اروقة الاتحاد الاشتراكي في الشهرين الماضيين نشاطا ملحوظا ، في اجتماعات صغيرة وموسعة ، استهدفت وضع كافة الاجهزة في حالة تعبئة كاملة . ففي اجتماع موسع في الاتحاد الاشتراكي من ٢٩ ك ١ اكـد السادات ضرورة وضع الشعب بأكمله في جـو المعركة ، واعلن عن تاليف لجان المواطنين مـن اجل المعركة على مستوى الجمهورية لمواجهة اي احتمال قد تقوم به اسرائيل قبل ٥ شباط او بعده. كما أعلن ضرورة ان يكون كل مسؤول في خـط المواجهة مع الجبهة الداخلية ، وان يتصرف كل مسؤول كأنه قائد لهذه المعركة ، وجندي مسؤول عن قطاع من قطاعاتها . وهذا يستدعي « انتهاء كل مسؤول من التكليفات المحددة له » . واكد انه لن يتسامح او يقبل عذرا من اي من المسؤولين مهما تكن الاسباب « فلا بد من تعاون كامل بين كل الاجهزة السياسية والتنفيذية والتشريعية » . وعرض السادات في هذا الاجتماع ضرورة توزيـع المسؤوليات والواجبات توزيعا سليمـا في كـل محافظة ، بحيث تصبح كل محافظة وحدة متكاملة قائمة بذاتها لها مسؤولياتها المباشرة ، وان تقوم كل محافظة بتصريف الامور التي تستدعيها المعركة، وتعمل على تاليف لجان المواطنين حتى مستـوى

القرية .

واثناء المناقشة التي دارت بعد ذلك اكد السادات « اننا لن نقبل بأية مبررات لعدم الاستعداد ، لاننا لن نسمح بانصاف الحلول ، ولـن نسمح بتقاعس من احد » .

ان هذه الاجراءات ، تبدو من الناحية النظرية هامة جدا ، تلغي من اذهان الجماهير الفكرة السطحية عن الحرب ، على انها حرب الجيش على الجبهة ، مكرسة دور كل مواطن في هـذه الحرب . ولكن لا بد من مراقبة اسلوب التنفيذ للتأكد من امرين. اولا فعالية سريان نشاط الاعداد الجماهيري من القمة الى القاعدة ، وهنا تتقرر النتائج الى حد بعيد حسب متانة تنظيمات الاتحاد الاشتراكي . وثانيا مراقبة ما اذا كان الاشراك الجماهيري في المعركة سيعني التعبئة النفسية فقط، او القيام بالاضافة الى ذلك بتسليح الشعب ، وضبط عملية التسليح بحيث تؤدي دورها المطلوب، مضيفة الى قوة الجيش ، قوة عسكرية محتشدة في كل مكان .

ان هذه التعبئة الداخلية ، شبيهة الى حد ما ، بالتعبئة التي سبقت حرب حزيران ، ولكنها حسب تعليقات المراقبين ، تتم في جو اكثر هـدوءا ، واقل استعراضية ، ويسيطر عليها احساس اكبر بالخطورة والاهمية .

الجبهة الثالثة التي يدور فوقها التحرك المصري هي الجبهة الدبلوماسية. ففي بداية شهر كانون الاول اعلن انه قد تم وضع خطة للتحرك السياسي على الصعيدين الدولي والعربي ، تستهدف شرح موقف مصر بطريقة كاملة قبل ان ينتهي الاجل المحدد لوقف اطلاق النار المؤقت . وقالت صحيفة الاهرام « ان مصر تريد ان تعرف كل الاطراف انها ليست على استعداد لقبول المناورات الاسرائيلية ... التي تستهدف اللعب حول المقصود بقرار وقف اطلاق النار المؤقت . والمقصود الحقيقي منه هو تنفيذ قرار مجلس الامن ، لكن اسرائيل تناور لتحويله الى ترتيب دائم يتجدد كل ثلاثة اشهر ويضمن لها على اقساط الموقف الراهن كما هـو بدون تغيير » .

وقد ترجمت خطة التحرك هذه بثمانية وفود على مستوى عال توزعت على كافة انحاء العالم ، ستة منها كانت مهمتها شرح الموقف المصري ، ووفدان اكتسبت مهمتهما طابعا اخر ، هما وفد الاتحاد السوفياتي برئاسة السيد علي صبري نائب رئيس الجمهورية ، ووفد دول اوربا الغربية برئاسة محمود رياض نـائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

بالنسبة للوفد الذي زار الاتحاد السوفياتي ، فقد برزت اهميته من طبيعة تشكيله اذ ضم وزير الصناعة ، ووزير الحربية ، ووزير الخارجية . كذلك تعمد الاتحاد السوفياتي ان يضفـي على المحادثات مظهرا اخر من مظاهر الاهمية ، فشارك قادة الكرملين الثلاثـة (بودجورني وبريجنيف وكوسيغين) في الاجتماعات . اما من حيث مضمون المحادثات فهي لم تقتصر على الجانب السياسي فقط ، بل شملت الجوانب الاقتصادية والعسكرية، وخاصة فيما يتعلق بالاجهزة الالكترونية .

ويقول مراقبون مطلعون ، ان الوفد المصري عرض في بداية المباحثات فكرة هامة تتناول وضع تخطيط لنمو العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي، بحيث لا تعود هناك ضرورة لابحاث خاصة ، تجري في اوقات الازمات .

اما بالنسبة لمحادثات السيد محمود رياض وخاصة في باريس ولندن ، فهي بالاضافة الى شرح الموقف السياسي ، تتناول فكرة تشكيل قوة دولية ترابط على جانبي الحدود بين العرب واسرائيل ، ويحاول محمود رياض اقناع العاصمتين الاوروبيتين بالفكرة، كجزء من اجراءات تسوية أزمة الشرق الاوسط ، ومن هنا اهميتها الخاصة ، من ضمن سلسلة الزيارات التي تقوم بها الدبلوماسية المصرية . فهذا الجزء من المهمة وثيق الصلة بمحادثات يارينغ، ووثيق الصلة أيضا بالرد على التحرك الاسرائيلي، اذ تحاول الخارجية المصرية اقناع الاطراف الدولية المعنية ، بأهمية « فرض » الحل على اسرائيل ، كوسيلة وحيدة لتنفيذ قرار مجلس الامن ، ازاء رفضها المنكرر . ولذلك اعلن الرئيس السادات في مقابلة مع تلفزيون كولومبيا يوم ٨ ك ٢ انه يوافق على وضع مراقبين وقوات عسكرية من الـدول الاربع الكبرى على جانبي الحدود .

الجبهة الرابعة التي يدور فوقها التحرك المصري، هي جبهة الاستعداد العسكري ، وذلـك علـى مستويين ، الاول الاستعداد لاحتمالات تجدد اطلاق النار على القناة بعد ٥ شباط ، والثاني حيـازة انواع جديدة من الاسلحة تكون في مستوى السلاح الاسرائيلي الجديد الذي ستحصل عليه من الولايات المتحدة ، بعد ان وافق مجلس الشيوخ على تقديم مساعدات عسكرية لاسرائيل بقيمة ٥٠٠ مليـون

دولار . وطبيعي ان تكون المعلومات حول هذا الموضوع ضئيلة جدا . والمتوفر منها يشير الى ان مصر قد انهت يوم ١٢ ك ١ مناورات كبيرة، اشتركت فيها كافة الاسلحة ، وخاصة القوات المنقولة جوا بطائرات الهيلكوبتر . وفي ٢٢ ك ١ قالت انباء صحفية ان الوفد المصري طلب في مفاوضات موسكو انواعا من الاسلحة وعد السوفيات بتقديمها قبل ٥ شباط اذا لاحظوا ان التسوية السياسية لن تنفذ. أما في كانون الثاني فقد أعلن الرئيس السادات قدرة القوات المصرية ، على مواجهة الحرب الالكترونية ، واي احتمال قد تقوم به اسرائيل قبل او بعد ٥ شباط . وشرح ان لدى مصر قادة لكل فروع الحرب الحديثة بما فيها الحرب الالكترونية ، وبين ان القوات المصرية قامت بأكثر من مناورة بالاسلحة الالكترونية ، وكانت صحف القاهرة قد قالت قبل ذلك ان تقارير قادة الجيش المصري تؤكد ان القوات العسكرية اتمت بنجاح تنفيذ الخطط الموضوعة لها .

هذه هي الجبهات الاربع التي تحركت فوقها السياسة المصرية بنشاط ملحوظ خلال الشهرين الماضيين ، ولاستكمال جوانب الموقف ، لا بد من الاشارة الى ثلاث قضايا متفاوتة في اهميتها :

القضية الاولى : وجود تنسيق في الموقف السياسي الدولي بين المتحدة والاردن . فقد ذكرت الاهرام يوم ٥ كانون الاول ان السادات اوضح للملك حسين انه يستطيع ابلاغ موقف مصر للرئيس الاميركي نيكسون حين يجتمع به . وفي نفس اليوم كان الملك حسين يعلن في لندن انه سيتحدث بأسم الاردن ومصر عندما يجتمع الى الرئيس نيكسون ليبحث معه اوضاع الشرق الاوسط .

والقضية الثانية ان المتحدة تعتبر الولايات المتحدة مسؤولة تماما عن الموقف الاسرائيلي المتصلب ، وانها هي التي تشجع اسرائيل بشكل صريح على تسويف مهمة يارينغ . وقد ابرزت الصحف المصرية بوضوح هذا الموقف من سياسة الولايات المتحدة، بعد ان عقد الرئيس نيكسون مؤتمرا صحفيا يوم ١١ ك ١ اعلن فيه وجوب استمرار وقف اطلاق النار، واعتبر ان الحدود التي ستنسحب اليها اسرائيل موضوعا خاضعا للتفاوض ، بينما كان مشروع روجرز ينص على « تغييرات طفيفة » فقط في الحدود . ويهدف هذا الموقف الاميركي الجديد للضغط على الجمهورية العربية المتحدة ، حتى تخفف من تصلبها في رفض تجديد وقف اطلاق النار .

أما القضية الثالثة فتتعلق بالحوار الذي يدور مع يارينغ ، والذي يعكس اختلاف وجهات النظر بين الموقف العربي والموقف الاسرائيلي حول تفسيرات قرار مجلس الامن . فقد أكدت المتحدة (والاردن) استعدادها لـ :

١ — تنفيذ قرار مجلس الامن .

٢ — انهاء حالة الحرب .

٣ — يوضع التعهد موضع التنفيذ « لدى انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل نتيجة عدوانها في ٥ حزيران ١٩٦٧ » .

وردا على سؤال ليارينغ حول ما اذا كانت مصر (والاردن) « تقبل بمثابة اتفاق نهائي حول كل النصوص ، وثيقة دولية يوقعها اطراف عدة وتتضمن الشروط المتفق عليها لسلام عادل ودائم» قالت المتحدة (والاردن) ان الوثائق التي تلزمهما بتنفيذ الالتزامات المنبثقة عن قرار مجلس الامن . على اسرائيل ان توقع كذلك وتوجه وثيقة تلزمها بتنفيذ الالتزامات المنبثقة من قرار جلس الامن . وستشكل مصادقة المجلس على هذه الوثائق اجراء اتفاق نهائي متعدد الاطراف .

٢ — **موقف اسرائيل** : في الوقت الذي تصر فيه الجمهورية العربية المتحدة على استئناف مهمة يارينغ ، وتنشيط هذه المهمة بوضع جدول زمني لتنفيذ قرار مجلس الامن ، وترفض تجديد وقف اطلاق النار الا اذا تم ذلك ، وتدعم ضغطها الديبلوماسي باعداد عسكري وجماهيري واسع ، نجد أن الموقف الاسرائيلي يماطل ويناور ليس من قاعدة رفض قرار مجلس الامن ، بل من قاعدة اخرى ذات شقين :

الشق الاول : المماطلة في موعد بدء المفاوضات. ومحاولة تطويل هذه المفاوضات عن طريق اقتراح قضايا معقدة لبدء البحث بها . والشق الثاني : وضع شروط متعددة الجوانب تشكل حصيلتها نصرا كاملا لاسرائيل على كافة المستويات .

فيما يتعلق بالشق الاول قالت غولدا مئير في ١٨ كانون الاول انحكومتها لا تزال مترددة في الاشتراك مجددا في محادثات السلام ، واضافت « كيف يمكن اتخاذ قرار نهائي قبل التأكد من ضمان امن اسرائيل (!) ومن درس وسائل ضمان هذا الامن بعناية فائقة » . وفي نفس اليوم لاحظ معلق اذاعة

اسرائيل ان اتخاذ قرار بالعودة الى المحادثات لن يعني أن هذه المحادثات ستبدأ على الفور .وقال ان المحادثات الفعلية متوقفة على عقد اتفاقات مع مصر تضمن استمرار العمل بوقف اطلاق النار .

وحتى بعد أن اعلنت اسرائيل يوم ٢٨ كانون الاول ، عودتها رسميا للمحادثات ، اعلن ايبان يوم ٢ كانون الثاني اننا غير متحمسين للمحادثات لكننا اضطررنا الى استئنافها نظرا الى علاقاتنا مع الولايات المتحدة ، ولاننا نعتقد انها لا تنطوي على أمل وان يكن ضئيلا في احلال السلام .

وكان «جوزيف تكواه» اكثر صراحة في موقف المماطلة حين قال يوم ٤ كانون الثاني في مطار اللد ان ثلاثة أشهر اخرى قد تنقضي قبل أن تستقيم محادثات السلام في الشرق الاوسط ، واشار الى انالجولة الاولى من المحادثات مع يارينغ ستكون اجرائية بصورة رئيسية .

وقد دعمت اسرائيل سياسة المماطلة هذه ، باقتراحات محددة تؤدي الى نفس الغرض ، وهي اقتراحات تتعلق بالفلسطينيين . فمن جهة دعا ايبان الى اشراك الفلسطينيين في المحادثات (مع ان الموقف الفلسطيني الرافض لمبدأ المحادثات معروف جدا) قائلا « من الطبيعي ان يشرك الاردن الفلسطينيين الذين يشكلون اكثرية سكانه في مفاوضات يارينغ » . اما في الرسالة التي بعث بها ايبان الى يارينغ بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٧٠ فقد تطرق الى مشكلة اللاجئين فاقترح عقد مؤتمر لدول الشرق الاوسط لاعداد خطة خمسية لحل المشكلة « وفق اطار سلام دائم ودمج اللاجئين في حياة منتجة » . بل انه دعا الى ان يعقد هذا المؤتمر قبل استئناف محادثات يارينغ . وبعد هذه الرسالة بفترة وجيزة تحدثت صحيفة « ها آرتس » يوم ٧ كانون الثاني « عن بادرة اسرائيلية جديدة تقضي باعطاء الاولوية في محادثات السلام لقضية اللاجئين الفلسطينيين » وقالت ان ايبان بحث في هذه النقطة مع السفير الامريكي في اسرائيل .

أما فيما يتعلق بالشق الثاني فقد وضعت اسرائيل جدولا طويلا من الشروط لقبول عودتها الى المحادثات ، محاولة ان تكون عودتها على أساس اكبر فائدة عسكرية وسياسية ممكنة .

جدول الشروط الاول كان بين اسرائيل والولايات المتحدة . ففي بداية كانون الاول اعلن في اسرائيل ان جولدا مئير تنتظر ردا من نيكسون على رسالة بعثت بها اليه ، تتناول الشروط السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ترى اسرائيل أنها حيوية لتمكينها من استئناف المحادثات . وفي يوم ٧ كانون الاول كشف « اسحق رفائيل » رئيس « الحزب الديني القومي » شروط اسرائيل للعودة الى الاشتراك في محادثات السلام وهي :

١ — القرار الوحيد الذي يبقى صالحا هو قرار مجلس الامن (دون اي تفسير من جانب الجمعية العمومية يكون لصالح العرب) .

٢ — ضمان تزويد اسرائيل بالاسلحة الامريكية حتى عام ١٩٧٢ على الاقل .

٣ — اقدام الولايات المتحدة على سحب مشروع روجرز الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي المحتلة مع « تعديلات طفيفة بالحدود ».

٤ — تعهد الولايات المتحدة باستخدام حق الفيتو في مجلس الامن في حال السعي الى اقرار عقوبات ضد اسرائيل اذا توقفت المحادثات .

٥ — الوصول الى اتفاق جديد مع مصر حول وقف اطلاق النار .

وقد دعمت هذه الطلبات برحلة خاصة قام بها دايان الى الولايات المتحدة ، حاول فيها اثناء مقابلته لنيكسون « الوصول الى تفاهم حول المدى الذي ستذهب اليه الولايات المتحدة في تأييدهم فيما لو استأنفت مصر القتال » .

ومن الواضح تماما ان هذه الاتصالات قد ادت الى تفاهم اسرائيلي — امريكي كامل ، تبنت فيه الولايات المتحدة موقف اسرائيل كليا . ففي رده على رسالة غولدا مئير عرض نيكسون ، حسب رواية وزير الزراعة الاسرائيلي حاييم غفاتي يوم ١٢ كانون الاول موقف الولايات المتحدة على الشكل التالي :

١ — تقدم تأكيدات بتوجيه تحذير الى الاتحاد السوفياتي ضد تورط مباشر في النزاع .

٢ — استمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل .

٣ — تصميم الولايات المتحدة على منع صدور قرار الى مجلس الامن ضد اسرائيل .

٤ — ان الولايات المتحدة لن تضغط على اسرائيل بشأن مسألة حدودها . اذ أن هذه المحادثات يجب ان تقررها محادثات بين الدول المتحاربة .

٥ — يجب ان لا يغادر جندي اسرائيلي واحد خطوط وقف اطلاق النار الى ان يتم الوصول الى سلام دائم .

وفي نفس اليوم الذي أعلن فيه وزير الزراعة مضمون رسالة نيكسون كانت لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ الامريكي تعلن موافقتها على تقديم معونة عسكرية لاسرائيل مقدارها ٥٠٠ مليون دولار. وفي نفس اليوم أيضا كان نيكسون يعقد مؤتمره الذي أشرنا اليه من قبل ، والذي اعلن فيه نوعا من التخلي عن مشروع روجرز . حين قال بأن الحدود أمر قابل للتفاوض ، بينما يدعو مشروع روجرز الى « تغييرات طفيفة » في الحدود .

جدول الشروط الثاني عرضته غولدا مئير امام الكنيست ، وهو يتعلق بفهمها لطبيعة التسوية السياسية التي تريدها ، والتي تعود بمحادثات يارينغ الى بداياتها الاولى ، وتتلخص هذه الشروط بما يلي :

١ — حدود آمنة ومعترف بها .

٢ — بقاء القدس عاصمة موحدة .

٣ — المحافظة على خطوط وقف اطلاق النار حتى يتحقق سلام تعاقدي يربط الاطراف المعنية .

٤ — توقيع التعهدات التي يتضمنها الاتفاق التعاقدي وتطبيقها .

٥ — لا يتحقق السلام بدون مفاوضات مباشرة .

ان هذه النقاط تشتمل على كل قضايا الخلاف الرئيسية بين وجهتي النظر العربية والاسرائيلية حول قرار مجلس الامن . وصياغتها بهذا الشكل تكاد تلغي كل الجهود التي بذلها يارينغ في السنوات الثلاث الماضية ، وهي تنسجم تماما مع سياسة المماطلة التي تتبعها اسرائيل ازاء مهمة يارينغ .

جدول الشروط الثالث قدمته اسرائيل ليارينغ . فحين اجتمع يارينغ مع غولدا مئير في القدس ابلغته ثلاث نقاط اساسية :

١ — أن يكون وقف اطلاق النار غير محدود خلال المحادثات .

٢ — تفضل اسرائيل اجراء المحادثات في مكان قريب (قبرص او جنيف) بدلا من الامم المتحدة .

٣ — ان تمثل الدول في المحادثات بوزراء الخارجية .

لقد قدمت هذه الشروط الثلاثة نفسها قبل ان تبدأ مرحلة المفاوضات التي جاءت بعد مبادرة روجرز. وانتهى الجدل حولها في ذلك الوقت الى اعتماد وقف اطلاق نار مؤقت ، والى اجراء المحادثات في الامم المتحدة ، وعلى مستوى رؤساء الوفود . والعودة الى طرح هذه النقاط من جديد ، هو مرة اخرى تكريس لسياسة المماطلة ، التي عبرت عنها اروقة الامم المتحدة ، بأن ما يجري حاليا هو « محادثات حول المحادثات » .

ان هذه الجداول الثلاثة من الشروط تعكس تماما طبيعة الفهم الاسرائيلي لقرار مجلس الامن ، ولمهمة يارينغ . وهو الفهم الذي يريد أن يكسب على كل الجبهات دون أن يقدم تنازلا واحدا . فهو يريد من الولايات المتحدة ان تقدم كل الدعم والحماية اللازمين . ويريد في نفس الوقت أن لا يتنازل عن أي مكسب من مكاسب حرب حزيران ، ويزيد على ذلك شروطا حول طبيعة المفاوضات ، تقترب من صيغة الاعتراف الرسمي ، تمهيدا لمرحلة من المفاوضات المباشرة .

ويوضح هذا الهدف تماما نمط الاجابة الذي قدمته اسرائيل على سؤال يارينغ فيما اذا كانت «تقبل بمثابة اتفاق نهائي حول كل النصوص، وثيقة دولية يوقعها اطراف عدة ... » فقد قالت اسرائيل « ان السلام يجب ان يكون معبرا عنه قانونيا ومحددا تعاقديا . وملزما بصورة متبادلة ... وبناء عليه فان موقف اسرائيل هو أن السلام يجب ان تتضمنه **معاهدات سلام ثنائية** بين اسرائيل وكل دولة عربية » .

عند هذه النقطة من الموقف الاسرائيلي، نستطيع ان نتوقف لنقارن بين الفهم المصري ، والفهم الاسرائيلي لقرار مجلس الامن ، لنكتشف بسرعة ، ان هناك خلافا حول كل النقاط التي يثيرها القرار ، ونقطة الاتفاق الوحيدة هي الموافقة على القرار نفسه ، وازاء هذا الموقف الاسرائيلي يبدو موقف مصر الرافض لتجديد وقف اطلاق النار ما لم يوضع جدول زمني للتنفيذ ، موقفا منطقيا جدا ، اذ من المؤكد ان الضغط العسكري هو احد الشروط الاساسية لتنفيذ قرار مجلس الامن . فما هو موقف اسرائيل من هذه القضية ؟

لقد أعلنت رفضها لفكرة الجدول الزمني ، فقال ايبان يوم ٢ كانون الثاني « ان هناك ترتيبات يجب اتباعها بموجب نظام الاولوية ، فهناك اولا المفاوضات ، ثم الوصول الى اتفاق وتوقيعه ، ثم تنفيذ بنوده . ولا يمكن وضع المرحلة الاخيرة من هذه الترتيبات قبل المرحلة الاولى » .

وابدت اهتماما ملحوظا باحتمالات تجدد اطلاق النار ، برز في اشارات دائمة الى اهمية استمرار وقف اطلاق النار . ولكن التحرك العملي في سبيل ذلك كان الاجتماع الذي عقده دايان يوم ١٦ كانون

الاول مع الجنرال « انزيو سيلازيو » كبير مراقبي الامم المتحدة ، طالبا منه أن يسافر الى القاهرة للعمل على تعزيز تمديد وقف اطلاق النار . ويعتبر هذا الاجتماع اول خطوة اسرائيلية لجعل الامم المتحدة تضمن ترتيبا لوقف اطلاق النار على قناة السويس ، وبينما كان دايان يبذل هذه المحاولة، كان « حاييم بارليف » رئيس الاركان الاسرائيلي، يتحدث باتجاه اخر ، عن ضرورة استعداد القوات الاسرائيلية لاحتمالات تجدد القتال بعد ٥ شباط، او ربما قبل ذلك . وفي الوقت الذي يسعى فيه دايان لاشراك الامم المتحدة في العمل لوقف اطلاق النار ، يرفض مظهرا اخر من مظاهر تدخل الامم المتحدة ، من خلال مرابطة قوات دولية من الدول الاربع الكبرى على جانبي الحدود .

٢ — **رحلة الملك حسين** : أبرز ما في نشاط الاردن السياسي في الشهرين الماضيين ، الرحلة التي قام بها الملك حسين الى اوربا والولايات المتحدة . وحتى نفهم هذه الزيارة على حقيقتها ، لا بد من الاشارة الى الامور التالية :

١ — ان موعد الزيارة جاء بعد معارك ايلول ، التي كان من اهدافها الاساسية اظهار السلطة الاردنية ، على أنها السلطة المتحكمة والمتمكنة من الوضع في الاردن ، وان القوة الفدائية الفلسطينية ضعيفة ازاءها . وذلك بعد أن بدا الرأي العام العالمي يرى انه لا يمكن تجاهل رأي الفلسطينيين في أي حل مقترح لشؤون الشرق الاوسط .

٢ — ابتدأ الملك رحلته بزيارة القاهرة ، وذلك من ضمن تخطيط الاردن الدائم منذ حرب حزيران، في اظهار نفسه عن انه منسجم تماما مع سياسة القاهرة . وكذلك من اجل دعم رحلته على الصعيد الدولي . وقد جاء البيان المشترك الذي صدر بعد الزيارة ملبيا لرغبة الملك هذه . فقد ذكر البيان ان الرئيس انور السادات اعرب عن تأييده لجهود الملك وتمنياته لها بالنجاح ضمن اطار اهداف الدولتين الشقيقتين ... وتم الاتفاق على وجوب استمرار التنسيق الكامل بين الدولتين الشقيقتين في كل المجالات وعلى مختلف المستويات . وقد استغل الملك هذا الموضوع استغلالا كاملا حين أعلن انه سيتحدث بأسم الاردن ومصر ، وحين أعلن انه سينقل وجهات نظر مصر الى بريطانيا والولايات المتحدة .

٣ — من الاهداف الاساسية لرحلة الملك الحصول على تأكيد امريكي — بريطاني ، بالتخلي عن فكرة انشاء دولة فلسطينية مستقلة . وذلك بعد أن كثر الحديث في الاوساط الدولية والعربية عن مشروع من هذا النوع . وتناقلت وكالات الانباء يوم ١٠ كانون الاول معلومات تقول ان الملك حسين طلب رسميا ان لا تؤيد الولايات المتحدة انشاء دولة فلسطينية .

ان هذه الامور الثلاثة هي التي تضع رحلة الملك حسين ضمن نطاقها الصحيح ، كاشفة عن اهدافها الاساسية . ويبدو أن رحلة الملك كانت ناجحة ، ويرجع ذلك اقدام السلطة الاردنية على متابعة معاركها ضد العمل الفدائي يوم ٨ كانون الثاني . وبالاضافة الى ذلك برز اثناء هذه الرحلة ، ان الاردن يرغب في ان يستأنف يارينغ مهمته، والسبب الاساسي وراء ذلك هو ان مصر لا تبدو مستعدة لقبول تجديد وقف اطلاق النار .

أما المواقف السياسية البارزة في رحلة الملك فهي تتلخص في الامور التالية :

اولا : رفضه لفكرة التفاوض المنفصل مع اسرائيل .

ثانيا : حصوله على وعود اميركية بتقديم أسلحة للاردن ، بالاضافة الى مساعدات مالية قيمتها ٣٠ مليون دولار .

ثالثا : اعلانه في واشنطن يوم ١٣ كانون الاول انه يؤيد فكرة انشاء قوة دولية للمحافظة على السلام « كأفضل وسيلة لوضع حد للقتال في الشرق الاوسط بشكل نهائي » وقال « ان الاوضاع الحاضرة ترجح انشاء مثل هذه القوة التي تعمل فيها قوات اميركية وسوفياتية جنبا الى جنب » . هذه الفكرة التي أعلنت الولايات المتحدة أنها ترحب بها ، وايدتها المتحدة ، بينما رفضتها اسرائيل .

رابعا : ابرز الملك حسين في رحلته ، وعبر اكثر من تصريح صحفي أنه دعا الزعماء العرب الى مؤتمر قمة يعقد في مطلع العام الجديد للبحث في القضية الفلسطينية . وهذا يضعنا أمام قضية سياسية هامة ، لا تنفصل كما قلنا عن اهداف رحلة الملك حسين ، وهي قضية الدولة الفلسطينية . والحديث فيها يلقي اضواء كاشفة على هموم الدبلوماسية الاردنية .

٤ — **الدولة الفلسطينية** : في اواخر شهر تشرين الثاني وجه الملك حسين رسالة الى الحكام العرب تعتبر بمثابة تفسير لاقدامه على دعوتهم لعقد مؤتمر قمة ، وتضيف الى ذلك اقتراحات محددة للبحث.

وتتناول الرسالة ، حسب المعلومات التي نشرت عنها في الصحف (الحرية — الحوادث) الامور التالية :

١ — حديث عن سبب انشاء امارة شرقي الاردن، والقول ان هذه الامارة انشئت حتى لا تدخل اراضيها ضمن نطاق وعد بلفور .

٢ — حديث عن انشاء المملكة الاردنية الهاشمية، ودورها التاريخي في الحفاظ على ما تبقى من الارض الفلسطينية .

٣ — توضيح ان بعض الدول الكبرى فاتحت بعض الدول العربية بموضوع تشكيل دولة فلسطينية من الضفتين والقطاع وان هذه الدول العربية وافقت على المشروع .

٤ — القول ان المقاومة الفلسطينية فوتحت ايضا بمشروع الدولة .

٥ — ثم تقترح الرسالة عقد مؤتمر قمة لبحث الصيغة التي يمكن ان يشارك بها الشعب الفلسطيني في التسوية السياسية (!) . وتقترح الرسالة صيغة انشاء كيان فلسطيني او جبهة تحرير فلسطينية ، تنطق بأسم الفلسطينيين . ثم يتم اعتراف الدول العربية بهذا الكيان او بهذه الجبهة ، وبعد ذلك يشارك ممثلو الكيان في محادثات التسوية ، والنقطة الاهم ان ممثلي الكيان يضعون صيغة العلاقة مع شرقي الاردن .

ان هذه الرسالة مليئة بالافخاخ .. فهي تسعى الى ترويض الموقف الفلسطيني ليصبح شريكا في التسوية السياسية ، رغم رفضه الواضح لها . وهي تقترح انشاء كيان فلسطيني « ينطق بأسم الفلسطينيين » . اي أنها ترفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبالعمل الفدائي ، ناطقا بأسم شعب فلسطين . وحين تقترح ان يضع ممثلو الكيان الفلسطيني صيغة العلاقة مع شرقي الاردن، فهي تريد ان يدور البحث كله في اطار السلطة الاردنية القائمة .

الا ان هذه الصياغة الديبلوماسية التي تخفي نواياها بين الكلمات عبرت عن نفسها بوضوح في بيان الوزارة الاردنية يوم ٢ كانون الثاني ، وصف البيان مشروع الدولة الفلسطينية بأنه خطوة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . وقال ان الحكومة لن تكتفي برفض ذلك المشروع واستنكاره، انما هي تعمل بكل قوة لاحباط ذلك المشروع المؤامرة بكل ما تملك من وسائل .

قبل ذلك ويوم ١٤ كانون الاول كان السيد ياسر عرفات يقول في مقابلة مع مجلة « التايم » ردا على اقتراح اتحاد فلسطيني — اردني « ان هناك شيئا يجري اعداده في المطبخ الدولي . الا اننا لن نكون وجبة طعام سهلة . لن يعطونا اتحادا ثم يقولون ان المشكلة الفلسطينية قد حلت ، ثم ينسون امرنا » .

ان هذين الموقفين يلتقيان عند رفض فكرة الدولة الفلسطينية ، فهل يعني ذلك انهما يسيران في نسق واحد ؟ هناك فارق كبير وهام جدا بين الموقفين ، ولا بد من توضيحه .

ان فكرة انشاء الدولة الفلسطينية ، تأتي كجزء مكمل للتسوية السياسية القائمة على أساس قرار مجلس الامن . النظام الاردني ، يرفض هذا الجزء المكمل مبقيا على تمسكه بالاصل . اما حركة المقاومة ، فهي انطلاقا من رفضها لقرار مجلس الامن ، ترفض كل أشكال التسوية المنبثقة عنه .

السلطة الاردنية ، تريد تطويع الحل السياسي ليكون في خدمة الطبقة الحاكمة . وحركة المقاومة ترفض نتيجة من نتائج الحل السياسي لتصل الى رفض الحل نفسه . لذلك فان مظهر اللقاء بين الموقفين يجب ان لا يكون خادعا لاحد ، فمن ورائه تقف خلفيات متناقضة لا يمكن التوفيق فيما بينهما .

ولكن هناك جانبا اخر للموضوع جدير بالملاحظة . فالاجواء الدولية ميالة للقبول بالقناعة القائلة بأنه لا يمكن تسوية ازمة الشرق الاوسط دون ارضاء الشعب الفلسطيني ، وبسبب ذلك وافقت الامم المتحدة في دورتها الاخيرة على قرار يقضي بالاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين (وروديسيا)، وهذه القناعة هي التي ولدت فكرة الدولة الفلسطينية ، التي تتناقض مع مصالح السلطة الاردنية . ان السلطة الاردنية مطلعة تماما على هذه الاجواء الدولية ، وهي مدركة تماما لمصالحها ومن المهم جدا بالنسبة لها ، ان تخرج بحل ينسجم مع هذه المعطيات . وقد خرجت بهذا الحل فعلا وبنته على الاسس التالية :

١ — ضرب العمل الفدائي في الاردن ، لتهبيط مكانة حركة المقاومة على الصعيد الدولي ، وابراز السلطة الاردنية على أنها الجهة الوحيدة التي يجب التخاطب معها في ترتيب شؤون المنطقة .

٢ — تشجيع فكرة دولة فلسطينية — اردنية يقوم بين جزئيها نوع من الاتحاد الفدرالي .

٣ — تشجيع نمو قيادة فلسطينية جديدة ، تنسجم

مع عقلية السلطة الاردنية وتكون مستعدة للانضواء تحت « خيمتها » ، بحيث يعود نفوذ السلطة الاردنية ، الى نفس حالته السابقة بعد التسوية السياسية ، مع تغييرات شكلية ليس غير .

وهذا الفهم للامور تؤكده تصريحات رسمية . ففي ٦ كانون الاول اعلن الملك حسين في لندن انه لا يستبعد احتمال فصل الضفة الغربية المحتلة من الاردن عن الضفة الشرقية كجزء من تسوية سلمية شاملة . واضاف « ان مستقبل الضفة الغربية والفلسطينيين يحدد بعد وليس قبل تسوية عامة للنزاع وفقا لقرار مجلس الامن » .

وفي ١٠ كانون الاول قال الملك في واشنطن ان قضية انشاء دولة منفصلة للفلسطينيين هي « الان قيد الدرس على أعلى المستوياتفي العالم العربي» لكنه اضاف ان مثل هذا الامر غير وارد في هذه المرحلة لان « موقفنا الاساسي هو انه يجب اولا الوصول الى حل ، وبعد ذلك يمكننا ان نرى ماذا يريد الجميع ان يفعلوا في المستقبل ، ضمن **نطاق الاسرة الاردنية** » .

ولاستكمال الصورة حول هذا الموضوع تجدر الاشارة الى النشاطات المختلفة الدائرة حوله . فقد نشرت صحيفة « الصنداي تلغراف » يوم ٣ كانون الثاني تعليقا يقول ان انشاء دولة فلسطينية منفصلة بات الان موضوع نقاش للمرة الاولى خلال البحث عن سلام في الشرق الاوسط ... فالمدن والاراضي التي يرفض الفرقاء الحاليون في النزاع التنازل عنها ، قد يوافقون على تركها لدولة صغيرة جديدة يجري خلقها في المنطقة . وحين زار الرئيس الروماني « نيكولاي تشاوشسكو » المغرب اعلن يوم ٧ كانون الاول تأييد رومانيا لانشاء دولة فلسطينية مستقلة .

أما داخل الضفة الغربية فقد نقلت وكالات الانباء يوم ٧ كانون الاول مقتطفات من مقال كتبه السيد حمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس في جريدة القدس قال فيه « اننا نرفض وحدة الضفتين على أساس الضم ونرغب في وحدة عادلة بين الضفتين » وقال انه بدلا من أن توجه السلطات الاردنية التهديدات وتهم الخيانة الى الذين ينادون بالكيان الفلسطيني ، فان على هذه السلطات ان تسهل قيام هذا الاتحاد بين الضفتين . وعلى صعيد اخر مختلف ذكرت صحيفة فتح يوم ١٣ كانون الاول ان اجتماعا حضره عرب من المناطق المحتلة وزعماء اسرائيليون عقد حديثا في « نتانيا » للبحث في اقامة دولة فلسطينية .

وبهذا نرى ان حديث الدولة الفلسطينية ، لم يعد حديث همس بين الجدران ، وهو بالاضافة الى علنيته اصبح جزءا بارزا من الحسابات السياسية في المنطقة ، وخاصة فيما يتعلق بحسابات السياسة الاردنية .

ب.ح.

---

(٥) القضية الفلسطينية دوليا

لا شك أن الضربة القوية التي تم توجيهها الى حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة في الاردن في شهر ايلول ١٩٧٠ قد تركت اثرها الواضح والمتميز على تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي في الشهرين الاخيرين . واول ما يلفت نظر المتتبع للاحداث هو انحسار اهتمام الاوساط الدولية والصحافة العالمية بحركة المقاومة ومطالبها ، واسقاطها الى حد بعيد من حساباتهم كقوة ثورية تفعل في المنطقة وتقرر مصير الاحداث ومجراها . يضاف الى ذلك احساس الاوساط الدولية المعنية بالاطمئنان النسبي في هذه الفترة باعتبار ان حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة قد اعيدت الى « حجمها » المطلوب على الصعيد العربي الرسمي بعد أن تم ادخالها كليا تحت وصاية الحكومات العربية ووضعها تحت رحمة السياسات العربية الرسمية المحلية والدولية ، من هنا الاطمئنان الدولي الاستعماري بأن حركة المقاومة لم تعد تشكل الخطر الذي كانوا يظنون انها تشكله على المشاريع الاستعمارية المرسومة للمنطقة العربية بما في ذلك تصفية قضية شعب فلسطين نهائيا .

ومن جهة اخرى يتبين ايضا لمتتبع التطورات الدولية للقضية الفلسطينية في المرحلة الاخيرة ان أهم ما يميز هذه الفترة هي التحركات النشيطة في السياسات الداخلية والخارجية من قبل كافة الاطراف المعنية باتجاه الحل السلمي للنزاع العربي الاسرائيلي ، مع الاخذ بعين الاعتبار ان كل طرف من هذه الاطراف يدفع باتجاه الحل

السلمي وفقا لتفسيره الخاص لنصوص قـــرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبـــر ١٩٦٧ .

لذلك يصبح المدخل الطبيعي لمراجعة تطـورات القضية الفلسطينية على الصعيد العالمي في الشهرين الاخيرين وتتبعها هو النشاط الدبلوماسي ، المتعدد الوجوه والصادر عن كل الفرقاء المعنيين ، الذي جرى في هيئة الامم المتحدة ان كان ذلك علانيـة او وراء الكواليس .

مع اقتراب انتهاء فترة وقف اطلاق النار الاولـى (٥ نوفمبر ١٩٧٠) على جبهة السويس تحركت الدول العربية في هيئة الامم المتحدة بقيادة ج ع م لادراج تصفية الشرق الاوسط على جدول اعمـال الجمعية العامة لهيئة الامم وتركزت جهود الجمهورية العربية المتحدة وبعض الدول العربية الاخرى على محاولة انتزاع قرار من الجمعية العامة يدعـــو الطرفين المعنيين الى تمديد فترة وقف اطلاق النار لفترة ٩٠ يوما جديدة وحثهما على العودة الـى الاشتراك في المحادثات المرجوة تحـت اشراف السفير يارينغ .

لقد حاولت القوى العربية في هيئة الامم الحصول على قرار من الجمعية العامة يتناسب ، بقـدر الامكان ، مع وجهات نظرها وسياساتها وتفسيرها لقرار مجلس الامن المشهور . بينما حاولت القوى المضادة جعل القرار اقرب ما يمكن لوجهة النظر الاسرائيلية الامريكية . وبرزت ثلاثة اتجاهـــات متباينة من خلال المناقشات والمباحثات حول الموضوع في هيئة الامم تبلور كل منها بمشروع قرار قدم الى الجمعية العامة للتصويت عليه . اولا ، مشروع القرار الامريكي الذي دعا الى تمديد وقف اطـلاق النار ثلاثة اشهر اخرى كما دعا الى العودة الى محادثات يارينغ ولكن على أساس مشروط « باعادة الثقة » التي فقدت بين الطرفين المعنيين ، اي نوه مشروع القرار الامريكي بادعاء اسرائيل بأن مصر قد خرقت اتفاقية وقف اطلاق النار بادخالها صواريخ سام ٢ وسام ٣ الى المنطقة الحرام في جبهة القتال . بعبارة اخرى جاء مشروع القـرار الامريكي مؤيدا تأييدا واضحا وصارخا للموقـف الاسرائيلي ، لذلك كانت احتمالات اقراره فـي الجمعية العامة ضعيفة بسبب موقـف الكتلـة الافرو — اسيوية الاكثر اتزانا واعتدالا ، هـذا بالاضافة الى المعارضة العربيـة والسوفياتيـة العنيفة . ثانيا ، مشروع القرار الذي قدمتـه حكومات دول امريكا اللاتينية ، وكما هو معروف هذه الدول خاضعة للنفوذ الامريكي وتابعة لتأثيراته في اروقة الامم المتحدة . طالب مشروع القرار هذا بتمديد وقف اطلاق النار والعودة الى محادثـات يارينغ ولكنه تجاهل تجاهلا تاما كل ذكر للمطالب العربية عامة ولكل ما يمت بصلة الى حقوق شعب فلسطين ، اي ان المشروع الامريكي اللاتيني لم يرتفع حتى الى مستوى مشروع روجرز من حيث التنويه ، لو بصورة ما ، بما هو مناسب لوجهة النظر العربية الرسمية ، ولحقـــوق الشعـب الفلسطيني .

ثالثا ، مشروع القرار الافرو — اسيوي الذي قدم كبديل لمشروع دول امريكا اللاتينية وهو قرار وسطي يرضي الى حد ما مطالب السياســات العربيـة الرسمية القائمة على قبول مشروع روجرز كما أنه لا يزعج كثيرا امريكا واسرائيل ، باعتبار ان القرار سيبقى ، في التحليل الاخير ، حبرا علـى ورق بسبب فقدان اية قوة (عربية او غيرهـا) تعطيه شيئا من الفعالية التنفيذية . مع ذلـك ، وبالرغم عن ميوعة المشروع الافرو — اسيـوي ووسطيته وعمومياته لقد كـان اكثر مما تحتمله اسرائيل وامريكا في نصه الاصلي ، لذلك قـامت فرنسا بادخال تعديلات عليه كي لا تحاربه امريكا بشراسة وتفشله . ووافقت بعض الدول العربيـة بقيادة الجمهورية العربية على هذه التعديـلات التي كانت غايتها تخفيف المعارضة الامريكيـة الاسرائيلية لمشروع القرار . وقد دعمت كل من فرنسا والاتحاد السوفياتي مشروع القرار المعدل ووافقت الجمعية العمومية عليه بأكثرية ٢٥ صوتا. أما النقاط الرئيسية التي تضمنها القرار فهي كما يلـي :

التأكيد من جديد على عدم شرعية ضم اية اراض بالقوة ، مما يعني انه على اسرائيل اعادة اراض احتلتها من العرب في حرب عام ١٩٦٧ وذلك عن طريق الانسحاب الى وراء حدود « آمنة ومعترف بها » وانهاء حالة العداء في المنطقة . الاقرار بأن احترام حقوق الفلسطينيين هو عنصر لا غنى عنه في تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط . الحث على التنفيذ السريع لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٠ . دعوة الدول المعنية (اي مصر واسرائيل) لاصدار تعليمات الى ممثليها كي تعود الى الاتصال بالممثل الخـاص ليوثانت (اي يارينغ) ليتمكن من القيام بمهمته في

تنفيذ قرار مجلس الامن في اقرب فرصة ممكنة مع المطالبة بتمديد فترة وقف اطلاق النار . مطالبة يوثانت بتقديم تقرير الى مجلس الامن خلال مدة شهرين حول جهود السفير يارينغ ومساعيــه . مطالبة مجلس الامن النظر فيإمكانية اتخاذاجراءات، اذا دعت الحاجة الى ذلك، لضمان تنفيذ قرار مجلس الامن وذلك وفقا للبنود المعنية من ميثــاق هيئة الامم المتحدة .

هنا لا بد من تسجيل الملاحظات التالية على قرار الجمعية العامة الذي نحن بصدده باعتبار ان بعض الدول العربية قد اعتبرته انتصارا كبيــرا لدبلوماسيتها وجهودها السياسية . أ) كان هدف التعديلات الفرنسية التي ادخلت على مشروع القرار تخفيف كل اشارة في القرار الى حقوق الشعب الفلسطيني وتمييعها وصياغتها بالعموميات التي تعني كل شيء ولا تعني اي شيء بالتحديد لجعــل مشروع القرار مقبولا . اي ان الثمن الذي يتــم دفعه دوما هو التلاعب بحقوق شعب فلسطــين وتمييعها كي تحصل الدبلوماسية العربية على قرار من هذا النوع لا يسمن ولا يغنــي عــن جــوع اصلا ، علما بأن موضوع المعركة مع اسرائيــل وفحوى الصراع القائم في المنطقة العربية وجوهره هي حقوق شعب فلسطين في ارضه ووطنه وفــي تقرير مصيره بنفسه . ب) اشار القرار الــى الانسحاب من أراض احتلتها اسرائيل وليس من كل الاراضي العربية المحتلة كما تقول السياســة العربية الرسمية حتى الان . ج) اصر القرار على انهاء حالة العداء العربي ضد دولة اسرائيل مما يعني انهاء كل مقاومة ضد دولة اسرائيل فــي المستقبل . د) لم تشترك الدول العربية التاليــة في التصويت على مشروع القرار : الجزائــر ، سوريا ، العراق ، الكويت ، العربية السعودية، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهوريــة اليمــن الديمقراطية الشعبية — ذلك لان القــرار اهمــل الفلسطينيين ولان اللجنة المركزية لحركة المقــاومة الفلسطينية قد رفضت هذا القرار وكل قرار مشابه له باعتباره معاد لمصالح حركة المقاومة واهدافها في التحرير الكامل لفلسطين من الصهيونية . هـ) قبل التصويت النهائي على مشروع القرار الذي نحــن بصدده اتخذت الجمعية العمومية قرارا اجرائيــا بالاكثرية فحواه تصنيف مشروع القرار الافرو — اسيوي المعدل على انه « موضوع غير مهــم » not an important question مما يعني ان اقراره لا يتطلب اكثرية ثلثي الاصوات فــي الجمعية العامة . وما كان مشروع القرار ليحظى بمثل هذه الاكثرية لو تم تصنيفه « كموضوع مهم ». بالرغم عن ذلك لم يحرز القرار الا اكثرية ٢٥ صوتا فقط . بعبارة اخرى حتى الجمعية العامة لهيئة الامم التي تبنت القرار اعلنت ان قرارهــا « غير مهم » . و) جاء الرد الاسرائيلي الرسمي على لسان ابا ايبان برفض القرار كلية مشفوعا بالايضاح القائل بأن اسرائيل لا تعتبر انه مــن واجبها حمل هذا القرار محمل الجد لانه توصية من الجمعية العامة لا اكثر ، وهــي توصية صنفتها الجمعية العامة نفسها بأنها « غير مهمة » . هذا واقع ما سمي بالانتصار الدبلوماسي العربي في هيئة الامم وهذه حقيقته وحدوده .

لم يقتصر النشاط الدبلوماسي في هيئة الامم في الشهرين الاخرين على هذا القرار فحسب بــل تعدى ذلك الى تأكيد موقفين جديدين يمكن اعتبارهما من صالح القضية العربية عامة . في الاسبوع الاول من شهر ديسمبر١٩٧٠أقرت اللجنة السياسية الخاصة فيالامم المتحدةقرارات تطلب فيهمنالجمعية العامة ان تعتبر ان مأساة اللاجئين ما تزال قائمة بسبب رفض اسرائيل السماح بعودتهم الى ديارهم كما أشارت اللجنة السياسية في قراراتها الــى ضرورة الاحترام الكامل للحقـــوق الاساسيـــة للفلسطينيين باعتبارها عنصر لا يستغنى عنه في اقامة سلم دائم وعادل في الشرق الاوسط ، كمــا اكدت ايضا ان الشعب الفلسطيني يتمتع بحقوق متساوية وبحق تقرير المصير وفقا لميثاق هيئـــة الامم المتحدة .

يضاف الى ذلك ان اللجنة السياسية اتخذت قرارا مدعوما من قبل الدول العربية والاشتراكية يطالب اسرائيل بتطبيق وتنفيذ توصيات لجنة هيئــة الامم الموكلة ببحث موضوع خرق حقوق الانسان العربي في المناطق المحتلة من قبل اسرائيل . وجدير بالذكر ان اسرائيل كانت قد رفضت السماح لهذه اللجنة بزيارة المناطق المحتلة . غير أن اللجنة تمكنت من القيام بعملها وكانت نتيجة مشاوراتها اتهام اسرائيل بخرق حقوق الانسان في معاملتها للعرب في الاراضي المحتلة . وقد مدد القرار الذي اتخذتــه اللجنــة السياسية صلاحيات اللجنة المعنية وطالب اسرائيل بالسماح لها بالذهاب الى الاراضي المحتلــة كما طالبها بالتعاون مع اللجنــة وتسهيــل اعمالهــا ومهمتها . وقد شملت قرارات اللجنة السياسية

توصية بتعيين دول محايدة للاشراف على ضمان حقوق الانسان للعرب وحمايتها في الاراضي المحتلة، كما دعا القرار اسرائيل للتخلي عن سياسات مثل الانتقام الجماعي ، فرض حظر التجول واساءة معاملة المساجين ، وطالبها بالسماح للمنفيين والمبعدين بالعودة الى منازلهم ، كما أوصت اللجنة بمطالبة اسرائيل الرجوع عن كافة الاجراءات التي من شأنها تبديل معالم القدس كما كانت قبل الاحتلال .

وغني عن القول ان كل هذه القرارات ، مهما كانت لصالح العرب ، تبقى عديمة الفاعلية طالما ان الدول العربية تتعامل في هيئة الامم من موقف الضعف والهزيمة والمطالبة بمنقذ من ازمة النزاع في الشرق الاوسط . يضاف الى ان كافة هذه القرارات لا ترى في الشعب الفلسطيني الا كومة من اللاجئين يجب انصافهم ليس الا .

هنا لا بد من ملاحظة ظاهرة على جانب من الاهمية برزت في هيئة الامم اثناء مناقشة موضوع ازمة الشرق الاوسط . تتلخص الظاهرة في أن فرنسا وقفت مع القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة بهذا الصدد بينما امتنعت بريطانيا عن التصويت ، في حين صوتت امريكا ضد القرارات كلها وعارضتها . بعبارة اخرى يبدو ان هناك موقفا اوروبيا متميزا عن الموقف الامريكي بدأ يتبلور في الفترة الاخيرة حيال ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط. وتعود جذور هذا الموقف الاوروبي الجديد الى تعارض جزئي بين المصالح الاوروبية الخالصة والمصالح الامريكية في الشرق الاوسط والى مدى تأثر كل من هاتين المجموعتين من المصالح بتأثيرات سلبية ناجمة عن استمرار النزاع العربي الاسرائيلي على حاله . لذلك يصبح من الضروري الاشارة الى بعض العوامل التي يبدو انها كامنة خلف الموقف الاوروبي المتميز الذي لم تعد ترضى عنه اسرائيل كليا .

أصبح من المعروف جيدا ان الطلب على البترول في أوروبا قد ازداد اخيرا زيادة كبيرة وغير متوقعة. من اسباب هذا التصاعد تزايد استخدام المحروقات لاجل التدفئة والنقليات والتصاعد في استخدام المواد البتروكيماوية ومشتقاتها. كما انه من المتوقع ان يزداد هذا التصاعد بسرعة كبيرة تتعدى كل التوقعات السابقة. في الواقع تفاقم هذا الوضع في اوروبا الى درجة بدأ معها بالتأثير حتى على الولايات المتحدة واليابان بالاضافة الى الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية . من ناحية اخرى لقد تناقصت كميات بترول الشرق الاوسط المتوفرة في السنتين الاخيرتين بسبب اغلاق قناة السويس والعطب الذي طرأ على انبوب التابلاين في سوريا . يضاف الى ذلك تخفيض الانتاج البترولي الذي فرضته حكومة ليبيا على الشركات وارتفاع اجور نقل البترول من الشرق الاوسط والخليج الى أماكن تكريره واستهلاكه الرئيسية . ان هذا الفارق بين العرض والطلب على الصعيد الاوروبي قد ولد ضغوطا كبيرة في أوروبا تطالب باعادة فتح قناة السويس والدخول في مفاوضات مع سوريا لاصلاح خط التابلاين الخ ... بعبارة اخرى يوجد ضغط بريطاني فرنسي مدعوم من قبل الاتحاد السوفياتي للوصول بأسرع ما يمكن الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط وتثبيت الهدوء الاستعماري والسلام الامبريالي في المنطقة . ويبدو ان هذه الضغوط تكمن الى حد كبير خلف المشاريع التي طرحها موسى دايان مؤخرا حول ترتيب مؤقت مع مصر قائم على انسحاب عربي اسرائيلي جزئي من على ضفتي القنال لتمكين اعادة فتحها ، على الا يكون هذا الترتيب بديلا عن الوصول الى سلام دائم بين الدولتين على المدى البعيد ومن خلال المفاوضات . كذلك تفسر الضغوط المذكورة الاهتمام الاوروبي الشديد والملح في الفترة الاخيرة للوصول الى حل سلمي للنزاع مع ميل واضح الى الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني وحقوقه بمعنى من المعاني . وقد ادى هذا الوضع الى بروز فكرة الكيان الفلسطيني والاهتمام بالدولة الفلسطينية على الصعيد العالمي بصورة ملفتة للانتباه باعتبارها مخرجا من المازق الحالي في المنطقة . على سبيل المثال قالت صحيفة « الفايناتشال تايمز » بكل وضوح «نحن نعتمد على السلام في الشرق الاوسط» (نوفمبر ١٧ ، ١٩٧٠) . والاعتماد المعني هو الاعتماد البترولي والاقتصادي . وأخذت الصحيفة نفسها تتكلم عن « ضرورة ايجاد وطن قومي للفلسطينيين » واضافت قائلة في تعبيرها عن الموقف الاوروبي المستقل والمتميز نوعا ما : « ليس من المحتمل ان تؤدي محادثات يارينغ الى تسوية ، كما ان اية مفاوضات تجري بين اسرائيل والدول العربية لن تؤدي الى تسوية ايضا . الارجح هو ان هذه التسوية لن تأتي الا اذا فرضت من الخارج . ان اعادة رسم الخريطة في الشرق الاوسط بحيث توجد هناك اسرائيل وفلسطين مع ضمان امكان وصول

كل منهما الى البحر لا يمكن ان يتم الا على يد الدول الكبرى . » (نوفمبر ١٧ ، ١٩٧٠) . ومن الاقتراحات التي تم تداولها دوليا لتحقيق هذا الكيان الفلسطيني اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة .

كما برز اقتراح اخر يقول باقامة هذه الدولة على ارض المملكة الاردنية بكاملها . وجدير بالانتباه ان هذا التداول بموضوع الكيان الفلسطيني هو من النوع الذكي الذي يأخذ بعين الاعتبار انه اذا كانت الدولة الفلسطينية المعنية ستكون مجرد تابع مفضوح لاسرائيل فان ذلك لن يؤدي الى النتائج المطلوبة وهي استقرار المنطقة على المدى البعيد : اي ابقاء الستاتيكو الامبريالي على حاله . وعكست صحيفة « الفايننشال تايمز » هذه الاتجاهات في الاوساط الدولية بقولها ان من حسنات هذا الحل انه يعطي لكل من الطرفين المتخاصمين كل ما يريده تقريبا ، كما يتم الاعتراف بهاتين القوميتين المتنافستين ، القومية الاسرائيلية والقومية الفلسطينية ، وتحقيق العدالة بالنسبة للشعبين . (المصدر السابق) وادعت الصحيفة ان هذه الافكار منتشرة في الشرق الاوسط وفي الغرب معا . من ناحية اخرى اشارت صحيفة « الهيرالد تريبيون »» بهذا الصدد ، الى تصريحات روجرز اثناء زيارة الملك حسين الاخيرة للولايات المتحدة التي لم يرفض فيها امكانية حل النزاع في المنطقة عن طريق اقامة الكيان الفلسطيني أو الدولة الفلسطينية ، بل على العكس من ذلك أكدت الصحيفة ان مناقشات بهذا المعنى قد جرت على اعلى المستويات حول الكيان الفلسطيني (ديسمبر ١١ ، ١٩٧٠) . ومن المرجح ان ميل امريكا للاهتمام بموضوع الدولة الفلسطينية بصورة ما قد جاء استجابة لضغوط وحاجات اوروبية مر ذكرها معنا .

ظاهرة اخرى تعزز ما ذكرناه عن هذا الاتجاه الاوروبي المستقل نسبيا والمهتم بتحقيق الدولة الفلسطينية اجتماع مجلس اتحاد اوروبا الغربية المنعقد في باريس في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٠ الذي وافق بالاجماع على قرار متعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي يدعو الى ما يلي: الشروع بمشاورات على مستوى الوزراء (الاوروبيين) لتحديد موقف اوروبي خالص نحو الوضع في الشرق الاوسط . بذل الجهود المطلوبة لفتح مفاوضات جزئية بين العرب واسرائيل . وضع مشروع اتفاق يمنع كافة الدول من تقديم المساعدات العسكرية للدول المتحاربة في الشرق الاوسط . بذل جهود وتقديم مساعدات هدفها اعادة انعاش اللاجئين الفلسطينيين اجتماعيا واقتصاديا . دراسة الطرق المؤدية الى تخفيف حدة التوتر في منطقة الشرق الاوسط وانهاء المقاطعة العربية للمتعاملين مع اسرائيل ، وفتح قناة السويس والبحث عن طرق لصالح التعايش السلمي في المنطقة .

بدا هذا الموقف الاوروبي في اكتساب الطابع الرسمي عندما أشار رئيس وزراء بريطانيا الجديد الى ضرورة ايجاد فرصة « لوضع علاقاتنا مع العالم العربي على اسس جديدة واكثر واقعية ». وبعد هذه الاشارة بفترة قصيرة القى وزير الخارجية البريطاني (السير اليك دوغلاس هيوم) خطابا فصل فيه معنى تصريح رئيس الوزراء وكان ذلك في اجتماع لحزب المحافظين عقد في اوائل نوفمبر ١٩٧٠ . كانت محتويات الخطاب اول تعبير رسمي عن الخطوط العريضة، لسياسة حكومة المحافظين ازاء ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط . اكد وزير الخارجية في هذا الخطاب ان سياسة بريطانيا ما تزال قائمة على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتطبيقه ، كما دعا الى الانسحاب الاسرائيلي من أراض احتلتها عام ١٩٦٧ مع ادخال تعديلات طفيفة على الحدود بين الطرفين المتنازعين . كذلك ذكر ان اي تسوية لا بد وأن تأخذ بعين الاعتبار ما أسماه بالامال المشروعة للشعب الفسطيني. وجدير بالاشارة هنا الى ان هذه التصريحات صدرت قبل زيارة غولدا مائير لبريطانيا ببضعة ايام مما اثار ضجة في الاوساط الدولية والمؤيدة لاسرائيل التي اعتبرت سياسة حكومة المحافظين ممالئة للعرب ومتعارضة مع مصالح اسرائيل . بالرغم من الترحيب العربي الرسمي الكبير بخطاب وزير الخارجية البريطاني والمعارضة الصهيونية له لم يحتو الخطاب على اي شيء جديد يتعدى ما جاء في مشروع روجرز الذي كانت قد رفضته القوى الفلسطينية الثورية .

ويمكننا تلخيص الاسس التي تقترحها السياسة البريطانية لحل النزاع العربي الاسرائيلي وتحديدها بالنقاط التالية : أ ــ التأكيد على عدم جواز ضم اراض عن طريق الحرب . ب ــ الحاجة الى سلام دائم في الشرق الاوسط على أساس انسحاب اسرائيل من أراض محتلة مع انهاء حالة العداء بين الدول المعنية . ج ــ تأمين ترتيب خاص لمدينة القدس بحيث تبقى موحدة مع تقديم الخيار للاجئين

الفلسطينيين بالعودة او التعويض . د ــ معارضة حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة واهدافها وسياساتها لان غايتها هي ازالة دولة اسرائيل الصهيونية . ويبدو لنا ان هذا الموقف البريطاني (والاوروبي الى حد كبير) يعني على صعيد التطبيق العملي العودة الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ بين مصر واسرائيل مع تأمين ترتيبات خاصة بالنسبة لقطاع غزة ، العودة الى خط الهدنة كما كان قائما بين اسرائيل والاردن قبل الحرب مع ادخال بعض التعديلات الهامة على الحدود بالاضافة الى اتفاقية خاصة بالقدس الموحدة تضمن حقوق كل الطوائف في اماكنها المقدسة ، الرجوع الى الحدود القديمة بين اسرائيل وسوريا بعد أن توافق سوريا على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على ان يتم ادخال تعديلات على الحدود (مناطق مجردة من السلاح. الخ..) ، السماح لعدد رمزي من النازحين بالعودة الى اسرائيل والتعويض على البقية مما سيصفي قضية الشعب الفلسطيني نهائيا وفقا لما تتصوره الدوائر الاستعمارية .

ومما يذكر هنا ان خطاب وزير الخارجية المشار اليه لم يأت على ذكر قضية حرية الملاحة في ما يسمى « بالممرات المائية الدولية » في منطقتنا . وكما نوهنا سابقا لقي خطاب الوزير ترحيبا عربيا كبيرا كما واجه نقدا شديدا من جانب الصهيونية وحلفائها ، علما بأن الصحافة الاوروبية عامة قد دافعت بحرارة عن الوزير وخطابه وسياساته مما يؤكد الموقف الاوروبي المتميز الذي حاولنا التقاط ملامحه ودوافعه . ويضاف بهذا الصدد ان مندوب بريطانيا في هيئة الامم المتحدة عاد الى التأكيد على هذه السياسة في خطابه الرئيسي اثناء مناقشة الجمعية العامة لقضية الشرق الاوسط حيث جاء على ذكر مسألة حرية الملاحة في العقبة وممرات تيران وقناة السويس ولكن بدون تسميتها «بالممرات المائية الدولية » . كما قام مندوب فرنسا ، في خطابه الرئيسي ايضا ، بمهاجمة الولايات المتحدة الامريكية لارتكابها خطأ اساسيا ، على حد قوله ، بابقائها هيئة الامم والدول الاربع الكبرى ومجلس الامن خارج نطاق ما يجري من ترتيبات لوقف اطلاق النار في الشرق الاوسط . قال ان قيمة وقف اطلاق النار كانت ستكون مختلفة تماما لو حدث وقف اطلاق النار على اساس ضمانات من قبل الدول الاربع الكبرى . مرة اخرى الموقف الاوروبي متخوف الى حد ما من تسوية ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط على اساس صفقة منفردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بحيث تبقى الدول الاوروبية المهمة خارج اطارها وعاجزة عن التأثير المباشر عليها وعلى نتائجها .

بعد تمديد وقف اطلاق النار في اوائل نوفمبر ١٩٧٠ انصبت تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد العالمي باتجاه احياء محادثات يارينغ التي كانت قد نسفتها اسرائيل في مرحلة سابقة . على الجانب العربي اعلن الرئيس انور السادات ، على اثر تمديد وقف اطلاق النار ، بأن مصر لن تقبل بأي حال من الاحوال تمديدا اخر بعد ٥ شباط ١٩٧١ . غير ان بعض التعديلات طرأت على هذا الموقف فيما بعد حيث اعلن الرئيس السادات من جديد أن تمديد فترة وقف اطلاق النار مرهون باحراز تقدم ملموس في محادثات يارينغ ، كما اعلن أيضا ان التمديد مرهون بوضع جدول زمني للانسحاب الاسرائيلي تحت اشراف يارينغ .

بطبيعة الحال رفضت اسرائيل الموقف المصري رفضا باتا ثم استخدمت سياسة ذكية وحاذقة جدا في معالجة موضوع عودتها الى محادثات يارينغ. وقبل الدخول في تعرجات هذه السياسة لا بد من الاشارة الى كيف فهم موسى دايان تمديد وقف اطلاق النار. قال دايان معلقا على ذلك « ان وقف اطلاق النار الذي بدأ اليوم يختلف ، من عدة نواح ، اختلافا كليا عن وقف اطلاق النار السابق . لم يأت وقف اطلاق النار الجديد نتيجة لمبادرة امريكية ، كما ان مصر لم تتلق اية وعود ، واسرائيل غير ملزمة هذه المرة بما وافقت عليه بالنسبة لوقف اطلاق النار السابق . كذلك ان الولايات المتحدة لم تتطلب من اسرائيل هذه المرة ان تأخذ على عاتقها اية التزامات . وبالاضافة الى ذلك لم تقدم امريكا ، هذه المرة ، اية وعود الى مصر بعدم تزويد اسرائيل بالاسلحة ، كما انه ليس لدى مصر اي امل بأن تضغط امريكا على اسرائيل كي توافق على مشروع روجرز » (« الفايننشال تايمز » ، ٧ نوفمبر ١٩٧٠) .

استخدمت اسرائيل منطق الترغيب والتهديد في آن واحد : الترغيب عن طريق اعلان نيتها بالعودة الى المحادثات عندما تتحقق الشروط المناسبة لذلك على حد زعمها ، والتهديد بعدم العودة اليها لفترة طويلة بغية الحصول على مكاسب مهمة منها الظهور بمظهر من قدم تنازلات كبيرة بمجرد قبوله الرجوع الى مائدة المفاوضات تحت اشراف يارينغ . كانت

اسرائيل تماطل وتؤجل وتقدم الوعود بالرجوع الى المحادثات ثم تضع شروطا تعجيزية وتطرح مشاريع بديلة بغية بلبلة الموقف وتمييعه . وفيما يلي امثلة عن السلوك الاسرائيلي هذا : ١ — بعد ان كان موسى دايان ، وزير الدفاع ، هو المسؤول الرئيسي عن انسحاب اسرائيل من محادثات يارينغ في السابق ، عاد هو بنفسه ليعلن في نهاية الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ١٩٧٠ بأنه ينبغي على اسرائيل أن تنهي مقاطعتها لمحادثات السلام تحت اشراف يارينغ . قال : « ان اسرائيل ليس لها مصلحة في الاستمرار بالحرب او في المكاسب الاقليمية . ان مصلحتها هي في انهاء الحرب فقط». كذلك أعلن ان الولايات المتحدة الامريكية هي الصديق الوحيد لاسرائيل (بسبب الموقف الاوروبي المتميز). وفي اليوم التالي اعلنت مصادر اسرائيلية مأذونة بأن قرارا بالرجوع الى محادثات السلام سيتخذ في الاجتماع الاسبوعي المقبل للوزارة الاسرائيلية . غير ان اجتماع مجلس الوزراء خرج بنتيجة هي تأجيل اتخاذ القرار الى وقت لاحق .

٢ — كان يفترض ان تعلن غولدا مائير قرار العودة الى محادثات يارينغ في خطاب هام ستلقيه امام الكنيست في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ وذلك وفقا لمصادر الاعلام الاسرائيلية ، غير ان خطابها اقتصر على مجرد الدعوة الى « خلق ظروف مؤاتية تمكن اسرائيل من العودة الى المحادثات » وبينت مائير ان هذه الظروف غير متوفرة في الوقت الحاضر كما انها تجنبت تحديد ما تعنيه « بالظروف المواتية ».

٣ — في هذه الفترة شاعت أخبار ، مصدرها اسرائيل ، عن اجتماعات تمت بين الملك حسين وييغال آلون ، ومما زاد الوضع بلبلة طرح موسى دايان لمشروع جديد يضاف الى اللغط الدائر حول عودة اسرائيل الى محادثات يارينغ . يدعو مشروع دايان الى الانسحاب المتبادل من قبل مصر واسرائيل الى مسافة معينة بعيدا عن ضفتي القنال وعقد اتفاقية وقف اطلاق نار جديدة بين الطرفين . ثم اعلنت مصادر اسرائيلية وزارية عن استعداد اسرائيل للدخول في مفاوضات فورية مع الاردن ولبنان كل على حدة . وبطبيعة الحال رفضت الدول العربية كل هذه المناورات والمماطلات .

٤ — عادت اسرائيل الى التهديد من جديد بعدم العودة الى محادثات يارينغ كما جاء في تصريح لآلون في منتصف شهر نوفمبر قال فيه «يتعذر علينا العودة الى المحادثات طالما ان الشروط المناسبة لذلك لم تحقق ولا ارى كيف ستتحقق هذه الشروط بدون حل مشكلة الصواريخ على الطرف المصري من خط وقف اطلاق النار » ، . وفي ٢١ نوفمبر ١٩٧٠ اكد احد الوزراء هذا الموقف المتمنع من جديد بقوله « ان مشاركة اسرائيل في المحادثات غير واردة حاليا ».

٥ — عادت اسرائيل بعدها الى تكتيك الاعلان المسبق بأن مجلس الوزراء سوف يتخذ قرارا بالعودة الى المحادثات في اجتماعه المقبل وكان كل اجتماع مقبل يؤجل اتخاذ القرار الى الاجتماع الذي يليه واستمرت الحال على هذا المنوال حتى آخر شهر ديسمبر ١٩٧٠ . لذلك اعلن موسى دايان على اعقاب زيارته للولايات المتحدة في الاسبوع الاول من شهر ديسمبر ١٩٧٠ (حيث قابل الرئيس نيكسون) بأن الشروط المناسبة لعودة اسرائيل الى محادثات يارينغ لم تنضج بعد ، ولكن اسرائيل ستعمل ما في وسعها لانضاجها .

من نافلة القول ان هذه المناورات الاسرائيلية على الصعيد الدولي كان لها اهداف محددة ومرسومة لانه في الفترة التي استغرقتها المناورات كانت مشاورات هامة جدا تجري بين اسرائيل وحكومة الولايات المتحدة الامريكية . في ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ طالب الرئيس نيكسون الكونغرس الامريكي بمبلغ بليون دولار اضافي في برنامج المساعدات الخارجية الامريكية على ان يتم تخصيص نصف المبلغ لاسرائيل ومساعداتها . طلب نيكسون مبلغ ٥٠٠ مليون دولار لمساعدة اسرائيل على شراء اعتدة ضرورية « للمحافظة على قدرتها الدفاعية » ، و« للتخفيف من حدة الضغط الاقتصادي المتولد من اتساع التزاماتها العسكرية » .

اما النصف الاخر من المبلغ فقد تم توزيعه بين كامبوديا وكوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية . وكان نصيب الاردن ٣٠ مليون دولار ونصيب لبنان ٥ ملايين لا اكثر . اما مجمل المساعدات الامريكية التي اخذتها اسرائيل وستأخذها على مدى الثلاث سنوات هذه فتقدر بمبلغ بليون و٣٠٠ مليون دولار وفقا لحسابات صحيفة « الفايننشال تايمز » (نوفمبر ١٨ ، ١٩٧٠) . وفي ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ حاول بعض اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي عرض مشروع قرار على المجلس يحظر على الرئيس نيكسون ارسال اية قوات امريكية او اي مدربين ومشرفين امريكيين الى اسرائيل كجزء من موافقة المجلس على مطالب نيكسون المالية (اسوة بما حدث بالنسبة للمساعدات التي طلبها نيكسون

سابقا لاجل حملة كمبوديا) . غير ان مشروع القرار سقط في التصويت مما يترك مجال التدخل الامريكي المباشر مفتوحا حتى على الصعيد القانوني المحض. وتضم المساعدات التي حصلت عليهـا اسرائيل طائرات فانتوم وعددا كبيرا من السكاي هوك و ٢٠٠ دبابة من احدث طراز ، كل ذلك بحجة المحافظة على ميزان التسلح في المنطقة ومواجهـة صواريخ سام ٢ و٣ على الطرف الاخر من قناة السويس . لقد اتضح فيما بعد ، كما بينت الصحافة الدولية ، ان الذريعة التي استخدمتها كـل من اسرائيل وامريكا لتبرير كل هذه المساعـدات كانت كاذبة تماما. زعمت كل من امريكا واسرائيل ان المساعدات المالية والعسكرية كانت ضرورية للرد على انشاء مصر لشبكات الصواريخ سام ٢ و٣ على جبهة القنال اثناء فترة وقف اطلاق النار . غير انه تبين ان اتفاقية الـ ٥٠٠ مليون دولار كانت قد تمت بين امريكا واسرائيل في شهر حزيران ١٩٧٠ اي حوالي ٧ اسابيع قبل اتفاقية وقف اطلاق النار . ذكرت صحيفة « الهيرالد تريبيـون » بأن المسؤولـين الامريكيين قد اعترفوا بأن امريكا قررت تقديم كل هذه المساعدات الى اسرائيل في الوقت الذي كان روجرز يعرض مشروعه للسلام على اسرائيل والعرب (١٦ نوفمبر ١٩٧٠) . اي ان اسرائيل لم توافق على مشروع روجرز بسبب الضغط الامريكي كما قيل يومها بل لانها حصلت على كل ما تريده ان لم يكن اكثر بكثير . اتضحت هذه الحقيقة بالرغم من ان الحكومة الامريكية حاولت ان تظهر المساعدات والصفقات والاسلحة المرسلة الى اسرائيل على انها تعويض لها بسبب اقامـة مصر للصواريـخ الدفاعية على ضفة القنال اثناء فترة وقف اطلاق النار .

كذلك شملت المشاورات الامريكية الاسرائيلية في هذه الفترة مسألة الضمانات الامريكية الاساسية التي ستقدم لاسرائيل حتى تعود الـى محادثات يارينغ . وتتلخص الضمانات التي تريدها اسرائيل من امريكـا بالنقاط التاليـة : أ ــ استمرار المساعدات الامريكية الاقتصادية والعسكرية (في مستوى الـ ٥٠٠ مليون) حتـى عام ١٩٧٢ . ب ــ ضمان امريكي بردع الاتحاد السوفياتي كي لا يتورط اكثر فاكثـر في نزاع الشرق الاوسط . ج ــ استخدام حق الفيتو في مجلس الامن لمنع أية تعديلات تطالب بادخالها مصر والاتحاد السوفياتي على قرار مجلس الامن بغيـة جعله اكثر تحديدا وقابلية للتنفيذ . د ــ ضمانات بأن امريكا لن تضغط على اسرائيل كي تنسحب من أراض عربية محتلة على اساس مشروع روجرز الذي يدعو الى اجراء مجرد تعديلات طفيفة في الحدود لا اكثر لان التعديلات التي تريدها اسرائيل لا يمكن وصفهـا « بالطفيفة » في اي حال من الاحوال . هـ ــ تمديد وقف اطلاق النار الى ما بعد ٥ شباط ١٩٧١ على اساس اتفاقية جديدة تحت اشراف الولايات المتحدة الامريكية . و ــ اذا توقفت محادثات يارينغ من جديد ، او وصلت الى مأزق ، او فشلت نهائيا فان الولايات المتحدة لن توقف شحنات الاسلحة الى اسرائيل كما انها لن تضغط عليها كي تقدم تنازلات للاستمرار في المفاوضات .

اما الرد الامريكي فقد تلخص باعلام اسرائيل بنية الرئيس نيكسـون التشدد في قراره حول المحافظة على ميزان التسلح في الشرق الاوسط وعدم التدخل في سير المفاوضات تحت اشراف يارينغ بعد ان تبدأ .

وقد اعلن عن القسم الاكبر من هذه الضمانات بصورة رسمية على لسان احد الوزراء الاسرائيليين (في ديسمبـر ١٦ ، ١٩٧٠) حيث وردت مطالب اسرائيلية واضحة مثل : المطالبـة بقبول قـرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بدون اي تفسير معين من قبل الجمعية العامة لهيئة الامم ، سحب مشروع روجرز من قبل الولايات المتحدة لانه يدعو لانسحاب اسرائيل من اراض عربية محتلة باستثناء تعديلات طفيفة في الحدود ، وان تستخدم الولايات المتحدة حق الفيتو في حال وجود اتجاه في مجلس الامـن لفرض عقوبات على اسرائيل اذا فشلت محادثات يارينغ .

وقد عبر مسؤولون امريكيون في بلجيكا في ٤ ديسمبر ١٩٧٠ عن اطمئنان امريكا لهذا الاتجاه في سياستها ولعودة محادثات يارينغ الى مجراهـا . كان ذلك عقب اجتماع مجلس الحلف الاطلسي في بروكسل حيث بين المسؤولون الامريكيـون ان الاتصـالات الامريكية بالعرب والاسرائيليين اظهرت رغبة مشتركة لدى الطرفين في تقديم تنازلات ، وان احتمالات الحل السلمي في الشرق الاوسط لم تكن في حال احسن من الحال التي هي عليه الان . اما الاسباب التي ساقها هؤلاء لتبرير تفاؤلهم فقد تلخصت في نجـاح المساعي المبذولة لتمديد وقف اطلاق النار ، سيطرة الملك حسين على الوضع في الاردن تماما (اي ضرب حركة المقاومة) ، اهتمـام مصر المتزايد بالتفاصيل

الداخلية والمشاكل المحلية ، انضمام سوريا الى الاتحاد الثلاثي العربي مما يعني قبولها الضمني بقرار مجلس الامن وما يترتب عليه من نتائج مثل مشروع روجرز ومحادثات يارينغ ، تصريح روجرز بأن الولايات المتحدة تعمل جاهدة باتجاه خلق ظروف مواتية لاستمرار محادثات يارينغ . مما لا شك فيه ان كافة هذه القضايا كانت موضع مشاورات بين موسى دايان والرئيس نيكسون وغيره من المسؤولين الامريكيين الكبار اثناء زيارة دايان الاخيرة الى امريكا في النصف الاول من شهر ديسمبر ١٩٧٠ . كما يحق لدايان ان يشعر بأن كل هذه المساعدات والضمانات والاسلحة الامريكية قد بدأت بخلق الشروط المواتيةللعودة الى محادثات يارينغ في نيويورك .

على صعيد آخر لا بد من ذكر رحلة الملك حسين الى العواصم الغربية الرئيسية كجزء من التطورات الدولية بالنسبة للقضية الفلسطينية : في اواخر شهر ديسمبر ١٩٧٠ قام الملك حسين بزيارة القاهرة والرياض في طريقه الى لندن حيث اجرى محادثات مع رئيس الوزراء ادوارد هيث هدفها التشديد على ضرورة المبادرة بتحركات ايجابية على صعيد العودة الى المفاوضات تحت اشراف يارينغ بغية الوصول الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . وقد شدد الملك انه ما لم تتحقق هذه المساعي فان وضعا خطيرا جدا سينشأ في المنطقة ولكنه لم يحدد طبيعة الخطر الذي عناه . كذلك امتدح الملك حسين خطاب وزير الخارجية البريطاني المشار اليه سابقا ووصفه بأنه يعبر عن موقف « عادل وسليم » كما ابلغ بريطانيا بالرغبة العربية في قيام علاقات اكثر ودية بينها وبين العالم العربي. وحاول الملك حسين التأكيد للانكليز وغيرهم انه اصبح يسيطر تماما على الوضع الداخلي في الاردن . كما تبين بأنه يتكلم ليس باسمه فحسب وانما باسم الرئيس انور السادات ايضا ، ونفى ما تردد حول اجتماعاته بآلون كما نفى ما تردد حول بحث الملك لموضوع اقامة دولة فلسطينية مستقلة على الضفة الغربية من نهر الاردن .

هذا على الصعيد السياسي ، اما على الصعيد العسكري فقد طلب الملك حسين من حكومة بريطانيا تزويده بمعدات عسكرية تضاف الى الاسلحة التي وعدت بتزويدها الولايات المتحدة وذلك لاجل تعويض دبابات السنتوريون الانكليزيةالصنع التي تم تدميرها اثناء معركة ايلول مع الفدائيين . اما في واشنطن فقد قابل الملك حسين الرئيس نيكسون وتردد انه اصر على صيغة مشروع روجرز الذي يدعو الى ادخال تعديلات طفيفةعلى الحدود العربيةالاسرائيلية اثناء الانسحاب الاسرائيلي بغية ضمان الامن المتبادل لكل من الدول العربية واسرائيل كما طالب بمساعدات جديدة تضاف الى مبلغ ٣٠ مليون دولار الذي وعده نيكسون به بعد معركة ايلول مباشرة. كذلك ترددت اخبار مؤكدة بأنه طالب بما قيمته ١٢٥ مليون دولار من المعدات الحربية تسلم على امتداد السنوات الخمس القادمة على ان تشمل دبابات م٦٠ وهي احدث واقوى دبابة انتجتها التكنولوجيا الحربية الامريكية بالاضافة الى المزيد من طائرات ف ١٠٤ ستار فايتر وغيرها من المعدات بما في ذلك شبكات الرادار .

اعلن الملك حسين في واشنطن تأييده لادخال قوة سلام دولية تضم قوات سوفياتية وامريكية الى المنطقة العربية باعتبارها افضل وسيلة لوقف القتال كما اعلن بهذا الصدد ان مفتاح السلام في المنطقة هو في يد امريكا . وقد اشار المسؤولون الامريكيون الى رغبتهم في النظر في امكانية تشكيل مثل هذه القوة . وكذلك اعلن روجرز في ٢٣ ديسمبر ١٩٧٠ ان الولايات المتحدةمستعدة لان تقوم بدور«البوليس» Policing في اية تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، وهي تترك احتمالات مشاركتها في قوة سلام دولية تابعة لهيئة الامم مفتوحة . اما فيباريس فقد اعلن الرئيس بومبيدو امام الملك حسين بأن فرنسا ستفعل كل ما في وسعها لاحلال السلام ضمن اطار محادثات الدول الكبرى ، كما اعلن الملك حسين انه يريد « اعطاء الفلسطينيين فرصة تقرير مستقبلهم » . وواضح ان المساعدات الامريكية والبريطانية الى الاردن مرهونة الى حد بعيد بمشروع روجرز وبتنفيذ الحل السلمي في المنطقة وتصفية القضية الفلسطينية لذلك لن يكون لهذه الاسلحة الضخمة الا وظيفة واحدة هي الاستخدام الداخلي لحماية النظام ليس الا .

اخيرا لا بد من الاشارة الى التحرك الديبلوماسي العالمي الذي قامت به الجمهورية العربية المتحدة في النصف الثاني من شهر ديسمبر ١٩٧٠ لشرح وجهة نظرها حول تمديد فترة وقف اطلاق النار وضرورة العودة الى محادثات يارينغ . وكان اهم ما في هذا التحرك زيارة علي صبري لموسكو على رأس وفد عربي على مستوى رفيع . ويبدو ان مهمة الوفد كانت التباحث مع القيادة السوفياتية في

التطورات العسكرية التي طرأت على النزاع بعد ان قررت امريكا تزويد اسرائيل بالمساعدات المالية والعسكرية الضخمة التي مر ذكرها . يضاف الى ذلك التباحث في مسألة تمديد فترة وقف اطلاق النار بعد ٥ شباط ١٩٧١ . وفي خطاب القاهرة كوسيغين بحضور علي صبري اعلن ان المساعدات السوفياتية بشتى انواعها سوف تستمر بالوصول الى مصر لاجل « احباط مخططات المعتدين الاسرائيليين في الشرق الاوسط » ، كما وجه انذارا الى اسرائيل بأنه لن يسمح لها بتوسيع رقعتها في المنطقة عن طريق الغزو . كما انذر المتطرفين الاسرائيليين بأنه لن يكون باستطاعتهم انتزاع اي ثمن على الاطلاق مقابل موافقتهم على التسوية السلمية في المنطقة لانه لا احد يطلب من اسرائيل واسيادها الامبرياليين السلام بأي ثمن .

الدكتور صادق جلال العظم

مراجعات

Search for Peace, Friends and International Relations Committee, and Friends Service Council, Friends House, Euton Rd., London, N. W. I. (1970).

سوف أبدأ بذكر ثلاث خطايا في الكتاب ثم أنتقل الى بحث النقاط الرئيسية التي أود طرحها بنفسي .

الخطيئة الاولى هي ان للكتاب موقفا ميكانيكيا او آليا من الجدال . يعدد الكتاب ثلاث نقاط (حجج) عربية هنا ، ثم ثلاث نقاط (حجج) صهيونية هناك، وهكذا يقرر ان لكلا الموقفين بعض الصلة بالحقيقة. انا اعتقد ان هذه غلطة مميتة ، وخطيئة مميتة ، وأنه ليس من الضروري ان تكون الحقيقة بين الموقفين . من الصحيح انه في الحياة الانسانية غالبا ما يكون لطرفي النزاع في أية قضية بعض الحق ، لكن هذا ليس بالضرورة حال جميع القضايا . وانا اعتقد ان الذين كتبوا هذا الكتاب حاولوا دائما ان يوردوا نفس العدد من الحجج لكلا الطرفين ، وذلك نتيجة لخوفهم من ردود الفعل الصهيونية .

ثانيا ، هناك بعض الاخطاء حول الحقائق . مثلا ، ان القول ان الفلسطينيين قدموا الى فلسطين مع الفتوحات العربية هو خطأ كبير . ان هناك في الانجيل نفسه ٧٤ اشارة الى الفلسطينيين . من هم الفلسطينيون الذين قاتلهم العبريون في فلسطين؟ انهم اجدادي . جاء العرب فيما بعد الى فلسطين ، لكن قبل ذلك التاريخ بالاف السنين كان هناك فلسطينيون في فلسطين . لذلك ، اذا كنا سنعيد ترتيب خارطة العالم على أساس من كان هناك ومتى، فان لنا حق افضل من حق الصهيونيين في فلسطين.

ثالثا ، هناك اشارة الى دخول الجيوش العربية الى فلسطين عند انتهاء الانتداب . اعتقد انه كان يتوجب على الكتاب ذكر حقيقة ان معظم فلسطين، التي اعطيت للعرب في قرار التقسيم الصادر في تشرين ثاني ١٩٤٧، كانت محتلة من قبل الصهيونيين قبل ان يدخل اول جندي عربي ارض فلسطين ، وانه في تلك اللحظة كان الصهيونيون قد طردوا ٣٥٠،٠٠٠ فلسطيني . هذه الحقيقة تجعل الامور مختلفة تماما ، واعتقد انه كان يجب بحثها في الكتاب .

يكفي ما قلته عن التفاصيل وعن التقرير نفسه . والان اود ان اتطرق الى القضايا الاكثر اهمية .

أحب ان اقول فورا ان هذا الكتيب ونحن الفلسطينيين نتكلم لغتين مختلفتين كما اننا نستعمل مفردات مختلفة تماما . ينطلق تقرير « الكويكرز » من موقف ان اسرائيل موجودة لتبقى ، ولذلك فان التقرير يكتفي بتعديلات طفيفة واصلاحات جانبية. اذا وجدت اسرائيل لتبقى فان هذا التقرير يهتم بالسؤال التالي : كيف يمكننا ان نجعل هذا القرص المر اقل مرارة ؟ كيف يمكننا ان نجعل العرب والفلسطينيين يجدونه حلو المذاق ؟ ان هذا السؤال حتما هو احد الوسائل ، لكنه لا يمس المسألة الحقيقية . بالنسبة لنا ، المسألة الاساسية هي ان وجود اسرائيل هو تبلور طويل الامد لعملية استعمارية وحشية ودائمة تهدف ليس الى اغتصاب الارض فقط ، بل الى الاقتلاع السكاني والطرد . هذه نقطة اساسية يجب ان نذكرها جيدا . اذا تعامينا عن هذه النقطة وبدأنا من النقطة الحالية فمن المنطقي ان نصل الى نفس استنتاجات هذا الكتاب . لكن ، من الناحية الاخرى ، اذا تذكرتم اننا ضحايا عدوان استعماري تدعمه الامبريالية الغربية ، فانكم ستصلون الى استنتاج ، لن اقول ما هو ، لكن ستصلون الى استنتاج مختلف . سوف اترك الاثارة جانبا لحظة .

بما اننا ضحايا الاستعمار ، وبما ان الصهيونية حركة استعمارية،لذلك لا يمكنها ان تترك لضحاياها حرية تقرير المصير . لدي ، في الواقع ، بعض الاقوال الجميلة حول هذا الامر . دعونا نعود الى هرتزل . قال في مذكراته ، من بين ما قاله : « سوف نحاول ان ندفع السكان الفقراء (احيانا اخرى يدعونا « الاهالي ») عبر الحدود بتدبير العمل لهم في البلدان المجاورة (سوريا ، لبنان الخ ..) بينما نمنع عنهم اي عمل في بلادنا » . كان هذا عام ١٨٩٧ . ويقول المؤتمر الامريكي

اليهودي عام ١٩١٨ : « سوف تقوم في فلسطين اوضاع سياسية وادارية واقتصادية تضمن تحول فلسطين الى دولة يهودية » . وحديثاً ، أراد حاييم وايزمان في اوائل العشرينات (١٩٢٠) أن تصبح فلسطين «يهودية كما هي انجلترا انجليزية». وبعد ذلك بسنة قال الدكتور « أدر » رئيس البعثة الصهيونية في فلسطين : « يمكن ان يكون هناك وطن قومي واحد في فلسطين وهو الوطن اليهودي، **ولن تكون هناك مساواة** ، في الشراكة بين العرب واليهود ، بل تفوق يهودي (متى ؟) **عندما تسمح زيادة اعداد عنصرنا بذلك** ». ثم فيما بعد ، عام ١٩٤٢ ، دعا برنامج بلتيمور ، الذي اعدته منظمة اميركا الصهيونية ، الى جعل فلسطين دولة يهودية والى الهجرة اليهودية غير المحدودة والاستيطان في فلسطين ، (تحت سيطرة من ؟) تحت سيطرة الوكالة اليهودية . لكن بعد ذلك بقليل قام الجنرال « باتريك هرلي » مندوب الرئيس روزفلت في الشرق الاوسط ، بتقديم تقرير في ٣ ايار ١٩٤٣ يقول فيه: « من جهتها ، اشارت المنظمة الصهيونية في فلسطين الى ارتباطها ببرنامج موسع لـ : ١ – دولة يهودية ذات سيادة تشمل فلسطين وربما شرق الاردن . ٢ – نقل السكان العرب من فلسطين الى العراق. ٣ – زعامة يهودية للشرق الاوسط كله في حقول التنمية والسيطرة الاقتصادية » . وهذا الذي تكلم ليس موظفاً في منظمة التحرير الفلسطينية بل مستشاراً شخصياً للرئيس روزفلت عام ١٩٤٣ . وبعد ذلك بوقت قصير ، في ٢٢ أيار ١٩٤٥ ، طلبت الوكالة اليهودية من الحكومة البريطانية اعلان قرار فوري بجعل فلسطين يهودية « غير قابلة للتقسيم ولا للانتقاص » . وبعد شهور قليلة ، عام ١٩٤٦ ، حضرت انا شخصياً جلسات بعثة تقصي الحقائق الانجليزية – الاميركية . وقد أدلى حاييم وايزمان بشهادته في هذه الجلسات (كنت عضو الفريق العربي – وكنت شاباً صغيراً عام ١٩٤٦) ، وقد سأله رئيس اللجنة : « دكتور وايزمان ، انك ما فتئت تتحدث عن ضرورة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، الا تعتقد ان ذلك سوف يخلق بعض الصعوبات للعرب ؟ » واجابه الدكتور وايزمان : « سيدي ، لا يمكن ان تعمل عجة دون ان تكسر البيض ». عند انتهاء شهادة الدكتور وايزمان وقفت البعثة كلها – البعثة الانجليزية الاميركية – وصفقت له تعبيراً عن احترامها واعجابها .

هذه هي اسرائيل التي ينصحوننا بقبول رحمتها والتعايش مع ما تشفق علينا به . هذا ليس تخريفا فلسطينيا، بل حقيقة لها عواقبها الماضية والحاضرة والمستقبلة المشؤومة . ومن وجهة النظر هذه ، **فان الاستنتاج الوحيد الممكن** هو طبعا التحرير . لا تسوية بل تحرير . ان الوضع مغاير لخلاف على الحدود، ولارض متنازع عليها بين دولتين متجاورتين، ولاقتسام مياه نهر يمر بين دولتين. ان الوضع أخطر بكثير . الوضع في الواقع هو أن نكون او لا نكون مجتمعا قوميا له حقوق سياسية ومدنية في وطنه ، ليس في السعودية ولا في الجزائر مع انها بلاد عربية ، بل في موطنه . القضية هي ايضا ان نقبل او لا نقبل مصير التشرد في انحاء الارض الاربعة . والقضية اخيرا هي هل نقبل ان نكون دون البشر بقبولنا المصير الذي رسمته لنا اسرائيل ، والذي تبنته ، لسوء الحظ ، حكومة الولايات المتحدة الاميركية .

أود هنا ان اتطرق الى مسألة الخير . يتحدث التقرير عن العذاب والالم المتعلق بمتابعة النضال. هذا صحيح تماما . لكن اعتقد ان المسألة الاهم التي يجب ان تثار هي المقارنة بين حالتين من الخير، الخير الذي سينتج عن قبولنا بقرار نوفمبر وهو تذويبنا الى دولة صغيرة عميلة لاسرائيل في جزء من الضفة الغربية . المقارنة بين الخير الذي سيؤول الينا كفلسطينيين والذي سيؤول لاسرائيل مجتمعين معا ، مقابل الخير الذي سينتج اذا قبلتم الحل الفلسطيني – الذي سأتحدث عنه بعد قليل . اننا نرى أن كمية الخير كمية صغيرة للفلسطينيين وانها مؤقتة بالنسبة للاسرائيليين مع انها قد تبدو مصدر خير كثير لهم . اعتقد ان خير اسرائيل مؤقت وان الربح العظيم ، بالطبع ، هو للاستعمار والامبريالية التي تتراجع في اماكن أخرى من العالم . وبالتالي رفضنا لقرار نوفمبر . أود أن أعطيكم باقتضاب خمسة أو ستة أسباب لرفضنا لقرار نوفمبر ، ورفضنا ادعاءه بأنه حل للمشكلة :

١ – يتجاهل القرار تماما احتلال عام ١٩٤٨ ويركز على احتلال ١٩٦٧ . اذا كان الاحتلال سيئا فان احتلال ١٩٦٧ سيء واحتلال ١٩٤٨ سيء . اذا كان الاحتلال جيدا عام ١٩٤٨ يجب ان يكون احتلال ١٩٦٧ جيدا ايضا . اما ان يكون الاحتلال سيئا في كلا الحالتين او جيدا في كلتيهما . وحسب معرفتي لا يتحسن الاحتلال مع مضي الوقت كتحسن النبيذ

او القيثارة .

٢ – يعطي قرار نوفمبر شرعية لوجود اسرائيل ، ولا يمكننا قبول هذا لان اسرائيل دولة مغتصبة : انها دولة استعمارية اقتلعتنا وشردتنا .

٣ – يتجاهل قرار نوفمبر اننا امة كما يتجاهل سيادتنا . بينما يجعل القرار اسرائيل شرعية . انه يتجاهل سيادتنا وامتنا .

٤ – يعالج القرار موضوع غزة والضفة الغربية ، ولا يعرف معظم الناس – سألت طلابي حديثا ولم يعرفوا – ان الضفة الغربية وغزة معا تؤلفان ٢٢٪ فقط من مساحة فلسطين . ماذا يحدث للمساحة المتبقية . تلك يجب ان تبقى في أيدي اسرائيل . هذا طبعا ، اذا اخذنا افضل تفسير لقرار نوفمبر، اي الانسحاب من كل الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .

٥ – قرار نوفمبر يسقط نصف الفلسطينيين من الصفقة . انه يعني في افضل حالاته عودة اللاجئين الذين اضطروا الى ترك الضفة الغربية سنة ١٩٦٧ . ماذا عني ؟ انا من طبريا . ماذا عن كثيرين آخرين من غزة او من يافا ؟ ماذا عن كل هؤلاء الناس ؟ هل يبقون خارج بلادهم ؟ ولماذا ؟ لا جواب في قرار نوفمبر .

٦ – القرار لا يرضي الفئة المعنية بالامر اساسا ، اي الفلسطينيين .

٧ – اخيرا ، القرار يصفي قضيتنا . لقد قال بعض الناس لنا ، غالبا اصدقاؤنا البريطانيون والاميركيون ، وقال لنا الانجلو – اميركيون العمليون : لا تكونوا سخفاء ، اقبلوا ما يعرض عليكم الان وانقضوه بعد خمس سنوات . تذكروا كيف قبلت المانيا معاهدة فرساي وكيف ثارت عليها. اولا ، نحن لسنا المانيا مقابل اسرائيل . العكس هو الصحيح : اسرائيل هي المانيا مقابل فرنسا . ثانيا ، اذا تخلينا عن حقوقنا بارادتنا كفلسطينيين، وبموافقة الدول العربية ، وتوقيع الدول الكبرى ، وتوقيع الامم المتحدة ، يمكننا أن نؤكد لكم ، اننا سنحتاج الى اكثر من معجزة من العهد القديم لنتمكن من نقض الاتفاقية .

وهكذا بينما يبدو قرار نوفمبر افضل قليلا من **السلام العبري** الذي تريدنا اسرائيل ان نعيش في ظله ، اي سيطرة اسرائيل على كل الشرق الاوسط بحيث تكون منطقة منه جزءا من الامبراطورية (فلسطين، وبعض سوريا ، وبعض لبنان ، وبعض الاردن) وما تبقى منطقة نفوذ بحيث لا يمكن تأليف وزارة في المغرب الا اذا قبلت تل ابيب بها . ذلك هو السلام العبري الذي علينا ان نعيش في ظله ، وهذا ليس تخيلا في اذهاننا . فقد ارسل الدكتور شارل مالك (آب ١٩٤٩) وثيقة الى حكومته وقد جرى نشرها حديثا يقول فيها : « انني أرى الدلائل اكثر واكثر على انه عندما يقدم طلب قرض الى الولايات المتحدة ، لن يبت بشأن هذا الطلب قبل معرفة رأي اسرائيل فيه » . هذا عام ١٩٤٩ ، فكيف ستكون الحالة عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨٩ اذا عشنا في ظل **السلام العبري** ؟

هذا هو الوضع . قرار نوفمبر افضل من **السلام العبري** لكن ليس بكثير . ماذا علينا ان نقدم في المقابل ؟ كبديل ، اننا نفكر بفلسطين في ايام الانتداب حيث يمكن لليهودي والمسيحي والمسلم ان يعيشوا فيها وان يخلقوا مغامرة جديدة في مجتمع جديد . وانا اتصور أن المجتمع الجديد يستهوي « الكويكرز » اكثر مما يستهوي اية فئة اخرى .

ولنقارن الان السلام الذي نعرضه مع السلام الاسرائيلي . سلامنا يتسع للعرب الفلسطينيين واليهود الفلسطينيين ، وسلامهم لا مكان للعرب فيه . سلامنا لا يميز بين اناس ، وسلامهم عنصري. سلامنا يقوم على التسوية والتعايش المشترك ؛ وسلامهم في الاساس سلام تمليه ارادة المستعمر (المنتصر ؟؟) سلامنا يؤكد حقوقا ويفرض واجبات على العرب واليهود على حد سواء ، وسلامهم ينكر ليس حقوقنا فقط بل وجودنا ايضا . سلامنا يحرر العرب واليهود على حد سواء من الانطواء على انفسهم ، وسلامهم يقوم على هذا الانطواء . سلامنا مغامرة ثورية مشتركة في بناء مجتمع جديد في فلسطين كلها ، وسلامهم ملكية منفردة منطوية على مفارقة تاريخية ، امتلاك منفرد ، لانها حين تطردنا يمكنها اقامة مجتمع – استيطان على ملكية مغتصبة . بما ان سلامهم ، بتعريفه ، استعماري فانه لا يمكن ان يكون ديمقراطيا وتقدميا .

شكرا للكويكرز لانهم وضعوا فكرتنا حول فلسطين الديمقراطية موضع الاختبار . هناك اربعة اختبارات للفكرة :

١ – نفعها . لمنفعة من هذه الفكرة ؟ نحن نعتقد ان فكرتنا هي لمصلحة العرب واليهود على حد سواء . يصبح بامكان اليهودي لاول مرة ، اذا تحققت فكرتنا ، ليس فقط ان يعيش هنا لكن ان يشعر انه مقبول حيث هو . للان ، بعد سبعين

سنة ، في عصر النضال هذا ، وقبل ذلك ببضع سنوات ، على الاقل بعد مضي ٥٢ سنة على وعد بلفور يحاول اليهود فرض انفسهم بالقوة على فلسطين . لقد حققوا النصر العسكري لكنهم فشلوا سياسيا . وسبب فشلهم بالذات هو استعمالهم القوة . اذا قبلهم العرب فقط يمكنهم ان يبقوا . ان حلنا المقترح يوفر القاعدة لقبولهم وانتمائهم .

٢ — عدالة الفكرة ، باستثناء عدالتها للفلسطينيين العرب . يكفي ان نقول في هذا الصدد ان اقتراحنا سوف يؤمن العيش في فلسطين لكل اليهود الذين يختارون العيش في سلام وكرامة مع العرب ، رغم ان معظمهم قد دخلوا فلسطين بغير ارادتنا . مع ذلك نحن مستعدون لتناسيذلك الامر اذا كان اليهود الفلسطينيون راغبين فيتحرير انفسهم من الصهيونية والمستعمرة واذا كانوا راغبين في بناء فلسطين جديدة . هذا سيمكنهم لاول مرة منذ ١٩١٧ من التفاعل ثقافيا واقتصاديا مع عرب فلسطين ومع كل العرب. يجب مقارنة هذا التفاعل مع حالة المقاطعة التي يعيش وسطها الاسرائيليون حاليا .

٣ — افق الحل البعيد المدى . لهذا الحل فائدة كبيرة وهي ديمومته . لن نقبل اي حل سواه ، لان أي حل آخر لن يوفر لنا اقل مطالبنا القومية ولن يضمن لنا اقل مصالحنا الوطنية . لذلك فان اي حل اخر سيكون حلا قصير المدى . لكن ، هل يستحق اي حل غير الحل الطويل المدى جهودنا ونضالنا ؟

٤ — واقعية الفكرة : قد يبدو لاول وهلة انه اذا كان الفلسطينيون واقعيين عليهم ان يقبلوا اي عرض تقدمه اسرائيل لهم لان حرب حزيران اظهرت الفارق العسكري الكبير بين اسرائيل والعرب . لكن نظرة أدق تظهر لنا العكس وهو ان الاسرائيليين غير واقعيين ولديهم قصر نظر لان نشوتهم بالقوة ستؤدي الى هزيمتهم في المدى الطويل . الامر الذي يجب تقديره ليس فقط قوة الجانبين النسبية اليوم ، لكن حجم هذه القوة بعد عشر او خمس عشرة او حتى ثلاثين سنة .

هناك ثلاثة افتراضات منطقية تؤيد قولنا بأن الواقعية الطويلة الامد سوف تدعم موقفنا .

الافتراض المنطقي الاولي هو التقدم الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي الذي يحصل في العالم العربي كله ويشارك فيه الفلسطينيون مشاركةتامة. الشخص العنصري فقط يمكنه انكار ذلك التقدم والقول بأن العرب لا يملكون القدرات الذاتية للتقدم مثل الايطاليين او البريطانيين .

الافتراض المنطقي الثاني هو التأثير الصاعق الذي يحدثه العدوان والتوسع الاسرائيليان على العرب عامة . يزداد الوعي بأن تفوق اسرائيل العسكري وما نتج عنه لن يبقى في حدوده الحالية من حيث الارهاب والاحتلال . سوف يقتل اطفال اكثر وتدمر مصانع اكثر . وسوف يكون هناك ضغط اسرائيلي اكبر للسيطرة على العالم العربي كله . لقد بدأ التأثير الصاعق يظهر في العالم العربي بطرقعديدة. يكفي ذكر التقييم الذاتي والنقد الذاتي الذي ظهر في مقالات ومسرحيات وافتتاحياتعديدة وفي الاحاديث العامة . هناك تململ من اوضاع العرب الحالية في مختلف حقول الفكر والعمل ومحاولة ايجاد حلول لها .

الافتراض المنطقي الثالث هو قيام الثورة الفلسطينية وتأثيرها على الفلسطينيينانفسهم من سكان مخيمات ورجال اعمال ناجحين على حد سواء ، وكذلك تأثيرها على العرب كلهم .

ان معركتنا ليست معركة سنتين او ثلاث سنوات او خمس سنوات ، يمكننا ان ننتظر عشرين سنة . يبدو الامر صلبا وقاسيا . انا اعرف واتوقع نوع السؤال الذي سيسألني اياه الكويكرز . انهم يهتمون بالسلام . انا مهتم بالسلام ايضا ، لكن عندما يكون ذلك السلام على حساب شعبي ، وعندما يعني السلام تفكيك شعبي ومجتمعي ، وبعد ذلك اجد نفسي في المغرب وابناء عمي في الجزائر وغيرهم في كندا ، فذلك ليس سلاما انه استسلام غير مشروط لن نقبله . يمكننا ان ننتظر ، يمكننا ان ننتظر ، يمكننا ان ننتظر . ان طاقاتنا اكبر بكثير من طاقات الاسرائيليين . تفكر حكومة الولايات المتحدة بمنح اسرائيل مبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، حسنا ، ان عائداتنا من البترول في العام الماضي قد بلغت ٤٠٧٢ مليون دولار ، وببعض التدبير الحسن يمكننا ان نحصل على اكثر من ٥٠٠ مليون دولار التي تمنحها الولايات المتحدة لاسرائيل هذا العام . لقد سمح باقامة اسرائيل فيمنتصف القرن العشرين. لقد اجتمع التواطؤ والغباء ، والجهل والنوايا الطيبة لتحقيق ذلك . وانا واثق من ان نهاية القرن الحالي سيشهد نهاية دولة اسرائيل ، لكن الجالية اليهودية ستتحقق بشكل اكمل .

الدكتور يوسف صايغ

جلال العظم ، صادق (دكتور) ، دراسات يسارية حول القضيةالفلسطينية (بيروت، دار الطليعة ، ١٩٧٠)

(١)

يكتسب كتاب صادق جلال العظم أهميته الاساسية من خلال قدرته للتصدي النقدي لمجموعة من المنطلقات والمعايير الفكرية الخاطئة ، التي تسود اليوم نمط معالجتنا الفكرية والسياسية . هذه المنطلقات والمعايير التي برهنت هزيمة حزيران على فسادها وتهافتها . ولكنها ، مع ذلك ، ما زالت تهيمن على حياتنا السياسية . ذلك لان القوى الاجتماعية التي أفرزت هذه الاساليب والمنطلقات **ما زالت تمارس دورها السياسي المتخلف رغم تخاذلها وسقوطها التاريخي المعروف** . ويعود سبب استمرار هذه القوى ، في الدرجة الاولى ، الى تفكك وضعف القوى الوطنية الجديدة التي ما زالت في طور التكوين الجنيني .

ونحن نستطيع ، مع التجاوز ، ان ننظر الى كتاب العظم ، باعتباره يعبر ، من زاوية معينة ، عن مستوى القوى الاجتماعية الصاعدة (بكل ما يحمله هذا المستوى من حماسة وايجابية وقصور) في تصديها للقوى الاجتماعية السائدة في الواقع العربي وصراعها معها على الجبهة الايديولوجية . ومن هنا يكتسب هذا الكتاب اهميته النقدية والسياسية .

يرى العظم في مقاله « كيف نفهم تاريخ الشعب اليهودي ؟ » بأن نمط العقلية التي ما زالت تسيطر على الحياة العربية « محافظة اكثر منها ثورية » في كافة مستوياتها . وتشكل النظرة الشائعة الى تاريخ الشعب اليهودي افضل نموذج لنمط العقلية العربية المحافظة الشوفينية . فهو يحدد لنا عناصر هذه النظرة بأنها « خيالية ناتجة عن تراكم مجموعة من الاساطير الدينية والقصص المتداولة ، والانطباعات الفجة والاسقاطات الذاتية والنفسية عن الواقع الخارجي . وبعد ان اعطيت طابع الشمول والرصانة ... » (دراسات يسارية ص ١٠) . وبعد ان يستعرض العظم بعض النماذج التطبيقية لهذه النظرة اللاتاريخية السائدة عند الخربوطلي ودروزة وغيرهم من الكتاب العرب يلخص لنا في النهاية محتوياتها في نقطتين رئيسيتين :

١ — « يشكل اليهود ، منذ البداية حتى اليوم ، جماعة بشرية متجانسة تماما تتصف بخصائص جوهرية ثابتة » . ويجد العظم ان هناك عنصرا مشتركا يوحد بين تصور النظرة الشوفينية العربية الرجعية وبين النظرة الصهيونية العنصرية الى التاريخ اليهودي في هذه النقطة بالذات .

٢ — نعت العقلية العربية السائدة لاسطورة الطبيعة اليهودية الثابتة بمجموعة خصائص وخصال اخلاقية شائنة لا تتغير ولا تتحول . اما النتيجة المنطقية لمثل هذا التصور المثالي فهو « النزوع نحو الحل الفاشستي او الهتلري للمسألة اليهودية». ذلك لانه ، تبعا لهذه النظرة ، اذا كان الشعب اليهودي بجوهره الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل « شرير وشاذ ومفسد .. في كل مكان وزمان .. يغدو الامل في اصلاح هذا الواقع في حكم المستحيل .. » . ويضع لنا الكاتب مقابل هذه النظرة الشوفينية اللاتاريخية ، التفسير المادي التاريخي لفهم المسألة اليهودية كما أوردها ماركس في كتابه عنها . وقد لخص الكاتب تفسير ماركس لها بالنقاط التالية :

١ — رفض التفسير المثالي الذي « يرد بقاء الشعب اليهودي المشتت الى الروح الجماعية اليهودية.. او عقيدة شعب الله المختار .. » .

٢ — لتفسير التاريخ اليهودي « ينبغي ألا نبدأ بالدين او غيره من اجزاء التركيب الفوقي بل بالوظيفة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يقوم بها اليهودي في حياة مجتمعات تاريخية معينة » .

٣ — حل المسألة اليهودية حلا جذريا لا يتأتى الا « عبر التحرر الكامل للانسان اليهودي وغيراليهودي على حد سواء من النظام الرأسمالي الطبقي القائم بطبيعته على الاستغلال والقهر » .

ويستطرد الكاتب للبرهنة على تفاعل اليهود في مختلف البيئات التي كانوا يعيشون فيها ، مستعينا في ذلك باستشهادات تاريخية تطبيقية من كتاب ابراهيم ليون « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » وسواه من الكتاب . وذلك بهدف دحض فكرة العزلة **المطلقة** التي عاشها اليهود . فهو يرى ، مثلا ، ان هذه العزلة التي عاشها اليهود في المجتمعات الاقطاعية اللامركزية كانت سمة عامة و« جوهرية من سمات التنظيم الاجتماعي المعمول به في تلك المجتمعات والاوقات (حارة الاكراد ، حارة النصارى ، حارة اليهود ، جبل الدروز ، جبل العلويين الخ..) ». وبناء على هذه النظرة التاريخية العلمية يمكننا ان

ننظر الى تاريخ الشعب اليهودي كما ننظر الى غيره من المجتمعات البشرية فقد « كان اليهود خاضعين باستمرار لعمليات انصهار وفرز دائمة في مراحل تطورهم التاريخية . عمليات فرز انتجت اليهودي التاجر الغريب المرابي ، وعمليات دمج مستمرة ايضا انتجت اليهودي المزارع والحرفيوالبورجوازي الصغير والرأسمالي المنسجم مع عصره وبيئته ». (دراسات .. ص ٣٤) .

اما دراسة العظم «الصهيونية كظاهرة استعمارية» فهي تعتبر تطويرا لدراسته الجيدة في كتابه « النقد الذاتي بعد الهزيمة » عن نوع العلاقة التي تربط بين الاستعمار والصهيونية . الا انه لم يتتبع هنا تاريخ تطور العلاقة بينهما في كل مراحلها ، بل اقتصر على ملاحظة نوع العلاقة التي نشأت بينهما، بعد الحرب العالمية الثانية . وهذا يعني ان المنهج التاريخي الذي يدعو اليه الكاتب كان يستخدم ، احيانا ، بطريقة استشهادية متقطعة للبرهنة على صحة المنطلقات العقلية . أي انه لم يعتمد عليه كمنهج للتحليل بصورة متماسكة .

وربما تكون طبيعة الكتاب ، المكون من مجموعة من المقالات التي لا يربط بينها نفس الرباط المتنامي الذي يميز كتابا متماسك الموضوع ، قد حالت دون اعطاء هذه المعالجة بعدها التاريخي المطلوب . ومن ناحية اخرى ، نستنتج ان **مستوى المنهج التاريخي ، الذي يتبناه الكاتب ، كان يتذبذب ، في بعض الاحيان ، بين التحليل المادي التاريخي وبين المعالجة العقلانية المجردة** . واعتقد كذلك ان تطبيق المنهج التاريخي لم يكن متماسكا وجليا في عدد من القضايا والمنطلقات الاخرى ، وعلى سبيل المثال ، ذلك التصور القائل بأن البورجوازية الصغيرة المعادية للاستعمار تسيطر على السلطة السياسية في بعض البلدان العربية ! كما انه بامكاننا أن نناقش الكاتب حول تصوره لتحرير فلسطين . ولكن يجب ان نسجل أولا بأننا نوافقه على كثير من المنطلقات المبدأية الاساسية مثل : ان التحرير لا يعني رمي اليهود في البحر كما كان يروج التفكير الشوفيني القومي، وهو كذلك ليس معركة الجيوش النظامية فقط كما تدعي بعض الانظمة ، بل هو « معركة تشمل الشعب العربي بأسره وبكل طاقاته ضد قوى امبريالية عاتية » . (دراسات .. ص ٥٥) . وهذه المعركة لا تتحقق، بالتالي ، عن طريق الخطب والاماني بل عن طريق الكفاح الشعبي المسلح واستراتيجيةالحرب الطويلة الامد بهدف انشاء الدولة الديموقراطية الشعبية في فلسطين .

الا أننا لا نوافق الكاتب على ان وجود مثل هذه الدولة الديموقراطية في فلسطين مرهون بتكامل النضال في مختلف اجزاء الوطن العربي ! والواقع ان الخطأ الذي انزلق اليه قد استمده أساسا من تصور الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية لهذه المسألة . (وكما قلنا سابقا ان كتاب العظم يعبر عن تنامي القوى الوطنية الجديدة الصاعدة بكل ما تحمله هذه القوى من ايجابية وقصور) . ونحن، بالطبع ، نرفض مع العظم ، اقليمية الدولة الديموقراطية في فلسطين او تحولها الى كيان لا ثوري . ولكن ذلك لا يعني ، بالمقابل ، رهن وجودها بتكامل نضج النضال العربي المعادي للامبريالية في الوطن العربي ككل . يقول الكاتب : « لا يمكن تحرير فلسطين بدون القضاء على الوجود الامبريالي وتفرعاته في المنطقة .. » أو قوله : « ان الحل الثوري الجذري للمشكلة القومية لا يمكن أن يتأتى الا على نطاق الوطن العربي بأسره » ! ان النتيجة المنطقية لمثل هذا التصور هو التعجيز المطلق .. يضاف الى ذلك خطأ هذا التصور ، من الناحية التاريخية والسياسية . فنحن نعرف ، انطلاقا من المفهوم المادي التاريخي ، ان مستويات النضال تتعدد وتتفاوت من قطر الى آخر .

ان تكوين دولة ديموقراطية في فلسطين مرهون ، بالدرجة الاولى،بتنامي النضال الفلسطيني والعربي الوطني في المنطقة المحيطة باسرائيل أولا . أما في المستقبل البعيد ، فمما لا جدال فيه ، ان مثل هذه الدولة ستكون جزءا من الدولة الشعبية الممتدة على نطاق الوطن العربي . وذلك عندما يتطور النضال المتفاوت في تلك الاقطار الى المستوى الذي سبقته اليه الاقطار الاخرى .

وننتقل الان الى دراسة الكاتب « نحو فهم افضل للفكرة الصهيونية » التي يمكن اعتبارها اهم فصول الكتاب من الناحية المنهجية. فبعد ان يرفض الكاتب الاساليب العربية الشائعة في دراسة الصهيونية مثل : (١) الاسلوب الاخلاقي – الخطابي (٢) واسلوب « التفسيرات التآمرية » ، (٣) أسلوب التفسير الاعلامي الحقوقي (٤) والاسلوب الديني الغيبي الشائع ، الذي يؤدي الى نوع من المنطق السحري ، ينطلق لتفسير الظاهرة الصهيونية على اساس تاريخي كما نشأت

في اوروبا في القرن التاسع عشر موضحـا بذلك الطبيعة البورجوازية الخاصةللصهيونية كبورجوازية مرتبطة بمصالح وتطور النظام الراسمالي الى نظام عالمي وداحضا بالتالي التصورات العربية الخاطئة التي تحاول ان تشيع اسطورة الخصائص الفريدة والمزايا الخالدة والخاصة جدا للحركة الصهيونية متناسية ان هذه الحركة تحمل من حيث طابعها العام نفس خصائص وسمات المرحلة التاريخية التي نشأت ضمنها في اوروبا في العصر الحديث . ونعتقد لو ان الكاتب حاول ان يطور هذه الدراسة وينظم معلوماته وتحليلاته انطلاقا منها لقدم لنـا كتابا اكثر تماسكا من هذا التشتيت مـن المقالات الهامة ولكنها الغير قادرة على النمو ككتابمتماسك.

اما في مقاله « المقاومة المسلحة والمواقف الهيكلية » فان الكاتب يرفض عن حق كل التصورات والمحاولات التي تحاول ان تقلص دور العمل الفدائي وترمي الى احتوائه بمصالحته مـع الاطر والنظم التـي رفضتها الهزيمة ، والتي ما تزال تجهد في تحويله الى ورقة ضاغطة من اجل التسوية السلمية .

وفي مقال « خمس ملاحظات حول ثورة ٢٣ يوليو » يتابع الكاتب تأييده للخط الوطنـي الجديد الذي يفرضه وجود المقاومة . الا ان المقال يحتوي على عدد من المغالطات التاريخية مثل القول بأن الطبقة التي تسود في مصر هـي البورجوازية الصغيرة الصاعدة . او اعتبار التحليل الطبقي « مقولة جذرية في فهم الواقع الاجتماعي فهما علميا ، واداة رئيسية من ادوات تحليله والتحكم به » ، وليس منهجا للتحليل التاريخي ، ونستطيع أن ننظر الى المقال الاخير في كتـاب العظم « ملاحظات حول المقاومة والواقع العربي » باعتباره استمـرارا وتأكيدا على الارتباط بما تطرحه حركة المقاومة من افاق سياسية جديدة تختلف كل الاختلاف عن الاطر السياسية السائدة . ففي هذا المقال يؤكد الكاتب على ان الهزائم « هي نتائج ومؤشرات وليست مقدمات او اسبابا . » (دراسات ص ٢٠١) كما يذهب مطاع صفدي وغيره من المفكرين العرب . نعتقد ان اهم ما عالجه الكاتب في هذا المقال هو معالجته للعلاقة العدائية التي قابلت بها الانظمة ظهور العمل الفدائي عام ١٩٦٥ الى درجة ان الكثير من شهداء الثورة الفسطينية قد استشهدوا برصاص الانظمة العربية . ثم يتعرض في النهاية الى محاولات الانظمة الملحة اما لاحتواء العمـل الفدائي او تصفيته بما يمثله من افاق سياسيه جديدة تتعارض تعارضا جذريا مع ما يخطط حاليا من تسويات مشبوهة ومشاريع استسلامية .

هاني مندس

(٢)

يتضمن كتاب « دراسات يسارية حـول القضية الفلسطينية » دراستين هما : « العرب والنظـرة الماركسية الى المسألة اليهودية » و« نحو فهـم افضل للفكرة الصهيونية » . كما يتضمـن ثلاث مقالات : هي « المقاومة المسلحة والمواقف الهيكلية» و« خمس ملاحظات حول ثورة ٢٣ يوليو »و«ملاحظات حول المقاومة والواقع العربي » . واذا كـانت الدراستان الاوليان تسعيان لتعريف القارىء العربي بالمسألة اليهودية والحركة الصهيونية من خـلال « استخدام المنهج المادي التاريخي » ، فان المقالات الثلاث تحاول من خلال استخدام المنهج نفسه ان تناقش موقف ثورة ٢٣ يوليو خصوصـا والموقـف العربي عموما من المقاومة .

ويستطيع قارىء الكتاب ان يلمس الفـرق بـين الدراستين الاوليين والمقالات الثلاث التالية مـن القراءة الاولى . ذلك ان الدراستين الاوليين تكتمل فيهما عناصر الدراسة العلمية اما المقالات الثلاث الباقية ، على تفاوت بينها ، فلا تعدو كونهـا تعليقات وتعقيبات . وهذا هو الغرض الذي كتبـت من أجله . ولهذا فاننا نستطيع القـول بـأن الدراستين الاوليين تضيفان الى معلومات القارىء علما ، اما المقالات الثلاث فلا تأتي بجديد ، انهـا تؤكد افكارا عامة ومكررة ومعروفة ، وان كـان هنالك كثيرون ممن لا يتبنونها .

وبعد هذا ، فان الكتاب غير متكامل . هكذا يبدو، وما ذلك الا لانه مجموعة من المقالات . ولهذا فاننا لا نستطيع ان نسأل المؤلف عن عدم معالجة قضايا كثيرة هامة واساسية كانت تستحق أن توضح وتبين، غير نظرتنا للحركة الصهيونية ونظرتنا « للمواقـف الهيكلية». ومن هذه القضايا : المقاومة الفلسطينية نفسها : واقعها ، وامكاناتها وعلاقاتها الخ . وبما أنه ليس عمليا ان نخوض في مراجعة نقدية كهـذه

في مناقشة كل التفاصيل الجزئية ، فسنكتفي هنا بتقديم ملاحظات عامة عن الكتاب : وهذه الملاحظات هي :

أولا : على الرغم من أن المؤلف قدم لنا دراساته على أساس انها « محاولات لاستخدام المنهج المادي التاريخي » ، فانه كثيرا ما يلجأ الى التعميم ، والى تبني الافكار الشائعة كما سنبينه فيما بعد . وهذا يجعل المؤلف ينساق احيانا وراء اخطاء شائعة ، وتجعله في أحيان اخرى يحاول ان يفرض علينا الافكار والاشاعات المتداولة ، وكأنها حقائق علمية . كما أنه في احيان اخرى ، ونتيجة التسرع في رفض بعض الاراء ، او تبنيها ، ينساق الى ارتكاب اخطاء كبيرة .

ثانيا : ان اول ما يمكن ان يوجه الى المؤلف ، هو أنه اراد ان يؤكد على حقيقة علمية ، فارتكب خطأ علميا . انه اراد ان يؤكد على أن المسألة اليهودية هي بنت المجتمع البرجوازي ، وان المسألة اليهودية ليست مشكلة اليهودي المجرد بل مشكلة اليهودي الواقعي ، الكائن الحي الذي مارس الربا لان الربا كان حاجة اجتماعية ، ولانه كان مؤهلا لممارسة هذا الدور ضمن الظروف الاجتماعية القائمة ، ولقد اضطهد نتيجة صراع برجوازيتين : برجوازية يهودية وبرجوازية وطنية صاعدة في بلدان اوروبا الغربية ثم الشرقية الخ ... ولقد أورد الدكتور العظم مجمل الافكار التي اوردها ماركس وابراهيم ليون خاصة ، وغيرهم من المفكرين الماركسيين الكبار . وانا لا اخالفه فيما ذهب اليه اساسا . ولكني اعتقد ان صادقا تجاهل حقيقتين :

الاولى : انه تجاهل دور البنى الفوقية في مشكلة اليهودية . صحيح ان البنى الفوقية ، هي بنت الواقع ، انعكاس له ، ولكنها بعد ان توجد وتتكون تصبح جزءا من الواقع ، وبالتالي تصبح من العوامل المؤثرة فيه . وهذا ما يؤكده ماركس وانجلز ولينين . وقد حاول انجلز ان يفسر هذا الاهتمام بالبناء التحتي في رسالة الى بلوخ عام ١٨٩٠ جاء فيها : « ماركس وانا نحمل جزئيا مسؤولية كون الشباب يعطون الجانب الاقتصادي وزنا اكبر مما يجب . ففي مواجهتنا لخصومنا كان علينا أن نؤكد المبدأ الاساسي الذي ينكرونه . وفي هذه الحال لم نجد دائما الوقت والموضع والظرف الذي يتيح لنا اعطاء العوامل الاخرى التي تشترك في الفعل المتبادل مكانها . ولكن ما ان كان يجب علينا ان نقدم قطعة تاريخ حية (أو شرحة تاريخ) أي أن ننتقل الى التطبيق العملي ، حتى كان الامر يتبدل ولا يبقى مجال للخطأ». راجع : (Marx, Engels: Selected Correspondence, Progren Publishers, Moscow, p. 417-418.

ويؤكد انجلز : « ان الوضع الاقتصادي هو القاعدة ولكن العناصر الاخرى من البنى — الفوقية — الاشكال السياسية من النضال الطبقي ونتائجها » تمارس ايضا تأثيرها على مجرى الكفاح التاريخي وفي كثير من الحالات « ترجع في تقرير نمطه » ، ويذكر انجلز الدين من بين هذه البنى . وما لم يتحدث عنه ماركس وانجلز ولينين وابراهيم ليون — فيما نعلم — هو دور البنى الفوقية اليهودية في المسألة اليهودية . ولقد جاء صادق وتجاهل هذه الناحية اطلاقا . هل يجد صادق لنفسه عذرا في ذلك انه يرد على نظرة « مثالية » ، وانه بحاجة لان يؤكد الاساس المادي للقضية ؟ ربما كان ذلك هو السبب ، ولكنه لا يعفي صادقا من تجاهل جانب اساسي من القضية : البنى الفوقية لليهودي واليهودية . ذلك أننا ان لم نبحث هذا الجانب ، فسوف نقف حائرين امام العديد من الظواهر المعاصرة ، فيما يتعلق ببقاء اليهودية وانحلالها في العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي .

الثانية : ان صادق تجاهل ايضا دور الشتات وحياة المدن ، ومن ثم الغيتو ، في خلق الشخصية اليهودية . ان اليهودي انسان ، مثل كل الناس ، وهو يخضع عموما للظروف التي يعيشها مجتمعه. ولكنه بالاضافة الى ذلك « مهاجر » . والمهاجرون عادة ينزلون المدن ، ويقيمون في احياء خاصة بهم. هذا ما يفعله العرب في اوروبا وامريكا والهند والباكستان ، وما يفعله الهنود في اوروبا والصينيون في مهاجرهم . انه قانون عام .

ولا يعرف التاريخ جماعة هاجرت هجرة اليهود ، وتنقلت كما تنقلوا . وفي المهاجر كانوا يخلقون احياءهم المغلقة . وهذه الاحياء المغلقة لم توجدها لهم الشعوب التي نزلوا بين ظهرانيها . لقد اوجدتها ظروفهم كمهاجرين من « نحلة » خاصة ، ثم جاء دور الشعوب والحكام والاديان التي حطوا بين ظهرانيها . وكان هنالك تفاعل بين هاتين الظاهرتين . ان هذه الظاهرة لا يجوز تجاهلها . بالطبع هناك أسباب لهجرتهم ، ولكنها ليست عائدة الى انحلال النظام الاقطاعي فقط . فلقد عرف التاريخ هجرات يهودية قبل ذلك . (راجع ليون ،

ابراهام : الاساس المادي للمسألة اليهودية) .
ان المسألة اليهودية بحاجة الى مزيد من الدراسة، شريطة ان تؤخذ كل العوامل بعين الاعتبار . والتفسير العلمي صحيح عندما يؤكد ان المسألة اليهودية هي بنت التاريخ ، ولكن التاريخ في المفهوم العلمي عملية مركبة وليس عملية بسيطة . تفاعل بنى تحتية وبنى فوقية ، وليس انعكاسا ميكانيكيا لقوى تحتية فقط .

ثالثا : يناقش المؤلف فكرة رودنسون بأن « اسرائيل » حتى لو تحولت الى دولة اشتراكية « فان ذلك لن ينزع عنها الطابع الكولونيالي » . وواضح ما يعنيه رودنسون من ذلك . وهذه الفكرة من اكثر أفكار رودنسون الاصلاحية ثورية . ذلك ان رودنسون يناقش الذين يزعمون بأن دولة الاحتلال سوف تتحول الى دولة اشتراكية مؤكدا لهم بأن هذه الدولة الكولونيالية حتى لو تحولت الى دولة اشتراكية فان طابعها يظل كولونياليا . لماذا ؟ لان الاشتراكية لا تنهي قضية الاحتلال الصهيوني ولا تلغي قضية تشريد الشعب الفلسطيني . ولكن صادق يتساءل : ماذا يعني تحول اسرائيل الى دولة اشتراكية ؟ انه في رأيه وعلى ضوء شروحه التي وردت « يعني امرين هامين على اقل تعديل : أ — ان تقوم على أرض فلسطين دولة ديمقراطية شعبية تجمع الشعب العربي الفلسطيني والشعب اليهودي في نظام سياسي شبيه بيوغسلافيا — مثلا التي تضم خمس قوميات متباينة ... ب — بحكم تكوين هذه الدولة على الاسس الاشتراكية العلمية ، وعن طريق الكفاح المسلح ستكون الدولة في موقع الصدام المستمر مع بقايا الاستعمار في المنطقة ... » . ثم يضيف صادق ان كان هذا هو المراد « بتحويل اسرائيل الى دولة اشتراكية » فانه « ينزع عن اسرائيل طابعها الكولونيالي بهذا المعنى » . ولكن رودنسون لا يتحدث عن هذا : انه يتحدث عن فرضية يطرحها صهيونيون متمركسون امثال حزب موشى سينيه وحزب المبام وغيرهما ولا يتحدث عن هذه الفرضية « العظمية » . لقد أراد رودنسون ان يؤكد بأن تحول اسرائيل الاقتصادي من الرأسمالية الى الاشتراكية شيء وواقعها الكولونيالي شيء اخر . تحول النظام الاقتصادي لا يعني تغيير الطابع الكولونيالي . ورد عليه صادق بأن تغيير طبيعة النظام السياسي في اسرائيل ينهي طابعها الكولونيالي . فبماذا نفسر هذه « الشطحة » .

رابعا : يتحدث صادق في دراساته عن « حل اشتراكي » للمسألة . ويذكر الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا كما يتحدث عن حل ضمن الوحدة العربية . ونحن نعلم ان النظام السوفياتي او اليوغسلافي او التشيكي نظام اتحادي. وفي الاتحاد السوفياتي هنالك جمهوريات ، وهنالك مناطق ذات حكم ذاتي ، ولكننا نعلم أن هذه الاتحادات تقوم بين شعوب متجاورة منذ مدة ليست بالقصيرة ، وليس هنالك شعب منها يحتل اراضي الشعب الاخر ، فهل مشكلة اليهود في فلسطين هي نفس مشكلة القرغيز في روسيا السوفياتية مثلا ؟ وهل اليهود في فلسطين سيكون وضعهم مثل وضع الاكراد في دولة الوحدة . وهل ستقوم دولتان في فلسطين احداهما يهودية والاخرى عربية ام دولة واحدة « ديمقراطية شعبية » كما يقول صادق ؟ انه يقول دولة ، ولكنه يعود عندما يتحدث عن الماتزبن فيقول بأن هذه المنظمة « تقوم بالدعوة الى حل النزاع حلا اشتراكيا ثوريا ، وبصورة تشبه وجهات النظر التي تدعو اليها بعض الفصائل اليسارية من حركة المقاومة المسلحة ، وخاصة حول الدولة الديمقراطية الشعبية على ارض فلسطين » ثم يضيف : « اي أن الحل الاشتراكي الثوري يعني ، كما يقولون ، ان تأخذ الاقلية اليهودية مكانها ، كقومية معترف بها ، الى جانب القوميات الاخرى في مجتمع عربي موحد على أسس الاشتراكية العلمية » . فهل هي دولة ام دولتان، ولماذا وكيف ؟ ان الحل الاشتراكي المقترح يبدو غائما متناقضا وملتبسا . و « الاصل الكولونيالي لاسرائيل » الذي يطالبنا صادق بألا نعتبره «واقعة سكونية لا تحول ولا تزول » يزول عندما تزول اسرائيل فقط : اسرائيل دولة الاحتلال ، وحتى تزول يبقى هاما واساسيا لا يجوز نسيانه او تجاهله .

خامسا : هنالك بعض الامور التي تحتاج الى مناقشة او ايضاح او تصحيح منها :
أ — يؤكد المؤلف في اكثر من مكان على قضية الحلول الشقيرية ، وعلى قضية الالقاء في البحر والتذبيح الخ ونحن بالطبع نرفض الحلول الشقيرية والتقتيل والتذبيح ولكني اسأل صادق اذا كان قد قرأ خطابات الشقيري ، ووجد فيها ما تذهب

اليه الاشاعة . ان هنالك ما يؤكد ان خطـــاب الشقيري المشار اليه خال من أية اشارة للتقتيل والتذبيح وهذه الاشاعة هي الاشاعة التي برر بها العدو حرب حزيران .

ب — يذكر صادق عند حديثه على ثورة سنة ١٩٣٦ الهيئة العربية العليا (ص ٤٣من الكتاب)، مع العلم بأن الهيئة شكلت سنة ١٩٤٦ ، ولم يكن هنالك هيئة عربية عليا قبل ذلك . كان هنالك اللجنـــة العربية العليا التي كونت في اواخر نيسان سنة ١٩٣٦ . ومع ان ليس هنالك فرق كبير بين اللجنة والهيئة الا ان الاسماء لها قيمتها في الدراســـات العلمية .

وهنالك قضية اخرى جديرة بالنقاش ، وهي قضية البرجوازية الصغيرة وبرنامجها وما هو الدور الذي تستطيع ان تلعبه ولكن قضية البرجوازية الصغيرة لا يتسع لها نقد كتاب .

ناجي علوش

Peter Snow and David Phillips, *Leila's Hijack War* (London, Pan Books, 1970).

مثل كثيرين غيرهم من الذين يحاولون تقديم قضية فلسطين ، او بالاحرى « قضية الشرق الاوسط » كما يسميها اغلبهم ، الى الرأي العام في الدول الغربية ، يقع مؤلفا الكتاب اسيري النظرة الذاتية عند معالجتهم لاي جانب من جوانب القضية موضع الحديث . ورغم محاولة اعطاء الكتاب اهمية ما ، من خلال القول بأنه نتيجة جهد عدد من الاشخاص والمراسلين الصحفيين ، فان الجهد المبذول يبدو الى حد بعيد جهدا يفتقر الى النظرة الجديـــة للوقائع ، ناهيك عن تحليلها وعرضها ضمن اطارها السليم .

بالنسبة للقارىء الغربي ، لا شك بأن الكتـــاب مشوق ويدفع المرء الى تتبع مختلــف الوقائـــع بامتداداتها الجغرافية، سواء في الاردن او اوروبا، وبحيث يجد المرء نفسه مضطرا لقراءة الكتاب في جلسة واحـــدة . الحوادث معروضـــة بتجزيء « توقيتي » يمكن الكاتبين من اغفال قضايا وتفاصيل هامة وضرورية لاعطاء صورة متكاملة عن قضيـــة الطائرات ومجزرة ايلول في الاردن .

بشكل أساسي ، تنقسم الملاحظات حول الكتاب الى بنود أربعة :

١ — يظن المرء لاول وهلـــة ان تسمية الكتـــاب بـ « حرب ليلى الخطف » يحصر الحديث بقضيـــة الطائرات باعتبار ليلى خالد تمثل الرمز المعبر عن هذه العمليات . الا ان الواقع ان الامر المعطى أكثر اهمية من قضية الطائرات في الكتاب ككل ، هو محاولة اثبات نظرية انتشرت في بعض الاوساط في الفترة التي اعقبت ايلول والقائلة بأن قضيـــة الطائرات هي التي فجرت الازمـــة في الاردن . والكتاب يركز على هذه القضية تركيزا شديدا ، تجلىٰ ايضا من خلال الفقرات القصيرة على غلاف الكتاب الخارجي . ان محاولة تصوير مجزرة الاردن وكأنها جاءت نتيجة لعملية خطف الطائرات انما هي محاولة تفسير الاسباب تفسيرا سطحيا يبعد كـــل البعد عن حقيقة الدوافع . وواضح ان مثل هذا التفسير يمكن ان يؤدي بنا الى الاستنتاج بأنـــه « لو أن قضية الطائرات لم تتم في الوقت وبالشكل الذين تمت بهما لما وقعت المجازر ». يبدو مثل هذا الاستنتاج ، وعلى ضوء كافة الوقائع والمعلومات المتوفرة عن فترة ما قبل ايلول ، مجحفا بحق قوى الثورة الفلسطينية ، مما يضع اصحاب الاستنتاج في موقف من يعطي غطاء للنظام الرجعي المكشوف ليتستر به . هناك قضيتان مختلفتان ، لا ننفي ان يكون لاولهما (وهي قضية الطائرات) اثرا على القضية الثانية . ربما ساهمت قضية الطـــائرات في « التعجيل » بمواجهة ايلول . ولكن تبقـــى القضيتان قضيتين لا قضية واحدة مترابطة .

٢ — وخطورة مثل هذا الاستنتاج، لا سيما بالنسبة للقارىء الاوروبي غير المطلع عن كثب على تطورات العمل الفلسطيني في الاردن خلال السنوات الثلاث الماضية ، ان القارىء يجد نفسه بدون مقدمـــات تعطيه فكرة اولية عن الاوضاع قبل وقوع قضيـــة الطائرات وبالتالي فهو في وضع «مثالي» من وجهة نظر الكاتبين ، « ليبلع » كل ما يريده الكاتبان ان يبلعه من خط عام وتفاصيل . قضية الطائرات لم تأت من الهواء ، بل كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بكل ما يجري في المنطقة من تحركات واستعدادات بدأت تعبر عن نفسها منذ فترة طويلة في الاردن (وما احداث شباط / فبراير ١٩٧٠ وحـــزيران ١٩٧٠ الا « بروفات » لعملية الصدام التي جاءت في أواخر آب / اغسطس ايلول / سبتمبـــر ١٩٧٠) .

٣ — ويحاول الكاتبان ، تصوير الاختلاف فـــي مواقف بعض فصائل المقاومة الفلسطينية وكأنه

خلاف بين مجموعة المتطرفين واخرى من المعتدلين، بل انهما يذهبان الى اكثر من ذلك عندما يقرران، وكأنه امر حقيقي اكثر وواقع، بوجود خلاف بارز بين مجموعة من « المعتدلين » من قيادة الجبهة الشعبية في عمان، وبين مجموعة « المتطرفين » في مطار الثورة الذين تصرفوا دون الرجوع الى القيادة عندما قاموا بتفجير الطائرات. يبدو من تكرار هذا الاستنتاج ان الكاتبين لا يوافقان السلطات البريطانية رأيها في وفد الجبهة المفاوض مع الصليب الاحمر ويميلان اكثر الى الرأي الاميركي الذي اعتبر انه عن طريق الضغط، يمكن افشال « تهديد » الجبهة. المراقب القريب من اوساط الجبهة يدرك تماما أن ما نفذ بالنسبة للطائرات قد تم بقرار من قيادة الجبهة وعلى ضوء تصور كامل وضع قبل تنفيذ عملية الخطف بفترة. قد تكون وقعت بعض اختلافات بالنسبة لقضايا صغيرة محددة، وهي في تقديري ما اعتبرته النظرة الذاتية الضيقة للكاتبين، أو من بذل جهداً معهما في « جمع المعلومات » دلائل على وجود الخلاف.

٤ ـ الملاحظة الرابعة هي في الحقيقة ملاحظتان :

أ) العرض الوحيد ـ الجانب بالنسبة لبعض الوقائع (لا سيما ما وقع على الطائرة الاسرائيلية او مطار الثورة او في الوحدات) رغم أن بعض من شارك في جمع المعلومات او كتبها قد التقى وتحدث مع عناصر عديدة ممن كانوا شهود عيان لكثير من الاحداث. نجد عرضا لقضايا لم تقع شبيهة برواية « الطفل الاميركي » الذي ولد في المطار والتي اتضح انها مختلقة ـ معظمها روي على لسان بعض الرهائن، هذا في الوقت الذي اغفلت فيه تصريحات اخرى تبدو اكثر ايجابية تجاه الفلسطينيين ومعاملتهم للرهائن وتفهم بعض الرهائن لدوافع العمليات. هناك تركيز على تصوير الحالة « السيئة » التي عاشها الرهائن في المطار وفي الاماكن التي وضعوا فيها دون ما ذكر حقيقي للظروف التي عاشها الفلسطينيون في مخيماتهم، وبشكل خاص ايام المجزرة. لم يتذكر الكاتبان أن القوات الاردنية التي «حررت» الرهائن الاوروبيين من محتجزيهم هي نفس القوات التي قتلت النساء والاطفال والشيوخ بقنابلها المحرقة.

ب) لعل السبب في هذه النظرة، من قبل الكاتبين، منشأها الشعور بالفارق بين قيمة الانسان الاوروبي ـ ومن ضمنه الانسان الاسرائيلي ـ وبين انسان « العالم الثالث ». وهذا الامر يبدو واضحا في تصوير الشخصيات المختلفة. وهنا تبرز صورة شلومو فيدر (الاسرائيلي) والكاتبين البريطانيين ومندوب الصليب الاحمر الدولي مقابل صورة ليلى خالد الاسيرة في السجن او احد قادة الجبهة المفاوضين او المقاتل الذي كان يحرس المكان الذي احتجز فيه الرهائن.

هذه الملاحظات لم تدخل في نطاقها التفاصيل الخاطئة الواردة في الكتاب وذلك لكثرتها ولكونها اذا ما قيست بالملاحظات الاساسية تبدو اساسا يستند اليها الكاتبان في تحقيق الصورة التي يريد تحقيقها لدى القارىء.

الكتاب بمجمله يمكن النظر اليه كقصة فيها الكثير من الخيال. وبدون ذلك لن يجد الكتاب سوقا رائجة له. وانطلاقا من هذا الامر فان الكاتبين عملا على تسوية قضية شعب وعذاب وألم ومقتل المئات من الناس لتحقيق كسب مادي خاص لهما ولدار النشر التى طبعت الكتاب.

ليلى خالد

Per Gahrton, *Kampen on Palestina* (Stockholm, 1970).

نشرت في السويد خلال السنتين الماضيتين عدة كتب حول المشكلة الفلسطينية كتبها كتاب تحرريون. يمكن القول أن هذه الكتب نوع من رد الفعل التحرري على كتاب ستفان بكمان « فلسطين واسرائيل » والذي أثار جدالا حاميا في الصحف السويدية منذ سنتين. موقف الكتاب التحرريين (الليبراليين) عامة مؤيد لاسرائيل. كتاب « معركة فلسطين » لبرغارتون هو الاستثناء الوحيد. بعد ان قرأت كتاب غارتون شعرت بالارتياح لانني قرأت قبله كتاب « اسرائيل المكروهة » لاحد التحرريين وهو كتاب تقليدي يتضمن الكلام المعروف حول الصحراء المزهرة واسرائيل الصغيرة المحبة للسلام، والعرب البغيضين.

بعد رحلة الى مصر عام ١٩٦٤، كتب غارتون عدة مقالات عن النزاع في فلسطين. وبما انه أراد عرض وجهة النظر العربية لم يتمكن من نشر تلك المقالات. لكن الامر اصبح اسهل بعد حرب ١٩٦٧، حتى ان محطتي الراديو والتلفزيون طلبتاه للتحدث عن ذلك

الصراع . وقد اتهم بالطبع بأنه « يناصر العرب » والتي يمكن ترجمتها الى انه « معاد لاسرائيل » او « لاسامي » .

قرر غارتون تأليف كتاب « يحتوي كل شيء او على الاقل قدر الامكان — ابعاد القضية وحدودها ومشاكلها » كما ذكر في مقدمة الكتاب . وقد توصل الى الاتفاق مع ناشر في خريف ١٩٦٨ ، بعد زيارات عديدة قام بها الى مصر والاراضي المحتلة . بعد ذلك بأشهر تم انتخابه رئيس حركة الشباب التابعة لحزب الاحرار . لذلك نراه يشدد على ان محتويات الكتاب تعبر عن رأيه الشخصي وموقفه من النزاع الفلسطيني. وهو يقر في مقدمة كتابه انه «لم يلتق بقادة حركة المقاومة ولم يقم بزيارة مخيمات اللاجئين في صحراء الاردن » . لذلك توجد في الكتاب عدة نقاط ضعف . لكن من وجهة نظر تاريخية اعتبر الكتاب من افضل ما قرأت .

يحتوي الكتاب على ١٢٠ مرجعا لكتب ومقالات صحفية لكتاب وسياسيين من الدول العربية والغربية وليهود بعضهم يناصر الصهيونية وبعضهم يعاديها داخل وخارج اسرائيل . وقد ساعده مواطن اسرائيلي يعيش في السويد منذ ١٩٦٧ على ترجمة المواد العبرية . الكتاب موضوعي بمعنى ان غارتون عرض النزاع من كل جوانبه عبر أقوال وتصريحات لقادة عرب واسرائيليين مسؤولين (وغير مسؤولين) ولقادة الدول الكبرى . عرضت في الكتاب تصريحات وافعال كل اطراف النزاع منذ بداية الحركة الصهيونية الى اليوم .

مشروع الامم المتحدة لتقسيم فلسطين واللاجئين العرب: كتب غارتون صفحة ٩٨: «يشجب العديدون سلبية العرب تجاه قرار تقسيم فلسطين ، لكن من ناحية اخرى يشعر المرء ان العرب قد اظهروا صبرا كبيرا وكانوا على استعداد لقبول الحقيقة الواقعة التي قاوموها مدة طويلة . لم يناد العرب بطرد اي يهودي فلسطيني او بحرمان اليهود من الارض التي اشتروها قانونيا . بالعكس ، فقد اصروا على ان يصبح اليهود مواطنين متساوين وان تكون لهم حقوقهم كجماعة . شدد وزير الخارجية البريطانية بيفن على ان العرب كانوا يشعرون بالمسؤولية اكثر من اليهود بكثير » .

فيما يتعلق بهجر العرب لمدنهم وقراهم فقد اشار غارتون الى « خطة دالت » وكتب عن دير ياسين بالتفصيل . كما ذكر بحث وليد الخالدي وارسكين تشايلدرز حول الهروب من حيفا . اعتقد ان كل قراء كتاب غارتون ، باستثناء المرتبطين باسرائيل والحركة الصهيونية ، سوف يتعرفون بسهولة على الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني ويعرفون من المسؤول عن تردي الاوضاع في غرب آسيا .

يعتبر غارتون من افضل محاوري السويد . لذلك يمكنه اكثر من أي كاتب يساري فتح عيون« الاكثرية الصامتة » على النزاع الفلسطيني ويمكنه على الاقل تحييدها في النزاع . وقد تلقت الصحف السويدية المؤيدة لاسرائيل كتاب غارتون بغضب ، لكن كما قال ناقد سويدي يساري « هذا الغضب يضمن كون الكتاب صادقا كثيرا » . بشكل عام ، كان وقع الكتاب جيدا على الصحافة السويدية . كما ان الكتاب يتضمن معلومات كثيرة حول العرب في اسرائيل : قوانين الطوارىء العسكرية ، الاحتلال ، المقاومة المدنية ، التعذيب ، نسف البيوت وغيرها .

نقطة ضعف الكتاب هي عدم تناوله حركة المقاومة الفلسطينية . لا يرجع ذلك الى نية سيئة من جانب المؤلف لكن الى نقص في التفهم وفي العلاقات الشخصية .

اهمية حركة المقاومة الفلسطينية : غارتون ليس ثوريا — وهو يثبت ذلك بوضوح في الجزء الاخير من كتابه . لكنه يؤيد الثورة في العالم الثالث تأييدا محدودا . ومع ذلك فهو يكتب : « هدف الدعاية الاسرائيلية هو تصوير حركة المقاومة الفلسطينية كحركة قتلة وارهابيين هدفها الوحيد تدمير اسرائيل بواسطة الاغتيالات العمياء . هذا أمر غير صحيح. لمعظم المنظمات الفدائية هدف واضح وهو « تدمير الصهيونية » . وهي في ذلك مثل حركة المقاومة في جنوب افريقيا التي تريد تدمير سياسة التفرقة العنصرية ومثل المقاومة الفرنسية التي أرادت « تدمير النازية » . حركة المقاومة الفلسطينية تحارب عدوا احتل بلادها بالقوة العسكرية — وسيبقى هذا الامر المحور الرئيسي للنزاع العربي — الاسرائيلي » .

يقول غارتون ان حركة المقاومة الفلسطينية تنجح في : (١) اضعاف المعنويات داخل اسرائيل . (٢) تنظيم العرب في الاراضي المحتلة . (٣) خلق الوعي الوطني الفلسطيني عند اللاجئين. (٤) اجبار الدول العربية على التضامن الفعال مع الشعب الفلسطيني . وهو يضيف « انه بينما تؤدي نشاطات

المقاومة الفلسطينية السياسية والعسكرية الى تثوير البنيان العربي الداخلي فهي تؤدي في الوقت نفسه الى زيادة النشاط القومي المتطرف في اسرائيل . تطور الامور في المدى البعيد يشكل ربحا هاما للمنظمات الفلسطينية . النزاع يتحول الى نزاع بين حركة مقاومة عربية ثورية تؤيدها الدول العربية الاشتراكية وقومية اسرائيلية رجعية » .

حل غارتون الزائف : الجزء الاكبر من كتاب غارتون ممتاز . لكن عندما يحاول في الجزء الاخير من كتابه « حل » النزاع بمساعدة الدول الكبرى فانه يقترف الغلطة التقليدية التي يقترفها اي تحرري غربي : رغم الحقيقة التي يبرهنها شخصيا ، اي طبيعة اسرائيل الاستعمارية وطبيعة حركة المقاومة التحررية الوطنية ، يحاول المؤلف الوصول الى صيغة تسوية . وحله يشبه كثيرا حل يوري افنيري. يقول غارتون ان الحل الوحيد الممكن هو ازالة الصفة الصهيونية عن اسرائيل ، لكن يجب ان يحدث ذلك من داخل اسرائيل وليس عن طريق حركة المقاومة الفلسطينية . ثم يضيف ان ازالة الصفة الصهيونية عن اسرائيل من الداخل غير ممكنة حاليا نظرا لضعف الحركة المعادية للصهيونية في اسرائيل. وهو يؤمن انه اذا امكن اضعاف المتطرفين العرب والاسرائيليين (الصهيونيون المتطرفون وحركةالمقاومة الفلسطينية) يمكن للدول الكبرى ان تفرض قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ . بعد ذلك يصبح بالامكان خلق كيان فلسطيني — في الضفة الغربية وغزة — حيث يكون الفلسطينيون المعتدلون اقوى من الفلسطينيين المتطرفين : «للكيان الفلسطيني عدة فوائد : يمكن توجيه الشعور القومي الفلسطيني واشراك حركة المقاومة في عمل بناء في المجتمع الجديد . بعد ذلك يمكن ازالة الصفة الصهيونية عن اسرائيل واقامة « اتحاد سامي » او مجتمع اسرائيلي عربي واحد في المستقبل » . لا ينادي غارتون بتحرير فلسطين وهو في الواقع يدعو الى تصفية حركة المقاومة سياسيا .

ان تحرريا كغارتون مرتبط ، ولو ارتباطا بسيطا ، بموقف حزبه الرسمي ، لا يمكنه الا ان يحاول «حل» المشكلة باعطاء الاولوية لدور الدول الكبرى (وهذه فكرة استعمارية اصلا) ثم تليها تسويات : هذه التسويات لا تنحصر فقط بالوضع الجغرافي للدول المختلفة ، بل تتعداه الى اسماء الاشياء — كأن تسمي الناس ساميين بدلا من عرب لان تسميتهم بالعرب تخرب حله المصطنع .

عندما يدرك كاتب كغارتون ان القضية الفلسطينية هي قضية حركة تحرير وطنية تحارب موجة استعمارية ، فان الحل الوحيد يجب ان يكون التحرير . لكن اذا قال غارتون ذلك فانه لا يبقى ليبراليا ، وهذا أمر لا يريد أن يضحي به . ولذلك نجد عدة تناقضات في كتابه .

آني كنفاني

رشيد ، الدكتور محمد ، نحو فلسطين ديموقراطية . (بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ١٩٧٠) .

شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية اللاطائفية ، والتي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بمساواة ليس شعارا جديدا ، فقد طرح هذا الشعار ، قديماً ، اي منذ احتدام الصراع العربي الفلسطيني ضد الغزوالصهيوني (مثلا راجع التقرير المقدم للجنة قبل عام ١٩٣٧) . حقا كان مضمون هذا الشعار وحدوده يختلفان من مرحلة الى أخرى، ومن حركة سياسية الى أخرى . اذ كان التأكيد باستمرار من قبل أوساط واسعة جدا من عرب فلسطين ومن الامة العربية ، اننا لسنا ضد اليهود كبشر يدينون بدين معين ، وانما نحن ضد الصهيونية كحركة سياسية تستهدف احتلال فلسطين واقامة وطن قومي لليهود عليها وطرد سكانها العرب الاصليين ، تمهيدا لاحتلال مناطق عربية اخرى واحكام السيطرة الامبريالية — الصهيونية على منطقة الشرق الاوسط . ولكن الاعلام الصهيوني والغربي تلقف بعض الاصوات النشاز التي نادت في لحظات بدء الصراع الحامي بشعارات تنادي بالقاء اليهود في البحر ، فعمدت الى نشرها على نطاق واسع جدا في محاولة لجعلها الشعار الذي يمثل الموقف العام لكل الجماهير والحركات الوطنية في فلسطين والعالم العربي ، وفي محاولة لطمس شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية طمسا كاملا . وقد ساعد على تحقيق هذا الهدف الاسباب التالية :

اولا : كان العدو في حالة انتصار عسكري واعلامي بينما كانت الحركات الوطنية الفلسطينية والعربية واعلامها في حالة تراجع وانحسار .

ثانيا : اسباب ذاتية تتعلق بتخلف القيادة الوطنية

للشعب العربي الفلسطيني سواء من ناحية الوعي او التنظيم او الاهلية في مواجهة مثل اولئك الاعداء الاقوياء .

ثالثا : كان من الطبيعي ان ينحسر شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية مع انحسار النضال الفلسطيني لدى عشرين عاما تقريبا بعد عام ١٩٤٧. ومن هنا كان رفع شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية مجددا ، من قبل الثورة الفلسطينية ، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ : يحتاج الى جرأة كبيرة لان رفع هذا الشعار يعني بدء الهجوم المضاد من قبل الثورة الفلسطينية على الكيان الصهيوني وعلى مختلف الاتجاهات الشوفينية والمتخلفة : عربيا وعالميا .. وهو يعني وضع الامور في نصابها من جديد بحيث يبرز الى المقدمة ليس الكفاح ضد الاحتلال الصهيوني والنفوذ الامبريالي فحسب ، وانما ايضا ، تقديم حل انساني عادل ، اي البديل الثوري الذي هو نفي ديالكتيكي لكل ما هو عنصري ورجعي وامبريالي .

لقد جئت بهذه المقدمة لاحدد الدور التاريخي الهام الذي لعبه رفع شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية التقدمية » مجددا ، من قبل حركة فتح، في مرحلة الانعطاف التاريخي الذي نقل الحركة الوطنية الفلسطينية الى مواقع الهجوم والمبادرة ، بعد ان طمس ، لسنوات طويلة ، الوجه الوطني التقدمي لنضال الشعب العربي الفلسطيني .

ومن هنا جاءت الاهمية الخاصة لمساهمة الدكتور محمد رشيد في تناول هذا الموضوع ، على شكل دراسة تحليلية جادة ، كانت الدراسة الاولى من نوعها ، ولم تزل الدراسة الوحيدة التي تناولت شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، تناولا جادا ومسؤولا ، وفي بحث تفصيلي : يتكشف عن شعور حقيقي لدى الدكتور محمد رشيد بالمسؤولية الوطنية والعلمية في آن واحد . واذا اخذنا كل ما كتب حول هذا الموضوع ، عدا دراسة الدكتور محمد رشيد في كراسته « نحو فلسطين ديمقراطية » فلن نجده يتعدى التصريحات السريعة او التعليقات الارتجالية . وهذا ينطبق ايضا ما نشرته بهذا الخصوص الجبهة الشعبية الديمقراطية، كتصريحات لنايف حواتمه ، او ما نشرته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الكراسة الصادرة باللغة الانكليزية تحت عنوان « فلسطين : نحو حل ديمقراطي » وهي عبارة عن تجميع لقرار مؤتمر شباط ١٩٦٩ بهذا الخصوص ولحوار أجرته جريدة الانوار اللبنانية حول الدولة الديمقراطية ، ولتصريحات الدكتور جورج حبش لجريدة الاحرار اللبنانية ، ولمقابلة اجرتها « بغداد اوبزرفر » مع احد مسؤولي الجبهة . ولكن هذه كلها لا ترقى الى مستوى الدراسة الجادة لمثل هذا الموضوع الخطير .

عندما نأخذ هذا الواقع بعين الاعتبار ندرك اهمية المحاولة التي قام بها الدكتور محمد رشيد في تناوله لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية بدراسة مفصلة جادة استهدفت طرح الموضوع من اجل « بدء حوار مفتوح يرتكز الى الدرس الجدي لعناصر الموضوع » ولتخليص هذه القضية من تناولها على شكل تعليقات سريعة مرتجلة ، لكي تتحول في نهاية المطاف الى موضوع نظرية ثورية وعلمية .

كان بودي أن أتقدم ببعض الملحوظات حول القسمين الاول والثاني من كراسة « نحو فلسطين ديمقراطية »، اللذين يتناولان على التوالي موضوع « الثورة الفلسطينية واليهود » وموضوع « موقف اليهود من الفلسطينيين » وخاصة ، عندما يتحدث الدكتور رشيد عن « الصورة الجديدة » للانسان الفلسطيني في نهاية القسم الثاني ، حيث اعتقد بأن الدكتور رشيد لم يوف هذين الموضوعين حقهما، وهما بحاجة الى دراسة تحليلية : اكثر من القفز الى استنتاجات مبالغ فيها ، فيما يتعلق « بالصورة الجديدة » واكثر من التبسيطية التي أجاب بها الدكتور رشيد على سؤال « هل سيغير اليهود مواقفهم ؟ » ، ولكن لن اتوقف ، الان ، عند هاتين النقطتين ، بصورة خاصة ، وعند القسمين الاول والثاني ، بصورة عامة ، وذلك لضيق المكان هنا لمثل هذا النقد التفصيلي ، ولهذا سأحصر بحثي في القسم الثالث : « نحو فلسطين ديمقراطية » .

يبدأ الدكتور رشيد هذا القسم بالفقرة التالية : « انه لمن الصعب ، وينطوي على مجازفة، اصدار تصريح واضح ومحدد الصيغة في هذه المرحلة المبكرة من الثورة عن فلسطين الجديدة والمحررة. فالواقعية، وليست احلام اليقظة الرومانسية ، يجب ان تؤلف المنحى الثوري الاساسي ونحن لا نعتقد بأن النصر على قاب قوسين او ادنى . فالثورة لا تقلل من شأن العدو او حلفائه الامبرياليين . وليس من السهل التنبؤ مسبقا بما سيحدث خلال سنوات الكفاح القاسي في سبيل التحرير . هل سيزداد موقف اليهود الفلسطينيين تصلبا ام انه سيصبح

اكثر مرونة وتقبلا للتغير ؟ »
يعتبر الدكتور رشيد في هـذه الفقرة ان اصدار تصريح واضح ومحدد الصيغة ، في هذه المرحلة المبكرة من الثورة الفلسطينية من فلسطين الجديدة والمحررة هو أمر صعب ، **وينطوي على مجازفة** لانه يربط بين اي تحديد لهذا المستقبل وبين موقف اليهود سلبا او ايجابا . ولكن قبل أن ينهي هذه المقدمة يقول : « ينبغي التفكير بالاجوبة والعثور على اجوبة لشتى الاسئلة المتعلقة بهذا المستقبل . وحتى لو كانت هذه الاجوبة مؤقتة وغير نهائية ، فانها سوف تبدأ حوارا يؤمن الطريق نحو النضج والتحقيق » .

وهنا ، علينا أن نلاحظ ان الدكتور يكون قد نفى الفقرة الاولى بنفسه حـين طالب بضرورة **التفكير بالاجوبة ، والعثور علـى اجابة لشتى الاسئـلة** المتعلقة بهذا المستقبل . اذن نحن هنا حيال مستقبل لا بد من ان نعثر على اجوبة لشتى الاسئلة المتعلقة به ، وحتى لو كانت هذه الاجوبة مؤقتة وغـير نهائية . وعندما يتناول الحديث مستقبل التحـرر الوطني الديمقراطي في فلسطين ، لا يجوز ان يربط بموقف اليهود منه سلبا او ايجابا . لاننا لا نناضل في سبيل فلسطين متحررة ديمقراطية بسبب وجود اليهود فيها كمستوطنين اقاموا دولة فقط ، اذ ان مرحلة التحرر الوطنـي الديمقراطي هي مرحلـة تاريخية لا بد من تحقيقها بالنسبة لكل شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية لانها مرحلة الانتقال من المجتمع شبه الاقطاعـي – شبه الاستعماري – الكومبرادوري (راجع بهذا الخصوص كتاب ماوتسي تونغ – « الديمقراطية الجديدة ») .

حقا ان موقف اليهود سلبا او ايجابا من مسألة التحرر الوطني الديمقراطي في فلسطين ، يلعب دورا في تبطيء او تعجيل الانتصار .. وهو لا يؤثر على الخطوط العريضة وجوهـر الديمقراطية في فلسطين وانما على تفصيلات تشريعية تتعلق بتنظيم الوضع القانوني والدستوري للدولـة الفلسطينية الديمقراطية مثل قضايا الهجرة والاقامة الخ . وهذه القضايا التفصيلية الجزئية هي فعلا من نوع القضايا التي لا يمكن بحثها في هذه المرحلة المبكرة من الثورة الفلسطينية ، ولكن هذا لا ينطبق على وضع الملامح الرئيسية والمحتوى الاساسي لفلسطين الديمقراطية التقدمية . والغريب في هذا المجال ان الدكتور رشيد يدخل في تفصيلات تشريعية ، في حـين يتجنب بحث المحتوى الاســاسي لمفهـوم الديمقراطيـة بالنسبة لمرحلـة التحرر الوطنـي الديمقراطي في فلسطين ، فمثلا يقول : « ان حق المواطن في حرية الحركة والتنقل داخـل البلاد وخارجها سوف يكون مضمونا والهجرة سوف تبقى مقيدة خلال الفترة الانتقالية بعودةجميع الفلسطينيين المشردين الذين يرغبون في العودة ، اما تحت ظل الدولة الدائمة والسوية فان الهجرة سوف تكون مفتوحة بدون تمييز ، شرط أن تخضع للانظمـة المتفق عليها ، وان تنسجم مع القدرة الاستيعابية للبلاد . كما ان حرية الوصول والزيارات والحج لفترة طويلة والسياحة سوف تكون مضمونة – بعد خضوعها بالطبع للانظمة المعتادة » . (ص ٤٤ – ٤٥) . ألا يلاحظ هنا ان الدكتور رشيد قد دخل بتفصيلات ، رغم موافقتي عليها من حيث الجوهر ، الا انها تبقى من الامور التشريعية التي لا يمكن البت فيها الا في حينه ، لان بالنسبة لمثل هـذه القضـايا يلعب التخطيط الاقتصادي والوضـع الاقتصادي ، خاصة في البلدان المتخلفة ، دورا أساسيا في تقرير اتجاهها وحدودها الخ.. ناهيك عن الوضع السياسي والامن ونوع المؤامـرات الخارجية والداخلية التي يمكـن أن تتعرض لها فلسطين المتحررة الديمقراطية .

وهنا نتوصل الى النقد الاساسي الذي يمكن ان يوجه الى هذه الدراسة وهو ان المؤلف لم يحدد مفهوما للديمقراطية وابقى استعمالها بصـ[illegible] مطاطة متأرجحة ، وسيبين لنا هذا بصورة اوضح اذا ما انطلقنا من النظر الى الديمقراطية من حيث محتواها الاقتصادي الذي يحرر لمن هذه الديمقراطية اي لاية طبقات وضد اية طبقات، وبكلمات ابسط ، هل هي ديمقراطية من الطراز البرجوازي التقليدي ام هي ديمقراطية مـن الطراز الاشتراكي ؟ ام هي ديمقراطية من طراز الديمقراطية الجديدة التي نظر لها ماوتسي تونغ ؟ تلكم هي المسألة الرئيسية في بحث موضوع الديمقراطية وعلى الجواب يتوقف كل شيء بما في ذلك مدى عدالة الحل المقترح ، ومدى تقدميته ، ومدى انسانيته وثوريته . وكذلك تتوقف على الجواب نفسه ، كل القضايا التشريعية والدستورية . كما تحل مسألة الايديولوجية التي سنناقشها عند تناول موضوع الايديولوجية في هذه الدراسة نفسها .

كان الدكتور رشيـد يستطيع ان يحدد محتـوى

الديمقراطية من خلال مسألتين :
اولا : اذا ربطنا الهدف الرئيسي للثورة الفلسطينية، ولحركة فتح بالذات ، بشعار الدولة الديمقراطية، واعتبرناهما كلا متكاملا لا شعارين منفصلين مستقلين عن بعضهما البعض فسنجد ان الثورة الفلسطينية قد حددت ، سواء عن وعي او بلا وعي ، المحتوى الاقتصادي والطبقي للدولة الفلسطينية الديمقراطية؛ اي لشعار الديمقراطية اعني بذلك الهدف الرئيسي الشعار التالي : « تستهدف الثورة الفلسطينية تصفية الكيان الصهيوني بكل مؤسساته العسكرية والسياسية **والاقتصادية** والثقافية. » ، واذا وقفنا لتفسير ما هو المقصود بالتصفية الاقتصادية ، فسنجد أنفسنا أمام مصادرة الملكية الصهيونية والامبريالية في فلسطين ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ان فروع الصناعة والتجارة والزراعة* والخدمات في الكيان الصهيوني ذات طابع متطور ، فسنجد ان مصادرة تلك الملكية لا يمكن أن تكون الا لحساب الدولة الفلسطينية اي لحساب كل الفلسطينيين ، اذ ان مثل ذلك الاقتصاد لا يمكن ان يستمر في العمل والانتاج الا على يد الدولة .. وبهذا تكون الديمقراطية في فلسطين تعني مصادرة الملكية الصهيونية والامبريالية. تماما كما كانت الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي في الصين تعني « الاصلاح الزراعي ومصادرة ملكية الكومبرادور والشركات الامبريالية » . (راجع ماوتسي تونغ « الديمقراطية الجديدة ») .
ثانيا : بالنسبة للارض الفلسطينية ، فعلينا ان نلاحظ ما يلي : أ — قسم كبير من الاراضي التي كان يمتلكها افراد عرب فلسطينيون قد امحت حدودها نتيجة اقتصاد الكيبوتس والموشاف كما اصبحت خاضعة لنظام خاص في الري والزراعة والتسويق ، لا يمكن ان يحل محله الا التعاونيات الزراعية الحكومية والفلاحية اذا اردنا للانتاج ان يستمر ويعمل بأقصى طاقته ، وهذا يعني « اصلاح زراعي » .
ب — اعادة ملكية الارض الفلسطينية للملاك السابقين سيعني تجزيئها بين الجيل الثالث او الرابع من الورثة بشكل سيفتت الملكية الزراعية والعقارية بشكل كبير جدا (كما يحدث للوقف الذري بعد اربعين او خمسين سنة) . وربما كان انسب حل لهذا الوضع هو التعويض على ورثتها ، واعادة توزيعها على الفلاحين الفقراء (اصلاح زراعي ايضا) ، طبعا يعوض فقط على الذين يسهمون ، بشكل أو بآخر ، في تأييد الثورة ودعمها ، اما الذين يتعاونون مع العدو او القوى المضادة ضد الثورة فهؤلاء تصادر ملكيتهم بلا ادنى جدال .
امام هذه الحقائق يكون من الواضح ان محتوى الديمقراطية في فلسطين (اقتصاديا وطبقيا) هو من طراز محتوى الديمقراطية الجديدة كما حدده ماوتسي تونغ ، اي ديمقراطية العمال والفلاحين الفقراء والصغار والمتوسطين والبرجوازية الصغيرة والوطنية ضد الصهيونية والامبريالية والكومبرادور.
وفي الحق ، ان الدكتور رشيد كان سيصل الى هذا التحليل نفسه لو انه قدم الفقرة الواردة في بحثه عن الايديولوجية بطريقة تحليلية بدل تقديمها على صورة نص في دستور ، اعني بتلك الفقرة ما يلي : « غير ان فلسطين الديمقراطية والتقدمية ترفض عن طريق الطرح والاسقاط اي شكل للحكم يتصف بالثيوقراطية والاقطاعية او الارستقراطية والسلطانية ، ويتميز بالعنصرية والشوفينية. سوف تؤلف فلسطين بلدا يمنع اضطهاد فئة او استغلالها على يد فئة اخرى ، وذلك يصدق على الافراد في مجتمعها ايضا . وسوف تكون فلسطين دولة تتيح الفرص المتكافئة لمواطنيها سواء كان ذلك في مجال العمل او العبادة » الخ . (ص ٤١) .
وفي الواقع ان الدكتور رشيد ذهب بهذه الفقرة الى ابعد من حدود الدولة الديمقراطية الجديدة بحيث طالب بانتفاء استغلال الانسان لاخيه الانسان سواء كفئات او طبقات او افراد . اي انه تخطى مرحلة الديمقراطية الجديدة ، الى مرحلة الاشتراكية ، لان في مرحلة الديمقراطية الجديدة ، كما عبر عنها ماوتسي تونغ ، لا ينتفي استغلال الانسان لاخيه الانسان انتفاء كليا ، لان الملكية الخاصة تظل قائمة الى جانب الملكية العامة لوسائل الانتاج في مجتمع الديمقراطية الجديدة . اما خطوة الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان لا تتم الا في المرحلة التالية اي في مرحلة الاشتراكية .
وهنا علينا ان نتوقف عند كراسة الجبهة الشعبية بعنوان « فلسطين : نحو حل ديمقراطي » حيث نجد ممثلي الجبهة الشعبية ، قد حاولوا تحديد الديمقراطية من خلال محتواها الطبقي ، ولكنهم بقوا في عموميات التعريف الماركسي للديمقراطية ولم يقدموا اي دراسة خاصة بفلسطين، فيما يتعلق بظروفها الخاصة وبطبيعة المرحلة التاريخية التي

تواجهها الثورة الفلسطينية باستثناء ممثل الجبهة في الحوار الذي أجرته جريدة الانوار اللبنانية ، حيث حاول ان يقدم تحليلا جادا عن اوضاع البروليتاريا اليهودية ، ولكنه لم يقدم شيئا بالنسبة لاوضاع الجماهير الفلسطينية والمرحلة التاريخية التي تمر بها الثورة الفلسطينية . وان كان قد أضاف على بحث الدكتور رشيد نقطة هامة وهي ان الحل الديمقراطي الثوري للمسألة الفلسطينية هو حل بالنسبة للبروليتاريا اليهودية ايضا بمعنى انه سيحرر البروليتاريا اليهودية من الايديولوجية الصهيونية ومن الاستغلال الرأسمالي الصهيوني لها (الصفحات ١٣ — ٢١) . ولكن ممثل الجبهة في هذا الحوار، كما يبدو لي من طريقة بحثه ، يطرح القضية على طريقة اليسار الماركسي الاوروبي دون ان يأخذ بعين الاعتبار المحتوى الجديد للديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي في بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ويأتي ممثل الجبهة في حوار « بغداد اوبزرفر » فيحدد مفهوم الديمقراطية في فلسطين على انه من الطراز الاشتراكي ، وان الدولة الفلسطينية القادمة هي دولة الطبقة العاملة حيث يقول : « ان وجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول تأسيس دولة الطبقة العاملة تلقي ضوءا على محتوى المجتمع المتحرر الذي تناضل الجبهة لتأسيسه ». (ص ٢٧)

ان هذا الطرح يبتعد عن مفهوم الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، بقدر ما يبتعد عنه المفهوم الذي لا يتناول المحتوى الاقتصادي والطبقي للديمقراطية .

نعود الان لنقطة اخيرة في مراجعتنا لكراسة الدكتور محمد رشيد « نحو فلسطين ديمقراطية » وهي موضوع الايديولوجية ، وهنا نجد الدكتور رشيد يستعمل كلمة ايديولوجية دون ان يعطيها تحديدا ، وان كان اعطى سمات متفرقة لما أسماه بالايديولوجية ؛ ولكن لم يتنبه الدكتور رشيد الى ان النقاط التي تناولها ذلك الموضوع هي حديث عن الثقافة في مرحلة التحرر الوطني وليس بحثا في الايديولوجية . اي ثقافة وطنية جماهيرية علمية ديمقراطية ترفض الايديولوجية الصهيونية وتكون نفيا للثقافة العنصرية والرجعية والاستعمارية والوهمية الخ، اي ثقافة الديمقراطية الجديدة (راجع ماوتسي تونغ — المصدر السابق) .

واخيرا لا بد من ازجاء التحية للدكتور محمد رشيد لمحاولته الجادة في طرح شعار «فلسطين ديمقراطية» لانه سيبقى أساسا لبحث هذه الفكرة وتطويرها وتعميقها واغنائها وتناولها من كل جوانبها لانها ، اي « فكرة الدولة الديمقراطية » كما قال الدكتور رشيد « تمثل منطلقا نضاليا للقضية الفلسطينية لا شعارا سياسيا استسلاميا فهي لا يمكن ان تنشأ الا بالتحرير ونتيجة للتحرير لا بديلا عنه » .

منير شفيق (ابو فادي)

Aruri, Nasser & Ghareeb, Edmund (eds.,), *Enemy of the Sun: Poetry of Palestine Resistance*. (Washington & Dar Es Salam, Drum & Spear Press, 1970).

ليس هذا الكتاب على حد علمي اول كتاب عن شعر المقاومة الفلسطينية يظهر مترجما الى الانكليزية فحسب ، بل هو أيضا اول كتاب بالانكليزية يضم مقتطفات ادبية مختارة من الشعر العربي المعاصر . ولذلك ، مهما بلغت العثرات، يجب أن نقر بالجميل للمحررين اللذين قاما بمعظم الترجمات بنفسيهما ولدار النشر التي مولت الكتاب .

يبدأ الكتاب بتصدير للاستاذ الجامعي صموئيل الن. ومن المؤسف انه كتب بلغة خاصة تصل احيانا حد الابهام ، مما لا يضيف شيئا يمكن القارىء الاجنبي من تذوق القصائد ان من ناحية الظروف التي كتبت فيها او من الناحية الشعرية . وهذا في الحقيقة يقدم منظارا خاطئا تماما في نظر صاحب هذه المراجعة . فنحن نمر على تعليقات مثل « دون الخضوع لكليشيهات الصحراء والمسجد والسلطان فان القارىء يسمع ايضا رجع حسب الهلال الخصيب في هذا الشعر ، » او « ربما يكون صحيحا ان القاسم وقباني ودرويش وحسين وطوقان يتمردون على التقاليد الشهوانية لاسلافهم شعراء الحقب السابقة العظماء . ولكن على الرغم من أن الموضوع الذي يجمعهم هو التحرير فان القارىء يسمع احيانا البلاغة التخيلية لعنترة جديد . »

ما الذي يحاول ان يقوله الاستاذ الن ؟ اي تقاليد شهوانية ؟ كان معظم الشعر العربي لا يعالج

موضوعات متعددة المظاهر والانواع بعيدة كل البعد عن الشهوانية . والاستاذ الن يقحم اسم نزار قباني بين اسماء شعراء المقاومة هؤلاء مما يجعل ممكنا افتراض جهله حقيقة انه ليس فلسطينيا ولا طبعا شاعر مقاومة في الاصل على الاقل ، ولا من النوع الذي نحن في معرض الحديث عنه هنا . ويمكن ان يسأل احدنا المحررين اتفاقا ، لماذا لم يضمنا كتابهما قصائد لشعراء غير فلسطينيين كتبوا عن المقاومة الفلسطينية وقد تضمن كتابهما شعرا لنزار قباني ؟

يظن الاستاذ الن ان المقاومة الفلسطينية حركة اسلامية . ويشير بصواب تام الى أن الاميركي (وفي الواقع ، الغربي عموما) كان متأثرا ومنفعلا بعمق شديد لانه شهد الاحداث اللا انسانية في المانيا النازية . وهكذا فانه يصف كيف احتفل واصدقاؤه اليهود بولادة دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . ويواصل وصفه بأن « الشرق الاوسط كان بعيدا . المسلمون وخاصة العرب كانوا قليلين في اميركا» . ومنذ ذلك الحين فصاعدا يصف النضال الفلسطيني كحركة اسلامية ويسعى ليطابق بينه وبين نضال الزنوج في الولايات المتحدة . يقول « ليس هناك من ينكر التاريخ الطويل والشريف لانهماك اليهود في نضال الانسان الاسود في اميركا » . وبينما يسلم بعدئذ بأن « الادعاءات المتنافسة بما يكتنفها من الامور التاريخية المعقدة حول المسألة الفلسطينية هي بدون شك بعيدة عن حل مرض تماما . وعلاقتها بنضال الانسان الاسود هنا سطحية ضئيلة ، »ومع ذلك فأن ما تبقى من التصدير كرسه لمحاولة الربط بين الاثنين . ويشير الى ان مالكولم اكس تحول الى الاسلام ، وان رسالة قانون الثورية قد صيغت في لهيب كفاح الجزائر المسلحة ، وأنه في منتصف القرن التاسع عشر اثار المهاجر الزنجي ادوارد بلايدن افضلية الاسلام على المسيحية بالنسبة للزنوج . وبينما يهدف الاستاذ ألن في تصدير الكتاب الى جعل النضال الفلسطيني دون شك مفهوما ومقبولا للرأي العام الاميركي واكثر تحديدا سكان اميركا السود كما يفترض احدنا ، فان فرضيته ان النضال الفلسطيني اسلامي كليا مغلوطة وخطيرة . ان النضال الفلسطيني طبعا نضال يخوضه الفلسطينيون، المسيحيون والمسلمون والملحدون ، وهو ثانيا نضال يخوضه كل العرب مهما كان معتقدهم ، وثالثا هو نضال يخوضه المسلمون عموما لمجرد أن معظم العرب مسلمون بالمصادفة تماما . ان العالم العربي يحمد الله لانه خلو من التحامل الديني . وان كانت نية الاستاذ الن حسنة فانه يسيء للحركة بطرحه موضوعه هذا . وبالاضافة الى ذلك ، فان المسائل القائمة بالنسبة للانسان الاسود في الولايات المتحدة او في جنوب افريقيا تختلف جذريا عن مشاكل الفلسطيني تجاه فلسطين . ان السعي للمقارنة بين الاثنين يخفي فرقا اساسيا عن الانظار : ان الفلسطيني لا يسعى لاوضاع أفضل وعدالة اجتماعية في بلده . انه يسعى وراء بلده ، ويجب ان لا ننسى ان عدد الفلسطينيين الذين يعيشون خارج ارضهم يساوي عدد اولئك الذين يعيشون عليها .

قبل أن انتقل الى النظر في القصائد ذاتها دعني اتخلص من الاعتراضات الاخرى على الكتاب . على الرغم من أن هناك فهرسا فان القصائد غير منظمة تحت أسماء المؤلفين وانما تنتشر بشكل عشوائي . فاسم المؤلف لا يوجد في رأس الصفحة او في أول كل قصيدة مما يضطر القارىء العودة الى الفهرس باستمرار لمعرفة من كتب قصيدة معينة . ان الترتيب العشوائي يصعب تقييم عمل الشعراء الذين يضمهم الكتاب . ولا توجد ايضا محاولة للتعريف بكل شاعر بمفرده او اضافة نقاط عن حياة كل شاعر بحيث يصبح الكتاب اكثر متعة للقارىء الغربي .

وتظهر الاسماء العربية في الكتاب بأشكال مختلفة دونما ضرورة لذلك . فتح تكتب بما لا يقل عن ثلاثة أشكال ، كما هي الحال بالنسبة لبيسان ، بينما الجليل تظهر بشكلها الانكليزي في بعض القصائد وبشكلها العربي في قصائد اخرى وكأنهما مكانين مختلفين . وفي هذه القصائد فان القارىء الانكليزي يقف امام منطقة غريبة وجديدة ، ومن المحزن ان تجعلها تبدو اكثر صعوبة بهذه الهفوات . وقد ادخلت ملاحظات حول القصائد ولكنها نادرا ما تكون مفيدة . واحدة منها تعرف كلمة « المتصوفين » (Sufis) بأنهم « جماعة اسلامية من الزهاد في العصور الوسطى » ، بينما أقل القواميس الانكليزية حجما يعطي لهذه الكلمة تعريفا افضل . ومن ناحية ثانية فان كلمة زعتر(Zaatar) قد قدمت ببساطة على أنها (Zatar) من دون ايراد اية ملاحظة حولها بالرغم من أنه يوجد في

الانكليزية كلمة تطابقها تماما ومستعملة بشكل عام. و« حمار جحا » لا يعني شيئا للقارىء الاجنبي . ويمكن ان نحكم على القصائد التي يضمها الكتاب، واكثر من نصفها لمحمود درويش وسميح القاسم، من ناحيتين : اولا كشعر وثانيا كتعبير عن مشاعر الفلسطينيين نحو وطن مفقود ، أي كنقاش واقناع سياسيين . واذا كانت القصائد ناجحة في أي من هاتين الفئتين فان هذا يجب أن يقرر بالضرورة احتمال نجاحهما في الفئتين نفسهما في الترجمة، وأظن ان من الواجب الاعتراف بأن القليل من هذه القصائد يمكن مقارنتها بالفعل كمجرد شعر مع أجمل ما قاله بدر شاكر السياب على سبيل المثال . وبالنسبة للجزء الاكبر من هذه القصائد فان الصور تعوزها الاصالة والاستقلالية وينقصها تركيز المعاني واستقلالية التعبير الذي يصنع الشعر العظيم .

ومن ناحية اخرى فان اهم ميزات هذه القصائد العذوبة والاخلاص والعاطفة والمباشرة التي تروقنا في الحال — والتي قد حاول المترجمون مرارا ان ينقلوها . ويحدث في بعض الاحيان ان تكون بساطة الاصل غامضة والمترجم يبدو أحيانا وكأنه غير راغب في تكرار بعض العبارات . ونشهد في الترجمة حذف العبارات واختصارها وهذا ملاحظ في كثير من القصائد ، كما نرى في قصيدة محمود درويش « رسالة من المنفى » . والكثير من القصائد قد حصل فيها ابتعاد عن الاصل دون اداء اكثر حيوية في الانكليزية واحيانا قليلة كانت الترجمة حرفية بحيث تبعث القارىء على التعجب من اي شخص يمكنه فهم الترجمة من غير معرفة الاصل . وفي قصائد اخرى تجد تصرفا غير مسموح به بكل تأكيد . وعلى سبيل المثال ، ففي قصيدة سميح القاسم « مفكرة ايوب » المؤرخة في ١٩٦٧/٥/٥ بيتان في النص الاصلي تشير اليهما ملحوظة تقول « هذا السطر وما بعد تاليه ، لا معنى لهما على الاغلب ، ليسا من اللغة العبرية كما افاد بذلك المختصون . وهذان البيتان استبدلا بأبيات من قصيدة لويس كارولْ السخيفة» . وفي النص الاصلي من المفروض بالابيات التافهة ان تكون على لسان ليفي اشكول والملك حسين ، وباستبدالهما بأبيات لويس كارول (التي لها معنى بالصدفة) غير مناسب .

انني أشعر ان مراجعتي للكتاب لم تكن نقدية بالضرورة ، واي شخص حاول ان يترجم الشعر العربي ، وقليلون لديهم الجرأة لمحاولة ذلك ، يعرف الصعاب الكثيرة التي تعترضه . ومع ذلك فان كثيرا من القصائد وعلى الخصوص بعض القصائد القصيرة لها من المباشرة والاقتصاد ما يجعلها مؤثرة بشكل مدهش .

والدراسة التمهيدية التي كتبها المحرران ، وهي بعكس التصدير ، تعالج هذه القصائد من الزاوية المناسبة ، وهناك استشهاد بقول لديان عند قراءة قصيدة لفدوى طوقان ، ان تلك القصيدة تساوي عشرين فدائيا . هذا ونأمل ان يكون لهذه القصائد تأثير عظيم خارج العالم العربي .

دنس جونسون دافز

دويتشر ، اسحق ، دراسات في المسالة اليهودية (بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٧١) .

حين نشرت مجلة الاداب ، بعد حرب حزيران ، مقابلة مع المفكر اسحق دويتشر ، أحس كثير من القراء العرب ، بأنهم كسبوا مفكرا كبيرا الى جانبهم . ولقد قرأت أنا تلك المقالة باهتمام ، وأعجبني نفس دويتشر المعادي للعدوان ، ولكن دعوته ، في المقابلة عينها ، الى قيام اتحاد شرق اوسطي اشتراكي يضم اسرائيل طرح امامي الكثير من الاسئلة . وصدر سنة ١٩٦٨ كتاب دويتشر : اليهودي غير اليهودي. وكان نص المقابلة المذكورة، من بين النصوص المنشورة فيه. ولقد قرأت الكتاب بنهم ، محاولا أن اكتشف كيف يعالج الماركسيون الاوروبيون المحدثون المسألة اليهودية ، وكيف ينظرون الى الحركة الصهيونية . ولا أكتم القارىء أن كتاب دويتشر صدمني لسببين :

اولهما : لانني لم اكن اتوقع ان يتبنى دويتشر بوعيه وعلمه دولة اسرائيل . وثانيهما : لانني لم اكن اتوقع منه ان يلجأ ، وهو رجل العلم الواسع الاطلاع، الى مثل المبررات الواهية التي لجأ اليها.

ولقد مضى على صدور كتاب دويتشر حوالي الثلاث سنين دون أن تناقشه مجلاتنا وصحفنا ، ولكن صدوره مؤخرا بالعربية عن دار الحقيقة ، يجعل من الضروري ان يناقش ، وان يهيأ ذهن القارىء العربي لكتاب يطرح قضيتنا وقضية عدونا .

وأول ما يجب ان يشار اليه هو ان دويتشر يؤمن

بأن « ماركس قد اصاب قلب المشكلة عندما قال بأن اليهودية استمرت حية « ليس برغم التاريخ ، ولكن في التاريخ ، ومن خلاله » . وهو لهذا يحاول ان يحل مشكلة اليهودي واليهودية والحركة الصهيونية من خلال مجمل ظروف اليهود ، والشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها . ولانه يحلل ويستقصي ، فانه يكتشف اثر الشتات في اليهودي ، ويشير الى ذلك موضحا فرادة القضية اليهودية وهو ما ينساه ويتجاهله كثيرون . ولكن دويتشر المفكر الماركسي ينسى ما هو اهم واخطر . انه ينسى شعب فلسطين . الا انه لا ينسى اليهود ابدا . وهو ، وان كان يؤمن بأن تحرير اليهود لا يأتي بقيام دولة يهودية بل « بالتحرير الانساني الشامل » فانه يعطي مبررات مختلفة لقيام دولة يهودية أهمها ما يلي :

١ — « أن الدولة اليهودية قد اصبحت بالنسبة لبقايا اليهودية الاوروبية ضرورة تاريخية ، وهي أيضا حقيقية حية » ، ولا يفوته أن يتساءل في النص ذاته : « أهي بالنسبة لهم فقط » .

٢ — « ان العالم اضطر اليهود الى اعتناق فكرة الدولة — الامة ، وان يجعل منها كبرياءه وامله ، في الوقت الذي لم يبق فيه شيء من الامل او قليل منه » .

٣ — والانسان لا يستطيع أن يلوم اليهود على ما حدث بالعرب في فلسطين « فالناس الذين يطاردهم وحش ، وهم يركضون لانقاذ حياتهم لا يستطيعون الا أن يؤذوا هؤلاء الذين في الطريق ، ولا يستطيعون الا ان يدوسوا ممتلكاتهم » .

والحل بالنسبة لدويتشر هو : ايجاد لغة تفاهم مشتركة بين اليهود ومن حولهم وقيام فيدرالية شرق اوسطية اشتراكية عربية — يهودية . ولكن هل هذا الحل ممكن ؟ وهل تسمح به طبيعة تكوين اسرائيل ؟ وكيف يمكن ان يتحقق ؟ ان دويتشر الذي يشرح لنا في صفحات طويلة كيف لم يستطع النظام البلشفي ان يحل المسألة اليهودية عنده ، يقترح علينا بسرعة وبساطة هذا الحل .

ودويتشر لا يكتفي بتبرير قيام دولة يهودية ، بل يعلن ندمه على مهاجمة الصهيونية قائلا : « لو انني ، بدلا من المجادلة ضد الصهيونية في العشرينات والثلاثينات حثثت اليهود الاوروبيين على الهجرة الى فلسطين ، فلربما كنت قد ساعدت على انقاذ بعض حيوات اطفئت في غرف الغاز الهتلرية » .

والكتاب ، وهو مجموعة مقالات كتبت في اوقات مختلفة ، يقدم الكثير من التفصيلات والشروح عن حياة اليهود ومشاكلهم ، ولكنه ، في نظري ، لا يقدم حلا لقضية فلسطين . والحل الذي يقترحه لا يقوم على أسس . وأخطر ما يمكن ان يزرعه في اذهاننا مثل هذا الكتاب ذو النفس التقدمي ، وذو النزعة العلمية في التحليل فكرتان :

الاولى : أن الصهيونيين اضطروا الى الهجرة الى فلسطين ، واضطروا الى اقامة دولتهم فيها ، وان دويتشر مثلنا ضد هذه الدولة ولكنه لا يملك الا يعتبر وجودها « ضرورة تاريخية » بسبب عداء « عالم الاغيار » لليهود . الثانية : ان دولة الاحتلال « أمر واقع » ، وأن كل ما يجب أن نرجوه ونتمناه هو ان تتحول الى دولة اشتراكية ، وان تحيل العداء بيننا وبينها الى « حسن جوار » .

ن . ع .

Kishtainy, Khalid, *Whither Israel ?* A Study of Zionist Expansionism. Beirut: P. L. O. Research Center, 1970.

يدور الكتاب حول فكرة اساسية هي أن التوسع صفة جوهرية من صفات الصهيونية ، ويقدم الكاتب عددا كبيرا من الادلة المستندة الى الوثائق والمدعمة بعشرين خريطة مما يعطي للكتاب اثرا قويا .

تبحث الفصول الاولى من الكتاب معنى «فلسطين» و« أرض اسرائيل » من الناحية الجغرافية والتاريخية ويتبع ذلك بحث للاطماع الاساسية التي تقوم عليها القومية اليهودية وبعد ذلك يقدم المؤلف تحليلا لاعمال المنظمة الصهيونية العالمية وعددا من الفصول التي تبحث في أساليب التوسع — الصراع حول « الضغط السكاني » ، استعمال القوة والطرد و« الامر الواقع » والثأر . ويلفت الكاتب الانتباه أيضا الى الدور الذي لعبه اليهود في الخارج ضمن الخطة العامة للصهيونية . واخيرا هناك عدد من الفصول التي تروي قصة التسلل الصهيوني الى فلسطين والاستيلاء عليها .

لا شك ان الكتاب لن يستطيع ان يحول معتنقي الصهيونية الى موقف مضاد ولكنه يثير تساؤلات في اذهان من يؤيدون او يعطفون على الصهيونية

واسرائيل بشكل عام . ولقد كان الكتاب اهم ما اصدره مركز الابحاث من منشورات .

هناك فصلان في الكتاب يصدمان المراقب المعاصر بشكل خاص وهما اللذان يبحثان في موضوع سلاح الضغط السكاني واساليب الامر الواقع . ومن الواضح ان تكون جهود الصهيونية لاثارة سخط العالم ضد « اللاسامية » المزعومة في الاتحاد السوفيتي شيئا جديرا باهتمام العرب . وبالنسبة لسياسة الامر الواقع — سياسة الفعل اولا ثم التبرير فيما بعد ان كان ضروريا — فان عدوان ١٩٦٧ كان أكبر مثال على ذلك ولكن الشيء المهم فيما يرويه الاستاذ فشطيني هو أن هذه الكلمات كانت على لسان الصهيونيين منذ فترة بعيدة . فعندما طلب هرتزل من قيصر المانية ان يعطيه وعدا مؤيدا للصهيونيين نصحه بأن افضل ما يمكن مواجهة العالم به هو الامر الواقع . وفي احد الاجتماعات عام ١٩١٩ وقف وايزمن ليقول بأن « تحديد سياسة واضحة واعلان الامر الواقع سيكون مقبولا على الاقل لدى ٧٥ بالمئة من الشعب العربي» . وفي الوقت الحاضر فانالتوسع الصهيوني الرئيسي الذي حصل عام ١٩٦٧ يدعم الان من خلال ايجاد حقائق صغيرة ومتعددة في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان على شكل مستعمرات صهيونية جديدة . وكما يقول المؤلف فان « الشيء المعتاد الذي يقال للعرب هو أن لا بأس الحق بجانبكم ولكن اليهود موجودون هناكالان فماذا تنوون ان تفعلوا ؟ » .

وبغض النظر عن حسنات الكتاب فانه، كالكتب الاخرى من ذات النوع ، يظل عرضة للنقد . فالمراقب يصاب برد فعل سلبي وهو يقرأ المقالة التي تحاول اظهار التواطؤ بين اسرائيل والولايات المتحدة في حرب ١٩٦٧ . ونظرا لعدم وجود أدلة على ذلك فان الكاتب يلجأ الى التلميح والتخمين مما يجعل هذا الجزء من الكتاب اقل قيمة من الاجزاء الاخرى . والمرء لا يستطيع الا ان يعتقد بأنه اذا كان هناك شيء يسيطر على ذهن الاستاذ فشطيني فهو ان الولايات المتحدة في أي وقت وفي كل الظروف هي معادية للعرب مئة بالمئة . ليس هناك من حاجة ، رغم كل شيء ، للافتراض او اختراع موضوع التواطؤ الاميركي — الاسرائيلي لتفسير احداث ١٩٦٧ والمؤلف نفسه يذكر حقيقة اساسية عندما يقول « بأن اسرائيل كانت تقول منذ فترة طويلة بأنها ستخوض الحرب اذا ما مست حقوقها في الملاحة في مضائق تيران وان اغلاق عبد الناصر للمضائق قد اعطاها المبرر المثالي لخوض الحرب » . هذه هي كلمات الاستاذ فشطيني ومن الصعب على المرء ان يفهم وجه الغرابة في أن اسرائيل لم تترك الفرصة المواتية لمزيد من التوسع .

وهناك مقطع اخر في الكتاب وثيق الصلة بهذا الموضوع . فبعد أن يعرض القول المنتشر في العالم العربي بأنه منقوش على جدران الكنيست عبارة عن حدود اسرائيل من النيل الى الفرات ، يخرج المؤلف بأن اسرائيل والمنظمة الصهيونية لا تنفذان خطة واحدة مرسومة . ويتساءل « هل توجد هناك مثل هذه الخطة ، ان المسألة تكون أبسط لو كان هناك حدود للطمع الصهيوني . فليس هناك من غاز امبريالي قد وضع خطة دقيقة لما سيحققه . ان القاعدة الاساسية والمقبولة لايةدولة توسعية هي أن تتوسع وتسيطر على أكبر قسم من اراضي الغير بحسب الظروف والامكانيات المتوفرة » .

داود متشل

Mohy I. Quandour, *The Skyjack Affair* (New York, Williams Press, 1970).

يمكن ان تكون المثيرات السياسية سلاحا دعائيا فعالا اذا وضعت بمهارة . ورغم ان كتب ليونل دافيدسون ، مثلا ، تدعو دائما للخط الصهيوني المتطرف الا انها مليئة بالاثارة بحيث يقع القارىء أسيرا لها . لم يتمكن السيد قواندور من اسداء الخدمة نفسها ، رغم انه صهيوني ايضا .

يبدو لي ، مما استطعت استخلاصه ، ان الحبكة تعتمد على فيلم مصغر « يحتوي معلومات عن خطة شيوعية للاستيلاء على اغنى مصادر الزيت في العالم ... مما قد يدمر الاقتصاد الاميركي واقتصاد عدة دول غربية اخرى . » لسوء حظ الولايات المتحدة ، يقوم الفدائيون بخطف الطائرة التي يسافر عليها « عميل حكومي سري » يحمل هذه الوثيقة الهامة . لكن البطل مورغان ، الذي لا يتحلى بأية موهبة ، يحصل على الوثيقة بطريق الصدفة وهكذا ينقذ العالم الغربي مرة ثانية . على اي حال ، اعتقد ان هذه هي الحبكة ، لانني كنت افقد خيط الرواية بين المافيا، والشيوخ الغيورين، والاردنيين

المتآمرين، والمهربات الجميلات ، والاطباء الصينيين الشريرين في بيروت ، واليونانيين القتلة . الشعب الوحيد الذي لم يجر ذكره سياسيا هو الشعب الفلسطيني ، رغم ورود بعض التعليقات المعقولة حول الوضع في الاردن . الشيء المؤسف هو ان السيد تواندور يعرف موضوعه معرفة اكثر مما يوحي الكتاب . وهو يخطيء في انه يغطي الحالة بطبقة من كوزموبوليتانية (عالمية متحررة من الاحتقاد القومية) مزيفة — لوائح بأسماء اصناف بضائع واماكن والفتيات المثيرات — لا يشعر بها القارىء اذا قورنت بالشخصيات الطيبة في الرواية كالاميركي الذي يملك مرآب للسيارات وطبيب السفينة. بطل الرواية غير بارع وسخيف وعالق بشكل كوميدي في كل موقف حتى يكاد يصبح محببا الينا في النهاية. **مغامرة في الجو** نشر بسرعة لكسب اهتمام الجمهور، لكن يبدو ان الناشر والمحرر لم يعتنيا به كثيرا . عدد الاخطاء المطبعية مدهش حتى في عصر الكتب الفورية ، والاسلوب خاص جدا ، خاصة عندما يتعلق الامر بصيغ الافعال وبوضع الفواصل والنقاط .

جمانة سعد

- أقل من ١٠ ٪ من سياسيي اسرائيل نساء .
- ٨٥٪ من سياسيي اسرائيل هاجروا الى فلسطين من الخارج .
- معدل سن السياسي الاسرائيلي أول ما وصل فلسطين من الخارج كان ٢٤ سنة .
- معدل عمر السياسي الاسرائيلي ٤٨ سنة .
- نصف سياسيي اسرائيل درسوا في الجامعات ومعهم ب.ع. أو شهادات اعلى .
- في اسرائيل نائب استوزر ١٧ مرة . وآخر ١٥ مرة . وآخر ١٤ مرة . وآخر ١٣ مرة . وآخر ترأس عشر وزارات .
- ثلاثة أرباع السياسيين من الاشكنازيم (أي يهود الغرب ، وهم أقل من ٤٠ ٪ من السكان) والربع فقط من السفارديم (أي يهود الشرق ، وهم ٦٠٪ من السكان) .

تجد هذه المعلومات وغيرها في كتاب

رجال السياسة الاسرائيليون

تحرير : أنيس صايغ

اعداد : غازي دانيال

اول كتاب تفصيلي عن اعضاء المجالس النيابية السبعة في اسرائيل وعددهم ٣١٨ نائبا بأهم المعلومات الاساسية عن كل نائب (تاريخ عضويته للكنيست وللوزارة ، وجنسه ، وعمره ، وجنسيته الاصلية ، وانتماؤه ومسؤولياته الحزبية ، ودراسته ، ومهنته ، ومؤلفاته، وعلاقته بالجيش ونشاطاته الاخرى). مع جداول اضافية بالنسب المستخلصة من الدراسة .

من منشورات مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية ٤ ل.ل.

فلسطينيات

الجمعية العامة للامم المتحدة : تطبيق احكام اسرى الحرب على افراد المقاومة

في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة ، استنادا الى توصية احدى لجانها ، خمسة قرارات تستهدف حماية حقوق الانسان اثناء الاشتباكات المسلحة . واسترعى القرار الثاني منها انتباه الباحثين لانه سجل انتصارا – وان يكن معنويا – لكل المطالبين بعدم التمييز (من حيث المعاملة في الاسر على الاقل) بين المقاتلين النظاميين واعضاء حركات المقاومة . وهذا القرار الذي اتخذ باغلبية ٧٧ صوتا ضد ٣ (من بينها اسرائيل) ، وامتناع ٣٦ عن التصويت ، يحث جميع الدول – ما اجل ضمان حقوق الانسان بشكل فعال – على تركيز الجهود لتلافي اندلاع حروب العدوان والاشتباكات المسلحة . وهو يطالب كذلك بوجوب معاملة اعضاء حركات المقاومة ، والمناضلين من اجل الحرية في جنوب افريقية والاقاليم المستعمرة ، كأسرى حرب ، في حالة القبض عليهم .

واول سؤال يتبادر الى الذهن لدى الاطلاع على هذا القرار هو : ما مدى اهميته بالنسبة الى رجال المقاومة الفلسطينية ؟ واذا كان القرار كسبا لهم ، فهل بامكانهم ، عمليا ، الاستفادة منه؟ ان القرار يضفي ، في الحقيقة ، صفة جديدة على اعضاء المقاومة فيدخلهم في فئة المحاربين. فمن هو المحارب في القانون الدولي التقليدي ؟ واذا كان المحارب هو الذي يحق له ان يعامل كأسير حرب ، عند القاء القبض عليه ، فما هو النظام الخاص بأسرى الحرب ؟ وهل تتقيد اسرائيل به ؟ وهل لقرار الجمعية العامة نتائج ايجابية او الزامية ؟

١ – من هو المحارب في القانون الدولي التقليدي؟

انه الجندي او المقاتل الذي يكون له دور ايجابي ومباشر في العمليات الحربية . وما هو وضع الثوار والمناضلين الذين يلجأون الى العنف للتخلص من بعض الانظمة او لطرد المحتل والمغتصب؟ ان القانون الدولي التقليدي لا يعترف الا بشكل واحد من اشكال الحروب الداخلية: الحرب الاهلية، ولا يمنح لاطراف هذه الحرب حقوق المحاربين الا بعد تثبته من توافر شروط معينة ، منها احتلال الثوار لجزء من اقليم الدولة وادارته ادارة منظمة. ولكن العالم عرف ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، انواعا مختلفة من الاشتباكات والحروب الداخلية التي لا تتوافر فيها تلك الشروط ، وخصوصا شرط الاستيلاء على جزء من اقليم الدولة . وفي عام ١٩٤٩ ، حاولت اتفاقات جنيف ان تتجاوب مع رغبات الشعوب وتواكب التطورات العالمية المستجدة فسعت الى تدارك بعض العيوب في القوانين الوضعية التقليدية عن طريق التوسع في تعريف اسير الحرب ، فقد نصت المادة الرابعة من الاتفاقية الثالثة الخاصة بمعاملة اسرى الحرب على ان هؤلاء يشملون ، ضمن فئات اخرى : « افراد الميليشيا الاخرى وافراد الوحدات المتطوعة الاخرى ، بما في ذلك الذين يقومون بحركات مقاومة نظامية ويتبعون احد اطراف النزاع ويعملون داخل او خارج اراضيهم ، حتى لو كانت هذه الاراضي محتلة ، بشرط ان تتوافر في هذه الميليشيا او الوحدات المتطوعة ، بما فيها تلك المقاومة المنظمة ، الشروط الاتية : أ – ان تكون تحت قيادة شخص مسؤول عن مرؤوسيه. ب – ان تكون لها علامة مميزة معينة ، يمكن تمييزها عن بعد . ج – ان تحمل اسلحتها بصورة ظاهرة . د – ان تقوم بعملياتها طبقا لقوانين الحرب واعرافها » .

فهذه المادة تنص او تقتصر فقط على افراد المقاومة النظامية الذين يشكلون جيشا خلف خطوط العدو. وهم وحدهم الذين يحق لهم ان يتمتعوا بحقوق

المحاربين وان يعاملوا كأسرى حرب في حالة القبض عليهم أو استسلامهم . ولكن ما هو وضع افراد المقاومة السرية غير النظامية عند وقوعهم في الاسر ؟ ان الشروط المذكورة لا تتوافر غالبا في الثوار والمقاومين الذين يفضلون اللجوء الى عنصري السرية والمفاجأة . وهذه الشروط لم تتوافر فعلا في حركات المقاومة في اوروبة خلال الحربين العالميتين. ومع ذلك فقد اعترفت حكومات الدول الحليفة ومحاكمها بالصفة الحربية ، وبالتالي بحقوق المحاربين ، لتلك الحركات التي كافحت ضد الحكومات القائمة .

وجاء اليوم قرار الجمعيةالعامة يكرس هذا الواقع ويمنح الصفة الحربية لاعضاء حركات المقاومة ، ولكل المناضلين من اجل الحرية في الاقاليم الخاضعة للاستعمار او في الدول الخاضعة للتمييز العنصري . وقد اصبح من حق هؤلاء الثوار ، عند وقوعهم في ايدي اعدائهم ، ان يطالبوا بمعاملتهم معاملة اسرى الحرب .

٢ ــ فما هو النظام الخاص او القواعد الخاصة بحماية اسرى الحرب ؟ انها تتلخص بالامور المهمة التالية :

* خضوع الاسرى لسلطة الدولة التي تنتمي اليها القوات التي اسرتهم . * ابعاد الظلم والهوان والتدابير الانتقامية عنهم ، وعدم الضغط عليهم لانتزاع بعض المعلومات منهم ، أي معاملتهم معاملة تتفق ومبادىء الانسانية . * وضعهم في اماكن بعيدة عن ميادين القتال لابعاد الخطر عنهم .

* تزويدهم بما يلزمهم من مأكل وملبس وعناية طبية . * صرف مرتبات شهرية لهم تتفاوت بتفاوت رتبهم .

٣ ــ وهل تتقيد اسرائيل بهذه القواعد بالنسبة الى مساجينها من المقاومين الفلسطينيين ؟ ان كل التقارير التي رفعت الى المنظمات والجمعيات الدولية ، وكل القرارات الصادرة عنها ، تثبت العكس ، فقد درجت اسرائيل ، منذ قيامها ، على احالة كل مقاوم او فدائي يقع في قبضتها الى محاكمها العسكرية ، وادانته بارتكاب جرائم عادية او جرائم الاخلال بالامن ، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة طويلة . ورغم الشكاوى والاحتجاجات التي رفعت الى اللجان والفروع المختصة في الامم المتحدة ، فان هذه المنظمةالعالمية قد اكتفت حتى الان باصدار القرارات والادانات او توجيه اللوم والتحذير .

٤ ــ وما اهمية قرار الجمعية العامة ؟ وهل سيتمكن من تغيير هذا الوضع السيىء ؟ أي هل سيؤدي الى الزام اسرائيل باعتبار المقاومين اسرى حرب ، ومعاملتهم على هذا الاساس ، عند القبض عليهم ؟

ان قرار الجمعية العامة ــ على الرغم من تسميته قرارا ــ ليس قرارا ملزما . ويبدو ان القاموس الاصطلاحي للتنظيم الدولي لا يزال يفتقر الى الالفاظ الدقيقة الواضحة التي تعبر بامانة عن حدود الصلاحيات التي تملكها المنظمات . وقد اسفر هذا النقص عن قيام حالات من اللبس والغموض ، ومنها حالة الخلط بين القرار والتوصية واستعمالهما بشكل يوحي بترادف الكلمتين . انالكلمتين معنيين مختلفين ، فالتوصية هي مجرد ابداء نصيحة او رغبة او دعوة يمكن ان تقبل وان ترفض . والدول غير ملزمة باتباع التوصيات الصادرة عن المنظمات الدولية ، لان التوصية لا تتضمن ــ قانونا ــ قوة الالزام ولا تترتب على مخالفتها اية مسؤولية قانونية . اما القرار فهو امر يتضمن قوة الالزام ولا يختلف من حيث القوة عن اي قانون تصدره السلطة المختصة في داخل دولة من الدول .

ورغم وضوحالفارق بينهما فان ميثاق الامم المتحدة يستعمل هذه اللفظة او تلك دون تدقيق او تمييز. واوضح مثل على ذلك هو انه يستعمل لفظة قرار لوصف التوصيات الصادرة عن الجمعية العامة. فقرار الجمعيةالعامة الذي نعالجه هو اذن مجرد توصية . وان كان له من وزن فعلى الصعيد المعنوي فقط . ومن المؤكد ان اسرائيل ، كعادتها ، لن تأبه له ولن توافق على العمل به . ومن الثابت ــ بعد ان تكرر ذلك عشرات المرات ــ ان الجمعية العامة ستعمد في كل مناسبة الى ذكر هذا القرار او التذكير به والى مناشدة الدول الاعضاء مراعاته والتقيد به ، دون ان يغير كل ذلك من واقع الحال شيئا . ان الامم المتحدة تفتقر الى الحزم . وبدون الحزم ستبقى قراراتها حبرا على ورق ، وستستمر اسرائيل في استهتارها بكل القوانين والاعراف والمبادىء الدولية .

الدكتور محمد المجذوب

المؤتمر الدولي للدين والسلام في اليابان

عقد المؤتمر في ١٦–١٩٧٠/١٠/٢٢ بدعوة من لجنة كبار الشخصيات الدينية والفكرية في العالم التي تمثل جميع الاديان الكبرى في الشرق والغرب ، وكانت الغاية من تأليف اللجنة وعقد المؤتمر هي تنظيم تعاون بين مختلف الاديان في عملها في سبيل السلام الدولي. ومع ان اللجنة اميركية التكوين وغربية النزعة ، كان الاتحاد السوفياتي ممثلا بوفد قوي يضم رجال الدين مسيحيين ومسلمين . وكانت مشاركتهم في المؤتمر فعالة على جميع المستويات . وكانت الصين الشيوعية هي الغائب الاول عن المؤتمر . واذا استثنينا لبنان كان العالم العربي الغائب الثاني . فلم يكن يمثله كمندوب في المؤتمر سوى الدكتور حسن صعب استاذ علم السياسة في الجامعة اللبنانية .وحضر مدير مكتب الجامعة العربية وقنصل الجمهورية العربية في طوكيو كمراقبين .

انقسمت ابحاث المؤتمر الى موضوعات عامة عولجت في الجمعية العامة من قبل خطباء يمثلون مختلف الاديان الكبرى المسيحية واليهودية والبوذية والهندوكية والاسلام ، تناول كل منهم موقف ديانته من السلام الدولي. وكان الشخصية اللامعة بين هؤلاء « الحبر البرازيلي الاحمر » كاميرارا الذي تحدث عن السلام والعدالة والذي طالب المؤتمر بمنحه جائزة نوبل للسلام . ولم يكن في خطابه أي جديد يلفت النظر ولكن حضوره اضفى على المؤتمر معنى تقدميا كان منظمو المؤتمر في امس الحاجة اليه . واما القسم الثاني من الابحاث فقد جرى في لجان المؤتمر التي انقسمت الى ثلاث لجان : لجنة الانماء ، ونزع السلاح ، وحقوق الانسان . وكانت الروح التي سادت هذه الابحاث روح استنكار العنف والتخلف والتمييز البشري بجميع صوره . فسجل بذلك المؤتمر للاديان الكبرى موقفا« سلاميا انمائيا انسانيا» تتخذه في هذا المؤتمر لاول مرة مشتركة مع بعضها البعض .

وكان على المندوب العربي في المؤتمر ان يقدم مساهمته على مستويات ثلاثة : أ – المستوى الفكري الانساني العام ، ب – المستوى الاسلامي ، ج – المستوى العربي . فكان العمل على المستوى العام يقتضي التوعية ، في مختلف اللجان ، وفي مقدمتها لجنة الانماء ، بحقائق الوضع الحضاري الانساني ، وبوجوب التبصر والتمرس بالمفاهيم والمناهج العلمية التجريبية للحضارة الحديثة ، وتفادي التعويل على « تفوق الشرق الروحي » كبديل للتفوق المادي ، وتثوير القيم الروحية تثويرا يبرز طاقة الانسان الخلاقة . فكان تجاوب المفكرين « الشرقيين » بما فيهم رجال الدين مع هذا التوجيه تجاوبا حماسيا رائعا .

واما العمل على المستوى الاسلامي ، فكان يقتضي تعاون الاعضاء المسلمين الذين بلغ عددهم حوالي الخمسين في الدعوة الى « السلام مع التغيير »، و « السلام مع العدالة » و « السلام مع الحرية » و « السلام مع التقدم » ، وذلك لئلا يفسر اشتراكنا في المؤتمر بانه قبول بالسلام لتثبيت الوضع الراهن . فكان التعاون كاملا بينهم في اشاعة هذه الافكار في المؤتمر .

واما العمل عى المستوى العربي فقد تجلى في تقديم الاقتراح التالي حول ازمة الشرق الاوسط : « ان المؤتمر يعبر عن قلقه العميق للحالة في الشرق الاوسط ويدعو لتحقيق تسوية سلمية فورية للازمة بقيام جميع الفرقاءالمعنيين بتنفيذ مقررات الامم المتحدة ». وصدق الاقتراح بالاجماع ، وادخلت تعديلات على توصيات اللجان اقرت كلها بالاكثرية بعد صراع شاق تناولت حفظ حق الشعب في مقاومة الاحتلال الاجنبي بالعنف، ووجوب انهاء الاحتلال الاجنبي العسكري فيجميع البلاد ، ووقف المساعدات العسكرية للدول المعتدية ، وتحويل اعتمادات جميع المساعدات العسكرية للتثمير في الموارد الانمائية ، والتنديد بالتمييز الذي تمارسه اسرائيل ضد العرب . وكان الاقتراح الاخير مثار مشادة طويلة استخدم فيها الاسرائيليون واصدقاؤهم جميع الطرق الاجرائية والتهويلية لحمل الجمعية العامة للمؤتمر للعدول عن قرارها . فأعيد التصويت ثلاث مرات كانت النتيجة فيها في كل مرة وقوف الاكثرية الى جانب الاقتراح العربي . فجاءت هذه التجربة دليلا جديدا على واجب المشاركة في المؤتمرات الدولية ، لتحقيق مكاسب معنوية جديدة للحق العربي ، ولابراز وجه العرب الحقيقي كمشاركين في حركة التعاون الانساني في سبيل السلام الحقيقي القائم على التقدم والحرية والعدل .

الدكتور حسن صعب

انطباعات عامة حول جولة في الولايات المتحدة

١ ـ بدأت القضية الى حد ما تقسم الاميركيين حولها وبقدر ما يصبح هذا الانقسام حول القضية الفلسطينية حادا وعميقا ومحوريا في الحياة الاميركية ، تكون قضيتنا قد خطت في الولايات المتحدة . ويكاد يكون المعيار في قياس موقف اي اميركي على الصعيد السياسي ، الان، هو قضية فيتنام . قل لي اين تقف من فيتنام اقل لك من انت (على الصعيد السياسي) وعندما تصبح قضية فلسطين بنفس الوضع تكون قد بلغت شاطىء السلامة . كما بدأت الان فئات قليلة نسبيا من الاميركيين تعتمد هذا المقياس . تقيس تقدمية بعضها البعض بمدى التزامهـا بتأييد قضية فلسطين وقضية الكفاح المسلح بنوع خاص . وحتى الان ما يزال هذا الامر داخل دائرة الفئات المتسيسة الشديدة التسيس من الطلاب والشباب . ولكن احيانا يتعدى الوضع ذلك . مثلا صدف لي ان ذهبت مع حسن عبدالله ممثل مكتب الجامعة في شيكاغو الى مدرسة ثانوية حيث كان مدعوا لالقاء محاضرة عن فلسطين . وكانت مفاجأة كبيرة لي ان ارى طلابا اميركيين في مدرسة ثانوية يهتمون بالقضية الفلسطينية بل ينقسمون فيما بينهم على اساسها . وقلت في نفسي اذا لقد انقضى العهد الذي كان الطالب الاميركي لا يعرف فيه شيئا عن قضية فلسطين الا من خلال التوراة .

٢ ـ شيء ايجابي آخر ، هو انتهاء المرحلة التي كان فيها النشاط العربي مقتصرا على الموظفين في السفارات وفي جامعة الدول العربية ومكاتب الاعلام الرسمية البحتة والدبلوماسية ، وبدأت مرحلة اخرى هي مرحلة النشاط السياسي والايديولوجي الممثل بنشاط الشباب العرب من خريجين وطلبة . هذه المرحلة الجديدة مرحلة متقدمة عن سابقتها ، فالاعلام والدبلوماسية ليسا بقادرين وحدهما مهما بلغا من الجودة ، على تشكيل تيار اميركي شعبي ملتزم بتأييد قضية التحرير الفلسطيني ولا بد من نشاط سياسي عقائدي عربي لتحقيق هذه الغاية . وهذا ما بدأه الشباب في اميركا اليوم .

قد يقال ان الفئات التي تتجاوب مع العرب سياسيا وايديولوجيا في نشاط من هذا النوع، هي فئات ضيقة ومحصورة . هذا صحيح ، ولكن هذه الفئات ، على ضيقها ومحدوديتها ، تستطيع ان تطلق شعارات وافكارا وتخلق اتجاهات في دوائر اوسع منها بكثير . ان هذه الفئات نفسها كانت كافية مثلا ان تخلق انعطافا كبيرا داخل الشعب الاميركي في قضية فيتنام مثلا . وهل نستطيع ان ننسى اثر هذه الفئات في منع جونسون نفسه من التجديد ؟ وهل نستطيع ان ننكر اثرها في ابعاد شخص مثل جولدووتر عن مركز الرئاسة ؟ ان هذه الفئات قد تكون بعيدة جدا عن تسلم الحكم في الولايات المتحدة ، ولكن هذا لا يعني ان هذه الفئات عاجزة عن ايصال أي سياسي الى البيت الابيض.

٣ ـ هذا على الصعيد الايجابي اما على الصعيد السلبي فهناك ملاحظة هامة وهي : ان كثيرا من الجهد السياسي العقائدي الذي يطبع المرحلة الجديدة من النشاط العربي في الولايات المتحدة يتخذ ، مع الاسف ، طابعا انقساميا . فقضيتنا في فلسطين لا تطرح على الرأي العام الاميركي ولا على الفئات التقدمية الاميركية كقضية تحرر وطني ويؤخذ لها التأييد على هذا الاساس . بل انها كثيرا ما تطرح على انها قضية هذه المنظمة من منظمات العمل الفدائي او تلك فبعض الطلاب العرب يغالون في ابراز فروق الرأي والاتجاهات والمنطلقات بين المنظمات بشكل يحرف نظرة الاميركي نحو قضيتنا ويضيع اللب والشيء الجوهري في دقائق الخلافات . وهكذا كثيرا ما يكون الصديق الاميركي للقضية ليس الا الشخص الاكثر علما من غيره بمثالب الفئات العربية المختلفة وزلات هذه او تلك من المنظمات ، بل ان صداقة العرب لا تعني احيانا الا التفرغ لاحصاء هفوات المقاومة الفلسطينية والعمل الفلسطيني بنوع عام . وهذا الامر لا ينطبق لا كله ولا بعضه ، على قضية نصرة فيتنام مثلا حيث القضية مطروحة على الاميركيين من تقدميين وليبراليين على اساس انها حركة تحرر وطني ولا شيء غير ذلك مما حفظ لها حرمة وجاذبية في عين القريب والبعيد . واذا علمنا اي انقسامية يعيشها اليسار الاميركي فيما بينه ، ادركنا خطر الطرح الانقسامي لقضية فلسطين ، اذ يصبح الموضوع في حالة تدور متصاعد . فالانقسامية داخل اليسار الاميركي تتغذى

الانقسامية داخل العمل الفلسطيني، والانقسامية داخل العمل الفدائي تغذي الانقسامية داخل اليسار الاميركي .فيصيب التردي الجهتين معا والقضية نفسها .

انطباعات عامة عن مؤتمر الخريجين العرب الذي عقد في شيكاغو : لقد كان انعقاد المؤتمر بذاته نجاحا ولا يلغي فائدته ودوره ، ان أغلب اعضائه او المشتركين فيه من ذوي الميول المحافظة في نظرتهم السياسية ، فما دام الخط العام كان خطا وطنيا : وما دامت الاقلية التقدمية فيه لم تكن مخنوقة الصوت ، فمعنى ذلك ان المؤتمر بمجمله ، كان حسن المردود وقد لمسنا ، والحق يقال حرص الهيئة الداعية وعلى الاخص امين السر الدكتور ابراهيم ابو لغد ، على ان يكون المؤتمر مؤتمر الجميع لا مؤتمر المحافظين من المشتركين وحدهم . وقد اعجبني بين الكلمات التي القيت في الاحتفال الختامي كلمة الدكتور ادوار سعيد الاستاذ في جامعة كولومبيا الذي طرح قضية العمل الفدائي من ضمن اطار حركة التحرر العربي كلها .

ولا بد لي من التنويه بالجهود التي بذل بعض الاميركيين انفسهم في انجاح المؤتمر ويحضرني بهذه المناسبة البحث الذي قدمته السيدة جانيس تاري حول موقف اجهزة الاعلام الاميركية من قضية فلسطين فقد اثبتت الباحثة ان الاعلام الاميركي يصبح اكثر موضوعية واكثر علمية عندما يكون الامر متعلقا بالعمل الفدائي . ومعنى ذلك ان اميركا تصبح اكثر استعدادا لسماع الراي العربي عندما تجابه بالقوة والاسلوب الثوري الصحيح . **وهذا على عكس الرأي العربي التقليدي القائل بانه لكي تكسب الاذن الاميركية والقناعة الاميركية ، فما عليك الا ان تكون وديا تجاه المصالح الاميركية .** على ان هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات لا يمكن ان يكون شيئا مفيدا حقا الا اذا اصبح اطارا للعمل بالنسبة للتقدميين ذوي النفس الوطني الطويل . فخير ما يثيره حضور هذا المؤتمر هو في الحقيقة الشعور بسعة الطاقات العربية وغير العربية القابلة للتوظيف في خدمة قضيتنا . وشر ما يثيره الشعور بفداحة التقصير العربي عن توظيف هذه الطاقات .

منح الصلح

حديث مع كريستيان بيلون

كريستيان بيلون هو الشاب الفرنسي الذي خطف طائرة الى بيروت ١٩٧٠ لدعم العمل الفدائي . وهو مهندس الكتروني . ولا ينتمي الى اي تنظيم سياسي او حزبي في فرنسه « لان ليس من الضروري ان يكون الانسان عضوا في منظمة سياسية معينة حتى يؤيد الفلسطينيين في كفاحهم ... ان هناك اعضاء في الحزب الشيوعي الفرنسي لا يزالون لا يؤيدون الشعب الفلسطيني» كما قال .

سألته كيف اخذ هو يؤيد العرب بالرغم من ان الاتجاه العام معاد للعرب في فرنسه . فحدثني عن مشاعر البغض والعداء والخوف من العرب ، وخاصة من الشمال افريقيين الموجودين في فرنسة « ان أغلبية الشعب الفرنسي ، وخاصة الطبقة الوسطى ، يحقدون على العرب . نقط بعض الاجهزة الرسمية ، بفضل ديغول ، اخذت تتخلص نسبيا وتدريجيا من هذا الحقد . وقد بلغ هذا التدرج حدا فاصلا عندما حظرت الحكومة بيع الاسلحة الى اسرائيل ». وعلل ذلك الموقف بانه « لاسباب اقتصادية . ففرنسه تجد السوق العربي اوسع من السوق الاسرائيلي ، سواء لشراء السلاح الفرنسي او امام التجارة العادية وبيع السلع والآليات المصنعة ولفتح المصارف » . اما الصحافة الفرنسية فان معظمها « ينمي الشعور المعادي للعرب لدى الشعب الفرنسي ، بتأثير النفوذ الصهيوني في الصحافة . ان الصحف الصهيونية الميول تستغل أبسط الحوادث التي تقع بين الجزائريين والفرنسيين وتضخمها لتثير غضب رجل الشارع على العرب » .

« ان معظم الطبقة الوسطى من الشعب الفرنسي تعاني من عقدة اللاسامية ، تكره اليهود لانهم يسيطرون على معظم النشاط التجاري في فرنسة وعلى عدد من الصناعات الكبيرة . يكره التاجر الفرنسي الصغير جاره اليهودي لانه يملك متجرا أكبر من دكانه . ولهذا فان من اماني الشعب الفرنسي ان يحل اليهود عنهم ويذهبوا الى اسرائيل ، ومن هنا جاء تأييد الكثيرين من غير اليهود للصهيونية» . ويفسر بيلون هذه اللاسامية بانها نتيجة دوافع اقتصادية وطبقية . ولكنه يضيف الى اسباب تحامل الفرنسيين على العرب تقصير العرب اعلاميا . « انتم العرب منغلقون

على الغرب ومنعزلون عن العالم اعلاميا . تسيطر المصالح الامبريالية والصهيونية على الصحف فتسير الصهيونية المواطنين وانتم غير موجودين اطلاقا » .

وروى لي نمو مشاعره تجاه شعب فلسطين :«كنت في الثامنة عشرة حينما كان الجزائريون يكافحون ضد شعبي ، سواء حربا في الجزائر ضد الجيش الفرنسي المحتل او انتفاضات واغتيالات وتظاهرات في شوارع باريس . فاعجبني هذا الكفاح وآمنت به . وبواسطته تعرفت على كفاح عربي اخر ، كفاح شعب عربي آخر مضطهد . وحينما خطفت ليلى خالد طائرة البوينج الى مطار دمشق ، وحينما نجحت في استبدال ثلاثة عشر مسجونا عربيا في اسرائيل بركاب الطائرة الاسرائيليين ، شعرت ان علي ان افعل شيئا لمساعدة الشعب الفلسطيني ، بالفعل وليس بالكلام . لقد فتح خطف الطائرة صفحة جديدة في حياتي » .

المستقبل ؟ رفض ان يتحدث عن المستقبل ،لكنه لن يستقر في فرنسه « سأتابع السير على الطريق التي اخترتها في دعم الكفاح الفلسطيني والعربي . وقد ابقى بين العرب . ان معاملة العرب لي جيدا جدا . حتى وانا في السجن في لبنان شعرت نفسي موضع تكريم الجميع » .

وسألته عن اثر خطف الطائرات على الراي الفرنسي العام . « ان الشعب الفرنسي لا يعرف عموما اين تقع فلسطين . ولا يعرف أن هناك شعبا فلسطينيا يناضل من اجل استرداد بلده وكرامته وحقة . ولذلك كانت الصحف في بدء النشاط الفدائي تكتفي بنشر الخبر في سطر او سطرين . ولكن حينما خطفت اول طائرة الى الجزائر تبدل الحال .جاء الخبر في عدة صفحات في بعض الصحف. فقد اعتبر تهديدا لامن وراحة المواطن في الغرب . وأجمعت الصحف على ادانة العمل واعتبرته وحشيا ولا انسانيا وارهابيا ، ومع هذا كله اضطرت ان تتكلم عن المقاومة الفلسطينية . وهكذا فرض الثوار الفلسطينيون انفسهم على الصحف رغم انف محرريها الصهيونيين . وبالتالي تعرف المواطن العادي على بعض حقائق القضية ولو تحت عناوين العداء للثورة الفلسطينية » .

وهو ضد الحل السلمي لان اسرائيل « لا تريد السلام ولا تؤمن بالامم المتحدة ولا بمباحثات الدول الاربع ، كل ما تسعى اليه هو تزويد جيشها باحدث الاسلحة لتتابع فرض وجودها على العرب وتتوسع اكثر » . ولكنه يرى ، من جهة اخرى ، ان مشروع روجرز يعطي مصر فرصة لاعادة بناء قوتها على القنال . وهو متفائل ، «لن تبقى اسرائيل . مصيرها هو مصير كل كائن استعماري سيزيلها الشعب الفلسطيني بمساعدة العرب واحرار العالم » بل انه يعتبر مجزرة ايلول حافزا للثورة الفلسطينية لتنمو وتنطلق . « وكلما ازدادت متاعب المقاومة ازدادت مناعتها».

سألته اخيرا عمن هو مثله الاعلى ، بين رجال العالم ، في النضال ، فسمى ديغول وعبد الناصر . ثم طلب ان احذف اسم ديغول . « اني أحترم ديغول وأقدر جهاده في مقاومة الاحتلال النازي ثم في منحه الجزائر استقلالها ثم في صداقته لشعبي الاتحاد السوفياتي والصين .لكني لا اوافق على مطالبته بالانفصال في كندا . اما ناصر فقد احيا الشعب العربي . انه بطل الكفاح ضد اسرائيل . انه شهيد فلسطين ».

مارلين ابو شديد

محمود درويش وجائزة اللوتس

قبل ثلاث وعشرين سنة كان الصبي محمود درويش يعاني ليلا امر واطول من ليل امريء القيس ، وهو يزحف مع اهالي البروة ، تاركين سهول فلسطين وبياراتها ، يطوون الجبال والانجاد وعيونهم تنحر صدر الجبال السوداء البعيدة ، تبحث عن لبنان . ان احدا من قافلة المشردين تلك ، لم يدر بخلده بان هذا الصبي الناحل ، الذي يبدو وكأن السماء قبلته بعينيه ، سيحمل يوما ما صليب فلسطين ، وتصبح شفتاه قيثارة لاعذب الالحان الفلسطينية واشجاها .

لقد كانت سنواته الست يومذاك اعجز من ان تفهم لماذا وكيف يترك الانسان بيته وملاعب صباه واشياءه الجميلة ، وهكذا بلا سبب وبيتر تعسفي يضيع الحلم من يديه الصغيرتين لتنقيدا بهموم التفكير والتأمل الذي خلق لرأس اكبر من رأسه . وكانت هذه الاحداث اول وسم في نفس الفتى ترك اخاديد عميقة في حياته انعكست في شعره .

ويعود محمود من لبنان متسللا كما خرج هاربا يلوذ باكناف الظلام ، ورغم وعورة الطريق ، تغمر فرحة العودة الى مرابع الصبا قلبه الصغير. ولكنه سرعان ما يجد نفسه في دير الاسد ، تطل البروة عليه او يطل عليها صباح مساء ولا يستطيع الخطو على ترابها ، « حرام على بلابله الدوح » ، ويبقى محمود في وطنه حاضرا غائبا ، بموجب القانون ، الذي لا يزال يحاصره حتى الان ويمنع عنه الحصول على الجنسية ، حتى انه قبل سنتين عندما دعاه المفكر الفرنسي رودنسون الى باريس ، منعته السلطات الفرنسية من دخولها بسبب عدم اكتمال قانونية اوراقه . فنام ليله في المطار واقتيد في الصباح مخفورا الى اول طائرة متجهة الى بولونيا .

هكذا كانت طفولة محمود تختلط فيها احلام الصغار بهموم الكبار ، وتمتزج فيها ظلال حياته الخاصة بكآبة المأساة العامة ، لاجيء في لبنان، ولاجيء في وطنه فلسطين . سجين في البيت وسجين في الشارع ، وسجين في السجن ، وسجين في السفر . حصار من كل جانب ، فكان من قدره ان يحمل صورة ذلك الوطن في عينيه وفي قلبه وعلى لسانه ، صورة كما يراها ، وكما يفرض الواقع رؤيتها ، وكما يطمح مستقبلا ان تكون .

التقيت به اول مرة في مهرجان شعري عقد في عكا سنة ١٩٥٨ ، ويومها كانت المهرجانات الشعرية هي المنابر التي يلتقي بها الشعر والشعب بالمأساة ، كان لا يزال في ثانوية كفرياسين ، وانشد تلك الليلة قصيدة طويلة ، ولما سألني رأيي ، وكان يجلس صدفة الى جانبي ، قلت : هذا الزخم الكافي في بعض ابيات القصيدة ، وهذه الحرارة المتألقة في روحها وتلك الشفافية في صورها ستجعل منك شاعر الارض المحتلة يوم تتخلص من تكرار الصورة ، والركاكة التي يفرضها عليك تركيب القصيدة الكلاسيكي .

ويقينا فلقد كان محمود يبشر بشاعرية خصبة موهوبة وكان يبحث عن الطريقة التي تزاوج بين الرومانسية وبين واقعية الموضوعات التي تشده اليها، اذ انه في تلك الفترة بدأت افكاره القومية والاجتماعية تتبلور بخط متواز مع شعره، فانتمى الى « حركة الارض » القومية في اواخر الخمسينات ، ولما لوحقت هذه الحركة واغلقت صحيفتها ، كتب في صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي « الاتحاد » فوجد فيها منبرا لشعره . ثم انضم نهائيا الى الحزب وبقي يتقي قصائده الوطنية ذات المحتوى الاجتماعي التقدمي الانساني ، ومحور ولائه يدور حول قضية فلسطين .

لقد صدر عام ١٩٦٠ ديوان محمود الاول « عصافير بلا اجنحة » ومع انه كان يحمل بذرة فنية طيبة ، الا انه كان تعبيرا عن محاولات شعرية غير متكاملة البناء الفني .

وفي عام ١٩٦٤ اصدر ديوانه الثاني « اوراق الزيتون » ، كان عبارة عن وثبة الى الامام في المضمون والاطار اذ انتقل بموضوعاته الشعرية الى مضامين اكثر جدية ووعيا ، فكيفما تنقلت في قصائد الديوان تعبق امامك رائحة الريف والجذر المتشبث بالارض . ولعل ابرز قصائد الديوان ، بطاقة هوية .

اما ديوان محمود الثالث « عاشق من فلسطين » فقد صدر عام ١٩٦٦ .

انه حدث في هذا الديوان تغير في النبرة ، فالصوت فيه همسة سحبة الكمان ، والاشارة الموحية تحل مكان شرح تفاصيل الصورة .

واصبح من الصعب فيه التفريق بين حـدود العفوية والوعي في ابعاد آفاق نفسه . واما قصائده فتبدو وكأنها مهر حرون يروض في ميدان ضيق ، يستثيرك في وثباته الخطرة احيانا والرائعة دائما ، وان ما يأسرك فيه هو هـذا النبض الحار المتدفق في كل شرايين القصيدة والذي يستحوذ على مشاعر القارىء ووجدانه ببساطته المتناهية واخلاصه العميق . امـا موضوعاته ومفرداته فانه يسبغ عليها من فنه وروحه ما يهمها معاني واخيلة لم تكن تخطر لنا على بال .

وديوانه الرابع « آخر الليل » الذي صدر بعد عـام ١٩٦٧ أشبه عنـدي ببيارة برتقال كثيرة الظلال والثمار ، تنام على اسيجتها ازرار الورد التي تكسو هيبتها مسحة من جمال لطيـف . فالصور خصبة مضيئة ، والرموز مكثفة الا انها غير مستعصية ، يشعر القارىء بأنها كانت في ضميره وعلى لسانه من زمـان فأتى محمـود ونطق بها . يسير الوجدان والخيال في رحاب القصيدة عروسـان الى هيكل الفكر . وبين مـا يرمز اليه « آخر الليل » ومدلوله علاقة متينة ، اذ تشعر باصابع الفجر الوردية تتسلل اليـك من كوى الظلام الدامس فتبعث في النفس الامل وتعزز العلاقة بين النار الخالدة ورماد الاجيال.

اما مجموعته الاخيرة « العصافير تمـوت فـي الجليل » فهي تدور حول تعرية القاتل الـذي يسير ذارفا الدموع في جنازة الضحية التـي اجهز عليها ليلا بينما آثار دمائها باقية عـلى حصباء الوادي تصرخ في آذان من لهـم آذان للسماع . انها قصة وطن اختار الموت ليدلل به امام العالم على جدارته بالحياة .

ان ما يميز شعر محمود هو التحامه بقضيـة الدفاع عن الوطن وعدم انفصاله عن مهمـات الحركة الثورية الطامحة بممارسة تأثيرها فـي الجماهير ، يرفده في ذلك خيال خصب ولقطات جارحة تنعكس في قصائده قلقا فنيا له مذاق السكر المر . ان الرمز عنده يمنح القصيـدة مزيدا من الريش حتى تزحم الاجواء بمزيد مـن الصمود ، « وان الغموض عنده يشبه السحابة الرقيقة الناتجة عن علاقة الشمس بالارض وليس الغموض الناتج عن وداع الشمس للارض » .

ان شعره عملية تصعيد لرفض الواقع وممـا يساعده في ذلك هو وضوح النبـرة وقوتهـا المستمدة من كون هذا الشعر يكتب على ارض يعايش الشاعر عدوه عليها ويراه عاريا بـلا مكياج . انه عدو محدد المعالم ، عدو خارجي ، يعبىء له الشاعر كل طاقاته النفسية والمعنوية ويلوذ بالتاريخ والاسطورة يسـتلهمهما الصمود والمقاومة .

ولقد تمكن شعره ، بما يملك من عناصر الجمال والمضامين التقدمية الانسانية ، ان يحلق فـي آفاق عالمية رحيبة ، فترجمت اشعاره الى عـدة لغات اجنبية حاملة على اجنحتها القضية والحق الفلسطيني الى شفاه كثيرة وقلوب كثيرة .

وفي المؤتمر الرابع للكتـاب الافرواسيويين فـي نيودلهي الذي اجتمع بين ١٧ — ٢٠ نوفمبـر ١٩٧٠ أعربت الهند ، حيث انعقد المؤتمر عـلى ارضها ، عن تقديرها للادب والادباء ، عندمـا جاءت رئيسة وزرائها السيدة انديرا غانـدي لتسلم جائزة اللوتس للفائزين بها عن عـام ١٩٦٩ . وكان من بينهم محمود .

وقد القى كلمة في المؤتمـر جاء فيهـا : « ان الصهيونية في الممارسة اعتمدت على شعارين لتحقيق اهدافها ، احتلال الارض واحتلال العمل. وهكذا تزاوج منذ البداية جانبا الاضطهاد الذي يتعرض لـه الانسان العربي في اسرائيـل ! الاضطهاد القومي والاضطهاد الطبقي » .

« لا ، ليست الجائزة التي منحتموني اياهـا امس باقة زهر على قبر ضائع ولكنها باقة زهر لميلاد شعبي المتجدد » .

ويقول عن جائزة اللوتس : « لا اعرف اذا كنت استحق جائزة اللوتس فعلا . ولكني ارحب بها بامتنان وفرح . اني ارى فيها عطفا ادبيا عـلى قضيتي وتشجيعا على الاستمرار في طريقي . وان ما يخيفني في الجائزة هو المسؤوليـة الجديدة التي تلقيها علي » .

ح. ق.

ندوة جامعة لوفان البلجيكية حول «نهضة العالم العربي»

نظمت جامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا ، وهي من اقدم جامعات اوروبا ، شهرا كاملا عن العالم العربي بدءا من ١٥ تشرين اول (اكتوبر) وحتى ١٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ . وقد خصصت الجامعة الاسبوع الاخير من الشهر لندوة تناقش موضوع « نهضة العالم العربي » في ضوء نتائج المناقشات التي جرت على الابحاث التي قدمت فيما سبق من ذلك الشهر والابحاث التي قدمت في الاسبوع الاخير منه ضمن اطار الموضوع الذي خصص ذلك الاسبوع لمعالجته .

وقد دعت الجامعة مجموعة من رجال الفكر العربي والاجانب (خاصة من اوروبا) للمشاركة في اعمال ذلك « الشهر » وتركت لهم الخيار بين حضور الشهر كله أو الاقتصار على حضور ندوة الاسبوع الاخير منه . واذا كانت قلة من المدعوين قد تمكنت من المشاركة في اعمال الاسابيع الثلاثة الاولى فان غالبية المدعوين قد حضرت في الاسبوع الاخير للاشتراك في الندوة التي حدد لها موضوع « نهضة العالم العربي ». واقول « غالبية » لان بعض المدعوين لم يتمكنوا من الحضور لاسباب تعود في معظمها الى عدم وصول تذاكر السفر لهم في الوقت المناسب كما حصل بالنسبة لمندوب منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد جرت معالجة موضوع الندوة من خلال مداخل ثلاثة : اجتماعي ثقافي ، واجتماعي سياسي ، واجتماعي اقتصادي .

ولعل السؤال الذي يلح بالجواب اكثر من غيره بالنسبة لقراء هذه المجلة يتعلق بالمكانة التي حظيت بها قضية فلسطين في مثل هذه الابحاث والمناقشات . وللاجابة على هذا السؤال اقول انه مما يؤسف له ان بحثا واحدا لم يقدم من اي مشترك بما من شأنه ان يربط قضية فلسطين بالنهضة العربية . ولقد كانت رغبة كاتب هذه السطور ان يفعل ذلك لولا الاحداث المفجعة التي وقعت في الاردن خلال الشهرين اللذين سبقا انعقاد الندوة والتي حالت دون اعداد مثل هذا البحث وكادت تحول دون سفره لولا برقية عاجلة وصلته بعد افتتاح الندوة تلح عليه بالسفر .

وقد قدمت في اليوم التالي لوصولي بعض الانطباعات عن أثر المشكلة الفلسطينية على نهضة العالم العربي مما يمكن ايجازه بما يلي : كان للمشكلة الفلسطينية آثار ايجابية واخرى سلبية .

اولا بالنسبة للآثار الايجابية .

تميز التحدي العربي للخطر الصهيوني قبل الثورة المصرية باتجاهين رئيسيين .

احدهما كان يستمد جذوره من التراث الاسلامي ويستهدي الخلاص والحل بالتالي من خلال العودة الى تعاليم الاسلام ومبادئه ونظام الحكم فيه وعلى اعتبار القتال ضد الصهيونية جهادا في سبيل الله . **وثانيهما** كان يستمد جذوره من الفكر القومي ويستهدي الخلاص والحل من خلال التأكيد على وحدة الارض والشعب في الوطن العربي وعلى معالم الحضارة العربية التي تميز العرب عن غيرهم من الامم والتي تستدعي بالتالي رفض الوجود السياسي بأي شكل من الاشكال على ارض هذا الوطن . وباختصار فان الاتجاه الاول كان يرى في العودة الى اصول الدين واحكامه طريقا الى تحرير فلسطين في حين كان الاتجاه الثاني يرى ان الوحدة العربية هي الطريق الى تحرير فلسطين .

وبعد قيام الثورة المصرية وبروز وجهها العربي اخذ الاتجاه القومي في الصعود متمثلا هذه المرة النزعة الى التحديث من جهة والعدالة الاجتماعية من جهة اخرى الى ان اصبح شعارا التحديث والاشتراكية لاصقين بالاتجاه القومي في مطلع الستينات .

واذا كانت « الثورة » كاسلوب للتغيير الجذري في الاوضاع القائمة موضع اهتمام بعض الفئات او التجمعات او الاحزاب السياسية في الوطن العربي في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات، واذا كان الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة ونجاح الثورة الجزائرية قد ساعدا كثيرا على نشر الافكار الثورية في الوطن العربي الا انها لم تصبح تيارا واتجاها رئيسيا على مستوى الوطن العربي الا بعد ظهور المقاومة الفلسطينية وفرض وجودها على الانظمة العربية القائمة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ .

ولقد تميزت الروح الثورية في هذه الحركة

ليس فقط بانيمائها من اوساط الشعب الفلسطيني مستخدمة سلاحها ضد الاحتلال الصهيوني بصفة متواصلة دون تقيد او اعتبار لهدنة او وقف قتال ولكن بكونها قد امتدت دون وعي منها الى الجماهير العربية مثيرة حماسها واعجابها والتفافها . وقد تميز الفكر الثوري العربي الذي رافق صعود المقاومة الفلسطينية ليس فقط برفض نتائج هزيمة حزيران ١٩٦٧ ولكن برفض كافة اساليب الحكم العربي . ولعل اكثر ما تميز به الفكر الثوري العربي المعاصر هو انه قدم اول رد عربي ايجابي على التساؤلات المتكررة التي كانت تقدم للعرب بشأن الحل العربي للقضية الفلسطينية ونعني بذلك « دولة فلسطين الديمقراطية » التي يمكن ان يتعايش فيها ابناء فلسطين من مسلمين ومسيحين ويهود على قدم المساواة وفي ظل اطار حقيقي من العدالة الاجتماعية . ان اهمية رفع هذا الشعار من جانب المقاومة الفلسطينية ترجع لكونه عكس انسانية الثورة الفلسطينية واصالتها بقدر ما عكس احساسها بالمسئولية من خلال الممارسة النضالية وفتح افاقا جديدة لفئات كثيرة من يهود فلسطين الذين قد يتخلون عن التمسك « بدولة يهودية صرف » اذا كان ذلك هو الثمن الذي يجب ان يدفعوه لضمان مستقبل يسوده السلام والعدالة . اي ان الثورة قد ربطت لاول مرة في معالجة القضية الفلسطينية بين مفهوم الثورة وحقوق الانسان عربيا كان ام يهوديا .

وقد اقترن الفكر الثوري للمقاومة الفلسطينية بالممارسة النضالية من خلال التفرغ الكامل للعمل الثوري والمقرون بروح عالية من التضحية والتصدي والاستمرارية رغم القناعة الكاملة لدى كافة المقاتلين بأن يوم النصر والخلاص لا يزال بعيدا بعيدا .

ولعل هذه الخصائص التي رافقت الفكر الثوري الفلسطيني الذي أخذ في الامتداد رويدا رويدا بين الجماهير العربية في كل مكان هي السبب وراء العداء الظاهر حينا والدفين احيانا الذي قوبلت ولا تزال تقابل به حركة المقاومة لدى معظم اوساط الطبقة الحاكمة او المستغلة للطاقات المادية والبشرية في الوطن العربي او التي تعتمد في امتيازاتها ومراكزها على الاحتفاظ بالاوضاع القائمة بكل ما تعانيه هذه الاوضاع من امراض الفساد والمحسوبية والاقليمية والطائفية.

ثانيا بالنسبة للآثار السلبية .

كان من شأن قيام مشكلة فلسطين وشغلها المكان الاول بين هموم المواطن العربي العامة ، خاصة في المشرق العربي ، ان فسح المجال لقيام فئة من السياسيين بالمتاجرة بالقضية الفلسطينية والتسلق الى مراكز المسئولية باسمها وبحجة العمل من اجلها مستعملين في ذلك الوسائل المختلفة . ولعل من اهم هذه الوسائل بل واخطرها على مجرى الحياة السياسية، وبالذات على مستقبل الديمقراطية في البلاد العربية ، تلك التي تمثلت في التقرب الى الجيوش العربية واغرائها بالتالي بالتدخل في السياسة. وحيث ان البلاد العربية كانت ولا تزال تمر بما تمر به معظم دول العالم النامي من مصاعب وتعاني ما تعانيه من امراض بسبب نقص الكفاءات العلمية من ناحية وضعف القدرة الادارية والاقتصادية من ناحية ثانية ، فقد كان من شأن تدخل الجيش في السياسة ان فتح الباب واسعا امام تسرب بعض هذه الامراض في صفوف قادته بقدر ما اقفل الباب تقريبا امام تسرب الكفاءات العلمية المتاحة الى مراتب المسئولية في اجهزة الحكم . وكما ادت مشاركة الجيش في السياسة وسيطرته على الحكم في كثير من الدول العربية بشكل ظاهر او خفي الى قيام طبقة مميزة جديدة تمارس السياسة باسم فلسطين وتحت شعار العمل على تحريرها معتمدة في ذلك على مظاهر القوة المادية المتوافرة لديها. ولعل من شأن ذلك كله ان يدعو الى التأمل العميق فيما توصل اليه بعض الباحثين من ان دخول الجيش الى عالم السياسة والحكم ، خاصة في البلاد النامية ، انما يقلص لديه تدريجيا الرغبة او الاستعداد للقتال .

ومن الآثار السلبية الاخرى للمشكلة الفلسطينية على النهضة العربية ان قيام اسرائيل اضطر الانظمة العربية القائمة ، حتى تلك التي لا تعنى او ترغب في استعمال القوة ضدهـا ، الى تخصيص مبالغ طائلة من ميزانياتها السنوية لصالح قواتها العسكرية وعلى حساب حاجاتها الانمائية . وقد حدث في كثير من الاحيان ، ولا يزال يحدث ، ان استعملت قوة بعض الجيوش العربية لقمع التحركات الشعبية المتصاعدة ،

خاصة في اتجاه المطالبة بالقتال من اجل تحرير فلسطين . وطالما اصبح للجيش دور مـا في سياسة الحكم فان من الطبيعي ان لا يقبل بوجود قوة سياسية او عسكرية اخرى داخل حدود الدولة التي يتبعها حتى ولو كانت مثل تلك القوة تستهدف ما يدعي قادته بأنهم يهدفون الى تحقيقه .

تلك هي باختصار اهم الانطباعات التي قدمتها عن اثر المشكلة الفلسطينية على نهضة العالم العربي في ظل الظروف التي احاطت باشتراكي في هذه الندوة .

واذا كان يستحيل على في مثل هذا المقام ان اقيّم الندوة والابحاث والمناقشات التي قدمت او جرت خلال هذه الندوة فان بالامكان القول باطمئنان ان من شأن مثل هذه اللقاءات التي تجمع بين رجال الفكر من عرب واجانب ، اذا تكررت ، ان تفتح ابوابا واسعة للادراك الواعي العميق لكافة قضايا الوطن العربي سواء كانت سياسية او اجتماعية او اقتصادية او غيرها . ذلك ان من اهم المداخل التي تفتح نوافذ العقل والقلب لدى الاجانب لاستيعاب الحقائق الاساسية التي تحيط بالقضايا العربية المتعددة هو ان يجري طرقها بواسطة اولئك القادرين من العرب على مخاطبة هؤلاء بعلم العصر وفكر العصر وروح العصر .

الدكتور منذر عنبتاوي

صدر حديثا

نحو فلسطين ديمقراطية

للدكتور محمد رشيد

(بالعربية والانجليزية ١ ل.ل.)

نشر :

مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

المجلس التاسع لمنظمة الشعوب الافريقية الاسيوية

اجتمع في طرابلس بليبيا من ٩ ــ ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ممثلون عن ٧٠ بلدا اسيويا وافريقيا في المجلس التاسع لمنظمة الشعوب الافريقية الاسيوية . وكان جدول اعمال المجلس كما يلي :

اولا ــ ١ ــ استعراض الموقف السياسي العام في ضوء التطورات التي طرات على التضامن ضد الامبريالية والاستعمار الجديد . ب ــ المشاكل المحتدمة : ١ ــ عدوان الولايات المتحدة المستمر على شعوب الهند الصينية (فيتنام ، لاوس وكمبوديا) . ٢ ــ العدوان الاسرائيلي الاميركي الامبريالي على الشعوب العربية . ٣ ــ نضال التحرر في افريقيا ضد الاستعمار والعنصرية .

ثانيا ــ المهام السياسية الاقتصادية لمجابهة الاستعمار الجديد والمشاكل التي تواجهها البلاد الافريقية الاسيوية النامية في سياق هذا الوضع السياسي العام .

ثالثا ــ الجوانب التنظيمية لدعم حركة التضامن الاسيوي الافريقي .

وفي يوم الثلاثاء ١٠/ ١١ بدأت اللجان العمل منفردة في فندق البحر الابيض المتوسط الذي كانت تستضيف فيه الحكومة الليبية الوفود . وتوزعت اللجنة السياسية الى اربع لجان فرعية هي : ١ ــ لجنة عدوان الولايات المتحدة الاميركية المستمر ضد شعوب الهند الصينية . ٢ ــ لجنة العدوان الاسرائيلي الامبريالي الاميركي ضد الشعوب العربية . ٣ ــ لجنة كفاح التحرر في افريقيا . ــ لجنة القضايا الاخرى . وتألفت لجنة العدوان الاسرائيلي من البلدان التالية : فلسطين ، الجمهورية العربية المتحدة ، سورية ، العراق ، تونس ومالي . وترأسها مندوب فلسطين .

وفي يوم الاربعاء ١١/١١ اجتمعت لجان الصياغة للجان الثلاث (السياسية والاقتصادية والتنظيمية) وكذلك لجنة صياغة البيان العام . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اجتمعت اللجان واقرت مشروعات القرارات . ثم اجتمع رؤساء الوفود واقروا مشروع البيان العام .

البيان العام : ركز البيان العام على نمو قوى الحرية والاستقلال في العالم وشجب اعمال

الامبريالية والاستعمار الجديد والرجعية . ومما جاء فيه :

ـ ان الموقف الراهن يتميز بنمو قوى الحرية والاستقلال الوطني والسلام والاشتراكية ، نموا مستمرا وبازدياد حدة نضالها ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والاقطاع والقوى الرجعية الاخرى .

ـ ان الولايات المتحدة الاميركية هي معقل الامبريالية وهي التي تخطط لكل عدوان امبريالي وتعمل على تنفيذه بالدسائس والمؤامرات والتدخل المباشر وغير المباشر والدعم الاقتصادي والعسكري .

ـ لقد قامت الامبريالية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية في السنوات الاخيرة باعمال عدوانية خطيرة ، من اخطرها شن حرب العدوان في الهند الصينية والشرق الاوسط ، وقمع حركات التحرر الوطني (المستعمرات البرتغالية وجنوب افريقيا) بقصد تحطيم حركة التحرر الوطني .

ـ وفي الشرق الاوسط كانت الاهداف السياسية للامبرياليين والمعتدين الاسرائيليين تثبيت الاحتلال الاستيطاني لفلسطين ، وتوسيع رقعة هذا الاحتلال ، والمزيد من تشريد الشعب الفلسطيني ، وتصفية الانجازات التقدمية البالغة الاهمية التي حققتها حركة التحرر الوطني للشعب العربي ، والاطاحة بنظم الحكم التقدمية في منطقة من اكثر المناطق في العالم اهمية .

ـ ان النضال المسلح الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ، الذي ينكر عليه التمتع بحقوقه المشروعة ، يجب ان ينال من جانبنا كل تأييد ، باعتباره نضالا وطنيا تحرريا عادلا لفصيلة من فصائل حركة التحرر الوطني في العالم . ويقع على حركاتنا التحررية واجب الدفاع عن نضاله هذا ضد المؤامرات الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية .

ـ ان تصفية آثار الاستعمار ما زالت قضية ملحة تواجه الانسانية التقدمية . وما زال ٣٥ مليون شخص يرزحون تحت ربقة الاستعمار المباشر . وما بوسع احد ان يقول ان مهام حركة التحرر الوطني قد تحققت حتى تنهار اخر معاقل الاستعمار والعنصرية .

ـ ان المهمة الرئيسية للاستعمار الجديد هي ابقاء شعوب افريقيا وآسيا في نطاق النظام الراسمالي الاستغلالي ، وذلك للابقاء على سيطرة الاحتكارات الامبريالية وتوسيع نطاقها في البلاد التي كانت مستعمرة من قبل . والى جانب هذا تقوم بلاد الاستعمار الجديد بقمع الاتجاهات التقدمية في الاقتصاد والسياسة في البلاد النامية .

القرارات : لقد عالجت قرارات المجلس التاسع لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية المواضيع نفسها التي عالجها البيان العام للمجلس . وفيما يلي ابرز النقاط في هذه القرارات :

الشرق الاوسط : ان الوضع الذي يزداد توترا في الشرق الاوسط نتيجة العدوان المستمر على الاقطار العربية الثلاثة والشعب الفلسطيني يهدد السلام العالمي وامنه وحركة التحرر العالمي . والمجلس يلفت نظر الشعوب الافريقية الاسيوية الى ان المخطط الاستعماري في هذه المنطقة انما يستهدف حركة المقاومة العربية ضد العدوان واضعاف حركة التحرر العربية والنيل من حركة التحرر العالمية .

ان احداث سبتمبر (ايلول) الماضي في الاردن والمجازر الرهيبة التي ارتكبت ضد الشعب الفلسطيني والاردني والتي كانت نتيجة مؤامرة استعمارية اميركية صهيونية رجعية انما تهدف الى تصفية المقاومة العربية الفلسطينية .

ويرى المجلس ان كفاح الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلي الاستعماري من اجل تحرير الارض العربية هو كفاح عادل ومشروع .

ان المجلس وهو يؤيد حشد الطاقات العربية في المعركة ويدعو الدول المحبة للسلام التي تعمل من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي على اساس قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ فانه يؤيد كل الجهود الرامية الى حل سياسي ومشرف على اساس :

ا ـ الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة .

ب ـ ضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

الدكتور موسى الخوري

جمعية دراسات الشرق الاوسط

١ ـ **لمحة تاريخية** : تأسست « جمعية دراسات الشرق الاوسط في اميركا الشمالية » والمعروفة باسم « جمعية دراسات الشرق الاوسط » سنة ١٩٦٦ على يد مجموعة من دارسي الشرق الاوسط الاميركيين ، وذلك في ولاية نيويورك . وبين الاعضاء المؤسسين تشارلز ج. آدمز وجون س. بادو (رئيسا لسنة ١٩٧١) ومورو بيرغر (رئيسا لسنة ١٩٦٧) وليونارد باينلدر ، ووليم م. برينر ،وروردك ديفرسن ، وروبرت أ. فيرنيا ، وس.د.غويتين ،ومانفرد هالبرن ، و ج.س هيوروتس، وتشارلز ب. عيساوي، ووديع جوادية، وكمال كاربت ، ومجيد خدوري ، ومحسن مهدي ، وارنست مككارس ، ودون بيرتس ، ووليم ر.بولك ود.أ. رستو ، ونداف سفران ، وهشام شرابي ، وستانفورد شو (رئيس تحرير « المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط» التي تصدرهاالجمعية) و . بيلي وندر (رئيسا لسنة ١٩٦٩) ، و أ.وليم زارتمان (السكرتير الاداري وامين الصندوق ، وقد انتخب للمرة الخامسة) ، وفرحات زيادة . (« نشرة » الجمعية ، المجلد الاول ، عدد ١ ، ص ٣٣) .

٢ ـ **طبيعتها واهدافها** : ان الجمعية مؤسسة خاصة ، ومنظمة لا تقوم على الربح ومهمتها دراسة الشرق الاوسط وشمال افريقيا منذ ظهور الاسلام. واهداف الجمعية هي : « (أ) تعزيز المستويات العالية للعلم والتعليم ، (ب) تسهيل الاتصال بين الدارسين من خلال الاجتماعات والنشرات ، (ج) تعزيز التعاون بين الاشخاص والمنظمات المهتمة بالدراسة العلمية للشرق الاوسط » . (مجلة «القوانين الداخلية » ، المادة الاولى ، الجزء الثاني) .

لقد عقدت الجمعية اربعة اجتماعات سنوية : كانون الاول ١٩٦٧ في مدينة شيكاغو ، تشرين الثاني ١٩٦٨ في مدينة اوستن ، تشرين الثاني ١٩٦٩ في مدينة تورونتو ، تشرين الثاني ١٩٧٠ في مدينة كولومبوس . وللجمعية نشرات دورية تضم « النشرة » (ثلاث مرات في السنة ، والان في عامها الرابع) ، و « المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط » (تصدر كل ثلاثة شهور والان في عامها الثاني) ، و « الدليل » حول البرامج والمواد فيما دون البكالوريوس وما فوقها حول الشرق الاوسط في الولايات المتحدة وكندا والخارج (تصدر كل سنتين وهي الآن في عامها الاول) .

٣ ـ **الادارة** : تتألف الجمعية بشكل رئيسي من زملاء (اشخاص ذات تحصيل علمي في دراسات الشرق الاوسط يبلغ عادة درجة الدكتوراه) ويحكمها مجلس ادارة يضم اربعة مديرين ينتخبون سنويا بالاقتراع السري . ولا يحق الانتخاب الا للزملاء فقط ، بحيث لا يحق لانواع العضوية الثلاثة الاخرى بالانتخاب وهي مشارك ، طالب، ومشترك في المكتبة .

ينتخب الزملاء الرئيس ونائب الرئيس وسكرتير الادارة سنويا . اما امين الصندوق فينتخبه مجلس الادارة . ومهما يكن من امر ، فقد عمل سكرتير الادارة أ. وليم زارتمان امينا للصندوق حتى الآن ايضا . والمرشحون لاحد هذه المراكز في الجمعية تعينهم لجنة الترشيح التي ينتخبها سنويا مجلس الادارة وتضم رئيس الجمعية واربعة زملاء آخرين (« القوانين الداخلية » ، المادة الخامسة ، الجزء الثاني) . وقد تولى رئاسة الجمعية الرؤساء الاتية اسماؤهم : ج.ي. فون غرونيباوم (رئيسا فخريا ١٩٦٧) ، مورو بيرغر (١٩٦٧) ، جورج حوراني (١٩٦٨) ، ر.بيلي ويندر (١٩٦٩) ووليم م. برينر (١٩٧٠) ،وقد انتخب مؤخرا جون س. بادو رئيسا للجمعية لعام ١٩٧١ .

بلغ مجموع الزملاء في الجمعية في نهاية عامها الاول مئة وخمسين وفي نهاية عام ١٩٧٠ ألفا ومئتين . وقد ارتفع رسم العضوية العادية للزملاء من عشرة دولارات عام ١٩٦٧ الى خمسة عشر دولارا عام ١٩٧٠ .

٤ ـ **تعليقات** : ان الانتقاد الرئيسي للجمعية على المستوى التنظيمي على الاقل هو أنه مثلها مثل غيرها من الجمعيات المهنية ، يديرها ما يمكن وصفه بالزمرة التي تعمل لديمومتها وتميل الى ان لا تكون ممثلة للاعضاء . ان تركيب لجنة الترشيح ساعد دستوريا على الاقل في خلق نوع من النخبوية في ادارة الجمعية . وقد طلب على الاقل خمسة وعشرون زميلا الى مجلس الادارة تعديل « القانون الداخلي » وبالتحديد المادة الخامسة (حول لجنة الترشيح) هادفين الى جعل تركيب الجمعية اكثر ديموقراطية . وجميع الزملاء

ملعوون لدعم مشروع التعديل هذا .
والانتقاد الثاني هو ان الجمعية في كلمن اجتماعها السنوي ومجلتها لم تكن حساسة نحو المشاكل الخطيرة التي تقلق الشرق الاوسط في الوقت الراهن . والذين يطلقون انتقادا من هذا القبيل يؤكدون ان الجمعية في تشديدها على «المكسب العلمي» قد تجاهلت عن قصد او غير قصد مسائل واضحة الخطورة مثل نضال عرب فلسطين وغيرها من الحركات الثورية الحاضرة في المنطقة . واصحاب هذا الانتقاد يؤكدون ان الجمعية تجنبت عرب فلسطين . ونادرا ما تعالج « مجلة دراسات الشرق الاوسط » ولو باختصار المشاكل المعاصرة في الشرق العربي . وقد عرض انتقاد مماثل بشكل عرضي في اجتماع العمل خلال الاجتماع السنوي الاخير الذي عقد في مدينة كولومبوس. وقد ناقش اعضاء جمعية دراسات الشرق الاوسط والذين هم في الوقت نفسه اعضاء الجمعية الاميركية — العربية لخريجي الجامعات وضع الجمعية الاولى الراهن واتجاهها القادم في الاجتماعات السنوية الاخيرة بين الجمعيتين (في تشرين الاول والثاني عام ١٩٧٠) في مدينتي ايفانستون وكولومبوس . وقد اتفق المشتركون في النقاش على النقاط التالية بشكل عام :

١) يجب تعديل الجزء الثاني من المادة الخامسة للقانون الداخلي ؛

٢) يجب ان تبدي الجمعية اهتماما اكثر نحو القضايا المعاصرة في الشرق الاوسط ؛

٣) ويجب الا تكون العضوية في الجمعيتين منفصلة بل يجب تعزيز ذلك كما يجب زيادة البحث العلمي للجمعية الاميركية — العربية لخريجي الجامعات في جمعية دراسات الشرق الاوسط .

٤) وحتى تتطور الى او اذا تطورت الجمعية الاميركية العربية لخريجي الجامعات الى جمعية علمية قائمة بذاتها ولها مجلتها فانه يتوجب على هذه الجمعية وعلى دارسي الشرق الاوسط من عرب واصدقاء ان يبقوا في جمعية دراسات الشرق الاوسط وان يجهدوا لتشجيع البحث العلمي الحر والمخلص في كافة مظاهر الشرق الاوسط . وبالفعل فان عضوية الدارسين العرب في جمعية دراسات الشرق الاوسط تمنع هذه الجمعية من الخضوع لضغوط المصالح الخاصة .

هـ ملحق : لقد غطت الدراسات التي قدمت في الاجتماعات السنوية للجمعية المواضيع التالية :

* الاجتماع السنوي الاول (شيكاغو ، كانون الاول ١٩٦٧) .
اتجاهات التحديث . الاشكال المحلية للاسلام . التنظيم الاجتماعي والانماء في الاماكن القروية . علم السياسة المقارن . العلاقات الدولية . الانماء القومي . ولم تقدم أي دراسة عن فلسطين والشعب الفلسطيني او عن ايهما .

* الاجتماع السنوي الثاني (اوستن ، تشرين الثاني ١٩٦٨) .
مقارنات في المجتمع الاسلامي . الادب الشرق أوسطي الحديث كمرآة للمجتمع . التحديث والتغيير في أواخر الامبراطورية العثمانية . تنظيم الجماعة والتغيير الاجتماعي . التغير في المواقف والسلوك . التغير في تركيب الجماعات المحلية . النتائج الاجتماعية للتغير الاقتصادي . التفاعل بين العلاقات المحلية والدولية . العلاقات بين السلطة المحلية والسلطة القومية . المسائل التقليدية والمعاصرة في الفلسفة الشرق اوسطية . التعاون بين المكتبات والدارسين في جمع المصادر . دراسات في الانماء الاقتصادي التركي . الايديولوجية والتحديث . نمو وتحديد السكان . نماذج من التعاون والصراع في الاسلام التقليدي . ولم تقدم اي دراسة عن فلسطين والشعب الفلسطيني او عن ايهما .

* الاجتماع السنوي الثالث (تورنتو ، تشرين الثاني ١٩٦٩) .
الادب العربي والعربي-اليهودي . منهجية البحث. التحديث السياسي . التاريخ العثماني . السياسة القبلية . السياسة الثورية في الشرق الاوسط . الادب التركي-الفارسي . المجتمعات الفلاحية في الشرق الاوسط . الشرق الاوسط والعلاقات الدولية . التقليدية مقابل العصرية في الشرق الاوسط الحديث. المؤسسات الاسلامية في القرون الوسطى . الفلسفات الماركسية الاشتراكية في الشرق الاوسط . علم اللغة. الفلسفة الاسلامية. السياسة المحلية في الشرق الاوسط . التطور الاقتصادي . التحديث والتربية وتهيئة المجتمع سياسيا . نماذج الهجرة . ولم تقدم اي دراسة عن فلسطين والشعب الفلسطيني او عن ايهما .

* الاجتماع السنوي الرابع (كولومبوس ،

تشرين الثاني ١٩٧٠) .
تركية الحديثة . الاقتصاد . التطور السياسي : بناء الامة . عوامل التغيير السياسي . الفلسفة الاسلامية . القانون . المغرب والغرب في الفترة الاستعمارية . برامج ومشاكل تحديد السكان في الشرق الاوسط . النزاع وحله . اللغة . المجتمع العثماني . الحضارة الشعبية المصرية . آراء واخبار غربية حول الشرق الاوسط . المجموعات والشبكات الاجتماعية . العراق الحديث . الادب والشعر . التاريخ الاقتصادي العثماني . التربية . الجغرافية والتطور الاقتصادي . ست دراسات فقط من تسعين دراسة عالجت مباشرة فلسطين والشعب الفلسطيني او احدهما .

من الواضح ان اهتماما اكثر يجب ان يعطى لفلسطين ولنضال الشعب الفلسطيني من الدارسين العرب في الاجتماعات القادمة لجمعية دراسات الشرق الاوسط .

ا . ن .

ندوة الدراسات المسيحية حول القضية الفلسطينية

عقدت هذه الندوة الدراسية في مدينة الجزائر في ٥ و٦ كانون اول ١٩٧٠ ، وقد حضرها عدد كبير من المسيحيين المقيمين في الجزائر ، بدعوة من لجنة نصرة فلسطين في الجزائر التي تضم نخبة من رجال الفكر والسياسة والدين في الجزائر .

لم تكن هذه الندوة كغيرها من الندوات والمؤتمرات التي تعقد لدرس القضية الفلسطينية فاعضاء هذه الندوة لم يكونوا من المختصين في قضايا الشرق الاوسط عامة وقضية فلسطين خاصة ، بل على العكس فمعظمهم من رجالات الكنيستين الارثوذكسية والبروتستانتية المقيمين في الجزائر والمرتبطين بالقضية الفلسطينية ارتباطا عاطفيا ، أي ان كل ما يربطهم بفلسطين هو شعورهم بان ما يجري على ارض فلسطين اليوم يعنيهم بشكل او بآخر . وهكذا فلم تتصارع في هذه الندوة التيارات السياسية والفكرية ، لان القصد الاساسي منها هو شرح القضية الفلسطينية لاكبر عدد من المسيحيين المقيمين في الجزائر وحثهم على شرح ابعاد هذه القضية في مجتمعاتهم وكنائسهم . وقد عبر عن هذا السيد بول شوليه رئيس الندوة ، بقوله في الجلسة الافتتاحية ، « نعقد هذه الندوة في وقت لم تعد القضية الفلسطينية بخافية على احد ، وانما في وقت تحتاج لمزيد من الشرح والوضوح وفي وقت تحتاج به لمزيد من الدعم والصمود » .

ولكن لماذا اقتصرت هذه الندوة على المسيحيين ؟
اولا ــ ان لجنة نصرة فلسطين الداعية لهذه الندة ، انبثقت عن المؤتمر العالمي للمسيحيين من اجل فلسطين الذي عقد العام الماضي في بيروت حيث طرحت بعض الفئات والجماعات المسيحية المقيمة في الجزائر عددا من الاسئلة المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وجب شرحها لهم .
ثانيا ــ ان المسيحيين يحاولون دائما ربط وجود دولة اسرائيل في القرن العشرين بوجود الشعب الاسرائيلي في الكتاب المقدس . ولذلك قدمت في الندوة اكثر من دراسة حول معنى الشعب اليهودي في الكتاب المقدس وعلاقة دولة اسرائيل بشعب اسرائيل الذي ورد ذكره في العهد القديم .
ثالثا ــ ان المسيحيين في العالم ينظرون للقضية

الفلسطينية نظرة عاطفية بينما هي في الحقيقة قضية سياسية تحتاج الى التحليل العلمي الدقيق ولهذا تميزت جميع الدراسات بالاسلوب العلمي ، محاولة شرح ابعاد القضية الفلسطينية بعيدا عن العاطفة والفوغائية .

كما ان المسيحيين المقيمين في الجزائر (ومعظمهم من الفرنسيين) مهتمون بالقضية الفلسطينية لسببين :

١ ـ وجودهم في الجزائر ، اي في بلد عربي كافح طويلا من اجل حق تقرير مصيره ونيل حريته واستقلاله ، اتاح لهم المجال للاطلاع على القضية الفلسطينية وفهمها كقضية شعب يحاول استعادة ارضه وتحقيق مصيره . كما ان وسائل الاعلام المتوفرة في الجزائر ليست موجودة لدى غيرهم من المسيحيين في سائر انحاء العالم .

٢ ـ ولكونهم مسيحيين يشعرون ان لهم الحق في محاربة الادعاءات الصهيونية القائمة على تفسير الكتاب المقدس بشكل مشوه لخدمة اسرائيل والصهيونية العالمية . كما انهم يشعرون ان لهم الحق في رفض اي نص ديني يبرر سياسة معاصرة قائمة على اللاعدل واللامساواة .

ولقد ظهر في هذا المؤتمر ان معظم رجال الكنيسة يهتمون بمناقشة القضايا السياسية ، وذلك ناتج عن شعورهم ان قضية شعب فلسطين قضية سياسية بحد ذاتها ، ومن اكثر القضايا السياسية تعقيدا التي تشغل بال عالمنا اليوم . كما انهم يشعرون ان التحليل السياسي لهذه القضية يقود حتما لاعتبار مشكلة الشعب الفلسطيني بمثابة مشكلة اي شعب من شعوب العالم يضطهد ويشرد من دياره . كما ظهر جليا اثناء الندوة ان الدراسات التي قدمت لم تكن حيادية ، لان الحياد ، بنظر اصحاب هذه الدراسات ، في قضية حق كقضية فلسطين ، يعني الوقوف الى جانب اسرائيل .

ولقد شملت الدراسات التي قدمت ٣ نواح هي :

١ ـ الوجود الصهيوني على أرض فلسطين .

٢ ـ حركة المقاومة الفلسطينية ، تاريخها ، وابعادها .

٣ ـ الكنيسة والقضية الفلسطينية .

ومن افضل الدراسات التي قدمت كانت تلك التي قدمها القس تيسين وموضوعها « بعض النقاط التاريخية في القضية الفلسطينية والتي عالج بها تاريخ شعب فلسطين ، مستعرضا المؤامرات التي حيكت ضد هذا الشعب ، كما انه شرح كيف حاولت الصهيونية تزوير التاريخ لصالحها ، واكد في نهاية حديثه ان التاريخ يؤكد على حق شعب فلسطين في أرضه . كما قدم السيد الاخضر الابراهيمي ، سفير الجزائر السابق لدى الجمهورية العربية المتحدة ، دراسة حول حركة المقاومة الفلسطينية ، عارضا تاريخ تطورها وابعادها ومشاكلها مع الدول العربية ، واشار الى ان الثورة الفلسطينية تواجه اليوم محاولات عدة لتصفيتها الا ان شعب فلسطين بتصميمه على استمرار الكفاح المسلح تعاونه بذلك جميع شعوب العالم سيقضي على جميع هذه المحاولات . وفي نهاية الحديث عن الثورة الفلسطينية ، قدم ممثل حركة التحرير الوطني الفلسطيني ـ فتح ـ دراسة دقيقة عن الدولة الديمقراطية في فلسطين التي تنادي بها الثورة الفلسطينية ، كحل عادل ودائم لقضية شعب فلسطين . كما شرح الاسباب التي دعت حركات المقاومة لرفض انشاء اي دولة فلسطينية اخرى لا تقوم على اعادة حق شعب فلسطين الكامل لارضه .

وحول الناحية الدينية من القضية الفلسطينية ، قدم المونسنيور سكوتو دراسة حول العنف واللاعنف ، ومعنى العنف في الكتاب المقدس ، كما قدم السيد كلافيرى دراسة عن معنى الوجود اليهودي في الكتاب المقدس وعلاقة يهود العهد القديم باليهود المقيمين في اسرائيل اليوم .

فؤاد بوارشي

انطباعات حول اليسار الامريكي

اتيحت لي مؤخرا فرصة زيارة الولايات المتحدة الامريكية مدة شهرين حيث قمت بالقاء عدد من المحاضرات وبالمشاركة في كثير من المناقشات المتصلة بمشكلات الوطن العربي السياسية وخاصة الكفاح الفلسطيني المسلح وكل ما يتعلق به من قضايا ومسائل . وبطبيعة الحال تركزت اتصالاتي على اوساط اليسار الامريكي الجديد بأحزابه وفئاته وتشكيلاته المتعددة ، واوساط الطلبة العرب والجاليات العربية هناك . ولا شك ان هذه الجولة كانت مناسبة جيدة استفدت منها في التعرف على اوضاع التيارات اليسارية هناك وفي تحسس الاجواء الامريكية السياسية بما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي عامة ومشاريع تصفية القضية الفلسطينية على وجه التحديد .

كما هو معروف يعاني اليسار الامريكي من امراض التشتت والتبعثر والتشرذم وما يتبع ذلك من سلبيات مثل ضيق الافق والتزمت العقائدي والتعويض عن الافتقار الى تجربة نضالية واقعية بنوع من الطهرانية الايديولوجية والحرفية المتطرفة في فهم قضايا الكفاح الاشتراكي . بمقابل ذلك هناك الاتجاه المضاد نحو الانفلاش الايديولوجي والسياسي التام الى درجة الوقوع في شراك الليبرالية كما يحدث احيانا بالنسبة للاحزاب والفئات التروتسكية في امريكا . في الواقع ان الوضع السياسي الامريكي عامة وعلاقته بالتيار اليساري بالتخصيص تذكرني بما قرأته عن روسيا القيصرية في ثمانينيات القرن الماضي : شعور عام بالعجز امام الطبقة الحاكمة ومؤسساتها الجبارة ، تفشي الاجواء الفوضوية والمواقف العدمية في صفوف الفئات المعادية للنظام ، اللجوء الى الاعمال الارهابية المعزولة والاغتيالات الفردية والمخططات السرية التآمرية ، الاعتماد على اسلوب في العمل اساسه شجاعة اليأس والبطولات الفردية المعزولة . يضاف الى كل ذلك تلاشي الحركة المعادية للحرب في الفيتنام وتبعثرها ، وانحلال منظمة ال اس. د. اس (S D S) الى مجموعات حزبية وتكتلات سياسية صغيرة نسبيا لا رابط بينها بعد ان كانت ال اس. د. اس نوعا من التيار الواسع في صفوف الطلبة ضم عناصر مما هب ودب .

لذلك تبين لي ان الساحة بقيت للاحزاب اليسارية المنظمة ولعدد كبير من التنظيمات اليسارية الصغيرة الموزعة في كافة انحاء القارة الامريكية مثل :

أ) الحزب الشيوعي الامريكي وهو غير مؤيد لحركة المقاومة بسبب تبعيته للسياسة السوفياتية الداعية للحل السلمي في الشرق الاوسط .

ب) حزب العمال الاشتراكي وهو الحزب التروتسكي الرسمي (الاممية الرابعة) . يؤيد حركة المقاومة بدون تحفظ (ولكن لدى المقاومة تحفظات) كما انه اكثر الاحزاب اليسارية جماهيرية .

ج) حزب « عالم العمال » . قوته الرئيسية في نيويورك . يتبنى خط اشتراكي عريض أهم ما فيه معاداة الامبريالية ومن هنا تأييده الكامل للكفاح الفلسطيني المسلح .

د) حزب العمال التقدمي (Progressive Labor Party) تتركز قوة هذا الحزب في كاليفورنيا ولكن له فروع وتنظيمات في كافة انحاء الولايات المتحدة . يعتبر من الاحزاب الثورية القليلة التي تمكنت من كسب قاعدة لنفسها في صفوف الطبقة العاملة البيضاء . اي ان العنصر العمالي وليس العنصر الطلابي هو الذي يطغي على هذا الحزب. يؤيد الحزب حركة المقاومة عامة ولكن من موقع نقدي نابع من موقفه القائل بأن مجرد الكفاح ضد الامبريالية ليس كافيا ، وينبغي تعزيزه بطرح خط اشتراكي ثوري يضع نصب عينيه غاية رئيسية هي تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا . كما يقول بان قيادات « البورجوازية الوطنية » في العالم الثالث ، بما في ذلك الدول العربية ، قد خانت او هي في طريقها الى خيانة مسيرة الشعوب التحررية والثورية ، ولذلك يصبح تحالف القوى الماركسية اللينينية مع هذه القيادات خطأ كبيرا سيؤدي الى كارثة . يأخذ هذا الحزب موقفا عدائيا شديدا من الاتحاد السوفياتي ويعتبر السياسة السوفياتية على انها ممارسة « للامبريالية الاشتراكية » .

هـ) تجمعات ماوية صغيرة تتصف بالعزلة والجمود والحرفية . تنطلق في تحليلاتها من نصوص الكتاب الاحمر بدلا من الواقع الامريكي

الموضوعي والمعيشي . تؤيد هذه الفئات حركة المقاومة .
خلال المناقشات التي اجريتها مع هذه الاطراف اليسارية وفروعها المتعددة في امريكا وجدت ان الاسئلة والاستفسارات كانت تتركز دوما على بضع قضايا رئيسية يريد اليساريون معلومات وافية عنها وشرحا دقيقا لمحتواها ولاهميتها السياسية . هذه القضايا هي :
أ) قضية الوحدة الوطنية داخل صفوف حركة المقاومة . ب) قضية اختطاف الطائرات وموقف بقية فصائل المقاومة من هذه العمليات وامثالها. ج) انشقاق الجناح الماركسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتشكيل الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . د) الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقبلة والحلول المقترحة للمسألة الاسرائيلية . هـ) علاقة حركة المقاومة بالانظمة العربية والقوى الثورية العربية عامة .
اما الطرف الرئيسي الاخر الذي لا بد من أن اذكره عند تسجيل انطباعاتي عن اليسار في امريكا هو بلا شك حركة « القوة السوداء » (Black Power) ومنظماتها . عبارة « القوة السوداء » هي تسمية واسعة تضم كل تيار تحرري او حركة تقدمية او تنظيم وطني في صفوف جماهير الاقلية السوداء (اي الزنوج حسب الاصطلاح القديم) .
وقد لاحظت بكل وضوح ان حركات تحرر راديكالية تنشط حاليا ضمن صفوف كل الاقليات القومية مثل : البورتوريكيون ، التشيكانوز (من اصل مكسيكي) واللاتينوز (من امريكا اللاتينية عامة) والصينيون .
يبدو لي ان من أهم المنجزات التي تم تحقيقها في العشر سنين الماضية على صعيد الاقليات القومية في امريكا هو وقف الاقتتال الدامي فيما بينها . اي الاقتتال الذي كان يأخذ شكل صراع عنيف وقاتل بين « عصابات الشوارع » (Street Gangs) المكونة على اسس«قومية» او عنصرية مثل اقتتال عصابة من البورتوريكيين ضد عصابة اخرى من السود للسيطرة على حي معين او شارع معين او على جزء من « الجيتو » . ويعتبر فيلم قصة الحي الغربي (West Side Story) تسجيلا امينا وجيدا لهذا النوع من حروب الشوارع في مدينة نيويورك . ولكن، كما اتضح لي بسرعة ، مع نمو الوعي الوطني لدى هذه الاقليات واحساسها بالاضطهاد المشترك الذي تتعرض له على يد الطبقات الحاكمة ، ومع تزايد وعيها لمصالحها المشتركة عبر تعاطفها مع نضال شعوب « العالم الثالث » ضد الامبريالية، توقفت ظاهرة عصابات الشوارع تماما على ما يبدو ، وحلت محلها علاقات تضامن وتعاضد بين الاقليات وخاصة على مستوى الشرائع الاجتماعية الاكثر تقدما في وعيها السياسي والاجتماعي .
ومما لفت انتباهي بهذا الصدد هو ان التنظيمات الطليعية في صفوف الاقليات القومية قد بدأت تتخطى مرحلة التفكير القومي المحض ، مع ما يستتبع ذلك من عنصرية سوداء مضادة للعنصرية البيضاء ، باتجاه آفاق الفكر الاشتراكي الثوري. اي اخذ يتضح لهذه التنظيمات ان حل مشكلة الاقليات القومية في امريكا لا يمكن ان يأتي الا عبر تدمير النظام الرأسمالي نفسه بواسطة الكفاح من اجل الثورة الاشتراكية .
ووجدت ايضا ان كافة تنظيمات القوة السوداء وشبيهاتها لدى الاقليات الاخرى تؤيد حركة المقاومة تأييدا مطلقا . غير انها تعاني جميعها من نقص عام في المعلومات عنها وعن فصائلها .
بطبيعة الحال لا يمكنني مس موضوع القوة السوداء بدون تسجيل بعض الانطباعات عن حزب الفهود السود المشهور .
انه تنظيم سياسي وطني « متطرف » بدأ ينفتح على الفكر الماركسي اللينيني مجددا وبدأ يتبناه ولكن بطريقة مشوهة الى حد ما بسبب نشأته وتكوينه الذاتي والاجتماعي والفكري . ضمن حدود معرفتي ليس للحزب اية قواعد عمالية تذكر ، كما ان مصدر قوته الاساسية هو البروليتاريا الرثة السوداء الموجودة دوما بكثرة داخل « الجيتو » الاسود وعلى اطرافه . والحزب يعترف بذلك صراحة ويجعل منه فصيلة ثورية كبيرة . يميل التنظيم في ممارساته الى استخدام العنف الفردي والمواجهة البطولية شبه الانتحارية مع ادوات القمع (البوليس بالتخصيص) . كما يستفيد الى اقصى حد من الضجيج الاعلامي الكبير الذي تولده هذه الافعال على صعيد امريكا كلها . كذلك يستفيد من الشحنة العاطفية التي تتولد عند الجماهير

السوداء نتيجة لهذه البطولات . لذلك نجد الفهود السود يصرفون جزءا كبيرا من وقتهم واموالهم في المحاكم وفي هموم القضايا العالقة امام القضاء ، ولا شك انهم كافراد يقفون مواقف بطولية شجاعة ومفعمة بالتحدي ضد قمع السلطة ومحاكمها ، ولكن بغياب اية استراتيجية بعيدة المدى وطويلة النفس يعتمدها الحزب الثوري لا يمكن لهذه الممارسات البطولية ان تعطي ثمارها الحقيقية .

من الامور التي اتضحت لي بسرعة هناك كون اسرائيل اصبحت في عزلة شبه تامة في اوساط اليسار الثوري الامريكي وفي اوساط « القوة السوداء » والتنظيمات التقدمية للاقليات القومية كلها . بعد ثلاث سنوات من حرب حزيران ١٩٦٧ لم يعد بالامكان تمويه الطبيعة الاستعمارية التوسعية لدولة اسرائيل وارتباطها بالامبريالية الامريكية التي يناضل اليسار الامريكي الثوري ضدها وضد كل امتداداتها . يضاف الى ذلك ان عزلة اسرائيل قد ترجمت نفسها على صعيد المواقف الايجابية الى تأييد ودعم للمقاومة المسلحة كحركة تحرير تقاتل ضد قوى الاستغلال والقهر في منطقتنا .

كان لهذا التبدل اثره النوعي على الاجواء السياسية السائدة بين الطلبة والشباب وفي الاوساط الراديكالية عامة ، حتى ان الدوائر الطلابية الليبرالية اصبحت تجد نفسها في موقف المحرج عندما تدافع عن دولة اسرائيل وسياستها ، اذ انها لم تعد قادرة على الدفاع عن اسرائيل على الطريقة القديمة مما اخذ يدفعها اكثر فاكثر باتجاه تبني المنطق التبريري التوفيقي التلفيقي الفج والمفضوح . من جهة اخرى احست اسرائيل بهذه العزلة وحاولت اعادة الاعتبار لنفسها داخل اوساط كانت تعتبرها مؤيدة لها في السابق . لذلك قامت بارسال سلسلة من الشخصيات المعروفة التي لا تعتبر محسوبة كليا على المؤسسة الحاكمة كي تقوم بجولات على الجامعات في امريكا لمخاطبة الاوساط الطلابية والليبرالية والراديكالية بهدف شرح الموقف الاسرائيلي من جديد واعادة الاعتبار للصورة التقليدية المعروفة عن اسرائيل كدولة متقدمة وتقدمية لا تبغي شيئا سوى السلام في المنطقة . وارتبطت هذه الحملة في الفترة الاخيرة بفكرة « الدولة الفلسطينية » او « الكيان الفلسطيني المستقل » التي يجري الترويج لها بصورة مكثفة في الولايات المتحدة في كافة الاوساط بما فيها الاوساط الطلابية واوساط الجاليات العربية .

أثناء وجودي في امريكا بدأ تيار يتبلور في اوساط القيادات الثورية الاكثر وعيا يقول بان المنطقة المرشحة للتدخل الامريكي العسكري المباشر في المستقبل القريب هي الشرق الاوسط وقد تعزز هذا الاتجاه بعد اعلان نيكسون عزمه على التدخل العسكري اثناء المجزرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في ايلول الماضي . لذلك بدأت بعض الجهود تبذل في اوساط اليسار الامريكي للانطلاق في تنظيم حملة واسعة هدفها تحضير اجواء شعبية وجماهيرية منذ الان ضد اي تدخل خارجي امريكي عامة وضد اي تدخل امريكي في الشرق الاوسط على وجه التحديد . ويمكن ان توظف كافة الخبرات المكتسبة سابقا في تعبئة المقاومة الشعبية ضد التدخل في الفيتنام وكامبوديا لصالح النضال ضد التدخل الامريكي المتوقع في منطقتنا . ويبدو لي واضحا ان تقديم كل جهد من الجانب العربي للدفع بهذا الخط وانجاحه هو واجب حيوي .

ص. ج. ع.

المؤتمر التاسع لكونفدرالية الطلاب الفلسطينيين في المانيا والنمسا

استهل المؤتمر ، الذي عقد بين الرابع والسادس من يناير ١٩٧٠ ، اعماله في اليوم الاول بانتخاب رئاسة المؤتمر ، ثم تلت سكرتيرية التنسيق تقريرها الادبي الذي استعرضت فيه اعمالها خلال السنة المنصرمة ، بالاضافة الى نشاطات الفروع المختلفة ، وقد تميز التقرير بممارسة نقد ذاتي جريء حيث كشفت السكرتيرية عن النواقص التي اعتبرت نشاطاتها ، وكان على رأس ذلك النقد ان العمل لم يكن يتم بصورة مترجمة وبموجب دراسة مسبقة وخطة . وقد توجهت ايضا بالتقييم لمختلف الفروع الاخرى مظهرة الجوانب الايجابية والسلبية . وبعد مناقشة التقرير الادبي لسكرتيرية التنسيق عقدت جلسة سرية نوقش فيها التقرير المالي . وفي اليوم الثاني بدأت الفروع بتقديم تقاريرها وقد مارست اكثر الفروع النقد الذاتي . وقد نوقشت تلك التقارير ، ثم شكلت لجان للتحضير لقرارات المؤتمر . وهذه اللجان هي : اللجنة السياسية ، ولجنة المالية والعلاقات الداخلية ، ولجنة الاعلام والعلاقات الخارجية . وفي اليوم الثالث عند الساعة الحادية عشرة كانت اللجان قد انتهت من كتابة توصياتها ، وابتدأ المؤتمر بمناقشة تلك التوصيات ، واتخذ القرارات المختلفة .

صدرت القرارات السياسية بخمس صفحات من القطع الكبير وقد تناولت المواضيع التالية : أ ـ تقييم المرحلة التي مرت بها الثورة الفلسطينية مع تحليل للظروف الراهنة وقد ابرزت القرارات الجوانب الايجابية كما عددت مجموعة من السلبيات ارفقتها بمطالبة اللجنة المركزية لحركة المقاومة بتلافيها ، بعضها يمس الوحدة الوطنية وضرورة ترسيخها ، وبعضها يمس عمل الثورة وضرورة الابتعاد عن المكاتب والشكليات والعودة الى صفوف الجماهير . وبعضها يمس علاقة الثورة بالدول العربية ، وخاصة ، بعد احداث ايلول في الاردن . ب ـ قرارات تخص علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وضرورة تنميتها وتطويرها وزيادة الالتحام بين الثورة الفلسطينية وبين الثورة العربية والجماهير العربية . ج ـ حيت القرارات الصين الشعبية وموقفها المؤيد للثورة الفلسطينية كما طالبت من الاتحاد السوفياتي ان يعيد النظر في موقفه من قضية فلسطين واتخاذ موقف ثوري من هذه القضية العادلة . د ـ اعلن المؤتمر تأييده لفيانتام وحركات التحرر الوطني في انغولا وموزمبيق وروديسيا وجنوب افريقيا وثورة ارتيريا . وتأييد كفاح الثورة في الخليج العربي . هـ ـ ايدت القرارات كفاح الشعوب العربية في المغرب وتونس كما ايدت كفاح شعوب ايران واليونان وتركيا واندونيسيا واسبانيا وامريكا اللاتينية وحركة الفهود السود في الولايات المتحدة ضد الانظمة الفاشية . و ـ استنكر المؤتمر موقف حكومتي المانيا الغربية والنمسا المؤيد والدائم «لاسرائيل».

م. ش.

حول الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة

احتفلت الامم المتحدة عام ١٩٧٠ بعيدها الفضي وذلك بمرور خمسة وعشرين عاما على انشائها . واذ يتيح الاحتفال عامة وفي مختلف المجالات فرصة لتقييم احداث سابقة ، واخراجا لحدث هام ، ورد اعتبار لاخطاء ماضية ، فقد اتاح الاحتفال بالدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة فرصة للامم المتحدة لولوج هذا السبيل كما انعكس في البيانات التحليلية والتقييمية التي القاها رؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية ، وفي القرارات التاريخية الخاصة بحق تقرير المصير وانهاء الاستعمار ، وباحترام القانون الدولي العام ، وبالامن الدولي، باستثمار قاع البحار . وتحققت هذه الفرصة في جوانبها الثلاثة وبالذات في جانبيها الاخرين بالنسبة للقضية الفلسطينية في تلك الدورة . فقد تناولت البيانات الملقاة القضية الفلسطينية في جوهرها وتطوراتها الاخيرة ، وصدرت قرارات هامة بشأنها ، واعادت الاعتبار الى نفسها وذلك في تأكيدها لحق الشعب الفلسطيني وتقرير مصيره بعد ان اخطأت عام ١٩٤٧ في انكارها له الحق عندما وافقت على قرار التقسيم .

ولن تتناول هذه الدراسة الجانب الاول وهو البيانات الملقاة من الوفود بسبب ضيق الصفحات المخصصة للدراسة وبسبب عمومية تلك البيانات ، وانما ستقصر على الجانبين الاخيرين وهما الاخراج ورد الاعتبار . واذ تبلور الجانبان في قرارات متخذة فستتناول الدراسة هذه القرارات الثلاثة الاولى المتبينة ادناه في اسباب وظروف تقديمها ، وكيفية التصويت عليها ، ومعانيها، وآثارها المترتبة . ولن تتناول القرارات الاخرى املا في بيانها بدراسة مفصلة اخرى .

وفيما يلي تعداد لهذه القرارات : اولا : القرار المتخذ ضمن بند الوضع في الشرق الاوسط . ثانيا : قرار حقوق الشعب الفلسطيني . ثالثا : القرار المتضمن التنديد بمن يمنع ممارسة حق تقرير المصير في فلسطين . رابعا : القرار العام . خامسا : قرار عودة اللاجئين الجدد . سادسا : قرار تمويل اللاجئين الجدد . سابعا : قرار تشكيل لجنة للنظر في تمويل الوكالة . ثامنا : القرار الخاص باللجنة الثلاثية للتحقيق في انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة .

اولا : القرار المتخذ ضمن بند الوضع في الشرق الاوسط

كما يذكر فقد ادرج بند « الوضع في الشرق الاوسط » في جدول اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة في صيف ١٩٦٧ بناء على طلب حكومة الاتحاد السوفيتي اثر فشل مجلس الامن في اتخاذ قرار ايجابي بشأن العدوان الاسرائيلي على الدول العربية الثلاث . وانعقدت الجمعية العامة حينذاك في دورة طارئة لبحث البند . وباستثناء القرارات المتخذة بشأن القدس وعودة اللاجئين الجدد ، فقد فشلت الجمعية العامة هي الاخرى في اتخاذ قرار جوهري بشأن العدوان وانسحاب القوات الاسرائيلية . ويعود هذا الفشل ، كما هو الحال في مجلس الامن ، الى موقف الولايات المتحدة والدول الاخرى ذات التبعية لها التي ساندت اسرائيل وعارضت وجهة النظر العربية . ونتيجة للفشل في تلك الدورة الطارئة اتجه الرأي العربي الى عدم اغلاق باب مناقشة البند وترقب فرصة مؤاتية لبحثه مرة اخرى املا في نجاح مقبل خلافا لفشل حال . وترتب على ذلك احالة البند الى الدورة الاعتيادية الثانية والعشرين للجمعية العامة التي كانت ستعقد خلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ . وتضمنت الاحالة التوصية بان تعطى الاسبقية للبند في البحث . ومنذ بداية تلك الدورة تركز الجهد العربي على مجلس الامن املا في اتخاذ قرار فيه ، واستبقى في نفس الوقت بند « ازمة الشرق الاوسط » معلقا في الجمعية العامة ، رغم اعطائه الاسبقية ، مع التلويح والتلميح صراحة وضمنا على تحريكه ومناقشته اذا فشل مجلس الامن في الوصول الى قرار . وفي ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ اتخذ مجلس الامن قراره الشهير (القرار رقم ٢٤٢) الذي نتج عنه تعيين السفير يارنغ ممثلا للسكرتير العام لمساعدة الاطراف المعنية في الوصول الى حل نهائي للمشكلة القائمة بينهم . ومنذ اتخاذ ذلك القرار بقي البند على جدول اعمال الجمعية العامة يحال من دورة الى اخرى ، وبتوصية اعطائه الاسبقية . ولم يبحث البند في اي من تلك الدورات رغم الاحالة الاسبقية لاجل اعطاء

فرصة للسفير يارنغ للقيام بمهمته .
وقبل وعند انعقاد الدورة الخامسة والعشرين في سبتمبر ١٩٧٠ وردت معطيات واعتبارات حفزت حكومة الجمهورية العربية المتحدة على اعادة تقييم موقفها من تعليق البند . وكانت نتيجة التقييم العزم على تحريك ومناقشة البند في الجمعية العامة ثم الخروج بقرار يؤيد موقفها في عدد من الجوانب . واستهدفت المتحدة من ذلك ايجاد ضوابط او ايجابيات مقابل السلبيات التي حكمت الظروف السابقة للتحريك والمناقشة .

كان اول السلبيات مرور ما يزيد على ثلاثة اعوام على الاحتلال الاسرائيلي وما رافق ذلك من اعمال واقوال تؤكد عزم اسرائيل على ضم بعض المناطق المحتلة او جميعها . واستهدفت المناقشة ايجابية في تبيان وايضاح مواقف صريحة وعلنية من مختلف الدول في التأكيد على مبدأ عدم جواز ضم منطقة تابعة لدولة ما من قبل دولة اخرى عن طريق القوة ، ومعنى هذا انكار ومعارضة دولية وعامة لموقف اسرائيل من ضم الاراضي العربية المحتلة . ونجحت المتحدة في تحقيق هذه الايجابية كما تجلى من بيانات الوفود التي شاركت في المناقشة ومن القرار الذي تمت الموافقة عليه ، ورغم اعتراض البعض على تسمية ذلك بالنجاح او المحاولة في تقليل قيمة النجاح نظرا لان ما جاء في البيانات والقرارات لم يكن بالامر الجديد اذ سبق ورود مثيل ذلك من مختلف الدول في مناقشات الجمعية العامة في دورتها الخاصة الطارئة عام ١٩٦٧ وفي القرار ٢٤٢ ، فان تسمية النجاح صحيحة وحقيقية اذ اقتضت المرحلة الزمنية تجديدا عاليا في تأكيد عدم جواز الضم من الدول فرادى وجماعيا في اطار المنظمة الدولية.
وكان ثاني السلبيات انسحاب اسرائيل من المحادثات مع يارنغ . واستهدفت المتحدة ايجابية في ايجاد ضغط على اسرائيل في العودة الى المباحثات . ونجحت المتحدة في تحقيق هذه الايجابية اذ تضمنت بيانات الدعوة والقرار دعوة جميع الاطراف ، والمقصود هنا اسرائيل ، الى معاودة الاتصال مع يارنغ . وبطبيعة الحال فان وصف النجاح هنا يقتصر على المتحدة والاردن وعلى الغير من الحكومات العربية التي وافقت صراحة او ضمنا على القرار ٢٤٢ وعلى مبادرة روجرز ، ولا ينطبق أمره على الحكومات العربية والمقاومة الفلسطينية التي رفضت كليهما وما انبثق عنهما من اجراء المباحثات .
وكان ثالث السلبيات الضجة الاعلامية الكبرى التي اثارتها اسرائيل والولايات المتحدة في اتهام حكومة المتحدة بخرقها اتفاقية وقف اطلاق النار وبعدم احترام تعهداتها باقامة قواعد صاروخية جديدة على امتداد الضفة الغربية من قناة السويس. وفي ضجة التشهير ارادت كل من الدولتين ، الى جانب التشكيك في المتحدة ، تبرير انسحاب اسرائيل من المحادثات مع يارنغ . واستهدفت المتحدة ايجابية في دحض تلك المزاعم ، وفي التأكيد على حقها ، في تغذية اجهزة دفاعها ، وفي كشف قيام اسرائيل بتغذية وتدعيم اجهزتها العسكرية على امتداد الضفة الشرقية من القنال وفي تستر الولايات المتحدة على هذا الخرق ، وفي قيام الحكومة الامريكية نفسها بخرق تعهداتها في اطار مبادرة روجرز وفي اطار تعهداتها للمتحدة نفسها وذلك بتزويدها لاسرائيل باسلحة ومعدات هجومية جديدة . ونجحت المتحدة في تحقيق هذه الايجابية اذ تضمنت بياناتها المدعمة ببيانات المندوبين العرب الاخرين توضيحا كافيا لهذه الحقائق ، وتبيانا لهذه الامور . وانعكس اثر ذلك في بيانات العديدين من الوفود وسواء في تأييدها للمتحدة في موقفها او في كشفها لجانب من تلك الامور والحقائق .
وكان رابع السلبيات مشارفة فترة الثلاثة شهور لوقف اطلاق النار على الانتهاء . وكما يذكر فقد اشترطت مبادرة روجرز على وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة شهور . وكان امام المتحدة تجاه هذه الحالة ثلاثة خيارات : اولها معاودة اطلاق النار، وثانيها تمديد اختياري لوقف اطلاق النار ، ثالثها تمديد لوقف اطلاق النار استجابة لطلب دولي بهذا . ولاعتبارات واضحة ، عسكرية وسياسية، لم ترغب المتحدة في اللجوء الى اعرض الخيارين الاول والثاني . واستهدفت المتحدة ايجابية في حفز الجمعية العامة على تبني الخيار الثالث . ونجحت في هذا اذ تضمن قرار الجمعية العامة دعوة الاطراف المعنية الى تمديد

وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة شهور اخرى .

وكان خامس السلبيات موقف اسرائيل من القرار ٢٤٢ الذي اتسم بقبول متحفظ منها له او باعتباره اطارا لمبادىء معينة هي قاعدة لمفاوضات تحدد شروط ومعطيات التسوية السلمية للقضية . واستهدفت المتحدة ايجابية في تأكيد الزامية القرار ٢٤٢ وبأنه اطار التسوية المنشودة ، وبأن المنظمة الدولية تؤكد مجددا ضرورة تطبيقه . ونجحت المتحدة في تحقيق هذا الهدف اذ تضمنت بيانات العديد من الوفود وكذلك القرار هذه النقاط الثلاث .

والنجاح هنا مقتصر على المتحدة والاردن بصورة رئيسية ، وعلى الدول العربية الخمس ، التي صوتت الى جانب القرار ، بصورة رئيسية وبنسب متفاوتة تحددها الحوافز التي دفعت بها الى التصويت ، ولا ينطبق وصف النجاح على الدول العربية السبع التي لم تشارك في عملية التصويت . كما لا ينطبق وصف النجاح من باب اولى على المقاومة الفلسطينية التي ترفض القرار ٢٤٢ وكل ما ينبثق عنه . ويرد هنا في توزيع وصف النجاح او عدمه على الدول العربية تساؤل اساسي وهو هل يساوي النجاح الذي تحقق لجانب من الدول العربية اضطرار جانب اخر من الدول العربية الى اتخاذ موقف عدم التأييد للجانب الاخر ؟ او بالاحرى هل يساوي النجاح التصدع الذي حدث للمجموعة العربية والذي اتضح امره للجميع في الامم المتحدة ؟ واذ تختلف الاجابات على هذا التساؤل انعكاسا لاختلاف أسس التقييم وبواعث الذين يقومون بعملية التقييم ، يفضل التجاوز هنا على مناقشة التساؤل . وتفسير الدول العربية السبع التي لم تشارك في التصويت يلقي اضواء تكشف عن الاجابة .

ففيما يتعلق بتقديم القرار كان مخطط المتحدة ان يتم وضعه وتقديمه من دول المجموعتين الافرواسيوية . وفعلا فقد عرض الموضوع بادىء ذي بدء على المجموعة الافريقية التي انتخبت لجنة فرعية لوضع صيغة مشروع القرار . وبعد اجتماعات متوالية تم الاتفاق على صيغة معينة للقرار . واثر ذلك عرضت صيغة مشروع القرار على المجموعة الاسيوية . وتبنى المشروع عدد من دول تلك المجموعتين . واثر تقديم مشروع القرار الى الجمعية العامة وقبيل التصويت عليه اقترح الوفد الافرنسي بضع تعديلات عليه غرضها جعله اكثر قربا من القرار ٢٤٢ وبهذا استبعاد او تقليل الصعوبة التي واجهتها بعض الدول وبالذات الغربية منه . وقبلت المتحدة التعديلات .

وكما ذكر اعلاه فقد جابه مشروع القرار، وبالذات ما تضمنه من اشارة الى القرار ٢٤٢ ، بعض الدول العربية بصعوبات كبيرة . فقد تبين لدى وفود تلك الدول الموقف الحرج الذي وجدوا انفسهم به اذ لو رفضوا مشروع القرار لانطوى رفضهم على معارضة موقف دولة عربية شقيقة ، ولو قبلوه لتناقض ذلك مع سياسة حكوماتهم وتعليماتها تجاه القرار ٢٤٢ . وحدثت لقاءات واجتماعات بين وفود تلك الدول المتحفظة لتنسيق موقفها مستهدفين بذلك غايات ثلاث هي : ١) استبعاد خذلان مشروع القرار وعدم السعي ضده او لاسقاطه احتراما وتجاوبا مع رغبة المتحدة في انجاحه . ٢) الحفاظ على وحدة المجموعة العربية وعدم ظهورها بمظهر المختلف في صعيد الامم المتحدة . ٣) الالتزام بمواقف حكوماتها الرافضة لقرار مجلس الامن . ومما زاد في صعوبة موقف تلك الدول وبالذات فيما يتعلق بالغاية الاولى هو ادراكها ويقينها ، كما دلت على ذلك مختلف الشواهد ، بان الولايات المتحدة واسرائيل تجهدان لاحباط كل ما تسعى المتحدة لتحقيقه من غايات . بل لقد ذهبت الولايات المتحدة الى حد الضغط على مختلف الدول لكي لا تشترك في المناقشة العامة . كما قامت الولايات المتحدة وتساندها في ذلك اسرائيل بالضغط على المجموعة اللاتينية لتقديم مشروع قرار مضاد اسوة بما فعلته في الدورة الطارئة عام ١٩٦٧ . وفعلا قامت المجموعة اللاتينية بتقديم مشروع قرار يتجاوب في محتواه مع وجهة النظر الامريكية والاسرائيلية . ورأت تلك الوفود السبعة (وهي الجزائر وسوريا والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية واليمن واليمن الجنوبية) ان تحقيق تلك الغايات يستوجب منها عدم المشاركة في التصويت على القرار وتكليف مندوب دولة عنها لكي يتقدم بالنيابة عنها ببيان مفسر لعدم المشاركة في التصويت وكلفت بهذا مندوب دولة

الكويت (الدكتور فايز صايغ) بالقاء البيان . وبتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٧٠ وهو يوم التصويت القى السيد مندوب دولة الكويت البيان التالي والذي انقله حرفيا لاهميته : « بالنيابة عن وفد الكويت ، وبناء على طلب وفود الجزائر والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن الجنوبية وسوريا واليمن اود ان اتلو البيان الاتي نصه : لقد عز علينا نحن وفود الجزائر والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية واليمن الجنوبية وسوريا واليمن — ان نقر عدم الاشتراك في التصويت على مشروع القرار . ففي حين تجعل بعض صفات مشروع القرار هذا تصويتنا ضده امرا لا يمكن التفكير فيه ، فان احكاما اخرى فيه تجعل تصويتنا بتأييده امرا غير ممكن . لقد شعرنا دائما ، وما زلنا نشعر ، باننا نرتبط بالوفود التي اشتركت في تقديم مشروع القرار هذا بروابط الصداقة وتقاليد التعاون المتبادل ، وهي روابط متعددة الجوانب عادت علينا جميعا بالخير العميم . وفيما يتعلق بجوهر مشروع القرار نفسه ، فاننا ما فتئنا نؤيد هنا في الامم المتحدة بكل قلوبنا ودون اي تحفظ كما تناصر كل من حكوماتنا بجميع الوسائل التي تملكها — ما يوده مشروع القرار من المطالبة بانسحاب اسرائيل انسحابا كاملا من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ . اذ ان الروابط الاخوية بين البلدان العربية ، فضلا عن ولائها المشترك لمبادىء الميثاق ، تجعل من هذا الهدف حجر الزاوية في سياسات حكوماتنا ، ومحور مساعينا في الامم المتحدة . بيد ان هناك عوامل اخرى تجعل من المستحيل علينا ان نفكر بمنح تأييدنا لمشروع القرار في مجموعه ، وتلك العوامل هي الاتي بيانها : اولا : ان المشكلة الفلسطينية هي الاساس لما يسمى « الحالة في الشرق الاوسط » وجوهرها . ومع ذلك، فان مشروع القرار لا يشير الى تلك المشكلة الا اشارة عابرة . ثانيا : ان الفقرة الوحيدة التي يشير فيها مشروع القرار الى المشكلة الفلسطينية (في صيغتها المعدلة كما وردت في النص المنقح لمشروع القرار) تنطوي على تراجع حيث انها تقتصر على النص على « اعادة تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين » ، وهو ما اعلنته الجمعية العامة بصورة رسمية في قرارها رقم ٢٥٣٥ ب (الدورة ٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ . ثالثا : نأسف كل الاسف لان الشعب الفلسطيني الذي يرجع عهد اعتراف المجتمع الدولي باستقلاله الى نصف قرن مضى كان غائبا اثناء المناقشة الحالية حول « الحالة في الشرق الاوسط » ، وبذلك فقد حرم من فرصة الاشتراك في مداولات الجمعية العامة في هذه المسألة . ورغم ان الكثير من الوفود يستطيع تأييد قضية الشعب الفلسطيني ، بل ويؤيدها بالفعل ، فليس ثمة من يملك سلطة التحدث باسم هذا الشعب غير ممثليه . رابعا : ان كلا من حكوماتنا لا يمكنها ان تقبل ، وهي لا تقبل ، اي حل لمشكلة فلسطين يرفضه الشعب الفلسطيني نفسه . ولقد تلقينا رسميا ما يشعرنا بان قيادة الشعب الفلسطيني ترفض مشروع القرار موضوع البحث . خامسا : ان اسرائيل تتألف الاغلبية الساحقة لسكانها من مستوطنين دخلاء اجانب ، جردوا سكان فلسطين الاصليين من ارضهم وممتلكاتهم ، او اخضعوها لسلطاتهم بعد ان احتلوا وطنهم واغتصبوه . وعلى ذلك فان القول ، على غرار ما يعلقه مشروع القرار ، بأن الاعتراف بما تدعيه اسرائيل لنفسها من خصائص الدولة ومقوماتها وحقوقها هو شرط لازم لتحقيق سلام عادل ، ان هذا القول انما هو بمثابة القول بان اضفاء الشرعية على ظلم هو شرط لازم لتحقيق العدالة والسلام . ونحن نرفض هذه النظرية كما نرفض المبدأ الذي تقوم عليه . سادسا : ان كل حكومة من حكوماتنا قد رفضت رفضا قاطعا ولا تزال ترفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وهو القرار الذي بني على اساسه مشروع القرار » .

وعند اجراء التصويت نجح القرار باغلبية ٥٧ صوتا ضد ١٦ صوتا وامتناع ٣٩ عن التصويت وتغيبت ٧ دول عن الاجتماع كما اعلنت ٧ دول (وهي الدول العربية السبع) عن عدم مشاركتها في التصويت . ثم طرح مشروع القرار اللاتيني ففشل باغلبية ٤٩ صوتا ضد ٤٥ صوتا ، وامتنعت ٢٧ دولة عن التصويت .

ثانيا : قرار حقوق الشعب الفلسطيني

سبق للجمعية العامة في دورتها الرابعة والعشرين المنعقدة عام ١٩٦٩ ان اتخذت قرارا

تضمن فقرة تنفيذية تنص على « اعادة تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين » . واعتبر القرار حينذاك نصرا تاريخيا للقضية الفلسطينية اذ تقوم الجمعية العامة لاول مرة بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وانطلاقا من ذلك القرار كان على الحكومات العربية مسؤولية محاولة تصعيد القرار في هذه الدورة الخامسة والعشرين او تأكيده مرة اخرى . ولاجل هذا جرت مناقشات ومداولات خلال الصيف الماضي على مستوى المجموعة العربية في الامم المتحدة وعلى مستوى بعض العواصم العربية بخصوص هذا الامر . وكان امامها اقتراح معين وهو ادراج قضية فلسطين كبند مستقل في جدول اعمال الجمعية العامة كوسيلة لذلك التصعيد وكانسجام طبيعي مع القرار المتخذ حول حقوق شعب فلسطين . ولاسباب معلوم بعضها ومجهول بعضها الاخر ، ولا حاجة لمناقشتها هنا ، لم يتم ادراج البند . ورغم عدم الادراج فقد بقي امر التصعيد او التأكيد قائما ، اذ يمكن تحقيق اي منهما ضمن بند تقرير المفوض العام لوكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين كما تحقق الاصل ضمن نفس البند ايضا .

وما اكد ضرورة التصعيد او التأكيد ما ورد في الفقرة التنفيذية الثالثة للقرار المتخذ ضمن بند « الوضع في الشرق الاوسط » من اشارة لحقوق الفلسطينيين تنطوي على تراجع ، حيث انها تقصر عن النص على اعادة تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين « وهو ما اعلنته الجمعية العامة بصورة رسمية في قرارها رقم ٢٥٣٥ ب (الدورة ٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ » ، وهو ما قررته الدول السبع في بيانها الذي فسر عدم مشاركتها في التصويت . وبناء على هذا جرت مداولات ومشاورات بين اعضاء المجموعة العربية في مرحلة اولى ، وبين لجنة منتخبة من المجموعة العربية وبعض وفود الدول الصديقة من جهة اخرى ، لوضع صيغة مشروع قرار تتضمن التصعيد وبشرط تأمين موافقة الجمعية العامة عليها . وكانت نتيجة المداولات والمشاورات الاتفاق على صيغة نهائية تضمنت فقرتين تنفيذيتين هما : ١. « تعترف بان لشعب فلسطين الحق في الحقوق المتساوية وتقرير المصير» طبقا لميثاق الامم المتحدة ٢. « تصرح بأن الاحترام الكامل للحقوق الثابتة لشعب فلسطين هو عنصر لا يستغنى عنه في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » .

ويتضح من قراءة الفقرتين ان التصعيد قد تحقق في كليهما اذ تضمنت الفقرة الاولى عاملا جديدا وهو النص على حق تقرير المصير بينما قرار العام الماضي تضمن نصا عاما وهو الحقوق الثابتة . كما ان في الفقرة الثانية تصعيدا اذ اعتبر احترام حقوق شعب فلسطين العنصر الرئيسي في اية تسوية مقبلة للقضية . كما ان تصحيح ما سمي اعلاه « بالتراجع » قد تم في الفقرة الثانية اذ انسجمت وتوافقت كليا مع قرار العام الماضي .

وتبنى مشروع القرار ثماني دول هي افغانستان وغينيا واندونيسيا ومالاسيا وموريتانيا وباكستان والصومال ومالي . وعند التصويت عليه في اللجنة السياسية الخاصة نجح باغلبية ٤٦ صوتا ضد ١٩ صوتا وامتنعت ٣٧ دولة عن التصويت ، وتغيبت ٢٥ دولة عن جلسة التصويت .

ورغم النجاح الذي تم في اللجنة السياسية الخاصة فقد ادركت المجموعة ان خطرا يحيق بمشروع القرار عند التصويت عليه في الجمعية العامة اذ تطلب النجاح اكثرية الثلثين بدلا من الاكثرية النسبية . كما ادركت ان اسرائيل والولايات المتحدة تسعيان معا وبصورة حثيثة مع مختلف الوفود لاجل تغيير اصواتهم بصورة تؤدي الى فشل مشروع القرار جوهرا واجراء . بل ذهبت الولايات المتحدة الى حد دفع وفد الدومنيقان الى تقديم مشروع قرار اجرائي يدعو الى ان نجاح المشروع يتم باكثرية الثلثين . ورغم جميع تلك المناورات فقد نجحت المجموعة العربية في الصعيدين الاجرائي والجوهري في هزيمة المناورات الامريكية الاسرائيلية وفي انجاح مشروع القرار باغلبية ٤٧ صوتا ضد ٢٢ صوتا وامتناع ٥٠ دولة عن التصويت .

ثالثا : القرار المتضمن التنديد بمن يمنع ممارسة حق تقرير المصير في فلسطين

اقرت اللجنة الثالثة (اللجنة الاجتماعية والانسانية) ثم الجمعية العامة قرارا يتعلق بتطبيق حق تقرير المصير ونيل الاستقلال لجميع الشعوب وباعتبار تحقيق ذلك ضمانا

لاحترام حقوق الانسان . ونصت الفقرة التنفيذية الخامسة في القرار بما يلي : « تندد بالحكومات التي تمنع الشعوب من حق تقرير المصير ، والمعترف لها بذلك الحق ، وخاصة الشعوب في افريقيا الجنوبية وفي فلسطين » . وكالعادة حاولت اسرائيل وتؤيدها في ذلك الولايات المتحدة الامريكية اسقاط تلك الفقرة سواء في اللجنة الثالثة او في الجمعية العامة . وفشلت كلاهما في ذلك المسعى اذ نجحت الفقرة عند التصويت المنفرد عليها . كما نجح القرار في مجمله بالجمعية العامة باغلبية ٧١ صوتا ضد ١٢ صوتا وامتنعت ٢٨ دولة عن التصويت .

وتعود اهمية هذه الفقرة للجانب العربي الى امرين : أولهما ، انها مرتبطة من ناحية الجوهر والمحتوى والتفسير ببقية اجزاء القرار التي تؤكد حق تقرير المصير لجميع الشعوب ، والتي تعترف لكل الشعوب في مقاومتها للاستعمار والحكم الاجنبي في طلب ونيل جميع انواع المساعدات سواء اكانت معنوية او مادية . ثانيهما : امكانية ربط تلك الفقرة في معناها الاوسع ضمن قرارها مع قرار حقوق شعب فلسطين وحقه في تقرير المصير المتخذ في اللجنة السياسية الخاصة . ويمكن هذا الربط في الحال وفي المستقبل . ففي الربط الحالي يمكن توسيع تفسير القرار المتخذ في اللجنة السياسية الخاصة بحيث يشمل المعاني والابعاد القائمة في قرار اللجنة السياسية . وفي الربط المقبل يمكن في الدورة القادمة تصعيد قرار الشعب الفلسطيني اعتمادا على ما ورد من معان وابعاد في قرار اللجنة الثالثة بحيث يعكس حرفا ونصا في قرار السنة المقبلة ما اريد ان يفسر مجازا في هذه السنة .

وكما ذكر في المقدمة حققت الدورة الخامسة والعشرين للامم المتحدة فرصة لاخراج قرارات جديدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومجالا لرد الاعتبار الى نفسها بالنسبة لما سبق وان ارتكبته من خطأ وظلم تجاه الشعب الفلسطيني . ففي نطاق عربي ضيق تجاوبت الامم المتحدة مع الجمهورية العربية المتحدة وحققت لها ما ابتغته من ايجابيات تجاه السلبيات التي اتسمت بها مرحلة صراعها الدبلوماسي حينذاك مع اسرائيل وفي ذلك نجاح للمتحدة اقتضت ظروفها الحصول عليه . وفي نطاق عربي أوسع خرجت الامم المتحدة بقرارين أساسيين حول حق شعب فلسطين في حقوقه الثابتة وفي تقرير مصيره ، ردت فيهما الاعتبار الى نفسها فيما اقدمت عليه من خطأ في انكار تلك الحقوق عام ١٩٤٧ عندما اصدرت قرار التقسيم . وفي ذلك النطاق نجح العرب نجاحا طيبا في تحقيق ما رغبوه على المستوى الدولي . وما يؤمل هنا ان لا يؤدي هذا النجاح المرحلي الى تقاعس مقبل في الدورة القادمة اذ يتوجب من الان بدء الحوار عن كيفية تصعيد هذين القرارين في الدورة القادمة بما يتوافق مع المصلحة العربية ومع حقائق الامم المتحدة .

مراسلنا في الامم المتحدة

توفيق صايغ

ليست هذه كلمة رثاء ، وانما تصميم على متابعة الكفاح المرير وسط احداث الموت والالم والجراح التي يعيشها شعبنا .

لقد جاءت وفاة توفيق صايغ وكأنها صرخه من اجل شعبنا وشبابنا الذي يقتل في الاردن ، وكأنها تمزق من اجل تلك الثورة التي تباد كل يوم وكل دقيقة .

لقد أصبح للموت معنى في حياتنا وحياة شعبنا، وكأن وفاة توفيق صايغ اشارة لنا ان نستمر في الكفاح ، وكأن الموت نفسه بداية لنضال جديد.

لقد صمت القلم ولكن الروح تنادي .

لقد غاب الوجه ولكن الصورة مرسومة على كل وجه في المخيمات والمعسكرات والسجون .

عندما تكتب اجيال التحرير في فلسطين تاريخ شعبنا المكبل المشرد سيكون توفيق صايغ احد الشموع المضيئة .

سيشارك توفيق صايغ في بناء تلك الحياة الحرة الكريمة على أرض فلسطين ،

سيشارك كل شهدائنا ، بروحهم ، بأقلامهم ، بذكراهم ، في خلق ذلك الفجر الجديد على ارض فلسطين الحرة ،

سيكون توفيق صايغ روحا تهب على تلال فلسطين ، مع رياح الربيع في القدس ورام‌الله ، مغنية مع شعبنا أغاني الحرية والسعادة .

الدكتور حاتم الحسيني

عيسى ابو الطبول

كان عيسى ابو الطبول واحدا من اسرة « شؤون فلسطينية » . وكان يشترك في اعداد مواد العدد الاول ، ويحضر لاكثر من بحث عهد له بانجازه للاعداد التالية ، حينما اغتيل في الاردن يوم الثاني عشر من ديسمبر ١٩٧٠ ، اذ « بينما كان متوجها الى بيروت ، بجواز سفر اردني رسمي ، في طريق عمان – جرش ، اوقف من قبل الدوريات المسلحة وقوات الجيش فانزل من السيارة ثم اقتيد الى مخفر الشرطة وهناك اطلق الرصاص عليه امام حشد غفير من المواطنين » ، كما جاء في بيان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) نعاه بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٧٠ .

ولد عيسى ابو الطبول في مدينة القدس عام ١٩٤٠ حيث اكمل دراسته الابتدائية . وفي الضفة الشرقية من الاردن انهى دراسته الثانوية بتفوق . كان شغفه بالعلم قد دفعه لان يسافر الى المانيا الغربية للتخصص في فرع الكيمياء . وبعد حصوله على شهادة البكالوريوس صمم على ان يستكمل تعليمه وتحصيله الدراسي فتخصص في اخطر فرع من فروع الكيمياء هو الكيمياء العضوية وخاصة مادة الكينن . فقد كان يؤمن ان هذه المادة التي هي جوهر الكثير من المواد الكيمياوية واساس الكثير من العلاجات البنسيلنية متوفرة بكثرة في الوطن العربي وان بالامكان الاستفادة منها فيما لو تم تصنيعها . وخلال وجوده في الغربة استطاع عيسى ان ينهض بما يمكن تسميته تجمعا فلسطينيا او عربيا على وجه العموم . كان اول من اقام معرضا للازياء العربية ، وذلك في اواخر الستينيات ، وعلى نفقته الخاصة كان يقيم الندوات التي يرتدي فيها الحاضرون اللباس العربي وذلك لايمانه بانه « اذا احب الاوروبي هذه الكوفية والعقال فان لغة التفاهم بيننا وبينهم ستكون اسهل . »

كما كان من اول من عرفوا وعمموا كتاب مركز الابحاث في الاوساط الاوروبية . وكان يتولى مراسلة المركز من المانيا ، ويقوم بخدمته وخدمة القضية على صعيد الكتاب الفلسطيني العلمي في اوربه الغربية باسرها .

وفي المانيا بالذات يشهد الكل ان عيسى كان من اول الداعين الى وحدة مندوبي فصائل الثورة في البلدان الاوروبية ، وخلال نشاطه وحركته اتجهت نحوه عيون الاعداء وبداوا يراقبون حركاته حتى جاءت حادثة نسف الطائرة السويسرية في مطار ميونخ (٢١/ ٢/ ١٩٧٠) حيث اعتقل عيسى بتهمة نسفها ولما لم تثبت الشرطة الالمانية تهمتها اخرج من المعتقل الى المطار حيث تم تسفيره فورا . وفي اواخر ١٩٧٠ التحق عيسى بمجلة « الى الامام » كاحد محرريها حيث كان من اكثر الشباب العاملين في الصحيفة نشاطا .

لقد كانت حياة عيسى ابو الطبول ، كما قال احد رفاقه في تأبينه ، « مثل حياة اي واحد من ابناء شعبنا ولد وتشرد ، بيد ان هناك جانبا اخر يزيغ عن خط الولادة والموت عند عيسى ابو الطبول ، ذلك انه رغم العسف الذي عاشه كان مثابرا طموحا يرغب في ان يعيش عالمه عبر تأكيد شخصية الانسان الفلسطيني وقدرته على خلق عالم افضل بل انه يستطيع ان يكون الفعل عبر سكون الاخرين لذلك نجد عيسى ابو الطبول متقدما دائما على اقرانه وطموحا في ان يكون شيئا ذا اهمية . »

ومن بين الكثيرين الذين خسروا الشهيد وتألموا لفقدانه ، تشعر « شؤون فلسطينية » ومركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية بخسارة خاصة وبألم شديد لغياب زميل حبيب ، باحث نشيط وفدائي صامت وعامل مخلص ، وقلب طيب كبير وسع فلسطين كلها . وعزاء فلسطين انه عاش لها حتى اللحظة الاخيرة .

ا. ص.

ثلاث وثائق
عن معاملة العرب في الارض المحتلة

(١) مذكرة الى لجنة الامم المتحدة للتحقيق في اعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة والى العصبة الدولية لحقوق الانسان
من الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية — تل ابيب

مقدمة اننا نود أن نبدي ملاحظة شخصية . لقد اصبحنا نحن القراء المنتظمين للصحافة الاسرائيلية معتادين على قراءة عناوين كالتالية : ثلاثة بيوت تنسف في الخليل» ، «منع التجول المفروض على غزة مدة اثنتي عشرة ساعة ، سيستمر لعدة ايام اخرى » ، « رجل يقتل في نابلس خلال منع التجول » . الخ .

لقد اصبحنا معتادين على هذه الانباء لدرجة اننا لا نكاد نلحظها ، وبما ان عقلنا محدود فاننا لا نسجل ، ولا نستطيع أن نسجل باستمرار مجموعها العام. لقد باتت سمة يومية من سمات حياتنا في اسرائيل ومن سمات الوضع في الاراضي المحتلة، لدرجة أنها لا يكاد يؤبه لها . وقد اعترانا الفزع عندما جلسنا الى ملفاتنا وعرضنا المقتطفات الصحفية فيها ، فحتى نحن ، الواعين بحدة للسياسة الاسرائيلية الشاملة واليومية والخرق اليومي لحقوق الانسان في اسرائيل والاراضي المحتلة ، اصبنا بالصدمة أمام الارقام المفزعة . من كان يظن ان ٧٥٥٤ بيتا قد نسفت او دمرت في الاراضي المحتلة حتى ١٥/١١/١٩٦٩ ؟ اننا اذ نقدم هذه المذكرة لنشرها على النطاق العالمي ، انما يحدونا ايمان عميق بأننا بذلك نخدم شعبنا ونخدم قضية السلام بأفضل طريقة ممكنة . ونحن نأمل ان تكون هذه مساهمة فعالة في الجهود الدولية والمحلية المبذولة لحل النزاع في الشرق الاوسط على اساس ضمان كل حقوق الانسان القومية والفردية لكل الاطراف المعنية .

القمع السياسي ان الصفة البارزة لنظام الاحتلال الاسرائيلي (مثله في ذلك مثل أي احتلال آخر) هي انكار كل حقوق التعبير والتنظيم السياسيين. فكل المنظمات ممنوعة ، بما فيها منظمات التعاون المتبادل ومجالس التلاميذ الخ. والمحاكم الشرعية الاسلامية فقدت مشروعيتها القانونية وحقها في العمل ، ورجال اتحادات العمال يلقى القبض عليهم أو يبعدون بانتظام . بكلمات أخرى ، ان الحرية الكاملة للتعبير والتنظيم التي ضمنتها شرعة حقوق الانسان (حرية التنظيم السياسي والتظاهر والاجتماع وكل ما عدا ذلك من اشكال النشاط السياسي غير العنيف) محرمة تماما على الفلسطينيين في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

١ — زوت ها — ديريخ ١٩٦٩/١/١٥ حكم بالسجن مددا مختلفة على الذين يبيعون في الضفة الغربية جريدة الاتحاد الاسرائيلية نصف الشهرية (المشروعة في اسرائيل) .

٢ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٥/٢١ خمسة مدرسين ثانويين يحكمون بالسجن اربعة — خمسة اشهر لانتمائهم الى « منظمة غير مشروعة » . وقد قرأت محاميتهم ف. لانغر امام المحكمة دستور الرابطة الذي يحدد اهدافها على انها « المساعدة المتبادلة لطلبة المدارس الثانوية والتعاون مع المنظمات الطلابية الدولية والمساهمة فيخدمة قضية السلام».

٣ — المصدر ذاته ١٩٧٠/١/٤ طلاب المدرسة الثانوية في اريحا يسجنون اداريا لتشكيلهم منظمة تعاون متبادل طلابية .

٤ — ها — آرتس ١٩٧٠/٦/٧ اعلن الحاكم العسكري لمنطقة رام الله امام وجهاء رام الله والبيرة ، بعد اضراب سلمي فيهما ، انه قد الغى

كل الاجازات الممنوحة لتجار المدينتين لاستيراد الماشية من الضفة الشرقية ، كما أعلن انه لن يسمح لـ « رابطة مهاجري رام الله في الولايات المتحدة » بتسليم بلدية رام الله تبرعا قيمته مئة الف دولار جمعت في الخارج .

استغلال العمال يعمل آلاف كثيرة من العمال الفلسطينيين من الاراضي المحتلة في اسرائيل ، ولا يتقاضى العامل الفلسطيني الاجر ذاته الذي يتلقاه العامل الاسرائيلي الذي يعمل بعمل مماثل ، وفي الحقيقة لا يتقاضى العمال الفلسطينيون اجورهم من أرباب العمل ، بتاتا ، بل يقوم رب العمل بالدفع للحكومة الاسرائيلية التي تحسم حوالي ٤٠٪ وتدفع ما تبقى للعامل الفلسطيني.وتجمع المبالغ المقتطعة في رصيد خاص باسم دولة اسرائيل ، وقد بلغ هذا الرصيد في ايار ١٩٧٠ ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية . وجدير بالملاحظة ان التبرير الرسمي للاقتطاع هو ان الحسومات تذهب لصالح الرعاية الاجتماعية والتنظيم وضرائب السفر ، في الوقت الذي يحرم فيه القانون على العمال الفلسطينيين من الاراضي المحتلة التمتع بأي من حقوق الرعاية الاجتماعية مثل التأمين الصحي والتقاعد الخ .

ولقد اصبح نقل العمال الفلسطينيين من قطاع غزة الى اسرائيل يصعب باضطراد خلال نصف السنة الاخير ، ولذا أنشأت بعض المصانع في اسرائيل معسكرات مغلقة يعيش فيها العمال الفلسطينيون من الاراضي المحتلة رجالا ونساء في خيام واكواخ .

١ — ها — آرتس ١٩٦٩/٨/١ مهندسو الطاقة البشرية يستخفون باحتقار بما قاله الوزير سابير من اننا نقوم بتحويل العرب الى ناشري خشب الدولة ومنتشلي مائها . وهم يقولون ان من الواضح أن احدا ما يجب أن يقوم بهذه الاعمال حتى في اكثر البلدان تقدما تقنيا .

٢ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٨/٤ كان العمال اليهود يتقاضون ٨٥ ليرة اسرائيلية لقاء حصاد طن واحد من قصب السكر . اما العمال الفلسطينيون من الاراضي المحتلة فيتقاضون الآن ٢٢ — ٢٤ ليرة اسرائيلية لقاء حصاد ٢ ١/٢ طن من قصب السكر.

٣ — ها — آرتس ١٩٦٩/٨/٨ طبقا للبيانات الرسمية ، عمل ١٦٥٠٠ عامل من الاراضي المحتلة في اسرائيل ما بين تشرين الشاني ١٩٦٨ وآذار ١٩٦٩ . وقد تقاضى هؤلاء في هذه الفترة ٢٠٧٦٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية اقتطع منها ١٠١٨٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية — اي حوالي ٤٠٪.

٤ — معاريف ١٩٦٩/١٢/١٧ تقتطع « خدمات التوظيف الحكومية » ٦ — ٨ ليرات اسرائيلية من الـ ١٨ ليرة اسرائيلية التي هي الاجر اليومي للعامل الزراعي الاسرائيلي،وتعطي للعامل الزراعي من الاراضي المحتلة الذي يعمل في اسرائيل ١٠—١٢ ليرة اسرائيلية . ويمنع رب العمل من الدفع للعامل مباشرة ، بل يجب ان تجري عمليات الدفع كما ينص القانون من خلال الحكومة او الوكالات العسكرية.

٥ — يديعوت احرونوت ١٩٧٠/١/٢٠ قرابة نصف العمال الزراعيين في منطقة عسقلان والعمال في مصانع الغذاء في المنطقة ذاتها هم من قطاع غزة، وترتفع نسبة عمال قطاع غـزة في بعض بساتين الحمضيات الى ٧٠٪ .

٦ — صوت اسرائيل ١٩٧٠/٤/٦ الساعة ١٣:٠٠ وها — آرتس ١٩٧٠/٤/٣٠ قامت مصانع عدة في منطقة عسقلان ببناء معسكرات مغلقة من الخيام والاكواخ يعيش فيها العمال الفلسطينيون من الاراضي المحتلة وخاصة من قطاع غزة مددا طويلة.

٧ — ها — آرتس ١٩٧٠/٥/١٣ طالب الاتحاد العام لعمال اسرائيل الخزينة الاسرائيلية بـ ١٪ من الحسومات التي تقتطع من اجور عمال الاراضي المحتلة ، ويبلغ المبلغ الذي يطالب به الاتحاد ٥٠٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية (اي ان الخزينة الاسرائيلية تحتفظ بما يقارب ٥٠٠٠٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية اقتطعت من اجور العمال من الاراضي المحتلة) .

مبدأ العقوبات الجماعية ما زال مبدأ العقوبة الجماعية يطبق على نطاق واسع منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . وتورد فصول هذه المذكرة أمثلة متنوعة على ذلك : نسف البيوت ، أخذ الرهائن ، ابعاد القادة والوجهاء الفلسطينيين ، فرض منع التجول الخ. ان الرجل المسؤول شخصيا عن السياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة هو وزير الدفاع موشيه دايان ، وقد يكون ذا دلالة أن نورد هنا رده على استفسار عضو الكنيست أوري أفنيري حول نسف المنزل الذي كانت تعيش فيه السيدة عايده عيسى سعد (في غزة) ، على الرغم من ان المنزل ليس ملكها وليس ملك أبويها، بل هم يعيشون فيه بالاجرة . لقد نسف هذا البيت في ٦٩/٣/٢٠ (زوت ها — ديريخ ١٩٦٩/٥/١٤)، واكد دايان ان السلطات العسكرية قد قامت بالفعل

بنسف البيت . وعندما سأله أمنيري مرة ثانية : « هل تعمل وزارة الدفاع في حالات كهذه طبقا لمبدأ المسؤولية الجماهيةللعائلة كلها تجاه احد افرادها؟» اجاب دايان « نعم » .

نسف البيوت نورد هنا تقريرا اعده رجل علم شهير جدا وذو مكانة عالية ، وهو فلسطيني عربي يعيش تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ . ونحن نحتفظ باسم هذا الرجل ، ولكن ممثلنا سيقدم اسمه الى « لجنة الامم المتحدة للتحقيق في أعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة » عندما يدلي بشهادته امامها في العاشر من حزيران . ويغطي هذا التقرير الفترة التي تنتهي بالخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٦٩ .

ان نسف البيوت ممارسة دائمة مستمرة في الاراضي المحتلة ، والحالات التي وقعت بعد التاريخ المذكور اعلاه واردة في مذكرتنا الاولى الـى لجنة الامم المتحدة بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٧٠ .

نسف البيوت من جانب السلطات العسكرية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ١٩٦٩ ــ بعد وقف اطلاق النار

الموقع (المنطقة)	تاريخ الاستقصاء الاول من ١١حزيران ٦٧ الى ٥ نيسان ٦٨	تاريخ الاستقصاء الثاني من ٥ نيسان ٦٨ الى ١٠ ايلول ٦٩	تاريخ الاستقصاء الثالث من ١٠ ايلول ٦٩ الى ١٥ ت٢ ٦٩	ملاحظات
القدس (المدينة القديمة)	١٤٥	٢٩٠	٣٤٢	جد اسم المالك في الجدول الاول المرفق . الرقم الاول هـــو تقديري .
اللطرون عمواس وبيت نوبا ويالو	١٨٣٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	الارقام المصححة مأخوذة مـن قوائم الضرائب التي قدمهـا مخـــاتير وزعماء القرى التي دمرت تماما .
السامرة نابلس ــ جنين ــ طولكرم ــ طوباس ــ قلقيلية ــ الجفتلك	٢٦٣٥	٣٧٠٣	٣٧١٩	الرقم الاول مأخوذ من قائمـة جاهزة زودت بها . فيما بعد لفت انتباهي الى قرى أخرى في المنطقة . . وهي مبينة في التاريخين الثاني والثـالث . انظر المرفق .
الخليل جبل الخليل ــ الخليل ــ بيت عوا وبيت مرسم وحلحول	٣٩٩	٤٢٧	٥١٩	لفت انتباهي الى تدمير ٨٧ بيتا في حلحول في الاسبوع الاول من تشرين الثاني ١٩٦٩ . انظر المرفق .
غزة غزة ــ خان يونس ــ دير البلح ــ رفح	٢٨٠	٣٢٢	٣٥٢	الرقم الاول مأخوذ من التايمس اللندنية ٢٣ آذار ١٩٦٨ . ثم فيما بعد زودت بقائمة كاملة من مصدر موثوق وتعطي القائمـة العدد واسماء المالكين . انظر الجدول المرفق.
رام الله ــ البيرة والقرى المحيطة	٣٣	٣٦	٤٤	انظر الجدول المرفق .
بيت لحم والقرى ومخيمات اللاجئين المحيطة	٤٥	٧٧	٧٨	انظر الجدول المرفق .
المجموع	**٥٣٦٧**	**٧٣٥٥**	**٧٥٥٤**	

الرقم الاخير للمجموع (٧٥٥٤) لا يتضمن أية بيوت في مرتفعات الجولان المحتلة، وذلك لنقص الاثباتات. غير أن صحيفة « جروسالم بوست » نشرت المقال الثاني في عددها الصادر في ٥ تشرين الاول ١٩٦٩: الامم المتحدة (رويتر) « قالت سورية الاسبوع الماضي أن اسرائيل نسفت على الاقل ١٧ قرية في مرتفعات الجولان المحتلة في فترة عشرة أشهر تنتهي في تموز . وقالت أن الشرطة الاسرائيلية استهدفت اجلاء ١١٥٠٠٠ مواطن سوري من المنطقة . وقال السفير السوري جورج طعمه في رسالة الى اوثانت الامين العام للامم المتحدة ان الاعمال الاسرائيلية بينت ان تصميم اسرائيل على محو كل آثار الحياة العربية والملكية العربية في الاراضي المحتلة بأكثر الطرق بربرية » . (جروسالم بوست، ١٩٦٩/٤/١٣) . وهناك ٤ قرى معروفة هي : ابي زيتون ، تل الساقي ، الرزانية ، خان الجوخدار .

الاعتقال الاداري والابعاد والتعذيب هناك الان في السجون الاسرائيلية الف معتقل اعتقالا اداريا من الاراضي المحتلة ، وذلك طبقا للمصادر الرسمية . ولا يتضمن هذا الرقم العديد من السجناء الذين وجهت لهم تهم ولم يقدموا للمحاكمة . وكثير من هؤلاء يمضي في السجن مدة طويلة ، ولكن بعد ذلك يطلق سراحه بكل بساطة بدل أن يقدم للمحاكمة . والكثير منهم يوافق على أن يهاجر ، او « يوافق على أن يبعد » كما تقول المصادر الرسمية .

ان معظم الادانات التي تصدرها المحاكم العسكرية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة يقوم على اعترافات يدلي بها المتهم ذاته . وفي كثير من الحالات ينكر السجناء في المحكمة اعترافاتهم ويشتكون من أنهم أرغموا على الاعتراف تحت التعذيب . ويصفون بالضبط اساليب التعذيب التي تعرضوا لها ، وفي بعض الاحيان يذهبون الى حد عرض اثار تعذيبهم في قاعة المحكمة ويطلبون أن يعرضوا للفحص الطبي لدعم شكاواهم من تعذيبهم لدى التحقيق والبرهنة عليها . ولم يكن هناك في كل الحالات أي تحقيق قضائي في هذه الشكاوى . وترفض محكمة الاستئناف التحقيق حتى في الحالات التي يقدم فيها للمحاكمة رجل حل به عجز نتيجة التعذيب الذي تظهر عليه .

ولقد ازدادت الحالة سوءا خلال الشهر الاخير ، اذ أن المحاكم العسكرية الان ترفض النظر في الدعاوى الاولية والشكاوى من التعذيب ، الا اذا قدم المتهم للمحكمة الاسماء الكاملة لمعذبيه (وهذا أمر غاية في الصعوبة ، لان من يقومون بالتعذيب لا يعرفون بأنفسهم في العادة !) . كما تقرر أن لا تحقق المحاكم في سلوك وتصرفات المحققين خلال التحقيق (زوت ها — ديريخ ١٩٧٠/٤/٢٢) « أخذا بعين الاعتبار أهمية وحيوية مسؤولياتهم الامنية في المنطقة ، فان من واجب المحكمة ان تتجنب ازعاجهم في اداء مهمتهم » (من محاضر محكمة رام الله — المصدر ذاته) . ونحن نحيل كل الاشخاص المهتمين والمنظمات المهتمة بالحصول على معلومات اخرى الى المحامين : السيدة ف. لانغر ، شارع كوريش ، رقم ١٤ ، القدس. السيد علي الرافعي، العنوان ذاته . السيد حنا نقاره، شارع الخوري، رقم ٢٣ ، حيفا . السيد صبري جريس ، شارع الياهو ها — نافي ، رقم واحد . ان الحالة في رأينا خطيرة جدا وهي تسوء باستمرار . ونحن نود في هذا المجال أن نوصي بتشكيل لجنة تحقيق دولية من قضاة ينتمون الى بلدان ليست معادية لاسرائيل لتحقق في دعاوى التعذيب هذه ، التي نرى انها معززة بالبراهين بصورة حسنة . ونود أن نلفت انتباهكم أن توصيات «لجنة العفو الدولية» باجراء تحقيق يقوم به قضاة اسرائيليون قد رفضتها الحكومة الاسرائيلية .

حوادث الابعاد (هذه مختارات تعود فقط للفترة الواقعة ما بين ايلول ١٩٦٨ واذار ١٩٧٠ . تشير الصحافة الاسرائيلية في كثير من الاحيان الى الابعاد على انه « سماح بالعبور الى الضفة الشرقية للاردن » .)

١ — معاريف ١٩٦٨/٩/٦ اوردت ان أربعة فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن .

٢ — يديعوت احرونوت ١٩٦٨/١٠/٢٥ اوردت ان أربعة وجهاء فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن، بينهم طبيب وطبيب اطفال ونائب رئيس بلدية نابلس.

٣ — معاريف ١٩٦٨/١٠/٣٠ أوردت ان من بين عشرة وجهاء فلسطينيين ابعدوا الى الاردن رئيس اتحاد معلمي الضفة الغربية ورئيس الهلال الاحمر وثلاثة معلمين ومفتش تربية .

٤ — يديعوت احرونوت ١٩٦٨/١١/٢٥ اوردت ان ثمانية فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن ، معظمهم من المعلمين وبينهم امرأتان . وقد جرى ابعادهم بعد ربع ساعة فقط من ابلاغهم .

٥ — هـا — آرتس ١٩٦٨/١٢/١٥ أوردت أن جاويشا سابقا في الشرطة قد أبعد مع عائلته جميعها .
٦ — معاريف ١٩٦٩/٢/١٠ أوردت ان سبعة شبان صغار السن قد أبعدوا الى الاردن .
٧ — ها — آرتس ١٩٦٩/٤/٢٨ أوردت أن امرأتين هما : أمينة سر الجمعية النسائية في نابلس وابنتها قد أبعدتا .
٨ — ها — آرتس ١٩٦٩/٥/٧ أوردت أن الدكتور فيصل كنعان ، وهو طبيب أسنان من نابلس ، قد أبعد .
٩ — ها — آرتس ١٩٦٩/٥/٢١ أوردت ان عشيرة بدوية كاملة قد ابعدت من غور الاردن .
١٠ — معاريف ١٩٦٩/٦/٨ أوردت ان تسعة وجهاء بينهم معلمون وقائد عمالي ومهندس مدينة نابلس قد أبعدوا ، وأنه لم يسمح لهم برؤية عائلاتهم قبل ابعادهم .
١١ — معاريف ١٩٦٩/٧/٣ أوردت أن ثلاثة وجهاء هم محاميان وطبيب قد أبعدوا مدة ثلاثة اشهر .
١٢ — ها — آرتس ١٩٦٩/٣/٩ أوردت أن سبعة فلسطينيين من قطاع غزة قد أبعدوا الى الاردن .
١٣ — ها — آرتس ١٩٦٩/٣/٢١ أوردت ان القس الياس خوري قد وافق على توقيع طلب بابعاده الى الاردن .
١٤ — ها — آرتس ١٩٦٩/٩/١٧ أوردت أن مفتش تربية وصيدلي قد أبعدا الى الاردن .
١٥ — ها — آرتس ١٩٦٩/٤/١٧أوردت ان الدكتور معمر من بيت حنينا (قرب القدس) قد أبعد الى الاردن .
١٦ — معاريف ١٩٦٩/٩/١٦ أوردت أن وجيهين فلسطينيين من الخليل قد أبعدا الى الاردن .
١٧ — معاريف ١٩٦٩/٤/٢٤ أوردت ان أربعة من كبار المربين قد أبعدوا من الضفة الغربية الى الاردن .
١٨ — ها — آرتس ١٩٦٩/١٠/٧ أوردت أن نديم الزرو ، رئيس بلدية رام الله ، وتسعة وجهاء آخرين قد ابعدوا الى الاردن .
١٩ — ها — آرتس ١٩٦٩/١٠/٢٤ أوردت ان طالبا قد ابعد الى الاردن .
٢٠ — معاريف ١٩٦٩/١١/٤ أوردت ان ثلاثة مخاتير من عشيرة التعامرة قد ابعدوا الى الاردن.
٢١ — ها — آرتس ١٩٦٩/١٢/١٧ أوردت ان ستة وجهاء فلسطينيين من غزة قد نفوا الى صحراء سيناء لمدة غير محدودة .
٢٢ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٩ أوردت ان خمسة فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن .

نود أن نلفت نظركم الى عريضة قدمها الى سلطات الاحتلال اربعة وعشرون وجيها فلسطينيا احتجاجا على ابعاد العديد من القادة الفلسطينيين مثل : المحامي انطون عطاالله من القدس ، وابراهيم بكر وكمال ناصر من رام الله ، والشيخ عبد الحميد السائح مفتي القدس (نقلا عن زوت ها — ديريخ ١٩٦٨/١/١٠) .

تقول العريضة : « ان هذه الطريقة تناقض القوانين الدولية وحق المواطن الاساسي في أن يعيش في بلده وفي بيته ... ومن المخزي ان تعلن سلطات الاحتلال صراحة ان الابعادات عقوبة على عدم التعاون . ان من المعروف جيدا ان لكل فرد تحت الاحتلال حقا أساسيا في عدم التعاون مع المحتل ما دام لا يعمل ما يهدد امن الحكام او المحكومين » .

حوادث القتل خلال حظر التجول (مختارات تغطي فقط الفترة بين ديسمبر ٦٨ وابريل ٧٠) :

١ — زوت ها — ديريخ ١٩٦٨/١٢/٤ ، مقتل ثلاثة وجرح ستة نتيجة اطلاق الجيش النار علىالجمهور.
٢ — ها — آرتس ١٩٦٩/١/١ ، مقتل صبي وامراة في الخليل . التفسير الرسمي : رفضا التوقف عندما أمرا بذلك .
٣ — المصدر ذاته ١٩٦٩/١/٢١ ، الجيش يطلق النار على جمهور من النساء ، فيقتل امراة ويجرح تسعا .
٤ — يديعوت أحرونوت ١٩٦٩/٥/٢٢ ، مقتل عربي رفض الامتثال لامر دورية جيش له بالتوقف فيغزة.
٥ — ها — آرتس ١٩٦٩/١١/١٤ ، مقتل اثنين من سكان رفح عندما كانا في الطريق خلال حظر التجول .
٦ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٥/١ ، مقتل صبي في نابلس لاسباب شبيهة .
٧ — المصدر ذاته ١٩٧٠/٤/٣ ، مقتل احد سكان بيت حانون (قطاع غزة) خلال ساعات حظر التجول .
٨ — المصدر ذاته ١٩٧٠/٤/١٣ ، مقتل احد سكان غزة خلال حظر التجول .
٩ — المصدر ذاته ١٩٧٠/٣/١٦ ، أحد عرب اسرائيل يقتل عندما اطلق الجيش النار على

الجمهور .

١٠ ـ المصدر ذاته ١٩٧٠/٣/٢٤ ، احد سكان نابلس يقتل خلال حظر التجول .

١١ ـ معاريف ١٩٧٠/٤/٢٤ ، اثنان من سكان رفح يقتلان خلال حظر التجول .

حوادث التعذيب (مختارات تغطي الفترة مـا بين ١٩٦٨ و١٩٧٠)

١ ـ زوت هاديريخ ١٩٦٨/١/١٧ ، نعيم الاشهب، من القدس الشرقية ، ألقي القبض عليه في تشرين الثاني ١٩٧٠ . يشكو من الضرب المبرح في سجن القدس.

٢ ـ المصدر ذاته ، التاريخ ذاته ، حظر تجول وتحقيقات في مخيم لاجئين في غزة (٣١٠٠٠ نسمة). السكان الذكور من عمر ١٧ الى ٦٠ سنة يحشرون في تكتة مغلقة مدة ست وثلاثين ساعة تحت المطر المنهمر والبرد القارس . عدد كبير يغمى عليه .

٣ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/٢/٢١ ، موجـة مـن الاعتقالات الكيفية للنساء وصغار السن في الضفة الغربية وغزة . وقع اكثر من ثلاثمائة امرأة يمثلن كل المنظمات النسوية في الضفة الغربية عريضة الى وزير الدفاع موشيه دايان يشتكين فيها مـن أن « السلطات تقوم بالقاء القبض على الكثير مـن النساء دونما سبب ، ودون ان توجه لهن تهمة ... ان الاعمال القاسية والارهابية لسلطات الاحتلال في قطاع غزة تتضمن تدمير الاكواخ والبيوت وبساتين الحمضيات ومضخات آبار المياه وحظر التجول لايام عديدة دون اكتراث بحاجات الاطفال والشيوخ ، ومنع العناية الطبية الاوليـة الضرورية لمعالجة المرضى » .

٤ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/٥/٨ منع الخروج من مدينتي رام الله والبيرة او الدخول اليهما ، على اثر اضراب سلمي فيهما . وقد وصف هذا العمل بأنه « اجراء تربوي » .

٥ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/٥/٢٩ شكا هنري حبش ونبيل ذياب ووليد الدومي وزياد حنا عميره ومحمد ابو كبير وزياد محمد ابو ميزر،من القدس الشرقية، انهم عذبوا في مركز شرطة القدس . وأشاروا في المحكمة الى الشرطي الذي قام بتعذيبهم . وهؤلاء جميعا متهمون بتوزيع منشورات تدعو الى اضراب سلمي .

٦ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/٧/٢٤ قدم المحامي جميل شلهوب شكوى الى وزير الدفاع ووزير الشرطة ورئيسة الوزراء بخصوص التلميذ مؤيد عثمان الباشا من مدرسة الصلاحية الثانوية في نابلس . القي القبض على الباشا في ١٩٦٧/١٢/٩ . ومنعت عنه الزيارة تماما مدة ستة اشهر . وعندما سمح في النهاية بزيارته وجد وقد شلت يده اليمنى تماما. وقد اعطى الوصف التالي لتعذيبه في سجن صرفند العسكري : « علقت الى السقف مـن يدي ، وشدت رجلاي الـى اسفل ، ثم جلدت بالسياط وضربت على عضوي التناسلي حتى فقدت الوعي. ثم قيدت بالسلاسل يداي وقدمـاي واجبرت على الركض بالضرب بالسياط . ولم أترك الا واجزاء جسدي كلها تدمى . سكب البول علي . وربط قطبان كهربائيان برأسي وجسدي وسرى التيـار الكهربائي في . اخمدت السجائر فـي جسدي ولا تزال الندوب فيه حتى يومنا هذا » . لم يجر اي تحقيق .

٧ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/٩/٤ اجهشت السجينة عبله شفيق طه بالبكاء حينما قابلت محاميتها ف. لانغر في سجن القدس ، وذلك بحضور علي الرافعي والمفتش غولان . حاول غولان ان يسكتها ولكن عبثا حاول . قالت عبله انها بعد القاء القبض عليها وضعت في الحال في زنزانة مع مومسات يهوديات قمن بتعريتها وضربها بقسوة ووحشية أمام رجال الشرطة . ثم وضعت وهي لا تزال عارية في زنزانة عقاب وحرمت من التسهيلات الصحيـة الاولية واجبرت على قضاء حاجتها في الزنزانة ذاتها مدة ثلاثة ايام . ثم تركت عارية مدة ثمانية ايام اخرى ، وركلها احد رجال الشرطة ويدعى دويك بوحشية. وقد كانت حاملا فبدأت تنزف ، وحرمت من العلاج الطبي عندما طلبت ذلك .

٨ ـ والمصدر ذاته ، التاريخ ذاته ، قابل لطفي الحواري محاميته ف. لانغر في ١٩٦٨/٨/١٢ وروى قصة شبيهة .

٩ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/١٠/١٧ فرقت تظاهـرة قامت بها طالبات المدارس في نابلس باطلاق النار على المتظاهرات ، جرحت سبع فتيات .

١٠ ـ المصدر ذاته ١٩٦٨/١٢/٤ القي القبض على يحيى اسعد عبدالرحمن الجاسم ، وهو تلميذ من غزة ، في تشرين الاول ١٩٦٧ . شكا الجاسم التعذيب . وقـد اتهم بنشاطات تخريبية في ١/ ١٩٦٨/١ . وظل ينتظر المحاكمة عشرة اشهر ، ثم الغيت التهمة ولكن المتهم لم يطلق سراحه بل ظل

سجينا بأمر اداري صدر في ١٩٦٨/١٠/٣٠ .
١١ — المصدر ذاته ١٩٦٨/١٢/١٨ القي القبض على حسن عيسى البطاط وعمره خمسة عشر عاما من الظاهرية قرب الخليل بينما كان يستقل الباص في عودته من المدرسة ، وذلك بتهمة انه لا يحمل بطاقة هوية . شرح انه لا يحق له استخراج بطاقة هوية لان عمره خمسة عشر عاما ، ولكن رغم ذلك اقتيد الى سجن الخليل وضرب على رأسه ، فتوفي بعد ان اطلق سراحه بساعات قلائل . وقد شخص الطبيب المحلي سبب الوفاة أنه تلف الدماغ .
١٢ — المصدر ذاته ١٩٦٨/١٢/٢٦ القي القبض على عثمان الاعرج من القدس الشرقية خلال تظاهرة لطالبات المدارس قرب باب نابلس . ثم اقتيد الى مركز شرطة القدس حيث أودع زنزانة ونزعت عنه ملابسه . ثم قام ثلاثة من رجال الشرطة يرتدون ملابس عادية بضربه بعصا على جسده وخاصة على عضوه التناسلي ثم قاموا بادخال العصا في شرجه ودفعها باتجاه فمه . بعدئذ ترك السجين عاريا ثم ضرب ثانية ولكنه رفض أن يعترف . اطلق سراحه في ١٩٦٨/١٠/٢٨ وحذر من ان يخبر احدا بما جرى له عند استجوابه . غير أنه استشار في الحال طبيبا اعطاه تقريرا يؤكد اصابته اصابات بليغة، وقام بتقديم شكوى الى السلطات . في اليوم التالي ١٠/٢٩ القي القبض عليه واحتجز في زنزانة منفردا، دون أن يستجوب ثانية ، الى أن اختفت آثار التعذيب ، ثم اطلق سراحه .
١٣ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته ، القي القبض على رجب عبدالمعطي ابو راس من البيرة في تشرين الاول ١٩٦٧ واودع السجن ستة اشهر انهم وبرىء دون ان يمثل امام المحكمة . ثم اعيد اعتقاله فورا بأمر اداري ووضع في السجن الانفرادي . ابلغ زملاؤه السجناء عائلته انه علق من يديه وانه فقد عددا من أظفار اصابعه وأجبر مرات عديدة على شرب الماء من اناء البراز . اطلق سراحه في ١٩٦٨/١١/١٢ ، وشاهد محاميه أظفاره المنتزعة وقدم شكوى الى وزير العدل . في اليوم التالي اعيد اعتقاله بأمر اداري مدة ستة أشهر .
١٤ — المصدر ذاته ١٩٦٩/١/٢٨ أعلن وزير الدفاع موشيه دايان أن اطلاق النار على جماهير المتظاهرين أمر مشروع ، وذلك في اجابته على استفسار أثير في البرلمان الاسرائيلي (الكنيست) حول مقتل ثلاثة فلسطينيين وجرح سبعة بينهم طفل في السادسة من عمره .
١٥ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٣/٢٦ القي القبض على قاسم ابو عكار وتوفي في السجن . لم يجر التحقيق في وفاته ، ولكن الشرطة أخذت جثته الى المقبرة رأسا واجبرت عائلته على دفنه حالا .
١٦ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٥/٧ القي القبض على داود عريقات من أريحا في ١٩٦٩/٣/٢٣ . ولم يسمح له بمقابلة محاميه مدة تربو على الشهر ، وعندما سمح له بذلك اشتكى اليه أن رجال شرطة بثياب مدنية قد ساموه العذاب في سجن القدس . وارسلت شكوى الى وزير الشرطة ووزير الدفاع.
١٧ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٦/١٨ نورد فيما يلي تفصيلات الوضع في سجن الخليل : يسمح للسجناء بقضاء حاجتهم مرتين في اليوم فقط في السابعة مساء وفي السادسة صباحا ولمدة دقيقة ونصف فقط في كل مرة . الاستحمام مسموح به مرتين في الاسبوع، وممنوع في الايام الاخرى ، والوضوء كذلك ممنوع. ليس هناك تمارين يومية على المشي وكثافة السجناء في الزنزانات رهيبة .
١٨ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٧/٢٢ يشكو نعيم الاشهب في رسالة له من السجن فيقول : « لقد أصبحت خلال سجني اعرف ما هي الديمقراطية الاسرائيلية ... فحتى في العلاج الطبي في السجن هناك تفرقة عنصرية ما بين اليهود والعرب ... ولقد اصبحت اعرف اسرائيليين يشجعون علىالقيام باعتداءات شاذة جنسيا على السجناء السياسيين العرب ويقومون بها بمعرفة ادارة السجن الكاملة وموافقتها . » (السجون المعنية هي سجنا رام‌الله والقدس) .
١٩ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٨/٢٠ كشف النقاب في محكمة رام‌الله العسكرية عن سلسلة طويلة من اعمال التعذيب في سجن القدس . فقد أدلى المحامي بشير الخيري وعبدالهادي عوده وأبو حديده ، الذين يمثلهم المحامي انطون جاسر والمحامية ف. لانغر ، بشهادات تفيد أنهم حرموا من مقابلة محاميهم قرابة شهر . وعندما سمح فيالنهاية لبشير الخيري بمقابلة محاميه بحضور الشرطة ، ابتدأ يشكو التعذيب فاخذته الشرطة حالا بحجة أنه يتكلم خارج‌الموضوع. استدعى الادعاء طبيب الشرطة للرد فتبين من خلال استجواب الدفاع له انه لم يفحص المتهم اطلاقا.
٢٠ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٩/٤ شكا سامي ابو دياب وعبد اللطيف عيد من القدس الشرقية في

محاكمتهما حوادث تعذيب. فأدلى أبو دياب بالشهادة التالية : « لقد ضربت بالعصا وبسلك حديدي وعلقت من رجلي مقلوبا رأسا لقدمين وادخلت طلقة في شرجي حتى فقدت الوعي » . وقال عيد « ضربت بمسطرة فيها مسامير وضربت على عيني وعلقت من رجلي المقيدتين وادخلت طلقة في شرجي وفقدت الوعي » . وعندما قال الادعاء انهما يكذبان، اجاب ابو دياب « اننا شرفاء ونتكلم الصدق . ان المحققين هم الذين يكذبون فهم يعذبوننا ثم يقسمون في المحكمة انهم لم يمسونا » .

٢١ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته، اوضاع سجن عسقلان هي : يمنع السجناء من مخاطبة حراسهم الا اذا طأطأوا رؤوسهم . وهم ينامون بالتناوب على الارض (دون فراش) . ويحرم السجناء ، الذين هم في معظمهم تحت الاعتقال الاداري ومعتقلون، من الكتب وغيرها من مواد القراءة . ويسمح للسجناء بقضاء حاجاتهم مرتين فقط في اليوم (السابعة مساء والسادسة صباحا) ولمدة دقيقة ونصف فقط .

٢٢ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٩/٢٤ يوسف عبدالله عدوان سجين في طولكرم بموجب أمر اداري صادر في ١٩٦٩/٣/٢٩ . وقد رفض السماح له برؤية محاميته ف. لانغر . في ١٩٦٩/٩/٨ مثل أمام محكمة الاستئناف حيث رأته محاميته هناك . وقد قال انه ضرب بقسوة بالعصا على كل اجزاء جسده حتى لم يعد يستطيع الحركة مدة طويلة . وقد عذب بالالات الكهربائية وأعواد الثقاب المشتعلة . وكانت احدى وسائل تعذيبه المفضلة حرق شفتيه بأعواد الثقاب المشتعلة والطلب منه أن يطفئها . لم يسمح لممثل الصليب الاحمر الدولي برؤيته . وقد رفض رئيس محكمة الاستئناف أن يسمح أي شيء يتعلق بهذه المسألة زاعما أنها لا تخص المحكمة ولا تهمها.

٢٣ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته، ألقي القبض على اسحق علي المراغي في آذار ١٩٦٩ ، وهو يشكو تعليقه من قدميه وجلده بالسياط في السجن، وضربه على رأسه بعصا ، وسكب الماء البارد ثم الحار عليه بالتناوب . كما انه عذب ايضا بالكهرباء واصيب بالعجز حتى اليوم والندوب مرئية بوضوح على جسده .

٢٤ — المصدر ذاته ١٩٦٩/١١/١٩ ابلغ بشير الخيري محكمة رام الله العسكرية مرة ثانية في جلسات اخرى عقدتها لمحاكمته عن التعذيب الذي تعرض له في سجن القدس . وعندما استجوبه الادعاء حول دعاوى تعذيبه قال للمحكمة « ان الادعاء يقول انه ليس هناك من ضرب وتعذيب في ظل نظام حكمكم . وهو يحاول أن يبين أن شهادتي كذب . انني اسأل هذه المحكمة أن تزور الان سجن رام‌الله الذي لا يبعد من هنا سوى امتار قلائل وسأريها عشرات ممن تعرضوا للتعذيب ينزفون دما وأيديهم مكسورة . اذا كنتم تريدون حقا احقاق العدالة ، استجيبوا لطلبي » . وقد أيدت محاميته ف. لانغر التماسه ولكن جواب المحكمة كان « عليك ان تدافع عن نفسك لا عن الاخرين . ونحن لسنا مهتمين بزيارة السجون » .

٢٥ — المصدر ذاته١٩٧٠/٥/٦ تلخص المحامية ف. لانغر في رسالتها المفتوحة الى وزير الشرطة وعنوانها «اريد الحقيقة ايها السيد وزير الشرطة» حوادث التعذيب التي ابلغت لها خلال الاشهر الستة الماضية :

أ — نقل ان عبد المطلب ابو رميله من القدس قد اصيب بالجنون بعد ثلاثة اشهر من سجنه .

ب — ضرب نعيم الاشهب مرة ثانية ، وقام بضربه هذه المرة السجناء اليهود في سجن شطة ونقل انهم حرضوا على ذلك .

جـ — ادلى عبد الهادي عوده وابو حديدة (انظر ايضا الرقم ١٩) بشهادة في محكمة رام الله العسكرية ورويا ما تعرضا له من تعذيب خلال استجواب البوليس لهما في القدس . وبين ابو حديدة للمحكمة الجروح التي في رأسه . كما روى عن التعذيب الذي تعرض له في سجن صرفند. وتقول ف. لانغر في رسالتها المفتوحة هذه الى وزير الشرطة : يعلم معاليكم بقضية اسحق المراغي . لقد ادلى السيد المراغي باسماء المحققين الذين ضربوه في مركز شرطة القدس ووصف التعذيب الذي تعرض له . (انظر رقم ٢٣) . وقد الغيت التهم الموجهة اليه وهو الان قيد الاعتقال الاداري . ولا يزال عاجزا ولم تلتئم جروح رأسه بعد . وكان قد دعي للادلاء بشهادة في شكاواه حول التعذيب . ولكنه لم يسمح له باستدعاء محاميه ليكون حاضرا عند الادلاء بالشهادة . فكانت هذه نهاية تحقيق الشرطة .

الدكتور اسرائيل شاحاك واوريل دافس

١٩٧٠/٦/٨ (الرئيس) (نائب الرئيس)

(٢) مذكرة الى لجنة الامم المتحدة للتحقيق في اعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة من الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية – تل ابيب

نرسل لكم هذه المذكرة استجابة لاعلانكم في الصحافة الاسرائيلية . وهي كما سترون مبنية على معلومات مستقاة مما نشر في الصحافة الاسرائيلية منذ حزيران ١٩٦٧ ، باستثناء وحيد يتعلق بسجلات حوادث التعذيب في السجون ومعسكرات الشرطة المدنية والعسكرية الاسرائيلية ، فالمعلومات في هذا الموضوع لا يمكن الحصول عليها الا من المعتقلين ومحاميهم .

ان المعلومات المعددة ادناه مختارات من معلومات مسجلة في ملفاتنا ، ونحن على استعداد لتقديم اثباتات كاملة حين يطلب الينا ذلك .

العقوبات الجماعية : نسف البيوت ، الاعتقالات الادارية ، نزع الملكية .

١) ها – آرتس نقلت في ١٩٦٩/٩/٢٤ ان حظر التجول الذي استمر ستة وعشرين يوما لمدة اثنتين وعشرين ساعة في اليوم في منطقة بيت ساحور سيستمر . وان السكان سيتلقون مخصصات الطعام من الوكالة الاجتماعية لسلطات الاحتلال العسكرية .

٢) ها – آرتس نقلت في ١٩٦٩/١٠/٢١ أن سلطات الاحتلال الاسرائيلي نسفت تسعين بيتا في الضفة الغربية في نصف السنة المنصرم .

٣) ها – عولام هازيه نقلت في عددها رقم ١٦٨٠ عام ١٩٦٩ ان ثمانية عشر بيتا في قرية حلحول قرب الخليل قد نسفت ، وان قرى بيت نوبا ويالو وعمواس قرب اللطرون قد محيت تماما ، وان شارعا كاملا (فيه ثمانية بيوت) في غزة قد نسف. وفي هذا المجال قال عضو الكنيست مئير فلنر في الكنيست ذاته ان رئيس بلدية غزة اعلن أن وزير الدفاع موشيه دايان هدده بأنه اذا استمرت المقاومة فان نسف البيوت سيصبح أشد قسوة. « سننسف بيوت شارع واحد اذا وجدنا ذلك ضروريا ، فاذا ساءت الاحوال نسفنا بيوت شارعين ، فاذا استمر الوضع نسفنا بيوت ثلاثة شوارع وحتى حيا بكامله . ولست ارى ضيرا في أن تصبح مدينة غزة صحراء » (محاضر البرلمان الاسرائيلي ١٩٦٩/١٢/١) .

٤) نقلت هاعولام هازيه في عددها رقم ١٩٦٩ (عام ١٩٧٠) أن القرويين في قرى بيت شاحط وبلوطة وبيت ساكريه والسمكة تلقوا في تشرين الاول ١٩٦٩ أمرا من حاكم بيت لحم العسكري باخلاء قراهم . وليس هناك معلومات اخرى في الصحافة الاسرائيلية عما اذا كان الاخلاء قد تم .

٥) نقلت ها – آرتس في ١٩٧٠/٢/١٢ نبأ نسف خمسة وثلاثين بيتا في اليوم السابق ، ثلاثون منها في قرية العوجه شمال اريحا .

٦) نقلت ها – آرتس في ١٩٦٩/٨/٤ أن مقاما مقدسا قد استثني من الاراضي المصادرة المخصصة لمستعمرة بيت زوريم اليهودية في الضفة الغربية. ولا تورد الصحيفة عدد الدونمات التي نزعت ملكيتها . غير ان من الواضح ان المصادرة واسعة بما يكفي اقامة مستعمرة زراعية .

٧) نقلت زوت هاديريخ نبأ اعتقال ثلاثة عشر مشبوها من اريحا اعتقالا اداريا قبل ثلاثة اشهر. ولا يزال هؤلاء في السجن ، رغم أنهم لم يقدموا للمحاكمة ولم توجه لهم أي تهم .

اوضاع السجن والتعذيب

١ – أوردت النشرة رقم واحد التي اصدرتها الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية في نيسان ١٩٧٠ أن خليل رشيد ابو نصره وهو شيخ في التسعين قد القي القبض عليه رهينة لقاء ابنه ، واودع سجن رام الله ثم سجن نابلس حيث توفي في آذار ١٩٧٠ (ان لدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد ان أخذ الرهائن منتشر في الاراضي المحتلة) .

٢ – نقلت زوت هاديريخ في ١٩٧٠/٤/٨ أن عبدالله الخطيب قد أدلى بالمادة عن التعذيب الذي تعرض له في سجن صرفند (معسكر فيه مركز استجواب)، وذلك خلال محاكمته في محكمة الخليل العسكرية . وقال انه قد حرق بالسجائر وابان آثار الحروقات. كما انه عذب بالماء البارد والغاز المسيل للدموع .

٣ – المصدر ذاته ، أفاد نعيم أحمد الجيلاوي في جلسة المحكمة ذاتها أنه قد ضرب مرات عديدة في سجن الخليل ودل على معذبيه الذين كانوا حاضرين في غرفة المحكمة . وتعرف على معذبه الرئيسي الرقيب اول مزراحي من سجن الخليل .

٤ – أوردت النشرة رقم واحد التي اصدرتها الرابطة ان حسن عثمان عيسى الذي القي القبض

عليه في ١٩٦٩/٨/١٩ شكا الى محاميته (السيدة ف. لانغر ، شارع خوريش ، القدس) التعذيب الذي تعرض له في سجن رام الله ، وقال أنه توجب عليه نتيجة التعذيب ان يجري عملية جراحية وفي ١٩٧٠/٣/٤ مثل امام محكمة الاستئناف مع محاميته التي أشارت الى أن قدمه اليسرى والجزء السفلي الايسر من جسده منتفخان جدا وأنه يتحرك بصعوبة بالغة وآلام مبرحة ، وأن قدمه تحت خطر البتر . ولكن محكمة الاستئناف برئاسة الراشد ولفسون رفضت ان تنظر في دعوى تعذيبه قائلة ان ذلك ليس من اختصاصها .

ه — نقلت زوت هاديريخ في ١٩٧٠/١/٧ ان اوضاع السجون في الخليل ونابلس ورام الله سيئة جدا. فليس هناك عدد كاف من الاسرة وينام السجناء بالتناوب . كذلك يحرم الذين سجنوا في الصيف من الملابس الشتوية ويعانون من البرد .

٦ — نقلت يديعوت أحرونوت في ١٩٧٠/٤/٥ أن السجناء المجرمين اليهود في سجن بئر السبع يستخدمون كحرس على السجناء العرب .

استغلال وتجويع السكان المدنيين

١ — نقلت يديعوت أحرونوت في ١٩٦٩/٤/٣٠ أن وزير الدفاع موشيه دايان صرح بما يلي : « لقد رأيت جوعا في غزة ، وهذا لن يعزز صورتنا الجيدة في الخارج » .

٢ — نقلت بيس نيوز (تصدر في انجلترة) عن شاهد عيان يهودي في غزة ، بعد أن أقسم اليمين ، أن « هناك جوعا رهيبا بين الاطفال . ولقد شاهدت أطفالا على استعداد للعمل ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة لقاء ثمن فتات من الخبز » . وهكذا اكتشف الاطباء المسؤولون عن المستشفيات، لعدة شهور خلت أن أمهات الاطفال الذين يدخلون المستشفى جائعات لدرجة انهن لا يستطعن أحيانا كثيرة أن يضبطن أنفسهن عند زيارة اطفالهن فيأكلن بعضا من طعام الاطفال » .

٣ — نشرت آل « صانداي تايمس » في ١٩٦٩/١١/٢٢ تقريرا من مراسلها دافيد ليتش الذي زار غزة بنفسه يقول أن « عمالا صحيين محايدين في المنطقة قالوا أنهم كثيرا ما رأوا ذلك (انظر الفقرة رقم ٢) يحدث . وأضافوا أنهم « ما لبثوا أن أصبحوا يرون فيه أثرا عاديا » .

٤ — قالت هاعولام هازيه في العدد رقم ١٧٠٣ (١٩٧٠) أن رئيسة ممرضات اسرائيلية في العريش ابلغت مراسلها أن مما يبعث على القنوط أن الاطفال العرب يخرجون من المستشفى أصحاء ليعودوا بعد فترة وجيزة مصابين بسوء تغذية حاد .

ه — قالت « معاريف » في ١٩٧٠/١/١٤ أن قطاع غزة خزان للعمل الرخيص ، وأن ملاك بساتين الحمضيات المحليين يعانون من نقص العمال — لان جميع هؤلاء يستخدمون في اسرائيل في سوق العمل الاسود الرخيص — وهم لذلك يستخدمون أطفالا في العاشرة لقاء أجر لا يذكر . وتقول الصحيفة أنه لا يمكن لرب عائلة ان يقيت نفسه وعائلته الا اذا عمل معه اولاده وزوجته .

وتقول « بيس نيوز » في التاريخ ذاته أن أجر العامل العربي من الاراضي المحتلة ، الذي يستخدم في اسرائيل ، يخفض تخفيضا مريعا بواسطة اجراءات ادارية . فأجر العامل العربي والعامل اليهودي هو ذاته اسميا . غير أن العرب لا يتلقون أجورهم مباشرة بل من خلال الحاكم العسكري للمنطقة التي يعيشون فيها ، فيقوم هذا بحسم ما يربو على نصف الاجر . « ... الاجر الاسمي للعامل الزراعي في اسرائيل هو ١٥٫٧٥ ليرة اسرائيلية يحسم منها ٤٫٥ ليرة اسرائيلية للضمان الاجتماعي والتأمين الصحي و٢٫٢ للنقل (ينقل العمال في العادة يوميا في سيارات شاحنة من الاراضي المحتلة الى أماكن في اسرائيل يستغرق السفر اليها ثلاث الى اربع ساعات ذهابا ومثلها ايابا) ثم يحسم ٢٫٢ ليرة اسرائيلية للتنظيم . بذلك يصبح الاجر الفعلي للعامل العربي ٧٫٢٥ ليرة اسرائيلية فقط في اليوم الواحد ، وهو لا يتمتع بأي شكل بالتأمين الصحي والضمانات الاجتماعية (انظر ايضا يديعوت احرونوت ١٩٦٩/٧/١١ ، بواز ايفرون « كيف تهضم حجرا ») .

هذه مختارات من المعلومات الرسمية الواسعة التي تنشر في اسرائيل . ونحن لا نشك أن الوضع أسوأ بكثير مما يسمح بنشره . ان الاحتلال الاسرائيلي، مثل أي احتلال ماض أو راهن ، قاس يسحق الشعب الفلسطيني تحت وطأته عامدا ، ويخرق أكثر حقوق الانسان أساسية ، وهو الذي يلتزم بها اسميا .

الدكتور اسرائيل شاهان واوريل دافس

١٩٧٠/٤/٢٤ (الرئيس) (نائب الرئيس)

(٣) نشرة رقم ١ للرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ـ تل أبيب

مقدمة طبقا للقرار الذي اتخذه الاجتماع العام الذي عقدته الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ، ستبدأ الرابطة في نشر كل الاعمال التي تنتهك هذه الحقوق في اسرائيل والاراضي المحتلة. وسننشر في هذه البلاغات شكاوى المقاسين وسنطالب بتحقيق مستقل وبارضاء المكايدين . اننا نهيب بك يا مواطن اسرائيل ، وبكل انسان ذي ضمير في الخارج ، أن تساعدنا في مطالبنا هذه . سنسرد في هذا البلاغ أربع حالات تتعلق بالاراضي المحتلة واربع حالات أخرى تتعلق بمواطنين اسرائيليين .

١ ـ اسحق المراغي ، من القدس الشرقية ، سجن في آذار ١٩٦٩ . يشكو أنه عذب في سجن القدس بالطريقة التالية : علق من قدميه ورأسه مدلى ، ثم جلد وهو كذلك بالسياط وضرب على رأسه بعصا . وفي مرات أخرى عذب بالكهرباء ، وبسكب الماء البارد والحار عليه بالتبادل . ويجب ان نضيف ان اسحق المراغي لا يزال عاجزا حتى يومنا هذا ، وتمكن رؤية جراح رأسه بوضوح.

٢ ـ حسن عثمان عيسى ، من بيت لحم ، ألقي القبض عليه في ١٩٦٩/٨/١٩ . لم تعلم عنه عائلته ولا محاميته (السيدة ف. لانغر) شيئا لمدة تقارب الشهر . وفي مقابلته الاولى مع محاميته في ١٤/١٠/ ١٩٦٩ ، شكا تعذيبه في سجن رام الله . حتى ان عملية جراحية اجريت له بسبب التعذيب . ولم يسمح لحسن عثمان عيسى بعد هذا الاجتماع برؤية محاميته حتى ١٩٧٠/٣/٤ . وفي هذه المقابلة ، لاحظت السيدة لانغر أن حسن عثمان عيسى في حالة جسدية سيئة جدا . فقدمه اليسرى والجزء السفلي الايسر من ظهره منتفخان ، لدرجة انه لا يكاد يقوى على الحركة ، وقد تكون رجله تحت خطر البتر . وقد رفضت محكمة الاستئناف برئاسة الرائد ولفسون أن تنظر في شكاوى محامية حسن عثمان عيسى ، قائلة أن هذا ليس من شأنها . اننا نسألك ، يا مواطن اسرائيل ونسأل كل رجل ذي ضمير في الخارج : « أهذا من شأنك ؟ » .

٣ ـ نعيم الاشهب ، من القدس الشرقية ، احتجز اكثر من سنة دون تهمة . اقترح عليه ان يطلق سراحه **شرط ان يوافق على الهجرة ولا يعود ابدا** . وقبل شهرين جرحه أحد السجناء اليهود جرحا بالغا في سجن شطة السيء السمعة . ويجب أن نلاحظ ان نائب مدير السجن قد حذر مرات عديدة مقدما من أن نعيم الاشهب سيجرح ، ولكنه لم يتخذ اي احتياطات .

٤ ـ خليل رشيد ابو نصره ، من بيت لحم ، شيخ في التسعين(!) ، قبض عليه كرهينة لقاء ابنه (هذا أمر يحدث عادة في الاراضي المحتلة) . أودع سجن رام الله ثم سجن نابلس حيث توفي هناك في بداية اذار ١٩٧٠ .

وفيما يلي نورد حالات أربع من مواطني اسرائيل

١ ـ فوزي الاسمر ، من اللد ، شاعر معروف وصحافي . أودع السجن دون تهمة مدة تنوف عن ثمانية اشهر . وقد مدد الحكم الاداري الصادر بحقه عدة مرات . تشير عليه السلطات أن يغادر البلد نهائيا .

٢ ـ صبري جريس ، من حيفا . كاتب معروف ومؤلف كتاب « العرب في اسرائيل » . أودع السجن دون تهمة .

سنقوم في بلاغاتنا القادمة بنشر حالات أخرى من سجن وتقييد واضطهاد الانتلجنسيا العربية في اسرائيل . ونحن نفترض أن هذه السياسة متعمدة. ان الحالتين الاخيرتين تقودان الى قضية قديمة هي قضية « الغائب ـ الحاضر » . وسنشرح هذا المصطلح الكافكي (نسبة الى كافكا) لمن لا يفهمونه. (الغائب ـ الحاضر)، هم مواطنو اسرائيل (عرب فقط) الذين اعتبروا قانونيا غائبين ، بينما هم حاضرون جسديا (وذلك دون اجراءات قانونية). والغرض من ذلك سلبهم ممتلكاتهم . اننا نعتبر هذا السطو انتهاكا للحقوق الانسانية الاساسية ، وتكريس هذا السطو بقانون رسمي يجعله في نظرنا مقيتا اكثر . سنقوم في بلاغاتنا القادمة بوصف كثير جدا من قضايا هؤلاء الغائبين ـ الحاضرين ، الذين اغتصبت ممتلكاتهم ، بادئين بالقضايا التالية:

٣ ـ رؤوف عون الله، (غائب حاضر)، من الناصرة وأب لاحد عشر طفلا . كان يملك ٣٠٠ دونم من الارض في اكسال (قرية قرب الناصرة) ، صودرت جميعا .

٤ ـ المحامي حنا نقاره، (غائب حاضر) من حيفا. صودرت مكتبته التي تحوي كثيرا من الكتب النفيسة طبقا لقانون (الغائب ـ الحاضر) .

البنك العربي (المحدود)

يدخل عامه الحادي والاربعين مسجلا ارقاما جديدة في الارباح والاحتياطي مستمرا في اداء رسالته مع تحفظه الشديد وتقيده بالاسس المصرفية الصحيحة

البنك العربي المحدود

الميزانية العامة كما هي في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩

الموجودات	١٩٦٩ دينار	١٩٦٨ دينار
نقد في الصندوق والبنوك	٦٣،٤٣٩،٨٠٨	٦٨،٦٨٧،٦٩٣
سندات حكومية	٥،٩٠٤،٧٣٨	٢،٩٠٢،٤٩٤
اسهم شركات ومشاركات		
في مؤسسات تابعة	١،٤٤١،٩٢٢	١،٤٣٠،٢٩٥
اوراق مخصومة	٦،٠٧٧،٦٨٣	٦،٦٠١،٨١٩
حسابات مدينة	٣٧،٧٢٤،٧٧٤	٣٦،٣١٢،٤٠١
عقارات (بعد الاستهلاك)	١،٣٠٥،٨١٥	١،٥٠٤،٧٣٥
اثاث (بعد الاستهلاك)	٤٧٦،٧٠٧	٥١٧،٨٠٢
تعهدات العملاء مقابل كفالات		
واعتمادات وكبيالات مقبولة (ما يقابل)	٢٤،٤١٦،٣١٢	٣٢،٣١٨،٤٩٣
موجودات اخرى	٥،٠٥٤،٩٣٣	٤،٨٩٨،٠٧٤
مجموع الموجودات	١٤٥،٨٣٧،٣٩٢	١٥٥،١٧٣،٤٩٦

المطلوبات	١٩٦٩ دينار	١٩٦٨ دينار
ودائع وحسابات اخرى	١٠٦،٠٥٧،٧٧٠	١٠٨،٨١٨،٣١٣
رأس المال المدفوع كاملا :		
٥٥٠٠٠٠٠ سهم (القيمة الاسمية للسهم الواحد ١٠ دنانير)	٥،٥٠٠،٠٠٠	٥،٥٠٠،٠٠٠
الاحتياطي الاجباري	٢،٤٥٠،٠٠٠	٢،٢٧٥،٠٠٠
الاحتياطي الاختياري	٤٨٦،٣٥٠	١٣٩،٦٧٠
الاحتياطي الخاص والديون المشكوك فيها	٥،٦٠٠،٠٠٠	٥،٣٠٠،٠٠٠
كفالات واعتمادات وكبيالات مقبولة (ما يقابل)	٢٤،٤١٦،٣١٢	٣٢،٣١٨،٤٩٣
صافي الارباح للتوزيع	٨٣٦،٩٩٠	٨٢٢،٢٥٠
مجموع المطلوبات	١٤٥،٨٣٧،٣٩٢	١٥٥،١٧٣،٤٩٦

الدينار الاردني يساوي ٨٧٥ قرشا لبنانيا تقريبا

البنك العربي (في الخارج) المحدود

الميزانية كما هي في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩

الموجودات	١٩٦٩ فرنك سويسري	١٩٦٨ فرنك سويسري
النقد في الصندوق والبنوك	٤١٥،٥٤٢،٢٤٠	٣٢٦،٩٨١،٥٣٤
كمبيالات مخصومة	٦،٦١٥،٥٠٠	٣،٩٦٢،٨٩٨
حسابات مدينة للعملاء	٢٨،٢٩٠،٢٠٩	٢٤،٦٣١،٩٨٧
سلفيات مقابل رهن	٩٠٠،٠٠٠	٧٤٠،٠٠٠
سندات حكومية	٥،٠٣٧،٣٤٣	٥،٢٩٤،٤٠٠
موجودات اخرى	٨٨٧،٤٠٢	٧٦٠،٩٤٣
مجموع الموجودات	٤٥٧،٧٧٢،٦٩٤	٣٦٢،٣٧١،٨١٧
تعهدات العملاء مقابل كفالات		
واعتمادات (ما يقابل)	١١،٧٧٨،١٤٦	٤٠،٢١٩،١٥٠

المطلوبات	١٩٦٩ فرنك سويسري	١٩٦٨ فرنك سويسري
الودائع	٤٢١،٧٦٠،٧٤٥	٣٣٩،٦١٥،٣١٦
مطلوبات اخرى	١،٤٩٠،٩٥٦	٦٠٢،٣٦٦
رأس المال والاحتياطيات		
رأس المال (مدفوع كاملا)	٢٦،٤٠٠،٠٠٠	١٦،٤٠٠،٠٠٠
الاحتياطي الاجباري	٢،٧٥٠،٠٠٠	٢،٥٠٠،٠٠٠
الاحتياطي الخاص	٣،٠٠٠،٠٠٠	١،٥٠٠،٠٠٠
الربح الصافي	٢،٣٧٠،٩٩٣	١،٧٥٤،١٣٥
مجموع المطلوبات	٤٥٧،٧٧٢،٦٩٤	٣٦٢،٣٧١،٨١٧
كفالات واعتمادات (ما يقابل)	١١،٧٧٨،١٤٦	٤٠،٢١٩،١٥٠

الفرنك السويسري يساوي ٧٠ قرشا لبنانيا تقريبا

الفروع والمؤسسات التابعة والشقيقة

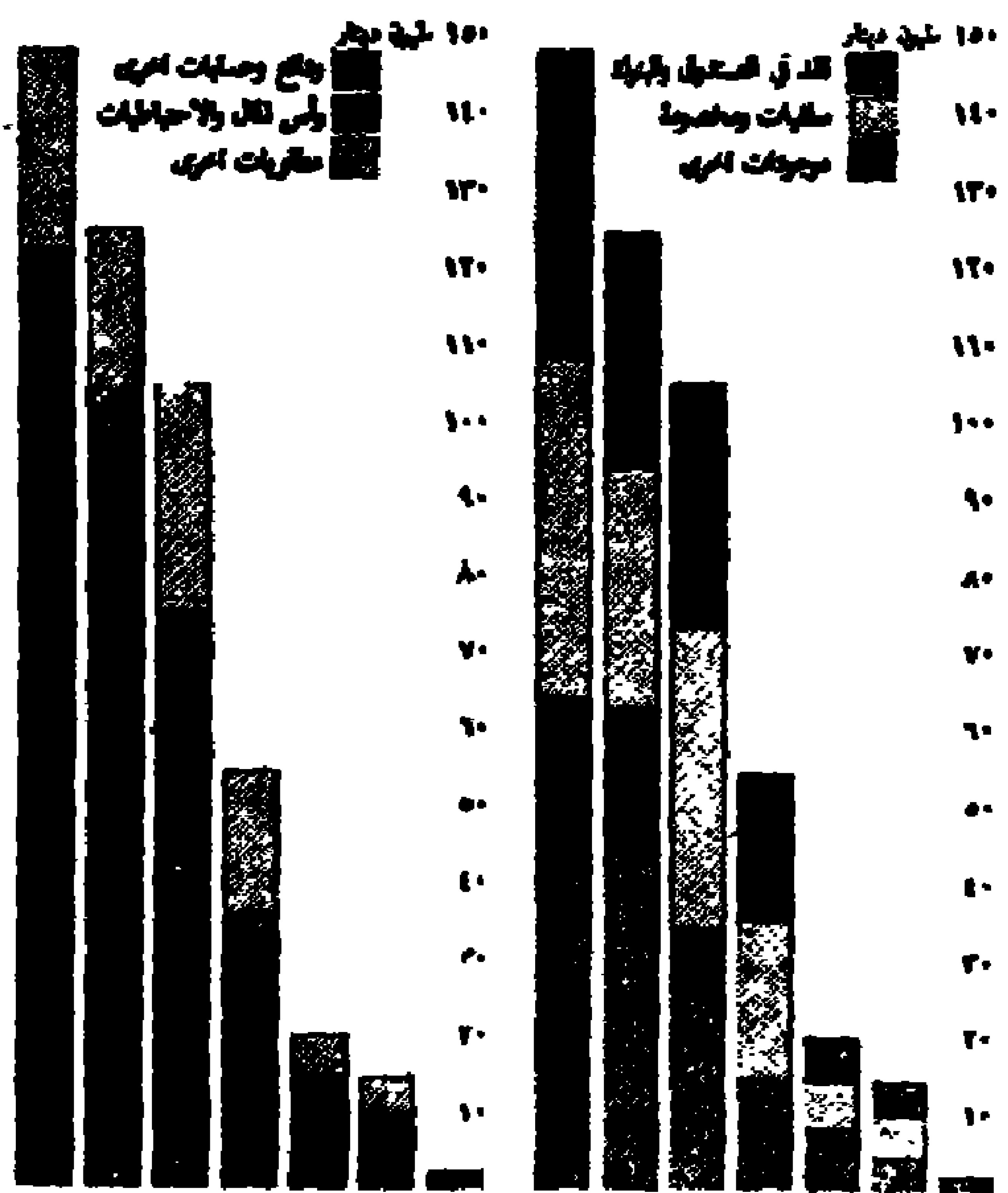
* ان مؤسسة البنك العربي منذ تأسيسها لم تعمل لصالح فرد معين او بلد واحد بل اسست لخدمة الاقطار العربية جمعاء. فانتشرت فروعها في الوطن العربي الكبير من المحيط الى الخليج وأفسحت المجال للمواطنين العرب من مختلف اقطارهم ليساهموا في المؤسسة التي اصبح يملكها ما يقرب من ٢٥٠٠ مساهم.

* اما بالنسبة للفروع الجديدة تحت التأسيس فلقد حصل البنك على اذن من حاكم امارة ابو ظبي لافتتاح فرع في مدينة ابو ظبي. كذلك افتتح فرع جديد في مدينة دبي وهناك اذن لفتح فرع في امارة عجمان في الخليج العربي. وسيفتح البنك فرعا جديدا في جبل الويبدة بمدينة عمان ليخفف الضغط عن الفرع الرئيسي.

* وجدير بالذكر انه اصبح للبنك العربي بالاضافة الى فروعه مؤسسات تابعة وهي البنك العربي (نيجيريا) المحدود في لاغوس وكانو. والبنك العربي ش.م. في فرانكفورت المانيا. اما المؤسسات الشقيقة فهي مصرف العروبة في طرابلس وبنغازي في الجمهورية العربية الليبية التي يملك البنك العربي ٤٩٪ من اسهمه. وكذلك البنك العربي (في الخارج) المحدود في زوريخ وجنيف.

* وقد جرت خلال عام ١٩٦٩ دراسات واتصالات لتأسيس اتحاد بنوك عربية وافرنسية برأسمال قدره مائة مليون فرنك فرنسي جديد ساهم البنك العربي بتسعة ملايين فرنك من اصل رأسمال هذا البنك العربي الافرنسي الذي تم التوقيع على بروتوكول تأسيسه في باريس في اوائل عام ١٩٧٠.

تطور الميزانية العامة للبنك العربي المحدود



أضواء وحقائق

* بالرغم من توتر الحالة في البلاد العربية ارتفعت ايرادات البنك العربي عام ١٩٦٩ فبلغت ٨،٤١٣،٠٩٤ دينار محققة زيادة قدرها ٩٠٤،٥٥٢ دينار عن العام السابق. فاصبح مجموع رأس المال المدفوع بالكامل والاحتياطيات المؤسستين الاردنية والسويسرية ما يعادل ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية بعد اضافة حوالي ٩،٠٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية الى الاحتياطيات.

كذلك لم تنقص او تتأثر كثيرا البنود المهمة في ميزانية البنك العربي على الرغم من اشتداد المنافسة وتعاقب الازمات. وقد بلغت الودائع ١٠٦،٠٥٧،٧٧٠ دينار (حوالي ٩٣٥،٠٠٠،٠٠٠ ليرة لبنانية) بدلا من ١٠٨،٨١٨،٣١٣ دينار للسنة السابقة والنقص الطفيف الذي حدث في بعض البنود في نهاية ١٩٦٩ ناتج عن عدم ادراج ارقام ميزانية فرعنا في عدن لتأميمه وانتقال فرعينا في الجمهورية العربية الليبية الى المؤسسة الليبية الجديدة تحت اسم «مصرف العروبة» التي يملك البنك العربي منها ٤٩٪ والباقي للحكومة الليبية.

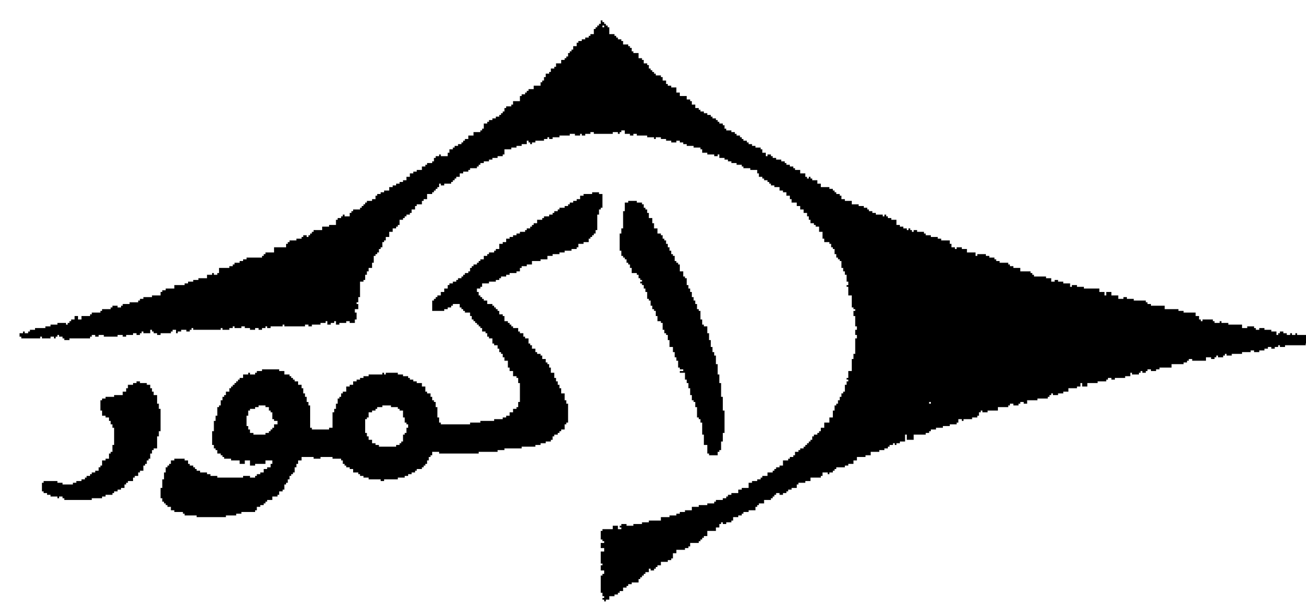
* سجلت الودائع رقما قياسيا لدى المؤسسة السويسرية الشقيقة والبنك العربي في الخارج، حيث زادت الودائع من ٣٣٩ مليون فرنك سويسري في العام الماضي الى ٤٢٢ مليون فرنك في نهاية هذا العام اي بزيادة قدرها ٢٨٪.

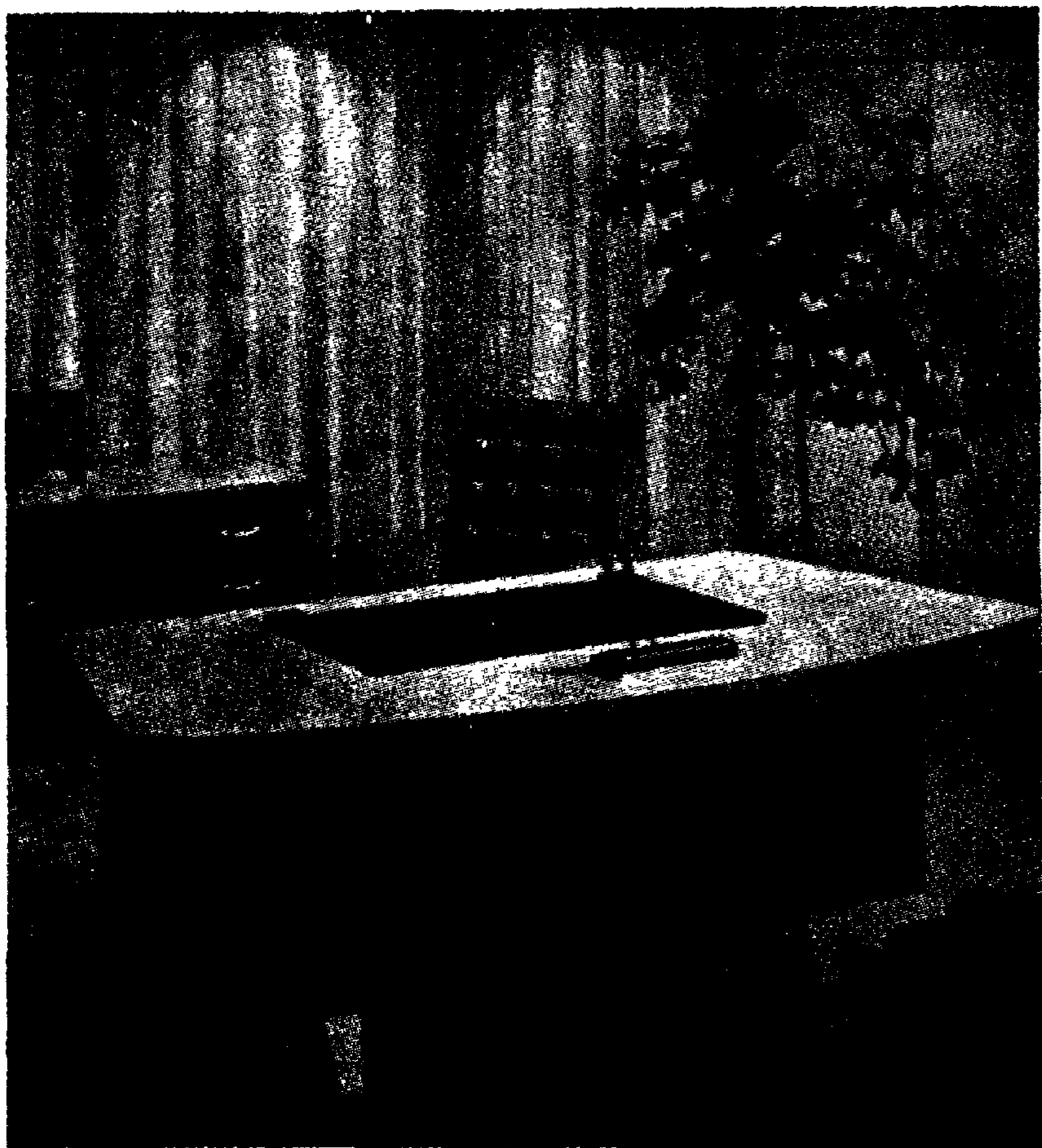
* درج البنك العربي على سياسة للمحافظة على نسبة سيولة عالية. بلغت (نسبة النقد للودائع) في نهاية ١٩٦٩ حوالي ٦٠ بالمئة. ولو اخذنا بالاعتبار السندات الحكومية والاسهم التي تعتبر اموالا سائلة لارتفعت نسبة السيولة الى نحو ٦٦ بالمئة.

* في لبنان استمرت فروع البنك العربي في اداء رسالتها رغم المنافسة الاجنبية وانتقال رؤوس الاموال العربية الى الخارج بسبب ارتفاع الفوائد. وقد بلغت الودائع في فروع لبنان ٣٨٤،٨٥٦،٩٢١ ليرة لبنانية.

يوجد في البناء الحديث الذي يشغل فرع البنك العربي المحدود في بيروت جزءا منه محلات ومكاتب وطوابق معدة للايجار تنفرد بمدخل خاص ومصاعد مستقلة ومرآب (كراج) كبير يتسع لسيارات المستأجرين والعملاء. ولقد اصبح هذا البناء مركزا للبنوك ولشركات الطيران العالمية. ولا يزال فيه مجال لتأجير مكاتب لمختلف الاعمال. اما الجزء الخاص بالبنك العربي فقد زود بأحدث المكيفات وأجمل الاثاث. ويغرف محصنة معدة للايجار تقع في الطابق الرابع تحت سطح الارض. وبصناديق فولاذية موجودة ايضا في غرف محصنة وهي معدة للايجار لمن يرغب من الافراد والشركات

ارقام الهاتف ١٠/٢٥٠٢٤٠ خطوط ٩/٢٥١١٥١ خطوط


اكمور




ACMOR

مع أطيب التمنيات

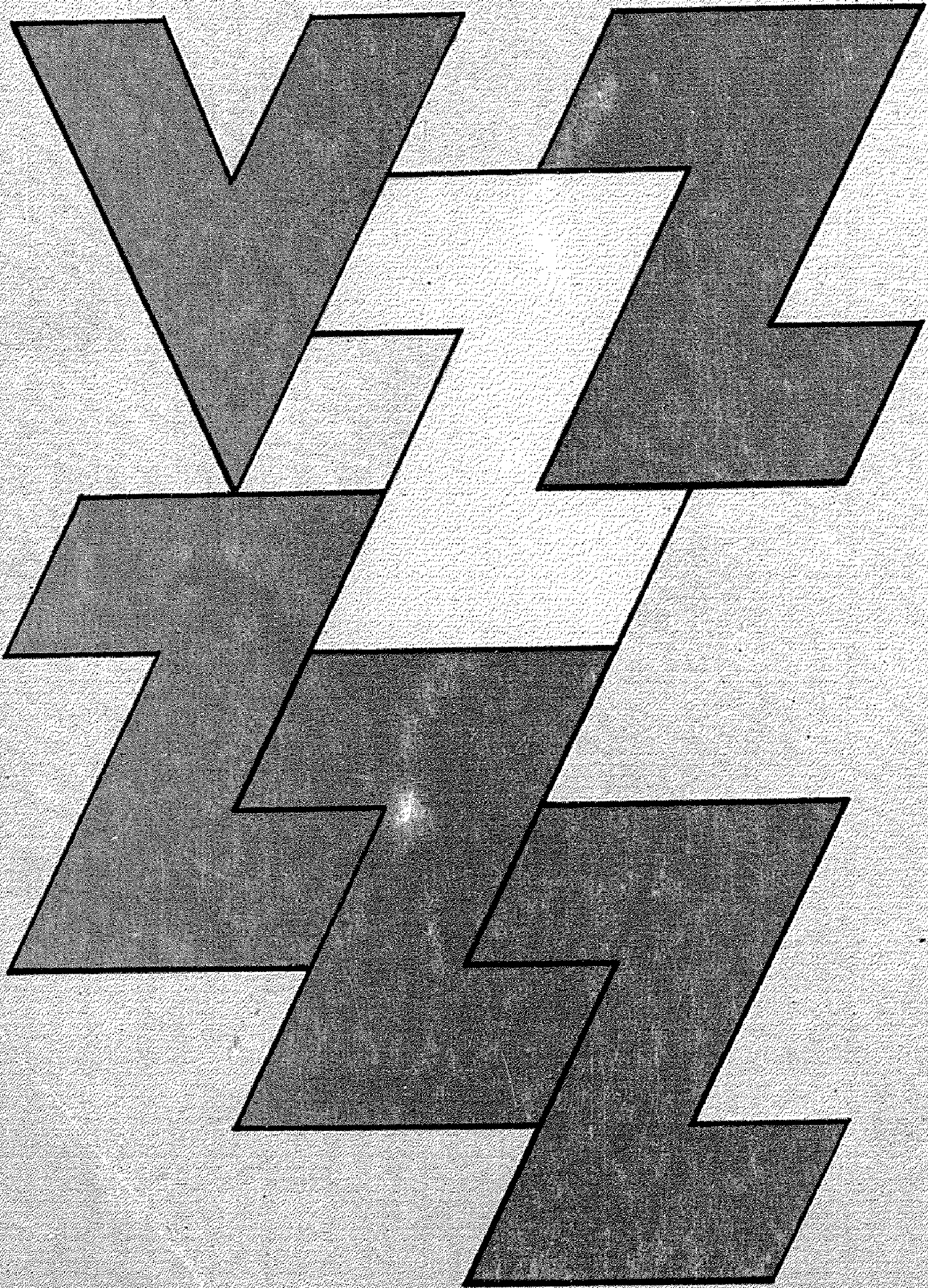
طبع في مؤسسة منطورة للطباعة

تلفون : ٢٤١٤٧٠

شؤون فلسطينية

٢

ايـــار (مايو) ١٩٧١



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: الدكتور انيس صايغ

رقم ٢ ايار (مايو) ١٩٧١

دورية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر ست مرات في السنة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية مكارم وابو عزالدين شارع كولمباني (متفرع من السادات)، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون ٢٩٣٧٧٨ مؤقتا ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد ٤ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي، ٢/١ ٢ دولار في الخارج.

الاشتراك السنوي ٢٥ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي ١٥ دولارا في الخارج (بريد جوي) .

PALESTINE AFFAIRS

A bimonthly journal published in Arabic by the palestine Research Center

Editor : Dr. Anis Sayegh

Address : P. O. B. 1691, Beirut, Lebanon, Tel. 293778, cables, MARABHATH

Subscriptions : 25 Lebanese Pounds in the Arab World
and $ 15 abroad (by air mail)

المحتويات

١٧٩ **مراجعات** : النوافذ التي تفتحها القنابل ، وسام على صدر المليشيا، الخروج من البحر الميت ، خماسية الموت والحياة: فوزي كريم [الشاعر العراقي]. عرس فلسطيني ، السفينة ، ذكرى الايام الماضية : محمود الريماوي [محرر الصفحة الادبية في مجلة الهدف] . اسرائيل والعالم العربي : خيرية قاسمية [المؤرخة ومستشارة الوثائق في م. أ.] . تفسير شاتام هاوس : جورج جبور [احد مستشاري رئاسة الجمهورية العربية السورية] . واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة : د. محمد المجذوب [استاذ القانون الدولي في الجامعة اللبنانية] . التلمود والصهيونية : ص.ج.ع. لماذا قتل روبرت كنيدي : ثريا انطونيوس [خبيرة اعلامية في جمعية الخامس من حزيران] . تاريخ فلسطين الحديث : ن.ع.

٢٠٠ **فلسطينيات** : (١) اجتماع اللجنة التنفيذية والمؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي في تشكوسلوفاكيا : شريف الحسيني [باحث اعلامي في مركز التخطيط] . (٢) ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت : وجهتا نظر : منح الصلح ، وفواز ناجيا [رئيس الندوة ، وأحد اعلاميي الثورة الفلسطينية] : (٣) المعرض الاول للجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني : جويس القاضي [الباحثة في م. أ.] . (٤) الحلقة الدراسية لاتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة حول عنصرية اسرائيل : حبيب قهوجي [مستشار القسم العبري في م. أ. ، ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة] . (٥) انطباعات حول جولة اعلامية في أوربا : د. يوجين مخلوف [الاعلامي الفلسطيني وعضو سكرتيرية الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين] . (٦) دار فلسطين في واشنطن : جورج حشمة [رئيس تحرير مجلة مد ايست الاميركية في واشنطن] .

٢١٧ **خمسة تقارير من الخارج ورسالة من غزة** : (١) هولندا : انصار العرب ومواقفهم من مقترحات روجرز : عقيل هاشم [رئيس القسم العربي في الاذاعة الهولندية] . (٢) فرنسا : لجان المناصرة أمام مشاريع الحل السلمي : وائل زياد [اعلامي فلسطيني في باريس] . (٣) كندا : العقلية الصهيونية الجديدة : د. جورج حجار [استاذ العلوم السياسية في كندا]. (٤) الولايات المتحدة : التنظيمات الاميركية وفلسطين : مراسلنا في الولايات المتحدة . (٥) بلجيكا : مؤتمر بروكسل ويهود الاتحاد السوفياتي : داود تلحمي [باحث واعلامي فلسطيني في باريس]. (٦) رسالة من غزة : ا.ع.

٢٤٢ **مرافعة سينمائي عربي من أجل خلق حركة سينمائية جديدة في العالم العربي** : ف. المنصور [أديب وسينمائي عربي] .

٢٥٠ **بيان أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الادنى التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الاميركي (الكونغرس ٩١)** : د. وليم ت. مالسون (الابن) [استاذ القانون في جامعة جورج واشنطون في واشنطون]

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

لم يكن احد منا ، من اسرة شؤون فلسطينية ، يتوقع هذا النجاح الذي لقيه العدد الاول — حتى ولا أكثرنا تفاؤلا وثقة بالنفس . ولا اقصد بالنجاح نفاد جميع النسخ التي وزعت على الاسواق العربية وفي حوالي خمسة أسابيع ، ولا عبارات الاعجاب والثناء التي سمعناها والتي قرأناها من مئات الاخوان ، كتّابا وقراء ، فحسب ، بل اقصد ما هو أكثر دلالة على النجاح واكثر مدعاة للرضى — أعني به الشعور الذاتي ، الداخلي ، في نفوس سائر العاملين في شؤون فلسطينية ولها (محررين وكتابا ومراسلين) بأن ما صدر عنا انما هو بعض ما نريد ان نفعل وانما هو تحقيق ، ولو ليس كاملا ، لبعض ما كنا نخطط له ونرجوه : وهو انشاء منبر حر ورفيع ونقي للفكر العربي في الشؤون الفلسطينية المختلفة . فقد شعر كل واحد منا اننا قلنا شيئا من الكلام الذي أردنا ان نقوله واننا عبرنا عن امنية طالما جاشت بصدورنا . لكن ما أسعدنا أكثر من ذلك هو أننا شعرنا ان هذا الكلام كان الكثيرون غيرنا يريدون ان يقولوه وان هذه الامنية جاشت في صدور الكثيرين غيرنا . وما أن صدر العدد الاول، وطالعه قراؤنا واعلمونا بآرائهم ، حتى شعرنا أنه تحقيق لرغبات الكثيرين وليس لرغبات عدد محدود من الكتاب والباحثين العرب العاملين في شؤون فلسطينية . من هنا نشعر ان المحاولة كانت ناجحة ، ولو جزئيا ، وانها خطوة نحو المزيد من اداء الرسالة . ولكن هذا يعني اننا أصبحنا نحس بواجب اضخم في متابعة الرسالة ، اي بضرورة استمرار الدورية ، وبضرورة تصاعدها وتوثبها حتى تصبح تحقيقا كاملا لاماني المثقفين العرب وحتى تؤدي الرسالة اداء كاملا . وبالطبع ، يعني هذا توقع المزيد من الجهد . وهذا تأكيد للوعد الذي قطعناه في العدد الاول ، بأن تمضي الدورية في حمل الرسالة المطلوب منها حملها ، دون حساب للجهد ودون تراجع أمام الصعاب ودون هلع من المشاكل ، وما أكثرها . لكن مشكلة واحدة تغلبت علينا وفرضت نفسها بالقوة . وهي اننا اكتشفنا ، متأخرين (أي بعد صدور العدد الاول وبدء العمل في توزيعه) أن اجور البريد الجوي في الوطن العربي ارتفعت بشكل ملحوظ مؤخرا بحيث أصبح نقل العدد الواحد يكلف ، من لبنان الى معظم الدول العربية ، ما يزيد على ليرة لبنانية واحدة (واحيانا يصل الى ليرة ونصف) أي أن تكلفة نقل العدد الواحد تصل الى نصف ثمن العدد ، وذلك بسبب حجم المجلة الكبير (٢٤٠ صفحة للعدد الاول ، واكثر من ذلك لهذا العدد). مما جعلنا نقف أمام واحد من أمرين : أما ان نخفض صفحات العدد الواحد تخفيضا بارزا (ثمانين صفحة على الاقل) وما يستتبعه التخفيض في الحجم من حذف حوالي أربع او خمس مقالات في كل عدد ، او أن نحافظ على الحجم (ونزيده قليلا ، اذا دعت الضرورة) ولكن نطلب في الوقت نفسه من القارىء ان يدفع ثمن ذلك ليرة لبناية واحدة ، او ما يساويها ، في العدد الواحد . نجاح العدد الاول ، وتقبل المواطنين له ، وعبارات الشكر التي سمعناها او قرأناها ، شجعنا كله على اللجوء الى الحل الثاني ، مقتنعين ان القارىء يفضل ان يرفع السعر من ثلاث ليرات الى أربع ، للعدد الواحد ، على أن يوفر هذه الليرة ويخسر ثمانين صفحة . ونحن اذ نعي المصاعب الادارية التي ستنتج عن رفع السعر والاشتراك السنوي ، واذ نعتذر للجميع ، نعد القارىء بأنه لن يندم ، بعد أن يكون قد أنهى مطالعة العدد ، على أنه أعطى البائع ليرة لبنانية واحدة زيادة عن السابق .

فلسطين الغد

الدكتور نبيل شعث

منذ سنتين تكلم مندوب فتح الى مؤتمر القاهرة لنصرة الشعوب العربية فأعلن باسم الثورة الفلسطينية « نحن نقاتل اليوم في سبيل اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم ... مسلمين ومسيحيين ويهودا في مجتمع ديمقراطي تقدمي ، ويمارسون عباداتهم واعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية » وأردف البيان قائلا « ان ثورتنا الفلسطينية لتفتح قلبها وفكرها لكل بني الانسان الذين يريدون أن يعيشوا في المجتمع الفلسطيني الحر الديمقراطي وان يناضلوا في سبيله بصرف النظر عن اللون أو الدين او العرق »(١). وتبع هذا البيان بيان ادلت به الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين وآخر أدلت به الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعدد آخر من البيانات ادلت به فتح . وكان بيان القاهرة هذا أول اعلان صريح كامل عن مفهوم حركة المقاومة الجديد لفلسطين الغد . لكن هذا المفهوم لم يكن بالتأكيد رؤيا جديدة تماما ، فقد كان الفلسطينيون منذ الثلاثينات من هذا القرن يأملون في اقامة دولة فلسطينية موحدة ديمقراطية متعددة الاجناس تضمهم والمستوطنين اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين . وقد ورد ذلك في الشهادة المقدمة الى لجنة بيل عام ١٩٣٧ وكررته وفود رسمية الى المؤتمرات . وذكر للمرة الاخيرة في العام ١٩٤٨ خلال وساطة برنادوت(٢). غير أن طرد الفلسطينيين العرب من وطنهم الى ارض الشتات المأسوية قضى على هذه الرؤيا وعلى التسامح الذي تشتمل عليه . وأصبح حلم الفلسطيني منذ العام ١٩٤٨ حتى العام ١٩٦٨ « العودة » الى الفردوس المفقود وانقاذ هويته القومية من الدمار والذوبان الكاملين . اما بالنسبة للفلسطيني الذي بقي في ارضه ، فقد اصبحت رؤياه الخلاص من الاضطهاد ومن كونه مواطنا من الدرجة الثانية ومن العبودية الاقتصادية والسياسية . كان المعذّب والمضطهد ، بالنسبة للفلسطينيين المشردين في الشتات او الخاضعين للحكم الاسرائيلي ، يهوديا ، فالعضوية في الهستدروت او الكيبوتز أو الموشاف تقتصر على اليهود ، واصحاب الارض يطردون منها لتتسع لليهود ، وقانون العودة يعطي حق المواطنة فورا لليهود الذين يأتون من اي جزء من أجزاء العالم ولليهود فقط . ولم يكن دايان يفعل شيئا غير تكرار الادعاءات القديمة عندما قال في العام ١٩٦٧ : « اننا نريد دولة يهودية مثلما يريد الفرنسيون دولة فرنسية »(٣). وقد كانت الدولة اليهودية تدعم بالاموال اليهودية والمهاجرين اليهود والنفوذ السياسي اليهودي وبالتعصب اليهودي. واثناء ذلك ، كانت خطط الدولة اليهودية تتجاهل الفلسطيني العربي . فقد كان هناك ، بالنسبة لاسرائيل زانغويل ولحاييم وايزمان من بعده « بلد يدعى فلسطين ، بلد بلا شعب ... »(٤). ويلاحظ اوري افنيري أن هرتزل لم يذكر عرب فلسطين مرة واحدة في كتابه « الدولة اليهودية » ، فقد كان العربي ، بالنسبة لهرتزل ، « الرجل غير المنظور »(٥). وقد أجاب حاييم وايزمان على سؤال وجهه له البرت اينشتاين بغضب

« اي عرب ؟ انهم لا يكاد يكون لهم أثر »(٦). وباللهجة ذاتها اجابت جولدا مئير مراسل التايمز اللندنية في العام ١٩٦٩ بقولها « أي فلسطينيين ؟ انهم لم يوجدوا البتة »(٧).
ويلاحظ ستون في العام ١٩٦٧ أن الارهاب اليهودي « شجع العرب على مغادرة مناطق كان اليهود يرغبون في الاستيلاء عليها لاسباب استراتيجية او ديموغرافية . وقد حاولوا أن يجعلوا من اسرائيل بلدا محررا من العرب وخاليا منهم بقدر الامكان »(٨). وفي العام ١٨٩٥ كان هرتزل يبحث في مهام يعطيها للاهلين ، أي عرب فلسطين ، مثل القضاء على الحيوانات المتوحشة وتجفيف المستنقعات قبل ان يدفعهم خارج فلسطين بسرية واحتراس(٩). وفي العام ١٩٧٠ كانت المناقشة تجري في تل أبيب حول السرعة التي يجب أن تهود بها القدس وتجعل خلوا من العرب .
لا عجب ، والحالة هذه ، أن يكون توكيد الميثاق الوطني الفلسطيني ، الذي أصدر في العام ١٩٦٤ وعدل في العام ١٩٦٨ ، منصبا على كلمة عربي . فهذا الميثاق صرخة معذبة من أجل البقاء القومي في وجه المذبحة والاضطهاد العرقي ، واعادة تأكيد على الحقوق الاولية الاساسية ، حقوق شعب مضطهد في مقاومة مضطهديه . لكن الميثاق الوطني لم يقدم صورة واضحة لفلسطين المستقبل لا سيما في معالجته لحقوق المواطنة بالنسبة للمستوطنين اليهود في المادة السادسة منه(١٠). لم تكن الرؤيا الفلسطينية الثورية لتنبثق الا من المقاومة المسلحة . اذ لا يمكن أن يشكل الانتقام وحده دافعا لحرب الشعب ولا يمكنه وحده أن يمدها بأسباب الحياة ، فالعنف العقلي واللفظي يمكن أن يبنى حول نفي الوضع الراهن والحنين لنقيضه . لكن الكفاح الشعبي المسلح الذي يحتاج الى تعبئة الجهود القومية لمدة طويلة يجب أن يبنى على رؤيا للغد لا على كابوس الامس الثقيل .
ان توهج الامل مرة أخرى وانبعاث المقاومة الفلسطينية والثقة بالنفس بعد الكرامة هي التي ولدت الرؤيا الجديدة : فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية .

الدولة الديمقراطية التقدمية وأساسها المنطقي

لقد شهد العامان المنصرمان نقاشات كثيرة حول الرؤيا الفلسطينية لفلسطين الغد — وهي لا تزال رؤيا اكثر منها برنامجا مفصلا — وسنعرض لبعض المناظرات بعد قليل.
ولكن يتعين علينا أن نؤكد منذ البداية أن المكون الاساسي للفكرة كلها هو تغير جذري في نظرة الفلسطينيين لليهود واعادة تحديد لعدو او أعداء الفلسطينيين وحركتهم الثورية .
اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في العام ١٩٧٠ نشرة بعنوان « حول فلسطين الديمقراطية»(١١)، وفي هذه النشرة تمييز دقيق بين مفاهيم الحل الديمقراطي « للمعضلة الاسرائيلية » و«للمشكلة الفلسطينية» و«للمسألة اليهودية» . فالنشرة تستثني — وعن حق — المفهومين الاولين،اي أنه ليس مطلوبا منحركة تحرر وطني انتجد حلا ديمقراطيا لعدوان عرقي ولا هي تستطيع المساومة على تحرير الوطن المغتصب . فالحل الديمقراطي يستهدف مشكلة الناس الذين **استخدموا** لصنع العدوان ، يستهدف أدوات المعتدي ، أولئك الذين استخدمتهم الشوفينية أو العرقية أو المصلحة الطبقية ليضطهدوا شعبا آخر ، ولكنهم في الوقت ذاته ضحايا الاضطهاد والاستغلال أو هم كانوا كذلك .
واليهود مثال واضح على ذلك ، فقد كانوا في التاريخ الحديث الضحية التقليدية لأكثر الهجمات القائمة على الشوفينية والعرقية والمصالح الطبقية اجراما .
قدمت للمسألة اليهودية العالمية ثلاثة حلول : ١) الحل الغربي الليبرالي : الذي يشير على اليهود بالانصهار والذوبان في المجتمعات الغربية ، لحل مشكلتهم . ٢) الحل الاشتراكي : الذي يؤكد على ان انهاء الاستغلال الطبقي عبر الثورة البروليتارية يجعل المشكلة باطلة ولاغية . يقول ابراهام ليون مثلا : « وسوف تؤدي الاشتراكية بصورة حتمية الى اقامة ديمقراطية واسعة في الاطار القومي وسوف تعطي اليهود امكانية حياة قومية في البلاد التي يقطنونها .. ولا يمكن حل المسألة اليهودية بأقل قدر من الآلام الا

بتحقيق ديمقراطية بروليتارية واسعة»(١٢). ٣) الحل الصهيوني : الذي ينبثق من اتهام للطبيعة الانسانية فحواه أن الاغلبيات ستظل تضطهد الاقليــات الى الابد وان المخرج الوحيد المفتوح امام الاقليات المضطهدة هو ان تحاول هذه الاقليات جعل نفسها اغلبية في قطر صغير ما . ولكن خلق بلد كهذا بالغزو وباقتلاع سكانه ينجح فحسب ، كما أثبتت التجربة في فلسطين ، في خلق مجبر (غيتو) كبير بدلا من عدد وافر من المجابر الصغيرة ، مجبر اقل سلامة وأمنا على المدى الطويل من المجابر الصغيرة القديمة .
من الواضح أن فكرة الدولة الديمقراطية متفوقة على هذه الحلول الثلاثة ، فهي تمنح اليهودي في فلسطين المساواة وانتفاء الاضطهاد والتمييز والقلق ، وفي الوقت ذاته تحفظ له حق البقاء يهوديا واداء شعائره الدينية وتكلم لغته والمشاركة على قدم المساواة مع الآخرين في بناء بلد جديد مثالي ، بلد لا يظل فيه مضطهدا ولا مضطهدا . بلد لا يكون فيه ضحية ولا معتد ، بلد لا يكون له فيه حقوق متميزة ولا يكون فيه مواطنـــا من الدرجـــة الثانية ، بلد يملك فيه رؤيا شاملة متعددة الجوانب ولا يقاسي فيه من رهاب الاحتجاز القائم على التمركز العرقي الضيق . غير أن فكرة الدولة الديمقراطية لا تحل المسألة اليهودية العالمية ، الا كنموذج لتحتذيه الدول الاخرى ، فتتغــير العلاقات الاقتصادية وتخلق مجتمعات ديمقراطية تقدمية حقا في أميركا واوروبا ، يستطيع اليهود ، وكذلك الاقليات الاخرى ، أن يعيشوا فيها كمواطنين من الدرجة الاولى ويتقاسمون مع الآخرين مهام المجتمع على قدم المساواة، في الوقت الذي يحتفظون فيه بحقهم في العبادة والسلوك والزواج والنمو الشخصي كيهود يمارسون شعائرهم الدينية .
ما هي الدولة الديمقراطية :
١) تتركز فكرة الدولة الديمقراطية على فلسطين ككل ، أي على الاجزاء التي احتلت عام ١٩٤٨ وكذلك التي احتلت عام ١٩٦٧ . ولذا فان فلسطين الديمقراطية لا تحمل اطلاقا اي شبه جغرافي — فكيف بالشبه الايديولوجي — لما يدعى بالدولة الفلسطينية العميلة العازلة في الضفة الغربية وقطاع غزة .
٢) غير ان فلسطين الجديدة ليست مجرد اسرائيل اخرى مقنّعة . اذ ينبغي ان تكون دولة تقدمية لا عرقية ولا طائفية تشكل جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية العربية ومن الارض العربية المتحدة في المستقبل .
٣) لذا ، كي تتحقق فلسطين الجديدة هذه ، يجب أن يستمر التحرير حتى تدمر الدولة الصهيونية اي أن فلسطين الجديدة هي نتيجة للتحرير وليست بديلا عنه أو نتيجة تسوية مع اسرائيل العرقية ولا حتى على شبر واحد من التراب الفلسطيني .
٤) سيشمل سكان فلسطين الجديدة **كل** المستوطنين اليهود وكل الفلسطينيين المنفيين او الواقعين تحت الاحتلال الذين يختارون العيش في فلسطين ويقبلون منزلة متساوية كفلسطينيين دون أية حقوق خاصة أو امتيازات .
٥) لن تكون الدولة الجديدة لبنانا آخر أو قبرص أخرى ، اي أنها لن تكون دولة ثنائية القومية أو متعددة الاديان بل ستكون دولة موحدة علمانية لا طائفية . ولذا فان الفواصل الطائفية لن يسمح لها أن تتصلب ، ولن تقسم المناصب أو المقاعد بين السكان طبقـــا لاديانهم ، لكن الدولة الجديدة لن تسمح بالتمييز طبقا للدين او العرق او اللون .
٦) ان المرحلة الراهنة من النضال ، مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، مرحلة أولية جدا في الواقع ، ولن تنتهي الا عندما تفكك المؤسسات والبنى الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي تكرس السيطرة العرقية على الفلسطينيـــين العرب . ولذا فان من الصعوبة بمكان في هذه المرحلة أن تحدد صورة البلد الديمقراطي الجديد ، بل أن ذلك سابق لأوانه ، خاصة وان اي جزء من مجتمع المستوطنين اليهود لم يشترك في النضال ضد الصهيونية بعد . من هنا قد تؤدي محاولات الوصول الى صورة نهائية مفصلة

للبلد الجديد الى اوهام طوباوية . ولذا فان تحديد ما سوف لن يكونه البلد الجديد وما لن يسمح به أمر أسهل بكثير : أ ـ لن يكون البلد الجديد دولة عرقيــة منغلقة جديدة للعرب ولن يسمح بانبعاث دولة يهودية جديدة . ب ـ لذا فان هــذا البلد لن يسمح لتمييز عنصري بحكم الواقع أن يحل محل دولة يتم فيها التمييز العنصري بحكم القانون .
جـ ـ لن يكون البلد الجديد ثيوقراطيا او اقطاعيا أو أرستقراطيا أو أمبرياليا أو قاعدة لأي قوة امبريالية . ولن يسمح بالتمييز على اساس اي شكل من اشكال القهر السياسي أو الاستغلال الاقتصادي .
غير أن المرء يستطيع استنتاج بعض الاوجه الايجابية من الاوجه السلبية ، فمثلا ستنقل تصفية المؤسسات الصهيونية العرقية الــى الدولة الجديدة جزءا كبيرا مــن الزراعة والصناعة الفلسطينية تملكه الآن المؤسسات الصهيونية بصورة جماعيــة . وانتقال الموارد الاقتصادية هذا الى يد الدولة الجديدة سيخلق علاقات ووقائع اقتصادية جديدة وهذه تشير الى بعض الوجهات والاتجاهات في المستقبل . كذلك فان تدمير الارتباطات والاستثمارات الامبريالية سيخلق وقائع جديدة وسيدمج الاقتصـــاد الفلسطيني ضمن الاقتصاد العربي بعد التحرير .

ردود الفعل تجاه الدولة الديمقراطية

ادى طرح فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية الى ردود فعل هامة وفتح نقاشا داخل صفوف المقاومة الفلسطينية وبين الحركات الثورية العربية وبين اليهود في اسرائيــل وخارجها . وسوف نحاول فيما يلي أن نعرض وجهات النظر المختلفة في الجانب العربي أولا ثم في الجانب اليهودي لعل عرضها ومناقشتها يؤدي الى مزيد من الوضوح والنضوج لمفهوم الدولة الديمقراطية .

ردود الفعل تجاه فلسطين الغد الديمقراطية في الجانب العربي : يتعين علي أن أبدأ هنا ، ذلك أن مدى جدارة الفكرة الجديدة بالثقة يعتمد الى حد بعيد على قبول مقترحيها ـ أي العرب ـ لها وفي النهاية على ايمانهم بها . فبيّنة الرفض الاسرائيلي لهذه الفكرة تعتمد ، كما سنرى ، على صرف النظر عنها بوصفها تكتيكا دعاويا يستخدمــه الفلسطينيون والعرب بشكل عام لاستدرار تعاطف العالم مع مخططاتهم الشوفينية ، كما تعتمد على أن الفلسطينيين والعرب يكذبون ولا يعنون حقا ما يقولون ، أو أنهم أجبروا على ذلك نتيجة هزائمهم . لقد رفض الناطقون باسم المقاومة هذا المفهوم في عدة مناسبات ، واعادوا التأكيد على أن هذه الرؤيا الجديدة أساس لاستراتيجية جديدة وليست تكتيكا . وبالاضافة الى ذلك لم يتخل الفلسطينيون عن هذه الفكرة الا في سنوات النفي والهزيمة واليأس (١٩٤٨ ـ ١٩٦٨) ، وكانت عودة هذه الفكرة للظهور نتيجة انبعاث الامل بعد العام ١٩٦٨ .
غير أن على المرء أن يعرض الصعوبات التي تلاقيها هذه الفكرة بين الفلسطينيين بشكل خاص والعرب على وجه العموم بكل أمانة وصراحة حتى يمكن مناقشتها بموضوعية :
١ ـ هناك من لم يقبلوا هذه الفكرة اطلاقا ولا يزالوا يرفضونها على اعتبار أنها تنازل كامل للعدو او تكتيك دعاوي مفيد . تتهم مقالة ظهرت في جريدة « الحياة » البيروتية اليومية اليساريين العرب الذين يدافعون عن هذه الفكرة بأنهم عملاء للعدو(١٣) . وتدعي المقالة أنها تكشف عن الجذور التلمودية لأفكارهم وتردد الحيلة اللاسامية القديمة ، حيلة ربط الصهيونية بمؤامرة شيوعية عالمية ، وهذه فرية يمينية غربية الاسلوب لاسامية نموذجية تعتمد كثيرا على الدعاية النازية . ان العرب الذين قبلوا دون تفكير متزن المنحى الصهيوني للمسألة اليهودية فأصبحوا يعتقدون ان المسألة الفلسطينية ظاهرة دينية لا ظاهرة كولونيالية ـ استيطانية ، ان هؤلاء أناس يصعب تغييرهم .
قد يبدو للمراقبين الخارجيين أمرا متناقضا أن يكون المقاتلون وعلى الأخص الاشبال

الصغار هم الذين تبنوا الفكرة بسرعة ، بينما تقاومهـــا بورجوازية المدن التي لا تزال تحتفظ بالعنف العقلي الشوفيني بديلا وحيدا للعنف الثوري . لقد ساعد التثقيف الثوري وتعليم العبرية في مخيمات اللاجئين وازدياد الاتصالات مع اليهود التقدميين كثيرين من العرب على التغلب على مخاوفهم العميقة من اليهود وكراهيتهم لهم ــ تلك المخاوف التي خلقها أساسا الاحتلال الصهيوني لفلسطين ــ وولدت هذه الاتصالات في اذهان هؤلاء صورة اكثر انسانية لليهودي .

٢ ــ هناك من لم يفهموا الفكرة ومضامينها أبدا ، وخلطوا بينهـــا وبين فكرة الدولة الفلسطينية العميلة ظانين انها بديل للتحرير لا نتيجته النهائية المطلوبة . وبعض هؤلاء يشوهون الحقائق عمدا لأغراض تحزبية خاصة . لكن معظم هؤلاء ينتهون الى القبول بالفكرة عندما يفهمونها فعلا .

٣ ــ هناك الفئة الثالثة وهي فئة الثوريين العرب الذين يقبلون بهذا المنحى في معالجة المسألة اليهودية ولكنهم يرفضون فكرة دولة فلسطينية على أساس مدى قابليتها للتحقق ومدى قابليتها للحياة . وهؤلاء يفضلون الحديث عن حل ديمقراطي أو وضع ديمقراطي وليس عن دولة . وهم يلاحظون بحق أن فلسطين المحررة لا يمكن ولا يجب أن تكون دولة غربية ،اسرائيل جديدة مقنَّعة ، بل يجب أن تصبح جزءا من دولة عربية تقدمية ديمقراطية موحدة في المستقبل. وتشترك في هذه الفكرة أساسا الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وجبهة التحرير العربيـــة ، كذلك بدأت ماتزبن (المنظمة الاشتراكيـــة الاسرائيلية) في اعتناق هذا المفهوم كذلك(١٤). وفتح لا تخالف هذا المفهوم على الاطلاق فهي تعتبر الدولة الديمقراطية الفلسطينية مجرد مرحلة نحو فيدرالية عربية موحدة في المستقبل . فيدرالية يتمتع فيها اليهودي الفلسطيني بحقوق سياسيـــة وثقافية ودينية كاملة بعيدا عن التمييز والاضطهاد والاستغلال . صحيح أن جبهة التحرير العربية شنت حملة مريرة على الفكرة رافضة لها على اساس انها أقليمية . وقد كانت هذه الحملة أمرا يؤسف له ، لانها أعطت انطباعا بأن هـــذه الرؤيا الجديدة لفلسطين الغد موضع مناظرات وسجالات بين العرب انفسهم ، مما يدمر جدارتها بالثقة(١٥). على أن هذه الحملة أمر يؤسف له بقدر اكبر بالنظر الى تأكيدات جبهة التحرير العربية المتكررة بأنها لا تدعو الى حل شوفيني للمسألة اليهودية . ولذا فان هجومها على الاقليمية يبدو ظالما وتحزبيا ولا معنى له في ضوء التجربة الاقليمية العربية الراهنة ذاتها ، وعلى الاخص اقليمية تلك الدول العربية الاكثر تقدما التي يحكمها ما يسمى بالاحزاب التقدمية القومية. فالهوية الفلسطينية للثورة لا يمكن ان تكون الا هوية نضالية لا اقليمية وتحرير فلسطين لا يمكن ان يتم دون التحام الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وفلسطين الديمقراطية لا يمكن أن تكون كيانا منعزلا منغلقا او منفصلا عن الجسد القومي العربي كما تنفصل الدول العربية التقدمية الآن . غير أن هذا الهجوم كان قاسيا لدرجة دفعت المنظمات الاخرى الى موقف دفاعي . مما جعل الشلل الناجم عـــن ذلك يعيق المجلس الوطني الفلسطيني عن تعديل المادة السادسة من الميثاق الوطني ، فأتاح ذلك للصهيونيين فرصة نادرة للهجوم على الدولة الديمقراطية على أساس أن الفلسطينيين يناقضون أنفسهم ويقومون بمناورة تاكتيكية فـ« يقولون بالانجليزية شيئا وبالعربية شيئا آخر » ، كما يطيب للجنرال حاركابي، ضابط الاستخبارات الاسرائيلي الذي تحول الى داعية، ان يردد(١٦).

تركز جماعة النقاد هذه على مشكلة الارقام ، مدعية أن عرب فلسطين سيكونون اقلية في فلسطين الجديدة(١٧)، وهذه حجة يستخدمها الصهيونيون بالمقلوب مدعين بدورهم أن اليهود سيكونون اقلية في فلسطين الجديدة(١٨). لكن الارقام تبين في الواقع ان عـــدد الفلسطينيين العرب تحت الاحتلال وفي المنفى يساوي بالتقريب عدد المستوطنين اليهود الآن (٢،٧٥٠،٠٠٠ نسمة لكل من الطرفين) . غير أن المشكلة الحقيقية ليست مشكلة

ارقام . فقد كانت الاقليات العرقية في جنوب افريقيا والجزائر وكل افريقيا تسيطر الى عهد قريب على اغلبيات كبيرة وتخضعها لتمييز عنصري رسمي أو واقعي . وما لم تحرر فلسطين وتفكك اسرائيل الصهيونية ويتحقق الاندماج الثوري مع العالم العربي ، وفي النهاية ما لم تختنق الامبريالية وتهزم في المنطقة فان الخطر سيكون في الواقع احتمال انبعاث العرقية الصهيونية . ولكن ، في الوقت ذاته ، ستصون طبيعة النضال التحرري ذاتها والوضع الدولي وسنّ الضمانات الديمقراطية حق اليهود مهما قلّ عددهم في فلسطين الجديدة . أكثر من ذلك ، يتوقع أن ينضم العديد من اليهود الى النضال التحرري ، كلما تصاعدت الثورة ، وهذا بحد ذاته يضيف ضمانة أخرى لدولة ما بعد التحرير .

٤ ـ هناك جماعة أخرى من النقاد ترفض الوجهة الدينيــة للفكرة ، على الأخص كما عرضت أصلا كدولة للمسلمين والمسيحيين واليهود . وهؤلاء النقاد العرب يصرون على تفسير علماني ويقولون انه ما لم تكــن الدولة الجديدة جمهورية عمال وفلاحين شعبية اشتراكية فانها لن تكون مقبولة منهم(١٩) . لقد ابتعدت المنظمات الفلسطينية بشكل عام عن التوجه الديني المحض . ففتح تصر على أن فلسطين الجديدة لن تكون لبنانا آخر متعدد الاديان بل دولة لا طائفية لا تتبع نظـــام اقتسام المناصب الذي يعزز الفواصل الدينية . ولن تكون الدولة مبنية على الاديان الثلاثة ، لكنها ستسمح للناس بممارسة معتقداتهم الشخصية ممارسة حرة(٢٠) . أما بالنسبة للنظام الاقتصادي الذي سيطبق في المستقبل ، وما اذا كان اشتراكيا أو غير ذلك ، فان من السابق لأوانه الخوض في نقاش كهذا . أولا ، لان المرحلة الراهنة من النضال مرحلة تحرر وطني ديمقراطي التناقض الرئيسي فيها هو التناقض مع القوى الامبريالية العرقية ، ونقاش له هذه الطبيعة يجعل تحقيق الوحدة الوطنية أمرا صعبا . وكمثال على ذلك ، لم يرد حتى ذكر كلمة اشتراكية في برنامج جبهة التحرير الوطني الفيتنامية أو ميثاق الحكومة الفيتنامية المؤقتة . ثانيا لان تطبيقا حقيقيا لفكرة الدولة الديمقراطية يتطلب مشاركة المستوطنين اليهود مشاركة ديمقراطية كاملة في تقرير شكل الحكومة في فلسطين الجديدة ، وهذا أمر لا يمكن حدوثه واقعيا الا بعد التحرير .

غير أن هناك اتفاقا على أن الدولة الجديدة لن تسمح بعــودة الاستغلال أو القهر أو التمييز العرقي الاقتصادي الى الظهور ، وعلى أن المؤسسات الاقتصادية الصهيونية ستسلم الى الدولة التقدمية الجديدة .

تلخيصا نقول أن منظمات المقاومة الفلسطينية المسلحة متفقة جميعا على الاتجاه الرئيسي لفلسطين الغد الجديدة ، أي على العلاقات مع المستوطنين اليهود ، على الرغم من أنها تختلف فيما بينها على الايديولوجيا والتطبيق . ورؤيا هذه المنظمات تقدمية وديمقراطية وعلمانية بوجه عام . ولكن تبقى مهمة رئيسية هي مهمة التثقيف واحداث تغيير بنيوي لجعل هذه الفكرة راسخة الجذور بين الجماهير العربية ومقبولة منها بصورة شاملة . وهذا أمر بالغ الصعوبة عندما تكون الثورة في تراجع كما كانت خلال الاشهر القليلة الماضية . فالنجاح يؤدي الى المزيد من التسامح والتفاهم ، وكذلك يغير تصاعد الثورة من الاتجاهات اليهودية ليجعلها تعزز الافكار الفلسطينية التقدمية . وهذه هي النقطة التي سنعرض لها في ما يلي .

ردود الفعل في الجانب اليهودي

في اسرائيل : هناك ، بشكل عام ، عدد قليل من اليهود الاسرائيليين (المستوطنين اليهود في فلسطين) سمع بالفكرة مباشرة ، أي ليس عبر التفسير الذي تعطيها اياه آلة الدعاية الاسرائيلية والخصي الذي توقعه بها . ويعود ذلك الى عدم قدرة الدعاية المباشرة لحركة المقاومة الفلسطينية على التغلغل الى اسرائيل . فقد كانت اذاعتا فتح ومنظمة التحرير

الفلسطينية تبثان برامج اذاعية قصيرة بالعبرية (١٠ دقائق و ٣٠ دقيقة يوميا) . كذلك كان صوت فلسطين التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية يوجه الى اسرائيل برنامجا انجليزيا قصيرا مدته ١٥ دقيقة ، يدور أساسا حول فكرة الدولة الديمقراطية . لكن هذه البرامج توقفت جميعا في تموز (يوليو) ١٩٧٠ عندما اغلقت سلطات الجمهورية العربية المتحدة محطات الاذاعة الفلسطينية عقب قبولها لمبادرة روجرز ورفض المقاومة له .
كذلك لم يصل توزيع المواد المطبوعة او الاتصالات المباشرة وجها لوجه الى كثير من المستوطنين بعد . ومن الضروري بمكان ان تجري محاولة جدية للوصول الى اكثر ما يمكن من المستوطنين اليهود لاطلاعهم على البديل الذي يقدمه الفلسطينيون لهم عوضا عن اسرائيل . أما في الحالة الراهنة للامور ، فقد دفع الاسرائيليون خلال آلة الدعاية الصهيونية الى الاعتقاد انه اذا ما احتل العرب فلسطين فانهم سيقذفون باليهود جميعا الى البحر ، وقد كان هذا حجر الزاوية في الدعاية الصهيونية الموجهة الى المستوطنين اليهود والى العالم أجمع . اذ أن من الاهمية بمكان للاوليغاركية الصهيونية أن تحث المستوطنين اليهود على القتال من أجل اسرائيل كما لو كانوا يقاتلون من أجل بقائهم ذاته . فيعاد خلق صور « مسعدة »(٢١) والمذابح التي تعرض لها اليهود عبر تاريخهم وتكرر لمنع حدوث أي تغير شعبي في الموقف من الفلسطينيين .
يجب على المرء أن لا ينغمس في أحلام يقظة حول امكان تحويل اليهود الى مثل الدولة الديمقراطية . فقد وعدت اسرائيل اليهود بدولة تقتصر عليهم ويتمتعون فيها بامتيازات خاصة وقد نجحت اسرائيل في تحقيقها لهم، حتى ان الطبقات العاملة الاسرائيلية تستفيد من استغلال العمال والفلاحين الفلسطينيين العرب . فالمستوطن اليهودي يعيش في بيت اغتصب من فلسطيني عربي وهو يحرث أرضه ويتمتع بممتلكاته ، والعامل العربي في اسرائيل والآن من الاراضي المحتلة حديثا يتلقى أجرا اقل بكثير مما يتلقاه العامل الاسرائيلي ويقوم بأكثر الاعمال ضعة .
ان العامل الاسرائيلي مطالب في الجوهر بأن يتخلى عن كل الكعكة التي اغتصبها ويقنع بنصفها فقط . انه مطالب بأن يتخلى عن امتيازاته الطبقية — العرقية الخاصة . وما لم يشعر العامل الاسرائيلي ان الاختيار الثاني هو فقدان الكعكة كلها ، فانه لن يختار طواعية نصف الكعكة الذي تعده به فكرة الدولة الديمقراطية .
لذا ، ما لم يتصاعد النضال التحرري الفلسطيني الى حد كبير ويصبح تهديدا رئيسيا لاستمرار الملجأ العرقي المغلق للمستوطنين اليهود في فلسطين ، فانه لا يتوقع أن يحدث تحول رئيسي . ولا عجب والحالة هذه أن تركز آلة الدعاية الاسرائيلية نيرانها على عدم امكانية تحقيق الدولة الديمقراطية وعلى توازن القوى وبالتالي على جدارة التهديد الثوري الفلسطيني للدولة العرقية الاستيطانية . ولكن عندما تتصاعد الثورة وتصبح قوة جديدة، تصير مسؤولية الثورة تجاه نقل رؤيا فلسطين الغد ، البديل التقدمي والديمقراطي عن اسرائيل ، مسؤولية بالغة .
هذا لا يعني أن أثرا ما لم يحدث على المستوطنين اليهود . ذلك ان اعادة اكتشاف الفلسطينيين أحدثت أثرا بالغا ، كما ان ماتزبن والنشرات السرية التي يصدرها الطلبة الاسرائيليون الثانويون نقطتان مضيئتان ، لكنهما تظلان غير هامتين حتى الآن ومعزولتين عن التيار الاسرائيلي الرئيسي .
الدعاية الاسرائيلية المضادة : كان اثر فكرة الدولة الديمقراطية بالغا على الشباب اليهودي خارج فلسطين وكذلك على حركة اليسار الجديد في العالم الى درجة جعلت الحكومة الاسرائيلية تشعر بالقلق العميق وترد بقوة وسرعة على الهجوم السياسي الفلسطيني . وبما أن الاثر الرئيسي الذي أحدثته فكرة الدولة الديمقراطية كان على الطلبة بشكل عام وعلى الشبيبة التقدمية اليسارية — الجديدة بشكل خاص ، فقد

استهدفت الحملة الدعاوية الاساسية هذه المجموعات على وجـه التحديد . فكان أن اصبحت الثنائية في الدعاية الاسرائيلية وفصام الشخصية الاخلاقي فيها أقوى مما كانت في أي وقت من الأوقات . فمن جهة كانت اسرائيل تلعب لعبة الحرب الباردة باضطراد في الأوساط الغربيـة فتقف في صف الصقور الاميركيـين اليمينيين المعادين للاتحـاد السوفياتي وتطبل وتزمر للمواجهة الاميركية السوفياتية على طريقة كيسينغر . ومن جهة اخرى كانت اسرائيل تتحدث بلهجة يسارية الى جماهير الشبيبة الغربية عبر مجلة نيو اوتلوك ولجان فلسطين ـ اسرائيل في أوروبا ومجلة نيو ميدل ايست التي يصدرها كيمشه ونشرات « اسرائيليون يردون » ونشرات العلاقات العامة المبتذلة التي يصدرها ما يسمى « رابطة السلام في الارض المقدسـة » والتي من الواضح أنه يكتبهـا طلبة محترفون واعضاء سابقـون في المابام . وقد لعب المابـام دورا رئيسيـا في الحملة الاسرائيلية ، كما ان مـن يسمون بالمثقفين الاسرائيليين دفعوا الـى صقل الصورة الاسرائيلية .

تتمحور الافكار الاساسية للحملة الاسرائيلية حول نظرية فلسطينين او ثنائية اسرائيل ـ فلسطين . اذ يجري اقتراح اقامة دولة اسرائيلية ودولة فلسطينية بدلا مـن الدولة الديمقراطية الموحـدة(٢٢). فيعد من يسمون بالتقدميـين الاسرائيليين بالاعتـراف بالفلسطينيين كشعب او حتى كأمـة اذا كان الفلسطينيون بدورهم علـى استعداد للاعتراف بالاسرائيليين كأمة . ما الذي يعنيه ذلك ضمنا ؟ ان الاعتراف الاسرائيلـي بالفلسطينيين يخولهم حق اقامة دولة ذات سيادة وحكومة وعلم وخطوط طيران . . . الخ.
اين ؟ تختلف الاقتراحات . قبل أيلول كانوا يرددون في الاردن ، أي في شرق الاردن . واقتراح آخر كان يقول في الضفة الغربية وربما غزة . وكان هناك اختيار اكثر كرمـا يشمل الضفتين الغربية والشرقية بالاضافة الى قطاع غزة . بيد ان دولة كهذه يجب ان تكون منزوعة السلاح ، مرتبطة باسرائيل وخاضعة لاحتياجاتها الامنية .
وما الذي يعنيه اعتراف الفلسطينيين بالاسرائيليين ؟ أن يحتفظ الاسرائيليون باسرائيل كلها بالاضافة الى مـا يقدرون أنه ضروري لاحتياجاتهم الامنية مـن الاراضي المحتلة حديثا(٢٣) . وهنا تحصل اسرائيل على شرعية وجودها من الشعب الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يمنحها هذه الشرعية ، من الفلسطينيين ، على الاقل لجيل واحد .
قطعا أن فكرة الدولة الفلسطينية اكثر من مجرد لعبة بهلوانية مـن الاعيب الدعـاية الاسرائيلية . انها وجهة استراتيجية لحل مشكلة ابتلاع الاراضي المحتلة بالاغلبية العربية فيها . وسنتحدث عن هذا الامر في موضع لاحق .
تهاجم الدعاية الاسرائيلية فكرة الدولة الديمقراطية على انها حركة دعاوية عربية ، وأن الفلسطينيين لذلك لا يعنون حقا ما يقولون ، وان من المستحيل تحقيق هذه الفكرة بالنظر الى ميزان القوى الراهن ، وان هذه الدولة لا يمكن أن تكون أكثر ديمقراطية او تقدمية أو علمانية من اسرائيل الحالية(٢٤) . . . فاذا ما وضعنا الكذب المفضوح جانبا ، نجد أن الاسرائيليين ليسوا أفضل في هذا المجال من الافريقيين الجنوبيين او الروديسيين او البرتغاليين او حتى الاغريق الافلاطونيين . أي ان المساواة والديمقراطيـة والحرية والاخاء الخ أفكار يمكن تطبيقها في داخل مجتمع مغلق على ذاته يتكون من ناس متساوين ولكن لا يمكن تطبيقها على الاهلين المنحطين أو على البرابرة (كما اسماهم الاغريق) .
لذا يستطيع الدعاة الاسرائيليون أن يشيروا بحق الى وجود برلمـان منتخب وأحزاب سياسية وخدمات اجتماعية وصحافة حرة بدرجة معقولة وغيرها من الامتيازات التي يتمتع بها الاسرائيليون البيض ، أي المستوطنون اليهود . كما أنهم لذلك يستطيعون أن يتجاهلوا قانون العودة والاعتقال الاداري والعقاب الجماعي والارهاب الشامل والطرد والنفي لشعب كامل من « السود » فهذه مسألة ثانوية لا تلطخ بأي شكل من الاشكال

الصورة الديمقراطية لاسرائيل الصغيرة الشجاعة الغربية .

رد فعل المعارضة اليهودية في اسرائيل

الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) : لعب راكاح منـــذ أمد طويل دور المعــارض الرئيسي للأجهزة الصهيونية والايديولوجيا الصهيونية . وقد أصبح راكاح منذ انشقاق الحزب الشيوعي الملجأ السياسي الذي يأوي اليه العرب الخاضعون للحكم الاسرائيلي. فانضم اليه محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما واستخدموا الشرعية السياسية التي يتمتع بها بالقدر الممكن . ولكن على الرغم من ذلك يظل راكاح حزبا ضعيفا ، ويظل تمثيل اليهود في صفوفه ضئيلا . غير ان الحزب يبقى في العلن مخلصا لدولة اسرائيل ومدافعا عن استمرار وجودها المنفصل . ويؤدي اتباع راكاح للخط السياسي للاتحاد السوفياتي وقبوله بقرار مجلس الامن كأساس لحل المسألة الفلسطينية به الى اتخاذ موقف سلبي من فكرة الدولة الديمقراطية . يؤكد مئير فيلنر ، الامين العام للحزب ، في مقالة حديثة له في الصحيفة الاسبوعية للحزب الشيوعي البريطاني ان الاعتراف بحق اسرائيل في الابقاء على وجودها المستقل كدولة ذات سيادة ، جنبا الى جنب مع الاعتراف في العودة أو التعويض هو الموقف الواقعي المبدئي الصحيح الذي يجب أن يتخذ . وهو يكرر المرة اثر الاخرى فكرة الشعبين والامنين والدولتين ، ولذا فانه يرفض فكرة دولة موحدة ، ويختتم مقاله قائلا : ليست المسألة المطروحة على جدول الاعمال اليوم مسألة اقامة دولة اسرائيل او عدم اقامتها . فوجود اسرائيل حقيقة واقعة تعترف بها الامم المتحدة واقطار العالم ، ويعترف بها الشرق مثلما يعترف بها الغرب(٢٥). لذا فان راكاح يقبل المعتقدات الاساسية للصهيونية ويرفض حلا ثوريا ، وذلك على أساس الامر الواقع والاعتراف السياسي وفي النهاية على أساس ميزان القوى على المستوى العالمي وفي داخل اسرائيل معا . من هنا يجوز اعتبار راكاح حزبا شيوعيـــا تقليديا يعمل داخل المؤسسة الاسرائيلية .

لقد كان دور راكاح في الغالب دور « نقابة » للعرب في اسرائيل . فقد عمل من خلال القنوات الشرعية للدولة على الدفاع عن الحقوق المدنية لاعضائه وللعرب بشكل عام ، محتجا على عمليـــات التفتيش والاعتقال غير المشروعة ، متقدمـــا بكفالات لاعضائه المسجونين ، شاكيا في المحاكم من أجل شروط اقتصادية افضـــل للعمال العرب الخ. ويجب أن نقر هنا انصافا لراكاح أن هذا الدور مفيد ويجب أن لا يغفل ، كما يجب أن لا يغفل الدور الذي يحتمل أن يلعبه راكاح في المستقبل . لكن الحزب في الوقت الحاضر ليس في المعسكر الثوري ولا هو في زاوية المعارضة السياسية الراديكالية . فهو يريد أن يحتفظ بوضعه الشرعي العلني وحصانته السياسية « البيضاء » وهذا يلعب دورا حاسما في تحديد موقفه الراهن .

هاعولام هازيه : تقول نشرة انتقادية لاذعة أصدرتها ماتزبن (واسمها أنتي ـــ البان) : في العادة يصدر الحزب السياسي مجلة . ولكن في حالة هاعولام هازيه أصدرت المجلة حزبا ، حزبا يدعم السلام في زمن السلام ويدعم الحرب في زمن الحرب . ان هذا صحيح الى حد بعيد . فقد صوت أوري أفنيري الى جانب قرار الكنيسيت بضم القدس الى اسرائيل ، وتقدم بطلب للعضوية في المؤتمر الصهيوني العالمي ، ومع ذلك فهو يسمي نفسه معارضا ويكتب كتابا يحمل بالانجليزية فقط عنوانا هو « اسرائيل بلا صهيونية » ، اما الطبعة العبرية فتحمل عنوانا اقل ضررا هو « حرب اليوم السابع » . لربما كان أفنيري معارضا مفيدا في بحر من الالتزام والامتثال الصهيونيين ، ولكنه يجب أن لا يحمل ابدا على محمل الجد ، كما لا يجب ان تحمل خططه لاقامة اتحاد سامي، ان كثيرا من مواقف افنيري ليس جديدا على الاطلاق ، فهذه المواقف ليست غير نسخ مجددة لمواقفه عندما كان مع شتيرن في الايام الخوالي . وهو وحزبه يتخذان موقفا سلبيا من الدولة

الديمقراطية الموحدة .

ماتزبن (المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية) : ربما كانت ماتزبن القوة اليهودية المعادية للصهيونية الوحيدة في اسرائيل . وهي قوة صغيرة بالطبع (وقد لا يزيد عدد أعضائها في داخل اسرائيل عن المائة) ولكنها قوة صاخبة . وهي بالتأكيد أول اشارة تقدمية يعقد عليها أمل تأتي من المستوطنين اليهود في فلسطين ، منذ اقامة دولة اسرائيل العرقية . وقد تحولت ماتزبن تحولا كبيرا منذ انشائها ، لكن معظم مؤسسيها اللامعين غادروا فلسطين ، فغادرها ايلي لوبل الى باريس وموشيه ماخوفر وعكيفا اور الى لندن ودرور الى بوسطن ، ولم يتبق الا القليل من أعضائها البارزين في اسرائيل ربما كان حاييم هانيجبي أفضلهم .

انتقلت ماتزبن من موقف الرفض الغائم للصهيونية الى اقتراح اقامة دولة ثنائية القومية في فلسطين . ولكن « ايزراك » و« ايزراكا » وهما صحيفتا الحزب في انجلترا والولايات المتحدة انتقلتا الى موقف يقول بانشاء « اتحاد اشتراكي في الشرق الاوسط » يكون فيه اليهود كالاكراد أقلية قومية معترفا بها(٢٦) . ويؤكد هذا التحول على الحاجة الى حل عربي شامل لا حل فلسطيني اقليمي . لكن المتحدثين باسم ماتزبن يصرون على ان هذا الموقف لا يتعارض بأي حال مع حق الفلسطينيين في الاستمرار في نضالهم التحرري دون انتظار حدوث التحويل الاشتراكي الكامل في المنطقة .

وربما كانت ماتزبن ذات اثر في تشجيع اضرابات الطلاب الثانويين وحملات كتابة الرسائل (الى جولدا مئير) وظهور جرائد سرية معادية للصهيونية يكتبها هؤلاء الطلبة . غير ان تحول ماتزبن لم يتخذ طريقا واحدا ، فقد اشترك اعضاء ماتزبن في لجنة اسرائيل — فلسطين في باريس والتي نظمها موني القايم والصحفية الصهيونية الفرنسية كلارا هالتر ، وأن كانوا قد انسحبوا منها فيما بعد . ولا تزال ماتزبن في اسرائيل أضعف من ان تتبنى النضال الثوري او حتى ان تصبح حركة سرية خصوصا وقد أصابتها في الايام القليلة الماضية موجة من الانقسامات التي زادتها ضعفا . وقد حظرت الرقابة العسكرية أعدادا كاملة من جريدة ماتزبن العبرية أحيانا ورفضت منح جماعة ماتزبن ترخيصا باصدار طبعة عربية من صحيفتها ، ومع ذلك فان ماتزبن لا تزال تحتفظ بروابطها مع الشرعية الاسرائيلية .

رد فعل اليهود في الخارج

يمكن القول بشكل عام أن عدوان اسرائيل الظافر عام ١٩٦٧ زاد من ولاء يهود العالم للدولة الصهيونية وتمثلهم بها . ويتهم اليهود الاميركيون الصهيونيون في العادة بأنهم معادون للعرب بصورة أكثر جذرية من اليهود الاسرائيليين انفسهم . لكن ظهور الثورة الفلسطينية ومثال الدولة الديمقراطية الموحدة عبر نضال تحرري ثوري ألهب مخيلة اليهود الشباب الراديكاليين اليساريين الجدد في أوروبا وأميركا . فاسرائيل بالنسبة لهم « مؤسسة » ، قاعدة امبريالية ، مجبر (غيتو) أبيض متفوق متغطرس . في الوقت الذي يستطيعون فيه أن يتمثلوا بالفلسطينيين ونضالهم العادل .

فتمثلت آنيا فرانكوس ومارسيل ليبمان واليك سومرهاوزن وكوهين بنديت وكثيرون غيرهم في أوروبا واميركا بالفلسطينيين ، وقام هؤلاء باعتناق ثورة الفلسطينيين وجاءوا ليروهم ويشاركوا في نضالهم ، وتظاهروا من اجل قضيتهم وكتبوا كتبا ومقالات وقصائد عن محنتهم المأسوية ونضالهم التحرري . لقد تخطى الدور الذي لعبه هؤلاء المناصرون التقدميون دور المتظاهر او الكاتب . ذلك أن الحوارات العميقة النفاذة بينهم وبين الفلسطينيين في معسكراتهم وقواعدهم ومكاتبهم ساعدتهم جميعا على التغلب على عقدهم والمخاوف الكامنة في أعماقهم والقلق الذي يساورهم . لقد ساعدوا الفلسطيني العربي أن يرى في اليهودي صديقا ومؤيدا ، أن يرى فيه انسانا ، ضحية لسنوات طويلة

من التمييز والاضطهاد فلا يعود يرى فيه وحشا او سوبرمانا أو قزما او مضطهدا . وعبر هؤلاء استشعر الفلسطيني للمرة الاولى الفارق الانساني الحقيقي بين اليهودي والصهيوني — فلم يعد هذا الفارق مجرد عبارة تتردد .
وادت مقابلة هؤلاء اليهود للفلسطينيين الى عودتهم الى الصحة العقلية ، وشفائهم من فصام الشخصية الخلقي الذي فرضته الصهيونية على اليهود تجاه الفلسطينيين « ما هو خير لليهود وليس خيرا للفلسطينيين » . لقد استطاعوا أن يحبوا الفلسطينيين ، ويشاركوهم نضالهم ويعتنقوا قضيتهم العادلة دون ان يكونوا « قاتلي يهود » او « ماسوكيين كارهين للذات » ، كما سمى الاسرائيليون بحنق عددا من الطلبة الصهيونيين الاميركيين والاوروبيين الذين اشتركوا في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلبة اليهود في عراد باسرائيل في تشرين الاول (اكتوبر) المنصرم وصوتوا الى جانب اقتراح يدعو الى الاعتراف بحقوق الفلسطينيين العرب كجزء متضمن في صلب الايديولوجية الصهيونية ، على ما في ذلك من تناقض(٢٧) .

يبقى أن يفعل الشيء الكثير في هذا المضمار . اذ يجب على المقاومة الفلسطينية أن تخاطب اليهود وتخلق من بينهم الاصدقاء الذين خلقتهم الجزائر من بين الفرنسيين في فرنسا . وهذا بحد ذاته واحد من العوامل المؤثرة في تحقيق الدولة الموحدة وفي الحفاظ عليها .

الدولة الديمقراطية والدولة الفلسطينية العميلة

والآن ونحن نقترب من خاتمة مقالنا ، يتعين علينا أن نقوم بعملية تقييم . أين تقف اليوم هذه الرؤيا لفلسطين الغد ؟ أهي تتقدم أم تتأخر ؟ هل حققت مكاسب في السنتين الاخيرتين ؟ لا يمكن أن يكون جوابنا دقيقا وقاطعا ، ولكن علينا أن نحاول تقييما كهذا .
(١) واجهت حركة المقاومة الفلسطينية عددا من النكسات الخطيرة في العام ١٩٧٠ . فمن جهة عانت المقاومة داخليا من افتقارها الى الوحدة والتماسك وفقدانها للفعالية . وبدا أن نموها وتطورها قد توقف مؤقتا على الاقل بفعل التيارات الداخلية وفقدان المبادرة والتشوش . ومن جهة أخرى، كان اعداء المقاومة يقوون ويصبحون أكثر قدرة. فقد تلاشت المفاجأة التي حدثت في البداية وبدأت الامبريالية الاميركية والصهيونية تكيفان نفسيهما للوضع الجديد سياسيا وعسكريا .
(٢) كانت اميركا مصممة على تجريب استراتيجية « الفتنمة » في الشرق الاوسط على غرار تجربتها في فيتنام . فكان أن لجأت في هذه الحالة الى «اردنة» الصراع الفلسطيني، وذلك بقيامها بمساعدة الجيش الاردني ليقاتل الفلسطينيين فيتحول الصراع الى صراع بين العرب ، وبذلك تخفف العبء عن اسرائيل وتمهد السبيل نحو تسوية سلمية . ولقد تتوجت هذه الاستراتيجية بمجزرة ايلول للفلسطينيين في الاردن وعاقبتها المأسوية .
(٣) جرى تقديم وتلفيق بديل قوي للدولة الديمقراطية هو الدولة الفلسطينية المنفصلة على اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة (وهو ما سنسميه فلسطينستان) فيعترف بالفلسطينيين كشعب له حقوق تقرير المصير ما دام ذلك يبقي على اسرائيل كما هي مضافا اليها بعض الاراضي التي تحتاجها لاغراض الامن وتتدفق التجارة بين البلدين وبينهما وبين باقي العالم العربي . وتصبح الاوضاع في المنطقة طبيعية ، وفي النهاية وخلال فترة طويلة من الزمن يمكن ان يؤدي التطور الطبيعي الى اتحاد البلدين في المستقبل في دولة موحدة . ان هذا التوجه الجديد يقدم في كل مكان ، يقدم للفلسطينيين وللعرب بشكل عام وللعالم اجمع ، ان لم يكن على اساس كونه حلا جديرا مرغوبا فعلى أساس أنه ممكن التحقيق ويمثل ضرورة سياسية .
(٤) من جهة أخرى ، تقف الى جانب فكرة الدولة الديمقراطية العوامل التالية : تنامي الاعتراف العالمي بالفلسطينيين وبحقوقهم القومية الذي بلغ أوجه في قرارات الجمعية

العامة للامم المتحدة ، بطولة وصمود الفلسطينيين في الاردن رغم الهجمات الوحشية ، المقاومة البطولية التي يبديها شعب غزة ، ازدياد الادلة على فاشية اسرائيل في غزة وعدم رغبتها في الانسحاب من الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ ، الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية ، تنامي قبول المقاومة الفلسطينية بين شبيبة العالم . كل هذه عوامل تسهم في نجاح أكبر لمثال الدولة الديمقراطية وفي جعله مقبولا .

ان الدعوة لاقامة فلسطينستان كحل لمشكلة الشعب الفلسطيني ترتكز على ان فكرة الدولة الديمقراطية هي فكرة غير ممكنة التحقيق كما أنها غير مقبولة او مرغوبة من جانب اليهود أساسا فاذا قبلت هذه الحجج اصبح البديل الوحيد المطروح هو انشاء الدولة الفلسطينية العميلة . ولذلك فاننا سنطرح فيما يلي باختصار الحجتين ونناقشهما قبل الانتقال لمناقشة ماهية ومقومات فلسطينستان المقترحة .

(١) الدولة الديمقراطية غير ممكنة التحقيق : تقوم فكرة الدولة الديمقراطية على التحرير ، أي على هزيمة الامبريالية الصهيونية ومن يدعمونها . ولكن هزيمة كهذه ليست ممكنة لان اسرائيل قوية جدا ومتقدمة ، ولانها مدعومة كليا من أقوى بلد امبريالي في العالم ، ولانها دولة معترف بها من العالم كله ، ولانها تتلقى دعما غير محدود من اليهودية العالمية . وفي الوقتنفسه يجري التأكيد على ان الدول العربية ضعيفة ولا يمكن ان تصبح قوية بما فيه الكفاية كما تدل على ذلك هزائمها المتكررة ، وان حركة المقاومة الفلسطينية ضعيفة وغير قادرة ويجري سحقها ، وان الفلسطينيين والعرب لا يرغبون في حمل عبء القتال المستمر ، وان الحكومات العربية على استعداد للتعاون فيما بينها لسحق الفدائيين ، وان استمرار النضال التحرري لن يؤدي الا الى تحطيم العرب وتعزيز قبضة اسرائيل على الاراضي المحتلة .

(٢) الدولة الديمقراطية غير مقبولة او مرغوب فيها : يقال ان الاسرائيليين ومن يدعمونهم لا يرغبون في فكرة الدولة الديمقراطية ، وان استمرار القتال سيصلب المواقف الاسرائيلية ويزيد من تصميم اسرائيل وعزمها ويجعل الاسرائيليين اكثر غربة عن العرب، وانه اذا ما تحققت الدولة بعد التحرير فانها لن تستطيع الاستمرار لان الجماعتين لن تستطيعا التعايش بعد قتال طويل بينهما ، وانه لن تكون ثمة ضمانات تضمن سير اعمال الدولة سيرا مناسبا وتضمن عدم حدوث التمييز العنصري مرة ثانية ، وان الجالية اليهودية اذا انشئت الدولة الديمقراطية ستحكم في النهاية لا فلسطين فحسب بل بقية العالم العربي ايضا بسبب تفوق اليهود على العرب .

المنطق العنصري الاستاتيكي وراء الحجج المضادة للدولة الديمقراطية

ان الافتراض بأن العرب لن يكونوا قادرين ابدا على التعلم وتحسين انفسهم افتراض عرقي تدحضه الحالة اليهودية ذاتها . فلم يكن اليهود ينظرون الى انفسهم كجنود محترفين او غزاة على الاخص في العصور الحديثة . وبالاضافة الى ذلك فان الحجج التي تقوم على ميزان القوى استاتيكية جامدة دوما لانها تأخذ بالاعتبار النسب الحالية ، اي ما يبدو ممكن التحقيق الان . ان الثورات تقوم على المفهوم الدينامي الذي يقضي بأن من الممكن تفجير قوى شعبية ضخمة عبر النضال ، قوى يمكن أن تعبأ وتنظم وتستحث وتسلح محدثة تغييرات مستمرة في ميزان القوى بينما يستمر النضال . فكلما اعطى المرء اكثر كلما كان على العطاء أقدر ، وكلما أعطى المرء أقل كلما كانت قدرته على العطاء أقل . ان عشرين عاما من التشتت العربي والرضوخ للوضع الراهن والهزائم برهان كاف على ذلك . وفي فيتنام ، تستخدم اميركا كل جبروتها الالكتروني وأرهب أسطول جوي في التاريخ ، ومع ذلك فقد برهن الفيتناميون الابطال بثلاثة آلاف طائرة أسقطوها أن النضال الثوري الشعبي عبر حرب الشعب يستطيع ان يلحق الهزيمة والدمار بأقوى جيش في العالم . ان حرب الشعب التي يقوم بها شعب مضطهد باصرار

وفعالية يمكنها التفوق على الحرب الالكترونية والانتصار على العدو المستعمر .
فاذا انتقلنا للنقطة الثانية التي تفترض أن قيام فلسطين الديمقراطية سيؤدي الى سيطرة اليهود لا على فلسطين وحدها بل على الوطن العربي كله هي ايضا تحتوي على منطلق عنصري استاتيكي . ان قيام الدولة الديمقراطية كنتيجة للتحرير وبناء على التحام كامل بين الطليعة الثورية الفلسطينيــة والثورة التحريرية العربيــة سيؤدي الى تحطيــم المؤسسات العنصرية الصهيونية المستغلة وبالتالي الى انهاء كافة الظروف والاعتبارات القانونية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تكفل السيادة الصهيونية والعبودية العربية . ان زوال النازية بالقضاء عليها عسكريا قد أطاح بالسيادة الالمانية والتفوق الالماني العنصري المدعى فأتاح للشعب الالماني فرص الاندمــاج المتساوي اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا مع الشعوب الاوروبية وتم ذلك بوضوح اكثر في حالة جمهورية المانيا الديمقراطية ، وبالتالي فان عودة الفلسطينيين الى بلادهم نتيجــة لثورة عربية ظافرة لا يمكن أن يؤدي الى استمرار التفوق العرقي اليهودي الا اذا افترضنا فعلا ان اليهود متفوقون « عرقيا » على العرب غير اليهود تحت أي نظام وفي ظل أي ظرف . وهو افتراض عنصري لا يمكن قبوله . اللهم الا اذا كان ستــارا لشوفينية مستترة لا تقبل مواطنية اليهود في الوطن العربي تحت اي ظرف من الظروف ، وهــذا ايضا لا يمكن للثورة قبوله .

البديل الفلسطينستاني

ان البديل المطروح للدولة الديمقراطية هو انشاء دويلة فلسطينية (فلسطينستان) في تلك المناطق من الارض المحتلة بعد عام ١٩٦٧ التي تتميز بكثافة سكانية عربية عالية والتي تبدي اسرائيل استعدادها ــ ولو لفظيا ــ على التخلي عنها بعد اقرار تسوية سياسية كاملة والتوقيع على صلح ومعاهدة سلام مع الدول العربية . والارجح هو ان تقام هذه الدويلة المقترحة في اجزاء من الضفة الغربية تستثنــي القدس ومنطقة قلقيلية ــ طولكرم وتلال الخليل او الخليل كلها . كما انهــا تستبقي لاسرائيــل وجودا عسكريا على طول نهر الاردن ــ حسب مشروع آلون الاصلي ــ وبذلكفان فلسطينستان تصبح جزيرة سياسية بين اسرائيل ومملكة شرق الاردن الهاشمية ، لا يربطها بالوطن العربي الا الجسور « المفتوحة » على نهر الاردن .

ان التشابه كبير جدا بين الدويلة المقترحة وبين البانتوستانات التي انشأتها الحكومــة العنصرية الاوروبية البيضاء للسود المستعبدين في جنوب افريقيا تطبيقا لسياسة التفرقة العنصرية المعروفة بالابارتهيد . ففي جنوب افريقيا يعــزل السكان السود في دويلات يتمتعون فيها ببعض مظاهر الاستقلال و« الكيان السياسي » والحكم الذاتي ، وتنقلهم الباصات كل صباح للعمل في مناجم الذهب والمزارع البيضاء ثم يعودون في الليل الى « مناماتهم » في البانتوستان مما يضمن عزلهم عن الاختلاط بالسكان البيض ونسائهم لاستمرار النقاء العرقي الابيض . اذا كان يبدو هذا التشابه خياليا ومجحفا فان المدخل العلمي الوحيد هو اعتبار ذلك فرض نحاول اثباته بالارقام قبل أن نستمر في الثقة بــه والاعتماد عليه .

كيف يمكن التحقق من طبيعة الدويلة الفلسطينية المقترحة قبل انشائها ؟ لدينا في الواقع نموذجين حقيقيين لا مفترضين يمكن استخدامهما للتحقق من افتراضنا وهما : ١ ــ نموذج العرب في اسرائيل (الارض المحتلة قبل ١٩٦٧) . ٢ ــ نموذج العرب في الضفة الغربية وغزة المحتلة (الارض المحتلة بعد ١٩٦٧) . ان اقامة دويلة فلسطينية داخل اسرائيل او بجانبها كنتيجة للتسوية السياسية وتصفية الثورة لن يأتي بأفضل مما قدمته اسرائيل فعلا خلال ٢٣ سنة لفلسطينيين تعتبرهم مواطنيها الشرعيين او للفلسطينيين الذين تحاول اغراءهم بكافة الطرق بالتعايش معها في الضفة الغربية المحتلة . ولكننا

سنلقي بمثال عرب اسرائيل جانبا على اعتبار ان ما يعانونه من اضطهاد عرقي ومواطنية من الدرجة الثانية واعتقال اداري غير محدود بقانون او زمن ، ومحـــاولات الاذابة الثقافية والحضارية والاستغلال الاقتصادي هي كلها نتيجة لانهم فقدوا استقلالهم كلية ولم يعد لهم كيان سياسي يستطيعون الاحتماء داخل قشوره(٢٨). كما اننا سنلقي بمثال قطاع غزة المناضل جانبا وكل ما فيه من الكبت والقمع البربري الاسرائيلي على اساس ان اهل غزة يقاومون ويرفضون الاستسلام و« التعايش » مع اسرائيل وبالتالي فهم لا يتيحون لانفسهم فرصة التمتع « بالرفاهية الاقتصادية » التي قد تأتي بها المشاركة مع اسرائيل . وبالتالي فان هذا يترك لنا نموذج الضفة الغربية المحتلة ، وهي على أية حال المكان المقترح لاقامة دويلة « فلسطينستان » المقترحة .

والضفة الغربية هادئة الى حد كبير وتتمتع بقدر من الحكم الذاتي والاستقلال وتعتبرها اسرائيل نموذجا يحتذى للتعايش العـــربي — الاسرائيلي وللمعجـــزة الاقتصاديـــة الاسرائيلية . فلننظر اذا الى هذا النموذج المثالي ، ولندرسه من خلال الارقام الاسرائيلية التي نشرها مصرف اسرائيل المركزي في تقريره السنوي والتي أعيد نشرها في مجلة اسرائيل ايكونومست في عـــدد آب/أيلول ١٩٧٠ بالاضافـــة الـــى بعض الاحصاءات الاسرائيلية الاخرى الهامة(٢٩).

السياسة الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية

تتكون السياسة الاقتصادية الاسرائيليـــة في الضفة الغربيـــة من شقين رئيسيـــين : ١ — سياسة « الجسور المفتوحة » مع الاردن والعالم العربي . ٢ — سياسة تحويل اقتصاد الضفة ودمجه في الاقتصاد الاسرائيلي . ويعلن المسئولون الاسرائيليون ان هدف هذه السياسة هو تحقيق اكبر قدر من الرفاهية الاقتصادية والتنمية للضفة وسكانها . فلننظر الى التطبيق الاسرائيلي ونتائجه .

١ — ادت سياسة الجسور المفتوحة الى استمرار تدفق السلع عبر الجسور من الضفة الغربية الى الاردن وبقية العالم العربي واليها. وقد صدرت الضفة الغربية عبر الجسور ما قيمته ٥١٤٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ وما قيمته ٦٤٤٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ واستوردت الضفة من الاردن عبر الجسور ما قيمتـــه ١٧٤٥ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ و٢٤٤٥ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . وبذلك تكون الضفة قد حققت فائضا في ميزانها التجاري (الواردات — الصادرات) مع الاردن (والوطن العربي) قدره ٣٤ مليون ليرة تقريبا عام ١٩٦٨ وحوالي ٤٠ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . واذا نظرنا الى الارض المحتلة كلها نجد أن الفائض يصبح ٣٦٤٣ مليون ليرة عام ١٩٦٨ و٤٤٤١ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . على أننا اذا انتقلنا من الارقام المطلقة الى النسبة المئوية نجـــد أن صادرات الضفة الى الاردن والوطن العربي في المتوسط تساوي ٦٠٪ تقريبا من جملة صادرات الضفة بينما ان الواردات تساوي ١٠٪ تقريبا من جملة وارداتها فقط .

٢ — ادت سياسة الجسور المفتوحة الى زيارة ١٦٤٠٠٠ عربي (غالبيتهم فلسطينيين بطبيعة الحال) لذويهم في الضفة الغربية ولكن هذا الرقم تضخم الـــى ٥٠٤٠٠٠ عام ١٩٧٠ . كما ان المبالغ التي يحولها الفلسطينيون العاملون خارج الضفة (وغالبيتهم في الخليج والسعودية) لذويهم في الضفة وصلت الى مبلغ ١١٣ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ .

٣ — ادت سياسة اندماج الضفة في الاقتصاد الاسرائيلي الى تحويل معظم تجارتها نحو اسرائيل ، و٨٠ ٪ من وارداتها . وبذلك فقد صدرت الضفة ما قيمته ٣٧٤٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ ، وما قيمته ٣٧٤٣ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ لاسرائيل بينما استوردت منها ما قيمته ١٣١٤٣ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ ارتفعت الى ١٦٠٤٧ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ (بزيادة قدرها ٣٠ مليون ليرة تقريبا) وبالتالي فقد قفز

العجز التجاري بين الضفة واسرائيل من ٩٣٠٩ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ١٢٣٢٤ مليون ليرة عام ١٩٦٩ . واذا اخذنا الارض المحتلـة كلها نجد ان العجز الذي تعانيه في الميزان التجاري تجاه اسرائيل قد ازداد من ١٣٢ مليون ليرة عام ١٩٦٨ الى ١٩٠ مليون ليرة عام ١٩٦٩ .

٤ — وبذلك يبدو واضحا ان العجز المتزايد في الميزان التجاري للارض المحتلة عموما وللضفة الغربية على الاخص انما يسده فائض التصدير للدول العربية والمعونات المالية التي يدفعها الفلسطينيون من الخارج أو ينفقونها عند زيارتهم في الداخل بالاضافة الى ما تدفعه الحكومة الاردنية من حصة المعونات العربية فيما تسميه دعم الصمود ويتمثل اساسا في استمرار دفع معاشات واجور موظفيها الرسميين في الضفة الغربية . أي ان الضفة الغربية (فلسطينستان المستقبل) تمثل اقتصاد عجز وتبعية Deficitary Economy يمول عجزه فائض الاموال العربية التـي تتدفق عبره لتمويل الاقتصاد الاسرائيلي .

٥ — قامت اسرائيل بعملية تحويل البنية الاقتصادية للضفة الغربية لربطها بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي ولتقليل ارتباطها بالاسواق العربية. فقد قامت اسرائيل «بتشجيع» التحول نحو الحاصلات الزراعية اللازمة لتغذية احتياجات اسرائيل الصناعية من المواد الاولية الزراعية واحتياجاتها التصديرية للبلاد الاجنبية ، كما قامت بتخفيض مساحات الارض التي تنتج محصولات تعتمد على التصدير للبلاد العربيـة أو تنتج محصولات منافسة للمنتجات الاسرائيلية . وبذلك خفضت مساحة الارض المنزرعة بطيخا — على سبيل المثال — من ٤٣ الف دونم في عام ١٩٦٨ الى ٢٦ الف دونم في عام ١٩٦٩ بينما زيدت المساحة المنزرعة تبغا من ١٥٠٠ دونم الى ٨٠٠٠ دونم في العامين المذكورين (أي بزيادة قدرها ٥٣٣٪ في سنة واحـدة)(٢٠). وتم التوسع بنفس الطريقـة في زراعة السمسم والشمندر والقطن وخيار التعليب وهي كلها زراعات تحتاج لكثافة عمالية عالية جدا ومعظمها لا تصلح له أرض الضفة الغربية . وتتم الزراعة بطريقة تشبه المشاركة بالعقود الطويلة لتوريد الحاصلات للمصانع والشركات الاسرائيليـة . ولكن محصول التبغ مثلا كان سيئا لدرجـة رفضت المصانع الاسرائيلية استلامـه فقامت السلطات الاسرائيلية باجبار مصانع السجاير العربية في الضفة على شرائه مما سبب لها خسائر كبيرة(٢١) . وبذلك فان الضفة الغربية تحول تدريجيا نحو مزرعة تقدم محصولات زراعية رخيصة وضرورية للصناعة الاسرائيلية ولا يمكن لاسرائيل الحصول عليها الا بأكلاف عالية لعدم ملاءمتها للتربة ولارتفاع اجور اليد العاملة اليهودية .

٦ ــ قامت اسرائيل بانشاء وتنمية قطاع صناعي صغير خادم للصناعة الاسرائيلية عن طريق الاستثمارات الاسرائيلية الفردية التي تضمنها الحكومة الاسرائيلية ضد أخطار الحرب والمصادرة والتخريب ، وتقوم عن طريق عقود العمل الوسيطة Subcontracting بانتاج مصنوعات لحساب مؤسسات صناعية اسرائيلية تقدم لها المواد الخام او المواد شبه الجاهزة ، خصوصا في صناعة الاثاث والملبوسات الجاهزة(٢٢).

٧ ــ شجعت اسرائيل انشاء صناعة خدمات لخدمة الاقتصاد الاسرائيلي ، فقد ارتفع رقم مؤسسات اصلاح السيارات (جراجات) الى مائتين تضاعفت عمالتها ثلاث مرات في عام ١٩٦٩ وحــده . ويقوم الاسرائيليون باصلاح سياراتهم في الضفة الغربية حيث متوسط اجر العامل اليومي ٧ ليرات اسرائيلية بينما الحد الادنى للاجور ١٧ ليرة يوميا في اسرائيل(٢٣).

لا يمكن للانسان الا ان يتذكر هنا أمثلة الاحياء الفقيرة في المدن الكبرى وخصوصا في الدول المتخلفة والتي توجد بها اسواق الخضروات والفواكه واللحوم المنخفضة الاثمان ومحلات اصلاح السيارات واعمال الحدادة والنجارة والسمكرة، والتي ينام فيها الخدم والبوابون الذين يعملون في النهار في خدمة سكان الاحياء البرجوازية ذات الدخل المرتفع . وبذلك تبقى الاحياء البرجوازية بعيدة عن ضوضاء أصلاح السيارات وبمنأى عن ذباب وقذارة اسواق الفواكه والخضروات ، ويبقى اطفال الاغنياء بعيدين عن أطفال خدمهم الذين يعزلون في الاحياء الفقيرة .

٨ ــ أوضحت الخطوات الماضيــة كيف تستغل اسرائيل العامــل العربي في الضفة المحتلة في الزراعة والصناعة والخدمات التي تتطلب بقاءه في أرضه . ولكن صورة البانتوستان لا تكون كاملة الا اذا أضفنا اليها صورة العمالة العربية المنقولة يوميا الى اسرائيل . لقد ارتفع رقم العمال العرب الذين تنقلهم الباصات الاسرائيلية كل صباح للعمل في اسرائيل وتعيدهم الى « مناماتهم » في المساء الى ٤٠،٠٠٠ عامل في عام ١٩٦٩ وهذا الرقم يتزايد بسرعة(٢٤). وهؤلاء العمال يستخدمون في قطاع البناء والتشييد وفي اسفل درجات العمل اليدوي غير الماهر كما يستخدمون كخــدام في الفنادق والمطاعم الاسرائيلية وفي بعض مهن الخدمات اليدوية الاخرى .

وبذلك فان هؤلاء العمال ينضمون الى صفوف البروليتاريا الفلسطينية العربية في اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ . فعرب اسرائيل يشكلون ٩٠٪ من عمال البناء فيها . ولعله من المذهل للكثيرين أن يعرفوا أن العمال العرب هم الذين بنوا اسرائيل وشيدوا مصانعهــا وفنادقها ومدنها الكبرى(٢٥).

ان عامل الارض المحتلة حديثا يدخل قطاع التشييد على مستوى اقل من اخيه العامل العربي في الارض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . بل أن التناقضات الطبقية التي يخلقها هذا الوضع تتعداه الى أمثلة أخرى . فالعمال الزراعيون مــن عرب اسرائيل في المناطق المجاورة للضفة الغربية يقومون الان باستخدام عمال عرب من الارض المحتلة حديثا بأجور منخفضة لزراعة أرضهم لكي يقوموا هم بالعمــل في اسرائيل بأجور مرتفعــة لا يستطيع عامل الارض المحتلة حديثا الحصول عليها .

تدلنا احصاءات البنك المركزي الاسرائيلي على أن متوسط الاجر اليومي للعامل العربي من الارض المحتلة بلغ ١١ ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ وهو اقل بست ليرات يوميا من الحد الادنى للاجور في اسرائيل . ويقوم الهستدروت بتحصيل الفارق ــ على اساس انه يساوي قيمة الخدمات الاجتماعية والصحية والتأمينات التي لا تطبق بعد على العمال العرب من الارض المحتلة ــ وتقوم بتحويل المبالغ المتراكمة نتيجة لذلك ، وقد بلغت قيمتها ١٨ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ للحاكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية(٢٦). وبذلك فان العامل العربي في اسرائيل لا يستغل من الراسمالية الاسرائيلية

فحسب ، بل أن جزءا من فائض ناتج عمله ، ومن نتاج عرقه وجهده يستخدم لتمويل السلطات المحتلة ، لدعم قدرة غاصبه في استمرار استعبـــاده واستغلاله . على ان العامل العربي الذي يحصل على متوسط اجر يومي قدره ١١ ليرة اسرائيلية لا يزال يحصل على ما لا يزيد عن ٧ ليرات اسرائيلية يوميا في الضفة الغربية ، و٥،٧ ليرة يوميا في غزة(٢٧). وبالتالي فانه يستخدم في مكانه كلما امكن ذلك ، وينقل الى اسرائيل حيث لا يمكن انتقال العمل اليه .

خاتمة

تظهر الارقام التي عرضناها بوضوح طبيعـــة الاستغلال الاسرائيلي للضفـــة الغربية ونوعية الاقتصاد الفلسطينستاني المقترح للمنطقة . والنمط البانتوستاني هو الافضل لاسرائيل في هذه المرحلة للاماكن ذات الكثافة السكانية العربيـــة العالية ، فهو يضمن استغلال الايدي العاملة الرخيصة والثروات الطبيعيـــة للمنطقة دون اختلاط السكان العرب باليهود في اسرائيل مما يضمن ــ كما أشار ديان مرارا ــ استمرار نقاء الدولة اليهودية واحتفاظها بشخصيتها اليهودية . ان تزايد أعداد عرب اسرائيل يفوق معدل نمو اليهود فيها سواء بالتوالد الطبيعي او بالهجرة بمعدلاتها الحالية وامتصاص السكان العرب في الارض المحتلة حديثا داخل اسرائيل سيؤدي بعـــد فترة قصيرة الى زيادة السكان العرب عن اليهود . ولذلك فان اسرائيل تستطيع الان وفورا تهويد المناطق ذات الكثافة المنخفضة كما فعلت في الجولان وبعض المناطق النائية في الضفة الغربية وسيناء ، وتستطيع خلق وجود استيطاني يهودي بكثافات متفاوتة حول المناطق العربية التي تريد ابتلاعها تدريجيا كما فعلت في القدس والخليل ، (ولذلك فهي تصر على أنها يجب أن تحتفظ بكل مستوطناتها في فلسطينستان الجديدة بالاضافة لقواعدها العسكرية لتكون ركائز لموجة الغزو والتهويد والاستيعاب الجديدة) ولكنها تستخدم الاسلوب البانتوستاني لمعالجة المناطق ذات الكثافة العربية العالية . وهذا هو المبرر الاساسي من انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية .

هل يمكن للفلسطينيين القبول بفلسطينستان كبديل للدولة الديمقراطية ؟ هل هناك مجال للمقارنة بين العبودية والتحرير ؟ هل هناك امل للسود في ظل حكومة عنصرية بيضاء ؟ لا شك أن البديل التقدمي الوحيد ، والنموذج الوحيد المقبول لفلسطين الغد بيهودها وعربها هو النموذج الذي طرحته الثورة الفلسطينية ... نموذج الدولة الديمقراطية التقدمية اللاطائفية الموحدة .

---

١ ــ كلمة فتح في المؤتمر الثاني لنصرة الشعوب العربية (القاهرة) من ٢٥ الى ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ . راجع كتاب فتح السنوي (١٩٦٩) ص ١١ . يجدر بنا أن نشير هنا الى انه سبق هذا التصريح الكامل عدة اشارات من فتح الى رغبتها في اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية دون تمييز في الدين او العقيدة تشمل اليهود والمسلمين والمسيحيين . انظر مثلا : الميثاق الصادر عن المؤتمر الاول للمنظمات الفدائية المنعقد في القاهرة بين ١٧ ــ ١٩٦٨/١/٢٠ كما ورد في كتاب غازي خورشيـــد ، دليل حركة المقاومـــة الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحـــاث بيروت آذار (مارس) ١٩٧١ . انظـــر ايضـــا حديث أبو عمار لجريدة الانوار في ١٩٦٨/٦/٢٣ وكتـــاب فتح السنوي ١٩٦٨ ، وحديث ابو عمار لمجلة « باري ماتش » الفرنسية في ١٩٦٩/١/١١ .

٢ ــ انظر محمد رشيد ، **نحو فلسطين ديمقراطية** ، سلسلة ابحاث فلسطينية رقم ٢٤ ، منظمـــة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٧٠ .

٣ ــ مقابلة مع البرنامج التلفزيوني الامريكي « واجه الامة » في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
Face the Nation Programme, C.B.S. transcript, p. 13.

٤ ــ انظر مقالة ابراهيم ابو لغد عن « المواجهة العربية ــ الاسرائيلية : بعض التعليقات حول المستقبل » في الكتاب التالي

Selected Essays on the Palestine Question, P.L.O. Research Center, Beirut, 1969.
أنظر أيضا Stone, I.F., "For a New Approach to the Israeli-Arab Conflict", the *New York Review of Books*, August 3, 1967.

٥ ــ انظر المقالة التي كتبها اوري أفنيري للعدد الخاص من مجلة « الازمنة الحديثة » عن النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، حزيران ــ يونيو ١٩٦٧ .
Les Temps Modernes: Numero Special sur le Conflit Israélo-Arabe, June 1967.

٦ ــ محادثة اينشتاين ووايزمان ، انظر كتاب ليلينثال
Lilienthal, A., *"There Goes the Middle East"*, New York, 1957, p. 240.
ويجب أن نقرر هنا أن أينشتاين ظل معارضا لفكرة اقامة دولة يهودية وأفاد بذلك في شهادة أعطاها للجنة الاستقصاء الانجلو أمريكية عن فلسطين أنظر *New York Times*, January 12, 1946, p. 7.
وردد ذلك في مذكراته أنظر Einstein, A., *Out of My Later Years*, New York, 1950, p. 263.

٧ ــ محادثة جولدا مائير : مع جريدة الصانداي تايمز اللندنية ١٥/٦/١٩٦٩ .

٨ ــ انظر مقالة I. F. Stone السابقة الذكر .

٩ ــ انظر مذكرات هرتزل الكاملة *The Complete Diaries of Theodor Herzl*, Vol. I, p. 88-90, 98. Published by the T. Herzl Foundation (Thomas Yoseloff, New York), 1960

١٠ ــ انظر الميثاق الوطني الفلسطيني ، منظمة التحرير الفلسطينية (١٩٦٨) . ص ٥ .

١١ ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، **حول دولة فلسطين الديمقراطية** ، منشور صادر في بيروت ١٩٧٠ انظر أيضا مجلة الهدف ٢٥/٤/١٩٧٠ .

١٢ ــ ابراهام ليون : « **المفهوم المادي للمسألة اليهودية** » . دار الطليعة ، بيروت (١٩٦٩) .

١٣ ــ جريدة الحياة البيروتية اليومية « فكرة الدولة الديمقراطية المشتركة كما تراها اسرائيل » مقال الاسبوع بقلم الدكتور عمر حليق ، ١/٢/١٩٧٠ .

١٤ ــ انظر مثلا مجلة الثائر العربي التي تصدر عن جبهة التحرير العربية العدد ١٦ في ١/١٢/١٩٦٩، والعدد ١٧ في ١٥/١٢/١٩٦٩ ، العدد ٢١ الصادر في ١٥/٣/١٩٧٠ والعدد ٢٢ الصادر في ٣١/٣/١٩٧٠ . انظر أيضا مجلة الاحرار الاسبوعية ١٠/٤/١٩٧٠ الاحرار ٣/٧/١٩٧٠ ، اما بالنسبة للجبهة الديمقراطية ، انظر مقال حواتمه للموند الفرنسية الذي اعادت نشره « الحرية » في ١٢/١/١٩٧٠ ومقالة لمجلة تريكونتننتال الذي أعادت نشره الحرية في ١٩/١/١٩٧٠ .
يمكن القول بشكل عام ان كافة اعداد مجلة « الاحرار » الموالية لجبهة التحرير العربية ومجلة « الحرية » الموالية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي صدرت في الفترة بين شباط وتموز ١٩٧٠ كانت تحتوي على مقالات ومناقشات ومناظرات حول قضية الدولة الديمقراطية والحل الديمقراطي للقضية اليهودية . أنظر ايضا ملحق الانوار ٨/٣/١٩٧٠ وملحق الانوار ١٥/٣/١٩٧٠ . وللانصاف نقرر ان مجلة الحرية هاجمت « الاحرار » بشدة على موقفها المهاجم للفكرة واتهمها محمد كشلي باستخدام الاسلوب الانشائي اللفظي المميز للفكر القومي البرجوازي الصغير وبالضبابية والتعصب ، انظر الحرية ١٦/٣/١٩٧٠ .

١٥ ــ انظر مقالات « الثائر العربي » و« الاحرار » السابقة الذكر .
للضرر الناتج عن المناظرة العقيمة انظر مقالة ويليام توهي بالانترناشيونال هيرالد تريبون ٣/٤/١٩٧٠ ص٤، ومقالات اسرائيليون يردون ، انظر نبيل شعث، « الفكر العنصري الاستعماري وراء اسرائيليون يردون » **مجلة شؤون فلسطينية** ، العدد الاول آذار (مارس) ١٩٧١ .

١٦ ــ انظر مثلا مقالة حاركابي المنشورة في « معاريف » في ٢١/١١/١٩٦٩ بعنوان « دور الفلسطينيين في الصراع العربي ــ الاسرائيلي » .

١٧ ــ انظر مثلا رأي الهيئة العربية العليا المنشور في جريدة « الحياة » ١٣/٣/١٩٧٠ وفي مجلة الهيئة « فلسطين » من اعداد مختلفة . يرفض ابو عمار مناقشة موضوع الاعداد هذا كحجة ضد الدولة الديمقراطية ، انظر الجمهورية المصرية ٥/٢/١٩٧٠ .

١٨ ــ انظر اعداد نشرة « اسرائيليون يردون » عن الدولة الديمقراطية ونشرات ما يسمى « بجمعية احلال السلام في الارض المقدسة » وكلاهما تصدرهما اجهزة الدعاية الاسرائيلية باللغة العربية واللغة الانجليزية.

١ — انظر مقالات الحرية السابقة الذكر عن وجهة نظر الجبهة الديمقراطية .

٢ — انظر مثلا مقالة « فتح » باللغة الانجليزية بتاريخ ١٩٧٠/١/١٩ .

٢ — قصة مسعده Massada هي اسطورة يهودية عن مجموعة من اليهود قاتلوا فرقة رومانية كبيرة قرب مسعده في فلسطين وقتل عدد كبير منهم ولما غلبهم الرومان على أمرهم فضلوا الانتحار على الوقوع في أسر الرومان .

٢ — انظر مثلا مقالة ابلي بن غال في اللموند الفرنسية بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٣١ انظر ايضا جون كمشه في مجلة New Middle East عدد سبتمبر ١٩٧٠ ص ٤ ، ومقالة بيريس في **نفس المجلة** عدد مايو ١٩٧٠ ص ٣٠ ، وحديث آري الياف سكرتير عام حزب العمال الاسرائيلي ، **نفس المجلة** مارس ١٩٧٠ ص ٨ ، ومقالة أخرى في **نفس المجلة** على صورة حوار بعنوان « مشاكل مثقف اسرائيلي » ، يناير ١٩٧٠ ص ٣٧ .

انظر ايضا مقالات عديدة في مجلة New Outlook الاسرائيلية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، مقالة مردخاي بنتون ، نوفمبر ١٩٧٠ ص ٤١ ، يوسف أبيلياه ، يونيو ١٩٧٠ ، ص ٢٨، وآفروس ، مايو ١٩٧٠ ص ١٩ ، ومردخاي كافري، مايو ١٩٧٠ ص ٢٧، وحاييم دروبكين ، عدد مارس/ابريل ١٩٧٠ ، ص ٤٩ .

ويجدر التذكير هنا ايضا بمقالات « اسرائيليون يردون » انظر مقالة نبيل شعث السابقة الذكر .

٢ — اسرائيليون يردون العدد رقم ١٦ .

٢ — انظر المراجع السابقة الذكر تحت هامش (٢٢) .

٢ — انظر مقال منير فلنر في مجلة Comment عدد ١٩٧٠/١١/١٤ ص ٧٢٩ . انظر ايضا مقال محمد كشلي ، مجلة الحرية ١٩٧٠/٣/٢٣ .

٢ — ماتزبن Matzpen هو اسم المجلة التي تصدرها المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية I. S. O. باللغة العبرية ومعناها « البوصلة » . ازراك Israc وازراكا Israca هو اسم المجلات التي تصدرها المنظمة عن طريق فرعها الطلابي في الخارج باللغة الانجليزية في انجلترا وأمريكا ، وازراك هي مختصر Israeli Students Revolutionary Committee (Abroad). واعداد هذه المجلات تحوي فكر المنظمة، انظر ايضا ترجمة مجلة الحرية في العدد ٤٩ لبعض افكار الماتزبن. كذلك المقدمة التي كتبها لوبل لكتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » بالعبرية بعنوان اليهود وفلسطين . انظر ايضا كتاب فاينشتوك الصهيونية ضد اسرائيل Weinstock, *Le Sionisme Contre Israël*, Maspero, 1969.

٢ — انظر مقالة موني القايم ، مجلة New Outlook عدد سبتمبر/اكتوبر ١٩٧٠ ، ص ٥٦ ، ايضا رسالة من طالب للجرائد الاسرائيلية نفس العدد ص ٦٠ ، قرارات المؤتمر نفسه تظهر في نفس العدد من المجلة ص ٥٨ .

٢ — انظر صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت .

٢ — انظر ايضا مجلة نيو ميدل ايست عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ .

٣ — انظر مقالة احمد خليفة « سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة » ، مجلة شؤون فلسطينية العدد الاول آذار ١٩٧١ ص ٧٧ — ٩٤ . انظر ايضا اسرائيل ايكونومست ، العدد المشار اليه سابقا .

٣ — المعلومات عن محصول التبغ من الصحفي البريطاني ديفيد هيرست والتي حصل عليها من دراسة في اسرائيل .

٣ — اسرائيل ايكونومست ، العدد السابق الذكر ، ومجلة نيو ميدل ايست ، نوفمبر ١٩٧٠ .

٣— نفس المصدر .

٣ — نفس المصدر .

٣ — راجع صبري جريس ، المصدر السابق الذكر ، اني مدين للاخ صبري للفت نظري الى هذه المقارنة الهامة .

٣ — المعلومات من دراسة لم تنشر بعد كتبها الصحفي الامريكي لورنس موشر بجريدة الناشيونال اوبزرفر بعد زيارة طويلة لاسرائيل في ديسمبر الماضي .

٣ — اسرائيل ايكونومست . العدد السابق الذكر .

تطورات الاقتصاد الاسرائيلي

الدكتور سعيد حمود

ما هي قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على النمو ، والى أي حد يمكنه تجنيد الامكانيات المتاحة له ، بشكل يضمن له البقاء والاستمرار في وجه صورة المشاكل المعقدة التي تعترضه في الداخل وفي الاطار المحيط به عربيا ودوليا ؟ لعل الاجابة على هذه التساؤلات تضعنا أمام صورة الوقائع القائمة وامام حقيقة مرتكزات الاقتصاد الاسرائيلي دون مبالغات او أوهام او اخطاء . هناك جملة مؤشرات تعيننا على متابعة التطورات في الاقتصاد الاسرائيلي وتتيح لنا ، في الوقت نفسه ، الاجابة على التساؤلات المطروحة .
غير أن متابعة المؤشرات المذكورة يجب أن لا تغيّب عن أذهان الباحثين وعن وعيهم جملة قضايا رئيسية في بنية الاقتصاد الاسرائيلي :

١ ــ اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على العون الخارجي : لم تتمكن كافة الانجازات الاقتصادية عبر السنين ، لا في الخمسينات ولا في الستينات ، ولا نتوقع ذلك في السبعينات ، من أن تحرر الاقتصاد الاسرائيلي من قيد هذا الاعتماد أو أن تخفف من حدته . اما السبب الرئيسي وراء ذلك ، فهو أعباء التسلح وحالة الحرب الدائمة التي تعيشها اسرائيل والتي تضطر لاخضاع كل شيء لدواعيها ، والاصرار على تحقيق جملة اهداف تتعلق بمصلحة الدولة والمجتمع دفعة واحدة (انظر (٤) ادناه) .

٢ ــ التفوق الدائم للواردات على الصادرات ، اي العجز الدائم في الميزان التجاري وميزان المدفوعات ، هذه الظاهرة استمرت في مرافقة الاقتصاد الاسرائيلي ، ولم يستطع ان يتخلص منها حتى الآن . ومن الجدير بالذكر هنا ان نسبة نمو الصادرات اخذت تزيد عن نسبة النمو في الواردات عبر السنين ، من دون أن يؤدي ذلك الى احداث تفوق الصادرات على الواردات (اي الغاء حالة العجز في الميزان التجاري) بل أدى الى تزايد الفجوة اتساعا بالارقام المطلقة بين الواردات والصادرات . أما مرد هذا الامر أو تفسيره فيعود الى طبيعة منطلق القطاع التجاري في بنية الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث كان حجم الفجوة بين الصادرات والواردات ضخما .

٣ ــ القدرة الذاتية الهائلة للاقتصاد الاسرائيلي على تغيير تركيبه القطاعي ، بمعنى القدرة على التحول في حجم تركيز الفعالية على القطاع الذي يبدو اكثر الحاحا وأجدى انتاجية في فترة من الفترات . وهذه العملية ليست بسيطة في اقتصاد نام ومتطور ، انها تتطلب نسبة كبيرة من المرونة ومن المقدرة على ضبط نتائج التحويل والسيطرة عليها .

٤ ــ اصرار السياسة الاقتصادية الاسرائيلية على تنفيذ مخطط كامل وفي وقت واحد : التسلح الواسع ومرتفع التكاليف ، استيعاب المهاجرين والعمل على تكثيف تدومهم ، الاستيطان الزراعي ، تحقيق معدل نمو اقتصادي مرتفع ، توسيع نطاق الخدمات العامة باتجاه مجتمع الرفاه ، ارتفاع الاجور وارتفاع مستمر في مستوى الاسعار . (من الواضح ، على أساس العوامل التي تحكمت في تطورات السنوات الاخيرة ، أن عشرات

كبيرة قد وقفت في طريق حرية الاصرار المذكور ، بمعنى أن الضغط الهائل الذي تسببه متطلبات الحرب والتسلح والامن والاشراف على المناطق المحتلة ، قد كبل الانطلاق نحو مجتمع الرفاه وخلق له مشكلات عديدة ، غير انه مـــن الجدير بالذكر ، أن السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لم تعلن عن تخليها عن الاصرار على تنفيذ المخطط الكامل .)
هذه القضايا الرئيسية التي تفعل في بنية الاقتصاد الاسرائيلي لا بد أن تظل ماثلة أمامنا ، خلال عملية متابعة المؤشرات في تطور الاقتصاد الاسرائيلي . يمكن لمؤشرات ثلاثة من ضمن مجموعة مؤشرات اقتصادية ، اجتماعية ونفسية ، أن تعيننا على رؤية ومتابعة ما يجري في حركة الاقتصاد الاسرائيلي : ١ ــ جملة الموارد المتاحة ، ٢ ــ اعباء الحرب، ٣ ــ السكان وحجم النمو الناتج عن التزايد الطبيعي وعن الهجرة الصافية .
المؤشر الاول : ان جملة الموارد المتاحة لاسرائيل تتألف من الناتج القومي بالاضافة الى تفوق المستوردات على المصدرات (فائض الاستيراد) ، الذي يعـــادل بدوره عجـــز الحساب الجاري زائدا تفوق المعونات الخارجية على هذا العجـــز . بالنسبة للناتج القومي فقد حقق في اسرائيل منذ نشوئها ولغاية العام ١٩٦٩ ، نموا سنويا متوسطا بلغ نحو ١٠ بالمائة . بالطبع تعتبر نسبة النمو هذه عالية جدا اذا ما قورنت بمعدلات النمو في البلدان الاخرى . (متوسط النمو السنوي للناتج القومي في بعض البلدان بين ١٩٥٥ و١٩٦٦ : اسرائيل ٩،٣٪ ، المانية الغربية ٥،٣٪ ، فرنسة ٥٪ ، السويد ٤،٥٪ ، الولايات المتحدة ٣،٥٪)(١).
غير أن السنوات الثلاث (١٩٦٥ ــ ١٩٦٧) شهدت هبوطا في متوسط نمو الناتج القومي على الشكل التالي : ١٩٦٥ هبط النمو الى ٨،٢٪ ، ١٩٦٦ الى ٦،٠ بالمائة ، والى ١،٢ بالمائة في العام ١٩٦٧(٢). وجاء هذا الانخفاض نتيجة لسياسة انكماشية متعمدة وضعت في العام ١٩٦٤ في محاولة للحد من الاعتماد على العون الخارجي . بلغ النمو السنوي المتوسط للناتج القومي في العام ١٩٦٨ حوالي ١٠ بالمائة وفي العام ١٩٦٩ ارتفع الى ١١

جدول رقم ١ احتياطي العملات الاجنبية المتجمع بفضل تفوق المعونات على فائض الاستيراد (١٩٦٨ ــ ١٩٧٠)
(بملايين الدولارات)

الشهر	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠
كانون الثاني		٦٧٨،١	
شـــــباط	٧٦٦،٢	٦٩٧،٨	
آذار			
نيســـان			
أيـــار			٤٣٧،٧
حزيران		٥٤٢،[illegible]	٤٤٠،٦
تموز		٥٠٩،٨	٤٥٣،٨
آب	٧٦٤،٣	٥٠١،٥	٤٥٢،٤
ايلول	٧٥٢،٤	٤٧٦،٥	
تشرين الاول	٧٢٠،٢	٤٥٣،٧	
تشرين الثاني	٦٨٩،١	٤١٧،١	
كانون الاول	٦٦٢،٩		

المصدر : Quarterly Economic Review, The Economist Intelligence Unit, No. 2, 1969. No. 1, 1970. No. 4, 1970.

بالمائة ، ليعود وينخفض الى ٨٪ في العام ١٩٧٠ ، ومن المتوقع له ان ينخفض الى نسبة أقل في العام الحالي(٣).
نلقي الآن نظرة على أوضاع الحساب الجاري وعلى وضع الاحتياطي المتجمع والديون وذلك استكمالا لتفحص جملة الموارد المتاحة في اسرائيل . كان حجم المعونات الخارجية في السنوات السابقــة لعام ١٩٦٨ يتفوق على عجــز الحساب الجاري(٤)، مما أتاح لاسرائيل تجميع احتياطي ضخم من العملات الاجنبية حتى نهاية ١٩٦٧ . غير ان الاعوام ١٩٦٨ و١٩٦٩ والى حد ما ايضا العام ١٩٧٠ ، شهدت انقلابا هاما في الصورة ، اذ زاد العجز في الحساب الجاري على المعونات الخارجية مما اثر بشكل سلبي واضح على اوضاع احتياطي العملات الاجنبية المتجمع عبر السنين لدى اسرائيل . ظهرت في الجدول الاول صورة التدهور التي تعرض لها الاحتياطي المتجمع منذ شهر شباط ١٩٦٨ ولغاية شهر آب ١٩٧٠ .
هذه صورة أوضاع الاحتياطــي المتجمع المتدهورة ، يقابلها على الجانب الآخر ارتفاع قوي في حجم الديون الخارجية ، مما يزيد الاوضاع صعوبة على الاقتصاد الاسرائيلي :

الديون الخارجية(٥)
(بملايين الدولارات)

١٩٦٧	١٦٠٠
١٩٦٨	١٨٥٠
١٩٦٩	٢١٠٠
١٩٧٠	٢٥٠٠

كان العجز في الحساب الجاري (فائض الاستيراد) قد بلغ حدا خطرا في العام ١٩٦٤ ، حين وصل الى ٥٧٣ مليون دولار (في حين كان معدل العجز السنوي في السنوات الثلاث السابقة حوالي ٤٥٣ مليون دولار) . في العام ١٩٦٨ بلغ فائض الاستيراد ٦٩٦ مليون دولار ولأول مرة يكون هذا العجز متفوقا على حجم المعونات الخارجية التي بلغت في العام نفسه ٦٥٤ مليون دولار(٦). في العام ١٩٦٩ كان العجز حوالي ٩٠٠ مليون دولار ، ليصل الى ١٢٥٠ مليون دولار في العام ١٩٧٠ (حوالي ١٥٠ مليون دولار أكثر مما كان متوقعا له)(٧).
لاحظنا من الاستعراض حتى الآن عدة أمور نلخصها في النقاط التالية : أ ــ انخفاض نسبة النمو في الناتج القومي في العام ١٩٧٠ ، بعــد ارتفاع ملحوظ في العامين ١٩٦٨ و١٩٦٩ . ب ــ تدهور سريع في حجم الاحتياطي المتجمع لدى اسرائيل مــن العملات الاجنبية. ج ــ تراكم للديون الخارجية على اسرائيل. د ــ اتساع الثغرة بين الصادرات والواردات في العام ١٩٧٠ ، بشكل خطير ، بعد اتساعها التدريجي في العامين السابقين على اثر تحسن طفيف قبل العام ١٩٦٦ . هـ ــ ارتفاع نسبة « فائض الاستيراد » للناتج القومي ولجملة الموارد المتاحة . وقد ارتفعت النسبة بانتظام من عام ١٩٦٦ حتى الآن .
من المتوقع أن تستمر حالة الهبوط والقلق على خريطة الاقتصاد الاسرائيلي طيلة العام الحالي ١٩٧١ . وبالتالي فان حجم الضغوط الداخلية سوف يزداد ثقلا ومن جهات عدة. سينخفض ، وبحدة ، الانفاق على الاستهلاك الخاص ، اذ أن الحكومة سوف تستمر باحكام قبضتها على القوة الشرائية . (في حين شهدت السنوات الثلاث الاخيرة ارتفاعا في نسبة الاستهلاك الخاص بحوالي ١٢ ٪ .)(٨) من جهة اخرى فان الانفاق في القطاع العام سوف يظل مرتفعا ، وكذلك الحال بالنسبة للاستثمار ، (وقد كان العام ١٩٦٨ عاما حاسما بالنسبة لهذا القطاع اذ شهد نموا قويا بنسبة ٨٨ ٪ عن مستواه في العام السابق)(٩). ان تأثير جملة الضغوط سوف يعكس نفسه بشكل متفاوت على مختلف

فروع المستوردات ، وسوف ينخفض نمو المستوردات بشكل عام ، ففي حين يتوقع أن ينتعش استيراد المواد الاولية وخاصة تلك التي تخدم صناعات التصدير والصناعات الحربية (بفضل التسهيلات والفائدة المتاحة لهذه الصناعات) ، فانه من المنتظر أن ينخفض استيراد المواد الاستهلاكية ، وكذلك المواد الخاصة بالصناعات الاستهلاكية المحلية(١٠). وكافة الادلة تشير الى ان العام الحالي (١٩٧١) سوف يشهد تحسنا واضحا في أوضاع التصدير . لقد بلغت الصادرات ما قيمته ٤٧٦ مليون دولار في الاشهر الثمانية الاولى من العام ١٩٧٠ ، بينما كانت حوالي ٤٦٢ مليون دولار للفترة نفسها من العام ١٩٦٩ . والسبب وراء هذا النمو الطفيف (٣ ٪) يعود الى انخفاض في حجم تصدير الماس بما قيمته ١٤ مليون دولار (ـــ ١٠ ٪) وفي تصدير الحمضيات بما قيمته ٤ ملايين دولار (أي ـــ ٥ ٪)(١١). غير انه على اساس بعض الاتفاقيات الجديدة يتوقع أن يتحسن تصدير الماس ، وكذلك بالنسبة للحمضيات ، اذ من المتوقع أن لا يكون الموسم كاسدا مثل العام الماضي ، هذا بالاضافة الى الانتعاش الذي طرأ على الصادرات الزراعية الاخرى .

من الواضح أن الاقتصاد الاسرائيلي يحاول دائما في تصديه لمعضلاته الاساسية والدائمة ان يحرك قواه الذاتية ، ويجند كافة الامكانات المتاحة له : ضغط الاستهلاك الخاص ، ضبط الاستيراد ، تشجيع التصدير بكافة فروعه، التحكم بالاسعار والاجور . الخ.الخ . . غير أنه ظل عاجزا عبر السنين عن ايجاد الحلول الحاسمة لمعضلاته الاساسية ، والسبب الرئيسي وراء ذلك هو التشبث والاصرار على تحقيق الاهداف المتعلقة بمصلحة المجتمع وأمنه كلها ودفعة واحدة . من هنا تركزت القناعة بأن أية عملية اعادة لتوزيع الموارد المتاحة بشكل يتيح تأمين متطلبات الدفاع ، قد توقع توزيع الموارد واستخدامها بسلسلة من الاضطرابات ، تؤثر على تحقيق الاهداف المذكورة . وعلى هذا الاساس فقد لجأ الاقتصاد الاسرائيلي الى منابع اخرى لتأمين متطلبات الدفاع: الضرائب الجديدة، قروض ومعونات جديدة ، الاغتراف من الاحتياطي المتجمع .

المؤشر الثاني : كيف تجابه اسرائيل اعباء الحرب ، وكيف تمول هذا «التأهب العسكري» ذا المستوى العالي جدا ، والفعالية المرتفعة جدا قدرة وتكاليف ؟ في السادس عشر من شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ أعلنت الحكومة الاسرائيلية عن اجراءات جديدة لمجابهة المصروفات العسكرية الجديدة ، حتى لا يتعرض « برنامج الدفاع » لأية مخاطر ، تمثلت هذه الاجراءات باعلان ميزانية اضافية على الميزانية المقرة لعام ١٩٧٠/١٩٧١ . بلغت الاضافة ما قيمته حوالي ٣٣٦ مليون دولار ، مخصصة كلها لشؤون الدفاع . وهي تعني رفع الموازنة المقرة بحوالي ١٠٪ . وهي ، من ناحية ، ممولة من قروض جديدة خاصة تبلغ قيمتها حوالي ٢١٧ مليون دولار ، ومن ناحية أخرى من الضرائب الاضافية التي فرضت مؤخرا(١٢). كما ان هذه الاضافة تعني ارتفاعا لنسبة الموازنة العسكرية من الموازنة العامة وكذلك من الناتج القومي . تبلغ الموازنة العسكرية للعام الحالي (١٩٧٠/١٩٧١) حوالي ١٠٢٥٠ مليون دولار ، أي ٤٠ ٪ من الموازنة العامة ونحو ٢٥ بالمائة من الناتج القومي المقدر . فاذا اضفنا الى الموازنة العامة ، الموازنة الملحقة (والتي هي مخصصة للشؤون العسكرية) لبلغت نسبة الموازنة العسكرية الى الموازنة العامة ٤٥ بالمائة ، ولاقتربت نسبة الموازنة العسكرية من الناتج القومي الى الثلث بدلا من الربع (٣٠ ٪) . هذه النسب تبقى صحيحة اذا اكتفينا بالارقام الرسمية المعلنة ، غير ان الواقع يشير الى أن الاعباء العسكرية تفوق بكثير الارقام المعلنة : المستوطنات التي تقام لشؤون الدفاع لا تحسب موازنتها مع الموازنة العسكرية بل ترد في موازنة وزارة الزراعة والوكالة اليهودية ، شبكات الطرق التي يتم تعبيدها لاسباب عسكرية ، تظهر مصاريفها في موازنة « مجلس الاشغال العامة »، وكذلك بناء الملاجىء ، والحراس في المؤسسات العامة ، كافة هذه الامور وغيرها لا تحسب في المصروفات العسكرية

بالرغم من انها تخدم اغراض التعبئة العسكرية(١٣).
على الرغم من الارتفاع الهائل في النفقات العسكرية، وعلى الرغم من أن نسبتها في العام الحالي ٧٠/٧١ ، فاقت بكثير نسبتها في الاعوام الماضية (اذ تطورت نسبة مخصصات الدفاع للدخل القومي على الشكل التالي : ١٩٦٤/٦٥ نحو ٩،٩ بالمائة ، ١٩٦٥/٦٦ نحو ٩،٧ بالمائة ، ٦٦/٦٧ حوالي ٩،٥ بالمائة ، ٦٧/٦٨ حوالي ١٢ بالمائة ، ٦٨/٦٩ نحو ١٦ ٪ ، ٦٩/٧٠ بلغت ١٨،١ بالمائة)(١٤)، وعلى الرغم من أن الموازنة العامة في اسرائيل تعادل ما يقارب ٧٠ بالمائة من الناتج القومي ، وهذه نسبة مرتفعة جدا اذا ما قورنت بأوضاع الموازنات العامة في العالم ، وعلى الرغم من ان العبء الضريبي الذي تسببه النسب المرتفعة لنفقات الدفاع ، أصبح باهظا جدا ، على الرغم من كافة هذه الامور فان الموارد المتاحة للاقتصاد الاسرائيلي ما زالت تزداد نسبيا أكثر من عبء النفقات العسكرية ، بفضل تدفق المعونات الهائل وبفضل التعبئة الانتاجية الداخلية التي بلغت في العام ١٩٧٠ حدا عاليا جدا .
مع تثبيت هذه الحقيقة وربطها بما دلت عليه تجربة السنوات الماضية ، من أن المجتمع الاسرائيلي والاقتصاد الاسرائيلي قادران على تحمل كافة أعباء الحرب والاعباء الناتجة عنها من ضريبية وغيرها ، فاننا لا نجد مناصا في مقابل ذلك من تسجيل بعض القضايا الاساسية :
آ ــ من الصحيح أن التجربة دلت حتى الآن أن المجتمع الاسرائيلي تحمل بكل صبر كافة انواع الضغط والضيق في سبيل الحفاظ على أمنه وبقائه ، وصحيح أن الاقتصاد الاسرائيلي قد تمكن من استعمال موارده المتاحة بأسلوب جعله قادرا على التصدي لأزماته والخروج منها ، وصحيح أيضا ان اصدقاء اسرائيل في الخارج واليهودية العالمية ما انفكوا يقدمون الهبات والمعونات والقروض ويلبون الاحتياجات الاسرائيلية الدائمة والمتكررة ، كل ذلك صحيح ، ولكنه من الصحيح أيضا ان القوة العربية في الصراع ، بسبب أوضاعها الذاتية وتأثير تلك الاوضاع على قدرتها ، قد مكنت تلك العوامل التي عددناها من ان تأخذ مداها كاملا وتعطي ثمارها كاملة ، اذ انها (القوة العربية) لم تقنع الصابرين بعدم جدوى صبرهم ، ولم تجعل على الاقتصاد الاسرائيلي مستحيلا أن يستعمل موارده ويكيفها كما يشاء ، ولم تنجح حتى الآن في أن تضع علامة السؤال أمام أصدقاء اسرائيل في الخارج حول جدوى الدعم والعطاء والبذل .
ب ــ ان اقتصادا تتراكم فيه الديون الخارجية سنة بعد سنة ، ويستمر العجز في ميزان مدفوعاته ، وينهار الاحتياطي المتجمع فيه الى حد خطير ، ان اقتصادا يعيش حالة تأهب وحرب دائمة يعاني صعوبات بالغة ليس أقلها تصريف منتوجاته ، وهو محاط باستمرار بالعداء ، ان اقتصادا من هذا النوع ، مهما كانت قدراته ومهما كانت طبيعة المنابع التي تمده بأسباب الحياة ، لا يمكن أن يستمر طويلا دون أزمة مصيرية ، خاصة اذا استنزفت امكانياته بشكل جدي ، واضطر الى خوض حرب حقيقية ولفترة طويلة من الزمن تزيد عن ثلاثة او اربعة شهور(١٥)، يتضح خلالها أن الاكلاف تفوق حدود تحمله وقدراته .
جـ ــ تبقى قضية التمويل ، والعبء الذي تسببه على السياسة الاقتصادية الاسرائيلية ، من أكبر الاعباء الاقتصادية وخاصة اذا تحققت الشروط التي أشرنا لها في البندين السالفين .
المؤشر الثالث : وهو موضوع نمو حجم السكان . هذا المؤشر له اهمية خاصة في أي بحث يتناول امكانيات اسرائيل وعوامل قوتها ، وذلك للاعتبارات التالية :
أ. ان التزايد السكاني لا يشكل عبئا على المجتمع الاسرائيلي ، بل انه يعتبر ، في حقيقة الامر، واحدا من أهم ركائزه وأصلبها. فالعنصر البشري هو وراء القوة الانتاجية الهائلة في القطاع الاقتصادي ، وهو دعامة المؤسسة العسكرية وقدراتها البارزة ، وهو محرك المجتمع وانجازاته الفنية والسياسية والاعلامية .

ب. ان التراكم البشري يكون عبئا في مجتمع متخلف حضاريا وتقنيا ، امـــا في مجتمع متطور ، حيث تتم التعبئة على اسس علمية وتوزيع قطاعي قائم على الخبرة والحسابات الدقيقة ، فان التزايد السكاني يعتبر الاحتياطي المصيري لوجــود المجتمع واستمرار بقائه .

ج. ظروف نشأة اسرائيل الخاصة ، واوضاع الحركة الصهيونية فيما يتعلق بالهجرة الى اسرائيل مكنت المجتمع الاسرائيلي من امـــر متميز قلما تتمتع به المجتمعات الاخرى في قضية حجم النمو السكاني ونوعيته ، هذا الامر المتميز هو : خيار المجتمع الاسرائيلي في انتقاء نوعية سكانه من ناحية الاعمار (سن العمــل والجندية) والكفاءات (اصحاب الخبرة والمهارات والاختصاص) .

د. نظرا للاعتبارات المذكورة ذاتها فان القطاع السكاني يعتبــر مقتلا خطرا في جسم المجتمع الاسرائيلي اذا تعرض لاستنزاف حقيقي واذا سدت في وجه نموه وبشكل محكم ابواب الهجرة . من هنا حرص اسرائيل على تجنب الخسائر في الارواح ومن هنا الاثر الكبير الذي تتركه اخبار الوفيات في المجتمع الاسرائيلي .

لنمو حجم السكان في اسرائيل مصدران : الهجرة الصافية والتزايد الطبيعي . فاذا نظرنا الى تطور الهجرة الصافية الى اسرائيل (القادمون ناقصا الراحلون) لوجدنا الصورة التالية من العام ١٩٦٢ الى آخر ١٩٦٩ . (انظر جدول رقم ٢) . اما جملة الهجرة الصافية بين ١٩٤٨ — ١٩٦٩ فقد بلغت ١١٣٧،٣ الف نسمة . وجملة التزايد الطبيعي للسكان للفترة ذاتها بلغت ٧٠٨،١ الف نسمة . ويكون متوسط التزايد الطبيعي السنوي حوالي ١،٨ بالمائة ، بينما يشكل صافي الهجرة ٦١،٦ بالمائة من مجمل زيادة السكان . ووصل عدد سكان اسرائيل في آخر العام ١٩٦٩ الى حوالي ٢،٩٧٩،٠٠٠ ، منهم حوالي ٢،٤٩٦،٠٠٠ يهودي وكانت زيادة جملة عـــدد السكان حوالي ٢،٥ بالمائة(١٦). ومـــن الواضح ، بعد متابعة نمو حجم السكان طيلـــة السنين ، ان اسرائيل لا تعاني ازمة سكانية ، ولن تتعرض لهذه الازمة ، اذا استمرت الاوضاع على ما هي عليه الآن .

جدول رقم ٢ — الهجرة الصافية الى اسرائيل

السنة	**صافي الهجرة**	**ملاحظات**
١٩٦٢	٥٥ ٠٠٠	
١٩٦٣	٥٣ ٠٠٠	
١٩٦٤	٤٨ ٠٠٠	
١٩٦٥	٢٢ ٩٠٠	
١٩٦٦	٨ ٣٠٠	
١٩٦٧	٤ ٣٠٠	هذا ادنى حد وصلت اليه الهجرة
١٩٦٨	١٣ ٤٠٠	
١٩٦٩	٢٥ ٠٠٠	

المصدر : المجموعة الاحصائية الاسرائيلية ١٩٦٩ .

استنتاجات : ١ — ان الاقتصاد الاسرائيلي ما زال يتمتع بقدرة كافية على النمو . كما ان المجتمع الاسرائيلي ما زال قادرا على تحمل اعباء الصراع المرتفعة جدا ، وذلك من خلال ما تتيحه له موارده الداخلية والمعونات الخارجية معا(١٧) .

٢ — رغم هذه القدرات ، فان حجم الاعباء وتراكمها من ناحية ، وطبيعة رؤية تطورات الاوضاع السياسية والعسكرية القادمة من ناحية اخرى ، هذه العوامل مجتمعة تمكننا من التأكيد على ان المجتمع الاسرائيلي ما زال بعيدا وسيبقى لفترة طويلة قادمة بعيدا عن

بلوغ هدفه الرئيسي وهــو الاستقلال الاقتصادي بتخفيف درجة الاعتماد علـــى العون الخارجي .

٣ — غير أن ذلك كله لا يغير شيئا من الحقيقة الرئيسيـــة القائلة : ان تصاعد حرب الاستنزاف (عدم القبول بتمديد وقف اطلاق النار ، وفشل الحلول السلمية) وتصاعد تأثير المقاومة الفعلي على المنشآت الانتاجية الاسرائيليـــة وعلى الحالة النفسيـــة في اسرائيل ، وكذلك بروز تطورات ايجابية في حجم القوة العربية في الصراع، كل ذلك جدير بأن يقلب كثيرا من المرتكزات التي لم تهتز حتى الآن في بنية المجتمع الاسرائيلي ، وبالتالي فان هذه العوامل جديرة بأن تدفع الوضع الاسرائيلي الى مأزق خطير ، ربما تتغير فيه كثير من الثوابت الحالية . ليس بالقدرة التكنولوجية وحدها ولا بالدعائم المصطنعة يمكن أن تحيا الدول والى الابد ، حتى في عصرنا الحالي .

---

١ — التنمية الاقتصادية في اسرائيل ، مكتب رئيس الوزراء ، سلطة التخطيط الاقتصادي ، القدس ، آذار ١٩٦٨ ، صفحة ١٠ . وتجدر الملاحظة هنا ، ان معدل النمو السنوي في الناتج القومي للبلدان الصناعية يميل الى الهبوط ، وذلك لاعتبارات اقتصادية لسنا بصددهـــا الان . هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فان المرجع الاسرائيلي المشار اليه لم يذكر في مقارنته معدلات نمو مرتفعة في بلدان أخرى في اليابان مثلا ، حيث يبلغ معدل النمو السنوي ٩٪ . وفي بعض البلدان العربية مثل الاردن قبل ١٩٦٧ ، حيث بلغ معدل النمو حوالي ٩٪ ايضا . العراق لغاية ١٩٥٨ بين ١٠ — ١٢ بالمائة . كما أنه من غير الجائز النظر الى معدل النمو السنوي في الناتج القومي دون اخذ الموارد المتاحة بعين الاعتبار .

٢ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ .

٣ — Quarterly Economic Review, The Economic Intelligence Unit, Israel, No. 4 1969, No. 1 and No. 4, 1970, London.

٤ — انظر تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ ، ص ٢٧ .

٥ — الايكونوميست ، اسرائيل ، عدد ٢ ، ١٩٧٠ .

٦ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٩ ، ص ٢٧ .

٧ — Quarterly Economic Review, Israel, No. 4, 1970, p. 5.

٨ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ ، المقدمة ، ص ٣ .

٩ — المرجع نفسه ، ص ٢٤٣ .

١٠ — Quarterly Economic Review, Israel, No. 4, 1970, p. 1.

١١ — المرجع نفسه ، ص ١٠ .

١٢ — المرجع السابق ، ص ٣ .

١٣ — أنظر : مقال بعنوان « الامن — ليس بكل ثمن » ، بقلم أهرون جبيع ، « لمرحاب » الناطقة باسم جماعة يجال آلون ، ٩/١/١٩٧٠ .

١٤ — مكتب الاحصاء المركزي ، الدليل الاحصائي لاسرائيل ١٩٦٩ .

١٥ — حيث يضطر المجتمع الاسرائيلي الى تجنيد اكثر من ٣٠٠٫٠٠٠ انسان أي ما يزيد عن ٣٠ بالمائة من قوة العمل لفترة تزيد عن ٣٠ بالمائة من السنة ، مما يؤثر بالفعل على كافة ركائز القطاع الاقتصادي ، ويعرض (وخاصة اذا طالت فترة التعبئة اكثر من ذلك) أركان المجتمع الاسرائيلي لخطر حقيقي .

١٦ — مجلة اسرائيل ايكونوميست ، عدد ٧ ، تموز (يوليو) ١٩٧٠ ، صفحة ١٥٦ .

١٧ — تجدر الاشارة الى ان التخطيط الاقتصادي الاسرائيلي ما زال قادرا على اللجوء الى بعض الاجراءات التي تعينه على تحمل اعبائه مثل : تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية (كثير من الاقتصاديين يتوقع ذلك خلال العام الحالي) ، الاكتفاء بنمو اقتصـــادي متواضع (في حدود ٦ ٪ سنويا) ، ضغط حجم الاستهلاك الشخصي الخ ...

حركة التحرير الفلسطيني : مداها وابعادها

الدكتور طارق اسماعيل

ليست الثورة الفلسطينية ظاهرة حديثة العهد ، كما هو الاعتقاد الشائع احيانا . فلقد كانت هذه الثورة تتقدم منذ اصدار وعد بلفور على الاقل . وعلى الرغم من ان حرب حزيران ١٩٦٧ وضعتها في مضمار ومنظور جديدين ، الا انها لم تطلقها . لكن الظاهرة الجديدة منذ حرب حزيران هي ظهور استراتيجية فلسطينية ثورية . واعني بالاستراتيجية الثورية ببساطة خطة عامة لاستخدام الموارد والطاقة استخداما هادفا متناسقا مرسوما بقصد انجاز تغيير اساسي في نظام سياسي و/أو نظام اجتماعي (التغيير في الحالة التي نحن بصددها هو بالطبع استبدال النظامين السياسي والاجتماعي الراهنين لاسرائيل) .

« وتنبثق استراتيجية الثورة » طبقا لشالمرز جونسون « من حساب عقلاني للقوى التي عبأتها نخبة الوضع الراهن ضد امكان الثورة ، وتطور هذه الاستراتيجية وجهات عمل لجعل هذا الاستعداد العسكري عقيما »(١). ويمكننا فيما يتعلق بالحالة الفلسطينية أن نفسر مصطلحات جونسون كما يلي : « نخبة الوضع الراهن » تشير الى القيادة الصهيونية الحالية لاسرائيل والبنية الحكومية التي تبقي اسرائيل دولة صهيونية ويهودية بشكل غالب . و« الاستعداد العسكري » يشير الى تلك القوات العسكرية وقوات الامن التي يمكن استثمارها في التصدي لمخططات الفلسطينيين الثورية ، والتي تستخدم لمصلحة سياسات قيادة اسرائيل السياسية . ويجب ان نلاحظ هنا ان الاستعداد العسكري فيما يتعلق بالتصدي للقوى الثورية دالة متغيرة طبقا للواجبات الملقاة على عاتق العسكريين لاغراض أخرى .

ما هي علاقة الحركة الفلسطينية بالنظام السياسي الاسرائيلي ؟ يمكن اعتبار الحركة الفلسطينية خارج هذا النظام ، واسرائيل تعتبرها كذلك . فقوات التحرير الفلسطينية موجودة أساسا خارج حدود اسرائيل المادية ومراكزها التنظيمية خارج اسرائيل ، ولا يسمح للفلسطينيين بالقيام بأي دور مشروع في النظام السياسي الاسرائيلي ، كي لا يندمجوا به . بيد أننا يجب أن نلاحظ ان الفلسطينيين متوجهون الى النظام السياسي الاسرائيلي ، على الرغم من أنهم لا يعتبرونه مشروعا ، ونشاطاتهم تتوجه الى التأثير على هذا النظام . وبذلك يمكن اعتبارهم جزءا منه ، بالقدر الذي يمكن فيه اعتبار اية حركة تحرير ، يقتصر وجودها على مساحة صغيرة من أراضي البلد المعني او تعمل من المنفى ، جزءا من النظام السياسي لذلك البلد . فانعزال قوات كاسترو سنوات عدة في مساحة صغيرة من اقليم « اورينتي » لم يقلل بشيء من كونها حركة تحرير كوبية .

افتقرت الثورة الفلسطينية قبل حرب حزيران الى التنظيم ووسائل الاتصال والقيادة .

وكان العمل الثوري احيانا متهورا منعزلا بشكل نسبي وبالتالي سهل القمع . بكلمات اخرى ، كانت الموارد والطاقة التي استخدمت بشكل متقطع غير فعالة كثيرا . بيد أن ظهور استراتيجية فلسطينية يقوم الآن بتغيير طبيعة النزاع . وتتطور بنية تحتية من التنظيم والقيادة والاتصال ، وعلى الرغم من أن هذه البنية لا تزال مفتتة ، الا أن بامكانها تجميع الطاقة والموارد وتسييرها الى أعمال محسوبة مرسومة . هكذا يصبح الفلسطينيون اول مرة منذ العام ١٩٤٨ أطرافا فعالة في الصراع العربي — الاسرائيلي ويشكلون تهديدا خطيرا لاسرائيل .

ما هي طبيعة الاستراتيجية الفلسطينية النامية ؟ على الرغم من أن صورة هذه الاستراتيجية لا تزال غائمة ، الا اننا نستطيع ان نكشف عن بعض ملامحها بتفحص بعض عوامل تطورها .

التعبئة : ربما كان الوجه الاساسي للاستراتيجية الثورية الفلسطينية هو التعبئة السريعة للفلسطينيين منذ العام ١٩٦٧ . غير ان ذلك ليس عفويا ، بل هو نتيجة الوضع الفلسطيني قبل الحرب . فلماذا ، اذا ، لم يعبأ الفلسطينيون في العام ١٩٥٦ او العام ١٩٦٦ ؟

تعتمد التعبئة الى حد كبير على وجود اوضاع تسمح للفرد أن يفسر الواقع بطرق جديدة ويقوم بأشكال جديدة من النشاط الاجتماعي . ويمكن اعتبار هذه القدرة التحرير النفسي (السيكولوجي) للفرد ، وهي عملية مرتبطة بتطور الاعتناق بالمعنى الذي يستخدم به دانيال ليرنر هذا المصطلح(٢) . وهذه العملية شبيهة الى هذا الحد بعملية التحديث . لكن التعبئة تتطلب أيضا أن يسعى الناس بنشاط الى تغيير العالم ليتفق مع رؤاهم الجديدة للحقيقة ولما هو مرغوب . وقد زودنا بحاثة مختلفون في العلوم الاجتماعية بمفاتيح تعين على فهم العملية التي يصبح الناس عبرها محررين ومن ثم نشطين .

يرى كارل دويتش(٣) ان مفتاح التعبئة هو في تفتت المعايير والعلاقات القديمة . ويقدم ايفريت هاجن تفسيرا محتملا لهذا التحلل ، عندما يلاحظ ان المرء يصبح مستلبا من المعايير الاجتماعية اذا انحسر الاحترام الذي يشعر انه أهل له(٤) . ويقترح جابرييل الموند وسيدني فيربا وجود شعور بالجدارة الشخصية والمشاركة السياسية في اي علاقة ايجابية ، مما يعني ضمنا أن الاستلاب لا يؤدي الى العمل دون وجود بعض الشعور بالجدارة(٥) . وقد اعطانا دافيد ماكليلاند مفتاحا يعين على فهم الصلة التي يشعر أنها تتحدد بعملية تأهيل الطفل للمجتمع(٦) . فاذا وضعنا ما سبق بعضه الى بعض، يمكننا أن نوجز نظرية على النحو التالي : عندما ينحسر احترام منزلة ناس معينين فانهم يستلبون من المعايير الاجتماعية . ويصبح ذلك اكثر سهولة اذا تغيرت نماذج تأهيل الطفل للمجتمع . واذا حاز الناس المعنيون عبر التأهيل للمجتمع على شعور بالجدارة ، فلربما يعملون على معالجة وضعهم دون أن تقيدهم المعايير الاجتماعية عدا تلك التي انموها بين انفسهم . بذلك يعمل هؤلاء الناس على تحديث انفسهم ، ويمكن أن يصبحوا قوة تحديث رئيسية في المجتمع الذي يرتبطون به ، اذا منحوا التوجيه والفرص من جانب القيادة او اذا قبلوا ايديولوجية ما .

تزودنا هذه النظرية بتفسير جزئي ، على الاقل ، للتعبئة الفلسطينية . أولا ، لقد عانى الفلسطينيون ، الذين قطنوا فلسطين قبل العام ١٩٤٨ والذين اصبحوا فيما بعد لاجئين، من فقدان المنزلة التي كانوا معتادين عليها سالفا(٧) . وقد أحدثت الجهود المبذولة لتقديم التربية والتدريب في المخيمات آثارا عميقة على تجارب تأهيل الطفل للمجتمع(٨) . وكان فقدان احترام المنزلة ذاته جزءا كبيرا من محتوى التأهيل للمجتمع . وتضمنت تربية كثير من الفلسطينيين الشباب الدراسة في الولايات المتحدة او اوروبا حيث تعرضوا للافكار الديمقراطية الليبرالية — كالمشاركة الشعبية وتقرير المصير — وللافكار الثورية كأفكار ماركس ولينين وماوتسي تونج وهوشي منه وجيفارا وكاسترو الخ. وشهد هؤلاء كذلك

نجاح الحركات الثورية على الاخص في حالة الجزائر التي عبأت الشعب للكفاح المسلح . وتعكس كتابات هؤلاء الفلسطينيين الاختلاف العظيم بين الافكار والمعايير التي تبنوهـا ونشروها بين اخوتهم وبين تلك التي تبناها الجيل الاقدم ، كما أن هذه كانت على تعارض مباشر مع افكار ومعايير الطبقات العليا التقليدية . وقد كان الجيل الثاني من اللاجئين الذي تربى على الاستلاب والاحباط مستعدا لتقبل هذه الافكار . هكذا كان الفلسطينيون الشباب على استعداد لان يعبأوا . فلماذا لم يعبأوا في الحقيقة الا بعد حرب ١٩٦٧ ؟ نشرت لا فعالية العمل الثوري قبل حرب حزيران شعورا باللاجدوى بين الفلسطينيين. وقد تكونت هذه اللاجدوى مما أسمته ايفريت هاجن بـ « التراجعية » اي انسحـاب جماعة من الناس من المشاركة الفعالة في المجتمع بسبب فقدانهم لاحترام منزلتهم(٩). فقد فقد الفلسطينيون ، عبر فقدانهم لوطنهم وحصرهم في مخيمات لاجئين موحشة ، الاحترام الذي كانوا يشعرون أنهم أهل له كبشر . فكانت ردة فعلهم التقوقع على أنفسهم ورفض المخاطر الكامنة في العمل على علاج وضعهم . وفي خضم هزيمة ١٩٦٧ ، ازداد وعـي الفلسطينيين لضرورة اعتمادهم على أنفسهم بالدرجة الاولى لتحريرهم. (يمكن القول أن النكبة العربية اعادت للفلسطينيين احترامهم لانفسهم ، ذلك أنها اوضحت أن العـرب الاخرين لم يكونوا اكثر قدرة على حماية اوطانهم مما كان الفلسطينيون عام ١٩٤٨) . وبدلا من أن تؤدي الحرب الى التحرير ، أدت الى احتلال اسرائيل لما تبقى من فلسطين ولمرتفعات الجولان السورية وسيناء المصرية ، كما ادت الى خلق مليون لاجيء اضافي ، بعضهم للمرة الثانية خلال عقدين من الزمن . ومن هنا اصبح الاعتماد على النفس المبدأ الذي قبله الفلسطينيون والذي اصبح يوجه سلوكهم .

كذلك أدى اتساع حدود اسرائيل بعد الحرب الى خلق فرص لعمليات اكثر نجاحا ضـد اسرائيل . وكان لحادث الكرامة في ٢١ اذار (مارس) ١٩٦٨ حين وقف الفدائيون فـي وجه قوة اسرائيلية متفوقة أهمية قصوى ، يقول هشام شرابي « كانت الكرامة مسؤولة عن استعادة العرب لاحترام الذات وبينت للفلسطينيين انهـم يستطيعـون مواجهـة الاسرائيليين عسكريا ، وليس ذلك فحسب ، بل أوضحت لهم أيضا انهم بالكفاح المسلح وحده يمكن ان يأملوا في دحر الصهيونية . فتقدم الفدائيون الفلسطينيون ليضعوا أساس استراتيجية نضال شعبي مبني على الحرب الطويلة الامد »(١٠). هكذا وضعت هـذه العملية وغيرها من العمليات الناجحة الاساس لاستراتيجية ، وذلك باستعادة الشعور بالجدارة ومنح القيادة لنخبة ثورية أثبتت جدارتها وتزويد هذه النخبة بالموارد والقـوة وايضاح نجاعة استراتيجية حرب العصابات .

البيئة السياسية : البيئة السياسية التي تجري صياغة استراتيجية لحركـة فلسطينية ثورية ضمنها مكونة من ثلاثة أطراف رئيسية هي: الدول العربية واسرائيل والفلسطينيون. ويمكن النظر الى علاقة هذه الاطراف على أنها دائرية يدور فيهـا الزاد والناتج باتجاه دوران عقارب الساعة وبعكسها . وعلى الرغم من أن هذا تبسيط مبالغ فيه ، الا أنـه يبين أن تداخل اي طرفين يؤثر على الثالث . هكذا ، قـد لا تـؤدي اعمـال الفدائيين الفلسطينيين ضد اسرائيل الى انتقام اسرائيل من العرب في الاراضي المحتلة فحسب ، بل أيضا الى غارات ضد الدول المجاورة ، وهذا ما قد يؤدي بالحكومـات العربية الى الضغط على الفدائيين للحد من نشاطهم ، مما يؤدي بدوره الى قيام الفدائيين بعمل ضد الحكومات العربية ، وهكذا دواليك . من هنا ، فان الاختيارات السياسية المتاحة لكل طرف بالعلاقة مع الاطراف الاخرى تؤثر مباشرة على تطور الاستراتيجية الفلسطينية . لقد قصرت اسرائيل ، برفضها الاعتراف بالحركة الثورية الفلسطينية كشخصية مستقلة، مدى استجاباتها الممكنة للثورة الفلسطينية على الانتقام من السكان في الاراضي المحتلة و/أو من الدول العربية . فكان هذا حتى الان من صالح الفلسطينيين لانه عجل تعبئتهم وقوى مـن الدعم الذي يتلقونه مـن الجماهير العربيـة . كمـا يعتقـد المخططون

الفلسطينيون أن المقاومة والتعبئة الثورية العربية ستزدادان كلما وسعت اسرائيل مجال مساحة انتقامها. ويعتقدون ايضا ان التوسع الاقليمي في صالح الثورة لانه سيزيد الضغط على قوة اسرائيل البشرية واقتصادها ويحط من معنويات شعبها ويفلس مؤسساتها السياسية .

تواجه الحكومات العربية عددا من الضغوط يحد من اختياراتها . اولا : ان وجود حركة فلسطينية مستقلة في الاقطار العربية يهدد الاستقرار بالخطر ، كما دلت الاحداث الاخيرة في لبنان والاردن. ثانيا: تشجع القوة العسكرية التي تستطيع اسرائيل استخدامها ضد الدول العربية وضغوط القوى الخارجية وخاصة الولايات المتحدة على التعايش الضمني مع اسرائيل. أخيرا: لا تشجع المشاكل الداخلية لكل بلد ومصاعب تنمية واعالة مؤسسات دفاعية ضخمة على التورط الطويل الامد . من ناحية اخرى ، تدعم الجماهير العربية الحركة الفلسطينية بقوة ولا تحبذ أي مساومة مع اسرائيل قد تكون ضارة بالفلسطينيين. ولذا فقد اتبع الكثير من الدول العربية سياسات متذبذبة ، فهو متصلب في بياناته للجمهور العربي ومعتدل في تصريحاته للغرب . وقد حاولت الدول استخدام دعمها للفلسطينيين كوسيلة للسيطرة عليهم ، ولكنها لا تستطيع أن تتخلى عن الحركة الثورية الفلسطينية ولا أن تعقد مساومة مع اسرائيل ولا أن تقف في وجه هجمات اسرائيل العسكرية .

قد يكون موقف الحكومات العربية الضعيف هذا أصعب مشكلة تواجه الاستراتيجية الفلسطينية ، فاذا ما قبل السلام او فرض من اكثر من طرف فقد تفقد الثورة قاعدتها ومناطق اعدادها ومصادر دعم رئيسية لها . وسيجبر الفلسطينيون بلا شك على نزع سلاحهم . وفي حالة كهذه قد يكون لارتباط الحركة الفلسطينية المتزايد بالحركة القومية والميل الى ايديولوجية اجتماعية اهمية استراتيجية . فقد تقوض خطة سلام مفروضة او غير شعبية شرعية معظم الحكومات العربية ، وعندئذ يمكن ، اذا كانت الحركة الفلسطينية جزءا من ثورة اجتماعية عربية ، ان تعمم الاهداف لتشمل ليس اسرائيل فقط بل حرب تحرير شعبية داخل المجتمع العربي كله . يقول قائد احدى فصائل الثورة الفلسطينية « ان القبول بالتسوية وايقاف الكفاح المسلح سيؤدي الى الحرب الاهلية»(١١). ليست هذه مجرد امكانية نظرية . فاختلال التوازن في المجتمع العربي المعاصر بفعل تأثير التحديث يخلق وسطا مفضيا الى التغير الاجتماعي الراديكالي . وبالفعل ، تعتقد بعض عناصر الثورة الفلسطينية ان تعبئة الجماهير العربية يجب ان تكون الاولوية الاولى . فاذا فرض السلام ، فان هذا قد يتحول من التزام ايديولوجي الى استراتيجية رئيسية .

ربما يكون الموقف الفلسطيني اكثر المواقف الثلاثة تصلبا . فليس لدى الفلسطينيين ما يخسرون ، والبديل الوحيد للكفاح المسلح بالنسبة لهم هو القبول السلبي بحالة لاجئين . وفي أحسن الاحوال ، وفي ظل سلام مفروض قد يصبحون مواطنين من الدرجة الثانية في فلسطين يعاد انشاؤها تحت الوصاية الاسرائيلية . وليس ذلك بكاف ، فالفلسطينيون مكرسون لهدف عودتهم الى وطنهم مواطنين كاملين في دولة مستقلة ذات سيادة . لذا سيبقى الصراع المسلح المخطط العام لاية استراتيجية فلسطينية ، حتى تعترف اسرائيل والمجتمع الدولي ان الفلسطينيين وجود مستقل له حق تقرير المصير .

التأثيرات الايديولوجية : الاستراتيجية الثورية الفلسطينية آخذة في التطور تحت تأثير الايديولوجيات الثورية الداخلية والخارجية معا . فأفكار الصراع الطبقي وطبيعة الامبريالية وتاكتيكات حرب الغوار المأخوذة عن التقاليد الماركسية اللينينية والنماذج الماوتسية والتجارب العربية والفلسطينية والامثلة الصهيونية تستخدم الان في دعم وتطوير الاستراتيجية . وبذلك يتزود الفلسطينيون بالاتجاه الذي رأينا انهم بحاجة اليه من اجل التعبئة الناجحة .

يشجع هذا الاستخدام للمصطلحات وانماط التفكير الثورية على اعتبار النضال الفلسطيني والنضالات الثورية الاخرى كلا واحدا . وتبدو الانماط المستخدمة على علاقة بالواقع تكفيها لتكون فعالة . فكيف يؤثر هذا على الاستراتيجية ؟ يمكننا أن نلاحظ بشكل عام أن الفلسطينيين في حركة التحرير على اقتناع بضرورة العمل وفعالية الكفاح المسلح. وهم يؤمنون ايمانا صلبا بقدرتهم على تعديل محيطهم بالعمل عليه بما يتناسب مع كل من عناصره . وتتضمن هذه العناصر اسرائيل والحركة الصهيونية والامبريالية والعناصر الرجعية العربية والفلسطينية (وتعمل ضد حركة التحرير) ، والمتحد الفلسطيني المعبأ والدول التقدمية والعناصر التقدمية العربية والتضاريس (وتعمل مع الحركة)(١٢).

يرى الفلسطينيون ارتباطا بين اسرائيل والصهيونية والامبريالية العالمية (بقيادة الولايات المتحدة) والرجعيين داخل العالم العربي ، وذلك على الطريقة اللينينية معدلة بخصوصيات الوضع الفلسطيني(١٣). ومن الجهة الاخرى، يرى الفلسطينيون أن النضال التحرري الفلسطيني يعتمد على الثورة الاجتماعية في فلسطين مرتبطة بالثورة الشعبية في الاقطار العربية .

ويمكن التغلب على العناصر غير الصديقة بطرق متعددة . فالاعتقاد السائد هو أن العمل المسلح يستطيع اضعاف اسرائيل ، فاسرائيل ضعيفة الطاقة البشرية العسكرية وان تكن غير ضعيفة تقنيا . ويعتمد دعم الصهيونية لاسرائيل جزئيا على أمنها كما أن سلامتها المالية تعتمد على الاستقرار . ويمكن بالعمل المسلح الحد من الهجرة الى اسرائيل ومفاقمة الانقسامات الاجتماعية في المجتمع الاسرائيلي . أي أن اسرائيل بكلمات أخرى ليست عصية على الرغم من أنها ليست ضعيفة . وقد تكون الصهيونية أصعب على الهجوم ، ولكن يمكن التأثير سلبا في قدرتها على دعم اسرائيل بدعم المشاعر المعادية للصهيونية .

ولا ينظر الى التحالف بين الصهيونية والامبريالية على انه علاقة تبعية،بل ادراك للمصلحة المتبادلة ، ولذا فان الامبريالية يجب أن تهاجم على حدة . ويمكن استخدام الدعاية في أوروبا واميركا لاضعاف موقف الامبرياليين وتحالفهم مع الصهيونية باثارة السخط الشعبي وتشجيع تفهم أفضل للعالم العربي(١٤).

أما النضال ضد القوى الرجعية العربية والفلسطينية فأمر مقبول على وجه العموم كجزء من البرنامج الفلسطيني . وتصنف طبقة ملاك الاراضي القديمة و« البورجوازية العليا » رجعية ،غير أن هناك خلافا في الراي حول طبيعة الانظمة « البورجوازية الصغيرة » في سوريا والعراق والجمهورية العربية المتحدة . وهناك الى ذلك بعض الخلاف حول الاولوية التي يجب ان تعطى لهذا النضال ، وما اذا كانت اهميته تساوي اهمية الكفاح المسلح ضد اسرائيل .

أما فيما يتعلق بدعم وتنمية العناصر المؤيدة ، فالشعور السائد هو أن دعم الدول العربية التقدمية والانظمة التقدمية الاخرى والرأي العام في الدول الصديقة والرأي العام في الدول الامبريالية يمكن التأثير عليه لمصلحة قوى التحرير الفلسطينية عبر نشر المعلومات والاشتراك الفعال في المؤتمرات وعبر القنوات الدبلوماسية الاخرى(١٥).

يقوم تطور الحركة الفلسطينية على المشاركة المتزايدة ، بما فيها مشاركة النساء والطلبة(١٦). والتدريب المتزايد للمقاتلين ، جنبا الى جنب مع الجهود المبذولة لتوحيد الحركة وتحسين حنكتها الايديولوجية(١٧). وبتوجيه الجهد الرئيسي نحو اتمام تعبئة الفلسطينيين وتوجيه جهودهم بطريقة منظمة ضد اعدائهم .

خاتمة :

تتطور الاستراتيجية الثورية الفلسطينية على أبعاد ثلاثة:ملاكها والتجنيد وقواعد الدعم، وعلاقاتها مع الحكومات في المنطقة والحكومات البعيدة ، وتصور قادتها لدورهم ، وهذا الاخير يتشكل الى حد كبير بالتزامهم الايديولوجي النامي . لقد حاولنا ان نلقي بعض

الضوء على تطور الاستراتيجية تحت تأثير عواملها الفاعلة المختلفة . ويمكن ذكر النقاط التالية على سبيل التخمين : لقد كان الفلسطينيون العمود الفقري لحركة التحرير وسيظلون مصدرها الاساسي للطاقة البشرية . والغالبية العظمى من هؤلاء الناس ذات اصول طبقية عمالية . وتقدر مصادر الفدائيين ان ٨٥٪ من القوى المقاتلة في كل حركات التحرير هم من العمال والفلاحين(١٨) . بيد أن هذه الحركة لا تزال في الاطوار الاولى لجهودها من أجل تعبئة الجماهير الفلسطينية وما زالت موارد واسعة غير مستخدمة . وعلى الرغم من أن المرء يمكن أن يستنتج دون مجانبة الصواب ان العنصر اللاجىء يؤلف أساس ملاك حركات التحرير الفلسطينية ، الا ان دعم هذه الحركات اكثر تنوعا ويشمل العالم العربي على امتداده .

كانت حركات التحرير الفلسطينية في بدايتها تنظر الى علاقتها بالانظمة العربية بطرق مختلفة تتراوح بين رفض التمييز بين هذه الانظمة والتصنيف الجامد لها . لكن التجربة التي اكتسبتها هذه الحركات خلال السنوات الثلاث الاخيرة عملت على التقريب بينها ، وقد فعل عامل اخر بالاضافة الى الوحدة العملية التي فرضتها الظروف التي نشأت في الاردن ولبنان . ذلك ان هذه الحركات باكتسابها دعما واعتبارا وتوسيعها لبناها التنظيمية ، تصبح أكثر استقلالا وقدرة على الاختيار في علاقاتها مع الدوائر العربية الرسمية . والاتفاقية التي توصلت اليها احدى عشرة منظمة فدائية واعلنت في ٦ أيار ١٩٧٠ تعبير واضح عن هذه الوجهة .

هناك قوة اخرى تدفع الى توحيد الحركة . اذ ستبرز بنمو الحركة مسألة الاعتراف الرسمي من الدول الاجنبية ، ويتوجب أن تكون هناك بنية تنظيمية موحدة لكي يمكن الحصول على هذا الدعم الحيوي . وقد تحدث انقسامات بفعل التنافس على حق الاعتراف ، لكن الاحتمال الاوفر حظا هو أن يؤدي ذلك الى تكوين حكومة فلسطينية مؤتلفة كاملة في المنفى .

كانت ثورة الفلسطينيين في الاصل رفضا لوجودهم كلاجئين ، وكانت نقاط الاتفاق الوحيدة اساسا هي : رفض الفلسطينيين لاوضاعهم والنظر الى اسرائيل على أنها دولة عرقية حرمتهم حقهم في تقرير المصير وفي استمرار وجودهم في وطنهم . بيد أن دراية ايديولوجية أكبر قد اكتسبت . وجعلت التجربة العملية وكذلك الحاجة الى الاعتماد على التجارب الثورية الاخرى الجماعات المختلفة اكثر وعيا للمصادر التي يمكن الاعتماد عليها من أجل الدعم . وتتجه الحركة الان نحو اليسار . وكثير من الجماعات ذو توجه ماركسي على نحو ما .

لقد رأينا أن نكبة العام ١٩٤٨ خلقت كتلة من اللاجئين مصابة بضعف معايير السلوك وضعف الايمان وغير راغبة في العمل لتحسين وضعها . لكن السنوات المتوسطة خلقت من هذا الحشد البائس شعبا موحدا سريع التحديث ، لتأتي حرب حزيران ١٩٦٧ فتخلص الفلسطينيين من اعتمادهم على الانظمة العربية وترفع من منزلة قادتهم ، فأصبحوا اذ ذاك شعبا معبأ . ليس الفلسطينيون جميعا عصريين ونشيطين ولكن الكثيرين منهم كذلك لدرجة لا تجعل من القول انهم شعب معبأ مبالغة . لقد أنشأ الفلسطينيون عددا من الجماعات الثورية التي يتحسن تنظيمها وتجهيزها وتصبح أكثر حنكة ايديولوجيا يوما فيوما . وقد أوجزنا فيما سلف العناصر التي يتوجب على الفلسطينيين ان يصنعوها ليخلقوا استراتيجية ثورية ناجحة ، ويبدو أنهم يعملون باتجاه خلق استراتيجية كهذه . فاذا استمرت الحركة في التطور على خطوطها الراهنة ، فان الوضع في الشرق الاوسط ومصير اسرائيل سيتغيران جذريا في وجه قوة هذه الحركة المتنامية .

الحواشي :

١ - Chalmers Johnson, *Revolutionary Change*, (Boston, Toronto, C. 1966), p. 154.

٢ - Daniel Lerner, "The Passing of Traditional Society" (Glencoe, Ill. : The Free Press of Glencoe, 1958), Passim.

٣ - Karl W. Deutsh, "Social Mobilization and Political Development", *American Political Science Review*, LV. 3 (Sept. 1961), pp. 493-541.

٤ - Everett Hagen, *On the Theory of Social Change*, (Homewood, Illinois: Dorsey Press, 1962).

٥ - Gabriel Almond and Sidney Verba, *The Civic Culture*, (Boston: Little, Brown, 1965).

٦ - Gabriel Almond and Sidney Verba, *The Achieving Society*, (Princeton: D. Van Nostrand, 1961).

٧ - *Israel or Palestine*, Vorwaerts, November 20, 1969.

٨ - Hudson, *op. cit.*, p. 296-297, and Erskine B. Childers, "Palestine: The Broken Triangle". In Jack H. Thompson and Robert D. Reischaner, eds. *Modernization of the Arab World*. (Princeton: D. Van Nostrand, 1966), p. 154-155.

٩ - Everett E. Hagen, *op. cit.*

١٠ - Hisham Sharabi, *Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness*, (Prepared for the Center for Strategic and International Studies, Washington, D. C. : Georgetown University, 1970) p. 17.

١١ - Quoted in Hisham Sharabi, *op. cit.*, p. 56.

٢. ــ أورد البعض عددا أكبر أو أصغر ، انظر :

Ayad Al-Qazzaz, "Book Review: Israeli Militarism, by Mahmud Shit Khattab," *The Middle East Journal*, Vol. 23, No. 3 (Summer 1969), pp. 397-8.

١٣ ــ انظر مثلا ، لينين ، **الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية** ، موسكو .

١٤ ــ خالد محيي الدين ، « معركة كسب الرأي العـام العالمي : واجبات ومسؤوليـات جديدة » **الطليعة** (القاهرة) تشرين الثاني ١٩٦٩ . ص ٥٤ ــ ٥٨ .

١٥ ــ المصدر ذاته .

١٦ ــ أحمد عباس ، « أربع وعشرون ساعة في مخيم فلسطيني لتدريب الفتيات » ، **الجمهورية** (القاهرة) ١٠ آب ١٩٦٩ ، ص ٥ و ١٠ .

١٧ ــ « انجازات الثورة الفلسطينية في ستة أشهر » ، **الاهرام** (القاهرة) ٣ أيلول ١٩٦٩ ص ٥ .

١٨ ــ **الهدف** ، بيروت ، المجلد الاول ، رقم ٤٢ ، ١٦ ايار ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

موقف اسرائيل من مشروع روجرز

عبد الحفيظ محارب

قبل طرح مبادرة السلام الامريكية ، التي حظيت بقبول بعض الدول العربية وبقبول اسرائيل « المتحفظ » شهدت المنطقة عدة مشاريع للسلام كان نصيبها الفشل. فقد اتسمت الفترة التي أعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ بكثرة المشاريع التي تستهدف وضع حد للنزاع العربي الاسرائيلي . كما وانها اتسمت ايضا بتعنت اسرائيل ، وتصلب مواقفها ، وردودها السلبية تجاه كافة مشاريع السلام المطروحة من جهة ، ومرونة بعض المواقف العربية الرسمية، التي اخذت تلائم نفسهامع الاوضاع العالمية والمحلية ، المتغيرة والمستجدة ، من جهة أخرى . ففي الفترة التي سبقت حرب حزيران ، وكذلك الفترة التي سبقت قيام دولة اسرائيل ، كانت المواقف الاسرائيلية تجاه الحلول السلمية المقترحة من قبل طرف ثالث ، تتسم ، بشكل عام ، بالتروي ، او بعدم الرد السلبي ، على أمل ان يرد العرب ردا سلبيا ، وبذلك تفشل تلك الحلول، قبل ان يكلف الاسرائيليون انفسهم عناء الرد عليها، الامر الذي من شأنه ان يخلق انطباعا في المحافل الدولية ، وبين أوساط الرأي العام العالمي ، بأن الموقف العربي يميل الى التعنت ، والتشدد ، بينما يميل الموقف الاسرائيلي الى المرونة واللين .

غير ان هذا الامر ، انقلب رأسا على عقب بعد « حرب الايام الستة » . تقول صحيفة دافار : « منذ حرب الايام الستة يخيل لنا ان اليهود والعرب قد تبادلوا ادوارهم التقليدية . ففي الماضي كان من الممكن الاعتماد كليا على العرب لافشال أية بادرة من اجل السلام دون أن نلطخ ايدينا . واليوم تغيرت الصورة . فالعرب يظهرون كل مرة مبادرات جديدة ومتلائمة مع الموقف الدولي أملا منهم ان نقوم نحن بنفس الموقف»(١).

قبل التمعن والتعمق في موقف اسرائيل تجاه مبادرة السلام الامريكية او ما يعرف بمشروع روجرز ، تجدر بنا الاشارة بشكل سريع الى اربعة مشاريع سلام طرحت بعد حرب الايام الستة لوضع حد للنزاع العربي الاسرائيلي ، ثلاثة منها صادرة من قبل طرف ثالث (روسيا وفرنسا وبريطانيا) وواحد صادر من قبل حزب « مبام » الاسرائيلي ، أحد الاطراف ذات الصلة بالنزاع . وقد فشلت المشاريع الثلاثة الصادرة من قبل الطرف الثالث ، عندما اصطدمت بالموقف المتشدد من قبل اسرائيل ، دون أن يكون للجانب العربي موقف محدد وواضح يمكن أن يستشم منه بأنه هو العامل الاساسي في افشال هذه المشاريع . أما المشروع الرابع فلم يحظ بموافقة الحكومة الاسرائيلية ، لانها تعتبره دون الحد الادنى لمطالبها الاساسية .

نبدأ أولا بالمشروع السوفييتي . لم ينشر هذا المشروع بشكل رسمي غير ان نتفا منه قد نشرت في صحف الاهرام ونيويورك تايمز والاوبزيرفر اللندنية (شهر فبراير ١٩٦٩) .

وتتلخص المقترحات السوفييتية مما نشرته هذه الصحف بما يلي :

١ ــ جلاء القوات الاسرائيلية عن جميع الاراضي العربية المحتلة منذ الخامس من حزيران ، تنفيذا لقرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ . ٢ ــ وضع قوة من البوليس الدولي ، من الدول الاربع الكبرى ، على طول الحدود العربية الاسرائيلية ، من الجانبين ، على ان يعتبر وجود هذه القوات ، تنفيذا لقرار مجلس الامن المتعلق بالحدود الامنة . ٣ ــ تجري مباحثات بين الدول الاربع الكبرى ، وكل من الدول العربية واسرائيل ، بشأن قضية اللاجئين ، وحرية الملاحة

في الممرات المائية (خليج العقبة وقنال السويس). ٤ ــ تعلن اسرائيل وحكومات الدول العربية المجاورة عن استعدادها لانهاء حالة الحرب ، والتوصل الى حل سلمي للمشكلة . ٥ ــ يتخذ مجلس الامن طبقا لميثاق الامم المتحدة قرارا عن الضمانات الخاصة بالحدود العربية الاسرائيلية . لم توافق اسرائيل على هذا المشروع ، ولم تترو قليلا لتدع الدول العربية ترد عليه أولا ، بل بادرت فورا الى اعلان رفضها القاطع له . ووصفه وزير خارجيتها ابا ايبن بأنه لا يساعد على احلال السلام في المنطقة ، وهاجمه عدد من المسؤولين الآخرين . وكذلك هاجمته الصحافة الاسرائيلية بما فيها صحيفة « كول هعام » الناطقة باسم الحزب الشيوعي الاسرائيلي «ماكي» حيث ادعى «شموئيل ميكونيس » ان المشروع السوفييتي مناقض لقرار مجلس الامن .

اما المشروع الثاني فيعرف باسم مشروع « دوغلاس هيوم » وقد رفضته اسرائيل ايضا . ويتألف المشروع من ست نقاط(٢): « ١ ــ اعتراف عربي بدولة اسرائيل . ٢ ــ انسحاب اسرائيل الى حدود مرسومة سلفا ، وذلك بموجب جدول زمني دقيق ، وبأسلوب متفق عليه ومضمون وخاضع للاشراف . ٣ ــ تجريد المناطق التي يتم اخلاؤها، من السلاح ، واقامة شبكات للانذار المسبق ضد الغارات الجوية على طول قنال السويس والحدود الاسرائيلية . ٤ ــ وضع قوة دولية من قبل الامم المتحدة ، تضمن وجودها وسلامتها الدول الكبرى ولو طالت فترة تنفيذ المشروع . ٥ ــ اعادة توطين اللاجئين العرب ، وتنفيذ مشروعات ري تمكن من اعادة توطينهم بشكل ملائم . ٦ ــ وضع ترتيب كنسي ، يؤمن بقاء الاماكن المقدسة مفتوحة لجميع الاديان » .

اما المشروع الثالث فهو المشروع الفرنسي . وقد اصطدم هذا المشروع بالموقف السلبي الاسرائيلي ، هذا الموقف الذي « خيب أمل وزارة الخارجية الفرنسية » وهو يشتمل على النقاط التالية(٣): « ١ ــ انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي التي كانت تابعة للاردن حتى حرب الايام الستة ، مقابل اعلان انهاء حالة الحرب . ٢ ــ من غير المستبعد اجراء تعديلات طفيفة على الحدود ، ولكن هذه يجب ان تكون ذات معنى محلي فقط . ٣ ــ تحديد مناطق مجردة على طرفي الحدود بين الاردن واسرائيل ــ بموافقة الطرفين ــ ووضع قوات دولية تضم وحدات من الدول الاربع الكبرى في هذه المناطق . ٤ ــ وضع القدس تحت ادارة دولية ، تضمن لجميع الاديان حرية زيارة المدينة والاماكن المقدسة الموجودة بها ، على ان يعين حاكم المدينة من قبل مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، بعد التشاور مع اسرائيل والاردن وبموافقتهما . ٥ ــ حل قضية اللاجئين على اساس اعادة قسم من لاجئي ١٩٤٨ الى اسرائيل ، وتوطين الباقي في الاردن . »

وقد ارتكز مشروع السلام الذي عرضه زعيم المبام وعضو الكنيست « مئير يعري » في الجلسة التي عقدتها اللجنة السياسية لحزب المبام على ما يلي(٤): « ١ ــ معارضة اقامة مستوطنات ومدن وقرى في الاراضي المحتلة . ٢ ــ تأييد الاعلان الفوري بشأن الموافقة على الانسحاب الى حدود آمنة ومتفق عليها ، بعد ضمان حلول سلام ثابت باتفاقية تقرر الحدود الآمنة والمتفق عليها بيننا وبين مصر والاردن . ٣ ــ الحدود الامنة يجب ان تشتمل على القدس الكاملة ، التي يضمن فيها قدر معين من السلطة الذاتية للاقلية العربية. ٤ ــ ضم قطاع غزه لاسرائيل ، ومنح الاردن منفذا حرا الى البحر ، على ان يشارك الاردن في حل قضية اللاجئين . ٥ ــ الحد الامني يضم الجولان ويمر من الهضبة السورية. ٦ ــ اخلاء يهودا والسامرة، بعد تعيين حدود آمنة ومتفق عليها وتجريد الاراضي التي تخليها من السلاح . ٧ ــ تجريد سيناء من السلاح . ٨ ــ تتعهد الدول المجاورة بالقضاء على كل عملية ارهابية ، بعد التوقيع على اتفاقية السلام . ثم توقع اسرائيل والدول المجاورة على اتفاقية تتعلق بحل قضية اللاجئين ، وتنص على موافقتنا على استيعاب عدد معين من اللاجئين داخل حدود اسرائيل . ٩ ــ ضمان حرية الملاحة في القناة وفي مضائق تيران ، وضمان تواجد اسرائيلي ، بشكل او بآخر في شرم الشيخ . »

يتضح لنا بعد هذا السرد السريع للمقترحات التي طرحت بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ لايجاد حل للازمة ، ان الموقف الاسرائيلي تجاهها كان يتسم بالتزمت والتشدد ، ويعود اليه الفضل الاول بافشالها . ويعود ذلك الى عدة اسباب اهمها :

١ ــ الرغبة في التوسع ، فقد اعلنت اسرائيل ، بعد احتلالها لاراض عربية تفوق مساحتها ثلاثة

اضعاف ونصف مساحة فلسطين المحتلة سابقا ، عن ضمها رسميا لمدينة القدس ، واخذت تقيم مستوطنات اسرائيلية في بقاع مختلفة من الاراضي العربية المحتلة .

٢ ـ الشعور بالقوة لدرجة الغطرسة، فقد شعرت اسرائيل بعد الانتصار الذي أحرزته على الجيوش العربية في حرب الايام الستة ، بمدى قوتها ، واخذت تتصرف من خلال هذه القوة، تجاه القضايا الرئيسية ، بشكل يتسم بالغطرسة .

٣ ـ حكومة الائتلاف الوطني ، لقد حالت هذه الحكومة التي تشكلت عشية حرب الايام الستة ، من مجموعة احزاب يمينية ودينية وعمالية ، حالت دون اتخاذ مواقف مرنة وواضحة ، لاختلاف مشارب وأهواء اعضائها . فضلا عن انها عززت من موقف فئة الصقور في رسم خطوط رئيسية متشددة للسياسة الاسرائيلية تجاه الدول العربية، والمناطق المحتلة ، بحيث اصبحت الحكومة الاسرائيلية ، حتى بعد انهيار حكومة الائتلاف الوطني في مطلع شهر آب ١٩٧٠ ، اسيرة لتلك السياسة المعلنة من قبل .

بعد فشل مشاريع السلام المطروحة من قبل طرف ثالث وبعد اشتداد أزمة الشرق الاوسط ، والبدء بحرب الانهاك في النصف الاخير من عام ١٩٦٩ ، بقيام وحدات من الجيش المصري ، بشن هجمات على المواقع الاسرائيلية في الجبهة الشرقية للقنال، واستخدام سلاح الجو الاسرائيلي ، كأداة انهاك معاكسة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، وتصاعد عملياته في مطلع عام ١٩٧٠ ، واتساعها وشمولها الجبهة الخلفية، الامر الذي دفع الرئيس عبدالناصر للقيام بزيارة سرية للاتحاد السوفياتي حيث تم الاتفاق هناك على تزويد مصر بشبكة من الصواريخ الحديثة المضادة للطائرات ، استطاعت حسر ظل سلاح الجو الاسرائيلي عن العمق المصري ، واقتصاره على جبهة القنال ، وبعد الضجة التي احدثتها اسرائيل حول « تزايد النفوذ السوفييتي في مصر » على أمل الحصول على اكبر قدر من المساعدات العسكرية والاقتصادية من جانب الولايات المتحدة ، وبعد اتساع رقعة القتال في الهند الصينية ، حيث بدأت القوات الاميركية الموجودة في فيتنام بغزو الاراضي الكمبودية ، وبعد النداء الذي وجهه الرئيس جمال عبدالناصر في الاول من ايار عام ١٩٧٠ للرئيس نكسون ، بعد هذا كله ، وجدت الولايات المتحدة ان الامر يتطلب تحركا سياسيا جديا في الشرق الاوسط .

ولعل أبرز العوامل التي دفعت الاميركيين الى هذا التحرك تتمثل في عاملين اثنين :

اولا : توطد العلاقات العسكرية والاقتصادية والسياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفييتي ، خاصة في مطلع عام ١٩٧٠ ، وبعد الزيارة السرية التي قام بها الرئيس جمال عبدالناصر لموسكو . وقد اعتبرت المساعدات السوفييتية للجمهورية العربية المتحدة من قبل الدول الغربية بمثابة زيادة في التوغل السوفييتي في المنطقة ، وخشيت الولايات المتحدة ، من اضطراد نمو هذا « التوغل » او « النفوذ » في غياب حل سلمي لازمة الشرق الاوسط . وكانت اسرائيل تتحدث اكثر من غيرها عن هذا «التوغل» وعن الخطورة التي تكمن فيه للمصالح الغربية بشكل عام ، وللمصالح الاميركية بشكل خاص . وربما تكون اسرائيل قد ندمت على تهويلها ومبالغتها عند وصفها للنفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط ، ذلك لانها تلقت من الولايات المتحدة ، غير ما كانت تريد الحصول عليه من سلاح ، لقد تلقت مبادرة السلام الاميركية !

ثانيا : تورط الولايات المتحدة في قتالها في الهند الصينية ، واتساع رقعة القتال ، حيث اخذت تشمل الاراضي الكمبودية ، الامر الذي لا يجعل الولايات المتحدة ترتاح امام فتح جبهة أخرى .

في الخامس والعشرين من شهر مايو ١٩٧٠ أعلن وزير الخارجية الاميركي وليام روجرز ، في مؤتمر صحفي ، ان الولايات المتحدة اتخذت خطوة دبلوماسية جديدة وقدمت مقترحات سلام جديدة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط « من اجل تشجيع العرب واسرائيل على وقف اطلاق النار ، والبدء في مباحثات تحت اشراف الدكتور يارينغ » .

وقال في نفس المؤتمر ان خطته تعتمد في جزء منها على تصريحات علنية ، افضى بها كلا الطرفين ، واشار الى اربع نقاط كهذه : ١ ـ « النداء الذي وجهه الرئيس عبدالناصر الى الرئيس الاميركي نكسون في الاول من ايار . ٢ ـ المقابلة التي اجرتها شبكة التلفزيون الثقافية الاميركية مع الرئيس عبدالناصر ، والتي قال فيها انه يميل الى قبول وقف اطلاق النار . ٣ ـ التصريح الذي أفضت به رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مئير الذي قالت فيه

ان اسرائيل على استعداد لقبول قرار مجلس الامن . ٤ — التصريح الذي افضى به وزير خارجية اسرائيل ابا ايبن، الذي قال فيه ان العرب سيفاجأون من التنازلات الاسرائيلية ، في اللحظة التي تبدأ فيها مباحثات السلام »(٥).

وقد اشار وزير الخارجية الاميركية وليام روجرز الى ان هذه النقاط تشير الى « مرونة ملموسة ». وقال ان التطورات الاخيرة في الشرق الاوسط دفعت الرئيس نكسون ان يأمر في ٢٩ ابريل باجراء دراسة دقيقة تشمل كافة العوامل السياسية والعسكرية لهذه المشكلة . واضاف ان هذه الدراسة قد اكتملت الان . وقال ان الهدف من المبادرة التي تمخضت عن هذه الدراسة هو « تشجيع الاطراف على التقدم نحو سلام عادل ودائم »(٦).

ومما تجدر الاشارة اليه ان مبادرة السلام الاميركية الجديدة التي اعلن عنها وزير الخارجية الاميركي وليام روجرز ، والتي عرفت باسمه ، لم تكن المبادرة الاميركية الاولى من نوعها ، فقد قدم وليام روجرز نفسه ، في شهر ديسمبر ١٩٦٩ ، مشروعا اقترن باسمه أيضا ولم يحظ هذا المشروع بموافقة أي من الاطراف . ويتلخص مشروع روجرز الاول ، كما جاء في مقال للصحفي الاسرائيلي «أوري أفنيري» في ست نقاط : ١ — « اعادة المناطق المحتلة مقابل السلام . ٢ — اعتراف العرب باسرائيل . ٣ — منح مركز للعرب في القدس التي ستبقى موحدة . ٤ — عودة محدودة للغاية للاجئين . ٥ — تغييرات طفيفة على حدود الرابع من يونيو. ٦ — تصفية الفدائيين »(٧).

ويعزو أوري افنيري فشل المشروع الى حكومة الائتلاف الوطني « التي نسفت المشروع واحبطته بمساعدة سخية من جانب الفدائيين »(٨).

ولكن ، هل استطاعت حكومة الائتلاف الوطني ، نسف المبادرة الاميركية الثانية ، او ان هذه المبادرة هي التي استطاعت نسف حكومة الائتلاف الوطني ؟

عندما طرحت مبادرة السلام الاميركية الجديدة ، نصح الاميركيون حكومة اسرائيل « ان لا تكون الاولى التي ترفض مشروع روجرز »(٩). غير ان صفة الرفض الملازمة للموقف الاسرائيلي الرسمي ، بعد حرب الايام الستة ، أبت الا أن تكون اسرائيل هي المبادرة الاولى الى رفض المشروع . وبالفعل ، اتخذت حكومة اسرائيل قرارا ، بالاجماع ، وافقت فيه على رفض مشروع روجرز . وكان هنالك ثمة سببان وراء هذا الرفض :

الاول تكتيكي يتعلق بوقف اطلاق النار . فقد خشيت عناصر امنية في جهاز الحكم الاسرائيلي من ان يقوم المصريون خلال فترة وقف اطلاق النار ، بنقل شبكة من الصواريخ والطائرات الى جبهة القتال ، دون ان يواجهوا اية صعوبات ، من اجل تعزيز قوتهم ووضع حد للتفوق الجوي الاسرائيلي . « وعلى هذا الاساس قررت الحكومة رفض اتفاقية وقف اطلاق النار »(١٠).

الثاني جوهري وهو يتعلق بتنفيذ قرار مجلس الامن ، هذا القرار الذي يتحدث بوضوح عن « الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة » وبما ان اسرائيل ترفض الانسحاب او حتى ذكر كلمة « انسحاب » فانها رفضت مشروع روجرز .

وكان هنالك اجماع بين الوزراء ، عند مناقشة مبادرة السلام الاميركية الجديدة ، على ضرورة رفضها ، غير ان الاراء تضاربت حول شكل الرد الاسرائيلي . ونتيجة لتضارب الاراء حول شكل الرد ، برز اتجاهان داخل الحكومة الاسرائيلية : الاتجاه الاول ترأسه وزير الخارجية ابا ايبن « يدعو الى عدم الرد بالبتة »(١١)، ويظهر اسرائيل امام امريكا — من الناحية التكتيكية — انها على استعداد لقبول المشروع ، واعتقد اصحاب هذا الاتجاه ان العرب هم الذين سيرفضون المشروع (وقد اثبتت الاحداث اللاحقة عدم صحة تقديرات اصحاب هذا الاتجاه) وبذلك يوفرون على اسرائيل مهمة عناء الرد السلبي . وقد وقف مع هذا الاتجاه ايضا سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة « يتسحاق رابين » . والاتجاه الثاني ترأسته رئيسة الوزراء غولدا مئير ، ووزير الدفاع موشيه ديان . وقد دعا اصحاب هذا الاتجاه الى رفض المشروع فورا وبدون تأخير او تأجيل « لكي لا يكون هنالك شك بالنسبة لموقف اسرائيل »(١٢). اكثر من ذلك فقد هدد وزير الدفاع موشيه ديان بتقديم استقالته من منصبه اذا لم ترفض الحكومة مشروع روجرز(١٣).

بعد ذلك ، وافقت الحكومة بالاجماع على رفض مشروع روجرز ، وارسلت ردها السلبي الى الولايات المتحدة . غير ان هذا الرد السلبي ، لم ينشر بشكل علني لسببين : ١— «لانحكومة اسرائيل

لم ترغب ان تضع الرئيس الاميركي نكسون في وضع غير مريح . ٢ ـ لان الاميركيين كانوا قد نصحوا حكومة اسرائيل بأن لا تكون الاولى التي ترفض مشروع روجرز ، لكي ينتظروا رد مصر »(١٤).

أعلن الرئيس جمال عبدالناصر في الخطاب الذي القاه بمناسبة العيد الثامن عشر لثورة ٢٣ يوليو ، قبول الجمهورية العربية لمقترحات السلام الاميركية، او ما يسمى بمشروع روجرز . وقد « أذهلت هذه الخطوة التي اتخذهـا الرئيس عبدالناصر جميـع مواطني اسرائيـل »(١٥) كما « ان الحكومـة الاسرائيلية ، فوجئت مفاجأة تامة من هذه الخطوة المصرية »(١٦). واشارت المصادر الاسرائيلية الى ان اسرائيل قد « دخلت الى اصعب وضع منذ حرب الايام الستة »(١٧) فضلا عن ان كافة الصحف الاسرائيلية اجمعت على ان اسرائيل اصبحت ، عقب قبول الجمهوريـة العربية المتحـدة لمشروع روجرز ، « تمر بأصعب امتحان »(١٨). ويعود ذلك الى عدة اسباب اهمها :

١ ـ ان المبادرة جاءت من قبل دولة كبرى وصديقة، تعتمد عليهـا اسرائيـل في المجالات العسكريـة والاقتصادية والسياسية . ولو جاءت المبادرة من قبل دولة اخرى لهان الامر .

٢ ـ ان المبادرة تدعو صراحة الى « الانسحاب الاسرائيلي » من المناطق المحتلة ، وهذا ما لا تريده اسرائيل .

٣ ـ ان حكومة الائتلاف الوطنـي في اسرائيل ، والتي تحرص عليها رئيسة الحكومة غولدا مئير ، مثلما كان يحرص عليها سلفها ليفي اشكول ، لا يمكنها الموافقة على هذه المبادرة ، دون حدوث انقسام خطير بين اعضائها ، يؤدي الى حل هذه الحكومة .

٤ ـ ان حكومة اسرائيل ، كانت قد ارسلت قبل بضعة اسابيع ردهـا السلبي على المقترحـات الاميركية .

هذا ، فضلا عن ان وسائل الاعلام الاسرائيلية كانت قد عبأت المواطن الاسرائيلـي ضـد المبادرة الاميركية ، ثم اخذت تدعو الى اضفاء صفة العلنية على الرد السلبي، الذي كانت اسرائيل قد ارسلته الى الولايات المتحدة . فقد قالت صحيفة هآرتس : « ينبغي ان نقول لا لمشروع روجرز بشكل علني وقاطع وفي اقرب وقت ممكن ، فالقضيـة ليست دبلوماسية ، بل انها تقديرات سياسية . ينبغي عدم ابقاء شك في واشنطن ، بأن اسرائيل لا يمكنها ان توافق على تسوية كهذه »(١٩).

لم تر وسائل الاعلام الاسرائيليـة ، في قبـول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الاميركي ، قبولا بريئا ، بل اعتبرته بمثابة مصيدة لاسرائيل ، وبمثابة « حملة مصرية سوفييتية القصد منها دق اسفين في العلاقات الاميركية الاسرائيلية، والحيلولة دون تزويد الجيش الاسرائيلي بالسلاح ، ووضع اسرائيل امام ضغوط سياسية دولية »(٢٠) كما اعتبرته « مناورة تستهدف عزل اسرائيل في المحافل الدولية وعرقلة العلاقات بين اسرائيل واميركا ، خاصة فيما يتعلـق بتزويد اسرائيل بالاسلحـة والاستعداد من وراء ذلك لخوض معركة حاسمة مع اسرائيل »(٢١).

وقد اجمعت الصحف الاسرائيلية التي تمتلك باعا طويلا في بلورة وتجسيد الرأي العام الاسرائيلي ان قبول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الاميركي ما هو الا بمثابة «مناورة» وان اختلفت تفسيراتها في دوافع هذه « المناورة » وما تصبو اليه . اما المسؤولون الاسرائيليون فقد رأوا في قبول الرئيس عبدالناصر للمشروع الاميركي ، بأنه لا ينطوي على اي تغيير في سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه اسرائيل . فقد قال الوزير شمعون بيرس ، في محاضرة القاها في نادي « بيت بيرتر » بتل ابيب: « ان خطاب ناصر ما هو الا بمثابة لافتة جديدة للسياسة المصرية القديمة ولا ينطوي على اي تغيير عملي لهذه السياسة . علينا ان نميز بين الامور التي تجري بالفعل ، وبين الامور التي تستهدف اصطياد اعين الاخرين » . ثم اخـذ يقارن بين التسوية السياسية والتسوية الفنية على اعتبار ان مشروع روجرز يدخل ضمن التسويات الفنية وقال : « ان التسوية السياسية تسبق التسوية الفنية ، وقد ادركوا ذلك في اوروبا ، عقب الحرب العالمية الثانية . وقد سبق لاسرائيل ان دخلت ثلاث مرات في تسويات جزئية ، واذا ما دخلنا هذه المرة ايضا في تسوية فنية ، فاننا نضع انفسنا أمام حرب رابعة ، اصعب من سابقاتها »(٢٢).

اما الوزير جليلي فقد ذكر في اجتماع شعبي عقد في مدينـة رحوبوت « ان الموافقـة المصرية علـى المقترحات الاميركية لا تعتبر تحـولا عربيا نحو السلام ، بل اجراء دبلوماسي مصري سوفياتـي يستهدف منع اسرائيل من التزود بالاسلحة التي

تحتاجها للدفاع عن نفسها »(٢٣).
وقال الوزير مناحيم بيجن في مقابلة اجرتها معه اذاعة « صوت اسرائيل » : « ان الرئيس عبد الناصر ، ألقى خطابه في يوم الثورة المصرية ، بيد ان اقواله لم تنطو على اية ثورة . ان الرئيس عبدالناصر يود تدمير دولة اسرائيل ، فقد طرح مرة اخرى ، طلبه القديم الداعي الى عودة اسرائيل الى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، واعادة ما يسمى بحقوق الشعب الفلسطيني »(٢٤).
ليس هنالك ثمة شك بأن قبول الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الاميركي قد جعل اسرائيل تمر في أدق واحرج مأزق سياسي عرفته منذ حرب الايام الستة . ويعود ذلك الى التقديرات الخاطئة للمسؤولين الاسرائيليين . فقد كانت اسرائيل تتصور ان الجمهورية العربية المتحدة او اية دولة عربية لن تقبل المشروع الاميركي الجديد على اساس انه مشروع صادر من قبل دولة غربية مناوئة للموقف العربي وفي احسن الاحوال فانها لن ترد عليه .
وانطلاقا من هذا التصور لم تقم اسرائيل ببذل جهود كافية لتوضيح موقفها للحكومة الاميركية او ملاءمة هذا الموقف مع الموقف الاميركي . بل واكثر من ذلك ، فقد قام بعض المسؤولين الاسرائيليين الذين يعتبرون من فئة الحمائم بخداع وتضليل الاوساط الحاكمة في البيت الابيض الاميركي ونتيجة لهذا التصور وقعت اسرائيل في حسابات خاطئة اثناء تقييمها للتطورات المحتملة ، سواء من قبل الجانب الاميركي او الجانب العربي .
وكان يتسحاق رابين سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة ، ورئيس هيئة الاركان سابقا ، هو المسؤول الاسرائيلي الاول الذي وجهت اليه الانتقادات . فقد ادعى بعض الوزراء « ان تقييمات « رابين » وتحليلاته للوضع ، بالشكل الذي قدمت به امام الوزراء ، كانت مغلوطة ومضللة ، خاصة فيما يتعلق بموقف الولايات المتحدة ، واجراءاتها المنتظرة ، بالنسبة لمشروع روجرز »(٢٥). ولم يقتصر النقد الذي وجه الى يتسحاق رابين على النقد الموضوعي ، بل تعداه الى النقد الساخر ، حيث قال احد الوزراء : « ان رئيس هيئة اركان النصر ، تحول الى سفير للانسحاب »!(٢٦).
وهنالك ثمة اشخاص يعزون التقييمات الخاطئة ، لعدم انتهاج الحكومة الاسرائيلية سياسة بعيدة المدى : يقول الصحفي « يوئيل ماركوس » :
«... لا يليق بنا البحشبكيفية وصولنا لهذا الوضع، لكن اتضح اليوم دون ادنى شك انه كانت هناك بعض التقديرات الخاطئة ، ومن المحتمل ان يكون ذلك نتيجة عدم وجود سياسة بعيدة المدى » .
ولدعم رأيه ، استشهد « ماركوس » بما افضت به رئيسة الحكومة غولدا مئير في المقابلة الصحفية التي اجرتها معها صحيفة « هآرتس » حيث قالت : « انه عند البحث المبدأي حول غارات العمق ، لم يفكر احد بأن الامر سيؤدي الى تدخل الاتحاد السوفييتي » !(٢٧).
بعد المأزق السياسي الحرج الذي زجت به اسرائيل اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تقلل من شأن قبول الجمهورية العربية لمبادرة السلام الاميركية ، وتدعي ان الرئيس عبدالناصر اجاب على المبادرة الاميركية « بلا ونعم » في آن واحد ، وانه قبلها بشروط ، وانطلاقا من هذه الصورة التي رسمتها وسائل الاعلام الاسرائيلية حول قبول الجمهورية العربية المتحدة للمبادرة الاميركية ، اخذت هذه الوسائل تدعو اسرائيل ان تحذو حذو الرئيس عبدالناصر ، « وان تعلن مبادئها التي ترتأيها لحل النزاع العربي الاسرائيلي ، دون ان يفسر ذلك كرفض لمبادرة السلام الاميركية »(٢٨). تقول صحيفة دافار المقربة من الاوساط الحاكمة : « يجب على اسرائيل ان تعلن هي الاخرى عن استعدادها لقبول مشروع روجرز مثل مصر ، ولكن شريطة ابعاد الصواريخ والطيارين السوفييت من مصر »(٢٩).
اما صحيفة معاريف ، فقد دعت الى « عدم الموافقة على مبادرة سلام تكون اسرائيل في نهايتها ، اضعف ، سواء نجحت هذه المبادرة او فشلت... ينبغي رفض كافة التحفظات المصرية ، وضمان حفاظ دقيق على ميزان التسلح في المنطقة واستمرار تزويد اسرائيل بالاسلحة الاميركية ، خاصة حيال الالتزام السوفييتي بالاستمرار في تزويد مصر بالاسلحة ... بعد ذلك فقط ، يكون بالامكان الموافقة بتحفظ على البدء في مداولات حول مشروع روجرز »(٣٠).
بعد اسراف وسائل الاعلام الاسرائيلية في تصوير رد الجمهورية العربية المتحدة ، على انه يرتبط بتحفظات ويقترن بشروط مسبقة ، جاء نفي هذه الادعاءات من قبل الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية ، حين قال : « ان الرد المصري كان ايجابيا دون اية شروط »(٣١).
لم تنظر حكومة الولايات المتحدة عند استلامها رد

اسرائيل السلبي على المبادرة الاميركية ، الى هذا الرد ، كرد نهائي ، او كرفض للمبادرة ، بل اعتبرته « ضمن اطار اختلاف وجهات النظر بين البلدين »(٣٢). وكانت الولايات المتحدة قبل ذلك ، واثناء تمهيد الطريق أمام مبادرتها المتعددة ، قد طلبت من اسرائيل « ان تعلن انها توافق على قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، وانها لا تعارض الانسحاب » . وبناء على هذا الطلب ، قرأت رئيسة الوزراء غولدا مئير في الكنيست ، البيان الذي كان قد اعلنه يوسف تكوع سفير اسرائيل في الامم المتحدة في الاول من مايو ١٩٧٠ ، حول موافقة اسرائيل على قرار مجلس الامن . ومن الجدير بالذكر ان بيان تكوع قد فسر في العالم كرفض لقرار مجلس الامن ، وليس كقبول له كما أراد تكوع(٣٣). وفيما يتعلق بقضية الانسحاب قالت رئيسة الوزراء ان قوات الجيش الاسرائيلي ستعود الى حدود جديدة(٣٤) « غير انها امتنعت بشكل ملحوظ عن استخدام كلمةانسحاب».
بعد الموافقة التي حظيت بها المبادرة الاميركية من قبل الجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، اخذت الولايات المتحدة تضغط على اسرائيل لكي توافق هي الاخرى عليها . بيد ان هذا الضغط لم يتسم بالتهديد بوقف المساعدات العسكرية والاقتصادية من جانبها ، بل اتسم بالتأكيد على منح اسرائيل مزيدا من الضمانات والمساعدات في حال قبولها للمبادرة. والحقيقة ان اي طلب من امريكا لاسرائيل يشكل بحد ذاته ضغطا على الاخيرة بسبب اعتماد اسرائيل الكلي على الولايات المتحدة في قضاياها الرئيسية ، ولذلك ليس من السهل الوقوف في وجه المطالب الاميركية . وفي المقابل ، تجد الولايات المتحدة نفسها غير قادرة على توجيه ضغط حقيقي على اسرائيل بسبب تشابك المصالح الاميركية والاسرائيلية ، وقوة الدعاية الصهيونية في امريكا.
كانت اسرائيل تتخوف من عدد من القضايا اذا ما وافقت على مشروع روجرز ، اهمها :

١ — حدوث خلل في ميزان القوى في الشرق الاوسط ، فقد تخوفت اسرائيل من تدفق الاسلحة السوفييتية لمصر ، دون ان تحصل هي الاخرى على اسلحة مماثلة .

٢ — استغلال فترة وقف اطلاق النار المحدودة ، فقد تخوفت من قيام مصر بتعزيز جبهة قنال السويس بواسطة استكمال شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ، الامر الذي من شأنه ان يؤدي الى فقدان سيطرتها الجوية في منطقة القنال .

وقد وضعت هذه التخوفات في حساب الرئيس الاميركي نكسون . ففي المؤتمر الذي عقده في سندنه بلوس انجلوس ، قال نكسون في محاولة منه لازالة هذه التخوفات : « اعتقد انه بوسع اسرائيل الموافقة على وقف اطلاق النار الذي اقترحته الولايات المتحدة بدون تخوف ، وبدون ان تعرض أمنها للخطر » . واضاف مؤكدا : « انني استطيع ان اتعهد لاسرائيل بأنه بامكانها قبول وقف اطلاق النار كما نص عليه مشروع روجرز ، بدون ان تتخوف من ان الامر سيستغل من قبل مصر لتعزيز مواقعها العسكرية » . واضاف « انني أؤمن بأن العرب سيكونونأوفياء لفكرة تجميد الوضع عسكريا ابان وقف اطلاق النار » . واختتم تصريحه بقوله : « لقد اكدت التزام الولايات المتحدة بالاهتمام بأمن اسرائيل ، وبالمحافظة على ميزان القوى في الشرق الاوسط »(٣٥).
لم يكتف الرئيس نكسون بهذا التصريح ليزيل « تخوفات » اسرائيل وانما اعقبه بارسال رسالة الى رئيسة الوزراء غولدا مئير ، يدعو فيها حكومة اسرائيل الى الموافقة على مبادرة السلام الاميركية ويتعهد فيها « بأن الولايات المتحدة ستواصل التمسك بفكرة عدم الانسحاب من مناطق ، بدون تسوية سلمية ، كما وانها ستفي بكل التزاماتها لاسرائيل ، بما في ذلك قضية ميزان التسلح»(٣٦).
ومما يسترعي الانتباه ان اسرائيل رأت في رسالة نكسون هذه خير سند لها في موافقتها على المبادرة الاميركية ، وكان ظل هذه الرسالة يسيطر على رد الحكومة الاسرائيلية عند استجابتها لمشروع روجرز .
بالاضافة الى ذلك ، ومن اجل دفع اسرائيل الى قبول المبادرة الاميركية ذكرت الصحف الاميركية ، ان الولايات المتحدة ستقوم بتزويد اسرائيل بأنواع معينة من الاسلحة الدفاعية، وذلك من اجل تسهيل الامر على رئيسة الوزراء غولدا مئير ، في اقناعها اعضاء حكومتها بضرورة الموافقة على مشروع روجرز ، وألمحت الى ان الرئيس نكسون سيقترح اشتراك جنود اميركيين في قوة حفظ السلام التي سترسل الى المناطق المجردة من السلاح ، عندما يحين الوقت للمحافظة على الحدود التي سيتم الاتفاق عليها(٣٧).

من هنا نرى ، ان الولايات المتحدة لم توجه الى اسرائيل ضغطا ملموســا ، بل التزمت نحوهــا بتعهدات معينــة ، وطلبت منها الموافقــة على مشروعها . وهذا الطلب يعتبر بحد ذاته ضغطا عــلى اسرائيل ، لطبيعة العلاقــات التي تربط البلدين . هذا بالاضافة الى ان كبار المسؤولين الاميركيين يعتقــدون بأن رفض اسرائيــل لمشروع روجرز ، سيكون بمثابــة « خدمة كبيرة للاتحــاد السوفياتي ولناصر »(٣٨).

بعد تلقي رئيســة الوزراء غولدا مئير رسالة الرئيس الاميركي نكسون اخذت تبدو في الافق ملامح التغير في الموقف الاسرائيلي تجاه مبادرة السلام الاميركية. فقد اخذ معظم الوزراء يؤيدون الاستجــابة لوقف اطلاق النــار المحدود بثلاثــة اشهر بينما كانوا يعارضون ذلك ويدعون الى وقف اطلاق النار غير المحدود بفترة زمنية ، كما اصبح معظمهم يميل الى استئنــاف الدكتور يارينغ لمهمتــه « حسب روح المقترحات الاميركية الجديدة »(٣٩).

وكان اول الداعين مــن بين كبار الشخصيــات الاسرائيلية الى الموافقة على مشروع روجرز ، يجآل ألون نائب رئيســة الحكومة ووزير الثقافة ، الذي قال في اجتماع امام طلبة المدارس الثانوية في القدس : « يبدو لي انه ينبغي علينا في هذه الحالة ان نستجيب الى مبادرة الولايات المتحدة الاميركية ، وعدم افشال هذه الخطوة خاصة بعد ان استجابت لها دولتان عربيتان »(٤٠).

ربما يكون من المستغرب ، ان يكون يجآل الون ، الذي يعتبر من فئة الصقور ، والمشهور بمشروعه الاستيطاني التوسعــي المقترن باسمه (مشروع الون) من اوائل الشخصيات الاسرائيلية المبادرة الى الدعوة لقبول مشروع روجرز ، الذي يختلف اختلافا كليا وجوهريا عن مشروع الون ، والذي يختلف الى حد بعيد عن مشروع حزب مبام الذي يعتبر دون الحد الادنى للتنازلات الاسرائيلية . غير ان هذا الاستغراب يمكن ان يتبدد اذا علمنا ان الدافع الاساسي من وراء مبادرته الــى الدعــوة لقبول مشروع روجرز هو الصراع على وراثة رئيسة الوزراء . فقد رأى يجآل الون انه من الافضل له في حمأة هذا الصراع ان يلائم نفسه مع الاحداث المتغيرة والمستجدة ، وان يضع نفسه على رأس فئة الحمائم ، التي كانت الولايات المتحدة تعقد عليها آمالها في قبول مبادرتها ، وبذلك يكون قد شق طريقه في حومة الصراع القائم في اسرائيل حول خلافة رئيسة الوزراء غولدا مئير .

وكان وزراء حزب التجمع العمالي (مباي ، احدوت هعفودا ، مبام ، رافي) هم اول من مال الى قبول المبادرة الاميركية من الناحية المبداية . واتضح ذلك بعد اجتماع عقده وزراء الحزب في منزل رئيسة الوزراء بعد ان استدعوا للتشاور(٤١). ثم انضم الى موقف حزب العمل ، الحزب الليبرالي المستقل ، بعد ان اجتمع اعضاء كتلة الحزب في الكنيست في منزل الوزير « موشيه كول » واستمعوا منه الى تقرير حول التطورات الاخيرة في الحكومة(٤٢). وتبع هذين الحزبين ، الحزب الوطني المتدين (المفدال) حيث ايدت ادارة الحزب بأغلبية الاصوات « انه ينبغي على حكومة اسرائيل ان تستجيب للمبادرة الاميركية ، مع التأكيد على انه ينبغي لمهمة يارينغ ، ان تؤدي بالطرفين الى مفاوضات حول سلام ثابت ، واعتراف متبادل ، وتعيين حدود آمنة ومتفق عليها بدون شروط مسبقة »(٤٣). غير ان حزبا واحدا له وزن كبير في حكومة الائتلاف الوطني لم يؤيد المبادرة الاميركية ، ووقف ضدها بكل قوة ، كما وقف في السابق ضد مشروع روجرز الاول ، وكانت له اليد الطولى في نسف ذلك المشروع ، الا وهو حزب « جاحال » (كتلة حيروت الاحرار) .

لم تر معظم الاحزاب الرئيسية في اسرائيل ، في مبادرة السلام الاميركية ، شيئا يتلاءم ويتمشى مع سياستها وبرامجها المعلنة. ولو كان الخيار المطلق في يدها ، لما مالت الى قبول هــذه المبادرة ، والدليل على ذلك ان حكومة الائتلاف الوطني كانت قد رفضتها رفضا قاطعا وبعثت بردها الى الولايات المتحدة ، غير ان الولايات المتحــدة لم تر في هــذا الرد ردا أخيرا !! واعتبرته موضوعا يدخل « ضمن اطار اختلاف وجهات النظر بين البلدين» ، لادراكها بأنها تشكل أداة ضغط هائلة على اسرائيل بدون ان يتطلب الامر توجيه تهديد علني اليها .

وقد رأى وزراء الائتلاف الوطني باستثناء وزراء كتلة « جاحال » ان الوضع الجديد الذي طرأ بعد موافقة دولتين عربيتين على مبادرة السلام الاميركية ، وبعد توضيحات الرئيس نكسون التي وردت برسالته التي بعث بها الى رئيسة الوزراء غولدا مئير ، يتطلب من اسرائيل ان تستجيب للمبادرة الاميركية، ولكن بشروط . بيد ان هذا التحول الذي طرأ على الموقف الاسرائيلي اثار ازمة سياسية خانقة في

اسرائيل . فقد بدا ان هذا التحول سيدفع كتلة « جاحال » الى الخروج من الائتلاف الوطني ، هذا الائتلاف الذي تحرص غولدا مئير عليه حرصها على أي مكسب وطني ، فضلا عن ان غالبية الرأي العام الاسرائيلي تؤيد بقاء كتلة جاحال في حكومة الائتلاف الوطني .

وواجهت اسرائيل امتحانا عسيرا . كيف تخرج من المعادلة الصعبة : الموافقة على مشروع روجرز الذي تفرضه الاعتبارات الدوليـة والابقاء على حكومة الائتلاف الوطني الذي تفرضه الاعتبارات الامنية ؟! هذا مع العلم بأن جمع المسألتين يكاد يكون من ضروب المستحيلات .

قالت صحيفة معاريف في مقال افتتاحي ، في محاولة منها لرسـم معالم الطريق امـام السياسـة الاسرائيليـة : « الامتحان الاول الذي تواجهه اسرائيل هو امتحان داخلي . ينبغي ان يكون ردنا على الوضع السياسي والامني الذي طرأ في منطقتنا مع كل تبعاته الدولية ، مزدوجا : اعصاب قوية ، وحفاظ على التجمع القومي . ومن اجل الحفاظ على التجمع القومي ينبغي اظهار مرونة في الصيغ . لان الامتحان الحقيقي في المجال الخارجي لا يزال بعيدا » . واختتمت مقالها بقولها : « ان حل التجمع القومي ، سيكون بمثابة انتصار كبير لناصر وبريجنيف ، وكذلك لاوساط معادية لنا في الولايات المتحدة »(٤٤).

الحل الذي اقترحته صحيفة معاريف للخروج من المأزق ، يتمثل في ايجاد « صيغ مرنة » تقبلها كافة الاطراف في حكومة الائتلاف الوطني. ولكن هل تقبل كتلة جاحال البقاء في حكومة الائتلاف الوطني مقابل موافقة شكلية مـن قبل اسرائيل علـى مشروع روجرز ؟ ومما تجدر الاشارة اليه ان نظرة وزراء كتلة «جاحال» وقادتها لم تكن موحدة تجاه شكل الرد الاسرائيلي وتجاه المبادرة الاميركية نفسها ، حيث يوجد هناك في هذه الكتلة وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر « مناحيم بيجن » . فمن المعروف ان كتلة « جاحال » كانت قد تكونت عام ١٩٦٥ من اتحاد حزبين ، حزب « حيروت » الذي انبثق عن حركة « اتسل » الارهابية ، والحزب الليبرالي الذي انبثق عام ١٩٦١ عـن حزب الصهيونيـين العموميين . ولذلك ليس من المستغرب ان يكون هنالك اختلاف في وجهات النظر داخل كتلة جاحال. ويشكل اعضاء حيروت الجناح المتطرف في كتلة جاحال .

لقد برز اتجاهان في هذه الكتلـة بالنسبة لمشروع روجرز : الاتجاه الاول يمثله بيجن : يدعو الى رفض المشروع الاميركي ، والخروج من حكومة الائتلاف الوطني اذا مـا وافقت عليه ، ويؤيده معظم اعضاء « حيروت » . والاتجاه الثاني : يدعو الـى رفض المشروع مع عدم الخروج مـن حكومة الائتلاف الوطني ، ومواصلة النضال من داخلها ضد المشروع ، ويؤيد هذا الجناح معظم اعضاء الحزب الليبرالي .

بعد بروز هذين الاتجاهين ، وبوادر الخلاف داخل كتلة جاحال ، وجد مناحيم بيجن نفسه انه يخوض معركتين الاولى ضد قبول اسرائيل لمشروع روجرز، والثانية ضد اصحاب الاتجاه الثاني في كتلتـه ، الذين يرون ضرورة البقاء في حكومةالائتلاف الوطني، حتى لو قبلت الحكومة المبادرة الاميركية . لان النضال مـن الداخل حسب اعتقاد اصحاب هذا الاتجاه ، افضل لكتلة جاحال من النضال خارج الاطار الحكومي .وقد واجه مناحيم بيجن امتحانا عسيرا في هـاتين المعركتين ، وكانت تخوفـاته مضاعفة ، فهو يرى في المشروع الاميركي « مشروع خراب »(٤٥) لاسرائيل في الوقت الذي كان فيـه حزبه يقف على عتبة انشقاق خطير ، لوجود قسم كبير في الحزب لا يرى هذا الرأي . ولكنه صمم على الصمود في المعركتين مهما تكن النتائج ، ودعا كتلة جاحال في الكنيسـت لبحث موضوع استجـابة الحكومة الاسرائيلية ولاتخاذ قرارات بهذا الصدد . وبالفعل عقدت كتلـة الحزب في الكنيست جلسة استغرقت اكثر من خمس ساعات ، استمعت فيها الى تقرير مطول من قبل مناحيم بيجن ، تطرق فيه الى الاتصالات مع رئيسة الوزراء ووزراء التجمع وقال : « انه ينبغي على الحكومة ان لا توافق على مشروع روجرز ، لان هذا يعني الموافقة على تجزئة ارض اسرائيل من جديد ، مع العودة الى الحدود التي كانت قائمة عشية حرب الايام الستة . وان كتلة جاحال لا يمكنها قبول ذلك ، لانه يتعارض والمبـادىء التي دخلت بهـا الانتخابات»(٤٦). واعرب بيجن عـن استغرابه لاستعداد رئيسـة الحكومة ووزراء حزب التجمع لقبول المشروع ، الذي كانوا قد رفضوه بشدة قبل بضعة اسابيع ، ثم قال : « لو انني كنت مجبرا على التوقيع على وثيقة انسحاب لقمت بقطع يدي اليمنى »!(٤٧) ثم

طالب الكتلة باتخاذ قرار بالخروج من الحكومة اذا ما قبلت مشروع روجرز .

ثم أعقبه الوزير « اريه دولتشتاين » (من جناح الاحرار في كتلة جاحال) واقترح تأجيل الرد السلبي على مشروع روجرز ودعا الى التريث طالما ان اسرائيل ترابط علـى خطوط وقف اطلاق النار .

وأثار هـذا الاقتراح حفيظة مناحيم بيجن ، حيث اندفع نحو زميله قائلا بغضب: « يا سيد دولتشتاين ان مبادرة روجرز ليست مبادرة سلام لاسرائيل ، بل مبادرة خراب لاسرائيل »(٤٨).

وفي نهاية الاجتماع حظيت دعوة بيجن ، للخروج من الحكومة اذا ما وافقت عـلى مبادرة السلام الاميركية ، بـ ١٤ صوتا ، وحظيت دعوة الوزير « ريملت » بالبقاء في الحكومة بـ ٩ أصوات وامتنع شخصان على التصويت .

ومن الجدير بالذكر ان شخصا واحدا فقط ، من الحزب الليبرالي (عضو الكنيست تسمرمان) قد أيد موقف بيجن ، بينما لم يؤيد اي شخص مـن « حيروت » البقاء في الحكومة . اما الشخصان اللذان امتنعا عن التصويت ، فقد كانا وزير المواصلات عيزر وايزمن (حيروت) وعضو الكنيست « موشيه نسيم » (الحزب الليبرالي) . ولم يحضر الجلسة كل من عضوي الكنيست « يوسف سرلين » و« ابراهام كاتس » (من الحزب الليبرالي) بسبب وجودهما خارج البلاد(٤٩).

لقد أظهرت الجلسة التي عقدتها كتلة « جاحال » بالرغم من انتصار الاتجاه الاول الذي يمثله مناحيم بيجن ، ان موقف الاتجاه الثاني له وزن لا بأس به في تحديد الموقف الذي ينبغي على الحزب اتخاذه. وقد حاول اصحاب هذا الاتجاه بلورة موقفهم ، والدعوة اليه بشكل اشـد ، حيث بادرت ادارة الحزب الليبرالي الى عقـد اجتماع لبحث تطورات الموقف . وقال رئيس ادارة الحزب الوزير « اريه ريملت » في هذا الاجتماع : « اني اؤمن بحقنـا التاريخي على ارض اسرائيل ، ولكـن هنالك اجراءات علينا ان نقبلها كسياسيين . لقد عمل حزب العمل الشيء الكثير للحيلولة دون خروج كتلة جاحال من حكومة الائتلاف الوطني . لم يقم بذلك من اجل مصلحة ضيقة بل بدافع من ثلاثة عوامل : وجود التهديد الخارجي، واهتزاز الروح المعنوية في حالة الاستقالة،وعدم الارتياح الذي يخلقه وجود كتلة جاحال ، في صف المعارضة ، في هذا الظرف » .

وبدت الوزير « ريملت » بعد دعوته هذه للبقاء في حكومة الائتلاف الوطني ، احتمالات حدوث انشقاق في كتلة جاحال يؤدي الى انفصام عرى الوحدة بين الحزبين بقوله في نفس الجلسة « ان قرار مركزي « جاحال » سيكون ملزما للحزبين وستقـف كتلـة « جاحال » ككتلة واحدة »(٥٠).

وانتظر الطرفان المتنازعان في كتلة جاحال الاجتماع الذي سيعقده مركزا الحزبين (حيروت والاحرار) لاقرار الخط الذي ستسلكه الكتلة في حالة استجابة الحكومة للمبادرة الاميركية .

وفي غضون ذلك ، ومع اشتداد الصراع داخل كتلة جاحال ، واشتداد ساعد الجناح الذي يدعو الى الخروج من الحكومة ، خشيت فئة الصقور في حزب العمل ، وعلى رأسها غولدا مئير وموشيه ديان ، من ان تؤدي استقالة كتلة جاحال الى اضعاف مركز الصقور ، وبالتالي تعزيز مركز « الحمائم » في الحكومة . ذلك « لان وزراء كتلة جاحال الستة بالاضافة الى رئيسـة الحكومة والوزراء ديـان، وجليلي ، وبيرس ، قد شكلوا اكثر من مرة سورا صلبا حجز خلفه معظم اعضاء الحكومة »(٥١).

ومن أجل الابقاء على حكومة الائتلاف الوطني ، وعدم انسحاب كتلة جاحال منها ، عبر وزراء حزب التجمع العمالي عن استعدادهم لتمكين كتلة جاحال من الامتناع عن التصويت في الكنيست ، او حتى التصويت ضد المشروع اذا كان هذا يؤدي الى الحفاظ على التجمع القومي في هذه الظروف(٥٢) غير ان زعيم الاتجاه الاول في كتلة جاحال مناحيم بيجن لم يستجب لهذا العرض .

ثم طلبت رئيسة الوزراء غولدا مئير من وزير الدفاع موشيه ديان القيام بمحاولة لاقناع مناحيم بيجن بالعدول عن موقفه ، خاصة وان ديان كان قد نجح في اقناع بيجن في الكف عن تهديده بالاستقالة على اثر المقابلة الصحفية التي كان قد اجراها رئيس الحكومة السابق ليفي اشكول مع مجلة نيوزويك الاميركية . وقد استجاب وزير الدفاع موشيه ديان الى طلب رئيسـة الوزراء ، واجتمع مع زميله مناحيم بيجن « غير ان هذا الاجتماع لم يجلب في اعقابه التحول المرجو الذي كانت تتوقعه رئيسة الوزراء »(٥٣).

لم تقتصر المحاولات المبذولة لاقناع مناحيم بيجن ، للعدول عن موقفه ، على وزراء حزب التجمع ، بل شملت ايضا بعض الاحزاب والشخصيات ،

سواء منها التي تقف في صف المعارضة ، او التي تنضوي تحت لواء التجمع القومي . فقد اجتمع اعضاء الكنيست عن اجودات يسرائيل ، والقائمة الرسمية (تائمتان معارضتان) بالوزير مناحيم بيجن ، وطلبوا منه ان تبقى كتلة جاحال في الحكومة ، غير انه اجاب « بأن كتلة جاحال عازمة على الاستقالة من الحكومة اذا ما وافقت الحكومة بالفعل على قرار يسمح للدكتور يارينغ بالعمل على تنفيذ مشروع روجرز »(٥٤).

وقام الحزب الوطني المتدين ايضا بمحاولة من جانبه لاقناع مناحيم بيجن للعدول عن موقفه . فقد وجه منسق الحزب « اليعيزر جؤولين » نداء الى بيجن قال فيه : « لقد تقرر باجماع اعضاء ادارة الحزب الوطني المتدين (المفدال) وكتلتنا في الكنيست، في الجلستين الاخيرتين، اللتين كرستا حول موضوع الرد على المبادرة الاميركية ، التوجه اليك كرئيس لحركة حيروت ، وكرئيس كتلة جاحال في الكنيست، في هذه الساعة المصيرية للامة وللدولة، لتستجيبوا لطلبنا ، ومطلب عشرات الالاف من مواطني اسرائيل بأن لا تستقيلوا من الحكومة وان لا تتسببوا في حل حكومة الائتلاف الوطني وان تواصلوا نضالكم حول موقفكم داخل الحكومة ولجانها ، ان موقفكم في الداخل له وزن كبير وتأثير ، بالنسبة لتطورات الاحداث في المستقبل »(٥٥).

وجاء رد مناحيم بيجن على هذه المحاولات في حفل تدشين معهد جيبوتنسكي بتل ابيب ، الذي اقيم برعاية نائب رئيسة الوزراء يجآل الون ، وبحضور جمهور كبير ، حيث قال بيجن : « من هذا المكان ، اناشد اعضاء حزب التجمع ، والحزب الوطني المتدين ، والقائمة الرسمية ، وكل اولئك الذين ينظرون الى ارض اسرائيل كنظرتنا ، بأن يتحدوا معنا ، وان يقيموا معا « حركة مقاومة للانسحاب » حركة لانقاذ اسرائيل !! واني ادعو صديقي العظيم ، الذي رفع لواء تكامل البلاد يتسحاق طبنكين ، ان يقوم ويترأس « حركة مقاومة الانسحاب » . » وتساءل بيجن : « كيف يكون من المعقول ان نسلم قلب الامة الى الاجانب ، ونوقع امام ١٢٦ أمة على صك التزام بأننا لا نمتلك حقا في أجزاء من وطننا ؟ »(٥٦).

عند هذا ، بدا واضحا ان مناحيم بيجن قد أدار ظهره لكافة المحاولات المبذولة لعدوله عن موقفه ، وانه قد عقد العزم ، بعدم التراجع مطلقا عنه .

ومع ذلك فقد كانت هنالك محاولة اخيرة ، جاءت من قبل نفس الشخص الذي اختاره مناحيم بيجن ليقود « حركة مقاومة الانسحاب » حيث قام الزعيم القديم لحزب «احدوت همفودا»وأحد رؤساء«الحركة من اجل ارض اسرائيل الكاملة » يتسحاق طبنكين الذي يناهز الثالثة والثمانين من عمره ، بالاجتماع بمناحيم بيجن وبذل محاولات لاقناعه بأن لا يخرج من حكومة الائتلاف الوطني(٥٧). غير ان نصيب هذه المحاولة الاخيرة من النجاح كان كنصيب المحاولات السابقة .

سبق ان ذكرنا ، ان كتلة جاحال تشكلت عام ١٩٦٥ من اتحاد حزبي حيروت والاحرار ، وان الحزبين حافظا على استقلال فروعهما. ومن الجدير بالذكر ان لهذه الكتلة مركزين مستقلين : مركز حيروت ، ومركز الاحرار ويضم كل مركز ١١٧ عضوا ويبلغ اعضاء المركزين معا ٢٣٤ عضوا(٥٨). وهؤلاء هم الذين يقرون الخطوط الرئيسية لسياسة الكتلة ، ويحسمون القضايا الرئيسية المختلف عليها ، بأكثرية الاصوات ، لذا كان لا بد بعد موافقة الحكومة الاسرائيلية على مبادرة السلام الاميركية ، وما احدثته هذه الموافقة من بروز اتجاهين داخل الكتلة ، الاول يطالب بالانسحاب من حكومة الائتلاف الوطني بسبب الموافقة، والثاني يدعو الى البقاء في الحكومة ، والقيام بنضال داخلها ضد الموافقة ، كان لا بد من اللجوء الى مركزي الحزب لاقرار السير في احد هذين الاتجاهين.

عقد مركزا الكتلة اجتماعا في مساء الثالث من آب ١٩٧٠ في تل ابيب ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل .

افتتح مناحيم بيجن هذا الاجتماع بخطاب شامل حاول فيه اقناع اعضاء المركزين ، بتأييد موقفه الداعي الى الانسحاب من الحكومة ، ووصف قبول الحكومة للمبادرة الاميركية بأنه بمثابة استسلام ، وأعاد الى الاذهان « اتفاقية ميونيخ » الامر الذي حدا بأحد الاعضاء ليقاطعه قائلا : « لا تكن نبي خراب ، بث الامل في النفوس ، ولا تبشر بالخراب »(!)(٥٩). بعد هذه الملاحظة تحول الاجتماع الى اجتماع عاصف ، وقام البعض من اعضاء مركز حيروت بتهديد ذاك العضو ، وحاولوا الاعتداء عليه .

ثم عاد مناحيم بيجن ، واستمر في القاء كلمته ،

ووصف مشروع روجرز بأنه بمثابة « مصيدة أعدت لابادة اسرائيل »(٦٠) ودعا مركزي الحزب الى الموافقة على انسحاب كتلة جاحال من الحكومة . ثم تحدث بعض الاعضاء ، بين مؤيد ومعارض ، لمناحيم بيجن . وكان من ابرز المعارضين له الوزير يوسف سبير (الاحرار) الذي كان يعبر عن الاتجاه الثاني . قال سبير : « اننا بتركنا الحكومة ، نفلت من ايدينا اداة قوية ، نستطيع بواسطتها خدمة الشعب . اننا نخلق فراغا لن يملأ ، وسيستغل الوضع أسوأ استغلال . علينا ان نهتم بالدولة . ان دور كتلة جاحال اليوم شبيه بالدور الذي أنيط بها عشية حرب الايام الستة »(أ)(٦١). في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ظهرت نتيجة التصويت ، فقد صوت الى جانب الاستقالة ١١٧ عضوا وعارضها ١١٢ عضوا ، وامتنع عضوان عن التصويت ، وألغي صوت واحد ، وتغيب اثنان عن الاجتماع . وبذلك انفرط عقد « التجمع القومي » في اسرائيل بعد مضي ثلاثة اعوام وشهرين على تأسيسه(٦٢).

خضع جناحا كتلة جاحال لنتيجة التصويت وقدم وزراء الحزب الستة استقالتهم الى رئيسة الوزراء، وكان يتقدمهم مناحيم بيجن ، الذي انحنى امام غولدا مئير عند تقديم استقالته وقبل يدها(٦٣). وبذلك تكون مبادرة روجرز الثانية قد نسفت حكومة التجمع القومي في عام ١٩٧٠ ، بعد ان نسفت حكومة التجمع القومي ، مبادرة روجرز الاولى في عام ١٩٦٩ .

بعد ان وجدت حكومة اسرائيل ان الامر يتطلب احداث تغيير على موقفها تجاه مشروع روجرز ، خاصة بعد قبول دولتين عربيتين له ، وعقب الضغط الاميركي المشوب بالاغراءات ، قررت الاستجابة الى مبادرة السلام الاميركية . وكانت المشكلة الرئيسية التي واجهت الحكومة هي صيغة الرد على المبادرة الاميركية ، لذلك شكلت الحكومة « لجنة صياغة » « برئاسة رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وعضوية الوزراء ابا ايبن ، ألون ، جليلي ، ديان ، فيرهفتج ، بيلد ، كول وشبيرا »(٦٤). وقد قام كل من رئيسة الوزراء غولدا مئير ووزير الدفاع موشيه ديان بوضع اللمسات الاخيرة على صيغة الرد .

تنص صيغة الرد الاسرائيلي بالحرف على ما يلي : « بعد التدقيق في رسالة الرئيس نكسون الصادرة بتاريخ ٢٤ يوليو ، واستنادا الى فحواها ، ومن خلال التمسك بالخطوط الاساسية لسياسة الحكومة وبياناتها الرسمية تقرر الحكومة الاستجابة الى مبادرة السلام الاخيرة لحكومة الولايات المتحدة ، وابلاغها بأنها مخولة بأن تبلغ السفير يارينغ ان :

أ — اسرائيل مستعدة لتعيين مندوب عندما تحين الساعة ، للاشتراك في محادثات ، مع مصر او الاردن ، تجري تحت اشراف الدكتور يارينغ ، وفقا للترتيبات والاماكن والمواعيد التي يوصي بها الدكتور يارينغ ، اخذا بنظر الاعتبار مواقف الاطراف المعنية بشأن هذه الترتيبات ، والترتيبات التي جرت بموجبها في السابق ، محادثات كهذه بين الاطراف .

ب — موقف اسرائيل تجاه وقف اطلاق النار في جميع الجبهات ، بما في ذلك الجبهة المصرية ، ما زال قائما على اساس التعامل بالمثل ، وفقا لقرار مجلس الامن . واستنادا الى التوضيحات التي أعطيت من قبل حكومة الولايات المتحدة فان اسرائيل مستعدة للاستجابة لاقتراح الولايات المتحدة بشأن وقف اطلاق النار (لثلاثة اشهر على الاقل) في الجبهة المصرية .

جـ : المحادثات تحت اشراف الدكتور يارينغ ستجري في نطاق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتستند على استعداد الاطراف المعنية لتنفيذ هذا القرار بكل اجزائه ، من اجل التوصل الى اتفاق سلام ملزم ، ومتفق عليه بين الاطراف بحيث يضمن:

١ — التزام مصر والاردن واسرائيل ، بوضع حد لجميع المطالب او اوضاع الحرب ، والاحترام والاعتراف المتبادل بالسيادة والسلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لاسرائيل ومصر (او اسرائيل والاردن) وحق هذه الدول في العيش بسلام في حدود آمنة ومعترف بها ، بعيدة عن اي تهديد او اعمال عنف . ويكون كل طرف مسؤولا داخل أراضيه عن منع اعمال حربية او اعمال عدائية ، سواء من جانب قوة عسكرية او شبه عسكرية ، بما في ذلك قوات غير نظامية ضد القوات العسكرية او المدنيين الموجودين في اراضي الطرف الاخر .

٢ — انسحاب قوات اسرائيل المسلحة من مناطق احتلت في نزاع ١٩٦٧ الى حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها ، تحدد في اتفاقيات سلام .

٣ — اشتراك اسرائيل في هذه المباحثات ، هو بدون شروط مسبقة . ان اسرائيل لا تطلب سلفا

ان يوافق الاطراف علـى مواقفها ، وكذلك فان اسرائيل لا تقبل سلفا ، شروط الاطراف الاخرى ، التي وردت في بيانات الاطراف سواء منها العلنية او غير العلنية . وكل طرف يكون حرا في طرح اقتراحاته في مواضيع المباحثات »(٦٥).

اما مبادرة روجرز فانها تشتمل على ما يأتي(٦٦):

١ — « ان توافق كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة (٣ شهور) .

ب — ان توافق الاطراف المعنية على التصريح التالي على اساس ان يصدره السفير يارينغ في شكل تقرير الى السكرتير العام يو ثانت :

ابلغتني الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل انها توافق على :

أ — انها بعد ان قبلت وابدت رغبتها في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، بكل اجزائه ، فانها سوف تعين ممثلين لها في المناقشات التي تعقد تحت اشرافي طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذي قد اوصي به ، مع الاخذ في الاعتبار ، كلما كان ذلك مناسبا ، ما يفضله الاطراف بالنسبـة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

ب — ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه ، هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى : ١ — الاقرار من جانب الاطراف بسيادة وسلامـة الاراضي والاستقـلال السياسي (وفق نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) . ٢ — الانسحـاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ ، وذلك طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

جـ — وانه لتسهيل مهمتي للعمل من اجل التوصل الى حل كما تضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، فان الاطراف ستحترم بكل دقة — ابتداء من اول يوليو حتى اول اوكتوبر علـى الاقل — قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار » .

من الملاحظ ان الرد الاسرائيلي لا ينطبق تماما مع الصيغة التي قدمهـا وليام روجرز لتوقع عليهـا اسرائيل. وبدلا من ذلك فضلت الحكومة الاسرائيلية ان تستجيب الى المبادرة الاميركية من خلال بيان تصدره هي وتوقع عليه . وقد عمدت لجنة الصياغة في البيان الذي توصلت اليه ، الى ربط موافقة اسرائيل على مبـادرة السلام الاميركية بالشروط التي ترتئيها اسرائيل وعلى سبيل المثال ، جاء في الصيغة الاسرائيلية : « بعد التدقيق في رسالة الرئيس نكسون واستنادا الى فحواها ... » اي ان الموافقة الاسرائيلية ترتبط بالتعهدات التي قطعها الرئيس نكسون على نفسه بدعم اسرائيل عسكريا واقتصاديا .

ثم جاء في الصيغة : « ومن خلال التمسك بالخطوط الاساسية لسياسة الحكومة » والحقيقة ان هذه الجملة تلغي المبادرة الاميركية او تتناقض معهـا جملة وتفصيلا أي ان الموافقة ترتبط بالمقررات التي كانت الحكومـة قد اتخذتهـا او البيانات التـي اصدرتها . لان الحكومة قد اتخذت قرارات كثيرة، مثل دعوتها الى اقامـة مستوطنات في المناطـق المحتلة ، او اعلانها ان نهر الاردن يشكل الحد الامني لاسرائيل ، او قرارها الداعي باقامة ضاحية يهودية في الخليل ، هذا فضلا عـن ان بيـانات الحكومة نفسها تتناقض في بعض الاحيان(٦٧).

ومن الممكن القول بأن بيان الرد الاسرائيلي قـد شدد على الامور التالية :

١— التأكيد على رسالة الرئيس نكسون وفحواها والخطوط الاساسية للحكومة ، كمقدمة لاستجابة اسرائيل على المبادرة الاميركية دون التطرق الى ذكر مشروع روجرز .

٢ — التأكيد على ان تجري المباحثات تحت اشراف الدكتور يارينغ في « **نطاق قرار مجلس الامن** » وليس « طبقا » لقرار مجلس الامن .

٣ — التأكيد على ان اشتراك اسرائيل في المباحثات التي تجري تحت اشراف الدكتور يارينغ ان تكون « بدون شروط مسبقـة » وهذا مـا لم تتضمنه مقترحات السلام الاميركية .

٤ — التأكيد على « انسحـاب قوات اسرائيـل المسلحة من اراض احتلت » وليس « الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت » كما جاء في ترجمة الاهرام لمقترحات روجرز .

هنالك فرق بين «انسحاب قوات اسرائيل المسلحة» وبين «الانسحاب الاسرائيلي» ذلك لان «الانسحاب» في النص الاول يقتصر علـى القوات الاسرائيلية المسلحة فقط ، ولا يشمل المدنيين الاسرائيليين . بينما « الانسحاب » في النص الثاني يشمل كافة المظاهر الاسرائيلية في المناطق المحتلة . ولذا فليس من المستغرب ان تكون « لجنة الصياغة » قد أرادت ان تمكن اسرائيل من القول : « انسحاب قوات اسرائيلية مسلحة ، نعم . انسحاب اسرائيلـي

مدني ، لا » !!(٦٨).
اما مسألة الفرق في الصيغتين حول جملة «الاراضي المحتلة » الواردة في صحيفة الاهرام و« اراض احتلت » الواردة في الصيغة الاسرائيلية فانها تعود الى غموض النص الانجليزي وجواز ترجمته بالطريقتين اللتين ترجمنا بهما . وقد تمسك الموقف العربي بـ«أل» التعريف بينما أزال الموقفالاسرائيلي ال التعريف لانه راى في ذلك نقطة ضعف في النص الانجليزي ، يمكن استغلالها لكي يتسنى لاسرائيل البقاء في مناطق عربية محتلة والخروج من مناطق اخرى .

هذا ، وقد أقرت الكنيست صيغة الاستجابة الاسرائيلية للمشروع الاميركي ، بعد خطاب ألقته رئيسة الوزراء غولدا مئير في الكنيست . وصوت الى جانب صيغة الاستجابة ٦٦ نائبا من كتل الائتلاف المقلص بالاضافة الى كتلة هعولام هزيه ، والحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » . وصوت ضدها ٢٨ نائبا من كتلة جاحال والمركز الحر وقسم من القائمة الرسمية . وامتنع ٩ أعضاء عن التصويت من كتل اغودات يسرائيل ، وعمال اغودات يسرائيل والقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ونائبا الحزب الوطني المتدين ، « هامر » و« شاكي » والنائب « ابي زوهر » من القائمة الرسمية(٦٩).

يمكن القول ان المقترحات الاميركية تشتمل على ثلاثة أمور رئيسية : وقف اطلاق النار المحدود والانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة ، والتوقيع على اتفاق سلام ملزم .
وقد تحقق حتى الان الجزء الاول من هذه الامور الثلاثة وهو وقف اطلاق النار المحدود . اما الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة، والتوقيع على اتفاقية سلام ملزم ، فلم يتحققا حتى الان ، وربما يؤدي ذلك الى نسف وقف اطلاق النار المحدود بين الطرفين .
والامر الذي يسترعي الانتباه هو ان اسرائيل كانت ولا تزال في صراعها مع الدول العربية ترغب في وقف اطلاق النار غير المحدود لان ذلك يمكنها من تكريس المكاسب التي احرزتها عن طريق عدوانها ، مع مرور الزمن ، وترفض دائما وقف اطلاق النار المحدود .
كانت رئيسة الوزراء غولدا مئير قد رفضت الاقتراح الذي تقدم به الرئيس جمال عبدالناصر حول وقف اطلاق النار المحدود بفترة زمنية قبل الموافقة على مشروع روجرز ، لان ذلك « من شأنه ان يمنحه مزايا تكتيكية واستراتيجية لاستئناف حرب الاستنزاف في جبهة القنال »(٧٠).
وتخشى اسرائيل من ان وقف اطلاق النار المحدود سيكون فرصة سانحة للمصريين لتعزيز جبهتهم الامامية بشبكة من الصواريخ المضادة للطائرات .
وقد عبرت عن ذلك صحيفة هآرتس بقولها : « ان الحقيقة واضحة وهي ان اي وقف اطلاق النار في الظروف الراهنة سيلحق الضرر باسرائيل ، ومن المحتمل ان يلحق الضرر بأمن الدولة على المدى البعيد ... ويتمثل التخوف الرئيسي في استغلال المصريين لوقف اطلاق النار ، في بناء شبكة من صواريخ « سام ٢ » و« سام ٣ » في جبهة قنال السويس على امتداد ١٦ كم طولا و٣٠ كم عمقا ، في محاولة منهم لتقليص فاعلية هجمات سلاح الجو الاسرائيلي ، في حالة فشل مشروع روجرز ، وتجدد المعارك مرة اخرى »(٧١).
ان اسرائيل ، برفضها وقف اطلاق النار المحدود ، تنطلق من خلال اقتناعها بأن سلاحها الجوي يمتلك التفوق في جبهة القنال ، وبأنه مع تكثيف غاراته ، يمكنه انهاك الجبهة المصرية ، او الحيلولة دون تعزيزها بصواريخ مضادة للطائرات ، ومن خلال تصورها باحتمال فشل مبادرة السلام الاميركية ، وبذلك تكون مصر هي المستفيدة من وقف اطلاق النار لان قضية التحصينات ، وتعزيز المواقع لم تشكل حاجة ماسة بالنسبة لاسرائيل ، مثلما كان الحال بالنسبة لمصر « ولكن مشكلتنا كانت مشكلة مادية وليست متعلقة باطلاق النار كما هو الحال عند المصريين »(٧٢). وازاء هذه التخوفات كان لا بد من بلورة موقف اسرائيل تجاه وقف اطلاق النار المحدود ، الذي جاء في مقترحات السلام الاميركية ، بواسطة القيادة العامة للجيش الاسرائيلي ووزير الدفاع موشيه ديان . وبالفعل بلورت القيادة العامة للجيش الاسرائيلي موقف الحكومة الاسرائيلية بشأن وقف اطلاق النار ، كما جاء في صيغة الاستجابة الاسرائيلية على المبادرة الاميركية(٧٣).
وقد توصلت الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل الى اتفاق لوقف اطلاق النار ، يحتوي على المواد التالية ، كما جاء على لسان وزير الدفاع موشيه ديان في الكنيست الاسرائيلية :

١ — « تحترم اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة اتفاقية وقف اطلاق النار التي يبدأ مفعولها يوم الجمعة ١٩٧٠/٨/٧ ، الساعة العاشرة حسب توقيت غرينتش .

٢ — يوقف الطرفان اعمال التوغل ، واطلاق النار في البر والجو على امتداد خطوط وقف اطلاق النار.

٣ — يمتنع الطرفان عن تغيير الوضع الحالي العسكري ، داخل المناطق الممتدة ٥٠ كم شرق وغرب خط وقف اطلاق النار .

٤ — لا يدخل او يقيم ، اي طرف من الاطراف منشآت عسكرية جديدة مهما كانت في هذه المناطق، ويقتصر النشاط داخل هذه المناطق على الاعتناء بالمنشآت القائمة في اماكنها ومواقعها الحالية ، وبالاعتناء بالقوات الموجودة حاليا في هذه المناطق وتزويدها بالمؤونة .

٥ — ومن اجل التحقق من احترام وقف اطلاق النار يستعين كل طرف من الاطراف بوسائله الخاصة ، بما في ذلك الطائرات المقاتلة ، التي تمتلك حرية العمل ، دون عرقلة ، لمسافة ١٠ كم من خط وقف اطلاق النار ، في الجانب الذي ترابط فيه . كما يحق لكل طرف الاستعانة ، اذا تطلب الامر ذلك بجهاز الامم المتحدة ، بغرض تقديم تقرير للطرف الاخر ، حول ادعاءات تتعلق بخرق وقف اطلاق النار ، وخرق تسكين النشاط العسكري .

٦ — يلتزم الطرفان بمعاهدة جنيف لعام ١٩٤٩ ، بشأن معاملة اسرى الحرب ، ويوافقان على الاستعانة باللجنة الدولية للصليب الاحمر في تنفيذ التزاماتهما وفقا لهذه المعاهدة »(٧٤).

لقد ذكرنا ان اسرائيل لا ترغب في وقف اطلاق النار المحدود بفترة زمنية ، وانما تريد وقف اطلاق النار غير المحدود الى ان يحل السلام الدائم بينها وبين الدول العربية . بيد انها قبلت هذه المرة وقف اطلاق النار المحدود ، بعد اعتمادها على التوضيحات التي تلقتها من الولايات المتحدة، بشأن المحافظة على ميزان القوى خلال فترة وقف اطلاق النار ، وعلى البند الرابع في اتفاقية وقف اطلاق النار ، والخاص بتسكين النشاط العسكري في الجبهة على امتداد قنال السويس .

في الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة ، وقبل اربع ساعات من دخول اتفاقية وقف اطلاق النار الى حيز التنفيذ اعلنت رئيسة الوزراء غولدا مئير، في خطاب اذيع من « صوت اسرائيل » عن وقف اطلاق النار في الجبهة المصرية . قالت في خطابها : « انني مسرورة لابلاغ الشعب في اسرائيل ان وقف اطلاق النار سيدخل حيز التنفيذ بيننا وبين مصر هذه الليلة . ان وقف اطلاق النار قد تم التوصل اليه بمبادرة من قبل الولايات المتحدة ، وسيبدأ اعتبارا من منتصف هذه الليلة ، ويسري مفعوله على كافة القوات المرابطة على جانبي خط وقف اطلاق النار » .

ثم أنحت باللائمة على مصر لخرقها اتفاقية وقف اطلاق النار التي تم الاتفاق عليها لدى انتهاء حرب الايام الستة . وأعربت عن أملها بأن يحافظ المصريون هذه المرة على وقف اطلاق النار ، الى ان يتم التوصل الى سلام دائم. ثم امتدحت « جنود الجيش الاسرائيلي في البر والبحر والجنود الذين يجلسون في الاسر ، وكافة اولئك الذين يرابطون على خط وقف اطلاق النار »(٧٥).

وقد استقبل الاسرائيليون وقف اطلاق النار بالاستبشار والفرح والغبطة ، واخذ الجنود المرابطون في جبهة القتال يرفعون الكؤوس ويشربون نخب هذا الحدث(٧٦).

اما على صعيد الجبهة الخلفية فقد « كانت هذه اعظم بشرى ليوم السبت ، لعشرات الالاف من النساء وأمهات جنود الجيش الاسرائيلي . فقد شعر الشعب بأسره ، وذلك لاول مرة بعد صيف عام ١٩٦٨ ، ان السير نحو حرب المئة عام بين العرب واليهود قد توقف ، هذه الحرب التي ينظر اليها الانهزاميون الحقيقيون من بيننا ، كأمر من وزير التاريخ ، هذا الوحش القبيح في مخيلتهم ، بحيث ينبغي ان يروي ظمأه بدم ابنائنا »(٧٧).

غير ان هذه الفرحة العارمة التي عمت الجبهة الامامية في قنال السويس ، والجبهة الخلفية في مدن اسرائيل لم يكتب لها ان تعممستوطنات الحدود في الجبهة الشرقية في تلك الليلة ، بفضل الغارات التي كان يشنها الفدائيون العرب على هذه المستوطنات . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فان سكان مستوطنة « همجشيميم » الذين تعرضوا لقصف قذائف الكاتيوشا من قبل الفدائيين لم يسمعوا عن وقف اطلاق النار الا مساء اليوم الثاني . كما ان سكان مستوطنة « مناحميا » استمعوا الى « البشرى » التي زفتها رئيسة الوزراء غولدا مئير وهم داخل الملاجىء ، لتعرض المستوطنة لهجوم فدائي(٧٨)، الامر الذي جعل

سكان مستوطنات الشمال وغور الاردن يعتقدون بأن « مركز الثقل للمعركة قد انتقل من السويس اليهم »(٧٩).

سبق لنا ان ذكرنا ان الحكومة الاسرائيلية بعثت بردها على مشروع روجرز ، بعد ان قامت لجنة وزارية بصياغة الرد الاسرائيلي ، وانها وافقت على قبول مشروع روجرز من خلال بياناها الذي يحتوي على تحفظات، دون ان توقع على المقترحات الاميركية ، بعكس الجمهورية العربية المتحدة والاردن ، اللتين وقعتا على هذه المقترحات . كما ذكرنا أن البيان الاسرائيلي احتوى على تعديلات للمقترحات الاميركية ، فضلا عن ربطه الموافقة الاسرائيلية ، بالشروط التي ترتأيها اسرائيل .

وعندما تلقى المسؤولون الاميركيون رد اسرائيل « المتحفظ » ابلغوا يو ثانت ، ان الدول الثلاث مصر والاردن واسرائيل ، قد قبلت مشروع روجرز، وقد استدعى السكرتير العام للامم المتحدة الدكتور يارينغ ليقوم بمهمته على ضوء مقترحات روجرز دون ان يذكر « التحفظات » الاسرائيلية الواردة في ردها ، الامر الذي احدث استياء في الدوائر الرسمية الاسرائيلية تجاه اميركا . فقد كانت اسرائيل تعتقد ان الاميركيين سيؤكدون على التحفظات التي اوردتها اسرائيل في ردها، وبالتالي تكون هذه التحفظات ، المنطلق الذي يمكن لاسرائيل ان تنطلق منه في المحادثات التي ستجريها مع الدكتور يارينغ . غير ان الاميركيين لم يأبهوا بهذه التحفظات ، خاصة وانهم كانوا قد ارسلوا توضيحات لاسرائيل ، التزموا بموجبها بتعهدات تجاهها . فضلا عن انهم كانوا يودون الاسراع في انجاح مبادرتهم ، الامر الذي دعاهم الى عدم ذكر التحفظات الاسرائيلية ، للسكرتير العام للامم المتحدة ، خوفا من ان تعرقل هذه التحفظات سير مهمة يارينغ .

ومن هنا بدأت تظهر بوادر ازمة الثقة بين الولايات المتحدة واسرائيل بسبب ما أسمته اسرائيل « بقضية الوثيقة » .

وقد اخذت ازمة الثقة هذه تتضح عندما استدعت اسرائيل سفيرها في واشنطن للتشاور ، قبل أن يبدأ الدكتور يارينغ مهمته التي انيطت به .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ، ان الاميركيين عندما صاغوا مشروع روجرز ، وضعوا نصب اعينهم الاحتمالات والامكانات التي يمكن ان يؤدي اليها قبول هذا المشروع على الصعيد الداخلي في اسرائيل والعالم العربي . وكانت تقديرات واشنطن ترتكز على توجيه ضغط على اسرائيل لكي تقبل الانسحاب من المناطق المحتلة . وكانت القوة التي تعتمد عليها واشنطن بعد استخدام الضغط ، تتمثل في عدد من فئة الحمائم التي كانت تقوم بين الفينة والاخرى بزيارة الولايات المتحدة وتدعي أمام المسؤولين الاميركيين « انها معنية بالسلام وليس بالمناطق »(٨٠).

وقد اصيب الموظفون الاميركيون بخيبة أمل من افراد فئة الحمائم الاسرائيلية . « فبدل ان تكون هنالك استجابة ملموسة لمبادرة السلام الاميركية ، توجد تحفظات قوية لدى مختلف التيارات الاسرائيلية في الوقت الذي لا تسمع فيه فئة الحمائم صوتها »(٨١). هذا فضلا « ان هنالك حمائم هامة تحولت فجأة الى ما يشبه الصقور »(٨٢).

يقول كبار الموظفين الاميركيين « انهم كانوا يعتقدون بأن حركة الحمائم ستقوم باستقطاب الرأي العام في اسرائيل لتأييد مبادرة السلام الاميركية بعد انسحاب كتلة جاحال من الحكومة» خاصة وان ابا ايبن كان قد ألمح الى ان السبب الذي يكمن وراء عدم استخدامه لكلمة «انسحاب» هو « وجود المعارضة اليمينية التي تمثلها كتلة جاحال في الحكومة ».

وقد قال احد كبار الموظفين الاميركيين « لقد خذلنا ابا ايبن » . وقال آخر : « لقد ضللنا »(٨٣).

وربما يعود « خذلان » المسؤولين الاميركيين وسهولة تضليلهم على ايدي فئة الحمائم في اسرائيل ، الى عدم وجود رؤيا واضحة لكنه هذه الحمائم . فقد تصور الاميركيون ان ما يسمى بفئة الحمائم في اسرائيل ، « تفضل السلام على المناطق » وهذا تصور خاطىء ، لان فئة الحمائم الاسرائيلية ، خاصة تلك الفئة الموجودة داخل الحكومة ، تتفق مع فئة الصقور على فكرة ضم مناطق عربية لاسرائيل ، وان اختلفت معها في مقدار هذا الضم.

وبما ان مشروع روجرز يدعو الى « الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة » فان ذلك لا يجد استحسانا لدى فئة الحمائم والصقور على حد سواء . والفرق الوحيد بين هاتين الفئتين في هذا المجال ، ان فئة الصقور تجرؤ على توضيح ما يجيش بخاطرها من افكار، بعكس فئة الحمائم التي تلوذ بالسكوت .

بعد تلقي الولايات المتحدة رد اسرائيل على

مقترحاتها ، والذي اعتبرته واشنطن انه بمثابة « نعم ولا » في آن واحد(٨٤)، وفي جو ازمة الثقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، والتي اشتهرت باسم « قضية الوثيقة » وفي الوقت الذي كان يتأهب فيه الدكتور يارينغ للقيام بمهمته ، اخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث حول خرق المصريين لوقف اطلاق النار وادعت ان المصريين خرقوا اتفاقيـة وقف اطلاق النار بعد دخولها حيز التنفيذ مباشرة، «حيث قاموا بتقديم عدد من بطاريات صواريخ ارض جو على اختلاف انواعها باتجاه القتال ، على بعد يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٠ كم مـن خط الماء . وقد نصبت هذه الصواريخ في منطقـة تقع بين طريق السويس/القاهرة في الجنوب، وطريق الاسماعيلية/ الدلتا في الشمال »(٨٥).

وعلى اثر ذلك خلقت قضية اخرى ، وهي « قضية الصواريخ » التي جاءت بعد اسبوع تقريبا من ظهور « قضية الوثيقة » غير ان «قضيةالصواريخ» حظيت بنصيب كبير من الترويج ، والدعاية ، من جانب اسرائيل .

طلبت اسرائيل مـن الولايات المتحدة الاميركية ، العمل على « اعادة بطاريات الصواريخ المصرية التي نقلت الى منطقة التجميد العسكري بعـد سريان وقف اطلاق النار الى اماكنها السابقة » كما واكد وزير الدفاع موشيه ديان « مسؤوليـة الولايات المتحدة لحرمة وقف اطلاق النار »(٨٦). ثم اخذت اسرائيل تتحدث عن تقديم مجموعة ثانية من بطاريات الصواريخ الى منطقة القتال في الفترة الواقعة بين ١٥ ـ ٢٧ من شهر آب تمهيدا لاغلاق الطريق امام السفير يارينغ .

وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه قضية الصواريخ، برزت في الافق قضية اخرى ، قضية مكان ومستوى المحادثات التي ستجري تحترعاية الدكتور يارينغ، حيث رأت اسرائيل انه من الافضل اجراء المباحثات في مكان بعيد عن اروقة الامم المتحدة ودعت الى اجراء هذه المباحثات في جزيرة قبرص ، بينما دعا الجانب العربي الرسمي لاجرائهـا في نيويورك . وبالنسبة لمستوى المباحثات ، فقد دعت اسرائيل لان تكون بمستوى وزراء الخارجية ، بينما الجانب العربي الرسمي دعا لان تكون بمستوى المندوبين في هيئة الامم المتحدة .

وفي هذا الجو اخذت الحكومة الاسرائيلية تضغط على الولايات المتحدة « بما انها مسؤولة عن حرمة وقف اطلاق النار » للعمل على اعادة الصواريخ المصرية الى اماكنها السابقة . وحذر سفير اسرائيل لدى واشنطن يتسحاق رابين من « ان مباحثات الدكتور يارينغ ستتعرض للانهيار بسبب غياب رد فعل اميركي على تحريك الصواريخ »(٨٧) كما ان وزير الدفاع موشيه ديان هدد بتقديم استقالته من الحكومة ، اذا ما اعلنت اسرائيل انها لا ترى نفسها مرتبطة بوقف اطلاق النار بعد ان انتهك المصريون وقف اطلاق النار »(٨٨). وهذه هي المرة الثانية التي يهدد بها ديان ، بتقديم استقالته من الحكومة خلال شهرين ! واعلن بعض وزراء الحزب الوطني المتدين انهم سيقفون الى جانب وزيـر الدفاع موشيه ديان ، وانهم سيعملون من اجل انسحاب الحزب الوطني المتدين (المفدال) مـن الحكومة «اذا ما استنتج ديان استنتاجات شخصية من الوضع الذي طرأ » (٨٩).

عند ذلك رأت حكومة اسرائيل ان الوضع يتطلب اتخاذ خطوة حاسمة ، ولذلك قررت في جلستهـا الاسبوعية ، « عدم الاشتراك في المباحثات مع الدكتور يارينغ ، طالما ان اتفاقية وقف اطلاق النار لم تتحقق بأكملها ، بما في ذلك تجميد الوضـع العسكري »(٩٠).

وقد اشترطت الحكومة الاسرائيلية، عودتها لمباحثات الدكتور يارينغ باعادة الوضع في جبهة القتال الى ما كان عليه ، وبذلك انهارت محادثات الدكتور يارينغ بعد شهر تقريبا من قبول اسرائيل للمبادرة . نكون واهمين اذا اعتقدنا ان «قضية الصواريخ» كانت العامل الاساسي في انهيار محادثات يارينغ ، ذلك لان العامل لانهيار هذه المباحثات ، يتمثل في البون الشاسع بين موقف اسرائيل الرسمي من قضية المناطق المحتلة ، وبين المقترحات الاميركية التي تدعو الى « الانسحاب الاسرائيلي » من هذه المناطق . اما قضية الصواريخ فانها تعتبر من العوامل الثانوية لانهيار المباحثات . فبعد موافقة اسرائيل على المبادرة الاميركية بأيام معدودة ، اتضح ان وزير الدفاع ورئيسة الوزراء ، بالاضافة الى عدد من الوزراء ، « يرون انه لا يمكن التنازل عن شرم الشيخ وغـزه والقـدس وضواحيهـا وهضبة الجولان »(٩١) وهذا يتعارض مع مشروع روجرز ومع مهمة الدكتور يارينغ . كما ان رئيسة الوزراء صرحت في الكنيست بعد اسبوع تقريبا من قبول اسرائيل للمبادرة الاميركية ، وفي الوقت الذي

كان يتأهب فيه الدكتور يارينغ للبدء باتصالاته مع الاطراف المعنية « ان مندوبينا في المباحثات التي ستجري تحت اشراف يارينغ ، سيعملون بموجب الخطوط الاساسية لسياسة الحكومة والقرارات التي صادقت عليها الكنيست »[٩٢]. ومن المعروف ان الخطوط الاساسية لحكومة اسرائيل تتعارض تماما مع مشروع روجرز .

بعد ان اتخذت حكومة اسرائيل قرارا بعدم الاشتراك في مباحثات يارينغ ، الا اذا سحب المصريون بطاريات الصواريخ الى الجبهة الخلفية ، حدثت في المنطقة تطورات كبيرة لها علاقة بشكل او بآخر بمشروع روجرز ، تمثل في الاحداث الجسام التي وقعت في الاردن والتي ذهب ضحيتها آلاف القتلى والجرحى . كما وقع في مصر حادث جلل : وفاة الرئيس جمال عبدالناصر . وقد ادت هذه الاحداث بالاضافة الى رفض اسرائيل الى الاشتراك في مباحثات الدكتور يارينغ الى عرقلة مشروع روجرز، الى ان حانت نهاية وقف اطلاق النار المحدود بفترة زمنية مدتها ٩٠ يوما . حيث بدأ الاهتمام من جديد بالمشروع ووافقت الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على مد فترة وقف اطلاق النار الى ٩٠ يوما آخر . غير ان اسرائيل بقيت متمسكة بقرارها الداعي الى عدم الاشتراك في مباحثات الدكتور يارينغ ما لم تسحب بطاريات الصواريخ المصرية الى الخلف .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة الاسرائيلية كانت قد تلقت خلال فترة وقف اطلاق النار الثانية ، اعتمادات امريكية تبلغ قيمتها ٥٠٠ مليون دولار من الولايات المتحدة ، كنوع من الضغوط الاميركية المشوبة بالاغراءات التي تمارسها اميركا على اسرائيل من اجل موافقة الاخيرة على مبادرتها !

وقد قامت حكومة الجمهورية العربية المتحدة خلال الفترة الثانية لوقف اطلاق النار بتحرك سياسي كبير من اجل تنفيذ المبادرة الاميركية . ووجدت اسرائيل نفسها أمام خيارين فاما ان تبقى مصرة على طلبها ، ضاربة عرض الحائط الرأي العام العالمي وتوصيات اميركا، او ان ترجع الى محادثات يارينغ بدون قيد او شرط . وقد اختارت الطريق الثاني فأعلنت عن استعدادها للاشتراك في المباحثات التي سيجريها الدكتور يارينغ .

يمكن اخيرا تلخيص الموقف الاسرائيلي تجاه مشروع روجرز بما يلي :

١ ــ ان اسرائيل كانت قد رفضت المشروع قبل موافقة الجمهورية العربية عليه ، وعادت وقبلته بعد ذلك بضغط اميركي .

٢ ــ ان قبول اسرائيل للمشروع ، جاء على شكل بيان اصدرته حكومة اسرائيل دون التوقيع على المشروع ذاته، كما فعلت الجمهورية العربية المتحدة والاردن .

٣ ــ ان بيان الرد الاسرائيلي ، يختلف في بعض فقراته ونصوصه عن المشروع الاميركي كما وانه يعتبر بمثابة « نعم ولا » في آن واحد للمشروع الاميركي .

٤ ــ هنالك بون شاسع بين الموقف الاسرائيلي الرسمي وبين المشروع الاميركي .

٥ ــ ان اسرائيل لم تقبل المشروع عن طيب خاطر، بل اضطرت لقبوله ، لاسباب عدة اهمها الضغط الاميركي والتحسب من الرأي العام العالمي بعد موافقة الجمهورية العربية المتحدة عليه .

ماذا يمكن ان نستنتج مما سبق ؟

ان اسرائيل لن تطبق كافة نصوص المقترحات الاميركية ، خاصة الفقرة التي تنص على « الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة » ولن تنسحب الى حدود الرابع من يونيو ، وستبقى متمسكة بالتفسير الاخر للنص الانجليزي الوارد في المقترحات الاميركية « الانسحاب الاسرائيلي من مناطق احتلت » . واذا حدث العكس وانسحبت اسرائيل من كافة المناطق المحتلة ، بما في ذلك القدس ، واصبحت خلف حدود الرابع من يونيو، عن طريق المفاوضات ، فان معجزة تكون قد حدثت بالفكر الصهيوني . غير ان هذه المعجزة غير واردة في عصرنا .

---

١ ــ دافار ١٩٧٠/٨/١٢ .
٢ ــ هايوم ٦٩/١٠/٩ .
٣ ــ يديعوت احرونوت ٦٩/١٢/١٤ .
٤ ــ يديعوت احرونوت ٧٠/١/٢٣ .
٥ ــ هتسوفيه ٧٠/٦/٢١ .
٦ ــ نفس المصدر ٧٠/٦/٢١ .
٧ ــ همولام هزيه ٧٠/٧/١ .
٨ ــ همولام هزيه ٧٠/٨/٥ .
٩ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٥ .
١٠ ــ نفس المصدر ٧٠/٨/٥ .

١١ — هعولام هزيه ٧٠/٨/٥ .
١٢ — نفس المصدر ٧٠/٨/٥ .
١٣ — نفس المصدر ٧٠/٧/١ .
١٤ — معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
١٥ — دافار ٧٠/٧/٢٨ .
١٦ — معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
١٧ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٤ .
١٨ — دافار ٧٠/٧/٢٨ .
١٩ — هآرتس ٧٠/٧/١٥ .
٢٠ — معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
٢١ — هتسوفيه ٧٠/٧/٢٤ .
٢٢ — معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٢٣ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٦ .
٢٤ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٦ .
٢٥ — هعولام هزيه ٧٠/٧/٢٩ .
٢٦ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٩ .
٢٧ — دافار ٧٠/٧/٢٦ .
٢٨ — معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
٢٩ — دافار ٧٠/٧/٢٨ .
٣٠ — معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٣١ — دافار ٧٠/٧/٢٦ .
٣٢ — معاريف ٧٠/٧/٢٤ .
٣٣ — هعولام هزيه ٧٠/٦/٣ .
٣٤ — هعولام هزيه ٧٠/٦/٣ .
٣٥ — يديعوت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٣٦ — معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٣٧ — معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٣٨ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٦ .
٣٩ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٧ .
٤٠ — دافار ٧٠/٧/٢٨ .
٤١ — معاريف ٧٠/٧/٢٦ .
٤٢ — نفس المصدر ٧٠/٧/٢٩ .
٤٣ — معاريف ٧٠/٨/٢ .
٤٤ — معاريف ٧٠/٧/٢٧ .
٤٥ — معاريف ٧٠/٧/٢٨ .
٤٦ — معاريف ٧٠/٧/٢٨ .
٤٧ — يديعوت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٤٨ — معاريف ٧٠/٧/٢٨ .
٤٩ — يديعوت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٥٠ — معاريف ٧٠/٨/٢ .
٥١ — يديعوت احرونوت ٧٠/٧/٣١ .
٥٢ — معاريف ٧٠/٧/٣٠ .
٥٣ — يديعوت احرونوت ٧٠/٨/٣١ .
٥٤ — معاريف ٧٠/٧/٣٠ .
٥٥ — نفس المصدر ٧٠/٨/٣ .
٥٦ — معاريف ٧٠/٨/٣ .
٥٧ — نفس المصدر ٧٠/٨/٣ .
٥٨ — نفس المصدر ٧٠/٨/٣ .
٥٩ — معاريف ٧٠/٨/٤ .
٦٠ — نفس المصدر ٧٠/٨/٤ .
٦١ — يديعوت احرونوت ٧٠/٨/٤ .
٦٢ — هآرتس ٧٠/٨/٤ .
٦٣ — معاريف ٧٠/٨/٥ .
٦٤ — معاريف ٧٠/٨/٢ .
٦٥ — معاريف ٧٠/٨/٥ .
٦٦ — الاهرام ٧٠/٧/١٢ .
٦٧ — هعولام هزيه ٧٠/٨/٥ .
٦٨ — معاريف ٧٠/٨/٥ .
٦٩ — معاريف ٧٠/٨/٥ .
٧٠ — دافار ٧٠/٦/٣٠ .
٧١ — هآرتس ٧٠/٧/٣٠ .
٧٢ — نفس المصدر ٧٠/٨/٧ .
٧٣ — دافار ٧٠/٨/٩ .
٧٤ — دافار ٧٠/٨/١٤ .
٧٥ — هآرتس ٧٠/٨/٩ .
٧٦ — انظر مجلة الجيش الاسرائيلي « بمحنيه »
ص ٩ تاريخ ٧٠/٨/١١ .
٧٧ — دافار ٧٠/٨/١٢ .
٧٨ — معاريف ٧٠/٨/١٤ .
٧٩ — معاريف ٧٠/٨/١٤ .
٨٠ — يديعوت احرونوت ٧٠/٩/٣ .
٨١ — نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٨٢ — نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٨٣ — يديعوت احرونوت ٧٠/٩/٢ .
٨٤ — معاريف ٧٠/٨/١٠ .
٨٥ — دافار ٧٠/٨/١٣ .
٨٦ — نفس المصدر ٧٠/٨/١٤ .
٨٧ — معاريف ٧٠/٩/١ .
٨٨ — نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٨٩ — نفس المصدر ٧٠/٩/٣ .
٩٠ — دافار ٧٠/٩/٧ .
٩١ — معاريف ٧٠/٨/٩ .
٩٢ — دافار ٧٠/٨/٣ .

المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن

ندوة

بلال الحسن — شفيق الحوت
احمد خليفة — نبيل شعث
منح الصلح — صادق العظم
غسان كنفاني

احمد خليفة : هناك شعور بأن حركة المقاومة تواجه الان ازمة مصيرية . السؤال هو : ما هي اسباب هذه الازمة وما هي مظاهرها ، وكيف يمكن الخروج منها ؟

منح الصلح : اظن ان مشاكل المقاومة كلها تدور حول نقطة واحدة . هذه النقطة هي ان الواقع العربي والواقع العالمي يرفضان ان يعاملا المقاومة الا على اساس انها نظام ويتصرفان معها على اساس انها نظام . وهذا الامر كان خطرا منذ اليوم الاول لظهور المقاومة ، ولكن هذا الخطر بلغ ، في نظري ، ذروته الان لان العمل الفلسطيني قبل هذه النظرة التي نظر من خلالها اليه الواقع العربي والواقع الدولي واصبح يتصرف في أموره الداخلية، وفي أموره الخارجية ، في صياغة مواقفه وفي فهم دوره ، كنظام . الخطر هو أن هناك بعض الاشياء التي كانت صغيرة في البداية ، كبرت مع الوقت . الخطأ الصغير اصبح خطأ كبيرا ، والشيء الذي كان يخيف ١٠٪ يكاد اليوم يكون خطرا حاسما . لنأخذ ثلاث قضايا على سبيل المثال : اولا ، قضية الوحدة الوطنية ، وهي الان مشكلة لبنانية مائة بالمائة ، لبنانية من حيث ايديولوجيتها ، ولبنانية من حيث محتواها ، اي انها مشكلة جمع جميع الفلسطينيين ، او جميع ممثلي الواقع الفلسطيني بشكله الراهن في وحدة سياسية لا جمع الثوار في وحدة متحركة . هذا المفهوم اللبناني للوحدة الوطنية ، الذي ينظر الى الوحدة على انها تجميع غير ثوري لقوى متباينة ، لم يكن في السابق . انطلقت قضية الوحدة الوطنية من واقع معين هو ان منظمة فتح كانت ترفض ان تعتبر ان الجبهة الشعبية منظمة محترمة وانها تستحق ان تدخل كطرف في لقاء معها . تجنبت الوحدة مع الجبهة الشعبية بتوسيع عدد المنظمات ، وافترضت ان هناك عددا لا نهاية له من المنظمات الفلسطينية يجب ان يدخل الوحدة ، اي انها ميعت قضية الوحدة الوطنية . ثم كبر هذا التمييع وتحول كليا عن قصده الاول ، فبدلا من ان يكون وحدة بين المقاتلين تطور فأصبح وحدة بين الثوريين ، ثم تطور فأصبح وحدة بين الجميع ، اي اصبح وحدة على الطراز اللبناني . الخطر لم يأت من العقل فقط بل اتى من تركيب العمل الفلسطيني وتكوينه ، من نتيجة تصرفاته ، اي عندما كثرت اخطاء العمل الفدائي ، وعندما ضعف التأييد الجماهيري لهذا العمل ، سقط حق المنظمات الفدائية نسبيا بالقول انها تمثل شعب فلسطين او على الاقل هكذا نظرت الاطراف الاخرى الى الامر . عندئذ قويت فكرة الوحدة الوطنية على الطريقة اللبنانية . وكان نمو الوحدة الوطنية ، حسب المفهوم اللبناني، في العمل الفلسطيني ، يقوى بنسبة ما كانت اخطاء العمل الفدائي تتكاثر وتتوضح ، وبنسبة ما كانت تضيف الفروق في نوعية التصرف بين منظمات العمل الفدائي وبقية اطراف العمل الفلسطيني . وقد كان الاعلام المعادي يتسقط اخطاء العمل الفدائي ويضخمها .

هذه ، اذن ، المشكلة الاولى التي تطورت وكبرت وهي الان خطر يهدد بتفريغ العمل الفلسطيني من ثوريته .

القضية الثانية هي قضية تحول العمل الفلسطيني الى نظام . وكما يقال ، فان ذلك يعود في الاصل الى رغبة في مقاومة الانظمة العربية ، وانا اعطي العمل الفدائي بعض الحق في الشكوى من الانظمة العربية ولا سيما الانظمة العربية التي جاءت تقيم منظمات داخل العمل الفدائي ، فأصبح العمل امام أمر واقع : انظمة عربية موجودة داخل العمل الفدائي تعطي بعض المنظمات الاسلحة والاموال. كان جواب العمل الفدائي : لا استطيع ان اقاوم الانظمة الا اذا اصبحت نظاما . لنقل هذا بصراحة اذ عندما قررت المنظمات دخول منظمة التحرير ، استندت في ذلك الى تقديرها بأنها لا تستطيع أن تقاوم الانظمة العربية الا اذا اصبحت على مستوى واحد معها ، الا اذا تحولت الى شبه نظام . ان ما حصل ، اذن ، هو ان العمل الفدائي هرب الى فوق . هذه العملية هي قرار ارادي بانشاء نظام فلسطيني . واعتقد ان هذا القرار خطير وهو ، بنتائجه ، شيء من التغير في طبيعة مهمة العمل الفدائي والغرض الذي انطلق من اجله .

الشيء الثالث في رأيي هو ان العمل الفدائي اصر على ان يعتبر نفسه ثورة خارج حركة التحرر العربي ، ثورة منفتحة على الجميع ، على الرجعيين ، على التقدميين ، على المحافظين ، وعلى اليساريين واليمينيين . هذا النوع من الفهم الذي ساوى بين الجميع في القرب والبعد عن الثورة اعتقد انه مفهوم خاطىء جدا ، وقد أودى بالعمل الفدائي الى هاوية لانه لا يمكن اقامة ثورة خارج حركة التحرر العربي ، لا بد لاي ثورة تنشأ من ان يكون لها مقياس صريح للصديق والعدو ، للقريب والبعيد ، وان لا تتخذ قاعدة المعونة المادية فقط ، او المعونة بالرجال او المعونة ببعض المواقف السياسية كأساس . ان مشروع انشاء ثورة خارج حركة التحرر العربي ، اما ان يتطور تطورا نوعيا ويتغير تغيرا نوعيا ، واما ان يصل بنا الى النقطة التي لا محيد عنها ، وهي ان تكون غاية هذه الثورة انشاء كيان فلسطيني لتحرير فلسطين لان ثورة خارج حركة التحرر العربي لا تستطيع ان تعطي اكثر من كيان ولا شيء الا هذا الكيان . المقصود بالعلاقة مع حركة التحرر العربي هو الشيء الذي يعبر عنه احيانا بعلاقة الثورة بالحركات الوطنية وبالجماهير واحيانا بموقف الثورة الصريح من الدول الرجعية وامثال هذه الكلمات ، خصوصا وان تحرير فلسطين ومقاومة الحل السلمي بالذات لا يمكن ان تكون الا من خلال تعريب الثورة . الرد على الحل السلمي والرد على المؤامرة على العمل الفدائي هو في هذا التعريب. والتعريب يعني ان تكون الثورة الفلسطينية جزءا من الثورة العربية ، وليس التعريب مراعاة الانظمة العربية .

احمد خليفة : تكلم الاخ منح عن الاخطار الثلاثة التي تهدد الثورة الفلسطينية ، واعتقد انه تكلم عن حركة المقاومة كما لو انها ليست وحدة منسجمة . لكن اتضح من حديثه جزء من الاسباب التي حالت دون تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية . ولهذا احب ان اركز على موضوع الوحدة الوطنية التي أعتبرت بعد احداث ايلول المهمة المركزية التي تواجه حركة المقاومة . وجرت محاولات وجهود باللجنةالمركزية وخارج اللجنة المركزية وفي المجلس الوطني لتحقيق هذه الوحدة ، الا ان هذه المحاولات لم تحقق اهدافها حتى الان .

بلال الحسن : قبل ان اجيب عن السؤال « لماذا لم تتحقق الوحدة » ، وحتى تكون الاجابة واضحة المعنى ، يجب أن أوجز رأيي بالموضوع المطروح ثم اصل للاجابة عن هذا السؤال . اريد ان اتحدث عن المنطلقات الاساسية لسياسة حركة المقاومة ككل وخاصة في الساحة الاردنية باعتبار ان الساحة الاردنية هي نقطة الثقل الاساسية في قوة العمل الفدائي . اريد أن اتحدث عن هذه الاسس التي أفرزت ، في تقديري ، النتائج التي تعيشها حركة المقاومة الان .

اقول اولا ان تعامل حركة المقاومة مع النظام الاردني ، وهو نظام معاد لها ويعمل لضربها منذ اليوم الاول لوجود حركة المقاومة ، كانت له صفة عامة هي صفة التذبذب بين موقفين متناقضين : الموقف الاول هو الموقف المستعد لحمل السلاح في وجه النظام الاردني الى حد ضرب قصر الحمر . الموقف الثاني هو العودة مباشرة وبعد انتهاء اطلاق النار الى التعايش مع النظام وكأن شيئا لم يكن . عملية التذبذب السياسي بين موقفين متناقضين من شأنها ان تضيع وضوح الرؤيا السياسية امام الجماهير، وان تفقد بالتدريج ثقة الجماهير بالقيادات

التي تتصدى للعمل الوطني . وهذه السياسة ، مع تكررها ، افقدت قيادات المقاومة قوة الزخم الجماهيري الذي احاط بها بعد انطلاق العمل الفدائي في حزيران .

النقطة الثانية هي ان حركة المقاومة كانت تعيش حالة بعد عن مطالب ومشاكل الجماهير الاردنية وخاصة تلك المطالب التي تتعلق بمشاكل الجماهير مع النظام . وحتى نحدد القضية بشكل ادق اقول ان في الاردن قطاعين من الجماهير : قطاع يعيش حالة انتاجية كجزء من عملية الانتاج في البلد ، وقطاع اخر يعيش على هامش العملية الانتاجية . تمثل القرية الاردنية ، التي يتكون اغلب سكانها من الضفة الشرقية ، نموذجا للقطاع الاول . وقد تعاملت حركة المقاومة مع هذا القطاع على اساس دعوة سكان القرى لحمل السلاح لمواجهة اسرائيل. من هذه النقطة منح قطاع كبير من هذه الجماهير تأييده لحركة المقاومة . لكن مع قيام رد الفعل الاسرائيلي العنيف متمثلا بالغارات وبحرق المزارع في الاغوار ، ومع استمرار وجود المشاكل الاقتصادية لهذا القطاع من السكان ، كان كل مواطن في هذه القرى يواجه معضلة : فهو يريد ان يؤيد حركة المقاومة ، وهذه حالة قائمة ، ويريد في الوقت نفسه ان يحل مشاكله ، وفي نطاق حل مشاكله ، لم تكن المقاومة ملاذا يحتمي به ليجد فيها مدخلا او أملا حاليا او للمستقبل . كان النظام يدرك هذه الحالة ، فيأتي ليستوعب مشكلة القرية الاردنية من خلال توظيف العاطلين عن العمل ، وذلك باستيعابهم كجنود في الجيش الاردني . ولان حركة المقاومة ابتعدت عن درس المشاكل الحياتية للقرية الاردنية ، ولم تحاول ايجاد حل لها بالتعاون مع الحركة الوطنية الاردنية والنضال من اجل هذا الحل ، ابقت المواطن الاردني ، وخاصة في قطاع الريف ، معزولا ، مما أتاح للسلطة الاردنية مجال الاستفادة من هذه الازمة ومكنها من تجنيد هذا القطاع ضمن اجهزتها . القطاع الثاني الذي يعيش على هامش عملية الانتاج في البلد متمثل في سكان المخيمات . جاءت المقاومة لتقدم لهم حماية مزدوجة ، قدمت لهم السلاح الذي مكنهم من الوقوف في وجه الارهاب الاردني وعسف السلطة الاردنية ، وأمنت للمقاتلين منهم ضروريات حياتهم المعاشية . وهكذا وجد سكان المخيمات في المقاومة ملاذا معاشيا . وهنا اخذ اطار التأييد في المخيمات معنى مختلفا عن اطار التأييد في القرية الاردنية . هذا الواقع هو الاساس الموضوعي الذي بني عليه القول ان هناك فلسطينيا متحمسا للعمل الفدائي، واردنيا يسأل العمل الفدائي عما قدمه لحل الجانب الاخر من مشاكله . وفي الاساس ، عندما أدرك النظام الاردني هذا الوضع وعمل على استغلاله بشكل قوي استطاع ان ينفذ منه ليزرع الاقليمية وليكرس الانقسام العامودي في اوساط الشعب بين الفلسطيني والاردني ، هذا الانقسام الذي اخذ فيما بعد شكله التنظيمي بين جندي وفدائي .

الموضوع الثالث ، موضوع العلاقة مع الحركة الوطنية الاردنية : ان مواجهة هذه المشكلة تقتضي اقامة علاقات بين العمل الفلسطيني متمثلا بحركة المقاومة وبين الحركة الوطنية الاردنية . كانت الحركة الوطنية الاردنية ، عندما بدأ العمل الفدائي انطلاقته بعد ١٩٦٧ ، تعيش ضربة ١٩٦٦ وآثارها. وفي الواقع فان قيادات الحركة الوطنية لم تخرج من السجن الا عشية حرب حزيران . بالتالي ، جاء العمل الفدائي ليجد الحركة الوطنية مضروبة ويجد بقاياها فقط . ونتيجة مبادرته للعمل ضد اسرائيل، استطاع ان يستقطب تيار الجماهير الواسع مما جعله القوة السياسيةالاساسية في الاردن واصبحت الحركة الوطنية ، او بقايا الحركة الوطنية في ذلك الوقت ، تعيش على هامش حركة المقاومة الفلسطينية . الذي حصل ان حركة المقاومة الفلسطينية ارتاحت الى هذا الواقع ولم تجد فيه اية نقطة ضعف . ولذلك بدل ان تتوجه لتنمية الحركة الوطنية الاردنية حتى تأخذ دورها في التصدي لمشكلات المواطن الاردني ، عملت على الغاء وجودها دون أن تتولى القيام بالمهام التي يفترض بالحركة الوطنية الاردنية ان تقوم بها .

النقطة الرابعة هي نمط علاقة حركة المقاومة الفلسطينية مع الجماهير العربية : كان الاطار العام لتصرف حركة المقاومة يقوم على التعامل مع الانظمة العربية ، وحين تتعامل مع الجماهير العربية ، كانت تتعامل معها من خلال الانظمة العربية وحسب الحجم الذي تطلبه الانظمة العربية. ظهرت نتيجة هذا التعامل تماما في معركة ايلول . حين ندرس رد الفعل الجماهيري على المجزرة الاردنية مقاسا بعنف الحملة نفسها ، نجد فارقا كبيرا سببه ان حركة المقاومة لم تستطع ان ترسم سياسات تؤدي الى انشاء علاقات وثيقة مع

الجماهير العربية ، علاقات يومية بعيدا عن علاقات الدعم المالي والدعم العاطفي . لذلك عندما احتاجت في معركة ايلول الى هذا الدعم كانت النتائج التي نعرفها .

هناك نقطة خامسة : ان حركة المقاومة من خلال منظمة التحرير بشكل خاص أبرزت نفسها في الاردن بهوية فلسطينية كاملة . وهنا يجب ان نفرق بين ابراز الشخصية الفلسطينية وبين الهوية الفلسطينية في الاردن . ابراز الشخصية الفلسطينية خاصة في المراحل الاولى لانطلاق العمل كان قضية ضرورية جدا وقد نجح العمل الفلسطيني في ذلك الى حد كبير . انما لم يستطع العمل الفلسطيني ان يفهم طبيعة الساحة الاساسية التي يعمل منها وحين أصر على ابراز وتعميق الهوية الفلسطينية في الاردن كان يتيح المجال للقوى المضادة ان تستغل هذه النقطة لزرع الانقسام الاقليمي بين الفلسطينيين والاردنيين وتجسدت هذه السياسة بشكل خاص في موضوع العمل الشعبي الذي تتزعمه منظمة التحرير من خلال انشاء الاتحادات الفلسطينية مقابل الاتحادات والنقابات الاردنية . انشأت المنظمة ١٤ اتحادا فلسطينيا في الاردن وفي كثير من الاحيان كانت هناك مساع تبذل لانشاء اتحادات فلسطينية لها اتحادات اردنية مماثلة وعندما نقول اردنية نقولها تجاوزا لان اكثر من ٧٠ ٪ من اعضاء الاتحادات الاردنية هم من الفلسطينيين . هذه الهوية الفلسطينية اشعرت المواطن الشرق الاردني بنوع من الغربة خاصة وان حركة المقاومة كما قلنا لم تكن مهتمة في ان تطرح مواقف سياسية وتمارس مواقف نضالية لصالح المواطن الشرق اردني فيما يتعلق بمشاكله مع النظام .

هذه السمات العامة هي التي حددت سياسات حركة المقاومة وحددت حجم وطبيعة تعاملها مع القوى الفاعلة في المجتمع الاردني او المجتمع العربي وفي ظلها جاءت معركة أيلول على المقاومة. نستطيع ان نقول ان ميزان القوى في معركة أيلول قد مال بشكل واضح تماما لصالح السلطة الاردنية . هذا الميل نعبر عنه بأن ازدواجية السلطة التي كانت سائدة قبل ايلول لم تعد ازدواجية بل اصبح هناك سلطة واحدة وهناك معارضة مسلحة لهذه السلطة . وقد فرض حسم موضوع ازدواجية السلطة لصالح النظام الاردني على حركة المقاومة بضع خطوات تراجعية لا نستطيع ان نصفها بكلمة صحيح او خطأ لانها نتيجة لتوازن القوى القائم في الاردن .

الموضوع الان كيف نرد على حملة النظام في ايلول وعلى الحملات المتوالية التي يشنها اعتمادا على حملة ايلول بقصد تصفية حركة المقاومة . هنا في تقديري نصل الىموضوع الوحدة الوطنية. انمعركة أيلول وما سبقها تفترض ، اذا اردنا ان نواجه الانقسام العمودي في أوساط الشعب ، ان تبادر حركة المقاومة داخل الاردن الى قضيتين اساسيتين: القضية الاولى هي طرح برنامج وطني ديمقراطي يتناول قضايا الضفة الشرقية ومشاكل السكان فيها ، مشاكل السياسة الخارجية للسلطة الاردنية وتحديد موقف منها لتغذية النضال السياسي الجماهيري ضد هذه السياسة ونتائجها على المدى البعيد . والنقطة الثانية اقامة علاقة وثيقة جدا ومتلاحمة وليس مجرد دعم متبادل بين حركة المقاومة وبين الحركة الوطنية الاردنية . وفي تقديري انه بدون الاقدام على هاتين الخطوتين لن يستطيع العمل الفدائي فيالاردن مواجهة الانقسام العامودي في صفوف الشعب وبالتالي لن يستطيع استعادة القوة الجماهيرية التي كانت لحركة المقاومة من قبل ولن يستطيع ان يواجه ، بالفعالية المناسبة ، محاولات النظام الاردني لابادة المقاومة .

نبيل شعث : هل تقصد بالنقطة الاولى ان تتحول المقاومة الى معارضة سياسية ؟ انت قلت انه كان هناك ازدواجية سلطة والان لم يعد هناك ازدواجية بل صار هناك سلطة ومعارضة مسلحة . انت تريد أن تحول هذه المعارضة المسلحة الى معارضة سياسية لتأخذ دور التصدي للسياسة الخارجية الاردنية والتصدي لتعامل النظام مع الافراد والتصدي للسياسة الزراعية والسياسة الصناعية هل هذا قصدك ؟

بلال الحسن : مطلوب من حركة المقاومة ان تطرح هي والحركة الوطنية الاردنية برنامجا مشتركا ذا شقين : الشق الاول يتناول قضايا التحرير والشق الثاني يتناول القضايا الوطنية الديمقراطية في الاردن وعلى رأسها موضوعان اساسيان : موضوع المسألة الزراعية في الاردن وموضوع السلطة الوطنية الديمقراطية . وبدون أن تصبح حركة المقاومة طرفا اصيلا في هذا الموضوع مع الحركة الوطنية الاردنية فانها لن تستطيع استعادة التأييد الجماهيري الواسع الذي كان لها ولن

تستطيع بالتالي ان تواجه تآمر النظام الاردني لابادتها . كانت هـذه النقطة بالذات الموضوع الاساسي في الحوار الذي دار في اجتماعات اللجنة المركزية التي سبقت المجلس الوطني ثم في اجتماعات المجلس الوطني ، ثم في اجتماعات لجنة الوحدة الوطنية ، لجنة العشرين التي تشكلت لصياغة البرنامج السياسي والتنظيمي . وقد دار النقاش بين موقفين متناقضين تماما . هذا الموقف الذي شرحته ، والموقف الآخر الذي يقول : نحن حركة تحرير فلسطينية . عملنا مركز في منظمة التحرير الفلسطينية . يجب أن تبقى كل قضايانا وكل قياداتنا وكل تنظيماتنا فلسطينية الطابع . وفيما يتعلق بقضايا الاردن هذه مهمة الحركة الوطنية الاردنية ونحن « نتعاون » معها في نضالها . هذان المفهومان كانا على صراع دام اكثر من ثمانية ايام في القاهرة ورغم هذه المدة الطويلة في النقاش لم يكن من الممكن الوصول الى موقف مشترك محدد حول هذه القضية ، لذلك خرج المجلس الوطني بقرار ابقاء كل شيء على حاله أي تأجيل النقاش والاستمرار به فترة ثلاثة اشهر اخرى .

غسان كنفاني : اريد التركيز باختصار شديد قدر الامكان على خمس نقاط واتصور ان لا احد منا يدعي انه يمتلك تشخيصا كاملا للمأزق وكيفية الخروج منه وبالتالي فان ما سأفعله هو انني سأطرح ما عندي من نقاط لاساهم مع الاخرين في استكمال الصورة . النقطة الاولى ، عندي شعور بالاتجاه نحو التبسيط في حالة النقد ، والوقوف من جديد في عملية احكام مطلقة نظرية ليس لها علاقة بالعملية الجذرية التي من المفروض ان تنطلق عملية النقد من خلالها . خيل الي ان عملية النقد تحولت الى اعتراف كنسي ولم تعد نقدا ذاتيا بالمعنى الثوري وهذه تؤدي لتبسيط مبالغ فيه للامور في نوع من ايلام الذات دون ان يبذل اي جهد في الواقع لرسم مخرج او تشخيص حقيقي لهذه الحالة الجذرية التي اكتشفت خلال تجربة الثلاث او الاربع سنوات الماضية .

النقطة الثانية هي في الواقع مثال على ما ذهبت في قوله وهي الطريقة التي تكلم بها بلال ، اي طريقة الشعارات التي طرحها وكأنها سحر ساحر. ان القول بأن الحركة الوطنية الفلسطينية مثلا تجاهلت الارتباط بالحركة الوطنية الاردنية ، كلمة جميلة ولكن حتى لو كان هناك اجماع نظري وعملي على اهمية هذا الارتباط فهناك اكثر من طرف موضوعي وذاتي يجعل هذه الكلمة شعارا بعيدا جدا يصعب تحقيقه في الفترة الزمنية التي هي موضع البحث . اي ان ترداده هو ابتعاد عن التشخيص العلمي لما حدث لان هذا الكلام يتجاهل الوتيرة البطيئة الطويلة والصعبة لعملية التثوير . هناك استهانة بين حقيقة ان عملية التخطيط والتثوير هي علم ويستهلك وقتا طويلا جدا ومن خلال عملية صعبة وبطيئة وبين الاعتقاد بأن كون ذلك لم يتم انجازه في الفترة السابقة كان خطأ . لانني اعتقد انه حتى لو كانت حركة المقاومة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٧ حتى ايلول ١٩٧٠ لم تعان من التقصيرات التي عددها الاخ بلال لما كانت استطاعت ان تجترح على الاطلاق برنامج الخلاص الوطني . مما كان ممكنا ان تتجنب انتكاسات بشكل او بآخر . اننا ، في حالة عملية النقد الذاتي ، يجب ان لا نقفز مثلا من حالة النقد الذاتي التي كانت لنا قبل ايلول والتي قامت على التركيز المبالغ فيه على الانقسام الافقي للحركة الوطنية الفلسطينية وبعد ايلول بثلاثة أشهر ننتقل بعملية النقد الذاتي الى التركيز المبالغ فيه على عملية الانقسام العامودي وتجاهل عملية الانقسام الطبقي تقريبا . ان هذا نوع غريب جدا ولا علاقة له بعملية النقد الذاتي بالمعنى الثوري وخصوصا بالمعنى الماركسي اللينيني .

النقطة الثالثة باعتقادي ان ما يقال باسم النقد والنقد الذاتي هو في معظمه نتائج ولا بد من وقفة لاستكشاف الاسباب الحقيقية بدون خوف . ان السبب الحقيقي ، في اعتقادي ، لهذه النتائج كلها يمكن تلخيصه بما يلي : انه العناد اللاعقلاني للالتصاق بالهدف الاستراتيجي وعدم حل هذا التناقض الفظيع القائم بين ضخامة الهدف الذي طرحته المقاومة الفلسطينية وبين الامكانيات التي بين يديها . وانا اعتقد ان كل الامور تنبع من هنا ومن هنا ينبع مأزق المقاومة . وهذا خطأ يقع فيه اليمين بنفس المقدار الذي يقع فيه اليسار . لماذا ؟ لان قضية الالتزام الايديولوجي التي هي مفصل الخلاف بين اليمين واليسار لا تظهر على الصعيد التكتيكي ليس بثورتنا بل بكل ثورات العالم . لا تظهر هذه الالتزامات الايديولوجية عادة على الصعيد التكتيكي ويبدو الالتزام الايديولوجي والستراتيجية العملية ملتصقين ببعض ونحن لم نصل الى هذا المستوى . كنا ملتصقين باستراتيجيات بعيدة المدى

ولكن على صعيد التكتيك هذا الخلاف الايديولوجي غير ظاهر عمليا انا لا استطيع ان أرى أين هو ظاهر . فالذي حدث هو ما يلي : ان هذا الخطأ الذي يمكن ان نقول افتراضا ان اليمين واليسار وقعا فيه تقريبا بصورة متساوية يتمثل في اننا لم نستطع حل التناقض بين عظمة الهدف والواقع الموضوعي للوسائل المتوفرة لنا . ماذا يعني ذلك ؟ استنهضنا معسكر العدو الهائل الضخم من خلال معركتنا سواء نظريا او عمليا دون ان نستنفر بالمقابل القوة القادرة على مواجهته ، لم نستطع استنهاضها على صعيد فلسطيني محض قبل ان نحكي عن الانقسام الشاقولي للمجتمع . لم نستطع استنهاضها على صعيد فلسطيني اردني، لم نستطع استنهاضها على صعيد عربي ، ولم نستطع استنهاضها على صعيد دولي . طبعا حكينا كثيرا عن علاقاتنا بالثورة العالمية وعن علاقتنا بحركة التحرر الوطني ، والاممية الرابعة صنفت لنا في باريس ، وصنفت لنا حركات التحرر الجيفارية في امريكا اللاتينية ، ولكن الترجمة العملية لذلك كله كانت صفرا .

من ناحية ثانية ، انـا موافق على التشخيص العمومي الذي طرحه الاخوان قبلي المتعلق بموضوع المبالغة في فلسطينية الحركة الوطنية العربية. وهذه المبالغة لم يرتكبها فقط أولئك الذين كانوا يقولون اننا لا نتدخل في شؤون الدول العربية الداخلية ولكن ارتكبهـا ايضا اولئك الذين جعلوا برنامج الخلاص الوطني بعـد حزيران يقوم على تفتيت الحركة الوطنية العربية الى فصائل قطرية مستقلة. هذه القضية اساسية ايضا حينما نأتي نتقدم بثورة فلسطينية ونلغي من ورائهـا التنظيم القومي او التنظيم الذي على مستوى الامة فهذا ايضا يوازي عملية عدم التدخل في الشؤون الداخليـة للدول العربية ، لمـاذا ؟ لان هذا النوع مـن التفكير يستخدم عاملا واحدا من عوامل التأثير في الواقع الثوري العربي الذي هو تقديم النموذج للجماهير العربية ، تقـديم النموذج اليومـي . هذا يعني الاحتكاك السلبي بغض النظر عما قلناه نظريا . فان هذا تعاون سلبي مع الحركة الوطنية العربية وليس تعاونا ايجابيـا . الشيء الثالث هو عدم العلمية في الثورة . الثورة علم وهذا الكلام يقوله كل واحد منا ولا يبدو اطلاقـا انني اطرح شيئا جديدا — والثورة علم والصحيح ايضا هو أنه كما ان العسكـري ليس بالضرورة مطربا فان الفكـر الثوري والفكر العسكـري المتعلق بالثورة ليسا عملية ارتجالية وعملية اطلاق شعارات تتبدل بين يوم وآخر . وهذه القضية ارتكبتها جميع فصائل المقاومة سواء بعملية التحرير العسكري المتهافت وغير المعقول والمضحك بالواقع لعملية القصف من وراء النهر التي وجدت لها مدرسة كاملة سخيفة وروجت نفسها على صعيد عام مستفيدة من الجهل العام العسكري في المنطقة او قضيـة العمليات الكبيرة وايضا العمليات التي يمكن ان تكون مختلفة وارتكبتها جميع التنظيمات على قدم المساواة والتي كانت بالاساس تغطية لعملية فشل اساسية .

عملية الانحسار في المقاومة الفلسطينية بدأت منذ الكرامة بالضبط ، اذ منذ ذلك الحين استعارت المقاومة الفلسطينية بامكانياتها المحدودة اهداف امة كاملة تنوء هذه الامـة جميعهـا في تحضيرهـا واستخدامها . طرحت معركة الكرامة ، والطريقة الاعلامية التي تحدثنا فيها جميعا والانظمة العربية عن معركة الكرامـة ، طرحت جوا في النضال الفلسطيني، لم تكن المقاومة الفلسطينية في وضعها ذاك ولا الحركة الوطنيـة العربية قادرة علـى امتصاصه واستيعابه وتنظيمه وانا اعتقد ان هذه في علم الثورة ، قضية خطيرة جدا . طبعا هذا الانحسار كان ممكنا ان يتحول فيه ميزان القوى ببطء دون ان يشعر اي طرف من اطراف الثورة بأن هناك عملية انحسار ولكن هذا لم يحدث مع الاسف لاسباب ربما تطرقنا لها . الذي حدث هو ان موجة الانحسار هذه وصلت الى ذروتها نتيجة اخطاء عديدة جـدا ونتيجة ثغرات عديدة جـدا وتفجرت في شكلها العسكري في ايلول . نحن نعرف ايضا عسكريا بأن الهزيمة العسكرية في ايلول لا تعني شيئـا اذا لم تنعكس نتائجها العسكريـة سياسيا ونحن نعرف ايضا ان معركة ايلول هي معركة قد تنهزم فيها المقاومة عسكريا لكن عملية تصفية المقاومة جسديا وانهائها هي العملية التالية.

هناك اذن ثلاث مراحل : مرحـلة الكرامة ، ثم الانحسار الذي تفجر في معركة ايلول واذ لم تنتهز او تستغل الفرصة في ايلول الى مـا لا اعرف فالخطوة التالية هي تصفية المقاومة جسديا اذا لم تستطع المقاومة تطوير نفسهـا سياسيا وعسكريا لاحتلال موقع اقوى بكثير مما ستكون عليه السلطة الاردنية ... قلنـا ان مجزرة ايلول هي نصف

عملية ، مجزرة ايلول هي ارغام المقاومة على القيام بتراجع عسكري وعدم قدرتهـا على تعويض هذا التراجع العسكري بعمل سياسي وتكتيكي لارجاع الوضع النفسي الى حالته او بشكل يعدل قليلا من ميزان القوى لماذا فشلت المقاومة في ذلك فستكون الفرصة مؤاتية للنظام الاردني كي يستكمل النصف الاول الذي جرى في ايلول بنصف آخر وهو التصفية الجسدية النهائية للثورة . هـذه كانت النقطة الرابعة .

النقطة الخامسة : يبدو لي ان المخرج من هذا المأزق يكمن في القدرة على ادراك ثلاث قضايا اساسية : ادراك حجـم التآمر وادراك حجـم المهمات وادراك حجم الامكانيات . كيف يمكن العمل وفق الخطوط الثلاثة هذه عمـلا ثوريا للمرحلـة القـادمة ؟ هـذه هي المشكلة التـي تقف امامها حركة المقاومة . انا لا اختلف طبعا مع الشعارات فهي لا تعني شيئا في الواقع فمشكلتها هي مشكلة تعبئتها ببرنامج عمل . انا موافق على الشعارات التي طرحت من جميع الاخوان لكن اتصور انهم نسوا منها شيئا اساسيا جدا هو العمل في داخل فلسطين . انا اعتقد ان لا طريقة ولا مخرج الا لنقول لماذا انت موجود طبعا مع احترامي الجزيل للبرامج الاستراتيجية ولكوننـا نريـد أن ننشيء مجتمعا في الشرق الاوسط موحـدا وديمقراطيـا واشتراكيا ولكن المهم بالدرجة الاولى هل تقاتل او لا تقاتل ؟ هناك طرق عديدة طبعا للتهرب من هذا السؤال الحيـوي في الاردن . نبدأ بالتحليـلات ونستطيع فيما يتعلق بسوريا وبجبهة قناة السويس ان نناقش مليون قصة ومن ثم الى اين ؟ ماذا عن النشاط القتالي للتنظيمات الفلسطينية ؟ ومفروض ان لا نقول للناس انه اذا ما اتفقت الحركة الوطنية الفلسطينية مع الحركة الوطنية الاردنية علىبرنامج يفي اننا والله«شلنا الزير من البير»فالقضية ليست رفع شعارات بلتتطلب نضالا فعليا.يجبأن لا نكتفي تعبئة الناس بالشعارات بل المطلوب هو العمل على تنفيذ اهداف متساوية مع الامكانيات المتوفرة . حد هذه الخطوات الاساسية في بناء الميزان بين لادراكات الثلاثة التي عددناها : ادراك حجـم لتآمر وحجم المهمات وحجم الوسائل ، هي ، اعتقادي حل مسألة الوحدة الوطنية . والوحدة لوطنية الان في هذه المرحلة بالذات ما بين نصفي يلول ، كما سميناها ، لم تعد مسألة مطلب يوضع مع برنامج العمل الريفي في جنوب لبنان ، الذي هو مهم بدوره ، لكن الوحدة الوطنية هي مسألة حياة وموت في هذه الفترة . وفي صدد الاجابة عن سؤال لماذا لم تتحقق الوحدة ، اريد ان اقول انه يوجد اتجاه نحو التبسيط، والدخول في التفاصيل. وباعتقادي ان المسألة الجذرية هنا هي في الاعتراف بوجود خلاف على قيادة العمل الوطني الفلسطيني . ان اليمين ، اذا جاز التعبير ، لا يشعر ان ميزان القوى يجبره على التخلي عن قيادة القوى في العمل الوطني الموحد ، واليسار لا يستطيـع ان يحسم هذا الموضوع دون ان يتفق فيما بينه . قبل ان يحسم هـذا الموضوع لن تتحقق وحدة وطنيـة فلسطينية وانا برأيي انها ليست محسومة حتى الان ومهما حاولنا ان نقول ان القصة هي خلاف على كذا وخلاف على كذا . انا لا اعتقد ان هنـاك خلافا على برنامج وطني بل هناك خلاف على حصة الاطراف في هذه القيادة وهذه القضية غير محسومة لا من قبل اليمين ولا مـن قبل اليسار . اليسار الفلسطيني ، اذا جاز التعبير ، يعطي لليمين الف مبرر لعدم التخلي عن قيادة الثورة الفلسطينية لان بعض اطراف اليسار الفلسطينـي لا تريد لبعض اطرافه الاخرى ان تأخذ القيادة .

نبيل شعث : اعتقد ان الاخ غسان اجاب على بعض الاسئلة التي كانت عندي ولو انه طـرح شعارات جديدة . لقد فهمت انه ضد الشعارات التبسيطية وشعار اليمين واليسار الذي طرحه يمكن ان يكون اكثر تبسيطا وقد يكون اكثرها خطورة في هذه المرحلة . لكن على كل حال هناك نقطة مهمة جدا احب ان اؤكد عليها او اضيف اليها وهي اهمال المتحدثين الاولين لسبب ما دور الظروف الموضوعية التي تحيط بالثورة والتـي ادت الى الازمة التي نمر بها . بمعنى انه حتى لو كانت الثورة قد حلت مشاكلها الذاتية مبكرا جدا ، يبقى السؤال الكبير هل كان بامكانها ان تتجنب ازمة المواجهة ، ازمة الحيـاة او الموت مع النظـام الاردني . لان القضية ليست قضية النظام الاردني فقط ، فمن الضروري ان يكون واضحا ان التآمر الاردني عـلى الثورة ليس نابعا مـن العملية الديالكتيكية بين المقاومة والعمل الوطني الاردني وبين النظام الاردني فقط اذ هناك الطرف الامريكي وهو طرف مهم جـدا في القضية . ان التحرك الاردني كان الى حد كبير يتفق مع تفكير كيسنجر

في عملية « فيتنمة » الحرب الفيتنامية وبالتالي يمكن بدون تجن استخدام كلمة « اردنة » العمل الفلسطيني للتعبير عن دور امريكا في دعم وتعبئة وتنظيم وتمويل وتسليح النظام الاردني والتخطيط له لكي يصبح قادرا على سحق المقاومة الفلسطينية والقضاء عليها لمصلحة اسرائيل اولا وبالدرجة النهائية لمصلحة الاستعمار الامريكي والامبريالية العالمية في المنطقة . ومن هنا يظهر ان بعض النقاط التي تحدثنا عنها مبالغ فيها بمعنى ان تصدي النظام الاردني كان منذ البداية ليس فقط لوجود الثورة الفلسطينية في مكان القوة في المدن وانما كان تصديه لها بالاساس لمحاولة قطع الطرق على الفدائيين من الدخول من الاردن الى اسرائيل ولمنعهم من الدخول للعقبة ومنعهم في غور الصافي ومنعهم في وادي عربة ومنعهم في الغور الشمالي وزرع الالغام في طريقهم ، وتبديل حقول الالغام لاصطيادهم والتصدي لدورياتهم وبالتالي فان تصعيد العمل مع اسرائيل كان بالضرورة يؤدي الى تصعيد للدور الاردني في التصدي للعمل الفدائي حتى لو ظل العمل الفلسطيني بعيدا عن لعب اي دور اساسي في المدن وفي الريف . ويجب ان نذكر ان النظام الاردني قد تصدى للمقاومة في ١٩٦٨/١١/٤ مثلا قبل ان يكون لها قوات في المدن وقبل قيامها « بالاستفزازات » التي تحدث عنها النظام كثيرا قبيل ايلول ١٩٧٠ . بطبيعة الحال ان الذي شرحه الاخ بلال اضاف الى هذا مهام جديدة للنظام الاردني اذ انه يتصدى لحياته اساسا بالاضافة لتصديه لدوره كطرف في الثالوث الامريكي الاردني الاسرائيلي الذي لعبه بشكل واضح جدا في فترات مختلفة . النقطة الثانية التي احب ان اضيفها ان هذا الخطر الموضوعي الذي يتمثل في استخدام امريكا للنظام الاردني لتصفية العمل الفدائي قد يكون اكثر اهمية من استخدام اسرائيل ذاتها لاداء هذه المهمة وقد لجأ الاستعمار الامريكي دائما الى هذا الاسلوب في المناطق المختلفة التي لم يستطع ان يتصدى لها مباشرة . وهنا اذكر بما حدث في اندونيسيا حيث لم يكن النظام الامريكي قادرا على التصدي للثورة الاندونيسية من الخارج وانما عندما استطاع ان يتصدى لها من الداخل ذبح مليوني اندونيسي باسم القضاء على الشيوعية وذبح الاندونيسيين تم اساسا عن طريق ثورة اندونيسية داخلية . تماما كما حدث في الاردن فالرأي العام العالمي لا يستطيع قبول قيام اسرائيل بقتل وتشويه ٢٠،٠٠٠ عربي في عمان ، لكنه يستطيع هضم قيام عرب اردنيين بعمل ذلك ، طالما انها معركة بين « الاشقاء » . ما كان يمكن لامريكا ان تفعل ما فعلته في كمبوديا والمذابح الفظيعة التي وقعت في كمبوديا والجثث التي ملأت النهر لايام متوالية ، دون ان تستخدم طرفا كمبوديا في تنفيذ هذه العملية الرهيبة ولذلك فاستخدام الطرف الاردني للقضاء على حركة المقاومة الفلسطينية كان عملية تخضع للديالكتيكية الامريكية وطريقة العمل الامريكي وطريقة التعامل الامريكي في هذه الاحوال . ليس لي ما اضيفه لاني اوافق على معظم الكلام الذي قاله الاخوان عن الاخطاء التي ارتكبتها حركة المقاومة والتي ادت الى مساعدة النظام الاردني في عمليته . فقد ساهمت في عزل الريف الاردني والمواطنين الشرق اردنيين عن حركة المقاومة ، فجردت نفسها من حزام واق هام، جردتها من التفاعل الذي كان يمكن ان يحدث والذي كانت بوادره قد ظهرت في لبنان مثلا وفي الاردن والذي لم تستطع حركة المقاومة ان تستغله كله . ولا بد هنا من مناقشة ما قيل عن الدور الذي كان يمكن لحركة المقاومة ان تلعبه في حركة التحرر العربي والدور الذي لم تلعبه ، ولماذا لم تلعبه . وهنا احب ان اذكر بالمشاكل التي تواجه ما يسمى بحركة التحرر العربي وارتباط ما يمكن اعتباره بالتنظيمات او الاحزاب العربية بالانظمة العربية . يكاد يكون من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل ان تفصل الثورة بين تعاملها مع حركة التحرر العربي وبين تعاملها مع الانظمة التي تعتبر ثورة عربية. هذا ليس ممكنا على حد معرفتي اللهم الا في لبنان ، لكن في سوريا والعراق والجمهورية العربية المتحدة والجزائر واليمن الديمقراطية والسودان تشكل القوى العربية التحررية والتقدمية في هذه البلدان النظام ذاته وبالتالي فان تعامل حركة المقاومة الفلسطينية مع حركة التحرر العربي كان يفرض عليها التعامل مع الانظمة العربية وقد ادى ذلك الى وقوعها في محاذير عديدة . اي انني ارى ان من الصعب الفصل بين الاثنين الا اذا حاولنا ان نحمل الامور اكثر مما تستحق . الشيء ذاته بالنسبة للحركة الوطنية الاردنية . قال الاخوان انها كانت فعلا منهكة القوى في الـ ٦٧ . هل كانت الحركة الوطنية الاردنية قادرة ، لو دعمت فعلا او سندت او تركت مستقلة لكن بتعاون وتعاضد والتحام

حركة المقاومة الفلسطينية ، هل كان يمكن لها ان تقوم بالايفاء بالمهمات التي تطرق الاخ بلال لها اي ان تتصدى فعلا للمشكلة الزراعيـة الريفية ، وتتصدى للسياسة الاردنية الخارجية ، وتتصدى لتصفية نظام وطني اردني ديمقراطي ؟ انا اعتقد انها كانت مضعضعة . وفي هذا انا اشترك مع غسان أنها لا يمكن أن تصبح قادرة لفترة طويلة قادمة الا اذا كنا نتكلم عن عمل طويل الاجل وليس عمل شهر او شهرين ولا عمل سنة او سنتين وهي الفترة القصيرة التي تواجه فيها المقاومـة بخطر الفنـاء والتصفية . لا اريد ان ابدو كمدافع وان آخذ موقفا اعتذاريا لحركة المقاومة الفلسطينية لانني لست كذلك لكن اذا كنا نريد ان يكون ما نقوله متكاملا يضع الامور في وزنها الصحيح يجب ان نقول انه بالاضافة للاخطاء التي ارتكبتها حركة المقاومة كانت هناك ظروف موضوعية يصعب تخطيهـا والتغلب عليها ولو كانت قيادة المقاومة متفوقة ومتميزة علميا وعقلانيا ومتوجهة قوميا بشكل واضح ولا تعاني من الشرذمة بداخلها ولا اثر للمشاكل التي واجهتها . هل كان يمكن لحركة المقاومة ان تعمل مع عناصر غير العناصر التي تمثل النظام في الدول التقدمية اي هل كان يمكن ان تعمل على ان تلتحم مع عناصر اخرى وان تلتحم مع جماهير الامة العربية في تلك البلاد التي فيها انظمة مدعومة ناشئة عن تنظيم تقدمي ، هذا مستحيل . بل اذكر تماما في بعض الاماكن التي كان النظام التقدمي فيها يقدم الدعم كله والى اقصى الحدود ، لكن عندما كانت تقترب اي حركة ثورية فلسطينية من ان تنشىء علاقة شبه تنظيمية مع أفراد او جماعات في هذه البلدان كان ذلك يضرب رأسا ويفرض عليه الحجر بشكل سريع وهذا ، اذا كان واضحا وقائما في انظمة البلاد الثورية فهو واضح بشكل اكبر طبعا في البلاد التي ليس فيها انظمة ثورية حيث اعمال الكبت والقمع ممارسة بشكل كبير . النظام الاردني بطبيعة الحال سيفعل ذلك اذا حاولنا من الان ان نضع برنامجا يعتمد على عمل هذا التنظيم الفلسطيني الاردني على مستوى الريف والمدينة والصحراء . لا بد ان نضع في حسابنا ان النظام سيتصدى لذلك بأكبر قدر من القسوة لان النظام الاردني يعرف تماما ما معنى ان نقوم بعملية تنظيم وعملية التحام حياتي وتنظيمي مع الجماهير الاردنية ومحاولة التصدي للسلطة في الامور الحياتية للجماهير الاردنية بالاضافة

إلى ذلك فالانسان يجب ان يكون واقعيا لمدى ما كانت تستطيع حركة المقاومة وما زالت تستطيع عمله ازاء تلبية المطالب الحياتية للجماهير الاردنية في الريف او في الصحراء او في المـدن . ومـا استطاعت حركة المقاومة ان تلبيه مـن احتياجات حياتية للمواطن الفلسطيني في المخيمات في الواقع كان نابعا أساسا من الدعم الكبير المالي والتسليحي الذي تلقته حركة المقاومة الفلسطينية من الانظمة العربية والتي استخدمت جزءا منه في عملية التجنيد وتدعيم قوتها في المخيمات ، اي ان فرصة نادرة توفرت لان قيادتها كانت من البداية وخصوصا بعد الكرامة قادرة على الحصول على الاسلحة والمال من الخارج ، واستخدام هذه الاسلحة والاموال في عملية الحصول علـى متطوعـين واعدادهـم وتسليحهم وتحمل اعبائهم الحياتيـة والانفاق على عائلاتهم . هل كان يمكن لحركة المقاومة ان تفعل مثل ذلك واكثر منه للتصدي لهذه الامور الحياتية للمواطن الاردني في الريف والمدينة او الصحراء وان تفعل ذلـك منافسة للمؤسسـة الاقتصاديـة الاردنية المتمثلة في الجيش الاردني والتي تقـوم بعملية الدفع في مضخة مما يأتيها من اموال من امريكا ومن غيرها ومن اموال تأتيها من دول النفط والتي استخدمتها في عملية حل المشاكل الاقتصادية للمواطن الاردني والتي على اساسها يقول بلال ، وانا اوافقـه ، حدثت عملية استقطاب مـن قبل النظام الاردني . اني اجد هذا الامر صعبا . انا طبعا لا اتناسى دور التثوير وانا مؤمن ان التثوير يجعل الناس يفهمون اين تقع مصالحهم الحقيقية لكن كلمة مصالحهم الحقيقة تفترض اجلا طويلا نوعا ما وهنا فعلا يكمن مربط الفرس في موضوعنا . وفي الختام اقول انني فعلا متفق مع الاخوان في ان المرحلة الحالية مرحلة مصيرية وهامة جدا واننا اينما التفتنا وحيثما توجهنا نلاقي صعابا آخـذة بالتزايد واننا مقبلون على عملية تصفية كاملـة للقواعد الفدائية الظاهرة ، على الاقل وهذا يتطلب تغييرا كبيرا في الاستراتيجية . وهذا يعني التطبيق الحقيقي لمفهوم السرية والعمل تحت الارض والتطبيق الحقيقي لمعنى العمـل في الارض المحتلة بشكـل تطويري حتى لما يتم في غزة ونقل ذلك الى الضفة الغربية وانشاء قواعد فعالة بها . لكن من الصعب جدا عمل اي من ذلك قبل تحقيق الوحدة الوطنية . وانا اوافق الاخ منح في ان العملية ليست عملية توحيد

بالاسلوب اللبناني بل يجب ان تكون توحيدا للقوى الحقيقية القادرة . هذا يعني انني ارى أن هناك خطورة في القول بأن على العمل الفدائي الفلسطيني ان يعطي الان الدور لمن يسموا بالمستقلين لكي يأخذوا الاغلبية في المجالس الوطنية الفلسطينية وان العمل الفدائي الفلسطيني اخطأ ويجب عليهالان ان يتنحى . انا اعتقد ان هذه كارثة كبرى وانا اشتم منها روائح مؤامرات واطراف متعددة ليس هناك داع لذكر اسمها . الثورة هي التي تمثل الشعب الفلسطيني ويجب لها ان تتحمل كل تبعات ومسؤوليات المرحلة واولى مسؤولياتها هو توحيد قواها . وتوحيد قوى الثورة لا يمكن تأجيله لان جزءا كبيرا من الاخطاء التي حدثت في التقييم وفي التخطيط ، راجع الى التشرذم والتشتت داخل صفوف الثورة . كانت الاطراف المختلفة تطرح استراتيجيات مختلفة ولم يكن هناك استراتيجية واحدة . وبالتالي لا نجحت استراتيجية الطرف هذا ولا استراتيجية الطرف ذاك . عملية المبالغة في الارقام والخطأ في حساب القوى وفي حساب من لدينا داخل الجيش الاردني ، عملية الخطأ في حساب كم بندقية لدينا في عمان ، كلها نتيجة للتشرذم ومن ثم فالوصول الى وحدة حقيقية للقوى الثورية القادرة والفعالة والتي تتحمل مسؤولية المرحلة والتي لا تترك بالطبع مجالا لما يسمى مستقلين يجب ان تكون له الاولوية الاولى . أنا أرى فعلا ان الثورة الفلسطينية بقواها المقاتلة يجب ان تكون هي القادرة على تعبئة الكفاءات . فاذا كان هناك كفاءات علمية فلسطينية موجودة خارج حركة المقاومة فهذا هو خطأ القوى الثورية في حركة المقاومة فان من واجب هذه القوى ان تجند هذه الكفاءات داخلها وان تعبئها وان تثورها وان تسيسها اذا لم تكن قد سيست وان تصبح هذه القوى فعالة داخل تنظيم ثوري موحد . ولكن استمرار التشرذم وعدم وضوح الرؤيا والفعالية داخل التنظيمات المختلفة ساهم في خلق مجموعات «المستقلين» وفي ابعاد الكثير من الكفايات الملتزمة المخلصة عن مواقع العمل الثوري. أما عند تحقيق الوحدة الوطنية الحقيقية والتنظيم الثوري الفعال فلا يبقى دور لمستقل ولا يبقى مجال لعمل الا من خلال اطارات الثورة وداخل بنيتها . ويصبح عندها الكلام عن المستقلين كلام خطر لا يؤدي الا الى التشكيك في الثورة وخلق جماعات مناوئة لها .

صادق العظم : مما ذكرت دكتور نبيل حول دور امريكا وخط كيسنغر في « اردنة » او « فتنمة » الصراع في الساحة الاردنية ، اعتقد أن النتيجة السياسية لذلك هي وضع امريكا في موضع عدو رئيسي ، وكل الكلام ان امريكا ليست عدوا وانما هي في « موقع العدو » وان كل كلام عن تحييد امريكا او ان مفتاح الحل في النهاية في يدها وانه أمام التنازلات العربية ستضغط امريكا لانها هي التي ستأتي بالتسوية السلمية هو طبعا كلام فارغ من وجهة نظر ثورية . اي أن النتيجة السياسية لكلامك يجب أن تكون ما ذكرته ولا اعرف اذا كنت توافق .

ثانيا : ان التقصير الكبير من جانب المقاومة ايضا يستنتج من كلامك هو انها كانت تعرف وتدرك منذ البداية ان النظام الاردني ضدها ومع ذلك لم تضع في الواقع استراتيجية اساسية لمواجهة النظام. اي أن المقاومة لم تضع استراتيجية بحيث انه عندما يأتي اليوم الذي يقرر النظام تنفيذ سياسة امريكا في « اردنة » المعركة نهائيا تتمكن المقاومة من مواجهة النظام وخطته . اعتقد ان احد الاسباب الرئيسية في الهزيمة التي وصلت اليها المقاومة في أيلول هو غياب مثل هذه الاستراتيجية وغياب الاعداد اللازم لتنفيذها .

ثالثا ، قضية التعامل مع الجماهير العربية ، الاستاذ منح قال ان الثورة الفلسطينية كانت خارج معركة التحرر العربي وانت قلت ان حركة التحرر تتمثل في أنظمة وانا اوافق على ذلك هذا يعني في النهاية وعلى الصعيد العملي والفعلي ان الثورة الفلسطينية عندما تريد ان تتعامل مع الجماهير العربية اي جماهير حركة التحرر عليها ان تعمل ضد الانظمة ولا مفر من هذه النتيجة . لو ارادت حركة المقاومة الاتصال بالحركات الجماهيرية فان الانظمة لن تنظر الى الموضوع على أنه مجرد تعارض بينها وبين المقاومة بل ستعتبر ذلك تناقضا وتضربمباشرة كما ذكر الدكتور نبيل. من جهة اخرى لاحظت من بعض تعليقاتك والى حد ما تعليقات الرفيق غسان نوعا من قصر النفس حول قضية الاجل الطويل . تقولان اشياء ثم تستدركان بالقول الا اذا كان ذلك الشيء يتطلب أجلا طويلا ولكن موضوع الثورة مفروغ منه ومسلم بأنه طويل الاجل .

غسان كنفاني : انا ، واعتقد ان الدكتور نبيل

شعث ايضا ، لم ننشىء نقدنا على الاعتقاد بأن المسائل التي تعرضنا لها يمكن حلها بسرعة . كلا. اننا ننطلق من الاقرار بأنها قضايا تحسم من خلال الصراع الطويل المدى ، ولكننا كنا ننتقد اعتماد اساليب تكتيكية قصيرة النفس لحل هذه القضايا الاستراتيجية التي تحتاج الى وقت طويل ، ثم الوقوع تحت تأثير الخيبة الناجمة عن عدم حدوث المعجزة بسرعة . اي أننا انتقدنا اسلوب النظر الى هذه القضايا التي نتفق انها تحتاج الى اجل طويل ، ولكننا نرى الاسلوب المستخدم في حلها وكأنها تحتاج الى زمن قصير .

صادق العظم : موافق ولكن هناك قضية التوحيد. لا يكون التوحيد تعسفيا بل يكون على اساس اتفاق حول برنامج سياسي جذري واساسي وهذا يبدو انه غير متوفر الان في العمل الفلسطيني ، أو أن يبرز طرف من الاطراف عن طريق الكفاح على انه اقدر الاطراف واقواها واشدها بأسا وصمودا وصلابة وبفرض قيادته على هذا النحو كما حدث بالنسبة للشيوعيين في الفيتنام . في الحقيقة اذا كنا لا نريد الوحدة عن طريق التعسف لا مانع ان يكون في الساحة طرفان او اتجاهان : اتجاه سوف يبدو اكثر راديكالية واتجاه اخر يبدو اكثر محافظة ويريد ابقاء الجسور مع النظام الاردني مثلا والاستمرار الى حد ما على اساس السياسات السابقة . اي لا مانع ان يكون اتجاه بلشفي وآخر منشفي مثلا.

نبيل شعث : بالنسبة للموضوع الاول انا متفق معك ان دور امريكا دور حاسم واساسي وأن من المهم جدا ان يلتحم العمل الثوري الفلسطيني بالعمل الثوري العربي عن طريق مقدار تصديه للمصالح الامريكية في المنطقة وعن طريق تفهمه الحقيقي لدور امريكا في حربنا مع اسرائيل وبمقدار ما يفعل ذلك يستطيع ان يواصل المسيرة بنجاح. ان اهمال ذلك ليس عملية خطأ في الفهم فحسب لكنه خطأ مدمر في التطبيق في النهاية . بالنسبة الى أن التنظيم سيؤدي الى التعارض مع الانظمة فهذا حدث قبل ان تستطيع الثورة الفلسطينية ان تنشىء اي تنظيم ذي فعالية . كان يضرب مباشرة. انت تطالب العمل الفلسطيني الان ان يصبح بديلا لانه اذا شاء ان يتصدى لمسؤولية انشاء علاقات مع الجماهير العربية بمعنى انشاء تنظيمات بديلة وتصحيحية للتنظيمات الموجودة على مستوى الحكومات فانه يحتاج الى طاقات وقدرات اكثر بكثير من امكانياته الحالية . فهو ليس قادرا ان يقيم تنظيما على مستوى الساحة الاردنية فكيف يكون بمقدوره ان ينشىء تنظيما حقيقيا تصحيحيا في البلاد العربية الاخرى . هذه مسؤولية يمكن ان يتحمل العمل الفلسطيني جزءا منها لكن الجزء الكبير منها يجب ان يقع على القدرات العربية في هذه البلاد . واما بالنسبة لموضوع الاجل الطويل والقصير اعتقد ان الاخ غسان اجاب على السؤال. أما كيف نتصدى للقضايا العاجلة، وانا متفق معه، لاننا قد نكون مقبلين على حرب تصفية قادمة وبالتالي يجب التصدي لها دون أن نفقد البصيرة لما يمكن عمله في المدى الطويل . واما في النقطة الاخيرة فاني ارى في هذا الكلام ما اعتبره تجنيا اذا كان المقصود فعلا ان هناك طرفا منشفيكيا وطرفا بلشفيكيا ، اذا كان المقصود أن يتفق العمل الفلسطيني ، ان يقرر العمل الفلسطيني ، ذاتيا ان يفرز فصائل تقوم بأعمال معينة في حين ان القدرة او القدرات او التنظيم الفلسطيني الام يدعي جهله بها ويتنصل من مسؤوليتها اي على نحو ما كان يفعله الصهيونيون في الارغون وشتيرن .

صادق العظم : انا لم اعن ذلك . عنيت ان هناك تصفية جسدية .

نبيل شعث : تصفية جسدية لمن ؟ بالعكس انا أرى ان الذي يدعو له الاخ صادق العظم ان هناك فصائل تتصور نفسها اكثر تقدمية وتتصور خطها اكثر يسارية ان هذا الخط لن يستطيع ان يتفوق الان لانه لا يتمتع بالمد الجماهيري الكافي وليس لديه رصيد من الانجازات الحقيقية التي يستطيع تقديمها للجماهير لتبرير وجوده المنفصل ، لكن تتصور انها في الاجل الطويل تستطيع وتريد من الطرف الاخر الذي هو الان يمثل اكبر قوة والذي يمثل الجماهير الفلسطينية بشكل اكبر والذي عنده قدرات اكثر ، ان يحميها ويحافظ على وجودها ثم يقدم لها هذه الجماهير في الوقت المناسب . ولذلك ، الحقيقة ، بالاضافة الى ما في هذا من عدم الواقعية اعود لاقول فعلا وامانة ان العمل الفلسطيني لا يحتمل نتائج هذه النوايا الانفصالية مهما كانت حسنة . واخيرا اقول انه حتى لو توحد العمل الفلسطيني كله ستظل قدرته على المجابهة الكاملة محدودة وسيتحمل خسائر كبرى لضمان استمراره ، ولا يجوز له بأي حال من الاحوال ان يجابه هذه المعارك المصيرية وهو

منشق على نفسه انشقاقا يولد عدم وضوح رؤيا للجماهير ويولد الاحساس بالتعارض في الداخل ، ويولد عدم القدرة على تقدير المواقف وعلى تقييم القوى ، ويولد كل الصراعات الموجودة الان .

شفيق الحوت : بعد كل هذا الحوار ارى انني احار بين ان اطرح وجهة نظري او أن اعلق لكنني لاحظت اننا بحاجة الى تحديد المبادىء العامة والقضايا العامة وانا استغرب بالفعل وجود ملاحظة شائعة في الوسط الفلسطيني وهي اننا غامضون في المبادىء ومحددون في التفاصيل . استهل ابداء رأيي بالقول بأنه اذا كان تحرير فلسطين هو الهدف الثابت والمطلوب والمطروح فالمهمة اذا هي مهمة عربية واي تصد فلسطيني محض لقضية انجاز هذا الهدف هو تصد لا بد له ان يصطدم بالازمات وصولا الى طريق الفشل النهائي واي وجود فلسطيني ليس عربي الهوية والسمات والنضال هو المرشح لحكم التسويات وليس لحكم التحرير . من هنا لم نفاجأ بالازمة التي تحياها حركة المقاومة الفلسطينية ولا أقول هذا ادعاء ، وربما كان جميع الاخوة يتنبأون بما جرى في أيلول في الاردن ويتوقعون هذه الازمة . ولو عدنا الى تصريحات جميع الرفاق والاخوان في حركة المقاومة لوجدناهم يتسابقون الى الحديث عن اننا كنا في عنق الزجاجة او في قعر الزجاجة . قبل هذا الكلام مرارا وتكرارا قبل وقوع الازمة والمجزرة ربما بشهور عديدة . أنا اشارك الاخ غسان بأن الثورة علم ولكن بمعنى أن يقرأ الانسان التاريخ وان يستخرج العبر والدروس مما جرى في هذا التاريخ على امتداد الكرة الارضية بأسرها ويبدو اننا لو راجعنا انفسنا لوجدنا ان هذه الازمة ليست التجربة الاولى في حياة النضال الفلسطيني ، هي الازمة ربما الرابعة او الخامسة او السادسة ولو فشلنا فلن يكون هذا فشلا جديدا وانما استمرار لسلسلة من الفشل انتابت حركة النضال الفلسطيني . نحن الان مبعثرون ولكننا كنا حركة نضالية واحدة سنة ١٩٤٨ وما قبلها ولكننا كذلك فشلنا . لو سألنا انفسنا لماذا فشلت حركة النضال الفلسطيني قبل ١٩٤٨ لقلنا انها اولا كانت قيادة فوقية عشائرية لم تعرف كيف تجند الجماهير ولا كيف تستوعب الكفاءات والقدرات ولانها كانت متخلفة عن المستوى القيادي المتوفر لدى العدو، متخلفة حضاريا ، متخلفة في رؤياها وفي فهمها لحقيقة القضية الفلسطينية التي تتركز في أن الاستعمار خلق اسرائيل ليحول دون تطوير الانسان العربي على الارض العربية وان يحول دون تحقيق اهدافه في خلق المجتمع العربي الواحد المنتج . كان الاستعمار يرى ذلك منذ خمسين سنة لان الاستعمار هو أيضا علم وتحركه عقول واعية تنظر الى الامام وربما اكثر من الحركات التي تتصدى له في بعض الاحيان . من هنا فان الازمة، كما قلت ، لم تكن مفاجأة واستغرب اننا في كل ما طرحناه من أسباب هذه الازمة وكأننا اكتشفناها بعد وفاة او استشهاد ٨٠٠٠ انسان او اكثر او اقل (لا ادري لانه من اخطاء الثورة انها لا تحترم الاحصاء والارقام) .

ولا بد من كلمة حول التشرذم او التعدد . وانا أقول ان هذا التعدد لا حل له ولا يمكن ان تتم وحدة فلسطينية بشكل تقليدي على الاطلاق . نحن أمام مشكلة لا بد لها من حل فريد مميز لاننا ورثنا اوضاعا من الصعب انتجاوزها وانتجاهلها. كان هناك امكانية حل واحد للوحدة الوطنية لو كانت منظمة فتح مؤهلة بالفعل لان تستوعب جميع الحركات النضالية الفلسطينية ، ولكنها عجزت لاسباب لا اعتقد ان الان مجال بحثها . فتح جاءت كرفض لما كان قبلها ولكنها سرعان ما أصبحت جزءا مما قبلها . فالاخوة الذين دخلوا بعد فتح على العمل الفدائي ، اي القوميون العرب ، والذين انشقوا فيما بعد الى جناحين وتمثلوا في الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية ، هم أصحاب تاريخ طويل حافل في القضية الفلسطينية كان لهم قبل النكسة آراء غريبة ثم تحولوا عن هذه الاراء وهم الان يطرحون اراء جديدة ، واعتقد ان هذا الطرح السريع وهذا التبدل السريع ، على اهميته ، بحاجة الى اختمار . لذلك وقعوا اسرى شعارات لا اعتقد انهم كانوا سيقعون فيها لو كانت الفكرة مختمرة في اذهانهم . بدأوا في الانقسام الافقي وتغنوا بالانقسام العامودي مع ان الاخوة يقولون في غير هذا المجال انه ليس ثمة انقسام عامودي وليس ثمة انقسام والقضية بين لا وطنية او رجعية فلسطينية اردنية ووطنية فلسطينية اردنية . اذا كان ثمة من وضع غير صحي في الاردن ، فهي الان مرحلة عابرة ولا اعيرها كبير اهتمام .

واذا كان لا بد من الدفاع عن منظمة التحرير

الفلسطينية التي هي أن صح التعبير ، كتفا الخزانة في البيوت المهجورة عندما يريد الانسان ان يرمي شيئا يحتار اين يضعه ولا يريد رؤياه يقذف به وراء هذه الخزانة . منظمة التحرير الفلسطينية التي أقامت اتحادات ، كما اشار الاخ بلال ، هي منظمة التحرير في عهد الفئة الحاكمة وهي مجموعة المنظمات الفلسطينية وبقيادة فتح بالذات ، هي ليست شيئا مجردا واقول ذلك حتى لا نخلط لان هناك رأيا واضحا في قضية منظمة التحرير قد لا يكون رأي الاخ بلال لذلك لا بد من التنويه بأن هذه الاتحادات جاءت في عهد كانت فيه فتح والصاعقة والجبهة الديمقراطية في اللجنة التنفيذية وهم الذين اقروا مثل هذا العمل. واذا لم يكن للديمقراطية هذا الراي ، فانها ، بالمقابل ، حركت قضية اسمها قضية مشاكل الجماهير في الاردن . وانا في الواقع لا يمكن أقف موقفا سلبيا من مشاكل الجماهير في الاردن ولكن لا يمكن ان اجعل منها هدفا اساسيا من اهداف الثورة ، وهذه كانت بداية التحول من الثورة الى النظام وتحول الثورة الى حركة اصلاحية في الاردن . منظمة التحرير حاولت تجنيد اردنيين ، الديمقراطية حولت الاردنيين الى فلسطينيين . اقول كنت اتمنى على كوادر الحركات الفلسطينية الاردنية لو طعمنا بها الحركة الوطنية الاردنية وحتى لو فرغنا فلسطينيين بأسم الحركة الوطنية الاردنية ربما كان هذا انسب على صعيد الترتيب لمصلحة الثورة الفلسطينية .

لا زلت اتكلم عن الازمة الذاتية لحركة المقاومة. اننا ورثنا الماضي ولم نحاول ، ربما حاولنا ولكننا لم ننجح ، في تجاوزه . بل على العكس أضفنا له علة جديدة هي علة القطرية الفلسطينية الشوفينية وانقطعنا عن حركات التحرر الوطني العربي . هنا أيضا استطرد في الحديث عنحركات التحرر العربي فأقول ان اول ما هو مطلوب بالنسبة للتعامل مع حركات التحرر العربي ان تكون حركة المقاومة واضحة في هويتها السياسية . ليس المقصود بذلك ان تتعامل مع شخص او مع جهاز مخابرات او قيادة عليا او قيادة سياسية او امانة حزب . في البداية يجب ان تكون انت واضحا في هويتك السياسية ، هذا الوضوح يوصلك الى التعامل مع الفريق الجدير بالتعاون معك . واني لا استثني فريقا فلسطينيا واحدا من التعامل مع اجهزة هذا النظام او ذاك على الاطلاق . نحن لم نكن واضحين ثم اعتقد ان وضع الانظمة العربية كلها في سلة واحدة امر مبالغ في تبسيط القضية. اولا هنالك نظامان عربيان النظام التقليدي الرجعي المرتبط مصلحيا وتاريخيا ووجودا ومؤسسات مع الامبريالية التي هي أساس المشكلة وهنالك الانظمة التقدمية التي تتفاوت في صلتها الخارجية بدرجات مختلفة . انا لا اضع النظام في القاهرة مع النظام في العراق على الاطلاق . ومن هنا انا اعتقد انه عندما بدات حركة المقاومة تهاجم الانظمة ككل ودون تحديد ودون وضوح ارتكبت ، او على الاقل ، جنت بعض المثالب التي كان من الممكن ان تتجاوزها فيما لو كانت اكثر تحديدا .

الشيء الثاني في الازمة الذاتية هو عدم الجدية . وانا آسف ان أقول هذا الكلام لانني من المؤمنين ايمانا كبيرا بأن المشكلة الكبرى ليست وضوح الرؤيا وليست ما يقال عن وجود تباين ايديولوجي او تناقض ايديولوجي . انا اعتقد ان مرحلة التحرير الوطني ترفض هذا المنطق ولنا اسوة في اكثر من حركة تحرير وطنية تباشر نضالا الان في فيتنام وفي غيرها ومن جبهات وطنية في امريكا اللاتينية تضم اكثر الفئات تباعدا في بعض الاحيان او على الاقل اكثر مما بين الاخوة في الساحة الفلسطينية من خلافات ايديولوجية . ولكن بالفعل ، وهذه مسؤولية احملها لجميع العاملين في الحقل الوطني، ان الاخوة لم يفرضوا على انفسهم الصبر الضروري لايجاد البرنامج السياسي المرحلي الذي يستطيعون من خلاله ان يمارسوا عملا نضاليا والدليل ان البرنامج السياسي الذي كان يبدو وكأنه مشكلة في المجلس الوطني اذا به اسهل الامور اقرارا وكنت أتمنى ان يكون اصعب الامور اقرارا . ولكن عندما جئنا — وهنا اشارك الاخ غسان واهنؤه على صراحته بالفعل — الى القضية في النهاية وجدنا ان المشكلة هي مشكلة حصة كل فريق ، قضية حصتي في قيادة العمل الفلسطيني . وفي هذا الصدد انتقل مباشرة الى الحديث عن المستقلين الذي اشاره الدكتور نبيل شعث . انه قد لا يدري انني عندما استمع الى اخوة في حركة فتح استمع الى اكثر من رأي . انا لا اعرف أن معنى الالتزام هو أن يكون على معطفي زر فتح او زر الجبهة الشعبية او الديمقراطية او غيرها . التنظيم السياسي

بمعنى انه تنظيم للثورة الفلسطينية ما زال غير موجود وربما يوجد بعض المستقلين واستعير كلمة الاخ منح « مستقلين عن المؤسسات القائمة » لانه يبدو ان بعض التنظيمات لا يعدو ان يكون شلة بدأت عملا واصبحت هي التنظيم . أما اذا تجاوزنا هذه الشلة الى صنوف المقاتلين ، فنجد انه ربما تكون بين جميع صفوف المقاتلين فكرة عن بعض التنظيمات ، ولكن جميع المقاتلين هم مقاتلون تحت راية التحرير الفلسطيني لا اكثر ولا اقل . ومن يعرف ومن هو على تماس فعلي من الاخوة العاملين في الحقل الفلسطيني يجدون هذه الحركة المستمرة من الانتقال بين المقاتلين من تنظيم الى تنظيم . هذه اذن عدم الجدية. هنا اكرر مرة اخرى بأنه لو كان هنالك جدية واحساس بعظم المسؤولية وخطورة المسؤولية فمن المستحيل على الاطلاق ان تقف أية عوائق في طريق تحقيق هذه الوحدة . ولكن ، لكل فصيل من فصائلنا مطالبه في القيادة، وهذه هي المشكلة التي لا ادري كيف يمكن ان نخرج منها . ولكني طبعا لا ارشح اسلوب التصفيات ولا ارشح عمليا اسلوب مسح الفروق النظرية ولكنني ارى، وان كان مثلا مؤلما ان يتخذه الانسان، ارى في الحركة الصهيونية انها استطاعت ان تستقطب وان تنظم العمل بين المنظمات بصيغة واخرى وربما تكون هذه صيغة مناسبة لنا على صعيد المرحلة التي نحن فيها على أمل الخروج بصيغة مميزة تفرضها الظروف المميزة للقضية الفلسطينية .

الاخ بلال تكلم عن التذبذب في التعامل مع النظام الهاشمي وهذا صحيح اشاركه الرأي ولكن الحقيقة المؤلمة انني عندما ابحث في هذا الموضوع فانني مضطر ان أتكلم عن حركات مقاومة وليس عن حركة مقاومة واحدة . ومن هنا كان هذا التذبذب، كان يكون لهذا الفريق رأي وللفريق الاخر رأي وللفريق الثالث راي وكثيرا ما كان ، وهذه حقيقة مؤلمة ، يتفق ثلاثة او اربعة على رأي ولكن هذا الرأي لا يصل الى القواعد . وفي اجواء مثل الاجواء الاردنية كان من السهل على مناضل يحمل بندقية ان يشعل الموقف ، وعندئذ يصبح التصدي مهمة جميع حركة المقاومة بجميع فصائلها . خضنا المعركة مع النظام الاردني لان النظام الاردني ارادها واستثمر خلافاتنا احسن استثمار واستغلها احسن استغلال . نظريا وعلى الكتب انا مع الاخ بلال بما يسميه الريف وان كنت لم ار ريفا حتى الان في الاردن اي انك من جرش ترى ١٢ شجرة ومن ثم تبدأ الصحراء . ربما كانت المزرعة الكبرى في المملكة الاردنية الهاشمية هي الجيش الاردني وما عدا ذلك انا لم أر ريفا وبالتالي ارجو أن لا نقع اسرى تجارب الاخوة المناضلين في مناطق اخرى من العالم حيث هنالك اوضاع طبقية واضحة ويمكن بالفعل توظيفها واستغلالها لمصلحة معركة التحرير الفلسطيني . أنا لا اريد ان اقف موقفا سلبيا من هذه القضية ولكنني اقول أن هنالك بعدا اهم من هذا البعد اثبتته الحركة النضالية وهو البعد القومي . وانني على ثقة بأن المجتمع الاردني القبلي قابل لان يوظف للحركة، لان يقحم في المعركة. من الباب القومي للقضية الفلسطينية. ولكننا آثرنا الحديث عن البعد الطبقي اكثر من اللازم ثم في مجال التطبيق عندما حاولنا ان نطبق بالفعل ، لم نحسن اساليب التطبيق . والاخ بلال لا شك يشاركني بأننا كنا في هذا الموضوع خياليين اكثر مما كنا ممارسين حقيقيين . كنا نظن ان تعليق صورة لزعيم يساري يصبغ ذلك الجزء من الريف بالصبغة اليسارية ، الامر الذي بالفعل استنفر هؤلاء البسطاء ضدنا فباتوا يظنون ان تعليق صورة لينين تعني انه بديل عن سيدنا محمد . وانا اعتقد ان اللينيني الماركسي الواعي كان يجب أن يدرك هذه الامور ، يدرك المرحلة التي يحياها شعب بدائي كشعبنا في الاردن وبالتالي ان يتناول موضوع التثوير الطبقي عن طريق اكثر ملاءمة للوضع القائم هناك . اعتقد ان هذه اهم النقاط فيما يتعلق بالازمة الذاتية . وفيما يتعلق بموضوع الساحة الاردنية انا من المنادين ومن المؤمنين بضرورة تحديد صلاحيات ومهام فريقين في الاردن دون اي شعور ودون اي اندفاع وراء نزعات شوفينية بل من منطق عربي . اقول انه لا بد لاخوتنا في الاردن ان يمارسوا عملا وطنيا وعملا قوميا، وهذا استمرار لخط النضال الذي مارسه الشرق اردنيون قبل حركة المقاومة . لقد عاملنا اخوتنا في الحركة الاردنية كأحد فريقين اما ذيل واما قابض وكلا المعاملتين هي معاملة سيئة بينما كان يجب ان تعزز الحركة الاردنية لانني اؤمن بأن عروبة العمل تفرض اصلا الوجود القطري في خدمة القضية العربية وليست هوية نحملها في جيبنا على الاطلاق .

قبل ان اختم لا بد من الاشارة مؤيدا كلام الدكتور نبيل واريد ان اؤكده هنا وهو دور الولايات المتحدة ودور الامبريالية . أنا اقول ان حركة المقاومة الفلسطينية نضجت وان راينا السلبية فقط فثمة ايجابية ولكن من قبيل وضع الامور في نصابها ومن قبيل رؤية المسار النضالي لحركة المقاومة . لقد كان الحديث في بداية العمل الفدائي عن الولايات المتحدة يعتبر حديثا غير مقبول ومكروه . كان ثمة من يفصل في الثورة الفلسطينية بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة الامريكية ، وانا أتحدى اننا لو عدنا الى الادب الثوري الفلسطيني الذي برز بعد الـ ٦٥ واستمر الى فترة وقبيل روجرز وحتى اثناء روجرز وصدر عن تنظيمات فلسطينية لوجدنا انه يحاول جاهدا ويتأبى ان يذكر الولايات المتحدة او كلمة امبريالية او كلمة استعمار . ربما كان طرح بعض الاخوة في الجبهة الشعبية ، وانا معهم من الناحية السياسية مئة في المئة ، صحيحا الا ان بعض تصرفات اخوتنا في الجبهة الشعبية على صعيد الممارسة لهذا الشعار بأن نضع الاستعمار في صف المجابهة شجعت تيارا مضادا لكي ينعزل نهائيا عن قضية التصدي للامبريالية . أنا اقول ان الامبريالية واسرائيل شيء واحد ولا يمكن فصل اسرائيل عن الامبريالية اي عن الولايات المتحدة الامريكية ومن هنا أعود الى بداية كلمتي لاقول بأن المهمة النضالية لمواجهة ذلك الكيان الاستعماري الصهيوني الاسرائيلي مهمة قومية لاننا بالتالي مطالبون بأن نتصدى للولايات المتحدة الامريكية ، هذا التصدي مع احترامي وتقديري للشعب الفلسطيني وربما هذا المليون لو كان في ظروف اخرى وفي بقعة جغرافية اخرى ، ربما كان بمقدوره ان يتصدى وان ينجح ولكن في القضية الفلسطينية وفي هذا الظرف بالذات، وضمن هذه الصورة المتلاحمة على المصير وفي ظل وجود دول تخاف من ردود الفعل ولها قدرات محدودة على الردع ، او منها من هو متواطىء ، فان القضية تصبح صعبة جدا على الشعب الفلسطيني وحده . من هنا كان التلاحم المصيري بين قضية الثورة الفلسطينية وقضية حركة التحرير العربي . مرة اخرى ، حركة التحرر العربي موجودة بجميع انحاء الوطن العربي اذا كان بعضها ممثلا بأنظمة وكنا مضطرين أن نتعامل معه . كما قلت أن هويتنا تحدد نوعية هذا التعاون ولكننا بنفس الوقت أهملنا التعامل مع حركات التحرر العربي . في دول كالمغرب وغيرها بينما كانت المعارضة الوطنية ونقابات العمال تنتظر بفارغ الصبر ان يأتي مندوب المقاومة الفلسطينية ليقيم معها علاقات نضالية عضوية وسياسية كانوا يجدوننا نذهب من الطائرات الى القصور بدلا من ان نذهب الى هؤلاء الناس وكانت هذه القصور تتعزز مواقفها في ضرب هذه المؤسسات النقابية والعمالية التي هي وحدها مؤهلة لتكون حليفنا في معركتنا ضد الاستعمار .

بلال الحسن : اولا ، بالنسبة لما قال الاخ غسان الذي اتهم حديثي بالتبسيط الميكانيكي لعملية النقد، اعتقد انه من خلال نقده للتبسيط وقع في العمومية الشديدة جدا . واذا كنا نريد ان ننتقد الشعارات وننتقد عقلية الشعارات في حركة المقاومة فيجب ان تنطلق من هذا النقد الى التحليل والا نقع في طريق مسدود ليس له مخرج . الاخ غسان قال انه لا يرى ان هناك خلافات تكتيكية في حركة المقاومة وفي مواقف نضالها وانه يرى المشكلة في التصاق منظمات المقاومة فقط في الهدف الاستراتيجي وانا اخالفه تماما بهذا المفهوم . أنا اقول ان كل الحوار الفلسطيني هو خلاف حول المواقف التكتيكية . لا احد يختلف على الميثاق الوطني الفلسطيني . الميثاق يحدد الاهداف الاستراتيجية الكاملة للنضال الفلسطيني، التحرير، رفض الحلول التصفوية ، ورفض الدولة الفلسطينية العميلة ، الخ ... دائما كان الخلاف حول المواقف التكتيكية ، بشكل أدق حول البرامج المرحلية في كل فترة . ابرز مثل على ذلك هو حوار المجلس الوطني الفلسطيني الاخير . حوار المجلس لم يكن متركزا حول القضايا المصيرية كان متركزا حول البرنامج المرحلي ، البرنامج المرحلي لعمل الحركة الوطنية الفلسطينية في الاردن بشكل خاص باعتبار ان العمل في الاراضي المحتلة ليس مطروحا للنقاش وهذه القضية كانت في منتهى الوضوح . وانا هنا أخالف الاخ شفيق بأنه كان يجب ان يكون البرنامج السياسي اصعب شيء يتفق عليه . البرنامج السياسي الذي دار النقاش حوله في اللجنة المركزية وفي المجلس الوطني لم يتفق عليه . كل ما اتفق عليه هو العموميات التي أمكن استخلاصها من الحوار الفلسطيني الذي دار في المجلس الوطني .

الاخ غسان انتقد الانتقال السريع من القول بالانقسام الافقي الى القول بالانقسام العامودي .

هنا لا اريد ان ارد على النقطة انما اريد ان اقول ملاحظة صغيرة ان القول بالانقسام العامودي ليس رأيا انما هو واقع قائم . هناك الان في المجتمع الاردني انقسام عامودي واضح واذا كنا نريد ان نرفضه فاننا نرفض الواقع ولا نرفض رأيا لاحـد التنظيمات . والذي يذهب الى الاردن يلاحظه في كل الاوساط . هذا الانقسام يريد النظام ان يعمقه وان يبقيه اساسا ونحن نريد سياسات تستطيع أن تتخطاه .

اريد ان ارجع لنقطة الخلافـات التكتيكية واقدم امثلة سريعة عليها : الموقف من مؤتمرات القمة كان خلافا اساسيا في حركة المقاومة ، الموقف من النضال النقابي في الاردن كـان خلافا دائما بين المنظمات الفدائية ، الموقف من تعميق ازدواجية السلطة من خلال المجالس الشعبية كان موضوع صراع دائم في المخيمات بين المنظمات الفدائية . هذه قضايا تكتيكيـة في صلب البرنامج المرحلـي الفلسطيني الذي كان عليه دائما خلافات .

الاخ غسان قال ايضا ان المشكلة هي في رسم المخطط . هذا صحيح انما لم يعـد هذا الحديث وحده ، منذ فترة طويلة ، مقبـولا في الوسط الفلسطيني . مطلوب الانتقال الى مرحلـة ادلاء الرأي في بنود هذا المخطط . قد يكون الرأي الذي يبدى حول بنود هذا المخطط غير مقبول لكن دون الدخول في عملية النقاش هذه لا يمكن الوصول الى نتائج .

بالنسبة للحديث الذي قاله الدكتور نبيل شعث اريد ان ارد اولا على نقطة هامة وردت في حديثه . نقد فهم قولي بأن يتصدى العمـل الفدائي للمشكلات الاجتماعية بأن المطلوب من العمل الفدائي ان يحل هذه المشكلات . الذي قصدته ان المطلوب من حركة المقاومة ان تفهم هذه المشكلات ، ان تطرح برنامجا سياسيا نضاليا لحلها ، تتولد حول هذا البرنامج حركة جماهيرية تناضل هي من أجل هذه الاهداف حتى حين يأتي النظام الاردني ليستغل هذه المشاكل لا تقع الجماهير في فخ المخطط الاردني وحتى عندما تدخل مؤسسات النظام الاردني تدخل وهي في موقف وطني واع تستطيع ان تواجه فيه مخطط النظام .

شفيق الحوت : ما هي مشكلة الريف في الاردن التي تتحدث عنها الجبهة الديمقراطية ؟ هل هي موضوع اقطاع ؟ ام ماذا ؟

بلال الحسن : انت ذكرت نقطـة في حديثك ان المشكلة ليست في الريف ، المشكلة هي في الجيش، اقطاعية الجيش . هذا يضعنـا في صلب مشكلة الريف الاردني . انت تخوض معركـة مع النظام الاردني ، هذه المعركة تحتاج فيها الى تجنيد القوى الجماهيرية ، هذه القوى الجماهيرية بسبب طبيعة الجفاف في الريف الاردني تجد متنفسها الاقتصادي في الجيش فبالتالي ما لم تدخل الى موضوع الريف لتقيم فيه تنظيما سياسيا وما لم تخلق حالة مـن الوعـي في أوساط الريف الاردني فان النظـام سيحاول باستمرار استيعاب ازمة الريف من خلال الجيش ، فيبقى الجيش مؤسسة بيد النظام يضرب بها الحركة الجماهيرية . مدخلك لتطوير العمـل الوطني في الجيش هو في تنبيـه الجندي الفلاح لمشكلته الاقتصادية التي يستغلها النظام لتسخيره ضد الحركة الوطنية .

شفيق الحوت : العمل داخل الجيش الاردني القائم على توعية الجنود والضباط الاردنيين قـد يكون الطريق الانسب من ان تقول للناس هـذا جيش مرتزق او هذا جيش ضد القضية الوطنية وبالتالي لا تدعوا اولادكم يدخلونه .

بلال الحسن : لا تستطيع ان تعالج المشكلة هكذا، انما تعالجها بتوعيتهم حول مشاكلهم الحقيقية في البلد وبأن الجيش هـو مصدر تخدير لحل هذه المشاكل لتخلق حالة وطنية داخل الجيش لا تقف مع النظام . بالنسبة لكلام الاخ نبيل في معرض رده على الدكتور صادق حول الموقفـين الفلسطينيين « البلشفيك والمنشفيك » انا اريد ان اضع القضية في بساطـة : اذا استمر الخلاف حـول المنهاج المرحلي للعمل الوطني الفلسطيني في الاردن فهذا الخلاف قد يؤدي الـى وجود موقفين فلسطينيين وبالتالي الى تكتلين فلسطينيين ، وهذا خطر يجب ان لا نقع به وان نواجهه بدأب في الحوار والتفاهم وصولا الى منهاج واحد حتـى لا تنقسم الحركة الوطنية الفلسطينية .

اما بصدد ما ذكره الاخ غسان عن موضوع العمل ضد اسرائيل واننا نتجاهل هذه القضية فالحقيقة ان ليس من تجاهل لكن يجب ان يكون هناك تركيز على العوائق التي تقف أمام العمل الفدائي في التوجه نحو اسرائيل . هل يستطيع العمل الفدائي الان في الظروف القائمة، وفي ظروف الصراع مع السلطة الاردنية ان يكرس جهوده للعمل ضد اسرائيل من الاغوار ؟ هذا الواقع غير قائم . اصرار النظام

الاردني على التصفية يفرض على العمل الفدائي ان يواجه هذه المعركة . والقضية ليست امنيات. الصورة القائمة حتى الان ان العمل داخل الارض المحتلة يتغذى من الاردن ، غزة لها ظروف خاصة ذاتية ناتجة عن الواقع الوطني الذي عاشت فيه فترة طويلة ، عن وجود تنظيمات مدربة منذ ١٩٥٦ هذا كان موجودا في غزة بينما يفتقد بشكل حـاد بالنسبة للضفة الغربية ، العمل فيها يتغذى من الاردن وتطور العمل في الضفة الغربية مرتبط بحماية ظهر المقاومة وامنها في الاردن .

بالنسبة لما ورد في حديث الاخ شفيق ، مثل فيتنام الذي ذكره حول الوحدة الوطنية مثل براق جدا ويذكر دائما في النقاش لكن في اعتقادي ان هناك خطأ في المقارنة . الواقع القائم في فيتنام ليس قدرة الجميع على استيعاب بعضهم بعضا في جبهة واحدة ، بل هي وجود حـزب قائد استطاع ان يستوعب القضيـة الوطنيـة في البلد ، واستطاع بسبب ذلك ان يضم كل التنظيمات، حتى التنظيمات اليمينية الى جانبه في المعركـة ضد الرجعية في سايغون وضد الامبريالية الامريكية . هذا الوضع غير قائم في الساحة الفلسطينية فالقوى المسيطرة في الساحة الفلسطينيـة لم تستطع حتى الان في برنامجها ان تقوم بعمليـة القيادة لكافة طبقـات المجتمع .

شفيق الحوت : الحزب القائد في فيتنام اصبح قائدا لانه استطاع ان يستوعب . لم يكن هناك حزب قائد ثم استوعب . يعني ان الاستيعاب تم من خلال ممارسته وقدرته وتحليله للوضع ومعرفته واستفادته من القضية ، كان حزبا قائدا بالممارسة واصبح مستوعبا لجميع هذه التنظيمات وهذا ما تفتقر اليه الساحة الفلسطينية .

بلال الحسن : بالنسبـة لتعليق الاخ شفيق على موضوع التذبذب في سياسة المقاومة وقوله انه ينبع من التعدد في المواقف ، ارى ان التذبذب لا ينبع من تعدد المواقف ، بل من سياسة التيار المسيطر على حركة المقاومة كما ينبع من قرارات المجالس الوطنية التي تصاغ بمنطق التسويات فهي لا تعبر عن وجهة نظر واضحة بل هـي قرارات عامـة تساعد على تقديم اكثر من تفسير. مثلا عندما اتخذ المجلس الوطني الاستثنائي قرارا بتحويل الاردن الى « معقل للثورة الفلسطينيـة » وضعت هذه الصيغة هربا من الصيغ المحددة لمعنى معقل الثورة الفلسطينية. هذه الصيغة العامة سمحت بسياسات متناقضة وأبقت امكانيات التذبذب قائمة . بالنسبة لحديثه عن اخطاء اليسار انا اقول ان اليسار وقع في اخطاء والمثل الذي ذكره صحيح . البيئة فيها تخلف سياسي صدمته اساليب في العمل بعيدة عن فهم الواقع وهذا خطأ لكن هذا خطأ في الاسلوب يجب ان لا نسحبه الى الموقف الفكري المطروح .

غسان كنفاني : ليس عندي ما أقوله على الذي قاله بلال لان قراءة الاشياء التي قلتها بشكل كلي هي التي تجعل الخلافات على القضايا الجزئية التي أثيرت محلولة انما انا اعتقد في نهاية التحليل بأنني وبلال لسنا مختلفين حول القضايا التي اجاب عنها بصرف النظر عن الخلاف الشكلي الذي يبدو موضوع عدم الدقة بيني وبينه واعتقد في تفسير او في اعطاء المدى الزمني لكلمة تكتيك واستراتيجية . هناك قضايا ذكرها على اساس تكتيك يمكن ان لا اعتبرها تكتيك بل استراتيجية والذي اريد ان اؤكد عليه ان القضايا التكتيكية تبدو بعيدة جدا عن الولاءات الايديولوجية لكن انا متفق معه ان هناك خلافا في حركة المقاومة على قضايا ايديولوجية . اما بالنسبة لموضوع العمليات في اسرائيل انني لا زلت مصرا على كلمة تبسيط ميكانيكي لانني لم اذكر العمليات ضد اسرائيل كشيء مطلق مجرد قائم بذاته انا ذكرته كبند من بنود ايقاف موجة الانحسار ولم ارتب هذه البنود وراء بعضها ميكانيكيا بل وضعتها بين كل البنود التي عددها الزملاء وانا أضفت اليها قضية تصعيد العمل داخل اسرائيل .

ان في الحركة الوطنية الفلسطينية يمينا ويسارا وأنا أعتقد بأن المشكلة الاساسية القائمة الان هي ان هناك شعورا عاما لدى اليسار بأن اليمين غير قادر على قيادة هذه المرحلة ولكن اليسار غير قادر على التقاط هذه المرحلة وقيادتها . ومن ثم فان اليسار مختلف فيما بينه من الذي يقود اليسار لان اليسـار منقسم على نفسه . هـذا هو الوضع الراهن . انا لا اريد ان ابسط الامور بشكل يبدو ان هناك خلافا على هذه البرامج التكتيكية او تلك. انا اقول مثلا ان القضية الراهنة الان والمتفق عليها من قبل الجميع وتشكل المهمة الرئيسية الان هي صيغة مرحلية للوحدة الوطنيـة تنعكس ببرنامج سياسي وتنعكس في وضع تنظيمي مناسب لهـذا البرنامج السياسي . والهدف المرحلي الراهن الان امامي هو الدفاع عن بقائنا . وانا لا اعتقد انه

يوجد خلاف حول هذه النقطة في هذه المرحلة فماذا الذي يحدث ؟ نحن نعتقد او اليسار الفلسطيني يعتقد بأن برنامج اليمين للايفاء بمهمات هذه المرحلة غير ممكن لانه يجب ان يقود اليسار هذا البرنامج. اليسار الفلسطيني بالذات كي يحسم هذا الموضوع يجب ان يتفق فيما بينه او ينتظر حتى يحدد ميزان القوى فيما بين اطرافه ، من هو الذي يستطيع ان يقود العمل الوطني الفلسطيني ، وبرأيي ان هذه هي المعضلة الجوهرية الان ، وليست الشعارات التكتيكية .

ان البعض يصنف فتح ومنظمة التحرير مثلا في جهة من اليمين ويضع الجبهة الشعبية والصاعقة والديموقراطية في جهة اليسار. انا ضد هذه الفكرة في رسم الخارطة ، لان التقسيم بذلك يكون عصبويا وعشائريا - ان عملية التطور ، عملية التبدل في ميزان القوى بين اليمين واليسار داخل حركة المقاومة عملية مضطربة وتحدث باستمرار . الجزء الذي سيثبت جدارته للقيادة هو الجزء الذي سيبرهن يوميا للجماهير من خلال ممارساته ان الخط الاستراتيجي الذي يتمشى عليه هو الصحيح. هذه قضية لا تقرر في المجلس الوطني الفلسطيني ولا تقرر في اللجنة التنفيذية ولا بالمقالات ولا التصريحات الصحفية. هذه تقرر من خلال الممارسة الميدانية الصبورة والدؤوبة . طبعا انا لا احاول ان اقلل من الخلافات الراهنة ولكنني احاول استكشاف السبب الجوهري الذي يتوقف عليه حسم الوحدة الوطنية الفلسطينية . ليس معنى هذا بأن « اليمين » الفلسطيني لا يستطيع حل مسألة الوحدة الوطنية وانه ليس من الممكن ان تحسم الا اذا صار اليسار هو القائد . لا يمكن لليمين في حالة انحدار اليسار وصغر حجمه ، ان يحرز انتصارا في ميزان القوى مرحليا وان يقوم بعمليات تصفية ، وان يقوم بعمليات مخاطرة وقمع، هناك عدة اساليب تستطيع ان تؤمن هيمنة اليمين على حركة وطنية ما ، وقد حدث ذلك في تجاربنا وفي تجارب عالمية ، كما عندي شعور ، انه فيما عدا حدوث تغير في ميزان القوى داخل حركة المقاومة ، فان مسألة الوحدة الوطنية لا يمكن حلها بسهولة ، وهذا التغيير الذي أقصده ليس تفوق طرف على طرف ، ولكن مجمل التطورات الذاتية والموضوعية داخل وخارج مجموع فصائل حركة المقاومة . اننا في وضع معقد ومتشابك ، واعتقد ان صيغة الجبهة الوطنية الفيتنامية غير صالحة لنا لسبب بسيط هو ان الحركة الوطنية الفلسطينية بالتوازن بين اطرافها وبين برامجها لا تتشابه مع فيتنام ولا الصين لان الوضع داخل الحركة الوطنية الفلسطينية لا يزال حتى الان عاجزا عن ان يعكس نفسه في برنامج عمل متفق عليه . وهذه عملية مستمرة تخضع للتطور . وطبعا اذا حاول الانسان ان يجري تقديرا « لكمية » التحول التي حدثت في صراع الارادات داخل حركة المقاومة الفلسطينية في السنوات القليلة الماضية لتبين ان مقدارا مرموقا من التحسن قد طرأ ، ولا شك انه سيستمر .

نبيل شعث : لقد توصلت الاطراف المختلفة في المجلس الوطني الاخير ، وقد يكون هذا انجازه الاساسي الى برنامج عمل مرحلي ووفق عليه بالاجماع وهو برنامج حد ادنى مثالي ، واتفق الجميع على مهمات مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي التي نمر بها وبالتالي فعلى التنظيمات الثورية الفلسطينية ان تسعى بكل جهدها وفي اقرب فترة ممكنة الى تحقيق بنية تنظيمية وحدوية فعالة تضم كافة الفعاليات العسكرية والسياسية والمالية تحت قيادة موحدة وفي اطار قادر على استمرار الثورة وتصعيد عملياتها وزيادة قدرتها على التصدي للاعباء الجسام وللمخاطر الكبيرة التي تنتظرها ودون ذلك لا يبقى يمين ولا يسار .

الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة

فؤاد حمدي بسيسو

هذه الدراسة هي أول دراسة تنشر بالعربية عن الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة (دون التوسع في الاثار الاخرى ، من سياسية وعسكرية ونفسية واجتماعية) . واننا اذ ندرك مدى حساسية هذا الموضوع واهميته القصوى ، نؤكد على ان ما جاء فيه هو اجتهاد فردي مبني على المعلومات المتوافرة القليلة ، وهو يعكس راي كاتبه فقط ، ولا يلزم اسرة التحرير ولا البنك المركزي الاردني حيث يعمل الكاتب ولا د. تيسير عبدالجابر الذي وضعت الدراسة باشرافه . كما واننا نرحب باية تعليقات حول الموضوع او اية معالجات مستقلة له سواء من الجانب الاقتصادي او/والجانب السياسي واية جوانب اخرى .

« التحرير »

كان الابقاء على الجسور الاردنية مفتوحة بعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية من الاردن من الجوانب الملحوظة التي تلت عدوان ١٩٦٧ ، والتي لم تلق حتى الان اية دراسة متعمقة، وذلك بالرغم من الحاح وضرورة التعرف على آثارها ، وما قد يترتب عن اغلاقها اذا قام العدو بذلك . او ما يترتب على هذا الاغلاق اذا اتخذت السلطات الإردنية مثل هذا الاجراء . ولا يخفى ان بقاء الجسور مفتوحة يعني تحرك عناصر الانتاج والسلع بين المناطق المحتلة والضفة الشرقية ، ضمن حدود سياسات كل من الاردن واسرائيل وقيودها على حرية الحركة عبر الجسور . مما سيترتب على ذلك التأثير على اتجاهات الاقتصاد الاردني بضفتيه . والهدف الرئيسي لهذا البحث التعرف على الاثار الاقتصادية العامة الناجمة عن سياسة فتح الجسور الاردنية ، وذلك بالنسبة لكل من الاقتصاد الاردني بضفتيه والاقتصاد الاسرائيلي . ولقد ووجهنا بنقص في المعلومات والاحصاءات المتوفرة عن التحركات الاقتصادية عبر الجسور الاردنية . ولقد حاولنا حصر اقصى قدر من هذه المعلومات عن طريق الاجهزة الرسمية والمجلات العلمية وبعض المصادر العلمية الاسرائيلية ، كما قمنا بزيارة شخصية لمنطقة الجسور الاردنية لمدة ثلاثة ايام لاغراض الدراسة .

المبحث الاول : اقتصاديات الضفة الغربية

اولا : اقتصاديات الضفة الغربية والاقتصاد الاردني : بلغ عدد سكان الضفة الغربية من الاردن في نهاية عام ١٩٦٦ حوالي ٩٨١ الف نسمة من اصل سكان المملكة البالغ عددهم مليونين ومئة الف نسمة ، اي ما نسبته ٤٧٪ من مجموع السكان. وتبلغ مساحة الاراضي الزراعية للضفة الغربية ما نسبته ٣٢٪ من مجمل المساحة الزراعية في المملكة مساهمة بما نسبته ٨٠٪ من المساحة المزروعة نواكه وما نسبته ٤٥٪ من مجمل المساحة المزروعة خضروات و٢٥٪ من المساحة المزروعة حبوبا و٣٥٪ من عدد المواشي والدواجن الموجودة في المملكة .

اما مساهمتها في الانتاج المحلي للمملكة لمختلف القطاعات الاقتصادية فقد كانت حسب معدل ١٩٥٩ — ١٩٦٥ كما يلي(١): الزراعة ٣٤ — ٤٠٪، الصناعة ١٨ — ٢٠٪ ، الانشاءات ٣٠ — ٣٥٪ ، الكهرباء والمياه حوالي ٣١٪ ، النقل ٤٥ — ٥٠٪، تجارة الجملة والمفرق ٤٠ — ٤٥٪ ، البنوك

والصيارفة والتأمين ٣٥ — ٤٠٪(٢) ، ملكية المساكن ٤١٪ ، الادارة العامة والدفاع ١٥ — ٢٠٪ ، الخدمات ٥٠ — ٦٠٪ .

يضاف الى هذه المساهمات الرئيسية في الاقتصاد الاردني انتاجها لما نسبته ٨٠ — ٩٠٪ من انتاج زيت الزيتون في الاردن . ولهذه المادة اهمية اقتصادية بالنسبة للتصدير وللصناعات الزراعية. كما تشكل الضفة الغربية المورد الرئيسي للدخل من السياحة وتحويلات الاردنيين العاملين في الخارج ، حيث ساهمت الضفة الغربية قبل عدوان ١٩٦٧ بما نسبته ٨٠ — ٩٠٪ من دخل السياحة للاردن وما نسبته ٩٠٪ من تحويلات العاملين الاردنيين في الخارج . وقد ساهم الدخل السياحي والدخل من تحويلات العاملين في الخارج للاردن خلال عام ١٩٦٦ بما نسبته ٦٨٪ من اجمالي دخل الصادرات من الخدمات للاردن(٣). وهناك نوع من المساهمة غير المباشرة للضفة الغربية في الاقتصاد الاردني تتركز في كونها سوقا حيويا للعديد من المنتجات الصناعية الاردنية ، خاصة الموجودة في الضفة الشرقية مثل المنتجات البترولية والاسمنت والاقمشة والادوية والجلود ومسحوق الصابون ، كما تعتبر سوقا رئيسيا لقطاعات النقل والتجارة المالية والخدمات .

ثانيا : اقتصاديات الضفة الغربية والاقتصاد الاسرائيلي : فيما يتعلق بالقطاع الزراعي يلاحظ ان نموه في اسرائيل يواجه بمشكلة نقص كل من المياه والتربة. ولذلك يجري التركيز على الزراعة الكثيفة كما يجري الاهتمام بزيادة انتاج انواع معينة من الفواكه والخضروات سواء منها ما يلزم للصناعة المحلية او لمواجهة اهداف زيادة حجم الصادرات، ويجري التركيز بصورة خاصة على انتاج منتجات فصل الشتاء والربيع . وبالنسبة للقطاع الزراعي في الضفة الغربية فرغم ان مستوى تطوره ينخفض عن مستواه في اسرائيل فانه يرتفع عن غيره من الدول النامية مما يتيح لاسرائيل امكانية تطوير هذا القطاع ، ويدعم ذلك استعداد المزارع في الضفة الغربية لتقبل التغيير(٤). كما تتوفر الفرصة لاسرائيل لانجاز عملية الزراعة الكثيفة خاصة في منطقة الاغوار التي تتميز بارتفاع انتاجيتها ، كما يمكن ادخال زراعة المحاصيل الصناعية والتصديرية والتوسع فيها ، مثل القطن والبندورة والباذنجان والدخان والسمسم .

وفي ميدان التجارة تتوفر فرصة حيوية لتصدير بعض منتجات الضفة الغربية للاسواق الخارجية عن طريق اسرائيل ، خاصة فيما يتعلق بالخضروات، والاستيراد من اسرائيل لبعض المنتجات الزراعية. وفيما يتعلق بالصناعة في الضفة الغربية فهي لا تزال في مراحلها الاولى للتنمية وتقتصر على صناعات الخدمات كتوليد الطاقة الكهربائية والمياه والصناعات الزراعية التي تعتمد على الانتاج المحلي كالدخان والصابون والمعلبات الغذائية والصناعات اليدوية السياحية كصناعة خشب الزيتون والتطريز والموبيليا(٥). ان ذلك يعني توفير ميدان تسويق حيوي للصناعة الاسرائيلية في الضفة الغربية لتحل محل كل من صناعات الضفة الشرقية والمستوردات الصناعية من الخارج . وبالنسبة لعوامل الانتاج يلاحظ وبصورة خاصة بالنسبة للعمالة انخفاض مستويات الاجور في الضفة الغربية عن مستواها في اسرائيل . ان ذلك يمنح الفرصة للاستفادة من خدمات العمال العرب وتشغيلهم في المناطق الزراعية والصناعية الاسرائيلية ، مما يساهم في تلطيف حدة الارتفاع في مستوى الاجور في اسرائيل ، وسد الثغرة الناجمة عن النقص النسبي في العمالة الاسرائيلية وبصورة خاصة في اوقات التعبئة(٦).

ثالثا : اقتصاديات قطاع غزة : تتميز اقتصاديات قطاع غزة بكون القطاع الزراعي يحتل المرتبة الاولى بالنسبة لبقية القطاعات من حيث المساهمة في كل من الانتاج والعمالة ، حيث يساهم بحوالي ثلث الانتاج القومي الاجمالي وبنسبة مرتفعة من العمالة الكلية في القطاع(٧). وينتج القطاع الزراعي الحمضيات والتي تعتبر المحصول الرئيسي والتصديري للقطاع ، وبعض المنتجات الاخرى من الفواكه والخضروات وفق الجدول رقم ١ .

وتشكل الحمضيات المورد الرئيسي لدخل القطاع من العملات الاجنبية ومحصوله النقدي التصديري الرئيسي . فقد بلغت نسبة الصادرات من الحمضيات خلال عام ١٩٦٣ حوالي ٨٩٪ من اجمالي الصادرات(٨). وتنخفض اسعار حمضيات قطاع غزة عن اسعار الحمضيات الاسرائيلية بما نسبته ٢٥ — ٤٠٪ ، كما تنخفض هذه الاسعار عن اسعار الحمضيات اللبنانية بنسبة ملحوظة .

وفيما يتعلق باحتمالات التجارة مع الاردن يمكن اعتبار القطاع مصدرا لعبور العديد من المنتجات

الجدول رقم (١)
الانتاج الزراعي لقطاع غزة
١٩٦٧ — ١٩٦٨

	القيمة/بالالف ليرة اسرائيلية	الكمية/ بالطن
الانتاج	٥٢،٣٠٠	
المحاصيل/الاجمالي	٣٩،٥٣٠	
المحاصيل الحقلية	٧٠٠	
الخضروات	٧،٦٠٠	٣٣،٠٠٠
البطيخ والقرع	٢،٠٥٠	٨،٠٠٠
الزيتون	١،١٨٠	١،٥٧٠
الحمضيات	٢٢،٤٠٠	٩٢،٢٠٠
فواكه أخرى	٥،٦٠٠	١٤،٧٠٠
حيوانات حية ومنتجاتها	١١،٧٠٠	
اللحوم	٤،١٥٠	١،٩٠٠
الحليب	٣،٧٠٠	٧،٨٠٠
السمك	٢،٨٠٠	٣،٧٠٠
اصناف اخرى	١،٠٥٠	—

المصدر : Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel 1969, No. 20, Table X/9, p. 639.

الزراعية للجسور الاردنية متجهة للضفة الشرقية، وبصفة خاصة الحمضيات والجوافة واللوز والبلح وبذر الخروع والاسماك .

المبحث الثاني : السياسات الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية :

تتابع سلطات الاحتلال في سياساتها الاقتصادية تحقيق اهداف اقتصادية عامة : (١) دفع الاقتصاد في الضفة الغربية للنمو في ظل ظروف سلمية كجزء من خطة لجعل الادارة الاسرائيلية لهذه المناطق تنفذ مخططاتها بسهولة . ويندرج تحت هذا الهدف محاولة تقليل نسبة البطالة وتشجيع مختلف النشاطات الزراعية والصناعية والتجارية ومساعدتها. وتعتقد الادارة الاسرائيلية ان التعامل مع الشعب العامل وادارته يكونان اسهل مما عليه الحال مع الشعب العاطل(٩). (٢) تحقيق نوع من التنسيق الاقتصادي مع الاقتصاد الاسرائيلي ، يمكن ان ينمو باتجاه عملية التكامل بين الاقتصادين بصورة تدريجية(١٠)، ويهدف في نفس الوقت الى توجيه الاقتصاد بما يتفق ومواجهة احتياجات الاقتصاد الاسرائيلي الاستهلاكية والصناعية والتصديرية . وبينما يعارض المسؤولون الاسرائيليون في تحقيق الدمج الاقتصادي بين الاقتصادين — والذي يعني حرية التنقل للطاقة البشرية العاملة والبضائع وعوامل الانتاج الاخرى ، مما يعني بصورة غير مباشرة ضم هذه المناطق لاسرائيل ، وهو قرار سياسي على درجة من الخطورة — فانهم يؤيدون سياسة التنسيق الاقتصادي بينهما . ويعتقد ايجال الون نائب رئيسة الوزراء ان الدمج الاقتصادي في الظروف الحالية سيقع على كاهل اسرائيل من الناحية الاقتصادية(١١) . وعلى اية حال فان السياسة الاقتصادية الاسرائيلية تتركز ، في المرحلة الحالية على الاقل ، حول تحقيق التعاون والتنسيق الاقتصادي بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد المناطق المحتلة . (٣) محاولة تخفيف الاعتماد على اقتصاد الضفة الشرقية سواء من الناحية التمويلية او التسويقية ، وذلك بصورة تدريجية(١٢).

اولا : السياسة الزراعية : اهدافها :

(١) تقليل الاعتماد على الضفة الشرقية بصورة تدريجية ، وذلك من حيث فرص التسويق لمنتجات الضفة الغربية الزراعية(١٣) ولذلك يجري باشراف وزارة الزراعة الاسرائيلية وادارة المناطق المحتلة تقليل المساحات المزروعة من البطيخ والشمام وغيرها من المنتجات التي تعتمد ، بصورة رئيسية، في تسويقها على أسواق الضفة الشرقية . وذلك مرتبط بهدف تحقيق التكامل التدريجي بين القطاع الزراعي في كل من الضفة الغربية واسرائيل . ولذلك تجري عملية التخصص في أنواع معينة من المنتجات للاستفادة من مزايا التخصص النسبي(١٤). هذا وقد لوحظ ان وزارة الزراعة الاسرائيلية قد أعدت خطة لمعالجة مشكلة الانتاج الزراعي للضفة الغربية في حالة اغلاق الجسور بصورة مفاجئة، وقد راعى المخططون الاسرائيليون عند تقديرهم لكميات الانتاج الزراعي في الضفة الغربية لسنة ١٩٧٠/١٩٦٩ امكانية اغلاق الجسور . فكل ناتج يسوق في الضفة الشرقية أوجد له المخططون سوقا اخرى لتصريفه عند اغلاق الجسور . والمنتجات الزراعية الرئيسية التي تسوق في الضفة الشرقية هي البندورة ، والثمار الحمضية من قطاع غزة ، والعنب والزيتون .

فالبندورة يمكن تسويقها في اسرائيل للاستهلاك المحلي وللصناعة ، أما الحمضيات فيمكن تصديرها الى أوروبا وتصنيع بعضها في اسرائيل ، بينما يمكن تجفيف العنب وتسويق قسم منه في قطاع غزة ، كما يمكن تصدير الزيتون الى اوروبا من الموانىء الاسرائيلية(١٥).

(٢) تلبية احتياجات الاقتصاد الاسرائيلي : سواء من حيث الاحتياجات الاستهلاكية ، او باعتبار المنتجات محاصيل صناعية تموّن الصناعة الاسرائيلية ببعض احتياجاتها او للاحلال محل المستوردات الاسرائيلية من الاسواق الخارجية ، وفي ضوء هذه الاهداف يجري تشجيع انتاج كل من القطن والسمسم والدخان والبندورة التيتستخدمها المصانع الاسرائيلية ، كما يجري تشجيع انتاج الحبوب والحمص لمواجهة احتياجات الاستهلاك ، وتشجيع منتجات التصدير للاسواق الخارجية خاصة الخضروات والحمضيات واللوز والقطن(١٦). وقد شرع فعلا خلال عام ١٩٦٨ بتقديم أنواع غرسات جديدة لمزارعي الضفة الغربية لزراعة ما تحتاجه السوق الاسرائيلي .

(٣) تنمية القطاع الزراعي في الضفة الغربية لتحقيق حالة من العمالة العامة ، ومواجهة احتياجات الاستهلاك المحلي وتحقيق دخل مناسب للمزارع في الضفة الغربية(١٧) وتحقيقا لذلك تراعي الخطط الزراعية التركيز على زراعة المنتجات الزراعية في الاراضي ذات الغلة المرتفعة نسبيا ، كما في منطقة الاغوار ، وكذلك التخصص في الزراعة التي تعتمد على العمالة الكثيفة وانتاج المنتجات التي تسوق أما في اسرائيل او في الاسواق الخارجية .

وتحقيقا للاهداف المذكورة تقوم الادارة الاسرائيلية بتسهيل تدريب المتخصصين الزراعيين من ابناء الضفة الغربية في اسرائيل وتعريفهم بنظريات الانتاج الحديثة واساليبها ، وتقدم للمزارع مختلف التسهيلات المتعلقة بالبذور والاسمدة والمبيدات .

ثانيا : السياسة المالية : استمر النظام الضريبي في الضفة الغربية على النظام الضريبي الاردني ، مع تغيير لاسعار الضريبة لتتكيف في مستوياتها مع اسرائيل(١٨). وعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة الضريبة على انتاج كل من الصابون والزجاج والبلاستيك من ٧٫٥٪ الى ١٥٪ ، وارتفعت نسبة الضريبة على المنسوجات من صفر الى ١٥٪(١٩). هذا وتوضع ميزانية خاصة بالمناطق المحتلة تخضع لضرورة اقرارها من اللجنة المالية في الكنيست الاسرائيلي ، ويفرد فيها جزء خاص للضفة الغربية (اليهودية والسامرة ، بالتعبير الاسرائيلي) .

وتسلم القروض الى البلديات عن طريق المجالس المحلية وعددها ٢٢ مجلسا في الضفة الغربية ، يقدم كل مجلس محلي تقريرا ماليا شهريا الى الادارة العسكرية ، ويقوم بتنفيذ مختلف الانشطة وفقا للميزانية المقررة(٢٠). وقد جرى تعديل موعد السنة المالية وفقا للسنة المالية الاسرائيلية والتي تبدأ في نيسان وتنتهي في نهاية آذار. ويجري تمويل معظم موازنات الضفة الغربية من فائض الميزانية الاسرائيلية ، بينما يمول الربع فقط من الموارد المحلية للضفة الغربية(٢١). فقد لوحظ انه بينما بلغت مخصصات موازنة ١٩٦٩/١٩٧٠ للمناطق العربية المحتلة حوالي١٦٢٫٣ مليون ليرة اسرائيلية فقد تمت تغطية ما يعادل ٣٩ مليون ليرة اسرائيلية فقط (٢٤٪) كدخل من المناطق العربية المحتلة ، توزعت مصادرها حسب ما يرد في الجدول ٢ .

الجدول رقم (٢)

	مليون ليرة اسرائيلية
الدخل من الاملاك والاعمال التجارية	١٫٧
الرسوم على انتاج السجاير والمشروبات وغيرها من المنتجات	١٥٫٨
الضرائب غير المباشرة مثل الرسوم الجمركية ورسوم الطوابع	٧٫٦
رسوم النقل والمحاكم	٣٫٢
الضريبة على الاملاك والاعمال التجارية (التي تحول الى البلديات)	٢٫٧
الدخل المنتظم من خدمات البريد والتليفون والقروض المسددة	٨٫٠
	٣٩٫٠

المصدر: The Israel Economist, May-June 1969, p. 175.

ويلاحظ ان الاهداف الاقتصادية تستحوذ على اقل نسبة من الانفاق بالمقارنة مع الاهداف الاجتماعية والمتطلبات الادارية ، فقد استحوذت الاهداف الاقتصادية على ما نسبته ١٨٫٧٪ ، ١٨٫٩٪ من اجمالي النفقات التي خصصت للضفة الغربية في موازنتي ٦٨/٦٩ ، ٦٩/٧٠ على التوالي ، بينما

استوعبت الاهداف الادارية والاخرى ما نسبته ٢٢،٥٪ في كل من الميزانيتين المذكورتين ، واستوعبت المتطلبات الاجتماعية ما نسبته٥٨،٨٪ ، ٥٥،٦٪ من الموازنتين المذكورتين (انظر الجدول رقم ٣) . ومما تجدر ملاحظته ان للمستثمر الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة بعض تسهيلات تقدم له لاقامة مشاريع فيها ، اهمها منحه قرضا من بنك التنمية الصناعي بقيمة نصف الاستثمار في الاصول الثابتة وبفائدة ٩٪ وهو اقل سعر فائدة لمثل هذه القروض في اسرائيل(٢٢).

الجدول رقم (٣)
ميزانية اسرائيل للضفة الغربية حسب البنود الرئيسية

(بالنسب)

الاهداف	١٩٦٨/١٩٦٩	١٩٦٩/١٩٧٠
الاهداف الاقتصادية	١٨،٧	١٨،٩
المتطلبات الاجتماعية	٥٨،٨	٥٥،٦
الادارية والاخرى	٢٢،٥	٢٥،٥
الاجمالي	١٠٠	١٠٠

المصدر : The Military Administration of the Administered Areas, op. cit., p. 6.

ثالثا : السياسة المصرفية : تتحرك السياسة المصرفية لاسرائيل في الضفة الغربية في اطار اهداف التكامل التدريجي بين قطاعات الضفة الغربية الاقتصادية وقطاعات الاقتصاد الاسرائيلي ومحاولة عزلها تدريجيا عن ارتباطاتها المصرفية في الضفة الشرقية ، وفتح مجالات للتوسع في النشاط المصرفي للمصارف الاسرائيلية في منطقة الضفة الغربية . وفي ضوء هذه التطلعات لا تبدي السلطات الاسرائيلية رغبة في تمكين فروع البنوك الاردنية في الضفة الغربية من استئناف انشطتها المصرفية وتقديم خدماتها للمواطنين. ولدى ضغط المؤسسات الدولية (خاصة صندوق النقد الدولي) عليها ، يلاحظ ان سياستها تتركز في ضرورة قيام هذه الفروع بتسوية حساباتها وتحصيل ودائعها لدى مراكزها الاصلية في الضفة الغربية ، وحصولها على مختلف الوثائق المتعلقة بها، تمهيدا لاستقلالها التام عن مراكزها الاصلية في الضفة الشرقية ، مع وجود اشراف مباشر من مفتش البنوك الاسرائيلي، ونوع من الحماية ضمنها لها بنك اسرائيل في القدس (البنك المركزي الاسرائيلي) . ويستخدم الاسرائيليون دائما شرط تحرير فروع البنوك من كل تبعية او ارتباط بدولة لا تقيم علاقات منتظمة مع اسرائيل بصفة عامة . كما تشترط على فروع البنوك في الضفة الغربية حظر اجراء المعاملات بين بعضها لصالح حساب دولة لا تقيم مع اسرائيل مثل هذه العلاقات .

ويلاحظ فيما يتعلق بسياسة الاقراض الاسرائيلية في الضفة الغربية انها تركز على منح القروض لتمويل المشاريع العامة ومشاريع الخدمات بشروط اسهل من شروط منحها لاغراض التجارة . فبينما تمنح القروض للمشاريع غير التجارية لمدة ثماني سنوات وبفائدة مقدارها ٦٪ ، فان القروض التي تقدم للمشاريع التجارية تكون لمدة خمس سنوات وبفائدة مقدارها ٨٪(٢٣). مع العلم بأن المشاريع غير التجارية تتركز في مشاريع الطرق وتأسيس خدمات الكهرباء والمياه .

رابعا : السياسة العمالية : يعتبر النقص في العمالة المدربة من المشاكل الرئيسية التي تواجه الاقتصاد الاسرائيلي على اثر حرب حزيران ١٩٦٧. ولا زالت هذه المشكلة حتى الان بفعل سياسة التعبئة الشاملة ووصول الاقتصاد الى مرحلة قريبة من العمالة الكاملة . لذلك اتجهت ادارة السياسة الاقتصادية لاسرائيل للاستفادة القصوى من الطاقة العمالية العربية لمواجهة احتياجات النمو الاقتصادي في ظل ظروف اقتصاديات الحرب والتعبئة(٢٤). خاصة وان مستوى الاجور للعمال العرب في المناطق العربية المحتلة يقل كثيرا عن مستواه في اسرائيل . لهذا فقد قامت الادارة العسكرية في الضفة الغربية بفتح مكاتب عمل في كل من الخليل ورام الله وجنين وقلقيلية وطولكرم ونابلس وبيت لحم ، تتولى هذه المكاتب تسجيل اسماء الباحثين عن عمل وتأكيد حقهم في العمل ، ومن ثم توجيههم لفرص العمل داخل المناطق العربية المحتلة واسرائيل(٢٥). ويقوم العمال العرب في الضفة الغربية بالاشتغال في الاعمال العامة كمشاريع الطرق واعمال الصيانة للمدارس والمستشفيات ، وبالنسبة لاسرائيل يشتركون في اعمال تجميع الحمضيات وقطفها والتشجير والبناء والصناعة الخفيفة كصناعة التعليب والتغليف . وقد بلغ عدد العمال العرب العاملين في اسرائيل حتى ١٩٧٠/٢/٢٠ (٢٠) الف عامل منهم (١٤)

الف عامل من الضفة الغربية والباقي من قطاع غزة(٢٦). ولا يخشى من منافسة العمالة العربية في اسرائيل للعمالة الاسرائيلية وذلك لكونها تمثل نسبة ضئيلة منها .

المبحث الثالث : التجارة عبر الجسور الاردنية :

تبع عملية فتح الجسور الاردنية بين الضفتين الشرقية والغربية استمرار قيام حركة تجارة نشيطة بينهما . وقد تأثرت هذه التجارة بطبيعة العلاقات التجارية الاسرائيلية مع الضفة الغربية وحركة التجارة بينهما . لذلك سنقوم بتحليل حركة التجارة بين الضفة الغربية واسرائيل وبين الضفتين الشرقية والغربية ، في كلا الاتجاهين .

اولا : التجارة الاسرائيلية مع الضفة الغربية :
منذ آب ١٩٦٧ لجأت اسرائيل الى تبني سياسة حرية التجارة في حركة السلع من اسرائيل الى الضفة الغربية عن اعتقاد بأن اسواق الضفة الغربية تشكل مجالا رحبا لاستيعاب المنتجات الصناعية الاسرائيلية ، كذلك انتهجت نفس السياسة بعد شهرين فيما يتعلق بحركة السلع من الضفة الغربية الى اسرائيل ما عدا فيما يتعلق باستيراد المنتجات الزراعية للضفة الغربية الى اسرائيل(٢٧). والتحفظ الذي تبديه اسرائيل امام حرية استيراد المنتجات الزراعية اليها يكمن في هيكل الاسعار المختلف بالنسبة لمنتجات الطرفين الزراعية ، حيث تعتبر مستويات الاسعار في الضفة الغربية منخفضة نسبيا عنها في اسرائيل مما يهدد بمنافسة قوية للانتاج الزراعي الاسرائيلي .

وقد سجلت حركة التجارة بينهما نشاطا ملحوظا خلال عام ١٩٦٩ حيث زادت قيمتها بنسبة ٢١٪ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ . ويلاحظ ان نشاط التجارة بينهما يتركز في حركة الاستيراد للضفة الغربية من اسرائيل والتي ارتفعت بمعدل ٢٩٪ خلال عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ (انظر الجدول رقم ٥) . ويلاحظ ان نشاط حركة الاستيراد من اسرائيل يتركز في المنتجات الصناعية التي ارتفعت بما نسبته ٤٨٪ خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ ، وقد شكلت الواردات الصناعية للضفة الغربية من اسرائيل ما نسبته ٨٣٪ ، ٨٢٪ من اجمالي المستوردات لعامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ على التوالي . ويلاحظ ان المستوردات الزراعية من اسرائيل هي في مستوى ثابت نسبيا اقرب الى التراجع منه الى التزايد (انظر الجدول رقم ٤) . وتتركز المستوردات الصناعية للضفة الغربية من اسرائيل في المنسوجات والمواد البلاستيكية والجلود والمنتجات البترولية والمواد النثرية(٢٨).

وبالنسبة لصادرات الضفة الغربية لاسرائيل يلاحظ بأنها قد مالت نحو الانخفاض خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ وبنسبة بلغت ٨٪ ، وقد تركز هذا الانخفاض في المنتجات الزراعية التي لا تشجع اسرائيل استيرادها من الضفة الغربية ، بينما سجلت الصادرات الصناعية من الضفة الغربية الى اسرائيل زيادة طفيفة وبنسبة ٣٪ (انظر الجدول رقم ٥) . ويلاحظ ان صادرات الضفة الغربية الصناعية لاسرائيل تركزت في المنتجات الاثرية والتحف والمنتجات اليدوية والاحجار. وتركزت الصادرات الزراعية في الزيتون للاستهلاك المحلي والعنب لصناعة الخمور والخيار لصناعة التعليب . (انظر الجدول رقم ٦) مع ملاحظة ان الصادرات من هذه المنتجات قد شكلت ما نسبته ١٣٪ في المتوسط من انتاجها الكلي ، وما نسبته ٧٪ من الانتاج الزراعي الكلي . (انظر الجدول رقم ٦) .

وقد سجل الميزان التجاري بين الضفة الغربية واسرائيل ، ومنذ قيام هذه التجارة ، فائضا آخذا في التزايد بصورة ملحوظة لصالح اسرائيل . فقد ازداد هذا الفائض من ٩٫٢ مليون دينار خلال عام ١٩٦٨ الى ١٨٫٩ مليون دينار خلال عام ١٩٦٩ ، وبنسبة مقدارها ١٠٥٪ . ورغم ان كلا من التجارة في المنتجات الزراعية والصناعية للضفة الغربية مع اسرائيل تسجل عجزا في الميزان التجاري ، فان المنتجات الصناعية هي المسؤولة عن المعدل الكبير للعجز (انظر الجدول رقم ٤) . ففي الوقت الذي سجلت التجارة في المنتجات الصناعية عجزا مقداره ١٥٫٩ مليون دينار لصالح اسرائيل خلال عام ١٩٦٩ ، فقد سجلت التجارة في المنتجات الزراعية عجزا مقداره ٣٫١ مليون دينار لنفس العام . ويلاحظ ان العجز في ميزان التجارة بين اسرائيل والضفة الغربية يمول في جزء رئيسي منه عن طريق فائض حساب الخدمات بينهما لصالح الضفة الغربية ، والمسؤول عن هذا الفائض نفقات الاسرائيليين السياح في الضفة الغربية ، ودخل العاملين العرب في اسرائيل. فقد لوحظ ان فائض حساب الخدمات قد مول في عام ١٩٦٨

حوالي نصف عجز الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل (انظر الجدول التالي رقم ٧) . علما بأن الجزء الباقي من الفائض التجاري لصالح اسرائيل يجري تمويله عـــن طريق نفقات الادارة العسكرية الاسرائيلية في الضفة الغربية وتحويلات كل من الحكومة الاردنية ووكالـــة الامم المتحدة لموظفيهم في الضفة الغربية وتحويلات العاملـــين الاردنيين في خارج الضفة الغربية لذويهم فيها .

الجدول رقم (٤)

احصاءات التجارة للضفة الغربية (بالارقام المطلقة) (بالمليون دينار)

	١٩٦٧	١٩٦٨			١٩٦٩*		
	تموز كانون ١	كانون ٢ حزيران	تموز كانون ١	١٩٦٨	كانون ٢ حزيران	تموز كانون ١	١٩٦٩
١ ــ تجارة الضفة الشرقية مع الضفة الغربية	٣،٦	٣،٤	٣،٩	٧،٣	٤،١	٣،٨	٧،٩
صادرات الضفـــة الشرقية للضفـــة الغربية	٠،١	٠،٥	١،٣	١،٨	١،٢	١،٣	٢،٥
منتجات زراعية	—	٠،٤	٠،٩	١،٣	٠،٩	٠،٨	١،٧
منتجات صناعية	—	٠،١	٠،٤	٠،٥	٠،٣	٠،٥	٠،٨
واردات الضفة الشرقية من الضفة الغربية	٣،٥	٢،٩	٢،٦	٥،٥	٢،٩	٢،٥	٥،٤
منتجات زراعية	١،٢	١،٦	١،٠	٢،٦	١،٦	١،٤	٣،٠
منتجات صناعية	٢،٣	١،٣	١،٦	٢،٩	١،٣	١،١	٢،٤
الميزان التجاري للضفة الشرقية مع الضفة الغربية	—٣،٤	—٢،٤	—١،٣	—٣،٧	—١،٧	—١،٠	—٢،٧
٢ ــ تجارة الضفة الغربية مع اسرائيل	٥،٥	٩،٢	١٣،٦	٢٢،٨	١٣،٤	١٤،٣	٢٧،٧
صادرات الضفة الغربية لاسرائيل	٠،٧	١،١	٣،٧	٤،٨	٢،١	٢،٣	٤،٤
منتجات زراعية	—	٠،١	١،٥	١،٦	٠،٣	٠،٨	١،١
منتجات صناعية	—	٠،٩	٢،٣	٣،٢	١،٨	١،٥	٣،٣
واردات الضفة الغربية من اسرائيل	٤،٨	٨،١	٩،٩	١٨،٠	١١،٣	١٢،٠	٢٣،٣
منتجات زراعية							
منتجات صناعية	٣،٨	٦،٢	٦،٧	١٢،٩	٩،٤	٩،٧	١٩،١
الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل	—٤،١	—٧،٠	—٦،٢	—١٣،٢	—٩،٢	—٩،٧	—١٨،٩
صافي الميزان التجاري للضفة الغربية مع كل من اسرائيل والضفة الشرقية	—٠،٧	—٤،٦	—٤،٩	—٩،٥	—٧،٥	—٨،٧	—١٦،٢

المصدر : Central Bureau of Statistics, Monthly Bulletin of Statistics.

ملاحظة (١) الاحصائية تغطي حركة التجارة عبر الجسور .

ملاحظة (٢) يلاحظ استخدامنا لتعبير التصدير والاستيراد للتجارة بين الضفتين لغرض الدراسة فقط مع عدم اعترافنا بكونهما جزئين منفصلين .

ملاحظة (٣) جرى حساب الارقام الى الدينار الاردني من الليرة الاسرائيلية على اساس سعر التعادل المحدد لدى صندوق النقد الدولي منذ تموز ١٩٦٧ وهو ٩،٨ ليرة اسرائيلية للدينار .

* احتسبت الارقام على اساس ضرب رقم التسعة شهور في اربعة أثلاث .

مع ملاحظة ان جميع هذه البنود تغطي العجز التجاري وتسمح بفائض يتراكم مع السكان او يودع لدى البنوك خارج الضفة الغربية[٢٩].

وبالنسبة لمستقبل التجارة بين الضفة الغربية واسرائيل ، وبافتراض بقاء الظروف الحالية على حالها ، وعلى ضوء السياسات الاقتصادية الاسرائيلية في منطقة الضفة الغربية ، والهادفة اساسا في الميدان الزراعي الى تقليل الاعتماد على التسويق للضفة الشرقية ، والتخصص في الانتاج الذي يجد طريقه اما الى اسواق التصدير الخارجية او الى المصانع الاسرائيلية، فان التجارة في المنتجات الزراعية لا يتوقع ان تنمو بمعدلات عالية وستستمر في مستوى منخفض بصفة عامة[٣٠]. وبالنسبة للمنتجات الصناعية فيتوقع ان تسجل الصادرات الاسرائيلية الصناعية للضفة الغربية نشاطا متواصلا ، لان الصناعة في الضفة الغربية غير متقدمة ولا تلبي احتياجات السوق المحلية ، كما يتوقع ان يصحب حركة التصدير

الجدول رقم (٥)

احصاءات التجارة للضفة الغربية (بالنسبة المئوية)

	١٩٦٨				١٩٦٩				نسبة التغير في التجارة لعام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨
	كانون ٢ — حزيران ١٩٦٨				كانون ٢ — حزيران ١٩٦٩				
١ — تجارة الضفة الشرقية مع الضفة الغربية	١٠٠		١٠٠		١٠٠		١٠٠		٨
صادرات الضفة الشرقية للضفة الغربية	١٥	١٠٠	٢٥	١٠٠	٢٩	١٠٠	٣٢	١٠٠	٣٩
منتجات زراعية		٨٠		٧٢		٧٥		٦٨	٢١
منتجات صناعية		٢٠		٢٨		٢٥		٣٢	٦٠
واردات الضفة الشرقية من الضفة الغربية	٨٥	١٠٠	٧٥	١٠٠	٧١	١٠٠	٦٨	١٠٠	—٢
منتجات زراعية		٥٥		٤٧		٥٥		٥٦	١٥
منتجات صناعية		٤٥		٥٣		٤٥		٤٤	—١٧
الميزان التجاري للضفة الشرقية مع الضفة الغربية									
٢ — تجارة الضفة الغربية مع اسرائيل	١٠٠		١٠٠		١٠٠		١٠٠		٢١
صادرات الضفة الغربية لاسرائيل	١٢	١٠٠	٢١	١٠٠	١٦	١٠٠	١٦	١٠٠	—٨
منتجات زراعية		١٨		٣٣		١٤		٢٥	—٣١
منتجات صناعية		٨٢		٦٧		٨٦		٧٥	٣
واردات الضفة الغربية من اسرائيل	٨٨	١٠٠	٧٩	١٠٠	٨٤	١٠٠	٨٤	١٠٠	٢٩
منتجات زراعية		٢٥		٢٨		١٧		١٨	—١٨
منتجات صناعية		٧٥		٧٢		٨٣		٨٢	٤٨
الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل									٤٣
صافي الميزان التجاري للضفة الغربية مع كل من اسرائيل والضفة الشرقية									٧٠

المصدر : مشتق من الجدول رقم (٦)

الجدول رقم (٦)
التجارة بين الضفة الغربية واسرائيل في المنتجات الزراعية

	الانتاج ٦٨/١٩٦٩ بالطن	المبيع في اسرائيل بالطن	نسبة المبيع
الزيتون	٧٥،٠٠٠	١٠،٠٠٠	١٣٪
العنب	٣٦،٠٠٠	٥،٠٠٠	١٤٪
الخيار	١٠،٠٠٠	١،٠٠٠	١٠٪

المصدر : The Israeli Economist — Jerusalem, Oct. 1969, p. 287.

الجدول رقم (٧)
ميزان الخدمات الاسرائيلي مع المناطق المحتلة (١٩٦٨)

	(بالمليون دينار)
الصادرات الاسرائيلية من السلع والخدمات	٢١،٥
الواردات الاسرائيلية من السلع والخدمات	١٦،١
العجز في حركة تبادل السلع والخدمات	٥،٤
الصادرات من السلع (صناعية وزراعية)	١٦،١
الواردات من السلع (صناعية وزراعية)	٥،٤
العجز في حركة تبادل السلع	١٠،٧

المصدر : IMF, Israel 1969, Article XIV Consultation, SM/69/124, Aug. 7, 1969, Table 43, p. 69.

الصناعي من الضفة الغربية الى اسرائيل بعض النشاط نظرا لاهتمام اسرائيل في تنمية القطاع الصناعي في الضفة الغربية وتشجيعه خاصة ما يلبي احتياجات اسرائيل ولا يتنافس مع منتجاتها . هذا ويتوقع ان يستمر العجز في ميزان التجارة بينهما لصالح اسرائيل وبصورة متنامية باستمرار. وذلك نظرا لتنامي الصادرات الصناعية الاسرائيلية للضفة الغربية ، وعلى نطاق يتفوق على امكانيات زيادة المستوردات الاسرائيلية للمنتجات الصناعية والزراعية للضفة الغربية (راجع الجدول رقم ٤).

ثانيا : تجارة الضفة الغربية مع الضفة الشرقية :

تتمتع الصادرات من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية منذ مطلع عام ١٩٦٨ بحرية التجارة والاعفاء من الرسوم الجمركية والقيود الادارية ، ما عدا المنتجات التي تتلقى مساعدات من اسرائيل او المواد الخام المستوردة لاسرائيل ، حيث يشترط الحصول مقدما على اذن تصدير بالنسبة لها[٢١].

اما بالنسبة لمستوردات الضفة الغربية من الضفة الشرقية فتخضع فيما يتعلق بالمنتجات الصناعية لرسوم جمركية متفاوتة ، فترتفع هذه الرسوم على المنتجات الصناعية المماثلة للمنتجات الصناعية الاسرائيلية، وتصل احيانا الى حوالي ١٥٠٪[٢٢].

وبالنسبة لحركة التجارة بين الضفتين الشرقية والغربية فقد لوحظ اتجاهها نحو الزيادة فقد سجلت قيمة التجارة بينهما خلال عام ١٩٦٩ تزايدا بنسبة ٨٪ عن عام ١٩٦٨ . وترجع هذه الزيادة اساسا الى زيادة الصادرات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ، بينما سجلت الواردات للضفة الشرقية بعض التراجع (انظر الجدول رقم ٤) .

وفيما يتعلق باتجاهات التجارة بين الضفتين ، فيلاحظ ان المنتجات الزراعية هي الفرع الرئيسي للتبادل التجاري تصديرا واستيرادا ، وان كانت اهميتها في جانب الصادرات من الضفة الشرقية للغربية اكبر نسبيا منها في جانب مستورداتها من الضفة الغربية . فبينما شكلت الصادرات الزراعية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ما نسبته ٦٨٪ من اجمالي صادراتها لها خلال عام ١٩٦٩ ، فقد سجلت مستورداتها الزراعية من الضفة الغربية بما نسبته ٥٦٪ من اجمالي مستورداتها منها خلال عام ١٩٦٩ (انظر الجدول رقم ٥) .

هذا ويلاحظ بأن الاهمية النسبية للصادرات الزراعية الى الضفة الغربية متجهة نحو الانخفاض مع اتجاه الاهمية النسبية للصادرات الصناعية نحو التزايد (انظر الجدول رقم ٥) بينما اتجهت الاهمية النسبية للواردات الزراعية من الضفة الغربية نحو التزايد على حساب انخفاض النسبة للواردات الصناعية .

وفيما يتعلق بتطور حركة التجارة بين الضفتين ، يلاحظ بالنسبة لحركة الصادرات من الضفة الشرقية للغربية تسجيلها لمعدل نمو ملحوظ . فقد سجلت الصادرات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية خلال عام ١٩٦٩ تزايدا بنسبة ٣١٪ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ مع ملاحظة ان نمو التجارة التصديرية قد شمل كلا من الصادرات الزراعية والصناعية ، وان كان بالنسبة للصادرات الصناعية قد بدأ بمعدل أعلى (بلغ ٦٠٪ بالمقارنة مع ٣١٪ للصادرات الزراعية) (انظر الجدول رقم ٥) .

ويعتبر كل من الاغنام والحيوانات الحية الاخرى والحبوب بأنواعها اهم بنود الصادرات الى الضفة الغربية . اما بالنسبة للمنتجات الصناعية المتجهة للضفة الغربية فأهمها المواد الصحية والزجاج والاقمشة وبعض قطع السيارات والحديد المبروم ومعظمها مواد معاد تصديرها .

اما بالنسبة لحركة الاستيراد من الضفة الغربية فيلاحظ اتجاهها نحو التراجع فقد سجلت خلال عام ١٩٦٩ انخفاضا بنسبة ٢٪ بالنسبة لعام ١٩٦٨ يرجع أساسا لانخفاض المستوردات الصناعية ، وذلك على الرغم من ان المنتجات الزراعية المستوردة قد سجلت تزايدا بنسبة ١٥٪ خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ . وربما يرجع ذلك الى سياسة اسرائيل في استيعاب المنتجات الصناعية للضفة الغربية وعدم تشجيع تسويقها في الاردن مثل المنتجات الزراعية .

ومما يجدر ذكره ان ما نسبته ٤٠٪ من الانتاج الزراعي للضفة الغربية خلال عام ١٩٦٨/١٩٦٩ قد اتجه للضفة الشرقية ، بالمقارنة مع ٥٣٪ للاستهلاك المحلي و٧٪ اتجه لاسرائيل على النحو الوارد في الجدول رقم ٨ .

وأهم بنود مستوردات الضفة الشرقية من الضفة الغربية تتكون من المنتجات الزراعية مثل البندورة والخيار والبطيخ والشمام والحمضيات والعنب والزيتون يليها في الاهمية المنتجات الصناعية مثل الزيوت النباتية والصابون وزيت الزيتونوالكبريت. ويلاحظ بالنسبة للميزان التجاري بين الضفتين انه يسجل فائضا لصالح الضفة الغربية . وقد اتجه هذا الفائض نحو الانخفاض خلال عام ١٩٦٩ بالمقارنة مع عام ١٩٦٨ وبما مقداره ٠،٤١ مليون دينار ، حيث بلغ هذا الفائض خلال عام ١٩٦٩ ما مقداره ٢،٧ مليون دينار (انظر الجدول رقم ٤) مقابل ٣،٧ مليون في نهاية عام ١٩٦٨ .

وفيما يتعلق بمستقبل حركة التجارة بين الضفتين، يبدو لنا أنها لن تشهد نموا ملحوظا وذلك انعكاسا لسياسة أسرائيل القائمة على تقليل الاعتماد التدريجي لمنتجات الضفة الغربية على أسواق الضفة الشرقية ، وتقوية فرص التسويق في الاسواق الخارجية . كما أن اسرائيل لا تشجع استيراد المنتجات الصناعية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ، خاصة فيما يتعلق بالمنتجات المماثلة للمنتجات الاسرائيلية . وستتركز بنود المنتجات التي تعبر الجسور الاردنية في المنتجات الزراعية للضفة الغربية التي تعتبر فائضا عن حاجة كل من السوق المحلي وسوق اسرائيل والاسواق الخارجية وبعض المنتجات الصناعية للضفة الغربية التي تسوق عادة في الضفةالشرقية، والتي تستورد موادها الخام عن طريقها. وبالنسبة للمنتجات المتجهة للضفة الغربية فستتركز في بعض المنتجات الحيوانية والحبوب وبعض المنتجات الصناعية .

المبحث الرابع : الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة :

اولا – الاثار الاقتصادية العامة على الاقتصاد

الجدول رقم (٨)
تصريف منتجات الضفة الغربية الزراعية

	الانتاج/طن ١٩٦٩/٦٨	المبيع في منطقة الضفة الغربية	المبيع في الضفة الشرقية	المبيع في اسرائيل
البندورة	٤٣٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	—
الخيار	١٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠
البطيخ والشمام	٣٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	—
البرتقال	٤٥٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠	—
العنب	٣٦٠٠٠٠	٢٦٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
الزيتون	٧٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠

المصدر : The Israel Economist, Jerusalem, Oct. 1969, p. 287.

الاردني/الضفة الشرقية : ساهمت حركة التجارة عبر الجسور الاردنية في استمرار تزويد الضفة الشرقية من الاردن بجزء رئيسي من احتياجاتها من المنتجات الزراعية (الفواكه والخضروات) كما سبق وان رأينا . كما شكلت نسبة مرتفعة في اجمالي عرض المنتجات الزراعية في سوق عمان المركزي . وذلك يعود الى كون الضفة الغربية تساهم مساهمة رئيسية في انتاج الاردن من الفواكه والخضروات (٨٠٪ من المساحة المزروعة فواكه خلال عام ١٩٦٦ ، و٤٥٪ من المساحة المزروعة بالخضروات خلال عام ١٩٦٦) . ورغم ان مناطق الاغوار في الضفة الغربية معطلة نسبيا بفعل الظروف العسكرية على جانبي النهر ، فان منطقة اريحا والمناطق الاخرى البعيدة عن مناطق الصدام العسكري لا زالت منتجة . ومما لا شك فيه ان ارتفاع المستوى العام لاسعار منتجات الضفة الغربية الزراعية فيما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بالمقارنة لما قبلها والذي تأثر بالندرة النسبية لعنصر العمل الذي بدأ يتجه نحو اسرائيل ولارتفاع مستويات الاجور بالاضافة الى الضرائب التي استحدثت بعد الحرب ، فان هذا الارتفاع قد انعكس على اسعارها في الضفة الشرقية .

ومما تجدر ملاحظته ان اهمية الضفة الغربية تتركز بصورة خاصة فيما تساهم به من الانتاج الشتوي للخضروات والفواكه والذي لا يمكن استيراده من الدول العربية المجاورة . وبينما بلغت مساحة الخضر الشتوية للاردن ما نسبته ٤٠٪ من المساحة الخضرية للاردن فان المساحة المزروعة في الضفة الغربية من الخضروات الشتوية تبلغ ٢٦٪ من مساحة الاردن لهذه المنتجات وهي نسبة تبدو قليلة الاهمية . وهكذا يبدو لنا ان حركة نقل المنتجات الزراعية الى الضفة الشرقية قد ساهمت في الحد من آثار انخفاض حجم العرض للمنتجات الزراعية في الضفة الشرقية بفعل تعطل منطقة الاغوار ، مما كان سيؤدي الى اللجوء لاسواق اخرى وبأسعار أشد ارتفاعا ، وذلك كان سيؤدي لتفاقم مشكلة الارتفاع المتواصل في مستوى اسعار المنتجات الزراعية . كما ساهمت حركة نقل المنتجات الصناعية للضفة الغربية الى الضفة الشرقية في استمرار امداد السوق الاردني باحتياجاته من هذه المنتجات الهامة وذات الجودة المرتفعة خاصة فيما يتعلق بزيت الزيتون والصابون والزيوت النباتية والكبريت والبلاستيك. وفي بعض الاحيان تتجه بعض هذه المنتجات لمواجهة احتياجات بعض الاسواق العربية . يضاف الى ذلك كونها مصدرا لرسم الانتاج الذي لا زال يفرض على منتجات الضفة الغربية الصناعية والتي تعبر الجسور الى الضفة الشرقية . ان استمرار قيام هذه التجارة في منتجات الضفة الغربية الصناعية قد ساهم في تمويل انشطة اصحابها والذين لهم مصالح تجارية في الضفة الشرقية ، وذلك ادى الى تلطيف حدة التراجع الذي أصاب النشاط التجاري على أثر حرب ١٩٦٧ .

وبالنسبة لاثار حركة نقل البضائع من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية والتي يلاحظ تركزها في مجموعة من المواد هي الاغنام والحبوب وبعض المنتجات الصناعية خاصة المواد الخام للصناعة في الضفة الغربية والتي تستورد أصلا من خارج الاردن (أي أنها سلع يعاد نقلها الى الضفة الغربية) . فقد أدت الى تمكين الصناعة في الضفة الغربية من الحصول على المواد الخام بشروط أسهل مما لو حصلت عليها عن طريق اسرائيل مما ينعكس على اسعارها في الضفة الشرقية، كما انها سمحت باستمرار قيام تجارة الترانزيت في الضفة الشرقية وما يتبع ذلك من تنشيط لحركة التجارة فيها . وتوفر مصدرا للرسوم التي تستوفى عليها لدى استيرادها من خارج الاردن .

ورغم ان استيراد المواد الخام للصناعة في الضفة الغربية وبقية المستوردات الحيوانية والزراعية يساهم في الضغط على ارصدة الضفة الشرقية من العملات الاجنبية الا ان اثار ذلك رهينة باستمرار تزويد الضفة الشرقية بمنتجات الضفة الغربية الصناعية([٣٢]) ورهين كذلك باستهلاك المنتجات الحيوانية والزراعية في الضفة الغربية وعدم تسربها الى اسرائيل . ويلاحظ ان نسبة الضغط على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية مقابل عمليات الاستيراد لصالح الضفة الغربية هي نسبة منخفضة من اجمالي ارصدة الاردن من العملات الاجنبية . وقد بلغت هذه النسبة خلال عام ١٩٦٩ (حتى بافتراض ان معظم صادرات الضفة الشرقية للغربية هي معاد تصديرها) ٢٪ وما نسبته ٣٪ من اجمالي مستوردات الاردن . كما تساهم عملية اعادة التصدير في امتصاص جزء من الارصدة المتراكمة بالدينار والناجمة عن عمليات تسويق

منتجات الضفة الغربية في الضفة الشرقية .

ورغم ان التجارة بين الضفتين تسجل عجزا لصالح الضفة الغربية فان العجز مرتبط بالظروف الهيكلية للاقتصاد الاردني في الضفة الشرقية والذي يعتمد على الضفة الغربية في معظم المنتجات الزراعية من الفواكه والخضروات بالاضافة لبعض المنتجات الصناعية . وان كان في تصورنا ان حجم هذا العجز كان اقل في حركة التجارة بين الضفتين لما قبل الحرب نظرا لتصدير بعض الصناعات في الضفة الشرقية لمنتجاتها لاسواق الضفة الغربية مثل الاسمنت والمنتجات البترولية والاقمشة . ومنع اسرائيل لنقل هذه المنتجات بالاضافة الى انفتاح اسواق الضفة الشرقية امام منتجات قطاع غزة من الحمضيات ساهم في تسجيل حركة التجارة بين الضفتين لفائض في صالح الضفة الغربية بلغ خلال عام ١٩٦٨ حوالي (٣٢٧) مليون دينار (انظر الجدول رقم ٤) او ما نسبته ٩٪ من اجمالي العجز التجاري للاردن مع العالم خلال نفس العام (بلغ العجز التجاري للاردن خلال عام ١٩٦٨ حوالي (٤٣) مليون دينار)(٢٤). ويلاحظ ان العجز يمول بالعملة الاردنية المحلية مما لا يشكل اي ضغط مباشر على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية وذلك كان سيحدث مع اي بلد آخر .

وبالنسبة لتأثير سياسة الجسور المفتوحة على النظام المصرفي في الضفة الشرقية فقد ادى قيام بعض العمليات المصرفية المحدودة والتي تركزت في حركة الافراج عن جزء رئيسي من ودائع مواطني الضفة الغربية وتمكين بنوك الضفة الشرقية من استيفاء بعض ديونها على بعض تجار الضفة الغربية الذين اضطروا للتعامل مع البنوك لصالحهم التجارية، وكذلك ايداع بعض العملاء من الضفة الغربية لودائعهم في بنوك الضفة الشرقية . هذه العمليات وان كانت محدودة النطاق فقد ساهمت في تلطيف حدة التراجع في انشطة النظام المصرفي للضفة الشرقية ، علما بأن دورة النشاط المصرفي بين الضفتين لا زالت معطلة . وبالنسبة لحركة انتقال العملة عبر الجسور والتي في معظمها تتجه نحو الضفة الغربية ، فرغم عدم وقوفنا على اثارها الاقتصادية ، فانه يبدو لنا بصورة عامة ان تسريب العملات الاردنية والاجنبية بكميات كبيرة يزيد من نشاط عنصر المضاربة في الاقتصاد الاردني ويحرمه من استثمار هذه الاموال في اوجه منتجة تساهم في جعل الاقتصاد اكثر توازنا . ان زيادة الارباح الناجمة عن حركة تسريب العملات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية تشجع عمليات الاستثمار في العملة ذاتها بدلا من الاستثمار المنتج.

وهكذا يبدو لنا ان الاثر العام لقيام تجارة عبر الجسور الاردنية على الاقتصاد الاردني يتركز في السماح بقيام تجارة ناشطة الى حد ما بين الضفتين في كلا الاتجاهين . وقد ادى قيامها الى تلطيف حدة التراجع الذي اصاب النشاط التجاري في الضفة الشرقية على اثر حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة ، كما ساهم في التخفيف من مشكلة انخفاض حجم العرض النسبي للمنتجات الزراعية في اسواق الضفة الشرقية، والذي تأثر بتعطل الانتاج الزراعي في منطقة الاغوار .

ثانيا : الاثار الاقتصادية العامة على الاردن/الضفة الغربية : نجم عن سياسة الجسور المفتوحة تحرك المنتجات الزراعية للضفة الغربية من الفواكه والخضروات وكذلك منتجات قطاع غزة عن طريق الضفة الغربية الى الضفة الشرقية للاردن . ادى ذلك الى تمكين الضفة الغربية من تسويق فائض انتاجها من الفواكه والخضروات في اسواق الضفة الشرقية . مما انعكس على توليد مصادر للدخل تعتبر هامة نظرا لاهمية القطاع الزراعي في الضفة الغربية والحجم النسبي للعاملين فيه والذي يبلغ ما نسبته ٣٥٪ من اجمالي عدد العاملين في الضفة الغربية(٣٥). ومما يؤدي الى اتساع نطاق الفائدة ان الملكية في الضفة الغربية ليست اقطاعية بل موزعة . ولولا فتح الجسور لواجه الانتاج الزراعي نوعا من الكساد كان سينعكس على بقية القطاعات الاقتصادية في الضفة الغربية . خاصة وان اسرائيل لا تبدي اي ارتياح للسماح لمنتجات الضفة الغربية الزراعية والرخيصة نسبيا بالانتقال الى اسواقها . ويعتقد البعض بأن فتح الجسور امام منتجات الضفة الغربية الزراعية كان السبب الرئيسي في جعل الحياة طبيعية في الضفة الغربية وبقية المناطق المحتلة ، وليس لسبب آخر(٣٦). كما ان نقل منتجات قطاع غزة الزراعية الى أسواق الضفة الشرقية ، خاصة الحمضيات عن طريق الضفة الغربية وشاحناتها ادى الى قيام تجارة ترانزيت في الضفة الغربية ، ساهمت في توليد مصادر معينة للدخل .

كما ساهمت حركة نقل البضائع من الضفة الشرقية

الى الضفة الغربيــة في توفير احتياجات الضفـة الغربية التموينية مـن الحبوب والاغنـام وبعض المنتجات الزراعية الاخرى، والتي كانت ستستورد عن طريق اسرائيل بأسعار مرتفعة نسبيا، بالاضافة لخضوعها لتعليمـات الاستيراد الاسرائيلية التي تزداد تعقيدا مع ازدياد مشاكل ميزان المدفوعات الاسرائيلي . وقـد ساهمت حركة نقل المنتجات الصناعية الى الضفة الغربية خاصة المواد الخام بتوفيرها لصناعات الضفة الغربية بأسعار معتدلة. يضاف الى ذلك توفير الضفـة الشرقية للعملات الاجنبية اللازمة لعمليات الاستيراد هـذه لتجار الضفة الغربية ، مما يسهل لهم عمليات التجارة في هذه المنتجات ويبعدهم عـن الخضوع لتعليمات الاستيراد الاسرائيلية المتشددة والتي تقيد عملية الاستيراد بقيود شديدة . كما يلاحظ بأن تحويلات كل من الحكومة الاردنية لموظفيها في الضفة الغربية ووكالة الامم المتحدة لموظفيهـا ، يضاف اليهم تحويلات العاملين الاردنيين في الخارج لذويهم في الضفة الغربية، والتي استمرت في اتجاهها للضفة الغربية بفعل سياسة الجسور المفتوحة قد مكنت من المحافظة علـى المستوى المـادي والمعيشي للمواطنين ومنعه من التراجع الذي كان لا بد ان يحدث لدى تقفل الجسور . وهنا تبرز فكرة دعم صمود اهالي الضفة الغربية .

ثالثا : الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة على اسرائيل : تمكنت اسرائيل عن طريق سياسة الجسور المفتوحة مـن توجيه التجارة بينها وبين الضفة الغربيـة بحيث تسجل النمط الامثل لهذه التجارة من وجهة النظر الاسرائيلية . فمن ناحية اقامت علاقاتها التجارية مع الضفة الغربية بحيث تكون الضفة الغربية بمثابة سوق لمنتجات اسرائيل الصناعية بالدرجة الاولى وبعض المنتجات الزراعية. لذلك تحرك الانتاج الصناعي الاسرائيـلي الى أسواق الضفة الغربية بصورة نشيطة ومتناميـة باستمرار وفي نفس الوقت لم تشجع اسرائيـل استيراد المنتجات الزراعية للضفة الغربية الـى اسرائيل لاختلاف مستويات اسعارها عن مستويات اسعار المنتجات الاسرائيلية المماثلة ، وفضلت التخلص من فوائض الانتاج الزراعي للضفة الغربية في اسواق الاردن/الضفة الشرقية عبر الجسـور الاردنية المفتوحة ، وذلك انعكس على قيام حركة نشيطة لنقل المنتجات الزراعيـة للضفة الغربية الى اسواق الضفة الشرقية . وقد ساعد ذلـك اسرائيل في التخلص من مشكلة فائض المنتوجـات الزراعية للضفة الغربية في حالة اغلاق الجسـور والتي لا يسهل تصريفها في الاسواق الخارجية(٣٧). وحرصا على الاحتفاظ بأسواق الضفة الغربيـة للمنتجات الاسرائيلية فرضت اسرائيل قيودا جمركية شديدة على الجسور فيما يتعلق بحركة نقـل المنتجات الصناعية، ادى ذلك الى انخفاض مستوى حركة نقل المنتجات الصناعية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية . وقد بلغت الواردات الصناعية من الضفة الشرقية ما نسبته ٤ ٪ فقط من الواردات الصناعية من اسرائيل خلال عام ١٩٦٨ (انظـر الجدول رقم ٦) .

وبالنتيجة النهائية قام نموذج للتجـارة بين اسرائيل والضفة الغربية ميزانه التجاري لصالح اسرائيل ، ونموذج للتجارة بين الضفة الغربية والضفـة الشرقية ميزانه التجاري لصالح الضفة الغربية . وما ينجم عن ذلك من تسرب مبالغ كبيرة من العملة الاردنية من الضفة الشرقية الى الضفة الغربيـة انعكاسا لعملية تمويل العجز في الميزان التجاري بينهما ، وهذه الارصدة من العملة الاردنية كانت أما قوى شرائية اتجهت لشراء المنتجات الاسرائيلية او اكتنزت . كما كانت الجسور المفتوحة مصدرا ماليا كبيرا للخزينة الاسرائيلية نجـم عن الرسوم الجمركية على حركة التجارة عبر الجسور والرسوم والطوابع الاخرى على حركة انتقال الاشخاص . ويقدر دخل اسرائيل من الرسوم الجمركية علـى الجسرين بحوالي مليوني دينار سنويا(٣٨). ومـن ناحية اخرى تحاول اسرائيل تسريب بعض منتجاتها الزراعية الفائضة الى الاسواق الاردنية ، واهمها الحمضيات والموز والخيار والبطاطا . كما تحاول الحصول على بعض احتياجاتها السلعية من بعض المنتجات الزراعية (خاصة الحبوب ــ حيث تستخدم مصانع المشروبات الروحية الاسرائيلية الشعير كمادة خام) والحيوانية (الاغنام) عن طريق الاردن. وترتبط امكانيات نجاح اسرائيل في القيام بهذه العمليات بمـدى فعـالية الرقـابة الاردنية فـي منطقة الجسور .

وبهدف قصر عملية تسويق المنتجـات عبر الجسور الاردنية على المنتجات العربية، صدرت عدة أوامر دفاع عن وزير الاقتصاد الوطني تنظم عملية التسويق هذه في ضوء المبادىء التالية(٣٩). ١) تخضع عملية

نقل المنتجات الزراعية الى الضفة الشرقية لتصاريح مسبقة تقوم باصدارها دائرة التسويق الزراعي استنادا الى شهادة المنشأ الصادرة عن الغرفة التجارية في المنطقة باسم صاحب البضاعة لكل شحنة من الشحنات ، بعد التأكد من كونها من منتجات عربية . ٢) تقوم نقط المراقبة على الجسور الاردنية بمراقبة كل شحنة واردة للتأكد من شهادة المنشأ والتصاريح الصادرة عن الدائرة، ومن ثم يجري سوقها مباشرة الى سوق الجملة المركزي في عمان . ٣) يقوم موظفو دائرة التسويق الزراعي (بالنسبة لبعض السلع كزيت الزيتون) بأخذ عينات من كل شحنة واردة لارسالها الى المختبر لفحصها والتأكد من أن مواصفاتها تتفق والمنتجات العربية ، ويمنع التصرف بأية شحنة قبل ظهور نتيجة الفحص المخبري ويتم ذلك بموجب تعهد خطي من قبل صاحب الشحنة او ناقلها والوسيط المودعة لديه. ٤) تخضع عملية استيراد المنتجات الصناعية الى الضفة الشرقية الى اذن مسبق ، يراعى فيه ان تتناسب الكمية المستوردة من المنتجات الصناعية للضفة الغربية وكميات المواد الخام التي سبق أن نقلت الى الضفة الغربية لصناعتها . ٥) تخضع عملية نقل المنتجات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية الى تصريح مسبق يراعى فيه التأكد من كون المنتجات متجهة للاستهلاك في أسواق الضفة الغربية . ٦) تصدر اوامر بمنع نقل اية منتجات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية تثبت المعلومات تسربها الى اسرائيل ، كما حدث بالنسبة لمادة الشعير . هذا وترتبط فعالية هذه التعليمات بمدى تطبيقها ومراعاتها .

رابعا : اغلاق الجسور واثاره الاقتصادية :

من التحليل السابق لاثار فتح الجسور الاقتصادية يمكننا تحديد اثار اغلاق الجسور الاقتصادية بالنقاط التالية :

(١) الضفة الشرقية : أ ـ فقدان فرصة الحصول على المنتجات الزراعية للضفة الغربية من الفواكه والخضروات وكذلك منتجاتها الصناعية . وذلك سيؤدي الى استيرادها من الدول العربية والاجنبية بشروط اقل مناسبة . ورغم ان بعض الفواكه يمكن استيرادها من سوريا وبأسعار اقل الا ان باقي المنتجات الزراعية خاصة الشتوية لا يمكن مطلقا تعويض مصدر الضفة الغربية لها. وسينعكس ذلك في النهاية على كل من مستويات الاسعار في الضفة الشرقية والضغط على ارصدة الاردن من العملات الاجنبية . ب ـ سيصيب النشاط التجاري بعض التراجع ، خاصة ذلك النشاط المرتبط بكل من حركة التجارة والاشخاص عبر الجسور الاردنية بين الضفتين وحركة اعادة التصدير للمنتجات المستوردة عن طريق الضفة الشرقية لصالح الضفة الغربية . ج ـ عدم توفر الفرصة لتحويل الحكومة الاردنية لرواتب موظفيها في الضفة الغربية والتي تقدر بحوالي ٤٢٨٦٥ الف دينار(٤٠). وذلك سيؤدي الى تخفيف اعبائها المالية مع ملاحظة ان لذلك اثارا سياسية واجتماعية سلبية . د ـ حرمان الجهاز المصرفي في الضفة الشرقية من بعض الفرص المخففة من حدة تراجع انشطته، والناجمة عن قيام بعض العمليات المصرفية لاهالي الضفة الغربية في الضفة الشرقية .

(٢) الضفة الغربية : أ ـ لا بد وان تحصل مشكلة لتصريف فائض المنتجات الزراعية للضفة الغربية في المدى القصير ، مما سيؤدي الى زيادة عرض هذه المنتوجات في أسواق الضفة الغربية وانخفاض عام في مستويات اسعارها ينتهي الى كساد يصيب النشاط الزراعي ثم ينعكس على بقية القطاعات الاقتصادية . ب ـ سيترتب على توقف حركة التحويلات الحكومية للموظفين في الضفة الغربية وتحويلات العاملين في الخارج لاقاربهم الى احداث آثار اقتصادية واجتماعية سلبية على المواطنين . وسيؤدي الى انخفاض في حجم القوى الشرائية لينعكس على انخفاض مستوى الطلب العام في الاقتصاد . ج ـ اصابة النشاط التجاري والمرتبط بحركة التجارة عبر الجسور الاردنية بنوع من التراجع .

(٣) اسرائيل : أ ـ فقدان جميع مصادر التمويل الناجمة عن الرسوم الجمركية الاسرائيلية على حركة التجارة عبر الجسور ورسوم الطوابع ورسوم التصاريح على حركة انتقال الاشخاص . وهو مصدر مالي له وزنه . ب ـ سيترتب على الاقتصاد الاسرائيلي بعض الاعباء المرتبطة بعملية تصريف فائض المنتوجات الزراعية للضفة الغربية والتي لا يفضل دخولها للاسواق الاسرائيلية . كما ان تصديرها للخارج ليس بالعملية السهلة كما سبق وان رأينا . ج ـ سيؤدي استيراد احتياجات الضفة الغربية من المواد الاولية للصناعة والاجهزة وبعض المستوردات الغذائية والحيوانية عن طريق

اسرائيل الى الضغط على ارصدتها من العملات الاجنبية ، وهي مشكلة تعاني اسرائيل منها الان وبحدة. د — فقدان فرصة التفكير فيتسريب منتجاتها الى الاسواق العربية عن طريق الجسور .

الخلاصة : يبدو لنا من التحليل السابق ان لسياسة الجسور المفتوحة آثارا اقتصادية ايجابية على كل من الاقتصاد الاردني بضفتيه الشرقيــة والغربية والاقتصاد الاسرائيلي .

ومما يجدر التركيز عليه هنا ان نتائجنا عن الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة هي نتائج صحيحة في المدى القصير ، اما في المدى الطويل فسيصيب هذه النتائج بعض التعديل . ويبدو لنا ان استمرار تأثر اقتصاد الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي واتجاه المستوى العام للاسعار فـي الضفة الغربية نحو الارتفاع وبصورة ملحوظـــة واستمرار توجيه السياسات الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية نحو زيادة التكامل التدريجي مع الاقتصاد الاسرائيلي وتخفيف الاعتماد على الضفة الشرقية ، سيؤدي ذلك في المدى الطويل الـى زيادة نطاق الاثار الاقتصادية الايجابية لسيـاسة الجسور المفتوحة على الاقتصاد الاسرائيلي، خاصة بافتراض تمكن اسرائيل من توسيع نطـاق ثغـرة التعامل مع الاسواق العربية من خلال الجســور الاردنية ومناطق الحدود الاخرى . بينما ستواجه الاردن (وبافتراض استمرار فتح الجسور) ظروف تعني استقبالها لمنتجات الضفــة الغربية الفائضة (فقط) وبمستويات اسعار عالية ربما تفوق مستويات استيرادها من الدول العربية المجاورة . يضـاف الى ذلك استمرار الاردن في وضع رصيد عملاته الاجنبية تحت تصرف رجال اعمال الضفة الغربية .

التوصيات : تبنى هذه السياسة بحذر شديد يقتضي ما يلي : أ — تشديد الرقابة على مصانع الضفة الغربية ومنع تعاملها قدر الامكان مع اسرائيل والا فالحد من حرية تعاملها مع الضفة الشرقية. ويتوفر من المعلومات ما يفيد بوجود نوع من التعاون فعلا بين بعض رجال الصناعة فيالضفة الغربية واسرائيل خاصة في ميدان استيراد بعض الموادالخام والاجهزة وتبادل الخبرات. ب — تشديد الرقابة على منطقة الجسور الاردنية سواء من حيث ضرورة التقيـد بالتعليمات او من حيث نزاهة الاشخاص ، وقد ضبطت عدة حالات من عدم النزاهة واحيلت فعلا للمحاكمة . مع ضرورة مراقبة جميع مناطق الحدود خاصة منطقة العقبة للحد من حركة التهريب . ج — ضرورة المتابعة الاحصائية والعلمية لحركة التجارة للتأثيرات المتبادلة بين اقتصاديات الضفتين من خلال الجسور المفتوحة ومراقبـة حركة العملة عبـر الجسور .

---

١ — دائرة الاحصاءات العامة ، عمان ، تقرير عن مساهمة الضفة الغربية في الاقتصاد الاردني، ١٩٦٩ .

٢ — يلاحظ ان نسبة مساهمة النشاط المصرفي للضفة الغربية في نشاط الاردن ككـل هي نسبة أقل من هذه النسبة ، فقـد ساهم النشاط المصرفي للضفة الغربية عـام ١٩٦٦ ممثلا في موجودات البنوك بما نسبته ٢٢٪ وما نسبته ٢٦٪ للودائع ومـا نسبتـه ٢٣٪ للتسهيلات الائتمانية .

٣ — البنك المركزي الاردني ، النشرة الاحصائية الشهرية ، المجلد الخامس ، العدد ١٢ ، كانون الاول ١٩٦٩ ، دائـرة الابحاث والدراسات ، جدول رقم ٤ .

٤ — Agriculture in Judaea and Samaria, Israel Economist, Nov.1969.

٥ — معلومات عن الضفـة الغربية للاردن ، فلسطينيات ، سلسلة كتب فلسطينيـة ١٢ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية .

٦ — فؤاد بسيسو ، المستـوى الاقتصـادي الاسرائيلي لحرب حزيران ١٩٦٧، البنك المركزي الاردني ، دائرة الابحاث والدراسات ١٩٦٩ ، ص ٢٢ .

٧ — Two Years of Military Government 1967 - 1969, p. 37, Without author (memo).

٨ — ادارة الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، دائرة الاحصـاء والنشر ، نشرة الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٦٣ .

٩ — The Financial Times — London 18, 12, 1969.

١٠ — Newsweek — March 23, 1970, p. 22.

١١ — دائرة شؤون الوطن المحتل، منظمة التحرير الفلسطينية ، ملف الجسور عبر النهر ، نقلا

عن ملحق صحيفة هآرتس الاسرائيلية بتاريخ ١٩٦٩/٩/١٢ .

١٢ — Military Administration of the Administered Areas, op. cit., p. 9.

١٣ — Ibid, p. 9.

١٤ — Economist Intelligence Unit (EIU), Quarterly Economic Review (Israel), London, No. 1, 1969, pp. 3-4.

١٥ — دائرة شؤون الوطن المحتل، منظمة التحرير الفلسطينية ، تقرير عن « احتمالات اغلاق الجسور » ، استنادا الى تقرير لوزير الزراعة الاسرائيلي .

١٦ — المصدر السابق .

١٧ — The Israel Economist, "Agriculture in Judaea and Samaria" Jerusalem, Nov. 1969, p. 307.

١٨ — Two Years of Military Government, op. cit., pp. 28.29.

١٩ — منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة شؤون الوطن المحتل ، نشرة الوطن المحتل ، العدد ١٩ ، ١/١ — ١٩٧٠/١/١٥ ، ص ٢٥ .

٢٠ — The Israel Economist, Nov. 1969, op. cit.

٢١ — EIU, op. cit., pp. 3-4.

٢٢ — The Israel Economist, Oct. 1969, p. 267.

٢٣ — The Israel Economist. Economic Notes on the Area under Israel's Administration, Jan. 1969, p. 15.

٢٤ — New Middle East, Economic Pressures on Israel's New Government, London, No. 15, Jan. 1970, p.17.

٢٥ — The Israel Economist, Jan. 1969, op. cit., p. 15.

٢٦ — الوطن المحتل ، ١٩٧٠/١/١ — ١/١٥/ ١٩٧٠ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة شؤون الوطن المحتل .

٢٧ — Military Administration of the Administered Areas, Two Years of Military Government, Israel, 1969, p. 24 (memo).

٢٨ — The Financial Times, London, 2, 5, 1969.

٢٩ — Two Years of Military Government 1967-1969. op. cit., p. 27.

٣٠ — وذلك على ضوء كل من السياسات الاسرائيلية التي لا تشجع انتقال منتجات الضفة الغربية الزراعية الى اسرائيل ، وعلى ضوء تمتع الضفة الغربية بنوع الاكتفاء الذاتي في الانتاج الزراعي .

٣١ — The Military Administration of the Administered Areas, op. cit., p.23.

٣٢ — المصدر : معلومات شخصية من ذوي الخبرة في حركة التجارة والذين يعبرون الجسور.

٣٣ — صدر أخيرا عن وزارة الاقتصاد أمر دفاع ينظم بموجبه نسب المواد الخام التي تدخل في صناعات الضفة الغربية والكميات المسموح بنقلها الى الضفة الغربية ، مقابل التقيد بادخال المنتجات الصناعية للضفة الغربية التي تعادل فقط حجم المواد الاولية التي دخلت الى الضفة الغربية حرصا على ربط عملية نقل المواد الخام الى الضفة الغربية بنقل المنتجات المصنعة الى الضفة الشرقية وحرصا على تسريب منتجات صناعية اسرائيلية .

٣٤ — البنك المركزي ، دائرة الابحاث والدراسات ، التقرير السنوي السادس ٦٩ ، عمان .

٣٥ — The Israel Economist, April 1970, No. 3, p. 69.

٣٦ — Agriculture in Judaea and Samaria, Israel Economist, - Jerusalem, Nov. 1969, p. 306.

٣٧ — مجلة المرصاد ، اسرائيل ، العدد ٩٧٧ ، ١٩٦٩/١١/٦ .

٣٨ — منظمة التحرير الفلسطينية — دائرة شؤون الوطن المحتل ، ملف الجسور عبر النهر (مستند داخلي) .

٣٩ — الجريدة الرسمية للمملكة الاردنية الهاشمية، اعداد متتالية .

٤٠ — J. D. F., Jones, Problems of a Colonial Power, Financial Times, 20, 5, 1969.

مقابلة مع مسؤول
في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتزبن)

ليلى سليم القاضي

قيد الطبع دراسة أعدتها ليلى القاضي من باحثات مركز الابحاث عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتزبن) ، وهي منظمة بدات تلفت النظر بشكل خاص بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث قامت بنشاطات دعاوية واسعة داخل اسرائيل وفي أوروبا ضد العدوان وضد الاضطهاد الذي يلاقيه عرب المناطق المحتلة . وكانت هذه النشاطات مرافقة بطرح وجهة نظر ايديولوجية ترفض الفكرة الصهيونية من اساسها وترفض الكيان الاسرائيلي المستقل على أرض فلسطين . وقد كان من شان هذه النشاطات والطرح الفكري أن تمت لقاءات بين عدد من قادة هذه المنظمة في أوروبا وعدد من الافراد القياديين في المنظمات الفدائية، كما تم تنظيم مظاهرات ومهرجانات مشتركة ضد اسرائيل ودعاتها في انكلترا والمانيا وفرنسا كان لها مفعول دعاوي كبير ، وتعرض بسببها عدد من قادة هذه المنظمة لاعتداءات جسدية من قبل العنصريين اليهود كان أشهرها حادث الاعتداء الذي وقع على ايلي لوبل في باريس وكاد يودي بحياته ، وكان من نتائجها أيضا أن امتنعت الحكومة الاسرائيلية فترة طويلة عن تمديد جوازات سفر بعض أعضاء هذه المنظمة وهددتهم بسحبها . ان « شؤون فلسطينية » تنشر فيما يلي الجزء الاهم من مقابلة أجرتها ليلى القاضي ، في سياق اعدادها للدراسة المذكورة عن المنظمة ، مع أحد القادة المؤسسين لهذه المنظمة ، لما في هذه المقابلة من فائدة في القاء الضوء على حركة سياسية وتيار فكري معاد للصهيونية أثار اهتماما واسعا في الاوساط الثورية الفلسطينية . وتتضمن الدراسة المعدة للطبع مقدمة نقدية لماتزبن كتبها الاستاذ غسان كنفاني .

ارجو ان تعطينا صورة عن التطورات التي طرأت على تحليل منظمتكم وفهمها للقضية الفلسطينية ؟

هذا هو الموضوع الرئيسي الذي تطورت المنظمة في نظرتها اليه منذ تأسيسها اذ أن تطورنا بالنسبة للقضايا الكبرى الاخرى لم يكن يتصف بأية سمات خاصة بل كان منسجما مع ما جرى للحركات اليسارية الثورية في العالم بصورة عامة . على صعيد هذه الامور اصبحت وجهات نظرنا اكثر وضوحا كما نما نقدنا للحزب الشيوعي . ومن هذه الناحية نحن جزء من اليسار الثوري العالمي وخاصة في العالم الثالث . اما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والشرق الاوسط سألخص التطورات الهامة التي طرأت على مواقفنا بما يلي : عندما تأسست منظمتنا لم يكن هناك اي فارق مميز بين وجهة نظرنا حول الصهيونية والقضية الفلسطينية وبين الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يتمثل اليوم براكاح . على سبيل الايضاح اذكر الحادثة التالية : قبل تأسيس الماتزبن بفترة قصيرة قام اثنان من الاعضاء المؤسسين بنشر كتاب احتوى على كمية كبيرة من وثائق مناقشات البرلمان الاسرائيلي وتعليقات الصحف عليها . وكانت التحليلات التي قدمها الكتاب منسجمة تماما مع خط الحزب الشيوعي . وحتى هذه الساعة ما تزال وجهات النظر المعروضة في ذلك الكتاب اقرب الى موقف الحزب الشيوعي مما هي الى موقفنا الذي تطور وتبدل بصورة جذرية . فيما يلي عرض لوجهة نظر

الحزب الشيوعي هذه ، علما بأني أقوم ، من خلال هذا العرض ، بنقد الحزب وبنقد وجهات نظري القديمة التي كنت اعتنقها شخصيا والتي اعتبرها مرحلة انتقالية في نمو مواقفي السياسية كما في نمو المواقف السياسية لمعظم اعضاء منظمتنا . واعني هنا ، طبعا ، الاعضاء اليهود لان الاعضاء العرب لم يكونوا ضحية للاوهـــام الصهيونيـــة الى الدرجة مثلما كنا نحن . مع ذلك ان ما قلته ينطبق، الى حد ما، على الاعضاء العرب كذلك اذ ان عددا كبيرا منهم كان منتسبا الى الحزب الشيوعي كما انه معروف ان عددا كبيرا من العرب هم اعضاء حتى الان في الحزب .

ان اول ما ينبغي ان نفهمه بالنسبة لموقف الحزب الشيوعي في الماضي والحاضر هو انه يقيس كافة الامور بمعيار بسيط واحد هو صلة القضية المعنية بالاتحاد السوفياتي . وقد يبدو هذا الوصف فجا ولكن هذا ما كان يحدث في الواقع . اضرب مثلا صغيرا هنا . لو راجعنـــا مناقشـــات البرلمـــان الاسرائيلي عام ١٩٥٠ المتعلقة بالبيان الثلاثي (أي بيان الدول الكبرى بضمان الحدود كما كانت عليه يومئذ بين اسرائيل والدول العربية) وهو وثيقة مهمة جدا في التاريخ المعاصر للشرق الاوسط ، لوجدنا ان الحزب الشيوعي وقف ضد البيان لانه رأى فيه مناورة سياسية ضد الاتحاد السوفياتي فقط . لا شك ان البيان كان جزءا من الستراتيجية الامبريالية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي ولكن كان له ايضا مضامين اخرى مهمة ومتنوعة بالنسبة للمنطقة العربية نفسها مما لا نجد له اي ذكر في معارضة الحزب الشيوعـــي للبيان . كان البيان الثلاثي يبغي ايضا المحافظة على الوضع القائم في المنطقة عام ١٩٥٠ وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا . كانت كل هذه الاشياء متضمنة في البيان الثلاثي ولكن الحزب الشيوعي لم يعلق على اي منها . في الواقع لم يكن بمقدوره ان يفعل ذلك لانه كان يحاكم كل شيء على أساس المقياس الذي ذكرته .

لا شك ان الحزب الشيوعي معـــاد للصهيونية . والسبب الرئيسي لموقفه هذا هو كون الصهيونية متحالفة مع الامبريالية ضد الاتحاد السوفياتي . طبعا هذا موقف سليم ضمن حدود معينة ولكنه غير كاف . من ناحية أخرى يفتقر الحزب الشيوعي الى أي تحليل للصهيونية كحركة استعمارية بحد ذاتها. اي ان الحزب لا يواجه الصهيونية الا مـــن خلال سياستها الخارجية ، أي من خلال علاقاتها بالقوة الدولية . اما بالنسبـــة للديناميكيـــة الداخليـــة للصهيونية فليس لدى الحزب أي شيء ليقوله ، كما انه لا يفكر بهذه الطريقة أصلا . وبما ان الحزب الشيوعي يرفض النظـــر الى الديناميكية الداخلية للحركة الصهيونية والصدام الذي ولدته على أرض فلسطين مع العالم العربي يبقى الحل الذي يقدمه للنزاع محصورا ضمن حدود الاعتراف بالحقـــوق المشروعة لكلا الشعبـــين : العربي الفلسطيني والشعب الاسرائيلي . هذه معادلتهم لحل القضية الفلسطينية . وكان هذا موقفي انا في عام ١٩٦٢ كما كان الموقف الذي كانت تتبناه ضمنا منظمة ماتزبن . كان ذلك واضحا في الاعداد الاولى من مجلة ماتزبن حيث كنـــا نؤيد حق اللاجئـــين الفلسطينيين بالعودة مثلا ولكن لم يكن هناك اي نقد راديكالي للحركـــة الصهيونية يبدأ بتحليـــل تاريخها ومن ثم يواجهها من خلال تطورها لكشف طبيعتها وما فعلته في فلسطين منذ نشأتها .

بين الاعوام ١٩٦٣ — ١٩٦٦ تطور موقفنا باتجاه تبني هذا النقد ، ولا اعتقد ان هذا التطور جرى تحت تأثير اية عوامل او احداث خارجية كبيرة بل جاء نتيجة تحرير انفسنا من أساليب التفكير السائدة في الحزب الشيوعي حول كافة القضايا السياسية. لم نعد نحاكم كـــل شيء وفقـــا لعلاقته بالاتحـــاد السوفياتي . من هنا شعرنا بضرورة ملحة لفهم الصهيونية وتحليلها بحد ذاتها اذ كنا نعرف منذ البداية ارتباطها بالامبريالية ، وكلنا عاصر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . ولكن السؤال الذي طرحناه على أنفسنا هو : ما هي العوامل الكامنة في الصهيونية التي تجعلها حليفا طبيعيا للامبريالية ؟ ما هو تاريخ الاستعمار الصهيوني في فلسطين ؟ أصبحت هذه التساؤلات قضايا في غـــاية الاهمية بالنسبة لنا وشرعنـــا في دراستها وطورنا خطـــا سياسيا حولها . ليس بامكاني ان اشرح هنا هذا الخط ولكنه موجود في الوثائق المتعددة التي نشرناها. بالنسبة للاستنتاجات الاولية التي توصلنا اليها في هذا الميدان حوالي عام ١٩٦٦ فهي موجودة في نشرة « اسرائيل الاخرى » حيث حاولنا تقديم تحليـــل للصهيونية كحركة استعمارية تمتلك ديناميكية خاصة بها ، أي انهـــا ليست أداة سلبية محض بيد الامبريالية وانما تتصف بقوانين حركتها الخاصة بها التي تدفعها بالضرورة الى حلف دائم مع الدولة الكبرى التي تكون مسيطرة في الشرق الاوسط .

أما موقفنا في الوقت الحاضر فهو لا يختلف كثيرا من حيث الاساس عن التحليلات التي عرضناها في وثائق عام ١٩٦٦، مع الاخذ بعين الاعتبار ان بعض ما ورد في تلك الوثائق كان مناسبا لعام ١٩٦٦ ولكنه لم يعد ذي بال مع مرور الزمن ومع التحولات التي طرأت على المنطقة . لقد تغير موقفنا منذ عام ١٩٦٦ بالنسبة لموضوع مهم هو تحليلنا لحرب عام ١٩٤٨، علما بأن موقفنا الحالي من تلك الحرب ينسجم مع الروح العامة لتلك الوثائق.

السؤال الاساسي هو فيما اذا كان الصدام الذي وقع بين المؤسسة الصهيونية والسلطة البريطانية في فلسطين هو حرب ضد الامبريالية باعتبار انه انتهى بطرد الاستعمار البريطاني من فلسطين ؟

يجيب الحزب الشيوعي على هذا السؤال بالايجاب. اما اجابتنا نحن فقد كانت غامضة الى حد ما في وثائق عام ١٩٦٦ . أما موقفنا الحالي فيتلخص بالقول انه لا يجوز بأي حال من الاحوال اعتبار صدام ١٩٤٨ المسلح كحرب معادية للامبريالية . في احسن الاحوال يمكن اعتباره صداما نشأ بين الجماعة المستعمرة (بكسر الميم)، أي المستوطنين الذين جاءوا من الخارج، وبين الامبراطورية التي ترعرع استعمارهم في كنفها الى أن أصبحوا بحاجة الى مجال حيوي اكبر . بعبارة أخرى تشبه تلك الحرب الى حد كبير نزاع ايان سميث في روديسيا مع الاستعمار البريطاني . مثال آخر نستمده من حرب البوير حيث لم يكن البوير محررين لافريقيا الجنوبية من الامبريالية بل كانوا يسعون لمجرد التخلص من السيطرة الاستعمارية المباشرة عليهم . ارادوا ان يكونوا هم المستعمرون الحقيقيون لافريقيا الجنوبية بدون وصاية خارجية مباشرة .

استمر تطور خطنا بهذا الاتجاه كما يتبين من وثيقة نشرناها مباشرة قبل اندلاع الحرب عام ١٩٦٧ (وهي موجودة في نشرة « اسرائيل الاخرى ») . كما نشرنا وثيقة أخرى بعد انتهاء القتال مباشرة وموضوعها الحرب ذاتها ولكن لسوء الحظ لم تنشر باللغة الانكليزية بعد ومن المتوقع صدورها قريبا . ولا اعتقد ان من الضروري الخوض في تفاصيل موقفنا في هذه المقابلة اذ ان ذلك مطروح في الوثائق المذكورة وفي وثيقة نشرتها مجلة « الحرية » في بيروت . اعلنا كذلك مواقف اخرى من قضايا محددة مثل مشروع روجرز والصدام الحاصل بين الفدائيين والسلطات الاردنية .

ما هي علاقاتكم الحالية بالحزب الشيوعي وكيف تفسرون تعاونكم مع راكاح ؟

لو كنا في بلد اعتيادي مثل بقية البلدان لكانت علاقاتنا مع الحزب الشيوعي مختلفة جدا عما هي عليه في اسرائيل. اي كنا وجدنا انفسنا في معسكرين مختلفين . لكن الوضع في اسرائيل مختلف، اذ نجد انفسنا مع الحزب الشيوعي في موقع المعارض والمكافح ضد الصهيونية . لكن هذا لا يعني ان امكانات التعاون مع الحزب الشيوعي غير محدودة. في الواقع انها محدودة جدا بالمواقف المتعارضة التي نقفها نحن ويقفها الحزب الشيوعي من الحل الصحيح، كما نراه، للقضية الفلسطينية ومن الاسلوب السليم، كما نراه ايضا، لتحقيق هذا الحل . يستند الحزب الشيوعي في هذه المسألة الى قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، ولا غرابة في ذلك اذ ان الاتحاد السوفياتي يؤيد القرار . ونتيجة لهذا الموقف وجد الحزب الشيوعي نفسه منذ فترة قريبة في موقع طريف وغريب عندما أعلن روجرز مشروعه المشهور . كان الحزب الشيوعي في موقف المحرج حقا لان مشروع روجرز صادر عن الامبريالية الامريكية من ناحية وهو لا يختلف عن قرار مجلس الامن المذكور من ناحية ثانية . لذلك ادان الحزب المناورات الامبريالية في المنطقة في معرض تعليقه على مشروع روجرز وأيد بحماسة المشروع نفسه . أي في وقت واحد قال الشيوعيون ان مشروع روجرز مناورة امبريالية وأيدوه . ان مطلب الحزب الشيوعي هو الحل السياسي للنزاع في المنطقة . ومع ما في هذه التسمية من اختلاط فان المقصود بالحل السياسي هو حل النزاع على اساس توازن القوى القائم حاليا في الشرق الاوسط. فلو كان بالامكان الحصول على حل سياسي مرض (من وجهة نظر ثورية) بطرق غير عسكرية لا أعتقد أن أحدا سيمانع في ذلك . لكن الحل السياسي المقصود حاليا هو الذي أشرت اليه، أي الذي يترك السلطة الصهيونية في اسرائيل والاوضاع العربية على حالها . المسألة اذن لا تكمن في مجرد البحث عن وسائل الوصول الى حل للنزاع بل في نوع الحل المطلوب. وواضح جدا أن الحزب الشيوعي يؤيد حلا يقوم على استمرار الاوضاع القائمة في الشرق الاوسط بما في ذلك النظام الصهيوني في اسرائيل . الفارق الحقيقي اذن ليس بين الحل العسكري والحل السياسي بل بين الحل الثوري والحل غير الثوري. ويقف الحزب الشيوعي بوضوح مع الحل غير

الثوري ، بينما نقف نحن بحزم ضد هذه الحلول وامثالها لاننا لا نعتقد بأنها ستحل أي شيء . ولكن بالرغم من الهوة العميقة التي تفصلنا عن الحزب الشيوعي في هذا الموضوع نجد انفسنا في نفس الموقع معه بالنسبة لبعض القضايا اليومية والتفصيلية ، مثلا الجرائم التي ترتكبها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية وفي قطاع غزة ضد المواطنين العرب ، كذلك بالنسبة للعبة البرلمانية داخل اسرائيل . نحن لا نعلق كثيرا من الاهمية على اللعبة البرلمانية ، مع ذلك عندما تجري الانتخابات علينا ان نحدد مواقف معينة من بعض المرشحين . لذلك نؤيد مرشحي الحزب الشيوعي ، وفي الانتخابات الاخيرة عملنا معهم . وبامكاني ان اقول ان اشتراكنا في الحملة الانتخابية الاخيرة الى جانب الحزب الشيوعي كان مهما بالنسبة للحزب نظرا الى صعوبة الوضع الذي وجد نفسه فيه حيث كان معظم مناضليه العرب قيد الاعتقال في تلك الفترة . وكانت المساعدة التي قدمناها للحزب في الحملة الانتخابية كبيرة ، كما ان الموقف الذي اعلناه في وثيقتنا الانتخابية شرح دوافعنا في تأييد الحزب في الانتخابات بالرغم من اننا لا نلتقي معه كليا في نظرتنا الى قضايا الشرق الاوسط . وقد لاقت هذه الوثيقة تأييدا كبيرا في الاوساط العربية في اسرائيل . وكان اعضاء منظمتنا يستقبلون استقبالا جيدا في القرى العربية حيث ينشطون ويوزعون المنشورات . بعبارة اخرى مع اننا دعونا اهل القرى في منشوراتنا الى التصويت لمرشحي الحزب الشيوعي فقد شرحنا ايضا نقدنا المعروف لمواقف الحزب المعينة .

كيف كنتم تعملون كحزب سياسي داخل المجتمع الاسرائيلي وكيف تتصورون استمرار عملكم هذا ؟

لقد تنوعت اساليب عملنا مع تبدل الظروف . واعتقد ان جزءا من الجواب على هذا السؤال متضمن في اجابتي على السؤال الاول حول التاريخ التنظيمي لماتزبن . بامكاني ان اقسم تاريخ عملنا الى ثلاث مراحل . كما ذكرت سابقا كان نشاطنا الرئيسي في السنوات الاولى موجها نحو حركة لجان العمل في أوساط الطبقة العاملة الاسرائيلية ، وقد بذلنا جهدا كبيرا في هذا المجال وتعلمنا العديد من الدروس . تعلمنا مثلا انه بالامكان كسب تأييد العمال حول قضايا النضال العمالي الاقتصادي البحت، لان العمال قادرون على الاستنتاج بأنفسهم، ان الهستدروت يشكل عائقا في وجه تحقيق مصالحهم الطبقية . لكن من ناحية اخرى عندما كنا نحاول رفع مستوى النضال الى الصعيد السياسي ضد النظام بحد ذاته كنا نواجه مسألة الصهيونية كعائق اساسي . لذلك توصلنا الى النتيجة التالية: طالما بقيت الصهيونية طاغية في اسرائيل وبقيت الظروف العالمية وظروف المنطقة تسمح للمجتمع الاسرائيلي ككل بالتمتع بامتيازات في الشرق الاوسط تدعمها الامبريالية الامريكية فان الطبقة العاملة في اسرائيل تبقى مستفيدة من الصهيونية ومن المستبعد ان تتحول الى طبقة ثورية بالفعل . اريد ان اشدد على العبارة الاخيرة . بما ان المجتمع الاسرائيلي مقسم على أسس طبقية يقوم العائق السياسي الذي نحن بصدده (اي الصهيونية) بدور المعطل للنمو الثوري للطبقة العاملة الاسرائيلية . اما في ظروف اخرى تكون فيها الصهيونية على وشك الانهيار مثلا (بسبب اوضاع محلية وعالمية جديدة) عندئذ ستتحول الطاقات الثورية الكامنة في الطبقة العاملة الاسرائيلية الى حيز الوجود الفعلي .

اما المرحلة الثانية في عملنا فقد جاءت ، على ما اعتقد ، عام ١٩٦٦ عندما كانت المسألة المطروحة علينا هي توسيع المنظمة . ولتحقيق ذلك قمنا بنشر افكارنا وآرائنا بكل طريقة ممكنة وبكافة الوسائل المتوفرة ، وجذبنا الى المنظمة اعضاء من كافة قطاعات المجتمع الاسرائيلي ، بما في ذلك عمال من اليهود والعرب ، علما بأن العوائق التي تواجه العامل العربي في نشاطه لا يواجهها العامل اليهودي في اسرائيل . طبعا واجهنا مشاكل القمع التي تعرضنا لها مما جعل العمل اكثر صعوبة ، ولكن بالرغم من ذلك اصبحنا منظمة معروفة بفضل جهودنا الذاتية وبفضل الموقف العدائي الذي وقفه النظام منا . وبما اننا اصبحنا نمثل نقيض كل ما يمثله النظام اصبح باستطاعتنا العمل في قطاعات معينة من السكان في اسرائيل . منذ تلك الفترة لم يعد نشاط ماتزبن منحصرا في حدود صفوف الطبقة العاملة الاسرائيلية، مع اننا ما زلنا نشارك في نضالات الطبقة العاملة وفي الكفاح من اجل مطالبها الاقتصادية . وعلى الصعيد السياسي وجهنا جهودنا نحو تلك القطاعات من الشعب الاكثر تأثرا من غيرها بسلبيات الوضع السياسي والاقتصادي في البلد . هذا يعني أساسا السكان العرب في اسرائيل وهم الى حد كبير ذوو طبيعة بروليتارية . اما بالنسبة للقطاع اليهودي فان نشاطنا توجه الى اوساط الشباب التي تمر حاليا

بتطورات جديدة عبرت عن نفسها منذ فترة قصيرة بنوع من *الانزعاج الشديد* من سياسات النظام وبتصاعد الشكوك حول الصهيونية . كانت هذه التطورات واضحة في رد فعل الاوساط الشابة لما يسمى بقضية غولدمان . (المقصود هنا ما تردد في الصحافة الغربية عن عدم موافقة غولدا مائير على الزيارة السرية التي طلب ناحوم غولدمان ان يقوم بها للرئيس عبدالناصر) . غير اننا كنا نشعر بوجود هذه الاتجاهات في صفوف الشباب قبل فترة من الزمن واستطيع ان اقول ان حدوث هذه التطورات جاء الى حد ما بتأثير من نشاطنا بين الشباب . انا لا اقول طبعا بأن مسؤولية حدوثها تقع علينا كليا بالرغم عن ان بعض المقالات التي ظهرت في الصحافة الاسرائيلية ألقت باللائمة علينا بالنسبة لكل ما حدث . طبعا هذا مبالغة كبيرة ولكن كان لنا دور وتأثير . لقد تمكنا من تزويد قسم من هؤلاء الشباب ببعض المناهج الفكرية التي تساعدهم على فهم الاوضاع المحيطة بهم بوضوح اكبر . كما اثرنا في رؤوسهم تساؤلات جذرية اخذوا يطرحونها على انفسهم وعلى اساتذتهم . اذ من الضروري ان نعرف اي نوع من الاسئلة علينا ان نطرح اولا . لقد نجحنا في جعل كثيرين من هؤلاء الشباب يفكرون بهذه القضايا على اسس جديدة .

اما المرحلة الثالثة فانها لم تنته بعد بسبب نمو التفاعلات التي تحدث الان في اوساط الشباب اليهودي في اسرائيل والتي لا تزال في بدايتها . طبعا ان عدد من تشملهم هذه التفاعلات قليل نسبيا كما ان الظاهرة ليست منتشرة على نطاق واسع ، غير اننا مقتنعون بأنها ستنتشر وتتسع بدون ريب . وميدان العمل مفتوح أمامنا في اوساطهم . لكن يجب الا نبالغ ، لان الظاهرة ستبقى ضيقة ومحدودة كما ذكرت ، ولان بعض الذين يدخلون هذا الطريق يتوقفون بعد فترة عن العمل ولا يستمرون الى النهاية . هناك ظاهرة اخرى تذكر هي تشكل فئات صغيرة داخل اسرائيل ذات طابع راديكالي وسطي ، بمعنى انها تريد ان تكون يسارية ولكن مع الابقاء على علاقة ما بالصهيونية .

هل بامكانك تسمية بعض هذه الفئات ؟

التجمع الوحيد الذي اكتسب شكلا محددا الى حد ما هو « سياح » الذي يكتسب اسمه من الاحرف الاولى لعبارة « اليسار الاسرائيلي الجديد » . يتألف هذا التجمع من *أشخاص كانوا في الحزب* الشيوعي الذي يقوده ميكونيس وسنيه ، وحزب المابام . وهو يلعب ، من الناحية الموضوعية ، الدور الذي كان يلعبه حزب المابام في الايام الماضية ، اي نوعا من التجميل اليساري للصهيونية . طبعا هذا يعني انه يقوم بدور رجعي بمعنى انه يشكل عائقا أمام تطور عناصر كثيرة في اسرائيل وخارجها بسبب نشرهم دعاية من النوع الذي يخلق وهما معينا يقول انه بامكان الصهيونية ان توصف باليسارية . من ناحية اخرى يقوم هذا التجمع بدور ايجابي بمعنى انه يشكل مرحلة من مراحل النمو ، في حياة الكثيرين ، باتجاه الموقع اليساري الثوري ، اذ ان معظم الناس غير قادرين على القفز مرة واحدة من الصهيونية الى الموقف الثوري ، وعليهم الانتقال الى الموقع الثاني تدريجيا وعبر مراحل تتصاعد في راديكاليتها .

توجد كذلك بعض جماعات اخرى ولكن ليس لها اية صفة تنظيمية ولا تطرح اي برنامج سياسي . جماعات من طلاب المدارس الثانوية مثلا الذين ينظمون اجتماعات فيما بينهم ويوزعون منشوراتهم (غير المرخصة رسميا) مما يعرضهم للملاحقة من قبل البوليس في بعض الاحيان .

تطالبون في منشوراتكم بانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ ، وهذا موقف ينادي به الحزب الشيوعي ايضا . لكن من الواضح ان هذا المطلب لا يخدم الحل الثوري للقضية علما بان منظمتكم تريد حلا ثوريا . لذلك لا بد من الاستفسار عن دوافع طرحكم لمثل هذا المطلب خاصة انه قد يقع ، كما يبدو لي ، في شراك الخط الرسمي للحزب الشيوعي وما يسمى بالحل الدبلوماسي للمشكلة .

اولا نحن لا نعتقد ان الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ سيؤدي الى حل اية مشكلات حقيقية . ان كل ما نقوله بهذا الصدد هو ان مثل هذه الخطوة هي شرط ضروري للعمل السياسي ولكنها غير كافية على الاطلاق . نحن لا نعتقد انه بالامكان حل المشكلة على اساس الوضع القائم كما كان قبل حرب ١٩٦٧ . بينما يرى الحزب الشيوعي ان الوضع السابق يمكن ان يكون اساسا لتسوية النزاع . ان مطلب انسحاب القوات الاسرائيلية يعني شيئا مختلفا بالنسبة للحزب الشيوعي عما يعنيه بالنسبة لنا .

فيما يتعلق بما ذكرتيه عن احتمال وقوعنا في شراك

موقف الحزب الشيوعي اقول انـه لا يمكن لاي انسان يقوم بالعمل السياسي في اسرائيل ان يستغني عن مطلب الانسحاب . بالنسبة لاي اسرائيلي يعتبر نفسه ثوريا ان رفع شعار الانسحاب كمطلب حد أدنى وليس كمطلب نهائي هـو أمر ضروري وملح للغاية . انا لا أوهم نفسي بأن تحقيق هذا المطلب سوف يحل المشكلة التاريخية ولكن علينا ان نعلن ، على اقل تعديل ، موقفنـا المناوىء للاحتـلال العسكري . ان اي اسرائيلي لا يعلن موقفه ضد الاحتلال يصبح مشاركا فيه . اما بالنسبة لكيفية مقاومة الاحتلال فقد اعلنا موقفنا بهذا الصدد اكثر من مرة .

هل استنتج مما قلته بان الطاقات الثورية الكامنة للطبقة العاملة الاسرائيلية لن تتحقق على صعيد الواقع الا تحت تاثير عوامل خارجية (مثل حدوث ازمة في اسرائيل مصدرها خارجي) ستكون نابعة على الارجح مـن نمو القوى العربيـة الثورية وتطورها ؟

نعم ، اوافق مع اني قد لا اعبر عن الاستنتاج بنفس كلماتك ، اذ انني لا اعتقد بوجود مؤثرات « خارجية » بحت لان نمو الاشياء يتم دوما بأسلوب ديالكتيكي . اعني ان تحـول الطبقة العاملـة الاسرائيلية على النحو الذي ذكرناه سيأتي نتيجة نمو يشمل عوامل خارجية وداخلية مجتمعة معا وليس بالامكان فصلها عن بعضها ميكانيكيا . لكن في الاساس اعتقد ان العنصر الرئيسي سيكون تطور القوى العربية الثورية بالاضافة الى الوضع العالمي وظروفه ايضا .

على ضوء ما ذكرت كيف يكون موقف منظمة الماتزبن من الطبقة العاملة اليهوديـة في اسرائيل ؟ هـل تغسلون ايديكم منها في الوقت الحاضر وتنتظرون الى ان تاتي ظروف افضل واكثر ملاءمة لايقاظها ثوريا ام ينبغي ان يستمر العمل في صفوفها مهما كانت الظروف ؟

أولا ينبغي ان يكون واضحا اننـا لسنا جماعة تكرس نفسها لمسألة النـزاع العربي الاسرائيلي فحسب . هذا ليس اهتمامنا الوحيد . نحن حزب اشتراكي ولذلك تقضي الضرورة الحيوية ان تكون لنا جذور في الطبقة العاملة . كما اننا نعتقد ان الطبقة العاملة هي طبقة ثورية على المدى البعيد. المهم في نظرنا هو ان ندرك في الوقت الحاضر ان العمل في صفوف الطبقة العاملـة الاسرائيلية لا ينبغي ان ترافقه بالضرورة التوقعات الطبيعية التي ترافق العمـل في اي دولة رأسمالية عادية في زماننا . وبدهي علينا ان نتدخل في الصراع الطبقي داخل اسرائيل ولكننا لا نتوقع في الظروف الحاضرة ان ننجح في رفع مستوى النضال العمالي مـن الصعيد الاقتصادي البحت الى الصعيد السياسي لان ذلك سوف يعني ضرب الصهيونية ، اي حدوث ثورة في اسرائيل ، او بعبارة ادق اكتمال الوجه السياسي للثـورة في اسرائيـل واعني سقـوط الصهيونية . طبعـا انا لا اعني مجـرد الثورة السياسية ، ستكون ثورة اجتماعية ولكن الناحية السياسية من الثورة ستعني في جوهرها اسقاط الصهيونية . الطبقـة العاملة في اسرائيل ليست مستعدة في الوقت الحـاضر للاضطلاع بمثل هذه المهمة ، ليس لانها غير ناضجة بما فيه الكفاية بل لانها مستفيدة من الصهيونية . سوف يتغير هذا الوضع اذا دبت عوامـل الضعف في الصهيونية ومؤسساتها بسبب عدد مـن العوامل الخارجية والداخلية ، مثل تطور القوى الثورية في كافة انحاء الشـرق الاوسط ، وضعف سيطرة الامبرياليـة الاميركية علـى العالم العربي . وواضـح ان الامبريالية الاميركية تؤيد الصهيونية وتدعمها ليس بسبب الارباح التي تجنيها في اسرائيل ، ولكن لانها تستخدم اسرائيل في حماية مصالحها في منطقـة الشرق الاوسط ، ومصالح النفط اشهر من ان تذكر . لذلك نرى انه لاضعاف الصهيونية لا بد من ضرب المصالح الاميركية في الشرق الاوسط . مع تبدل الظروف بالاتجاهات التي ذكرتها سيكـون باستطاعة الطبقة العاملة الاسرائيلية ان تختـار اختيارا جديدا ، سيتم ذلك عندما تفقد اسرائيل وظيفتها كحارس امبريالي في الشرق الاوسط لانه لا لزوم للحارس في المناطق التي ليس فيها مصالح . طبعا ان مثل هذه التطـورات لا تأتي لوحدهـا وبصورة آلية . انها مرهونة ايضا بالعمل الذي نقوم به ويقوم به كافة الثوريين في المنطقة .

هناك نقطة يجدر بنا ايضاحها . في اية ظروف تعتقد انه يمكن للصهيونية ان تنهـزم ؟ مثلا ، بما ان السيطرة الصهيونية قائمة على قوة داخلية هي المؤسسة العسكرية الاسرائيلية هل يمكن اسقـاط الصهيونية بدون هزيمة عسكرية يصاب بها الجيش الاسرائيلي ؟

اعتقد ان الهزائم العسكرية في الواقع ستكون من اعـراض الضعف الـذي سيصيب المؤسسـة الصهيونية . وليس صحيحا ان الهزيمة العسكرية

هي التي ستضعف تلك المؤسسة . كما اني لم اقصد في كلامي السابق القول بأن الطبقة العاملة الاسرائيلية ستصبح ثورية بعد اسقاط الصهيونية بالتمام والكمال . الصورة التي حاولت رسمها اكثر تعقيدا من ذلك ، ان الاضعاف المستمر لقوة الصهيونية قد يعبر عن نفسه خارجيا عن طريق الهزائم العسكرية ، غير ان مصدر الضعف سيكون مجموعة عوامل خارجية وداخلية كما ذكرت في السابق . سأبين ما اعنيه : انت تقولين ان الاداة الاساسية التي تسيطر عليها الصهيونية سيطرة كاملة هي الجيش الاسرائيلي (بينما هي لا تسيطر على هذا النحو على قوى اخرى مثل الامبريالية الاميركية او التطورات في الدول العربية) . لا بأس . غير ان الجيش ليس شيئا ساكنا وثابتا . يعني الجيش شيئين اساسيين : الاسلحة والرجال. كما هو معروف اسرائيل لا تنتج الاسلحة المهمة اذ ليس لديها الحديد ولا الفولاذ الضروريان لذلك . كما ان استطاعتها المحافظة على مستوى تسليحها هو تعبير واضح عن مستوى الدعم الامبريالي لها . لا يجوز طرح الموضوع اذن من زاوية هزيمة الجيش الاسرائيلي كما هو قائم حاليا لانه سيكون من اعراض ضعف الصهيونية وتدهورها في المستقبل الضعف العام للامبريالية في الشرق الاوسط مما سيؤثر على مستوى تسليح الجيش الاسرائيلي. اما بالنسبة للرجال اعتقد ان ما يسمى بتمرد الشباب في اسرائيل هو على درجة كبيرة من الاهمية ، لان هؤلاء الشباب هم الذين يقاتلون في الجيش الاسرائيلي ويشكلون عموده الفقري ، باعتبار ان الجيش الاسرائيلي جيش مواطنين وليس جيشا محترفا . لذلك ان ما يفكر به هؤلاء الشباب له اهميته . لا أدري اذا كنت مطلعة على المقال الذي نشره دايان منذ فترة قصيرة في صحيفة **التايمز** اللندنية . بامكاننا ان نستشف من المقال بعض الهموم التي تقلق هذا الرجل . قبل صدور المقال بيوم او يومين شاهدت اعلانا مسبقا في التايمز يبشر بصدور المقال المعني نقلت لنفسي لن اجد فيه طبعا الا الدعاية الصهيونية العادية الموجهة الى القراء في الغرب . ولكن اتضح لي من المقال ان هناك اشياء تقلق دايان وهي على جانب من الاهمية ضمن الوضع الاسرائيلي الداخلي . يتذمر دايان في مقاله من واقع جديد يقلقه هو ان الشباب في اسرائيل لم يعد كما كان

في السابق ، اي كما عهده دايان دوما . اي لم بعد الشباب يتقبلون الدعاية الصهيونية وتبريراتها ومغالطاتها كما كانوا يفعلون سابقا . كانت كل هذه الهموم واضحة في مقال دايان ، عبر عنها حتى في مقال موجه الى القارىء الانكليزي الذي لا علاقة له بها . يقول دايان يجب علينا ان نبين للشباب في اسرائيل ان هذه الحرب التـي نخوضها هي حربهم وعليهم المشاركة فيها لهذا السبب وليس لمجرد اننا نطلب منهم ذلك . هموم دايان تبين ان شيئا ما يحدث في اسرائيل وهو يتعلق بتطورات جديدة في صفوف قطاع معين من الشعب بالرغم منكونه قطاعا صغيرا نسبيا منالشباب الاسرائيلي. لا شك أنه سيكون لمثل هذه التطورات نتائجهـا الهامة حتما على الصعيد العسكري البحت . لذلك لا اعتقد انه من الضروري ان تصاب اسرائيل بهزيمة عسكرية شاملة كي تتحول الطبقة العاملة فيهـا الى وضع ثوري . طبعا انا لا اقول ان مثل هذه الهزيمة غير ذات صلة بوضع الطبقة العاملة . الذي اقوله هو ان الهزيمة العسكرية لا يمكن ان تكون الا احد الاعراض الهامـة للضعف الذي سيدب في الصهيونية ويؤدي الى تدهورها . اعتقد ان سقوط الصهيونية سوف يكون نتيجة لازمة مركبة على الصعيدين العسكـري والاقتصادي . أعني بالناحية العسكرية من الازمة ان اسرائيل ستجد طاقاتها العسكرية غير قادرة على تحقيق ما كانت قادرة على تحقيقه في السابق (بسبب نمو القوى الثورية العربية وانحسار المصالح الامبريالية في المنطقة مثلا) . الاوضاع التي ستؤدي الى تحول داخلي في اسرائيل سوف تأتي نتيجـة لمثل هـذه الازمة المركبة اقتصاديا وعسكريا . وكما هـو معروف هذا النوع من الازمات يشكل الوضـع الكلاسيكي لاشعال الثورات وانتاجها . على سبيل المثال ثورة اكتوبر ، بالرغم من الفوارق ، جاءت نتيجة لازمة عسكرية واقتصادية .

ذكرت ان الامبريالية الاميركية سوف تتخلى عن حارسها في الشرق الاوسط مع ذهاب مصالحها من المنطقة ، ولكننا نجد انه في مناطق اخرى مـن آسيا حدث العكس مثل استمرار الدعم الامبريالي الاميركي لنظام تشان كاي شيك في فورموزا (الذي ما زال يدعي تمثيل شعب الصين ويحاول استعادة سيطرته على البر الصيني) . بعبارة اخرى ان خروج منطقة ما من مجال نفوذ الامبريالية لا يؤدي بالضرورة الى جعل الحارس عاطلا عن العمل ، بل قد يؤدي الى رد فعل معاكس كأن يصبح هذا الحارس (اسرائيل) القاعدة الوحيدة الباقيـة في يد الامبريالية لشن عدوان ضد الانظمة المعادية للاستعمار او اية انظمة اشتراكية قد تنشأ فـي الجوار . هذا يعني ان اسرائيل قد تصبح اكثر شراسة وعدوانية كلما ابتعد العرب عن مجـال نفوذ الامبريالية ، كما قد يعني انه ما لم يتحول توازن القوى في المنطقة لصالح الدول العربيـة المحيطة باسرائيل لا نستطيع ان نتكلم عن اسقاط الصهيونية .

يبدو لي ان مثال فورموزا يبين أنه لو كانت المسألة هي مجرد اعادة الصين الى حظيرة الامبرياليـة لما قامت الامبريالية الاميركية بدعم فورموزا الى هذا الحد على أقل تعديل . بعبارة اخرى امريكا تدعم فورموزا ليس لاستعادة الصين وانما لحماية مصالحها في الشرق الاقصى وجنوبي شرقي آسيا . لذلك تكون المقارنة التي ينبغي ان نركز عليها هي هل ستستمر الامبريالية الاميركية بدعم اسرائيل الى هذا الحد لو فقدت امريكا مصالحها في الشرق الاوسط كله ؟ اعتقد أن الجواب المرجح هو النفي. طبعا اني موافق انه مع حدوث اي تحول ثوري في المنطقة اي في العالم العربي ستستخدم اسرائيل في أول الامر والى أقصى حد من قبل الامبريالية . ان توازن القوى العسكرية هو موضوع هـام لا شك ومن النتائج التي ستفرزها ثورة اجتماعية في العالم العربي هو بالضبط تغييـر ميزان القـوى العسكري لصالح الجانب العربي واعتقد أن هذا من الدروس التي اوضحتها حرب ١٩٦٧ بمعنى فضحها لضعف الانظمة العربية الحاضرة علما بأن هذا الضعف لا يقاس بمقاييس تقنية فقط ، اذ أن الضعف في الاساس هو تعبير عن الواقع الاجتماعي والسياسي العربي . من النتائج الهامة التي نتوقع ان تؤدي اليها ثورة شعبية في الشرق الاوسـط تحرير تلك الطاقات العربية الكامنـة ، بما فيها الطاقات على الصعيد العسكري ، التي ستغير ميزان القوى لصالح الثورة. بطبيعة الحال ستضطر الطبقة العاملة الاسرائيلية لاتخاذ قرار جديد وذلك في ظروف لا تكون فيها الصهيونية في الوضع الممتاز الذي تحتله حاليا . لا شك أن هذا التحول سيكون أحد النتائج المباشرة للثورة العربية ، واشدد هنا على تولي الثورة العربية وليس الثورة الفلسطينية وحدها لانه من الواضح تعذر تحقيق مثل هـذه النتائج الكبيرة عن طريق تفاعلات تبقى محدودة

ضمن اطار الشعب الفلسطيني . لا يمكن تحويل ميزان القوى في المنطقة الا عن هذا الطريق . لذلك نحن نشدد دوما بأنه ليس بالامكان حل المشكلة الفلسطينية ضمن نطاق الوضع الفلسطيني البحت. المطلوب هو اطار ثورة اوسع تشمل الشرق الاوسط كله : اي ثورة عربية . في الواقع هذا استنتاج بدهي بالنسبة لنا . اذا نظرنا الى الموضوع من زاوية اخرى يبدو لنا ان تطور الثورة العربية سيؤدي الى نتيجة مزدوجة: ضرب المصالح الاميركية في المنطقة وطرد السيطرة الاجنبية مما سيجعل الامبريالية الاميركية مضطرة الى استخدام اسرائيل ضد الثورة . ولكن بالمقابل ستولد هذه الثورة القوى الكافية ، كما نأمل ، لمواجهة هذا التدخل ، ونتيجة لمثل هذه التطورات قد تتولد أزمة عسكرية واقتصادية في اسرائيل نفسها خاصة اذا تمكنت قوى الثورة العربية من مواجهة التدخل بنجاح ، مما قد يبين لقطاعات من الجماهير الاسرائيلية بأن الدولة تسير في طريق مسدودة . طبعا هناك احتمالات التدخل الاميركي المباشر ولكن هناك ايضا امثلة على تراجعات امبريالية فرضت فرضا على امريكا من قبل القوى الثورية. باختصار ان اهم عامل في المجموعة المعقدة من العوامل المؤثرة على تطور الصراع مع الصهيونية هو تطور الثورة العربية ونمو طاقتها على مواجهة اعدائها في الداخل والخارج بما في ذلك التدخل الصهيوني.

أريد ان انتقل الى الكلام عن حركة المقاومة الفلسطينية وبروزها كقوة فاعلة بعد حرب ١٩٦٧ . هل من الممكن ان تبدأ باعطاء رأيك بالمقاومة عامة وتأثيرها على منظمة ماتزبن نفسها ؟

لا اعتقد ان بروز المقاومة قد اثر كثيرا على منظمتنا بحد ذاتها . طبعا لا اعني اننا لا نعتبر المقاومة ظاهرة في غاية الاهمية . ما اعنيه هو اننا كنا على يقين بأنها ستبرز . كان لا بد للمقاومة من ان تأتي . واذكر هنا انه عندما اجتمعنا في خريف عام ١٩٦٧ بأحمد خليفة ، ذكرنا له اننا نتوقع بروز حركة مقاومة ولم نفاجأ بها عندما اتسعت وكبرت . من ناحية اخرى لقد أعلنا موقفنا حول موضوع المقاومة يتلخص بأن الكفاح المسلح ضرورة حيوية واداة مشروعة في مواجهة الاحتلال. ويختلف موقفنا هذا عن وجهة نظر الحزب الشيوعي باعتباره يرفض مبدأ الكفاح المسلح . نحن لنا موقف مبدئي عام وواضح في ما يتعلق بالكفاح المسلح . نعتبره اداة مشروعة وضرورية في النضال . ولكن هذا لا يعني اننا نجعل منه « فيتيشا » كأن نعتبره الاسلوب الوحيد للكفاح . ان نضال القوى الثورية الفلسطينية سوف يشمل بالضرورة الكفاح المسلح ونحن واعون تماما لهذه الحقيقة ، في الواقع ادركناها قبل انتشار حركة المقاومة على نطاق واسع .

مع ان الاحتلال هو الذي اعطى المقاومة دفعتها الرئيسية باعتبار انها نمت بسرعة في ظله ، غير ان حركة المقاومة لا تنظر الى وظيفتها ضمن حدود انهاء الاحتلال والا وقعت في شراك مواقف الحزب الشيوعي الذي تعارضونه . تعتبر المقاومة نفسها حركة تحرير وطنية تكافح ضد المؤسسة الصهيونية ودولتها على ارض فلسطين . السؤال اذن ذو شقين : ١) ما هو موقفكم من موضوع الكفاح المسلح في المنطقة العربية الذي يهدف الى تدمير الدولة الصهيونية (يقول الماركسيون: تدمير الدولة البرجوازية المضطهدة (بكسر الهاء) هناك) . ٢) هل تتصورون ان منظمة ماتزبن (او اليسار الثوري الذي قد ينمو داخل اسرائيل) قد تتطور الى مستوى حمل السلاح والمشاركة في تطوير الثورة في المنطقة عن طريق القتال ضد المؤسسة الصهيونية في اسرائيل وكل من يدعمها ؟

سأجيب على الشق الثاني من السؤال لان الاجابة بسيطة وواضحة : نعم ، وبدون أي تردد . نحن لسنا ثوريين برلمانيين كما أوضحت سابقا . ان الدافع الكامن خلف تأسيس ماتزبن كان شعورنا بأن الحزب الشيوعي تبنى النظرية القائلة بالطريقة السلمية الى الاشتراكية مما يشكل بالنسبة لنا تحولا في الحزب يعطيه جوهره غير الثوري . لذلك اقول بوضوح اننا نضع ضمن الوسائل الضرورية لاسقاط اي نظام بورجوازي ، وبالتخصيص النظام البورجوازي في اسرائيل ، اسلوب الكفاح المسلح. اما بالنسبة للشق الاول من السؤال فان اجابتي مستمدة مما ذكرت . نحن لا نعترض ، من حيث المبدأ ، على القول بأن اسقاط الصهيونية سوف يتطلب الكفاح المسلح ولا شك في ضرورة ذلك على ارض الواقع . الذي أريد أن أبينه بالنسبة للكفاح الفلسطيني المسلح هو انه لن يكون قادرا بحد ذاته على تحقيق هذه النتيجة وحده . السؤال لا يطرح نفسه ، بالنسبة لنا ، فيما اذ كان استخدام الكفاح المسلح ضد الصهيونية مشروعا لان الجواب هو بالايجاب ولان العنف الثوري مشروع في مواجهة اي نظام قمعي . السؤال الذي نحن بصدده هو اذا

كان الكفاح الفلسطيني المسلح وحده يكفي للوصول النتائج المطلوبة ، ولا اعتقد انه يكفي ، لان ن القوى قائم علـ صورة ستدفع بالكفاح مسلح الفلسطيني بالضـ ـكي يتحول الى مجرد مقاومة ضد الاحتلال . اي مـا لم يصبح الكفاح المسلح الفلسطيني جزءا مـن حركة اوسع هـي الثورة العربية فانه لن يحقق اكثر مما ذكرت . ولقد اوضحنا هذه الحقيقة في المقال الذي نشر في مجلة « الحرية » حيث ذكرنا ان الاتجاه الذي يفصل القضية الفلسطينيـة ويعزلها عـن حركة الثورة العربية هو بالضرورة اتجاه اصلاحي لانه سينتهي، تحت ضغط الظروف ، الى موقف يحاول تسوية النزاع على أساس الانظمة القائمة . علينا ان ندرك بهذا الصدد ان التحرك الفلسطيني حتى لو تمت تعبئته الى أقصى ما يمكن لن يتمكن من ضرب الصهيونية حتى ضمن حدود اسرائيل كمـا كانت قبل حزيران ١٩٦٧ . أما أسباب ذلك فيمكن تلخيصها كما يلي: اولا، الحجم الذي يمكن ان تصل اليه الحركة الفلسطينيـة حتى في احسن ظروف التعبئة يبقى صغيرا نسبيا . ثانيا، نحن نعلم من تجارب حروب العصابات ان من ضرورات نجاحها كسب تأييد السكان حيث يعمل مقاتلو العصابات . هذا الشرط متحقق من حيث المبدأ في الضفة الغربية بالنسبة لحركة المقاومة (بمعنى ان التأييد للمقاومة كامن في الضفة الغربية مع انه لم يتحول كليا الى حيز الفعل) . أما في اسرائيل فان قضية حرب العصابات تطرح نفسها علـى صعيد آخر تماما باعتبار ان السكـان هنـاك ليسوا عـربا او فلسطينيين . فاذا حصرنا انفسنا ضمن حدود حركة الكفاح الفلسطيني المسلح وحده لا بد وان يكون النشاط الذي يمكن ان تقوم به مثل هذه الحركة في تل ابيب مثلا محصورا ضمـن اطار الاعمال « الارهابية » . وانا لا استعمل عبارة « ارهابية » بأي معنى أخلاقي او قدحي وانما بالمعنى التقني فقط . كما اني لا اقول بأن الارهاب غير مشروع في كل الحالات . اني أتساءل عن النتائج التي يمكن ان يحققها هذا النوع من الارهاب في مثل الظروف المذكورة وبالنسبة لحركة تحرير هدفها شن حرب عصابات ناجحة ، اذ لا يمكن اسقاط الصهيونية في تل ابيب وحيفا (أي في اسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧) عن طريق الاعمال الارهابية بالمعنى الذي حددت . بعبارة أخـرى السؤال المطروح بالنسبة لنا ليس استخدام الكفاح المسلح او عدم استخدامه لاننا كثوريين نعتقد بأن الكفاح المسلح هو جزء من الكفاح لاسقاط الانظمة القمعية بما فيها النـ ـام الصهيوني في اسرائيل واسقاط الامبريالية في الشرق الاوسط . السؤال الذي نركز اهتمامنا عليه هو اذا كان بالامكان تحقيق مثل هذه النتائج ضمن الاطار الفلسطيني المحض . كذلك ينبغي الا نقع فريسة الاعتقاد الخاطىء بأن كل ما يمكن ان يقدمه العمل الفلسطيني الى الثورة العربية هـو استخدام السلاح في الكفـاح ليس الا . الكفاح المسلح هو جزء مـن عملية النضال او الكفـاح السياسي الشاملة ، والعمل الفلسطيني ينبغي الا يشذ عن هذه القاعدة . من النتائج السلبية التي ظهرت للنزعة التي لا ترى في الكفاح الفلسطيني الا تعقمة السلاح اضمحلال النضال الذي تصاعد في فترة سابقة في الضفـة الغربيـة ضد الاحتـلال الاسرائيلي . ان السبب في ضمور هذا النضال واضمحلاله لا يرجع الى القمع الاسرائيلي وحده ، بل يرجع ايضا الى الجو الذي خلقته حركة المقاومة الفلسطينية في التشديد الكلي على حمل السلاح والتخفيف الشديد (حتى حدود الازدراء) من شأن النضال السياسي وأهميته الجماهيرية .

لقد وصف البعض منظمتكم بانها تروتسكية وقالوا ان لها روابط بالاممية الرابعة . ما هو رأيك في ذلك ؟

ان مصدر هذا التصنيف هو انتماء بعض اعضاء المنظمة الى خط الاممية الرابعة وذلك قبل انتسابهم الى الماتزبن . ولا يشكل هؤلاء جماعة كبيرة داخل المنظمة . منظمة ماتزبن ككل ليست تروتسكية ، والاتجاه العام لمعظم اعضائهـا ليس اتجاهـا تروتسكيا بالمعنى السياسي ، واعتقد ان اغلبية الاعضاء سوف يرفضون تصنيفهـم كتروتسكيين . وينطبق هذا عليّ شخصيا بالتأكيد . توجد وجهات نظر اوافق عليها في الخط التروتسكي ولكن هناك أمورا أخرى كثيرة اختلف فيها معهم تماما . على سبيل المثال اذكر ان أحد أعضائنا ، سعيد ، كانت له صلات قديمة بالاممية الرابعة . وبما ان منظمتنا هي التنظيم الثوري الوحيد في اسرائيل لا بد وان تتمثل فيها عدة اتجاهات . في الواقع كان في المنظمة اتجاهان تروتسكيان صغيران جدا ، وقد انفصل احدهما وهو الاتجاه « اللومبارديست » علما بأنه ليس لهذه الجماعة اي ارتباط بالاممية الرابعة . أما المجموعة الاخرى المؤيدة للاممية الرابعة فما زالت داخل المنظمة ولكن عدد افرادها قليل . ولم

نعان من أية متاعب كبيرة داخل المنظمة بسبب هذه المسألة لان الخلافات بين التروتسكيين وغير التروتسكيين حول قضايا الشرق الاوسط قليلة . أما بالنسبة لقضايا عالمية اخرى مثل الطبيعة الطبقية للمجتمع في الاتحاد السوفياتي فهناك خلافات ولا تلتزم منظمة ماتزبن ككل بالاجتهاد التروتسكي في هذه القضايا .

لقد طرحتم فكرة ((حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي)) ضمن سياق انتصار الثورة الاشتراكية على المدى البعيد في منطقتنا . وقد اثيرت بعض التساؤلات حول مضمون هذا الموقف من جانبكم . لذلك أريد المزيد من الايضاح حول النقطة التالية : معروف ان مطلب حق تقرير المصير يخص الشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) ، كما انه واضح ان الشعب الفلسطيني هو الشعب المضطهد في ظل الظروف السائدة في الشرق الاوسط والشعب الاسرائيلي ، بقيادة طبقته الحاكمة ، هو الشعب المضطهد (بكسر الهاء) . فما هو معنى مطالبتكم بحق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي ؟

يجب أن يكون واضحا ان مسألة حق تقرير المصير في الشرق الاوسط لا يمكن ان تعني في الوقت الحاضر الا تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني الواقع تحت الاضطهاد الاسرائيلي والسيطرة الاسرائيلية كما تقولين . هذا هو المحتوى الواقعي حاليا لمسألة حق تقرير المصير . في الواقع كانت هذه القضية من العوامل الهامة التي أدت الى ابتعادنا عن التعاون مع يوري افنيري ومجموعته في عام ١٩٦٦ . طرحنا يومها قضية مهمة تتلخص بتثبيت مطلب حق تقرير المصير للعرب ، اي كنا واعين لهذا الحق حتى قبل حرب ١٩٦٧ . بالاضافة الى ذلك كنا نعتبر ان التنفيذ الصحيح لمضمون الشعار لا يعني خلق دولة فلسطينية منفصلة او دمج الشعب الفلسطيني في المجتمع العربي على اساس الوضع الراهن وتوازن قواه ، بل يعني قيام دولة اتحادية اشتراكية في الشرق الاوسط . في الواقع هذا هو الاطار الذي ننظر من خلاله الى مستقبل الشعب الاسرائيلي نفسه . بعبارة اخرى نحن نؤيد حق تقرير المصير لعرب فلسطين ولا خلاف بيننا حول هذا الموضوع على الاطلاق . اما بالنسبة لما نعنيه بحق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي فان نقطة البدء في تفكيرنا هي اننا لا نرى اي حل تاريخي ممكن للقضية الفلسطينية الا من خلال قيام جمهورية اشتراكية في الشرق الاوسط تضم بالضرورة تقسيمات داخلية وفرعية لاسباب عديدة منها وجود اقليات قومية غير عربية في الشرق الاوسط . حتى لو لم تكن هذه الاقليات موجودة ستضم الدولة المذكورة بالضرورة تقسيمات داخلية تتناسب مع السمات الخاصة لاجزاء الامة العربية وتأخذ تنوعها بعين الاعتبار . ولا شك ان الفلسطينيين هم مجموعة معينة داخل الامة العربية. لكن بالاضافة الى ذلك توجد القوميات غير العربية التي نعتقد بأنه يجب ان تكون جزءا من هذه الجمهورية الاشتراكية التي ستكون جمهورية عربية بمعنى ان الاكثرية الساحقة من سكانها هم من العرب . ان الفكرة التي حملناها ولا نزال نحملها تتلخص بالقول ان الحل الصحيح للقضية الفلسطينية هو الاقرار بوجود عنصر يتكلم العبرية داخل هذه الجمهورية الاشتراكية الموحدة في الشرق الاوسط . ويفترض هذا الحل منذ البداية سقوط الصهيونية . لذلك ان الكلام عن حق تقرير المصير لليهود الاسرائيليين لا يشكل مطلبا آنيا ولا معنى له في الوقت الحاضر وفي ظل الظروف القائمة . مع ذلك ينبغي اثارة الموضوع على المدى البعيد وكجزء من تخطيط عملنا السياسي للمستقبل ، لان اثارة قضية حق تقرير المصير للشعب الاسرائيلي هي وسيلة اخرى لطرح السؤال التالي والحصول على جواب واضح له : هل نريد الوصول الى وضع يصبح فيه الشعب الاسرائيلي مضطهدا (بفتح الهاء) بدلا من أن يكون مضطهدا (بكسر الهاء) بعد سقوط الصهيونية وانتصار العرب عليها مثلا ؟ اي ان طرح قضية حق تقرير المصير هنا هي وسيلة لاستخلاص الجواب الثوري السليم على هذا السؤال . في الواقع بامكاننا طرح المسألة بصيغة لا تأتي على ذكر حق تقرير المصير ابدا وذلك على النحو التالي : اولا ، هل نعترف بأن الشعب الاسرائيلي يتمتع بكيان قومي بدلا من ان ننظر اليه كجماعة دينية ؟ ثانيا ، اذا أقررنا ايجابا بمضمون السؤال الاول هل نريد أن نحول الشعب الاسرائيلي في المستقبل الى قومية مضطهدة (بفتح الهاء) ؟ اذا قلنا بأننا سوف نمنع عن هذه القومية حقها في تقرير المصير في المستقبل نكون كمن يقول بأننا سنجعل منها قومية مضطهدة .

أردت ان أحصل على ايضاح لهذه المسألة لانه أسيء تفسيرها واستخدامها في بعض الاوساط . على سبيل المثال حدث منذ فترة قصيرة ان استغل بعض الفرنسيين ممن يدّعون اليسارية ، وهم في

الحقيقة مناصرون للصهيونية ، بعض الاقوال المنسوبة الى الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين حول حق تقرير المصير ليتوصلوا الى الاستنتاج التالي : الموافقة على مبدأ حق تقرير المصير تعني الموافقة على دولة اسرائيل كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ لان الشعب الاسرائيلي اختار دولته ومصيره على هذا الاساس وعلى تلك الصورة .

الارجح ان الكتاب الفرنسيين المشار اليهم هم من انصار المابام . وبطبيعة الحال نحن لا نقبل هذه الفكرة على الاطلاق لما فيها من تشويه واضح لمبدأ حق تقرير المصير . لا شك ان «اليسار» الصهيوني يستخدم فكرة حق تقرير المصير كي يبرر وجود دولة اسرائيل على حالها . ولكن نحن بعيدون كثيرا عن هذه المواقف . في رأينا ، عند نشوء وضع ثوري في المنطقة كلها قادر على اسقاط الصهيونية ينبغي ان يكون حل القضية الفلسطينية على اساس الاعتراف بأن الشعب الاسرائيلي يشكل مجموعة قومية وليس مجرد جماعة دينية كما ترى منظمة فتح مثلا . اذا نظرنا الى الاسرائيليين كجماعة دينية فقط يمكن تسوية المشكلة عندئذ على اساس اقامة دولة علمانية ، قد تكون دولة فلسطينية او دولة شرق اوسطية او دولة اتحاد اشتراكي عربي. ويكون المطلب الوحيد عندئذ هو ضمان الحريات الدينية وينتهي كل شيء عند هذا الحد . لكن هذه المشاريع والحلول لا تنطبق على الواقع لان الشعب الاسرائيلي ، اي الشعب الذي يتكلم العبرية في المنطقة ، ليس جماعة دينية ، وانه لمن السذاجة الاعتقاد بأن هذه القضايا المعقدة تنحل بمجرد اعتبار الاسرائيليين جماعة تعتنق دينا معينا . ان اي حل واقعي للمسألة لا يريد ان يغرق بالاوهام عليه ان يأخذ بعين الاعتبار حقيقة معينة هي ان الشعب الاسرائيلي يتصف بالخصائص المشتركة للقومية وروابطها .

هل يمكن القول ان الاسرائيليين هم قومية في طور التكوين اي ان الخصائص المشتركة والمتعارف عليها في تحديد الامة او القومية لم تكتمل بعد عندهم ؟

نعم . هذا صحيح الى حد كبير كما انه ينطبق ايضا على الامة العربية التي لا تشكل بعد امة مكتملة كليا .

الا ترى انه مع استمرار الكفاح والصراع في المنطقة سوف تنضج عمليات التكوين هذه اكثر فاكثر ؟

طبعا وبكل تأكيد . هنا اريد ان اعود لايضاح نقطة مهمة : نحن لا ندعو الى فكرة الوجود المنفصل او الدولة المنفصلة للشعب الاسرائيلي كما اننا لا نؤيد اي من هذه الاتجاهات . على العكس من ذلك ، نحن نعتقد انه ينبغي على الاسرائيليين الاندماج في جمهورية اشتراكية كبيرة في الشرق الاوسط . وقد توصلت منظمة ماتزبن الى هذا الاستنتاج عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ وقبل اندلاع الحرب الاخيرة . اضيف الى ذلك ان تحقيق هذا الحل لا يمكن ان يأتي عن طريق فرضه بالقوة او بالقسر على الشعب الاسرائيلي ، بل يأتي عن طريق دعوته للمشاركة فيه طوعيا وللمشاركة في بناء الاشتراكية في المنطقة مع الطبقات العربية صاحبة المصلحة الجذرية في بناء الاشتراكية هنا . بعبارة اخرى نعتقد ان الوسيلة العقيمة لتحقيق هذه الاهداف هي فرضها بالقوة على الشعب الاسرائيلي، ومع اننا نعتقد ان اسقاط الصهيونية هو واجب ضروري مفروض على القوى الثورية (وهذا يعني استخدام العنف بطبيعة الحال) لكننا لا نعتقد ان دمج الشعب الاسرائيلي في الجمهورية الاشتراكية للشرق الاوسط يجب ان يتم عن طريق فرضه بعنف مماثل لعنف اسقاط الصهيونية . لو كانت الظروف الثورية افضل في منطقتنا لما اضطررنا لمناقشة هذا الموضوع بل لاكتفينا بنشر الدعاية والتثقيف في صفوف الجماهير الاسرائيلية لصالح الاندماج في العالم العربي . ولكن العامل الذي يضطرنا لفتح هذا الموضوع ومناقشته هو ان قطاعاتواسعة جدا من حركة الثورة العربية غير واعية لهذه المسألة وابعادها . بالاضافة الى ان جزءا هاما من الحركة الفلسطينية نفسها يشعر انه لا يوجد ثمة شيء اسمه الكيان القومي العبراني مثلا او ان الاسرائيليين لا يشكلون اي تجمع قومي على الاطلاق بل هم مجرد تجمع ديني . ونحن نعتقد ان هذا التقدير خاطىء تماما وكل ثوري يعمل على غير هذه الاسس سيصدمه الواقع بحقائقه في يوم من الايام . لاكون واضحا اقول انني لا اتكلم الان عن المسألة القومية للفلسطينيين العرب لانه لا خلاف حولها اصلا كما بينت ، اني اتكلم عن مستقبل الشعب الاسرائيلي لأبين ان هذه القضية هي مسألة قومية ايضا . وبما ان الوعي لهذه الحقيقة مفقود او ضعيف جدا في الاوساط الثورية العربية نجد انفسنا مضطرين للتشديد عليها في مخاطبتنا لرفاقنا الثوريين في العالم العربي ولفت انتباههم الى وجود مشكلة عليهم ان يفكروا بها .

هذا هو تفسير اشارتنا لموضوع حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي لا اكثر . لنفترض الان ان الصهيونية قد سقطت . ماذا سيحدث للشعب الاسرائيلي ؟ هنا اعتقد ان الجواب الثوري الصحيح هو ان يندمج الشعب الاسرائيلي في العالم العربي على النحو المذكور وان يقبل الشعب العربي بهذا الاندماج ويطالب به بدون ممارسة اي ارغام او قهر على الاسرائيليين .

يعني منح حق تقرير المصير ، من ضمن ما يعنيه ، حق الانفصال وليس الاندماج فقط وكلامك يركز على الاندماج وكانك تريد الغاء الاحتمال الاخر . ماذا يحدث مثلا لو ان اكثرية اليهود الاسرائيليين اختاروا الاستقلال الذاتي او الدولة المنفصلة ؟

ان استخدام العنف كوسيلة لاسقاط الصهيونية مشروع ومبرر تماما ولكن استخدامه كوسيلة لفرض اي حل ، حتى لو كان الحل الصحيح، على الشعب الاسرائيلي بعد اسقاط الصهيونية هو غير مبرر بالتأكيد . لنفترض الان ان تبدلا جذريا طرأ على ميزان القوى في الشرق الاوسط واصيبت اسرائيل بهزيمة عسكرية وبأزمة داخلية طاحنة جاءت بحكام جدد قاموا بتنفيذ ما يلي : الغاء الطابع الصهيوني للدولة ، الغاء كافة القوانين الصهيونية بما فيها قانون العودة ، التوقف عن كل دعاية او عمل من شأنه ان يشجع على هجرة اليهود ، رفع كل اضطهاد لاحق بالعرب ، اعادة كافة اللاجئين الذين يريدون العودة والتعويض على الذين لا يريدون العودة ، التنازل عن كافة الاراضي التي يشكل العرب فيها اكثرية السكان اذا اختاروا الانفصال، تنفيذ سياسة معادية للامبريالية بالتحالف مع القوى التقدمية في العالم العربي . كل ذلك ولكن مع الاصرار على المحافظة على سيادة منفصلة لدولة اسرائيل . هل نعتبر هذا حلا مرضيا . الجواب هو بالنفي وانا ضد مثل هذا الحل وسأشترك في كل نضال سياسي لكسب الجماهير الاسرائيلية لصالح فكرة التنازل الطوعي عن السيادة المنفصلة . ولكنني سأكافح بقوة ايضا ضد اية محاولة لفرض ذلك على الجماهير الاسرائيلية بالقوة والقهر الخارجي . سأفسر وجهة نظري كما يلي : عندما نقرأ كتابات لينين حول المسألة القومية نجد انه يقول بوضوح بوجود خط مختلف للدعاية الثورية في صفوف الاقلية وخط آخر للعمل في صفوف الاكثرية. عندما نقوم بالعمل السياسي ضمن صفوف الاكثرية علينا ان نشدد على الناحية الطوعية في الاندماج ، اي على الاعتراف بحق الاقلية في الاختيار . عندما نعمل داخل صفوف الاقلية علينا ان نشدد ، في كثير من الحالات وان لم يكن في مجموعها ، على قضية الاندماج . طبعا لا يوجد اي تناقض بين هذين الخطين . انه بكل بساطة الفارق في أسلوب الدعاية بين الجماهير الاسرائيلية والجماهير العربية حول الموضوع المطروح .

اي انك تريد تطبيق تقسيم العمل كما اقترحه لينين.

طبعا ، وهذا يعني وجود فارق صغير بين الدعاية الموجهة الى الجماهير العربية وبين الدعاية الموجهة الى الجماهير الاسرائيلية . اسرائيليا ينبغي على الثوري أن يشدد في عمله وتثقيفه على مسألة الدمج الذي يفترض انه سيأتي طوعيا وليس قهرا وارغاما . عربيا يكون التشديد على فكرة منح حرية الاختيار للاقلية القومية المعنية . لذلك نعتقد ان الاساس الوحيد للاندماج هو التأكيد على امكانية الاختيار الحر من حيث المبدأ ، علما بأن مبدأ حق تقرير المصير لا يعني دوما وبالضرورة الانفصال لان نتائجه على ارض الواقع وفي المستقبل تعتمد الى حد كبير على طبيعة العمل السياسي الذي نقوم به الان . وظيفتنا في العمل بين الجماهير الاسرائيلية لا تتطلب منا التشديد على مسألة حق تقرير المصير . ان دورنا الاساسي هو التشديد على الرغبة في الاندماج في العالم العربي على النحو المذكور . هنا أريد ان اضرب مثلا بالموقف الذي وقفه الحكم الوطني الجديد في السودان من قضية جنوبي السودان ونزعته الانفصالية . واضح ان النظام الوطني لا يريد انفصال الجنوب ولكنه يدرك ايضا ان الوسيلة السليمة الوحيدة لمنع ذلك من الحدوث هي دعوة سكان الجنوب الى الانضمام طوعيا الى بقية البلاد وعلى اساس الاختيار الحر. لقد قال النظام السوداني للجنوبيين نحن نعترف بكيانكم الخاص وندعوكم للاشتراك في الكفاح معنا. نحن نعتقد ان هذا هو الموقف السليم تجاه قضية الاقلية القومية الاسرائيلية وهذا ما نعنيه بكلامنا عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الاسرائيلي. مرة اخرى اقول ان عملية الدمج ينبغي ان تتم عن طريق دعوة عربية توجه للشعب الاسرائيلي للمشاركة في دولة اشتراكية واسعة وليس عن طريق الارغام، ويبدو لنا ان الانموذج السوداني يشكل ، من حيث المبدأ ، مثلا يحتذى لانه يريد على ما يبدو بناء سياسته على مثل هذه الدعوة الحرة الموجهة لسكان الجنوب والعمل على انجاحها .

مشروع انشاء المستعمرة اليهودية في يوغاندة

خالد القشطيني

عرضت الحكومة البريطانية في سنة ١٩٠٣ على المنظمة الصهيونية مستعمرة ذات حكم ذاتي لليهود في افريقيا الشرقية . وتلقي قصة هذا العرض اضواء مفيدة على تفكير الصهاينة وخاصة بالنظر لتجرد هذه القصة من التحزب والعاطفية التي ترتبط عادة بالقضية الفلسطينية ، وبالرغم من أن القصة بذاتها قد أصبحت في حكم النسيان الان . أما خلفية ومقدمات ذلك العرض فتدور حول الهجرة اليهودية الكثيفة من اوروبا الشرقية الى غربيها في اوائل هذا القرن . وأدت معاداة السامية التي اخرجت اليهود من الشرق الاوربي الى ايقافهم عند مشارف العواصم الغربية ووصد الابواب امامهم . واضطرت الحكومة البريطانية في غمرة الاحتجاجات والمجادلات الى تشريع لائحة الاجانب التي استهدفت منع المهاجرين اليهود من دخول الجزر البريطانية . وحدث ان قامت لجنة تحقيق بدراسة الموضوع قبل اصدار القانون واستمعت الى كثير من الشهود والخبراء بمن فيهم الدكتور ثيودور هرتزل ، مؤسس المنظمة الصهيونية ورئيسها . واشار الزعيم الصهيوني في شهادته الى ان دخول اليهود الى بريطانيا سيؤدي الى تدهور احوالهم وتفاقم مشكلتهم وان الجواب الوحيد المعقول الذي ينبغي اعطاؤه للمهاجر اليهودي هو في ارساله الى مكان اخر(١). وقام هرتزل بشرح نصيحته خلال مقابلته مع جوزيف شمبرلن الذي كان قلقا حول خطر تدفق اليهود عبر القنال الانكليزي.وكان شمبرلن انئذ وزيرا للمستعمرات في حكومة ارثر بلفور فنظر الى الموضوع من زاوية اختصاصه وفي نطاق المفاهيم الاستعمارية الاستيطانية (الكولونيالية) . لم لا يعطى اليهود رقعة من الارض من الامبراطورية البريطانية الواسعة ويسكنون فيها بعد اخراج المواطنين الاصليين ؟ واتجه التفكير اولا الى قبرص وسيناء ، ولكن الحكومة البريطانية سرعان ما وجدت هاتين المنطقتين خارج الامكانية واجدر من أن تعطيا لليهود . وحظي هرتزل بمقابلة اخرى مع شمبرلن في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٣ فقال له وزير المستعمرات ، حسب رواية هرتزل التي سجلها في مذكراته مباشرة في اليوم التالي ، « لقد وجدت لك ارضا خلال سفراتي وهذه الارض هي يوغندة . انها حارة عند الساحل ولكن المناخ يصبح ممتازا في الداخل ، حتى بالنسبة للاوروبيين . ويمكنكم فيها ان تزرعوا السكر والقطن . وقد قلت لنفسي ، هذه ارض مناسبة للدكتور هرتزل »(٢). وكان جواب هرتزل جوابا طماعا فقال ان اليهود سيأخذون اولا العريش ثم يوغندة ايضا . بيد أن حكاية العريش لم تثمر شيئا وابلغت وزارة الخارجية في ٦ تموز (يوليو) المنظمة الصهيونية رسميا بأن الحكومة المصرية (تحت هيمنة اللورد كرومر) لم

تكن مستعدة « لتشجيع المشروع »(٣). والحقيقة هي أن هرتزل قد سبق له أن وصل الى النتيجة بأن مشروع سيناء قد « خرب » بعد مقابلته لوزير المستعمرات بقليل(٤).
ومن الجلي ان شمبرلن قد وقع في سوء فهم فان الارض التي كان يفكر فيهـا لم تكن في الحقيقة يوغندة وانما هضبة غوس نغيشو في محمية افريقيــة الشرقية . واتضح ذلك لممثل هرتزل في انكلترا ، ليوبولد ج. غرينبرغ ، في ٢٠ أيار (مايو) . وقام غرينبرغ باعلام هرتزل فورا بالحقيقة(٥). ولكن القصة ظلت تعرف بشكل عام بقصة يوغندة رغم مناقضة ذلك للواقع . والتأم المؤتمر السادس للمنظمة الصهيونية في اغسطس وطرحت القضية على المندوبين بكاملها . وبذلك رفع الستار عن اصخب مشادة وفتنة تركت جروحا عميقة على وجه الحركة الصهيونية لسنوات طويلة ، على حد قول ليونارد شتاين(٦).
ونشأ الصراع عندما اصر الصهاينة من روسيا بشكل عام على فلسطين بينما استحسن المندوبون من اوربا الغربية اجمالا قبول فكرة افريقيا الشرقية . وكانت نقطـــة الخلاف تدور حول القبول بقرار يخول القيادة الصهيونية ارسال لجنة دراسية الى المنطقة لتحري الموضوع وتقديم تقرير بذلك . وقرر المؤتمر بعد جلسة عنيفة قبول القرار بأكثرية ٢٩٥ صوتا ضد ١٧٧ صوتا وبلغت حدة المناقشة درجة هاجمت فيها احدى المندوبات المنصة ومزقت خريطة يوغندة التي وضعت لاول مرة وراء المتكلمين بدلا من خريطة فلسطين .
وتصف المصادر الصهيونية تلك الجلسة بعبارات مفعمة بالعواطف فتقول مثلا ان أولئك الذين صوتوا ضد القرار وفشلوا تركوا القاعة وانسحبوا الى غرف جانبية حيث القوا بأنفسهم الى الارض وراحوا يبكون ألما .
وبقيت الحركة الصهيونية لسنوات عديدة منقسمة الى معسكرين ، الاول منهمـا اولئك الذين صوتوا مع القرار (وسموهم بالالمانية اليا ساكر ، او قائلي نعم) والثاني منهما أولئك الذين صوتوا ضد القرار (وسموهم بالناين ساكر ، او قائلي كلا) . وقد كال كل منهما للاخر بكل ما يوجع من سب وشتيمة على مر الزمن وحيثما التقوا ، فاتهموا مثلا زعيمهم ثيودور هرتزل بالخيانة وعدم الامانة والتزوير . وقال بعضهم ان هرتزل قد طرح القرار على المؤتمر بدون موافقة لجنة الفعاليات الكبرى (ما يقابل اللجنة التنفيذية)(٧).
واضطر مؤسس مدرسة الصهيونية السياسية الى قضاء الاشهر الباقية من حياته يشرح ويفسر ، يدافع ويحاجج ، حتى عجز قلبه المعتل عن مواصلة الصراع ومهادنة اتباعـــه فلفظ آخر انفاسه في ٣ تموز (يوليو) ١٩٠٤ . وفي السنة التالية ، اجتمع المؤتمر السابع للمنظمة الصهيونية فقرر في ٣٠ تموز نقض القرار السابق وقصر الجهود الصهيونية على فلسطين فقط .

وعنت قضية يوغندة بالنسبة لدعاة الحركة الصهيونية واعلامييها مسائل مختلفة ، اولها ان اليهود يكونون شعبا تعامله الدول الكبرى وتتفاوض معه بهذه الصفة ، وثانيها ان اليهود لم يكونوا ليقبلوا اي شيء يقل عن كيان دولة مستقلة كاملة السيادة ، وثالثها انهم اعتبروا فلسطين وطنهم الاوحد الذي لا يمكن أن يحل محله وطن اخر . وهكذا كتب برل لوكر ، الزعيم العمالي الصهيوني معلقا على قصة يوغندة « ... ولا بد من الاعتراف بأنه لا يوجد مشروع كهذا يمكن له ماديا او معنويا ان يأخذ مكان فلسطين . » واضاف مؤكدا فقال «فلسطين بالنسبة للشعب اليهودي وطن لا يمكن استبداله»(٨). والواقع ان معظم الصهاينة قد وجهوا انظارهم حقا صوب فلسطين، ولكن ما الذي جعلهم يغيرون اتجاههم في عام ١٩٠٣ ويعودون فيديرون الدفة كرّة اخرى في عـــام ١٩٠٥ ؟ ان الفترة الجديرة بالدراسة للجواب على هذا السؤال هي فترة الـ ٢٢ شهرا التي تخللت ما بين المؤتمر السادس والمؤتمر السابع. والدرس المهم الذي تتمخض عنه هذه الدراسة هو انه حيثما وكلما اقتضى على الصهاينة الاصغاء الى رأي الاغيار (غـــير اليهود او الغوييم) اعاروا سمعهم الى معادي السامية . وسرعان ما نكتشف ان قصة يوغندة قدر لها ان تصبح

اول مناسبة استخدم فيها معادو السامية الصهاينة كأدوات طيعــة في تنفيذ سياساتهم الرجعية والعنصرية . وكما ذكرنا آنفا ، لم تكن معرفة جوزيف شمبرلن عن يوغندة عندما تقدم بعرضه الى هرتزل تزيد في شيء عن معرفة بلفور عن فلسطين عندما اصدر وعده . بيد ان فرقا جوهريا قد ميز بين الحالتين وهو ان فلسطين لم تحتو على مستعمرين بيض بينما احتوت يوغندة على مستعمرين من الانكلوسكسون ممن لم يكونوا مستعدين لتحمل اليهود قرب منازلهم. وبمجرد ان قرأ غرينبرغ رسالة اللورد لانسداون، وزير الخارجية، الى المؤتمر الصهيوني السادس في ٢٦ آب (اغسطس) هبت عاصفة من الاحتجاج من افريقيا الشرقية . ونشرت صحيفة التايمس اللندنيــة برقية من اللورد دلامير في ٢٨ منه بعنوان نيروبي ، يوغندة. ونورد النص الكامل للبرقية لما يتضمنه من المفاهيم الاستعمارية والمعادية لليهود مما كان سائدا في اذهان الاستعمار الغربي آنئذ : « المشاعر هنا عنيفة ضد ادخال اليهود الاجانب . جانب سكة الحديد يصلح لاستيطان بريطاني ٢٦٠ ميلا . وزارة الخارجية تقترح اعطاء احسن ٢٠٠ ميل لاجانب غير مرغوب فيهم . ألهذا الغرض بنيت السكة الباهظة الثمــن وانفقت المبالغ الجسيمة على البلد ؟ فيض من اناس بهذه الشاكلة يؤدي حتما الى مشاكل مع المواطنين نصف المتوحشين الحريصين على حقوقهم ويعني مزيدا من الرجال للسيطرة عليهم . هل يرضى دافع الضريبــة البريطاني المالك لافريقيا الشرقية ان يعطي بلدا جميلا وغنيا الــى اجانب ؟ أما عندنا مــن مستعمريــن استيطانيين من جنسنا ؟ البلاد يجري استصلاحها وايطانها تدريجيا وباحكام بواسطــة مستعمرين بريطانيين . الانكليز هنا يهيبون بالرأي العام ولا سيما رأي مــن يعرف هذه البلاد ضد هذا التصرف الاعتباطي واغراق البلاد ومستقبلها الباسم . »(٩)

وسرعان ما تبع ذلك سيل من الاحتجاجات بما فيهــا برقية من اتحاد المزارعين وملاك البساتين واخرى من لجنة المستوطنين في نيروبي تهدد « بمقاومة المشروع بكل ما اوتيت من قوة »(١٠) وبعث اسقف مباسا بعريضــة في ٨ ايلول (سبتمبر) الى حاكم افريقية الشرقية ، السر شارلس اليوت ، يمزج فيها الدين والاستعمار مزجا طريفا . بدأ الاسقف عريضته بالاشارة الى الاراضي الثمينة الممتدة على طول سكة الحديد والتي ينبغي عدم التفريط بها بتسليمها الى بعض « اليهود المنحطي المنزلة » ، ممن سيصبحون « أثرا سيئا على القبائل الافريقيــة سياسيا واخلاقيا ودينيا » . وقــام الحاكم البريطاني بتحويل العريضة المسهبة الى وزارة الخارجية طي كتاب منه يتعاطف مع العريضة ويعرب عن شكوك الحاكم حول المشروع وعن مخاوفه مــن اندلاع النزاع بين اليهود والمستوطنين البيض .

وفي لندن ، أثار نداء اللورد دلامير الموجه الى من عرفوا البلاد من الانكليز همة الخبراء في الشؤون الافريقية وعلى رأسهم السر هاري جونستن، الرحالة الكبير والخبير في افريقيا، فشن حملة ضد المشروع في سلسلة مــن المقالات والرسائل التــي نشرها في التايمس والديلي غرافك . وعمــد في احدى رسائله الى اخافــة اليهود بالكركــدن الذي فتك بالمستوطنين البيض.(١١) ويتضح اثر حملته في اليهود من الحيز الذي أعطته له صحيفة الجويش كرونكل ، صحيفة الطائفة اليهودية في بريطانيــا . ونشرت الجويش كرونكل مقابلة صحفية معه نصح اليهود فيها بترك افريقيا جانبا . وقد بدأ تصريحاته بنفي صفة معاداة السامية عن نفسه وبحبه لليهود (وهو ما يعني عادة نقيض ذلك) ثم نقل الحديث الى الثروة الامبراطورية التي تكمن في يوغندة فتساءل عن العدالة التي عنت بالنسبة له آمال المستوطنين الانكليز . أمن العدل ، مضى السر هاري مستغربا ، ان تعطى أرض كسبتها انكلترا بأموالها ودمائها الى شلة مــن الاجانب ؟ وقدر جونستن مساحة المنطقة المعنية بـ ٢٣،٠٠٠ ميل مربع لا يصلح منها للاستثمار غير ١٨،٠٠٠ ميل مربع ، وهو ما لا يكاد يكفي للاستيطان الاوربي (أي غير اليهودي) . وفي ختام حديثه أشار على اليهود بالتوجه الى فلسطين فذكر مدعيا : « لقد كان من مشاريعي المحببة الى نفسي وما زال

ان أرى دولة يهودية في فلسطين وأرى مجد اليهود يرتفع عاليا فيها . » ولفت جونستن الانظار الى مطامع الدول الاخرى في فلسطين فذكر ان اعطاءها لليهود سيكون احسن وسيلة لقطع دابر تلك المطامع.(١٢)
واستمرت الصحافة البريطانيـــة طوال ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) بنشر رسائل ومقالات تعارض توطين اليهود غير المرغوب فيهم قرب المستوطنين الانكليز . واعرب الكثير من النواب عن آراء مشابهة في عدة مناقشات في البرلمان البريطاني.(١٣)
وقد ظهرت النزعات المعادية للسامية بدون تستر او حياء في كثير مـــن التصريحات التي صدرت حول المشروع ، ولكن معاداة السامية بحـــد ذاتها تحتاج الـــى علل لوجودها وتفاقمها ، ونحن نجد هذه العلل في التطورات الاقتصادية التي اصبحت حقيقة واقعة منذ أن تحدث شمبرلن الى هرتزل حول مشروع يوغنـــدة . نشرت الجويش كرونكل في ١٨ ايلول ملخصا مقتضبا لتقرير سكك حديد يوغنـــدة الذي ذكر ان ٥،٢٣٨،٠١٩ جنيهـــا استرلينيا قد سبق ان انفقت حتى ذلك التاريخ على السكة موضوع النقاش . وليس من تعليق على المسألة خير او اجدر بالصدد من تعليق الصحيفة على التقرير عندما ذكرت « ان من الممكن الاعتماد على هذا التقرير بثقة اكثر من الملاسنة البديعـــة التي دونت وكتبت حول الموضوع»(١٤).
واصبح مشروع السكة والاراضي التي ارتفع ثمنها نتيجة للسكة العمود الفقري لحملة السر هاري جونستن ضد المستعمرة اليهودية . واحتجت احدى الرسائل المنشورة في التايمس ضد اعطاء « احسن واخصب البقع في الامبراطورية البريطانية الى صنف من البشر لا يحتملهم الناس في جميع الدول الاجنبية ويعتبرونهم عنصرا غير مرغوب فيه في نفس مملكتنا »(١٥) وجنحت كفة الميزان ضد اليهود بدرجة اكبر عنـــد اكتشاف خامات معدنية في المنطقة المعروضة لليهود . واضافت صحيفـــة التايمس ثقل رايها ضد الكفة الصهيونية في مقال افتتاحي في عمودين كتب في الاسلوب المميز للتايمس . قال محررها ان المشروع سيؤدي الى تقويض اتجاه التلاحم والاندماج الذي يكفل لليهود فرصة المساواة مع غيرهم ومعاملتهم كمواطنين مخلصين والى تعميق انعزاليتهم كشعب منفصل مختلف. والطريق الصحيح لليهود هـــو ان يتركوا افريقيا جانبا ويوجهـــوا مساعيهم الى وطنهم الحقيقي والثابت فلسطين(١٦). وحدث ان انبرى لوسيان وولف،البحاثة اليهودي المتضلع والخصم اللدود للصهيونية ، فدافع بقوة عن اهمية فكرة الاندمـــاج اليهودي وهـــاجم اي مشروع لمعاملتهم معاملة خاصة . وفي رسالته التي نشرتها التايمس وضمتها وزارة الخارجية الى ملفها المذكور اكد وولف ان اعطاء اليهود حكما ذاتيا في مكان ما يؤدي الى اضعاف مكانتهم المتساوية في كل مكان، ثم هاجم اية اشارة الى ما يسمى بالتقاليد القومية اليهودية وذكر انه اذا تم تأسيس هذه المستعمرة اليهودية فستكون هذه التقاليد فيها هي « العادات السيئة للحياة التي نمت مع الاسف بين يهود اوربا الشرقية »(١٧).
ويبرز من المعلومات الآنفة رأي قوي ذو تأثير واضح ظهر في بريطانيا ووقف معارضا لاي وجود يهودي في محمية افريقيا الشرقية الغنية . وقضي على المشروع تدريجيا لا بارادة اليهود وتعلقهم العاطفي بفلسطين وانما بسلسلة من الحركات التكتيكية التي اجرتهـــا المصالح المالية والاستعمارية العظيمة النفوذ في الامبراطورية البريطانية . وقد رأينا كيف صحح شمبرلن نفسه سراعا فاستثنى يوغندة من المشروع . وكانت الرقعة التي تركت في الاخير لليهود عبارة عن هضبة وعرة مساحتها ...١٨،٠٠ ميل مربع لا تكاد تكفي لاعاشة مليون شخص(١٨). وسلكت وزارة الخارجية ، في مفاوضاتها مع المنظمة الصهيونية ، سلوكا صعبا ايضا وخيبت آمال الصهاينة في كثير من النقاط ، كما سنذكر توا .
وجاءت ضربة الختام من لجنة التحقيق التي بعثت بهـــا المنظمة الصهيونية الى المنطقة فرجعت بتقرير سلبي غير مشجع . ولا بد أن نترك لحدس القارىء مسألة تفكير اعضاء اللجنة وتأثره بالشعور المعـــادي للسامية وضغطه ضـــد المشروع ولا سيما في المنطقة

نفسها، بيد ان من المعروف ان لويد جورج مثلا الذي تولى الجوانب القانونية من المشروع كمحام للمنظمة الصهيونية (عندما كان في شركة لويد جورج ، روبرت وشركاهما) كان شخصيا معاديا للسامية(١٩). وعليه فلم يكن اليهود هم الذين غيروا فكرهم ايمانا وتعلقا بفلسطين ، بل وزارة الخارجية التي وقعت تحت ضغط عنيف من الاستعماريين المعادين للسامية وأذعن الصهاينة لهذا التغير في الاتجاه . ولعل من احسن الامثلة هنا مثال الدكتور وايزمان . لقد صور وايزمان نفسه في مذكراته كصهيوني مؤمن بقضية فلسطين كليا ودون اي تأرجح في التفكير والقى كلمات مثيرة كسب فيها كثيرا من المندوبين الى التصويت ضد قرار يوغندة . وقد درس اوسكار رابينويز، الباحث الصهيوني المتطرف ، هذه القصة دراسة مستفيضة وتتبع مجريات المؤتمر السادس بامعان ، دون أن يخلص الى اي دلائل تثبت حقيقة موقف وايزمان هذا ، اللهم باستثناء تصويته السلبي على القرار . وفي خلاف ذلك نجد وايزمان وقد تحدث في المؤتمر مرحبا « بمشاريع سيناء وافريقيا الشرقية كذلك»(٢٠). والواقع ان قارىء مذكرات الزعيم الصهيوني لا يملك الا ان يشعر بروح مضطربة وآثار تأرجح في التفكير ما زالت ماثلة في كلمات وايزمان حول القصة بعد ما يقرب من نصف قرن من وقوعها .

وتوجه وايزمان حالما انفض المؤتمر الى انكلترا ليكتشف ما في مشروع يوغندة من الحقائق ، كما كتب في مذكراته وبما يفضح ذهنه المتشوش . وكان اول سياسي التقى به هو اللورد برسي الذي اصبح مساعدا لوزير الخارجية . واعرب اللورد برسي الى وايزمان عن « دهشة لا حد لها في ان يفكر اليهود بقبول مشروع يوغندة ولو بمجرد التفكير . » وكرجل « عميق الايمان بالدين » لم يستطع ان يفكر هو بتاتا في اي قطر يناسب اليهود غير فلسطين . وتلت هذه المقابلة زيارة لنفس الخبير الافريقي السر هاري جونستن فحذر هذا ضيفه الصهيوني من المستوطنين البيض الذين عقدوا العزم على مقاتلة اليهود في اللحظة التي يطأون فيها بأقدامهم تربة افريقيا الشرقية . وكانت الزيارة الثالثة التي قام بها وايزمان قد خصصت الى السر وليم غوردن، النائب البريطاني المغالي في عدائه للسامية والذي قاد الحملة ضد السماح لليهود بدخول انكلترا(٢١). ووجد وايزمان في السر وليم رجلا متفهما لمشكلة اليهود . وبعد هذه الجولة الاستطلاعية للحقائق ، انصبت انظار وايزمان على فلسطين وفلسطين فقط .

وكثيرا ما يشير المؤرخون الصهيونيون الى تبني المؤتمر السادس لمشروع يوغندة على اعتباره قرارا بأغلبية ضئيلة . ومن الجلي أن تصويتا بأكثرية ٢٩٥ صوتا ضد ١٧٧ صوتا لا يمكن ان يعتبر بأكثرية ضئيلة . ومع ذلك فان الحقيقة الحسابية ليست هي كل شيء بل من الضروري ايضا تقدير حقيقة مشاعر الجماهير اليهودية ككل . ان معظم من صوتوا ضد القرار جاءوا من روسيا . وكتب مراسل الجويش كرونكل في ذلك البلد ان المندوبين الروس الى المؤتمر السادس لم يعبروا حقيقة عن آراء ناخبيهم في روسيا . « على وجه العموم ، الراي في روسيا هو بشكل قاطع الى جانب المشروع وقد وجد الناس هنا ان من الصعب عليهم ان يفهموا تصرف الاقلية في المؤتمر »(٢٢). ويؤيد استنتاج المراسل ما ذكره وايزمان في مذكراته من تحليل للاصوات التي اعطيت في جانب المشروع . وشملت هذه الاصوات صوت والده وصوت اخيه وجاءت عموما من الطبقة البرجوازية الصغيرة والاشخاص العمليين والمهنيين العاديين . ومن الغريب ايضا ان نجد ان الحزب الديني ، المزراحي ، قد صوت ايضا في جانب مشروع يوغندة ولم يجد حراجة دينية او عاطفية في صرف ذهنه عن فلسطين وارضها المقدسة . اننا هنا نواجه ذلك الموقف المعتاد الذي يتكرر في تاريخ الانسان السياسي وتداس فيه آراء الاكثرية الجماهيرية تحت اقدام محترفي السياسة الذين يتفننون في مؤامراتهم وفذلكاتهم لدعم مراكزهم على حساب جماهيرهم . وهكذا نكتشف ان اعنف معارضة للمشروع جاءت من زعماء حركة احباء صهيون (حوفيفي تسيون) ، ولا سيما من اوسشكين واحد

هاعام ، الذين سبق لهم ان صرفوا جهودا كبيرة في اقامة مستعمرات يهودية في فلسطين وراوا في مشروع يوغندة منافسا كبيرا لمشروعهم .
والنقطة الاخرى التي تجدر بالبحث هي مسألة الدولة الكاملـة السيادة . وقد وصل اوسكار رابينويز الى النتيجة التالية بعد الحجج الوثائقية التي تحيز في انتقائها « وهكذا يظهر بدون أي شك : الصهيونية عنت دولة يهودية . لم يفكر هرتزل ولا غرينبرغ قط ان يتفاوضا مطلقا على أساس استبدال فلسطين بأفريقيا الشرقية»(٢٢). بيد أننا بالرغم من منحى رابينويز في انتقاء وثائقه بل وحتى في نطاق شواهده ، نجد رسالة من غرينبرغ الى اللورد لانسداون تذكر ان مشروع يوغنـدة « سيضيف الى الامبراطوريـة البريطانية مستعمرة ستصبح بعد قليل من المستعمرات العظيمة الثروة » . وفي رسالة اخرى من وزارة الخارجية تحمل توقيع كلمنت هل نرى الحكومة البريطانية تحدد شكل الحكم الذاتي الداخلي الذي كانت بريطانيا تفترضه .
وعولجت هذه النقطة باسهاب خلال المفاوضات التي جرت حول مسودة اتفاقية مشروع الاستعمار الكولونيالي اليهودي . وقد كتب المسودة الجانب الصهيوني وظهر عليها نفس الغموض المتقصد الذي استطاع اليهود الصهاينة اضفاءه بحذق ومكر على تصريح بلفور فيما بعد (ولا سيما ما يتعلق باصطلاح الوطن القومي اليهودي) . وجاء منطوق المادة الخامسة من الاتفاقية بهذا الشكل : « لاصحاب الامتياز أن يقدموا لحكومـة صاحب الجلالة ولموافقتها في أي وقت كان بعد الموافقة على الاراضي المذكورة وقبل التاريخ المذكور ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٩ مواد دستور يبين انظمة المستعمرة وادارتها وحكمها الصحيح وبحيث تنص احكام تلك المواد فيما تنص عليه ما يلزم لمعالجة الامور التالية. . .»
وقد كان كاتب الاتفاقية يحاول تضليل انظار وزارة الخارجيـة ولكن خبراء الوزارة لم يكونوا من السذاجة بحيث يفوت عليهم المدلول، فكتبوا على هامش المادة المقترحة التعليق التالي : « القوانين الحالية تعطي حاكم المحمية السلطة لاعلان منطقة ما مدينة واصدار الانظمة الخاصة لأمنها وشؤونها الصحية وحكومتها الصحيحة وبما يشمل سلطة جباية الضرائب للاغراض المحلية . ولا مانع من توسيع ذلك بمرور الزمن فتمنح المدينة عهدا بلديا تستطيع البلدية بمقتضاه ان تصدر تعليماتها الخاصة بها . واذا تملك اليهود جميع المنطقة **فسيعني ذلك عمليا اعطاءهم حكما ذاتيا محليا كاملا بشرط ان يبقى تحت سيطرة التاج البريطاني العامة** . ويبدو ان أي شيء اكثـر من ذلك هو شيء غـير معقول وغير ضروري » .
وأشار وزير الخارجية بالحبر الاحمر فوضع خطا تحت الكلمات التي طبعناها بالحرف الاسود في ترجمتنا اعلاه . ثم اضاف بنفس القلم على الهامش ملاحظتين اثنتين : « يجب ان يفي هذا حقا بأمانيهم » . والملاحظة الثانية : « يبدو لي ان انتخاب رئيس بلدية يهودي لكل مدينة هو اقصى ما يمكن اجراؤه » . وتذكر الفقرة (د) مـن المادة الواردة الذكر ان الدستور المذكور سيحدد شكل العلاقات بين مواطنـي المستعمرة اليهودية ومواطني مستعمرات التاج على ان يصبح المواطنون اليهود رعيـة بريطانية . ومن الواضح ان الصهاينة كانوا يحاولون في هذه الفقرة ان يجمعوا رمانتين في يد واحدة ، وهو أمر طالما نجحوا فعلا في تحقيقه في معاملاتهم مع الغير . والامر الذي كانوا يريدون تحقيقه هو الجمع بين جنسيتين ، او ازدواج الجنسية ، الشعار الصهيوني المفعم بالانتهازية والمكر.
اما تعليق وزارة الخارجية فقد جاء مقتضبا قصيرا وقاطعا : « مستحيل تماما » . ولا بد من الاعتراف هنا ان وزارة الخارجية نفسها كانت هي ايضا تحاول مسك رمانتين في يد واحدة . فبينما ذكرت في تعليقها على الهامش ان العلاقات الخارجية للمستعمرة يجب ان تبقى بيد التاج ، نراها تصر في عين الوقت على استثنـاء الرعايا اليهود مـن الجنسية البريطانية .ويظهر ان وزارة الخارجية كانت قلقة من استعمال اليهود الروس للمستعمرة كنقطة انطلاق يقفزون منها وبواسطتها الى بريطانيا بجوازات سفر بريطانية يحصلون

عليها في المستعمرة .

ولم يأت ذكر لكلمة دولة على لسان أي من الطرفين في كافة مراحل المفاوضات . وتكلم ثيودور هرتزل في خطابه الى المؤتمر السادس فأشار الى « مستعمرة يهودية ذات حكم ذاتي في افريقيا الشرقية تديرها ادارة يهودية وحكومة يهودية محليــة على رأسها حاكم يهودي على ان يخضع الجميع بالطبع للسيطرة البريطانية وسيادتها »(٢٤). وينطبق هذا علــى موقف هرتزل السابق فيما تعلق بمشروع سينـــاء ، فهناك في كتابه الى اللورد لانسداون عبارتان أشر عليهما وزير الخارجية بالقلم الازرق بخط وضعه تحتهما ، الاولى تقول « ضمان الحقوق الاستعمارية الكولونيالية » ، والثانية تقول « في ارض يستطيع عليها اليهود ان يتأكدوا من التمتع بثمرات عملهم »(٢٥). ومن المحتمل ان رابينويز وسواه من المؤرخين الصهيونيين ممن ادعوا بما يناقض ذلك قد وقعوا في الخطأ الذهني الشائع الذي يخلط فيه الانسان بين ما فكر به في الماضي وما قاله بالفعل ، وهو خطأ شائع في الادب السياسي الصهيوني نتيجة ذلك الازدواج الذي عاشه اليهود قرونا طويلة .

ويكاد يجمع كافة المؤرخين والناطقين الصهاينة على انكار تحول هرتزل وتغيير انظاره من فلسطين طوال فترة نشاطه السياسي . وهذا بالضبط مـــا أصر عليه باين ، كاتب قصة حياة هرتزل ، عند معالجتـــه لمشروع يوغندة(٢٦). والحقيقـــة هي ان الرائد الصهيوني استطاع بما أوتي به من خيال خصب وبلاغة ادبية ان يخترع عدداً من الفذلكات البارعة اللغوية لتهدئة مناوئيه ومعارضيه ، فقال لهم مثلا ان الغرض من يوغندة هو استخدامها كملجأ ليلي (ناختسيل) يأوي اليه اليهود للاستراحة حتى تفتتح أبواب فلسطين لهم . وفي مناسبة اخرى تحدث عن يوغندة بشكل « انكلترا معكوسة » ، فبينما تقوم انكلترا بمهمة قاعدة يخرج منها المهاجرون الانكليز الى ارجاء العالم ، يجب ان يستخدم اليهود يوغندة قاعدة يهرع اليها اليهود من كافة ارجاء العالم قبل ضخهم ثانية منها الى فلسطين . وفي مناسبات اخرى أكد هرتزل لاعوانه ان قصـــة يوغندة ليست سوى خدعـــة ومناورة دبلوماسية لارغام السلطان العثماني والدول الكبرى على التحرك ومنح اليهود فلسطين قبل فوات الفرصة وانصراف اليهود الى يوغندة . والسؤال الآن هو مـــا الذي قصده هرتزل فعلا من المشروع ؟ هل كان يقوم بمناورة التفافية وراء الخطـــوط الدبلوماسية للاغيار ام كان يحاول ببساطة الالتفاف وراء المعارضة الصهيونية ومداراة نفوس انصاره من اليهود الذين طالما شقي وعاني منها .

ان فكرة استخدام مستعمرة بمساحـــة ١٨٠٠٠٠ ميل مربع واعمارها وتوطـــين مليون شخص فيها كمجرد ملجأ ليلي سرعان ما يطلب فيه من المستوطنين جمع متاعهم ثانيـــة للهجرة مرة اخرى ، هـــي بدون شك فكرة رقيعة ولا يتقبلهـــا العقل . والملاحـــظ ان المفاوضات التي جرت مع الحكومة البريطانية على النحو الوارد شرحه اعلاه وارسال لجنة التحقيق الصهيونية لمسح المنطقة كلها تشير الى استيطان ثابت ونهـــائي . ونحن نستطيع فهم تفكير هرتزل في هذا المقام فهما اصدق واقرب للحقيقة عن طريق شخصيته وليس عن طريق كلماته ومحاججاته . ومن المعروف ان انصاره المعجبين به يدافعون عنه بالقول بأنه قبل عرض انكلترا بعد ما رأى من الحالة التعيسة التي كان عليها يهود اوربا الشرقية ومدى حاجتهم الفورية الى حل انساني وملجأ يأوون اليه. وينطوي هذا التعليل بالطبع على حسن ظن فظيع في محترفي السياسة وعواطفهم الانسانية الرقيقة . ما يجب على الباحث ان يضعه امام عينيه في هذا المجال هو صفتان رئيسيتان في شخصيةهرتزل، الاولى براغماتيته والثانية ميغلوميته . لقد كان هرتزل لا دينيا وبعيدا عن التقاليد الحياتية اليهودية ، ومن ثم فلم تكن فلسطين تعنـــي كثيرا بالنسبة له . وعندمـــا كتب كراسته الشهيرة « دولة اليهود » كان يفكر في دولـــة يهودية في اي مكان صالح في العالم بغض النظر عن فلسطين . بيد انه اتصل فيما بعد بحركة احباء صهيون الذين كانوا يشكلون العمود الفقري لطلائع الحركة الصهيونية ويتشبثون بفلسطين تشبثـــا عاطفيا كبيرا .

واضطر هرتزل غداة هذا الاتصال ان يبرم اتفاقا مع احباء صهيون يقيد بموجبه نفسه بالعمل لفلسطين فقط مقابل تأييد الحركة له . ومن الواضح طبعا ان هذا الاتفاق ينطوي على مساومة برغماتيـــة . وحدث ان نصح الزعيم الصهيوني اليهود بضرورة « اتبـــاع سياسات حسب ما تمليه الظروف »(٢٧) . ولربما كانت هذه النصيحة من النصائح النادرة في العالم التي جاد بها ناصح وسار عليها بالفعل في عين الوقت . لقد كان هرتزل يحاول عندئذ التملص من تعهده لاحباء صهيون باللجوء الى بهلوانيات سياسية جديدة أملتهـا مقتضيات الساعة . ومن الخلافات الرئيسية التي حصلت بينه وبين احباء صهيون واتباع مدرسة الصهيونية العملية (امثال وايزمان) هــو اصراره على رفض وايقـــاف كافة النشاطات المرحلية والرامية الى بناء الوطن القومي بشكل تدريجي عضوي . فما الذي حمله على قبول فكرة (الملجأ الليلي) وفكرة المرحلة التطورية التدرجية ليوغندة ؟

الاحتمال الاكبر هو ان صحته التي اخذت بالتدهور السريع اثرت على عملياته الذهنية وقراراته السياسية وجعلت ضيق الصبر والاندفاع العصابي (اللذين يشكلان عرضين مهمين للميغلومنيا) قوة ضاربة في تصرفات هرتزل . وكما يحدث باستمرار لكثـــير مـــن ساسة العالم ، كانت الازمة التي هزت هرتزل ازمته الخاصة بالذات وليس ازمة الملايين المعذبة من اليهود . لقد اصبحت ايام الملك الذي اراد ان يسير على راس قافلة اليهود الى وطنهم القومي اياما معدودة على الارض . وعليه فلم يكن هرتزل يحاول ، حسب رأينا ، المناورة وراء وزارة الخارجية البريطانية وانما وراء صفوف اليهود من اتباعه ، ولكن وزارة الخارجية وكوادر منظمته اضرمت النـــار في مركبته وتخلصت من احراجاته بانهاء حياته هما وكمدا .

وانشق اتباع مدرسته من مؤيدي يوغنـــدة عن المنظمة الصهيونية واسسوا منظمتهم الخاصة واطلقوا على انفسهم اسم الاقليميين كناية عن بحثهم عن أي اقليم مناسب خارج فلسطين.واستمر بعض هؤلاء بالبحث عبثا عن اقليم ومواجهة الخيبة دائما برفض الدول لهم، بينما استمر اخرون بالضغط على الحكومة البريطانية بمواصلة العمل على مشروع يوغندة . وكان بين هؤلاء الامـــير غولدرايخ الذي استشهد بحجج مـــن التلمود في دعم قدسية مشروع يوغندة وكتب الى الحكومة البريطانية يحثها على المضي بعرضها دون ان يتلقى منها غير رسالـــة مؤدبة تذكره بأنها قد قدمت عرضهـــا لليهود ولكنهم مع الاسف رفضوه (!) ولم يبق لها سوى ان تعتبر الموضوع مغلوقا(٢٨) . وبهذا كان الصهاينـــة قد قاموا بأول خدمة مشينة قذرة لوزارة الخارجية البريطانية والاستعمار الغربي .

وعلى كل فان الادعاء بوجود تعلق عاطفي يهودي عام بفلسطين ومما لا يمكن فصمه أو تحويله هو من الخطأ على درجة لا تقل بكثير عن الخطأ الاخر الذي قد يخرج اليه القارىء من هذا المقال عندما يتصور ان فلسطين لم تعن اي شيء لليهود بتاتا . اذا كان لا بد لنا من تقرير الحقيقة بشكلها الموضوعي فعلينا ان نقول ان قسما معينا مـــن اليهود كانوا يشعرون بعلاقة عاطفية نحو فلسطين قابلة للتأثير شمالا او يمينا حسب الموقف العالمي واتجاهات الدول الكبرى . وكان المعادون للسامية والاستعماريون يتحكمون في شؤون هذه الدول وغيرها من الدول ووجدوا ان من الانجع لهم ابعاد اليهود من اوربا وافريقيا وتوجيههم الى فلسطين . وقام زعماء الحركة الصهيونية بدور الادوات المطيعة في هـــذه السياسة العالمية الارجاء .

ولا ضير من الاعتراف في هذا الصدد بأن سياسات هرتزل الديناميكية قد جادت بأكملها على المدى البعيد بالنسبة للحركة الصهيونية . فبالرغم من فشل مشروع يوغنـــدة فان قصته قد ساهمت في نجاح الحركة ايما مساهمة . ومن ذلك انها قد ساعدت على تثقيف عدد من الساسة الانكليز باتجاه موال للقومية اليهودية . ونذكر منهم بهذه المناسبة لويد جورج الذي عمل كمستشار قانوني ومحام للمنظمة الصهيونية في مشروع يوغندة واصبح رئيسا للوزراء في الحرب العظمى عندما اصدرت حكومته وعد بلفور . ومنهم ايضا ارثر

بلفور نفسه الذي كان رئيسا للوزراء عندما عرض شمبرلن مشروع يوغندة على هرتزل. ويقال مثل ذلك عن السر برسي الذي اصبح مساعدا لوزير الخارجية اللورد لانسداون . ولعب كل هؤلاء دورا رئيسيا في اصدار تصريح بلفور والدعوة للقضية الصهيونية لسنين طويلة في بريطانيا . ولعل هذا يعطينا مثالا حيا على الاختلاف الجوهري بين السياسة العربية والسياسة الصهيونية ، بين الستاتيكية المتزمتة السلبية والديناميكية التي تقوم على المرونة وتعشيق التكتيك بالستراتيجية وبرمجة شعارات المدى القريب ضمن منظور المدى البعيد مما سيحتاج العرب لاتقانه الى سنين من التجربة والخطأ .

---

١ — افادة هرتزل موجودة بالنص في محضر اللجنة الملكية للتحقيق في هجرة الاجانب ، ملحق تقرير اللجنة، ١٩٠٣ ، كوماند ١٧٤١ .
٢ — مذكرات ثيودور هرتزل الكاملة ، نيويورك ، ١٩٦٠ ، ج ٤ ص ١٤٧٣ .
٣ — وزارة الخارجية الى هرتزل ، ١٩٠٣/٧/٦ ، ف.و/٥٤٧٩، تركيا ، ١٨٩١ — ١٩٠٥ . الملف في دائرة الوثائق العامة ، لندن .
٤ — هرتزل الى روتشيلد ، ١٩٠٣/٥/٣٠، مذكرات ج ٤ ص ١٥٠١ .
٥ — نفس المصدر ، ص ١٤٩٨ .
٦ — شتاين ، ل ، تصريح بلفور ، لندن ، ١٩٦٤ ، ص ٢٣ .
٧ — باين ، آ ، ثيودور هرتزل ، لندن ، ١٩٥٦ ، ص ٤٥٣ .
٨ — فلسطين والمستقبل اليهودي ، كراسة بقلم برل لوكر ، ١٩٤٢ ، ص ٢٥ و٢٧ .
٩ — تايمس ١٩٠٣/٨/٢٩ .
١٠ — هذا الاحتجاج وغيره من الاوراق المتعلقة بالموضوع محفوظة في دائرة الوثائق العامة ، لندن ، تحت رقم ف.و/٧٨٥/٢ افريقيا ، ١٩٠٣ .
١١ — تايمس ١٩٠٣/٩/١ .
١٢ — جويش كرونكل ١٩٠٣/٩/٤ .
١٣ — هانسارد ، مناقشات مجلس العموم ، ١٩٠٤/٦/٢٠ .
١٤ — جويش كرونكل ١٩٠٣/٩/١٨ .
١٥ — تايمس ١٩٠٣/٩/٥ .
١٦ — تايمس ١٩٠٣/٩/٧ .
١٧ — تايمس ١٩٠٣/٨/٢٨ .
١٨ — خطاب اسرائيل زنكويل في مؤتمر الاتحاد الصهيوني الانكليزي ، ١٩٠٣/٩/٧ ، كذلك مذكرات هرتزل، ج ٤ ص ١٤٩٨ .
١٩ — انظر رأي شتاين عنه ، ص ٢٤٣ .
٢٠ — رابينويز ، آ ، خمسون سنة من الصهيونية ، لندن ، ١٩٥٠ ، ص ٥٦ .
٢١ — وايزمان ، سي ، التجربة والخطأ ، لندن ، ١٩٥٠ ، ص ١١٨ — ١١٩ .
٢٢ — جويش كرونكل ، ١٩٠٣/١٠/٩ .
٢٣ — رابينويز ، آ ، ضوء جديد على مشروع افريقيا الشرقية ، تقرير ، ١٩٥٢ .
٢٤ — اقتباسات من خطبته في الجويش كرونكل ، ١٩٠٣/٨/٢٨ .
٢٥ — رسالة بتاريخ ١٩٠٢/١١/١٢ ، ف.و /٥٤٧٩/٧٢ .
٢٦ — باين ، ص ٤٤٣ — ٤٤٦ .
٢٧ — باين ، ص ٤٤٤ .
٢٨ — غولدرايخ ، ثي ، سحر الصهيونية ، لندن ، ١٩٠٥ .

المؤرخون الفلسطينيون العرب خلال فترة الانتداب البريطاني

الدكتور عدنان ابوغزالة

اصبحت التقاليد التاريخية قوية بين المسلمين بشكل عام والعرب بشكل خاص منذ القرن التاسع عشر عندما بدأوا ينتجون عددا كبيرا من الاعمال التاريخية . ويجب ان يعزى قيام الاهتمام التاريخي بين المثقفين العرب والمكان الهام الذي افسحوه للتاريخ بشكل عام لدرجة كبيرة من اليقظة القومية . وبالتالي فلقد اصبح التاريخ اداة بين القوميين العرب المعاصرين . لقد حاول المؤرخون العرب أن ينشروا وعيا قوميا من خلال احياء الماضي وتمجيد ابطاله وانجازاته .

ان اهتمام الكتاب الفلسطينيين العرب بالتاريخ وبشكل خاص بالتاريخ المحلي والقومي قد نما في العقود الثلاثة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى . وتغطي أعمالهم سلسلة كبيرة من المواضيع التي تبحث في الاسلام والمؤسسات والحضارة الاسلامية وسير العرب البارزين وعلم الاثار والتاريخ الوطني والقومية العربية والتاريخ الاوروبي. وأحد الملامح البارزة في هذا الادب هو بحثه الدؤوب عن ايحاءات تهدف الى تنمية شعور بالاعتزاز بالماضي العربي العظيم .

هناك نزعتان رئيسيتان فيما يختص بدراسة وتأويل التاريخ تظهران بوضوح في التأريخ الفلسطيني : النزعة التقليدية والاسلامية الصرفة لتأكيد الجانب المضيء في التاريخ الاسلامي ولتغرس ايمانا راسخا بالقوى التجديدية في الاسلام ، والنزعة العروبية التي تنظر الى تاريخ العالم العربي كشيء واحد لا يتجزأ عبر العصور والتي تعامل مرحلة ما قبل الاسلام ومرحلة الاسلام كمرحلتين متساويتين في الاهمية تكملان بعضهما بعضا وذلك من أجل فهم سليم لاهمية العرب التاريخية . وبحسب وجهة النظر الثانية فان الاسلام مجرد حدث ، ولكنه مهم جدا ، في تاريخ العرب الطويل .

ان كلا النهجين ، الاسلامي والعروبي ، يظهران بوضوح في كتابات محمد عزة دروزة ، وهو واحد من أهم المؤرخين الفلسطينيين العرب . لقد بدأ دروزة كممثل للاتجاه الاول ثم تحول الى الاتجاه الثاني تحت تأثير القومية العربية النامية . ان آراءه الاولى معروضة في كتابه **سيرة الرسول عليه السلام مقتبسة من القرآن الكريم** الذي نشر في آخر عام من الانتداب وان كان قد كتب في أواخر الثلاثينات وأوائل الاربعينات.(١)

بعد أن يستعرض أهم الاحداث في حياة محمد يبحث دروزة في تأثير الدين الجديد على المجتمع العربي وهو لذلك يقارن بين أوضاع العرب الاجتماعية والسياسية قبل ظهور الاسلام وبعده ويشدد على تفكك العرب في فترة ما قبل الاسلام وافتقادهم لهدف والنزاع

المستمر بين القبائل وعاداتهم الاجتماعيـــة المتخلفة ــ مثل احتقار النساء ووأد البنات التعلق الشديد بالثأر والتبجح الفارغ.(٢) ويقارن كل ذلك بأوضاع العرب بعد اعتناقهم الدين الاسلامي . ولم يكن تحويل العرب الى كيان سياسي متماسك هو اقــل التأثيرات النافعة للدين الجديد . وبالنسبة الى دروزة فان العوامل الرئيسيـــة التي ساهمت في تحويل العرب الى كيان سياسي متماسك تستمد جذورها من الدين الاسلامي . والعرب مدينون للقرآن في حفظ لغتهم بشكل سليم اذ لولاه لكانت اللغة العربية انقسمت الى عدة لغات محلية كما هو الحال بالنسبة للغات الرومانسية (المشتقة من اللاتينية) .
وللاسلام يدين العرب بحضارة بارزة في العصور الوسطى كان للاعتزاز بها مكان هام بين القوى التي توحد العرب في الحاضر وتشدهم الى بعضهم بعضا.(٣)
كان التسامح الديني نحو المسيحيين واليهود قسما هاما من التعاليم الاسلامية ، كما يرى دروزة. فقد ميز الرسول محمد بين الديانات السماوية والديانات غير السماوية، وقصد بالاولى تلك الديانات التي كان لها كتاب مقدس اي المسيحية واليهودية. ودعا المسيحيين واليهود بأهل الكتاب وتركهم أحرارا ليمارسوا اعتقاداتهم وقوانينهم الخاصة . اما غير المؤمنين الاخرين فكان عليهم ان يقبلوا الدين الاسلامي أو يتعرضون للهلاك . ان مثل هذا الموقف ، بحسب دروزة ، يفسر علاقات الصداقة التي تطورت بين العرب المسلمين وغير المسلمين والذي مكن العرب المسيحيين واليهود من أن يلعبوا دورا هامـــا في الحضارة العربية وان يصبحوا بالتالي جزءا لا يتجزأ من الامة العربية .
وأخيرا فان الدين الجديد قد منح العرب احساسا بالغاية والتزاما بالواجب. ولقد دفعهم ايمانهم بضرورة نشر الدعوة الجديدة الى أن يبدأوا حركـــة توسعية ادت الى اقـــامة امبراطورية شاسعة . وكذلك رأوا مــن واجبهم ان يقووا تعاليم الاسلام وان يظهروا تساوي جميع المسلمين بنظر الحكام . ولقد تجلى مثل هذا الموقف عند النبـــي والخلفاء الراشدين الذين خلفوه في ادارة شئون المسلمين .
ان القوة النامية للقومية العربية وتكوين جامعــــة الدول العربية والاتصال المتزايد بين دروزة والمؤرخين العرب قد أدى به الى تغيير آرائه حول التاريخ العربي . فأصبح داعية لوحدة التاريخ العربي واعتبر الاسلام كنتاج لعبقرية العرب يمثل أحد الاطوار في تاريخهم الطويل . وهذا التغيير في النهج يظهر جيدا في كتابه **حول الحركـــة العربية الحديثة**(٤).
ولكي يثبت الرسالة التاريخية للعرب ارجع دروزة في كتابه هذا اصلهم الى المدى الذي استطاعه في الماضي البعيد . وأسهم في آراء مدرسة جديدة من المفكريـــن العرب الذين ادعوا ان كلمتي عرب وساميين تعنيان الشيء ذاته. وكان سامي شوكت الذي كان مديرا للتعليم في العراق في اواخر الثلاثينات هو أول من أدخل هذا الرأي . وقد ذهب شوكت الى القول بأن كل الشعوب التـــي حملت علم الحضــــارة في الشرق الاوسط القـــديم ــ كلدانيين واشوريين واسرائيليين وحتى فراعنة مصر الحاميين ــ كانت عربية . لم يذهب دروزة الى ذلك المدى : فبالنسبة اليه هناك ثلاث مجموعات عرقية احتلت صورة الشرق الاوسط القديم هـــي العرب الساميون والحاميون والهنـــود ــ الاوروبيون.(٥)
وبحسب هذه النظرية ، فقد مثل الاسلام الحلقة الاخيرة ، الاكثر اهمية ودواما في رسالة العرب التاريخية . ورافق نشر الدين الجديد انتشار ثقافة جديدة . ان هذين العاملين قد اوجدا وعيا عرقيا لم يختف من الاماكن التي كان لهما فيها جذور عميقة .
لقد خصص دروزة معظم الجزء الثاني من تأريخه للحركة القومية للتحري عـــن تطـــور هذا الوعي العرقي عبر مراحل التاريخ العربي الاسلامي المختلفة . قوته أيام الامويين وانحساره أيام العباسيين ثم يقظته من جديد أيام الصليبيين . أما فترة الحكم العثماني فان دروزة لا يرى شيئا سوى الركود السياسي والهجوع الثقافي .
وكمعظم المؤرخين العرب فان دروزة يعتقد ان وعي العرب القومي ، بالمعنى الحديـــث

للكلمة ، يعود الى بداية القرن التاسع عشر وكنتيجة لاحتكاك العرب بالفرنسيين . ان ممثلي هذا الوعي كانوا قلة اقتصرت على المسيحيين المتعلمين في البداية . ثم يبحث دروزة في أثر البعثات التبشيرية المسيحية على احياء اللغة العربية وقيام حركة الجامعة الاسلامية والدور الذي لعبته الجمعيات الادبية والسياسية في الاثارة الوطنية وانتشار الوعي القومي بين المسلمين العرب .

دافع دروزة عن الرأي القائل بأن الحركة الوطنية المصرية والسورية في القرن التاسع عشر كانتا متصلتين مع بعضهمابقوة لان القومية العربية في النصف الثاني من القرن تدين بالشيء الكثير الى اللاجئين السياسيين السوريين . والفترة الوحيدة التي اظهرت فيها الحركة الوطنية المصرية لامبالاة نحو المشاعر العروبية كانت في العقد الذي سبق الحرب العالمية الاولى والعقد الذي تلاها .

اكد دروزة على الاثر الكبير الذي تركتـه الثورة العربية أثناء الحرب العالمية الاولى على الحركة القومية . ورأى بصدق انها كانت اول محاولة كبيرة من جانب العرب لتحقيق طموحهم القومي ورأى في قادتها وبشكل خاص فيصل رمزا للقومية العربية . ويعتقد ان الثورة كانت مهمة للحركة وذلك بسبب ما حققته وما عجزت عن تحقيقه على السواء. فهي قد قوت الوعي القومي بين العرب من ناحية، ومن ناحية اخرى كشفت ضعفهم الذي ادى الى تجزئة العالم العربي السياسية بعد الحرب العالمية الاولى . وهو لذلك دعا الى بعث المجتمع العربي وذلك بأخذ افضل ما عند الغرب دون أن تترك التقاليد العربية الاسلامية . ولكي ينجح العرب يجب ان يكون لهم كيان سياسي مستقل يعيش فيه كل العرب ، من مسلمين ومسيحيين ويهود بشكل متساو(٦) .

بالنسبة الى فلسطين يتفق دروزه مع اراء كل المؤرخين العرب : ان الوحدة العربية هي افضل جواب للتهديد الصهيوني . ان دولة عربية كبيرة موحدة ستصون الشخصية العربية لفلسطين : سيصبح اليهـود اقلية ليست ذي شأن في الدولة الجديدة ويمكن امتصاصهم مع الزمن(٧) . ولم يغير من موقفه حتى بعد قيام اسرائيل ، ان الوحدة العربية ستساعد على احتواء اليهود في المكان الذي احتلوه ويمكن ان تؤدي الى امتصاص الدولة اليهودية نهائيا في كيان عربي أكبر(٨) .

وبينما شدد دروزه على الاتجاهين الاسلامي والعروبي في التاريخ فان معظم المؤرخين الفلسطينيين كانوا عروبيين وحاولوا أن يغرسوا في الشباب العربي حبالاجيال السالفة وان يثيروا فيهم الرغبة لبناء عالم عربي جديد على غرار الصورة الماضية . ان ذلك لا يصح الى فلسطين وحدها وانما كان مظهرا عاما للنهضة الثقافية في كل البلاد العربية . فساطع الحصري وهو من اشهر المؤرخين العرب ، يؤكد بحق ان كل المؤرخين العرب كانوا مدفوعين بوعي قومي للمشاركة بالافتخار بأمجاد الماضي والاحزان المشتركة التي تسببها بحق الحاضر(٩) . وحاول بعض المؤرخين الفلسطينيين أن يثيروا ذلك الاعتزاز من خلال تقدم العرب في مجال العلوم وحاول اخرون ان يبحثوا في مساهماتهم في حقل الهندسة والبناء .

عكس قدري طوقان في كتاباته العزة التي شعر بها العرب بفضل اسهام اسلافهم الكبير في المعرفة العلمية التي تتمتع بها اوروبة في الوقت الحاضر . وشكل هذا الاسهام موضوع كتابه **تراث العرب العلمي**(١٠) . ودفعت جودة الكتاب الدائرة الثقافية في جامعة الدول العربية الى ان تعيد نشر الكتاب على نفقتها في عامي ١٩٥٤ و١٩٦٣ . يبدأ طوقان بدراسة العوامل الكامنة وراء النهضة الثقافية العربية في القرنين التاسع والعاشر . وبرأيه فان أول هذه العوامل كان الاهمية التي يعطيها الاسلام للثقافة والمعرفة ، اذ أن القرآن والسنة يؤكدان على ضرورة الثقافة ويطلبان من المسلم أن يبحث عن المعرفة في اي مصدر ممكن . وبينما كانت الرغبة في المعرفة والبحث عن التحسن الثقافي علامة تقوى

بالنسبة للمسلم العادي فان رعاية المثقفين اصبحت واجبا دينيا بالنسبة للحاكم . كان هنالك ايضا الظروف الجديدة : الاحتكاك بين العرب والشعوب الاخرى ـــ البيزنطيين والفرس والسوريين والاقباط ـــ التي كانت اكثر ثقافة وحضارة . وكانت مضاعفة المؤسسات الاكاديمية عاملا اخر . فلقد أسس عدد من المسلمين الاغنياء ، عرب وغير عرب ، المدارس املين الحصول على ثواب ديني من جهة ومن جهة اخرى راوا ان هذا العمل أكثر ملاءمة لحفظ الثروة التي كانت معرضة ان تذهب الى المسؤولين الجشعين. وعندما كانت تؤسس مدرسة كان يخصص لها نوع من الاستثمار الانتاجي لضمان استمرارها . ولقد حدثت معظم الاكتشافات العلمية العربية في مثل هذه المؤسسات التي كان من اشهرها بيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة .

ويرى طوقان ان العلم كان يعني بالنسبة للعرب الدراسات الرياضية والعقلية . وكان العلم الاول يشمل الهندسة والفلك والحساب والجبر والموسيقى والسياسة والاخلاق والاقتصاد المنزلي . وشمل الثاني كلا من المنطق والجدل والميتافيزيقا وعلم الطبيعة والطب والكيمياء . اعتمد العرب في كلا الحقلين في البداية على الترجمة التي غطت ثمانية كتب لافلاطون وتسعة عشر كتابا لارسطو وعشرة لابقراط وعشرين لجالينوس بالاضافة الى المؤلفات الكاملة لاقليدس وارخميدس وبطليموس . ولا تنحصر قيمة هذه الترجمات في الدور الذي لعبته في تقدم المعرفة العلمية بين العرب حيث ان معظم النصوص الاصلية لهذه الترجمات قد فقد وكثير مما يعرفه الاوروبيون عن علوم اليونان قد جاء من خلال الترجمات العربية(١١).

شدد طوقان على المعرفة الشمولية للعلماء العرب الذين اظهر معظمهم سيطرة على عدد كبير من المواضيع المختلفة . فابن سينا الذي عاش في بخاري في اخر القرن العاشر واوائل القرن الحادي عشر ، كان طبيبا وفيلسوفا وعالم لغة وشاعرا ، والكندي الذي عاش في بغداد في القرن العاشر كان فيلسوفا ومنجما وكيمائيا وطبيبا للعيون وموسيقيا. اختتم طوقان كتابه بدراسة اثر المعرفة العربية على النهضة الاوروبية في أواخر العصور الوسطى . فيشير الى أن هذه الاكتشافات العربية قد وجدت طريقها الى اوروبة عبر المراكز التي كانت ملتقى للحضارتين : المؤسسات الاكاديمية في اسبانية وصقلية وجنوب ايطالية .

هناك مساهمة اخرى لطوقان في تاريخ المعرفة العلمية عند العرب وهي دراسته للاسلوب العلمي كما تطور على ايدي العرب في العصور الوسطى . ان الكتاب مليء بالوثائق ويكشف عن معرفة المؤلف العميقة بالسجلات التاريخية الاسلامية في العصور الوسطى. وبرأيه فان العرب قد اتقنوا الاساليب العلمية المستعملة في اوروبة في القرن السابع عشر وبذلك تفوقوا على الاغريق في هذا المضمار(٢١). لقد نسج الكتاب حول حياة واعمال الخوارزمي ، الصورة البارزة في تاريخ الرياضيات العربية . وبالاضافة الى دراسة الاسلوب العلمي الذي استعمله هذا العالم فان طوقان يؤكد على مساهمته في تأليف اقدم الجداول الفلكية واقدم الاعمال في الحساب والجبر . لقد فقدت النسخة العربية لكتابه **حساب الجبر والمعادلة** الذي يحتوي على ما يزيد عن ٨٠٠ مقال ، ولكن ترجمة جيرار الكريموني التي ظهرت لهذا الكتاب في القرن الثاني عشر ظلت تستعمل في الجامعات الاوروبية ككتاب مدرسي للرياضيات حتى القرن السادس عشر . وساعد الكتاب ايضا على نقل الاعداد العربية الى الغرب .

ان معظم كتب طوقان عبارة عن دعوة الى المثقفين العرب لكي يجعلوا من التراث الثقافي العربي قوة دافعة نحو التقدم ووسيلة لتحسين الاوضاع الحالية وبناء مستقبل افضل . ولا يبدو على طوقان انه مهتم بالتاريخ والسير لذاتها ولكنه يشدد دائما على الحوادث والمعلومات التي تساعد في تشكيل دلالة معنوية للعصر الذي يبحث به . واحيانا يضيف

بعض اللمسات ليزيد من جاذبية ابطاله في عين القارىء .
وبينما ركز طوقان في كتاباته على العلم العربي لكي يقوي الوعي القومي بين الفلسطينيين العرب ، حاول محمود العابدي ان يوجد الشعور ذاته لدى قرائه وذلك بالتأكيد على فن العمارة العربي . وكان مؤهلا لذلك بسبب معرفته الواسعة بالموضوع ولانه زار المواقع حيث لا تزال تقوم الاثار القديمة .
يؤكد العابدي على ندرة البقايا الاثرية لفترة ما قبل الاسلام في فلسطين(١٣). ان اثار ما قبل الاسلام والتي بنيت ايام الحكم الروماني كانت كثيرة في البلاد المجـاورة مثل شرق الاردن وسورية ولبنان ولكن معظمها قد بناه العرب : فالاقباط بنوا البتراء عنـد جبـل صخري في جنوب شرقي الاردن . واقام التدمريون تدمر على حافة الصحراء السورية . وقد عملت المدينتان كمركزين حساسين على الطريق التجاري بين الجزيرة العربية والهلال الخصيب .

وبالنسبة الى العابدي فان معظم البقايا الاثرية في فلسطين تعود الى العصر الاسلامي وخاصة عهد الامويين(١٤). فلقد فكر معاوية، اول خليفة في هذه الاسرة، ان يقيم مسجدا كبيرا في القدس لان الاماكن المقدسة في المدينة ومكة كانت خاضعة لخصمه علي آخـر الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول . اهملت هذه الخطة عندما احتلت المدينتان ولكن مسجد القدس بناه اخيرا خليفة اموي اخر . كذلك اظهر الامويون اهتماما حـادا فـي بناء القصور في منطقة الغور في فلسطين ، وهو الاسم الذي أطلقه الامويون على وادي الاردن .

ان لقصور الامويين الشتوية جاذبية خاصة للعابدي . وبما ان غالبية هذه القصور قد انهارت فقد فتش السجلات المتوافرة ليؤكد عدد هذه القصور وطبيعة بنائها ومواقعهـا واحصاءات حول التكاليف . ونشر موجزا لما وصل اليه في كتـابه **القصور الاموية**(١٥).
وبالنسبة اليه فان احد القصور الذي يعتبر نموذجا لتلك القصور هو قصر بناه هشام بن عبد الملك ، الخليفة الاموي السادس ، على بعد ثلاثة اميال الى الشمال من جرش وهـذا القصر هو أحد القصور التي لا زالت بقاياها موجودة .
يظهر قصر هشام ، كما يقول العابدي ، امتزاج الاساليب الفنية البيزنطية والاسلامية . ان عدد الاشخاص الذين شاركوا في بنائه والمبالغ التي صرفت عليه وعظمة خطته وروعة زخرفه تشهد على عظمة الثروة والقوة التي كان يتمتع بها الخلفاء الامويـون وعلـى المستوى الرفيع الذي وصل اليه فن العمارة الاسلامي .
كان العابدي يهدف من خلال دراسته للبقايا الاثرية في فلسطين ان يحقق هدفين : فمن جهة اولى اراد ان يؤكد علاقات العرب التاريخية بفلسطين ، كجواب على مزاعم اليهود التاريخية ، واراد من جهة اخرى ان يذكر قراءه بالانجازات الرائعة التي حققها اجدادهم وليغرس فيهم شعور الاعتزاز بهذه الانجازات . وكان يأمل ان يؤدي ذلك الى تقويـة ارتباطهم بوطنهم وتعزيز شعورهم القومي(١٦).
لقد اعتقد كثير من المؤرخين الفلسطينيين انه لا شيء يمكن ان يؤثر في الجمهور العربـي ويرضيه اكثر من رواية قصة التوسع العربي والوحدة العربية في وجه الهجمات الاجنبية.
ومع ان تاريخ العرب مليء بالحروب المحلية والمنازعات الداخلية فان المؤرخين الفلسطينيين اظهروا ميلا لاهمال هذه المنازعات والانقسامات على أساس أنها ليست مهمة . وحاولوا ان يصبغوا تاريخ العرب العسكري بالوان جذابة وعرضها بطريقة تثـير الاعجـاب والاعتزاز . ومثل هذه الطريقة في التاريخ العربي واضحة في كتابات نقولا زيادة ومحمد رفيق التميمي .
صور كتاب زيادة **وثبة العرب**(١٧) الاعتزاز الذي شعر به الفلسطينيون العرب مسيحيين ومسلمين على السواء في وثبة العرب تحت راية الاسلام للوصول الى مرتبة عالية مـن

القوة . وفي شرحه للاسباب التي تكمن وراء التوسع السريع للعرب يؤكد زيادة على المساعدة التي قدمتها قبائل الغساسنة العربية المسيحية لاخوانهم العرب ضد المسيحيين البيزنطيين . الا انه كان متنبها الى ان هناك عوامل اخرى ساهمت في الانتصار بعضها يعود الى البلاد التي فتحت وبعضها يتعلق بالمسلمين العرب انفسهم . وبالنسبة للامر الاول فان أحد الاسباب الرئيسية كان ضعف اعداء العرب ، الفرس والبيزنطيين على السواء : جيوشهم لم تكن قوية وحكمهم كان جائرا كما ان الشعوب التي كانت خاضعة لهم سواء في سورية او مصر او بلاد الرافدين رحبت بالفرصة التي سنحت للتخلص من حكمهم . لكن العوامل الداخلية كانت اكثر اهمية . كان الجنود المسلمون يؤمنون ان الموت في سبيل نشر الدعوة كان طريقا مؤكدا الى الجنة وبالتالي فقد اظهروا شجاعة واخلاصا لم يكونا متوافرين لدى اعدائهم . كذلك اظهر القادة العرب مهارة تفوق مهارة اعدائهم بدرجة كبيرة ، والانتصارات المبكرة في العراق وسورية مدينة بالشيء الكثير لنوعية القيادة التي اظهرها خالد بن الوليد الذي قاد الجيوش العربية في العراق . وكان عمله الباهر هو في اجتيازه الصحراء السورية ـ العراقية بكامل جيشه في اقل من اسبوعين وذلك لنجدة الجيش العربي الذي كان يتعرض لضغط قوي في سورية . واظهر طارق بن زياد مهارة مماثلة اذ استطاع بقوة صغيرة ان يجتاز المضيق الذي يفصل افريقية عن اسبانية والذي حمل اسمه فيما بعد وقهر قوة اسبانية متفوقة وقد احرق طارق القوارب التي حملت جنوده الى الشاطىء الاسباني كدليل على ثقته الكاملة بقدرة اتباعه الحربية وبتحقيق النصر النهائي .

وصف زيادة مشاريع العرب لخلق قوة بحرية والتي ساهم جزء منها بقوة صغيرة في الحملة على القسطنطينية. وتعود سيطرة العرب على البحر المتوسط الى ضعف اعدائهم لا الى قوتهم البحرية .

في تناوله للطبقات الاجتماعية في بداية الامبراطورية العربية يمر زيادة بشكل عابر على موضوع الرق . واشار الى ان الاسلام ، مع انه تغاضى عن الرق ، فقد نظر بشكل غير مستحب لمالكي العبيد وشجع مشاعر العبيد ، واكد ايضا على ان هؤلاء العبيد كانوا يلقون معاملة حسنة وان بعضهم ، خاصة ممن كانوا في حوزة الاسر الحاكمة ، اصبحوا موسيقيين واطباء وقادة ناجحين . ورأى ان ثلاث طبقات اجتماعية وجدت في المجتمع العربي في العصور الوسطى وهذه الطبقات تبعا لاهميتها هي : الفئة العربية المسلحة الحاكمة والتي كانت مقصورة على عدد محدود للغاية ، وجموع المسلمين والمسيحيين العرب ثم المسلمون غير العرب . ان عجز الفئة الاخيرة والتي كانت الاكثر عددا ادى الى ردود فعل معاكسة وخاصة بين الفرس ، مما كان عاملا في النهاية على الاطاحة بالاسرة الاموية وظهور العباسيين في بغداد .

في الوقت الذي يبحث زيادة في الناحية الهجومية للحروب العربية عالج رفيق التميمي الحروب الدفاعية، وأكد على أوضاع العرب غير المستقرة فيالقرن الحادي عشر بالمقارنة باوضاعهم في القرن السابع والثامن(١٨) . وقد تزعزعت وحدتهم السياسية ، وبدلا من خليفة واحد اصبح لديهم ثلاثة : خليفة عباسي في بغداد وفاطمي في القاهرة واموي في قرطبة . كان الخليفة العباسي اضعفهم بالرغم من ان سلطته الاسمية كانت تشمل العراق وسورية ومعظم بلاد الفرس . وفي هذه الخلافات الثلاث كانت الثورة تتركز في ايدي عدد من الحكام المحليين : عرب وفرس واتراك ومغاربة . رافق التفكك السياسي فقر اقتصادي وعدم استقرار اجتماعي. وكنتيجة لذلك اجتاح الصليبيون سورية واقاموا مملكة لاتينية في القدس(١٩). ونتيجة للصدمة التي اصيب بها العرب بفعل الهزيمة التي منوا بها فقد بدأ العرب حركة للنهضة وصلت أوجها تحت قيادة صلاح الدين الذي تحقق من أن الامل الوحيد انما هو في اعادة الوحدة المفقودة في منطقة شرقي البحر المتوسط .

اتخذ صلاح الدين من المفاوضات بين الفاطميين في مصر والصليبيين في القدس عذرا لمهاجمة القاهرة والاطاحة بخليفتها . وارغم الحاكم العباسي في بغداد على الاعتراف بسلطته على مصر وشمال العراق والمناطق الداخلية في سورية ثم توج انجازاته باحتلال القدس نفسها . يعزو التميمي هذا الانتصار الى ثلاثة عوامل : عبقرية صلاح الدين ووعي الفرد العربي والفرقة والمنافسة بين الحكام الصليبيين(٢٠). وفي تناوله للمراحل الاخيرة من الحرب ضد الصليبيين شدد التميمي على الدور الذي لعبته مصر في النصر النهائي . فبحكم مصادرها الغنية وعدد سكانها الكبير مكنت مصر حكامها ان يسيروا بالحرب الى نتائجها المرجوة . وفي نهاية كتابه طرح التميمي رأيه بأن الصليبيين قد علموا العرب ان الوحدة برهنت على انها حل لاية محنة حلت بالعرب وبأنه كان على مصر ان تلعب دورا هاما في مثل هذه الوحدة(٢١).

ان الاساس الفكري للكتاب المذكورين يظهر ايضا في الكتابات عن تاريخ البلدان والمدن الفلسطينية . واعتقد المؤرخون الفلسطينيون انه يجب اظهار الطابع العربي لهذه البلدان من أجل تعزيز المشاعر القومية والعواطف الوطنية . يوجز عارف العارف في مقدمة كتابه **تاريخ القدس**(٢٢) هدفه بقوله ان معرفته بالخط الذي سلكه الكتاب اليهود لتأكيد الصلات التاريخية لليهود بفلسطين جعلته يشعر ان من واجبه دحض مزاعمهم من خلال دراسة تاريخ القدس والصلات التي شدد عليها اليهود وليوضح بالتالي ان تاريخ المدينة المقدسة يكشف عن شخصيتها العربية وعن تسامح اهلها تجاه المسيحيين واليهود والعلاقات السلمية التي طبعت حياة سكانها خلال القرون الاخيرة(٢٣) .ارجع العارف اصل القدس الى ما استطاع في القدم مشيرا الى انها بنيت قبل ان يصل بنو اسرائيل القدماء الى فلسطين بقرون . الا انه ركز على تاريخ المدينة منذ العصور الوسطى حيث أصبحت السجلات اكمل ويمكن الاعتماد عليها . واظهر معرفة تفصيلية بالمصادر الاسلامية مما مكنه من اعادة صوغ تطور تاريخ المدينة ونشاطات اهلها .

اكد العارف في دراسته لتاريخ القدس السياسي على الموقف النبيل للفاتحين العرب في المرتين اللتين احتلوا بها المدينة . ففي القرن السابع جاء الخليفة نفسه من المدينة حيث مقر حكمه في الحجاز ليشرف على عملية الاستيلاء . واعطى امانا عاما وسمح لسكانها المسيحيين واليهود ان يمارسوا معتقداتهم بحرية . لقد لاقى المسيحيون معاملة خاصة من الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك الذي جهز المدينة بكثير من المباني العامة التي استخدمها المسلمون وغير المسلمين . وقد أنعم الوليد بن عبدالملك على المدينة بقبة الصخرة التي تعتبر آية من آيات فن العمارة الاسلامي والتي اقيمت في المكان الذي عرج الرسول منه الى السماء . وتطورت المدينة بسلام الى ان صدمت بمجيء الصليبيين في اواخر القرن الحادي عشر . ولم يكتف الصليبيون باحتلالها بل فتكوا بجميع اهلها على الرغم من الوعد بالامان الذي اعطوه للمدافعين عنها . قورنت هذه المعاملة بتلك التي ابداها صلاح الدين الذي اظهر بعد قرنين من الزمن عندما اعاد احتلال المدينة مثالا للتسامح الاسلامي . وفي ايام العثمانيين تمتعت المدينة بحرية خاصة حيث اعطيت شكلا من الحكم الذاتي وربطت اداريا بالباب العالي . الا ان هذه الحياة الامنة عطلت مرة اخرى بعد اقامة الانتداب البريطاني حيث حل الشك والكراهية مكان المحبة والثقة التي كانت تسود العلاقات بين اهلها .

أظهر العارف اهتماما كبيرا بمساجد المدينة وكنائسها . فلقد زارها جميعها وعرف الكثير عن تاريخ المهم منها . فهذه الاماكن المقدسة كانت بالنسبة اليه ذكريات التاريخ ومستودعات للسجلات القيمة وحاول أن يتعرف الى اسماء الرجال المحليين الذين دفنوا في مختلف المساجد والكنائس وان يعرف المساهمات التي أدوها لتطور المدينة والدور الذي لعبوه في تاريخها. (٢٤)

درس العارف ايضا نواحي معينة في تطور المدينة الاقتصادي . واشار في الكتاب الى عادات مهنية واسعار وصدقات ودلائل اخرى على التغير الاقتصادي. وبالاضافة لذلك كان مهتما بمشاكل السكان وحاول ان يقدم احصائيات سكانية . واعترف بحقائق معينة مناسبة لهدفه كمؤرخ . وكانت حقائق توضح كيف عمل المجتمع عبر القرون وكيف حل مشاكل السكن والتموين وماذا فعل ليؤمن حاجات الفقراء وما هي عاداته الخاصة ووسائل لهوه وذكرياته . وتساعد قائمة اسماء مانحي المباني والمحسنين الاخرين التي أعدها العارف ووصفه للتغير المستمر في وظيفة الديوان على توضيح الانماط المتغيرة للعلاقات الاجتماعية .

فهم العارف ان التثبت من الحقائق هو ما تتطلبه كل معرفة تاريخية. ومن الصعب تجاوز القيمة التي أعطاها لاهمية غربلة الحقائق . وتحوي هوامش كتابه مواد تاريخية متنوعة متضمنة نسخا من الرسائل والبلاغات ومختارات من مصادر اسلامية وقوائم بالاسماء واحصاءات مجموعة من عدة مصادر ومشاهدات طوبغرافية. وعلى العموم فان العارف كان حريصا دائما على أن يذكر من اين حصل على معلوماته .

لم ينحصر اهتمام العارف كمؤرخ محلي بتاريخ المدن . في **كتاب تاريخ بئر السبع وقبائلها**(٢٥) وصف تاريخ القبائل العربية التي أقامت في جنوب فلسطين . لقد عاشت بئر السبع لفترة طويلة كمدينة صغيرة تعمل كمركز تجاري للقبائل التي عاشت في المنطقة الصحراوية المحيطة بها . ولم يجهل العارف اهمية الموقع ، فقد شدد على اثر موقعها على الطرق التجارية التقليدية التي تربط الجزيرة العربية وسورية ومصر ، واكد على توفر المياه التي تعتبر عاملا اساسيا في نمو مدينة بمنطقة صحراوية .

وكما هو الحال في كتابه عن تاريخ القدس فان رغبة العارف بدحض المزاعم اليهوديةحول صلاتهم التاريخية بفلسطين تلمس ايضا في تناوله للقبائل . فأكد ان لفلسطين من النسب العربي الصافي اكثر مما لاي بلد مجاور . وقد دعم دفاعه باقتباس رأي للويس ماسينيون ، المستشرق الفرنسي الذي ذهب في مقالة نشرت عام ١٩٢٤ في مجلة العالم الاسلامي (الفرنسية) الى ان سبعين بالمئة من مسلمي فلسطين وشرق الاردن هم من أصل عربي.(٢٦) وبحسب العارف ، فان هذه القبائل قد شجعت لكي تحافظ على طريقة حياتها التقليدية من اجل استمرار الثقافة العربية الصافية وصيانة الفنون الشعبية العربية . ثم قدم العارف امورا غنية بالتفاصيل : العادات الاجتماعية لهذه القبائل ، العلاقات الفردية ضمن القبيلة الواحدة والعلاقات بين القبائل وعادات الزواج والابتهاج بالاعياد والمناسبات الدينية الاخرى . ووصفت كل هذه الامور بطريقة اظهرت ان الخصائص الرئيسية لهؤلاء البدو قد حفظت نقية خلال الاجيال .

واذا كان العارف مدفوعا في كتاباته بالرغبة لدحض المزاعم اليهودية وليغذي الشعور الوطني في نفوس قرائه ولم يأل جهدا في تعظيم الدور الذي لعبه العرب في تاريخ المدن والجماعات الفلسطينية ، فان مؤرخا محليا آخر هو احسان النمر قد فعل من غير قصد ما فعله العارف عمدا .

اختلف احسان النمر (النابلسي) عن عارف العارف في عدة نواح . فهو لم يعمل في الحكومة ولم يلعب دورا نشيطا في الحركة القومية العربية مع انه اكد انه كان مهتما بتطور الاحداث في فلسطين قبل الانتداب البريطاني وبعده ، ولم تمكنه ثقافته من معرفة الاساليب الحديثة في الكتابة التاريخية : فهو لم يدخل اية مؤسسة علمية غربية وبالتالي لم يتعلم اية لغة اجنبية الى جانب اللغة التركية . كذلك كان أقل انتاجا من العارف بكثير اذ ان مؤلفه الوحيد عبارة عن دراسة لتاريخ مدينته .

ان مؤلف النمر **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**(٢٧) مهم بسبب القيادة الثقافية التي كانت تتمتع بها نابلس في تلك الفترة . في عام ١٩٢٧ تعرضت نابلس لهزة ارضية عنيفة دمرت حوالي

نصف المدينة . وخوفا من ان يذهب اي حادث سيء آخر بسجلات العائلـة فقد صمم النمر (وهو ينتمي الى عائلة كبيرة) ان يدون تاريخا للمدينة وسجلا لعائلاتها المهمة وعكف حوالي عشر سنوات حتى أنهى الجزء الاول من المؤلف .
على ضوء الغرض الذي أراد النمر لمؤلفه ان يؤديـه فان الاسلوب الذي استعمل كان محددا سلفا . فكان المؤلف ملزما ان يستعمل الاسلوب العربي التقليدي : اتبع الكتاب الاسلوب القصصي سواء في عرضه للمادة او للادلةالوثائقية. وجمع الكثير من المعلومات اما من خلال محادثات شفهية مع اشخاص مسنين من العائلات او من جداول نسبية .
بدأ المؤلف بأن سجل عائلات نابلس الرئيسية في ذلك الوقت . ثم ذكر أسلاف كل عائلة ووصف الدور الذي لعبه أفراد كل عائلة في تاريخ المدينة .
وخلص الى انه مع بداية القرن الثامن عشر أقام أسلاف هذه العائلات في تلك المنطقة من وسط فلسطين التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم منطقة السامرية في فلسطين ومنطقة البلقاء في شرق الاردن . وفي ايام الحكم العثماني شكلت هاتان المنطقتان سنجق نابلس الذي كان يتبع ولاية دمشق . ثم اكد النمر على العطف الذي أبداه عبدالحميد تجاه هذه العائلات والدور الذي لعبه افرادها في الادارة العثمانية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . كذلك أكد على الوعي القومي الذي أظهره النابلسيون بعد اقامة الانتداب وأشار الى الحقيقة بأنه على الرغم من الاسعار العالية التي عرضتهـا المنظمات اليهودية على هذه العائلات لشراء بعض الاراضي منها فان شبرا واحدا من الاراضي العربية في منطقة نابلس لم يبع الى اليهود .
بتناوله تاريخ نابلس والبلقاء معا اظهر النمر عنصر الوحدة بين فلسطين وشرق الاردن وبين ان التجزئة السياسية التي حلت بالبلاد العربية بعد الحرب العالمية الاولى كانت مصطنعة ولا يمكن ان تدوم . وبتشديده على الوطنية التي أظهـرتها هذه العائلات في مناسبات مختلفة ، وبتأكيده علـى الدور الذي لعبته في محـاربة الخطط الصهيونية والبريطانية ساهم النمر كثيرا في نمو الشعور القومي لدى قرائه .

خاتمة

يتبين من البحث ان المؤرخين الفلسطينيين العرب :
١ ــ نزعوا بقوة نحو نظرة علمانية لم تكن العناصر الاسلامية ابدا اهم ما فيها وان كانت لا زالت قوية .
٢ ــ اعتبروا التاريخ العمود الهام في القومية العربية .
٣ ــ كان الاسلام بالنسبة اليهم دلالة على العبقرية العربية .
٤ ــ أكدوا على فكرة الوحدة التاريخية التـي لاصقت المجتمع العربي الموحد والذي لم يقبل التجزئة عبر الاجيال .
٥ ــ اعتقدوا ان هذه الفكرة تخدم كأساس نظري وتبرير للاتجاهات العروبية في العالم العربي وتساعد على تشكيل مجرى حاضره ومستقبله .
٦ ــ تأثر مفهوم الفلسطينيين العـرب للتاريخ الى درجـة كبيرة بالمفكرين الاوروبيين وخاصة الالمان في القرن التاسع عشر .
٧ ــ سار المؤرخون الفلسطينيون بالرغم من عدم وجود برهان على أثر الالمان المباشر عليهم ــ على طريق هردر ونتشه واردندت ونيبور في تغنيهم بالامجاد السالفة وندائهم لقرائهم لاسترداد روح الماضي وبعثه .
واخيرا يجب أن نذكر انه بالرغم من المواضيع المتنوعة التي تناولها المؤرخونالفلسطينيون العرب فانهم تركوا مجالات عديدة في التاريخ ولم يقتربوا منها . فلم يحاول واحد منهم أن يبحث في الجانب الاجتماعـي والاقتصادي للتاريخ العربي . ولم يقدم أي منهم دراسة

جغرافية تاريخية . كذلك اهملوا النظرية السياسية . ومهما كانت وجهات نظرهم حول شكل الحكومة التي سيقيمها العــرب او حول العلاقات بين الحكــام والمحكومين فان وجهات النظر هذه كانت مبعثرة في الكتب التي كتبوها ولم يبحثوها مطلقا في التفاصيل .

---

١ — سيرة الرسول عليه السلام مستقاة من القرآن (القاهرة ، ١٩٤٨) .
٢ — المصدر السابق ص ٦٠ — ٦٥ .
٣ — المصدر السابق ، ص ١٢٥ و١٣٦ .
٤ — حول الحركة العربية الحديثة ، صيدا (لبنان) ، ١٩٤٨ — ١٩٥٢ .
٥ — المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص ١١٢ — ١١٥ .
٦ — المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٢٠ — ٣٢٢ .
٧ — المصدر السابق ، الجزء الخامس ، ص ٢٨٥ — ٢٨٧ .
٨ — المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص ٢٦٨ — ٢٧١ .
٩ — آراء واحاديث في الوطنية والعروبة (القاهرة ، ١٩٤٤) ص ٢٠ .
١٠ — تراث العرب العلمي ، القاهرة ، ١٩٤١ .
١١ — المصدر السابق ، ص ٧٥ .
١٢ — الاسلوب العلمي عند العرب (القاهرة ، ١٩٤٥) ، ص ٢٦ و٢٧ .
١٣ — تاريخ فلسطين القديم والمتوسط (القاهرة ، ١٩٤٣) ، ص ٢٠ و٢١ .
١٤ — المصدر السابق ، ص ٤٥ .
١٥ — القصور الاموية ، عمان ١٩٥٧ .
١٦ — المصدر السابق ، ص ii و iii.
١٧ — وثبة العرب ، القدس ، ١٩٤٥ .
١٨ — الاقطاع واول اقطاع في الاسلام (القدس ، ١٩٤٥) ص ٣٤ — ٣٦ .
١٩ — الحروب الصليبية (القدس ، ١٩٤٥) ص ٦٠ .
٢٠ — المصدر السابق ، ص ١٦١ .
٢١ — المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .
٢٢ — تاريخ القدس ، (القاهرة) ١٩٤٧ .
٢٣ — المصدر السابق ، ص i و ii.
٢٤ — المصدر السابق ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .
٢٥ — تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس ، ١٩٣٤ .
٢٦ — المصدر السابق ، ص ٦.
٢٧ — تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، الجزء الثاني ، نابلس ، ١٩٣٨ و١٩٦١ .

هل حوّل الصهيونيون الصحراء الى جنة ؟

الدكتور رتشرد بيفز

الانسة زينب اليافي

لم يكن من بين الخرافات التي استندت اليها الصهيونية منذ نشأتها الاولى أكثر انتشارا من خرافة « جعل الصحراء تزدهر » . لقد تكلم عدد لا يحصى من المدافعين الصهيونيين عن تخريب العرب لفلسطين ثم اصلاحها على أيدي اليهود الصهيونيين والاسرائيليين . ومن الامثلة الحديثة على ذلك مقالة بعنوان « حق اليهود في اسرائيل » للحاخام ا. كاهن نشرت في مجلة **الاميركي الصهيوني** ، عدد كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨ ثم اعادت المنظمة الصهيونية الاميركية طباعتها من جديد . يجزم الحاخام كاهن في استعراضه ما يلي : « لقد بدأ ازدهار الاراضي المقدسة يضمحل عندما جاء اليها الاتراك العثمانيون في القرن السابع . كان الباشا التركي يزور البلد مرة في العام ليجمع الضرائب ، واذا ما تأخرت الضرائب قطعت الاشجار ودمرت القرى وأخذت البلاد في الانحطاط(١) . وبدأ البدو العرب يتسربون الى البلاد من الجنوب فخربت قطعان ماعزهم الاشجار والغابات ، وهكذا عندما جاء نابليون كانت الاراضي المزدهرة باللبن والعسل قد تحولت الى تلال قاحلة وأودية من المستنقعات . وأصبحت في أسوأ حالة لها خلال تلك القرون . ولاول مرة في كل تلك القرون وجد في هذه الفترة القصيرة عدد كبير من السكان العرب في البلاد ولكنهم لم يحكموها وانما حولوها الى ارض جرداء » . (ص ٢) . ويتابع الحاخام كاهن قوله : « أخذ الطلائعيون اليهود تلك الارض وأزالوا منها الصخور وجففوا مستنقعاتها وأوجدوا الرياض الجميلة والمزارع وحسنوا الزراعة وشارك العرب في التقدم فأصبح العربي العادي في فلسطين افضل حالا من نظيره في الاجزاء الاخرى من الامبراطورية التركية » . (ص ٣) .

ان الحاخام كاهن مبتسر نوعا ما مع اتراكه العثمانيين كما انه لا يوضح ماذا يقصد بقوله « هذه الفترة القصيرة » (من القرن السابع — القرن التاسع ؟) ، ولكن دعك من ذلك ، فهو يطرح الخرافة بشكل واضح ونموذجي . وهناك عرض لها أسهل منالا واوسع انتشارا موجود في رواية جيمس ميكنرز واسعة الانتشار ، **المصدر** . فهو يصف كيف « ان المماليك أرسلوا عبيدهم يجوبون الارياف ويجتثون كل الاشجار ما عدا الزيتون ،

---

١ — ان هذا يثير نقطة مهمة . فقد لاحظ كثير من الرحالة السلب الذي كان يقوم به الاتراك في فلسطين دون ان يميزوا بوضوح بين الاتراك والعرب وتبعهم الكتاب فيما بعد في اخفاء هذه الفروقات . بالطبع فان الاتراك كانوا بالنسبة للعرب قوة احتلالية (مثل الاسرائيليين) ويجب بالتالي ان لا يتحمل العرب مسئولية سوء ادارتها . بكلام آخر ، كان العرب ضحية كل من الامبراطورية العثمانية واسرائيل ، ومن السخرية ان يلقي الاسرائيليون بخطايا العثمانيين على العرب .

يعرون الجذوع ويكدسون الاعمدة الخشبية والاغصان المحطمة في مستودعات خاصة».
(طبعة فوسيت ، جرينتش ، ١٩٦٧ ، ص ٧٤٧) .
ويذهب الى أبعد من ذلك فيقول « صارت الحقول التي كانت جميلة يوما ما قاحلة وبقيت على حالها ، أهمل الزيتون القديم ولم يعد يعيش انسان حيث وجدت المدنية لزمن بعيد . . . كانت هناك أفاع وحشرات تأتي من مستنقعات الملاريا التي حلت محل الحقول المروية التي أطعمت شعب ماكور لاثني عشر الف عام » . (المصدر السابق، ص ٧٥٨).
وبالنسبة للحالة العامة للبلاد ، « كيف كانت متناقضة : فبينما كانت تذهب مياه المستنقعات سدى كانت الاراضي تتحول الى صحراء لحاجتها الى الماء . واذا ما صادف ومرت قبيلة بدوية في المنطقة فانها كانت وبدون احساس تقتل المزارعين الذين يحاولون احياء التربة وتستمر في سيرها » . (المصدر السابق ، ص ٧٦٠) .
ولكن كل هذا كان قبل الصهيونية: «لقد سمح القيمون الاخرون على الارض التي كانت حلوة ان تفسد وان تردم الآبار وتختفي الغابات ، لقد أعاد اليهود الارض الى انتاجيتها » .
(المصدر السابق ، ص ٩١٤) .
لقد كانت لدينا شكوك حول هذه الخرافة لبعض الوقت . نحن نعرف عن التجفيف في وادي الحولة في الشمال وعن ري الصحراء في النقب في الجنوب وعن بعض المشاريع الاخرى ، ولكن التعبير العام « جعل الارض صحراء » هو موضع شك ، لشيء واحد هو ان ليس لذلك معنى من ناحية الارض .
ان لبنان ، جيولوجيا ونباتيا ، هو امتداد لشمال فلسطين وكثير من اراضيه منتجة وخصبة بدون فوائد الزراعة الصهيونية(٢). كما ان كثيرا من السياح طبقوا تلك الخرافة بسذاجة على كل اسرائيل بما فيها المناطق المزدهرة منذ اقدم الحقب مثل حيفا وسهل مرج بن عامر . وأدلاؤهم لا ينهونهم عن ذلك دوما . ولا يحتاج عالم النبات لمن يبرهن له ان كثيرا من اجزاء اسرائيل خصبة بطبيعتها وانها على هذه الحال منذ زمن بعيد . ولكن اين يكمن البرهان على ما نزعم ؟ منذ مدة وجيزة واثناء قراءتنا لكتب رحلات انجليزية واميركية اكتشفنا ان كثيرا من الرحالة الاول — وعددهم كبير جدا — قد سجلوا مشاهدات تفصيلية للمناظر البرية حيثما ساروا او ركبوا عبر المناطق الخالية . خطر لنا انه اذا استخلصت مشاهداتهم عن البلاد التي نحن بصددها ووضعت على خريطة مجسمة فانها ستحسم الخلاف بشكل موثوق . لذلك قمنا بالبحث والتجميع الضروريين ، وهذه هي النتائج :
كان جورج سانديز الشاعر والمترجم الانجليزي أحد الرحالة الاول الذين وصفوا البلاد بالتفصيل ، ففي عام ١٦١٠ قال عن البلاد بشكل عام : « البلاد التي تفيض باللبن والعسل ، في وسط عالم صالح للسكن وذات مناخ معتدل ، مزدانة بالجبال الجميلة والوديان الرغدة : تتفجر المياه العذبة من قلب الصخور وليس هناك من مكان يخلو من البهجة والمنفعة » . (ج. سانديز ، **قصة رحلة بدأت عام ١٦١٠ بعد الميلاد** طبعة ثانية ، (لندن) ١٦٢١ ص ١٤١) .
ولاحظ لدى وصوله الى بحيرة طبرية ان « التربة المحيطة بها ذات طبيعة مدهشة اذ ان الفواكه التي تعيش في المناطق الباردة والتي تعيش في المناطق الحارة وتلك التي تعيش في المناطق المعتدلة ، تزدهر هناك كلها وكأنها في سعادة عظيمة » (المصدر السابق ، ص

---

٢ — ان وادي لبنان الاوسط ، البقاع ، كان في منتصف القرن التاسع عشر ، كما يقول مارك توين « صحراء مقفرة ليس فيها الا الحشائش وتغطيها طبقة كثيفة من الحجارة الواحد منها بحجم قبضة اليد. وكان السكان يحفرون في بعض الاماكن ليزرعوا محصولا ضعيفا من الذرة ، ولكن القسم الاكبر من الوادي كان متروكا للرعاة . . . » (**البسطاء في الخارج** ، فصل ٤٣ ، تحرير سجنت ، ص ٣٢٩) . واذا كان توين دقيقا هنا، فان البقاع قد حقق انتعاشا ملحوظا منذ ايام العثمانيين — على أيدي الفلاحين اللبنانيين العرب .

١٤١). وفي تجواله نحو الغرب عبر سانديز سهل مرج ابن عامر الذي وصفه على النحو الآتي : « أمضينا هذا اليوم في اخصب واروع واد يمكن ان تشاهده العين : على يدك اليمنى سلسلة جبال عالية (الجليل) وعلى اليسرى البحر المتوسط ، محاطة بتلال متصلة ومرصعة بالثمار المتنوعة : فكما كانت معظم هذا اليوم ... مليئة بالتلال المزهرة والتي لا تعلو كثيرا على وديانها المغطاة بكروم الزيتون والمزدانة بالفاكهة هنا وهناك ». (المصدر السابق ، ص ١٥١) .

ووصف سانديز الطريق الى القدس بأنها « معتدلة حتى على جانبيها تلال مستديرة مع بقايا آثار على قممها والاودية مشجرة في اجمل بقعة من الارض. ومع ان الارض صخرية الا أنها ليست قاحلة فهناك القمح والزيتون حول الاماكن المأهولة » . (المصدر السابق ص ١٥٤) .

وجد بيت لحم « تقع على أعلى قمة في سلسلة التلال ، تمتد الى الشرق والغرب في ارض جيدة وموقع ممتع » (المصدر السابق ص ١٧٧) . اتجه سانديز بعد ذلك شمالا حتى وصل جبل الكرمل الذي كان « غنيا بالزيتون وكروم العنب وبعدة أنواع من الفواكه والبقول التي تستخدم للتطبيب ولروائحها العطرة » . (المصدر السابق ص ٢٠٣)

وزار هنري موندرل ، القس الانجليكاني الملحق بشركة الشرق الانجليزية في حلب ، الاراضي المقدسة عام ١٦٩٧ . وكان اول ما رآه في فلسطين هو سهل عكا الذي « كانت فيه جداول المياه تجري لمسافات قريبة وكل شيء آخر يمكن أن يزيد من بهجته وخصوبته» [هنري موندرل ، **رحلة من حلب الى القدس** (خياط : بيروت ١٩٦٣) ص ٧٠] . وبالنسبة الى عكا نفسها ذكر انها « تتمتع بكل ميزات المدن البحرية والبرية . وهي محاطة من الشمال والشرق بسهل فسيح خصب . » (المصدر السابق ، ص ٧٢) . وفي سبسطية في السامرة لاحظ موندرل انها « تقع على جبل طويل ذي شكل بيضاوي يبدأ بواد خصيب ثم بحلقة من التلال التي تمتد حواليه. » (المصدر السابق ، ص ٧٨). والحقل الذي يقع الى الجنوب من آبار يعقوب قرب نابلس « يرويه نهر عذب ينبع في مكان بينه وبين نابلس مما يزيده خضرة وخصوبة ... ومن بئر يعقوب اخذنا طريقنا الى الجنوب عبر واد فسيح وخصيب جدا » . (المصدر السابق ص ٨٤) .

وعندما اقترب موندرل من جرش ذكر وجود « عدة أنهار صغيرة تروي كل الحقل الواقع بين هذا واريحا وتزيده خصوبة » (المصدر السابق ، ص ١٠٨) . وأخيرا وصل موندرل الى برية سانت جون غربي القدس ، « تسمى برية لانها صخرية وجبلية ولكنها مزروعة وتنتج الكثير من القمح والكروم وشجر الزيتون . » (المصدر السابق ، ص ٨٤) .

وزار فلسطين في القرن الثامن عشر رحالة انجليز آخرون كان منهم ريتشارد بوكوك وبك ويلي . وقام بوكوك برحلته في ١٧٣٧ — ١٧٣٨ وذكر ان الرملة « تقع في سهل غني .. » (ر. بوكوك ، **وصف للشرق وبعض البلدان الاخرى**، الجزء الثاني (لندن ١٧٤٠ ، ص٤) وقرب اللد شاهد ان « كل هذه البلاد ذات تربة خصبة وفيها كميات كبيرة من الحشائش . » (المصدر السابق ، ص ٥) وعندما اقترب من سهل مرج ابن عامر رأى « واحدة من اجمل التلال » التي شاهدها في حياته اذ أنها « ذات تربة خصبة تنتج نباتا ممتازا وتزينها مجموعات الاشجار فتجعلها في منتهى الجمال . » (المصدر السابق ، ص ٦٤) . وعن عكا قال بوكوك انها « تقع في سهل واسع جدا وخصيب تحيطها على مسافة ١٢ ميلا الى الشمال جبال كانت تسمى قديما بجبال لبنان الشرقية ، والى الشرق تلال الجليل الجميلة الخصبة . » (المصدر السابق ، ص ٥٢) . ثم ذهب الى الشرق حيث وجد ان « منطقة صفد ... سهل واسع غني ... مزروع بالقمح والقطن . » (المصدر السابق ، ص ٦١) . والى الجنوب من صفد قرب شاطىء طبرية تقع مدينة حطين التي « تشتهر ببيارات الليمون والبرتقال الجميلة . » (المصدر السابق ص ٦٧) وفي تجوله حول القدس روى بوكوك « نزلت الى الوادي الشرقي وتسلقت جبل الزيتون الذي يمكن

ارتقاؤه بسهولة عبر حقول القمح المزروعة بشجر الزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٢٩) وفي الطريق جنوبا الى بيت لحم « سرنا حوالي ميلين في هذا الوادي المزروع بالزيتون والتين والمشمش واللوز . » (المصدر السابق ، ص ٤٧) .
في أواخر القرن الثامن عشر جـاء ويلي الايرلندي الذي وصل الى الاراضي المقدسة في ١٧٨٩ . انحصرت مشاهداته في القسم الشمالي مـن فلسطين وبالتحديد في المنطقة الواقعة بين عكا وجبل الكرمل غربا والناصرة شرقا. ذكر ويلي ان جوار حيفا وبالتحديد شفاعمرو « مشهورة بقطنها الذي يعتبـر أفضل قطن في الجليل . » [ت. ويلي ، **مذكرات بك ويلي** ، (لندن : ا. مورنينج المحدودة ١٩٦٠) ص ١٧٥] ثم سافر شرقا الى الناصرة ، و« عندما غـادرنا الناصرة سرنا في سهل فسيح كان اهم ما ينتجـه القمح والقطن . » (المصدر السابق ، ص ١٨٥) .
في القرن التاسع عشر جاء الى فلسطين مزيد مـن الرحالة ، بعضهم لاسباب دينيـة وبعضهم جاء حبا بالتجوال او لمجرد السياحة . رويت رحلات الليدي هستر ستانهوب ، ابنة أخت السير ويليام بت ، في القرن التاسع عشر على لسان طبيبها الدكتور مريون الذي شاهد ان « المنطقة الواقعة بين يافا والرملة متموجة وذات تربة غنية كما يتبين ذلك من محاصيل الشعير الرائعة . » [**رحلات الليدي هستر ستانهوب** ، رواها طبيبها الدكتور مريون ، (لندن ، كولبرن ، ١٨٤٦) ص ٢٠١] وعندمـا أطل على مرج ابن عامر أصيب بالدهشة ، « لم يسبق لنا ان رأينا تربة غنية كسهل مرج ابن عامر ، ان امتداده الشاسع يكفي ليطبع في الذهن صور الانتاج الهائل الذي يعطيه وكان التراب الغني تحت اقدامنا دليلا على خصوبته . » (المصدر السابق ، ص ٢٧٢) .
وأخيرا أعطى مريون صورة عامة لفلسطين : « تعرض فلسطين كل التنوعات المختلفة من سهل وجبل وتل وواد ونهر وبحيرة ، كما تمتاز بمناخ بديع . لا داعي لوصف وفرة الخضار اما الفاكهة فتكثر جميع انواعها من الموز حتى العليق وضفاف الانهار مكسوة بالدفلى والريحان والقطلب والشجيرات المزهرة الاخرى . » (المصدر السابق ، ص ٣١٩) .
وكتب القس ارثر ستانلي في ١٨٥٦ ان فلسطين لا تتميز لمجـرد كونها « بلد الحنطـة والشعير والكروم وشجر التين والرمان وزيت الزيتون والعسل ولكن هي بالتأكيد كبلد جيد ، بلد جداول الماء والينابيع والاودية التـي تروي السهول والجبال » . (**سينـاء وفلسطين** ، لندن : هازل وواتسون ، ١٩١٠ ، ص ٩٨) .
وكان استنتاجه حازما جدا : « لذا فان فلسطين بسبب خصوبتها القياسية وليس لمجرد موقعها يمكن ان تعتبر هدية العالم الشرقي التي كانت ملكيتها دليل فضل خاص من الله والموقع الذي تتنافس عليه الامم » . (المصدر السابق ص ٩٩) .
قدم المبشر الاميركي ويليام ثومسون وصفا أكمل وأدق لفلسطين في القرن التاسع عشر وقام بين العامين ١٨٣٢ و١٨٧٦ بزيارة كـل مكان في الاراضي المقدسة ورد ذكره في الانجيل . بدأ بالمنطقة الواقعة بين القدس وبيت لحم : « في الربيع تكسو خضرة الحنطة والشعير قسما كبيرا من هذا السهل ، وفي الوقت الحاضر فان هذا المنظر نادر في هذا الجزء من فلسطين ... » [**الارض والكتاب** ، (نيويورك الاخوة هاربر ، ١٨٨٢) ص ٢٤] ولاحظ ايضا ان « هذا الحوض قطعة ارض خصبة تنتج الاجاص والعنب والتـين واللوز .. الخ بالاضافة الى المحاصيل العادية والزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٧٠) . (الموقع بالضبط غير محدد) وعندما اقترب ثومسون من رام الله وجد ان « الكروم تغطي التلال المحيطة المليئة بالتين والزيتون بينما يكثر قرب القرية تفاح واجاص ورمان وفاكهة اخرى . » (المصدر السابق ، ص ١٠٠) وفي نابلس شاهد ان « الطريق يؤدي الى سهل خصيب في الشمال ، » (المصدر السابق ، ص ١٠٧) وشرقي نابلس في وادي الفارعة شاهد انه « يمر عبر منطقة متنوعة وبهيجة وتقطع وهاد خصيبة على

الجانبين وتنحدر بوهاد مماثلــة تكثر تحتها الاشجار مــن كل الاصناف . » (المصدر السابق ، ص ١٥٤) من هناك ذهب شمالا الى جنين حيث « تجف البحيرة في وقت مبكر من الصيف وتزرع تربتها المفرطة في غناها وخصوبتها بالخيار والبطيخ والذرة ومحاصيل صيفية اخرى . » (المصدر السابق ، ص ١٦٦) .
وباتجاهه غربا دخل ثومسون مرج ابن عامر ، حيث « التربة شديدة الخصوبة مقسمة الى مربعات من الحنطة والشعير والذرة الصفراء او القمــح الهندي والذرة البيضاء والسمسم وحتى القطن ، وتتخللها شرائح داكنة من الارض البور ، وعلى امتداد التلال وفوق السطح تنحدر بساتين التين والزيتون الى السهل » (المصدر السابق ، ص٢٠٩).
وباتجاهه الى عكا اكتشف ثومسون ان سهلها كان « مزروعا وخصبا جدا كما يحكم على ذلك هذه الحقول الخضراء الواسعة. » (المصدر السابق ، ص ٢٥١).وكان الجليل يمتاز بكروم الزيتون والتلال الخضراء وذلك بسبب وفرة المياه وخاصة في سهل البطوف حيث « التربة فائقة الغنى . » (المصدر السابق ص ٣٠٣) . واخيرا وجد ان المنطقة الواقعة بين الناصرة وطبرية كانت خصبة ، « وهادها الخضراء وكروم الزيتون والحقول المتموجة بالحنطة تنطق بالسلام والخصب . » (المصدر السابق ، ص ٣١١) .
زار مارك توين فلسطين كسائح في العام ١٨٦٧ . وبجوار بحيرة طبرية قرب دان وجد نفسه « في واد اخضر عرضه خمسة او ستة اميال وطوله ١٥ ميلا . وتجــري عبره الانهار التي تسمى منابع الاردن الى بحيرة الحولة ... تحيط بالبحيرة سبخة ينبت فيها القصب . بين السبخة والجبال التي تشكل جدارا للوادي من ناحية دان ، نصف الارض خصبة وترتوي من منابع الاردن » (**البسطاء في الخارج** ، تحرير سيجنت ص ٣٤٥ .) وقد قصد بالأرض السبخة هنا تلك التي جففها واستصلحها المستوطنون الصهيونيون الاوائل .
سافر توين فيما بعد الى مرج ابن عامر حيث جبل طابور « يرتفع حوالي ١٤٠٠ قدم عن الغابة المخروطية الجميلة التي تحيط به ــ علامة الارض الشهيرة والتي تفرح العيون المجهدة بالنظر الوحيد الممل للصحراء السورية . تسلقنا الممر المنحدر الى قمته خلال فجوات الشوك والبلوط المهواة . ان المنظــر يبدو من قمته جميل ففي الاسفــل مرج ابن عامر الفسيح والمقسم الى حقول مربعة كلوحــة شطرنج ، وتبدو القرى البيضاء المتلاصقة كنقط ناعمة على حدوده وتبدو الطرق والممرات البعيدة والقريبة كأنها خطوط قلم رصاص رفيعة . » (المصدر السابق ، ص ٣٧٥) .
غادر الجليل وركب جنوبا حتى دخل نابلس ، « بعــد مرورنا بعدة قمم مكسوة بكروم التين والزيتون ... » (المصدر السابق ، ص ٣٩٦) وجد ايضا ان « الوادي الضيق الذي تقع فيه نابلس محروث والتربة سوداء وخصبة . انها مروية بشكل جيد وتكتسب خضارها بالمقارنة مــع التلال القاحلة التــي ترتفع علــى الجانبين . » (المصــدر السابق ، ص ٣٩٨) وعن وادي القدس : « ... في الوادي وصلنا الى رياض غزيرة بالتين والمشمش والرمان واشياء شبيهة ولكن بعد ذلك اصبح المنظر فظا جبليا قاحلا. » (المصدر السابق ، ص ٤٣٩) .
نشر كلود كوندور في « التقرير الفصلــي » (تموز يوليو ١٨٧٦) لصندوق استكشاف فلسطين مقالة بعنوان « خصوبــة فلسطين القديمة » شرح فيهــا خصائص الارض الفيزيقية والطبيعية في تلك الفترة محاولا ان يقارن المواقع التي كانت موجودة آنذاك مع ما ورد في الانجيل ليستخرج اية تغــيرات اساسية . « لم تتغير الوديان او السهول الصغيرة او التلال ، ولا زالت الحنطة والشعير والكروم والزيتون والتين والرمان هي المحاصيل الرئيسية للتربة ... ليس هناك تقريبا اية غلة طبيعية ذكرها الانجيل الا وهي موجودة في فلسطين الحديثة . » (ص ١٢٠) .
قسم كوندور فلسطين بعد ذلك الى مناطق جغرافية ــ فيزيقيــة ودرس كلا منها على

حدة . وهكذا « فان الاراضي المنخفضة ، ينطبق وصفها على كل المساحة الواقعة بين سلسلة الجبال الغنية بالمياه والسهل ، وتتألف بشكل رئيسي من حجر جيري ناعم وهي اغنى جزء في البلاد ، مليئة بالزيتون والقمح ، يهب عليها نسيم البحر وتغذيها ينابيع كثيرة ... » (المصدر السابق ، ص ١٢٣) . ويمكن تقسيم التلال ايضا الى ثلاثة أقسام : ١ ــ الخليل المشهورة بكرومها ، ٢ ــ القدس المميزة بقمحها وزيتونها وتينها ، ٣ ــ نابلس او جبل افرايم الوعر والتين أهم منتوجاته .
وجد كوندور ان نابلس « ... هي الآن أغنى جزء في البلاد والقرى مبنية بشكل جيد من الحجر. وكروم الزيتون الطويلة فيها افضل منها في اليهودية. والقمح في وادي الشعير كثير وجيد . » (المصدر السابق ، ص ١٢٦) وفي سهول المنطقة الساحلية « التربة غنية جدا ويمكن الحصول على محاصيل جيدة قرب غزة بمجرد خدش الارض ... ان بيارات عسقلان ويافا حيث يزدهر البرتقال والليمون والموز شهيرة . » (المصدر السابق ، ص ١٢٧) وفي مرج ابن عامر « تربة السهل العظيم فائقة الغنى ... وغلاتها الرئيسية هي القمح والقطن والتبغ والسمسم والذرة البيضاء والصفراء والعدس وكل ما يؤكل من الخضار . » (المصدر السابق ص ١٢٨) .
كانت المنطقة الاخيرة التي درسها كوندور هي الجليل ، « الجــزء الاجمل وربما الاكثر صحية في فلسطين . الكروم لا زالت تزرع ... ويظهر ان خصوبتها زادت على خصوبة اليهودية . » (المصدر السابق ، ص ١٣٠) .
اذا كانت هذه الكمية من الادلة اصبحت مملة فيجب ان نأخذ بعين الاعتبار انها مجرد جزء مما يمكن استخلاصه ، سواء في الفترة حتى ١٨٧٥ او ما بعدها : وبالاجمال فانها أدلة تدعم بقوة وجهة النظر القائلة بأن الاجزاء الرئيسية في فلسطين كانت خصبة ومنتجة منذ زمن بعيد . ليست كلها طبعا على هذا الشكل وبدون انكار التحسينات الصهيونية ولكن المسألة ببساطة هي اعادة توازن . يسلم السير جون ريتشموند في رسالة بعث بها الى **الاوبزرفر** (٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩) بأن « استخــدام اسرائيل للرساميل والطرق العلمية قد حسن بالفعل الانتاجية الزراعية في فلسطين ، ولكن تفسير ذلك بأن فلسطين كانت صحراء قبل مجيء الصهيونيين هو بدون معنى . لقد رأيت فلسطين لاول مرة عام ١٩٢٣ واستطيع ان اشهد بكثرة الاراضي العربية الخضراء . لقد زرع العرب البرتقال في السهول الساحلية قبل ان تصبح الصهيونية مفهومة : وحتى في منطقة وادي الرفت فان عربيا هو موسى العلمي كان اول من جعل قسما منها اخضر منتجا » .
نتوقف عند هذه النقطة لانه في أيام كوندور او بعد ذلك بقليل ، ظهرت في فلسطين اول المستوطنات الصهيونية . وبذلك فبالامكان الزعم (وقد زعم فعلا) ان اية بقعة خضراء وجدت في «الصحراء» منذ نهاية القرن هي حصيلة جهودهم . ومثال على ذلك ان الرحالة الاميركية ادنا براون وصفت يافا في ١٨٩٥ على انهــا محاطة « بمئات الافدنة » مــن « بساتين البرتقال والليمون » ، وسهول الشارون القريبة على انها « منطقة جميلة تنتشر فيها الورود والازهار على مدى البصر . » [**من فيرمونت الى دمشق** ، (بوستن، ١٨٩٥) ، ص ٦٩ ــ ٧٠] ولكنها ذكرت في الجملة التاليــة « على يميننا كلية زراعية يهودية » مما يفسر بدون شك تفجر هذه الخصوبة المفاجئة . وتسجل الكاتبة نفسها ان عالم نبات اميركيا ، « يتجول هنا أعلمنا ان هناك مئات الانواع من الازهار البرية . ان سهول فلسطين مليئة بها وفي أماكن كثيرة سوف تشاهدون السجاد الاخضر الجميل مليئا بالازهار . يمكن ان تسمى المنطقة المملكة المزهرة ... » (المصدر السابق ، ص ٩٢ ــ ٩٣) . نعترف بأن لدينا شكوكا بأن « كلية الزراعة اليهودية » او بعض العمال القريبين زرعوهــا كلها ولكن بما اننا لا نملك برهانا على انهم لم يفعلــوا ذلك فيجب ان لا ندخل هذه ضمن القائمة بكل طيبة خاطر .
وأخيرا نود ان نعبر عن شعورنا نحو أولئك الذين يجب ان يدعموا الخرافة الشائعة

مهما كلف أمر تصديقها .
يخبرنا الاستاذ روبن ولنرود في **أدب اسرائيل الحديثة** ان قصص جوشوا بارزيلاي « أحد كتاب القصة الاوائل في اسرائيل » تحتوي على تعابير مثل « ليس في مقدوري ان اصف الشجر في أرض اسرائيل ... كيف استطيع أن اصف جمـال اشجار الزيتون والتين المتآخية ... اذ كانت الجنة مثل أريحا فيجب ان تكون جميلة ... كم هي جميلة زقزقة العصافير في بساتين البرتقال ! » يبدو الاستاذ ولنرود محيرا ــ « نحن نعلم كم كانت الارض قاحلة في وقته وهكذا فنحن محتارون بمبالغته في الوصف » ــ ولكن ليس لمدة طويلة : « **الان عرف بارزيلاي حقائق البلاد** ... فقرها وضعف أهلها ، ولكن قليلا من هذا موجود في قصصه . لقد كان يصف الارض على زمـن الانجيل وليس الارض التي عاش فيها » . **أدب اسرائيل الحديثة** (نيويورك : ابيلارد ــ سكومان ١٩٥٦) ص ١٠ .
ان هذا التفسير فعلا حل بارع للمشكلة ولكنه ليس صحيحا بالضرورة حيث ان المعضلة هي من خلق ولنرود . فهو لا يتوقف عن سؤال نفسه اذا كان يعرف « حقائق البلاد » مع ان كتابا صهيونيين مضجرين آخرين مثل زئيف يافيث وابراهيم مابي يخبرونه بالقصة ذاتها : « ان كل النتاج الاول للادب الاسرائيلي هو على هـذا الطراز . » (المصـدر السابق ، ص ١١) وسواء كان ولنرود مشوشـا بقصائدهم الرعوية ام لا فانه يقـدم توضيحا جيدا : كانت الصورة في اذهانه هي صورة الايام في زمن الانجيل . ومن الممتع ان نسجل تعليقه على شهادة كوندور او على مقطع من كتاب الرحالة الاميركية المذكورة منذ قليل : « ... توقفنا عند بئر يعقوب لتناول الغداء . هنا تحدث المخلص مع امرأة من السامرة وحدث تلاميذه عن الحقول الناضجة للحصاد ، وتخيلنا كيف رأى الحقول كما يمكن ان نراها اليوم . فاذا وقفت على البئر ونظرت نحو الشرق فانك ترى آلاف الافدنة من الارض السهلية الجميلة مغطاة بالسنابل المتموجة بانتظـار المنجل . » (براون ، **من فيرمونت الى دمشق** ص ٩٣) .
ولكن طبعا ، هناك تفسير : انه التفسير نفسه : كلية الزراعة تلك من جديد .

ضغوط النار والجوهر الصلب :
توفيق صايغ ، كما عرفته

جبرا ابراهيم جبرا

لا ، لم يكن ليخطر لي ببال قط ، طوال هذه السنين الكثار ، أنني سأكتب عنه بعد موته . بل — ويا للسخرية — كنت أغذيه دوما بتفاصيل عن حياتي ، واطلعه على كتاباتي التي لا أنشرها واحدثه بما لا أحدث أحدا عن دواخل ما اكتب وما أفعل ، جاعلا منه نجيا كما لم أجعل احدا ، لانني كنت اعتقد انه هو الذي سيحيا بعدي ليكتب عني ، وليس لي أحد مثله من حيث عمق المودة والتجاوب ، فكأنه شق آخر لنفسي ، ولن يفهمني أحد مثلما يفهمني — بذلك الذكاء المفرط ، وذلك القلب الكبير. ولكن قوة ما خدعتنا ، خدعتنا كلينا . اخذتنا كلينا على حين غرة ، واختطفته الى حيث قلبت لنا الميزان ، وضحكت من الجميع .

لا ، ما كنت اظن اني سأكتب عنه بعد موته . كنت اتمنى ان اكتب عنه وهو حي . كنت — ولاكن مترضا غرض الحب والاعجاب — اتمنى لو أحدد له بعضا من عبقريته في كل ما يكتب ، اكثر بكثير مما فعلت في مقالتين او ثلاث ورسائل كثيرة . بل كنت اشتهي ، مثله ، لو أننا يوما ننشر رسائلنا معا على رؤوس الاشهاد ، كما فعل ادباء كثيرون في العالم قبلنا ، لعلنا نوضح الكثير من تلك الفكر التي لم يتح لنا ان نجلوها كلها في ما كتبنا ونشرنا. غير ان ذلك بقي قيد التمني ، قيد المماطلة التي تضحى على مر السنين عادة يصعب قهرها . وكنت ، في السنوات الاخيرة ، في قلق متزايد عليه . كنت أراه يكتب أقل فأقل ، وأعرف السبب. حتى رسائله باتت أقل وأوجز . جعلت أعاتبه ، اذ يجعل الرسالة في صفحة واحدة ، كأنها « سونتة » لا يمكن ان تتجاوز قواعدها وتتخطى الحد المفروض عليها ، وهو الذي كسر الف قاعدة، وتخطى ألف حد . ولكن العتاب صعب عندما تعرف السبب . هنا رجل أعطى الناس حبا ، فألبسوه اكليلا من الشوك . مد لهم يده ، فدقوا فيها المسامير . ولكن لا . لم يمد يده للناس . لقد مدها لله ، للمسيح — غير ان اناسا غفل عنهم اخذوها بأنيابهم . « الجمهور — الكلب »، تلك عبارة خطها في احدى رسائله الي ، يوم رأى كم من هذا الجمهور « اقبل » على « القصيدة ك » (بعد ان « أقبل » على ديوانه « ثلاثون قصيدة ») ، وأدرك ان لا صلة له بالجمهور . ولئن كان له ان يرضى بملاحقة سلوقي السماء له ، ويجد كبرياء ماسوكية في ان يضحى طريد اله يعشقه ويقارعه ويراوغه ، فانه ما كان يدري ان سلوقي الارض ، والزبد على شدقيه ، سيحاول ملاحقته ايضا ، ولا عشق بينهما . ولما تحقق من ذلك ، في سنواته الاخيرة ، أراد ان يضع نفسه في معزل عن الناس . ذهب بعيدا يشغل نفسه بالتعليم في امريكا — بالمحاضرة الى صفوف صغيرة من أفراد يستطيع أن يريهم ما يرى هو في التاريخ ، في اللغة ، في الادب ، في الخلق الجديد . لعله يجد عزاء عن نفي نفسه من جديد .

لم أعرف رجلا كتوفيق صايغ أحاط بعلم كثير كما أحاط وأصغى الى الناس كما أصغى — ومع ذلك لم يؤمن الا بما كان يحس انه نابع من أعماقه هو . كانت المعرفة لديه ، وهو لا يمل مطالعة كل ما ندر من كتب ومجلات ، من شعر ونثر في العربية والانكليزية ، وسيلة لطمأنة نفسه أنه ، بما يؤمن به ، على حق . أما الشك فكان لديه تجربة دينية محضا . كان شكه بحرانا صوفيا ، واثخانا لجراحات قلبه . انه شك العاشق في من يحب : مقاساة داخلية ، تفردية ، تزيد في النهاية من ولهه ووجده . ولكنه لم يكن شكا في صحة موقفه من

الناس . لتقم قيامتهم ، اذا كانوا ، فيما يرى هو ، على خطأ ، ما دام هو قانعا بسلامـة دخيلته . ودخيلته كانت في صفاء الجوهر ، وصلابته . دخيلة لم تعرف الحقد على أحد . الجمهور ؟ انه يرى انيابه ، ولكنه لا يفعل الا ان يدير ظهره اليه ، وليكن ما يكون . ما نطق لسانه — فيما أعلم — بقذف في أحد ، وما اكثر من قذفوه . وما انشق قلمه يوما عن كلمة حقد على أحد ، وما اكثر الاقلام التي حقدت عليه .

أما أنه رفض ، فذلك كل شيء . وهو لم يرفض — كما يفعل الكثيرون ممن يركبون موجة الرفض — كعملية ميسرة ، مريحة . انه رفض ، مع مقارعة مستمرة مع النفس . ال « لا » كانت لديه غيمة مشحونة . ولكنه عرفه مـن اجلها الزمهرير ، والبلل ، والعراء . قصائده سجل لذلك كله . قصائده تفصيل لذلك العذاب الذي يتخطى اسطح العاطفة الى تضاعيف الذهن . العذاب الذهني هو الاعتى والامض . أراد الحرية ، وأراد الحب ، وأراد الوطن ، وفي سبيلها رفض كل ما هو غير ذلك — ولما لم يحقق واحدا منها ، وجد نفسه منفيا الى تلك البراري القصية ضمن أبعاد الذات، حيث تنقضي الليالي فوق رأسه في مبارزات سيوف من نار . لا سيف الام وحدها ، ولا سيف الحبيبة وحدها ، بل سيوف كثيرة هي سيوف الارادات العميقة التي تلوحها في وجهه دواخله أنى توجه . أراد أن يعبر الارض البوار ، ولكن أرض البوار امتدت تحت قدميه الى ما لا نهاية . وجب الاسود، ذلك الذي ذكره في نهاية قصائده الثلاثين ، وهو في اواخر عشريناته ، هل كان الا الجب الذي حمله دوما معه ، مؤملا ان يغلق دونه الافواه الضارية يوما — في قصيدة أخرى ، في ترحال ، في عشق امرأة ، في مجابهة للانتحار ، في تحرير مجلة ، في رسالة الى صديق او عزيز — ولكن الاسود بقيت على ضراوتها تطالب بالفريسة .

لم يكن غريبا اذن ان توفيق صايغ هو الذي كتب أغرب وأعجب قصيدة في اللغة العربية ، عندما كتب قصيدته «بضعة أسئلة لأطرحها على الكركدن». قد وجد توفيق في الاسطورة الوسيطـة الموازي الوحيد لقضيته الفكرية . فهو وحيد قرن — حيوان ابيض جميل ، وحشي ، يعيش في أعماق الآجام ، وحيد كالاله ، يبحث مثله عن العذراء « المتعذرة الوجود » ، يستحيل صيده الا بالخديعة ، ولقرنه العاجي فوائد يشتهيها المطاردون ، ليس أقلها انه اذ غمس في السم أزال عن السم صفته القاتلة، وانه « يسهل على النسوة مخاضهن / ويشدد في رجالهن العصير . » أما الايقاع به ، فلن يكون الا عن طريق عذراء تبعث اليه ، وتغويه ، فيضع رأسه ذا القرن في حضنها ، وعندها يكون موته على ايدي الصيادين الذين في انتظاره :

يكون موته الاخير في حبه ، وعفته :

ابدا يطاردونك .
وحوش الغاب ليست
أشدّ عليك من
القانصين الرشاق .
يطاردونك ، وتطاردها ، معا
ليحملوا الموت لك
لتحمل لها المحبة والعبادة
لتحمل الموت لك .

الاسئلة التي يطرحها كثيرة ، ومهمة . وهو بالطبع يطرحها علـى نفسه . العذراء قضيته ، وهـي الوحيدة التي سيطلبها ، عازفا عن النساء كلهن : يطلبها ظنا منه ، كما يقول ، انه كفارس في العهد الوسيط سينقذ عذراء قيدت على صخرة « من عدو يرى واعداء في الخيال . » ولكن العذراء تطلب عشقا جسديا ، تطلب ان تفتض ، وتدمى ، وهو يريدها دونمـا جسده ، يضع قرنه السحري في حضنها لا ليستنزف دمها — بل دمه هو . فتجد العذراء انه « اسطورة معكوسة » ، انه

البطل الضحية ،
يطلب ، لا
يخلص ، الخلاص ،
ضحية ، اتقرن ذاتها بضحية ؟

ويرتاح هو بها ، فيما هي تضطرب ، ويفهم هو اضطرابها ، ولكنها لا تفهم ارتياحه .

وهذا ما جرى لتوفيق . طلب الخلاص ووجده بطلا ضحية ، كما تنبأ . كما أراد .

* * *

في صباح يوم من خريف عام ١٩٥٢ كنت أسير في باحة جامعة هارفرد، غريبا لا يعرفني أحد ولا أعرف أحدا، عندما سمعت صوتا يناديني باسمي ، بلهجة لا أخطىء فلسطينيتها . تلفت ، واذا بشاب ملحي، أصلع الرأس ، يعيد مناداتي . ولما اقتربت منه ، أحسست فجـأة بالبريق العجيب الذي في عينيه الصغيرتين الذكيتين ، الباسمتين . وقد ادرك انني لم أعرفه ، فقـال : « الا تذكرني ؟ أنا توفيق صايغ . » فقلت : «ليس الاسم غريبا ، ولكن...»

قال : « لا بأس . لقد مرت اربع عشرة سنة منذ أن التقينا. ألا تذكرني في الكلية العربية ، بالقدس؟ كنت انت عريفنا في ردهة النوم لسنة كاملة . ألا تذكر ؟ » يعلم الله انني لم اذكر يوما طيلة تلك السنوات انني كنت « عريفا » في ردهـة للنوم — وكانت اكبر ردهة في القسم الداخلي — في الكلية العربيـة . قلت : « ذاكرتي للاسماء ضعيفة ، ولكنني نادرا ما أنسى وجها عرفته..» فضحك ، والتمعت أسنانه البيضاء النضيدة فوق لحيتـه السوداء القصيرة ، وقال : « طبعا كنت بلا لحية. وكان لي شعر كثيف .. » وفجأة تذكرت . تذكرت طالبا كان يصغرني بثلاث سنوات ، يلبس بنطلونا قصيرا ... يقف احيانا جانبا ، في رواق تهب فيه الريح وهو يكاد يرجف من البرد ، جامعا ركبة الى ركبة ، ويتكلم بصوت خافت ، وهو يبتسم ... توفيق .. طبعا تذكرت . فتى رقيق ، ضائع ، كأنه لا ينتمي الى أولئك الطلبة الكثيرين الصاخبين في الاروقة . يحمل كتابا ما ، دائما . (ولكننا كنا دائما نحمل الكتب .) تذكرته ، صغيرا ، ولكن حادا . مبتسما ، ولكن عينيه تتساءلان . يسأل ولا يقتنع دائما بما يسمع من جواب . كانت تلك سنتي الاخيرة في الكلية ، أما هو فكان عليه ان يقضي فيها ثلاث سنوات أخريات . وحدثني فيما بعد انها كانت سنوات مرة ، انتهت الى خلاف بينه وبين العميد ، ومغادرة للكليـة دون وفـاق مع المسؤولين . وعندمـا توثقت صداقتنا بعد ذلك اللقاء ، لم أعجب ان ذلك الصبي الهش ، الذي تطفر البسمة الى عينيه قبل شفتيه ، لم يكن في دخيلته من الهشاشة شيء . كان ايمانه ، المترع حتى في ذلك الوقت بنزعة دينية مسيحية قوية ، يكفي لان يدفعه الى مقاومة كل من يختلف معـه مقاومة عنيدة ، ولكن دون ان تبدر منه كلمة نابية، كأنـه مسيح ازاء الفريسيين . كان ملجأه ذلك الابتسام الذي يوحي بالسخرية ، وحس المفارقة ، دون ان يبلغ يوما حد الشماتة — الا ، أللهم ، من نفسه أحيانا .

في هارفرد عرفته جيدا . لم يكن قد مر على زواجي الا شهران او اقل ، وكانت زوجتي معي. فأحببناه جدا . وكان لنا هناك صحب من الطلبـة العرب الآخرين — منح خسوري ، بسيم حنوش ، حسن زكريا ، وغيرهم (كلهم اليوم دكاترة) — نلتقي في شقتنا الصغيرة ، نتكلم بحرارة ، ولا نكف عـن النقاش . وكان توفيق أعلمنـا بشؤون البلد ، وأدبائه ، ومفكريه . لعله كان اكثرنا مطالعة ، وحركة . كان كل يوم يقوم بمغامرة غريبة أو يأتينا بحديث عن مغـامرة : يتجول في أزقة بوسطـن القديمة ، يتعرف بأناس مدهشين ، بعضهم مـن الزنوج ، ويتعرض احيـانا لمخاطر يذهلنا انه لا يخشاها . كان يريد ان يعرف كل شيء . ولكنني كنت ألحظ ان في ركن ما من نفسه ثمـة وحشة يغالبها وتغالبه . كثيرا ما يذرع الطرقات ، وحيدا. ومع ذلك فانه يحضر المحاضرات ، يمشي الى ما لا نهاية ، يقرأ كثيرا ويقول لنا ما الذي يحسن بنا ان نقرأ . كل ذلك مع نكتة متواصلة . كـان يركب الاحداث ، اذا رواها ، لينتهي دائما الى فكاهة وضحك . ننظر أحيانا من النافذة ، فنراه يسير على الرصيف متأرجح الذراعين ، يدق يدا بيد ، فنناديه ونملأ الشارع بصوتنا المردد اسمه. فيصعد الينا .. وكان يصف نفسه بالشاعر ، ولكنه على غير عادة الشعراء ، لا يقرأ لنا شيئا من شعره — حياء ، او كبرياء . ولو لم يطلعني على القليل مما نشره قبل ذلك (وبخاصة في مجلة حررها لمدة في بيروت تدعى « صوت المرأة ») لحسبت ان شعره انما هو جزء من مغامرة مزعومة . ولكن معرفته بالشعر والشعراء ، عربا واجانب ، كان هائلا . وجعلت ادرك ايامئـذ ان توفيق لم يكن شخصا عاديا . ولما قرأت شعره اخيرا ، بعد ذلك بزهاء السنتين ، في كتابه الاول « ثلاثون قصيدة » ، تحقق ظني به : متمرد فذ ، مجدد فذ ، فلسطيني فذ (راجع دراستي لهذا الديوان في كتابي « الحرية والطوفان » (١٩٦٠) ص ٤٢ — ٥٧) . والصفة الاخيرة كانت مهمة بالنسبة اليه ، والى فهمه ، أهمية الصفتين الاخريين ، لان في المنبع من شعره الذي أراده مغايرا لكل شعر آخر يعرفه ، كان حسه الفلسطيني المبرح بالنفي . ولما كانت نزعته الدينية تتغذى بتشبهه ، عن وعي او دون وعي ، بالمسيح ، لانه ايضا ابن طبريا وابن الجليل ، فقد كان النفي لديه مأساة مزدوجة : بعدا عن وطنه ، وصراعا متواصلا مع المسيح الذي لم يعرف نفيا مثله ولم يهون عليه بلية النفي .

* * *

في أواسط الخمسينات ذهب توفيق الى اكسفورد لمدة ، ثم عـين مدرسا للادب العربي في جامعة كمبردج . وعدت انا الـى بغداد لاجعل اقامتي الدائمة فيها . ولكن الصلة بيننا لم تنقطع قط : كانت الرسائل تغدو وتروح بيننا ، وفي الصيف قد

نلتقي في لبنان ، وقد نلتقي في لندن . كان من حسن الحظ ان عملي يقتضي مني كل سنة تقريبا سفرة الى لندن تدوم خمسة اسابيع أو ستة . وحال وصولي اليها ، يأتي توفيق من كمبردج ، ويبقى في المدينة الكبيرة بقدر ما يستطيع التغيب عن عمله ، ذاهبا الى كمبردج عائدا الى لندن ، طيلة اقامتي هناك . كنا نقضي الاماسي الطويلـــة في حديث لا ينقطع ، في مقاهي المدينة ومطاعمها . وكان لنـــا بالطبع اماكننا المحببة الخاصة ، غـــير ان احب مطعم الينا كان مطعم « البوليفـــار » في شارع «وغمور» ، القريب من « اكسفورد ستريت » .

كنت أحثه على الكتابة ، ويحثني عليها وان كان هو يعتقد انني لست بحاجة الى حث . اما هو فكان بحاجة الى الدفع مستمرة . (كنت ، حتى في لندن، اذ خلوت الى نفسي ، اكتب ، فيكاد هو لا يصدق ذلك !) وهكذا كان ان استخلصت منه وعدا بكتابة دراسة عن اقاصيصي التي أزمعت اخراجها مجموعة في كتاب عام ١٩٥٦ . وقد كان قبل ذلك قد كتب دراسة نقدية لشعر عمر أبي ريشة ، نشرت في مجلة « الآداب » ، جعلتني أجزم انها وتنتذ خير ما قرأت من نقد في العربية في موضوع معاصر . ولما صدر كتابي « عرق وقصص اخرى » وقرأت مقدمته لاول مرة ــ اذ انني سلمته القصص ، وطلبت اليه ان يكتب ما يشاء وينشره كمقدمة قبل ان يريني اياه ــ طفرت الدموع الى عيني مرات عديدة .

« عبر الارض البوار » كانت شهادة مسهبة معقدة، عميقة الابعاد ، نافذة الرؤيا ، لا على محاولتي القصصية فحسب ، بل على محاولة توفيق نفسه في فكره وفنه . وانا ما زلت اعتقد ، بعد خمسة عشر عاما من نشرها ، انها ربما كانت ابرع دراسة نقدية ظهرت في جيلنا الادبي . وقد اعترفت له انني بعد ذلك ادركت ان من السخف ان اتصدى لعملية نقدية الا اذا استطعت ان اجاري ما كتب . كانت امتحانا لي ، وحافزا ، لم اعرف مثلهما حتى اليوم.

ورغم انه كان يكتب الشعر ــ ولكن بقلة غريبة ــ جعلت اطالبه بكتابة نقد جديد . كنت اطالبه ، فيعد ، ويختار ، ويخطط ، ثم يرفع يديه يائسا قائلا انه « عاجز » عن التنفيذ .

بيد ان الشعر لم يكن يفارقه ، رغم حرصه على ألا يطلع احدا عليه قبل ان ينضج ويختمر على هواه . فطيلة السنوات الواقعة بين ١٩٥٤ و١٩٦٠ كان يكتب القصائد ، ولكن دائما بألم . كان يتحدث عن الالم الذي يسبق الكتابة ، والذي يرافقها ، والذي يليها . لان القصيدة لم تكن يوما لديه الهية، او ازجاء لساعة فراغ . كانت القصيدة لديه تقطيرا عاتيا لتجربة عاتية ، وكان عليه ان يكون في كل سطر منها صاحب صورة جديدة ، يحاسب عليها نفسه حسابا واعيا ، صارما . وكان في النصف الثاني من هذه الفترة الهامة من حياته الشعرية ان تعرف بفتاة تدعى « كاي » كانت له ، بعـــد المسيح وفلسطين ، الملهم الاكبر سنوات عدة . ليس لنا ، على هذا القرب ان نستقصي علاقات توفيق بعدد مـــن النساء اللواتي كان لهن أثر في شعره ، ولو ان ذلك سيغدو مع الزمن ضروريا لاستيضاح الكثير من غوامض شخصيته وشعره . ولكن لا مفر من القول ان توفيق ، بعد « ثلاثون قصيدة » ، لم يجد في المرأة ذلك الالهام الرومانسي الذي يحلو للناس ان يتخيلوه . كانت المرأة مصدرا للكثير مما يقول ، ولكنه مصدر متفجر ، خطر ، جارح ، محطم .

كانت كاي تغويه وتعذبه معا ، وتتقن كلا الفنين وتتمتع بهما . مـــا رأيته في لنـــدن في اواخـــر الخمسينات ، الا وهـــو في تباريح غريبة من هذه الفتاة ــ وهي فنانة تقيم في لندن ، تتشبث بـــه وتغار عليه ، وتعقـــد عليه لذة الحب بلذائذ من قسوتها السادية لا يستطيع منها فكاكا . تغار عليه حتى من اصدقائه ، فلا تريده ان يراهم ، ولا تريد هي أن تراهم . أسماء صحبه لديها تعاويذ شريرة. يأتيني منهكا ، شاحب الوجـــه ، محروم النوم ، مهووسا برعب هذا الحب اللذيذ المرير . ولا انكر أنني ، في احدى الفترات ، جعلت اشك في وجود امرأة كالتي يصف ، والتي لم أرها قط . ومرة اخرى قلت له ايامئذ انني جعلت اظن انه انما يروي لي عن مغامرة راعبة من خلق خياله . غير ان امره معها تعدى كل حد ، وكـــانت العقابيل واضحة . كان يحـــاول ان يخلص نفسه بكتابة الشعر ، وهو الذي يأتيه بالالم الممض ايضا . كان يداوي الالم بالالم . الى ان جاءني يوما في ربيع عام ١٩٦٠ واعترف ، وهو يخشى الاعتراف ، بأنه يفكر بالانتحار . افزعني تلك الليلة .كان في ذهول لم ار أحدا في مثله : يصحب ذهوله اصفرار في الوجه ، ورجفة في الشفتين الجافتين ، ورعشة في الرأس اذ ينتفض فجأة وهو يتكلـــم ، فأرى ان المسألة قد تجاوزت حدود العقل . وكان لي معه في تلك الليلة عراك : الحياة اهم من كل امرأة ، الشعر اهم من كل تجربة ، وتوفيق صايغ اهم من

ألف كاي . كنا (ما زلت اذكر) جالسين في كرسيين كبيرين في « فندق بيرنرز » على مقربة من «اكسفورد ستريت » . طلبت له شرابا كثيرا ، وهو لم يكن كثير الشرب . وقلت له انني ضقت ذرعا بزهده وتقشفه . كل أجود الاكل ، قلت له . لا تقبل الا بأفخر الطعام وافخر الشراب . تحدث عن الموت كأنه ليس من معارفك . تق اليه ان شئت ، ولكن لا تسع اليه . بقينا في جدل ، وعتاب ، والحاح . واستطعت في تلك الليلة ان اقنعه بضرورة عشاء فاخر . وتعشينا عشاء فاخرا . وغادرني في ساعة متأخرة وهو يعدني بالا يفعل شيئا «شاذا» قبل أن يتصل بي . ولم انم تلك الليلة ، ولم ادر كيف اقضي النهار التالي الى ان جاءني عصرا ، يضحك ضحكته الساخرة . كم مرة بعد ذلك راودته فكرة الانتحار ، لست ادري . غير انني شعرت انه يومئذ عبر الازمة بنجاح ، او ، على الاقل ، عبر ذروتها القاتلة . لان الازمة نفسها لاحقته لبضع سنوات أخر . داراها اولا لمدة سنتين بكتابة ديوان « القصيدة ك » ، وهو معها بين هازم ومهزوم ، وكأنه انسان عاد للتو من عالم الموتى ، الى ان خيل اليه انه حقق لنفسه توازنا ما ، يستمده من الكتابة من ناحية ، ومن اصراره على حياة جديدة من ناحية اخرى ، حياة راح يعلل نفسه بها طيلة اشهر الصيف التالي الذي قضاه في لبنان .

وفي ذلك الصيف بالذات ، من تلك السنة الحاسمة في حياته ، ذهبت انا ايضا الى لبنان مع عائلتي لقضاء قرابة الشهرين في سوق الغرب . هناك في فندق كامل ، كان يأتي الينا توفيق واصدقاء كثيرون. ولكن اذا جاء توفيق بمفرده، جاء حاملا مخطوطة «القصيدة ك». ولاول مرة راح توفيق يقرأ، اجل يقرأ، قصائده علىواحدةواحدة.كثيرا ما كنا نسيرفي ذلك الطريق الجميل بين الفندق وقرية كيفون ، وهو يقرأ شعره الصعب ، المكهرب ، الناتىء . ثم ننتهي الى مقهى في كيفون يشرف على وديان ورواب نحبها (تذكرني بوديان وروابي طفولتي في بيت لحم) ، ونعيد قراءة القصائد من جديد . كنت اشعر ان هذا الشاعر الذي لا يقرأه الا القلة العارفون ، يحاول في وحشته ان يصهر اللغة ، قديمها وحديثها ، أليفها ووحشيها ، في بوتقة صنعها بنفسه ، ليعيد سبكها في قوالب من خلقه. لم يتوقع اعترافا بعبقريته من احد ، ولم يرد ذلك. فبقدر ما كان يصارع رؤياه، الملأى بالحب والجراح والنفي ، الملأى بأصوات تتقارع جيئة وذهابا بين الله والشيطان ، هكذا كان يصارع كلماته نفسها في عزلة يضربها على نفسه ، غير مستهد الا بذلك الاشعاع الذي يحسه في جوهر دخيلته . وكان في تجربته الذوبان في ذات الله او المسيح ، شق يناقضها هو التمرد على كلما نشأ عليه من ايمان.

وعلى غرار ذلك ، كانت تجربته مع اللغة : ايمانا بها وتمردا عليها . ولم يكن تمرده الا الوجه الآخر لايمانه ، وكلاهما مشحون بالغضب ، والنزق ، والشهوة ، والسخرية . لم يكن غريبا على من حملق بوجه الموت مدة طويلة ، ألا يخشى حكما من اناس اقاموا انفسهم سدنة مزعومين للغة .

صبيحة يوم أحد ، في ذلك الصيف ، خرجنا انا وزوجتي وتوفيق ورياض نجيب الريس ، في سيارة كبيرة يسوقها رياض ، للصعود الى جبل صنين . وبعد مسيرة طويلة في فجاج ملتوية ، يمتد بعضها بمحاذاة وادي الجماجم ، جئنا الى ممر شديد الضيق ، متهافت الصخر ، على يسارنا جدار الجبل ، وعلى يميننا واد سحيق الانحدار . على كتفه ، في ذلك الممر الخطر ، قابلتنا سيارة فولكسواغن صغيرة ، وكان على رياض ان يحيد قليلا الى اليمين ليسمح لها بالعبور عن يساره . وما ان فعل ذلك ، وقد أبطأ السير جدا بالطبع ، حتى شعرنا ان الدولاب الامامي على اليمين ، قد اصبح في الفضاء او كاد — فوق الشفير المتداعي . فأوقف رياض السيارة ، وخرجنا جميعا قبل أن تنقلب بنا . خرجنا جميعا ، الا توفيق . وحده بقي قابعا في زاويته في المقعد الخلفي . لم يتزحزح . لم يعن له الموت شيئا ، فلم يخف الانهيار . رفض النزول ، بل انه سخر منا ، لاننا أمرعنا بالنزول من السيارة . وظل مكانه بقميصه الابيض ، مكتوف الذراعين الى ان تعاونا مع سائق الفولكسواغن على تحريك السيارة بعيدا عن حافة الهاوية .. وعبرنا الخطر .

غير ان المزيد من الالم كان في انتظار توفيق عند عودته الى انكلتره ، وكان عليه بعد صدور « القصيدة ك » ان يداري امتداد محنته ردحا آخر في لندن كيفما استطاع . لقد حسب انه بهجره كاي وكتابة ما كتب فيها ، قد انتهى منها ، غير انه كان عليه بعد بضعة اشهر ان يفرغ دمه منها بكفارات جارحة جديدة ، وكتابة قصيدة اخرى دعاها، عندما نشرها أولا في مجلة «شعر» ، «القصيدة الاخيرة»، ظنا منه انه لن يجد بعدها ما يحرك فيه شهوة الشعر ثانية قط .

تلك القصيدة كانت « معلقة توفيق صايغ » . ففي الاشهر التي مرت بين الكتاب السابق وبين كتابة « المعلقة » ، وجد توفيق انه ما زال في قبضة تلك الهواجس التي يلذها ويخشاها معا ، والتي ما انفكت تمثل حبه العنيف النازف ، مهما حاول ان يداجي او يتهرب . كانت وفاة والدة الشاعر قبل ذلك بعشر سنوات هزة كبرى في حياته . وكان انصرافه عن هذه المرأة التي أراد أن يرى فيها ، ولكن عبثا، تعويضا عن فقدان امه ، هزة اخرى . وكلتاهما لديه عملية موت وميلاد معا .

وقد قال ذلك بالنص تقريبا في الرابع من تشرين الاول عام ١٩٦٠ ، بعيد صدور « القصيدة ك » : « مرتين في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ ، كنت على وشك الانتحار دفعة واحدة . آنذاك اجتزت احدى ازمتين في حياتي (لا تضاهيهما الا ازمة الولادة) . في احداهما اقصيت عن النعيم ، وفي الاخرى عن الجحيم . يتحدثون عن فاجعة الفردوس المفقود : الفاجعة لا في انه الفردوس الذي فقد ، بل في الفقدان ذاته ، لفردوس كان او لنار . في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ لم يكن الجبن الذي صدني ، اخيرا ، عن الانتحار . ولماذا لا انتحر مرة واحدة ؟... ألم تكتشف ان في من (من مـاذا ؟ أجل قلها : من النرطقة ، من الماسوكية ، من الانحراف ؟) ما يجعلني استمرىء الانتحـار التدريجي البطيء ، أتلذذ ، أتمتع به ، ارتمي عليه ارتماء الرضيع على ثدي ماردة ، والمحب على حبيبة — أنعى ، فلا أود أن أستعجل الشبع الكافي ، ولا اللذعة ، المرهقة — المريحة ، الحاسمـة ؟ » (راجع : « أنا ... توفيق صايغ » ، جريدة النهار البيروتية ١٩٦٠/١٠/٤) .

بعد نشر هذا الاعتراف في جريدة « النهار » بأسابيع ثلاثة ، كتب الي من لندن يقول : « انا في هذا العام اقل تعاسة مني في العام الماضي . (ك) حاولت مرة واحدة، لكن بشراسة وعنف واستماتة، ان تعود الي كما كنا : ذلك الجزء مني الذي ما زال يذكر الآلام الماضية ، وامكانية العيش بدون (ك) ، وضرورة الانصراف الى الانتاج ، تغلب ليلتها على ذلك الجزء مني الذي ما زال يذكـر المباهج الماضية ، واستحالة العيش بدون (ك)، وعبث كل انتاج اذا لم تكن هي الى جانبي . تغلب ليلتها ، لكن الى متى سيظل متغلبا ، وهل سيظل متغلبا اذا (وعندما) كررت المحاولة ، أو اذا نفذت تهديدها الذي كررته ست مرات ، بقتلي او بتشويهي ؟ ! لست ادري لست ادري . » لم يتغلب طويلا ، الى أن جاءت « المعلقة » تجسد ، على اروع وارعب ما يستطيع ، تجربة حياته كلها ، فيهيىء له الشعر ثانية منفذا الى بعض من ضياء في نهاية النفق المظلم الطويل .

* * *

ليس من السهل دخول عالم توفيق صايغ الشعري. انه عالم حاول توفيق ان يرسمه بصور من الحياة في المدينة المعاصرة — المدينة الجميلة ، الفاجرة ، المشتهـاة ، التي يراهـا تخبىء « الاشباح في الزوايا » وتحتضن تحت المصابيح « عجائز يتمتمن جذلات منجعات » اللاى بكهوف كما يؤوي الفـم « فراغات وسوسا » . عالم يتحدث بصور من السفر ، والباسبورت والتأشير ، والوشاية ، و« الكلابيج » في المعاصم ، والجماهير المزدحمة، والبغـاء ، وضرب السياط ، وسـير العـربات والقطارات ، والوحـول ، ومشردي الليالي ، وينابيع الدم ، والفراش البارد . والى ذلك كله فانه عالم كثيرا ما يراه الشاعر ايضا بلغة المزامير، بلغة الاناجيل وصورهـا — تلك الصور المقرونة بحياة المسيح وأمثاله ومواعظه . انه عالم جائر ، جائع ، خائن . فاذا كان المسيح قد خانه « واحد من اثني عشر — واحد من بين الالوف » على حد قول توفيق ، فان الشاعر قد عرف فيه من الخيانة ما هو أشد وأدهى بكثير . وحتى قبل ان نجيء الى « المعلقة » فاننا نحس ان الشاعـر في ديوانيـه الاولين قد اقام الصلة وهـو لا يدري بينه وبين قديسين قدامى — ولا سيما جيروم وأوغسطين . والفارق بينه وبينهما هو ان الواحد كتب رسائله والآخر اعترافاته **بعد** التجربة ، بعد أن مخر البحار المغتلمة من العشق والضياع وبلغ ميناء الراحة عند قدمي المسيح ، في حين أن الشاعر ضرب عليه أن يمخر بحاره نأيا عن ميناء الراحة عند قدمي ذلك الذي نشبه به ، نحو مدن العشق والضياع. ولذا ، بينما كان جيروم وأوغسطين يذكران ايام الخطيئة واللوعة والرعب وهما في حماية المسيح، فان توفيق كتب اعترافاته وهو يكتوي بحسه انه يفتقد حماية المسيح، فلا يبقى له ما يصد عنه غوائل العشق والضياع . ولذا فانه في عودة مستمرة الى المسيح ، الى البحث عنه ، الى معاتبته ، الى مقارعته ، الى الصراخ به ذلك الصراخ الايوبي الحائر ، لان الشاعر تعذب من اجله ، ومع هذا لم يلتفت اليه ، بل هرب منه . هكذا يخاطبه :

بدد السكون صراخي
فأقفلت في الليالي النوافذ ،
وعلا فوق جلبة المنادين
فتسللت بين العربات .
الاحقك أبدا بدعائي ،
اكرره بدون رتابة :
وماذا علي ان خرقت طبلتيك
ولم تبق ما لم تخرقه في ؟

(القصيدة ك ، رقم ١١)

هذه في الواقع هي خلاصة كتاب « القصيدة ك ». في احدى عشرة قصيدة من قصائده الخمس والعشرين ، نجد الشاعر يخاطب المسيح . أما الحبيبة ، والمفروض انها هي محور الكتاب ، فلا يخاطبها مباشرة الا بقصائد ثلاث . وهناك ثلاث اخرى يتحدث فيها عنها وهي أمور تتعلق بها ، كما ان هناك ثلاث قصائد يتحدث فيها ، على نحو مباشر ، عن الوطن والنفي والتشريد . غير ان المواضيع هذه كلها ، في باطن القصائد جميعا ، متداخلة متواشجة ، يلخصها في النهاية بتلك القصيدة المدهشة « من الاعماق صرخت اليك يا موت » ، التي هي ذروة هائلة للكتاب كله ، بل « ذروة شامخة في شعرنا المعاصر بأجمعه » كما تقول سلمى الخضراء الجيوسي .

ليس المجال هنا للمقارنة بين تشبه توفيق الشاعر بالمسيح ، وبين تشبه بعض زملائه الشعراء ، وبخاصة بدر شاكر السياب ، بالمسيح ايضا. ولكن لا بد من القول هنا ان ما رآه السياب من « مسيحية » الشاعر بالتضحية والفداء ، جاعلا من الشاعر مصلوبا آخر من اجل خلاص البشرية واخصاب الارض ، ليس هو بالضبط ما نراه في توفيق . فالمسيح لم يكن لتوفيق مجرد رمز تموزي للخلاص . كان المسيح له الها فاديا على الانسان ان يتبعه ، ويعشقه هو وحده ، ويتوحد به ، فيجد الخلاص . المسيح له هو القوة التي على الانسان ان يجعلها قوته لكي تجد البشرية خلاصها . (يقول في احدى رسائله الي (٢٢ / ١٩٦٠/١١) : « ان من يحمل الصليب ولكن يحب ابا او اخا او زوجة اكثر من المسيح فانه لا يحب المسيح . ولا مجال للمساومة . »)

توفيق ، هنا ، بالطبع ، مؤمن بالمعنى المسيحي المحض ، وايمانه هو الذي يبرحه ويضنيه ويشعره بالمرارة عندما يجد انه لا يهيىء له الخلاص . فيعارك الهه باستمرار ، بل ويحاسبه ، كما في القصيدة الثالثة من « القصيدة ك » ، حسابا دقيقا مذهلا ، حيث يقول :

وفتحنا افواهنا
واكتوت السنتنا باللهيب ،
وتبعناك حتى في غيابك
واغتربنا حيث شئت
وتناثرت اجسامنا اشتاتا ،
وانصلبنا مشقلبين .
لأجلك .

ونجده في القصيدة العشرين يجاهر بعزمه على القطيعة النهائية بينه وبين المسيح ، وان يقذف به الى حيث يتلاطم الموج وتنفجر الرعود ، وفي نهاية القصيدة ، وقد تصاعد غضبه تصاعد الفجيعة والقنوط (وهل آلم من غضب المحب على الحبيب !) يقول ، واصفا موقفه يوم الدينونة امام العرش :

وتجتاحك والعرش
قهقهة متواصلة هادرة
ملأى بفصم العرى
الازدراء فيها والعويل اضطربا ،
عبثا يخفتها سوق صحبك لنا لبعيد
عبثا يطغى عليها
تلاطم موجك ، انفجار الرعود
عبثا يصمك عنها
صخر ضمير
وتهليل المخنثين لدنك الهزالى .

تهليل المخنثين ! انه يرفض ان يكون خصيا من اجل من يحب. وستكون قهقهته الاخيرة داوية هادرة... انها منتهى يأس المؤمن من رحمة ربه ، الذي يشبه النزوع الى الانتحار. غير ان توفيق كان يعلم ان هذا الغضب سيدفعه في النهاية رجوعا الى الحياة، على ذلك النحو الذي بلغ به حافة الموت ثم قذف به عودة الى الايمان ، ربما لكي يتجدد لديه العذاب . فهو حتى هنا لم يستنفد عذاب العاشق المنفي ، مما سنراه بعد ذلك في « المعلقة » . ولعل بعض السر في هذا المنحى هو ذلك الدمج الخفي ، الذي يبرز على حين غرة هنا وهناك ، بين التجربة الدينية العنيفة والتجربة الجنسية العنيفة . فتوفيق صايغ كثيرا ما يستعمل الكنايات الجنسية للدلالة على العلاقة الايمانية ، كما فعل من قبل عديد من المتصوفين ، وكما فعل شاعر أحبه توفيق حبا خاصا : جون دن ، الشاعر الانكليزي الميتافيزيقي الذي عاش في القرن السابع عشر . فهذا الشاعر ، عندما انقلب من عاشق عنيف

للنساء الى عاشق لله ، نقل الصور الجنسية الحسية التي تمتع بها في شبابه الى تجربة عشق الله التي عاشها في كهولته . غير ان توفيق زاوج ما بين التجربتين على طريقته الخاصة . فكان في تجدد الشهوة الجنسية كل مرة بعد انقضائها ، موازٍ له لتجدد الشهوة الالهية كلما تبددت عند ذرى اليأس .

قد يقال ان هذه التجربة الصوفية، الملأى بالجراح، تعود في الاصل الى نشأة الشاعر الدينية . ولكن لنا ان نقول ايضا انها تعود في الاصل الى كون الشاعر فلسطينيا ، نشأ في الجليل والقدس ، مما جعل توحده بالمسيح سهلا وعميقا .

وفي خروجه من ارضه كان بؤسه لا بؤس الاقتلاع من الارض وحسب ، بل الاقتلاع من المسيح ايضا. والفتاة ك ، بعد عشر سنوات من هذا الاقتلاع ، تصبح ضربا من عنصر اضافي في كيميائية هذا الالم المعقد ، بحيث يقول لها :

أجئت تعيدين عليّ
مأساة بلادي ؟

ولذا فان بؤسه في من يحب ، هو بؤسه في الله والوطن . تجربة فذة للايمان والقطيعة ، للتوق والرعب ــ تجربة تتجدد ولا تنتهي . ولكن في القلب منها جوهرا صلبا يتحمل الضغوط المتزايدة ، يبلغ حافة التهشم ، ولا يتهشم .

* * *

عالم توفيق صايغ الشعري ، اذا ما دخلناه ، ولو بعد لأي ، لا بد لنا من ان نسلم برموزه ، ونرضى بلغته ، لندرك فداحة العبء الذي حمله ، لندرك أن شعره ، بعبارة كافكا ، انما هو « غناء من الجحيم » ، وانه وثيقة نفسية مظلمة ، مدهشة. فلئن يفترض في الشاعر ان يمجد الحياة فان هنا شاعرا يمجدها سلبا : يمجدها بالتأكيد على مــا جردته منه ، بالتأكيد على ما رضي به من عذاب وعبث من اجل الحياة نفسها .

لم يمض وقت طويل بين «القصيدة ك» و«المعلقة». سنة واحدة ، ربما، لا اكثر . واذا التجربة العاتية التي افترض الخلاص منها في « القصيدة » ، ما زالت عقابيلها فراشا له من الشوك . كل ما قاله لم يف بحاجته ، وكان عليه ان يعيد الكرة ، على نحو آخر ، في « المعلقة » ، ليضع حياته نفسها في منظور معين عساه ان يفهمه هو . ربما كان المتوقع ان يجعل موضوعه مرة اخــرى الحبيبة والوطن والله : ولكن العنصر الجــديد هنا كان مهما : الام . كان متوقعا ان تقذفه تجربة الغضب على المسيح لهجره اياه الى العودة الى المسيح من جديد ، ولكن اعترافه الآن بات كاملا ، فكشف عن حبيبة أخرى ــ أمه . واذا وجوده انما هو تائم بين مريمــين ، كلتاهما مريم الاحزان ولكــن احداهما «مريم الهدوء» والاخرى «مريم الصخب»، الواحدة « مريم البذل والوقاية » والاخرى « مريم تطلب كل يوم ضحية » ، انهما « مريم القلب ومريم الجسد » ، وكلتاهما مريم الحب : أمه وكاي . وبعد وفاة أمه ، فانه ما فتىء يراها رافعة سيفا من نار كالذي كانت تقيه به ابان حياتها ، بيد ان الحبيبة تقابلها الان بسيف مثله من نار ، استحوذا عليه :

والتقى السيفان في
شبه صليب
رفعت عليه ،
ولا باكيات
ولا محنطات
ولا من يدحرج الحجر .

وهو لا يرى حياته بين هذين القطبين كمسيح مصلوب وحسب ، دون الباكيات على المسيح ، بل يراها دائما ، « تلاحق نار ونار ، زماني أؤرخه بالنار. » وذكر النار يسري في ثنايا القصيدة كلها. والتهاويل الانجيلية التي يصور بها تجربته تجعله مدوما في دوامة عيسوية لا يعرف لها ما يستطيع وقفها .

كل ليل من جديد
أطارد أحاكم
أعذب أقاد للمقصلة ،
كل صبح من جديد
أطارد ولا هارب
أسعى ولا كأس
أتعكز ولا محجة .
أدوّم في فراغ
لا أهدأ أو أشل .
مقعد ، ولا
أهل ولا
بيت حسدا ،*

---

* المقعد الذي شفاه المسيح عند بركة بيت حسدا في القدس (انجيل يوحنا ، الفصل الخامس) كان « سقيما » منذ ٣٨ سنة . والذي يلفت النظر ان الشاعر ، عندما كتب هذه الكلمات ، كان عمره أيضا ٣٨ سنة .

.كسيح ولا مسيح .

....

كل ليل كل صبح
أرمل من جديد أيتم .
أفجع من ردى
لا قيامة بعده
ردى فقيامة فردى .

هذا الردى المتكرر لن نجد ، مهما بحثنا في الكتب ، من استطاع الخوض فيه بهذه التفاصيل المذهلة الراعبة كما فعل توفيق ، ساردا اياها في صور تشع بالفعل والرمز معا، سوى قلة من الشخصيات التاريخية . فلكي نجد له مقارنة في عالم التجربة او عالم الكتابة، لا بد من عودة الى ما خطه القديسون القدامى . ويبدو ان الشاعر كان يحس ذلك ولو حسا مبهما ، فأدخل رسالة من القديس جيروم الى جوليا في صلب معلقته ، تأكيدا على بعض تجربته : رؤى الجسد الفاحش تنهك الناسك في صحرائه ، حتى لتنقلب « خشتي الخاليــة / مرقصا فاحشا بروما » . فيرتمي علــى قدمي المسيح يسقيهما بدموعه ، محاولا اخضاع ثورته بالصلاة والصوم . (ولنذكر ايضا رواية فلوبير عن القديس انطون ، وهو نهب غواياته الشهوانية ، ورؤاه تنهمــر متلذذة ، جاهشة ، عاصية ، مستغفرة ، وهو يعيش في القفر على كسرة من خبز وابريق من ماء مج ، والغوايات الشرســة تتواتر بين اسطــر العبادة .) غير ان توفيق صايغ يضيف الى ذلك كله تنسكا هو تنسك مجرد ، بحت ، خلا حتى من سلوة الايمان . فهو يتخلى عن « تلته الخضراء » بكل ما فيها من لذائذ الحس ومحفزاته ، لينصب له « جبلا شامخا قاحلا هالكا مهلكا » يأوي الى قمته ، ملتفعا بالغبار ، حيث لا اله يناجيه ، حيث، كما يقول : « نجو ، ولا نجاة ، ولا نجي . »

وما هذا الا جزء من مضمون « المعلقة » . انها صراخ ايوبي صادر لا عن آلام الجسد (كما في سفر أيوب ، او في أيوبيات السياب الاخيرة) بل عن تحرق ذهني حمي يتفجــر في الاعمــاق ، ويبعث الشروخ والصدوع عاليا وسافلا في الجوهر من كيان الانسان ، حيث الكسح يهدد سويداء القلب من هذا المتمرد العاشق الجائع العطش المطارد في أزقة المدن الكبرى . انها قصيدة تتناثر لظى ، في اربعة مقاطع ، كحركات اربع ، مواضيعها على التوالي : المبارزة بسيلي نار بين الام والحبيبة فوق رأس الشاعر الطريح في الفراش نصف مشلول ، الام (في ارتدادة زمنية مسلسلــة) وهي تنقذ الشاعر من نار بعد نار ، من ارض الماء ، من وطن لمنفى ، الى ان تموت ؛ « فيستهل عهد التيه » ، الحبيبة المرفوضة المشتهاة وهي تمعن في الطعن حتى في غيابها ، والشاعر « الناسك » يخبط في تيه الحاضرة الكبيرة وحيدا ، والحب يخترقه وينساب فيه « أنهرا من البواليع » ؛

والصراخ في النهاية عند قدمي المصلوب أن«أعنّي. أعنّي . »

كل ذلك في شعر حاد ، صلب كالسكاكين ، يعتمد ترديد الموضوعات وتركيبهــا كما في الموسيقى ، متوترا صاعدا نحو ذروة مرة كالموت ، وان تكن ايضا ذروة أخيرة من الايمان .

لقد كانت هذه القصيدة ، بالنسبة الى توفيق ، طقسا شعائريا ، طهر به نفسه . .كانت ضرورية له ضرورة تلك الكفارات والصلوات التي يذكرها في اشعاره . غير ان ذلك لم يكن كافيا له . فقد كان توفيق يريد ان يحقق لا الخلاص وحده ، بل الشعر ايضا . وكان يعلم في قرارة ذهنه ، انه لن يحقق الخلاص اذ لم يحقق الشعر ، لشدة ما قرن بين الاثنين . وذلك بالضبط هو مــا استطاع ان يحقق : لقد خلق شعرا جديدا ، عظيما . كان هو يعلم ذلك — وثقته بما يعلم لا يزعزعها رأي من أحد — وكان بعض عارفي فنه يعلمون ذلك . غير ان خيبته كانت اليمة ، لان شعره لم يقرأ . كان يحس كأن حجابا من دخان يطلق من حيث لا يدري لمنع رؤيته ، ورؤية شعره . ومهما كانت فترة الخمسينات والستينات فترة التجديد الثائر ، فانه كان لا بد للشاعر فيها ، لكي يقرأه الناس ، ان يبرع في الاعلان عن نفسه باستمرار ، ان يفتعل المناظرات والمهاترات ، ان ينضوي تحت الويــة يتبناها وتتبناه . وهذا ما رفض توفيق ان يفعله . رفض ان يعلن عن نفسه او ان يفتعل مهاترة أو ان يتبناه أحد . بقي شعره للقلة ، وبقي شعره ذا نفوذ صامت ، قلما تحدث عنه حتى المتأثرون به — ولو ان التأثر به ظل هو ايضا أمرا نادرا ، لتميزه وفذاذته وصعوبته . غير انه بقي شعرا أكاد اقول رهيبا ، موضوعا على الرف كقنابل موقوتة لا بد يوما ان تنفجر .

من المأساة الا بد للشاعر احيانا من ان يموت قبل ان تتضح معانيه ، وتتجلى أهميته . من المأساة ان نكتشف بعد وفاة توفيق ان « معلقته » من اعظم قصائد العصر . لو انفق على شرحها عشر الجهد

الذي يتطلبه شرح اية من معلقات الجاهلية السبع لبانت خطورتها وعمق مواكبتها لزمن الغربة والفجيعة . لقد أطلقت حجب الدخان ايضا حول صديق لتوفيق ، هو بدر شاكر السياب ، ولكن شعره بعد موته اخذ يتكشف عن روعته واهميته ، وانتصف للشاعر أخيرا. والغريب ان السياب ربما اضحى منذ الآن على شيء من « الكلاسيكية » بالنسبة الى المجددين الآخرين واللاحقين . اما توفيق فيبقى مجددا مستقبليا للمجددين انفسهم . كان بدر شاكر السياب صوتا هادرا لعصره لا محيد من سماعه . غير أن توفيق صايغ كان صوتا ذا امواج لم يعرفها او يألفها عصره ، فلم تسمعه الا آذان حساسة خاصة . وككل المبدعين الكبار ، كان توفيق صوتا زامن عصره وسبقه معا : تنبأ به، وصفه ، وتخطاه . ثم صمت. وكان صمته الشعري تجربة أخرى من تجارب العذاب ، تجتاح هذا الجوهر الصلب ، وتحاول تهشيمه .

* * *

في هذه الاثناء كان توفيق قد ترك جامعة كمبردج ، وعين استاذا للادب العربي في جامعة لندن . بقيت ألقاه في لندن وبيروت ، والرسائل بيننا متواصلة. كان يعترف بكسله ، لانه لا يكتب بالقدر الذي يتمناه هو ، أو أتمناه أنا له . غير انه جعل يحس بانكشاف الغمة عنه ، ولو تدريجيا . كان له اصدقاء وصديقات معجبون به يبادلونه الود والعشرة الطيبة . منهم من يقيم في انكلترا أو يدرس فيها ، أو يزورها بين الحين والحين . وكان بحديثه معهم ، ولا ريب ، يعوض عن الكثير مما لا يكتبه ، فضلا عن مطالعاته النهمة التي لم يكن ليجاريه فيها أحد . وقد لفت نظري انه في بيروت (وأحيانا في لندن) ، اذ يتجول في الشوارع او يخرج للقاء الصحب في الليل او النهار ، يحمل بيده كتابا يضع فيه دائما جواز سفره . لم يكن يحمل هذا الجواز في جيبه ، بل بيده ! فلما سألته عن ذلك قال : لكي يبرزه بسرعة اثباتا لهويته كلما طلب اليه ذلك! كان دائم الخشية من أن يسأله أحد من هو ، ولا يستطيع أن يقنع السائل بهويته — لا سيما اذا كان شرطيا ! هذه صورة نجدها في اكثر من قصيدة لديه ... الرمز والواقع ! وأي واقع !

في الفترة التي أنجز فيها « المعلقة » وبعدها ببضعة اشهر (أي بين عامي ١٩٦١ و١٩٦٢) ، شغل نفسه ايضا بعمل صعب ربما لم يكن غيره ليستطيع الاقدام عليه . وهو ترجمة « رباعيات اربع » لـ تي . اس . اليوت . كانت هذه الرباعيات قمة اليوت الشعرية ، وقد كتبها في غضون سنوات عدة ، وضع فيها تجربته الفنية والدينية والفلسفية على نحو لا ريب ان توفيق كان يتوق لو يحققه هو ايضا في شعره . فجاءت ترجمته للرباعيات ، مع الدراسة الطويلة التي استقصى فيها ببراعته النقدية جوانبها ورموزها المعقدة ، اتماما لعملية الشفاء او التكامل النفسي الذي كان ينشده عن طريق الكلمة . وقد نشر الرباعيات تباعا ، ثم الدراسة عنها ، في مجلة « أصوات » التي كان يحررها الاستاذ دنيس جونسون ديفز ، والذي كنت اعلم بما يلقى وهو يلاحق توفيق ، طالبا منه ان ينجزه ما يعد ، وتوفيق لا يبخل بالوعود !

بيد ان توفيق كان قد سئم الحياة في الخارج لحد الكراهية ، وطفق يبحث عن نهاية للنفي وعودة الى الوطن . سئم التدريس ، وسئم الترجمة ، وأراد الاستمرار بالكتابة ، واحس بأن الغربة استنزفت طاقته . فلما عرض عليه يومئذ ان يرأس تحرير مجلة جديدة تصدر في بيروت ويتولاها على الشكل الذي يشتهيه ، اقبل على الفكرة بحماس ولهفة . وهنا ايضا كانت قناعته الداخلية بسلامة ما يفعل هي المتكأ الوحيد الذي يطمئن اليه . وهكذا اتفق مع منظمة حرية الثقافة على اصدار مجلة اختار لها اسمها « حوار » ، وقرر ان يجعل منها افضل مجلة عربية على الاطلاق ، تستقطب خيرة المجددين من الادباء والمفكرين والفنانين . وعاد الى بيروت مشحوذ الهمة والعزيمة كما لم يكن لسنوات ، متفائلا بامكانيات الخلق في الطاقات العربية الجديدة ، مستعدا للبحث عنها والسعي اليها اينما كانت ، لاعطائها حيزها المشروع .

انصرف عن كتابة الشعر ، وجعل المجلة قصيدته المتوالية مرة كل شهرين ، بل راح ينفق عليها من الجهد والحب ما لم يكن ينفقه حتى على شعره . غير انه اندهش ثم انصدم حين رأى رد الفعل العدائي تجاه ما أقدم عليه . ولم يكن التحدي ليخيفه ، وهو الذي ثبت عينيه بوجه الموت مرات ولم يخف . غير انه شعر من جديد انه طريد صيادين لا يعرفهم . وفي غمرة من هذا الشعور العنيف كتب عام ١٩٦٣ قصيدته « بضعة اسئلة لاطرحها على الكركدن » . كتبها (وكان يحسب انه لن يكتب شعرا بعد « المعلقة ») ، ومرة اخرى وجد في رموزها مخرجا شافيا لما يعتمل في نفسه . فلئن يوقع الصيادون بالكركدن ورأسه في حضن

عذرائه ، فانه لن يرفض الموت ما دام هو قد امتلك العذراء بعنفه ، رغم علمه بأنها تريد منه ما لم يخلق هو له . هكذا ، يخيل الي ، كان توفيق يمازج بين الواقع والرمز ، ويجد الخلاص فيما يفعل . طارده سلوقي السماء ، وعضعضه سلوقي الحب ، وتناوشه اخيرا سلوقي الارض . كان ربما يتلذذ بأن يكون الطريد ، والضحية . فهو لا يمل الحديث عن ماسوكيته هذه . غير ان ذلك لم يكن الا قناعا لصلابته الهائلة من الداخل ، لترفعه الواثق ، لنقائه الفكري .

واستمر في اصدار « حوار » على الشكل الذي أراده لها . وباتت رسائله الي مثلا لا تتحدث الا عن حاجات المجلة ، وتخطيطه لها ، هذا المقال ، وتلك الصورة ، وذلك الكاتب ... أعني شخصيته في شخصية هذه الجنية النهمة التي راحت تطالب بوقته ، بعصبه كله ، بعبقريته كلها . حتى ما عاد يعيش ، لسنوات اربع ونيف ، الا لها . (ولو انه كتب عام ١٩٦٦ كتابه الوثائقي البارع « أضواء جديدة على جبران خليل جبران » ، وهو من أهم ما نشر عن جبران في اكثر من ربع قرن .) غير ان المجلة لعبت معه ذلك الدور نفسه الذي لعبته كاي : متعته ، وعذبته ، واخيرا هددت بتشويهه . ولما أصدر بيانه في أيار ١٩٦٧ عن اغلاقها، وطالب الامة العربية بمن يتبرع لتمويلها ليصدرها من جديد ، فقد كان انما يفعل ما فعله في سنيه السوابق ، يوم رفع يديه وعينيه صائحا : «أعنيّ . أعنيّ . » وهذه المرة لم يعنه أحد . لا نعلم ان كان قد انصرف نحو المصلوب آنئذ من جديد يستصرخه . ولكننا نعلم انه في العدد الاخير من المجلة نشر خاتمة قصائده — بعد صمته الطويل — بعنوان « أيضا وأيضا » . انها ثماني « قصائد حب » موجهة الى امراة عن عذاب نهائي مريع ، في القصيدة الاخيرة منها نرى الحبيبة تأتي جثته الصريعة الدفينة ، كجثة المسيح في القبر ، فتكسر الختم وتدحرج الصخر ، وتغسلها بالدموع ، بل لتبحث عن « موضع في يد او قدم لم يثقبه مسمار » لتغرز فيه مسمارا وأظفارا :

تتيقنين ان قطرة
من دم لم تتبق
او نسمة من حياة ،
تفتئين المقلتين
تشقفين الجثة
ينعشك النتن ،
تخرجين بالرمم
تنثرينها : فلا بعث
ولا وقاية قبر أو كفن .

أذكر انني كتبت اليه حالما قرأتها ، لأحدثه عن قوتها وروعة مأساتها ، عالما بالطبع بأنها اكثر من قصائد حب ، بأنها تصور محنته ، وغضبه ، وقرفه من جديد . فكتب الي بتاريخ ١٥ أيار ١٩٦٧ : « شكرا جزيلا لرسالتك . ولكل الكلمات المنعشة المؤثرة التي قلتها فيها عن «ايضا وايضا». والواقع انها احزنتني في الوقت ذاته : لانها جاءت « كصدمة » — صدمة ان اسمع كلمة جيدة عن اي شيء يتعلق بي ، وسط خضم من الاقوال والاعمال والمناورات الدنيئة الواطئة التي أحاصر بها من كل جانب ، ومن جانب الاصدقاء قبل الجميع . »

لقد عاودته بعنف تجربة الكركدن والعذراء : انه محاصر من كل جانب . وحتى الحبيبة لن تكتفي بصلبه ، ولا بد من « تشقيف » للجثة ايضا . المجلة ، الاصدقاء ، المحبون ، الجمهور : لقد أحس انه ضحيتهم جميعا . وجاءت بعد ايام نكسة حزيران ، لتضع وقرها الساحق على قلبه ، مع الاوقار الاخرى .

* * *

السنوات الثلاث الاخيرة منحياة توفيق صايغ،التي قضى معظمها في التدريس في منفاه الجديد ، كانت فيما يخيل الي سنوات مطهر له . بل ان فترة قصيرة ، في اواخر ١٩٦٨ واوائل ١٩٦٩ ، قياسا على رسائله ، اوحت الي بأنه ربما عاد اخيرا الى ضرب من الهناء اخذ يذكره لاول مرة منذ سنوات. كنت أشعر انه يحاول ان يخلص الى حياة جديدة، ورؤيا جديدة ، كلتاهما تتصل بذلك الجوهر الذي رغم كل شيء بقي صلبا نقيا في قرارة نفسه . غير انني فوجئت به في الصيف الماضي في بيروت ، وهو يجهد نفسه في اخراج ترجمته لرباعيات اليوت الاربع في كتاب أنيق ، وفي تهيئة محاضراته للعام الدراسي الجديد ، اذ وجدته قليل الكلام ، منطويا على مرارة لا حيلة له بها . كان كالمحزون الذي يرفض كل عزاء . وقبل سفره بيوم واحد قال انه ذاهب الى عمله في جامعة بيركلي دونما رضى عن سعيه مرة اخرى الى تلك الآفاق البعيدة . كان مصمما ، حال انتهاء السنة الدراسية ، على العودة الى بيروت والبقاء فيها ، مهما كلفه الامر. كان كمن يريد ان ينضو عنه ثوبا عتيقا ، والثوب

لاصق بجلده . وقد رجوته ان يعود ، ان يعود الينا ، الى ترابنا ومياهنا ، يستريح من هذه الوعثاء التي لا يرى لها من آخر . وكنت واثقا من انه سيعود ، رغم اللأي المرتسم على وجهه السكوت. ولم اكن اعلم ان الضغوط الجائرة التي عاناها في اعوام طويلة من الالم ستمد الى قلبه تلك اليد الشرسة ، يد ذلك الذي حدق في وجهه طويلا ، ومازحه ، ولم يخف من سطوته . ولم يعد توفيق .

غير ان توفيق صايغ في واقع الامر سيعود ، ولن يغادرنا ، اذا اعطيناه حقه . وحقه علينا تائم في كتبه ، هذه التي سيعود فيها الينا ، فتبقى انفاسه حية ، متقدة ، جزءا من كياننا ، وتفكيرنا . هنا ، معنا، بيننا، يجب أنينتهي تطوافه.منذ سنواتقال « النفي من الوطن ليس أشق منه الا النفي الى الوطن . كنت أحلم ببلدي ، فأفيق أرتجف . كنت أتصور ذاتي عدت ، مضطرا مساقا ، واحطت بمواطني (الذين رجعت اليهم، وأحببتهم ، واتركهم غدا بحسرة ودمعة لم تعرفها العين منذ زمن) ، فأصرخ بوجههم : « لان رفاقي القدامى ، مخصبي التيه ، عادوا اليكم ، يهدهم اثم اثقل منه الشعور به ، لان الذين باعوا الدنا معي عينتوهم موظفين، ومتمردي الشعر يعلمون الفرزدق في المدارس الثانوية ، ظننتموني رجعت ، وانسقت مع من لم يكونوا ينساقون لاحد ! » وكنت أشرئب في القلاع الهوائية ، انحداهـا برمح صدىء : « لاني لا استطيع ان احيا بغير جذور ، ظننتموني سأحيا كالجذور ، في خمول وظلام وصقيع !... »

« ان خوفي من الرجوع ، المتجلي في هذه الصرخة، انما كان الخوف من ان يكون الرجوع انتهاء ، من ان اعود الى الاهل والصحب والوطن ، لا كما تعود البذرة الى تربتها الام ، لتعطي وتحيي وتحيا، بل كما تعود الورقة لتوسخ وتذوي ... »

هذا الذي باع الدنا من غير ما تردد ، يجب ان يكون رجوعه الينا رجوع البذرة الى تربتها الام ، كما تمنى . ولئن تعصف بنا الفجيعة بموته ، فانه بموته يحيي قضية شعره ، وشعره سيمنع الرجوع من ان يكون انتهاء ، بل انه سيبدأ دورة جديدة من الحياة ، تعطي وتحيي وتحيا — دائما . فليكن لنا بهذا بعض عزاء .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

لم تزل معركة أيلول (١٩٧٠/٩/١٧) تفرز نتائجها على حركة المقاومة الفلسطينية في الاردن . ويبدو ان ذلك سيستمر لفترة قادمة ايضا . فقد كان العمل الفدائي الفلسطيني حتى أيلول عملا شرعيا علنيا ، بينما تفرض الظروف الجديدة على حركة المقاومة القيام بسلسلة من الخطوات التراجعية ، ستنتهي موضوعيا الى تحويل العمل الفدائي الى عمل سري ، يستمد شرعيته من حقه النضالي ، وليس من اعتراف السلطة الاردنية به . وحين يستطيع العمل الفدائي ان ينتقل الى السرية (كأسلوب في العمل الجماهيري ، السياسي والمسلح ، وليس كاجراء تنظيمي فقط) تكون افرازات معركة أيلول قد انتهت ، لتبدأ مرحلة جديدة كليا من مراحل النضال الوطني الفلسطيني ، الدرس الرئيسي فيها ان معركة فلسطين كمعركة تحرر وطني لا يمكن فصلها عن الارتباطات والتوجهات السياسية للحكومات العربية ، وأن أي مخطط فلسطيني للتحرير سيصطدم بهذه العقبة ، وتكمن كفاءته التاريخية في مقدار فهمه لها وقدرته على نسج تحالفات مع القوى الجماهيرية العربية للالتفاف حولها وتخطيها . وحين نقول ان معركة أيلول لا تزال تفرز نتائجها على حركة المقاومة فاننا نلمس آثار ذلك بشكل واضح جدا على كافة مناحي العمل الفلسطيني. فمن علاقات التوتر اليومية بين السلطة والمقاومة ، الى الخلافات العلنية بين بعض المنظمات ، الى مناقشات المجلس الوطني الحادة ، الى كثافة العمل العسكري على الحدود ، نستطيع ان نلحظ بوضوح ، خيطا واضحا يجمع هذه القضايا كلها ، ويفرض عليها نمطا واحدا من النقاش والحوار والعمل . ولتوضيح ذلك سنبحث في كل قضية من هذه القضايا على حدة، في الفترة الواقعة بين ١/١٠ و١٩٧١/٣/٢٠ .

١ ــ العلاقات بين المقاومة والنظام : في العلاقة بين المقاومة والسلطة الاردنية نقطة واحدة وأكيدة ، وهي ان هذه السلطة مصممة تماما على العمل لانهاء الوجود الفدائي في الاردن . واذا كانت قد نفذت هذا المخطط في أيلول على أساس القيام بمعركة واحدة واسعة وعنيفة ، فان تنفيذه بعد أيلول يقوم على اساس المعارك الصغيرة ، والمتباعدة زمنيا . ويمكن على سبيل التذكير فقط ايجاز محاولات الابادة المدروسة على الشكل التالي : (١) معركة ايلول في ٧٠/٩/١٧ . (٢) معركة جرش في ٧٠/١٢/٦ . (٣) معركة السلط في ٧٠/١٢/٢٥ . (٤) معركة الرصيفة في ٧١/١/٨ . (٥) معركة هملان في ٧١/٢/١١ . (٦) معركة اربد في ٧١/٣/٢٦ . وهذه السلسلة من المعارك هي تتويج لخط سياسي يومي يبرز بوضوح لا حد له في تصريحات واجراءات السلطة الاردنية . ففي ١/٢٣ قامت بشكل مفاجىء تظاهرات مدبرة من قبل اجهزة المخابرات ، في مدينتي السلط والمفرق ، رفعت شعارات اقليمية، وهاجمت مكتب اللجنة المركزية في السلط ، واحرقت ٤ سيارات للمقاومة . وقالت الاذاعة الاردنية في ذلك اليوم ان هذه المظاهرات قامت ابتهاجا بعودة الملك حسين من لندن . وبعد فترة وجيزة ، وعلى أثر مفاوضات متصلة بين المقاومة والنظام ولجنة المتابعة العربية ، صرح السيد وصفي التل رئيس الوزراء أنه قد جرى اعتقال بعض المتظاهرين للتحقيق معهم . ولكن هذا التراجع الشكلي لم يدم طويلا فبعد يومين فقط هاجمت الاذاعة الاردنية لاول مرة ، وبصورة شخصية ، الاخ ياسر عرفات واتهمته « بالانجراف في تيار الالاعيب السياسية والغوغاء الدعائية الزائفة » ، هذا في الوقت الذي كان فيه الاعلام الاردني يركز طوال الاشهر الماضية ، انه ليس ضد « الفداء الشريف » بل ضد « المخربين » في العمل الفدائي فقط . ويكفي موقف من هذا النوع ليكشف لعبة الاعلام الاردني ، وليبرز التناقض المبدأي بين العمل الفدائي ككل واهداف النظام الاردني وغاياته . هذه الغايات التي يتسع نطاقها يوما بعد يوم . ففي اليوم التالي للهجوم الاذاعي على ياسر

عرفات ، اعلن وصفي التل في مقابلة مع تلفزيون الاذاعة البريطانية (١/٢٦) انه لن يسمح في المستقبل للفدائيين بالقيام بأعمالهم ضد اسرائيل الا من داخل الاراضي المحتلة ، وعلق ياسر عرفات على تصريح التل قائلا « لقد اصبح وضعنا أصعب ولكننا لن ننهزم » . وعلى أثر اذاعة تصريح التل أصدر ناطق اردني رسمي توضيحا له نفى فيه ان يكون قصد التل منع العمل الفدائي من استعمال الاراضي الاردنية ، واكد بالمقابل ان هدف التصريح هو تطوير العمل الفدائي ليصبح أكثر فعالية داخل الاراضي المحتلة . ولكن وصفي التل لم يعبأ بهذا التوضيح، ومضى الى ما هو ابعد من تصريحه الاول حين قال في ندوة عقدها يوم ١/٢٧ في نادي الاردن بعمان « ان الاردن سيعترف باسرائيل اذا انسحبت من كل الاراضي المحتلة » .

وقد انعكس هذا الموقف السياسي الاردني ، الذي يشكل كشفا حقيقيا لاهداف معركة أيلول ، على وضع اللجنة العربية العليا للمتابعة . ففي نهاية شهر ك٢ بدأ الحديث يتوافر عن منع لجنة المتابعة من اداء مهمتها ، وعزمها نتيجة لذلك على التوقف، وقد ساد هذا الانطباع بعد تصريح للطيب السحباني (١/٣١) سفير تونس في الاردن قال فيه ان لجنة المتابعة « انتهت من مناقشة كل النقاط المدرجة على جدول الاعمال » ، وأوحى هذا التصريح للمراقبين ان اللجنة على وشك انهاء مهمتها . وبعد ذلك بأسبوعين (٢/١٥) اعلن ان العميد احمد حلمي رئيس فريق المراقبة سوف يغادر عمان الى تونس لرفع تقرير الى الباهي الادغم ، وكان ذلك بمثابة اعلان غير رسمي عن عزمه على التخلي عن مهمة لا يستطيع اداءها بسبب عرقلة السلطات الاردنية. وقد عبر العميد حلمي عن ادانته للسلطة الاردنية بتصريح قال فيه (٢/١٨) : ان فرص الصدام بين المقاومة والسلطة الاردنية لا تزال قائمة لان الاتفاقات المبرمة لحل الازمة نهائيا لم تنفذ كاملا ، وحدد المشاكل على الشكل التالي : ١ — المخافر التي تنشئها السلطة في الاحياء ، ولم تكن موجودة قبل أيلول . ٢ — رفض السلطة الاردنية اعتماد أوراق اللجنة المركزية كما ينص على ذلك بروتوكول عمان . ٣ — رفض السلطة الاردنية الافراج عن بقية المعتقلين لديها منذ معارك أيلول . ٤ — رفض السلطة الاردنية تسليم أسلحة المقاومة الثقيلة التي استولت عليها اثناء معارك أيلول . ٥ — رفض تسليم مناطق هامة للفدائيين اتفق على تسليمها مثل منطقة (أم الرمانة) .

ومن جهة اخرى كان الموقف السياسي الاردني يعكس نفسه في سلسلة من التحديات للجماهير ولحركة المقاومة . ففي ٤ شباط داهمت السلطات الاردنية مخيم « سوف » قرب جرش ، وقامت بالاستيلاء على معسكر لاشبال فتح ، ونهب محتويات احد مراكز الجبهة الشعبية الديمقراطية ،وعلى اثر ذلك قام الالاف من سكان المخيم بتظاهرة ضخمة باتجاه جرش تصدى لها الجيش بالرصاص فسقط قتيلان من المتظاهرين واربعة جرحى ، واحدثت التظاهرة رد فعل عنيف في اوساط الجماهير ، وتوترا واضحا في اوساط السلطة ، لانها كانت بمثابة تحد واضح لها. وقد تكرر هذا التحدي الجماهيري للنظام في عيد الاضحى (٧ شباط) حين ترأس ياسر عرفات مظاهرة شعبية ضخمة توجهت نحو مقبرة الشهداء في جبل الاشرفية بعمان ، وضمت حوالي عشرة آلاف متظاهر . وقد جاء رد فعل السلطة الاردنية على هذا التحدي الجماهيري سريعا ، من خلال معركة جبل « هملان » في عمان التي استمرت ستة ايام كاملة ، بدأت يوم (١١ شباط) حين اعلن بيان للجنة المركزية ان قوة من الجيش الاردني تضم ٦٠٠ رجل تساندها الدبابات هاجمت مواقع الفدائيين عند اطراف عمان الشرقية ، وذكرت اللجنة انها وزعت السلاح على الميليشيا واصدرت اوامر بالمقاومة . وفي اليوم التالي (١٢ شباط) امتد الاشتباك الى جبل النصر والتاج والهاشمي الجنوبي، ووجه ياسر عرفات نداء الى الحكام العرب للتدخل، وتوقف هذا الاشتباك صباح يوم ١٧ شباط .

٢ — **العلاقات الداخلية بين المنظمات** : لم يتوقف لحظة واحدة الحوار الذي فجرته معركة أيلول داخل العمل الفدائي حول أسلوب مواجهة حملات الابادة التي يشنها النظام الاردني ، وحول بنود البرنامج المرحلي الذي تفرضه مرحلة ما بعد أيلول . وهذا الحوار الذي يسير في اتجاهات مختلفة ، كان ولا يزال حوارا داخليا غير معلن بين المنظمات، باعتبار أن موضوع الحوار يستحق اعطاءه الوقت الكافي من البحث ، ولا يجوز الاعلان عنه (في مهاترات اعلامية) قبل أن يكتمل وينضج . ومع ذلك فقد حدث خروج على هذا الخط العام المتفق عليه ضمنا ، وذلك حين فاجأ السيد كمال عدوان احد قادة فتح وعضو أمانة سر اللجنة المركزية الجميع

بمؤتمر صحفي عقده في بيروت (١٦ ك٢) هاجم فيه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قائلا « لدينا علامة استفهام كبيرة على الجبهة الشعبية ، انا اعتقد ان هناك ارتباطا بين الجبهة والسلطة الاردنية ، ان لم اقل اكثر » وهدد باستعمال القوة ضدها اذا لم تلتزم بقرارات اللجنة المركزية . وهذه هي المرة الاولى التي يتجرأ فيها فصيل فدائي على اتهام فصيل آخر بهذه الصورة ، ولذلك كان رد الفعل على المؤتمر الاستغراب والدهشة . وقد فسرت اسباب عقد المؤتمر بما يلي: ١ — ان الجبهة الشعبية رفضت التقيد باتفاقية (١/١٣) التي تنص على جمع اسلحة الميليشيا في أماكن محددة . وقدمت تحفظاتها على الاتفاقية الى اللجنة المركزية . ٢ — قامت الجبهة الشعبية بعمليات عسكرية ضد القوات الاردنية في جرش خلافا لخطة الامن العسكرية التي أقرتها أمانة سر اللجنة المركزية بحضور وبموافقة الجبهة الشعبية . ٣ — كان هناك انطباع بأن الجبهة الشعبية تدعو لشن حرب عصابات ضد النظام الاردني . وقد ذكر كمال عدوان ذلك في مؤتمره الصحفي. وقد نشرت جريدة «النهار» البيروتية في نفس اليوم الذي نشرت فيه تفاصيل المؤتمر مقابلة مع الدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية ، توحي بذلك ، دعا فيها الى « ضرورة حسم الموقف السياسي للمقاومة ، اي النضال مع الجماهير لاقامة حكم شعبي تقدمي ، وحسم الموقف العسكري اي التخلي عن المعارك الكبيرة والمكشوفة مع النظام **والرد بضربات تكتيكية تقوم على اساس المبادىء المعروفة لدى الشعوب في مواجهة تفوق الامبريالية العسكري والتكنولوجي»**. وسواء كانت هذه الاسباب هي الدافع الرئيسي للمؤتمر ام لا ، فانها لا تتيح الفرصة لاحد ان يتهم فصيلا فدائيا بالخيانة . خاصة وان موقفا من هذا النوع كان من شأنه ان يؤدي الى اصطدامات دموية بين الفدائيين . ولكن رد فعل الجبهة الشعبية كان ايجابيا وهادئا ولم يخضع للانفعالات المؤقتة ، ففي بيان رسمي (١/١٧) قالت الجبهة الشعبية ردا على تهديد كمال عدوان باستعمال القوة ان سلاح مقاتليها لن يرتفع في وجه اي فدائي . وبهذا الموقف ساعدت الجبهة على تهدئة الوضع ، لينتقل النقاش حوله الى اللجنة المركزية .

كان رد الفعل الاولي للجنة المركزية « ان حركة المقاومة لن تسمح للجبهة بالقيام بأي عمل يسيء للمقاومة » وذلك تعليقا على تصريح لوزير الاعلام الاردني (١/١٧) قال فيه « تحتفظ الحكومة لنفسها بحق الرد على أي محاولة لتخريب الاتفاق الاخير — اتفاق الميليشيا » . ولكن رد الفعل هذا اختلف تماما حين أعلنت الجبهة الشعبية التزامها بقرارات اللجنة المركزية واتفاقاتها مع السلطة الاردنية (٢١ ك٢) ، فردت اللجنة المركزية على هذا الاعلان ببيان اكدت فيه « ان الجبهة الشعبية فصيل اساسي ، تسير صفا واحدا مع فصائل الثورة الاخرى » وكان هذا البيان بمثابة الغاء لمؤتمر كمال عدوان الصحفي .

الخروج الثاني على الخط المتفق عليه بابقاء الحوار داخليا بين المنظمات تم حين نشرت مذكرات جيش التحرير الفلسطيني التي وجهها الى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، في الصحف اللبنانية يوم ٢/٢٠ . وهذه المذكرات هي : ١ — مذكرة مقدمة من قيادة الجيش الى رئيس المجلس الوطني بتاريخ ٧١/١/٣ طالبت فيها بدعوة المجلس الوطني للانعقاد ، وباعادة تشكيل المجلس ، لتنبثق عنه « قيادة جماعية تنهي الازدواجية القائمة الان » (لم تنشر) . ٢ — مذكرة مقدمة من قيادة الجيش الى رئيس المجلس الوطني بتاريخ ٧١/٢/٨ تطالب بأن يدرج موضوع تشكيل مجلس وطني جديد على جدول أعمال الدورة الثامنة للمجلس . ٣ — مذكرة مقدمة من قيادة الجيش الى رئيس المجلس الوطني بتاريخ ٧١/٢/٨ تدعو الى تشكيل لجنة خاصة للتحقيق في الاخطاء « التي صدرت عن حركة المقاومة وتحديد المسؤوليات فيها » . وقد ادى نشر هذه الوثائق الى أزمة بارزة بين الجيش واللجنة المركزية عبرت عن نفسها بمقاطعة كل من السيد ياسر عرفات والعميد الركن عبدالرزاق اليحيى لجلسات اليوم الاول لدورة اللجنة المركزية المنعقدة في دمشق بتاريخ ٧١/٢/٢٠ ، حيث بذلت خلال ذلك جهود أدت الى تفاهم فيما بينهما، عكس نفسه على جلسات المجلس الوطني الفلسطيني الثامن .

٣ — مواقف سياسية للمقاومة : نشرت جريدة الاهرام القاهرية في عددها الصادر بتاريخ ١/٢٠ خبرا ولد ردود فعل عديدة في الاوساط الفلسطينية والعربية . قالت الاهرام ان حركة المقاومة الفلسطينية قررت بالاجماع بناء على اقتراح من الجبهة الشعبية الديمقراطية تأييد التحرك السياسي الذي تقوم به الدول العربية لازالة آثار العدوان

الاسرائيلي ، والتراجع عن الموقف الذي اتخذته المقاومة سابقا حين عارضت قبول مصر لمقترحات روجرز الاميركية . ونشرت الجريدة على لسان ابراهيم بكر قوله « ان المقاومة ستعود لتتبنى موقف الرئيس عبدالناصر وهو لا تناقض في قبول القاهرة لقرار مجلس الامن ، وفي حق المقاومة بالكفاح المسلح » ، ونشرت على لسان ياسر عرفات قوله « موقف القاهرة الحازم في تنفيذ قرار مجلس الامن أكد ثبات الخط القومي للمتحدة » ، كما نشرت على لسان جورج حبش قوله «زادت قناعتنا بضرورة أن نفرق ما بين استمرار العمل الفدائي ، وقبول القاهرة قرار مجلس الامن » .

وبنظرة سريعة على هذه المواقف تتوضح أسباب ردود الفعل السريعة لها . اذ ان هذه المواقف كما نشرتها الاهرام ، تعني احداث تغيير جذري في المواقف الاساسية لحركة المقاومة ، توافق فيها على الاستراتيجية العربية الرسمية التي طالما رفضتها ، واكدت رفضها لها . ولكن ما حدث ان كافة الجهات التي ذكرها خبر الاهرام أصدرت بيانات مناقضة . فقد نفت فتح في بيان علني ان يكون ما ورد في الاهرام صحيحا ، ونفت الجبهة الشعبية ما نشر على لسان جورج حبش ، كما نفت الجبهة الديمقراطية انها تقدمت باقتراح للجنة المركزية حول الموضوع ، وكذبت كل ما ورد في الاهرام . ولكن الامر الملفت للنظر هو ان البيان الذي صدر في عمان باسم اللجنة المركزية تعليقا على خبر الاهرام صيغ بطريقة خاصة ، هي الاولى من نوعها في تاريخ تعامل حركة المقاومة مع الموافقة العربية على قرار مجلس الامن . قال بيان اللجنة المركزية الذي أذاعه الناطق الرسمي السيد ابراهيم بكر « ان الثورة ليست ضد ازالة آثار عدوان حرب حزيران وليست ضد استرجاع الدول العربية المعنية لما احتل من اراضيها ، على ان لا يمس هذا حقوق شعب فلسطين او الثورة الفلسطينية من قريب او بعيد » ، ان هذه الصيغة تتجاهل ان السعي العربي لازالة آثار العدوان يتم على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي ترفضه حركة المقاومة لانه يعطي لاسرائيل حدودا آمنة ومعترفا بها ، بالاضافة الى مكاسب اقتصادية وجغرافية ، ولذلك ليس هناك ازالة (مجردة) لآثار العدوان لا تمس « حقوق شعب فلسطين او الثورة الفلسطينية من قريب أو بعيد » . وبالرغم من ذلك لم يصدر حتى الان توضيح رسمي باسم اللجنة المركزية لهذه النقطة الهامة والخطيرة .

الموقف السياسي الثاني البارز لحركة المقاومة خلال هذه الفترة كان موضوع الدولة الفلسطينية . فقد نشرت صحف لبنانية (الانوار — الاسبوع العربي)، وصحف مصرية (الاهرام) معلومات تتحدث عن حوار يدور منذ مدة داخل اللجنة المركزية حول الموقف من موضوع الدولة الفلسطينية ، كذلك معلومات عن اجتماعات تمت بين مسؤولين في حركة المقاومة ومندوبين من الضفة الغربية لبحث الموضوع . وتعليقا على هذه الانباء أدلى السيد يحيى حموده رئيس المجلس الوطني بتصريحين صحفيين (٢٠ و٢/٢٢) هاجم فيهما بعنف فكرة الدولة الفلسطينية ، واعلن تمسك كافة المنظمات بالميثاق الوطني الذي يرفض كل الحلول الاستسلامية للقضية الفلسطينية . كذلك اصدرت اللجنة المركزية (٢١ شباط) بيانا خاصا ردت فيه على اخبار الصحف ، اعلنت فيه رفضها لاي بحث في موضوع الدولة الفلسطينية .

٤ — **المجلس الوطني الفلسطيني الثامن** : عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثامنة في القاهرة من ٢/٢٨ — ٣/٦ وأحيطت هذه الدورة باهتمام جماهيري ورسمي خاص ، لان كثيرا من الاوساط كانت تنتظر منها قرارات تجيب على الاسئلة المطروحة بعد معركة ايلول . ومن المفيد حتى نفهم مناقشات المجلس الوطني على حقيقتها ان نتوقف قليلا عند مناقشات اللجنة المركزية التي سبقت انعقاد المجلس ، لان مناقشات المجلس كانت في الحقيقة امتدادا لها .

عقدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ثلاثة اجتماعات لها قبل المجلس الوطني ، عقد الاجتماع الاول في دمشق يوم ١٩٧١/٢/٨ ، ودار البحث في هذا الاجتماع حول تقييم الوضع السياسي على ضوء تمديد وقف اطلاق النار على قناة السويس وتجدد مهمة يارينغ ، كذلك تقييم الوضع الداخلي في الاردن ، والاجراءات الفلسطينية اللازمة لمواجهته . ومع تطور النقاش حصر الموضوع بشكل أساسي في موضوع الوحدة الوطنية . وفي التصدي لموضوع الوحدة الوطنية ، برز من جديد نفس الحوار الذي سبق ودار في اجتماعات اللجنة المركزية التي عقدت في عمان بتاريخ ١٩٧٠/١٢/٥. هذا الحوار الذي يدور حول موقفين : موقف اول

يعتبر التوحيد التنظيمي ، توحيد القيادة السياسية، والقيادة العسكرية والمالية والاعلام ، هو التعبير العملي عن الوحدة الوطنية . والموقف الاخر الذي يرى أولا ضرورة تحديد الدروس السياسية التي برزت اثناء معركة أيلول ، وفي مقدمتها الانقسام الاقليمي الحاصل في الاردن وما يترتب على ذلك من ضرورة التحالف الوثيق مع الحركة الوطنية الاردنية لمواجهة هذا الانقسام بمخطط لا يركز على قضية التحرير فقط ، بل يتسع ليشمل أيضا القضايا الوطنية الديمقراطية للضفة الشرقية .

وفي هذا الاجتماع قدم مركز التخطيط ، التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، تصوره لخطة العمل بعد أيلول ، وكان قد مهد لها بمناقشات ثنائية مع فتح والجبهة الشعبية اللتين اعلنتا موافقتهما على الخطة الموضوعة من قبل المركز . وفي الاجتماع المذكور أعلنت الجبهة الديمقراطية والصاعقة استعدادهما لاعتماد مشروع مركز التخطيط كأساس للبحث . وفي نهاية الاجتماع ، وبسبب تشعب النقاش ، اتفق على تشكيل لجنة خاصة تتولى استمزاج موقف كل منظمة على حدة ، تجاه القضايا الاساسية المطروحة للنقاش ، ومن ضمنها مشروع مركز التخطيط ، على أن تعتبر حصيلة الاجوبة المقدمة ، موضوع البحث في صيغة الوحدة الوطنية ، في جلسة اخرى للجنة المركزية تعقد في ٧١/٢/٢٠ في دمشق . وقد عقدت الجلسة في موعدها المحدد ، في نفس اليوم الذي نشرت فيه مذكرات جيش التحرير الفلسطيني في الصحف اللبنانية . ودار في هذا الاجتماع حوار كرر نفس الحوار الذي دار في الاجتماع السابق ، وبرز فيه بوضوح أن الاتفاق بين وجهتي النظر المعروضتين حول الوحدة الوطنية أمر غير متوفر . وازاء هذا التصادم بين الموقفين ، اقترح ان تقدم فتح مشروعا للوحدة الوطنية ، وسقط هذا الاقتراح بالتصويت، بينما نجح اقتراح اخر يكلف السيد ياسر عرفات بأن يقدم بصفته الشخصية مشروعا للوحدة الوطنية ، كمخرج من المأزق الذي دخل به الحوار . ولوحظ على هامش هذا الاجتماع ان العميد اليحيى قد أدلى بتصريح أكد فيه ان الجيش لا يفكر أبدا بأن تكون مواقفه محاولة لابراز مجموعة سياسية جديدة ، لانه منضبط لمصلحة منظمة التحرير ويعتبر اللجنة التنفيذية قيادته السياسية مازال بذلك اللبس الذي احاط بمذكرات الجيش .

عقدت اللجنة المركزية الدورة الثالثة من اجتماعاتها في القاهرة يوم ٧١/٢/٢٦ حيث تلي في الاجتماع الاول بيان سياسي قدم على انه المشروع الذي كلف السيد ياسر عرفات باعداده كمشروع للوحدة الوطنية، ولكن تبين فيما بعد ان لدى ياسر عرفات مشروعا آخر غير الذي قرىء على اللجنة المركزية ، ولذلك سحب المشروع الاول واعتبر غير مطروح للنقاش ، بينما تركز النقاش على المشروع الثاني الذي قدمه ياسر عرفات شخصيا ، وكان يتضمن تصورا للصيغ التنظيمية اللازمة لتحقيق الوحدة الوطنية ، بدون أي خوض في البرنامج المرحلي لحركة المقاومة ، لذلك دار جدل طويل حول ضرورة البدء بمناقشة البرنامج السياسي المرحلي ، قبل مناقشة الصيغة التنظيمية للوحدة، باعتبار ان هذا هو الموضوع الرئيسي الذي كان مطروحا للنقاش في جلسات اللجنة المركزية السابقة ، ولا يجوز أن تكون اجتماعات اللجنة المركزية الحالية ، مقطوعة الصلة عنها . ومرة اخرى عاد النقاش ليدور في نفس الاتجاهين السابقين اللذين ذكرناهما ، ومرة اخرى بقي التعارض بينهما قائما ، فتقرر ترك الموضوع للمجلس الوطني حتى يبت فيه ، مع اصرار من فتح على أن يكون مشروع ياسر عرفات هو وحده المطروح للنقاش ، وكان ذلك يعني سحب مشروع مركز التخطيط .

يوم ٧١/٢/٢٨ افتتح المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثامنة ، وتكرر فيه نفس الحوار الذي دار في اللجنة المركزية ، وتبلور هذه المرة بالصيغ التالية : الصيغة الاولى تدعو الى اعتبار الميثاق الوطني وقرارات المجالس الوطنية هي وحدها الاساس السياسي للعلاقات التنظيمية المقترحة . والصيغة الثانية ترى انه بالاضافة الى الميثاق الوطني الذي يحدد الاهداف الاستراتيجية، ضرورة وضع برنامج مرحلي للعمل الوطني الفلسطيني في الاردن يكون شرطا للتقيد بالعلاقات التنظيمية المقترحة .

كانت هناك اذن نقطتان في الحوار . النقطة الاولى تركز على ضرورة البدء بالبحث السياسي اولا ثم الانتقال للبحث التنظيمي . والنقطة الثانية تركز على ضرورة ان يتناول البرنامج السياسي

قضايا المرحلة الحالية ، وليس القضايا الاستراتيجية التي يتناولها ميثاق المنظمة . وفي موضوع البرنامج المرحلي تركز الخلاف حول نقطة اساسية هي العلاقة مع العمل الوطني الاردني بين موقفين : موقف يدعو فقط للتعاون بين عمل وطني فلسطيني مستقل ، وعمل وطني اردني مستقل . وموقف ثان يدعو لانشاء عمل وطني فلسطيني — اردني موحد .

وبهذا يكون موضوع الوحدة الوطنية قد شكل الاطار الاول لمناقشات المجلس الوطني . أما الاطار الثاني للمناقشات فقد كان تقييم مواقف وممارسات حركة المقاومة في المرحلة التي سبقت معركة ايلول . والذي أثار هذا الموضوع وولد حوله نقاشا حادا ، التقرير الشفهي الذي قدمه السيد ابراهيم بكر سكرتير أمانة سر اللجنة المركزية . ويمكن تلخيص وجهة نظره بما يلي : ١ — ضرورة تركيز الحديث على سياسة حركة المقاومة ، وعدم الخوض مطولا في مواقف النظام الاردني لان هذه المواقف معروفة ومتفق عليها . ٢ — ضعف موقف المقاومة قبل ايلول بسبب بعض الخلافات الداخلية فيما بينها . وخاصة الخلاف الذي نشأ عقب أزمة حزيران ١٩٧٠ والاتفاقية التي وقعت مع السلطة برعاية اللجنة العربية الرباعية . حيث قامت لجان الميليشيا المركزية بانتقاد هذه الاتفاقية علنيا . ٣ — ضعف موقف المقاومة قبل أيلول ايضا بسبب الموقف «المتشنج» من الموافقة العربية على مشروع روجرز ، لان ذلك اتاح الفرصة للنظام الاردني ليوجه ضربته . ٤ — رفع شعارات متطرفة مثل شعار (كل السلطة للمقاومة) ، والقيام بأعمال متطرفة مثل خطف الطائرات ونسفها ، حيث أتاحت هذه المواقف للنظام أن يعبىء الجيش ضد حركة المقاومة . ٥ — الاجراءات المسلكية مثل اعتقال جنود وضباط الجيش التي خلقت جوا من العداء بين الجنود والفدائيين .

وكان منطلق الردود التي قدمت على هذا الموقف (من الجبهة الشعبية والديمقراطية والصاعقة) أن هذا التحليل يلغي مسؤولية النظام الاردني عن تدبير معركة أيلول ، ويؤدي الى نتيجة تضع اللوم على عاتق حركة المقاومة . وفي مجال تحديد ظواهر الضعف في الموقف الفلسطيني يركز على التفاصيل اليومية ، دون أن يحدد أسبابها الاساسية . ولذلك نلخصت الردود التي قدمت بالنقاط التالية : ١ — انه لا يجوز الغاء الحديث عن دور النظام الاردني ومواقفه ، لان هذا يضعنا امام تحليل غير متوازن ، تضيع فيه حجوم مسؤولية كل طرف . ٢ — ان الضعف في حركة المقاومة له سبب أساسي هو غياب التصور السياسي الموحد ، الذي يقود منطقيا الى وجود أكثر من موقف . ٣ — ان تطبيق سياسات متناقضة، في علاقة المقاومة مع النظام الاردني (الاشتباك المسلح ثم العودة للتعايش) هو الذي أدى الى نوع من البلبلة في الوعي السياسي الجماهيري ، وافقد حركة المقاومة القدرة على تنمية هذا الوعي وتكثيفه ليكون في خدمة المقاومة . ٤ — اهمال المشكلات الحياتية لسكان الضفة الشرقية ، وما أدى اليه من ابتعاد تدريجي لسكان الضفة الشرقية عن المقاومة ، كان سببا من أسباب الضعف الاساسية. ٥ — ان الموقف من مشروع روجرز كان موقفا سليما ، ولم يكن على الاطلاق موقفا متشنجا ، وهو موقف منسجم تماما مع ميثاق منظمة التحرير وقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية . واذا كان هناك خطأ في هذا الموضوع ، فهو ليس التشنج ، بل التردد وعدم الحسم بسرعة في ما يجب عمله ازاء تطور موقف السلطة الاردنية واجراءاتها بعد مشروع روجرز . ٦ — من الخطأ تقسيم العمل الفلسطيني الى فريق متطرف واخر معتدل. لان الفريقين كانا عمليا في موقع واحد ، اذ أن شعار كل السلطة للمقاومة الذي رفعته الجبهة الديمقراطية يتساوى مع شعار السلطة الوطنية الذي رفعته فتح ، وأقرته اللجنة المركزية . ضمن هذين الاطارين دارت مناقشات المجلس الوطني الفلسطيني ، وعلى اثرهما تلا السيد ياسر عرفات مشروعه للوحدة الوطنية أمام المجلس الوطني . ولوحظ ان مشروعه أمام المجلس تضمن المشروع الاول (السياسي) الذي كان قد قدم الى اللجنة المركزية في اجتماع ٧٠/٢/٢٦ ثم سحب ، بالاضافة الى المشروع الثاني (التنظيمي) . وكان هذا التطوير لمشروع عرفات بسبب اصرار أكثر من قوة في المجلس (٧ منظمات) على أهمية الاتفاق على برنامج سياسي قبل الاتفاق على الصيغة التنظيمية، وتشكلت لمناقشة المشروع لجنة خاصة من عشرين شخصا ، أقرت القسم السياسي من المشروع بعد احداث تعديلات طفيفة عليه . وقد أقر هذا

القسم بسرعة لانه عبارة عن مواقف عامة تضمن اغلبها الميثاق الوطني الفلسطيني. واقرت كذلك القسم التنظيمي من المشروع مع وقفة أمام ثلاث قضايا : ١ — قضية الدمج العسكري الفوري . ٢ — تشكيل اللجنة المركزية . ٣ — طريقة انتخاب المكتب السياسي . واعتبرت هذه القضايا بحاجة الى مزيد من الحوار بين المنظمات لذلك اجل البت فيها الى المجلس الوطني القادم . واتخذ المجلس بالاضافة الى ذلك قرارين : القرار الاول : تشكيل مجلس وطني جديد من ١٥٠ عضوا يجتمع بعد ثلاثة أشهر اي في بداية الشهر السادس من عام ١٩٧١ . وكلفت اللجنة التنفيذية بالاضافة الى رئيس المجلس الوطني وقائد جيش التحرير بتولي هذه المهمة . القرار الثاني : ابقاء المؤسسات الحالية لمنظمة التحرير قائمة كما هي ، مع التأكيد على ضرورة أن تمارس اللجنة التنفيذية مسؤولياتها كاملة باعتبارها الجهة القيادية الاولى في المنظمة، وأن لا يتكرر طغيان اللجنة المركزية او امانة سر اللجنة المركزية عليها .

وبالاضافة الى هذه القضايا الاساسية كانت هناك قضايا اخرى تستحق التسجيل اهمها : ١ — ان جيش التحرير لم يطرح مذكراته للنقاش . ويعود السبب في ذلك الى المصالحة التي جرت بين قيادة الجيش والسيد ياسر عرفات في دمشق . ٢ — قام في كواليس المجلس تكتلان . تشكل الاول من فتح وجيش التحرير وبعض المستقلين يدعو لتشكيل مؤسسات منظمة التحرير من هذه القوى الثلاث فقط ، وابعاد المنظمات الاخرى . وتشكل التكتل الثاني من سبع منظمات (الصاعقة — الشعبية — الديمقراطية — جبهة التحرير — القيادة العامة — جبهة النضال — المنظمة الشعبية) وأصر هذا التكتل على تمثيل الجميع في أي مشروع للوحدة الوطنية . وكان صراع هذين التكتلين في الكواليس وراء قرار التجديد للجنة التنفيذية وبقاء كل شيء على حاله ثلاثة أشهر اخرى . ٣ — تقدم اربعة اعضاء من اللجنة التنفيذية باستقالاتهم ، وهم زهير العلمي رئيس الصندوق القومي ، ياسر عمرو أمين سر اللجنة التنفيذية ، حامد ابو ستة رئيس دائرة شؤون الوطن المحتل ، حسام الخطيب رئيس الدائرة الثقافية . وقد سحب ثلاثة منهم استقالاتهم في الجلسة الاخيرة للمجلس ، بينما بقي الدكتور زهير العلمي مصرا عليها . (بعد انتهاء المجلس الوطني من اعماله عقدت اللجنة التنفيذية جلستها الاولى في دمشق بتاريخ ١٤/٣/٧١ . وفي هذه الجلسة استقال من عضوية اللجنة كمال ناصر وبلال الحسن) . ٤ — في الجلسة الاولى للمجلس الوطني ، واثناء مناقشة البند الاول في جدول الاعمال (العضوية) اقترح السيد ياسر عرفات اضافة السيد فائق وراد (الانصار) الى عضوية المجلس بصفته الشخصية، وقد وافق المجلس على ذلك ، ولكن هذا الموقف أحدث ازمة داخل فتح ، قاطع على أثره اكثر من عضو من أعضاء فتح جلسات المجلس ، وذلك لان منظمة الانصار المنبثقة عن الحزب الشيوعي الاردني ، توافق على قرار مجلس الامن ، وترفض اعلان التزامها بميثاق منظمة التحرير . وفي هذه الجلسة أيضا ووفق على ضم كل من حبيب قهوجي وصبري جريس ومحمود درويش الى عضوية المجلس ، كممثلين لعرب فلسطين الذين يعيشون تحت الاحتلال منذ عام ١٩٤٨ . وهذه هي المرة الاولى التي يمثل فيها عرب الارض المحتلة في المجلس الوطني . ٥ — كانت اللجنة المركزية قد وجهت الدعوة الى مائة شخصية وطنية (٥٠ فلسطينيا و٥٠ اردنيا) ليشكلوا مع اعضاء المجلس الوطني مؤتمرا شعبيا . وقد عقد المؤتمر الشعبي جلساته فيما بين اجتماعات المجلس الوطني الرسمية ،واتخذ قرارات واضحة بدعم حركة المقاومة ، واستنكار محاولات التفرقة الاقليمية في الاردن ، بينما رفض ادانة النظام الاردني بصيغ واضحة صريحة ، ويعود السبب في ذلك الى أن عددا لا بأس به من الشخصيات المدعوة ، مرتبطة بشكل او بآخر بالنظام الاردني، ومنهم بشكل خاص اعضاء وزارة عبد المنعم الرفاعي التي اعلنت موافقتها على مشروع روجرز.

واذا اردنا في نهاية هذا العرض ان نقدم تقييما لنتائج المجلس ، فان تصريحات اربعة مسؤولين في المقاومة تفي بهذا الغرض ، ففي ٧/٣/٧١ نشرت جريدة النهار البيروتية مقابلة مع ثلاثة مسؤولين من فتح والجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية . قال ابو يوسف من فتح « نعتبر أن مجموع ما اتخذ من قرارات يعتبر لمصلحة المقاومة الفلسطينية » . وقال نايف حواتمه من الديمقراطية « كان واضحا امام الجبهة ان دورة المجلس الحالية لن تاتي بجديد » . وقال احمد اليماني

من الجبهة الشعبية « ان الانجاز الوحيد كـان البيان السياسي ... والذي يصح اعتباره ارضية للقاء على تصور مشترك نسبيا ، وعدا ذلك فان المجلس لم يحقق شيئا » . وفي ٧١/٣/١١ عقد السيد كمال ناصر الناطق الرسمي بأسم اللجنة التنفيذية مؤتمرا صحفيا في بيروت اكد فيـه ان المجلس نجح تماما في اداء مهمته . وهكذا نرى ان الخلاف لم ينحصر فقط في مناقشة القضايـا المدرجة على جدول الاعمال ، بل تناول أيضا تقييم النتائج التي خرج بها المجلس .

ه ــ العمل العسكري : كان التهاب الوضع فـي غزة خلال فترة الشهرين الماضيين من أبرز الاحداث على صعيد النشاط الفدائي العسكري . وقـد تطور الوضع في غزة حتى وصلت اصداؤه الـى الامم المتحدة . ويمكن اعتبار احداث الشهريـن الماضيين في غزة استمرارا للجو المتوتر الذي بدأ منذ أن عزل رئيس البلدية عن منصبه . ففـي ١/١١ اضربت غزة ثلاثة ايام احتجاجا على قرار العزل وعلى الاجراءات الارهابية التي اتخذتهـا السلطات الاسرائيلية في القطاع،وسيرت السلطات الاسرائيلية دوريات عسكرية لضبط الامن . وفي ١/٢٧ لم تستطع اسرائيل أن تتجاهل الاصداء الدولية لاعمالها الارهابية في غزة فقامت بالاعلان عن تعيين ضابط اسرائيلي للتحقيق في الشكاوى ضد اعمال الارهاب . وفي ١/٢٩ اذاع السيد ياسر عرفات نداء للرأي العام العالمي ناشد فيه القوى الوطنية في العالم ان تتحرك لانقاذ سكان القطاع . وفي ٢/٧ ذكرت صحيفة الاهرام القاهرية ان مصر تعد رسالة حول الوضع في غزة ستقدمهـا الى الامين العام للامم المتحدة ، وذكـرت ايضا ان المجموعة العربية في الامم المتحـدة سوف تتقدم بمذكرة مماثلة . وفي اليوم التالي (٨ شباط) قام موشي دايان وزير الدفاع الاسرائيلي بزيارة لقطاع غزة لمراقبة الوضع المتوتر الذي تصاعد فيه نشاط الفدائيين بشكل ملحوظ ، بينما ازدادت الاجراءات الارهابية الاسرائيلية عنفا . وفي ١٠ شباط وجهت جمعية الهلال الاحمر والجمعيات النسائية في الاردن نداءات الى الصليب الاحمر الدولي ، والى الامين العام للامم المتحدة « يو ثانت » حول الوضع في غزة ، ورد يو ثانت علـى هذه النداءات ببرقيـة جوابية قال فيها انه « مهتـم بأوضاع مخيمات اللاجئين في غزة » . وفي هذا اليوم قدمت المجموعة العربية الى يو ثانت المعلومات المتوفرة لديها عن الوضع في القطاع ، بينما اعترف ناطق عسكري في تل ابيب بحدوث عمليات ارهابية ضد المواطنين في غزة ، وقال ان ضابطا وبعض الجنود سيمثلون أمام محكمة عسكرية. وفي ١١ شباط منعت اسرائيل شاحنات اسعاف وتموين تابعة للهلال الاحمر أن تتوجه الى قطاع غزة بحجة انها منظمة غير معترف بهـا .

وفي اثناء ذلك كله كانت عمليات الفدائيين تتوالى بصورة يومية في القطاع ، ويمكن تلخيص ما نشر عن هذا النشاط في الفترة الواقعـة بين ١/١٠ و٣/٢٠ كما يلي : قام الفدائيون بـ ١٨ عملية عسكرية ، قتل من الفدائيين ٤ وجرح ٣ واعتقل ٢٦ وابعد ٨ ، اسر من الاسرائيليين ثلاثة ، ضابط وجنديان (الجبهة الشعبيـة) ، ادت عمليـات الفدائيين الى وقوع ٣ قتلى و٦٢ جريحا .

اما في ميادين النشاط الاخرى ، فقد استمر الوضع على حالته السابقة ، اي استمـرار العمل من حدود لبنان وحدود سوريا ، مع توقفه تقريبا من حدود الاردن بسبب حالة الاستنفار الدائمة لمواجهة حملات النظام . وكانت صورة الوضع العسكري في هذه الميادين، حسب بيانات المنظمات الفلسطينية وبلاغات اسرائيل المنشورة، كما يلي : **لبنان** : ١٢ عملية فدائية، ٦ قتلى من الفدائيين، قتيل وجريح اسرائيلي ، ٢ اعتداءات اسرائيلية على لبنـان (هجوم واسع على الجنوب في ١ شباط . هجوم على قاعدة للفدائيين في الصرفند شمال صيدا في ١٥ ك٢ . قصف قريـة شبعـا في ٢ آذار) . **الجولان** : ١٢ عملية فدائية ، ١٢ قتيلا من الفدائيين و٢ جرحى ، جريح اسرائيلي . **الاغوار** : عملية واحدة للفدائيين ، ٢ قتلى من الفدائيين . **داخل الضفة الغربية** : ٣ عمليات فدائية ، ٤ قتلى من الفدائيين . **داخل اسرائيل** : ٩ عمليات فدائية .

وعلى صعيد مقاومة نشاط الفدائيين قامت السلطات الاسرائيلية في نفس الفترة باعتقال ٦١ شخصا ، وبابعاد ٢٤ ، وباصدار احكـام بالسجن على ٧ اشخاص تراوحت بين ٣ سنوات والمؤبد .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

بدأت المرحلة الاخيرة من مهمة غونار يارينغ لايجاد تسوية سياسية لازمة الشرق الاوسط ، يوم الخامس من كانون الثاني . أي قبل شهر واحد من موعد انتهاء وقف اطلاق النار بين المتحدة واسرائيل. وقد تميزت المرحلة الجديدة من مهمة يارينغ في لحظة بدئها بحملة تعبئة مصرية عسكرية وجماهيرية ودبلوماسية من جهة ، وباختلاف واضح في وجهات النظر بين المتحدة واسرائيل حول الاجراءات القانونية العملية ، لتنفيذ قرار مجلس الامن . ولذلك نستطيع أن نقول ان البداية ، منظورا اليها من زاوية الوقائع المعلنة ، لم تكن توحي بجديد . ولكن هذا الواقع ما لبث ان تبدل قليلا وباتجاهات تثير الدهشة، حين بدأ دولاب مهمة يارينغ بالدوران. وقد يكون الدخول في تفاصيل ، الاخذ والرد ، والمشاريع والمشاريع المضادة ، متاهة نضيع فيها عن الامساك بالخيوط الاساسية للتطورات ، لذلك سنحاول قدر ما نستطيع ، ايضاح القضايا الاساسية في مواقف الاطراف المعنية ، مع التركيز على موقف الجانب العربي ، على امتداد فترة زمنية تقع بين ١٠ ك٢ و٢٠ آذار ١٩٧١ .

خطة جديدة لعمل يارينغ

منذ أن قام يارينغ بزيارته الاولى لاسرائيل في ٨ ك٢ ، ساد انطباع بأن يارينغ سوف يتخلى عن دوره كساع للبريد بين وجهات النظر ، لينتقل الى مرحلة تقديم الاقتراحات ، وأخذ الاجابات النهائية على أسئلة محددة يطرحها هو بنفسه . لذلك قيل ان يارينغ يحمل معه اقتراحات وأفكارا ، تشكل نوعا من جدول الاعمال لمحادثات السلام . وبعد ذلك بأيام قليلة كان الاعتقاد السائد في الامم المتحدة « ان مهمة يارينغ قد انطلقت بصورة فعلية الان ». كانت المشكلة الاولى التي واجهت يارينغ مشكلة اقتراب يوم الخامس من شباط والموقف المصري المتشدد آنذاك ، الذي أعلن في جو من التعبئة ، أنه لن يمدد وقف اطلاق النار الا اذا كانت هناك بوادر جدية لتنفيذ قرار مجلس الامن . لذلك كان على يارينغ أن يبرهن أولا عن وجود هذه البوادر الجدية ، ليضمن للمرحلة الجديدة من مهمته أن تأخذ مداها الزمني الكافي ، وان لا تتوقف عند حدود الخامس من شباط . اي أن يخطو خطوة للامام تقنع مصر بضرورة تمديد وقف اطلاق النار . ومع ان وقف اطلاق النار قد مدد فورا الا اننا لا نستطيع القول ان ذلك يعود الى جهود يارينغ ، بل الى جهود الاطراف الدولية ، وخاصة الولايات المتحدة . وهذا ما أتاح لمهمته أن تستمر وأن تتخطى العقبة الاولى التي واجهتها .

حتى يوم الخامس من شباط ماذا أنجز يارينغ ؟ يجيب على هذا السؤال تقرير يو ثانت الذي رفعه الى مجلس الامن الدولي يوم ٢ شباط . ناشد يو ثانت في تقريره اطراف النزاع في الشرق الاوسط أن تمدد وقف اطلاق النار ، لان « ضبط النفس العسكري ضروري في هذه المرحلة من محادثات السلام » وحتى يجيب على شرط مصر الاساسي قال ان هناك « أساسا للتفاؤل المشوب بالحذر نتيجة لاستئناف الطرفين المباحثات بواسطة يارينغ بشكل جدي ، ولانه تم احراز بعض التقدم في تحديد المواقف » . واوضح يارينغ « ان الدول التي تجري المحادثات الان تصف بتفصيل دقيق وجهات نظرها». فليس هناك اذا حتى الان اكثر من « تفاؤل مشوب بالحذر » و« تقدم في تحديد المواقف » .

وقد نجحت مناشدة يو ثانت ، مع تطمينات الولايات المتحدة لمصر ، أن تصل الى تمديد وقف اطلاق النار ، وأن تفسح المجال ليارينغ ليأخذ مداه الزمني الكافي . لذلك أعلن بعد فترة وجيزة (معاريف — ١١ شباط) أن يارينغ قدم الى مصر واسرائيل مشروعا خاصا به لتسوية النزاع بين البلدين . ان النص الرسمي لهذا المشروع لم ينشر بعد ، ونجد حوله مقتطفات ليس غير لا نستطيع الجزم بمدى صحتها ، بالاضافة الى تناقضات فيما بينها . فصحيفة معاريف (١١ شباط) تقول ان المشروع يدعو الى : ١ — انسحاب اسرائيل من سيناء وشرم الشيخ . ٢ — يبقى قطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي . ٣ — تؤمن قوة دولية في شرم الشيخ حرية الملاحة . ٤ — عقد اتفاق سلام بين مصر واسرائيل . ولكن رئيس الوفد المصري في الامم المتحدة نفى في ١٣ شباط « أن يكون يارينغ قد اقترح ضم قطاع غزه الى اسرائيل في أية تسوية للازمة » بينما قالت الاهرام في اليوم التالي (١٤ شباط) ان مذكرة يارينغ لمصر تدعو الى : ١ — الانسحاب

من كل الاراضي المصريه حتى حدود مصر الدولية مع فلسطين عـام ١٩٤٨ (أي بدون غزة) . ٢ — الانسحاب من شرم الشيخ ووضع قوة دولية فيه . وفي ٢٠ شباط أضافت مصادر مطلعة في الامم المتحدة معلومات جديدة عن مشروع يارينغ فقالت انه قدم لاسرائيل السؤالين التاليين : ١ — هل انتم مستعدون للانسحاب تماما من الاراضي المحتلة؟ ٢ — هل أنتم مستعدون للبحث في مشكلة اللاجئين؟ وقالت نفس المصادر انه طرح على مصر السؤالين التاليين : ١ — هل أنتم مستعدون لضمان حرية الملاحة وانهاء حالة الحرب والقبول بحق كل دولة في المنطقة بالعيش في سلام ؟ ٢— هل انتم مستعدون لضمان عدم استخدام أراضيكم كقاعدة لعمليات عسكرية او شبه عسكرية ضد الدول المجاورة ؟

هذه الاقوال هي كل ما يمكن العثور عليه حول مشروع يارينغ . واذا كانت لا تكفي لتكوين صورة واضحة ، فان مجرى الاحداث يسمح بتلخيص موقف يارينغ في نقطتين : النقطة الاولى الطلب الى اسرائيل الموافقة على الانسحاب حتى حدود مصر الدولية عام ١٩٤٨ . والنقطة الثانية الطلب الى مصر أن توافق على عقد اتفاق سلام موقع مع اسرائيل . فماذا كانت اجابات الاطراف على هاتين المسألتين ؟

في ١٥ شباط قال صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية المصرية ان مصر أرسلت ردها على مشروع يارينغ وأن الرد يعتبر ايجـابيا . وفي اليوم التالي (١٦ شباط) أطلعت مصر ممثلي الدول الاربع الكبرى على ردها الايجابي على مقترحات يارينغ . وفي نفس الوقت تقريبا كان الزيات يسلم الرد ليارينغ في الامم المتحدة قائلا «ان اللحظة الراهنة تاريخية». والتقط المراقبون هذا التعليق باهتمام ، واستنتجوا منه ان مصر وافقت على توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل . ثم لم تلبث الصحف ووكالات الانباء ان أكدت موافقة مصر في ردها على يارينغ على عقد معاهدة سلام مع اسرائيل . ذكرت ذلك صحيفـة « نيويورك تايمس » ووكالة الصحافة الفرنسية ، ومصادر مقربة من الحكومة الاسرائيلية في القدس (١٦ شباط) .

في مقابل هـذا الموقف المصري مـاذا كان موقف اسرائيل ؟ في ١٤ شباط قال المراقبون السياسيون ، ان اسرائيل قررت عدم الرد على مذكرة يارينغ ، لانها تعتبر مشروع يارينغ تجاوزا لمهمته . وفي ١٦ شباط نقلت وكالات الانباء ان هناك انقساما في الحكومةالاسرائيلية حول ما اذا كان يجب الاستمرار في تجاهل اقتراحات يارينغ او رفضها او الرد عليها. وكان هذا الموقف يعنـي رفض اسرائيل لفكـرة الانسحاب الكامل من سيناء ، وشرم الشيخ خاصة. وأعلن يو ثانت هذا الموقف رسميا في تقريره الى مجلس الامن (٥ آذار) حيث أوضح ان مصر ردت ايجابيا على مقترحات يارينغ ، وان اسرائيل لم ترد حتى الان على ما طلبه منها (الانسحاب الى حدود ٤٨) ، واستنتج يو ثانت ان محاولة يارينغ لاخراج الوضع مـن الطريق المسـدود لم تكلل بالنجاح . وحين جاء ايبان الى الولايات المتحدة في جولة هدفهـا شرح مبررات الموقف الاسرائيلـي المتصلب ، عقد جلسة خاصة مع يو ثانت ويارينغ، علقت عليها مصادر مطلعة في الامم المتحدة قائلة « ان يو ثانت ويارينغ أخفقا في العثور على أية اشارة الى مرونة في موقف اسرائيل في محادثاتهما مع ايبان . وأن القضية التي تحول دون احراز تقدم تنحصر في رفض اسرائيل الالتزام بالانسحاب كليا من سيناء (١٩ آذار) . »

وفي الوقت الذي كان فيه يارينغ يبذل هذه المحاولة الاساسية في مهمته كان يعمل على توسيع نطاقها. ففي ٢٠ شباط اعلن ان (جون ريدمان) أحد كبار المسؤولين البريطانيين الذين ساهموا في اتفاقات هدنة ١٩٤٩ قد استدعي الى التعاقد للعمل مـع يارينغ في الامم المتحدة . وفي ١٢ آذار ذكرت الاهرام ان يارينغ يعد حاليا مقترحات لحل مشكلة الشعب الفلسطيني ، ليضعها بين أوراقه ، لانه لا ينوي استخدامها في الوقت الحاضر .

ماذا تريد اسرائيل ؟

لقد بدأت المرحلة الجديدة من مهمة يارينغ بتفاؤل شديد ، وانتهت الى طريق مسدود بسرعة كبيرة . والسبب الاساسي وراء ذلك هو التصلب الاسرائيلي حول قضية الحدود التي ستنسحب اليها . فما هو موقف اسرائيل من هذه النقطة ؟ ان عبارة « الحدود الآمنة » الواردة في قرار مجلس الامن كانت منذ عام ١٩٦٧ نقطة أساسية في الخلاف حول تفسيرات القرار المذكور . كان الجانب العربي يعتبر « انهاء حالة الحرب واحترام حق كل دولة في الاستقلال السياسي » يؤمن لاسرائيل الحدود الآمنة . بينما كانت اسرائيل تفسر ذلك بضرورة امتلاك أراض ذات قيمة استراتيجية تضمن لها الامن العسكري .

ولم يتنازل الجانب العربي عن موقفه هذا الا عند موافقته على مشروع روجرز الذي دعا الى احداث « تعديلات طفيفة » في الحدود . وهو أيضا الموقف الذي رفضته اسرائيل رغم اعلان موافقتها على مشروع روجرز لفظيا . ولكن بالرغم من هذا الخلاف الدائم حول مسألة الحدود فان اسرائيل لم تعلن أبدا خريطة الحدود التي تريدها . أما في المرحلة الجديدة من مهمة يارينغ فكان لا بد لاسرائيل من أن تجيب على هذا السؤال . وقد أثارت هذه القضية قبل الاعلان الرسمي عنها جدلا طويلا في اسرائيل . ففي ١٥ ك٢ قالت جولدا مئير ان اسرائيل لم ترسم ابدا خريطة للحدود التي تريدها ، لكنها متأكدة من أنه عندما يحين الوقت لوضع مثل هذه الخريطة ستقوم خلافات في الرأي مع الولايات المتحدة . وفي ١١ شباط أعلن في اسرائيل انه تم تأليف ثلاث لجان حكومية لدرس ١ — خريطة الحدود ٢ — القدس ٣ — الاتفاقات التي يمكن ان تعقد بين العرب واسرائيل . وبالرغم من بدء اللجان في رسم خريطة الحدود استمر الحوار في الحكومة الاسرائيلية حول ذلك ، بين اتجاه يدعو الى الاعلان عن الخريطة لان الولايات المتحدة تنتظر خطوة كهذه ، واتجاه آخر يرفض الاعلان عنها لان ذلك سينتج أزمة داخلية مع الحزب الديني ، وأزمة خارجية مع الولايات المتحدة التي توافق على مطالب اسرائيل الاقليمية . وقد بقيت خريطة الحدود التي تريدها اسرائيل نوعا من اللغز ، حتى قامت غولدا مئير بتحديد ملامح هذه الخريطة في حديث صحفي مع جريدة « التايمز » نشر يوم ١٣ آذار . وكانت مجلة « تايم » قد نشرت قبل ذلك تفاصيل الخريطة الاسرائيلية يوم ٢٢ شباط . وهناك تطابق كبير بين ما نشرته التايم وما اعلنته جولدا مئير . ويمكن تلخيص الخريطة الاسرائيلية على الشكل التالي : ١ — الانسحاب من سيناء على أن تكون مجردة من السلاح . تضمن ذلك قوة دولية تشارك فيها مصر واسرائيل . ٢ — قطاع غزة لا يعاد الى مصر . مع معارضتها لفكرة الدولة الفلسطينية ، والقول أن غزة يمكن ان تصبح مرفأ اردنيا. ٣ — الاحتفاظ بشرم الشيخ. ٤ — الضفة الغربية: الانسحاب مع وجود لاسرائيل على نهر الاردن ، وربما في المرتفعات المشرفة على النهر . وشرحت التايم الوجود الاسرائيلي على نهر الاردن على أنه تطبيق لمشروع آلون الذي يدعو الى انشاء شريط من المستعمرات شبه العسكرية على النهر . ٥ — القدس تبقى موحدة مع حرية المرور للجميع الى الاماكن المقدسة. ٦ — الجولان : الاحتفاظ بالمرتفعات . بهذه الخريطة تكرس اسرائيل رسميا ما أعلنته أكثر من مرة في تصريحات مسؤوليها السياسيين بأنها لن تتخلى في أية تسوية عن غزة وشرم الشيخ والقدس ومرتفعات الجولان .

والسؤال الهام هنا لماذا أعلن عن هذه الخارطة في هذا الوقت بالذات ؟ ان المماطلة الاسرائيلية في اعلان الحدود الآمنة التي تريدها ، كانت مرتبطة دائما بالاصرار على توقيع معاهدة سلام بدلا من الاتفاق التعاقدي الذي يوقعه كل طرف على حدة ليودع في مجلس الامن كوثيقة رسمية كما كانت تريد القاهرة . أما حين وافقت مصر على توقيع معاهدة السلام فان الوقت قد حان للاعلان عن التمسك بشرم الشيخ مقترنا بمطلب سياسي جديد هو الاصرار على المفاوضات المباشرة . ويكشف هذا الموقف عن التكتيك الاسرائيلي الدائم الذي يصر على موقف معين حتى يرضخ الجانب العربي ، وحين يعلن الجانب العربي قبوله يندفع لتحديد مطلب آخر ، وهكذا وصولا الى التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن . وفي ٢١ شباط كشف ايبان صراحة عن اوراقه التكتيكية حين قال « ليس هناك ما يدعونا الى الاسف على الخط السياسي الذي اتبعناه حتى الان ، ونحن نذكر ان عددا كبيرا من السياسيين الاجانب كانوا يقولون منذ فترة غير بعيدة ان اتفاق سلام بين العرب واسرائيل أمر لا يمكن التفكير فيه، وكانوا يلوموننا لاننا نتعلق بشيء مثالي ... وها هي مصر تعرب عن الرغبة في سلام تعاقدي » . وايبان نفسه قال في ١٧ شباط « العقبة الاساسية التي تعترض التسوية تكمن في رفض مصر القول رسميا ما اذا كانت مستعدة لتوقيع معاهدة صلح أم لا ؟ » فما دامت مصر قد وافقت على ذلك فهل زالت العقبة ؟ لا . لان اسرائيل ستندفع الان لتحديد مطلب آخر : المفاوضات المباشرة . ففي ١٩ شباط لخص اسرائيل جاليلي الموقف الاسرائيلي بنقطتين ١ — رفض الانسحاب الكامل ٢ — طلب مفاوضات مباشرة . وفي ١٥ آذار قال ايبان في تل ابيب قبل سفره الى لندن « ان المفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل قد تكون ضرورية في النهاية للوصول الى اتفاق سلام » . ان ايبان يريد المفاوضات المباشرة (في النهاية) وليس الآن . وذلك لانه يقترح على يارينغ « ان ينحصر البحث في

المفاوضات غير المباشرة التي تجري تحت اشرافه في القضايا الثانوية وهي : ١ — اعادة فتح قناة السويس ٢ — حل قضية اللاجئين ٣ — السيطرة على الفدائيين . على ان يؤجل البحث في قضية الانسحاب الى المراحل الاخيرة » اي المرحلة التي تستلزم حسب تصريحات مفاوضات مباشرة .
هذا هو الموقف الاسرائيلي على حقيقته . ومنه تنبع المواقف السياسية الاخرى التي ترفض القوات الدولية ، والتي تعارض الضغط الامريكي والتفسير الامريكي لمعنى الحدود الآمنة ، والتي ترفض ايضا اقتراحات مصر بالانسحاب الجزئي . وحتى تتوضح صورة هذه المواقف التابعة للموقف الاصلي (فرض التفسير الاسرائيلي لقرار مجلس الامن) لا بد من تحديد الملامح الاساسية للموقف المصري .

مصر وحدود التنازلات

يخشى المراقبون ان تكون مصر قدمت في الفترة الاخيرة تنازلات هامة سعيا وراء تسوية سياسية تضمن بندا اساسيا هو الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المصرية المحتلة . فما هي التنازلات التي قدمتها مصر ؟

١ — الموافقة على تمديد وقف اطلاق النار في ٥ شباط (حتى ٧ آذار) . وقد أقدمت مصر على هذه الموافقة « احتراما لمناشدة يو ثانت » وبسبب تعهدات امريكا ببذل الجهود لاقناع اسرائيل بالانسحاب . فمنذ ٢٣ ك٢ كشفت « الاهرام » عن رسائل متبادلة بين وليم روجرز وزير الخارجية الامريكي ومحمود رياض وزير الخارجية المصري ، تطلب تمديد وقف اطلاق النار . فقد بعث روجرز الى محمود رياض بثلاث رسائل في مدة لا تتجاوز الاسبوعين . أعلن عن الرسالة الاولى في ٢٣ ك٢، وارسلت الثانية في ٢٩ ك٢ ، والثالثة في ٣ شباط. ورد رياض على الرسالتين الاولى والثانية قائلا انه لا يشارك روجرز « تفاؤله بالنسبة الى التقدم الذي حققته مهمة الوسيط الدولي يارينغ » . وكان ذلك يعني ان مصر ترفض تمديد وقف اطلاق النار، وهذا ما دفع روجرزالى ان يضمّن رسالته الثالثة تفاصيل وافية عن الموقف الامريكي حيث قال « ان امريكا تفسر قرار مجلس الامن بأنه يعني الانسحاب الاسرائيلي من كل الاراضي التي احتلت مع دفع تعويضات للتعديلات الثانوية التي يمكن ان تكون متبادلة . وان الحاجة الى مثل هذه التعديلات قد تبرز فقط عند الحدود بين الضفة الغربية واسرائيل وليس في سيناء » . وفسر المراقبون موقف روجرز على أنه يعني اعتراف الولايات المتحدة بحدود مصر الدولية عام ١٩٤٨ مما يعني انسحاب اسرائيل من شرم الشيخ ، واعربوا عن اعتقادهم ان روجرز يحاول ابلاغ القاهرة ان الولايات المتحدة ستبذل اقصى جهدها لحمل اسرائيل على القبول بمفهوم واشنطن لمتطلبات الانسحاب الواردة في قرار مجلس الامن ، وذلك من أجل حل قريب لازمة الشرق الاوسط . وفي يوم ٤ شباط أضافت وكالة الصحافة الفرنسية ان الولايات المتحدة طمأنت مصر بأن اسرائيل ستتقدم الى يارينغ خلال فترة تمديد وقف اطلاق النار (عناصر ايجابية) تتعلق بالتسوية ككل وبالانسحاب من الاراضي المصرية بصورة خاصة .
وقد لعبت هذه الوعود دورا رئيسيا في اقناع مصر بتمديد وقف اطلاق النار ، الذي أعلنه السيد انور السادات في خطابه امام مجلس الامة (٤ شباط).
٢ — في الخطاب المذكور عرض السادات فتح قناة السويس مقابل انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية من الضفة الشرقية للقناة ، كمرحلة اولى على طريق جدول زمني . وفي مقابلة له مع مجلة نيوزويك الامريكية (١٥ شباط) أوضح السادات ما يعنيه بالانسحاب الجزئي فقال « الانسحاب الى خط يقع وراء العريش » أي الى الانسحاب الى حدود مصر الدولية حسب اقتراحات يارينغ . وقد ردت جولدا مئير على اقتراح السادات قائلة « ان اقتراح مصر فتح القناة عديم المعنى ما دام الرئيس المصري غير مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل » . ولكن المسؤولين الاسرائيليين لم يعتبروا ذلك موقفا نهائيا ، وذكرت مصادر مطلعة ان اسرائيل تجري اتصالات مع الولايات المتحدة حول الاقتراح المصري، لمعرفة ما يعنيه السادات بالانسحاب الجزئي وللتأكد من ان السفن الاسرائيلية سيسمح لها بالمرور في القناة بعد اعادة فتحها (٧ شباط) . ولكن الموقف الاسرائيلي تحدد نهائيا يوم ٩ شباط حين حددت مئير موقفها من اقتراح السادات على الشكل التالي : ١ — ان اسرائيل مستعدة لان تبحث مع مصر ، بصورة منفصلة عن اتفاق سلام شامل ، في مسألة اعادة فتح قناة السويس أمام كل السفن .
٢ — ترفض اسرائيل ربط اعادة قناة السويس بانسحاب جزئي لقواتها . وفي اليوم التالي كان روجرز يعلن في واشنطن تأييده للموقفين المصري والاسرائيلي قائلا « ان اقتراح السادات يستحق

ان يؤخذ بعين الاعتبار » وان « رد مثير هو رد مشجع » . بينما اعتبر الناطق الرسمي في القاهرة بيان جولدا مئير حول فتح القنـــاة رفضا لمبادرة السلام المصرية .

٣ — ذكرت الانباء الصحفية ان مصر مستعدة لتوقيع معاهدة سلام مقابل الانسحاب الكامل (وهو ما ذكر اثناء الحديث عن مهمة يارينغ) . وحين وضعت اسرائيل خريطة الحدود الآمنة التي تريدها كانت تعلن عمليا رفضها للانسحاب الكامل ، وتمسكها فيما يتعلق بمصر بمنطقة شرم الشيخ . وعبر موشي دايان عن موقف اسرائيل بوضـــوح حين قال انه « يفضل شرم الشيخ دون سلام ، على السلام بدون شرم الشيخ » (١٧ شباط) . وقـد عبر الزيات رئيس وفد مصر في الامم المتحدة بصورة اوضح عن نتائج معاهدة السلام التي وافقت مصر على توقيعها حين قال في مقابلة مع صحيفة «نيويورك بوست » ان مصر عرضت الاعتراف بوجود دولـــة اسرائيل الشرعي اذا قبلت اسرائيل تحديد هجرة اليهود اليها . واوضح انها المرة الاولى منذ ٢٥ عاما والتي تعلن مصر فيها عن استعدادها للاعتراف باسرائيل كدولة ذات سيادة (١٧ شباط) ولكن ايبان رفض هذا الاقتراح قائلا ان اسرائيل لن تقترح على مصر تحديد النسل فيها .

٤ — ومن الوقائع التي ذكرناها سابقا يمكن ان نستنتج ان اسرائيل سوف تحاول دفع مصر الى تنازل آخر هو القبول بالمفاوضات المباشرة مقابل الانسحاب مـــن شرم الشيخ كما تريد الولايـــات المتحدة ، او اشتراك اسرائيل في القوة الدولية التي سترابط عند شرم الشيخ كما يمكن ان تقترح اسرائيل في النهاية . وكنوع من الرد على هـــذا الاحتمال قالت مصادر مصرية رسمية « ان مصر لا يمكن ان تعطي اكثر مما أعطت ، وانه اذا كان الحل السلمي لن يتحقق بعد الذي قدمته مصر فلن يكون هناك حل سلمي على الاطلاق » (٣ آذار) . وعلى الشق الاخر مـــن الموضوع اجاب الدكتور أشرف غربال المسؤول عن رعاية المصالح المصرية في واشنطن « ان مصر ترغب في ارسال قوات دولية الى المنطقة ، لكنها ترفض اشراك اسرائيل فيها » (١٧ آذار) .

ان وصول الموقف الاسرائيلي الى هذا الحد ، لعب بدون شك دورا اساسيا في تحديد موقف مصر من تمديد وقف اطلاق النار الذي انتهت مدته في السابع من آذار ، لقد اعلن الرئيس السادات ان المساعي السياسية ستستمر ولكننا « لا نعتبر انفسنا مقيدين بوقف اطلاق النار ، ولا بالامتناع عن اطلاق النار . . . سنراقب ونتابع ونقرر لانفسنا » . كذلك لعبت دورها في تقرير هذا الموقف الوعود الامريكية التي لم تسفر عن شيء ، والتي لخص نتائجها محمود رياض امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الامة قائلا « ان واشنطن لم تعط في الرسائل التي تبودلت معها على مختلف المستويات اية وعود صريحة ، بل مجرد وعود غامضة تطالب بالانتظـــار والصبر » (١٦ آذار) .

الاردن والتسوية

لم يلعب الاردن في هذه المرحلة من مهمة يارينغ دورا حيويا على غرار الادوار التي لعبها في مرات سابقة . ويعود الى سببين اساسيين : السبب الاول : العلاقات المتوترة التي نشأت بين مصر والاردن منذ قيام وزارة وصفي التل ، والتي أدت في النتيجة الى أن تكف مصر عن اطلاع الاردن على اتصالاتها السياسية بشأن قرار مجلس الامن . ففي ١٥ شباط اعلن ان الملك حسين سيزور القاهرة ليبحث في التطورات الاخيرة لازمة الشرق الاوسط، وهناك احتمال ان يرافقه وصفي التل . وفي ٢١ شباط اعلن ان الملك حسين الغى زيارته للقاهرة ، وان السبب وراء ذلك هـــو تحفظ القاهرة بشأن مجيء وصفي التل في رفقتـــه . كذلك فان رفض القاهرة قبول ترشيح السيد اكرم زعيتـــر سفيرا للاردن في مصر ، لعب دورا في توتير العلاقات بين البلدين ، التي كانت نتيجتها كما قلنا انقطاع الاردن عن المعرفة والمشاركة في نشاط مصر الدبلوماسي . السبب الثاني : ان يارينغ تجاهل الاردن ولم يقدم لها مشروعا للتسوية على غرار المشروع الذي قدمه الى مصر والى اسرائيل . وقد بقي يارينغ على تجاهله هذا بالرغم من أن أكثر من مسؤول اردني قال علنا اكثر مـــن مرة انه لا زال ينتظر وصول اقتراحات من يارينغ . ولان هذه الاقتراحات لم تصل فان الاردن لم يشارك بالحوار الطويل الذي دار حول هذا الموضوع . وقد تخوف الاردن نتيجة لهذا الوضع أن تسفر الامور عن قيام حل منفصل بين مصر واسرائيل ، فقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية من عمان يوم ١٥ شباط ان الاردن قرر تقوية اتصالاته مع مصر اذ يبدو انهم يخشون من اتفاق منفصل . وفي ١١ آذار عبر وزير الاعلام

الاردني عن ذلك صراحة حين قال « ان اسرائيل تستهدف الانفراد بتسوية مع مصر » .
وفي هذه الاثناء برز حدثان ملفتان للنظر . الحدث الاول اعلان عبدالله صلاح وزير خارجية الاردن « اننا نقبل الاعتراف بوجود دولة اسرائيل شرط ان يقبل الاسرائيليون الانسحاب من كل الاراضي المحتلة » . والحدث الثاني انتشار انباء صحفية تتحدث عن وصول الاردن واسرائيل الى اتفاق منفصل . ففي ٢٦ شباط قالت صحيفة « الجيروزالم بوست » ان الملك حسين سوف يعلن الاسبوع المقبل عن مبادرة سلام جديدة من اجل الوصول الى اتفاق بين عمان وتل ابيب . ولكن الاردن نفى في اليوم التالي ان تكون لديه بادرة سلام منفردة . كذلك نفى الاردن في ١ آذار انباء نشرتها مجلة التايم تقول ان الاردن واسرائيل توصلا الى اتفاق مبدئي جدا، يدعو لان تبقى القدس موحدة تابعة لاسرائيل، مع اعطاء الاردن حقوقا خاصة فيها . وقالت التايم ان الاتفاق كان نتيجة لاجتماع حسين — آلون قبل ٤ أشهر على الحدود بين البلدين . وان هناك اجتماعات اخرى عقدت بعد ذلك بين رسميين من الجانبين هي التي انتجت هذا الاتفاق .
وقد اقتصر دور الاردن في هذه المرحلة في ميدان التسوية السياسية بالاجابة على الاسئلة التي وجهتها اسرائيل بواسطة يارينغ الى مصر والاردن. وكان الرد الاردني تكرارا لنفس القضايا السابقة الواردة في قرار مجلس الامن .

مواقف عربية

في ١٤ ك٢ اقترح العقيد معمر القذافي عقد مؤتمر قمة عربي في الكويت لبحث (قومية المعركة) بانتظار يوم الخامس من شباط . وبعد يومين وصل الى الكويت الرائد محمد نجم وصرح ان مهمته تدور حول اربع نقاط : ١ — دعوة الكويت لعقد مؤتمر قمة عربي . باعتبار ان الكويت هي الدولة الوحيدة التي ردت ايجابيا على دعوة ليبيا لعقد مؤتمر قمة . ٢ — تنفيذ الخطط الخاصة بتحويل المعركة مع اسرائيل الى معركة قومية . ٣ — الاجراء الذي يتوجب اتخاذه بعد ٥ شباط . ٤ — الوضع في الاردن ومحاولات تصفية الثورة الفلسطينية .
وقد أبدت الكويت استعدادها لاستضافة مؤتمر القمة (١٧ ك٢) ، وعلى اثر ذلك وافقت سبع دول على عقده هي مصر وسوريا والسودان وليبيا والكويت والمغرب والجزائر . وهنا بدا ان مؤتمر القمة على وشك الانعقاد . ولكن بعد أيام قليلة (٢١ ك٢) ذكرت مصادر كويتية مطلعة ان السعودية تعارض عقد مؤتمر القمة لانها غير مقتنعة بمبررات عقده ، وهنا اشترطت الكويت من اجل استضافة مؤتمر القمة حضور كل الدول العربية والخروج بنتائج ايجابية تنفذ فورا . كذلك ذكر ان بغداد لم تبد ارتياحا لفكرة المؤتمر . وبذلك انتهى الحديث عن عقد مؤتمر القمة في الكويت .
في ٢٣ ك٢ اعلنت الجزائر انها مستعدة لاستضافة مؤتمر القمة شرط ان يعقد قبل الخامس من شباط. وهنا أعلنت السعودية ان الملك فيصل مضطر للبقاء في السعودية بسبب موسم الحج ، واعلن العراق انه لن يشترك في المؤتمر لان الشروط الموضوعية لانجاحه غير متوافرة ، وحافظ الاردن على صمته تجاه الموضوع . وحين زار محمود رياض الكويت يوم ٣١ ك٢ اعلن انه لا يعرف بوجود دعوة رسمية لعقد مؤتمر قمة عربي . وبذلك أسدل الستار على هذا الموضوع .

ب. ح.

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

تميزت هذه الفترة من التطورات الدولية بالنسبة للقضية الفلسطينية ببذل المزيد من الجهود والمساومات والتنازلات من الجانب العربي الرسمي (وهمية كانت ام حقيقية) في سبيل التوصل الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط عبر تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقد شاركت كافة الاطراف المعنية المحلية والدولية في هذه الجهود ولكن كل على حسب تفسيره وفهمه لمعنى نصوص قرار مجلس الامن وفحواها . ومن العوامل المحلية التي رفعت المساعي « السلميـة » المبذولة الى مستوى جديد من النشاط رغبة القاهرة في الاسراع في الخطوات المؤدية الى انجاح مهمة يارينغ . هذا من جهة ومن جهة اخرى جاء قرار الحكومة الاسرائيلية في الايام الاخيرة من عام ١٩٧٠ ، المنتظر طويلا ومنذ أشهر عديدة. بالعودة الى مائدة المفاوضات في نيويورك تحت اشراف يارينغ بعد ان قاطعتها كل تلك الفترة بسبب قضية ادخال الصواريخ الى منطقة وقف اطلاق النار على الضفة الغربية من قناة السويس . واعلنت غولدا مائير خلال مناقشة قرار العودة الى محادثات يارينغ في الكنيست الايضاحات التالية : ١) ان قرار العودة سهلته المساندة العسكريـة والسياسية الاميركية ، ٢) ان اسرائيل ترفض مع ذلك مقترحات السيد وليم روجرز الداعية الى الانسحاب الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ مع ادخال « تعديلات طفيفة » عليها . ٣) شددت على حق اسرائيل في الحصول على حدود آمنة ومعترف بها وعلى ابقاء القدس عاصمة موحدة لاسرائيل . ٤) اكدت ان اسرائيل ستحافظ على خطوط وقف اطلاق النار الحالية الى ان يتحقق سلام تعاقدي يربط الاطراف المعنية ويلزمها . ٥) ان اتفـاق السلام لا يمكن التوصل اليه الا بعد اجراء مفاوضات على اساس قرار مجلس الامن وتوقيع التعهدات التي يتضمنها الاتفاق التعاقدي وتطبيقها . ٦) اكدت ان الحكومة الاميركية لا تريد لاسرائيل ان تجري محادثات سلام او تستمر فيها وهي في مركز ضعف . وقد وافق الكنيست على قـرار الحكومة وبياناتهـا باكثرية الاصوات . وقد شكلت هذه النقاط التي حددتها مائير الخطوط العامة للموقف الاسرائيلي الاجمالي من موضوع التسويـة السلمية وشروط اسرائيل للقبول بتنفيذ قرار مجلس الامن . ولم تطرأ اية تغيرات او تعديلات اساسية على هذا الموقف العام حتى بعد موعد انتهاء فترة وقف اطلاق النار في ٧ آذار ١٩٧١ . وخلال كل المباحثات التي جرت تحت اشراف يارينغ والمذكرات التي سلمت له والتصريحات التي صدرت عن المسؤولين الاسرائيليين لا نجد الا اعادة وتكرارا للنقاط المذكورة اعلاه ولكن بأساليب اخرى وبعبارات مختلفة قليلا وفقا للظروف الدولية المتقلبة نوعا ما ومراعاة لها .

وقد رافق عـودة اسرائيـل الـى محادثـات السـلام فـي نيويـورك بعـض التطـورات الهـامة دوليا وهي : اولا ، التقريـر الـذي قدمه الامين العام لهيئة الامم المتحدة الى مجلس الامن حول مهمة الوسيط الدولي يارينغ وتطورها منذ ١٩٦٧/١٢/٩ حتى ساعة القاء التقرير . كان التقرير عبارة عـن سرد مسهب لجهـود يارينغ ومحاولاته في تحقيق التسوية السلمية بين الدول العربية واسرائيل منذ ان فوضه مجلس الامن بهذه المهمة . والنقطة الهامة التي برزت في التقرير هي التبدل التدريجي والبطيء الذي طرا على موقف كل من الخصمين المتحـاربين ـــ المتفاوضيـن بحيث أصبحت اسرائيل متقبلـة لفكرة المفاوضات غيـر المباشرة ولمبدأ الانسحاب « من أراض احتلت » في حرب عام ١٩٦٧ ، بينما اصبحت الجمهورية العربية المتحدة (والاردن ايضا) متقبلة لفكرة اتفاق السلام التعاقدي الذي يعترف ، بالتحديد وليس بالتعميم ، بحقوق دولة اسرائيل ويضمنها . من جهة اخرى تضمن تقرير يو ثانت وثائق تبين ردود فعل كل من مصـر والاردن واسرائيل لمجموعـة من الاسئلة المفصلة التي كان يارينغ قد وجهها الى هذه الدول الثلاث في بداية ١٩٦٩ . وقد تبين لاوساط مسؤولة في هيئة الامم ان التقرير تضمن اجوبة الدول الثلاث المذكورة على ما طرحه يارينغ من اسئلة تضمنت النقاط التالية : أ) بالنسبة لقضايا الحدود كان رد ج‌ع‌م والاردن ان القرار الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ قد عين حدود اسرائيل على اساس التقسيم الذي اقره يومها . بينما ردت اسرائيل بقولها انه لم تقم أبدا بين اسرائيل والدول

العربية اية حدود آمنة ومعترف بها وان مثل هذه الحدود يجب ان تقوم الان كجزء من عملية احلال السلام في المنطقة . ب) بالنسبة لمسألة انهاء حالة العداء والانسحاب الاسرائيلي فقد أجابت ج‌ع‌م والاردن بأنهما توافقان على الالتزام بانهاء حالة العداء مع اسرائيل وتطبيقها مع انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة الاراضي العربية المحتلة . أما جواب اسرائيل حول الانسحاب فقد تلخص بقولها انه عندما يتم الاتفاق على حدود دائمة وآمنة ومعترف بها بين اسرائيل وكل واحدة من جاراتها العربيات ، ويتم تطبيق هذا الاتفاق فان اسرائيل ستنسحب الى ما وراء الحدود التي تعينها اتفاقية السلام . كما اكد الجواب الاسرائيلي انه بما ان الدول العربية ، لا اسرائيل ، هي التي كانت السبب في اعمال الحرب فانه يصبح لزاما عليها ان تنهي حالة الحرب مع اسرائيل . علما بأن اسرائيل توافق على انهاء كل حالات الحرب مع كل دولة من الدول التي يتم الوصول الى السلام معها شرط المعاملة بالمثل . كما اشار الجواب الى ان اسرائيل ستصدر بيانا بهذا المعنى يحدد كل دولة بالاسم في كل حالة من هذه الحالات . وطلبت ان يشتمل البيان المماثل الصادر عن اية دولة عربية على اعلان تخلي هذه الدولة عن حالة الحرب مع اسرائيل بالتحديد وليس مع اية دولة في المنطقة على وجه العموم كما يجب ان تحل معاهدات سلام محل وقف اطلاق النار ، تقام بموجبها حدود دائمة وآمنة ومعترف بها عن طريق مفاوضات بين الحكومات المعنية . ج) بالنسبة لسؤال يارينغ حول اقامة مناطق مجردة من السلاح تشرف عليها قوات دولية تابعة لهيئة الامم المتحدة تلخص الرد المصري — الاردني بالقول ان المناطق المجردة من السلاح غير ضرورية من وجهة النظر العربية غير ان الموقف العربي هو عدم معارضة اقامتها على طرفي الحدود . بينما قالت اسرائيل في ردها ان مثل هذه الترتيبات لم تجد نفعا في الماضي ولم تمنع احدا من الاستعداد « للاعتداء على اسرائيل وتنفيذ الاعتداء » . د) فيما يتعلق بسؤال يارينغ حول قضية « اللاجئين الفلسطينيين » ذكر الرد العربي ان التسوية العادلة لقضية « اللاجئين » متضمنة في القرار الذي اتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٨ الذي يدعو الى اعطاء الفلسطينيين حق الاختيار بين العودة الى وطنهم او التعويض عليهم بينما اجابت اسرائيل باقتراح عقد مؤتمر لدول الشرق الاوسط لاعداد خطة خمسية هدفها دمج « اللاجئين » في الحياة الانتاجية للمنطقة مع الاشارة الى امكان عقد مثل هذا المؤتمر قبل التقدم في محادثات السلام . ه) وبالنسبة لسؤال يارينغ حول ما اذا كانت الدول المعنية تقبل بمثابة اتفاق نهائي وثيقة دولية يوقعها اطراف عدة وتتضمن الشروط المتفق عليها لسلام عادل ودائم ، فقد اجابت اسرائيل بقولها : « ان السلام يجب ان يكون معبرا عنه قانونيا ومحددا تعاقديا وملزما بصورة متبادلة وفقا للمبادىء الثابتة للقانون والعرف الدوليين . وبناء عليه فان موقف اسرائيل هو ان السلام يجب ان تتضمنه معاهدات سلام ثنائية بين اسرائيل وكل دولة عربية تشتمل على كل الشروط المتفق عليها لسلام عادل ودائم ». وقالت مصر والاردن في الاجابة ان الوثائق التي تلزمهما بتنفيذ التزاماتهما ستوجه الى مجلس الامن وان على اسرائيل ان توقع كذلك وثيقة مشابهة تلزمها بتنفيذ الالتزامات المنبثقة من قرار مجلس الامن . وستكون مصادقة المجلس على هذه الوثائق بمثابة اتفاق نهائي متعدد الاطراف .

وقد اشار تقرير يو ثانت الى ان الفضل يعود الى الولايات المتحدة في اتخاذ المبادرة في تحريك محادثات يارينغ وتمكينها من التقدم الى هذه النقطة التي وصلت اليها . وقد اخذت المبادرة الاميركية المذكورة شكل اقتراح يدعو مصر والاردن واسرائيل لان يعلموا يارينغ بأنهم يقبلون قرار مجلس الامن وبأنهم على استعداد لتنفيذه بهدف الوصول الى اتفاق من خلال الوسيط الدولي حول الاعتراف المتبادل بالسيادة والسلامة الاقليمية ، وبالاستقلال السياسي ، وبالانسحاب الاسرائيلي من « أراض » احتلت في حرب عام ١٩٦٧ . وقد أبلغ يارينغ يو ثانت بأن الاطراف المعنية قد وافقت على هذه النقاط .

وبالرغم عن التقارب الذي حصل في وجهات النظر بين اسرائيل وج‌ع‌م كما اشار الى ذلك تقرير يو ثانت ما زالت هناك عقدة اساسية امام سير المحادثات ، وهي انطلاق الموقف العربي الرسمي على الصعيد الدولي من الاصرار على الانسحاب الاسرائيلي وفقا لخطة روجرز (تعديلات طفيفة على الحدود فقط) واعتبار تعهدات الدول الكبرى ومجلس الامن والقوات الدولية ضمانات كافية لحفظ الحدود العربية — الاسرائيلية الجديدة وتحويلها

الى حدود آمنة ودائمة بحيث يرفرف السلام على الشرق الاوسط تحت وصاية الدول الاربع الكبرى. من هنا يأتي تحفظ الرد المصري على أسئلة يارينغ وتردده ، في هذه المرحلة ، بالنسبة لمسألة عقد معاهدة سلام مع اسرائيل والاستعاضة عن ذلك بايداع الوثائق التي تحوي بنود اتفاقية السلام وشروطها لدى مجلس الامن وطلب مصادقته عليها لتصبح نافذة . من ناحية ثانية ينطلق الموقف الاسرائيلي من رفض الانسحاب وفقا لخطة روجرز واعتبار ضمانات الدول الكبرى ومجلس الامن غير كافية ، ولا يمكن لها ان تحل محل معاهدة سلام صريحة مع اسرائيل . لذلك تصر اسرائيل في اجوبتها على ضرورة عقد اتفاقيات سلام مباشرة مع الدول العربية . وسنرى فيما بعد كيف تم حل هذه العقدة الى حد كبير عن طريق تنازل الطرف العربي عن موقفه باتجاه القبول بعقد معاهدة صلح بين جعم واسرائيل . ولا بد من الاشارة هنا الى ان كافة الاطراف المعنية، كما يتضح من تقرير يو ثانت، متفقة دوليا على اعتبار قضية الشعب الفلسطيني ليس اكثر من قضية جماعة من اللاجئين يجب ايجاد حل لمشكلتهم اما عن طريق التعويض او التوطين او اي اسلوب آخر قد يتفق عليه دوليا ومحليا . كان التطور الدولي الثاني الهام الذي رافق انطلاق محادثات يارينغ من جديد زيارة الوسيط الدولي لاسرائيل تلبية للدعوة التي وجهها اليه ابا ايبان حيث قابل غولدا مائير . قدمت اسرائيل بعض المطالب الجانبية التعجيزية الى يارينغ مثل نقل مقر المحادثات من نيويورك الى جنيف او نيقوسيا وعقد المحادثات على مستوى وزراء الخارجية في حين انه معروف ان كلا من مصر والاردن تعارض هذه المطالب الاسرائيلية . كذلك اعلنت اسرائيل مطلبا آخر هو أن يكون وقف اطلاق النار لفترة غير محددة خلال المحادثات . ومع انتهاء زيارة يارينغ صرح بأن محادثاته في اسرائيل كانت مفيدة وتناولت المسائل الجوهرية . كما حمل معه اقتراحات اسرائيلية جديدة للتسوية السلمية ليعرضها على مصر والاردن . وتردد في اوساط الامم المتحدة ان رئيسة وزراء اسرائيل ابلغت يارينغ عن استعداد بلادها لمناقشة قضية النزاع في مجملها بما في ذلك مسألة رسم الحدود وانشاء مناطق مجردة من السلاح وتبادل الاسرى ومشكلة « اللاجئين » . كما تردد ان الهدف من زيارة يارينغ هو تخطي العقدة التي وقفت عندها المحادثات وتعثرت ، عن طريق استيضاح اسرائيل حول الحدود التي تعتبر انها مستعدة للانسحاب الى ورائها . كذلك يريد يارينغ معرفة راي اسرائيل بقضية الضمانات الدولية للتسوية السلمية في الشرق الاوسط باعتبار ان اسرائيل غير متحمسة اصلا لفكرة القوات الدولية او قوات الدول الاربع الكبرى . وتردد ايضا ان اسرائيل اعطت يارينغ لائحة بالاسئلة التي تريد طرحها على مصر حول نوعية السلام الذي تريده القاهرة . هل سيتم التوقيع عليه ، أم يكون سلاما تعاقديا ؟ هل سيؤمن حلا نهائيا ودائما لمشكلة اللاجئين ؟ هل سيسكت نهائيا العمل الفدائي أم لا ؟ ما هي نوعية العلاقات الاقتصادية والثقافية بين اسرائيل والعرب التي ستحملها التسوية السلمية معها ؟ الخ كما اقترحت اسرائيل، لاسباب تكتيكية ، وضع مشكلة اللاجئين على رأس جدول أعمال محادثات يارينغ .

اما المشروع الاسرائيلي الذي حمله يارينغ لعرضه على الدول العربية المعنية (بما فيها لبنان) فقد تضمن ١٤ نقطة اساسية قالت اسرائيل انه ينبغي التفاهم حولها والاتفاق عليها لتحقيق التسوية السلمية . وتشكل هذه النقاط في مجموعها تلخيصا للقضايا الرئيسية التي جرت حولها المفاوضات والمساومات والتنازلات بين الطرفين . وفيما يلي النقاط التي تضمنها المشروع الاسرائيلي : ١) قرار معلن وواضح باعتبار النزاع منتهيا نهائيا . ٢) يحترم كل طرف في عبارات واضحة سيادة الطرف الاخر وكيانه الاقليمي واستقلاله السياسي. ٣) اقامة حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها . ٤) اتخاذ ترتيبات اضافية لضمان الامن . ٥) سحب القوات العسكرية من الاراضي الواقعة خلف المواقع المتفق عليها في معاهدة السلام . ٦) انهاء حالة الحرب والقتال . ٧) مسؤولية كل طرف في التأكد من أن أي فرد او أية مجموعة او منظمة لن يرتكب عملا حربيا او عنفا انطلاقا من ارضه او في ارضه ، ضد سكان الطرف الاخر او مواطنيه او أملاكه . ٨) انهاء الحرب الاقتصادية في كل مظاهرها ، بما في ذلك المقاطعة . ٩) بنود توضح الالتزامات التي يقبل بها الطرفان لتسوية قضية اللاجئين . ١٠) اتفاقات تتعلق بالاماكن ذات المدلول الديني والتاريخي . ١١) اتفاقات تتعلق بالتسهيلات المتعلقة بالموانىء وحرية العبور . ١٢) عدم

الاشتراك في احلاف معادية ومنع كل طرف من ان يسمح لقوات دولة ثالثة ، بينها وبين الطرف الاخر حالة عداء ، من المرابطة في اراضيه . ١٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية العادية . ١٤) السلام يجب ان يعبر عنه في معاهدة تربط الطرفين وفقا للتشريع العادي والعرف .

اما رد مصر على هذا المشروع الاسرائيلي الذي تسلمه يارينغ فقد شدد علـى ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واعطاء الدول الاربع الكبرى دورا فعالا من اجل المحافظة على السلام ، كما شدد على مسألة حل قضية « اللاجئين » حلا عادلا اساسه قرارات الامم المتحـدة ، بالاضافة الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة .

وأوضح الرد ان مصر مستعدة لاعلان انهاء حالة العداء مع اسرائيل بمقابل ان تصدر اسرائيل بيانا تؤكد فيه تخليها عن سياستها التوسعية واكتفاءها بحدود ما قبـل حزيران ١٩٦٧ . كما أوضح ان القوات الدولية التي تريدها مصر لن تكتفي بالمراقبة فقط بل ينبغي ان تكون قادرة على التدخل لمنع اي هجوم محتمل . وقد علق ابا ايبان على رد ج‌ع‌م قائلا بأنه « يترك البـاب مفتوحا أمام استمرار المناقشات » واوضحت اوساط اسرائيلية مطلعة بأن رد القاهـرة يسمح بالتفاؤل بالنسبة الـى استمرار محادثات السلام . وسنجد ان عددا من النقاط الرئيسيـة الواردة في المشروع الاسرائيلي والرد المصري عليها سوف يكون محور المناقشات المستقبلة في موضوع التسوية وسيتكرر ذكرها اكثر من مرة في المساعي الدبلوماسيةالعربية والاسرائيلية على الصعيد الدولي .

اما التطور الدولـي الثالث الذي رافق انطلاق محادثات يارينغ من جديـد فتمثل في المساعـي الدبلوماسية الاضافية التى بذلتها ج‌ع‌م على الصعيد الدولي (والاوروبي خاصة) لتوضيح موقعها في قضية التسوية السلمية . وتمثلت هـذه الجهود بالجولة التي قام بها وزير خارجية ج‌ع‌م في العواصم الاوروبية الرئيسية (لندن ، باريس وروما) لهذا الغرض . ان الدافع الكامن خلف زيارة العواصم الاوروبية هـو ادراك الدبلوماسيـة المصرية ان المصالح النفطية الاوروبية تحديدا والغربية عامة يهمها أن يتم فتح قناة السويس في أقرب فترة ممكنة باعتبار ان ثلاثة ارباع السفن التي كانت تستخدم القناة قبل عام ١٩٦٧ هي من ناقلات البترول .

كما أن ٩٢٪ من البترول الذي يعبر القنال كان يذهب الى اوروبا . ومع ان ناقلات النفط الضخمة جنبت أوروبا أزمة نفطية كبيرة غير ان لهذه الناقلات سلبياتها ايضا على المدى البعيد بالنسبة للاسواق الاوروبية خاصة ، كما ان معظم المرافىء البحرية غير مجهزة لاستقبال مثل هذه الناقلات والاعتناء بسلامتها وصيانتها كما ينبغـي . ان تراكم هذه المصاعب قد جعل ثمن البترول الخام في القارة الاوروبية لاول مرة في التاريخ اعلى من ثمنـه في بريطانيا . كما ان اسعـار ناقلات النفط ارتفعت بمقدار ٥٠٪ — ١٠٠٪ في السنة الاخيرة لاسباب متعددة منها سياسة ليبيا في تحديد انتاج النفط — لذلك سيساعد فتح قنال السويس كثيرا في حل المشكلات النفطيـة الاوروبيـة . لذلك تعمـدت الدبلوماسية المصرية استغلال هذه الظروف المواتية لتكتيل الدول الاوروبية المعنية بغرض الضغط على اسرائيل وامريكا لتخفيف حدة المواقف الاسرائيلية وتصلبها في البحث عن التسوية السلمية . كذلك كان من مهمة رياض على ما يبدو ، الضغط على الحكومة البريطانية كـي تشارك مع المجموعـة الاوروبية المهتمة بتمويل مشروع خط انابيب البترول الممتد من خليج السويس الى الاسكندرية ، هذا بالاضافة الى تحسين العلاقات مع بريطانيا بصورة عامة .

وقد وصف وزير الخارجية نتائج محادثاته في لندن في مؤتمر صحافي بقوله انها كانت « مثمرة وبناءة ومرضية » . اما بالنسبة لمحادثاته في باريس فقد علقت عليها مصادر دبلوماسية فرنسية بقولها « ان المحادثات مع رياض قد مكنتنا من تفهم مدى جدية مصر وعزمها في بذل جهودها للوصول الى تسوية عادلة ومشرفة ودائمة » . كما أعلن السيد رياض موافقته على ما كان قد صرح به الرئيس الفرنسي بومبيدو في حـديث سابق له حول عقـد معاهدة سلام بين الدول العربية المعنية واسرائيل والى الحاجة للاعتراف بدولة اسرائيل مـن قبل الدول العربية المجاورة لها واقامة علاقات طبيعية معها . وربما كانت هذه اول اشارة رسمية الى الموافقة اللاحقة التي أوردتها مصر في مذكرتها الى يارينغ بقبول عقد معاهدة صلح مع اسرائيل مباشرة . وفي مقابلة مع صحيفة « لوموند » الفرنسية اوضح رياض بأن دور القوات الدولية في التسوية السلمية سيكون مختلفا عن دورها السابق بالرغم عن كون

هذه القوات تعمل تحت علم هيئة الامم المتحدة . وأوضح وزير الخارجية انه لن يكون بمقدور اي من الدولتين المتخاصمتين اتخاذ القرارات حول بقاء القوة الدولية او عدم بقائها ، لانه على مجلس الامن ان يقوم باتخاذ قرار كل ٣ او ٤ سنوات حول ما اذا كان من الضروري التجديد للقوات الدولية او عدم التجديد لها .

ويبدو ان الموقف الذي طرحه وزير الخارجية المصري في زيارته امام الرأي العام الدولي عامة والرأي العام الاوروبي بالتحديد يتلخص بالنقاط التالية : ١) شدد رياض على انه لا يتكلم باسم بقية الدول العربية لانه على الدول العربية الاخرى ان تعلن مواقفها بنفسها . ٢) على اسرائيل ان تعود الى حدودها كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ . ٣) لا بد من اقامة مناطق مجردة من السلاح على طول الحدود مع اسرائيل مع الاعتراف بأن هذه المناطق ستكون اوسع مساحة على الجانب العربي مما هي على الجانب الاسرائيلي . ٤) ينبغي على قوات الدول الاربع الكبرى او اية قوات دولية تدخل المنطقة الا تكون مهماتها مجرد المراقبة بل ان تكون قوات مقاتلة وقادرة على رد العدوان . ٥) ينبغي اعطاء غزة حق تقرير مصيرها وفقا لرغبات شعبها . ٦) ينبغي وضع تحديد للتسلح في المنطقة بالنسبة لاسرائيل ومصر . ٧) توافق مصر على توقيع بيان يحد من حريتها في تطبيق البند العاشر من اتفاقية القسطنطينية التي يخولها حق تحديد طبيعة السفن التي تمر في قناة السويس في حالة الحرب وهو البند الذي كانت تعمل مصر على اساسه في منع الملاحة الاسرائيلية في القناة . ٨) ان الشكل الذي تأخذه وثيقة السلام التي ستوقعها مصر ليس مهما طالما انها تشمل بندا بالانسحاب الاسرائيلي . وستكون هذه الوثيقة بمثابة اقامة علاقات De jure بين البلدين بما ان مصر اعترفت De facto بوجود اسرائيل عند توقيع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ . ٩) الجيش المصري سيؤيد الحرب او السلام ولكن لن يؤيد الجمود .

وبهذه المناسبة لا بد من الاشارة الى الموقف الاوروبي الغربي الذي حدده الرئيس بومبيدو من النزاع في الشرق حيث قال ان فرنسا تضع على صعيد واحد حق دولة اسرائيل في الوجود داخل حدود آمنة ومعترف بها ، وواجب اسرائيل في الانسحاب من كل الاراضي المحتلة . اما بالنسبة الى قضية الشعب الفلسطيني فقد قال انها ستحل — ويجب ان تحل عن طريق الاستفتاء الحر للسكان عندما يحين الوقت ، وهذا ما يمكن ان يحدث حين يحل السلام وهذا على الاقل ما قاله الملك حسين بنفسه . (انتهى كلام بومبيدو) .

قبل الانتهاء من هذه المرحلة في عرض التفاعلات الدولية للقضية الفلسطينية لا بد من الاشارة الى حدثين اضافيين : اولا ، زيارة الوفد السوفياتي الرفيع الى مصر بمناسبة الاحتفال بانتهاء العمل في السد العالي في اسوان برئاسة بدغورني . وقد بحث الوفد ، وفقا لما تسرب من الانباء ، القضايا المعهودة بين البلدين مثل استمرار الصداقة العربية السوفياتية وتنميتها ، كما تمت مباحثات حول قضية وقف اطلاق النار وتمديده . وأصر البيان المشترك الذي صدر عن الزيارة على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن لتحقيق التسوية السلمية في المنطقة . ثانيا ، الاجتماع الذي عقدته الدول الاربع الكبرى في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٧١ حيث تقدمت الولايات المتحدة بمقترحات معينة وافقت عليها الدول الاخرى كأساس لتسوية النزاع في الشرق الاوسط. وتتلخص المقترحات الامريكية بما يلي : ١) ينبغي ضمان حق اسرائيل كدولة ذات سيادة ومعترف بها بما في ذلك حقها في الملاحة في قناة السويس ومضائق تيران . ٢) على اسرائيل ان تنسحب من سيناء . ٣) يبقى الوضع النهائي لشرم الشيخ خاضعا للمفاوضات بين الحكومة الاسرائيلية والحكومات العربية . ٤) ينبغي تحييد هضبة الجولان بوضعها تحت الاشراف الدولي . (ولم يوافق الاتحاد السوفياتي على الاقتراح الاخير كما انه لم يعارضه) .

وتداولت بعض الاوساط الدولية اقتراحات حول تركيب القوات الدولية التي سترسل الى الشرق الاوسط . وقد برز الاقتراح القائل بأن تتألف هذه القوة من قوات الدول الاربع الكبرى وذلك بمقابل اقتراح آخر يدعو الى ان يكون وجود القوات الامريكية والسوفياتية وجودا رمزيا في تشكيل القوة الدولية ، وستتألف القوة عندئذ من قوات فرنسية وبريطانية بصورة رئيسية . وقد عارض يو ثانت الاقتراح الاول حيث اعلن ان اشتراك القوات الامريكية والسوفياتية في القوة الدولية لحفظ السلام في الشرق الاوسط سوف يخلق مشاكل ومتاعب الكل بغنى عنها واقترح ان تتألف القوة من قوات فرنسية

وبريطانية فقط .
ولا بد من ان نذكر هنا ان المقترحات والتصريحات (بما فيها تصريحات وزير الخارجية محمود رياض المذكورة) والوثائق التي اشرنا اليهـا تدل كلها باتجاه تحول مساعي التسوية السلمية ومحادثات يارينغ الى منحى ثنائي في الاساس يشمـل مصر واسرائيل بصورة رئيسية بدلا من الموقف السابق الذي كـان يصر على قضية رفع الاحتلال عـن الاراضي العربية المحتلة كلها ورفض اية تفرقة بين منطقة وأخرى وسنرى ان الاتجاه الثنائي سيتعزز ويبرز بوضوح أكبر مع تقدم المحادثات وتطورها في المستقبل .
مع اقتراب موعد انتهاء مدة وقف اطلاق النار في ١٩٧١/٢/٥ ، جرت تعبئة دوليـة شاملة لصالح تجديده باسم السلام واستمرار محادثات يارينغ وانجاحها . ففي حوالي ٧١/١/٢٠ كشف النقاب عن تبادل رسائل بين محمود رياض ووليم روجرز حول موضوع وقف اطلاق النـار ومهمة يارينغ . وكان روجرز هو البادىء بالمراسلة حيث أوضح ان بلاده ترى ان استمرار وقف اطلاق النار بعد الموعد المحدد سيساعد على استمرار مهمة يارينغ ، وان « الدبلوماسية الهادئة » افضل من دعوة مجلس الامـن الى الاجتماع ومناقشة مدى التقدم الذي احرزه الوسيط الدولي باتجاه تنفيذ قرار مجلس الامن . وكان رد رياض هو ان مصر لا تجد مبررا لما تقوله امريكا حول حدوث تقدم ايجابي على صعيد محادثات يارينغ والاقتراب من التسوية السلمية .
وفي أواخر يناير ١٩٧١ تسلم محمود رياض رسالة اخرى من وليم روجرز يتمنى فيها على الحكومة المصرية الموافقة على تمديد وقف اطلاق النار . وأوضحت المصادر المطلعة ان رسالة روجرز اشارت الى ان مهمة الوسيط الدولي قد بدأت بالفعل الان وانها تحتاج الى وقت طويل والى مساعدة من كل الاطراف للوصول بها الى نتائج ناجحة . لذلك دعت الولايات المتحدة مصر كـي تحافظ على وقف اطلاق النار وتعمل بموجبه بعد ٥ شباط . وبالرغم من ان الموقف الامريكي لم يتغير (ظاهريا على أقل تعديل) ولم يكف عن عرقلة محادثات الدول الاربع الكبرى ، واستمر في دعـم اسرائيل على كافـة الجبهات ، وبالرغم من ان مصر لم تشارك روجرز تفاؤله بالنسبة لاي تقدم ملموس احرزته محادثات يارينغ حتى ذلك التاريخ فقد تم تمديد فترة وقف اطلاق النار لمدة ٣٠ يوما تنتهي في ١٩٧١/٣/٧ .
وقد اعلن ذلك الرئيس انور السادات في خطاب له أمام مجلس الامة حيث اشترط على السكرتير العام للامم المتحدة وعلى المجتمع الدولي كله ان يتم في هذه الفترة انجاز تقدم حقيقي في صلب مشكلة الشرق الاوسط وليس في مجرد مظاهرها الخارجية.
ثم اعلن الرئيس السادات مبادرة مصرية جديدة تضاف الى الجهود الرامية الـى حل النزاع في المنطقة تعتبر مصر العمل بمقتضاها مقياسا حقيقيا للرغبة في تنفيذ قرار مجلس الامن . طالب السادات ان يتحقق في الفترة التي تمتنع فيها مصر عن اطلاق النار انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية علـى الشاطىء الشرقي لقنـاة السويس وذلك كمرحلة أولى على طريق جدول زمني يتم وضعه بعد ذلك لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الامن . وفي حال تحقق هذه المطالب اعلن السادات عن استعداده للبدء فورا في مباشرة تطهير مجرى قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمي .
ويمكن تلخيص ردود الفعل العالميـة على مبادرة الرئيس السادات وخطابه بما يلي :
أولا ، في اوساط الامم المتحدة والاوساط الاوربية : لقي تمديد وقف اطلاق النار ترحيبا بسبب اقترانه بمبادرة اعتبرت ايجابيـة في تلك الاوساط . كما لاحظت بعض هذه الاوساط ان الهدف من تكتيك اقتراح السادات حول فتح قناة السويس هو تكتيل تأييد اوروبي سوفيـاتي لصالح الموقف المصـري لممارسة ضغط على اسرائيل والولايات المتحدة في سبيل اخذ مواقف اكثر ليونة من مسألة تطبيـق قرار مجلس الامن والانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . اي فرض التسوية في الشرق الاوسط من قبل الدول الكبرى ومجلس الامن بدلا من تركهـا لاتفاق الدول المحلية المتصارعة كما تريد اسرائيل.
كما وجدت هذه الاوساط في عدم ربط الرئيس السادات بين حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وفتح قناة السويس للملاحة الدولية (كما جرت العادة في السابق) بما في ذلك اسرائيـل تنازلا جديدا يعزز احتمالات السلام واحتمالات نجـاح مهمة يارينغ في تحقيق التسوية السلمية في الشرق الاوسـط .
ثانيا ، في اسرائيل : ١) التعبير عـن استعداد اسرائيل لان تبحث مع مصر في مسألة اعادة فتح قناة السويس أمام كل السفن وذلك بصورة منفصلة

عن أي اتفاق سلام شامل بينهما . ٢) رفضت اسرائيل ربط اعادة فتح القناة بانسحاب جزئـي لقواتها من الضفة الشرقية للقناة . ٣) ذكر الرد الاسرائيلي ان الرئيس السادات لم يتعهد بقبول الفقرة الاساسية في قرار مجلس الامن الداعية الى عقد اتفاق سلام بين الاطراف مرتكز على وجـود حدود آمنة ومعترف بها وذلك مقابل الانسحـاب الاسرائيلي الجزئي . واعترفت اسرائيل بـأن التنازل الوحيد الذي قدمه السادات هو فتـح الطريق أمام الملاحة الدولية مع انه لم يذكر تحديدا اذا كان ذلك يشمل الملاحة الاسرائيلية أم لا . ٤) دعت اسرائيل الى تخفيف كثافة القوات على طرفي القناة بصورة متبادلة وأعلنت استعدادها للبحث بايجابية في كل المقترحات الرامية الـى اعادة الحياة المدنية في منطقة القنال ومدنها الى حالتها الطبيعية . ٥) اعربت اسرائيل عن قلقها البالغ ازاء استعداد الولايات المتحدة للبحث في مسألة الضمانات الدولية في اجتماعات الـدول الاربع الكبرى واوضحت ان أي تدخل مـن قبـل الدول الكبرى في النزاع سينسف مهمة يارينغ . كما أكدت اسرائيل من جديد رفضها لامكان حلول الدول الاربع محل سلام حقيقي وحدود آمنة يمكن الدفاع عنها . كذلك اوضح ابا ايبـان ان رد اسرائيل على المبادرة المصرية ليس رفضا شاملا لها ، كما أوضح ان اسرائيل مستعدة للبحث في مسألة اعادة فتح القناة بشرطين هما ان تمر السفن الاسرائيلية بالقناة حين تفتح للملاحـة الدولية ، والا يحدث اي تغيير في خط وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل قبل عقد اتفاق سـلام شامل . وأشار الى ان اعادة فتح القناة ستعني خفض القوات من الجانبين واعادة الحياة المدنية الى مدن القناة .

ثالثا ، في الولايات المتحدة : بعد فترة قصـيرة من الصمت حددت الولايات المتحدة موقفها مـن خطاب السادات ورد اسرائيل عليه وذلك فـي مؤتمر صحفي عقده وزير الخارجية وليم روجرز حيث وصف اقتراح السادات « بالجدية » وحث على ضرورة اخذه بعين الاعتبار . كما قال روجرز ان رد غولدا مائير كان « مشجعا » واعرب عـن أمله في أن تستمر المحادثات حول امكان اعـادة فتح قناة السويس ، كما أكد ان كل ما يقـرب الطرفين يستحق ان يؤخذ جديا بعين الاعتبار وان أي اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس يجب أن يكون جزءا من حل شامل للنزاع على شكل اتفاق تعاقدي بين الدول العربية المعنية واسرائيل . وواضح من كلام روجرز انه بالرغم مـن تقديره وترحيبه بالبادرة المصرية كخطوة تكتيكيه مفيدة في سياق محادثات يارينغ واستمرارها الا أنه ليس مقتنعا بامكانية فتح القناة قبل الوصول الى تسوية سلمية شاملة للنزاع في المنطقة . بعـد هذه التطورات يبدو أن الولايات المتحدة طلبت مـن تل أبيب ان تعلن عن الحدود التي تريدها ضمـن اطار التسوية السلمية ، خاصة بعد الخطوات المصرية « الايجابية » الاخيرة على هذه الطريق . وبالفعل بدأت لجان من الخبراء الاسرائيليين فـي العمل على رسم خريطة الحدود كمـا تريدهـا اسرائيل .

وبعد اصرار اسرائيل على ضرورة اعلان مصر عن موافقتها وعزمها على عقد اتفاقية سلام مـع اسرائيل مرتكزة الى حدود آمنة ومعترف بها فقد اتخذ الرئيس السادات عدة خطوات في هـذا الاتجـاه كان لهـا صدى دولـي هـام . فقد أشار السادات في اكثر من موضع الى استعداد مصر لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل اذا هـي انسحبت من الاراضي العربية المحتلـة . نشرت مجلة « نيوزويك » الامريكية مقابلة مع الـرئيس السادات كان لها صدى دولي واسع (٢٠/٢/١٩٧١) لانه أشار فيها الى استعداد مصر لتوقيع اتفاق سلام تعاقدي مع اسرائيل يضمن استقلالها وسلامتها داخل حدود آمنة ومعترف بها . كما أكد السادات على تصميم مصر الاعتراف بحـق اسرائيل في المرور في قناة السويس ومضائق تيران، وقال بأن مصر ستقبل بوضع شرم الشيخ تحت سيطرة قوة دولية واقامة مناطق مجردة من السلاح على الحدود . وكان الرئيس السادات قد حدد نفس الموقف تقريبا امام الرأي العام العالمي من خلال مقابلة تلفيزيونية تم بثها على شبكة شركة سي. بي. أس. الامركية ولكنه أكد كذلك ان مصر غير مستعدة للتنازل عن أية ارض عربية .

وفي الفترة نفسها كان الرئيس تيتو قد قام بزيارة لمصر استمرت ٧ أيام بغية اطلاع الرئيس السادات على مواقف زعماء الدول الاربع الكبرى من مسألة مشاركة دولهم في ضمان التسوية السلمية لازمـة الشرق الاوسط . وقد أبلغ الرئيس تيتو القيـادة

المصرية مضمون الرسائل التي تلقاها ردا على رسائله الشخصية التي كان قد بعثها الى زعماء الدول الاربع الكبرى . وتبين ان تيتو اكد لهؤلاء الزعماء مسؤولية دولهم بالنسبة لتنفيذ قرار مجلس الامن وايجاد حل سلمي سريع للازمة . كما دعا الرئيس تيتو في رسائله كلا من الرئيس نيكسون ورئيس الوزراء البريطاني هيث الى ممارسة نفوذهما لحمل اسرائيل على تخفيف تصلبها في بعض مطالبها المتعلقة بالتسوية السلمية . وقد وصف مصدر مصري مطلع مهمة تيتو بأنها عملية تنسيق للمواقف تمهيدا للخروج بموقف موحد قبل انتهاء فترة وقف اطلاق النار في ٧ اذار . وقد كان من المقرر أن يبعث الرئيس تيتو برسالة جديدة الى نيكسون لدى انتهاء زيارته للقاهرة . وقد بحث مع السادات مضمون هذه الرسالة التي تشدد بصورة خاصة على مسؤولية الدول الاربع الكبرى في تطبيق قرار مجلس الامن ، كما كان مقررا ان يقوم الرئيس تيتو بتحرك سياسي واسع يأخذ شكل اتصالات مباشرة مع الدول الكبرى لتحقيق الاهداف نفسها. وبعد وصوله الى بلغراد أدلى تيتو بتصريح أكد على صعيد المعنى الجديد للسياسة المصرية نحو اسرائيل بقوله « ان القادة المصريين لا ينكرون على اسرائيل الحق في الوجود . انهم مستعدون لتسوية مسألة العلاقات مع اسرائيل بحيث تستطيع كل الدول في تلك المنطقة ان تكون حرة وأن يضمن وجودها وتطورها . » كما لاحظ المراقبون ان البلاغ المصري — اليوغوسلافي المشترك لم يتحدث عن تحرير الاراضي او ازالة آثار العدوان . واستبدلت هاتان العبارتان بالعبارة الاتية « ان يوغوسلافيا سوف تستمر في تقديم تأييدها المطلق لجهود الجمهورية العربية المتحدة لاستعادة سيادتها على الاراضي التي انتزعت بالقوة وانها ستبذل أقصى جهدها للمشاركة في السعي الى ايجاد حل سلمي لازمة الشرق الاوسط . » وتجنب البيان ذكر وقف اطلاق النار وموعد انتهائه او كل اشارة لمطلب الانسحاب الاسرائيلي الفوري وغير المشروط .

مع اتضاح الاتجاه الذي تستعد الجمهورية العربية المتحدة للسير عليه في علاقتها مع اسرائيل أمام الرأي العام السياسي الدولي تحرك يارينغ بسرعة وتدم مجهودا جديدا هدفه تخطي العقدة التي توقفت عندها المحادثات العربية — الاسرائيلية وحلها . تقدم الوسيط الدولي بمذكرتين مهمتين الى كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ، وكانت هذه أول مرة يأخذ فيها يارينغ جانب المبادرة المباشرة منذ أن بدأ العمل في مهمته . وكان الهدف من فعله هذا الحصول على التزامات من كل من الطرفين المتفاوضين تحت اشرافه التي يبدو أنها ضرورية كمقدمات للوصول الى تسوية سلمية في المستقبل . كما عبر يارينغ عن أمله في أن تصبح الالتزامات التي تربط كلا من مصر واسرائيل نفسها بها اساسا لبنود اتفاقية السلام المطلوبة دوليا وعربيا على الصعيد الرسمي . وحظيت تحركات يارينغ الاخيرة بالتأييد الامريكي كما يظهر من الحادثة التالية : وجهت اسرائيل النقد الى مبادرة يارينغ على لسان الون الذي قال ان التقدم بالمقترحات وأخذ زمام المبادرة في المفاوضات ليس جزءا من مهمة يارينغ. أي اتهم آلون يارينغ بتخطي صلاحياته . غير ان مساعد وزير الخارجية الامريكية جوزيف سيسكو رد على النقد الاسرائيلي مباشرة بقوله أن الدكتور يارينغ حر في الاقدام على أية بادرة يراها مناسبة وانه لم يتجاوز مهمته خلافا لما تقوله اسرائيل . وذكر سيسكو ايضا ان تحرك يارينغ الاخير قد أدخل مهمته في صلب النزاع العربي الاسرائيلي ، كما أشار الى أن عددا من الفلسطينيين اخذوا الان يتفهمون موضوع التسوية السياسية التي ترتكز على فكرة التعايش مع اسرائيل . وقد ردت كل من اسرائيل ومصر على مذكرة يارينغ التي طلبت من الحكومة الاسرائيلية الالتزام بسحب قواتها من أراض محتلة تابعة للجمهورية العربية المتحدة وذلك الى خط الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني على ان يرافق الانسحاب الاجراءات التالية : أ) اقامة مناطق مجردة من السلاح . ب) ترتيبات امن عملية في منطقة شرم الشيخ تضمن حرية الملاحة في مضائق تيران . ج) حرية الملاحة (الاسرائيلية) في قناة السويس .

ومن ناحية اخرى طلبت مذكرة يارينغ من حكومة الجمهورية العربية المتحدة الالتزام والتعهد بالدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل على أن تبين الجمهورية لاسرائيل بكل وضوح اعترافها وقبولها بالامور التالية : أ) انهاء كل ادعاء حول حالات العداء بين الطرفين . ب) الاعتراف باستقلال كل فريق واحترامه . ج) الاعتراف بحق كل فريق في الحياة

بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها واحترام هذا الحق . د) قبول كل فريق مسؤولية القيام بكل ما في وسعه لضمان عدم انطلاق أية اعمال عدوانية من اراضيه ضد دولة الفريق الاخر وشعبهــا وممتلكاتها . هـ) التعهد من قبل الفريقين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للفريق الاخر .

وقد وافقت مصر ، في مذكرة جوابية موجهة الــى يارينغ ، بدون تحفظ او شروط على كافة المطالب التي تقدم بها يارينغ والتزمت بها رسميــا . وبالاضافة الى ذلك تعهدت المذكرة المصرية بتنفيذ الامور التالية : ١) ضمان حرية الملاحة فــي قناة السويس وفقا لميثاق القسطنطينية الصادر في عام ١٨٨٨ . ٢) ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولي . ٣) القبول بوضع قوة سلام دولية في شرم الشيخ .

كما نصت المذكرة الجوابية المصرية على انه بغية ضمان التسوية السلمية والسيادة الاقليمية لكل دول المنطقة فان الجمهورية العربية المتحدة تقبل بما يلي : أ) اقامة مناطق مجردة من السلاح على طرفي الحدود . ب) انشاء قوة سلام تابعة للامم المتحدة تسهم فيها الدول الدائمة العضويــة في مجلس الامن .

وطالبت المذكرة اسرائيل بالمقابل الالتزام بسحب قواتها المسلحة من سيناء وقطاع غزة وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة . وبما أن المذكرة الجوابية الاسرائيلية التي قدمها ممثل اسرائيل في هيئة الامم المتحدة الى يارينغ لم تنشر في اللغة العربية بعد يجد القارىء فيما يلي ترجمة لنصها :

عطفا على اجتماعاتنا التي تمت في ٨ و١٧ شباط لدي تعليمات باعلامكم واعلام ج ع م بواسطتكم بما يلي : ترحب اسرائيل بما عبرت عنه ج ع م حول استعدادها للدخول في اتفاق ســلام مــع اسرائيل . وتكرر أنها مستعدة لاجراء مفاوضات جدية حول كافة المواضيع المتعلقة بالتسوية السلمية بين البلدين . ان حكومة اسرائيل ترغب في التأكيد بأن اتفاقية السلام بين اسرائيل وج ع م يجب ان تشمل ، فيما تشمله ، الاجراءات المحددة ادناه :

أ) تقدم اسرائيل تعهدات تشمل الامور التالية :

١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين اسرائيل وج ع م منتهيا تماما وانهاء كل ادعاءات الحرب وحالاتها ، وكل الاعمال العدوانية بين اسرائيــل وج ع م . ٢) احترام سيادة ج ع م وحصانــة أراضيها واستقلالها السياسي والاعتراف بكل ذلك. ٣) احترام حق ج ع م في العيش بسلام داخــل حدود آمنة ومعترف بها والاعتراف بذلــك . ٤) انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من على خط وقف اطلاق النار بين اسرائيل وج ع م الــى الحدود الامنة والمعترف بها التي ستقام في اتفاق السلام . ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ . ٥) فيما يتعلق بمسألــة اللاجئين ودعاوى الطرفين بالنسبة لهذا الامر فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنيــة مباشرة حول : أ) دفع تعويضات مقابل الاراضي والممتلكات المهجورة . ب) المشاركة في وضع خطة لتأهيل اللاجئين في المنطقة . عندما يتم الاتفاق على واجبات الطرفين نحو قضية اللاجئين لن يكون اي طرف من الطرفين مرتبطا بأية التزامات تجــاه الطرف الاخر تتعارض مع سيادته . ٦) حمــل مسؤولية ضمان عدم قيام او انطلاق ايــة أعمال حربية او أعمال عنف من قبل اي تنظيم او جماعة او فرد في ارض اسرائيل ضد شعب ج ع م او قواتها المسلحة او ممتلكاتها . ٧) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لــ ج ع م . ٨) عدم اشتراك اسرائيل في أية احلاف معادية لــ ج ع م وحظر وجود أية قوات عسكرية لطرف ثالث فــي حالة عداء مع ج ع م . ب) تشمل تعهدات ج ع م في اتفاق السلام مع اسرائيل ما يلي : ١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين ج ع م واسرائيل منتهيا تماما وانهاء كل ادعاءات الحرب وحالاتها وكل الاعمال العدوانية بين ج ع م واسرائيل . ٢) احترام سيادة اسرائيل وحصانة اراضيهــــا واستقلالها السياسي والاعتراف بكل ذلك . ٣) احترام حق اسرائيل في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها تعينها اتفاقية السلام . ٤) حمل مسؤولية عدم قيام أو انطلاق اية اعمال حربية او أعمال عنف من قبل اي تنظيم او جماعة او فرد في أراضي ج ع م ضد شعب اسرائيل او قواتها المسلحة او ممتلكاتها . ٥) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاسرائيل . ٦) تعهد صريح بضمان حرية المرور للسفن والبضائع الاسرائيلية في قنــاة السويس . ٧) انهاء الحرب الاقتصادية في كل مظاهرها بما في ذلك المقاطعة ، وانهاء كل تدخل في علاقات اسرائيل الدولية الطبيعية . ٨) عدم

اشتراك ج ع م في أية احلاف معادية لاسرائيل وحظر وجود اية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع اسرائيل . وعلى كل من ج ع م واسرائيل الدخول في اتفاقية سلام يتم التعبير عنها بمعاهدة ملزمة وفقا للقوانين والسوابق الدولية العادية وتحوي المعاهدة التعهدات المذكورة اعلاه. (انتهى نص المذكرة) .

وقد لقي الموقف المصري الذي عبرت عنه المذكرة الجوابية ترحيبا كبيرا وواسعا في اوساط الرأي العام الدولي ولدى الدول الاربع الكبرى ، خاصة لانه يكون قد تم بذلك تجزئة جبهة اثار العدوان الى أراض مصرية محتلة من جهة هي موضوع المذكرات المتبادلة والترحيب الدولي الكبير ، وأراض عربية اخرى من جهة ثانية لم تتطرق اليها المذكرة المصرية ولم تذكرها بشيء باستثناء قطاع غزة الذي يبدو ان اسرائيل تريد الاحتفاظ به كورقة أساسية تستخدم في المفاوضات مع الاردن. واقتراح يارينغ بأن يتم الانسحاب الاسرائيلي الى خط الحدود الدولي بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني يعني ان غزة ستبقى ، على هذا الاساس ، تحت الاحتلال لفترة اطول من سيناء اي الى أن تتحقق التسوية مع الاردن .

ورحبت اسرائيل من طرفها بالموقف المصري «الجديد» كما تضمنته المذكرة الجوابية وجاء ذلك في اعلان للحكومة الاسرائيلية ذكرت فيه أنها تعتبر الموقف المصري الاخير ايجابيا ، وأنها مستعدة للتفاوض مع مصر حول كل المواضيع التي يمكن ان تؤدي الى تسوية سلمية ، ولكنها ترفض الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة . وشددت الحكومة الاسرائيلية على النقاط التالية : ١) قبولها برغبة مصر في عقد اتفاق سلام مع اسرائيل . ٢) الاختلافات الملموسة التي ما زالت قائمة بين وجهتي النظر المصرية والاسرائيلية حول قضيتي الحدود واللاجئين . ٣) استعداد اسرائيل للبحث في انسحاب القوات المسلحة الى حدود مضمونة وآمنة ومعترف بها من المفترض ان توضحها اتفاقات السلام ، كما كررت بهذا الصدد ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط الهدنة التي كانت قائمة قبل عام ١٩٦٧ . ٤) ضرورة استمرار محادثات يارينغ بهدف الوصول الى معاهدة سلام بين الدول المعنية .

من الضروري بهذا الصدد رصد التطورات الاخيرة التي طرأت على الموقف الامريكي حيال النزاع العربي الاسرائيلي وهي تطورات رافقت الخطوات التي خطتها الى الامام مساعي التسوية السلمية كما رأينا اعلاه . وردت معنا التصريحات الايجابية لوزير الخارجية الامريكية وليم روجرز في تعليقه على خطاب الرئيس انور السادات في ١٩٧١/٢/٥ حيث أعلن السادات تمديد فترة وقف اطلاق النار لمدة شهر اخر . وجاءت الاشارة الثانية الى الموقف الامريكي الجديد الذي أخذ يتبلور في التقرير الذي قدمه الرئيس نيكسون الى الكونغرس الامريكي في ١٩٧١/٢/٢٥ حيث اعلن أنه لا يمكن ان تكون هناك الا تعديلات طفيفة في الحدود العربية — الاسرائيلية بالنسبة الى ما كان عليه الوضع قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . وشدد نيكسون على اصرار حكومته على أن يكون اي اتفاق عربي اسرائيلي يعين الحدود النهائية بين الطرفين مرتبطا مباشرة باتفاق للسلام وبتسويات عملية يقبلها الطرفان بحيث تصبح هذه الحدود آمنة .

أي بمقابل التنازلات المصرية التي ورد ذكرها تراجع الرئيس نيكسون عن المبدأ الاسرائيلي القائل بخلق حدود يمكن لاسرائيل ان تدافع عنها وعاد من جديد الى خطة روجرز التي تفضلها الدول العربية المعنية ولا تستسيغها اسرائيل تماما بسبب ما جاء فيها حول مسألة « التعديلات الطفيفة فقط في الحدود .. » كذلك أشار نيكسون في تقريره اشارة سريعة الى « التطلعات المشروعة » للشعب الفلسطيني ، ولكنه كي لا يغضب اسرائيل اكثر مما يجب أعلن أنه يرفض فكرة فرض أية تسوية من الخارج على الدول المتنازعة في الشرق الاوسط ، كما أكد تصميمه على المحافظة على الميزان العسكري في المنطقة ، اي المحافظة على التفوق الاسرائيلي مهما كان الثمن . بالاضافة الى ذلك برزت ثلاث نقاط هامة في تقرير نيكسون لا بد من ذكرها : ١) كرر القول ان مشكلة الشرق الاوسط تشكل النزاع الاكثر خطرا في العالم اليوم من اي منطقة اخرى بسبب احتمال قيام مواجهة امريكية سوفياتية . ٢) ان التدخل السوري في الاردن في شهر أيلول ١٩٧٠ واثناء حملة النظام ضد حركة المقاومة الفلسطينية كان اخطر تهديد للسلام العالمي منذ أن تولى نيكسون منصب الرئاسة في امريكا . ٣) تعترف امريكا بوجود مصالح مهمة للاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ولكن لا يمكن لها أن

تسمح لاية دولة كبرى ان تحقق موقع الهيمنة في هذه المنطقة المتفجرة .

بعد ذلك توالت التصريحات الامريكية الرسمية بهدف ايضاح الموقف الامريكي الجديد من النزاع في الشرق الاوسط . فنشرت مجلة «نيرايست ريبورت» النيويوركية رسالة كتبها جوزيف سيسكو اوضح فيها موقف بلاده من مسألة الانسحاب الاسرائيلي وذلك بتحديد اكبر . ذكر سيسكو ان الولايات المتحدة لا تسعى الى حل للنزاع من نوع الحل الذي جرى تطبيقه عام ١٩٥٧ بعد العدوان الثلاثي على مصر (وهذا ما تسعى الحكومات العربية الى الحصول عليه بقدر الامكان ، اي العودة الى الستاتيكو السابق على حرب ١٩٦٧) لان سياسة الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٧ مبنية على عدم العودة الى الاوضاع الماضية وعلى التوصل هذه المرة الى تسوية تحل محل اتفاقات الهدنة السابقة وبحيث يتم الاعتراف بحدود اسرائيل وبسيادتها مع انهاء حالة العداء والحرب . واوضح سيسكو ايضا ان تفسير الولايات المتحدة لقضية انسحاب اسرائيل من اراض محتلة من العرب لم يكن قط يعني أن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ يفرض انسحابا اسرائيليا كليا في كل الحالات الى حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ . وأكد سيسكو ان قرار مجلس الامن لم يؤيد ولم يرفض كون حدود عام ١٩٦٧ هي الحدود النهائية الامنة والمعترف بها التي يدعو اليها القرار . واضاف قائلا أن التغييرات التي ستطرأ على الحدود كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ يجب الا تكون جوهرية « اذ ان السلام ، حسب رأينا ، لا يمكن تحقيقه على أساس تغييرات جوهرية في خريطة المنطقة كما كانت قبل الحرب .» وفي ١٩٧١/٣/١٦ أسهب وليم روجرز في مؤتمر صحفي له في شرح الموقف الامريكي من جديد والتأكيد على ما قاله سيسكو . وكانت اهم النقاط التي تطرق اليها روجرز كما يلي : أ) اعتبر ان الجو لم يكن يوما ملائما اكثر من الان لتسوية النزاع العربي – الاسرائيلي . ب) أكد على ضرورة استمرار المفاوضات الجارية بأشراف يارينغ . ج) شدد على قضية الضمانات الدولية التي يجب ان تعد لها الدول الكبرى في الوقت الذي يتفاوض الاطراف على تسوية النزاع . وأشار الى أن وجود قوة دولية في النقاط الرئيسية من الشرق الاوسط يمكن أن يكون اكثر امانا لاسرائيل من المكاسب الجغرافية لان الاكثر اهمية من الجغرافيا في العصر الحديث هو التسويات السياسية التي تقبلها الاطراف المعنية وتضمنها الدول الكبرى . د) أشار الى انه اذا توصلت اسرائيل والدول العربية الى اتفاق سلام مرض فان الكونغرس الامريكي سيوافق حتما على اشتراك الولايات المتحدة الامريكية في قوة سلام دولية . ه) ذكر ان الموقف المصري الذي يرفض استيلاء اسرائيل على الاراضي العربية المحتلة والموقف الاسرائيلي الذي يصر على حدود آمنة ليسا متضاربين ويمكن التفاوض بشأنهما . و) اما بالنسبة لموضوع الانسحاب الاسرائيلي وموضوع الحدود المستقبلة بين اسرائيل ومصر فقد ذكر روجرز ان امريكا لم تقل ابدا انه على اسرائيل ان تنسحب من كل الاراضي المحتلة بل ان تبقى في مساحة من هذه الاراضي كافية لضمان أمنها على ان تكون التعديلات في الحدود من النوع « الطفيف » . وبين ان امريكا ترى ان الحدود بين مصر واسرائيل يجب ان تكون حدود ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧ باستثناء قطاع غزة مع تجريد سيناء من السلاح وبشرط الوصول الى اتفاق مرض حول وضع شرم الشيخ. واقترح ان ترابط في شرم الشيخ قوة سلام دولية دائمة . ز) ذكر روجرز ان الولايات المتحدة لا تفكر في عقد معاهدة سلام ثنائية مع اسرائيل ولكن المساعدات الاقتصادية والعسكرية ستستمر بالتأكيد . اما بالنسبة لمصر فقد قال ان العلاقات معها قد تحسنت تحسنا طفيفا في الفترة الاخيرة،واعرب عن استعداد بلاده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر حين يكون ذلك ممكنا .

ان تصريحات روجرز واضحة ولا تحتاج الى مزيد من الشرح او التعليق . لقد اصبحت الخطة المشهورة التي وضعها روجرز نفسه منذ فترة وقبلتها الجمهورية العربية المتحدة ، مرشحة في المرحلة القادمة للتطبيق العملي والتنفيذ الفعلي على اساس فصم وحدة الاراضي المحتلة وتقسيمها الى أراض مصرية محتلة تعلن الولايات المتحدة رأيها الصريح فيها واراض عربية اخرى محتلة لم تقدم الولايات المتحدة على ذكرها بعد ولم تكن موضوع بحث جوهري في المذكرات الخطيرة التي تم تبادلها بين يارينغ واسرائيل ومصر .

ومن الجدير بالذكر ان الرئيس السادات اعلن في ١٩٧١/٣/٧ عدم موافقة القاهرة على تجديد وقف

اطلاق النار مع استمرار السعي لحل الازمة سياسيا ... بالرغم من ذلك لم تطرأ على الموقف الدولي اية تطورات ايجابية في صالح التسوية مما حدا بالدكتور يارينغ الى مغادرة نيويورك والتوجه الى مقر عمله الرسمي في موسكو . وفي ٤/٢/ ١٩٧١ وزعت « وكالة انباء الشرق الاوسط » بيانا قال بأن القاهرة مستعدة للقبول بوقف اطلاق النار لفترة محددة واعادة فتح القناة فيما يضع الوسيط الدولي جدولا زمنيا لتطبيق قرار مجلس الامن ، شرط ان تنسحب القوات الاسرائيلية من ممرات الضفة الشرقية وتترك القوات المصرية تقوم بعملية عبور . وقال البيان ان مبادرة الرئيس السادات في ٤ شباط لا تزال قائمة شرط ان يفهم ان الانسحاب الجزئي ليس حلا منفصلا او جزئيا بل هو مجرد تحريك اجرائي مرتبط كليا بالحل الكامل على اساس قرار مجلس الامن ، وان القوات المصرية تحتفظ بحرية العمل على « اساس من الالتزام الكامل المبدئي والقانوني بضرورة التحرير الشامل لكل الاراضي العربية المحتلة » اذا لم تتحقق هذه الشروط . « كما اعلن البيان الرفض الكلي لاية مناقشة حول نزع سلاح سيناء من جانب واحد وكذلك رفض اي وجود اسرائيلي في شرم الشيخ مهما كانت صورته » .

بالنسبة لهيئة الامم المتحدة لم يتم أي نشاط بارز يتعلق بقضية فلسطين في هذه الفترة . والامر الوحيد الجدير بالذكر على هذا الصعيد هو الجدل الذي قام بين اسرائيل ويو ثانت حول مدينة القدس وموضوع تبديل معالمها بصورة نهائية من قبل سلطات الاحتلال. كان يو ثانت قد قدم الى الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة تقريرا حول مراسلاته مع حكومة اسرائيل فيما يتعلق بمشاريعها في « البناء والتنمية » في مدينة القدس . وكان الدافع وراء الرسائل التي بعثها يو ثانت الى الحكومة الاسرائيلية الاخبار التي ترددت في الصحافة الاسرائيلية نفسها بأن الحكومة قد وضعت خطة شاملة وكبيرة لتطوير مدينة القدس وتنميتها مع العلم ان القسم الاكبر من عمليات « التطوير والتنمية » هذه ستتم في القدس القديمة . كما وردت انباء عن ان دار المندوب السامي ، حيث مكاتب الامم المتحدة ، ستتأثر بالخطة الاسرائيلية . بناء على ذلك طالب يو ثانت الحكومة الاسرائيلية بايداعه نسخة عن خطتها الموضوعة للقدس ، وبالمزيد من التفاصيل عن وضع دار المندوب السامي . وقد ردت اسرائيل باختصار وبدون الاشارة الى موضوع الخطة مؤكدة انها لا تنوي ادخال اية تغييرات علىوضع دار المندوب السامي. بعد ذلك قام يو ثانت بتقديم مذكرتين الى ممثل اسرائيل في هيئة الامم وطالب مجددا بالحصول على نسخة من خطة اسرائيل الشاملة لتطوير القدس باعتبار انه مسؤول عن رفع تقارير عن وضع المدينة وفقا لقرارات الجمعية العامة لهيئة الامم . كما طالب بضمان حقوق هيئة الامم في امتلاك دار المندوب السامي كما كانت اوضاعها قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ ، اذ يبدو ان الحكومة الاسرائيلية لا تسمح لبعثة هيئة الامم هناك الا باستخدام جزء من دار المندوب السامي فقط . وقد أشار يو ثانت الى تقارير وصلته بأن الجرارات الاسرائيلية اخذت تعمل داخل حدود المنطقة التابعة لهيئة الامم حول دار المندوب السامي بالاضافة الى انباء عن مشاريع اسرائيلية لتشييد ابنية سكنية هناك . وقد طالب يو ثانت بايقاف كل هذه العمليات في المنطقة . وعلى ما يبدو لم ترد الحكومة الاسرائيلية على أي من مذكرتي يو ثانت كما انها لم تأمر بايقاف العمل في المنطقة المعنية . وقد صرح مندوب اسرائيل لدى هيئة الامم ردا على يو ثانت بأن اسرائيل تعتبر احتلالها للقدس كلها احتلالا دائما ونهائيا . ومعروف ان بعض الحكومات العربية ايضا قد أثارت موضوع القدس من هذه الزاوية مع يو ثانت . وجدير بالذكر هنا انه قبل اعلان المعلومات التي ورد ذكرها حول الجدل الذي جرى بين اسرائيل ويو ثانت عن مدينة القدس كان ناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية (روبرت ماكلوسكي) قد صرح ان حكومته تعتبر خطة اسرائيل لبناء مشاريع سكنية واسعة في التلال المحيطة بالقدس القديمة غير مقبولة لانها تؤثر على الوضع النهائي للمدينة الذي لا يزال من الواجب اتخاذ قرار بشأنه . لا شك ان امريكا لم تكتشف حديثا المشاريع « العمرانية » الاسرائيلية في مدينة القدس (تهويدها) ولكن صدور هذا النقد الموجه لاسرائيل من قبل وزارة الخارجية الامريكية في هذا الوقت بالذات ليس الا مناورة لفظية ودعما للملك حسين .

الدكتور صادق جلال العظم

(٤) السياسة الاسرائيلية

كان الحدث المركزي في السياسة الاسرائيلية خلال الشهور الثلاثة الاولى للعـام الحالي مفاوضات يارنغ . وخلافا لتوقعـات البعض لم تحدث اية تفجرات داخل الحكومة الاسرائيلية، او خلاف جدي في وجهات النظر ، حول اي من المواقف الاساسية التي ارتأت الحكومة اتخاذها او التكتيك الواجب اتباعه ، بعكس مـا حدث في الفترة التي سبقت عودتها للمفاوضات ، اذ تميزت تلك الفترة بجدل هائل بين أعضاء الحكومة من على المنابر العلنية وصفحات الصحف بشأن العودة اليها . ومثل عاصفة في فنجان ثار جـدل بين وزارة الاسكان الاسرائيلية وبلدية القـدس اليهودية حول مخطط الوزارة لاحاطـة القدس بقوس مـن الضواحي اليهودية استأثر بالكثير مـن اهتمام المسؤولين والرأي العام . أما على صعيد الحياة الحزبية فلم يحدث شيء متميز باستثناء الانقسام في قيادة كتلة هعولام هزه .

مفاوضات يارنغ : تميزت جولة يارنـغ هذه المرة بقصرها ووضوح ما حدث فيها على صعيد جهود المبعوث الدولي . ابتدأت الجولة في ٥ يناير الماضي بعد ساعات قليلة من التقرير الذي قدمه او ثانت لمجلس الامن حول الجولة السابقة وانتهت في اواخر آذار (مارس) بقرار المبعوث الدولي بالعودة الى موسكو لاستئناف مهامه كسفير لبلاده لان اسرائيل لم ترد على المذكرة التي وجهها لكل من مصر واسرائيل بتاريخ ٨ فبراير . ويمكن تقسيم جولة يارنغ هذه المرة الى مرحلتين : المرحلة الاولى من ٥ يناير الى ٨ فبراير ١٩٧١ وفيها قام يارنغ باستكشاف وجهات النظر ونقلها الى الاطراف المعنية، وتضمنت زيارته لاسرائيل في الفترة بين ٨ — ١٠ يناير الماضي بناء على دعوة الحكومة الاسرائيلية للاستماع الى وجهة نظرها ، والمرحلة الثانية وفيها قام يارنغ في ٨ فبراير ، لاول مرة ، بمبادرة منه تمثلت في توجيهه الى كل من مصر واسرائيل مذكرة الهدف منهـا استخلاص تصريح بالنوايا تجـاه مسألتي السلام والانسحاب . وقد استقبلت مصر هـذه المبادرة بالترحاب وردت عليها ردا ايجابيا ، بينما تجاهلتها اسرائيل معتبرة اياها تجـاوزا من قبل يارنـغ لصلاحياته ، رغم ان الامين العام للامم المتحدة ووزير الخارجية الاميركي (الذي استأنف يارنغ مهمته ضمن نطاق مبادرته) صرحا انـه من حقه بموجب كتاب تفويضه القيام بأية مبادرة يرتأيهـا لانجاح مهمته. اما على صعيد ما حدث فيها فواضح منه تنازل الجانب العربي تنـازلا أساسيا تمثل باعلان الجمهورية العربية المتحدة عن استعدادها للاعتراف باسرائيل وتوقيع معاهدة سلام معها ، وبقاء الجانب الاسرائيلي عند مواقفه السابقة ، وطرح السادات اقتراحا بفتح قناة السويس تشير الانباء حتى لحظة كتابة هذه السطور ، وبعد تجميد يارنغ لجهوده ، الى انه ما زال قيـد البحث في القاهرة واسرائيل والمحافل الدولية .

ان عرض الموقف الاسرائيلي كما تم طرحه ليارنغ من خلال التسلسل الزمني للطرح غير ممكن في الحقيقة ، لان الوثائق التي يمكن ان تساعد على تقديم عرض كهذا لم تنشر بعد ، والانباء المتسربة عن المراسلات غير كافية . الا ان الموقف الاسرائيلي حول الاساسيات رغم ذلك واضح ، وهو متضمن في المذكرة التي سلمهـا يوسف تكواع ليارنغ بتاريخ ١٩٧١/٢/٢٦ ليقوم بايصالها الى الجانب المصري، (نشر نص المذكرة في الجروزالم بوست الاسبوعية ٧١/٣/٩) وفي التصريحات التي كانت تصدر عن المسؤولين الاسرائيليين بين حين وآخر ، وفي البيان الذي ألقته غولدا مئير في الكنيست بتاريخ ٢/٩/ ١٩٧١ حول الشوط الذي قطعته المفاوضات وموقف الحكومة الاسرائيلية مـن مفاوضات الدول الاربع الكبرى والاقتراح الداعي لفتح القناة . واعتمادا على هذه المصـادر سوف نقوم بتـركيب الموقف الاسرائيلي وعرضه بكليته ، وليس عبر تسلسله الزمني ، ومن ثم نعرض بايجاز الموقف العربـي لننتقل من ذلك الى تحديد اهمية العامل الذي دفع بيارنغ لتجميد جهوده .

ما هو الموقف الاسرائيلي ولماذا اعتبر يارنغ اسرائيل مسؤولة عن تجميد مهمته ؟ تسهيلا للعرض نجزىء الموقف الاسرائيلي الى البنود التالية : اولا ، السلام — جوهره وشكله ، ثانيا ، الانسـحاب والحدود ، ثالثا ، المفاوضات — أولويات البحث رابعا ، الموقف من الجهود الدولية والوسيـط الدولي ، ونفرد لمسألة حقـوق شعب فلسطين

واقتراح السادات بفتح القناة بندين خاصين .

ــ جوهر السلام وشكله : تقول المذكرة الاسرائيلية النهائية : « ان اسرائيل تنظر بارتياح الى اعلان الجمهورية العربية المتحدة عن استعدادها للدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل ... وتود الحكومة الاسرائيلية أن تصرح بأن اتفاقيـــة السلام التي ستعقد بين الجمهورية المتحدة واسرائيل يجب ان تتضمن ــ فيما تتضمنه ــ البنود التالية... [حول التعهدات المصرية] ١ ــ قرار معلــن وواضح باعتبار النزاع بين الجمهوريـــة العربية المتحـــدة واسرائيل منتهيا بشكل قاطع وانهاء كافة المطالب وحالات الحرب ... ٢ ــ الاعتراف بـ /واحترام سيادة اسرائيل وسلامتهـــا الاقليمية واستقلالهـــا السياسي . ٣ ــ الاعتراف بــ/واحترام حـــق اسرائيل في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها حسبما تتقرر في اتفاقيـــة السلام . ٤ ــ تحمـــل مسؤولية ضمان عدم وقوع اي عمل حربي ، او عمل عنف ، من قبل اية منظمة ، او جماعة او فرد ، مصدره اراضي الجمهورية العربية المتحدة او يرتكب فيها ، ضد سكان اسرائيل ، وقواتها المسلحة ، او ممتلكاتها . ٥ ــ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاسرائيل . ٦ ــ تعهد صريح بضمان مرور حر للسفن والشحنات الاسرائيلية عبر قناة السويس. ٧ ــ انهاء الحرب الاقتصادية بكافة مظاهرها بما في ذلك المقاطعة الاقتصادية والتدخل في مجرى العلاقات الدولية الطبيعية لاسرائيل . ٨ ــ عدم انضمام الجمهورية المتحدة لاية أحلاف معادية ضد اسرائيل ومنع عسكرة قوات اطراف اخرى في حالة حرب مع اسرائيل . وعلى اسرائيل والجمهورية العربية المتحـــدة ان تدخلا في اتفاق سلام يعبر عنها بمعاهدة ملزمة ووفقا للقانون الدولي والسوابق المألوفة » .

ومن أجل استكمال الصورة ، نضيف ما ذكره محرر معريف السياسي (عدد ٧١/١/١٥) من ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية اوضحت ليارنغ خلال زيارته لاسرائيل بأن حكومتها ترتأي «الحفاظ على/وتطوير حرية الحركة القائمة الان في المنطقة بشكل عام وفي النطاق الاردني ــ الاسرائيلي بشكل خاص » وما ذكره من ان وزير الخارجية الاسرائيلي شدد على هذه النقطة قائلا للمبعوث الدولي « ان العقل لا يمكن ان يحتمل وضعا يستطيع فيه ابناء الشعبين (الاردني والاسرائيلي) الاختلاط والتعايش والمتاجرة فيما بينهم في زمن الحـــرب ووقف اطلاق النار ، وينغلقوا على انفسهم بما يشبه الغيتو في زمن السلم » .

ــ الحدود والانسحاب : يجدر قبل ان نسجل الفقرة المتعلقة بهما في المذكرة النهائية ان نذكر ما أورده محرر معريف في العـــدد المشار اليه اعلاه مـــن الصحيفة. يقول المحرر أن رئيسة الحكومة أوضحت ليارنغ خلال زيارته لاسرائيل انه من الافضل له ان يتجاهل المشروع المسمى «بمشروع روجرز» لان اسرائيل ترفضه من أساسه ، وانها أوضحت له ، اكثر من ذلك ، بأن اسرائيل لا تعتبر نفسها ملزمة حتى « بكتاب التفويض » الذي على اساسه تجددت مهمته ضمن اطار المبادرة الاميركية . ومن المعروف ان مشروع روجرز ، الذي طرحه صاحبه في نهاية عام ١٩٦٩ ، يمثل وجهة نظر الحكومة الاميركية في مسألة الحدود القاضية باجراء « تعديلات طفيفة لاسباب أمنية » فيها ، وان كتاب التفويض يحتوي على نص الفقرة من قرار مجلس الامن (٢٤٢) المتعلقة بالانسحاب ، والتي يفسرها الجانب العربي بأنها تعني الانسحاب من كل المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .

اما الفقرة حـــول الانسحاب والحدود في المذكرة الاسرائيلية النهائية فتنص على ما يلي : « انسحاب القوات المسلحة لاسرائيل من خط وقف اطلاق النار بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الامنة والمعترف بها والمتفق عليهـــا التي سيجري تقريرها في اتفاقية السلام . **ان اسرائيل لن تنسحب الى حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧** ».ويمكن اعتبار هذه العبارة الاخيرة ، وهي عبارة ترد لاول مرة في المراسلات بين الاطراف المعنية ، بمثابة رد اسرائيلي رسمي غير مباشر على طلب يارنغ الموجه لاسرائيل في ١٩٧١/٢/٨ بالتعهد بالانسحاب من كافة الاراضي المصرية (بما في ذلك بداهة شرم الشيخ) ، ويجب النظر اليها ، لاستكمال صورة الموقف الاسرائيلي بصدد الحدود والانسحاب مقرونة بالتصريح الذي أدلت به غولدا مئير لصحيفة التايمس اللندنية في الاسبوع الثاني من شهر آذار (مارس) الماضي وقالت فيه انه ينبغي على اسرائيل الاحتفاظ بشرم الشيخ والجولان والقدس ويجري تفاوض بشأن الحدود المحيطة بايلات والضفة الغربية للاردن .

ــ المفاوضات/اولويات البحث : يذكر يوسف حريف محرر معريف السيـــاسي (عدد ٧١/١/١٥) ان

رئيسة الحكومة الاسرائيلية أوضحت ليارنغ في مستهل جولته ان اسرائيل لن تبحث بالتفصيل في اي من القضايا المتعلقة بالحدود والانسحاب الا بعد ان تتأكد من توفر نية جدية لدى الجانب العربي لتحقيق سلام حقيقي كالسلام القائم بين دول العالم « بدون فصاحات زائدة (!) » — على حد تعبير رئيسة الحكومة كما ينسبه اليها المحرر المذكور.

وزيادة على ذلك تورد معريف (عدد ٧١/١/١) ان الدوائر السياسية في القدس المحتلة ذكرت ان الحكومة الاسرائيلية ابلغت يارنغ بأن ينقل للجانب المصري عدم استعداد اسرائيل لطرح خارطة الحدود الا في المرحلة التي يجلس فيها المصريون وجهاً لوجه مع الاسرائيليين لمناقشة الخارطة فيما بينهم مباشرة.

وعندما قام يارنغ في ١٩٧١/٢/٨ بمبادرته المشار اليها اعلاه لاخراج الاتصالات من الحلقة المفرغة التي كانت تدور فيها رأت اسرائيل في هذه المبادرة، فيما رأت، محاولة لبدء مفاوضات متوازية حول السلام والحدود في آن واحد، ولذلك سارعت الدوائر السياسية الرسمية في القدس الى التأكيد بأن اسرائيل تصر على سلم الاولويات الذي اقترحته والداعي لبحث جوهر السلام اولا، ومن ثم، في مرحلة متأخرة، يأتي البحث في تفاصيل الحدود والانسحاب.

— الجهود الدولية ومهمة يارنغ : في بيانها للكنيست بتاريخ ١٩٧١/٢/٩ تقول غولدا مئير: « ان مباحثات الدول الاربع الكبرى ... تغرس الوهم في قلوب الحكام العرب بأنه من الممكن تحقيق حل بدون مفاوضات بين العرب واسرائيل. انها لا تساعد على تحقيق السلام بل تجعل الحل أبعد ». وفي نفس البيان تقول حول الضمانات الدولية وقوات الطوارىء : « نسمع اقوالا غامضة عن « ضمانات دولية » و« قوات طوارىء ». ان اسرائيل ترفض اي اتجاه يرى في الضمانات الدولية او قوات الطوارىء مهما كانت الجهة التي تخولها، بديلا لمعاهدة سلام ملزمة ».

وعندما وافقت الولايات المتحدة على بحث موضوع الضمانات الدولية ضمن نطاق مباحثات الدول الاربع الكبرى في ٥ فبراير الماضي سارعت الحكومة الاسرائيلية الى الطلب من سفير الولايات المتحدة في اسرائيل بأن ينقل الى حكومته معارضة اسرائيل لهذه الخطوة ومطالبتها بأن تعود الولايات المتحدة عنها. وعلى الرغم من ان السفير الاميركي طمأن اسرائيل بأن الولايات المتحدة انما وافقت على ذلك لمجرد تشجيع مصر على تمديد وقف اطلاق النار فان رئيسة الحكومة الاسرائيلية حرصت في بيانها للكنيست على التأكيد بانها « تنظر بقلق شديد الى استعداد [الولايات المتحدة] للدخول في مفاوضات كهذه ضمن نطاق «الاربع» . »

اما بالنسبة للمبعوث الدولي فان اسرائيل ترى ان مهمته تنحصر في مساعدة الاطراف على التفاوض للوصول الى حل لا اكثر ولا اقل، وتنكر عليه حقه في القيام بأية مبادرات من عنده.

— حقوق شعب فلسطين : تعليقاً على خطاب السادات في ٤ فبراير الذي تحدث فيه عن حقوق شعب فلسطين تقول رئيسة الحكومة في بيانها للكنيست : « ان الرئيس المصري عاد فأكد في خطابه الموقف العربي المعروف — « نظرية المراحل في تنفيذ قرار مجلس الامن » أي انسحاب الجيش الاسرائيلي من كل المناطق الى خطوط الهدنة، ومن ثم تجسيد حقوق الشعب الفلسطيني. ان هذا الموقف عمليا هو تعبير عن الدعم لمخططات المنظمات التخريبية (!) الهادفة لتصفية دولة اسرائيل ... ان وجهة نظرنا — التي اوضحناها للمبعوث يارنغ وضمناها في وثائقنا — هي ان السلام معناه انتهاء المشكلة العربية — الاسرائيلية انتهاء حاسماً وتاما، بما في ذلك بالطبع ... مشكلة اللاجئين، ان نظرتنا الى هذه المشكلة هي انها مشكلة انسانية للاجئين،من الحيوي انقاذهم من وضعهم السيىء».

اما الفقرة الخاصة باللاجئين في المذكرة النهائية فتنص على ما يلي : « بالنسبة لمسألة اللاجئين وادعاءات الطرفين بهذا الخصوص، فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : أ — دفع تعويض للاراضي والممتلكات المتروكة. ب — المشاركة في التخطيط لاعادة توطين اللاجئين في المنطقة. ومتى تم الاتفاق بين الطرفين على واجباتهما تجاه تسوية قضية اللاجئين لا يعود لاي من الطرفين مطالب من الطرف الآخر تتناقض مع سيادته ».

— فتح القناة : في ٤ فبراير ١٩٧١، عشية اليوم السابق لانتهاء موعد تمديد وقف اطلاق النار، ألقى السادات خطابا أعلن فيه عن تمديد وقف اطلاق النار ثلاثين يوما اخرى، وفاجأ اسرائيل والوطن العربي باقتراح يدعو الى فتح قناة السويس

وانسحاب القوات الاسرائيلية الى مكان حدده لاحقا بأنه يقع الى ما وراء العريش كخطوة اولى في تحقيق الحل السلمي وفق جدول زمني لتنفيذ بقية البنود يتفق عليه . ان رئيسة الحكومة الاسرائيلية رأت في اقتراح السادات محاولة « لتحقيق انسحاب قوات اسرائيل قبل حل المشكلة الاساسية... وهي الوصول الى اتفاق سلام » بينما رأى فيه ايغال آلون محاولة مصرية « للخلاص من خط بارليف بوسائل سياسية ». الا ان الحكومة الاسرائيلية ، مع ذلك ، لم ترفض الاقتراح ، واعلنت غولدا مئير في بيانها الذي تستند اليه للكنيست ان « المستور في اقتراح السادات اكثر من المعلوم» وان اسرائيل، على اية حال ، على استعداد للبحث فيه ولكن دون ربط ذلك بانسحاب القوات الاسرائيلية وعلى شرط ان تمر سفن اسرائيل وشحناتها في القناة في حالة فتحها .

تبقى نقطة اخيرة وهي الموقف من وقف اطلاق النار ونقول فيه بايجاز ان اسرائيل ظلت تشدد على ضرورة وقف اطلاق النار لفترة غير محدودة . وبذكر هذه النقطة نكون قد استكملنا عرض أساسيات الموقف الاسرائيلي لننتقل منه الى عرض اساسيات الموقف العربي ، بالمقابل ، باختصار شديد .

أساسيات الموقف العربي حول: اولا جوهر السلام — غير واضح بعد ، والذي وضح منه هو استعداد الجمهورية العربية المتحدة لانهاء حالة الحرب ومترتباتها والاعتراف باسرائيل وتوقيع معاهدة سلام معها . ثانيا الانسحاب — واضح ويقضي بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي المحتلة. ثالثا المفاوضات وسلم الاولويات — تطالب الجمهورية المتحدة اسرائيل باعلان موقفها الواضح من الانسحاب والحدود اولا ومن ثم يمكن البحث في بقية المواضيع ، ويتم تنفيذ ما يتفق عليه على مراحل وفق جدول زمني يتقرر بالاتفاق مع الاطراف المعنية. رابعا الجهود الدولية ومهمة يارنغ — تفضل الجمهورية المتحدة فرض حل على اسرائيل بواسطة مجلس الامن وتعتبر ان الضمانات الدولية وقوات الطوارىء يمكن ان تشكل ضمانا كافيا لامن اسرائيل، واستقبلت بترحاب مبادرة يارنغ. خامسا حقوق الشعب الفلسطيني — تفضل الجمهورية العربية المتحدة ترك الموضوع لشعب فلسطين . سادسا فتح القناة — ما زال باكرا بعد تحديد مقاصد الجمورية المتحدة من الاقتراح . واخيرا ترفض الجمهورية المتحدة تمديد وقف اطلاق النار لمدة غير محدودة قبل التأكد من استعداد اسرائيل للانسحاب التام وتفحص نواياها بصدد حقوق الشعب الفلسطيني لان وقف اطلاق النار يعني تكريس الوضع الراهن واستمرار اسرائيل في مناوراتها .

بعد هذا العرض الموجز لموقفي الجمهورية العربية واسرائيل المتناقضين في نواح عديدة يطرح نفسه الان السؤال : ماذا كان رد فعل يارنغ تجاههما ؟ ان يارنغ بعد اتصالاته الاولية لا شك اكتشف ان العقدة الاساسية التي تمنع انطلاق المفاوضات تتمثل في الحقيقة في رفض اسرائيل من جهة بحث مسألة الحدود والانسحاب اولا واصرارها على بحث جوهر السلام وشكله قبل كل شيء ، ورفض الجمهورية العربية المتحدة من جهة اخرى بحث موضوع السلام اولا واصرارها على صدور تعهد اسرائيلي بالانسحاب من **كل** المناطق المحتلة قبل كل شيء . وفي محاولة منه لحل هذه العقدة عمد يارنغ الى ارسال مذكرته المعروفة التي كان القصد منها، كما ذكرت وكالات الانباء، استخلاص التصريح بالنوايا من مصر حول مبدأ الاعتراف وتوقيع معاهدة سلام وانهاء حالة الحرب ومترتباتها (حظر مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس) ومن اسرائيل حول مبدأ الانسحاب **التام** من الاراضي المصرية .

وردت مصر ، كما لاحظ الامين العام للامم المتحدة في تقريره لمجلس الامن بتاريخ ١٩٧١/٣/٥ ، على المذكرة ايجابيا ، وتجاهلت الحكومة الاسرائيلية الرد مصدرة في ٧١/٢/٢١ بيانا اعلنت فيه : « ان الحكومة الاسرائيلية تكرر موقفها ، كما أكدته الكنيست ، وهو ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط الهدنة التي كانت قائمة في ١٩٦٧/٦/٤ ... وتعتبر ان المحادثات يجب الا تخضع لالتزامات مسبقة » .

وهكذا وجد يارنغ ، وهو بعد في بداية مهمته ، ان المفاوضات تقف أمام عقدة لا مجال لحلها ، وفضل العودة الى ممارسة مهامه كسفير لبلده في موسكو ، محملا اسرائيل مسؤولية تجميد مهمته .

ولكن هل تعني عودة يارنغ لموسكو ان مهمة المبعوث الدولي قد انتهت ؟ نستعير تعبير رئيسة الحكومة الاسرائيلية ونقول: ان المستور فيما يجري هذه الايام اكثر من المعلوم .

الجدل حول القدس : يسمي البعض في اسرائيل وزير الاسكان ، زئيف شيرف ، وزير الجرافات .

ويقول عنه تيدي كوليك ، رئيس بلديـة القدس اليهودية ، انه يتسلق التلال تلة بعد تلة ولا يرى أمامه الا مساكن ولا يرى ضرورة انسجام المساكن المبنية مع مخططات المدن واحتياجاتها . وقد كانت جرافات وزير الاسكان هذا في فبراير مـن العام الحالي مثار الجدل ، الذي ترددت اصداؤه ، ليس فقط في اسرائيل وانما في عواصم العرب والعالم والامم المتحدة ، لانهـا تطاولت هذه المرة على القدس . ولكن الجدل ما لبث ان خبا بسرعة ، وبقي من اثاره الاوراق التـي حملته والمذكرات العاجزة التي استثارها ، وبقيت الجرافات تعمل هادفة احاطة القدس بقوس من الضواحي اليهودية في محاولة من حكومة اسرائيل لفرض وقائع جديدة تطوق احتمالات حل سلمي ، او ضغط دولي لفرض الحل .

دار الجدل داخل اسرائيل بشكل اساسي بين بلدية القدس اليهودية ووزارة الاسكان حول مشروعات الاخيرة لبنـاء ضاحية يهوديـة في مرتفعات النبي صموئيل على بعد ١٠ كم شمال غرب القدس ، كجزء من مخطط يشمل اضافة لها بناء ثلاث ضواح اخرى واحدة منها في منطقـة بيت صفافا جنوبي القدس ، والثانية في منطقة «قصر المندوب السامي» في المكبر الى الجنوب منها ، والثالثة في منطقة النبي يعقوب على طريق مطار قلنديه . وكان اعتراض بلدية القدس نابعا من كون المخطط المذكور مخالفا للمخطط الهيكلي الذي وضعته لجنة شكلتها البلدية وأنفقت في وضعه اموالا طائلة وسنوات من الجهد والعمل — مخالفا له من حيث كونه يشوه منظر التلال المحيطة بالمدينة المقدسة ، ومن حيث كونه يلقي على البلدية اعباء مالية لا قبل لها بتحملها حيث سيكون مفروضا شق الطرقات ومد شبكات المياه والكهرباء والمجاري لهذه الضواحي وتقديم الخدمات البلدية لها ، ومن حيث كونه يصرفها عن تطوير المدينة ذاتها وحل المشاكل الاجتماعية المستفحلة فيها . هكذا قـال رئيس البلدية ، وهكذا قـال انصاره الذين قالوا انهم يدعمون وجهة نظره لانه يريد ان يحتفظ للقدس بطابعها التاريخي وبصفتها كمدينة « جميلة » .

ضد هذه النظرة طلع وزيـر الاسكان الاسرائيلي ليقول في مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ١٩٧١/٢/١٥ ان « القدس » كعاصمة لشعب اسرائيل ودولة اسرائيل (!) ، يجب ان تكون قبل كل شيء يهودية، وهذا يقف بالنسبة الي على رأس سلم الاولويات . ومن اجل تحقيق ذلك علينا أن نعمل ونعمل ونعمل»، وليعلن ان هناك مخططا وضعته الوزارة لبناء (٢١) ألف وحدة سكن تتسع لـ (٦٥) الف ساكن تتوزع كما يلي : ١٠٫٠٠٠ في مرتفعات النبي صموئيل تتسع لـ ٣٢٫٠٠٠ ساكن ، ٣٠٠٠ في منطقـة قصر المندوب تتسع لـ ١٠٫٠٠٠ ساكن ، ٦٥٠٠ في منطقة بيت صفافا تتسع لـ ٢٠٫٠٠٠ ساكن ، و١٧٠٠ في النبي يعقوب تتسع لـ ٤٥٠٠ ساكن، وفي صدد حملته على المخطط الهيكلي اعلن وزيـر الاسكان ان المخطط يفتح مجالا لاستيعاب ٤ ٪ سنويا فقط من المهاجرين الجدد البالـغ عددهم حسب التقديـرات بـين ٤٠ — ٦٠ الف مهاجر في العام ، بينما تخطط وزارة الاسكان لاستيعاب ١٠ — ١٥ ٪ من المهاجرين سنويا في القـدس ، بحيث يصل عدد سكانها اليهود في عام ١٩٧٥ الى ٢٧٥ الف نسمة ، ليضمنوا بقاء « أغلبية يهودية في القدس الى ابد الابدين » على حد قوله . وعندما سأله احد الصحفيين لماذا تأخر في الرد على حملات معارضيه اجاب وزير الاسكان بقوله « هناك صدى للاشياء التي تقال عن القـدس .ولقد خشيت من هذا الصدى ، كانت هناك أسباب منعتني من التكلم ... أسباب سياسية دولية» . ولم يتأخر فعلا هذا الصدى ، وثارت ثائرة الدول العربية اثر المؤتمر ، وارسلت الجمهورية المتحدة والاردن مذكرة الى الامين العام للامم المتحـدة تطالبه فيها بالتحرك لايقـاف العمل في بنـاء المساكن ، وطلب الامين العام من اسرائيل ايقاف العمل في الحفر والبناء في الضواحي بشكل عام وفي منطقة قصر المندوب (مقر هيئة الرقـابة الدولية) بشكل خاص ، ورفضت اسرائيل كالعادة الطلب ، وظل العمل مستمرا .

وادلى روبرت ماكلوسكي ، الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية بتصريح قال فيه : « الى ان يتم التوصل الى حل لمشكلة القدس ، التي هي موضوع للمفاوضات ، فان رأينا هو أنه لا يمكن قبول اي عمل من طرف واحد يمكن اعتبـاره كتغيير لوضع المدينة » ، وهاجمت النيويـورك تايمز وعدد من الصحف الاميركية مخطط وزارة الاسكان وطالبت بالكف عن العمل فيه . وكانت النتيجة الوحيدة لكل هذا أن الغت بلدية القدس في اجتماعها المنعقد في الاسبوع الاخير من شهر

فبراير معارضتها للبناء مسجلة ان أحد العوامل الرئيسية لسحبها لمعارضتها هو النقد الموجه له في الولايات المتحدة .

الاحزاب : كانت تغطية الصحف الاسرائيلية لنشاطات الاحزاب في الشهرين الاولين من العام الحالي خالية من الاثارة الا فيما يتعلق بالخلاف الذي حصل في هعولام هزه . وأبرز ما حصل على صعيد نشاطات الاحزاب ، اضافة للخلاف المذكور ، استمرار التحضير لمؤتمر حزب العمل القادم ، وتشكيل الادارة الجديدة لحركة حيروت .

ــ هعولام هزه : عاشت كتلة هعولام هزه (قوة جديدة) التي يرأسها اوري افنيري والمسماة على اسم مجلتها الاسبوعية ، ازمة عنيفة في فبراير كانت محل شماتة الكثيرين من المعلقين والساسة الاسرائيليين ، وكان ذلك رد فعل طبيعي تجاه الخلاف في الكتلة التي يرأسها العضو الاكثر شغبا في الكنيست ، ومجلته التي تخصصت في اثارة الفضائح السياسية والاجتماعية ولسعت بانتقاداتها على مر السنوات المؤسسات القائمة ودافعت بين حين واخر عن « الحقوق المدنية » لعرب الارض المحتلة . وقد كان سبب الازمة الخلاف الذي نشب فجأة ، لاسباب شخصية ، بين رئيس الكتلة افنيري والشخص الثاني فيها شالوم كوهن .

وفي اجتماع مركز الكتلة الذي عقد يوم ١٩٧١/٢/٤ في تل ابيب لبحث الخلاف هاجم كوهن افنيري متهما اياه بالدكتاتورية وتنمية عبادة الشخصية ، وبأنه يصر على لعب كل الادوار الرئيسية وادارة المناقشات الهامة للكتلة المؤلفة من عضوين في الكنيست تاركا لشالوم كوهن ، العضو الثاني، الامور الثانوية والهامشية . كما هاجم ايضا سكرتير الكتلة امنون زخروني الذي اعتبره تابعا يخدم مصالح افنيري وطموحاته اكثر مما يخدم الكتلة . ومن ثم اقترح تغيير اسم الكتلة من « هعولام هزه » الى « الحزب الديمقراطي » لان الاسم الاول مربوط بافنيري اكثر مما هو مربوط باهداف الكتلة ، كما اقترح تعيين لجنة ادارة للكتلة في الكنيست من خمسة اشخاص (بينهم افنيري وكوهن) تقوم اسبوعيا برسم سياسة الكتلة تجاه القضايا المطروحة وتقرير الادوار . وقد رد افنيري على كوهن متهما اياه بافتعال الخلاف ونقله الى الصحف والتهجم عليه شخصيا لان كوهن في الحقيقة لا يريد التخلي عن منصب عضو الكنيست في الصيف القادم لسكرتير الكتلة كما كان وعد لجنة التعيين التي قررت ترشيحه على أساس ان يحتل المقعد نصف المدة ويحتل المقعد في السنتين التاليتين زخروني . واستنكر افنيري التصريح الذي ادلى به كوهن للصحفيين وقال فيه ان افنيري عرض عليه مبلغ ربع مليون ليرة اسرائيلية للتخلي عن مقعده في الكنيست وعن حصته في مجلة هعولام هزه التي يملك ٥٠ ٪ من أسهمها ، واوضح افنيري ان العرض الذي قدم لكوهن كان يمس المجلة وليس مقعد الكنيست، وأن الذين قدموه فعلوا ذلك بدون علمه . وناشد افنيري كوهن باحترام وعده والاستقالة في الصيف القادم ليفسح مجالا لزخروني للحلول محله. وفي النهاية طرح على التصويت تجديد الثقة به كرئيس للكتلة في الكنيست ورئيس للحركة ، وكذلك فعل امنون زرخوني الذي طرح على التصويت تجديد الثقة به كسكرتير للكتلة والحركة .

ولدى التصويت ايدت اغلبية اعضاء الحركة الساحقة افنيري ، وصدر قرار بتشكيل لجنة مكونة من ٥ اشخاص للتهدئة وحل الخلافات . وقد أعلن كوهن بعد التصويت أنه لن يتخلى عن مقعد في الكنيست لزخروني « لضمان بقاء الاتجاهات في الكتلة ممثلة » . وبعد اسبوعين او اكثر قليلا من هذا الاجتماع توصل افنيري وكوهن فيما يتعلق بمجلة « هعولام هزه » الى اتفاق بأن يتخلى كوهن عن حصته فيها مقابل ما قيمته ٢٠٠ الف ليرة اسرائيلية ، وصرح كوهن بأنه اعتبارا من أول ابريل سيصدر مجلة يطرح فيها آراءه .

ــ حزب العمل : استمر النشاط الداخلي في حزب العمل استعدادا لمؤتمر الحزب القادم الذي تقرر عقده بين ٤ ــ ٦ فبراير . وقد كان من أبرز مظاهر هذا النشاط انتهاء اللجنة الخاصة التي شكلها الحزب برئاسة عضو الكنيست يسرائيل يشعياهو لاعداد مسودة دستور للحزب من عملها. وتحدد المسودة ، التي تقع في ٣٦ صفحة فيما تحدده كيفية اختيار رئيس الحكومة وأعضاء حكومته وكيفية انتخاب المؤسسات المركزية للحزب .وتتجه الخطوط العامة لمسودة الدستور التي ستعرض للبحث في المؤتمر القادم ، مقارنة بدستور المباي سابقا [ومن المعروف أن حزب العمل يتكون من اتحاد الاحزاب الثلاثة : ماباي ، أحدوت هعفودا،

رابي ، والماباي كان أقواها وأكبرها] ، الى التبسيط فيما يتعلق بانتخاب المؤسسات المركزية ، والى مزيد من الديمقراطية فيما يتعلق باختيار الحكومة ، والى اعطاء وزن أكبر للحلقات الفكرية واتجاهات معينة على حساب الفروع .

أما بشأن اختيار رئيسة الحكومة واعضائها فيتمثل التجديد الاساسي في مسودة الدستور بأن يكون الاقتراع لاختيار رئيسة الحكومة [ومؤسسات الحزب المركزية] سريا دائما وان يكون للمركز ، لدى عرض قائمة الوزراء عليه ، الحق في المناقشة الفعلية واجراء تعديلات وتغييرات في القائمة ان ارتؤي ذلك .

وكان المظهر الثاني البارز من النشاط الداخلي لحزب العمل بمناسبة قرب انعقاد مؤتمره هو الاتفاق على طريقة تركيب اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب ، التي ستنقلب الى لجنة دائمة تؤثر تأثيرا كبيرا على مناقشات المؤتمر وقراراته . وبرز بشكل واضح في النقاشات التي دارت بصدد تركيب اللجنة ان الكتل الثلاث التي يتكون منها الحزب أبعد ما تكون عن الذوبان .

ان نواة اللجنة الدائمة لمؤتمر الحزب تتكون من الـ (٢٦) عضوا الذين يشكلون لجنة الدستور المذكورة اعلاه التي وضعت مسودة الدستور المقترح ، اما اللجنة بكاملها فمن المفروض ان تتكون من (١٠١) عضو . وقد ثار الخلاف حول كيفية انتقاء الـ (٧٥) عضوا الباقين في اللجنة القادمة . ان اللجنة الحالية التي شكلت قبل فترة طويلة قائمة على أساس كتلوي بحيث تتمثل الماباي سابقا بنسبة ٥٦ ٪ ، ويتمثل كل من أحدوت هعفودا ورافي سابقا بنسبة ٢١،٥ ٪ لكل منهما . ولدى بحث موضوع الاضافة للجنة القادمة في سكرتارية الحزباقترح ممثل رافي استخدامنفس المعايير للاضافة ، واقترح ممثل احدوت هعفودا ترك الموضوع للجنة تعيينات مركزية ، بينما اقترح ممثلو الماباي انتخاب الاعضاء من قبل الفروع قائلين بأن اللجنة الدائمة هي جزء من المؤتمر ويجب ان تعكس « الحقيقة » بأن حقبة التكتلات قد انتهت . وكحل تسوية اقترح اريبه الياب ، سكرتير الحزب ومن الماباي سابقا ، أن يتم انتخاب (٥٠) عضوا من الـ (٧٥) من قوائم الفروع و(٢٥) عضوا من قائمة مركزية ، وقبل اقتراحه بالاجماع في السكرتارية . ولكن ممثل رافي سابقا ، الذي اثبتت الانتخابات لمؤتمر الحزب ان قوة حزبه (وأحدوت هعفودا ايضا) في الفروع اقل بكثير من قوة الماباي سابقا ، عاد وأصر على اقتراحه السابق . ولبث الموضوع عند موقعو اتفاقية التوحيد بين الاحزاب الثلاثة جلسة صاخبة كانت نتيجتها العودة من جديد للقبول باقتراح السكرتير العام للحزب . ويذكر ان ممثلي حزبي رافي واحدوت هعفودا سابقا يصرون دوما على تأكيد دور المركز ويعارضون زيادة دور الفروع خشية من ان تضيع هويتهم ونفوذهم القائم في الحزب،والمرتكز الى تمثيل في المؤسسات المركزية (بموجب اتفاق التوحيد) يعطيهم نسبة اكبر مما يستحقونه اذا اخذت قوتهم في الفروع كمقياس وحيد .

— حيروت : اقر مركز حركة حيروت في ١٩٧١/١/٧ تشكيل الادارة الجديدة للحركة التي جاءت لاول مرة في تاريخها مكونة من (٢٨) عضوا بعد ان كان عددها في المرات السابقة لا يتجاوز الـ (١٣) عضوا . واظهر تركيب الادارة الحالية الواسع ان عيزر وايزمن ، الرئيس الجديد المنتخب لادارة حركة حيروت ، قد قرر السير بحذر في محاولته لعصرنة الحركة وجعلها تهتم أكثر بالمشاكل الحقيقية الراهنة . اذ ان الادارة الجديدة تتكون من كل الـ (١٣) عضوا الذين كانوا يشكلون الادارة القديمة ، وقد تم ضمهم بناء على طلب رئيس الحركة مناحيم بيجن ، ومن (١٥) عضوا آخرين اضافهم وايزمن . وقد كان المراقبون السياسيون في تل ابيب قد توقعوا لدى انتخاب رجل الجيش السابق عيزر وايزمن لرئاسة ادارة الحركة في اواخر العام الماضي ان يقوم بتغييرات جذرية في حركة حيروت بعد انتخابه . ولكن الذي يبدو هو ان توقعاتهم لم تصدق، واثبت « الحرس القديم »، الذي يضع التأكيد على المسائل السياسية قبل الاقتصادية والاجتماعية ، انه ما زال غير مستعد للتخلي عن زمام الامور . وتأكد هذا ايضا في تعيين ايتان لبني ، من أبرز ممثلي القيادة القديمة ، في منصب نائب رئيس الادارة .

احمد خليفة

(٥) المناطق المحتلة

قامت سلطات الاحتلال الاسرائيلية خلال شهر فبراير ١٩٧٠ بحملة عسكرية كبيرة ، في محاولة منها لتصفية المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة . وقد سبق هذه الحملة عدة محاولات قامت بها قوات الامن ووحدات من الجيش الاسرائيلي للحد من النشاط الفدائي في المنطقة ، وكانت النتائج المتمخضة عن تلك المحاولات تأتي دائما بعكس ما تصبو اليه قوات الاحتلال . غير ان حملة فبراير الكبيرة تختلف عن المحاولات السابقة من حيث الحجم والفظائع التي ارتكبت بها، كما وانها جاءت خلال « مرحلة الانحسار » التي تمر بها المقاومة الفلسطينية خارج المناطق المحتلة ، على امل ان تزج المقاومة في القطاع ، هي الاخرى ، في « مرحلة الانحسار » تلك تمهيدا للقضاء عليها. ولعل أبرز الدوافع التـي تقف وراء حملة فبراير تتمثل فيما يلي : اولا : بروز المقاومة الفلسطينية في القطاع وتصاعد قواها يوما بعد يوم واستقطابها للجماهير العربية هناك . وتتمثل تلك المقاومة في جيش التحرير الفلسطيني والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وفتح . ثانيا : عدم ظهور قيادة تقليدية في القطاع تجرؤ على التعاون مع قوات الاحتلال . يقول الصحفي الاسرائيلي عزرا يانوب (معاريف ٧١/١/٢٨) « خلال الاعـوام الثلاثة والنصف الماضية وحتى الان ، كان كل مندوب ومتحدث باسم السلطات الاسرائيلية يعلن انه لا يوجد في القطاع من تتحدث معه ، لعدم وجود قيادة طبيعية مثل الضفة » . ثالثا : فشـل الحكم الاسرائيلي في القطاع في فرض هيمنته وسيطـرته على سكـان القطاع . وقد عبر عـن ذلك المراسل العسكري لصحيفة معاريف (٧١/١/٢٨) حين قال : « ليس غريبا ان يصل المسؤولون عن السياسة الاسرائيلية في القطاع الى استنتاج بأن السيطرة الاسرائيلية في الظروف الحالية في قطاع غزة ، تبدو كأنها كانت رمزية » .

مهدت السلطات الاسرائيلية لحملتها العسكرية التي تخللتها « اعمال مشينة » بالاكثار من الحديث حول « الاعمال الارهابية التي يقوم بها المخربون في القطاع » وحول « المآسي » التي تجري في غياب الحكم ، و« الفوضى » التي تعم القطاع . وكان وزير الدفاع موشيه ديان ، اول من ألح الى اتباع سياسة العنف تجاه سكان القطاع حين قال « ان جنودا في غزة لم ينفذوا الاوامر ، ولم يردوا على مصادر النيران باتجاه المخربين الذين هاجموهم ، او باتجاه الذين يلقون القنابل ، لان هؤلاء تستروا داخل الجماهير ولم يقبل الجنود مس الابرياء » . وهذا هو اول تصريح لمسؤول اسرائيلي يلمح فيه الى احتمال اعادة تطبيــق سياسة « العقـاب الجماعي » .

ثـم تلت هـذا التصريـح خطـوة أخـرى ، تمثلت باقالة رئيس بلدية غزة ، رجب العلمي ، واعضاء مجلس البلدية ، بحجة ان رئيس البلدية مؤيد للاعمال الفدائية ، ولافساح المجال امـام الجهاز العسكري الاسرائيلي لينفرد بادارة القطاع بالشكل الذي يرتأيه . وتبعت ذلك ، دعوة صريحة من الصحافة الاسرائيلية الى القيام بعملية حاسمة لتصفية العمل الفدائي في القطاع ، اسوة بعمليات التصفية التي تمارس ضد العمل الفدائي في الاردن. فقد اشادت صحيفة معاريف (٧١/١/١١) في مقال افتتاحي لها بأعمال واساليب التصفية المتبعة في الاردن ضد المنظمات الفدائية ، التي من شأنها ان « تصفي دولة المخربين هناك » وتساءلت في نهاية افتتاحيتها « هل لنا ان ننقل قليلا من اساليب الحرب التي يتبعها الملك الاردني ضد المخربين في الاردن ، الى قطاع غزة » !!

ومن أجل القيام بعملية ارهابيــة كبيرة ، رأت السلطات الاسرائيلية ان خير من يقوم بها سلاح حرس الحدود ، الذي كان قد اقترف عشية حملة السويس عام ١٩٥٦ مجزرة رهيبة في كفرقاسم ذهب ضحيتها حوالي٥٠شخصا من سكان القرية الامنين. وبالفعل قامت السلطات الاسرائيلية بزج وحدات من حرس الحدود في القطاع ، بالاضافـة الـى الوحدات العسكرية الاخـرى المتواجدة هناك ، وفرضت نظام منع التجول على المخيمات ، واخذت هذه الوحدات تقوم بتفتيشها بيتا بيتا ، وترتكب « فظائع » و« اعمالا مشينة » ، في الوقت الذي احكمت فيه السلطات الاسرائيلية الباب امـام تسرب الانباء عما يجري هناك . الا ان اخبار تلك « الفظائع » اخذت تتردد على الالسن في اسرائيل همسا ، ثم انطلقت من فوق منصة الكنيست جهارا

بواسطة القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » وقائمة « هعولام هزيه » . وسنورد هنا جزءا من النقاش الذي دار في الكنيست حول اعمال حرس الحدود كما جاء في الصحف العبرية : « مئير فلنر (راكاح) : في هذا الوقت تنفذ اعمال ارهابية في قطاع غزة باطلاق النار على النساء والاطفال .

فلنر مواصلا كلامه : لقد ادخلوا الى القطاع حرس الحدود الذي يرتكب الان فظائع ، يرفض ان يرتكبها الجنود .

مردخاي سركيس (التجمع العمالي) : انك تحرض. انك تعيش هنا بفضل حرس الحدود . كان ينبغي عليهم ان يدعوك بأيدي عرب غزة .

توفيق طوبي (راكاح): لا تتستروا على الحقيقة .

عوزي فاينرمان (التجمع العمالي) : على اية حقيقة تتكلم ؟ حقيقة على غرار موسكو .

فلنر : ان الاسرائيليين الموجودين في القطاع يتبرأون من اعمال حرس الحدود هناك . ان هذا انتهاك خطير لوثيقة جنيف .

فاينرمان : انك لا تمتلك الحق في تحقير جنود جيش الدفاع الاسرائيلي .

فلنر : ينبغي تعيين لجنة برلمانية تخرج على الفور الى القطاع لتوقف اعمال الارهاب هناك . ان ما يرتكب هناك الان عار .

فاينرمان : ان العار ما نسمعه من فمك هذا اليوم.

اوري افنيري (هعولام هزيه) : ان رجال حرس الحدود يقومون الان بضرب المارة في الشوارع...»

وفي الوقت الذي فرضت فيه السلطات الاسرائيلية ستارا من الكتمان حول حملتها العسكرية ضد السكان في القطاع ، واثناء تصدي نوابها لفئات المعارضة في الكنيست ، وزع مجهولون — وصفوا أنفسهم بأنهم شاهدو عيان ومن ضباط الجيش الاسرائيلي — تقريرا حول « الفظائع » التي ارتكبت في القطاع ، للصحافة الاسرائيلية . وقد ذكرت هذه الصحف نقلا منه : ١ — « التنكيل بالسكان رجالا ونساء . فقد خلعوا ملابس الرجال وضربوهم بالاسواط على افخاذهم . كما خلعوا ملابس كثير من النساء وسط الشارع بغرض التفتيش . وسرق الجنود الساعات والمجوهرات من الخاضعين للتفتيش . ٢ — اشتكت ممرضات مستشفيات غزة، من ان رجال حرس الحدود ارغموهن على خلع ملابسهن وهن مسافرات داخل الباص الى عملهن، بغرض التفتيش . ٣ — اقيم بالقرب من شاطىء غزة معتقل كبير للسكان الخاضعين للتحقيق وقد اتبعت ضدهم وسائل التعذيب المختلفة » .

بعد تسرب انباء الفظائع التي ارتكبت في القطاع على ايدي رجال حرس الحدود وقوات الامن اخذت الصحافة الاسرائيلية تشك في صحتها ، وتوحي بأنها انباء مبالغ فيها ، وطالبت تلك الصحف الحكومة الاسرائيلية ان تقطع حبل الصمت ازاء هذه « الشائعات » التي من شأنها ان تمس «طهارة السلاح الاسرائيلي » التي دأبت وسائل الاعلام الاسرائيلية بالاضافة الى الموجهين لمجريات الامور في اسرائيل على ترديد هذه « الطهارة » حتى اصبحت أمرا مفروغا منه بالنسبة للاشخاص العاديين في اسرائيل . الا ان صمت المسؤولين الاسرائيليين عن تلك الاعمال المشينة كان له ما يبرره ، فهم المسؤولون اولا واخيرا عما ترتكبه تلك القوات خاصة وان وزير الدفاع موشيه ديان كان قد ابتدع سياسة العقوبات الجماعية سابقا ، بتأييد من رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وطبقت تلك السياسة في مناسبات عدة ، وفي أماكن مختلفة من المناطق العربية المحتلة . ولكن هؤلاء المسؤولين وجدوا انفسهم ، بعد تلقي رسالة من قبل اربعة جنود من سلاح الناحال ، حول الفظائع التي ترتكب في القطاع ، وبعد تسرب الانباء حول ما يجري في القطاع الى داخل اسرائيل ، وما احدثته تلك الانباء من سخط واستياء بين أوساط اليسار الاسرائيلي الجديد (سيح) وبين صفوف كتلة هعولام هزيه والقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (متسبين) وبين اوساط اخرى مستنيرة ، حيث بدأت هذه التيارات بشن حملة عنيفة ومركزة ضد تلك الفظائع ، عند ذاك فقط وجد المسؤولون الاسرائيليون انفسهم مضطرين الى قطع حبل الصمت ، والاعتراف بأن بعض الجنود قد « تجاوزوا بعض الصلاحيات » .

ومن أجل اسدال الستار عن تلك الاعمال ، وابعاد الشبهة عن المسؤولين عن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، وللابقاء على صورة « طهارة السلاح الاسرائيلي» نقية نظيفة في مخيلة الانسان الاسرائيلي العادي ، عين رئيس هيئة الاركان حاييم بارليف « ضابطا كبيرا » لفحص الشكاوى التي قدمت له حول تصرف جنود الجيش الاسرائيلي في قطاع غزة. وبالفعل توجه « الضابط الكبير » الى غزة ، واجتمع مع عدد من ضباط الجيش الاسرائيلي في القطاع ،

ولكنه لم يستطع الاجتماع بقائد قوات الجيش الاسرائيلي في القطاع العقيد م. ابيرام لتغيبه من هناك ! وقدم الضابط الكبير تقريرا الى رئيس هيئة الاركان اعترف فيه « بأنه ارتكبت بعض الاعمال المشينة»، وحاول الصاق تلك الاعمال «بوحدة معينة من حرس الحدود»مع ان التقارير وبعض الصحف ذكرت « ان الفظائع التي ارتكبت في القطاع لا تقتصر على وحدة معينة او سلاح معين » بل « قامت بها الى جانب حرس الحدود ، وحدات اخرى من الجيش الاسرائيلي » . وقد قدمت السلطات الاسرائيلية بعد تقرير « الضابط الكبير » عددا من الضباط والجنود امام محكمة تأديبية ، في محاولة مسرحية لاسدال الستار على تلك الفظائع، كما سمحت للصحفيين الاسرائيليين بزيارة القطاع ، بعد ان دعت الصحف الحكومة الاسرائيلية ان تسمع صوتها ازاء « الشائعات » وان تسمح لمندوبيها بزيارة القطاع للتحري عن صحة تلك الشائعات . وبالفعل توجهت مجموعة من الصحفيين الاسرائيليين الى مخيم الشاطىء ، الذي فرض عليه نظام منع التجول من ٣ يناير حتى ٢ فبراير . وقد تبين للصحفيين الاسرائيليين ان اقل ما يمكن ان يقال عن تلك « الشائعات » انها مطابقة للحقيقة المرة. فقد ذكر مراسل صحيفة معاريف (٧١/٢/٢) ما يلي بعد زيارته لمخيم الشاطىء :

ضرب الاطفال : « تقدمت امرأة تناهز العشرين من عمرها وهي تحمل طفلها البالغ من العمر ثمانية اشهر وقالت : لقد ضرب الجنود هذا الطفل على رأسه ! » . « وفي نفس الوقت تقدمت ثلاث نساء وهن يحملن اطفالهن الصغار واعدن ما أفضت به المرأة من قيام الجنود بضرب اطفالهن » . **ضرب الرجال والنساء والفتيان :** « كل واحد في المخيم كان يقول للصحفيين : لقد ضربنا الجنود وسلبوا نقودنا ، وسرقوا الساعات والاشياء الثمينة » . **السرقة :** « قالت امرأة من نفس المخيم : سرقوا من بيتي ٢٠٠ ليرة اسرائيلية ، وقالت ثانية لقد سرقوا مني ٣٠٠ ليرة وقالت ثالثة : لقد سرقوا ٢٠ ليرة ... » **الاعتداء على الاعراض :** « قالت احدى الفتيات انهم كانوا خلال التفتيش والسلب يفتشون ملابس النساء التي يرتدينها ، وانهم نزعوا بنطلونها عن جسدها » . **سرقة الاشياء الخفيفة والثمينة :** « كثير من النسوة ذكرن امام الصحفيين انهم نزعوا اقراطهن ، وسلبوا ساعاتهن » .

قص شعر النساء : « قال الكثيرون ان الجنود اقدموا على قص شعر النساء » !!

ومن بين الوسائل الاخرى التي اتبعتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في القطاع ، بغرض حصر ظل العمل الفدائي هناك ، اقامة « معسكر اداري » في سيناء في شهر يناير ١٩٧١ ويضم هذا المعسكر ١٦٠ من ابناء القطاع ، كما اتبعت اسلوب النفي بحق عائلات الفدائيين ، حيث قامت مؤخرا بنفي ٢٧ عائلة من سكان القطاع الى سيناء، في أماكن أعدت خصيصا لتلك العائلات . وكذلك اسلوب الابعاد الى الضفة الشرقية من الاردن ، الذي مارسته السلطات الاسرائيلية في الماضي ولا زالت تمارسه حتى الان ضد ابناء القطاع ، هذا فضلا عن زج من تشتبه بهم بالسجون والمعتقلات . وقد اعترفت السلطات الاسرائيلية ان قوات الامن اودعت في السجون الاسرائيلية خلال عام ١٩٧٠ ، ١٢٢٧ شخصا من سكان القطاع بتهمة الاتصال بالمنظمات الفدائية او الانتماء اليها او القيام بأعمال فدائية . بيد ان السؤال الذي يفرض نفسه هو : هل استطاعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي في حملة فبراير ، تطويق المقاومة الفلسطينية في القطاع ، وجعلها تمر في « مرحلة انحسار » كما فعلت القوى المضادة للثورة الفلسطينية خارج المناطق المحتلة ؟ ان الجواب على ذلك لا . اذ ان العملية الكبيرة التي قامت بها وحدات حرس الحدود مع وحدات اخرى من الجيش الاسرائيلي لم تستطع اخماد جذوة النضال لحركة المقاومة في القطاع ، كما انها لم تتمكن من ارغامها على المرور «بمرحلة انحسار» كما فعلت القوى المضادة للثورة خارج المناطق المحتلة . ويعود ذلك الى عدة أسباب اهمها : **السرية التامة لنشاط المقاومة هناك ، والتنظيم القوي ، وعدم التهاون مع الذين يتعاونون مع العدو .**

يقول « ايلي لنداو » المراسل العسكري لصحيفة معاريف بعد فشل حملة فبراير (معاريف ٧١/٢/٥): « ان نشاط المنظمات التخريبية يتسم بالسرية بكل ما تعنيه الكلمة من معان . فعندما يتواجدون في المخيمات ، تكون لديهم شبكة تحذير ، لتنذرهم من نشاط عسكري ... وعندما يقوم الجيش بتفتيش المنطقة ، فان شبكة التحذير تعمل بشكل يثير الدهشة . ولذلك من الصعب الوصول الى الاماكن التي يتواجد بها المخربون الا بعد عملية استخبارية

معقدة » . ويضيف لنداو : « لقد تعلم المخربون خلال الاعوام التي رابط فيها الجيش الاسرائيلي في المناطق اساليب كثيرة للاعمال المضادة » .

بالاضافة الى سرية المقاومة هناك ، وتنظيمها القوي ، فان التركيب السكاني في القطاع ، يحمل بين ثناياه عامل قوة للعمل الفدائي ، حيث انه يوجد في القطاع ٢٢٠ ألف لاجيء من مجموع ٢٧٠ ألف نسمة يشكلون مجموع سكان القطاع . اي ان سكان المخيمات او اللاجئين هنـــاك ، يشكلون الاكثرية بين السكان ، بعكس ما هو عليه الوضع في الضفة الغربية . وبالتالي فان هذه الاكثرية التي لا تمتلك الا خيامهـــا ، لن تخسر شيئا الا تلك الخيام . وقد اضفت سمتها على القطاع كله ، كما وشكلت فيه تربة خصبة لبروز المقاومين هناك.

وقد تنبهت الصحافة الاسرائيلية الى هذا الواقع في الاونة الاخيرة ، واخذت تدعو الى تغيير اوضاع سكان المخيمات . وهناك عامل آخر ، يمتاز به القطاع عن غيره ، ويساعد بدوره في تقوية العمل الفدائي ، ويتمثل في الكثافة السكانية العالية في القطاع حيث تصل نسبة الكثافة السكانية للكيلومتر المربع الواحد حوالي ١٠٠٠ نسمة ، الامر الذي من شأنه تمكين رجـــال المقاومة مـــن الانغماس والذوبان بسرعة بين الجماهير ، خاصة اذا اخذنا بعين الحسبان أن هذه الجماهير ، تكن لرجـــال المقاومة قدرا كبيرا من الاحترام والتقدير و«تحيطهم» — كما تدعي الصحافة الاسرائيلية — « بهالة من الاساطير » . ولعل طبيعـــة العلاقات القوية بين المقاومة من جهة وبين بقية السكان من جهة اخرى تعتبر من المقومات الرئيسيـــة لاستمرار المقاومة وتصاعد قواها . وقد دعت الصحافة الاسرائيلية في اكثر من مناسبة الى « ازالة الاسطورة العالقة في اذهان الاهالي » حول افـــراد المقاومة بواسطة توجيه ضربات قوية لهم . غير ان ذلك لم يمنع الاهالي من التعلق « بقادة القطاع الغير متوجين ».

وقد تمثل تقدير الاهالي لرجال المقاومة في مناسبات شتى ، من بينها اضراب نوفمبر الذي اعلن في القطاع لمدة ثلاثة ايام ، حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع. ومسيرات الحداد التي جرت خلال الاضراب والتي تخللها اطلاق النار على قوات الاحتلال .

من هنا تبدو لنا كوامـــن القوة التي تتسم بهـــا المقاومة في القطـــاع ، والتي لم تستطع سلطات الاحتلال ، الحد او النيل منها ، بالرغم من اعمال التفتيش اليومية التي تقول عنها صحيفة الاتحاد الناطقة باسم حزب « راكاح » « لم يمض يوم منذ الاحتلال دون ان تجري فيه عمليات تفتيش وقمع واعتقال وتشريد وقتل ... لقد اصبحت عمليات التفتيش التي يحتاج الناس بعدها الى اعادة ترميم ما يمكن ترميمه مـــن بيوتهم ، اصبحت فريضة يومية » . وبالرغم من هذه « الفريضة اليومية » التي تقوم بها سلطات الاحتلال صباح مساء في قطاع غزه ، كانت النتيجة عكس ما تسعى السلطات الى تحقيقه . تقول صحيفة دافار في تعليق لها حول اعمال التفتيش تلك : « في كل عملية تفتيش ، ينضج على الاقل عشرة فدائيين ... هذه حلقة مفرغة ... اعمال الارهاب والتخريب (المقاومة) تجر وراءها سياسة متصلبة ، كما ان السياسة المتصلبة ، من طبيعتها ان تصيب السكان كلهم ، فتزيد من الكراهية ، وتولد طاقة جديدة للارهاب والتخـــريب . وليس هنـــالك ثمة جواب للجيش الاسرائيلي والحكم الاسرائيلي على هذه الاسئلة التي تطرح نفسها من جراء هذا الوضع » .

ازاء هذا الوضع ، الذي اصبح معضلة لاسرائيل ، أخذت الصحافة الاسرائيلية تعالج الحلول التي يمكن ان تكون بديلة لسياسة « اليد الصلبة » التي تتبعها الحكومة ، وقد اجمعت تلك الصحف على ان الحل يكمن في تنمية اقتصـــاد القطاع ، وتغيير اوضاع المخيمات ، لجعل السكان يشعرون بأنهم يفقـــدون أموراً اخرى غـــير المخيمات ، في حالة اصرارهم على النضال .

يقول « ايلي لنداو » بعد فشل حملة فبراير في محاولة منه لرسم السياسة الاسرائيلية في قطاع غزة (معاريف ٧١/٢/٥) « ان اسرائيل تحل مشكلة سرطان غزه ، بواسطة حبوب الاسبرين . من اجل تغيير غزة ، ومن اجل تقليل مشاكلنا ، هذه المشاكل التي يبدو انها ستستمر سنين طويلة، ينبغي علينا ان نقوم بتغيير الامور من اساسها ، تغيير صورة مخيمات اللاجئـين ، وتغيير الوضع الاقتصادي ، واعادة اهتمامهم بالحياة ، واعطائهم أملا بمستقبلهم — كل ذلك يمكن ان يحل بدون مس القضايا السياسية . ولكن من اجل تطبيق ذلك فان الحكومة الاسرائيلية تحتاج الى جرأة اكبر ، ورؤيا أوسع » .

ع٥م

مراجعات

ناجي علوش ، **النوافذ التي تفتحها القنابل** (بيروت ، الطليعة ، ١٩٧٠)
خالد ابو خالد ، **وسام على صدر الميليشيا** (بيروت ، الاداب ، ١٩٧١)
عزالدين المناصرة ، **الخروج من البحر الميت** (بيروت ، العودة ، ١٩٧٠)
محمد القيسي ، **خماسية الموت والحياة** (بيروت ، العودة ، ١٩٧٠)

حين كان الشاعر محمود درويش داخل الارض المحتلة ، كان النقاد حينذاك يداعبون باب الاجتهاد، هل هو شاعر مقاومة ، ام شاعر معارضة ، ولقد أغلق خروج درويش الى القاهرة ، هذا الباب ، وعاد تساؤلا سائبا لا مهمة له غير معرفة ما اذا كان السيد درويش مناضلا في موقفه هذا ، ام لا . وأكبر الظن ان المرحلة الاتية ـــ فيما اذا بقي الشاعر درويش على موقفه ـــ ستقترب بشكل من الاشكال ، من محاولة التقييم النقدي المحض . وستبتعد بنفس القدر ، من هذا اللغو الصحفي الشديد الاساءة ، ان محمود درويش شاعر ، وشاعر فلسطيني . يجب علينا أن نقف في حدود هذه المقدمة، لنتأمل معنى القصيدة المنتمية ـــ فلسطينيا، لان محمود درويش استطاع ، بفذاذة ، ان يشكل محورا واضحا لهاجس عام (انساني) ، ذي بعد عميق (وطني ـــ وقومي) . ولهاجس خاص ، هو نفوذه الحاد على كائن انساني شديد الحساسية هو ، محمود درويش ، نفسه .

لقد قرأت في الفترة الاخيرة لاربعة شعراء ، تختلف رؤياهم نظرا لطبيعتهم ، كما تتفاوت هذه الرؤيا ، نظرا لقيمتهم الشعرية ، ولكنهم جميعا فلسطينيون: اثنان مارسا مهامهما الفلسطينية بفاعلية مشرفة ، نجاءا الى الشعر بعدة نضالية ، وتجربة لم تستطع ان توقظ السحر في اللغة . واثنان لم يدخلا عن التجربة ، بل واجهاها كما واجهها الانسان العربي القادر على استيحاء قدرها الكبير . فوقعا ، هما الاخران ، في مضايقات كانت علتها انعدام القدرة الكافية ـــ شعريا ـــ على خلق الانسجام التام بين واقع القدر الكبير والتجربة ، وواقع الضياع والرغبة في التمرد ، بين الموضوع الواقع والذات الواقعة . كانوا جميعا فلسطينيين يواجهون أزمة واحدة ، ازمة الانسان العربي حيث يكون أمام الهزيمة وفي استشراق المستقبل وأزمة الفلسطيني في البحث عن هويته . ولكن لماذا كان محمود درويش شاعرا ، وشاعرا فلسطينيا . ولم يستطع هؤلاء جميعا ، الا ان يكونوا فلسطينيين فحسب . لقد شكلت الارض امومة ماثلة ودافئة للجميع ، ولكنها عند محمود درويش لم تكن هاجسا طبيعيا فحسب ، بل أيضا كانت هاجسا ابداعيا . الامر الذي لم يتوفر عند الاربعة الاخرين . لقد كانوا فلسطينيين فحسب . ولم يكونوا بهذا المعنى شعراء فلسطينيين .

اللذان مارسا « الحياة الفلسطينية » بفاعلية ، هما الشاعران ناجي علوش « النوافذ التي تفتحها القنابل » والشاعر خالد ابو خالد : « وسام على صدر الميليشيا » . لقد كان الشعر عند الاول محاولة وضع لها مقدمة طويلة : يعتذر عنها تارة ، ويستأذن لها ، ويبررها تارة اخرى ، فيتطرف ، محددا على هوامشها قيما وقوانين نقدية ، يرى فيها الشعر « ما يكتب للجماهير » ، و« يغني انتصارات الانسان وهزائمه ، تخوفاته وتطلعاته، والذي يخوض معركة الانسان من اجل حريته وتقدمه ، وهذا يعني شيئين مترابطين : ١) يتعلق باللغة ، بالمصطلح ، والمصطلح الشاعري في نظري هو الذي يتوجه الى الجماهير لا الى القلة او النخبة . ٢) يتعلق بالمضمون ، والمضمون الشاعري في نظري هو الذي يطرح موقفا انسانيا واعيا من قضايا الحياة والموت والحرية ، لا باعتبارها مطلقا او ميتافيزياء ، بل باعتبارها حياة يومية للناس » .

ولنقرأ نموذجا للاستاذ ناجي علوش يفيدنا فيه عن معنى هذا « المصطلح الشاعري » و « المضمون الشاعري » . ولنستلهم منه هوية وطبيعة هذا الشعر الجماهيري ، ذي الوعي الحاد « لقضايا الحياة والموت والحرية ». يقول في قصيدة « عبد الرحمن » . . الشاب الجزائري :

« يا عبدالرحمن ..
يا عبد الرحمن ..
اصمت لا تزرع في قلبي خنجر
فكلامك عن حرب التحرير
أشجاني
أحزاني

يا عبد الرحمن
أنتم ناضلتم
أنتم قاتلتم
أنتم قدمتم مليون ضحية
أما نحن فما زلنا نحكي عن أيام الاحزان
وعن الايام اللائي لم تأت بعد

يا عبد الرحمن
ذكرني بالايام اللائي لم تأت بعد
أهدر
أهدر »

هل وفق الشاعر الفلسطيني ، ان يقول حكمته في هذه الاستجابة الجماهيرية السهلة . لقد وفق بحق الى «جماهيرية» سديدة ، ولكنها غير شعرية، فاللغة في القصيدة السابقة ، والمضمون ، جاءا كما اراد لهما الاستاذ علوش ، بسمة جماهيرية ، واضحة . ولكن هل هذا يكفي لجعل لغة محترمة، وحسنة النية ، شعرا ؟

لا نريد أن ندخل بقصد في أزمة العلاقة بين الشعر والجمهور ، وهي أزمة متوفرة بعنف ، فمهما كان الامر متعلقا بأحد الطرفين (طرف الشاعر الذي يرى ان الجمهور ما زال محكوما بالجهل والامية أو طرف — الجماهير — الذي يرى ان الشاعر يجب ان لا يحترم كبرياء لغته ورؤياه اكثر من احترامه لحياة الجمهور ومصيره) فان مجموعة الاستاذ ناجي علوش ستخرج خاسرة دون شك . ان الاحزان التي في « النوافذ التي تفتحها القنابل » ، والامل الكبير في المستقبل والاحساس بقيمة الشهادة ، والحرية ، والثورة ، والجماهير ، كلها تبقى ذات قيمة انسانية يملك الاستاذ علوش ان يوانيها حقها في ضروب اخرى من سبل المعرفة لا تقل قدرا — في المواساة والتحريض — عن الشعر .

خالد ابو خالد يقف الى جانب ناجي علوش ، ولكن طاقة من الطموح ، تنبض في أعماق الاول ، فتحمله الى توتر ، لا يطيقه الشعر . توتر ، واضطراب، ينعكس بوضوح على لغته . فيتبعها : بأحاسيسه المطاطة السهلة تارة ، وباختلاجته المسرعة تارة اخرى . وهو في الحالتين ، تواق الى ان يقول كل شيء مرة واحدة .

« سنحكي يا نداء فجيعة الانسان في ارض الملايين
المسندة الزنود الى الفراغ
بوسوس الكلمات »

ولكنه بالتأكيد سيقع بمأزق « اللغة » ، حين يواجه تجربة لاهثة مسرعة :

« ترى تحيطني يداك
هل يفرخ العصفور في فمي غناءه القديم
يا يمامتي
وهل يبرعم الشباب في المدى المليء بالندى الناري
والصخور أغنيات . »

لقد أصبح فرح الشاعر حين دخل اللغة : «عصفورا يفرخ في الفم الغناء » و« الشباب يبرعم اغنيات » في « الندى الناري !! » و« الصخور » ، ان هذه البعثرة التي توهم بالعمق ، ما هي الا توق للعمق ، لم يجد الشاعر سبيله اليه . يتضح ذلك أيضا ، في طريقة تضمين الشاعر للامثال والاغاني الشعبية الفلسطينية ، فأنها كثيرا ما تجيء طارئة ودخيله .

أحببت في مجموعة الشاعر خالد ابو خالد قصيدتين توفر فيهما قدر من الشعر ، الاولى : « بطاقات للعيد » باستثناء المقطع الثاني الذي كتب عن جيفارا . والثانية ، قصيدة « نيسان سمفونية »، التي يذهب فيهما مذهب الشاعر صلاح عبدالصبور، حزينا ، دافئا ، منفصلا بعض الشيء عن توتره الحاد المضني .

الشاعران الاخران ، عزالدين المناصره في « الخروج من البحر الميت » ومحمد القيسي في « خماسية الموت والحياة » ، توفرت لديهما التجربة الفنية والشعرية بوضوح اكثر وبقدرة أعمق من صاحبيهما . انهما يحملان معا تجربة الغربة ، وما يتلبس فيها من خوف وحزن وتشتت ، وهما معا ، شاعران فلسطينيان . وضعا « الارض » داخل رؤياهما كما وضعها الاولان . ولكنهما — حين عانى الاولان هم الانتصار — واجها هم الخيبة. وهو اختلاف في الرؤيا فرضته طبيعة الممارسة لكل منهم .

أهم ما يتصف به عز الدين المناصرة في قصائده ، هو « الصورة المجانية » . انه يملك ان يقول أي شيء ، دون أن تترتب على ذلك تجربة فنية مقصودة ومعينة . لقد توفرت هذه الخطيئة في مجموعته الاولى « يا عنب الخليل » ببذخ . ولكنها بالتأكيد جاءت هامشية في المجموعة الثانية . لقد دفعت الغربة عز الدين المناصرة الى رؤيا غاضبة غضبا عفويا يصل حد السذاجة كما في قصيدته « أبي وأبوك وابوه » ، وغضبا ذا سمة ساخرة مريرة وهجاءة ايضا . انه على العكس من الشاعرين الاولين ، يواجه — عبر غربته — لا هم النصر كما قلت ، بل هم الهزيمة والخيبة ، فهو أمام السلطان والسلطة صارخا حينا ، وباكيا احيانا ، ولكنه في الحالتين ينبض بالسخرية الحادة . وهو على الدوام يستعير أبطاله من التراث ، حتى استحالوا شريحة من تجربته الشعرية ، ولكن « مجانيته » تدفعه احيانا كثيرة ، الى تلصيق اسماء كثيرة لا دلالة لها ، ولا علاقة بقصائده مثل : « عبد يغوث الحارثي في المظاهرة — وديدالوس في ذكراه الثالثة — وتصريحات ابن حمديس الفلسطيني — ... الخ » .

ربما تستهويه ، عادة ، الصفة الغنائية في الصورة، فيقع ، او يلجأ الى حماها الصوتية :

« زرعوا الاحجار السوداء
أكلوا ذهب الغياب
وزرعنا عنبا .. وهضاب
فلقينا موت الاحباب »

« وحين تكبر الرؤوس
وعندما يستيقظ النيام
وحين يصبح القطا حمام
أتوب يا مدائن المجوس »

أما محمد القيسي فلا يقع بهذه المجانية ، ولكنه يحتاج لقدرات شعرية هامة غير متوفرة لديه ، ولكنها متوفرة لدى المناصرة بوضوح . ان القيسي، فيه مسحة من الهواجس « الذاتية » ، فهو في خطاب دائم — عبر قصائده جميعها — لقلبه المتعب — او لحبيبته البعيدة ، او لمدينته المفقودة. ولكنه قد يقع فيما وقع فيه المناصرة من المجانية :

« تقاسمتك الدفوف
عشية الحب ماتا
فما أفاد الوقوف
ولا ملت التفاتا »

« قد عز طيفك حتى
ذابت جموع الاغاني
صلبت جبنا وصمتا
بكيت مما أعاني »

ان الانفصام بين التجربة وبين اللغة وقدراتها هو الذي يشتت تجربة القيسي الفنية . فيجعلها حارة في مواضيع داخل القصيدة الواحدة ، وميتة طارئة ، شكلية في مواضع اخرى . كما يدفعه أيضا الى استلهام صوت صلاح عبد الصبور — مثل خالد أبو خالد — حينا ، وأصوات ذات ايقاعات شديدة احيانا اخرى .

يبقى كل واحد من هؤلاء — ذوي التجربة الحياتية العميقة — في حدود تجربة فنية ضيقة ، غير كافية لانجاب العمل الابداعي الذي تلتحم فيه كلا التجربتين التحاما عضويا . ان هواجسهم الوطنية ، غير كافية ، لجعلهم « شعراء » فلسطينيين بالمعنى الذي أصبح فيه محمود درويش شاعرا ، وشاعرا فلسطينيا . وليس لهذا التصنيف —طبعا— علاقة بالتقييم النقدي والاخلاقي معا . فان انتسابهم الطبيعي لمناخات جديدة يخلق عندهم هاجسا مختلفا عن الهاجس الذي أصبح ناضجا في أعمال محمود درويش — من ناحية شعرية . ان العمل النضالي قد يتوفر عند أقلهم قدرة على الابداع . وهذا ما أسميته انفصاما بين التجربة وبين قدرة اللغة . ولا يتفرد هؤلاء الشعراء بالضرورة في امكانية تمثيل الشعر العربي الفلسطيني ، ولكن حديثي هذا كان مجرد هوامش حول اربع مجموعات شعرية متوفرة الان في الاسواق .

فوزي كريم

أديب نحوي ، عرس فلسطيني (بيروت ، العودة ، ١٩٧١)
جبرا ابراهيم جبرا ، السفينة (بيروت ، النهار ، ١٩٧١)
رشاد ابو شاور ، ذكرى الايام الماضية (بيروت ، الطليعة ، ١٩٧١)

ثلاثة اعمال ادبية ظهرت في الاونة الاخيرة ، يتقاسمها ويجمعها الاحتفال بالفلسطيني الجديد ، الفدائي ، وتفترق في النظرة الى معطياته وآفاق فعله : الاجتماعية والانسانية . وكذلك لكل منها شأنها الفني . في مقدمة هذه الاعمال التي تستحق القراءة والالتفات ، تبرز رواية « عرس فلسطيني » للكاتب الحلبي اديب نحوي . ولعل هذه الرواية هي الاولى في العربية — الى جانب اعمال الطيب صالح — التي في الامكان اعتبارها رواية غنائية ، اضافة الى الادب الذي يتخذ من فلسطين كواقعة تاريخية ، موضوعا ومادة له . لقد تمكن اديب نحوي عبر صياغة عفوية آسرة تتوسل صياغة التوراة ، من ان يبعث اسمى واعمق تقاليدنا في الفولكلور ، وان يوظف هذه التقاليد الراسخة في المخيلة والوجدان الشعبي، لخدمة الفكرة الوطنية ذات الافق التقدمي . وهذا اللون والمنحى في الكتابة ، يعد امتيازا له . فما هي الخطوط العريضة للرواية ؟ فهد البصاوي احد ابناء المخيم ، يعقد قرانه على فاطمة احدى صبايا المخيم. وهذه الصبية يتيمة الابوين : والدها يرقد في تراب الوطن ، بعد أن قضى وهو يتنكب بارودته العثمانية . ووالدتها قضت عندما داهم « السيل » المخيم قبل « خمسة عشر عاما » وظلت تحتفظ بقطعة من ثوب طفلتها في يدها ، وكانت الطفلة قد انقذت وهي على شفا هاوية . وفي ليلة العرس ، يستعد اهالي المخيم وضيوفهم « الشباب » للاحتفال باليوم المشهود . وقد كان فهد ذهب لعند والد فاطمة حتى يستأذنه « نغير الطريقة من مخيمية الى بصاوية : انه لا بد للزواج من اذن . ومن بصاوية عتيقة الى بصاوية جديدة : ان العريس هو الذي يستأذن نيابة عن عروسه». اما فاطمة التي ستتزوج دون استئذان ، فلا بد لها أن « تخرج » الى عريسها من عند امها . وهكذا ذهبت الى تراب امها في شمال المخيم . وبعد أن يكتمل عدد الزوار ، وبعد أن تقام مظاهر الفرح والطرب ، يبقى انتظار زفة العريس الى عروسه ، الذي ذهب الى جبل البصة في فلسطين وبيده السر : نشك غير مسترطب . اما فاطمة فقد رجعت بعد أن أذنت لها امها . واخيرا وبعد ان ينتصف الليل ، يطل موكب العريس ، بعد طول انتظار . فهجمت العروس قبل اهل العريس عليه. ثم تبعها أهل العريس و« أهل ضيعته وبقية احبابه والضيوف » . « والبعض حملوا اطفالهم عاليا فوق اكتافهم .. فوق رؤوسهم . وكان الاطفال يبوسون ، يمرغون خدودهم الصغيرة ، ويبوسون» ثم مشوا جميعا بالنعش تجاه الساحة . وفي الطريق وهم يحملونه على الاكتاف كان لا بد ان يكتمل العرس . أبو فهد يسأله ابنه ان كان وصل، فيجيب رفاقه : وصلنا . وتسألهم عمة فاطمة عن العلامة فيقولون : بارودة عثملية عتيقة ثم يقول رفاق فهد : والفهد ربط برأسها ثوب فاطمة الصغير المقصوص من ذيله وغرسها فوق قبر ابي فاطمة . وقالوا خذوا لراية البصاويين التحية . ضربنا لها من بنادقنا السلام . ثم تستلم فاطمة من رفاق فهد هدية عريسها اليها : بندقية فهد . فتنتظر الى الثلاثة وعشرين لمبة التي تحيط بلمبة فلسطين الكبيرة ، المزينات في الساحة . وفي كل مرة تصيب لمبة صغيرة تتوهج لمبة فلسطين الكبيرة « وكأن الشمس قد اخذت تسطع على المخيم مباشرة ، من فوق جبل البصة » .

قد تتهم هذه الرواية بالميلودرامية ، وباعتمادها على الفدائي : شهيدا ومخضبا بحب الوطن . لكن هذه التهمة ليس صعبا دحضها . فالرواية لا تنتهي بموت البطل ، بل باستلام البطلة للسلاح : اداة الحياة الجديدة . وليس المناخ المأساوي الذي يشيع في الرواية ، الا من سبيل الغاء قيم جديدة على ما يمثله موت الفدائي . ففي موت الفدائي حياة اخرى للمخيم ، وليس مجرد انكسار فردي لشخص ما . وهكذا : ان في موت الفدائي ، واستئناف رفاقه القتال واختيار ابنة المخيم للسلاح ، ما يجعل هذا العرس بشارة قتال . على هامش ذلك لا بد من ايراد ملاحظات : * لم يكن اختيار المؤلف لاهالي المخيم مادة بشرية لروايته ، صدفة فنية . فخلف هذا الاختيار تكمن قناعة المؤلف العميقة والاصيلة بأن هذا القطاع من الفلسطينيين هو مادة الثورة الان ، كما كان

مادة المأساة . وهذا ما يهب مضمون الروايـــة عمقا اجتماعيا . ولعل الملاحظة هنا تجدر بالذكر : بعد حزيران تدفقت القصص عن المقاومة ، ونادرا ما كان ابطالها ينتمون الى المخيم ، بل لفئـــات اجتماعية وسطى ، تعبر عنها شرائح مثقفة تعاني من الضياع ، والاخلاص الذاتي المحض كذلك . ٭ لم يعتمد بناء الرواية على الرمز . ان اشخاص الرواية وحوادثها واماكنها ، هي واقعية تماما ، اي تعبر عن حياة واقعية . وقد كان في ظن مؤلفها ان المأساة — المقاومة الفلسطينية هي بحجـــم المخيلة ، كما هي بحجمها الواقعي . لذلك شاء أن ينقل ادق واصغر تفاصيل الواقع ، تاركا اياها مثقلة برموزها الاولى . ترى من يحتج على الاستئذان ، والتلبيسة وليالي التحاليل السبع ، ويوم الزفة وليلة الدخلة ؟ وكذلك جبـــل البصة في فلسطين ؟. بقي ان المؤلف استخـــدم هـــذه العناصر استخداما شعريا . فعبر عن الواقع ليس بشأنه اليومي المجرد بل بما ينطوي عليه ويعتمل فيه من حلم . وذلك عوضا عن « خرافة الرمز » . ٭ على ان المؤلف وقع في الخطأ ، عندما عـــزل المقاومة عن امتدادها العربي . فالضيوف رغم أنهم شباب ، لبثوا في مكانهم سالبين . ولم يتمكـــن المؤلف من دفعهم الى المشاركة في العملية الفنية . حيث تبدو عثرات «عرس فلسطين» نادرة ، وعزيزة على ذكاء الناقـــد المولع بالاعمال الكلاسيكية او « الطليعية » على حد سواء . مقابل ذلك تبدو عملية تلمس الايجابي في روايــــة « السفينة » مستعصية ، فضلا عن انها غـــير ضرورية وغـــير أمينة . سيكون على القارىء — اذا شاء — ان ينتقل من فهد العريس ، الذي قضى سواد ونضارة عمره في المخيم ، ان ينتقل الى وديع عساف الذي يبحر هنيئا في سفينة جبرا ابراهيم جبرا . فمن هو وديع عساف ؟ شخص فلسطيني يقيم فـــي الكويت . تاجر وصاحب شركة ، ثري ، فـــي العقد الرابع من عمره . نشأ طفولته في القدس وعاش فيها مراهقته . القى ذات يوم مشهـــود حجرا (قنبلـــة) على تجمـــع صهيوني مسلح . بعدها ولى وهاجر حتى الكويت .

الى أين يتجه نموذج جبرا الفلسطيني ؟ الـــــى الموانىء الاوربية ، انطلاقا مـــن ميناء بيروت . وما هو المحيط البشري (الاجتماعي) الذي يستمد منه وديع قوانين حياته الشخصية وعلاقاته ؟ عصام السلمان طبيب عراقي درس في اكسفورد . سليل والد اقطاعي ، وينفق ضجره في البلاد الاوروبية. لمى من نفس أسرة الطبيب العراقي . فالح عبد الرحمن طبيب اخر . عصام مهندس مثقف . كيف اجتمع شملهم مع اخرين في سفينة (ورقية ، فكلما استمر حبر جبرا كان ذلك ايذانا بغـــرق السفينة ، فنيا كرمز ، من ذهن ومخيلة القارىء)؟ عصام تعرف الى لمى ابان دراستهما في اكسفورد. تزوجت لمى من فالح عبد الرحمن ، وهذا تشده علاقة حب بفتاة اجنبية اسمها اميليا . وقد تعرف اليها اثناء احد المؤتمـــرات الطبية في بيروت ، بواسطة طبيبة لبنانية اسمها مها . ظل الحب قائما بين لمى وعصام . وهذا رغب ان يسافر من ميناء بيروت الى موانىء البحر المتوسط ، ولمى تعرف موعد سفر عصام فتحجز مكانـــا في ذات السفينة ، قبل ان تعرض رغبتها على زوجهـــا الذي لا يتردد ، فيتصل هذا باميليا ، واميليا تتصل بمها ، ومها تتصل بصاحبنا وديع عساف الـــذي يحبها ، فيبحرون . ليس نموذج جبرا مرفوضـــا لمجرد انتمائه الى فئة اجتماعية ، يدها «نظيفة» من السلاح ، وليس مرفوضا ايضا لمجرد ان فالح عبد الرحمن — الذي هو عضو في جســـم الرواية كما هو وديع — ينتهي الى الانتحار كخلاص فردي أسود ، وهذا ما تنتهي اليه الرواية ذاتها، بل لانه يطرح نفســـه مباشرة في الرواية . فحيث الاشخاص يعدمون خصوصيتهم ، وحيث سيـــاق حياة الابطال ليس مجموع الاحـــداث والتصرفات الصغيرة ذات الدلالة ، في حياتهم ، فانه لا بد من ان يملأ المؤلف افواه ابطاله بالكلام الذي في ذهنه، فيتفوهون بذلك برغبة خالقهم : يقول البطل في احدى الحوارات او المحاورات المطولة: « الموت. المجابهة . الفداء . هذا كل ما لدي ان اطرحه ». لكن هذا الطارح للفـــداء باستلذاذ ورخاء لا يلبث ان يكشف عن الخديعة . اذ يصرح بأخلاقية عالية انه سيهجر بناء التجارة ويزرع الكروم واشجـــار الصنوبر والبنـــدورة والتفاح ، وسيحفـــر آبارا ارتوازية ، في المرتفع الذي اشتراه في بلدة حلحول الفلسطينية . فهل ذلك حقا ، وهل يستطيع « هذه العشرون الف دينار التي جمعتها ستكفي لان أمد لي جذرا عميقا في ارضي من جديد . فلأسرح مرة أخرى » ولا بد انه سيستمر في سرحانه ، ليس لانه انهزامي ، بل ليعود ويعمق جذره في ارضه ؟

في مجال آخر يتحدث فلسطيني جبرا عن ابناء شعبه قائلا « انهم في الواقع تجار . لقد اقفلوا قلوبهم عن الشعر ، وانصرفوا الى التجارة . وانا كما ترى واحد منهم . امضي في سبيل القرش الف ميل » . ان تعبير البطل عن فئته الاجتماعية ، وخضوعه لقوانينها ، أمر لا يحتمل المراوغة . اما التساؤل فيما اذ كان المؤلف يتبنى هذا النموذج ام لا ، فانه ليس واردا . فاذا كان في وعي المؤلف ان يفضح هذه الفئة ويدينها ، فما هكذا يكون الفضح والادانة . فقد تبدى عطفه واضحا وصارخا على هذا النموذج ، عند تعريفه بطفولته . وهذه الطفولة هي في تقدير المؤلف : زمان فلسطين . لذلك فان القارىء سيكون مدعوا لقراءة صفحات طويلة يفردها المؤلف ، بأسلوب الذكريات الفصيح الباعث على الشجون والشكوى ، عن أيام البطل في القدس . هكذا تصبح الطفولة : ورقة براءة . وفي ذات الوقت فان العودة الى الطفولة مستحيل. هذا هو العقل الاحتيالي للبطل . ان وديع عساف نموذج الفلسطيني الارستقراطي . النموذج الذي اسقطته الهزيمة الاولى . وقد شاء المؤلف ان يبعثه من تبر التاريخ المردم ، عبر رواية تتضمن مقطوعات انشائية فالتة ومواقف مفتعلة ، ونحن نشيح بنظرنا عن هذا النموذج الذي يسرق شرفا لا يدعيه ، وتهمة لا ينكرها .

بين جدارة وشاعرية « عرس فلسطيني » وادعاء وغرور « السفينة » ، يقع تواضع « ذكرى الايام الماضية » . تواضعها واحيانا تقشفها واحيانا بساطتها واحيانا سذاجتها . تتكرر في هذه القصص لرشاد ابو شاور عبارات مثل « الجيوش هزمت ، فهل يمكن ان يصحو هؤلاء الشباب فيصفون المعجزة » . (الصوت والصدى) . « .. ولكن عند العصر ظهرت طائراتهم .. وتقهقرنا .. وكانت عيوننا تتجه الى السماء .. وقلوبنا تصرخ ، اين انت يا طائراتنا ؟ ولكن.. » . (الشوق والنداء). « آه يا صديقي عباس لم يكتمل الحلم ، تهاوى حين اعلن وقف القتال قبل وصولنا » (عودة الغريب) . « تناولت المذياع من حافة النافذة .. احدهم يرافقه ضجيج آلات محمومة يصرخ بحب الوطن والله والحرب » . (ذكريات حزيران) . « .. وهل حدثت الحرب يا رجل ؟. مثل غيرك ، كنت تجتر احلام العودة الى قريتك ، هناك ، حيث دفن والدك ، وجدك .. تلك كانت نكتة سمجة ». (زمن النابالم) .

وفي سبيل الرد على الهزيمة التي ولدتها « النكتة السمجة » ، يختار ابو شاور ابطاله فدائيين ليصنعوا « المعجزة » . وعبر هذا التبني الاخلاقي — الاحادي ، تبدو النماذج التي اختارها المؤلف لتملأ خانة الفداء : غير مترددة وحاسمة ، بعد ان قطعت كل صلاتها مع ماضي التشرد والنفي . وهذا ما قاد المؤلف الى اختيار نهايات متفائلة ، منعمة بالتبشير ، كمردود وثمن طبيعي ومنطقي للهوى الاخلاقي الذي يعصف به : « انه الشوق المعتق .. لقد بدأنا ، ولن ننكفىء .. عيوننا شاخصة الى الغرب .. الى البيت يا ملاكي » . (الجرح لا يساوم) . « تتحرك ، وتكتشف ان القوة ما زالت تنبض في عروقك .. تسير .. نسير .. الى الغرب » . (زمن النابالم) . « انه المخاض يا ارض الدم الحزينة . استيقظي ايتها الاجساد الطعينة . الاحفاد يأتون » . (الاحفاد يأتون) . « وتصاعدت في الليل اصوات انفعال الرجال الصامتين بدوي هائل » . (اشياء فلسطينية) . « لا يهمني ان اموت ، المهم ان يصلوا ، ان تدوي الانفجارات غدا .. امطروه بوابل من الرصاص ، فسره انهم يركزون باتجاهه فاسحين المجال لرفاقه بالاستمرار الى هدفهم ، الذي كان يقترب كلما ساروا » . (عودة الغريب).

مقابل ذلك يلمس القارىء موهبة الكاتب العميقة في قصة « ذكرى الايام الماضية » الحلقة الوحيدة في المجموعة التي تربط بين النضال قبل هزيمة ٤٨ والنضال الراهن . حيث نتعرف على نموذج الفلسطيني الذي يقف اعزل من السلاح ، بينما تحول القيادات الاقطاعية المرتبطة بالاوضاع العربية آنذاك من ممارسة دوره . لكنه يحصل على السلاح بالعنف ويستشهد ، اما طفله فقد شب وحمل بندقية في غزة. وفي قصة اخرى (العصافير) يبرع المؤلف في توظيف لحظة نفسية دقيقة لخدمة فكرة شعرية تلح على وجدانه : فدائي شرق النهر يصر على دفن عصفور جريح غرب النهر . بينما في القصة الاخيرة (بنادق عتيقة) ينبىء بخروج الجماهير الفلسطينية عن الوصاية : كان زواج العم (من الام) اكذوبة !. وابطال رشاد ابو شاور مليئون بالاصرار والحمية على تحرير الام من آلامها . تارة يقنعوننا وتارة لا نصدق .

محمود الريماوي

C. H. Dodd and M. E. Sales, **Israel and the Arab World**
(London, Routledge, and Kegan Paul, 1970)
Aharon Cohen, **Israel and the Arab World**
(London, W. A. Allen, 1970)

ان هذين الكتابين اللذين يحملان نفس العنوان ونشرا في لندن مؤخرا هما من جملة الدراسات العديدة التي ظهرت في السنوات الاخيرة لبحث تطور العلاقات العربية الاسرائيلية بالاعتماد على مادة وثائقية ، ولكنهما يقدمان صورتين مختلفتين : الاول يعرض تطور الصراع العربي الاسرائيلي من خلال الوثائق، والثاني يعرض تجربة عاشها المؤلف لايجاد فرص « للتقارب » العربي اليهودي وسط هذا الصراع ، هدفهما التوصل الى « سلم » يجد حلا لاكثر مشاكل العالم تعقيدا ، ويخرجها من سياسة « الترقب والانتظار » .

الكتاب الاول ضمن مجموعة « دراسات عالمية » التي تعرض عادة مادة وثائقية تدور حول موضوع معين تمكن للباحثين دراسة وتقييم هذه الوثائق وتكوين الاحكام التاريخية الصحيحة . وقد عمل ناشرا الكتاب على عرض مجموعة وثائقية استقياها من مصادر رسمية ، ومن كتابات بعض المؤرخين المعاصرين ، ومن مقالات في الصحف والدوريات تدور كلها حول العلاقات العربية الاسرائيلية ، وهي ليست جديدة الا في طريقة عرضها والتعليق عليها ، اذ لم يكن قصد الكتاب ان يكون مرجعا للمتخصصين بل يهدف القارىء الذي يجهل ، او على الاصح ، يلم ببعض الشيء بموضوع هذه العلاقات ويرغب بالحصول على معلومات موثوقة عنها . ورغم ان مقدمة الكتاب توحي انه عرض موضوعي للنــزاع العربي الاسرائيلي لكشف ابعاده الحقيقية واثارة افكار الباحثين لايجاد حل له ، نجده في انتقائه للمادة الوثائقية وفي عرضها وتحليلها لا يخرج عن سائر الكتب التي تدعي الموضوعية « التقليدية » حيال هذا الموضوع حين يقدم وجهتي النظر العربية والاسرائيلية وكأنهما طرفان متساويان لقضية واحدة لكل منهما حججه الدامغة لدعم « حقه السياسي والتاريخي » في المنطقة وما على الباحث الا الموازنة بينهما والتوصل الى « الحكم الصحيح » .

وفي محاولته العودة الى جذور الصراع ينطلق من فكرة خاطئة تقوم على وجود قوميتين نشيطتين في منطقة واحدة اتبعتا خطا واحدا في التطور وكان بامكانهما العيش جنبا الى جنب لولا تدخل مصالح الدول الكبرى في نهاية العهد العثماني التي ادت الى وعود متناقضة للطرفين وبالتالي تحددت خطوط النزاع العربي اليهودي ، وهي فكرة يروجها كثير من دارسي الحركة الصهيونية لاثبــات ان « الحركة القومية اليهودية » تشبه في نشأتها وتطورها سائر الحركات القومية في العالم بما فيها الحركة القومية العربية . وشيء آخر ان تدخــل مصالح الدول الكبرى لم يكن العامل الرئيسي لبدء الصراع ، فقد اشار احاد هاعام منذ نهاية القرن التاسع عشر الى اخطار نمو الحركــة العربية على المشاريع الصهيونية ، بل ان الامر لابعد من ذلك اذ ترجع الوثائق البريطانية اسباب ربط متصرفية القدس بالباب العالي مباشرة (في الربع الاخير من القرن التاسع عشر) الى القلق الناجم عن تخوف « اهل البلاد » من الهجرة اليهودية . ويحاول الكتاب في تحليله وعرضه لوثائق فترة الانتداب ان يثبت ان بريطانية هي المسئولة عن زيادة العداء بين الجانبين بتشجيعها تطــور المجتمعين العربي واليهودي في خطين منفصلين بدل العمل على تقريبهما ، بحيث ان كليهما — على حد قوله — قد تمسك بمواقفه الاساسية واصبح اكثر عداء لبريطانية ! والواقع التاريخي قد اثبت ان تزايد العداء كان يتوافق مع توضح المخطط الصهيوني بتشجيع من بريطانية ، التي تحدت الشعور العربي ككل حــين اشترطت تطوير الوطن القومي لليهود في صك الانتداب .

وتتناول الفصول الاخيرة من الكتاب وثائق النزاع العربي الاسرائيلي بعــد فترة الانتــداب وقيــام اسرائيل ، محاولا التعرف عن طريقها الى اسباب تأزم النزاع بفعل الزمن والاحداث وتفجره في حروب ثلاث ، مستدلا على العوامل التي تعوق او تخفف حدته ، وهل يمكن الوصول الى اتفاق — او على الاصح — الى تعايش ؟

تام العرض على اساس ان وجود اسرائيل قــد اصبح أمرا طبيعيا ، وما تلا ذلك فهو مشاكل حدود ، وتصادم مصالح مادية ، فكل توتر ونزاع هو نتيجة تصلب مواقف الجانبــين وتدخل قوى

خارجية ادخلت المنطقة في الصراع الدولي ، وتعمقت بالتالي مخاوف الجانب العربي ازاء التوسع الاسرائيلي وخاصة بعد عام ١٩٦٧ ، واصبح لزاما عليه البحث عن طريقة ــ قد تكون حرب الفدائيين ــ لارغام اسرائيل على سحب مكاسبها الاقليمية بدون مفاوضة واعتراف بوجودها ، وتمسكت اسرائيل من جانبها بمكاسبها مما زاد صعوبة التوصل الى حل . يحاول ناشرا الكتاب الخروج من هذه المعضلة باستنتاجات الفصل الاخير والقائمة على ضرورة حل المشاكل المادية المعلقة بين الطرفين ــ وبمساعدة قوى السلم في الخارج ــ كوصول اسرائيل الى البحار الجنوبية ، وتوزيع مياه الاردن ومشكلة القدس واللاجئين التي تربط عادة بمشكلة الحدود ، فيضمن العالم بذلك عدم تفجر النزاع في حرب جديدة ويتمكن العرب واليهود من التعايش . ولا يوضح الكتاب لنا حقيقة أساسية : وهي ان النزاع لم ينجم عن مجرد تصادم مصالح بين دولتين او من اعتبارات مادية ضيقة ، كما يحدث عادة بين الدول وانه خلاف جوهري وعميق حول وجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، بل ان المشكلة أعمق: من له حق السيادة في فلسطين ؟

والكتاب الثاني هو ترجمة انكليزية لكتاب بنفس العنوان بالعبرية (١٩٦٤) بعد تعديل الفصل الاخير لتغطية الاحداث المعاصرة . وبرأي المؤلف ان اول خطوة نحو ايجاد طريق لتسوية النزاع العربي اليهودي هو الكشف عن جذوره وتتبع تطوره بدرجة من النقد الذاتي ، واعتبر ان الكتاب ــ كما جاء في مقدمته العبرية « حلقة في سلسلة الجهود التي بدأها العرب واليهود .. منذ سنوات لتحقيق السلام بين شعبين مصيرهما مرتبط بشكل حتمي ». وعاش المؤلف كشاهد عيان لتجربة فئة يسارية داخل الكيبوتز عملت من اجل التقارب العربي اليهودي فتوفرت له الوثائق العامة والشخصية ، الا ان الكتاب كعمل تاريخي ليس له قيمة اذ استطاع بخطة بارعة ان ينتقي من الحقائق ما يؤكد وجهة نظره الاساسية . ويبرر « مارتن بوبر » ذلك في تقديمه الكتاب « بأن عرض الجانب العربي بنفس الدرجة من الثقة التي عرض بها الجانب اليهودي يقتضي ان يكون الكاتب عربيا تعرف على الحياة العربية بعمق » .

الفكرة الاساسية التي تدور حولها مادة الكتاب الضخمة في قسمه الاول هو : هل كان النزاع العربي اليهودي محتما ؟ وهل ان مصالح وأماني الشعبين غير متفقة ؟ ثم من هو المسئول بصورة رئيسية عن تردي العلاقات العربية اليهودية ؟ يحاول المؤلف بطريقته الخاصة ان يثبت ان مصالح الحركتين غير متناقضة ، وان الارض تكفي لتحقيق أماني الشعبين وتعاونهما في جميع المجالات ، ويستدل بشواهد عديدة ــ معتمدا في كثير منها على كالفارسكي الشخصية الرئيسية التي استند عليها لدعم وجهة نظره ــ ان بوادر الشك بين الشعبين تعود الى عدم فهم المهاجرين اليهود البيئة الجديدة واستخفافهم بقوة الحركة العربية كعامل سياسي له خطره في طريق المشاريع الصهيونية ، وحجتهم ان الفوائد الاقتصادية التي تنجم عن الهجرة كفيلة بازالة كل هذه العراقيل ، ولذلك ركز قادة الحركة الصهيونية اهتمامهم على الدولة العثمانية ثم على بريطانية لكسب الدعم والتأييد . ويرى كوهين مع ذلك ان العرب واليهود لو تركوا وحدهم كان باستطاعتهم الوصول الى تفاهم متبادل وان حركة البعث القومي اليهودي كان بامكانها ان تندمج بطريقة سلمية مع الحركة القومية العربية في الشرق الادنى ، وان المصالح العثمانية ثم البريطانية قد وقفت في وجه كل محاولة للتفاهم والتقارب . ويستعرض كوهين كل هذه المحاولات التي كان يتولاها بين حين وآخر بعض قادة الحركة الصهيونية ثم فئة من المثقفين من الجناح اليساري في الحركة الصهيونية التي تبلورت جهودها بايجاد واجهة موحدة هي « عصبة العمل للتقارب والتعاون العربي اليهودي » عام ١٩٣٩ ، ووصفت فكرة الدولة ثنائية القومية على اساس المساواة السياسية للشعبين وعدم سيادة احدهما على الاخر بغض النظر عن نسبتهم العددية ، الا ان هذه الحركة لم تلاق دعما شعبيا او رسميا ، وتأييد برنامج بلتيمور قد احبط كل امكانية للاتفاق ، واضاعت الزعامة الصهيونية بذلك آخر فرصة للوصول الى تفاهم . ولدينا هنا سؤال واحد : ترى لو ان قادة الحركة الصهيونية قد تجنبوا الاخطاء التي آخذهم عليها كوهين هل كان بالامكان تجنب النزاع والحصول على سلام مع العرب ؟

في محاولة المؤلف تلمس حل للمشكلة في الفصول الاخيرة من كتابه متمسكا بحبه « للسلام ومصلحة الشعبين » لان البديل عن «التعاون» هو «الفناء»، نجده لا يوضح اسباب انقلابه المفاجىء من نصير

لفكرة الدولة ثنائية القومية الى دعم وجود اسرائيل كأمر واقع نتيجة للظروف الدولية ولظروف الشعب اليهودي بالذات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ويرى ان هذه «الدولة اليهودية الصغيرة» المحاطة بدول عربية والتي تجبرها مصالحها الاقتصادية والسياسية ان تعيش بسلام معها ، قد واجهت منذ نشأتها امتحانا قاسيا امام معارضة عربية في الداخل والخارج ، وان على العرب ان لا يفكروا بمثل الغزو الصليبي لان ليس لاسرائيل الا الخيار بين أن تصبح بروسيا الشرق او ان تمسح نهائيا من الخريطة ؟ وبرأيه ان اي حل للمشكلة لا يمكن ان يفرض بالقوة بل في جو من « الثقة المتبادلة »، و« الحل العادل والمشرف » والذي يضمن « مصالح واماني الشعبين » هـو الذي يحقق شيئـين : الاعتراف بدولة اسرائيل التي وجدت لتبقى (!) ودمجها في الكيان السياسي للمنطقة ، ومنح العرب الفلسطينيين حقوقهم الفردية والسياسية ضمن حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ مع بعض التعديلات الضرورية ، فيتحقق بذلك الشطر الثاني من قرار الامم المتحدة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، ولم يشر المؤلف بأي لمحة عن مدى النجاح الذي يمكن ان تحققه فكرته الاولى عن الدولة ثنائية القومية التي كان من دعاتها قبل صدور هذا القرار . لقد نسي المؤلف في معالجته موضوع العلاقات العربية اليهودية حقيقة واحدة : انه لم يكن هناك سوء تفاهم بين العرب واليهود يمكن ان يحل عن طريق المحادثة او الاساليب الدبلوماسية، انها مسألة المساومة على مصير بلد حق العرب فيه لا يقبل الجدل .

خيرية قاسمية

Elie Kedouri, **The Chatam House Version and Other Middle-Eastern Studies** (N.Y., Praeger, 1970)

يتألف هذا الكتاب من اثنتي عشرة دراسة حول الشرق الاوسط، كتبها ونشرها المؤلف خلال السبعة عشر عاما الماضية باستثناء الدراسة الاخيرة منها حول « تفسير الشاتام هاوس » التي اعطت اسمها للكتاب بمجموعه . فهذه الدراسة تنشر في الكتاب لاول مرة . والمؤلف ، ايلي خدوري ، معروف جيدا لدارسي الشرق الاوسط ، بصهيونيته العريقة. وهو استاذ في معهد لندن للاقتصاد والسياسة ، ويهتم بشكل خاص بالتاريخ العربي الحديث والمعاصر . وتفصح الدراستان الاولى والاخيرة — خاصة — عن الخط العـام المناهض للقومية العربية الذي يعتنقه المؤلف . اما الدراسات العشرة الاخرى التي يحتويها الكتاب فانها تبحث بعض النقاط التفصيلية في نطاق ذلك الخط العام . المؤلف — وهو يهودي ولد بالعراق ويعيش الان في لندن — من دعامة ما يمكن ان نطلق عليه اسم « نظرية التوافق بين المصالح البريطانية والامريكية والمصالح الصهيونية » . لذلك فان توجهه العام هو للانجليز والامريكيين بهدف ان يثبت لهم خطأ دعاة نظرية التوافق بين المصالح البريطانية والامريكية والمصالح العربية . وبهذا المعنى فان من يستهدفهم المؤلف أساسا هم اصحاب مدرسة الصداقة العربية — الانجليزية والصداقة العربية — الامريكية من أمثال لورنس والعائلة الهاشمية ونوري السعيد وغيرهم . ومن اجل ان يهاجم خدوري هؤلاء ، ويقنع القارىء الانجلو — امريكي خاصة بجدوى هجومه ، فهو ، منذ الدراسة الاولى ، يأخذ بانتقاد الصورة التي قدمها تاريخيا المستشرقون والمبشرون وغيرهم عن المنطقة العربية وثقافتها : لورنس توينبي — غيب — جورج انطونيوس الخ .. وفي رأي خدوري ان هؤلاء قد نجحوا في تقديم صورة مخادعة عن المنطقة العربية حين اعتبروا ان اهم قضيتين تشغلان العرب وتسببان لهم الاضطراب السياسي هما قضيتا مناهضة الصهيونية ومناهضة الاستعمار . وعبر سلسلة من المغالطات يحاول خدوري ان يظهر ان هاتين القضيتين لم تعودا بالقضيتين الاساسيتين . قضية الصراع بين الصهاينة والفلسطينيين « انتهت ونسيت » وتحول الصراع كما يقول المؤلف باتجاه صيرورته صراعا بين الدول العربية واسرائيل او حتى الى صراع بين الدول العربية نفسها « على اقتسام الغنائم » في حالة تدمير اسرائيل (ص ٦) . أمـا زوال الامبريالية فهو برأي المؤلف ، قد تم او اوشك ولم يعد ولن يقود بالنهاية الا الى خسارة « دعاة السلم والحداثة » (ص ٨) . وانه لمن بؤس المؤلف ان ينشر هذه المغالطات — او يعيد نشرها —

في وقت يشعر فيه العالم كله بالشخصية الفلسطينية المتميزة نتيجة تحول الفلسطينيين من لاجئين الى محاربين لهم نصيب هام في تقرير مصير المنطقة بأسرها ، وفي وقت ثبت فيه ان الدعاة الحقيقيين للسلم المستحق لاسمه والحداثة المستحقة لاسمها هم الثوريون التقدميون العرب وفي طليعتهم محاربو الشعب الفلسطيني . وينبغي ان نشير هنا الى ان المؤلف يصدر دائما — ولا سيما في دراستيه الاولى والاخيرة — عن الافكار الرجعية للمركزية — الاوروبية بما تتضمنه هذه الافكار من احتقار للثقافات غير الاوروبية عامة . وهو بذلك يؤكد — من حيث لم يقصد — رجعية الصهيونية والتحامها العضوي بالامبريالية .

الدراسة الاخيرة بعنوان « تفسير الشاتام هاوس » — والشاتام هاوس هو الاسم غير الرسمي للمؤسسة الملكية للشؤون الدولية التي أسست عام ١٩٢٠— تمثل هجوما صريحا ومباشرا على المؤسسة وعلى المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي الذي قاد المؤسسة وعمل فيها مديرا للدراسات لمدة ثلاثين سنة (١٩٢٥ — ١٩٥٥) . يتركز الهجوم خاصة على ما يسميه خدوري نظرية شاتام هاوس فيما يتعلق بالشرق الاوسط وهي بالنتيجة نظرية توينبي — وعلى التأثير الذي يدعي المؤلف ان تلك النظرية قد مارسته على صناعة السياسة البريطانية فيما يتعلق بالمنطقة . يشرح خدوري في هذه الدراسة ، وبشيء من الاسهاب ، نظرية توينبي كما طورها المؤرخ البريطاني في الاجزاء المختلفة من كتابه الانسيكلوبيدي **دراسة في التاريخ** وفي بعض اعماله المستقلة الاخرى ، وكما طورها هو ومعاونوه في سلسلة **مسح العلاقات الدولية** التي نشرتها المؤسسة الملكية وارخت فيها لاحداث العصر منذ الحرب العالمية الاولى ، وفي دراسات اخرى نشرتها المؤسسة حول بعض المشاكل الراهنة . وفي عملية الشرح هذه ينتقد خدوري اسلوب توينبي في التفسير التاريخي ، كما ينتقد النتائج التي خلص اليها والتي تعتمد اساسا — في رأي خدوري — على شك توينبي في الحضارة الغربية واحتقاره لها لتأثيرها السلبي على الحضارات العالمية الاخرى . ويتخلل تحليل خدوري لافكار توينبي وشاتام هاوس اصرار مستمر دائم على ان توينبي ، ومعه المؤسسة الملكية ، قد « انحاز » الى جانب العرب لاسباب شبه غيبية(!) وان هذا « الانحياز التاريخي » قد أدى — بتأثيره على سياسة بريطانيا في المنطقة العربية — الى ضياع ذلك النفوذ البريطاني .

بالاضافة الى الدراستين الاولى والاخيرة في كتاب خدوري ، ثمة ثلاث دراسات اخرى ذات طبيعة عامة ، بمعنى انها تعطي نوعا ما من التنظير العام للمفاهيم التي تدور في اطارها بحوث خدوري في هذا الكتاب وفي غيره على السواء . وبالاضافة الى ذلك ، يشتمل الكتاب على سبع دراسات اخرى حول نقاط تاريخية محددة . اربع من تلك الدراسات تبحث بعض نقاط التاريخ المصري وهي بالتتالي مواقف القاهرة والخرطوم من القضية العربية بين عامي ١٩١٥ و١٩١٨ ، سعد زغلول والبريطانيون (وهي اطول دراسة في الكتاب وتقع في حوالي ثمانين صفحة) ، تكوين الدستور المصري لعام ١٩٢٣ ، ثم مصر والخلافة بين عامي ١٩١٥ و١٩٥٢ . بالاضافة الى هذه الدراسات الاربع عن مصر ثمة دراسة عن سوريا : السيطرة على دمشق ، ١ تشرين اول ١٩١٨ ، ودراسة اخرى عن العراق : مملكة العراق — نظرة الى الوراء . وثمة ايضا دراسة ثالثة واخيرة ، عن فلسطين : السير هربرت صاموئيل وحكومة فلسطين . لن ندخل في اي جدل حول هذه الدراسات المحددة وان كنا فيما بعد سنذكر بعض الملاحظات حول الدراسات المكرسة لهربرت صاموئيل . ولكن ماذا يقول خدوري في الدراسات الثلاث التي وصفناها فيما سبق بأنها تقدم نوعا من التنظير العام للمفاهيم التي تدور في اطارها بحوثه كلها ؟

في دراسته عن « الفكرة العربية والسياسة البريطانية » يحاول خدوري ان يوحي بأن فكرة الوحدة العربية انما استمدت عنصر قوتها الاساسي ليس من الواقع العربي نفسه ومن الاخطار المحدقة به ، بل من التأييد البريطاني لتلك الفكرة ، ذلك التأييد الذي قصد منه سياسيا مناهضة المطامع والمصالح الالمانية ثم الفرنسية في المنطقة ، والذي عبر عنه نظريا وباخلاص، من جهة ثانية، اكاديميون كالبروفيسور غيب وسياسيون كالجنرال سبيرز ، يرى خدوري ان تأييد بريطانيا لفكرة الوحدة العربية أعماها عن الفهم السليم للتنوعات الكثيرة الكامنة في المنطقة . ما هي تلك التنوعات الكثيرة ؟ يقدم خدوري في دراستين متتاليتين عنوانهما « الاقليات » و« الديانة والسياسة » نظرة صهيونية بديلة لمفهوم

القومية العربية السائد . جوهر هذه النظرة الصهيونية البديلة هو النظر الى الشرق الاوسط كمنطقة اقليات — عنصرية ودينية معا ، وان كان المؤلف يفضل التركيز على الاقليات الدينية ، لا كمنطقة قومية عربية. وفي تقديم هذه النظرة البديلة لا يغفل خدوري ان يستمر في انتقاد دخول حركة التحديث الى منطقة الشرق الاوسط تلك الحركة التي يحملها خاصة مسؤولية المصير الذي آلت اليه بعض الاقليات في منطقة الشرق الاوسط : الارمن في تركيا ، والاشوريون في العراق والتجمعات اليهودية في بعض اقطار الوطن العربي . يبدو خدوري هنا راثيا لتقاليد الامبراطورية العثمانية متأسفا على ما كان محتما ان تأتي به حركة التحديث في الشرق الاوسط من نتائج قد لا تكون كلها باعثة على السرور . واصرار خدوري على فهم المنطقة العربية عن طريق التصنيف الديني دفعه الى تكريس دراسته عن « الديانة والسياسة » الى مسيحيي المشرق العربي والى دورهم القومي الذي يغالط المؤلف فيفسر حوافزه تفسيرا دينيا . حماسة المسيحيين العرب للعروبة وتقديرهم للاسلام يبدو لخدوري تعبيرا عن شعورهم الداخلي بعدم الاطمئنان وسط مجتمع مسلم . اما حماستهم في مناهضة الصهيونية — ولا سيما الفلسطينيون منهم — فلا يفوت خدوري ان يرى فيها مناهضة للسامية قادمة من الغرب المسيحي .

ودراسة خدوري عن « هربرت صاموئيل وحكومة فلسطين» تمجيد شخصي للمندوب السامي البريطاني الاول في فلسطين الذي أوكلت اليه حكومة لندن كيهودي صهيوني بريطاني مهمة البدء بتنفيذ وعد بلفور في نطاق نظام الانتداب . محور هذا التمجيد الشخصي هو محاولة اظهار صاموئيل في فترة توليه مهمته بمظهر الاداري الحكيم المتعاطف — أبويا تقريبا ! — مع العرب رغم صهيونيته شخصيا ورغم صراحة المهمة التي قدم لتحقيقها ، ورغم الضغوط الممارسة عليه من قبل المنظمة الصهيونية . ولكي يثبت خدوري صفات « المحسن » على صاموئيل يذكر اربع حوادث يدرس فيها مواقف صاموئيل . هذه الحوادث هي انتخاب المفتي امين الحسيني وتشكيل المجلس الاسلامي الاعلى وقضية المجلس التشريعي وقضية تأييد صاموئيل لنوع من الوحدة او الاتحاد بين بعض اقطار المشرق العربي . لن نبحث هنا في تفاصيل هذه الحوادث ومواقف صاموئيل منها . يكفي ان نقول ان ما اثبته خدوري من مواقف صاموئيل لا يثبت احسان ومحاسن صاموئيل بالقدر الذي يثبت به حقيقة كبرى من حقائق القضية الفلسطينية . تلك الحقيقة الكبرى هي انه حتى اشد الصهاينة تطرفا لا بد له حين يتعرف على الوقائع ويتعلم منها الا ان يصبح اكثر تفهما — ولا نقول متفهما — للحق العربي في فلسطين حتى ولو كانت مهمته الرسمية ورغبته الشخصية تكمن في هدر ذلك الحق ، اللهم الا اذا كان تطرفه قد سد عليه حواسه كلها . هذه الحقيقة تفسر ايضا ظاهرة تكرر تذمر الصهاينة المتطرفين من تصرفات كثير من الموظفين البريطانيين اثناء الانتداب ، في الحين الذي كان فيه هؤلاء الموظفون يقدمون بأنفسهم المساعدة للصهاينة لتحقيق اغراضهم — كل ذنب هؤلاء الموظفين كان انهم تعلموا شيئا ما ، عن طريق احتكاكهم اليومي بالعرب ، عن عدالة القضية العربية . هذه الحقيقة لم يدركها خدوري او على الاصح ادركها فتجاهلها .

المؤلف الذي استعرضنا وانتقدنا كتابه فيما سبق صهيوني بحاثة لا شك بكلتا صفتيه . والدراسات التي تجمعها دفتا هذا الكتاب جدية وان كانت لا تخفي غرضا ، ومع ما فيها من دقة وقائعية وتوثيقية الا ان تحيز كاتبها الواضح ينفي كثيرا من قيمتها. وعلى كل حال فان الكتاب تمثيل حذق للنظرة الصهيونية لا سيما حين يتوجه المؤلف خاصة الى قراء انجلو — امريكيين . فمع انتقاده للسياسة البريطانية وبعض اوجه النشاط الامريكي في المنطقة ، ثمة مناشدة توحي ونصح بوجه بحذر وثقة معا . وفي ثنايا الكتاب تتردد انفاس رجعية رهيبة تفضح رجعية الصهيونية، فهي تود لو أغلق أمام الشرق الاوسط باب العصر ليبقى نائما في سديم تقليدي منفصل وتتردد فيه ايضا تمنيات يائسة تود لو ينظر الى الشرق الاوسط كمنطقة اقليات لا تبرز من خلالها الحقيقة العربية برسوخها وشموخها . واذا كان المؤلف يخطىء ويغالط في اكثر ما يقرر او يثبت ، فان ذلك ليس بالسبب الكافي لنمر بالكتاب خفافا ، فخدوري بحاثة يعرف مصادره جيدا ويعرف كيف ينتقي منها ما يناسب غرضه جيدا . وبهذا المعنى فان كتاب خدوري دعوة للباحثين العرب لكي يكتبوا بأنفسهم تاريخهم القومي بشكل موضوعي مقنع .

جورج جبور

د. منذر عنبتاوي ، واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة
(بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧١)

تعتبر هذه الدراسة التي وضعها زميلنا الدكتور منذر عنبتاوي من الابحاث القيمة التي اتحفنا بها مؤخرا مركز الابحاث . وقد يوحي عنوان الدراسة بابتعاد المركز عـن خطه المألوف (أي الاهتمام بمختلف جوانب القضية الفلسطينية) ، الا ان الاطلاع على مضمون الدراسة يؤكد لنا من جديد بأن المركز لا يزال على عهدنـا به يبذل قصارى الجهد لتجنيد كل موضوع او فكرة في سبيل خدمة القضية الفلسطينية . وهذه الدراسة ، التي تحاول القاء الضوء على بعض الجوانب الغامضة من القانون الدولي العام المعاصر ، تستمد اهميتها من عدة أمور نجملها بما يلي : ١) ان الدول لا تزال — على الرغم من تحريم اللجوء الى الحرب في القوانين الدولية الوضعية — تلجأ الى استعمال القوة لتسوية منازعاتها ، وان الشعوب المضطهدة او المحتلة لا تزال تضطر ، هي كذلك ، الى اللجوء الى القوة لانتزاع حقوقها المشروعـة . ٢) ان للحروب في العصر الراهن مفاهيم واشكالا لم تعرفها العصور الخوالي . فالحروب اليوم لم تعد تندلع بسبب المنازعات على الحدود ، بل بسبب الخلافات العقائدية احيانا . والحروب اليوم لم تعد تقتصر على الدول (بالمعنى القانوني لمفهوم دولة) ، فهناك الان منظمات دولية تخوض الحرب (الامم المتحدة وحرب كوريا) ، وهنـاك كذلك كيانات وجبهات لا تحظى باعتراف الدول تخوض الحرب (جبهة التحرير الجزائريـة والفيتكونغ) . لقد اكتسبت حروب داخلية او تحريرية عديدة الصفة الدولية دون ان يكون لاطرافها — كلهم او بعضهم — الشخصية الدولية . ٣) ان ثمة حالة حرب قائمة في فلسطين . وأطراف هـذه الحرب : الشعب الفلسطيني والدول العربية من جهة ، واقلية عرقية دخيلة تفرض سيطرتها على كل فلسطين (وعلى اجزاء من ثلاث دول عربية كذلك) من جهة ثانية . وكل ما وقع منذ عام ١٩٤٩ من اتفاقات ، وكل ما حدث من معارك ، وكل ما جرى مـن محاولات للوساطة او التسوية ، لم يغير من واقع الحرب القائمة شيئا . ٤) ان هذه الدراسة تعالج جانبا مهما من جوانب القانون الدولي العام يتعلق بموقف الدول الحيادية من الاطراف المتنازعة في الحروب .

ونحن اليوم في اشد الحاجة الى معرفة هذا الجانب لانه يساعدنا على ادراك حقوقنا والتزاماتنا تجاه الدول الحيادية — او التي تدعي الحياد ، او التي تتظاهر به — وادراك الواجبات التي تقع على كاهل هذه الدول ازاء الحرب الفلسطينية .

تنقسم الدراسة الى اربعة فصول رئيسية : ماهية الحرب واطرافها ، والحـرب في القانون الدولي المعاصر ، والمركز القانوني للدول الثالثة، وواجبات الدول المحايدة في الحروب المعاصرة . وتنتهي بملحق خاص عن الوضع القانوني لموقف الدول الثالثة من الحرب الفلسطينية ، مشيرة الى وضع نموذجي ، هو موقف الولايات المتحدة الاميركية . والاهتمام بالقضية الفلسطينية يتجلى في كل موضوع او بحث تتضمنه تلك الدراسة . فالمؤلف ، عند حديثه عن الحرب ، لا يكتفي بتحديد ماهيتها ، بل يعمد الى شرح الاثار القانونية التي تترتب على وقوعها . فقيام الحرب يستدعي العمل بقواعد الحرب المتعلقة بسلوك المتحاربين . وبما ان العرب في حالة حرب مع اسرائيل ، فمن الواجب تطبيق قواعد الحرب على تصرفات الطرفين . واذ كان البعض يستنتج من اتفاقات الهدنة الموقعة عام ١٩٤٩ بين العرب واسرائيل استحالة القول بوجود حالة الحرب، فان القانون والفقه والاجتهاد والعرف تثبت بأن الهدنة توقف العمليات العسكرية ولا تنهي حالة الحرب . ثم ان الحديث عن الهدنة بين العرب واسرائيل اصبح أمرا مستغربا بعد ان خرقت اسرائيل حرمة الهدنة واستباحت حدود الدول العربية المتاخمة آلاف المرات منذ عام ١٩٤٩ .

والاقرار بوجود حالة الحرب يقضي بتحديد اطراف الحرب ، أي بتعريف المحاربين . فالى أي حد يمكن اطلاق وصف المحاربين علـى المقاتلين او الثوار المشتركين في حروب داخلية متنوعة الاشكال يجمع بينها اللجوء الى العنف من اجل تغيير نظام سياسي معين ؟ لقد عالج القانون الدولي التقليدي موضوع الحرب الداخلية من خلال شكل واحد : الحرب الاهلية التي تتميز باشتباكات مسلحـة تمارسها قوات نظامية ضمن شروط معينـة . غير ان هذه القواعد لم تعد تفي بالمراد ، فالعالم اليوم يشهد أشكالا مختلفة من الحروب غير النظامية التي يتمكن

فيها الثوار من الاستمرار في القتال مدة طويلة دون الحصول على صفة حربية او كيان سياسي . وحاولت اتفاقات جنيف لعام ١٩٤٩ ان تسد الفراغ باخضاعها الاطراف في الاشتباكات المسلحة لحد أدنى من القواعد التي تطبق في زمن الحرب . ولكن الجمعية العامة للامم المتحدة كانت اكثر جراة عندما أصدرت في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر)١٩٧٠، قرارا يقضي باعتبار اعضاء حركات المقاومة والمناضلين من اجل الحرية اسرى حرب ، عند وقوعهم بين ايدي الحكومات والانظمة التي يكافحون ضدها .

وحينما يتحدث المؤلف عن المركز القانوني للحرب ، قبل الامم المتحدة وبعدها،نشعر بأن غرضه الاساسي هو مناقشة مسألة استعمال القوة دفاعا عن حق تقرير المصير للوصول الى النتيجة المهمة التالية : اذا طرد شعب بالقوة من أرضه فمن حقه العودة الى وطنه . واذا كان من حقه تقرير مصيره على ارضه فهذا الحق يتضمن بالضرورة حقه في العودة الحرة الى أرضه . وهكذا يصبح نضال الشعوب من اجل عودتها الى ارضها نضالا من اجل حقها في تقرير مصيرها .

ولعل الملحق الخاص ، الذي كرسه الكاتب لاستعراض واجبات الدول الثالثة في الحرب الفلسطينية ، من أجمل الفصول التي اشتملت عليها الدراسة وأعمقها . فالدكتور عنبتاوي يبين ان الدول العربية لا تزال في حالة حرب قانونية مع الكيان الاسرائيلي . واذا كانت الحرب الفعلية لم تواكب هذه الحالة، ما بين عام ١٩٤٨ و١٩٦٧، الا في فترات متقطعة ، فان سبب ذلك يعود الى بعض الاوضاع والظروف الخاصة . ولكن المهم هو ما حصل في اثناء ذلك . ان الدول الثالثة قد تصرفت ازاء الحرب الفلسطينية على هواها ، وطبقا لما تمليه عليها مصالحها الخاصة . وفي تلك الفترة كانت الدول العربية تصر على وجود الحرب دون ان تبذل أي جهد او تصرف يجعل هذه الدول تتردد او تتراجع امام الواجبات التي يلقيها عليها موقف الحياد . ومنذ سنوات قليلة استأنف الشعب الفلسطيني كفاحه المسلح ، واخذت منظمات المقاومة تضرب مصالح العدو الصهيوني داخل الارض المحتلة وخارجها ، واضطرت القوات النظامية العربية الى خوض المعارك اليومية ضد القوات الاسرائيلية . وكل ذلك اصبح يحتم علينا أن نقف من واجبات الدول الثالثة ازاء الحرب الفلسطينية وقفة أكثر جدية . « ويكتسب هذا الامر أهمية خاصة نظرا لان الكيان الاجنبي القائم في فلسطين ينفرد ، من بين كافة الكيانات القائمة في العالم ، بكونه لم يعتمد في نشوئه على الدول الثالثة من حيث مادته الخام (العنصر البشري) والدعم المادي فحسب ، ولكن استمراره في الوجود يعتمد الى حد كبير على ما تقدمه بعض الدول الثالثة ، ان مباشرة او من خلال التنظيمات والمؤسسات والافراد المقيمين فيها ، من مساعدات عسكرية واقتصادية ومالية وعلمية وغيرها » .

والحرب التي نخوضها ضد الكيان الاسرائيلي ليست حربا عدوانية ، وانما هي حرب تحريرية عادلة لانها تستهدف ضمان أهم الحقوق الانسانية : حق تقرير المصير ، وحق العودة الى الوطن ، وحق مقاومة الاحتلال العدواني . وهذه الحرب ليست ، كذلك، حربا ضد كيان دولي مشروع ، وانما هي ضد كيان غير مشروع قام على اساس الظلم والعنف . فاسرائيل اذن كيان يحترف العدوان . وقد أدانته الامم المتحدة ، على هذا الاساس ، عدة مرات . ولو اعتمدنا على القرارات الصادرة عن تلك المنظمة العالمية فقط لوجدنا ان التأكيد على عدم جواز الاستيلاء بالحرب او القوة على أراضي الغير قد أصبح من المبادىء الدولية المعروفة . وهذا المبدأ يجيز للدول الثالثة التمييز او الميل لصالح الجهة المعتدى عليها طالما استمرت عملية الاستيلاء على أراضيها . وبالنسبة الى الدولة الثالثة العضو في الامم المتحدة ، فان احكام القوانين والاتفاقات الدولية المعاصرة تجيز لها التزام موقف الحياد القانوني عند فشل مجلس الامن الدولي في اتخاذ الاجراءات التنفيذية للحفاظ على السلام والامن الدوليين ، كما تجيز لها مناصرة الطرف الذي وقع ضحية العدوان ، او الذي يستخدم القوة دفاعا عن النفس او دفاعا عن مقاصد الامم المتحدة ومبادئها . ولكن القوانين والاتفاقات المذكورة لا تجيز لها ، بأي شكل من الاشكال ، مساعدة الطرف المعتدي ، او الطرف الذي يستعمل القوة خلافا لاحكام الميثاق الاممي . غير أن الولايات المتحدة — باعتبارها دولة ثالثة في الحرب الفلسطينية — لم تقم وزنا لكل هذه الاعتبارات . لقد وقفت من العرب ، منذ البداية ، موقف المراوغ المتواطىء . ففي ١٩٤٧/٣/١٢ ، مثلا ،

وجه الرئيس ترومان الى الكونغرس رسالة قال فيها : « انني اعتقد انه يجب على سياسة الولايات المتحدة ان تستهدف دعم الشعوب الحرة التي تقاوم محاولات اخضاعها من جانب أقليات مسلحة أو ضغوط أجنبية ... » . ومع ان الشعب الفلسطيني هو الذي كان يتعرض ، آنذاك ، لمحاولات اخضاع وسيطرة من جانب الاقلية العنصرية الدخيلة المسلحة في فلسطين ، فان حكومة واشنطن كانت تمارس ضغوطا لا توصف وتقدم معونات لا تقدر لصالح هذه الاقلية التي استطاعت ، بعد أشهر من رسالة ترومان ، ان تحصل على قرار التقسيم ثم على اقامة الدولة الصهيونية . واحتضنت الولايات المتحدة اسرائيل ، فساعدتها وحمتها ودافعت عنها واستعملت حق النقض في مجلس الامن لتمنع عنها الادانة او المطالبة بالانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها . ورغم كل ما يصدر عن حكومة واشنطن من تصريحات فان موقفها من الحرب الفلسطينية لا يمكن الا ان يوصف بأنه موقف منحاز متحيز لاسرائيل . بل ان انحيازها قد حجب عنها كل رؤية سليمة فجعلها تعتبر ان استعمال اسرائيل للقوة هو دفاع عن سلامتها الاقليمية ، وان اية مقاومة للاحتلال الاسرائيلي الراهن هو اعتداء على اسرائيل وتهديد لسلامتها ووجودها .

الدكتور محمد المجذوب

د . أسعد رزوق ، **التلمود والصهيونية**
(بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٠)

يشكل كتاب « التلمود والصهيونية » مساهمة مهمة وجديدة في مجموعة الجهود المبذولة حديثا من قبل عدد من الكتاب العرب التقدميين لتبديد النسيج السائد من النظرات الخرافية الى كل ما يتعلق بالصهيونية ومصادرها التاريخية ومنابعها الفكرية، والى كل ما يتعلق بتاريخ اليهود القديم والحديث وصلاته بالصهيونية نفسها . امتد هذا النسيج الخرافي وساد مع المحاولات العربية لتفسير نجاح الصهيونية المستمر في استعمار الارض العربية ، وتفسير عجز الحركة الوطنية المزمن في مواجهة التحدي عن طريق تضخيم قوة الصهيونية الى حد جعلها عملاقا لا يقهر ، والمبالغة في تقدير النفوذ اليهودي العالمي الى درجة الادعاء بأن اليهود يسيطرون على مجرى التاريخ وعلى مصائر الامم بواسطة « حكومات عالمية سرية » وبروتوكولات منسوبة الى حكمائهم ، وبواسطة قوى « سحرية » خفية ودفينة في الصهيونية مستمدة من التراث اليهودي الغامض ، ومن كتاب التلمود الذي أخذ مجرد ذكره يوحي بالغموض والشرور الخفية والقوى السرية العجيبة .

ان اول ما يكشفه كتاب اسعد رزوق هو انه اول باحث عربي معاصر كتب عن التلمود بعد الرجوع الى التلمود نفسه والتعرف على محتوياته ، كما يكشف بما لا يقبل الشك ان كل عربي كتب عن « اسرار التلمود » و« كنوزه المرصودة » في المئة سنة الاخيرة لم يقرأ حرفا واحدا من التلمود بالتأكيد ، ولم يطلع عليه لا من قريب ولا من بعيد . اكتفى هؤلاء الكتاب بمجرد نقل مجموعة حكايات واساطير نسجها الخيال الاوروبي العنصري المعادي للسامية في القرن التاسع عشر عن التلمود ، وما يحتويه من اهوال وفظائع وعجائب .

يستعرض القسم الاول من « التلمود والصهيونية » صلة الباحثين العرب في فترات تاريخية مختلفة بالشرع اليهودي والدين اليهودي بما في ذلك التلمود . ويستنتج الكاتب ان الباحثين العرب القدماء الذين ذكروا شيئا عن التلمود وتعاليمه لم يتعرفوا عليه مباشرة « بل سمعوا عنه أو قرأوا ، تاركين الردود والمناظرات لنفر ضئيل من علمائهم الاندلسيين الكبار » . من هؤلاء العلماء ابن حزم الاندلسي الذي اهتم بالموضوع من زاوية النقاش والمناظرة مع « اهل الكتاب » ودفاعا عن الاسلام وعقائده . ويتبين من عرض اسعد رزوق ان ابن حزم نظر الى التلمود نظرة واقعية اجمالا ، اذ اعتبره «فقه»

اليهود « أي كتاب الاحكام الشرعيــة والمناظرات الفقهية لدى اليهود » . وجدير بالذكر اننا لا نجد عند ابن حزم اية اشارة الى اخبار « المؤامرات التلمودية » او « الكنوز المرصودة فيه » او «اسرار الذبائح التلمودية » التي يفترض بالتلمود ان يحتويها وفقا للحكايات الرائجة . وقد خصص اسعد رزوق فصلا كاملا من كتابــه لمتابعة المصادر الاوليــة الاوروبية التي نقلت عنها الكتابات العربية الحديثة في كل ما ذكرته عن التلمود واسراره وذبائحــه و« كنوزه » المزعومة . كان المصدر الاساسي لهذا الفيض من التأملات العربية التلمودية كتاب للدكتور اوغست روهلنغ عنوانه « اليهودي التلمودي » صدر عام ١٨٧١ في المانيا . كان روهلنغ كاهنــا واستاذا للاهوت بجامعة مونستر . تلقفت الاوساط المحافظة والرجعية في اوروبا كتابه لتجعل منه ركيزة من ركائز حركة العداء للسامية في تلك الفترة. ولكن عندما طلب من الدكتور روهلنغ الموافقة على عرض كتابه على جماعة من العلماء الالمان المرموقين من غير اليهود للادلاء بشهاداتهم حول مدى انطبــاق كتابه على واقع التلمود تراجع كليا ، وتم تجريده من القابه العلمية والاكاديمية . ويبين اسعد رزوق عن طريق مقارنة النصوص ان ما كتب في العربية حديثا عن التلمود ليس الا نقلا حرفيا لما جاء في كتاب روهلنغ المزور وذلك عن طريق الترجمات الفرنسية لكتاب « اليهودي التلمودي». ويبين رزوق من خلال دراسته « كيف تسربت الينا تلك الاراء والمواقف الاوروبية في صميمها ، ثم وجدت تربتها الخصبة عندنا ، وكيف ان بواعث دينية معينة ساعدت في انسياقها (أي النظرة العربية الى التلمود) وراء الموجة الاوروبية لعداء السامية واليهود ، وعلى تعميم النظرة السطحية ، والمنقولة بكل اخطائها وتحاملاتها الى التلمود وتعاليمه » .

على الصعيد الايجابي ربما كان القسم الثاني من الكتاب هو اهم ما فيــه باعتباره مدخل القارىء العربي الى التلمود ومحتوياته . بذل اسعد رزوق جهودا مهمة في هذا المجال لتعريف القارىء العربي (تعريفا اوليا بطبيعة الحال) على كتاب التلمود من حيث محتوياته وموضوعاته واقسامه واسفاره وتاريخ وضعه وعلاقته باليهــود وتاريخهم . ان التلمود هو كتــاب الفقــه الشرعي عند اليهود وتفسيرهم للتوراة ويحتوي على شروح مطولة لقوانين التوراة الزراعية من الناحيتين الدينية والاجتماعية، وشروح تتعلق بصلوات اليهود وعباداتهم ، ويناقش الاحكام المتعلقة بالملكية والتجارة والديون والضرائب والرسوم ، واحكام الزواج والطلاق والارث وكل ما يمت الى الاحوال الشخصية بصلة ، بالاضافة الى احكام الطهارة والنجاسة الى آخر ذلك مما هو شائع في كتب الشرع الديني . كذلك يحوي التلمود على مجادلات طويلة واجتهادات واسعة حول شتى المواضيع الدينية والفقهية اليهودية بالاضافة الى القصص والروايات والاساطير ذات الطابع الديني التي تكثر في مثل هذه الكتب . من ناحية اخرى يعرض اسعد رزوق للدور الهام الذي لعبه التلمود في حياة اليهود العامة والتأثير الذي مارسه على حياتهم الفكريــة والروحية والعاطفيــة على مر العصور . بعبارة أخرى يتضح ان دور التلمود في حياة اليهود (من حيث تأثيره الشامل) يشبه دور الانجيل بالنسبــة للمسيحيين والقــرآن بالنسبة للمسلمين . علما بأن اسعد رزوق يتحاشى الاشارة الى أوجه الشبه هذه ، كما انه كثيرا ما يغالي في مماشاته للاتجاه المثالي في تفسير التاريخ اليهودي من خلال تأثير التلمود « كعالم قائم بذاته » على حياة اليهود في حــين ان المطلوب هو البحث عن تفسير « لعالم التلمود » يستند الى عناصر الحياة الحقيقية والواقعية لليهود ، اي الى نمط حياتهم الانتاجية والاقتصادية والاجتماعية في فترات تاريخية مختلفة . بعبارة اخــرى ينبغي ألا نقع في الخطأ المثالي الذي يبحث عن تفسير لحياة اليهود الواقعية التاريخية في « عالم قائم بذاته » مــن النصوص والاحكام والمجادلات النظرية اسمه التلمود. الاصح هو ان نبحث عن تفسير لعالم التلمود « غير القائم بذاته » (الا بمعنى نسبي جدا ينبغي ايضاحه وهذا ما لا يفعله اسعد رزوق) ، في حياة اليهود الحقيقية التاريخية كما كانت تعاش في الازمنة المتعاقبة . من هذه الناحية تظل العلاقــة بين التلمــود وتاريخ اليهود كما يعرضها اسعد رزوق واقفة على رأسها وهو لا يبذل اي جهد لايقافها على قدميها .

يخصص اسعــد رزوق القسم الثالث والاخير من كتابه لمناقشة العلاقة بين الصهيونية والتلمود . واعتقد ان هذا الجزء هو اضعف اقسام الكتاب مع انه اكثرها أهمية ، مــن حيث المبدأ ، باعتباره سيوصلنا الى نتيجة البحث «السياسية» والحيوية المتصلة بأوضاعنا المباشرة . من هذه الزاوية ان كل ما تقدم من مادة الكتاب يصبح مقدمة للقسم

الاخير منه . مع ذلك لم اخرج بنتيجة واضحة ، بعد قراءة الكتاب ، حول طبيعة العلاقة بين التلمود والصهيونية كما يراهـا اسعد رزوق بناء علـى دراسته . يشير القسم الاخير من الكتاب الى علاقة من نوع ما بلا شك ، غير ان هذه الصيغة العامة جدا في اقرار العلاقة لا تفيدنا بشيء ولا تزيدنا علما بالموضوع . اي بما ان القسم الاخير من الكتاب لا يتعدى هذا الاطار العام جدا في مناقشة المسألة تظهر العلاقة (مهما كان نوعها) بين التلمـود والصهيونية من خلال نصوص الكتاب بمظاهر واهية وهزيلة وباهتة ، فهي موجودة احيانا ومفتودة في احيان اخرى ، هناك اشياء مضادة للصهيونية في صلب التلمود وهناك اشياء اخـرى تتساوق مع عقائدها السياسية الى آخر ذلك مـن الرجرجة التي لا تصل بنا الى اية نتيجة فيها شيء مـن الوضوح والحسم . يعود هذا الغموض والتردد، على ما يبدو لي ، الى عاملين : اولا ، افتقار الكتاب الى أية محاولة لتحديد طبيعة العلاقة التي نبحث عنها بين التلمود والصهيونية : هل هي علاقة احتواء وانحدار (احتواء التلمود علـى العقائد الصهيونية وانحدار الثانية من الاولى) أم علاقة تأثير افكار سابقة على افكار انبثقت في وقت لاحق ، أم هي علاقة استخدام واستغلال بمعنى استغلال الصهيونية كحركة سياسية للافكار الدينية التلمودية واستخدامها لتحقيق مآربهـا ومطامعها المعروفة ؟ تبقى هذه التساؤلات معلقة في ذهن القارىء لان الكتاب لا يطرحهـا اصـلا للمناقشة والبحث . ثانيا ، المنهج التجزيئي الذي اتبعه مؤلف الكتاب في اثبات وجود هذه العلاقة او عدم وجودها . على سبيل المثال ينظر اسعد رزوق الى كتابات عدد مـن مفكري الصهيونيـة ومنظريها من أمثال كاليشر وموسى هس وآحـاد هاعام وهيرتزل وبنسكر فيجد ان كاليشر وهس مثلا كانا متأثرين بلغة التلمود وتعابيره وافكاره بينما لا يجد اي اثر للتلمود في مؤلفات هيرتزل وبنسكـر وغيرهما من اتباع المدرسة . ان المقارنة الميكانيكية بين نصوص كاليشر من جهة والتلمود من جهة اخرى لا تثبت وجود علاقة عضوية وحقيقية بين الصهيونية والتلمود ، كما أن اية مقابلة مماثلة لمؤلفات هيرتزل مع التلمود لا تثبت وحدها انعدام وجود مثل هذه العلاقة . النقطة الاساسية التي يهملها اسعد رزوق في هذا الموضع هي أن كل حركة سياسية مرتبطة بجذور اجتماعية وطبقية صاعدة تاريخيا (كما كان وضع الصهيونية كحركة قومية مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر) تعبر عن نفسها في بادىء الامر بواسطة أدوات التعبير الشائعة في الاوساط التي تتوجه الحركة اليها والاوساط التي انبثقت الحركة عنها ، الى ان تطور ، بعد فترة من الزمن ، اساليبها الخاصة في التعبير بما في ذلكتصوراتها ومفرداتها وشعاراتها وانفعالاتها المميزة لها . وعلاقة الافكار الصهيونية بالتراث اليهودي عامـة (بما في ذلك التلمود) لا تشذ عن هذه القاعدة العامة .

وبما ان الصهيونية كحركة تعكس وتمثل مصـالح اجتماعية وطبقية حية وراهنة وليس مصالح تلمودية ميتة وماضية ، فقد وجدت في التلمود والتوراة وكتب التاريخ والتراث اليهودي كله الادوات اللازمة لاعطاء نفسها البعـد التاريخي الذي يلزمهـا ، والشرعية الروحية التـي تحتاج اليها في بعض الاوقات والاماكن ، والوسائل الذهنية والعاطفية الضرورية لتعبئة من يهمهـا الحصول على تأييدهم ودعمهم . من هذه الزاوية يبدو لي ان ما توصل اليه اسعد رزوق هو مجرد الاقرار بوجود تأثيرات تلمودية في نصوص بعض مفكري الصهيونية وعدم وجودها عند البعض الاخـر ، وهذا لا يكفي على الاطلاق لاستكمـال البحث حول طبيعـة العلاقة القائمة بين الصهيونيـة والتلمود . المطلـوب في الواقع هو معالجة اكثر جذرية وصرامة للموضوع ودفع للبحث الى نتائج اكثـر وضوحا وصراحـة وحسما بناء علـى الاسس التي وضعهـا الكتاب نفسه . لقد فتح اسعـد رزوق الطريق واضـاء جوانب كثيرة منها بما قدمه من مادة غزيرة ، وأملنا هو ان يسير المزيد من الدارسين العرب التقدميين في الطريق التي فتحها ، واذا تمكن البعض منهم الذهاب الى أبعد مما ذهب هو لا شك ان جزءا كبيرا من الفضل يعود الى جهوده الرائدة .

ص. ج. ع.

G. H. Jansen, **Why Robert Kennedy was killed**
(N. Y., The Third World Press, 1971).

عندما وصل نبأ اغتيال جون ف. كينيدي القدس ، كان الاولاد الصغار المتلئون حيوية يملأون شوارع المدينة القديمة بصيحاتهم الناعمة كزقزقة عصافير الدوري . فما أن سمعوا بالنبأ حتى مضغوا صيحاتهم اللامعة وصمتوا ليتناقلوا النبأ بلهجة رزينة قاتمة ، كما لو أن مصرع الرئيس الاميركي كان محنة ألمت بهم . بعد ذلك بسنوات أربع ، عندما اغتيل كينيدي الثاني ، كان معظم الاولاد قد هدأوا الى طيلة حياتهم بفعل الموت او الحرب او مساحات الصمت الشاسعة التي تلف مخيمات اللاجئين اينما كانت . لقد كانوا على خطأ اذ ندبوا موت أحد آل كينيدي ، الذي كان يكفل لهم مصيرهم وهو في الرئاسة ، فهل كان أخوهم الاكبر على خطأ اذ قتل واحدا آخر من آل كينيدي قبل ان يتسلم السلطة فيدمر من الفلسطينيين جيلا آخر ! للمرة الاولى ، تخطت ذكرى فلسطين المعذبة حدود العالم العربي والعالم الاسيوي لترتطم برضى النفس الرائق والجهل السهل اللذين يعيش في ظلهما أقوى واغنى قتلة فلسطين .

قبل ان تقوم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعمليات اختطاف الطائرات ، وقبل أن يقع الكثير من الاعمال الانتحارية اليائسة التي أصبحت شبحا يقض مضجع الغرب ، قام الفدائي المتوحد في وحشته بمبادرته التي فقدت كل أثر لها ، أولا لان أحدا لم يدعمها سياسيا ، وثانيا لان اغتيال واحد من ساسة الولايات المتحدة لن يفعل شيئا . فهم جميعا ، حيث تتعلق المسألة بفلسطين ، يختلف الواحد منهم عن الاخر في درجة الظلم والصفاقة والمخاتلة الرخيصة . لقد كان الانطباع الذي أعطوه للمفكرين العرب هو الامتهان الكامل للقيم ، والعجز الكامل عن تحمل تبعات اعمالهم ، والشعوذة الكلامية القميئة المرة والتلاعب بالجمل المعهودة لتبرير انفسهم ، والعرقية التي تستحق قدرا اكبر من الاحتقار لكونها سهلة ومقبولة اجتماعيا . ان قادة « العالم الحر » بحاجة الى « درايدن » او بابا . فليست الطلقة هي التي تستطيع ايقاظهم او تعليمهم .

كان سرحان يعيش في الولايات المتحدة خلال وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، حينما كان من الصعب على فلسطيني أن يمنع المشاعر من التغلب على التفكير. لقد قرأت مقتطفات من الصحافة الاميركية بعد شهرين من الحرب وكنت أحتمي بالمجتمع العربي. ورغم ذلك احتجت بعض الوقت لأشفى من تلك التجربة . ولا بد ان العيش حينذاك وسط العرقية الهستيرية والتعصب الذي اجتاح اميركا كان تجربة مؤلمة ، من الواضح انها كسرت شيئا ما في نفس سرحان.

والد سرحان من قرية الطيبة ، ولكن العائلة عاشت في القدس حتى حرب ١٩٤٨ . وكان بشارة سرحان موظفا في دائرة الاشغال العامة التابعة لحكومة الانتداب البريطاني ، وهو مثال جوهري لذلك النوع من الفلسطينيين الذي يخاف الله ويلتزم القانون والذي«كان يبدي تعاطفا خاصا مع...عدالةوانصاف وانتظام ونظام الادارة » والذي لم يكن باستطاعته مجابهة الصراع القاسي على فلسطين . ولا شك ان هناك مفارقة رمزية بين الاب الذي لا يزال يقرأ التوراة وحيدا في البيت الحجري الذي ابتناه لنفسه قبل حرب حزيران والولد الذي دفعته معاناته العذاب لان يصبح قاتلا . فحياتهما تصور على نحو مبسط جدا الشرخ في السلوك الوطني الفلسطيني .

في عام ١٩٤٧ ، كان سرحان لما يبلغ الرابعة بعد ، وحينئذ خاض اول تجربة فلسطينية له عندما ألقى الصهيونيون بقنبلة خارج باب العامود المزدحم . لم يصب الطفل بأذى . ولكنه ، اذ سار بين الجثث المهروسة وعبر الدم وصيحات الالم ، قال لوالده « لا اريد ان أرى هذا » . فتناول الاب منديله وربطه على عيني الطفل وحمله الى البيت . لكن الطقوس المثيرة لم تنته عند هذا الحد . فقتل أخوه الاكبر عندما كان له من العمر ثماني سنوات بينما كانا يلعبان سوية . وقتل الجيران . ومرة انفجر لغم في صهيوني بينما كان يزرعه ضد البريطانيين فظلت رجله تتدلى من برج جرس الكنيسة المجاورة وعثر على اصبعه في ساحة بيت سرحان . « وعندما رأى سرحان ذلك شحب حقا » . كذلك رأى الطفل مسيرة الفتيات العاريات من دير ياسين اللواتي قطع الصهيونيون اثداءهن قبل ان يضعوهن في شاحنات الاغنام ويجوبوا بهن شوارع القدس لارهاب الفلسطينيين الذين تخلفوا عن النزوح .

واذا كنا نذكر هذه التجارب ، فلا نذكرها تأسيا على النفس وابناء الجلدة . ففي كل أنحاء العالم ، رأى الاطفال ولا زالوا يرون مناظر مفزعة ، بعضهم يشفى من أثرها والبعض لا يشفى . وقد عاش بعض الاطفال اليهود الذين ظلوا على قيد الحياة بعد المعسكرات النازية ليوقعوا الفظائع ذاتهـا بشعب اضعف منهم ، أما البعض الاخر فقد تخطى الفزع وتفوق عليه . ولكنهم جميعا حملوا آثار تلك التجربة المريعة طيلة حياتهم .

وفي أيار ١٩٤٨ ، وبعد ٤٨ ساعة من المعاناة في وسط المعركة ، أغلق آل سرحان باب بيتهم الامامي بحرص ، وزحفوا بثياب النوم ليجدوا لانفسهم ملجأ مؤقتا يقضون فيه الليـل . واخذوا معهم مفتاح الباب ، ولكنهم لم يعودوا اليه قط ، فقد وضعته خطوط الهدنة في بلد آخر . ولا هم استعادوا أبدا الاحترام الذي كانوا يتمتعون به عندما كانت العائلة وحدة مفيدة في نسيج اجتماعي . وبعد ثماني سنوات من معاناة شظف العيش كلاجئين والبحث عن عمل في ظل الفوضى التـي كانت تعم بلدهم المفتت ، هاجر آل سرحان الى الولايات المتحدة . ولم يكن سرحان يرغب في الهجرة . « أردت أن أبقى في وطني بين شعبي . وكنت أعرف أن الولايات المتحدة ضد العرب وصديقة لاسرائيل » . لقد أبدى سرحان وهو لا يزال في الثانية عشرة شرفا وحكمة أكثر بكثير من فلسطينيين يكبرونه .

لم تعرف العائلة الرغد في الولايات المتحدة ، جزئيا لان قيمها العتيقة لم يكن لها محل في تلك البلاد على الاطلاق ، وجزئيا بسبب مشاكل داخلية . كان سرحان جديا وقارئا مثابرا وشابا مطيعا هادئا عميق التدين صموتا مترفعا . لم تكن كاليفورنيا المكان المناسب له . وعلى الرغم مـن ان آل سرحان استقروا في الولايـات المتحدة ، الا أنهم جميعا (عدا استثناء واحد) رفضوا أن يصبحوا مواطنين اميركيين وأصروا على البقاء فلسطينيين ، فلم يكن هذا ليقدم لهم مساعدة عملية . كما أنهم كانوا سمر البشرة وبذلك تعرضوا للتمييز اللوني الغربي . لقد كانوا حساسيـن وذوي كبريـاء ولم يكونوا يشعرون بالانتماء الى أي مكان. لذا تفتتت العائلة، فعاد بشارة سرحان الى الضفة الغربية وسلك الاخوة الكبار سبلا غير مأمونة العواقب للحصول على المال وبدأوا يواجهون مشاكل . ووجد سرحان وظائف مهينة وأصبح بالتدريج يشعر بغربة اكبر عن المجتمع الاميركي . ولربما كان من الافضل له لو غادر .

يقدم لنا كتاب جودفري جانسن ، الذي وضع له مؤلفه عنوانا فرعيا هو « قصة ضحيتين » دراسة جيدة في الدوافع السياسية والانسانية التي تضافرت لتحدد سلوك سرحان . ولا شك في أن الجـزء الطويل الذي كرسه المؤلف لسرحان يتخطى التحليل السياسي ، فهو أقرب في نفاذ البصيرة التي يتغلغل بها الى جذور الكائن الانساني المتشابكة غير المرئية الى رؤيا الفنان منه الى التحقيق الصحافي . ويتخذ السيد جانسن موقفا دفاعيا نوعا ما لكونه « آسيويا جنوبيا يكتب عن آسيوي غربي » ، ولكن ليست هناك حاجة فعلا للصفحات التي افتتح بها الكتاب. فليست السنوات التـي قضاها المؤلف في العالم العربي هي وحدها التي ساعدته على اكتشاف تعقد شخصية سرحان . غير أن الجزء الخاص بروبرت كينيدي ليس الا تحقيقا سياسيا تبرز من بين سطوره كراهية المؤلف ، التي يمكن فهمها ، للموضوع . الاسوأ مـن ذلك أن ثلاث صفحات فقط مخصصة للمحاكمة ، رغم أن هذا الجزء رئيسي بالتأكيد . بدلا من ذلك ، نواجه فجأة برواية ليلى خالد لأول عملية خطف طائرات قامت بها ، وهي قطعة من الكتابة الممتازة ولكنها غريبـة تماما في مفهومهـا ومزاجها عن مأساة سرحان . وهي تعاكس جوهر كل ما تبقى من الكتاب ، ويجب ان تحذف مـن الطبعات اللاحقـة . واذا أخذنا بالاعتبار الثمن المرتفع الذي وضعه الناشر للكتاب ، فاننا نستطيع القول انه كان يستطيع ان يدفع بعض المال لمصحح يجنب الكتاب مئات الاخطاء الطباعية . كذلك لم يؤد محرر الكتاب خدمة جيدة للمؤلف . ولكن نوعية الكتاب ، لحسن الحظ ، عالية بحيث تتغلب على سوء انتاجه .

ثريا انطونيوس

بمناسبة صدور كتاب جودفري جانسن عن سرحان سرحان ، وبمناسبة قرب صدور قرار المحكمة العليا في كلفورنيا باستئناف محامي سرحان (في مطلع مايو ١٩٧١)، كتب الدكتور عابدين جباره الرسالة التالية لشؤون فلسطينية عن الجديد في قضية سرحان :

في الاسبوع الاول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، تقدم محامو سرحان بشاره سرحان الثلاثة : عابدين جباره وجورج شبلي ولوك ماكيساك ، بطلب استئناف من ٧٣١ صفحة ويقع في اربعة مجلدات ، بالنيابة عن موكلهم سرحان ، طالبين من المحكمة العليا في كلفورنيا صرف النظر عن حكم المحكمة وعقوبة الاعدام الصادرة عن المحكمة ، والسماح بمحاكمة جديدة .

تستطيع المحكمة العليا في كلفورنيا ، من الناحية القانونية ، ان تفعل احد الاشياء الثلاثة التالية : (١) تؤكد حكم المحكمة والعقوبة التي أصدرتها ، وفي هذه الحالة يجب الاستئناف لدى المحكمة العليا للولايات المتحدة ، (٢) تأكيد الحكم الصادر عن المحكمة مع تخفيف العقوبة الى السجن المؤبد ، او (٣) نقض الحكم والعقوبة ومنح المدعى عليه محاكمة جديدة . وتقضي عملية الاستئناف ، في النظام القضائي الاميركي ، بمراجعة الاخطاء التي ارتكبها القاضي في سير المحاكمة او في تفسيره للقانون النافذ . لكن يحق للمحامي ، قبل واثناء المحاكمة ، ان يطرح نقاطا متنوعة تتعلق باجراءات المحاكمة او بالقانون الذي سيطبق في هذه القضية . اذا كان المحامي يحس بأن القاضي قد ارتكب اخطاء في تصريفه لهذه الامور ، عندئذ يكون لاستئنافه لدى محكمة أعلى أساس .

تتضمن مذكرة الاستئناف في قضية سرحان ثمانية عشر اساسا او خطأ يدعي الدفاع بأن القاضي ارتكبها . من هذه الاسس ان اعلانا ظهر في وسائل الاعلام عن امكانية اعتراف سرحان بأنه مذنب بتهمة القتل المتعمد مقابل وعد من النيابة العامة بأنه لن يحكم بالموت . وقد قرىء هذا الاعلان وسمع من قبل المحلفين وهذا حرم سرحان من حقوقه الدستورية في محاكمة عادلة وغير متحيزة . أما الاساس الثاني للاستئناف فهو ان سرحان نهض احدى المرات في قاعة المحكمة وطلب ان يسمح له بأن يقول بأنه يعتبر نفسه متهما بتهمة القتل المتعمد قائلا انه « قتل روبرت كندي بارادته ، عن سابق تعمد ، وامامه عشرون سنة من العذاب » ، لكن القاضي رفض السماح له بذلك ، واستؤنفت المحاكمة . وكانت النقطة الثالثة التي أبرزها الاستئناف ان القاضي أخطأ لما فشل في الطلب الى النيابة العامة ان لا تطلب من المحلفين اصدار حكم الموت بحق سرحان. نقطة رابعة في مذكرة الاستئناف اشارت الى ان الافادة الواردة في القضية اشارت بما لا يقبل الشك ان سرحان لم يكن لديه اي قصد محدد وهذا ما يلغي اعتباره متهما بأقصى درجات القتل ، وهي الدرجة التي يعاقب عليها بالموت . اما الاساس الخامس للاستئناف فكان ان القاضي أخطأ لما حكم بأن مفكرة سرحان كانت مقبولة في المحكمة مع العلم بأن المفكرة اخذت من غرفة سرحان بدون اذنه ، وهذا مخالف لحقوقه بموجب دستور الولايات المتحدة . نقطة أخرى أبرزها الدستور هي ان الاقليات العنصرية والاقتصادية في المجتمع الاميركي مستثناة من محلفي كلفورنيا . ولهذا ادعى الدفاع بأن القاضي اخطأ لما استثنى اشخاصا معينين من الاشتراك في هيئة المحلفين في قضية سرحان لانهم عارضوا على اساس معتقدهم الاخلاقي ، اللجوء الى عقوبة الموت في قضايا الجرائم، وان هذا الاستثناء قد زاد من نسبة تثبيت الاتهام ضد سرحان . لقد أعطيت هيئة المحلفين حقا مطلقا وعشوائيا للاختيار ما بين عقوبات الحياة او الموت دون اعطائها اية ارشادات او مقاييس تساعدها في الاختيار . وهذا مخالف للدستور . وقال الدفاع ان ذلك حرم سرحان من حقه في تطبيق القانون السليم .

لقد سعى الدفاع اثناء مرحلة اصدار العقوبة ان يقدم افادة متخصصة عن الابعاد الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية للصراع الفلسطيني — الصهيوني ابان طفولة سرحان في فلسطين وتبيان اثار ذلك على سرحان . لكن القاضي ، كما يدعي الدفاع ، أخطأ في عدم السماح بهذا الاثبات الحيوي من اجل فهم شامل لسرحان وللظروف القاسية التي مر بها . وفي هذا النطاق تحتوي المذكرة القانونية على ملحق من خمسين صفحة يتضمن تلخيصا لما يمكن ان تكون عليه هذه الافادة .

الدكتور عابدين جباره

د. عبدالوهاب كيالي ، تاريخ فلسطين الحديث
(بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٠)

منذ بداية هذا القرن والشعب العربي في فلسطين يقاتل الاحتلال والصهيونية . ولقد شهد تاريخه في هذا القرن الكثير من الملابسات والمؤامرات والكثير من الاحداث والوقائع ، ومع ذلك فاننا نستطيع ان نقول بأن هذا التاريخ لم يكتب بعد . فلماذا لم يكتب ...؟ هنالك اسباب عدة اهمها : أولا : الاحداث السياسية المتلاحقة ، واندماج اكثرية الشعب في غمارها . كانت اذهان الشعب كله مركزة على المصير ، ولم تكن مركزة على التاريخ . ثانيا : الهزائم المتوالية التي مرت بها الحركة الوطنية ، وعلى رأسها هزيمة (١٩٤٧ — ١٩٤٩) ، وهي الهزيمة التي اصطلح على تسميتها بالنكبة . وما تبع النكبة من تشريد وشتات . ثالثا : عسر الحصول على المعلومات ، بسبب الشتات ، وعدم وجود مركز لجمع المعلومات، ولان جزءا من هذا التاريخ ما زال بحوزة دولة الاحتلال او بريطانيا .

ومع ذلك كانت هنالك محاولات جادة، مثل محاولات محمد عزت دروزة وعارف العارف واحمد طربين . ولكن هذه المحاولات كلها كانت تقدم قدرا من المعلومات ، يعتمد اما على المعلومات الشخصية (محمد عزت دروزة) او على المراجع العربية أساسا (عارف العارف) او على المصادر الاجنبية المنشورة (احمد طربين) ولذلك نجد ان كل مرجع من هذه المراجع يكمل الاخر ، ولكنه لا يغني عنه .

ولقد جاء كتاب الدكتور كيالي اضافة جديدة على كل ما تقدم. ذلك انه يعتمد أساسا على الوثائق البريطانية التي لم يتح لاي مؤلف ان يراها قبله . وكان من حسن حظه ان السلطة البريطانية أخرجت الكثير من وثائقها السرية ، وضمتها الى الوثائق العلنية ، فأتيح له ان يدرسها وهو يعد دراسته هذه . وهذه الوثائق بالطبع هي الوجه الاخر من تاريخنا الذي لم يستطع احد من مؤلفينا ان يستفيد منه من قبل . ولما كانت سلطات الاحتلال أقدر على جمع المعلومات والاحتفاظ بالوثائق ، فان هذا المصدر من أهم مصادر تاريخنا . ولقد استفاد منه الدكتور عبدالوهاب كيالي استفادة مثلى في الحدود التي رسمها لنفسه .

ولا بد من القول بأن المعلومات التي قدمها لنا الكتاب استنادا الى هذا المصدر معلومات هامة تهدينا الى فهم الكثير من الوقائع التاريخية : مثل موقف السلطات من المفتي الحاج امين قبل سنة ١٩٣٧ ، وعلاقة بعض القيادات والوجاهات بالحركة الصهيونية الخ . كما ان الكتاب يقدم معلومات جديدة عن الكثير من القضايا ، ومنها المقاومة العربية في فلسطين . وفي هذا المجال يدخل الكتاب الى تاريخنا اسم منظمتين هما : جمعية الفدائية (ص ١٤٠) وثورة الكف الاخضر (ص ٢٥٢) . كما ان كتاب الدكتور كيالي يهدي الباحثين الى كنز من المعلومات بعودته الى عدد من الصحف الفلسطينية والعربية ، وخاصة جريدة الكرمل . ان هذا المصدر لم تجر الاستفادة منه جيدا حتى كتابة هذا الكتاب . ان محمد عزت دروزة لم يعد الى أية جريدة ، واحمد طربين لم يشر الى اية صحيفة (كنت انا قد استفدت استفادة جلى من بعض المجلات والجرائد لدى كتابة كتابي : المقاومة العربية في فلسطين ، صدر عن مركز الابحاث في ايار سنة ١٩٦٧ لاول مرة) . ولكن الدكتور كيالي على ما يبدو قد صرف الكثير من الوقت لمراجعة عدد كبير من الجرائد . ويضيف هذا الى كتابه اهمية جديدة .

ان الدكتور كيالي باعتماده على وثائق السلطات البريطانية او الحركة الصهيونية وعلى الصحف ، قد استطاع بما بذل من جهد ان يعرفنا بالكثير من غوامض تاريخنا ، وان يقدم لنا براهين واثباتات على ما كنا نصل اليه بالاستنتاج . ولا بد ، مع اشادتنا بالجهود الكبيرة التي بذلها الدكتور كيالي ، وبدأبه وسعة اطلاعه ، من الملاحظات التالية : اولا : كنا نتمنى لو ركز الدكتور كيالي جهده على تنويرنا بالمزيد من المعلومات حول حركة القسام والاضراب الكبير وثورة سنة (١٩٣٦ — ١٩٣٩). فحركة القسام لا تحتل الا نصف صفحة واحدة من الكتاب (الصفحة ٢٩٥) مثلا . ثانيا : الاسلوب الذي اتبعه الدكتور عبدالوهاب هو الاسلوب الذي اتبعه كل مؤرخي القضية الفلسطينية، وهو أسلوب ايراد الوقائع الهامة وتقديم المعلومات عنها ، وهو ما يمكن ان يسمى الاسلوب التقليدي في كتابة

التاريخ . ونقطة ضعف هذا الاسلوب أن الوقائع فيه تبدو مفككة ، كما ان هذه الوقائع تبدو وكانها التاريخ كله ، مع انها ليست الا معـــالم فيه ، وسياقها أهم منها ، وفي هذا التاريخ يجري التركيز على الوقائع ويكاد ينعدم التركيز على السياق .
ثالثا : لقد قدم لنـــا الدكتور كيالي فيضا مـــن المعلومات ، ولكنه لم يقدم الا القليل من التحليل . وحتى التقييم الذي قدمه في نهاية الكتاب ، كان تقييما موجزا وعابرا (ص ٣٦١ — ٣٦٦) . مع ان جهدا كالجهد الذي بذله ومعلومات كالمعلومات التي قدمها تعطيه القدرة على التوسع في التحليـــل والتقييم .

وعلى الرغم من هذا كله يبقى كتاب الدكتور كيالي، بما فيه من معلومات ووثائق (ص ٣٦٧ — ٤٢٥) ومراجع (ص ٤٢٦ — ٤٧١) مرجعـــا هاما من مراجع القضية الفلسطينية ، ومن أهم كتب التاريخ التي تناولتها حتى الان . ونحن ننتظر الجزء الثاني الذي يعالج الفترة ما بين سنة ١٩٣٩ و١٩٤٩ .

ن. ع.

فلسطينيات

(١) اجتماع اللجنة التنفيذية والمؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي في تشكوسلوفاكيا

انعقد في براغ في ٢٨ — ١٩٧١/١/٢٩ اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمي (أ. ط. ع) لدراسة مشروع جدول اعمال المؤتمر العاشر ، ولمناقشة مشروع تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر الذي اعدته السكرتارية وكذلك التقرير الخاص بطلبات العضوية الجديدة . وتدارست اللجنة التنفيذية هذه التقارير واقرتها بعد اجراء عدد من التعديلات منها التعديل الذي أدخل على اللجنة « ب » ليصبح اسمها « حول التضامن المعادي للامبريالية مع نضال الشعوب والطلبة العرب ، وبشكل خاص نضال شعب وطلبة فلسطين » بدلا من « حول الشرق الاوسط » . وبالنسبة لمشروع تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر فقد الغيت الاشارة الى موقف اسرائيل « المعرقل لتحقيق تسوية سلمية لمشكلة الشرق الاوسط » لكي لا يفهم من ذلك ان اتحاد الطلاب العالمي يدعو الى «تسوية سياسية» او الى ما اصبح معروفا بـ« الحل السلمي » ، بالاضافة الى فقرات اخرى اعطت التقرير مزيدا من الوضوح حول جوانب عديدة تتعلق بالقضية الفلسطينية والعربية . وقد تم في هذا الاجتماع قبول عضوية عدة منظمات طلابية والتصديق على عضوية آخرين كأعضاء في أ. ط. ع. منها الاتحاد العام لطلاب ج. ع. م. واتحاد طلبة الصومال ، واتحاد طلاب باكستان الشرقية والاتحاد الوطني لطلبة سورية . كما ان طلبا مما يسمى بـ «الاتحاد الوطني لطلبة اسرائيل » لعضوية أ. ط. ع. ، والمقدم للمرة الثالثة منذ عام ١٩٦٤ ، قد رفض بالاجماع من قبل اعضاء اللجنة التنفيذية مع التوصية بعدم دعوة هذا « الاتحاد » لحضور مناقشة طلبه كما جرت العادة عند تقديم طلب عضوية من أي منظمة طلابية .

وفي يوم ١٩٧١/٢/٣ افتتح في براتيسلافا ، عاصمة جمهورية سلوفاكيا الاشتراكية ، المؤتمر العاشر لاتحاد الطلاب العالمي والذي ينعقد بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس الاتحاد . ويبلغ عدد المنظمات الاعضاء في اتحاد الطلاب العالمي حتى انعقاد المؤتمر العاشر — بين عضو كامل ومشارك — ٨٧ منظمة طلابية موزعة بين مختلف القارات والمجموعات . فأمريكا اللاتينية يمثلها ٢٥ اتحادا ومنظمة طلابية ، وافريقيا ٢٠ ، والدول العربية ١٠ ، والدول الاشتراكية على كافة اتجاهاتها ١٤ ، والمجموعة الاسيوية ٩ ومجموعة غرب اوروبا وامريكا الشمالية ٩ . وبلغ عدد حضور المؤتمر العاشر ٦٢ وفدا عاملا و٣١ مراقبا بالاضافة الى ١٢ منظمة دولية ومندوبين عن ٨ حركات تحرر وطني وزائر واحد عن رابطة طلبة امريكا اللاتينية في تشيكوسلوفاكيا بالإضافة الى ضيفي شرف هما : نائب رئيس وفد الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام الى محادثات باريس وفتاة نجت من مذبحة سون ماي بفيتنام الجنوبية ، وقد تميزت جلسة الافتتاح بالتضامن مع نضال شعب فيتنام ممثلا بهذه الطفلة .

وبعد الانتهاء من جلسة الافتتاح عقد المؤتمر جلسته الاولى التي ناقش فيها النظام الداخلي والبرنامج الزمني وجدول الاعمال . وهنا ادخل تعديل اضافي على جدول الاعمال وهو يقضي باضافة عبارة « وخاصة مع نضال شعب وطلبة فلسطين » للنقطة الثالثة من جدول الاعمال والمتعلقة بالتقرير الخاص عن « دور أ. ط. ع. في تكثيف التضامن الدولي للطلاب مع النضال المعادي للامبريالية للشعوب والطلبة العرب » . وفي صباح اليوم الثاني ، وفي جلسة خاصة ، استمع المؤتمر الى تقارير عن

« الوضع الحاضر في فيتنام وكمبوديا ولاوس وتمتين التضامن الدولي مع شعوب هـذه البلدان ضد المعتدين الاميركيين » . وقد قدم هذه التقارير كل من وفود فيتنـام الشماليـة والجنوبيـة ولاوس وكمبوديا . وفي جلسة بعد الظهر ، وقبل الدخول في جدول الاعمال ، رحب رئيس الجلسة (بولندي) بالاخ تيسير قبعة ، وقدم لمحة عن نضاله الطلابي والسياسي ودعاه لالقاء كلمة في المؤتمر . وكانت هذه المناسبة الاولى للمؤتمر ليعبر فيها عن تضامنه مع شعب وطلبة فلسطين ، فوقف اعضاء المؤتمر يصفقون بحرارة لفترة طويلة . والقى الاخ تيسير كلمة قصيرة حيا فيها المؤتمرين ونقل اليهم تحيات رفاقهم المناضلين مـن طلبة وشباب فلسطـين . واستقبلت الكلمة بتصفيق حاد من قبل المؤتمر وعقب عليها رئيس اتحاد الطلاب العالمي بكلمة قصيرة أكد فيها تضامن طلبـة العالم مع نضال شعب وطلبة فلسطين . وعلى الاثر قدم رئيس اتحاد الطلاب العالمي (تشيكوسلوفاكيا) ملخصا عن تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر العاشر حول « تطور وتجارب الحركة الطلابية الدولية منذ المؤتمر التاسع لاتحاد الطلاب العالمي، ودور ومهمات أ. ط. ع. والطلاب في تعزيز النضال ضد الامبريالية ، وبشكل خاص ضد السياسة العدوانية للامبريالية الاميركية » . وتلاه السكرتير العام لاتحـاد الطلاب العالمـي (العراق) ليقدم التقرير الخاص حول « دور اتحاد الطلاب العالمي في تكثيف التضامن الطلابي الدولي مع النضال المعادي للامبريالية للشعوب والطلبة العرب ، وبشكل خـاص مع نضال شعب وطلبة فلسطين » . وتقدم بعد ذلك نائب رئيس اتحاد الطلاب العالمي (السودان) بطرح تقرير السكرتارية حول « الذكرى الخامسة والعشرين لـ أ.ط.ع. واقتراحات الاحتفال بها » . وبعد الانتهاء من قراءة هذه التقارير بدأت مناقشة كافة التقارير المقدمة من خلال كلمات مطولة تعطى للوفود الراغبة في الكلام . وقد استمرت كلمات الوفود ثلاثة ايام وتضمنت تأييدا وتضامنا مع نضال مختلف الشعوب في الهند الصينية وافريقيا وامريكا اللاتينية والبلاد العربية . وتراوحت عبارات التضامن التي وردت في كلمات الوفود بالنسبة للقضية الفلسطينيـة والقضية العربية من عبارات « تأييد الشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي المدعوم من قبل الامبريالية ولازالة آثـار عدوان ١٩٦٧ » وعبارات « تأييد الشعب الفلسطيني في نضاله المسلح من اجل تحقيق اهدافه في تحرير وطنه ».

وفي الجلسة الصباحية ليوم ٢/٧ (اليوم الخامس) القى الاخ احمد الازهري كلمـة اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية وسط جو من التأييد الحماسي والتضامن ، كما اعطيت الكلمة لوفد الاتحاد العام لطلبـة فلسطين فضجت القاعـة بالتصفيق الحاد المعبر عن التضامن . وتوجهت الى المنصة عضو الوفد الاخت منى خوري والقت الكلمة التي قوبلت بموجة اخرى من التصفيق الحاد من قبل كافة الوفود التي وقف اعضاؤها تحية لوفد فلسطين واستمروا في ترديد صنفتة التضامن فترة طويلة من الزمن . وقد ركزت كلمة الوفد على تأكيد تضامن شعب وطلبة فلسطين مع نضال الشعوب في كل مكان من العالم وارتباط النضال الفلسطيني بحركة التحرر العربية والعالمية واعطاء لمحة سريعة عن تطور النضـال الفلسطينـي وموقف الثورة الفلسطينية تجاه الحل العادل للقضية الفلسطينية واقامة الدولة الديمقراطية .

وبعد انتهاء الوفود من القاء كلماتها ، تقدمت لجنة الاعتمادات تقريرها الى المؤتمر . وبعد ذلك قدم سكرتير عام ا. ط. ع. تقرير العضوية الجديدة للمؤتمر ليصار الى اقراره بعد ان كانت اللجنـة التنفيذية قد قبلتعضوية عدد من الاتحاداتالطلابية في اجتماعاتها السابقة سواء في برلين (آذار/مارس ١٩٦٨) او في فارنا (شباط/فبراير ١٩٦٩) . أقر المؤتمر عضوية ست منظمات ذكرنا اربعا منهـا سابقا . وقد اكد المؤتمر توصية اللجنة التنفيذية حول طلب عضوية ما يسمى بـ « الاتحاد الوطني لطلبة اسرائيل » فرفض الطلب بالاجماع .

وكان يوم ١٩٧١/٢/٨ قد خصص لعدة اجتماعات تضامن مع الشعوب المناضلة . وتضمن البرنامج الاجتماعات التالية : ١ ـــ اجتماع تضامـن مع الشعوب والطلبة المناضلين في سبيل الامن الاوروبي وضد الانظمة العسكرية والفاشية في اليونـان والبرتغال واسبانيا . ٢ ـــ اجتماع تضامن مع الشعوب والطلبة العرب . ٣ ـــ اجتماع تضامن مع شعوب وطلبة امريكا اللاتينية . ٤ ـــ اجتماع تضامن مع شعوب فيتنام ولاوس وكمبوديا . وقد توزع أعضاء الوفد الفلسطيني على هذه الاجتماعات وكان التركيز الاكبر على الاجتماع الخاص بالشعوب والطلبة العرب الذي عقد في مدينة برنو في المساء،

وحضره جمهور غفير وعدد من الشخصيات السياسية والجامعية في المدينة . وقد تضمن برنامج الاجتماع كلمات بعض المسؤولين في منظمة الشباب الاشتراكي للمنطقة ، ووفد الاتحاد العام لطلاب ج.ع.م. ، والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، ورابطة طلبة الدومينيكان ، وطلبة جامعة برنو . وفي نهاية الاجتماع وجه المجتمعون نداء تضامن الى الشعوب والشباب العرب في نضالهم ضد العدوان الاسرائيلي . وكانت كلمة وفد فلسطين على غرار الكلمة التي ألقيت في المؤتمر ولاقت تصفيقا حادا من قبل الحضور .

وفي اليوم التالي (١٩٧١/٢/٩) بدأت اجتماعات اللجان فتوزع اعضاء الوفد عليها وباشر آخرون بمتابعة اعداد مشاريع القرارات . وعقد اجتماع مطول للوفود العربية ، حضره مندوبون عن المنظمات في الجزائر والعراق والاردن والكويت ولبنان والمغرب والسودان وسورية وتونس واليمن الجنوبي وج ع م واليمن وفلسطين ، وبعد نقاش مطول توصل المجتمعون الى صيغة قرار « حول نضال الشعوب والطلبة العرب ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار والاستعمار الجديد » وقرار آخر « حول نضال شعب وطلبة فلسطين ضد الصهيونية والامبريالية » ليقدما الى اجتماع اللجنة الخاصة بالشؤون العربية والفلسطينية باسم كافة الوفود العربية . وفي اليوم التالي اجتمعت اللجنة « ب » المختصة بالقضية العربية وعرضت أمامها بعض القرارات الخاصة بالمنطقة ومن ضمنها مشروعا القرارين الخاصين بفلسطين والنضال العربي . وقد أقرت اللجنة المشروعين بالاجماع لعرضهما على الجلسة العامة للمؤتمر في اليوم التالي .

وفي الاجتماع المخصص لاتخاذ القرارات والذي ابتدأ مساء يوم ٢/١٠ اقر المؤتمر حوالي ٨٧ قرارا ، كان اثنا عشر قرارا منها يتعلق بالقضية الفلسطينية والعربية والدول العربية عامة بالاضافة الى عدد آخر من القرارات التي تطرقت الى القضية الفلسطينية من ناحية أو أخرى . وقد جرى اقرار هذه القرارات بالاجماع (وقد لوحظ ان الوفد الروماني لم يتخذ اي موقف ولم يصوت سلبا او ايجابا او امتناعا) . وخلال تقديم القرارات ، عرض تقرير اللجنة الخاصة بتعديل الدستور . وكانت هذه اللجنة قد اقترحت تعديلا يقضي باضافة الفقرة التالية الى القسم الثالث المتعلق بالاهداف لتكون النقطة (أ) في هذا القسم : « مشاركة الطلاب، الذين يشكلون جزءا لا يتجزأ من شعوبهم، في النضال من اجل الحرية والاستقلال الوطني الحقيقي والتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، والديمقراطية والسيادة القومية، وحق تقرير المصير ومن اجل السلام وأمن الشعوب في العالم بأسره، وضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والرجعية والفاشية وكافة اشكال التمييز ، وبشكل خاص التمييز العنصري » . فاقترح وفد فلسطين هنا ان تضاف كلمتا « الصهيونية والرجعية » بعد كلمة « الفاشية » باعتبارها تمثل خطرا لا يقل عن خطر الفاشية . وقد سجل هذا التعديل لمناقشته بعد استكمال طرح كافة التعديلات . وقد اجرى وفد فلسطين اتصالا واسعا مع الوفود لكسب التأييد اللازم لهذه الاضافة (وهي الثلثان) وبدا واضحا ان الاقتراح يتمتع بالتأييد المطلوب . الا انه بعد تقديم كافة الاقتراحات تقدم مندوب الاردن باقتراح اجرائي يقضي بتأجيل البحث في التقرير المقدم من لجنة تعديل الدستور الى اجتماع قادم للجنة التنفيذية لان كثيرا من الوفود ليس لديها التفويض بالموافقة على اقتراحات معينة ضمن التقرير دون ان تكون اتحاداتها قد درست مجمل الاقتراحات وحددت موقفا منها . وقد لاقى اقتراحه موافقة اغلبية اعضاء المؤتمر — الذين كانوا منهكين في ذلك الوقت وبعد مضي ما يزيد على ٢٤ ساعة من الاجتماعات المتواصلة — وتأجل بذلك البحث في الاقتراح المقدم من وفد فلسطين. ولقد كان الوفد يرى اهمية خاصة لهذه الاضافة لتصبح ضمن مواد دستور اتحاد الطلاب العالمي . ولكن تعذر اضافتها دفعته الى ان يضيفها الى صيغة القرار العام حول نضال الطلاب في العالم (قرار رقم ج/١) وتمت اضافتها في فقرتين رغم المعارضة الشكلية التي أبدتها لجنة من المنظمات المقدمة للاقتراح .

أما بقية القرارات التي عرضت فقد تم اقرارها بدون اية عوائق ، وتمت بعض الاضافات على بعض القرارات — خاصة القرار الخاص بأنجولا وموزمبيق — لتشمل اسرائيل كاحدى الدول التي تقدم العون للمستعمرين البرتغاليين في حربهم ضد شعوب هذه البلاد . وتجدر الاشارة الى انه بالاضافة الى القرار العربي العام والقرار الخاص بفلسطين تبنى المؤتمر « برنامج عمل لتأييد نضال

الشعوب العربية والشعب الفلسطيني ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار والاستعمار الجديد » ، بالاضافة الى قرار خاص حول باتريك ارغويللو اذي اعتبره المؤتمر « بطل النضال ضد الامبريالية والصهيونية » .

لقد تميزت قرارات المؤتمر العاشر ، الذي اختتم يوم ٢/١٣ ، بعدد من النقاط التي تعتبر هامة جدا في تطور موقف الحركة الطلابية الدولية تجاه القضية الفلسطينية . فقد أقر المؤتمر اعتبار اسرائيل موجهة ضد وجود الشعب الفلسطيني بالاضافة الى طبيعتها كقاعدة استعمارية امبريالية توسعية منذ ان قامت في عام ١٩٤٨ . ولعل تأكيد المؤتمر العاشر لحقوق الشعب الفلسطيني، وبشكل خاص حقه في تقرير مصيره على ارض وطنه ودعم نضاله في تحرير هذا الوطن تشكلان نقطة انطلاق جديدة في العمل الطلابي الاعلامي العربي . كما انه يجب الا يغيب عن ذهن القارىء التأييد الصريح للنضال الفلسطيني المسلح ، (رغم أن أ. ط. ع. كان قد «حيا» النضال المسلح للشعب الفلسطيني في المؤتمر التاسع في منغوليا عام ١٩٦٧) على ضوء التطور الذي حصل في المنطقة بأكملها منذ حزيران ١٩٦٧ . كما ان اتخاذ المؤتمر لقرار خاص حول باتريك ارغويللو ، الشاب النيكاراغوي الذي استشهد وهو يقاتل ضمن صفوف احدى فصائل المقاومة الفلسطينية ، دفاعا عن قضية الجماهير الفلسطينية ، واعتباره « بطل النضال ضد الامبريالية والصهيونية » انما هو تأكيد لارتباط شباب العالم التقدمي بنضال شباب وشعب فلسطين . وما القرارات التي اتخذت الا صورة معبرة عن موقف طلاب العالم من قضيتنا ، وهي صورة لا بد لنا من العمل على نشرها على اوسع نطاق ممكن ، علما بأن مثل هذه القرارات تزداد اهميتها الاعلامية لكونها تتوجه نحو جماهير الطلبة والشباب التقدمي في العالم بأسره ، وبشكل خاص الى جماهير طلبة وشباب البلدان الاشتراكية كافة.

شريف الحسيني

صدر حديثا

عن مركز الابحاث

في منظمة التحرير الفلسطينية

ثلاثة كتب باللغة الانجليزية

القضية الفلسطينية والقانون الدولي

بقلم ف. يحيى

في التوسع الاسرائيلي

بقلم خالد قشطيني

الاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقية والشرق الاوسط

بقلم جورج جبور

(٢) ندوة فلسطين العالمية الثانية في الكويت : وجهتا نظر

انقسم الرأي حول ندوة فلسطين العالمية الثانية (القسم الثاني) ، التي انعقدت في الكويت بين الثالث عشر والسابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧١ بدعوة من جمعية الخريجين الكويتية والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، انقساما كبيرا . وقد سألت « شؤون فلسطينية » الاستاذ منح الصلح عن ملاحظاته على الندوة ، ثم سألت الاستاذ فواز ناجيا عن ملاحظاته ايضا . وقد اشترك كلاهما في الندوة .

قال الاستاذ منح الصلح :

أولا ، الندوة لم تكن ندوة سياسية ولو كانت كذلك لوجب أن تتوفر فيها شروط لم تكن فيها . الندوة السياسية تفترض ان تكون هناك موضوعات معينة مستمدة من واقع حركة المقاومة او العمل الفلسطيني وان يطرح كل موضوع شخص ذو صلة عملية ومباشرة وخاصة بهذا الموضوع ثم يجري اشراك الحضور في التداول حول نظرة المقاومة عن هذا الموضوع بالذات . مثلا موضوع الميلشيا الشعبية ، هل يجوز حلها او لا يجوز ، ما هو موقف المقاومة ، ثم بعد ذلك ما هو التقييم السليم لهذا الموقف . والجانب التقييمي يشترك فيه المدعوون . موضوع آخر مثلا موضوع هل يجوز خطف الطائرات أم لا : تعطي المقاومة رأيها وتبرر هذا الرأي ثم يترك للمشتركين امر تناول الموضوع. الموقف من الانظمة العربية يعطى راي المقاومة مع مبرراته وحيثياته ويجري بعد ذلك التقييم من المشتركين . او على اقل تقدير تبحث قضية كمجزرة أيلول ذات علاقة بالحاضر . هكذا تكون الندوة سياسية ويكون المشتركون قد تفاعلوا مع الجانب السياسي منها واصبحوا ذوي مسؤولية تجاه قرارات اشتركوا في مناقشتها . الذي حصل هو غير ذلك تماما . جيء بالمدعوين ثم ألقيت عليهم محاضرات اكاديمية بحتة تتناول أمورا قد يعرفونها او لا يعرفونها ولا شك ان اغلبهم يعرفها وانتهى الامر . ان المفروض في شخص سافر من الولايات المتحدة الى الكويت بقصد بحث قضايا العمل الفلسطيني ان لا يفاجأ بأن كل المطلوب منه هو سماع بعض بدهيات القضية . المفروض ان يكون قد عرف كل هذه الامور والا كيف يكون ملتزما بالقضية وبأي معنى يكون ملتزما . اذا كان الامر أمر معلومات فان اي نشرة او اي مجلة كافية لان تزوده بمعلومات فوق ما اخذ من الندوة . اذن فان الندوة بسبب لاسياسيتها تحولت الى ندوة اكاديمية ، ولكن بالطبع في مستوى غير عال من الاكاديمية ايضا لان عددا كبيرا من الحاضرين لم يكونوا من الاكاديميين على الاطلاق .

ثانيا ، كان الخطأ الثاني في الندوة هو أن جمهور المدعوين لم يكن منتقى بشكل يجيب عن السؤال التالي : من هم المدعوون ؟ واي نوع من انصار القضية الفلسطينية تريد ان تخاطب من خلالهم ؟ يعني هل جمهورك من اليساريين ؟ اذا كان كذلك فأنت تعرض القضية على الصورة التي يفهمها اليساريون . هل جمهورك من اللبراليين ؟ اذا كان كذلك فهناك عرض لبرالي للقضية الفلسطينية تقدم فيه لهم . اما ان يأتي اللبرالي من اصدقاء القضية الفلسطينية ليسمع آراء الماركسيين — اللينينيين والتروتسكيين حول هذه القضية فان ذلك مما ينفره بلا ريب . وان يأتي ، من جهة اخرى ، الماركسي اللينيني والتروتسكي، ليجد أمامه يمينيا يطرح عليه الموضوع بشكل مستفز له فذلك مما يسيء للقضية عنده.والذي حصل من هذه الناحية مفجع حقا اذ خرج اليساريون ساخطين لان القضية ، في رأيهم ، وضعت في يد اليمين . وخرج اللبراليون ناقمين أيضا لان القضية ، في زعمهم ، اصبحت ملكا لليساريين وحدهم . فمن ارادت هذه الندوة أن ترضي وأي نوع من الاصدقاء كسبت ؟ واي جمهور خاطبت ؟ ذلك كله كان يدعو الى الحيرة بل الى أكثر من الحيرة لانه لا يمكن ان يتم مثل هذا الكمال في الاضرار بالقضية من غير ان تكون هناك نية غير سليمة او بعد كامل عن القضية عند المسؤولين عن هذا الامر .

ثالثا ، الناحية الاعلامية لم تكن موفقة بمعنى ان انعقاد الندوة في الكويت من شأنه ان لا يؤمن الغاية الدعائية المفروضة ان تكون من ندوة من هذا النوع. فالعرب متهمون في العالم اكثر ما هم متهمون

بالفروق الشاسعة بين طاقاتهم وما يضعون فعلا في المعركة من هذه الطاقات. والاوروبي او الاميركي الذي يأتي الى الكويت فيرى كل هذا الثراء ويرى كل هذه الامكانات المادية وكل هذه الضيافة ثم يعرف من جهة اخرى وضع العرب في المعركة ووضع عملهم الفدائي وازماته المادية لا يكون قد اقترب اكثر لقضيتنا منه في السابق . وكما قال احدهم : اذا كان الطواف بالضيوف الاجانب في مخيمات اللاجئين ليس بالاسلوب السليم للدعاية للعرب فكيف بالطواف بهم بين آبار النفط وفي الفنادق الكبرى ؟ هذا فضلا عن صراحة الصحف الكويتية المشكورة التي كانت تكتب والندوة قائمة ان النظام الكويتي كان الرابح الوحيد من هذه الندوة وان الحكومة الكويتية قد كسبت اعلاميا من انعقاد هذه الندوة .

ان ندوة الكويت لم تكن ندوة ناجحة ولا كانت ندوة مفيدة خصوصا اذا ما قورنت بالجو الجدي والجو الثوري الحقيقي الذي جرت فيه ندوة عمان حيث كانت اختبارا ثوريا حقيقيا عاشه كل من جاء الى الندوة لان ندوة عمان كانت ندوة جبل الحسين والوحدات ومخيم الحسين بينما كانت ندوة الكويت ندوة هيلتون وشيراتون .

وقد أجاب عن سؤال يتعلق برأيه بما قام به المثقفون الفلسطينيون الذين اشتركوا بندوة الكويت بما يلي:

كان من الامور المسيئة للندوة النظرة الطبقية التي اتصف بها تحرك الانتلجنسيا الفلسطينية . لقد اعتبر المثقفون الفلسطينيون انفسهم وحدة لا على أساس وحدة معتقداتهم اذ كان بينهم يساريون وبينهم يمينيون بل على أساس كونهم مثقفين فقط لا غير واصدروا بيانا بصفتهم كتلة وهذا أمر غريب اذ ليس هناك شيء في السياسة اسمه موقف المثقفين فبين المثقف والمثقف من اختلاف الرأي في بعض الاحيان ما يجعلهما نقيضين فبأي منطق يقال « مثقفون فلسطينيون » و« رأي المثقفين الفلسطينيين » ؟ ان تصرفا من هذا النوع هو مفهوم فوقي واستعلائي لا يصح ظهوره في ثورة كالثورة الفلسطينية . هذا اذا وضعنا جانبا بعض العبارات الفوقية والاستعلائية التي تضمنها بيان المثقفين اذ لم يترددوا في أن يعتبروا أنفسهم ناطقين بأسم الجماهير الفلسطينية واقرب الى فهم هذه الجماهير من المنظمات الفدائية نفسها .

وقال الاستاذ فواز ناجيا :

اولا ، اذا اردنا تقييم ندوة فلسطين العالمية الثانية تقييما علميا صحيحا ، فلا بد من الاشارة الى الظروف التي رافقت تاريخ انعقاد الندوة الذي حدد لعدة شهور خلت . الا انه جاء والمنطقة العربية تمر بظروف بالغة الدقة والخطورة منها :

أ ـ عقدت الندوة قبل حوالي اسبوعين من افتتاح الدورة الثامنة للمجلس الوطني الفلسطيني ، وهي الدورة الاولى للمجلس بعد هجمة ايلول الشرسة على الثورة الفلسطينية . ب ـ عقدت الندوة في وقت كان الحصار الاعلامي العربي والعالمي المفروض على الثورة الفلسطينية في ذروته . ومما لا شك فيه ان هذا الحصار هو جزء من الهجمة على الثورة . ج ـ عقدت الندوة في وقت كان فيه الصراع في وجهات النظر حول تمديد رابع لوقف اطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل في أوجه . وسط كل هذه الظروف عقدت الندوة . وكان لا بد أن تولد ردود فعل معينة تؤثر على سير اعمالها .

ثانيا ، من الضروري التذكير بوجود طرفين مسؤولين عن الندوة هما جمعية الخريجين الكويتية والاتحاد العام لطلبة فلسطين . وهذا في رأينا كان من العقبات التي اثرت في سير اعمال الندوة . فقد كان الاتحاد العام لطلبة فلسطين يشعر ان القضية قضيته بالاساس وانه بالتالي يجب أن تخرج الندوة بموقف واضح وصريح ضد الحل السلمي ومشروع روجرز وضد النظام الرجعي في الاردن . بينما كانت جمعية الخريجين تعتبر انها ايضا مسؤولة عن الندوة خاصة وان الندوة تعقد على ارضها ، في الكويت ، وبالتالي فقد كانت تسعى الى تجنب أية انفعالات او انشقاقات في الندوة قد يفهم منها انها تعكس موقفا معينا للحكومة الكويتية ضد الجمهورية العربية مثلا او الاردن. هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية ، فقد اثر وجود طرفين في الاعداد للندوة فيما يتعلق بتجهيز الدراسات وطباعتها وارسال الدعوات . لقد كان هناك طرف يقترح ويتمنى وهو الاتحاد العام ، وكان هناك طرف اخر وهو جمعية الخريجين بيده التقرير الفعلي ، اي التنفيذ . لذلك كانت بعض الاخطاء (اخطاء في الطباعة ، عدم توزيع الدراسات في وقت معين وعدم وصول بعض الدعوات) . ولكن يجب ان لا نضخمها . فقد كانت هذه الاخطاء في الواقع ،

قليلة وليست ذات بال اذا ما قورنت بما يحدث عادة في مثل هذه الندوات العالمية .

ثالثا ، اما بالنسبة للمدعوين فقد كانت نوعيتهم تختلف عن نوعيّة الذين حضروا ندوة عمان في اوائل أيلول الماضي حيث كان الهدف ان لا يأتي الى عمان اي من الشخصيات البارزة وان تقتصر الدعوات على الحركات والاحزاب والمنظمات . أما بالنسبة لندوة الكويت ، فقد كان للاخوان الكويتيين رأي آخر يعكس الرغبة في اشراك بعض الشخصيات العالمية . وهكذا اخذت وجهتا النظر في عين الاعتبار فوجدنا في الكويت حركات التحرير والاحزاب جنبا الى جنب مع الافراد والشخصيات . انما من المهم ان نؤكد ان معظم حركات التحرر وعلى رأسها فيتنام والاحزاب اليسارية والتقدمية الاوروبية كانت ممثلة في الكويت .

رابعا ، فرضت هذه الارضية الواسعة من المدعوين خطا معينا لسير أعمال الندوة بمعنى اننا لا نستطيع ان نفترض ان كل هؤلاء الاشخاص او المدعوين ملتزمون فكريا وسياسيا بخط متجانس وبالتالي يعرفون عن الثورة الفلسطينية القدر الكافي . وهكذا كانت الفكرة ان تعطي الندوة لمحة عامة عن تاريخ القضية الفلسطينية وعن الثورة الفلسطينية وفلسطين الغد (أي شعار انشاء الدولة الديمقراطية) . وعلى هذا الاساس وزعت المحاضرات الثلاث والدراسات الثلاثون . وفي اعتقادي ان المحاضرات الثلاث ربما كانت من أحسن ما قدم من محاضرات حول هذه المواضيع . والدراسات كذلك كانت جيدة . وعلى الهامش فأنا لم اقرأ ، من بين الانتقادات التي قرأتها عن الندوة ، انتقادا واحدا لهذه الدراسات ولنوعيتها.

خامسا ، أما بصدد الاقتراح القائل بتقسيم الندوة الى لجان ، فان هذا لم يكن ممكنا لعدة أسباب . لقد كانت الفكرة الاساسية وراء الندوة ان نشرح كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية بطريقة التسلسل التاريخي . وهكذا فان ايجاد اللجان كان سيحرم بعض الاعضاء من دراسة ومناقشة بعض المراحل التي مرت بها القضية او الثورة بينما كنا نحن نتوخى اشراك العدد الاكبر في جميع المناقشات . اما القول بأن الندوة لم تركز على القضايا الراهنة فهذا غير صحيح اطلاقا ذلك ان المناقشات كلها تقريبا كانت تدور حول قضايا الساعة ولا سيما مشروع روجرز . وهنا احب أن اشير الى بعض التوترات التي قامت في الندوة بين بعض الاخوة العرب واقول انها كانت انعكاسا طبيعيا للجدل الدائر في الساحة العربية ككل حول الحل السلمي. وما ينطبق على اللجان ينطبق ايضا على تشكيل لجنة الصياغة التي اقترح البعض تشكيلها . لقد كان هناك قرار واضح من قبل اللجنة التنفيذية للندوة بعدم تشكيل لجنة صياغة وبعدم اصدار بيان ختامي والاكتفاء بتوجيه نداء مقتضب يعكس التأييد العالمي للثورة الفلسطينية .

سادسا ، اما التهمة بأن مظاهر البذخ قد رافقت الندوة ففي رأيي انها سخيفة . فالندوة عقدت في بلد عربي هو الكويت وكان من الطبيعي ان يتصرف اهل هذا البلد بالطريقة التي تعبر عن حفاوتهم بالضيوف وترحيبهم بهم . وبالمناسبة ، فان بعض اولئك الذين انتقدوا هذه المصادر وجهت لهم في السابق الدعوة لحضور ندوة عمان حيث لم تكن مظاهر ولا ولائم ، ولكنهم تقاعسوا عن الذهاب الى « عمان ايلول » لسبب او لاخر .

سابعا ، ان تقييمي العام للندوة هو أنها نجحت في تحقيق هدفها الاساسي وهو اظهار تأييد عالمي للثورة في الوقت الذي كانت الثورة تتعرض فيه لحصار اعلامي عام . كما وان الدراسات التي قدمتها الندوة دراسات جيدة ويمكن الاستفادة منها . اما الادعاء بأن الندوة خسرت اليسار واليمين معا فمرده ان كلا من اليسار واليمين بما في ذلك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة قد اتفقا على تمرير الحل السلمي على حساب تصفية الثورة وقد كنا نعمل في ظل المعطيات القائمة للوضع الدولي الراهن ومع ذلك استطعنا ان نخرج من الندوة بقرار يرفض الحل السلمي ومشروع روجرز ويدعم الكفاح المسلح الذي تخوضه الثورة الفلسطينية ويدين السلطة في الاردن بسبب تصديها للمقاومة ويؤيد شعار الدولة الديمقراطية في كل الارض الفلسطينية . وفي معرض التقييم اشير الى أن بعض التشويش قد حصل على الندوة ويعود، بالدرجة الاولى ، الى ما سمي ببيان المفكرين الفلسطينيين . البيان بحد ذاته ليس سيئا ولكن استغلال توقيته من الصحافة المأجورة والعميلة كان يهدف الى اظهار الثورة الفلسطينية وكأنها بلا فكر او أن رجال الفكر هم ضد الثورة وضد قيادتها بالذات وهذا ما لا نحبه او نرضاه .

(٣) المعرض الاول للجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني

خلال صيف ١٩٦٧ ، اغتصب المزيد من الارض بالقوة واستحث شعب الى العمل المنظم وانبثقت حضارة من سبات عميق . وقد شرح أحد الفنانين هذه الظاهرة على النحو التالي : « لقد شعر الفنانون الفلسطينيون بالصدمة للنكبة التي اصابت العرب في حرب ١٩٦٧ مع اسرائيل . وقد أثرت هذه الهزة القاسية على أساليب الفنانين واختيارهم لموضوعاتهم وانتاجيتهم»(١). وقد شاهد الكثيرون احدى نتائج هذا الحافز في فندق كارلتون في بيروت بين ٢٦ شباط (فبراير) و٤ اذار (مارس) حيث عرض المعرض الاول للجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني جمال التصاميم والالوان الفلسطينية في التعاليق والسجاد والوسائد والمقاعد المطرزة ، التي عرضت منها مئتان وخمسون قطعة للبيع .

ان نظرة سريعة على القطع الفنية بالالوان التي تطرزها في الغالب فتيات فلسطينيات يعطي انطباعا بالتناسق والتخطيط الهندسي يختلف عن التصاميم المنحنية والمعقدة التي ترتبط في العادة بفن « الارابيسك ». ويمكننا القول دون الخوض في التاريخ الحافل للفن الفلسطيني ان هناك سببين لبساطة التصاميم : اولهما أن الانماط مستخلصة من تطريز الملابس التي كانت ترتديها في الماضي معظم نساء القرى الفلسطينية ، فكثير من التصاميم المشغولة بقطبة الصليب (القطبة المقدسية) كانت هندسية في الاصل ، وثانيهما أن معظم التصاميم المنحنية كيفت الى أشكال مثلثة او مربعة او خماسية عندما حولت من الازياء الوطنية الى النماذج الاكبر للقطع المعروضة . ويفسر الدكتور عبد الرحمن اللبان ، أحد الفنانين الذين يطورون الانماط للجنة السيدات الفلسطينيات ، الامر بأن تحقيق المنحنيات على الانماط الكبيرة أمر بالغ الصعوبة ،ولذا فقد اخترت التصاميم ذات الخيوط المستقيمة . كذلك شرح الدكتور اللبان ان التصاميم صممت عمدا لتعطي الاثر ذاته بغض النظر عن الجهة التي ينظر منها اليها . وقد كان الدكتور اللبان ، وهو لبناني متزوج من فلسطينية عضو في اللجنة ، قد عاش في فلسطين خمس سنوات . وهو يقول أن الانماط الابسط التي تحتوي على عدد ضئيل من الالوان هي الانماط الاكثر بدائية وربما كانت بدوية الاصل . أما التصاميم المعقدة ذات الالوان المتعددة فقد تأثرت بالحضارتين البيزنطية والمسيحية اللتين جلبهما الى فلسطين مسافرون من أنحاء اخرى من العالم . وكثيرا ما يأخذ الدكتور اللبان الوان تصاميمه من الثياب المطرزة مباشرة، وهذه أساسا الوان داكنة : حمراء وقرمزية وبرتقالية وسوداء وبيضاء . ولكن الوانا أخرى كالخضراء والبنية ادخلت الى التصاميم لاشباع عدد أكبر من الاذواق والاقتراب من الالوان العصرية.

وتقول يسرى عرنيطة ، وهي مرجع ضليع في الفن الفلسطيني ، ان ثياب القرى التي تقطنها اغلبية مسيحية تختلف في الوان تطريزها عن تلك التي توجد في المناطق التي يغلب فيها المسلمون ، فالوان هذه الاخيرة أكثر تنوعا بكثير . ولا شك أن الاختلافات الاخرى منها يتعلق مثلا بتوزيع التطريز على الثياب واستعمال الابليكات (الزخارف التي تصنع بخياطة مواد قماشية على الثوب) كما في القرى الساحلية ، وتنوع القطب وكذلك اصول التصاميم المختلفة وفعل التأثيرات الخارجية على التطريز الفلسطيني ، لا شك في أن هذه الاختلافات يجب ان تدرس بعمق . وتقوم السيدة وداد قعوار، وهي تقيم في عمان وتملك مجموعة كبيرة من الثياب الفلسطينية عرضت في ندوة فلسطين العالمية في الكويت في شباط (فبراير) ، وكذلك السيدة عرنيطة(٢) بكتابة كتب عن الاوجه المختلفة للتطريز الفلسطيني .

وليست فكرة تكييف التطريز الفلسطيني التقليدي ليتناسب مع الاستعمالات العصرية فكرة جديدة بأي حال . فمركز البياضات في بيروت يبيع أغطية موائد ومناديل وحصرا مزينة بالتطريز الفلسطيني منذ تسعة عشر عاما . فتقوم عقيلتا السيدين حنا خوري وفريد حداد باستيراد الكتان الايرلندي خصيصا من مانشستر وتعطيانه لفتيات لاجئات يبحثن عن عمل ، ثم تبيعانه في مكان يقع على شارع بلس في رأس بيروت . وهما ايضا تعرضان أغطية الموائد المطرزة في مهرجان الربيع السنوي الذي يقيمه نادي النساء الاميركيات في لبنان والذي اقيم هذه السنة في فندق فينيسيا في ٢ اذار

(مارس) . كما ان جماعات اخرى تعرض التطريز الفلسطيني في هذا السوق الخيري ومنها رابطة المرأة الفلسطينية العربية واللجنةالنسائية لمساعدة الاونروا . وتملك هذه اللجنة ، وهي من الاوائل في هذا الحقل ، مشغلا في مخيم عين الحلوة بصيدا حيث تصنع الفتيات الفلسطينيات اعدادا كبيرة من الحقائب والجزادين والوسائد تعرض للبيع كل اربعاء في بناية الاونيسكو . كما أن منظمات أخرى كلجنة انعاش المخيم التي تصنع وسائد حريرية مزينة بالتطريز واتحاد المرأة الذي يقوم بتطريز الثياب تعرض منتجاتها في معارض منها المعرض الذي أقامته لجنة أصدقاء القدس في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠(٣) ولجنة السوق الفلسطيني التابعة لفتح اواخر ١٩٧٠(٤). وتقوم بالتطريز في معظم الحالات فتيات فلسطينيات يتلقين دخلا لقاء عملهن .

ليس أمرا مثيرا للدهشة ان تبدي منظمات كثيرة وأفراد لا يحصون اهتماما بالغا بالثياب الفلسطينية التقليدية ويقومون بالتطريز الفلسطيني اذا اخذنا بالاعتبار التاريخ الطويل للحس الجماعي لدى المرأة الفلسطينية(٥) . فقد كانت المهارة في ابداع قطب جديدة وتركيب الالوان واناقة الخياطة صفات طالما أثارت الاعجاب في المرأة الفلسطينية وكان الرجال يأخذونها في اعتبارهم لدى اختيارهم لزوجاتهم . وكانت معظم القرى تفتخر ايما افتخار بهذا الفن الزخرفي . وقد اشتهرت قرية بيت دجن على وجه الخصوص بجمال تطريزها . وليس الفلسطينيون وحدهم هم الذين يقدرون هذا الوجه من وجوه تراثهم الحضاري ، فقد كان لهذا الوجه آثار بعيدة المدى في الماضي ، كما يقول الكاتب العراقي خالد قشطيني : « ... لا شك في ان الثياب التي ترتديها نساء القرى بألوانها الرائعة وتطريزها المتقن من أجمل الثياب التي ارتدتها النساء من أي عرق وفي اي وقت من الاوقات . لقد كان الاثر الذي خلفته هذه القطع الفولكلورية آسرا لدرجة أن بعض الصهيونيين عزوا كل مصاعبهم الى التأثير السحري لثياب القرويات الفلسطينيات على رجال الادارة البريطانية والموفدين الدوليين الذين قدموا الى الارض المقدسة لبحث المشكلة، فقد كان هؤلاء يجتذبون بسرعة الى الصف العربي »(٦).

ولا يزال المتحف البريطاني في لندن مأخوذا بالثياب الوطنية الفلسطينية ، فقد أرسل احدى موظفاته وهي الانسة وير الى فلسطين المحتلة لشراء الملابس الفلسطينية وذلك بعد حرب ١٩٦٧ بقليل . وستعرض المجموعة التي قدمت بها على الجمهور خلال ربيع ١٩٧١ . وتقول السيدة سيرين شهيد، وهي فلسطينية تملك مجموعة صغيرة من الملابس، أن مجموعة المتحف البريطاني هذه خضعت لفحص دقيق من جانب الاسرائيليين .

وتقول السيدة تمام شموط ، وهي واحدة ممن يجمعن الثياب الوطنية وواحدة من النساء الاحدى عشرة اللواتي يشكلن لجنة معرض التطريز الفلسطيني ، أن منظمتهن لم تنشأ في الاساس لحفظ الحضارة الفلسطينية ، فأسم الجمعية وهو كنزة المناضل يكشف عن مهمتها الاصلية . ففي العام ١٩٦٧ اشترت تسع نساء فلسطينيات وامرأتان لبنانيتان خيوط الصوف وقمن بتعليم بعض الفتيات حياكة الكنزات للمقاتلين . ولم تبدأ هؤلاء الفتيات في تطريز تصاميم وطنية فلسطينية بحماسة وفخار الا في العام الماضي . وقد أصبح للجنة الان مكتب ومشغل ومعرض دائم في بناية منظمة التحرير الفلسطينية على كورنيش المزرعة في بيروت حيث يرحب بالزوار والمتطوعين والمشترين طيلة ايام الاسبوع . وتقول السيدة شموط التي تعمل مع الدكتور اللبان وفرديناند عرنيطة على تحويل تطريز الثياب لتصاميم أكبر ، أن احد الاسباب التي تكمن خلف احياء التطريز الفلسطيني هو اثبات ان هذا التطريز تراث فلسطيني وليس اسرائيليا . فبعد احتلال اسرائيل لسيناء وغزة والضفة الغربية في العام ١٩٦٧ شعر الكثيرون ان الحضارة الفلسطينية مهددة بالضياع لتشتت اللاجئين في البلاد العربية وفي الخارج . وزاد من حدة هذا الشعور تبني اسرائيل للفنون الشعبية الفلسطينية. وتبين مقالة اخرى نشرت عن معرض الكارلتون بعنوان «سرقوا الارض ويريدون سرقة الحضارة» ان الفن الفلسطيني يعرض في الخارج على أنه فن اسرائيلي.وتشير هذه المقالة الى أن احد اهداف احياء التصاميم الفلسطينية هو البرهنة ثانية على ادعاء الفلسطينيين لتراث هو تراثهم حقا(٧).

وليس واضحا ما اذا كان من ينظمون المعارض الاسرائيلية يدعون بأن الثياب المطرزة الجميلة التي يتهافت عليها هواة الجمع « اسرائيلية » او « يهودية » أم أنهم يقولون ذلك بصورة ضمنية

فحسب ، ذلك اننا لم نستطع العثور على أدلة منشورة . غير ان الاسرائيليين ينشرون كثيرا من الصور لنساء يرتدين ملابس سوداء وحجبا ثقيلة على أنها صور لنساء فلسطينيات نموذجيات ، ويمكن العثور على أمثلة لذلك في مجلة « اسرائيل ماجازين »(8). من جهة أخرى يمكن للمرء ان يستخلص أن ثوبين مطرزين نشرت لهما صورتان في مجلة « فوج » ، وهي مجلة أزياء اميركية ، على انهما ثوبان اسرائيليان ، ففي مقطع بعنوان « من جديد من اسرائيل » نشرت المجلة ضمن أزياء اخرى صورتين لثوبين فلسطينيين وصفتهما بأنهما « ثوبان ثمينان لهما قيمة تراثية اكتشفنا في سوق يدعى نجمة خاروفه في شارع الملك داود حيث تكثر الثياب التقليدية الاخاذة » . ووصف الثوب الاول بأنه « كتف ملونة من غزة » ووصف الثاني بأنه « مخملي ذو أكمام ضيقة ... ثوب عرس من بيت لحم »(9). وعلى الرغم من أن « فوج » لم تحدد من يدير هذا المتجر ، الا أنه قد يكون المتجر الذي تديره « ماسكيت » (شركة تطوير الحرف البيتية المتحدة) التي تملك متجرا في مبنى فندق « كينغز » على شارع الملك داود في القدس ايضا(10). وقد كانت روث دايان ، زوجة موشيه دايان ، مديرة هذه الشركة منذ ١٩٥٤ ، والشركة توصف بأنها « مشروع حكومي لتطوير الصناعات البيتية »(11). وفي مقابلة بعنوان «روث دايان والصداقة العربية » يقول الذي أجرى المقابلة أن ماسكيت « مشروع أصبح يعني الازياء الرفيعة والزخارف الغربية »(12). وفي لندن متجر صهيوني اسمه « السوق » ويبيع « فنا شعبيا » اسرائيليا مثل البياضات المطرزة والمنحوتات الخشبية والهدايا التذكارية وكذلك ثيابا مطرزة «تقليدية» . ويقال ان زوجة ديان، التي كانت قد اكتسبت قبل ادارتها لماسكيت خبرة في حقل الفنون الشعبية عندما كانت ترئس دائرة الحرف في وزارة العمل من ١٩٥٣ الى ١٩٥٤، هي صاحبته. ويذهب انغماس الحكومة الاسرائيلية في مسألة التطريز أبعد من ذلك . اذ تجبر النساء الفلسطينيات في السجون الاسرائيلية على تطريز بياضات وقطع بيتية أخرى على حد قول عبلة طه التي اتهمت بالعمل مع الجبهة الشعبية وقضت سبعة شهور في سجون اسرائيلية مختلفة الى أن اطلق سراحها في نهاية العام ١٩٦٧ .

يبدو أن الخطط التي تذهب الى احياء التراث الفلسطيني تعد بالنجاح الباهر . فسيتكون معرض متنقل من ١٥ قطعة عرضت في الكارلتون (سيكون هذا المعرض تحت رعاية الجامعة العربية ويشرف عليه اسماعيل شموط من منظمة التحرير الفلسطينية) وستعرض محتوياته في عشر مدن عالمية هي ستوكهولم وباريس واستانبول وبكين وبيونس ايريس ولندن ونيويورك وموسكو ونيودلهي والجزائر ، وسيكون هذا المعرض اكبر معرض فلسطيني اقيم حتى الان وسيتتبع من خلال معروضاته تاريخ فلسطين منذ خمسة الاف سنة وحتى الان . كما ان اللجنة قد حصلت على مكان للمعرض الدائم في متجر في لندن تملكه دينا عبد الحميد وتتضمن خطط المستقبل اصدار دليل تعليمي لمن يرغبون في تطريز قطعهم بأنفسهم .

كذلك يجري الان احياء أشكال اخرى من الحضارة الفلسطينية . تقول السيدة عرنيطة أن الفنانين الفلسطينيين في حقول الرسم والموسيقى والرقص يوحدون الان جهودهم لبث الحياة في التراث الحضاري الفلسطيني . ولا شك أن التقليد الفني العربي يمثل معينا لا ينضب للفنان الشعبي الذي يستطيع أن يكيف الصور طبقا لتجاربه الذاتية كما يستطيع تكييف التصاميم الفلسطينية الى قماش لتغطية الاثاث او سجاد على طريقة غزة أو آجر سيراميكي لتزيين المنازل وعشرات من الاستعمالات الاخرى . اضف الى ذلك ان الوسائل التقنية الحديثة متوفرة لاحياء الحفر على الخشب وصناعة الزجاج اللذين اشتهرا في فلسطين منذ القدم .

لقد استحوذ معرض لجنة السيدات الفلسطينيات لحرف التطريز الوطني على الخيال الخصب الذي ينعم به المسرح الحضاري الفلسطيني . فقد اثبت هذا المعرض ان النماذج التزيينية الفلسطينية لم تفقد جمالها بمرور الوقت ، ذلك أن التراث لا يفقد قيمته بمرور الزمن ، بل على العكس من ذلك ازدادت هذه القيمة بتكييفه للاستعمالات العصرية وبتكثف الشعور الوطني الفلسطيني . ان كل من يتعرض للتطريز الفلسطيني الجديد يشعر بأنه يشارك في اعادة الحياة الى حرف قديمة مشرفة، فالفنانون الذين يلتقطون الجمال في التفاصيل الدقيقة للثياب التقليدية ويحولونها الى قطع فنية، والنساء والفتيات اللواتي يحترمن التقليد الراسخ

ولا يقعن أسيرات له واللواتي يحكن ويعرضن المطرزات المشغولة بقطبة الصليب وكذلك الذين يملكون السجاد الفلسطيني والتعاليق الفلسطينية يشعرون جميعا بذلك . وسواء أكان المرء يعتقد أن احياء الفنون والحرف مهم لاسباب حضارية او فنية او وطنية أو سياسية ، فان نتائج الانبعاث والوحدة وتجديد النشاط مفيدة بحد ذاتها .

جويس القاضي

---

١ — مقابلة مع اسماعيل شموط في معرض القاهرة الدولي في النيويورك تايمس ٢٧/١٠/١٩٦٨ .

٢ — تعد السيدة عرنيطة كذلك كتابا عن الموسيقى العربية المعاصرة لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي سبق ونشر كتابها الفنون الشعبية في فلسطين . وسيقوم المركز نفسه بنشر كتابي السيدتين قعوار وعرنيطة .

٣ — اقرأ عن المعرض المذكور في ديلي ستار ٦/١/١٩٧١ .

٤ — اقرأ عن المعرض المذكور في الاوريان ١٦/١٢/١٩٧٠ .

٥ — للتوسع راجع كتاب Dimitri Baramki, The Art and Architecture of Ancient Palestine (P.L.O. Research Center, Beirut, 1969), p. 184-5.

٦ — Khalid Kishtainy, Palestine in Perspective (P.L.O. Research Center, Beirut, 1971).

٧ — الاسبوع العربي ، ١/٣/١٩٧١ . رقم ٦١٢ . ص ٣٢ .

٨ — انظر مثلا عدد ٩ مجلة السنة ١٩٦٨ ص ٧٤ .

٩ — عدد تموز (يوليو) ١٩٦٩ ص ١٢٣ .

١٠ — يقول « دليل اسرائيل »للعام ١٩٥٨ ان هذا المتجر يبيع هدايا تذكارية وازياء وسجادا ومنسوجات .

١١ — Who's Who Israel, 1968, p. 134.

١٢ — Jerusalem Post Week-End Magazine, Oct. 5, 1970.

(٤) الحلقة الدراسية لاتحاد المرأة الفلسطينية بالقاهرة

حول عنصرية اسرائيل

افتتحت الحلقة صباح ٨ اذار ثم تعاقبت ممثلات الاتحادات النسائية العربية وغير العربية وممثلات وممثلو عدد من الجمعيات والاتحادات غير النسائية. وفي مساء نفس اليوم ألقت السيدة نبيلة النمر دراسة حول : الكيان الاسرائيلي ومجموعة العناصر التي ينتظمها وابرزت التناقض والفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين اليهود الشرقيين ، السفارديم، وبين اليهود الغربيين، الاشكنازيم، في اسرائيل وكذلك تعرضت لاختلاف هاتين المجموعتين في النشأة والتراث الثقافي واللغة والطقوس الدينية . ويلاحظ ان المعلومات الموضوعية كانت جيدة مما يدل على الجهد الطيب المبذول في الدراسة ، الا ان الاستنتاجات والايحاءات كانت أحيانا تجافي الواقع الملموس ، فنحن نعتقد مثلا ، ان المجتمع الاسرائيلي لن يتقوض من الداخل مهما بلغت حدة التناقضات بين اليهود الشرقيين والغربيين ، كما ان السلطات في اتجاه دمج جميع المواطنين وصهرهم في بوتقة اسرائيلية واحدة وذلك عن طريق مؤسسات الدولة كالمدارس والجيش ، غير ان هذا لا ينفي التمييز الواقع على اليهود الشرقيين . ونحن نعتقد ان هذا التناقض وهذا التمييز لا يمكن ان يؤدي الى النتائج المطلوبة الا في حالة تورط اسرائيل في ظروف اقتصادية وعسكرية صعبة. كما ان بعض المعلومات البسيطة كانت غير مدققة، وخاصة في الموضوعات والنواحي التي عالجت واقع الامر سواء بالنسبة لليهود او للعرب في داخل اسرائيل . وهذا ناتج في الاساس عن عدم معرفة الباحث للغة العبرية بحيث توصله مطالعاته المستمرة المثابرة الى فهم روح الاحداث ، كما ان اعتماده على ترجمات من هنا وهناك قد لا تكون دقيقة ومن الممكن انتورطه ببعض الاخطاء. هذا بالاضافة الى عدم معرفة واقع وحقيقة البلد الذين يكتبون عنه اذ لم يتسن لهؤلاء الباحثين معايشة اليهود في اسرائيل . اما المعلومات النظرية فكان الجهد المبذول فيها مشكورا .

الدراسة الثانية في نفس الامسية اعدها السيد اسماعيل العراقي ، وهو من عرب الارض المحتلة سابقا . وقد تركزت حول الاحكام العسكرية ومصادرة الاراضي ومذبحة كفرقاسم . وكانت المعلومات حول عرب الارض المحتلة كتابة عن مجموعات من الكتل التي تكاد تكون منفصلة ، اذ لم ينتظمها خيط السياسة الاسرائيلية بحيث تلقي ضوءا وتعطي فكرة يستطيع معها المستمع البعيد عن الاحداث ان يستوعب ابعاد تلك السياسة . لقد لاحظت ان الانسان العربي الذي عاش في اسرائيل يتصور دائما ان المستمع او القارىء في البلاد العربية بامكانه ان يتفهم وجهة نظره بسهولة وذلك لانه يتصور بأن ما يعتبره هو نفسه بدهيات وتحصيل حاصل بالنسبة للموضوع هو كذلك ايضا بالنسبة للجمهور العربي في البلاد العربية . هذا التصرف اللاشعوري الذي يسيطر على الكاتب يجعله احيانا يبدو وكأنه غير مفهوم لمستمعيه او قارئيه .

وعلق على هذين الموضوعين كل من حبيب قهوجي ومحمود درويش . فألقيا ضوءا على شتى القوانين العسكرية التي صودرت بموجبها الاراضي العربية وتحدث حبيب قهوجي باسهاب عن هذا الموضوع . لقد تبين ان قسما كبيرا من المستمعين لا توجد لديه فكرة عن القوانين التي يعمل بموجبها الحكم العسكري وحتى عن الحكم العسكري بالذات . فلم تكن هنالك فكرة واضحة عن خلفية الحكم العسكري المطبق على العرب في اسرائيل ، الذي « فبرك » في انجلترا اولا وقد طبق قسم من صلاحياته المطبقة الان على العرب في اسرائيل . في انجلترا ذاتها أيام الحرب العالمية الثانية ، والغيت أكثرية هذه الصلاحيات بعد انتهاء الحرب مباشرة . غير ان القوانين القائمة الان تختلف اختلافا جذريا عن القوانين التي طبقت في انجلترا في بداية الحرب . فالقوانين العسكرية الحالية (قوانين الدفاع ، حالة الطوارىء ، ١٩٤٥ والتي يعتمد عليها الحكم العسكري اليوم في اسرائيل من جهة قانونية، تضاف اليها قوانين الطوارىء ، مناطق الامن الاسرائيلية الصادرة عام ١٩٤٩) قد استندت اصلا على قوانين الطوارىء لسنة ١٩٣٦ وقوانين الدفاع ١٩٣٩ التي

وجهها الانكليز ضد العرب والثوار الفلسطينيين لقمع الثورة آنذاك . ثم حررت هذه القوانين من جديد ونشرت بصورتها الحالية ووجهت بعد الحرب العالمية ضد السكان العرب واليهود على السواء . وتتكون قوانين الدفاع من ١٧٠ قانونا مقسمة الى ١٥ فصلا . وتبحث في اشياء عديدة ، منها شؤون الرقابة على الكتب والصحف ، وتحديد حرية الكلام والصحافة ، والاشراف على وسائل النقل وتنظيم استعمال الاسلحة ، وامداد قوات الحكومة بالطعام ونسف البيوت اذا اطلق منهـا الرصاص علـى سلطات الحكومة وايقاع العقوبات الجماعية على القرى والمدن . وغيرها الكثير .. ولها حق تعيين حكام عسكريين لهم حق تطبيق جميع الصلاحيات التي تشتمل عليها قوانين الدفاع ، وتشكيل محاكم عسكرية لتنفيذ ذلك . والمادة ١٢٥ ، التي تمنح الحكام العسكريين صلاحية الاعلان عن مناطق معينة كمناطق مغلقة ممنوع الدخول اليها او الخروج منها الا باذن من قائد الجيش او من يمثله ، هي احد القوانين المشهورة . وصحيح ان هـذه القوانين موجودة في اسرائيل ، وصحيح ان كل اسرائيل تعتبر في حالة الطوارىء (تبين هذا بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦) الا ان هذه القوانين لم تطبق الا على مناطق معينـة فقط حيث يسكن العرب . والمواطنون اليهود الذين كانوا في هذه المناطق كانوا يستثنون من هذه الاجراءات المفروضة على العرب ولم تصادر طبعا املاكهم بهذه القوانين بل بالعكس صودرت املاك العرب واعطيت لهم ، كما ان المواطنين العرب الموجودين فـي المناطق المدنية (فعلا) كحيفا مثلا — مع انه كان يسمح لهم بالسفر الى تل ابيب بدون تصريح الا انهم كانوا بحاجة الى مثل هذا التصريح اذا أرادوا الدخول الى المناطق العربية حيث يطبق الحكم العسكري . كما انه بامكان الحاكم العسكري بواسطة شرطـة قسم المهمات الخاصة ان يفرض على بعض هؤلاء المواطنين العرب الذين لا يرضى عنهم ان لا يخرجوا من حيفا الا باذن خاص . كما انه بامكانه ايضا ان يفرض عليهم الاقامة الاجباريـة بالبيت وان يعتقلهم اعتقالا اداريا بأمر من الحاكم العسكري بدون اسناد تهمة وهذا ما حدث فعلا . فالقضية اذن ليست قضية جغرافيا وقضية نصوص جامدة. الحكم العسكري مفروض على العرب حيثما وجدوا وموجه ضد العرب حيثما كانوا . واذا ما استعمل مرة او مرتين ضد مواطنـين يهود فلأنهم كانـوا متوجهين لحضور مؤتمرات عربية للدفاع عن حقوق العرب في اسرائيل ، معقـودة في الجليل او في المثلث . وقد اجريت تخفيفات ضئيلة على الحكم العسكريبعد عـام ١٩٦٣ بحيث اصبح بامكان المواطن العربي السفر من منطقة مغلقة صغيرة الى منطقة مغلقة اخـرى بدون تصريح داخل المنطقـة العسكريـة الكبـيرة . وفـي ايلـول ١٩٦٦ اعلن الغاء الحكم العسكري . انه في الواقع لم يلغ . كل ما في الامر انه سمح للمواطنين العرب بالسفر في انحاء الدولة (ما عدا شريط ضيق على الحدود) بدون تصاريح . واستثنت الحكومة حوالي ٦٠٠ عربي من هذا (العفو العام) اما القوانين التي قام على اساسها الحكم العسكري فلا تزال قائمة ويمكن استعمالها متى يعن على بال السلطات.

اما القول بأن الحكم العسكري في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧ هو غيره في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ فهو غير صحيح ، اذ ان القاعدة القانونية التي يقوم عليها الحكم العسكري هي ذاتها . كل ما في الامر ان الحكم العسكري يفعّل في الضفة وغزة بعض القوانين التي في جعبته والتي لم يفعّلها سابقا على عرب الـ ٤٨ لعدم اضطراره لذلك . فهناك نسف البيوت مثلا . وهذا أمر ينص عليه الحكم العسكري في صلاحيات الحكام العسكريين الا ان الحاكم العسكري لم يستعمل هذا القانون في المناطق المحتلة عـام ١٩٤٨ لعدم اضطـراره لذلك . وارجو ان اكون بهذا قد ألقيت بعض الضوء على استفسـارات وردت بعـد انتهاء الحلقـة الدراسية يوم ١٩٧١/٣/٨ ، عن الحكم العسكري في اعقاب التعليق الذي جرى على دراسة « العرب في الارض المحتلة » .

وقد ألقى الاخ محمود درويش قصيـدة في نهاية الامسية الدراسية فكانت مسك الختام . وفي اليوم الثاني ٣/٩ ، أعدت السيدة جاكلين خوري بحثا عن: الفكر الصهيوني فكر عنصري، وقد حفل البحث بالافكار والاقوال التـي تثبـت ذلك ، فاستشهدت بمؤلف « روما والقدس » لموزيس هس عام ١٨٦٢ الذي حاول أن يثبت فيه ان اتجاه ذوبان اليهود في المجتمعات الاوروبية لا يشكل حلا عمليا للمسألة اليهودية بسبب ما أسماه جهل رعاع آسيا وأوروبا وبدائيتهم ، وقال ان اليهود المقيمين في وسط الامم لا يمكن ان يلتحموا عضويـا بهـا ، وبكتـاب ليو

بنسكر « التحرر الذاتي » ١٨٨٢ الذي اكد فيه ان اليهود ينحدرون من « سلالة نقية واحدة » وان اليهود «الشعب المختار للكراهية من جانب العالم» وان تحرر اليهود الحقيقي يكمن في خلق قومية يهودية للشعب اليهودي . وعقب على البحث كل من الاستاذين خيري حماد واحمد بهاءالدين فعمقا بعض ما ورد فيه.وقد لفت الاستاذ احمد بهاءالدين الانتباه الى ضرورة دراسة جميع جوانب الفكر الصهيوني ودوافعه ، لا ان نكتفي بالتركيز على النواحي العنصرية الصارخة فيه . وحبذا لو كان اورد الاستاذ بهاءالدين بعض النماذج من ذلك — ما دامت الحلقة دراسية — ولم يكتف فقط بلفت الانتباه .

في اليوم الثالث ٣/١٠ قدمت السيدة نبيلة الدجاني بحثا تناول التعاون الاسرائيلي مع الانظمة العنصرية ، فبينت علاقة التشابه بين اسرائيل وجنوب افريقيا حيث يمارس كلاهما التمييز العنصري ضد ابناء البلاد الاصليين . كما تمثلان رأس جسر للامبريالية العالمية واظهرت التعاون بين هذين النظامين . وكذلك بحثت العلاقة بين النظام العنصري في فلسطين والنظام العنصري في روديسيا الجنوبية من حيث تشابههما في النشأة وهدف التكوين حيث طرد كل منهما السكان الاصليين من اراضيهم ليحل محلهم اجنبي متوطن . كما أوضحت في البحث علاقة اسرائيل مع البرتغال التي تتميز بأنها علاقة بين دولتين استعماريتين تحافظان على المصالح الامبريالية في البلاد العربية وافريقيا وذلك عن طريق اضعاف هذه الدول ، باشغالها بحروب مستمرة والسيطرة على بعض اراضيها . وركزت في ذلك على التعاون السياسي ، والتعاون العسكري والتعاون الاقتصادي بين اسرائيل وبين جميع هذه الانظمة . ولقد كان الجهد باديا في هذه الدراسة والمعلومات قيمة ومنسقة . ولقد علق على الموضوع كل من ابراهيم عامر ود. عبدالملك عودة ود. احمد صدقي الدجاني . وفي الواقع استفاض الجميع بالمعلومات حول هذه الدراسة مما جعلها مفيدة وغنية وقد ألقى كل من الاساتذة بمزيد من التوسع الاضواء على مطامع اسرائيل وخططها واهدافها في افريقيا ثم علاقة كل ذلك بمخطط العدوان على الدول العربية وخاصة الدكتور عبدالملك عودة حيث دلل على معرفة واسعة بشؤون افريقيا . تميزت هذه الحلقة الدراسية ، علاوة على الدراسات الهامة والضرورية في هذه الفترة ، بالجدية التي عكفت بها السيدات ممثلات الاتحادات النسائية على دراسة وتقييم هذه الابحاث . فقد ثابرن على حضور الجلسات الدراسية الصباحية باهتمام وكلهن تصميم على الاستفادة من هذه الحلقة .

وأود ان اقول في نهاية هذا العرض الموجز ، حبذا لو كانت الدعوات اوسع وعدد الحضور ليس وقفا فقط على وفود الاتحادات ، اذن لكانت الفائدة أعم واشمل طالما ان الدراسات على كل حال مقدمة ، وطالما ان هذا الجهد المبذول على هذا المستوى . كما انني لا اعتقد بأن هذه الدراسة سوف تكون غاية بحد ذاتها . اذ انني اعتقد انه من المفيد جدا ان تكون وسيلة يتمكن بواسطتها اتحاد المرأة الفلسطينية والاتحادات العربية الاخرى من فهم حقيقة الاوضاع والنفاذ الى اتحاد المرأة في العالم عامة وفي افريقيا بشكل خاص وتعميم هذه الدراسات على جميع تلك الاتحادات وتنسيق العمل معها على التصدي للمخطط الاسرائيلي . فبالرغم من وقوف الدول العربية مع الدول الافريقية الطامعة في تحقيق سيادتها واستقلالها ، الا اننا نرى ان النفوذ الاسرائيلي في بلد كنيجريا مثلا — حيث وقفت الجمهورية المتحدة ضد الانفصال ووقفت اسرائيل مع بيافرا — في ازدياد مستمر . اننا بحاجة الى التحرك لا على مستوى الدول والسفارات والحفلات التقليدية فحسب ، بل على مستوى التنظيمات الشعبية وخاصة الاتحادات الطلابية والنسائية لنقيم علاقات ميدانية على مستوى الجماهير وعلى مستوى قياداتها الملتصقة بها يوميا . انني اخال ان الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية سوف يفعل ذلك.ويحول هذه الدراسة الى رأسمال فكري يدعم القضية الفلسطينية ، وكفاح الفلسطينيين والعرب من اجل استعادة حقوقهم المشروعة .

حبيب قهوجي

(٥)   انطباعات حول جولة اعلامية في اوربا

زرت في الشهر الماضي ايرلندا وبلجيكا وباريس . وكان هدف زيارتي الرسمـــي حضور مؤتمر الندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين الذي عقد في باريس بتاريخ ١٠ — ١٣ شباط. اما الدول الاخرى فقد زرتها بناء على دعوات شخصية . وسأورد فيما يلي انطباعاتي عن الاتصالات التي قمت بها في هذه البلدان . وابدأ بايرلندا . اجمـــالا ليس لدى الشعب الايرلندي فكرة واسعة عـــن القضيـــة الفلسطينية . لكن المثقفين ، وخاصة الطلاب ، يسعون وراء معرفة المزيد عن قضيتنا . لقد ألحوا علي لاعطائهم المزيد من المعلومات كما طلبوا مني ارسال مطبوعاتنا لهم . يمكن القول اذا انه رغم عدم وجود معرفة واسعة عن القضية هناك اهتمام حقيقي بها في ايرلندا .

ليست هناك صعوبة في العمل للقضية الفلسطينية في ايرلندا وذلك لعدة اسباب . السبب الاول هو ان ايرلندا تعتبر نفسها من البلدان النامية مثلنا . السبب الثاني هو الطابع المشترك بيننا المتمثل في مقاومتنا للانجليز على اساس الاستعمـــار والتسلط والوصاية . يكره الايرلنديون الانجليز كرها شديدا وهم يتخذون عادة مواقف مختلفـــة عـــن مواقف بريطانيا وذلك تأكيدا لاستقلالهم عنها. وعلى العرب استغلال هذا الواقع . السبب الثـــالث هو ان العادات والطباع الايرلندية قريبة مـــن عاداتنـــا وطباعنا .

ركيزة العمل العربي والفلسطينـــي في ايرلندا هي الجمعية الايرلندية — العربية . يمكـــن اخذ هذه الجمعية كنقطة انطلاق للعمل الشامل في ايرلندا نظرا لطبيعة تكوينها ونشاط اعضائهـــا . تتكون الجمعية من اصحاب مهن مختلفة اذ نجـــد بين اعضائها اطباء وضباطا وتجارا ومدرسين ومحامين وطلابا وكهنة ونائبا برلمانيا بالاضافة الى الطلاب العرب في ايرلندا وبعض العرب الذين تزوجـــوا ايرلنديات واقاموا في ايرلندا وكان لهم الفضل الاول في ادخال القضية الفلسطينية الى ايرلندا . وقد كونت هذه الجمعية مركزا دعته « مركز المعلومات العربي » فيه معرض كتب حول القضية وخاصة كتب مركز الابحاث ومؤسسة الدراسات ، بالاضافة الى منتوجات عربية مختلفة . ويقع مقر الجمعية في شارع جرافتون وهو اهم شوارع دبلن . كما ان لدى اعضاء الجمعية مداخلات كثيرة في الصحافة والراديو والتلفزيون . فقد استطاعوا مثلا تأمين مقابلتين لي خلال ثلاث ساعات . عرضت احـــدى المقابلتين بعد الاخبار مباشرة واعيد عرضها ثلاث مرات .

يمكننا القول ان العرب وانصارهم استطاعوا اثبات وجودهم في ايرلندا ، وانه اصبح لنا هناك اصدقاء يمكنهم الضغط لصالح القضيـــة الفلسطينيـــة . وتعرفت من خلال الجمعيةعلى رئيس رابطة الطلاب الجامعيين واتصلت بالطلبة الجامعيين . وقد أخذنا منهم تعهدا بالعمل للقضية الفلسطينية بعد تفهمهم للموضوع . وقد قرروا ارسال طلاب الى الشرق الاوسط لاستقصاء الحقائق . ويجدر بنا ان نذكر ان الطلاب ابدوا اهتمامـــا كبيرا بمعرفة وضـــع المقاومة حاليا وكانوا يسألون كيف يمكنهم المساعدة. كما ان الذين قابلتهم يشددون على وجوب قيـــام علاقات اوثق بين ايرلندا والدول العربية وخاصة في المجال التجاري . انهم يودون ادخال المنتوجات العربية الى ايرلندا لمنافسة المنتوجات الاسرائيلية التي تباع هناك ، وخاصة البرتقال .

اما في بلجيكا فقد كان اتصالي شخصيا بحتا لكنه كان مثمرا . التقيت ليلة وصولي الى بلجيكا بثمانية عشر شخصا معظمهم من البلجيكيين وبينهم ايطاليان والمانيان . وقد اجتمع هؤلاء بي بناء على دعوة من صديقة تناصر قضيتنا . الامر الهام هو ان هؤلاء الاشخاص ليست لهم صفة رسمية لكن لهم تأثيرا كبيرا داخل مجتمعهم . كان بينهم من يعمل في السوق الاوروبية المشتركة واساتذة جامعـــة ومهندســـون واطباء ومحامون وكتاب ومراسلون وقد جاء هؤلاء للنقاش والانتقاد ولم يأتوا ليسمعوا عرضا للقضية الفلسطينية . غير ان النقاش تطور الى نقاش بينهم بين مؤيد لوجهة نظرنا ومعارض لها . وفي ختام الحديث كان تشجيعهم واضحا لمصلحتنا . كانت انتقاداتهم واحاديثهم كلها تدور حول نقطة واحدة وهي ان روسيا تتدخل في منطقة الشرق الاوسط وان وجود اسرائيل في المنطقة والمساعدة الاميركية والاوروبية لها ضرورية لمجابهة الخطر الشيوعي . يبدو ان الناس في بلجيكا حساسين جدا تجـــاه

الخطر الشيوعي وخاصة السوفياتي . كما قالوا بما ان مصر تأخذ مساعدات من السوفيات يجب ان تأخذ اسرائيل مساعدات من الغرب . وقد أظهرت لهم ان هناك فرقا بين المساعدات الاميركية والسوفياتية . معظم المساعدات السوفياتية لمصر كانت تهدف الى تطويرها وتنمية اقتصادها ، بينما كل المساعدات الاميركية لاسرائيل موجهة للمجهود الحربي .

لم تكن لدى هؤلاء الاشخاص فكرة واضحة عن عدة أمور منها وضع الفلسطينيين اليوم ، والحضارة العربية ، ومسألة لجوء الفلسطينيين . حول المسألة الاولى تعجبوا كثيرا حين اخبرتهم ان هناك فلسطينيين تخرجوا من جامعات ويعرفون لغات اجنبية ولديهم ثقافة واسعة . حول مسألة الحضارة العربية قالوا انهم يعتقدون ان العرب اميون وانهم قتلة ومجرمون او رعاة غنم وسكان خيم . وفي المقابل يفاخرون بذكاء اليهود وعبقريتهم وما قدموه للعالم من خدمات . حول المسألة الثالثة قالوا ان المشكلة بسيطة لان من يلجأ يمكنه الاستقرار في بلد آخر واعطوا امثلة على ذلك . عندئذ افهمتهم ان اللجوء عملية اختيارية وان الفلسطينيين لم يتركوا بلدهم باختيارهم بل طردوا منه وبالتالي فهم ليسوا لاجئين بل شعب مطرود بالقوة من بلده . كذلك بينت لهم كذب ادعاء اسرائيل حول تحويلها « صحراء » فلسطين الى جنة وان في فلسطين حضارة وعمرانا قبل قيام دولة « اسرائيل » وان فلسطين ليست صحراء وذكرتهم بما قيل عنها في التوراة كأرض للبن والعسل . كذلك قلت لهم نحن الذين حولنا الصحراء الى جنة واعطيتهم الكويت مثلا. وتساءل جميعهم لماذا لا نخبرهم هذه الحقائق، فقلت لانهم لا يعطون الاعلام العربي المجال لافهامهم .

لننتقل الان الى الندوة العالمية المسيحية في باريس. نشاط الندوة بعيد عن النشاط السياسي الكلاسيكي. فكرة الندوة الاساسية هي التركيز على القضية الفلسطينية في النطاق المسيحي والكنسي . حضر الندوة مندوبون عن ثمانية عشر بلدا . كان أهم قرار للندوة تأسيس ندوات وطنية لنصرة القضية الفلسطينية في كل بلد حضر مندوبوه الندوة العالمية. وهذا يعني استمرار النشاط ودوامه .

ملاحظات للاعلام العربي والفلسطيني : ١) نحن نستعمل الاعلام كدعاية Propaganda ويجب ان نعطي حقائقوليس دعاية. ٢) نحن نستغل فئة معينة من الاشخاص في اوروبا ، اي اليسار فقط . وهذا يجعل الليبراليين الاوروبيين يعارضون قضيتنا . اعتقادي الشخصي هو ان اليساريين يؤيدون قضيتنا ليس حبا بنا بل للاستفادة داخليا من هذا التأييد ، اي لتحسين مواقعهم الداخلية . يجب الا نكتفي بالاعلام الايديولوجي اليساري . يجب أن يكون لاعلامنا اتجاهان : الاول موجه للتفكير الغربي الليبرالي والثاني موجه للتفكير التقدمي اليساري . ٣) يجب ان نوجه اعلامنا الى اشخاص او افراد لهم اهميتهم ووزنهم في البنيان الاجتماعي ، وعدم الاكتفاء بالتوجه الى جمعيات سياسية . ٤) كل ما علينا هو اعطاء الجمهور بعض الحقائق الاساسية ومن ثم تركهم ليفكروا ويتوصلوا الى الصورة كلها بأنفسهم . ٥) اعلامنا غير كاف . علينا جلب او دعوة بعض الاشخاص المهمين الى هنا واطلاعهم على الحقائق والاوضاع كما هي . ٦) استغلال التأثير الذي حصل من جراء خطف الطائرات الى المزيد من الاعلام عن قضيتنا قبل ان يبهت نهائيا وينسى المجتمع الغربي ذلك الحدث الذي عاشه مدة اسبوعين .

الدكتور يوجين مخلوف

(٦)   دار فلسطين في واشنطن

لو صعد المار الى الطابق الاول من البناية التي تقع في شارع كنككت ١٦٠٩ في واشنطن العاصمة والقى نظرة خاطفة لما صدق ما ترى عيناه . لا شيء في البناية يدل على الحركة التي تدور في شقة مكونة من ثلاث غرف ولا حتى اسم « دار فلسطين » الذي يظهر على صندوق البريد في الطابق الارضي . انها بناية مكاتب . الا انها « البيت بعيدا عن الوطن » لاكثر من مئة طالب عربي وعدد مساو من ابناء الجالية العربية في واشنطن . ويصف انيس قاسم رئيس اللجنة التنفيذية لدار فلسطين هذا المكان المتواضع على أنه « نموذج لدولة فلسطين الديموقراطية » . وقد صدقت الدار قولها بأن بدأت يومها المئة هذا الاسبوع بمباشرة الدروس العربية والعبرية للراغبين في ذلك ويتجاوز عددهم الحفنة من الناس . وصفوف اللغة هذه نموذج عما تطمح اليه اللجنة التنفيذية المؤلفة من خمسة اشخاص من العرب والاميركيين . كما انشأت مكتبة مخصصة كليا للثورة الفلسطينية . ويأمل قاسم ان تتمكن المكتبة خلال فترة قصيرة من اعارة الكتب . وتملأ منشورات الثورة الفلسطينية غرفة المطالعة المتميزة بالطراز الفلسطيني والمزودة بالسجاد الغزاوي والارائك بالاضافة الى لوحات للفنانين الفلسطينيين كمال بلاطة واسماعيل شموط . ومن ابرز الصحف « فتح » بالعربية والانكليزية و«الحرية» و«الهدف». يقول قاسم (من قلقيلية الذي يحضر للدكتوراه في الحقوق في جامعة واشنطن) ان حملة تنسيب لعضوية « دار فلسطين » تجري حاليا في صفوف الجالية العربية وخارجها في منطقة واشنطن طارحة شعار « ادعموا فلسطين الحرة » . وتتراوح الرسوم بين خمسة دولارات للطلاب وخمسة عشر دولارا لغير الطلاب . ويعطي حجم عضوية الدار صورة خاطئة عن قدرتها الحقيقية . فخلال القتال في عمان في سبتمبر الماضي ارسلت الدار حوالي ٣٥٠٠ رسالة الى شركات الادوية في الولايات المتحدة بطلب العون الطبي .

ونجحت الدار ايضا في برنامج محاضراتها . فمنذ ولادتها في تشرين الاول تكلم متحدثون بارزون من الولايات المتحدة والعالم العربي في محاضرات شهدها جمهور كبير . وكان بين المتحدثين الدكتور ألن تايلور (الاستاذ المشارك في العلاقات الدولية في الجامعة الاميركية في واشنطن) والدكتور جون رويدي (استاذ التاريخ في جامعة جورج تاون) . ومن العالم العربي ابو الوليد (عن حركة المقاومة الفلسطينية) ، والدكتور كلوفيس مقصود (المحرر المشارك في الاهرام) ، وتحسين بشير من الجامعة العربية سابقا . وضمن برنامج الربيع احاديث لبيتر بك (عن التحالف الاشتراكي الشاب) ، وكوتلاند كوكس (احد زعماء حركة الوحدة الافريقية) ، ومناظرة يديرها الدكتور الياس شوفاني والدكتور فايز صايغ . وكذلك مواضيع كثيرة من « الدولة الفلسطينية » الى « استعمار الاراضي في فلسطين » . وأفلام عن المقاومة الفلسطينية تعرض باستمرار . الا ان اكثر برامج الدار طموحا وان لم يبدأ بعد ، هو المشروع الثقافي المشترك مع مجلة « فلسطين الحرة » الصادرة في واشنطن لاقامة مركز للنشرات الفلسطينية الصادرة في البلاد العربية . وستعرض للبيع جميع الكتب والمواد المتعلقة بالقضية الفلسطينية الصادرة في بيروت خاصة عن مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومؤسسة الدراسات الفلسطينية . ويأمل السيد قاسم ان « تكون الدار نموذجا لدور أخرى تقام في طول البلاد وعرضها في سبيل اعادة خلق الكيان الفلسطيني » .

جورج حشمة

خمسة تقارير من الخارج ورسالة من غزة

(١) هولندا : انصار العرب ومواقفهم من مقترحات روجرز

الخافي من قوة ونفوذ ونشاط انصارنا في هولندا ، اكثر بكثير من الظاهر . وهؤلاء الانصار هم القيادة المثقفة في اكبر احزاب هولندا ، وهو حزب العمال، والقيادة المثقفة ايضا في حزب المسالمين الاشتراكي الصغير الذي له ثمانية ممثلين في مجلسي الشيوخ والنواب . وهم ايضا ٤٠٠ عضو عامل في جمعية فلسطين الهولندية التي تألفت منذ ثلاث سنين على يد نخبة من السياسيين والاساتذة والكتاب والصحفيين ورجال الدين. كذلك أعضاء سكرتارية اقوى منظمة طلابية في هولندا هي منظمة (اسفا) اليسارية التي تمثل ٣٠ ألف طالب والتي كانت قبل عام ١٩٦٧ منحازة لاسرائيل انحيازا تاما . يضاف الى ذلك نسبة عالية من الصحفيين ورجال الاذاعة والتلفزيون الواعين سياسيا الذين عزفوا عن تصديق وترويج الانباء والمعلومات الصادرة عن سفارة اسرائيل ، وراحوا بدلا من ذلك يكثفون اتصالاتهم بالمثقفين العرب سواء من العاملين في قنصلية الكويت وسفارة الجمهورية العربية المتحدة في لاهاي او من ممثلي منظمات المقاومة او المسؤولين في مراكز الابحاث الفلسطينية، الامر الذي أذل سفارة اسرائيل فحولها من مركز الهجوم الدائم الى مركز الدفاع الدائم . لكن ، لماذا لم يأخذ نشاط هؤلاء ونفوذهم وقوتهم طريق الظهور العلني الصريح المتصف بصلابة الايمان ومثالية الهدف ؟ مسؤولية ذلك تقع على حداثة القضية الفلسطينية بالنسبة لواقع الحياة السياسية في هولندا . هذا أولا . اما ثانيا ، فان البلاد تمر منذ سنتين بمرحلة حرجة من تاريخها ، تعير الاحزاب السياسية فيها موضوع التكتيك أهمية اكبر من موضوع الستراتيجية . فاذا عالجنا هاتين النقطتين بشيء من التفصيل ، توصلنا الى العوامل التالية المؤدية الى عرقلة العمل السياسي الجريء في جانب القضية الفلسطينية .

١ ــ الفئة المتمثلة بالطبقة العاملة والطبقة الوسطى نصف المثقفة وابناء الجيل القديم ، التي تشكل غالبية السكان ، فئة تربت على ثقافة سياسية ودينية استعمارية هي من مخلفات عهود الاستعمار السابقة الطويلة . وهذه الفئة تقرر مصير الاحزاب السياسية في اية انتخابات نيابية . ولما كانت هذه الفئة مرتبطة ارتباطا عاطفيا متينا باسرائيل بحكم ما جرعته منذ الحرب الاخيرة من تأنيب للضمير على حساب اضطهاد اوروبا لليهود وبحكم ما جبلت به دماؤها من تشويهات في مجال القضية الفلسطينية على يد الصحف الكبرى ووسائل الاعلام الرئيسية الى ما قبل عام ١٩٦٧ ، ولما كانت السنتان الاخيرتان من احرج سني التناحر السياسي الحزبي في بلد يزيد عدد احزابه عن خمسة عشر حزبا ، فان اسلوب انصارنا داخل تلك الاحزاب وفي مجال الاعلام كان متصفا بالحذر لئلا يخسروا معركة ثورة اليسار على اليمين .

٢ ــ تجنب الانصار التناحر مع الصحف التجارية الرجعية الاستعمارية النهج والاسلوب ، القوية التأثير على الجماهير ، التي تذهب في عدائها لهؤلاء الى حد السفه بحيث لا تتردد في اية لحظة عن افتعال الاكاذيب والتهم السياسية ضدهم

لتحرمهم لقمة العيش او لتشوه سمعتهم السياسية والادبية . ان تلك الصحف الصفراء ، مركزية او اقليمية ، المسنودة بمصادر دخل هائلة من شركات الاعلان وشركات المال (ودور الصهيونية في هذا المجال معروف لا يستدعي التكــرير) ، تظل في المجتمعات الطبقية ذات سلطة نفاذة على الجماهير المستغفلة ، بحكم اعتمادها على القراءات والانباء المسلية التي تناسب ميول بسطاء الناس ، وبحكم التسهيلات التي تجدها لاحتكار السوق . وعلى هذا الاساس ، تصبح هذه الصحف مصدر التثقيف السياسي الرئيسي بالنسبــة للملايين رغم قلبهـــا الحقائق الدولية رأسا على عقب . يضاف الى ذلك ان الصحف التجارية الاقل نفوذا وانتشارا التي تبلج نور الحق في ازمة الشرق الاوسط للمسؤولين فيها ، هذه الصحف وهي تعمل حاليا على زرع الحقيقة في صدور قرائها انما تفعل ذلك بكل حذر خشية فقدان مصادر الاعلان التـــي لا يمكنهـــا الاستغناء عنها . الشيء نفسه ينطبق على دور الاذاعة والتلفزيون التي تعيش على اشتراكات اعضائها ، فهي في هولندا مؤسسات خاصة وليست حكومية . لذلك كله ، تراها في عملها تطبق اسلوب طاسة الماء البارد وطاسة الماء الحار لئلا تتهسم بالانحياز في القضية الفلسطينية .

٣ ــ تعدد الاحزاب في البلد تعددا كبيرا ، حرمها من التنافس في مجال السياسة الخارجية . ان هذا التعدد جعل طريق التوسع امام اي حزب مستحيلا، الا اذا ركز معظم نشاطه على الميادين الداخلية واثبت انه في مجال الاصلاحات الداخلية المادية اصدق من سواه . اما اذا ابتعد الحزب الواحد عن هذه الاهداف وانجر وراء التطلعات خارج حدود وطنه ، فانه سيبدو حزبا طوباويا لا نفع فيه .

٤ ــ عدم تراص الصف العربي منذ حرب حزيران التراص الكفيل بالباسه مظهر المؤمن بقضية واحدة، الذي بايمانه يحرج الحكومات والبرلمانات في الاقطار الاخرى ، خاصة اذا كانت لهذه الحكومات مصالح كبيرة عنده . فالانسان لا يستطيع ان يبني بيتا على قطعة ارض نصفها صخري ونصفها الاخر طيني ليس له قرار يابس . والانسان لا يستطيع ان يدافع بحرارة وحماس عن اصحاب حق ، لكل واحد منهم رأي فيه يختلف عن رأي الاخرين .

٥ ــ ماضي المقاومة الفلسطينية منذ نشوئها ، وما صاحب هذا الماضي من انتكاسات كادت تطغى على الانتصارات . ان انصارنا ، على مختلف ميولهم وارتباطاتهم السياسية ، يسندون المقاومة فــي اهدافها العملية الرئيسية ، مثل تحرير الارض من المحتلين واقامة الدولــة الديموقراطية في ارض فلسطين ، الا انهم وقفوا دائما محتارين مبلبلين عاجزين عن الكلام والدفاع ، امام تفرق صفوف المقاومة ، وامام احداث الاصطــدام مع بعض الانظمة العربية ، وامام الاعمال التي كانت تجري خارج منطقة الشرق الاوسط ، ولا يبدو الكثير منها معقولا او مقبولا . ولا لزوم للخوض بعيــدا في هذه المسائل ، اذ صرنا جميعا نعرف من خباياها الكفاية ، والمهم ان نكون على حافة الخروج السليم من أتون الاخاء والممارسات غير الصائبة ، لندخل المعارك التي تنتظرنا من ابوابها المؤدية الى النصر.

ونعود الى المنظمات النصيرة في هولندا لننظر في مواقفها على ضوء مقترحات روجرز بصورة خاصة، او مشاريع السلام المستمدة من قرار مجلس الامن بصورة عامة . في هذا المجال ، حاول ثلاثة من مؤسسي منظمة فلسطين الهولندية الزام المنظمــة بمقترحات روجرز وقرار مجلس الامن الدولي ، هم « بيت ناك » سكرتير المنظمــة السابــق ، و« لاتستر » و« فان درفـــالك » الرجل الطيب القلب الرقيق الطبع الذي يؤثر السلام على معارك التحرير . وفي مؤتمر صاخب عقدته المنظمة بعد احداث سبتمبر الدامية في الاردن وحضره كــل اعضائها العاملين ، اتخذت المنظمة وباستثنـــاء أصوات الثلاثة المذكورين قرارا ينص على ان الحق كله في قضية فلسطين في جانب الفلسطينيين وان المنظمة تؤيدهم تأييدا مطلقا وتطالب بأن يكون لهم حق تخطيط ستراتيجيتهم دون تدخل او تأثير من أحد . أمام هذا الاجماع ، حدث في الجمعيــة انشقاق بسيط ، اذ استقال الثلاثة من مراكزهم الحساسة وعين السيد هندريكز ، سكرتير منظمة اسفا الطلابية سكرتيرا لمنظمة فلسطين الهولندية . ومنذ ذلك الحين نظمت الجمعية مهرجانين في مدينتي امستردام ونايميخن لنصرة القضيــة الفلسطينية ودعم الثورة الفلسطينية ، وحققت بعض النصر في مجال تدعيم مواقعها في الصحف ووسائل الاعلام الاخرى . وجدير بالذكر في هذا المجال ، كتــاب اصدره رئيس الجمعية البروفسور خروننبرغ استاذ جامعة نايميخن في اكثر مــن ٢٠٠ صفحة بعنوان « اسرائيل بدون حدود » يعتبر وثيقة صارخة ضد اهداف اسرائيل التوسعية .

وارسل حزب الاشتراكيين المسالم ، من الاحزاب

اليسارية ذات النفوذ في البلاد ، ايام معركة عمان برقية تأييد لمنظمة فتح ضد اعتداءات الحكم الاردني على المقاومة ويعلن فيها تأييده الكامل للثورة الفلسطينية ، ويرفض الحلول السلمية « العنصرية » كمقترحات روجرز . الحزب صغير عددا ليس له اكثر من ثمانية نواب في المجلسين، ولكنه حزب قوي بالعناصر المثقفة المنتمية اليه التي كانت على رأس المناضلين الهولنديين العاملين في مجال نصرة شعب فيتنام . هذه العناصر وقفت دائما في المقدمة في المظاهرات والمهرجانات الصاخبة التي اقيمت في السنوات الاخيرة للكشف عن وجه العدوان الاميركي على فيتنام .

وتعرض الحزب الكاثوليكي في البلاد ، وهو ثاني الاحزاب من حيث النفوذ والقوة في العام الماضي لانشقاق بسبب السياسة الداخلية للحزب . وكان ان ربح المعركة الجناح اليميني التقليدي . اما جناح الحزب الراديكالي ، فقد ظل جناح الاقلية، فانفصل عن الحزب ليؤلف حزبا خاصا به . ومن أبرز اعضائه « فان اوين » ، عضو لجنة فلسطين الهولندية .

اما حزب العمال في البلاد ، وهو اقوى الاحزاب نفوذا واتساعا ، كاحزاب اشتراكية كثيرة في غرب اوربا ، انشأه في مطلع هذا القرن مثقفون وسياسيون برجوازيون كان للصهيونيين دور كبير بينهم . هذا الحزب وصل للحكم عدة مرات ، منذ الحرب الاخيرة وهو الان في صفوف المعارضة ، ويمر بأحد ازمة في تاريخه . ان اليسار الجديد داخل الحزب يكاد يستولي على السلطة فيه . وكثير من صهيونيي القيادة تركوا الحزب والفوا حزبا منفصلا اسموه حزب « دمقراطية عام ١٩٧٠ » . ومعروف أن نسبة عالية من قيادة الحزب الحالية تؤيد الشعب الفلسطيني في اهدافه ومعركة استرجاع حقوقه ، لكن هؤلاء يؤثرون عدم التدخل العلني في قضية الشرق الاوسط او قضايا سياسية خطيرة اخرى ، لان البلاد مقبلة على معركة انتخابية جديدة ، ولا يريد المسؤولون في الحزب ان يكونوا مسببي اية انشقاقات جديدة من شأنها اضعاف نفوذ الحزب في البلاد .

ختاما ١) لا يمكن الا القول ان التحولات السياسية في هولندا التي كانت الى ما قبل سنوات قليلة امنع حصون الصهيونية في غرب اوروبا ، هي تحولات عميقة وجذرية وفي صالح القضية الفلسطينية . ٢) بالاضافة الى النشرات الحالية التي تدافع عن الفلسطينيين ، ستصدر قريبا نشرة جديدة بعنوان « ما يطبعه الفلسطينيون يعاد طبعه » . هذه التسمية مستمدة من اسم نشرة كانت تصدرها المقاومة الهولندية زمن الاحتلال النازي للبلاد . النشرة ستقتصر على نشر المقالات القائمة على البحث المدعم بالحقائق والوثائق . ٣) ستصدر قريبا ايضا نشرة كل شهرين بعنوان « دوسية فلسطين » باللغة الهولندية وتحتوي على انباء فلسطين والثورة الفلسطينية . النشرتان يحررهما الاصدقاء والانصار بدعم مالي ومعنوي من قنصلية الكويت في لاهاي .

عقيل هاشم

(٢) فرنسا : لجان المناصرة امام مشاريع الحل السلمي

قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، كان الدعم الفرنسي للثورة الفلسطينية والقضايا العربية عامة يكاد يكون محصورا في مجموعات صغيرة من المثقفين والمطلعين ، وكان الوجه الصهيوني للتاريخ هو المسيطر على وسائل الاعلام وادوات الدعاية . وقد نجح الطلبة والمثقفون العرب في ذلك الحين، ورغم الجو الخانق ، في تشكيل بضع لجان هنا وهناك كان اغلبها ان لم يكن جميعها يقتصر عمله على الاعلام والشرح التاريخي في الاوساط الجامعية . وقد بدأ الجدار الصهيوني في التصدع قبل الحرب بأيام ، اذ قامت بعض الجماعات اليسارية تحتج على الجو العنصري الذي خلقته المنظمات الصهيونية التي عبأت الرأي العام تحت شعار « انقاذ يهود اسرائيل من النازيين الجدد »

وعلى الولاء المطلق لاسرائيل الذي ابرزتــه هذه المنظمات في مظاهراتها وتجمعاتها حيث كان الهتاف السائد « يا أيها الفرنسيون ، قفوا معنا »(وكأن الفرنسيين اليهود شعب آخر) . وما ان وضعت الحرب اوزارها ، حتى ارتفعت الاصوات اكثر واكثر تندد بالخداع الصهيوني الذي صور اسرائيل وكأنها الحمل في وادي الذئاب ، واذا بالحمل يظهر انيابا حادة في اراض احتلت في أيـام ستة مساحتها اضعاف مساحة الارض المحتلـة بعـد ١٩٤٨ . وظهرت في ذلك الحين اولى بوادر التحول في الرأي العام الفرنسي الذي كرسته فيما بعد انتصارات الثورة الفلسطينية وخاصة في معركة الكرامة . فتشكلت اللجنة تلو الاخرى دفاعا عـن حقوق الشعوب العربية والشعب الفلسطيني خاصة فتكونت « لجنة نصرة الثورة الفلسطينية والثورة العربية » و« لجنة دعم الشعوب العربية » ، وغيرها ، وما لبثت أن اندمجت في اللجان القاعدية لنصرة الثورة الفلسطينية التي سنأتي عليهـا فيما بعـد .

وظهرت كذلك في تلك الفترة « مجموعة الابحاث والعمل من أجل تسوية القضيــة الفلسطينية » G.R.A.P.P. وهي عبارة عن تجمع لشخصيات ذات آفاق سياسية مختلفة (من الديغوليين الـى الشيوعيين والفوضويين مرورا بالديموقراطيـين المسيحيين ومختلف فئات اليسار) . وكان دافـع اللقاء هو رفض « المفهوم » الصهيوني للتاريخ وادانة العدوان ومحاولة ايجاد حل « عـادل » للمشكل الفلسطيني . وبعد ذلك بأشهر تكونت «رابطة التضامن الفرنسي العربي» وهي ذات طابع شبه رسمي (اي ديغولي) ، رغم أنها استقبلت فيما بعد عناصر اخرى خارجة عـن الاغلبيـة الديغولية مع ان الطابع الرسمي بقـي مسيطرا عليهـا .

لجان نصرة الثورة الفلسطينية : كما ذكرنا سابقا ، تكونت قبل حزيران ١٩٦٧ لجـان عدة في مناطق مختلفة من فرنسا كان هدفها الاول اخباريا ثـم تحولت بعد الحرب الى لجان دعم وعمل مضافة الى عشرات اللجان المحلية التـي تشكلت فـي الجامعات واحياء السكن الطلابية واماكن التجمع العمالي (بشكل خاص) والاحياء السكنية عادة. ومن خصائص هذه اللجان الرئيسـية لا مركزيتها فهي تعمل في نطاق مكان تواجدها حسب مخطـط تضعه العناصر العاملة فيها على ضوء المعطيات المحددة لسكان هذه المنطقة . وقد حافظت هذه اللجان ، رغم بضع محاولات للتنسيق بينها على لامركزيتها هذه ، مطلقة بذلك لاعضائها العاملين عنان المبادرة والتحرك . وتغطي اللجان هذه حتى الان معظم المناطق الفرنسية وخاصة تلك التي يتوفر فيها تجمع عربي طلابي او عمالي يقوم فيها بدور المحرك حتى يستقطب عناصر فرنسية واجنبية اخرى تتولى فيما بعد مجمل المهام . ومما هو جدير بالذكر هو أن هذه اللجان في غالبيتها اتخذت خطا لها يدعو الى دعم الثورة الفلسطينية ممثلة بلجنتها المركزية ، فلم يكن بالتالي مـن الصعب عليها تحديد موقف تجاه الحلول « السلميـة » ومشاريع روجرز وغيره . فقد وقفت في مجملها الى جانب الثورة ورفضت جميع هـذه المشاريـع والحلول ، وبعض هذه اللجان تشكل في وقت لاحق وعلى اساس رفض مطلق لمحاولات فـرض الحل الروجرزي . ونعطي مثالا لهذه اللجان لجنة ديجون (وهي مدينة تقع على بعد ٣٢٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من باريس) ، واللجنة تحمل اسم « لجنة نصرة الشعب الفلسطيني » . وقد جاء في بيانها التأسيسي ما يلي : « المادة الاولى: اللجنة تعتبر اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية هي التعبير عن الشعب الفلسطيني وارادته في تحريـر ارضه من الاحتلال الصهيوني الاستعماري لاسترداد شخصيته القومية » ، « المادة الثالثة : اللجنة تعارض بحزم اي حل يفرض اليوم او غدا علـى الشعب الفلسطيني من الخارج او من الداخل ، وعلى حسابه . » ، « المادة الرابعة : اللجنة ترفض بشدة قرار مجلس الامن بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧، ومباحثات يارينج ومشروع روجرز التي تتناسى كلها الوجود القومي وحـق تقرير المصير للشعب الفلسطيني تنافيا مع مبادىء منظمة الامم المتحدة نفسها ، التي ينقضها مجلس الامن مرة اخرى بعد ١٩٤٧ » ...

وتكاد تتكرر هذه المواقف في البيانات التأسيسية لكافة لجان فلسطين . ففي تور (التي تقع على بعد ٢٣٠ كيلومترا الى الجنـوب الغربي مـن باريس) تشكلت « لجنة فلسطين » على نفس الخط ، وهي تحدد نفسها في البيان الاساسي على « أنها تجمع نضالي تقدمي يدعم خط الثـورة الفلسطينية ــ خط القتال والوحدة ــ الممثل حاليا في اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية والمحـدد في برنامجها » . ويذكر البيان النقاط التي اتفق عليها

في اللجنة المركزية حين تكوينها مشددا على « رفض الحلول السلمية التصفوية والاستسلامية » .

ولبس من شك بأن اسلوب العمل الذي تتبعه هذه اللجان وهو العمل الجماهيري (عن طريق توزيع البيانات والملصقات واقامة الندوات والتجمعات التفسيرية) هو اسلوب فعال جدا ، ويعطي للعمل من اجل القضية الفلسطينية في فرنسا مدا جماهيريا لا غنى عنه خاصة حين تقتضي الظروف تحركا عاليا واسعا للدفاع عن ثورة شعب فلسطين . وقد ثبتت هذه الفعالية اثناء المقاومة الباسلة للثورة وجماهيرها في ايلول الفائت في الاردن ، حيث قامت لجان الدعم بجمع مبالغ طائلة وكميات كبيرة من الادوية وارسلتها للهلال الاحمر الفلسطيني كما قامت بحملات اعلامية واسعة في انحاء فرنسا لدعم الثورة في ذلك الظرف الحاد . وقد اوجدت هذه اللجان لها منبرا في مجلة نصف شهرية تحمل اسم « فدائي » ، تنشر بالفرنسية والعربية وتنقل اخبار الثورة واعمال لجان النصرة لدعمها . كما تصدر عنها نشرات عدة في مناطق مختلفة (من استراسبورغ وليل شمالا الى مرسيليا ونيس وتولوز جنوبا) تجمع كلها على تأييد اللجنة المركزية للثورة الفلسطينية على الخط السياسي الذي تحدده .

مجموعة الابحاث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية : تشكلت هذه المجموعة ، كما ذكرنا ، بعد حرب حزيران بأيام ، خلال تجمع ضم شخصيات من اوساط مختلفة (جامعية وسياسية وصحافية بشكل خاص) ومن اتجاهات سياسية متعددة . واغلب الداعين لهذا التجمع من المستشرقين (وعلى رأسهم الاستاذان مكسيم رودنسون وجاك بيرك) او من الذين ارتبط ماضيهم بشكل من الاشكال بالعالم العربي ، الى جانب ممثلي بعض المنظمات (كالحزب الشيوعي) التي اتخذت موقفا مناهضا للعدوان الاسرائيلي . وقد اجمع الكل حينذاك على ضرورة التصدي للصهاينة في محاولاتهم تزوير حقائق القضية الفلسطينية ، وذلك بفضح تاريخ الصهيونية واساليبها الدعائية. وقد اعطى تواجد بعض الفرنسيين اليهود في التجمع لعمله الاعلامي صدى قويا ، سيما ان هؤلاء كانوا قد اعلنوا ابان الحرب عداءهم للصهيونية ولنظرتها العنصرية لليهودية . فقامت البحاثة جاكلين ادامار مثلا بالرد في الصحافة الفرنسية على تعميم صهيوني موقع من البارون روتشيلد يطالب اليهود بدفع « الضرائب » لاسرائيل ، معلنة ادانتها لهذا المفهوم العنصري ولازدواجية الولاء الصهيوني ، الى جانب تضامنها مع الشعوب العربية وكافة الشعوب المضطهدة في صراعها ضد القمع والعدوان . وقام الاستاذان الجامعيان فاني وجورج شابيرا بالكتابة للصحافة معلنين « خجلهما » ازاء « تاذني النابالم من ادعياء اليهودية » .

ومع تطور الاحداث في الشرق العربي وتصاعد اعمال المقاومة الفلسطينية ، وجد التجمع نفسه مجبرا على تحديد مواقفه بالنسبة للاستراتيجيات المطروحة في الساحة العربية ، وخاصة فيما يتعلق منها بشعاري « حرب التحرير الشعبية » و« ازالة آثار العدوان » . ورغم التعاطف العام لمجمل التجمع مع القضايا العربية ، برز خلال عام ١٩٦٨ تياران داخل التجمع : احدهما يؤيد الشعار الاول . ويطالب التجمع باتخاذ موقف واضح تجاه مشروع مجلس الامن رقم ٢٤٢. وتزعم هذا التيار منظّر الفوضوية الفرنسية دانيال غيران. والثاني ينادي بالدفاع عن شعار « ازالة اثار العدوان » مع الاعتراف « بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني » ،وتزعم وجهة النظر هذه الاستاذ مكسيم رودنسون مدعوما من ممثل الحزب الشيوعي الفرنسي جاك كولان وغالبية اعضاء اللجنة الادارية . وقد انتهى الصراع الى صالح التيار الثاني حين انسحب اغلبية أنصار التيار الاول من التجمع ، وانتخب الاستاذ رودنسون رئيسا للجنة المشرفة. ولم يكن بالتالي من الصعب في صيف ١٩٧٠ ، على التجمع تحديد موقفه تجاه المشاريع « السلمية » المطروحة . سيما وان الاستاذ رودنسون كان قد عبر قبل ذلك التاريخ ، وبصراحة ، عن رأيه في كتاباته المتعددة وخاصة كتابه « اسرائيل والرفض العربي » (الذي نشر في عدة لغات) ، حيث قال ان اصول اسرائيل الاستعمارية (التي لا شك فيها) وطبيعة الصهيونية التوسعية والعدوانية لا تقتضيان بالضرورة الان حلا عسكريا للقضاء عليهما . واعرب عن تخوفه من أن المقاومة والاعمال العسكرية قد تؤديان الى مجزرة رهيبة في الشرق ، ورغم موافقته المبدئية على الاهداف التي حددتها الثورة الفلسطينية لنفسها (مع أنها بحاجة برأيه الى توضيح اكثر)، الا أنه يأمل ان تتحقق خلال تطور سلمي يؤدي الى نزع صفة الصهيونية عن اسرائيل وعودة اللاجئين

الى ديارهم . وهو في هذه المواقف قريب جدا من الاحزاب الشيوعية ذات التيار السوفياتي . وقد لخص التجمع مواقفه اخيرا في بيان وزعه على الصحافة اثر الصدامات الاخيرة في الاردن (٨/١/٧١) ، نشرته جريدة لوموند في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/١/١٤ . وجاء في هذا البيان : « ان مجموعة الابحاث والعمل قد اتخذت باستمرار مواقف معتدلة في قضية الشرق الاوسط ، متجنبة ما قام به الكثيرون من تأييد وتمجيد لكل أعمال وتحركات الفدائيين ، لاستراتيجيتهم وتكتيكهم . وبعض اعضائها (اي المجموعة) وجدوا برنامج الفلسطينيين غير واقعي او غير مناسب . ورغم ذلك ، لا بد من ايجاد رد اخر خلاف استعمال النار والحديد ازاء نقمة شعب جرد من ارضه ومن حقوقه الاولية . ولن تؤدي التصفية الوحشية للمنظمات المسؤولة في المقاومة الفلسطينية ، الا الى بروز مقاومة « غير مسؤولة » ، لا يعرف لعنفها أي حد . وان كنا نأسف لرفض الفلسطينيين كل حل جزئي على طريق السلام في هذه الظروف ، كان أملنا ان يتجهوا عن اقتناع فيما بعد في هذا الاتجاه . ولن يؤدي ذبحهم وغياب التمثيل الفلسطيني المسؤول الا الى اضعاف هذا الامل ، حيث ان اي حل مؤقت او أية محاولات سلمية ستنقض فيما بعد على أساس انها اتخذت في غياب اصحاب الشأن وضدهم » .

رابطة التضامن الفرنسي العربي : لم تواجه هذه الرابطة التناقضات التي واجهتها « مجموعة الابحاث والعمل » ، ذلك انها كانت منذ تكوينها (في مطلع ١٩٦٨) متجانسة سياسيا : فكل اعضائها في ذلك الحين كانوا ينتمون الى الاغلبية الديغولية او بالاحرى للاقلية داخل هذه الاغلبية، المتبنية المواقف العربية لديغول . وترأسها وما زال حتى الان الوزير السابق والنائب الديغولي الحالي ، لوي تيرنوار . وقد حددت الرابطة منذ تأسيسها اهدافها كالتالي : « تدعيم تضامن الفرنسيين تجاه ضحايا صراع الشرق الادنى وخاصة اللاجئين الفلسطينيين والنضال ضد العنصرية الموجهة ضد العرب ، واعطاء الراي العام الفرنسي معلومات افضل عن اوضاع وتطور الشعوب العربية » . وعلى هذه الاسس ، بنت الرابطة علاقات رسمية مع السفارات العربية بلا استثناء ، كما قامت برحلات عدة الى انحاء العالم العربي اجرت فيها اتصالات بعدة منظمات فدائية . وقد حددت الرابطة اخر مواقفها تجاه المشاريع المطروحة على الساحة العربية في خطاب عن اهداف الرابطة القاه مندوبها ونائب رئيسها الاستاذ الجامعي المستشرق فانسان مونتاي امام ندوة فلسطين العالمية الثانية المنعقدة في عمان (ايلول ١٩٧٠) كالتالي : ١) النضال ضد الدعاية الصهيونية ومساعدة القضايا العربية ، وقبل كل شيء قضية الفلسطينيين . ٢) التضامن مع المقاومة الفلسطينية . ٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذه المقاومة . فليس لنا ان نختار او نقرر بدلا عنها . ٤) ادانة مشروع روجرز كتعبير عن التآمر الامريكي السوفياتي من أجل سلم مصطنع وعلى حساب الفلسطينيين .

وكما يبدو من هذه النقاط ، فان مواقف الرابطة مختلفة تماما عن موقف الحكومة الفرنسية وحتى عن مواقف ما يسمى بالتيار « العربي » داخل هذه الحكومة (الذي ، ان لم يتبن مشروع روجرز لكونه مبادرة امريكية محضة ، يساند الحلول « السياسية » ووساطة الدول « الاربع الكبرى » والحدود الامنة لاسرائيل الخ ..) وقد يفسر هذا التباين المواقفالشخصية لاعضاء الرابطة في غالبيتهم بالاضافة الى دخول عناصر جديدة من غير الديغوليين ومن المؤيدين للمقاومة فيها . (كجورج مونتارون رئيس تحرير مجلة « الشهادة المسيحية » وزعيم الحركة المسيحية اليسارية التي تحمل نفس الاسم ، بالاضافة الى كونه الامين العام للمؤتمر العالمي للمسيحيين من اجل فلسطين) .

ان حركة الدعم تتسع في اوساط الشباب والمثقفين اليساريين وبعض الاوساط الديغولية والمسيحية، وهي في مجملها مؤيدة ومتعاطفة مع الثورة الفلسطينية ، رغم ان بعض التيارات فيها تحاول التوفيق بين هذا التعاطف وبين جنوحها لتأييد المساعي السلمية لحل ما يسميه البعض « مشكلة الشرق الاوسط » والاخرون «المسألة الفلسطينية». ولا شك ان الابقاء على الحوار مع كافة التيارات بالاضافة الى ما قد تأتي به الاحداث على ارض المعركة من توضيح ، كفيل بأن يضمن تثبيت هذه الحركة وتوسيعها لتشمل قطاعات اوسع من الجماهير الفرنسية .

وائل زياد

(٣) كندا : العقلية الصهيونية الجديدة

على الرغم من أن الاسرائيليين والمجلس اليهودي العالمي والمنظمات الصهيونية العالمية وصنائعها على امتداد العالم استطاعوا في أيار وحزيران ١٩٦٧ ان يقنعوا حلفاءهم الغربيين، متلقي الضمائر أن الحشود العربية على وشك أن تفني اسرائيل، الا أن هذه الجماعات ذاتها فشلت بعد ثلاث سنوات من الدعاية المحنكة المثابرة في اقناع شعوب العالم أن الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية حدث تاريخي خيّر يساهم في التحديث . ولقد اصبح الصهيونيون جد حساسين بقنوط واكتئاب تجاه أدنى خروج على فولكلورهم التقليدي عن اسرائيل التقدمية ذات التوجه التكنولوجي وطيبة شعبها وروحها العسكرية وصلابتها الامبرطية ، وذلك يعود الى فشلهم في كسب مباركة العالم الخلقية لاحتفاظ اسرائيل بالاراضي العربية (رغم انهم قد حصلوا على دعم الامبرياليين في عدم الانسحاب قبل الحصول على « حدود آمنة ومعترف بها ») وانكارها للشخصية الفلسطينية ومحاولتها قمع حركة المقاومة . وأبرز مثال على هذا اليأس والقنوط والخيبة في كندا هو الحملة الراهنة التي يشنها الصهيونيون للطعن في نزاهة « روبرت رجلي » وتسفيه كتابته عن الشرق الاوسط . ويتوجب علينا أن نفسر ضمن هذا المنظور رد فعل المحافل والجماعات الضاغطة الصهيونية في « تورنتو » لسلسلة من اربعة مقالات نشرها « رجلي » في جريدة « ستار » من ٥ الى ٨ آب ١٩٧٠ .

لم تزح هذه المقالات النقاب عن كشوفات مذهلة ، الا ربما بالنسبة لصهيونيي « تورنتو » . فقد قال رجلي أن الفلسطينيين يفضلون الموت على الذل ، وذكر أن الجيش الاسرائيلي هدم ثلاث قرى هي يالو وبيت نوبا وعمواس وبنى مكانها كيبوتزا . واضاف ان الاسرائيليين يمارسون العقاب الجماعي، وعرّف هذا المفهوم بمعناه الاسرائيلي على النحو التالي : « اذا ما حصل هجوم على الاشخاص الاسرائيليين او الممتلكات الاسرائيلية، وكانت هناك معرفة مسبقة به او لم يقم الشهود بالابلاغ عنه ، فان العقاب يوقع بسكان المنطقة التي حدث فيها الهجوم. ويتضمن العقاب في العادة نسف الممتلكات التي انطلق منها الهجوم بالديناميت » (ستار ص ٢٣ ، ١٩٧٠/٨/٦). واورد رجلي حوادث تعذيب وابعاد واعتقال اداري ضد المحرضين على التظاهر او غير المتعاونين مع سلطات الاحتلال . (ستار ص ٢٧ ، ١٩٧٠/٨/٧) . وقد اشار الى قطاع غزة على انه « اناء مضغوط » حيث « يحرس الجنود الاسرائيليون الفزعون الشوارع وايديهم على الزناد ، وحيث يمور الهواء بالكراهية الصامتة » . بكلمات أخرى ، أورد رجلي ما رآه وما سمعه وما استطاع أن يتحقق منه بالمعاينة المباشرة . ولكن يبدو أن أكثر ما ازعج الصهيونيين هو قوله أن « الدوريات الاسرائيلية الراجلة في مخيمات اللاجئين الستة المهتاجة قد استبدلت بالسيارات المدرعة ، ومع ذلك لا تزال الكمائن مستمرة » وان « كتيبتين اسرائيليتين ترابطان في غزة » وأن المدرسة الثانوية الوحيدة فيها قد « أغلقت في تشرين الثاني » وأن ذلك كله ناجم عن تغلغل حركة المقاومة في القطاع . (ستار ص ٦ ، ١٩٧٠/٨/٨) . لا يمكن الاستخفاف بهذا المراسل الكندي الشهير الذائع الصيت واعتباره مجرد هاو أو عميل عربي . وهو الى ذلك في مركز قوي جدا لا يمكن معه فصله من عمله نتيجة بضعة اتصالات هاتفية يقوم بها بعض اعضاء رابطات الدفاع اليهودية او نتيجة زيارة لمكتب رئيس التحرير يقوم بها حاخام مشهور . لذا فان الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الصهيونيون اخراس رجلي هي القيام بمقاطعة فعالة لصحيفة « ستار » على غرار المقاطعة التي نظمها صهيونيو نيويورك ضد الـ « نيويورك تايمس » عام ١٩٤٧ ، تلك المقاطعة التي اجبرت الـ « تايمس » على تغيير موقفها من العداء للصهيونية الى موالاتها والدفاع عن اسرائيل . غير أننا لا نظن أن الصهيونيين في تورنتو سيلجأون الى هذه الطريقة ، فالـ «ستار» الى جانبهم ، وكل ما ابتغته هو أن تعرض وجهة النظر العربية للمرة الاولى في اثنين وعشرين عاما وذلك كي تتجنب تقريع « لجنة مجلس الشيوخ المختصة بشؤون وسائط الاتصال الجماهيرية » التي وضعنا امامها دراسة خاصة لمقالات الـ « ستار » حول الشرق الاوسط تبين سلوك وعواطف وسياسات « بيتر نيومان » رئيس التحرير .

وفيما يتعلق بتاكتيك الصهيونيين في مواجهة ما أورده رجلي ، فان هؤلاء قد لجأوا ببساطة الى

انكار صحة تقاريره دون أن يتفوهوا بكلمة دحض واحدة ودون أن يقدموا أدلتهم . وقد عمدوا ايضا الى توبيخ الـ « ستار » لنشرها المقالات على اعتبار أنها بذلك يمكن أن تصبح أداة في يد اولئك الذين في صالحهم الحط من قدر اسرائيل « وشعبها الشجاع العادل » ، وأنها « تسيء الى أمل السلام البازغ » (ستار ، ١٩٧٠/٨/١٠) .
سرعان ما برهنت القوة الهائلة للصهيونيين على نفسها ، فصرح الحاخام جنثر بلوت نيابة عن لجنة اسرائيل — كندا والمجلس اليهودي الكندي والمنظمة الصهيونية المتحدة في كندا أن هذه المحاولة « اللئيمة لوصم شعب عادل شجاع باللاانسانية لا يمكن أن تغتفر في أي حين وعلى الاخص ليس الآن » . ولكي يتأكد الحاخام من أن الـ « ستار » ستفهم ما يقصده ، اضاف مؤكدا « اننا نشعر أن الـ « ستار » يجب ان تعتبر مسؤولة مسؤولية كاملة عن هذا الانحطاط بمستوى الصحافة المسؤولة والتخلي عنها . أن الضرر الذي ألحقته هذه السلسلة من المقالات لا يمكن أن يعوض بمقالات معاكسة او رسائل الى المحرر او اعتذارات » .
هكذا اطلق الحاخام عنان الهجوم لكل الجهاز الصهيوني . فقامت المنظمات الصهيونية ، الميتة منها والماضية والراهنة ، واتباعها باغراق الـ « ستار » برسائل تعبر عن الصدمة والدهشة والامتعاض وعدم التصديق . واتهم بعض كاتبي الرسائل الـ « ستار » بالصحافة غير المسؤولة واتهم البعض الآخر رجلي بالسذاجة والبساطة والسطحية ، وافترض معظمهم مسبقا أن الـ « ستار » انما تسعر الانفعالات الوضيعة بنشرها « اتهامات ليس لها اساس اطلاقا » .
يستطيع أي عالم لغة زائف محايد بمجرد القاء نظرة على هذا الادب الصهيوني الرائع أن يكتشف بسهولة أن البيان الصحفي الذي أصدره الحاخام الطيب الذكر والرسائل التي ارسلتها المنظمات والافراد الى الـ « ستار » انما كتبتها جميعا زمرة تورنتو الصهيونية في برمروز، وهو ناد يهودي خاص . ولكن كلما تمعنا اكثر في هذه الحملة الضخمة ضد رجلي ، كلما اقتربنا من الاستنتاج أن الخوف قد بدأ يعتري الصهيونيين وأن بعض الناس قد بدأوا يشكون في فرضياتهم وشعاراتهم فيما يتعلق برسالة اسرائيل التمدينية واهتماماتها الانسانية . يعمل الصهيونيون بسرية من خلال محافل ممولة جيدا ومن خلال نخب القوة في كندا ، ويحتل عدد كبير من اليهود الصهيونيين مراكز قوة في عدد كبير من المؤسسات ، ومعظم هؤلاء يستخدم نفوذه لخدمة الاهداف الصهيونية . كما ان اعضاء البرلمان اليهود الصهيونيين مثل دافيد لويس وفيل جيفنز وغيرهم قد هاجموا العرب علانية وبرروا الفظائع الصهيونية وساهموا في حملات جمع التبرعات لاسرائيل . ويمكن بسهولة أن نورد الكثير من الادلة على قوة الصهيونيين في كندا . ولكن مهما كانت قوتهم ، فانهم لا شك يخسرون حيويتهم ، ذلك ان انكار الاتهامات الموجهة ضد اسرائيل والدفاع عنها على أنها « شجاعة وعادلة » على الرغم من تكاثر وتعاظم الادلة المعاكسة لا بد وأن يساهم في الحط من موثوقيتهم كشعب « ذي عقلية ليبرالية » يذود عن « صهيون المحاصر » وعن المضطهدين اقتصاديا واجتماعيا .
عدا ذلك لم يستطع الصهيونيون أن يكيفوا انفسهم مع الطابع المتغير لاسرائيل . اذ يصبح من الصعب عليهم أكثر فأكثر أن يؤكدوا على « منجزات اسرائيل الخلاقة وحبها للسلام » بينما هي تلوح مقعقعة بأسلحتها الامريكية وبطائرات الفانتوم والنابالم الحارق ، وتعلن على رؤوس الاشهاد انها قادرة على قهر الجيوش العربية مجتمعة ، وتحاول جاهدة أن تعزز خلسة قدرتها النووية . لقد أصبحت شمشون العالم الحديث وأصبح الصهيونيون الاميركيون الشماليون شركاءها في التواطؤ .
نجد جذور النزعة الدفاعية للصهيونية في القارة الامريكية الشمالية في طبيعة الشوفينية الاجتماعية المصابة برهاب الاضطهاد (البارانويا) وفي ثراء اتباعها الواضح وقلقهم الناجم عن السعي وراء المركز . وعلى الرغم من أن الصهيونيين يعتقدون أن قضيتهم مقدسة وأنها مبررة أخلاقيا وتاريخيا ، الا أنهم اضطروا الى العمل من خلال القوى الامبريالية لتحقيق أهدافهم . وهذه الحقيقة المشينة تثقل ضميرهم « الليبرالي » وتزيد احساسهم بانفصام الشخصية الاخلاقي حدة . ويضاف الى هذا الاشكال الاخلاقي ، أن اسرائيل قد أصبحت دولة — ثكنة للمستوطنين وأصبح دورها كرأس جسر للامبريالية جليا خلال عقدين من التوسع والجشع الاقليمي واخضاع أهل البلاد الاصليين وتشتيتهم . تلخيصا نقول أن الصهيونيين الكنديين لم يعد بمقدورهم مهما كانت جهودهم متناسقة وشبكة منظماتهم متماسكة ومحكمة أن يخدعوا « كل الناس كل الوقت » ، هذا اذا كان لا يزال بمكنتهم

ان يخدعوا أنفسهم فيما يتعلق بحقيقة اسرائيل ، وذلك يعود الى ارتفاع درجة الافتراق مـا بين الفولكلور الصهيوني والظروف الموضوعية السائدة في الشرق الاوسط . لذا فان انكار الفظائع التي ارتكبتها اسرائيل والتي بررها موشيه دايان وجولدا مئير بزهو واعتزاز ليس مجرد ضبابية في الرؤية الاخلاقية من جانب الصهيونية ، بل هو ايضا رد فعل انعكاسي مرضي من جانب شعب مصاب بالذهان (سايكوسس) . لقد انكر قادة اسرائيل وجود الشعب الفلسطيني ، واعلنوا مرارا وتكرارا انه ليس ثمة حركة مقاومة على الرغم من انهم يعلنون أن هناك بضعة ارهابيين قتلـة استأجرتهم الدول العربية لتحسين مركزهـا في مفاوضات التسوية السلمية مع اسرائيل . كان هذا النوع من الحديث هو رد فعل اسرائيل الاولي تجاه ظهور الثوريين الفلسطينيين ، أولئك الذين لم تتنبأ بمولدهم ، لسوء حظ اسرائيل ، آلات البنتاغون الحاسبة التي خططت حرب اسرائيل الصاعقة عام ١٩٦٧ .

هكذا استحوذت صور زائفـة للحقيقة على عقول الصهيونيين المدافعين عـن اسرائيل والمستعدين لتبرئتها مهما كانت جرائمها بشعة . عدا ذلك ثلم ذهـان الحرب المستحث — ذاتيا حـدة بصيرة الصهيونيين ، وهم الذين كانوا يتفاخرون يوما بأنهم اصحاب الفكر النقاد والانسانية العطوف المتفوقة. وكنتيجة لهذا الانحلال ولظهور الوجهة الدفاعية المغالية في التشدد أصبحت الشوفينية الاجتماعية والتزمت الهاجسي والتأكيـد المتغطرس علـى أن اسرائيل لا تقهر ، السمات الجوهرية للصهيونية. ويمكن أن تدعى هذه العملية النكوصية التي تتضمن التحريض الحاد ورهاب الاضطهاد عقلية «مسعدة» الصهيونية المعاصرة . بالاضافـة الى ذلك أدى انتشار الشعور بالحصار الذي محا تدريجيا كل وازع اخلاقي وبلد ضمير الصهيونية وحلفائها ، أدى الى تصور المواطن الاسرائيلي لذاته على انه سوبرمان نيتشه ، أي انه أصبح يعتقد نفسه في منزلة تعفيه من عمليات التاريخ العادية وترفعه فوق ترهات الجنس الانساني التقليدي . وبسبب من هذه اللاعقلانية ، أصبح الصهيوني غير مناسب لتعـايش انساني رحب الصـدر مع الشعـب الفلسطيني، وهذا هو سبب قلقه العقلي وهستيريته الكامنة . لذا ، لم تعد عظات السلام هي الجواب على التخبط العقلي للصهيونيين : انهم بحاجة الى علاج بالصدمة والى علاج طويل المدى لكي يستعيدوا سلامة قواهم العقلية ويستعيدوا معها احساسهم بالابعاد . ولعـل من حسن حظ الصهيونيـين ان يستفيق الفلسطينيون بعد عقدين من العيش على حافة الحياة ، ويختاروا عمدا استراتيجية حرب العصابات الطويلة المدى ، استراتيجيـة الكفاح المسلح الذي سيحرر الفلسطينيين واليهود معـا ويخلق الانسان العربي الجديد والانسان اليهودي الجديد .

اثناء ذلك ، يجب أن يكون العرب في كندا وفي غيرها على استعداد لان يضحوا بالقليل لمكافحة الدعاية الصهيونية في القارة الامريكية الشمالية التي تحصل منها اسرائيل على معظـم اسلحتها واعصابها الحيوية الاخرى . ويجب على العرب أيضا أن يتخطوا الطريقـة التقليدية في معالجة المسألة الفلسطينية بالاعتماد على التحليل الديني — القانوني . يجب أن يصبح التحليـل الاجتماعي وتحليل الوضع الراهن وكأنه تاريخ نقطة انطلاقنا. يجب ان نطرح جانبا خرافات الماضي وخطابات الحاضر البليغة وتدرية المستقبل ، كما يجب أن نتخلى عن الشعارات الفارغة وعن المزايدة على الليبراليين علنا بالتحدث بطلاقة بالمفاهيم الليبرالية . يتوجب علينا أن نتعلم التمييز بين التجار الفلسطينيين وبين الثوريين الفلسطينيين ، وبين التجار والبيروقراطيين العرب من جهة والراديكاليين الملتزمين باخلاص من جهة أخرى . يجب أن نواجه الحقيقة ، ونهبط من علياء الأحجية العقلية المتشابكة التي صنعها القادة التقليديون والعاطفيون البيروقراطيون البورجوازيون الصغار وننضم الى صفوف الشعب المناضل الذي يحاول بناء مستقبل جديد متحرر مـن الاضطهاد والاستغلال . بهذه الروح الملتزمة يحاول « الاتحاد العربي الكندي » أن يحارب العدو الصهيوني وأن يدمج نفسه بالمجتمع الكندي ، لا بالحفلات الخاصة وحفلات العشاء في الاحياء الراقية المنعزلة .

هذا وقد اصدر الاتحاد بيانا صحفيا لدحض حجج الصهيونية وهجومها على مقالات رجلي ، وقد ظهر جزء من هذا البيان في « تورنتو ديلي ستار » في ١٩٧٠/٨/١١ وبين البيان كيف « ان بعض الاجراءات شبه النازية التي طبقها الاسرائيليون بمثابرة ولا يزالون يطبقونها هو : العقوبات الجماعية وردم الاحياء وابعاد المعارضين واعتقال المناضلين المشتبه بهم دون محاكمة وارهاب السكان والتدمير العابث لبعض الاحياء العربية في القدس » .

الدكتور جورج حجار

(٤) الولايات المتحدة: التنظيمات الاميركية وفلسطين

يهدف هذا التقرير الى تقديم صورة مختصرة للطيف السياسي في الولايات المتحدة ، والى اعطاء فكرة ما عن الطريقة التي تنظر بها العناصر المختلفة ضمن هذا الطيف الى النضال الفلسطيني . ولا يقصد بهذا التقرير أن يكون معالجة شاملة للموضوع بل مدخلا فحسب . وقد جمعت المعلومات الواردة بواسطة الملاحظة الشخصية الى حد بعيد ، وكذلك عبر الالفة العملية مع معظم الجماعات والمنشورات الوارد ذكرها . ويشعر الكاتب ان هذا التقرير على ايجازه مهم كبداية لتحديد التمايزات بين قطاعات الرأي العام الاميركي المختلفة ، والطريقة التي تنظر بها هذه القطاعات الى النضال الفلسطيني نتيجة للتنظيمات المختلفة التي تمثلها . ان الاستنتاجات الواردة في هذا التقرير مبنية على أساس كمية ونوعية التغطية التي اعطتها وسائط اعلام هذه المنظمات المختلفة للفلسطينيين وعلى الاثر الذي نشعر ان هذه التنظيمات تمارسه على المجتمع الاميركي الذي يتألف من مجموعها .

١ — اليمين

أ — اليمين المتطرف المعادي للمثقفين : تتمتع هذه المجموعة بشعبية وصوت مسموع بين قطاعات متفرقة من الطبقة العاملة البيضاء في الشمال وبدرجة اكبر على امتداد الجنوب . وتتسم هذه المجموعة بلاسامية قاسية وبالعداء للشيوعية وبالغزل العلني مع النازية . ويمكن القول عند هذا الحد أن هذا القطاع من قطاعات اليمين يمثل شكلا من اشكال الفاشية الشعبية . والتنظيمات البارزة في هذا القطاع هي : حزب حقوق الولايات القومية ومجلس المواطنين البيض وحزب النهضة وحفنة من التنظيمات المحلية الاصغر . واحدى الصحف الرئيسية التي تنطق بلسان هذه الجماعات هي صحيفة ثندر بولت التي توزع على النطاق الوطني وتقدم « وجهة نظر الرجل الابيض » . ولا شك أن من الصعب تقدير عدد الاشخاص الذين تصلهم هذه الصحيفة لان كثيرين ممن يتلقونها يعزفون عن الاعتراف بأنهم يشاركونها آراءها ، وعلى الاخص في الشمال . وتتوجه هذه الجماعات بصورة محددة الى اثارة العواطف والكراهية ولا تحاول أبدا أن تخاطب العقل . ويمكن بسهولة استنتاج موقف هذا القطاع بكامله من انشغاله الكامل باليهود بوصفهم متآمرين شيوعيين . ولذا فان اسرائيل ، في تحليل هذه الجماعات ، لا بد ان تكون منطقيا دولة شيوعية متحالفة مع الاتحاد السوفياتي والاميركيين السود بهدف تخريب « الديمقراطية » تخريبا تاما . من هنا فان هذا القطاع من اليمين يعاضد النضال الفلسطيني قدر ما يرى ان هذا النضال موجه ضد « المؤامرة اليهودية العالمية ». وقد أدى ذلك الى قيام الدعاة الناصرين لاسرائيل بربط اليمين بالفلسطينيين في السجالات التي يخوضونها ، وذلك في محاولة منهم لتصوير الفلسطينيين لاساميين . تخصص ثندر بولت مساحة متساوية تقريبا للمسألتين الرئيسيتين اللتين تهمان اليمين وهما العرق واللاسامية ، ولهذا كثيرا ما نجد فيها مقالات تفضح المؤامرات والفظائع الصهيونية الخ.

ب — اليمين الديني (العصموي) [العصموية حركة بروتستانتية تؤمن بعصمة الكتاب المقدس في جميع القضايا] : كثيرا ما يتداخل هذا القطاع من اليمين مع انصار القطاع الاول . والناطقون الرسميون باسم هذا القطاع قساوسة مشهورون مثل بيلي غراهام ونورمان فنسنت بيل وكارل ماكنتاير وجميعهم يعتنقون قيم المجتمع الاميركي التقليدية (الله ، العائلة ، الوطنية) في وجه ما يرون انه مؤامرة شيوعية عالمية . وقد تصالح هؤلاء مع المسألة اليهودية وهم يمثلون مصدر دعم قوي لاسرائيل بين قطاعات السكان التي ينفذون اليها (الطبقة العاملة البيضاء بشكل عام وكذلك أعداد لا بأس بها من الطبقة الوسطى البيضاء الانجلو ساكسونية البروتستنتية في الشمال) . وقد نفذ دعم هذا القطاع لاسرائيل ، بسبب من الاحترام الذي يتمتع به قادته ، الى اعداد غفيرة من الناس ليحتنها بالحماس للقضية الاسرائيلية . وهم لا يعالجون مسألة الشرق الاوسط الا بلغة « اسرائيل الضئيلة التي تخاف الله » في مواجهة « الدول العربية التي يدعمها الاتحاد السوفياتي » ولا يتحدثون أبدا عن الفلسطينيين . وكثيرا ما يزور الناطقون باسم هذا القطاع اسرائيل . وقد ذهب أحدهم ، بيلي غراهام ، الى حد انتاج شريط يهدف الى تبرير وجود اسرائيل من خلال النبوءة التوراتية ،

وشاهد هذا الشريط عدد كبير مـن الناس نظرا لظهوره على شاشات شبكة التلفزيون. وليس هناك جريدة أو مجلـة تنطق باسم هـذه المجموعة ، فالناطقون الرئيسيون باسمها يستطيعون استخدام وسائط الاعلام باستمرار . وقد يبلغ عدد مؤيديها مليونين او ثلاثة ملايين على الاخص في الجنوب .

جـ ــ اليمين الراديكالي : تعمل ضمن هذه الفئة جماعتان رئيسيتان هما : الليبرتاريون (وهم مثقفون فوضويون غير مرتبطين بالطبقة العاملة ، فرديون أساسا ويعتنقون مذهب حرية الارادة) وتحالف الشباب القومي . يتألف الليبرتاريون من مثقفي اليمين ويمكن ان نطلق على هذه الجماعة اسم اليمين الفوضوي. اما تحالف الشباب القومي فجناح يميني شعبي عصموي يتألف مـن الطلبة بصورة رئيسية . يغلف هـذا القطاع سياسته بخطابية يسارية على الاخص فيما يتعلق بالمسائل المحلية . وعلى الرغم من انه كان هناك يمين راديكالي منذ أمد ، الا أن عودة يمين فوضوي واضح ظاهرة حديثة جدا ناجمة عن خيبة امل الليبرتاريين في السياسات المحافظة في اميركا . من جهة أخرى يبدو تحالف الشباب القومي مجرد عودة جديدة لليمين الشعبي اللاسامي القديم في مظهر جديد هو استخدامه للغة الكثير منها مستمد مـن المفردات اليسارية . تتبنـى هاتان المجموعتان القضيـة الفلسطينية لاسباب مختلفة جذريا . فالليبرتاريون ينظرون الى النضال الفلسطيني على انه نضال ضد التوتاليتارية (النظام الكلي القائم على سيطرة الدولة على الامة والفرد سيطرة تامة) التي تمثل بعبعا بالنسبة لهم ، ولكنهم حذروا من ان « ينحط » النضال الفلسطيني الى اشكال توتاليتارية . أما تحالف الشباب القومي فيدعم الفلسطينيين فيما يرى أنه صراع « عربي ــ يهودي » ، وهو بهذا يتبنى نظرية المؤامرة العالمية بصورة مقنعة . ويستطيع المرء بمجرد القاء نظرة على جريدتهم «أتاك» ان يلمح أوجه شبه بين اسلوبهم في المناظـرة السجالية واسلوب اليمين المتطـرف . ومـن المشكـوك فيه أن تكون هاتان المجموعتان تصلان الى عدد كبير من الطلبة في الوقت الحاضر وذلك بسبب حداثة عهدهما ، لكنهما تشكلان بديلا جـذريا لليسار بالنسبة للطلبة المحافظين ولذا فان من المتوقع ان تزداد شعبية الجنـاح المثقف منهمـا ، وهـو الليبرتاريون .

٢ ــ الوسط

أ ــ جماعات الشرق الاوسط : ذي لينك جريدة اخبارية يصدرها كل شهرين « الاميركيون من أجل فهم الشرق الاوسط » . وأعضاء هذه الجماعات مستعربون اكاديميون ومن ذوي النزعة الانسانية يحركهم الضمير المسيحي والرغبة في عمل الخير (اللاجئون) . والآراء التي تعرض في ذي لينك في هذا المجال معتدلة سياسيا تؤكد على « تاريخ وأديان وقيم وحضارات الشرق الاوســط وظروفه الاقتصادية » . وترتبط جماعة « الاميركيون من أجل فهم الشرق الاوسط » بالانروا وبمعهد الشرق الاوسط وبشركات البترول وبمنظمات مسيحية كنسية مختلفة وبمؤسسات اكاديمية وتجارية ناجحة أخرى، وذلك من خلال مجلس مديريها . يتركز جمهور ذي لينك في نيويورك/الساحل الشرقي بصورة غالبية ، ويبلغ عدده بضعة آلاف ، وتأثيرها قائم على سمعة ومنزلة مجلس مديريها . تغطي هذه الجريدة المسألة الفلسطينية على شكل مراجعات كتب ومحاضرات ومناقشات وكذلك على شكل أخبار « اللاجئين ». والهدف المعلن لهذه الجماعة هو « الضغط من أجل سياسية اميركية اكثر عدلا وتناسقا ونزاهة تجـاه الشرق الاوسط » ولذا فانهم يميلون الى التقليل من أثر الاتحـاد السوفياتي والاشتراكية والثورة الفلسطينية في الشرق الاوسط (الى حد أنهم يكادون يتجنبون هذه المسائل تماما) آملين أن يخلقوا في اميركا تفهما افضل لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط . وهم يسعون الى حل عادل لمسألة اللاجئين ، لكن هدفهم الاساسي هو شرق أوسط مسالم موال للغرب .

ميدل ايست بيرسبكتف « جريدة اخبارية شهرية تعنى بأمور الشمـال الافريقي وشرق المتوسط » وبآراء ونشاطات الدكتور الفرد ليلينثال الذي يملكهـا . والدكتور ليلينثال ليبرالي معتدل معاد للصهيونية وعضو سابق في المجلس الاميركي لليهودية ومؤلف ليست لديه ارتباطات تنظيمية محددة . وهو مثل الدكتور المر بيرغر وموشي مينوحن من سلالة نادرة من الاميركيين اليهود غـير الراديكاليين المعادين للصهيونية . ليس جمهور « بيرسبكتف » كبيرا فهو يعتمد على صلات الدكتور ليلينثال ويتداخل مـع جمهور الجماعات الاميركية المناصرة للعرب . يركز الدكتور ليلينثال نشاطه علـى مهاجمة اسرائيل والمنظمات الصهيونية العالمية وعلى التأكيد أن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط تتأثر

سلبا بدعم اسرائيل واجبار العرب على التوجه نحو الاتحاد السوفياتي .

آكشن جريدة اسبوعية تصدرهـا لجنة العمـل للعلاقات العربية الاميركية . تأسست اللجنة في العام ١٩٦٤ ولها الآن خمسة عشر فرعا في الولايات المتحدة ، أما الجريدة فتأسست في العام ١٩٦٩ ويبلغ عدد قرائها اكثر من عشرين ألفا . وهي تصدر في نيويورك نتيجـة جهـود الدكتور محمد مهدي « المكرس لتحرير فلسطين » وتغطي كل انباء الشرق الاوسط وتعيد نشر قصص تظهر في الصحف الاخرى وكذلك مقالات لا تتلقى تغطية من جانب وسائل الاعلام الاميركية الاخرى . وتتوجـه آكشن الى الجالية الاميركية العربية والى الاميركيين المناصرين للعرب في طول الولايات المتحدة وعرضها ، وهي تهدف الى نشر وتعميم الجانب العربي من الوضع في الشرق الاوسط ساعية بذلك الى تحقيق سياسة اميركية اكثر توازنا في المنطقة . وهي بهذا المنظمة الليبرالية الوحيدة المعنية بشؤون الشرق الاوسط التي تعالج المسائل الفلسطينية . يستخدم الدكتور مهدي كل اشكال وسائط الاعلام الاميركي حتى اكثرها سوء سمعة داعيا للقضية ومن ثم لجريدته وبالتالي للقضية . تدافع آكشن عن فكرة دولة ديمقراطية علمانية وهـي بذلك تغطي ايديولوجيا الثورة اكثر مما تغطي انجازاتهـا ، وليس ذلك فحسب ، بل انها ايضا تؤكد على حل المسألة حلا سلميا سياسيا عبر تغييـر سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط .

ب ـ الجماعات الكنسية الليبرالية : ذي لامب/ مجلة وحدة مسيحية نشرة شهرية يصدرها رهبان الكفارة وهي ليبرالية معتدلـة علـى الطريقـة المسكونية . وهي لا تؤكد على توجه اخلاقـي للمسائل السياسية قدر ما تنظر الى المسائـل الراهنة في ضوء تحقيق ارادة الله او خطتـه للانسانية . اعضاء هذه الجماعة وجمهورها هم من ضمن الكنيسة الكاثوليكية ويبلـغ تعدادهم خمسين الفا تقريبا ، وهي لا تتوجه الى المثقفين او العلماء الكاثوليك بل تتوجه الى الرعية العامة العادية . وهي معادية للعرب بوضوح ونظرتها الى الفلسطينيين هي النظرة الـى سكان في الارض المقدسة . وتقوم هذه النظرة على معرفة ضئيلة بالعرب وخاصة المسلمين منهم وعلى الخوف من « الميول الشيوعية » في المنطقة . ولا يمكن النظر الى الفلسطينيين من وجهة نظر الحركة المسكونية المتحالفة مع اليهودية العالمية والداعمة لدولـة اسرائيل الا كلاجئين منسيين بائسين تجب مساعدتهم من جانب الانروا والهيئات الخيرية الكاثوليكية ، ويجب ان يعـاد توطينهم في النهايـة في الدول العربية .

كريستيانيتي أند كرايسس « مجلة رأي مسيحية » تصدر كل اسبوعين . وقد أسسها رينهولد نيبوهر وهو عالم لاهوتي وفيلسوف سياسي مشهور واستاذ فخري في المسيحية التطبيقية في معهـد الوحدة اللاهوتي. تعالج المجلة « المسيحية التطبيقية » من وجهة نظر اخلاقية / واقعية تجـاه المشاكل السياسية والاجتماعية وبقدر كبير من السلامية. توزع المجلة على النطاق القومي باعداد لا تقل عن خمسين الفا . وتتوجه الى البروتستنت وبعض المثقفين الكاثوليك الليبراليين . وعلى الرغم من أن تغطية المسألة الفلسطينية في هذه المجلة ليست متكررة ، الا ان توجهها العام هو التأكيد على حق الفلسطينيين الاخلاقي في تقرير المصير ، وتميز المجلة بين الفلسطينيين والدول العربية موجهـة نقدها الى اسرائيل بسبب المعاملة اللاانسانيـة التي يلقاهـا الفلسطينيـون فـي الاراضـي المحتلة . أما في اللغة « الواقعية » فتعتـرف المجلة بوجود دولة اسرائيل كوطن قومي لليهود ، وتعتقد انه يجب أن يكون هنـاك تقـارب بـين الفلسطينيين والاسرائيليين ، ويجد اقتراح الدولة الديمقراطية العلمانية في فلسطين صدى لدى هذه الجماعة ولكنه يقابل بالشك على أساس انه غير واقعي .

ومما يستحق الذكر كتيب بعنوان « السعي نحو السلام في الشرق الاوسط » نشرته لجنة اميركان فرندز سيرفس وجمعية جماعات الكويكرز فـي الولايات المتحدة وكندا وانجلترة . والكويكـرز سلاميون غير منحازين ولا سياسيين حازوا قدرا كبيرا من الاحترام في الولايات المتحـدة بسبب نشاطاتهم من اجل الحقوق المدنية وضد الحـرب الفيتنامية . وهم جماعة قليلة العدد ، لكن الكتيب الصغير الذي اصدروه لاقى انتشارا واسعا بسبب سمعتهم . (وقد صدر نقد لهذا الكتيب في العدد الاول من « شؤون فلسطينية ») والهم الاساسي للكويكرز كسلاميين بصـورة مطلقـة هو انهـاء العداوات والوصول الى حل سياسي عادل (اي سلمي) للوضع في الشرق الاوسط وهم يعلقون املهم على الانتصار النهائي « للادراك السليم

والعدالة الانسانية » .

هـ ــ الجماعات الليبرالية المثقفة : ذي نيشن مجلة اسبوعية محترمة ، عمرها عشرون عاما ، وهي مجلة فكرية / تعنى بالاحداث الجارية وتوزع على النطاق القومي . وتنشر مقالات تكتبها شخصيات سياسية ليبرالية معروفة جيدا ، او من كانت له مؤهلات ليبرالية مناسبة . ووجهات نظرها تتفق مع وجهات نظر السياسيين الليبراليين الاميركيين ، فهي ضد الحرب في فيتنام وفي الوقت ذاته تناصر اسرائيل . ويبلغ عدد جمهور ذي نيشن ٥٠ ــ ١٠٠ الف شخص هم من النوع الذي يقرأ ذي نيويورك تايمز ويثق بها باخلاص . وهي تعنى في الغالب بالمسائل القومية ولكنها عموما تنشر بعض المقالات في الاحداث العالمية ، ولم تعالج هذه المقالات مسألة الشرق الاوسط حتى الان الا في النادر . وقد تصبح المقالات حول الشرق الاوسط اكثر في المستقبل ولكنها ستكون بلا شك ضد الفلسطينيين ومؤيدة للصهيونيين . وستقتصر وجهة النظر غير المعادية للعرب على « المعتدلين » منهم فقط ، اي على اولئك الذين يحتفظون بروابط اقتصادية وسياسية قوية مع الولايات المتحدة .

وور / بيس ريبورت نشرة شهرية عمرها عشر سنين يصدرها مركز دراسات الحرب / السلام . وهي تغطي « الحقيقة والرأي في ما يتعلق بالتقدم نحو سلام عالمي قائم على العدل » . وتعتنق هذه المجلة مفهوم « الفيدرالية العالمية » ولذا فانها تتمثل بالامم المتحدة ، وغالبا ما تدعم سياسة الولايات المتحدة داخل الامم المتحدة . وقراء المجلة ، طبقا لاستفتاء قامت به هي ، هم ممن تربو اعمارهم على ثلاثين عاما ، ليبراليون الى راديكاليين ، معلمون ورجال اعمال . وتوزع هذه المجلة على النطاق القومي عددا من النسخ يقرب من عشرين الفا . مجلس امناء المجلة متميز ، ففيه حامل لجائزة نوبل للسلام واشخاص مرتبطون بالاتحاد الاميركي للحريات المدنية ومنظمة الصحة العالمية ومؤسسة راند ومعهد ماساشوستس للتكنولوجيا وجامعة ديوك ومركز السلام العالمي عبر القانون . على الرغم من المثال « الفيدرالي العالمي » الذي تضعه المجلة نصب عينيها ، فان تغطيتها للشرق الاوسط تقوم على منحى سياسي ذرائعي (براجماتي) . وقد خصصت المجلة خلال الاشهر السبعة المنصرمة عددين للشرق الاوسط ، وبرغم أن المحرر زار المنطقة خلال ذلك الا ان وجهات نظره بقيت عمليا على ما هي عليه . وتشاركه المجلة فيها بشكل عام وهي : قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو الحل ، حق اسرائيل في الوجود كوطن قومي لليهود ، حق الفلسطينيين في تقرير المصير على الارجح في الشكل «الذرائعي» الذي هو دولة في الضفة الغربية .

٣ ــ اليسار

أ ــ ليبريشن نيوز سيرفس ، جارديان ، ليبريتد جارديان : ليبريشن نيوز سيرفس وكالة لجمع الانباء ونقلها الى كل المنشورات والمنظمات اليسارية . وهي لا تحمل اي طابع ايديولوجي ، وترسل نشرتها مرتين في الاسبوع الى عدة مئات من المنظمات تشمل كل جماعة يمكن ان يطلق عليها اسم يسارية بالمعنى الواسع للكلمة . وهي تغطي مدى كاملا من الاخبار التي تهم اليسار من الاحداث العالمية (التي يغطيها مراسلون موزعون في عدد من الاماكن بينها بيروت وعمان) الى المسائل المحلية . يعتمد معظم الجرائد اليسارية المستقلة وجرائد الشبيبة على ليبريشن نيوز سيرفس اعتمادا كبيرا ، وذلك لكون هذه الجرائد اصغر بكثير من ان تستطيع الاعتماد على مراسلين خاصين بها . حملت هذه الوكالة منذ وصول مراسلين لها الى الشرق الاوسط في العام الماضي سلسلة من المقالات عن النضال الفلسطيني ، وهذه المقالات في العادة مكتوبة جيدا وشاملة . ونظرا لتعاظم اهتمام اليسار بالفلسطينيين فقد تزايد عدد الصحف التي تستخدم مقالات الوكالة. وهذه الصحف تصل جمهورا يعد بالملايين يتألف أساسا من الشباب (١٥ ــ ٣٠ عاما) في المدن، ولكنه يتزايد في المناطق الاخرى . وشبكة هذه الصحف تغطي المجال القومي وهي تشكل لكثير من قرائها محور قراءتهم في الاحداث السياسية الجارية . ولقد عالج الكثير من الصحف التي تعتمد على ليبريشن نيوز سيرفس النضال الفلسطيني بتعاطف ، على الرغم ان الكثير من هذه الصحف قد عالج المسألة على أساس التضامن مع حركات التحرر الوطني اكثر مما عالجها على أساس فهم راسخ . ولعل من الممكن ان تصف جمهور هذه الصحف بأنه جمهور يساري غير ايديولوجي وغير مثقف .

كذلك تقوم الـ « جارديان » والـ « ليبريتد جارديان » على أساس قومي دون توجه ايديولوجي

محدد ، وهما تعكسان على التوالي الوسائل الصحافية لليسارين القديم والجديد . والـ « ليبريتد جارديان » هي كما يدل اسمها منشقة عن الجريدة الام . وقد عالجت الصحيفتان النضال الفلسطيني في سلسلة من المقالات . لكن مقالات « ليبريتد جارديان » أعمق بكثير لان بعض اعضاء هيئة تحريرها زاروا بيروت وعمان مؤخرا لحضور مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين . من جهة اخرى ، استجابت «جارديان» للنضال الفلسطيني بطريقة « موضوعية » ناشرة كمية كبيرة من المعلومات ولكن بغير كبير حماس. تعمل الجريدتان انطلاقا مما كان أساسا قائمة بريدية واحدة، على الرغم من ان القائمة البريدية لكل من الصحيفتين أصبحت مختلفة عن الاخرى بعد الانشقاق . ومن الصعب بعض الشيء تقدير جمهور الصحيفتين ، ولكننا نستطيع ان نقدره دون مجانبة الصواب بـ ٣٠٠ — ٤٠٠ الف . ولقد كانت هيئة ليبريتد جارديان ، بسبب من اختلاف درجة حماسها عن درجة حماس جارديان ، نشيطة خارج الحقل الصحافي ، فاقامت مؤخرا معرضا للملصقات السياسية الفلسطينية .

ب — **الحزب الشيوعي** : يعاني الحزب الشيوعي من مرضين اولهما قمع الحكومة الشديد له في الخمسينات وثانيهما استمرار اعتماده على الاتحاد السوفياتي في تقرير خطه السياسي . ولذا فانه لم يظهر على المسرح السياسي الاميركي كقوة سياسية محتملة الا في السنوات الثلاث او الاربع الاخيرة (ويعود ظهوره هذا بدرجة كبيرة الى نشاطاته التنظيمية في الحركة المعادية للحرب . ويقدر الحزب الشيوعي ان منظمة الشبيبة التابعة له ، عصبة تحرير العمال الشباب ، تضم خمسين الفا) . بيد أن الحزب الشيوعي يلتزم في موقفه من الشرق الاوسط التزاما كاملا بالسياسة السوفياتية . فقد نشرت ديلي وورلد ، وهي الصحيفة الجماهيرية للحزب ، مقالات تنتقد سياسات اسرائيلية مختلفة ، لكنها تلتزم بسياسة ان اسرائيل يجب أن تبقى (في حدود تقسيم ١٩٤٧). بدأ الحزب الشيوعي بسبب من تزايد تبنيه لتحرير السود في الولايات المتحدة يجتذب اعدادا كبيرة من الشباب السود ، وقد يساعد هذا الاتجاه في تغيير بعض من قيادة الحزب وسياسته المتحجرة . كثيرا ما توزع ديلي وورلد مجانا في المناطق العمالية والمناطق السوداء ، ولكن لا يبدو انها تمارس تأثيرا كبيرا كجريدة ، ومن الصعب تقدير حجم جمهورها بسبب توزيعها المجاني ، ولكن يمكن ان يخمن المرء ان عدد الناس الذين يتأثرون بسياسة الحزب الشيوعي بالنسبة للمسائل الخارجية أقل من مئة الف ، ويتألف هذا الجمهور بصورة رئيسية من اليساريين القدامى ومن عدد متزايد من السود في المدن .

جـ — **التروتسكيون** : هناك كما في انحاء اخرى من العالم جماعات مختلفة تسمي نفسها تروتسكية وذلك بسبب تفتت الاممية الرابعة التروتسكية . واكبر هذه الجماعات هي « حزب العمال الاشتراكي » الذي يتضمن « تحالف الاشتراكيين الشباب » والذي يمارس تأثيرا كبيرا على « لجنة تعبئة الطلبة ». ينشر حزب العمال الاشتراكي مجلة اسبوعية ميليتانت ، وهو كذلك مسؤول عن نشر انترناشيونال سوشاليست وهي مجلة شهرية تحليلية ، وايضا انتركونتننتال برس وهي مجلة اسبوعية اخبارية عالمية أساسا . اعضاء حزب العمال الاشتراكي (ومن ينتمون الى المنظمتين المذكورتين اعلاه او يتأثرون بهما) شباب بصورة غالبة ، ينتمون في اصولهم الى الطبقة الوسطى ويجندون في الغالب من الجامعات . قد يكون عدد الذين تؤثر عليهم سياسات حزب العمال الاشتراكي مئات الاف ولربما وصل الى مليون . ولا شك ان عددا أكبر من ذلك بكثير يتأثر بنشاطات لجنة تعبئة الطلبة التي ليس لها ارتباط ايديولوجي واضح والتي تعمل كتحالف لقوى مناهضة للحرب. اتخذ هذا انقطاع من الحركة التروتسكية في صحافته خطا سياسيا يقضي بتأييد النضال الفلسطيني دون تحفظ ما دام هذا النضال نضالا معاديا للامبريالية . ولا تفضل هذه الصحافة منظمة فلسطينية على اخرى ، وفيها قدر كبير من التحليل ولكن دون أي نقد للهدف الفلسطيني او الاستراتيجية الفلسطينية. وقد عالجت انتركونتننتال برس بوصفها مجلة اخبارية عالمية احداث العالم العربي بالعلاقة مع الفلسطينيين ، ومصدر الكثير من اخبارها مقابلات مع الفلسطينيين ومصادر في الصحافة الاوروبية . وتعتمد ميليتانت اعتمادا كبيرا على انتركونتننتال برس في اخبارها ، لكن عددا من مقالاتها ظهر بصورة مستقلة لان عددا من اعضاء حزب العمال الاشتراكي زار المنطقة . وبالاضافة الى عدد كبير من المحاضرات والنقاشات حول النضال الفلسطيني ، ارسل حزب العمال

الاشتراكي عددا من اعضائه في رحلات على امتداد الولايات المتحدة للحديث عن النضال الفلسطيني مستخدمين شبكة فروع تحالف الشباب الاشتراكي للوصول الى عدد كبير من الناس . وهناك جماعة تروتسكية اخرى هي عصبة العمال ولها صحيفة اسبوعية اسمها بوليتين وهي تدعم النضال الفلسطيني ولكنها نشرت نقدا حادا بعض الشيء لبعض قادته وبعض استراتيجياته وتكتيكاته .وهذه الجماعة صغيرة الحجم ربما يبلغ عدد اعضائها بضعة الاف وهي اكثر اهتماما بالمسائل النظرية فيما يتعلق بالفلسطينيين ، وتأثيرها على اليسار غير ذي بال . وهناك اتجاه تروتسكي ثالث هو المؤتمر الوطني للجان العمالية وهو مثل عصبة العمال يوجد فقط في المدن الكبيرة في الشمال الشرقي من ميشيغان الى واشنطن . وهذه الجماعة ليست كبيرة وتؤثر على بضعة الاف فقط على الاكثر ، وقد حللت النضال الفلسطيني في صحيفتها كامبينر من منظور اشتراكي منتهية الى أن الحركة الفلسطينية طليعة التغيير الاشتراكي في الشرق الاوسط كله . ولكن هذه الصحيفة ليست مقروءة خارج اعضاء هذه الجماعة لسوء الحظ .

د ــ **الشيوعيــون المستقلون** : حــزب عالــم العمال ــ على الرغم من أن حزب عالم العمــال محصور جغرافيا وعدديا ، الا انه لعب دورا بالغ الاهمية في لفت انتباه اليســار الــى المسألة الفلسطينية . فقد تمكن من الوصول الى عدد كبير من الناس الذين ليست لهم ارتباطات حزبية وذلك عبر نشاطات منظمة الشبيبة التابعة له وهــي الشبيبة ضد الحرب والفاشية وعبــر منشورات ونشاطات لجنة دعم تحرير الشرق الاوسط التابعة له . وقد كانت منظمة الشبيبة ناشطة جدا فــي القيام بتظاهرات لدعم الفلسطينيين ابتداء مــن التظاهرة التي قامت بها في الامم المتحدة خلال حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ويبلغ عدد حزب عالم العمال بالاضافة الى منظمة الشبيبة التابعة له قرابة ٥ ــ ٧ الاف ، ولكن نضاليته وفعاليته كثيرا ما مكنتاه من السيطرة على تظاهرات لم يدع هو اليها . ويقوم دعم الحزب للفلسطينيين على أساس ان نضالهم ضد اسرائيل نضال معــاد للامبريالية بالضرورة وان هذا النضال يجب ان يدعم طالما ظل معاديا للامبريالية عن وعي . وينظر الحزب الى التناقض الرئيسي في الشرق الاوسط علــى أنه تناقض امبريالي اما التناقضات بين اسرائيل والدول العربية الرجعية فثانوية على الرغم من انها احيانا تصبح اكثر عدائية من التناقض الاولي . وقد قام الحزب في صحيفته الاسبوعية « عالم العمال » وفي النشرة الاخبارية التي تصدر عن لجنة دعم الشرق الاوسط بتغطية واسعة للفلسطينيين مؤكدا علــى الاوجه السياسية والاجتماعية لنضالهم في مقابل الوجه العسكري .

هـ ــ **الماويون** : ان الجماعات التي يمكن اعتبارها ماوية صغير في معظمها ولا تستحوذ الا على قدر ضئيل من الاهتمام في اوساط الشباب الراديكالي ، وهي غير فعالة على وجه العموم ، وهناك عدد كبير منها . ولكن على الرغم من أن هذه الجماعات جميعا تدعم النضال الفلسطيني ، الا أن أيا من صحفها لم يحاول أن يعطي قدرا كبيرا من المعلومات او التحليل ، بل تستعيض هذه الصحف عن ذلك بالمديح وعبارات الدعم . ومن هنا وعلى الرغم من أن هذه الصحف لا تصــل الا جمهورا صغــيرا (الطلاب الراديكاليون) ، فانها لا تقدم ذلك النوع من المعلومات الذي قــد يساعد الناس على فهم الصراع في الشرق الاوسط . ولغة هذه الصحف حادة في معظمها ، وهي ليست شعبية بسبب من دوغمائيتها .

و ــ **اليسار المتطرف ، الشباب المعادي للمثقفين** : لعل أفضل من يمثل هذا القطاع هو حزب الشباب العالمي (اليبيبون) ، ولهذا القطاع من اليسار في الواقع نقاط لقاء مشتركة كثيرة مع الطرف الاخر من الطيف السياسي ، اليمين الليبرتاري . يضم هذا القطاع أعدادا كبيرة من الشباب الذين قاموا بكثير من تظاهرات الاعوام القليلة الماضية ، وهو تجمع غير ايديولوجي لشباب تخلوا عن المجتمع القائم ليسعوا الى « الثورة » عبر ممارسة الحرية الشخصية ممارسة لا يقيدها شيء . ولقد أشار الناطقان الرئيسيان باسم هذا القطاع، آبي هوفمان وجري روبن ، كثيرا الى أن طبيعة الثورة يجب ان تكون ثقافية ، فيضع الشباب المستلب ثقافــة مضادة لثقافة باقي العالم . يشير هذا القطاع من اليسار الى الثورة الفلسطينية ، حين يشير اليها ، في سيــاق رومانتيكي هو سياق رجــل العصابات. وليس لهذا القطاع بنية ممركزة وبالتالي ليس له صحيفة مركزية ، ولكن يمثله عدد كبير من الصحف السرية الصغيرة ذات التوجه المعادي للفكر والمعادي للايديولوجيا ، وهذا موقف يجعل هذا القطاع يصطدم بباقي اليسار . وتأثير هذا القطاع

آخذ في التضاؤل باستمرار .

ز ــ آخرون : هناك عدد آخر من المنظمات والتجمعات التي يمكن أن توصف حقا بأنها يسارية، ولكننا تعرضنا لكل الاتجاهات الهامة ، أما الجماعات الباقية فهي قليلة العدد ضئيلة الاثر . هكذا أهملنا اليسار المسيحي (العمال الكاثوليك) والحزب الاشتراكي وحزب العمل الاشتراكي وكثير غيرها . ولم يبدأ معظم هذه الجماعات في الاهتمام بالشرق الاوسط الا حديثا جدا . أما الجماعات الاقدم فقد فقدت الحمية الثورية التي طبعت سنواتها الاولى وأصبحت ليبرالية أكثر منها اشتراكية . وليس لهذه الجماعات بمجموعها أي أثر على حركة اليسار كما توجد في الولايات المتحدة اليوم .

٤ ــ الاقليات غير البيضاء

أ ــ السود : ١ ــ الجماعات الراسخة : يقع ضمن هذه الفئة جماعات قائمة وثابتة منذ أمد مثل الرابطة القومية لتقدم الملونين والعصبة المدنية ومؤتمر المساواة العرقية وجماعاتأحدث لها النظرة ذاتها . تتوجه هذه الجماعات اساسا الى الطبقة الوسطى السوداء الصغيرة ولكن النامية . ولا تزال وجهة نظر هذه الجماعات هي تحقيق الحقوق المدنية طبقا لبنود الدستور الامبركي ، وهي تعتبر السود القلائل الذين وصلوا الى موقع له بعض اهمية او يحظون فيه ببعض احترام نموذجا لها . وهذه الجماعات أكثر شعبية في الجنوب ، وذلك لان الراديكالية التي اجتاحت القطاعات السوداء في الشمال لم تكمل اجتياحها للجنوب الزراعي بعد . وقد يبلغ عدد من تصل اليهم هذه الجماعات أكثر من مليون . تقف هذه الجماعات بلا استثناء موقف الدعم لاسرائيل ، وقد وقع كثير من قادتها المرموقين اعلانات عامة تدعو الى استمرار دعم الولايات المتحدة لاسرائيل . وقد أخذت أهمية هذه الجماعات في الاوساط السوداء تتضاءل لانها لم تستطع أن تتقدم أبعد من المكاسب التي أحرزت في المرحلة التي كان فيها تحرير السود يعني ببساطة مسألة الحقوق المدنية .

٢ ــ الجماعات اليسارية : توجد ضمن هذه الفئة جميع المنظمات المناضلة السوداء . وهي جميعا تعاضد الفلسطينيين بصورة ثابتة مستمرة ناظرة الى النضال الفلسطيني كجزء من نضال العالم الثالث للتحرر من الامبريالية الامبركية . تتمثل ضمن هذه الفئة القطاعات المختلفة من الجالية السوداء: البروليتاريا السوداء (حزب الفهود السود) ، العمال السود (العصبة الثورية للعمال السود)، الطلبة والمثقفون السود (لجنة التنسيق القومي الطالبية) ، القوميون السود (المسلمون السود ، جمهورية افريقيا الجديدة) ، المثقفون السود من اتجاهات سياسية مختلفة (لجنة الامبركيين السود من أجل الحقيقة عن الشرق الاوسط) . كانت هذه الجماعات السوداء بين اول من تبنى النضال الفلسطيني ونشر معلومات عنه في اوساطها ، وقد غطت جميع نشراتها النضال الفلسطيني تغطية واسعة واتسمت هذه التغطية بغياب اللاسامية (على الرغم من ان هذه الجماعات هوجمت بتهمة اللاسامية) . قد يصل عدد هذه الجماعات الى أكثر من مليون ، ولكن تأثيرها كمجموعة يزداد بازدياد راديكالية الجاليات السوداء وازدياد خيبة أملها بالقيادات القديمة .

ب ــ آخرون : معظم منظمات الاقليات غير البيضاء الاخرى أحدث عهدا على المسرح السياسي ، ولذا فانها لم تصبح بعد ذات صوت هام مسموع في جالياتها المختلفة ، على الرغم من أن هذا الوضع يتغير بسرعة . وقد اشتركت هذه المنظمات جميعا في بعض النشاطات التي تدور حول الفلسطينيين ، كما عبرت، جميعها تقريبا، عن دعمها للفلسطينيين، تضامنا منها مع ما ترى انه جزء من نضال العالم الثالث الذي هو نضالها . تتضمن هذه الاقليات البورتريكيين والشيكانوس والصينيين . وتأثير المنظمات التي تعمل بين هذهالاقليات ليس محسوسا حقا لانها جميعا جديدة جدا ، ولكن هناك ما يدعو الى الاعتقاد أنها ستزيد من انتشار الراديكالية المتعاظمة في جالياتها ، ويتوقع أن يؤدي ذلك الى دعم متزايد من جانب هذه الجاليات للفلسطينيين.

هـ ــ وسائط الاعلام ــ الجرائد

ان تحيز وسائط الاعلام الامبركية لاسرائيل معروف جيدا . ولذا فقد يبدو أن هذا الجزء من التقرير غير ضروري . بيد اننا نشعر أن من الضروري أن نفهم أن هناك طيفا سياسيا بين وسائط الاعلام . ولهذا السبب ، سنقدم تلخيصا موجزا للاتجاهات الرئيسية . تعطي صحف نيويورك صورة دقيقة لهذا الطيف من جريدة فيلج فويس الليبرالية الى ديلي نيوز المحافظة . وتعتقد هذه الصحف جميعا أنه تجب المحافظة على المصالح الامبركية في الشرق الاوسط وحمايتها وأنه يجب أن تشن المعركة الاستراتيجية ضد الشيوعية . ومن هاتين الحجتين

كل على حدة ، تستنتج هذه الصحف نتيجة واحدة هي دعم اسرائيل . ولم يثر في الفترة الاخيرة اي تساؤل حول هذا الدعم اطلاقـا . فيلج فويس صحيفة اسبوعية كانت تعتبر راديكالية في وقت من الاوقات ويقرأها اساسا الليبراليون « الاذكياء ». وتتألف مادتها من تحليل ومعالجة عميقة عوضا عن ايراد الاخبار بصورة مباشرة ، وقد نشرت فيلج فويس احيانا مقالات عن الشرق الاوسط تبحث وجهات نظر معارضة . بيد أنها لم تقم ابدا بتغطية وجهة النظر الفلسطينية تغطية جدية ، في الوقت الذي تحبذ فيه الآراء الاسرائيلية كثيرا . أمـا نيويورك تايمس فهي أقل ليبرالية، وتغطيتها للشرق الاوسط تعتمد الى حد غالب تماما على مصادر داخل اسرائيل . وقد استخدمت التايمس كـل الحيل الصحفية في وصف صراع الشرق الاوسط ، فهي على الدوام تنقل الجانب العربي بلهجة تقرب من الاحتقار وتصـور العرب معتدين عدوانيـين متخلفين الخ. أمـا الاسرائيليون فيعطون صورة براقة جدا . وبرغم ان التايمس تدعي الموضوعية والتوازن الا أنها في الواقع آحادية النظرة وموالية لاسرائيل .

نيويورك بوست أقل ليبرالية من سابقتيها ، وهي جريدة مسائية تنقل الاخبار في مقالات قصيرة وتورد كمية كبيرة من التحليلات تكتبهـا بانتظام هيئـة تحريرها . وبما أن معظم اعضاء هيئة التحرير محافظون ، فانها لم تنشر عمليا أي شيء محبـذ للفلسطينيين وهي متعاطفـة مع وجهـة النظـر الاسرائيلية الى حـد بعيد . تقرأ هذه الجـريدة لتغطيتها المكثفة للاحداث اليومية اكثر ممـا تقرأ لتحليلاتها . وعلى يمـين الطيف السياسي تقف نيويورك ديلي نيوز وتسيطر عليها فلسفة العـداء للشيوعية التي قادتها الى الدفاع عن اسرائيل دفاعا مبسطا ساذجا جدا ومهاجمة العرب هجوما محموما . وهي صحيفة مصغرة تصدر عدة طبعات يوميا ، وتقرأ اساسا في أوساط الطبقة العاملة لا لخطها الايديولوجي ، على ما نظن ، بل لمحتواها المثير ولانها مزدانة بالصور . أمـا فيلج فويس ونيويورك تايمس فتقرآن في اوساط الطبقة الوسطى والانتلجنسيا ، بينما يقرأ نيويورك بوست أناس ينتمون الى الطبقتين الوسطى والعاملة . اننا نعتقد أن كل الصحف الاميركية تندرج في الفئات التـي عرضناها ، عدا بعض استثناءات قليلة (ابرزها كريستيان ساينس مونيتـور التي اقتربت أكثر ما يكون في الولايات المتحدة اليوم من النهج الصحافي المتوازن) . وبصورة مشابهة يمكن النظر الى محطات الراديو والتلفزيون على امتداد القطر من المنظور ذاته . هكذا فان طيف الصحافة الاميركية يحتوي على جناح يميني وعلى وسط معتدل وعلى جناح ليبرالي ، مع الغيـاب الواضح لجنـاح يساري . فليس في الاعلام الاميركي يسار (عدا بعض الصحف اليسارية غير الراسخة) .

٦ ـ استنتاجات

أمكننا على أساس هذا التقرير المحدود نوعا ما أن نصل الى نتائج محددة تتعلق بطبيعة الدعم الذي تتلقاه القضية الفلسطينية والذي يتوقع أن تلقاه ما دامت تلتزم بهدفها المعلن ، وهو اقامة دولة ديمقراطية علمانية . يمكن أن يستغنى عن الدعم من اليمين ، لانه يؤدي الى نتائج عكسية اذ يجعل الحركة عرضـة (بشكل مبرر) للاتهام باللاسامية . فهذا الدعم عرقي في جوهره ، ولا يدل على دعم حقيقي للفلسطينيين قدر مـا يدل على كراهية لليهود . أما الدعم الذي يقدم وسط الطيف السياسي ، وان وجد هذا الدعم ، فيتخذ شكلين : الدعم الذي يقوم على موقف اخلاقي، والدعم الذي يقوم على الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي . وبينما يلعب الدعم الاخلاقي بعض الدور في تقديم المسألة الفلسطينية ، الا أنه ، لسوء الحظ ، لا ثقل له في المستويات العليا حيث تصاغ السياسة الاميركية . أما النوع الآخر القائم على المصالح الاميركية فغير واقعي لسوء الحظ اذ أنه لا يدرك أن المقاومة الفلسطينية تتوجه في النهاية ضد هذه المصالح ذاتها . يظل الدعم الذي يقدمه اليسار صحيحا تحليليا في معظمه . وعلى الرغم من أن اليسار لا يملك حتى الان قاعدة هامة خارج نطاق الطلبة والمثقفين بالاضافة الى الدعم المتزايد الذي يحظى به في أوساط الاقليات غير البيضاء ، الا انه يمكن ان يصبح مصدرا لدعم حقيقي فعال في المستقبل . ولذا فاننا نشعر أن التركيز يجب أن يوجه الى اليسار والاقليات غير البيضاء ، في الوقت الذي لا نستثني فيه أي قطاع من السكان (عدا اليمين) ، وذلك طالما بقيت صحف الوسط مغلقة بفعل التحيز الصهيوني (وهي ستبقى كذلك في المستقبل المنظور) .

مراسلنا في الولايات المتحدة

(٥) بلجيكا : مؤتمر بروكسل ويهود الاتحاد السوفياتي

ما بين ٢٣ و٢٥ شباط (فبراير) الماضي ، عقدت وفود صهيونية تنتمي الى ما يقارب الاربعين دولة مؤتمرا حافلا في العاصمة البلجيكية بهدف « الضغط على الاتحاد السوفياتي لاخلاء سبيل يهوده الراغبين في الهجرة الى اسرائيل » . وقد اعتمد المنظمون اعطاء هذا المؤتمر طابعا علنيا صاخبا لاعتقادهم بأن « الاسلوب الوحيد الناجع لانجاح الضغط هو خلق تيار عالمي قوي حول وضع اليهود السوفيات » . ولذا توافد على قصر المؤتمرات في بروكسل اكثر من سبعمئة مندوب عن منظمات او مجموعات صهيونية بينهم اكثر من علم من أعلام هذه الحركة العالمية ، وعلى رأسهم دافيد بن غوريون ومناحم بيجن وكبير حاخامي فرنسا جاكوب كابلان بالاضافة الى أرثر غولدبرغ (المندوب السابق للولايات المتحدة في الامم المتحدة) والكاتب الامريكي شاؤول بيلو والمخرج السينمائي اوتو بريمنجر .

وقد صادف يوم افتتاح المؤتمر عيد الجيش الاحمر السوفياتي مما اعتبره الحكام السوفيات امعانا في الاستفزاز ، فقام السفير السوفياتي في بروكسل بأكثر من احتجاج لدى الحكومة البلجيكية (جريدة « لا بلجيك ليبر » أي بلجيكا الحرة عدد ٢٢/٢/١٩٧١) . كما أوفدت الحكومة السوفياتية الى بروكسل مندوبين عن يهود الاتحاد السوفياتي المناوئين للصهيونيين ليقوموا بحملة مضادة اثناء انعقاد المؤتمر هم : الجنرال دافيد دراغونسكي، الحقوقي زيفس ، ونائب السوفيات الاعلى فلاديمير بيلر ، والكاتب الكولونيل هنريك هوفمان . وعشية انعقاد المؤتمر قام هؤلاء بتنظيم مؤتمر صحفي نددوا فيه بالاستفزازات الصهيونية ضد الاتحاد السوفياتي ، وعبروا عن رايهم بأن عقد هذا المؤتمر يستهدف منه « تحويل انظار العالم عن جرائم اسرائيل ورفضها للسلام في الشرق الاوسط » .

وكانت بعض الصحف قد اشارت الى ان ناحوم غولدمان نفسه ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي صرح في حديث له في زيورخ بأن وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي قد أظهر بشكل درامي ومضخم. (لوموند ٢٣/٢/١٩٧١) . ولكن الاخير اضطر أمام تهجمات منظمي المؤتمر الذين وصفوه بأنه « رجل منعزل يحب التصريحات المدوية ، وان التاريخ لا بد أن يحاكمه » (لا بلجيك ليبر ٢٣/٢) اضطر ان ينفي هذا النبأ ويعلن تضامنه المطلق مع المؤتمر واهدافه (جريدة لوسوار ، اي المساء عدد ٢٥/٢) .

وافتتح المؤتمر بتلاوة رسالة من جولدا مئير اكدت فيها «أن المؤتمر سيقوي وحدة الشعب اليهودي». ثم قام بعض الموفدين بالقاء كلماتهم وبينهم ثلاثة مهاجرين يهود من اصل سوفياتي احدهم الضابط غريشا فايغين الذي ادعى انه حصل على لقب بطل الاتحاد السوفياتي مرتين (وقد شكك الجنرال دراغونسكي في صحة هذا الادعاء) . وفي اليوم التالي ألقيت « دراسات » اخرى حول وضع اليهود السوفيات من قبل الاساتذة اتنغر الاسرائيلي ومورغنتاو الامريكي وستينغ الفرنسي ثم انقسم المؤتمر الى خمس لجان لبحث كيفية التحرك : في الاوساط الحكومية والبرلمانية ، على الصعيد القانوني ، تجاه المؤسسات غير الحكومية ، في استغلال كافة وسائل الاعلام ، وفي اوساط الشباب والمثقفين . (لا بلجيك ليبر ٢٥/٢) . وفي نفس اليوم حاول الحاخام مئير كاهان رئيس عصبة الدفاع اليهودية الامريكية وبطل الاعتداءات في نيويورك على المؤسسات السوفياتية والعربية ، حاول الدخول الى قاعة المؤتمر ، ولكن رئاسة المؤتمر منعته وطلبت من سلطات الامن البلجيكية التصرف ، فقامت باعتقاله ثم استبعاده . وقد ادى هذا الحادث الى بلبلة جو المؤتمر ، اذ احتج عدد من انصار كاهان بشدة على طرده بينهم المخرج اوتو بريمنجر (مخرج فيلم اكسودس) الذي اتهم سكرتارية المؤتمر باتباع اساليب نازية ، ومناحيم بيجن الذي احتج على اضطهاد اليهود ليهود مثلهم. كما قام اعوان كاهان وخاصة المحامي الامريكي برتراند زوبيون بالتنديد بهزالة المؤتمر واعتبروه « تبذيرا للمال اليهودي » اذ لم يتخذ قرارات حاسمة وعملية . كما اعلنوا عن عزم الحاخام كاهان على بناء شبكة عالمية للقيام بعمليات عنف اذا اقتضى الامر . وحددوا برنامجهم كالتالي :

١) مطالبة جميع الحكومات بالتوقف عن كل محادثات

مع الاتحاد السوفياتي حتى يوافق على اخلاء سبيل اليهود . [والمقصود أساسا هو الحكومة الامريكية] . ٢) المقاطعة الاقتصادية للاتحاد السوفياتي . ٣) توقف التبادل السياحي . ٤) رفض مشاركة الاتحاد السوفياتي في الالعاب الاولمبية . ٥) اعلان العصيان السلمي للضغط على الحكومات للتخفيف من علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي . ٦) توقف كل العلاقات الثقافية . ٧) مضايقة المؤسسات والاشخاص السوفيات في الخارج . ٨) تفهم اكبر من قبل الطوائف اليهودية لاعمال العنف . ٩) بناء علاقات مع كل المنظمات والاحزاب المعادية للاتحاد السوفياتي في العالم . ١٠) اعتبار مشكلة اليهود الروس في قلب كل برنامج تربوي يهودي . (نقلا عن لا بلجيك ليبر ٢/٢٦).

وفينفس اليوم أقامفرعا الاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد العام لعمال فلسطين في بلجيكا بالاشتراك مع لجنتي نصرة فلسطين (لجنة فلسطين الوطنية ، ولجنة التضامن مع المقاومة الفلسطينية والشعوب العربية) مؤتمرا صحافيا علقوا فيه على عقد المؤتمر الصهيوني واعادوا الى الاذهان تاريخ الصهيونية الحافل بالجرائم والتحالفات اللاأخلاقية (حتى مع النازيين انفسهم) . كما اشاروا الى التحالف الموضوعي بين الصهيونية واللاسامية في التفرقة بين اليهودي وغير اليهودي ، وشددوا على ان المشكلة ليست في الاتحاد السوفياتي بقدر ما هي في الشرق الاوسط حيث اغتصبت حقوق شعب بأكمله . وشرح المحاضرون أوضاع الشعب والثورة الفلسطينية وأهدافهما في بناء المجتمع الفلسطيني الديموقراطي على أرض فلسطين . وقد كان لهذا المؤتمر صدى في معظم الصحف البلجيكية التي أعطته اهتماما كبيرا (لاسيته ٢/٢٥ ، لوسوار ٢/٢٥ ، لادرنيير اور ٢/٢٥) .

وفي اليوم الاخير من المؤتمر ، تكلم مناحم بيجن مجددا تضامنه مع كاهان، مما دعا بعض الحاضرين الى الاحتجاج بعنف مكررين كلمة « العار » باللغات الانكليزية والفرنسية والروسية والعبرية ، وكانت هذه آخر مظاهرات المؤتمر ، الذي أنهى أعماله باعلان نداء بروكسل وسماع كلمة بن غوريون الذي تغيب عن معظم اعمال المؤتمر لاسباب صحية . وقد اعرب بن غوريون عن ثقته « بأن الاتحاد السوفياتي سيتأثر حتما بما قيل في المؤتمر » . وقد نشر النص الكامل لنداء بروكسل في جريدة لا بلجيك ليبر (٢/٢٦) وجاء فيه « نحن مندوبو جميع الطوائف اليهودية في العالم ، المجتمعون في هذا المؤتمر ، نعلن تضامننا مع اخوتنا يهود الاتحاد السوفياتي . نحن معهم في كفاحهم البطولي من اجل الابقاء على شخصيتهم القومية وحقهم المطلق في العودة الى وطنهم التاريخي ، اسرائيل . ننده هنا بسياسة الحكومة السوفياتية التي تستهدف القضاء على التراث الثقافي والديني اليهودي ، خارقة بذلك الدستور السوفياتي والاعلان العالمي لحقوق الانسان . نؤكد كذلك على ان محاولة السلطات السوفياتية الفصل بين يهود الاتحاد السوفياتي ويهود العالم الاخرين هي اجحاف غير مقبول . »

أبعاد المظاهرة : قبل كل شيء وكما قال احد اعضاء الوفد السوفياتي اليهودي المناوىء للصهيونية ، « المؤتمر ليس يهوديا وانما صهيوني » ، وهذا بالنسبة لنا من البدهيات ولكنه صلب الموضوع . ذلك ان الصهيونية ، وقاعدتها العسكرية اسرائيل، قوة عالمية منظمة ذات طبيعة محددة واهداف مترابطة ، على الاقل موضوعيا — وليست حركة عفوية عشوائية لا تطمح الا الى جمع يهود العالم والدفاع عنهم . الصهيونية ، منذ نشوئها ، طرف في الصراع العالمي بين قوى الاستغلال والجماهير المضطهدة (بفتح الهاء) والمستغلة (بفتح الغين). وهي ودولتها التي تعتمد على أموال الرأسمالية اليهودية (الامريكية خاصة) وغير اليهودية وعلى اساطيل وطائرات امريكا ، طرف في الصراع العالمي بين ما يسمى بالامبريالية وشعوب العالم . وهي بالذات طرف في الصراع القائم في الشرق الاوسط بين الامبريالية والشعوب العربية وخاصة شعب فلسطين . فما الذي كانت تستهدفه الحركة الصهيونية من وراء مؤتمر بروكسل وبشكل أعم من وراء الحملة الشاملة حول وضع اليهود السوفيات ؟ نستطيع ان نلخص هذه الاهداف تحت بابين : الاول باب الوضع الداخلي الاسرائيلي ، والثاني باب ما يسمى « بالسياسة العالمية حول قضية الشرق الاوسط » .

بالنسبة للوضع الداخلي ، فمما لا شك فيه ، وهذا هو الهدف المعلن ، ان الصهيونية ترغب في دفع اليهود السوفيات ويهود اوروبا الشرقية عامة للهجرة الى فلسطين المحتلة . وليس اختيار هذه الطائفة صدفة ، ذلك ان اليهود السوفيات ، خلاف

يهود الدول الغربية ، يهود « غير منتجين » من وجهة نظر الصهاينة . فهم لا يجمعون الاموال لدعم الاقتصاد الاسرائيلي من جهة ولا يشكلون ، كطائفة ، كتلة ضاغطة داخل الاتحاد السوفياتي لصالح اسرائيل (كما هو الحال بالنسبة للطائفة اليهودية الامريكية) من جهة اخرى . الى جانب ذلك ، ترى المجموعة الحاكمة في اسرائيل — التي يشكل اليهود الاشكناز (اي من اصل اوروبي او امريكي بشكل تقريبي) غالبيتها العظمى — ضرورة الابقاء على الطابع الغربي لاسرائيل المهددة بعد توافد اليهود الشرقيين (من الدول الاسيوية والافريقية خاصة) بالتحول الى دولة شرقية . (وقد صرح بن غوريون ودايان مرارا تصريحات بهذا المعنى) . ويهود أوروبا الشرقية هم من الاشكناز ، وبالاضافة الى ذلك معظم المهاجرين منهم هم ممن يسمون بالكوادر العلمية (أي علماء واطباء ومهندسين الخ) الذين لا يجدون في المجتمع السوفياتي مجالا واسعا لتحقيق تطلعاتهم البورجوازية ، بينما يهود آسيا وافريقيا اغلبهم من « عديمي الكفاءة » وينتمون في احسن الاحوال الى طبقة الحرفيين والتجار الصغار . وهذا لا يعني بالطبع ان ليس بين مهاجري اوروبا الشرقية الحاليين يهود متدينون او متعلقون لاسباب عاطفية او عائلية بأرض فلسطين ، ولكنهم (والاحصائيات الاسرائيلية نفسها تؤكد ذلك) لا يشكلون الاغلبية . لكل هذه الاسباب ، لحاجتها لجنود آخرين في حربها ضد العرب واستعمار اراضيهم ولحاجتها لكفاءات علمية لتطوير صناعة وحربية اسرائيل على أمل استعمار العالم العربي اقتصاديا في يوم ما بعد فرض حلول استسلامية بالقوة عليه ، ترى اسرائيل والصهيونية ضرورة الضغط لتهجير اليهود السوفيات من بلادهم الاصلية الى ارض فلسطين .

اما فيما يتعلق بما يسمى « السياسة العالمية » في الشرق الاوسط ، تعتبر الصهيونية واسرائيلها الاتحاد السوفياتي طرفا في النزاع بينها وبين الامة العربية ، من خلال الدعم المادي والسياسي الذي يقدمه للجمهورية العربية المتحدة خاصة . وكمعظم الاطراف في هذا النزاع من انصار « الحل السياسي » ، تستعمل كل ما لديها من وسائل ضغط سياسية ضد مناوئيها . [مع الفارق بالطبع انها وحليفتها امريكا حاليا ، في موضع قوة على ارض المعركة] . وقضية اليهود السوفيات هي احدى وسائل ضغطها الرئيسية على الاتحاد السوفياتي، علما بأن لحليفتها الكبرى وسائل ضغط اخرى . وتعود فعالية هذا الضغط الى حساسية الحكام السوفيات بالنسبة للراي العام الغربي خاصة فيما يتعلق بالمشكلة اليهودية واتهامه باللاسامية ، علما بأنه يعتبر المشكلة محلولة مبدئيا في ظل علاقات الانتاج الاشتراكية . والواقع ان مشكلة كالمشكلة اليهودية ذات جذور تاريخية واجتماعية عميقة تعود الى عدة قرون ، وفي روسيا القيصرية واوروبا الشرقية بالذات وجدت في نهاية القرن الماضي ظروف قمع واضطهاد بشعة . مشكلة كهذه تحتاج لحلها الى توفر ظروف موضوعية (بناء المجتمع الاشتراكي السليم) وذاتية (القضاء على العنصرية اللاسامية وردود الفعل الانطوائية التي تواجهها عند اليهود) ، وهذه مهمة أجيال ، ولا تخلو محاولات انجازها من مد وجزر . المهم اذا هو ان قضية اليهود السوفيات هي احدى الورقات الضاغطة في يد اسرائيل في « لعبة الامم » التي تدور حول قضية فلسطين . وورقة ضغط الى جانب القوة العسكرية واحتلال الاراضي تجاه الدول العربية ، الى جانب الوزن الاقتصادي والانتخابي للطائفة اليهودية الامريكية تجاه الولايات المتحدة وأوراق ضغط أخرى بالطبع متفاوتة الاهمية والفعالية .

هناك ملاحظة اخرى حول التناقضات التي برزت داخل المؤتمر الصهيوني والتي تعكس احدى التناقضات الرئيسية داخل المعسكر الصهيوني : وهو التناقض بين الفئة اليمينية المتطرفة التي طالبت باستعمال كافة وسائل الضغط بما في ذلك العنف (والتي مثلها في المؤتمر الحاخام كاهان ومناحيم بيجن ، ويمثلها في اسرائيل جماعة بيجن — كتلة جاحل — والوسط الحر وانصار الحفاظ على الاراضي المحتلة كلها) وبين الفئة التي تتظاهر بالاعتدال (ومثلتها اغلبية المؤتمر مسنودة من حكام اسرائيل وقادة الحركة الصهيونية). هذا التناقض، ولو انه ثانوي في اطار حركة استيطانية رجعية متحالفة مع الامبريالية في مجملها ، الا انه حقيقي. الرؤيا التبسيطية للحركة الصهيونية التي تصورها على انها حركة متكاملة متناسقة واخطبوط عالمي يعمل بتخطيط ودقة في كل المجالات وحتى في دقائق الامور ، ويحدد لكل فئة من فئاته دورا تلعبه في اطار المخطط العام ، هذه الرؤيا لا تعكس الا رفض

التحليل العلمي لطبيعة العدو . معسكر العدو سواء أكان العدو الصهيوني او الامبريالية العالمية له تناقضاته وتياراته المختلفة والمتعددة النزوات في اطار الطبيعة الموضوعية العامة لهذا المعسكر . وفي صفوف العدو الصهيوني تناقضات لها تفسيرها ودورها في مجمل مواقفه . التيار الاول، في التناقض الذي أشرنا له ، وهو تيار اقصى اليمين في الحركة الصهيونية له رؤيا استعمارية شوفينية محضة ، ولا يطرح الامور الا في هذا الاطار الضيق — اي تحقيق الدولة الاسرائيلية الواسعة وفرض وجودها بالقوة — اما التيار الثاني ، وهو التيار الذي قاد الحركة الصهيونية منذ نشوئها وحتى الان والذي تمثل طويلا في شخص بن غوريون ، فهو يدرك طبيعة معركته ويرى من هذه الزاوية حلفاءه واعداءه، ويحاول بالتالي أن يوفق بين استراتيجيته — اي استراتيجية الاستعمار الصهيوني — واستراتيجية هؤلاء الحلفاء (وعلى رأسهم الامبريالية العالمية) ، آخذا بعين الاعتبار موازين القوى بين المجموعتين . وبدون اطالة في التحليل ، يمكننا الاشارة الى هذا التناقض بوضوح في اطار المحاولات الاخيرة لتطبيق الحل المعروف بالسلمي ، حيث وقف التيار الاول موقفا متشنجا ، بينما اتخذ الثاني موقفا اكثر مرونة ولن يلبث ان يخضع لاستراتيجية الامبريالية الشاملة في المنطقة لادراكه بأنها على الامد غير القصير تبقى لصالحه . أما على الامد الطويل ، فكلا الاستراتيجيتين مصيرهما بين أيدي الشعوب .

داود تلحمي

(٦) رسالة من غزة

يمثل قطاع غزة قمة الخط البياني للمقاومة داخل المناطق المحتلة وفقا لما تعترف به المصادر الاسرائيلية ذاتها . موشيه ديان ، ذاته ، يعترف بأن في القطاع « حالة مجاعة »[1]. ومن جهة ثانية فان روبرت جراهام ، مراسل صحيفة « الفاينتشال تايمز » يصف ما هو حادث في القطاع على انه مطابق لحال « بلدة تحت الحصار »[2]. ويقول شاهد عيـان يهودي « أن هناك جوعا رهيبا بين الاطفال . ولقد شاهدت اطفالا على استعداد للعمل ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة لقاء ثمن فتات من الخبز »[3].

اما جون ريداوي ، احد كبـار مسؤولي وكالـة الغوث ، فقد اعلن في « التايمز » اللندنية عن نسف السلطات الاسرائيلية للبيوت على رؤوس ساكنيها من عرب غزة[4]. كل ذلك يضاف الى كون صحيفة « عل همشمار » الاسرائيلية قد اعترفت بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١١ بأن « السلطات الاسرائيلية لم تستعمل الاساليب الوقائية الرادعة قبل تفشي مرض الكوليرا ولم تحضر عددا كافيا من الاطباء مع العلم بأن ثلث الاطباء الذين كانوا في القطاع قبل الاحتلال قد اخرجوا منه كما ان هناك نقصا كبيرا في عدد المستشفيات » . ايضا : كان التعليم في القطاع « افضل بكثير قبل الاحتلال فقد نقص عدد المعلمين ٤٠٠ ناهيك عن لنقص الذريع في كتب التعليم بعد الغاء الكثير منها»[5]. وعلاوة على ذلك فان اميتيه بن بينا ، احد العاملين في الجامعة العبرية ، يؤكد بأن حالة المجاعة في غزة وصلت حدا جعل الامهات الفلسطينيـات اللواتي يزرن اطفالهن في مستشفيات غزة يتناولن جزءا من الطعام المقدم لاطفالهن من قبل ادارة المستشفى[6]. هذا بالاضافة الى ان النساء والاطفال اضطروا للعمل، باجور زهيدة ، لكسب ما يقوم بأودهم[7]. كما أن موشيه ديان ، مرة ثانية ، اكد امام الكنيست يوم ١٩٦٩/١٢/١٦ بأن قطاع غزة كان له « حصـة الاسد » في اجراءات الانتقام الاسرائيلية فيما يتعلق بنسف البيوت[8]. وبالرغم من ذلك كله فان مجلة صهيونية ردت على مقالة كتبها هودجكين ، محـرر الشؤون الخارجية في صحيفة التايمز اللندنية ، فأكدت مـا قاله هودجكـين ولكنهـا أسمت ذلك « بضرورات الاحتلال »![9].

بامكان المرء أن يسوق المئات من الوثائق والشهادات والتحقيقات التي تؤكد عسف الاساليب الفاشيـة الاسرائيلية الهـادفة تركيع المقاومـة في القطـاع واقتلاعها من جذورها . على ان الصورة الحالكة التي يعيشها القطاع،والتيأصبحت معروفة على اكثر من صعيد محلي وعالمي ، تبقى اقوى واوضح من كل المقومات اللازمة لرسم الصورة ، وهـي بالتالي ، تعفينا مـن سوق الدليل وراء الدليل عليها . أما السؤال الطبيعي والمنطقي الذي يلي فهو : الى اي حد نجحت تلك الاساليب في قمع المقاومة الفلسطينية في القطاع ؟

حكمة حركة التاريخ ، التي هي دوما حركة نشطة الى امام ، ان تأتي نتائج العسف ، حيث هناك شعب يقاتل ، بنتائج عكسية . بعبارة اخرى ان القهر يمثل ، في حالات كحال قطاع غزة ، رحما ينمو فيه جنين المقاومة ، ومنبعا لعطاء لا ينضب يصب في نهر حرب الشعب التحررية . ان حركة المقاومة في غزة لم تثبت وجودها فحسب ، بل وتؤكد الاحداث يوميا حقيقة تصاعدها المستمر . ولننتح الان جانبا تاركين المجال لتدافع الحقائق ذاتها ، ومن مصادر اسرائيلية او محايدة ، لكي تطفو على السطح معلنة عن نفسها :

يؤكد « والتر شوارتز » في مقالة له في مطلع هذا العام ، نشرت في مجلة « المانشستر جارديان » بتاريخ ١٩٧١/١/١٦ ، ان المقاومة الشاملة ، على شكل عصيان مدني ، قد دخلت يومها الرابع في القطاع حيث امتنع اصحاب المحال التجارية ، وموظفو المكاتب ، والطـلاب عن التردد علـى مؤسساتهم ، بالرغم من سياسة « التشديد » الاسرائيلية الجديدة[10]. كما ان اضراب غـزة الشامل في الاسبوع الرابع مـن تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ لمدة ثلاثة ايام حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهـة الشعبية في القطاع ، والتظاهرات واطلاق النار على قوات الاحتلال في الجنازة التي اقيمت له ، دليل على طبيعة العلاقة المستمرة بين الفدائيين وأهالي القطاع . وهكـذا نرى ان « السمـك الفدائي » يسبح دوما في القطاع في «بحر جماهيري» واسع !

اما حقيقة النشاط الفدائي العسكري في المنطقة فحقيقة ثابتة ولا تحتاج الى طويل حديث . فمن جهة يؤكد الحديث الوثائقي باستمرار عن حالة « النشاط المتزايد » للعمل الفدائي او حالة « التصاعد » في عدد ونوع العمليات العسكرية الفدائية(١١). ومن جهة ثانية فان حديث العدو الراجف والنادب يضيف للحقيقة تأكيدا هي ليست بحاجة اليه : فتصاعد العمل الفدائي في القطاع ادى الى اجتماعات خاصة عقدها مجلس الوزراء الاسرائيلي « قلقا » منه بسبب الوضع(١٢). وصحيفة « دافار » الاسرائيلية تشير الى عدم فعالية الاجراءات التي اتخذتها قوات الاحتلال وتؤكد على ان « المقاومة ما تزال مستمرة »(١٣). ومن ناحية اخرى فان « الملكيين اكثر من الملك » في صحيفة « الفايننشال تايمز » يؤكدون على « انه على امتداد الاشهر الستة الماضية فان الحالة تزداد تدهورا ... فاذا نظر المرء للموضوع من الزاوية الاسرائيلية فان الارهابيين العرب قد زادوا نشاطهم بشكل متصاعد وزادوا من التضييق على القوات الاسرائيلية ، وزادوا من تدخلهم مع التجار ، وشجعوا على العصيان المدني ونفذوا عددا متناميا من الاغتيالات والقاء القنابل ضد السكان (!) المدنيين»(١٤). اما صحيفة « النيويورك تايمز » فتتحدث بمهارة عن المقاومة في قطاع غزة فتقول : « الامور في الاشهر الاخيرة من العام الماضي (المقصود عام ١٩٧٠) اصبحت سيئة للغاية (!) اذ ان حوادث الارهاب والقتل اصبحت حوادث يومية تقريبا الى درجة ان مجلس (الوزراء) الاسرائيلي صوت يوم الثالث من يناير لصالح سياسة أمنية جديدة وقاسية »(١٥). وتؤكد صحيفة دافار الاسرائيلية على النقطة ذاتها اذ تتساءل : « من يتابع حالة الامن في قطاع غزة يصل الى استنتاج مؤلم جدا . ان السؤال الذي لا بد من طرحه : من يحكم غزة حقا ! » وتجيب الصحيفة ذاتها على سؤالها فتقول : « منذ حرب الايام الستة يسيطر الجيش الاسرائيلي على مناطق اليهودية والسامرة (المقصود الضفة) وغور البحر الميت وهضبة الجولان . ويزداد عدد اليهود الذين يزورون هذه المناطق كسياح وللقيام بأعمال تجارية وزراعية. اما قطاع غزة فانه « مغلق » امام هؤلاء الاشخاص واصبح بمثابة منطقة « خارج النطاق » لان كل من يحرص على روحه يمتنع عن الاقتراب من مداخلها »(١٦).

من باب الوصف العلمي ، ليس الا ، نقول ان الاجراءات تلك كانت خطوات ما شهدت قريحة اي نظام فاشي مثيلا لها في قساوتها . ومع ذلك ، نسارع الى القول ، بأن تلك الاجراءات لم يكن لها اثر اكثر من اثر السم الذي يحقن في الجسم ولكن أثره لا يعدو كونه « مصلا » يولد في الجسم مناعة وقوة . وهكذا رأينا المقاومة الفلسطينية ، عبر ما مورس ضدها من عسف ، تضيف الى رئتي تنفسها رئة جديدة سمحت لها بقدر اكبر من التنفس الذي له نتيجة واحدة هي : مزيد من الحيوية : فلا قتل النساء والاطفال بسبب عدم توقفهم عن المشي حين يطلب اليهم ذلك ولا منع التجول الطويل ، ولا اعتقال كل من عمره يتراوح بين ١٢ — ١٤ عاما فأكثر ، ولا حشر النساء في البيوت ومنعهن عن قضاء حاجاتهن ، ولا « تجديد » عهد الرق عبر الـ ٩٠ سنتا التي تعطى للعمال كاجرة يومية ، ولا ازدياد اسعار الغذاء بشكل فاحش(١٧)، ولا اجراء من هذه ادى الى اجتثاث جذور المقاومة .

كما ان اجراءات طرد عائلات المناضلين المطلوبين لسلطات الاحتلال ، وتوظيف العسكر « اصحاب القبعات الحمر » (خبراء العسف والاضطهاد) لم يؤد الى وقف حركة العمل الفدائي(١٨). ايضا لم تؤد خطة « العملية الجراحية النظيفة » التي هدفت الى ترحيل سكان غزة الى شرق الاردن الى تحقيق اي من اهداف سلطات الاحتلال(١٩). ولا مضاعفة قوات الجيش الاسرائيلي (خاصة اولئك من اصحاب « القبعات الخضر ») وحملات التفتيش بيتا بيتا(٢٠) ، او حملات الارهاب والتعذيب والقتل، لم تعط ايا من ثمارها المطلوبة او المتوقعة . ان مظاهر التحدي ، خاصة بين نساء مخيمات القطاع، التي واجهت ابرز عناصر المؤسسة العسكرية (شلومو جازيت) اثناء رحلته الاخيرة الى غزة ، دليل لا يقبل اي جدل ، عن عنف وحيوية المقاومة الجماهيرية للاحتلال(٢١).

ومرة اخرى نعود الى صحيفة «دافار» الاسرائيلية. تقول الصحيفة : « ان سكان غزة لا يهزهم هدم البيوت على جهتي شارع « الوحدة » . هذا الذي حدث بعد مقتل تاجر اسرائيلي . ان عملية الهدم هذه لم تترك اثرا للتقاعس في نفوس المواطنين . ومع ان الحكم الاسرائيلي قد نصب الجنود في الساحة الرئيسية للمدينة واقفل كل الشوارع الفرعية التي تؤدي الى شارع عمر المختار الرئيسي

من سوق فارس حتى ساحة المدينة ، فان **المقاومة ما تزال مستمرة** »(٢٢).
وهكذا يبقى القطاع نبعا « لصداع رئيسي » تعاني منه قوات الاحتلال(٢٣) كما انه يبقى ثمرة احتلال ولكنها « ثمرة مرة »(٢٤).
ان السؤال الاساسي الذي يجابهنا في الحال هو **لماذا ؟**. لماذا يشهد القطاع تلك المقاومة الضارية للاحتلال في ظل الاوضاع التي سبق وشرحنا ؟ ولماذا ذلك التمايز بينه وبين ما يجري في الضفة الغربية او الهضبة او سيناء مثلا ؟ العوامل الرئيسية الكامنة وراء ذلك الوضع المتفجر بالمقاومة في القطاع يمكن ان تعزى الى اربعة اسباب رئيسية :
أولا : الاحتلال الاسرائيلي ذاته . ولهذا العامل جانبان : اولها ان اي احتلال لاي بقعة في العالم لا بد وان يولد رد فعل طبيعي ومنطقي يعبر عن نفسه بالمقاومة(٢٥). وهذا هو سبب رئيسي من اسباب ظهور المقاومة الفلسطينية(٢٦) وثانيهما ان العسف والاضطهاد الاسرائيليين ، وهما من «ثمار» الاحتلال ، كان لا بد من ان يشعلا فتيل المقاومة الفلسطينية ويزيدان من توهج نارها بشكل مستمر. ولعل هذا هو سبب حيرة مسؤول اسرائيلي كبير مثل « شلومو جازيت » الذي نراه يشكو من ان اجراءات العسف لم تعط الا نتائج عكسية(٢٧).
ثانيا : انه اتيحت لقطاع غزة ، بحكم ظروفه التاريخية ما قبل ١٩٦٧ ، فرصة نادرة للتدرب على السلاح واقتنائه(٢٨). وهذه حقيقة معروفة لكل من يعرف القليل او الكثير عن المنطقة . فالقطاع كان الجزء الاوحد من ارض فلسطين المتبقية الذي اتيحت له فرصة الاستفادة من ظهور منظمة التحرير قبل العام ١٩٦٧ .
ثالثا : انه في الوقت الذي نجحت فيه السلطات الاردنية في سحق الحركة الوطنية في الضفة الغربية في العام ١٩٦٦ (حزب البعث ، حركة القوميين العرب والحزب الشيوعي) فان الحركة الوطنية في غزة ، وبالذات حركة القوميين العرب ، كانت حركة نامية .. وهكذا وفي اللحظة التي خيم فيها ظلام الاحتلال على قطاع غزة كانت « تحت الارض » هناك حركة وطنية ، منظمة وان محدودة ، شكلت، بحكم ما تملكه من خبرات تنظيمية ، نواة سرعان ما نجحت في استقطاب الجماهير وتحريكهم من جهة كما ونجحت في جعل الجماهير معينا لا ينضب لتزويد المقاومة العسكرية برجالها الضروريين لها . لقد كانت تلك النواة . بحكم خبراتها السياسية والعسكرية وبحكم توفر السلاح في ايديها ، كانت بمثابة « الكلية العسكرية الخفية » التي زودت المقاومة برجالها . ولعل هذا العامل يفسر قول روبرت جراهام : « وفي الاشهر القليلة الماضية كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المتطرفة والمسؤولة عن خطف الطائرات في العام الماضي ، هي الفصيل الفدائي الاكثر نشاطا »(٢٩).
يضاف الى هذا طبعا كون عدد من المنظمات الفدائية ، خاصة فتح وقوات التحرير الشعبية ، قد نجحت في ادخال عدد من عناصرها للعمل في المنطقة منذ العام ١٩٦٧ .
رابعا : الطبيعة المتفجرة للوضع الاقتصادي — الاجتماعي — الطبقي في القطاع والتي ساعدت على توليد مناخ اكثر ثورية من أية منطقة من المناطق المحتلة وجعلت سكانه في حالة كانوا معها اكثر استعدادا للعطاء والتضحية . فما هي تلك الطبيعة الاقتصادية — الاجتماعية — الطبقية المشار اليها ؟
من المعروف ان مساحة القطاع مساحة صغيرة نسبيا اذ لا تتجاوز بمجموعها الـ ٩٩،٦ ميلا مربعا . ويعيش على تلك الرقعة الصغيرة ما يقارب النصف مليون مما يجعل كثافة السكان بحدود ٦٠٠٠ نسمة في الميل المربع الواحد . اي انها تعادل مئة ضعف كثافة السكان في الولايات المتحدة وهي، بالتالي، أعلى كثافة للسكان في العالم(٣٠). وبالاضافة الى وجود ذلك العدد الهائل نسبيا من السكان فان موارد المنطقة محدودة اذ ان ما بين ثلث ونصف اراضيها عبارة عن صحراء قاحلة(٣١). ويشكل النازحون الاغلبية الساحقة للسكان (اكثر من ٣٥٠ الفا) وهؤلاء يعتاشون ، نتيجة لانعدام فرص العمل ، على ما تقدمه لهم وكالة الاغاثة من النذر القليل من الغذاء(٣٢). وفي القطاع اكبر مخيمات النازحين في العالم اذ يبلغ عدد سكان مخيم رفح مثلا ٤٩،٠٠٠ نازح(٣٣). وقد ارتفع عدد سكان القطاع من ٢٧٤،٤٠٠ في ١٩٤١ الى ٢٩٤،٨٦٩ (منهم ٢٠٤،٠٦٨ نازحا) ١٩٥١ الى ٣٧٠،٢٢٩ (منهم ٢٦٤،٨١٣ نازحا) ١٩٦١ . وقبل العام ١٩٦٧ بقليل كان عدد المسجلين في الاونروا من النازحين يزيد على الـ ٣٥٠ الفا بالاضافة الى ١٠٠ الف غير مسجلين منهم ٧٠ الفا يعانون من فقر مدقع(٣٤).
ومع ان الوضع الاقتصادي قد تحسن بشكل واضح قبل حزيران ١٩٦٧ خاصة بتدفق اموال ابناء القطاع العاملين في مناطق الكويت والخليج العربي ، الا

ان الاحتلال جاء ليس ليقضي على ذلك المورد الرئيسي فحسب بل وليخلق اضطرابا في حياة القطاع لا يمكن ان يستقيم معه اقتصاد المنطقة من جهة ، وكي تزداد اسعار المواد الغذائية الضرورية بشكل فاحش من جهة ثانية(٢٥)، مما ادى ، بالتالي ، الى مزيد من السحق الاجتماعي والطبقي للغالبية العظمى من سكان القطاع . وهكذا نرى ان الكثافة السكانية قد سهلت لرجال المقاومة الاختفاء في وسط البحر الجماهيري المتضامن معهم ، كما ان البؤس والسحق ، مضافا الى القهر الفاشي الاسرائيلي ووجود حركة منظمة مدربة على السلاح ومالكة له ، كل هذه العوامل جعلت من قطاع غزة قطاعا مناضلا ، باسلا ، ومقاوما. ان صوت البطولات ، دوما ، اقوى من كل حصار اعلامي ... ولهذا يسمع العالم صوت المقاومة في قطاع غزة . وصخب الدماء المقاومة في العروق ، التي لا ترتاح او تهدأ الا اذا عانقت تراب الوطن، ستولد التيار التحرري الذي سيكنس الاحتلال عن ارض القطاع وغيره .

أ.ع

---

١ — Amitay Ben-Yena, "What Does Israel Do to Its Palestinians?," *Arab Areas Occupied by Israel in June, 1967* (Chicago: AUG, Information Paper No. 2, Sept., 1970), p. 29.

٢ — Robert Graham, "Israel's Dilemma in the Gaza Strip," *Financial Times*, February 3, 1971.

٣ — مذكرة من الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ، في تل ابيب ، الى لجنة الامم المتحدة للتحقيق في اعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة ٢٤/٤/١٩٧٠ .

٤ — بن ينا ، المصدر نفسه .

٥ — من ترجمات لجنة الاعلام المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — بيان خاص حول حملة اعلامية حول قطاع غزة صادر في شهر فبراير ١٩٧١ .

٦ — بن ينا ، المصدر نفسه .

٧ — المصدر السابق نفسه .

٨ — ارشيف كيسنغ لسنة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٢٣٧٨٧ .

٩ — مجلة نيو مدل ايست رقم ١٥ في ديسمبر ١٩٦٩ ص ٥٠٤ .

١٠ — Walter Schwarz, "A Tough Line in Gaza", *The Manchester Guardian* (Vol. 104, No. 3., January 16, 1971), p. 4.

١١ — ارشيف كيسنغ ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ص ٢٣٩١٩ و٢٤١٥٣ .

١٢ — شوارز ، المصدر نفسه .

١٣ — راجع صحيفة « دافار » بتاريخ ٩/١٢/١٩٧٠ .

١٤ — جراهام ، المصدر نفسه .

١٥ — Peter Grose, "Arab Fratricide and Hate of Israelis Grow in the Dust and Despair of Gaza," *New York Times*, February 2, 1971.

١٦ — صحيفة « دافار » بتاريخ ٨/١٠/١٩٧٠ .

١٧ — بن ينا ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

١٨— شوارز ، المصدر نفسه .

١٩ — توني، المصدر نفسه، ص ١٠ . انظر ايضا Israel Sharhak, "Civil Rights in Israel," *The Middle East Newsletter* (Beirut: Americans For Justice in the M. E.: Vol. V, No. 1, January, 1971), p. 7.

٢٠ — جروس ، المصدر نفسه .

٢١ — المصدر السابق نفسه .

٢٢ — صحيفة « دافار » بتاريخ ٩/١٢/١٩٧٠ .

٢٣ — جراهام ، المصدر نفسه .

٢٤ — توني ، المصدر نفسه ، ص ١٢ .

٢٥ — Dr. Arnold J. Toynbee, "Samson Shakes the Pillar," (Beirut: Bouheiry Brothers-Dar Al-Ahad, October, 1969), p. 7.

٢٦ — Dr. John H. Davis, "America's Options in the: Middle East", p. 4.

راجع أيضا Dr. John H. Davis, "America's Interests in the Middle East," p. 5.

٢٧ — جروس ، المصدر نفسه .

٢٨ — المصدر السابق نفسه .

٢٩ — جراهام ، المصدر نفسه .

٣٠ — توني ، المصدر نفسه ص ٨ و١١ .

٣١ — المصدر السابق نفسه ص ٩ .

٣٢ — المصدر السابق نفسه ص ٨ .

٣٣ — جراهام ، المصدر نفسه .

٣٤ — توني ، المصدر نفسه ، ص ١١ .

٣٥ — بن ينا ، المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

مرافعة سينمائي عربي من اجل خلق حركة سينمائية جديدة في العالم العربي

ف. المنصور

فلسطين ، سينمائيا ، هي حلم اليقظة الذي طالما راود وسيظل يراود مخيلة كل سينمائي عربي ملتزم بالقضية ، ويقض مضجعه كعذاب الضمير . ومأساة فلسطين المستمرة منذ اكثر من نصف قرن ، والتي عبرت حتى الى داخل حدود اللاوعي في العقل العربي ، وباتت الهاجس المقدس الذي ترجمه الفنانون عبر السنين شعرا وقصة ومسرحا ورسما ونحتا وموسيقى ، هذه المأساة الكبرى لم تجد حتى الان من يوصلها الى دار الفن السابع ، لتصبح عند ذلك اللغة العالمية ، بل اللهجة المحكية الدارجة ، لسواد البشر في انحاء الارض. لم تصل القضية الفلسطينية الى الشاشة الكبيرة المخضرمة (السينما) ولا الى الشاشة الصغيرة الجديدة (التلفزيون) مع ان الفن السابع هو ذاك الفن الذي بامكانه ان يسجل النكبة وثائقيا ، ويقدمها نابضة بالحياة في جانبيها ، البطولي والمأساوي ، الى كل من يرى ويسمع ويفهم ، وعلى نطاق لا يصل اليه الكتاب او المسرح ، ولا يجاريه فيه حتى ميكروفون الاذاعة .

فلسطين بأمس الحاجة الى جهود الفن السابع لانها كانت وما زالت المتهم الذي تضافرت آراء اكثر المحلفين على ادانته ، مع انه البريء وغيره الجاني . ولما كان الدفاع بحاجة الى ادلة وبراهين من أجل اسقاط الحكم الجائر ، ولما كان التاريخ في هذا العصر لا يدون فقط على صفحات الكتب والصحف ، وانما يسجل أيضا على مادة السليولويد التي يتكون منها الشريط السينمائي ، وعلى الفيديوتيب ، فمن الواجب الا تظل فلسطين كما كانت حتى اليوم : **أطول شريط سينمائي خام في العالم** ، شريط لا يزال يبحث عن جيل كامل من السينمائيين ليعكسوا عليه الضوء ،ويسجلوا عليه رؤياهم الفلسطينية والثورية، شريط ما زال تائها في اوديسة لا مرفأ لها كرحلات الهولندي الطائر .

قديما قيل ان اثينا العصور الذهبية كانت تمتلك جميع المؤرخين ، مما جعل اسماء اعدائها تصل الينا سوداء كالفحم . واليوم حلت تل ابيب محل عاصمة الاغريق القدامى ، فتربعت على مقعد القضاء في محكمة التاريخ ، وكانت هي المدعي العام ايضا ، وهي هيئة المحلفين ، وحتى اليد الماسكة بالقلم الذي « يدون » اجراءات القضية هي يدها . فهل نعجب اذا كان اسم العرب اليوم في العالم كالطين ؟ وهل نستغرب اذا كان المجنى عليه هو المتهم ؟ فلاننا لم نشرع في جمع ادلة براءتنا والبراهين على ادانة غيرنا الا قبل اعوام معدودة، ولاننا لم ننجح حتى اليوم في ايصالها مسجلة وشاملة الى مسامع وانظار العالم ، لا زالت قضيتنا معلقة . ولما كانت هيئة المحكمة المنحازة هي نفسها ، لم تتغير ، فالمطلوب منا أن نتجاوزها لنصل الى جماهير الناس المكتظة خارج قاعة القضاء . واسرع واقصر طريق لذلك يمر عبر قنوات الفن السابع .

سابقا قيل : كيف يمكن للاعلام ان يقوم بدوره في غياب المحارب ؟ بل ما نفعه اذا لم تقف خلفه ثورة ؟ عندما لاحت تباشير الثورة في مطلع ٦٥ ، وبعد « الكرامة » وعشرات المعارك غيرها ، قيل لنا : الثورة في حد ذاتها هي اعلام مسلح ، وكل

طلقة تنقذف من فوهة الرشاش هي جزء من الحملة الاعلامية لقضية فلسطين . ولكن مرة اخرى كان ذلك منطق بينت الاحداث ركاكته . اذ بصراحة: كما أن الاعلام الذي لا ينبثق من مقاومة مسلحة يبقى من غير فائدة ، فكذلك « الاعلام المسلح » وحده لم يعد كافيا . هذه المعادلة تشير الى حقيقة بدهية لم تعد خافية على أحد ، فما العمل اذن ؟ ليس موضوع هذه المرافعة هو الاعلام عن القضية بصورة عامة ، وانما الاعلام السينمائي على وجه التحديد ، ولذا لا بد ان نلقي نظرة خاطفة اولا على ارتباط الحركات التحررية في العالم بالفن السابع منذ طفولة هذا الفن الجماهيري . هل كانت مجرد صدفة ان الاعوام التي تلت ثورة اوكتوبر السوفياتية شهدت ايضا ثورة في الرؤيا السينمائية ، ام هل التفسير الصحيح لذلك هو ان الطاقة الابداعية تصل عادة الى ذروتها عند انسان الثورة ؟ وهل يمكن لاي باحث يبغي دراسة روح ذلك العهد ، عهد الثورة الروسية الكبرى ، ان يؤدي مهمته دون مراجعة اعمال ايزنشتاين وبودونكين ، وغيرهما من العمالقة الاوائل في تاريخ السينما بالاتحاد السوفياتي ؟ ثم : من سمع منا بحركة سينمائية في كوبا باتيستا ؟ اما اليوم ، ففي كوبا الثورة نشاط سينمائي يستحق كل تقدير واعجاب ، وكذلك الامر في الصين الشعبية وغيرها من الدول الاشتراكية . وحدها الثورة العربية لم تترجم الى اللغة السينمائية، مع أن اليسار الجديد الذي تلقى وحيه من « المدمرة بوتمكين » و« الام » وغيرها من الافلام الثورية الكلاسيكية ، بدأ يتفهم قضيتنا حتى قبل ان نتمكن من الاعلام عنها بجدية. الا تعنينا في شيء كلمات الصحفي الامريكي المعروف سولزبرجر ، عندما كتب في صحيفة « نيويورك تايمز» يقول : « اذا كانت فيتنام هي شعار اليسار الجديد في الستينات ، ففلسطين ستكون شعاره في السبعينات » ؟ (واليسار الجديد المقصود هنا هو اليسار الفتي في امريكا الشمالية واوربة الغربية) اني ادرك طبعا مدى النفور الذي يحس به العربي حينما يأتي ذكر امريكا ، فالفانتوم منها، وكذلك النابالم ، ولا تستمد الصهيونية قوتها من بلاد كما تستمدها من الولايات المتحدة . ولكني كسينمائي عربي ملتزم بالقضية ، اريد أن اقول : لنتجاوز في علاقاتنا الانظمة القائمة في امريكا وغير امريكا ، لنتخطاها في سبيل مد جسور الحوار بيننا وبين الجماهير الثورية في تلك الدول . لنسحب السجادة من تحت ارجل الانظمة القائمة في امريكا والمانيا وبريطانيا ، وذلك عن طريق خلق همزة وصل سينمائية مع اليسار الجديد في هذه الاقطار. واريد هنا التأكيد على امريكا لان فيها حاليا اكبر حركة سينمائية ثورية في العالم ، وهذه الحركة ثورية في الاتجاه والرؤية ، بقدر ما هي ثورية في التكنيك والالة . اصبحت سينما الشباب الامريكي واسطة فريدة لاعادة النظر في كل ما هو تقليدي واتباعي وموروث في ذلك المجتمع . وهذه السينما لم تشهد مولدها في هوليوود ، عاصمة الهروبية والتزييف ، وانما في المدارس والجامعات ، وحتى في الحواري الفقيرة . ففي الستينات كان الاتجاه بين أبناء الاحياء الفقيرة هو ترك عصابات المراهقين من اجل تكوين الجوقات الغنائية ، كالبيتلز ، والرولنغ ستونز وغيرها . أما اليوم ، فاللجوء هو الى الفن السابع ، الى السينما والتلفزيون . فبات شريط السليولويد والفيديوتيب كأريكة المحلل النفساني ، كوسيلة للتخاطب والحوار بين مختلف الافراد والفئات .

هذه الحركة السينمائية الفتية تدين الحرب الفيتنامية ادانة صارخة ، وتستنكر التفرقة العنصرية ، وتدعو الى الثورة على البورجوازية الرجعية الممثلة في المؤسسة التي تتخذ من البيت الابيض مقرا لها . هذه الحركة الرافضة المتحدية، اطلق على اعضائها اسم « فدائيي التلفزيون »، ووصفها امريكي خائف ، بقوله : « التلفزيون هو ديناميت ، ولكننا نتركه دون حراسة لاي مغفل يحمل علبة الكبريت » أما « المغفلون » فيرددون : « التلفزيون هو سلاح من اجل الحق ، واي شخص يستطيع استعماله .. حتى انت لو شئت ! » .

حتى نحن ؟ لم لا ؟ لماذا لا نتعلم من الدرس الامريكي ؟ ٦٢ بالمائة من مشاهدي السينما في الولايات المتحدة تتراوح اعمارهم بين الثانية عشر والثلاثين . وتكاد تكون النسبة ذاتها في الاقطار الغربية الاخرى . وبغض النظر عن رواد السينما ، فالسبعينات من هذا القرن هي عهد الشباب في العالم بأسره . وهذا هو الجيل الرافض ، جيل الشك واعادة النظر بالاشياء ، الجيل الذي لا يقبل الامور على علاتها ، ولا يقيس الاحداث والقيم بمقاييس الامس . انه جيل بيركلي وانجيلا ديفيس وود ستوك في امريكا ، وجيل المقاومة عندنا ، فلماذا لا نحاول الوصول اليه

سينمائيا ؟
انه جائع متعطش الى رؤى جديده ، فلماذا لا نسد الفراغ الصارخ بخلق حركة سينمائية مرتبطة بالثورة الفلسطينية ، وبجيل الثورة في العالم كله؟ لماذا لا نفعل ذلك ؟ المنتجون العرب يقولون لنا بأن الجماهير التي بامكانها مؤازرة ايـة حركة سينمائية هادفة في العالم العربي هي غير متوفرة ، مع الاسف الشديد . وفات هؤلاء السادة الذين شوهوا سمعة المقاومة بافلامهم المخجلة ، بـأن الجمهور المتذوق الذي يميز بين الصالح والطالح لا يولد من لا شيء ، وانما يربى ، ويتعهد بالعناية الفائقة منذ نشأته . ثم يقول لنا هؤلاء بأن المشاهد العربي مصاب بازدواج الشخصية، فهو مثلا يطالب بالاعمال الفنية الهادفة ، بينما هو شخصيا يشجع الانتاج المسلي ذا الطابع الضحل ، وغرب عن بالهم بأن **العمل الفني الجيد هو المسلي والهادف في آن واحد** . واذكر بهذه المناسبة النادرة التالية التي اوردها ناقد مسرحي الماني معروف ، في الجريدة التي يكتب بها ، بأن مدبرة منزله حريصة على زيارة دور المسرح بانتظام ، باعتبار ان زيارة المسرح في المانيا الغربية هي بمثابة واجب ثقافي لا مفر منـه بالنسبة للطبقة البورجوازية . وكان يسألها دائما اثر عودتها من « سهرتها الثقافية » عن رأيها في التمثيلية التي شاهدتها . فتعلم بحكم الخبرة انه اذا اخبرته بأن المسرحية كانت تافهة وصبيانية ، فمعنى ذلك انها قضت وقتا ممتعا و« انبسطت » كثيرا ، اما اذا اخبرته بأن المسرحية كانت جيدة جـدا ومفيدة، فمعنى ذلك انها ظلت تتثاءب وتقـاوم النعاس طوال العرض ، لان المسرحية كانت ثقيلة الدم وشديدة الجفاف ، بالنسبة لها . وهكذا هي معظم اعمالنا الفنية او الادبية « الهادفة » ، فهي مملة وجامدة وعسيرة على الفهم . ولعل ذلك هو بالضبط السبب الرئيسي الذي يجعل صاحب المال يتردد في وضع ماله في مشروع سينمائي ملتـزم بالقضية، على اساس ان يمثل هذا المشروع الفني الهادف ، خراب البيوت والفشل الذريع . اذن المطلوب اتباع تخطيط جديد في سبيل خلق حـركة سينمائية ملتزمة ، لا تعرض المشرفين عليها الى الخسارة المالية المحققة . ولكن كيف ؟

صاحب هذه المرافعة ينتمـي الى جيل نشأ مـع النكبة . عندما ضاعت فلسطين عام ٤٨ ، كان تلميذا في المدرسة ، وكانت انباء الحرب التي انتهت بالخيبة اول عهده بقراءة الصحف . وفي الخمسينات ، كان طالبا في الجامعة ، يقرأ الكتب عن القضية ، ويشتـرك بالمظاهرات ، ويحلـم بفلسطين سينمائيا . ومع ان الجيل الذي ولد في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، عاصر في صباه ثورة الـ ٣٦ ، وشارك وهو بمرحلة الرجولة في حرب ٤٨ ، وقد يكون اليوم بعض قادة الثورة منه ، الا انه على الصعيد السينمائي لم يحقق الكثير . اما الجيل الذي شهد النور لاول مرة اثناء او بعد الحرب العالمية الثانية والذي يسفح ابناؤه دماءهم كل يوم على جبهة الثورة ، فهو اصغر سنا وأقل خبرة من ان يلعب دورا قياديا في الحركة السينمائية المقترحة قبل العقد التاسع من القرن الحالي . بقي الجيل الذي ينتمي اليه كاتب هذه السطور ، والذي واكب نضوجه الفكري ، بلوغ السينما في العالم سن الرشد ، بعد ان قطع الاثنان مرحلة المراهقة سوية . هذا الجيل وصل الـى مشارف الفن السابع عبر الكلمة المكتوبة ، بعد ان تجاوزت تطلعاته القصة والشعر والتاريخ والرسم والنحت والموسيقى والمسرح ، من اجل الوصول الى الفن النهائي الشامل The ultimate art الذي يجمع في كيانه خواص كل الفنون . لماذا هذه الرحلة؟ لان الارتباط والالتزام بالقضية الفلسطينية، بل الهوس الصوفي والسعي وراء الجزمية النهائية، يحتم على الفنان والاديب السفر عبر قناطر الفنون الى سابعها ، **فالسينما هي قبل كل شيء آخر ، اعظم واسطـة للدعاية والاعـلام في التاريخ .** فالشخص الذي يضع اصبعه على زر الكاميرا كي يدور الفيلم بداخلها ويسجل ، هو في نفس خطورة الرجل الذي يضع اصبعه علـى زناد المسدس ويتأهب لاطلاق النار . نعم ، السينما (وعندما اقول السينما ، اعنـي كذلك التلفزيون) هـي الديناميت لا شك . فلنكن نحن « المغفلين » اذن ، ولنحمل علب الكبريت في جيوبنا ، اذ ما فـائدة الديناميت اذا لم ينفجر ؟

دفاعا عن السينما الجديدة التي غزت كل دار تقريبا في امريكا ، واصبحت أداة خلق لكل فرد ، قال أحدهم : «على الناس ان يعدوا افلامهم بأنفسهم» وهذا هو بالذات ما يجب ان نفعله ، بعد أن قدمت لنا التكنولوجيا الحديثة كل التسهيلات ، وبعد ان جهزت لنا الثورة الفلسطينية المنـاخ المطلوب ، وخلقت لنا الجمهور .

سبق ان قلنا : المطلوب اتباع تخطيط جديد في سبيل خلق حركة سينمائية ملتزمة ، لا تعرض المشرفين

عليها الى الخسارة المالية المحققة ، ثم تساءلنا : كيف ؟ فيما يلي المبادىء التي سيضعها صاحب المرافعة نصب عينيه اثناء عمله السينمائي :

المانيفستو

١ ــ **التسلية قبل كل شيء آخر** ، اذ يجب ان يكون العمل الفني الهادف مسليا ، فما فائدة الفيلم الملتزم اذا كان ثقيل الحركة ، جامد الروح ؟ بيرت بريخت نفسه ، الذي أراد بواسطة المسرح ان يعلم جمهوره مبادىء ايديولوجية ليست سهلة ، لم يحد ابدا عن هذا المبدأ الذهبي . ولذا : كي أعلم جمهوري ، فيجب أولا ان اسليه ، فالفن السابع ، كأي فن آخر ، هو ليس مدرسة بالمعنى الحرفي للكلمة .

٢ ــ **لا وعظ** ، فالتوجيه يجب ان يكون مستترا وغير مباشر . قال اي. ايم. فوستر : اذا كانت لديك رسالة تريد تبليغها الناس، فلا تسرع وتضعها في قالب فني مفتعل ، اذ عاجلا ام آجلا ، ستجد هذه الرسالة طريقها طبيعيا وعفويا عبر انتاجك الفني او الادبي .

٣ ــ **السهولة** ، فهي على عكس ما يظنه بعض الادباء والفنانين ، لا تعني بالضرورة الضحالة والابتذال. الفيلم ليس كتابا صعبا يستطيع القارىء في أي وقت ان يعيد قراءته من اجل استيعابه ، ولا مقطوعة من وضع شوينبرغ بامكان المستمع ان يعيد لعبها على الفونغراف ، من اجل فهمها . فالمتفرج العادي يشاهد الفيلم مرة واحدة ، وهذه المرة يجب ان تكون كافية لاي شخص متوسط الذكاء والثقافة لان يستوعب مغزاه . الفن السابع هو فن شعبي جماهيري بكل معنى الكلمة ، ولذا من غير المستحسن ان يجاري المخرج العربي، المخرج الفرنسي غودار (مثلا) في تعقيداته ، حتى وان كان غودار ملتزما باليسار ، فجمهوره ليس جمهورنا .

٤ ــ **ضد الفوغائية** ، فالالتزام لا يعني الفوغائية التي شاهدناها في فيلم « زيد » مثلا (للمخرج غافراس) .

٥ ــ **ولا للميلودراما** ، فهي صبيانية وممجوجة .

٦ ــ **نعم ، للشخصيات المجسمة ولا لرسم** الشخصيات بالاسود والابيض ، فلا يوجد انسان كله بياض ، ولا يوجد انسان كله سواد. السينمائي الحاذق هو الذي يخلق شخصيات تنبض بالحياة ، وليس مخلوقات كاريكاتورية ، كل منها يحمل كليشيه عتيقة كالوشم على الوجه .

٧ ــ **لا للجنس من اجل الجنس** ، وان كان المطلوب من المخرج الا تدفعه الحنبلية الى حذف الجنس من الوجود ، فالجنس جزء من الحياة مهم ، وحتى في الثورات يوجد الجنس .

٨ ــ **حذار من السرقة** التي عاشت عليها السينما العربية حتى اليوم . وفي حال الاقتباس يجب ذكر المصدر بكل أمانة .

٩ ــ **ضرورة النظافة في التكنيك** ، اذ يجب الا تلحق الشوائب بالجوانب التكنيكية من الفيلم ، كالصوت او الصورة او المونتاج الخ .. فما فائدة القصة الثورية الممتازة اذا جاء تصويرها سيئا مثلا ؟

١٠ ــ **ضد الهروبية** ، فالسينما العربية كانت حتى اليوم مادة استمناء للطبقات المحرومة . فالبطل في « العربية الكابريوليه » والبطلة في الفيلا الانيقة ، صاعدة نازلة على السلم الفخم ، وحفلات الشمبانيا التي لا نهاية لها . هذا كله يجب ان ينتهي الى غير رجعة .

١١ ــ **ليس الثورة دائما**،اذ لا مانع اذا انجز المخرج الملتزم الافلام الكوميدية ايضا والموسيقية الخفيفة ، فالحياة ليست كلها ثورات ، ولا داع لان تكون جميع الافلام عن الطبقات الكادحة. المهم ان يظل الانتاج في اطار المبادىء المذكورة في هذا المانيفستو .

١٢ ــ **ضد التراث البالي** ، ومن هذا التراث ٩٠ بالمائة من موسيقانا العربية اليوم ، فهل يجب ان نحافظ عليها في افلامنا لا لشيء الا لانها جزء من تراثنا ؟ كلا ، فاحترام التراث يجب أن يكون له حدود .

١٣ ــ **الفن الاصيل هو صورة انطباعية عن الواقع بحذافيره** ، ولذا يجب ألا يملأ الصراخ افلامنا ويسبب الصداع للمشاهد ، لا لسبب الا لان الفرد العربي يتكلم عادة بصوت مرتفع جدا في حياته اليومية . هذا هو مجرد مثال . وعلى كل حال ، فالواقعية الانطباعية هي القدرة على الانتقاء بحذق من الحياة اليومية ، اي تقديم الجزء ليصور الكل.

١٤ ــ **لا للنجوم فقد ولى عهدهم** .

١٥ ــ **نعم للجراة في المعالجة** ، وذلك بالرغم من الرقابة الفنية القاسية ، رسمية كانت ام غير رسمية (علما بأن اكثر الرقباء في العالم العربي هم من المتطوعين لوجه الله !) .

١٦ ــ **Esprit de corps** ، اذ يجب خلق روح الجماعة والانتماء الى النخبة بين العاملين في المجال السينمائي الملتزم .

١٧ ــ **المال يجب ان يكون الواسطة وليس الهدف** ،

ومع ذلك فالفيلم الناجح فنيا يجب ان يكون ايضا الفيلم الناجح ماديا . المال هو ليس القياس الوحيد بالطبع ، ومع ذلك يجب عدم اعتباره القياس الاقل أهمية .

١٨ — **اذا كانت بطن الفنان فارغة فهو لا يبذل افضل جهوده** ، ولذا يجب ان تسود العلاقات المالية النظيفة الاوساط الفنية الملتزمة . فما فائدة الالتزام السياسي اذا كان معتنقه يعيش عالة على جهود الآخرين ، ويغمط حقوقهم !

١٩ — **أفلامنا يجب ان تنبع عن بيئتنا** وليس عن باريس او نيويورك مثلا .

٢٠ — **عدم تزييف الحقائق التاريخية الثابتة** (على طريقة هوليوود) .

٢١ — **تجنب الاسراف في رسم الهالات الرومانتيكية حول الشخصيات البطولية** ، معاصرة كانت ام تاريخية .

٢٢ — **تعيين الهدف بوضوح** ، فهذا الفيلم أنجز خصيصا للجمهور في الخارج ، وذاك الفيلم للاستهلاك المحلي ، وهكذا فلكل فيلم سوقه المناسب ، وتعيين الهدف من البداية ضروري ، وكذلك تحديد الفكرة وشكل الاسلوب .

٢٣ — **التعلم من الاخطاء** . قال بسمارك : « الذي فقط يتعلم من اخطائه هو غبي ، اما انا فأتعلم من اخطاء الاخرين » . ليتذكر السينمائي العربي هذا القول .

٢٤ — **النص الاصلي ليس مقدسا** ، ولذا المطلوب من السينمائي ان يتصرف في النص الاصلي اذا تطلب الامر ذلك وحتى اذا كان هذا النص من تأليف اكبر العباقرة ، فالادب لا ينقل الى الشاشة وانما يترجم الى اللغة السينمائية . لكن الترجمة يجب ان تكون مدروسة ، اما التشويه فمرفوض . اذن : المحافظة على الروح ، والتصرف في النص .

٢٥ — **الثقافة الواسعة** ، فينبغي ان تكون للسينمائي اطلاعات انسكلوبيدية الحجم . يجب ان يكون فيه شيء من القصاص والشاعر والمسرحي والرسام والموسيقار والمصور الفوتغرافي والمؤرخ والسياسي وعالم النفس والاجتماع وخبير الاعلام والدعاية .

٢٦ — **لا للمعاندية الجامدة dogmatism** فمثل هذا التولج الذي يفتقد الى المرونة ، وغير المنبثق عن قاعدة متحررة من العقد الايديولوجية ، لا يصلح لمعالجة القضايا السياسية او الاجتماعية ، لا في الفن السابع ، ولا في اي فن آخر . انه اسلوب فاشل تماما .

٢٧ — **لا للشوفينية** ، وللتفكير العتيق على نمط « .. حسبنا اننا عرب » (وما اتفهه من نشيد !)

٢٨ — **لا للعمل الارتجالي المستعجل** ، وهذه قاعدة عامة تنطبق على كل شيء في الحياة . لماذا أردت ان تقدم شيئا جديدا الى العالم ، فهذا الشيء يجب ان يأتي ثمرة لذروة جهودك . اما ان تقدم احسن ما لديك ، او لا تقدم شيئا على الاطلاق ، فانتاج اليد اليسرى غير مقبول بتاتا (لاحظ قولي : تدم احسن **ما لديك** ، فلم أقل « قدم الافضل » باعتبار ان القصد هو في الاجتهاد الشخصي) .

٢٩ — **العرب عادة يعشقون الكرسي ويكرهون المسؤولية** ، حتى في المجال السينمائي ، والمطلوب من السينمائي المخلص ان يكون عكس ذلك تماما .

٣٠ — **الوفاء والوفاء دائما للهدف المباشر ، وهو تحرير فلسطين وحرية المواطن العربي ووحدة بلاده ، وللغاية النهائية ، وهي رقي الانسان في العالم وسعادته .**

انها اهداف سامية ولكنها تستحق التعب .

وقد تكون هناك مبادىء ذهبية اخرى ، ولكن لا ريب ان السينمائي البراغماسي سيعثر عليها في طريقه. اما المهم الان فهو تحطيم الحاجز والمباشرة بالعمل.

كلمة اضافية: ما كانت الحركةالسينمائية الجديدة في العالم لتحدث لولا الاختراعات الاخيرة على الصعيد التكنولوجي ، مثل كاميرا الفيديوتيب ذات السعر الرخيص التي ستتيح لكل انسان ان يكون لنفسه مكتبة افلام في بيته ، من افلامه هو ، ومن الافلام التي يشاهدها على شاشة التلفزيون ويريد الاحتفاظ بها . واختراع آخر ساهم في كسر احتكار شركات الافلام الكبرى في هوليوود ، وهو الشاحنة الجديدة التي بامكانها ان تحمل جميع معدات الستديو ، وتتيح للمخرج ان يصور فيلمه في الخارج على الطبيعة . ففي السابق ، كان المخرج الذي يبغي تصوير فيلمه خارج الستديو ، يضطر الى اصطحاب قافلة كاملة من الشاحنات التي تحمل المعدات الضرورية ، مما يؤدي الى نشوء نفقات باهظة هي فوق طاقة اية شركة افلام لا يبلغ رأس مالها الملايين . اما في الوقت الحاضر ، فبامكان المخرج الاستغناء عن العمل في الستديو ، وتحرير نفسه بذلك من الضغوط التي اعتادت شركات هوليوود في السابق ان تخنق بها كل حركة سينمائية نظيفة . فبالاضافة الى الاقتصاد في النفقات ، فالتصوير على الطبيعة يضفي على الفيلم واقعية لا يضاهيه فيها

ديكور الستديو المصطنع . بقي ان نذكر ان مخترع هذه الشاحنة الثورية الجديدة هو شاب عربي في السابعة والثلاثين اسمه فؤاد سعيد ، وكان قد هاجر الى الولايات المتحدة قبل اعوام . فهل لا يلمع نجم العربي الموهوب الا بعد ان يدير ظهره لوطنه ؟

الفيلم الذي نزمع انتاجه

بعد النظرية والمانيفستو ، يأتي دور العمل الذي يجب ان ينبع عن النظرية ، وينبثق من داخل اطار المانيفستو . فمأساة فلسطين هي كما ذكرنا سابقا، كتاب حي يبحث كأبطال بيرانديللو في مسرحيته الشهيرة عمن يسجله سينمائيا . الا ان احدى القضايا التي يجابهها السينمائي العربي الملتزم في مطلع عمله الفلسطيني هي قضية انتقاء الموضوع الاصلح ، وتعيين الهدف . فالمأساة الفلسطينية غنية بالمواد الصالحة للشاشتين الكبيرة والصغيرة، حتى يكاد السينمائي يحير بأي حقبة من المأساة يبدأ ، وما هو الهدف الذي يجب ان يضعه نصب عينيه .

في الحقبة الاولى التي بدأت بوعد بلفور وانتهت بحرب ٤٨ ، تعتبر حياة الشهيد عبدالقادر الحسيني وقصة كفاحه التي تشكل فصلا كاملا في تاريخ القضية ، سيناريو جاهزا لا يحتاج الا لمن يصور احداثه التاريخية . وعن حرب ٤٨ بالذات ، توجد اقاصيص الدكتور عبدالسلام العجيلي التي يمكن نقلها الى فيلم جيد دون جهد كبير ، كما توجد رواية المؤلفة الارلندية اثيل مانين « الطريق الى بئر سبع » التي تنبأت فيها بظهور حركة المقاومة . وفي الحقبة الثالثة التي اندلعت فيها الثورة وحدثت بها معركة الكرامة ، يجد السينمائي امامه عشرات القصص الحقيقية ، حتى يقوى عنده الاغراء بأن يباشر عمله بقصة عن المقاومة لكي يزيل على الاقل من أذهان المشاهد العربي أثر الافلام التهريجية المقرفة التي أخرجت خلال الاعوام الاخيرة ، والتي قدمت لنا شخصيات كاريكاتورية مضحكة مبكية على انها رجال المقاومة الفلسطينية ، حتى كاد الثائر يتحول في مخيلة المشاهد المشمئز من فدائي بمعنى الكلمة ، الى مهرج تافه يثير الاحتقار . (وحمدا لله ان هذه الافلام الفاضحة لم تصدر الى الخارج). وبالاضافة الى المواضيع الدرامية ، توجد السينما الوثائقية : مأساة فلسطين كما سجلتها عدسات مصوري وكالات الانباء والتلفزيون والسينما في العالم في نصف قرن . مأساة فلسطين بالصور والارقام . مأساة فلسطين كما يرويها ابطالها من اللاجئين. انها عشرات المواضيع التي تملأ ارشيفا كاملا . ولكن القضية هنا هي قضية اسبقية وأفضلية . ولهذا يأتي أمر تعيين الهدف. هل الفيلم الذي نزمع انتاجه سيكون بالدرجة الاولى للجمهور العربي . ام هل سنضع نصب أعيننا هدف عرضه على جمهور غير جمهورنا ؟

هذا هو ما يجب ان نخطط له منذ البداية . والسؤال المطروح الان هو : هل الفائدة التي سنجنيها من انتاج فيلم فلسطيني لجمهورنا هي أعظم من الفائدة التي سنحصل عليها من وراء عرض فيلم انتج خصيصا للعالم الخارجي ؟ برأيي : كلا . الهدف في الوقت الحاضر يجب ان يكون الجمهور في اوربا وامريكا ، والفيلم الذي نريد تقديمه الى الاجانب يجب ان يكون عملية اعلامية بارعة وليس مجرد عمل حماسي كالذي ينتظره جمهورنا العربي . بعبارة اخرى : هدفنا يجب ان يكون التأثير على العقول وكسب المؤيدين خارج وطننا العربي ، على الاقل في الوقت الحاضر .

هذا الهدف يتطلب منا القيام بعملية غربلة دقيقة جدا للمواضيع المقترحة سعيا وراء الموضوع الاصلح كفاتحة لعملنا السينمائي الملتزم . وبقدر ما يتعلق الامر بي ، فأظن اني عثرت على مبتغاي في كتاب أسعد عبدالرحمن « أوراق سجين — عشرة أشهر في المعتقلات الاسرائيلية » (رقم ٥١ من سلسلة دراسات فلسطينية التي ينشرها مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) . قرأت هذا الكتاب لاول مرة عام ١٩٦٩ ، وبعد عام على ذلك التاريخ ، علمت بالتأكيد ان هذا الكتاب هو ما أبتغيه ، وذلك للاسباب التالية : ١) ان الكتاب المذكور يتضمن اول تحاجج مباشر (تحاجج وليس حوارا) بين مثقف فلسطيني معتقل وبين سجانيه اليهود ، الخبراء في الضغط وغسل الدماغ . ٢) انه يبين بوضوح الاساليب الدنيئة التي يلجأ اليها الاسرائيليون فيمعاملةالمعتقلين العرب،كالضرب والتعذيب والاهانة . ٣) ان التحاجج بين أسعد وسجانيه يؤدي الى كشف معالم القضية ، واستعراض جوانبها استعراضا شاملا تقريبا ، كما يتضمن الردود التاريخية على المزاعم الصهيونية التي غسل بها العدو دماغ العالم . ٤) ان الكتاب بحد ذاته ، وبغض النظر عن جميع الاعتبارات السياسية والدعائية ، يكون مادة دراماتيكية من الدرجة الاولى ، وذلك لتصويره المجابهة الحادة

بين نموذجين متضادين من البشر ، فهو بذلك يماثل كتاب «ظلام عند الظهر» لارثر كوستلر ، والمسرحية التي اقتبست عنــه ، وكذلك المسرحية الانجليزية المعروفة « السجين » التي اصبحت فيلما فيما بعد، وغيرها من الاعمال الادبية الاخرى التي تدور حول أحداث سياسية تاريخية ، وتصور صراع الفكر والارادة بين السجــين والسجان ، بين المتهــم والمستجوب . ٥) لان مادة الكتاب ليست من النوع الذي يخلق متطلبات مالية وتكنيكية هي فوق طاقة المنتج والمخرج العربي .

وفي ١٩٧٠/٩/٢٢ وضعت خطة العمل التي أنوي انتهاجها وطلبت الاذن منمركز الابحاث باخراج الكتاب تلفزيونيا ، وهي كما يلي : ١ ــ سيصور الفيلم على شريط ١٦ ملم (اسود ــ ابيض) للتلفزيون . وقد اخترت التلفزيون وليس السينما لان مدة العرض لن تستغرق اكثر من ساعة . ٢ ــ سأتولى انا كتابة السيناريو واخراج الفيلــم ، وسأحــاول الحصول على الممثلين من بين هواة السينمــا والمسرح في المعاهد والجامعات العربية وخارجها. ٣ ــ على جميع المشتركين (مــا عدا الفنيين المحترفين طبعا) ومنهم أنا ، تقديم خدماتهم مجانا كتبرع للقضية الفلسطينية . ٤ ــ يعود ايراد الفيلم باكمله الى منظمة التحرير . ٥ ــ سينتج الفيلم تحت اشراف المنظمة . ٦ ــ المنظمة ليست ملزمة بتمويل المشروع . ٧ ــ سيكون الفيلم ناطقا باللغة الانجليزية ، وذلك لسببين ، اولهما ان الانجليزية كانت اللغة التي استعملها اسعد فعلا مع محققيه الاسرائيليين ، وثانيا لانها اللغة التي ستؤمن للفيلم توزيعا عالميا . ٨ ــ تطبع الترجمة العربية على الشريط الذي سيوزع داخل البلاد العربية . ٩ ــ العنوان المبــدئي الذي اخترته للسينار يــو هو « استجواب فلسطيني » .

وقلت لمركز الابحاث : « اني لا أطلب منكم فقط الاذن في انتاج الفيلم ، وانما سأحتاج الى مؤازرتكم المعنوية ، والــى اشرافكم الاداري على الانتاج والتوزيع . طبعا انا أدرك بأن منظمة التحرير قد لا تنظر بارتياح الى فكرة الاشراف علــى مشروع سينمائي باعتبار انها منظمة ثورية وليست شركة سينمائية ، وردي على ذلك انه لان منظمة التحرير ثورية اصلا ، فقد توجهت اليها بمشروعي ثقة مني بأن الثورة الفلسطينية هي ليست ثورة سياسية مسلحة فحسب ، وانما ايضا ثورة ثقافية واجتماعية وفنية وادبية ، ولذلك فاذا المنظمات الثورية ترفض الاقتراحات الجريئة ، فمن يتقبلها اذن ؟ ثم اذا كانت المنظمة قد أسست دار نشر لاصدار الكتب الاعلامية ، فلماذا لا تحاول بذل بعض الجهود على صعيد الاعلام التلفزيوني ، وهو الاعلام الاقوى فعالية ؟ المطلوب منها هو ليس تأسيس شركـة سينمائية او تلفزيونية ، وانما مجرد مؤازرة الجهود المبذولة على هذا الصعيد ، اذ تعلمون انه بينما تسيطر على السينما العربيــة عناصر الشعوذة والدجل (وتشهــد بذلك الافــلام المخزية عــن الفدائيين) فان محطــات التلفزيون الحكوميــة والتجارية تخيم عليها البيروقراطية الغبية التي تقتل كل موهبة وبادرة فنية نظيفة ، حتى اصبحت العبرة في العالم العربي ليست في تأليف او انتاج الاعمال الفنية ، وانما في ايصالها الى الجمهور بعد اجتياز الستار الحديدي الذي أقامــه المحتكرون وتجــار التفاهات وابطــال الروتين الحكومي العقيم بين الفنان العربي والجمهــور . ولهذا فاني اطلب مؤازرتكم في تبني المشروع وشمله برعايتكم واناشدكم منحي تأييدكم المعنوي ، ومرة اخرى اكرر ان الفيلم سيكون هديتي الى المنظمــة ، وسيكفيني فخرا ومكافأة ان اكون انتجت اول فيلم عربي نظيف عن القضية الفلسطينية ، وحققت بذلك حلما يراودني منذ اكثر من خمسة عشر عاما . »

وفي خلال أيام معدودة من توجيهي هذه الرسالة ، وبالرغم مــن ظروف ايلول المفجعة التــي كتبت الرسالة اثناءها تكونت لجنة ثلاثية لمتابعة المشروع معي من السادة : ١ ــ اسماعيل شموط ، مدير الشؤون الفنية في منظمة التحرير الفلسطينية . ٢ ــ غازي خورشيد الباحث فيمركز الابحاث ومؤلف الكتاب « دليل حركة المقاومــة الفلسطينية » . ٣ ــ سمير الحسن ، المخرج وكاتب السيناريو الفلسطيني المعروف . وسرني عندما قابلت الاخ اسماعيل شموط بأن اكتشفت انه ليس فقط من كبار الرسامين الفلسطينيــين ، بل ايضا من اشــد المهتمين بالاعلام السينمائــي . وقد أراني فيلما قصيرا جيدا قام هو بانتاجــه واخراجه وتصويره وتسجيل صوته والتعليق عليه ، وكان عن التدريب في معسكرات المقاومة ، وقد عرض في بعض محطات التلفزيون العربية . اما الاخ سمير الحسن ، فكنت قد شاهدت له فيلما جيدا بعنوان « فيما بعد » (من انتاج الاونروا) ويدور حول النزوح القسري من الضفة الغربية في اعقاب الاحتلال الاسرائيلي لها . واجتمعت اللجنة الرباعية عدة مرات ووافقت

على اقتراحي بأن اكتب السيناريو اولا في صيغة مسرحية وذلك من اجل فحص درجة نجاحها لدى الجمهور ولتلافي نقاط الضعف قبل عملية الاخراج السينمائي . اي ان المسرحية ستكون بمثابة « بريفيو » للفيلم التلفزيوني الذي نزمع انتاجه ، وستتيح الفرصة للممثلين لاتقان أدوارهم على المسرح قبل وقوفهم امام الكاميرا .

ثم أجرت اللجنة اتصالات تمهيدية مع بعض منتجي الافلام العرب لمعرفة رأيهم في المشروع ، فكان رأي هؤلاء انه من الصعب توزيع فيلم عن فلسطين خارج البلاد العربية وذلك بسبب الضغط الصهيوني الشديد على الاوساط الاعلامية (كدور السينما والتلفزيون) في اوربا الغربية وامريكا . أما رأيي انا فكان يتلخص فيما يلي : كيف يمكن ان نعرف ذلك بالتأكيد ونحن لم نحاول حتى الان انتاج فيلم جيد نظيف للتوزيع الخارجي ؟ أليست الاشياء تعرف بالتجربة والمحاولة ؟ فلماذا اذن لا نتبع الاسلوب البراغماسي في العمل بدلا عن التكهن والتخمين ؟ ثم ان الهدف من الفيلم الذي نزمع انتاجه هو الاعلام للقضية ، وليس جمع المال . وحتى اذا لم تتح لنا فرصة عرض الفيلم تجاريا ، فان عرضه في عشرات المهرجانات السينمائية في اوربا وامريكا وآسيا وافريقيا كاف لان يبرر انتاجه ، علما بأن الضغط الصهيوني لا يمكن ان يصل الى المهرجانات السينمائية لانها مفتوحة لجميع الافلام . وبالاضافة الى المهرجانات والمؤتمرات السينمائية ، توجد أمامنا الجامعات والنقابات والنوادي والجمعيات وهي ليست جميعا تحت وطأة الابهام الصهيوني ، كما اعلم من تجربتي الخاصة كشخص أقام سنوات عديدة في أوربا الغربية . ثم ان محطات التلفزيون في العالم الغربي تفسح المجال في كثير من الحالات لعرض وجهة النظر العربية عندما تقدم بأسلوب علمي متزن . ولعل أفضل برهان على ذلك المناظرة الشهيرة التي اجراها تلفزيون نيويورك في برنامجه المعروف باسم « برنامج ديفيد سسكايند » مع الدكتور فايز صايغ ، وهي المناظرة التي أثارت ضجة كبيرة وحفزت المئات من المواطنين الامريكان على ارسال خطابات التأييد الى د. صايغ . فاذا كان التلفزيون الامريكي قد اعطى ساعة من وقته لواحد من أشهر الناطقين بلسان الشعب الفلسطيني لعرض قضيته امام الشعب الامريكي ، فلماذا لا يمنح الفيلم الذي نزمع انتاجه ساعة اخرى من وقته ؟ وحتى لو افترضنا ان فيلمنا لن يعرض مطلقا في الدول الغربية المتحيزة ضدنا كأمريكا وبريطانيا والمانيا وسويسرا الخ .. فهل البلدان الصديقة كالكتلة الاشتراكية والهند وسيلان وباكستان وغيرها دون اهمية لا لشيء الا لانها تؤيدنا حتى من دون ان نبذل أي جهد اعلامي لديها ؟

ان الفيلم الذي نريد انتاجه لن يكلف اكثر من نفقات سفر وفد عربي حكومي يتكون من بضعة اشخاص لحضور مؤتمر في الخارج . فهل هذا هو الثمن الذي لا يمكن تحمله ابدا ؟ بكل سرور يتبرع الفرد العربي بثمن الرصاصة التي ستوجهها المقاومة الى صدر العدو. والمطلوب منه الان ان يقتنع بأن الاعلام الذكي المدروس لا يقل خطرا على العدو من الرصاصة التي تدفع ثمنها بسخاء .

بيان الدكتور وليم ت . مالسون (الابن)

امام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الادنى

التابعة للجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الاميركي (الكونغرس ٩١)

١. الحاجة الى معالجة عقلانية للمسالة .

يجب على المحامين ، كما يجب على غيرهم ، أن يأخذوا بالاعتبار مناخ الرأي العـام في ما يتعلق بمسألة معينـة . ان نزاع الشرق الاوسط ليس مسألة معقدة قانونيا ووقائعيا فحسب ، ولكنه أيضا موضع قدر كبير من الانفعالية. فقد أصيب الكثيرون من الاميركيين ، الذين كانوا زمن الحرب العالمية الثانية شبابا ، بصدمة عميقة عندما بات معروفا في نهاية الحرب أن النازيين قتلوا ستة ملايين يهودي. ونمى هؤلاء في انفسهم شعورا بالذنب الشخصي ، سائلين انفسهم عمـا اذا لم يكن باستطاعتهـم واستطاعة الولايات المتحدة ان يفعلوا اكثر مما فعلوا للحيلولة دون هذه المأساة. وقد أصبح الدعم لدولة اسرائيل بلا تحفظ سبيلا يتوسل به كثير من هؤلاء الاميركيين تجنب مشاعر الذنب هذه . ومن سوء الحظ ان هؤلاء يميلون الى اعتبار اي نقد لتلك الدولة هجوما عليهم وعلى انعتاقهم الشخصي من الذنب ، ذلك الانعتاق الذي حققوه عبر دعمهم لاسرائيل . وهناك ايضا ميـل لديهم لخلط دعم المصالح الانسانية داخل تلك الدولة بدعم العناصر الاكثر مغالاة في نزعتها العسكرية داخل الحكومة. بيد أنه مهما تعاطف المرء مع دوافع هؤلاء الافراد طيبي النوايا ، الا أن من الضروري ادراك ان الانفعالية وحدها مهما كانت حسنة الدوافع ليست طريقة بناءة في معالجة مسألة نزاع الشرق الاوسط المعقدة . ولقد بين البحاثة الاميركي الشهير الدكتور برونو بتلهايم بفعالية المناحي المخربة في معالجة المسائل السياسية والاجتماعية معالجة انفعالية ، ومن المناسب هنا ان نذكـر ان الدكتور بتلهايم يهودي تعرض لاضطهاد النازيين .

وبينما يتخذ كثير من الاميركيين موقفا متزمتا تجاه أي تساؤل حول سياسات الحكومة الاسرائيلية ، يضع عدد متزايد من الاسرائيليين حكومتهم موضع انتقادات أساسية . فمثلا اعتـرض البروفسور جاكوب تالمون استاذ التاريخ في الجامعة العبرية في القدس اعتراضا شديدا على الموقف الرسمي للحكومة من حيث انكارها لحقوق عرب فلسطين ووجودهم القومي ، وهو يرى أن العالم سيحكم على الطابـع المسالم او العدواني لاسرائيل ، بمعاملتها للفلسطينيين . ومن المهم ايضا وبصورة خاصـة ان اوري افنيري احد اعضاء الكنيست الاسرائيلي وجـه لانتقادات أساسيـة للحكومـة الاسرائيلية ، وعبر ، في الكنيست وخارجه ، عن اعتقاده الجازم أنه لا مستقبل لاسرائيل ومواطنيها اليهود في الشرق الاوسط ما لم يتم التوصل الى اتفاق مع الفلسطينيين مبني على المصالح المشتركة. وقد وضع آراءه هذه في كتاب بعنوان « اسرائيل بلا صهيونيين : نداء من أجل السلام في الشرق الاوسط » (١٩٦٨) .

وليس خروج اليهود في اسرائيل خروجا متزايدا على سياسات حكومتهم أمرا يثير الدهشة ، فهو يعكس اختلافات أساسية بين اليهودية والصهيونية. وفهم هذه الاختلافات أمر ضروري للقيام بتحليل قانوني ذي معنى . اليهودية دين ذو قيم أخلاقية شاملة لها تأثير مستمر على المحتوى الاخلاقي لكل من المسيحية والاسلام . وقد عاش اتباع اليهودية في الشرق الاوسط منـذ العصور التوراتية وحتى الان ، وعندما طرد اليهود من اسبانيا والبرتغال

وجدوا لهم ملجأ في البلاد العربية التي قبلتهم مواطنين كاملين . ان أحد المصالح اليهودية الرئيسية المستمرة هي العيش في الشرق الاوسط بسلام مع المسيحيين والمسلمين . أما الصهيونية بالمقابل فهي قومية انعزالية تميز اليهود عن غيرهم ، وهي أساسا رد فعل لحياة المجبر (الغيتو) في أوروبا الشرقية . ومن الصعب على الاميركيين خاصة ، كما بين السيد موسس لاسكي أحد محامي كاليفورنيا الشهيرين ، أن يفهموا الصهيونية بسبب أصولها المجبرية . ويرى الدكتور ثيودور هرتزل في الكتاب الصهيوني الكلاسيكي « الدولة اليهودية » (١٨٩٦) أن الحل الوحيد للاسامية هو انشاء « دولة يهودية » يهاجر اليها كل اليهود ويتمتعون فيها بحقوق وامتيازات خاصة. يعتقد بعض اليهود في اسرائيل أن من الضروري لحكومتهم أن تتحول عن الوسائل العسكرية الى الوسائل الدبلوماسية لحماية وتعزيز المصالح اليهودية . ويعتقد البعض الاخر ان الصهيونية لا تتناسب في ذاتها مع أي اتفاق ذي معنى مع الفلسطينيين ، وأن طبيعة دولة اسرائيل ذاتها يجب أن تتغير اذا أريد للسلام أن يتحقق . ويشمل نقاد الحكومة الاسرائيلية اليوم صهيونيين متفانين ، مثل الدكتور ناحوم جولدمان الذي كان صهيونيا طيلة حياته ولا يزال ، والذي كان سنوات عدة صديقا حميما للدكتور حاييم وايزمان أول رئيس لدولة اسرائيل . وقد قام الدكتور جولدمان كرئيس للمنظمة الصهيونية العالمية / الوكالة اليهودية بالتفاوض مع المانيا على التعويضات نيابة عن الحكومة الاسرائيلية. وهو كصهيوني مخلص مكرس لهدف الحفاظ على اسرائيل دولة صهيونية بمنع عودة الفلسطينيين الى بيوتهم . بيد أنه أثار تساؤلات حول فعالية سياسة الحكومة الاسرائيلية، وذلك في مقالة بعنوان « مستقبل اسرائيل » ظهرت في مجلة « فورين أفيرز » (نيسان ١٩٧٠) ، وفيها ينتقد مغالاة الحكومة في الاعتماد على الوسائل العسكرية لتحقيق الامن . والدكتور جولدمان ينصح في الجوهر بأن تتحول دولة اسرائيل من بروسيا الى سويسرا الشرق الاوسط . وهو يرى أن هذا ضروري من أجل المصالح الذاتية بعيدة المدى لاسرائيل .

وفي النهاية ، لا يجب ان يفترض ان نقد الصهيونية مقتصر على الاسرائيليين. فهناك تقليد يهودي أخلاقي قائم منذ مدة طويلة في الولايات المتحدة يرفض الصهيونية لانها لا تتفق مع اليهودية ولا مع حقوق الفرد السياسية . ويمثل البروفسور الراحل موريس كوهين هذا التقليد أصدق تمثيل . فهو يقول في ص ٣٢٩ من كتابه « عقيدة ليبرالي » (١٩٤٢) : « على الرغم من اقتناع معظم قادة الصهيونية في اميركا اقتناعا صادقا عميقا بأن الصهيونية والاميركية لا تتناقضان، الا انهم مخطئون في ذلك خطأ فاحشا. فالصهيونية القومية لا تطالب لليهودي بالحرية الفردية التامة ، بل تطالب له بحكم الجماعة الذاتي » . يمكن اعتبار هذا النوع من النقد العقلاني المسؤول الذي لخصناه آنفا بايجاز معيارا مثلا ليحتذيه أولئك الذين يحاولون أن يلعبوا دورا ايجابيا في حل مشاكل الشرق الاوسط .

٢. قانون الولايات المتحدة : مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب .

ان المعالجة التي سنقدمها لهذا الموضوع موجزة بالضرورة . ويمكن العثور على تفاصيل لكثير من المسائل المثارة هنا في دراسة بعنوان « المشاكل القانونية فيما يتعلق بالوضع القانوني والنشاطات السياسية للمنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية : دراسة في القانون الدولي وقانون الولايات المتحدة »(١).

أ — مقصد واهمية « مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب » — جلسات مجلس الشيوخ لسماع الشهادات . (١٩٦٣) : ان مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب للعام ١٩٣٨ كما عدل تشريع انشائي(٢). تقول مقدمة المرسوم ان مقصده تطلب الانشاء الكامل للوكلاء الاجانب ودعايتهم ونشاطاتهم الاخرى لحساب المصالح الاجنبية في الولايات المتحدة : « حتى يمكن لحكومة الولايات المتحدة وشعبها أن يعرفا هوية هؤلاء الاشخاص والحكم على بياناتهم وأعمالهم على ضوء ارتباطاتهم ونشاطاتهم » . وانه لمن المشكوك فيه جدا أن يتم الحفاظ على القيم التي يحميها « التعديل الاول للدستور » ، بما فيها حرية الدين والصحافة والكلام ، في ظل الظروف المعاصرة بدون مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب . فصياغة وتنفيذ سياسة الولايات المتحدة القومية يعتمدان اليوم على الفهم الواضح للقوى الحكومية والسياسية العاملة على امتداد العالم والتي تعبر عن نفسها داخل الولايات المتحدة . وما لم يطبق « مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب » تطبيقا فعالا ، فان سلامة العملية السياسية المحلية ستتعرض للفساد ولن يستطيع

الناخبون الاميركيون والحكومة الاميركية التعرف بالحد الادنى من المعرفة والمسؤولية . والمقصد المركزي لـ « مرسوم التسجيل » هو تحديد هوية النشاطات السياسية والدعاوية الاجنبيـة فـي الولايات المتحدة وانشاؤها . وليس هدف القرار حظر أو منع هذه النشاطات مـا دامت شروط الانشاء التي ينص عليها التشريع موفى بهـا . وقد أوضح القاضي بلاك هذه المسألة صراحة فقال: « ان هذا التشريع يصون الحريات الممنوحة التي يضمنها التعديل الاول ، ولا ينتقص منها »(٣).

وأهمية مرسوم التسجيل كوسيلة رئيسية للتمييز بين النشاطات السياسية الاميركية والنشاطـات الاجنبية ، أكثر ما تكون بالعلاقة مع مسألة الشرق الاوسط البالغة التعقيد . ان كلا من مكتب الاعلام التابع لجامعة الدول العربيـة ومنظمة التحـرير الفلسطينية مسجـل بموجب مرسوم التسجيل ، وبيانات التسجيل تشير بصورة واضحة الى انهما يمثلان وجهات نظر اجنبية . كما تشير الـى انه على الرغم من ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل مصالح اجنبية ، الا انها لا تعمل لحساب الحكومات العربية ، أما مكتب الاعلام التابع لجامعة الدول العربية فهو بالمقابل يمثل وجهات نظر الحكومات العربية الاعضاء في الجامعـة . وتورد بيانات التسجيل بصورة كاملة ، أن مكتب الاعلام يمثل وجهة النظر الحكومية العربية . أما الفرع الاميركي للوكالة اليهودية فمسجل بموجب مرسوم التسجيل كوكيل للوكالة اليهودية التي يقوم مقر قيادتها في القدس في اسرائيـل . وبما أن أحد الاهـداف الرئيسية لمرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب هو تحديد هوية الاصيل(٤) الاجنبي للوكيل المسجل ، فان من الضروري أن يجري هذا التحديد في حالة الوكالة اليهودية . وعلى الاخص ، من الضروري أن نتبين ما اذا كانت الوكالة اليهودية هيئة مستقلة لها وجهة نظرها الخاصة ام انها هيئة مرتبطة قانونا بحكومة اسرائيل وتتحدث باسمها .

في العام ١٩٦٣ قامت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ببحث تنفيذ مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب وتضمـن البحث تحقيقا في النشاطـات السياسية للجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة بالنيابة عن الحكومة الاسرائيلية . ويظهر تسجيل الشهادات في « شهادات في نشاطات الممثلين غير الديلوماسيين للاصيلين الاجانب في الولايات المتحدة أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ»(٥) (الكونجرس الثامن والثمانين ، الجلسة الاولى ، ١٩٦٣) . وتظهر الشهادات الرئيسية والمعلومات المتعلقة بالنشاطات الصهيونية في الولايات المتحدة في الجزء التاسع ص ١٢١١ — ١٩٢٤ (٢٣ أيار مايو ١٩٦٣) وفي الجزء الثاني عشر ص ١٦٩٥ — ١٧٨٢ (١ آب أغسطس ١٩٦٣) .

وقد أدى اهتمام لجنة مجلس الشيوخ بالنشاطات السياسية التي تجري بالنيابة عن حكومة اسرائيل الى التحقيق في وضع الوكالـة اليهودية بموجب القانون . فادلـى جوتلييـب هامـر ، احـد الشهود الصهيونيين، بالشهادة التالية في الموضوع: « أظن أنه يتعين علي أن أوضح أنهم (الوكالة اليهودية) ليسوا جزءا من الحكومة (الاسرائيلية) . انهم ليسوا وكالة حكومية ، ولا هم وكالة عن الحكومـة . » (شهـادات ١٢٢٧) . امـا موريس بوكشتاين ، من محامي نيويورك ، فهو المستشار القانوني للوكالة اليهودية ، وقد مثل كمحام أمام لجنة مجلس الشيوخ في العام ١٩٦٣ . وعندما أشار فولبرايت رئيس اللجنة الى أن العلاقة الدقيقة بين الوكالة اليهودية وحكومة اسرائيـل مسألة رأي قانوني وليست مسألة وقائعية ، قال بوكشتايـن : « انهـا [الوكالة اليهوديـة] ليست مسيرة من الحكومـة الاسرائيلية ولا هي خاضعة لها ، وهي تتلقى بعض المساعدة منها كما ينبغي أن يكون ، ولكنها مستقلة تماما ، ولذا يا سيدي الرئيس ليست المسألة مسألة رأي اطلاقا انها مسألة واقع » (شهادات ١٧١٢) .

ب — هوية المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية كأصيل أجنبي .

١ — الوكالة اليهودية بحكم القانون الاسرائيلي العام — من الضروري لتحديد الوضـع القانوني للوكالة اليهودية أن نتفحص بايجاز القانون العام لدولة اسرائيـل . ان التشريع ذا العلاقة هـو « قانون وضع المنظمة الصهيونية العالمية — الوكالة اليهودية » (سنشير الى هذا القانون من الان فصاعدا باسم قانون الوضع) ، قوانين دولـة اسرائيل (١٩٥٢) . ينص الجزء الثالث من هذا القانون على أن المنظمة الصهيونية « هي ايضا الوكالة اليهودية » مما يوضح ان هناك هوية واحدة باسمين مختلفين . وينص الجزء الرابع على ان دولة اسرائيل تعترف بالمنظمة الصهيونية كـ« الوكالة المأذونة » لاداء أعمال مختلفة من النوع الحكومي أو العام . وينص كذلك على ان الهيئة التنفيذية ،

وهي الهيئة المسيرة للمنظمة (او الوكالة اليهودية)، « هيئة قانونية » (الجزء الحادي عشر) ، وفي الجزء السابع يجيز قانون الوضع وضع ميثاق لتحديد تفصيلات الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية .

أصبح « الميثاق بين حكومة اسرائيل والهيئة التنفيذية الصهيونية المسماة أيضا الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية » نافذ المفعول في العام ١٩٥٤ . ويحدد الميثاق قائمة طويلة من المهام الحكومية والعامة التي تقوم بها المنظمة / الوكالة وينص على أنه يتعين عليها أن تنسق في اسرائيل نشاطات «المؤسسات والمنظمات اليهودية» ذات «الاعتمادات المالية العامة » . وتنص ملاحق الميثاق على أن الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية تعامل كجزء من الحكومة الاسرائيلية في أوجه متعددة تتضمن تطبيق الاوامر الحكومية فيما يتعلقبالتفتيشات والحجوزات في المكاتب الحكومية على « الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية ومؤسساتها كما يعرفها الميثاق » . وباختصار ، يشير الميثاق وقانون الوضع الى أن المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية في بعض الوجوه جزء من حكومة اسرائيل وفي البعض الآخر هيئة عامة وكيلة لتلك الحكومة تقوم نيابة عنها بمهمات معينة . وهذه النتيجة عن وضع المنظمة / الوكالة الحكومي و/أو وضعها كهيئة عامة تختلف تماما عن الشهادات الصهيونية التي أدلي بها الى لجنة مجلس الشيوخ في العام ١٩٦٣ . وبما أن قانون الوضع والميثاق مصدران أوليان للقانون العام فانه يجب ان تعلق عليهما أهمية حاسمة ، ما لم تظهر ادلة جديدة مقنعة تثبت العكس .

٢ — الوكالة اليهودية بموجب مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب — لم يقم الشهود الصهيونيون في جلسات مجلس الشيوخ المخصصة لسماع الشهادات في العام ١٩٦٣ بتحليل بنود قانون الوضع أو الميثاق. ولم يرفق المسجل الصهيوني وقت التسجيل أيا من وثيقتي القانون العام هاتين بموجب مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب . فالجزءان الثاني والثالث من هذا المرسوم يفرضان تقديم هذا النوع من المعلومات فهما ينصان على أن بيان التسجيل يجب ان يحتوي على معلومات تتعلق « بمدى مراقبة او توجيه او ملكية او سيطرة او تمويل او اعانة اي حكومة او بلد اجنبي جزئيا او كليا لكل وكيل اجنبي » .

وفي العام ١٩٦٦ أقر الكونجرس تعديلات على مرسوم تسجيل الوكلاء الاجانب ، بقصد تعزيز تطبيقه بما في ذلك اضافة الغرامة الزجرية الى العقوبات الجزائية الموجودة . وبعد دراسة دقيقة للتسجيل الصهيوني ، استطاعت وزارة العدل الحصول على قدر اكبر من الانصياع لمرسوم التسجيل ، وعلى الاخص توصلت الوزارة الى ايداع الميثاق في قسم التسجيل التابع للوزارة وذلك في ٢٨ آب ١٩٦٦ . ويبدو أن بنود الميثاق التي بحثناها أعلاه تثبت ان الوكالة اليهودية اما جزء من حكومة اسرائيل او هيئة عامة تسيرها الحكومة. بيد أن المسجل الصهيوني قام في اليوم ذاته بايداع مستندين جديدين بموجب مرسوم التسجيل ، لا يتفقان مع مستند الميثاق . يقول أحد المستندين في جزء منه « ان الوكالة اليهودية لاسرائيل ليست أداة في يد دولة او حكومة اسرائيل ولا فرعا من أيهما » . وليس هناك في المستند تحليل ولا ايراد لمرجع يدعم هذه النتيجة . واذا كان هناك من دليل ينقض قانون الوضع والميثاق باثبات طابع الوكالة اليهودية غير الحكومي ، فقد كان على المسجل الصهيوني أن يودعه . اما في الحالة الراهنة التي يوجد عليها الملف العام في وزارة العدل ، فان من الواضح بدرجة معقولة أن المسجل الصهيوني يعمل نيابة عن حكومة اسرائيل . ومن الواضح كذلك أن المسجل في موقف صعب حتى تحل التناقضات الواضحة في بيان التسجيل .

كذلك يثير التسجيل الصهيوني بموجب مرسوم التسجيل تساؤلات حول ما اذا كانت المنظمات الاخرى تتكلم نيابة عن مصالح امريكية او عن مصالح حكومة اسرائيل . فمثلا كشف جلسات مجلس الشيوخ لسماع الشهادات في العام ١٩٦٣ النقاب عن ان « مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى » تلقى مبالغ كبيرة من المال من الوكالة اليهودية عبر وكيلها المسجل . ففي السنة الماضية وحدها ، وطبقا لما ورد في بيانات التسجيل الملحقة للمسجل الصهيوني ، تلقى مؤتمر الرؤساء ٥٦٦٧ دولارا من الوكالة اليهودية . وما لم يكن هناك أدلة دامغة تبين أن مؤتمر الرؤساء منظمة امريكية فانه يبدو أن المعونة المالية المستمرة التي يتلقاها من الوكالة اليهودية تبين أن هذا المؤتمر يتكلم نيابة عن حكومة اسرائيل ويجب ان يعرف كذلك . وما لم توضح هويته فان المقصد المركزيلقرار التسجيل، وهو تحديد الهوية ، يبقى معطلا .

هـ — مسائل القانون الضريبي : هيئة عامة اجنبية

ام عمل خيري ؟

بالاضافة الـى المسائل المتعلقـة بتحديد هويـة المنظمات كمنظمات أميركية أم أجنبية ، هناك مسائل أخرى تتعلق بسلامة النظام الضريبي الاميركي . تنص مواد القانون الاسرائيلي العام ، الذي لم نبحثه بعد ، على ان المنظمة الصهيونية / الوكالة اليهودية معفاة من دفع الضرائب في اسرائيل . وينص قانون الوضع على أن هذا الاعفاء يشمـل « الهيئة التنفيذية واعتماداتها المالية ومؤسساتها الاخرى » . ويصف الميثاق الكيرين هايسود « النداء الاسرائيلي المتحد » والكيرن كايمث « الصندوق القومـي اليهودي » بأنهما « مؤسستان تابعتان للمنظمة الصهيونية » . وفي ٩ حزيران ١٩٧٠ أضيف في وزارة العدل ملحق للميثاق ينص على تفاصيل ترتيبات اعفاء « الهيئة التنفيذية » من الضريبة . ومن المهم على وجه الخصوص أن الملحق يقول « في هذا الملحق تتضمـن « الهيئة التنفيذية » الصندوق القومي اليهودي والنـداء الاسرائيلي المتحد » . وهـذا يعني ان الصندوق القومـي اليهودي والنداء الاسرائيلي معفيان من الضرائب في اسرائيل لانهما جزء من الهيئة التنفيذية. والهيئة التنفيذية اما فرع من حكومة اسرائيل أو هيئة عامة تحت سيطرتها كما هو منصوص في قانون الوضع والميثاق . واذا فالنتيجـة التي لا يمكن تجنبها هي أن الصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد هما جزءان من حكومة اسرائيل أو من هيأتها العامة : المنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية . وهذان الصندوقان ذاتهما معفيان من الضرائب في الولايات المتحدة لان مصلحة ايرادات الضرائب الداخليـة تعاملهما كمنظمتين خيريتـين أصيلتين . وبالتحديد تعتبر التبرعات التي يدفعها المواطنون الاميركيـون للصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد تبرعات خيريـة يجري اقتطاعها عند حساب الدخل لتقدير الضريبة . وقد قيم البحاثة الصهيوني البارز، البروفسور ندف زفران الوضع في كتابه «الولايات المتحدة واسرائيل» (١٩٦٣) كما يلي : « عدا ذلك ، لم تحاول الحكومة الاميركية أبدا أن تعترض جديا على تصنيف الهبات التي يتبرع بها اليهود الاميركيون والتي تبلغ قيمتها بليون دولار « صدقة » معفاة من الضرائب ، على الرغم من أن هذا المال يندرج فعلا في موازنة اسرائيـل الانمائية العامة » .

النتيجة هي أن لكل من الصندوق القومي اليهودي والنداء الاسرائيلي المتحد حصانة ضريبية في دولة اسرائيل وفي الولايات المتحدة ولكن على أسس قانونية متعارضة . ففـي دولة اسرائيل توجد الحصانة بسبب العمل الحكومي للصندوقين وفي هذا البلد توجد الحصانة بسبب عملهما الخيري المزعوم. ومن الواضح انه لا يمكن أن يكون هذان الاساسان القانونيان المتعارضان صحيحين معا . وما دامت حكومة اسرائيل قد حددت في قانونها العـام أن هذين الصندوقين يقومان بأعمال حكومية لها ، فان ما يتبع من ذلك بالضرورة هو ان فرع الهيئة التنفيذية عندنا يخادع دافعي الضرائب الاميركيين بمن فيهم من يتبرعون للصندوقين الصهيونيين، وذلك بالسماح باجراء حسومات ضريبيـة خيرية تخرق المعيار الذي وضع في نظـام ايرادات الضرائب الداخلية . والى أن تطبق قوانيننا الضريبية ، فان اسرائيل ستستمر في تشغيل اجزاء من حكومتها في الولايات المتحدة وكأنها هيئات خيرية حقيقية .

٣. القانون الدولي المنطبق على الشرق الاوسط .

أ ـ تصريح بلفور : ربما كان تصريح بلفور للعام ١٩١٧ أهم اتفاق دولي يتعلق بفلسطين . ولا شك في أن هذا الاتفاق احد أكثر الاتفاقات الدولية في القرن العشرين تعرضا لسوء الفهم وسوء التفسير. وجد التصريح بدايته في بيان رسمي أصدره وزير الخارجية البريطانية في ذلك الوقت ، وأصبح فيما بعد اتفاقا دوليا عبر تضمـين بنوده كاملة لصك الانتداب الذي أقرته عصبة الامم على فلسطين . وقد كانت كل البنود الاخرى في صك الانتداب على فلسطين متوافقة تمامـا مع شروط تصريح بلفور بما في ذلك بنـود الضمان التي تحمـي حقوق الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين . وكان لا بد من الحصول على موافقة الولايات المتحدة على الوعد منفردة لانها لم تكن عضوا في عصبة الامم ، وقد تم ذلك عبر المعاهدة الانجلو ـ اميركية بشأن فلسطين (١٩٢٥) التـي تضمنت النص الكامل لتصريح بلفور . وعلى الرغم من أن التصريح أساسا من طرف واحد ، الا أنه مع ذلك نتاج اتفاق ثلاثي الاطراف تم بالتفاوض بين الحكومة البريطانيـة والصهيونيين واليهود البريطانيين البارزين . وقد جرت المفاوضات ، طبقا لليونـارد شتايـن مـؤرخ التصريح الصهيوني الثقة ، علـى امتداد ثلاث سنوات . وكان الدكتور حاييم وايزمن الذي أصبح فيما بعـد أول رئيس لدولة اسرائيل المفـاوض الصهيوني الرئيسي . وكان يشجعه على الهدف

المركزي لتفاوضه ، وهــو الحصول على تخويل قانوني لدولة صهيونيـــة في فلسطــين ، القــادة البريطانيون الامبرياليون واللاساميون . وقد اشار المؤرخون الصهيونيون ومنهم الدكتور شتاين الى ان رئيس الوزراء لويد جورج ووزيــر الخارجية بلفور كانا يحملان وجهات نظر لاسامية مدة طويلة. وقد جعلتهما وجهات النظر هذه حليفين طبيعيين للدكتور وايزمن لانهما كانا يريان أن الهدف الصهيوني يعزز الامبريالية البريطانية في الشرق الاوسط ، كما كانا يريان فيه مشروعا سيؤدي على الاقل الى تخفيض عدد اليهود الى الحد الادنى . وقد اعطى لويد جورج وبلفور موافقــة الحكومة البريطانية الاولية على المسودة الصهيونية للتصريح التي تنص كما تقول احــدى الروايات على ان الحكومــة البريطانية « تقبل مبدأ أن يعاد تشكيل فلسطين كوطن قومي لليهــود » وكانت هــذه المسودات الصهيونية تتجاهل ببساطة حقوق مسلمي ومسيحيي فلسطين الذين كانوا يمثلون حينذاك ٩٠ ٪ من سكان ذلك البلد .

كانت العقبة الرئيسية في وجــه تحقيق الاهداف الصهيونية هي اليهود البريطانيون في الحكومة وفي الحياة الخاصة . وقد لعب ادوين مونتاجيو العضو اليهودي الوحيد في مجلس الوزراء دورا بارزا ، فقد كانت الصهيونية ، في رأي مونتاجيو وزملائه ، تتهدد بالخطر حقوق اليهود المساوية لحقوق الاخرين ومكانتهم في بريطانيا وغيرها من الاقطار ، وذلك من خلال ادخالهم رغما عنهم في ما يشكل « الشعب اليهودي » المزعوم الذي يعمل الصهيونيون نيابة عنه . كذلك كان هؤلاء اليهود يسعون الى الحفاظ على الحقوق القائمة للفلسطينيين وكانوا في ذلك على تعارض تام مع الصهيونيين. لقد قام مونتاجيو، بعد موافقة الحكومة البريطانية الاولية المبكرة على الاهداف الصهيونية ، باعداد بيان دقيق يشرح فيه قضية اليهود ضد الصهيونية بعنوان « لاسامية الحكومة القائمة » ، ووزع هذا البيان على زملائه في مجلس الوزراء . تقول هذه المذكرة في جزء منها : « انني أرغب في أن أسجل وجهة نظري بأن سياسة حكومة صاحب الجلالة لاسامية في نتائجها ، وستبرهن على انها أرض سيلتقي عليها اللاساميون في كل بلد مــن بلدان العالــم ... وستجدون في فلسطين شعبا يطرد السكان الحاليين ويأخذ لنفسه أفضل ما في البلد ... » . ويختتم مونتاجيو مذكرته قائلا انه اذا دعمت الحكومة البريطانية الصهيونيين فان « فلسطــين ستصبح مجبر (غيتو) العالم » . فكان أن وضعت هذه المذكرة الصهيونيين في موقف دفاعي وغيرت بصورة جذرية تفكير غالبية اعضاء مجلس الوزراء .

صيغ تصريح بلفور النهائي مــن المسودة السابعة من المسودات التي كان مجلس الوزراء البريطاني يتناولها بالبحث . وقد بدأ التصريح برفض هدف الصهيونية الاقليمي في الاستيلاء على كل فلسطين وأورد فقط أن الحكومة البريطانية « تنظر بعين العطف » الى البرنامج الصهيوني . ويقول نص التصريح : « ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل أفضل جهودها لتسهيل تحقيق هذا الهدف . ويجب أن يكون مفهوما بوضوح انه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يبدي تحيــزا تجاه الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع بــه اليهود في البلدان الاخرى ».

وقد كتب الدكتور حاييم وايزمن في سيرته الذاتية ان هذا كان « تراجعا مؤلما » عما كانت الحكومة البريطانية على استعداد لفعلــه قبل ان يعــرف الموقف اليهودي . وقد قبل الصهيونيون على الرغم من خيبة املهــم المريرة الوعد بما يحتويه مــن ضمانات صريحة للفلسطينيين والحقــوق اليهودية لانهم كما يقول الدكتور وايزمن في المصدر ذاته « لم يجرؤوا على التسبب في مزيد من التاخير بالتأكيد على الصيغة الاولى ... » .

ان هذا التفسير لتصريح بلفور علــى أنه هزيمة للصهيونية على أساس تاريخ التفاوض السابق للتصريح يدعمه دعما كاملا تفســير نص التصريح ذاته . ففي الفقرة الاولى ، فقــرة « العطــف السياسي » تم التخلي عــن المحاولة الصهيونية للحصول على ذكر لـــ « الحقوق » او « المبدأ » . كما أن كلمات « العطف » و« افضل الجهود » التي تظهر في الفقرة الاولى تعتبر في الاستعمال القانوني المتعارف عليه كلمات تفيد التمني او التضرع . وبذلك يصبح واضحا ان فقرة العطف ، حتى اذا أخذت دون اعتبار الضمانات ، لا تشكــل أي التزام قانوني مهما كان .

تشير فقرة الضمان الاولى الــى « حقــوق » الفلسطينيين المدنية والدينية . وبالطريقة ذاتهــا يشير الضمان الثاني الى « حقوق » اليهود في أي

بلد آخر غير فلسطين ووضعهم السياسي وتستعمل كلمة « حقوق » هنا لتعيين التزام قانوني . من الواضح اذا بدون تحليل ابعد من ذلك ان « حقوق» من صينت حقوقهم يجب ان تعطى الاولوية على الاشارة العامة الى « العطف » في الفقرة الاولى . وتدعم هذا التحليل ايضا الكلمات التي لا لبس فيها والتي تسبق « الحقوق » المصون . تقول هذه الكلمات : « ويجب ان يكون مفهوما بوضوح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يبدي تحيزا تجاه «الحقوق» المصون». وهذا يضع أولوية محددة للحقوق المصون ، ويجب ان يضاف ان تفوق « الحق » المصون ليس مكتوبا في النص على انه منع لالحاق الضرر باولئك المصونين او لخرق الفقرة . اذ ينص الوعد باختيار دقيق للكلمات ان لا يفعل اي شيء من شأنه ان يبدي « تحيزا » ضد هذه الحقوق . ويجب التأكيد في التفسير الحقوقي للضمان الاول الذي يصون « الحقوق المدنية والدينية » للفلسطينيين أن هذا الضمان قد ادخله مجلس الوزراء البريطاني رغم معارضة المفاوضين الصهيونيين الصريحة لذلك . والتفسير الاكثر معقولية هو أن هذه الفقرة تصون الحقوق التي حصل عليها الفلسطينيون ومارسوها عندما كانت فلسطين جزءا من الامبراطورية العثمانية. وتتضمن هذه الحقوق بالاضافة الى حرية الدين قدرا من الاستقلال الذاتي السياسي وحق العيش وحق ملكية الارض وحق امتلاك البيت الفردي وكذلك الحفاظ على سلامة المتحد الفلسطيني كهوية سياسية . ومن الواضح أنه كان هناك منذ بداية دولة اسرائيل خرق دائب لهذه الحقوق كما يتضح من القانون العام ومن الممارسات الفعلية للدولة . سعى اليهود عبر الضمان الثاني الى الاحتماء من التحيز ضد وضعهم السياسي القائم او الحاق الضرر به اللذين قد ينجمان عن ادخالهم في الهوية القومية المدعاة لـ « الشعب اليهودي » . وتشكل الممارسة الاسرائيلية الصهيونية في العمل نيابة عن « الشعب اليهودي » في القانون العام خرقا للضمان الثاني .

يعتقد الكثيرون ان انتداب عصبة الامم على فلسطين انتهى في العام ١٩٤٨ وتت انشاء دولة اسرائيل . وقد كان تصريح بلفور بما فيه فقرات الضمان جزءا من الانتداب ، كما قلنا سابقا . غير ان اعلان انشاء دولة اسرائيل يدعي صراحة ان تصريح بلفور هو التخويل القانوني لدولة اسرائيل ، وبذلك تكون حكومة اسرائيل قد مدت فيسريان مفعول تصريح بلفور كجزء من القانون الدولي باعتمادها المستمر عليه . وبما أن تصريح بلفور يستخدم كتخويل قانوني لدولة اسرائيل ، فيجب ان يطبق التصريح كله بما في ذلك ضمان الحقوق الفلسطينية. ولان أكثر حقوق الفلسطينيين أولية لم تحترم من جانب حكومة اسرائيل ، فان هناك خرقا مستمرا من جانب تلك الحكومة لتصريح بلفور كتخويل قانوني مدعى منذ ١٩٤٨ وحتى الوقت الحاضر .

ب ـ القانون الدولي كوسيلة للسلام في الشرق الاوسط : يمكن للقانون الدولي كالقانون المحلي أن يطبق بحكمة وبلا تحيز . ولكنه يصبح بلا قيمة كوسيلة للسلام اذا لم يطبق .

المحاولات التاريخية لتحقيق السلام :

أ ـ تقسيم فلسطين (١٩٤٧ ـ ٤٨) ـ أوصى قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ الى « دولة يهودية » و« دولة عربية » في فلسطين . وقد دعمت حكومة الولايات المتحدة هذا القرار عندما اتخذ ، ولكن موقفها تغير بعد ذلك عندما أصبح واضحا أن التقسيم يمكن أن يؤدي الى نزاع واسع كما حصل فعلا . فكان موقف الولايات المتحدة الثاني الذي درس بعناية اكبر هو دعم وصاية الامم المتحدة على فلسطين بكاملها. وكان الموقف الثالث الاعتراف باسرائيل دون أي تحفظات بشأن حقوق الفلسطينيين المطرودين . وقد قال الرئيس ترومان بصراحة في المجلد الثاني من سيرته الذاتية التي كتبها بعد تقاعده أن هذا قد تم لاعتبارات سياسية محلية .

يرى الفلسطينيون ان قرار التقسيم غير شرعي على أساس ميثاق الامم المتحدة . وهم يؤكدون أن القرار يخرق المادة الثمانين من الميثاق التي تحفظ وتصون صراحة حقوق « أية دول أو شعوب او شروط الاتفاقات الدولية القائمة » . وقد كان وعد بلفور آنذاك ساري المفعول كجزء من انتداب العصبة وكان التقسيم متعارضا معه . ويؤكد الفلسطينيون أيضا أن أي تقسيم لاي بلد ضد رغبة أغلبية سكانه خرق صارخ للمبدأ الاساسي لـ « حق الشعوب في تقرير مصيرها » الذي يرد في المادة الاولى من ميثاق الامم المتحدة . وبالمقابل تحتجج حكومة اسرائيل بصحة قرار التقسيم . فاذا فرضنا لاغراضنا الحالية أن التقسيم صحيح قانونيا ، فان من الواضح أن الكثير من بنوده الرئيسية قد خرق.

فلم نحترم البنود البالغه الاهميه المتعلقه بالحدود اذ وسعت الحدود الجغرافية لدولة اسرائيل كما يوردها القرار عن طريق الغزو العسكري . وينص بند آخر من بنود القرار تحديدا على « الحماية المتساوية أمام القانون » لكل الاشخاص دون تمييز ديني . ويؤكد الفلسطينيون أن طبيعـة اسرائيل كدولة صهيونية تتضمن تمييزا مستمرا ضد المسلمين والمسيحيين في القانون العام . وقانون العودة في رأيهم يوضح التمييز ضـد الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين ، فبموجب بنود هـذا القانون يملك اليهودي الذي ولد في واشنطن أو أي مكان آخر في العالم حقا قانونيا في « العودة » الى اسرائيل ، ولا يملك المسلم أو المسيحي الذي ولد في فلسطين حق العودة الى بلده بموجب القانون ذاته . ان أبرز معالم قرار التقسيم كما تبدو من منظار عشرين سنة مرت عليه هو أن القـرار أسهم في النزاع المستمر في فلسطين والشرق الاوسط .

ب ــ اعادة اللاجئين الفلسطينيين او تعويضهم ــ حق الفلسطينيين في العودة أو التعويض معترف به بموجب الفقرة الحادية عشرة مـن قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ . وقد أعادت الامم المتحدة منذ ذلك الحين وحتى الان التأكيد على حق العودة او التعويض المرة تلو الاخرى وكانت الولايات المتحدة تصوت الى جانب ذلك كل مرة . لكن الفلسطينيين لم يعادوا ولا هم عوضوا ، والفشل في وضع حقوق اللاجئين الفلسطينيين هذه موضع التنفيذ هو أحد اسباب عدم ثقة الفلسطينيين بالامـم المتحدة والولايات المتحدة . ومن المهم أن حكومة اسرائيل توصلت بالتفاوض عبر الدكتور ناحوم غولدمان الى اتفاقية تعويضات مع جمهورية المانيـا الاتحادية وذلـك للتعويض على املاك اللاجئين اليهود الذين فروا من الارهاب النازي . واذا طبقت المعايير ذاتها التي وضعت في اتفاقية اسرائيل ــ جمهورية المانيـا الاتحادية للتعويضات (« اتفاقية لوكسمبورج » للعام ١٩٥٣) على حكومـة اسرائيل لصالـح الفلسطينيين ، فان ذلك سيشكل تقدما حقيقيا عن الحالة الراهنة ، حالة لا تعويضات ولا عـودة للفلسطينيين .

جـ ــ ايقاف غزو السويس (١٩٥٦) ــ عندمـا حصل الهجوم البريطاني ــ الفرنسي ــ الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ، شجبت حكومة الولايات المتحدة « الهجوم المسلح » وأصرت ، على حد تعبير الرئيس ايزنهـاور ، ان لا يجازى العدوان بمكاسب اقليمية . وقد تمت عملية الردع التي قامت بها الولايات المتحدة بفعالية غـير معتادة بسبب التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وتم التوصل الى انسحاب القوات الغازية جميعا انسحابا كاملا ، واعيدت الحدود الى ما كانت عليه قبل الهجوم . وقـد تمتعت الولايات المتحدة بمكانة ومنزلة رفيعتين في الشرق الاوسط لمدة سنة على الاقل بعد هذا الرد الناجح للعدوان . وانها لغلطة قاتلة ان حكومتنا لم تستخدم مركزها لتحقيق سلام قائم علـى العدل لكل الشعـوب المشتركة في النزاع .

د ــ حرب ٥ ــ ١١ حزيران ١٩٦٧ ــ اكد الرئيس جونسون وحكومته وأعـادا التأكيد على مبـدأ « السلامة الاقليميـة لكل الدول » في الشـرق الاوسط ، وذلك قبل وخلال وبعد معارك حزيران ١٩٦٧ . بيد أنه لم يكن هناك ، بعـد الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية الذي خطط له جيدا ونفذ جيدا ، ما يشير الى أن هذا المبدأ سيطبق حفاظا على السلامة الاقليمية للدول العربية . وقد كانت النتيجة التـي كان يمكن التنبؤ بهـا لهذا التعارض بين الكلمات والافعال هي فقدان حكومة الولايات المتحدة لقدر كبير من الثقة بها . وكان الانجاز الرئيسي لحكومـة اسرائيل في احتفاظهـا بالاراضي العربية المحتلة بدعم ضمني من الولايات المتحدة هو خلق حركة مقاومة فلسطينية فعالة .

ومن الواضح ، بعد أحداث حزيران ١٩٦٧ بما في ذلك خلق المزيد من اللاجئين الفلسطينيين ، أن كثيرين من الفلسطينيين لم يعودوا راغبين في تحقيق العدل لقضيتهم بالاعتمـاد على القانون الدولي ونزاهة وأمانة حكومة الولايات المتحدة أو الامم المتحدة .

ان من المناسب هنا أن نتساءل ما اذا كانت حكومة الولايات المتحدة قد اتبعت منـذ حزيران ١٩٦٧ سياسات تؤدي فعلا الى السلام في الشرق الاوسط. ان تواطؤ الولايات المتحدة في الهجوم الاسرائيلي المسلح عام ١٩٦٧ يشكل في المدى البعيد تهديدا لدولة اسرائيل أكثر بكثير من العرب . فسيكون الجيل الجديد من العرب قادرا في المستقبل على استعمال المعدات الحربية المتطورة لاغراض الهجوم المسلح قدرة اسرائيل علـى ذلك في المـاضي . وبالاضافة الى ذلك يستخـدم الفلسطينيون الان أسلوب حـرب العصابات الذي لا يمكن دحـره

باستيعاب قدر اكبر من التقنية العسكرية الهجومية من النوع الذي تمثله أحسن تمثيل طائرات «فانتوم» الاميركية النفـــاثة . ان نزاع الشرق الاوسط ، كنزاع فيتنام ، لا يمكن كسبه باستخدام الاسلحة الهجومية ، ولو كان كذلك لكسبته دولة اسرائيل منذ أمد بعيد .

ان الخطــوة الاولــى التــي لا غنــى عنهـــا نحــو الســلام هــي فهــم عنــاصر « نــزاع الشرق الاوســط » . وهو فــي الواقع يتكــون من نزاعين : الاول والاساسي بينهما هو النزاع بين القومية الصهيونية وبين الشعب الفلسطيني على فلسطين ، والثاني أي النــزاع بين الدول العربية ودولة اسرائيل مشتق من الاول ، والدول العربية في هذا النزاع أطراف أصيلة ولكنها في النزاع الاول أطراف ثانوية . لقد حصلت وجهة نظر حكومة اسرائيل على الكثير من الدعاية في الولايات المتحدة ، أما وجهة نظر الفلسطينيين فلم نحصل على ذلك . ويجب أخذ موقف الفلسطينيين القانوني بعين الاعتبار سواء كان المرء يتفق معه أو لا . فهم يقولون أنهم قد طردوا مــن ديارهم باستخدام القوة والارهــاب وذلك مخالف للمادة الثانية من ميثاق الامم المتحدة ، وهم يرون بأنهم واحد من الشعوب المؤهلة لتقرير المصير وواحدة من الامم المؤهلة لحقوق متساوية بموجب الميثاق. وهم يؤكدون أيضا أن مصالحهم وحقوقهم يجب أن تصان في أي تسوية تتعلق بفلسطين ، وهم يرون أن أي تسوية بدونهم غير ملزمة قانونيا .

ربما لا تزال الامم المتحدة توفر افضل فرصة لتحقيق السلام بقدر لا غنى عنه من العدالة في هذا العالم الذي يفتقر الى الكمال . ولا تستطيع الامم المتحدة بالطبع أن تكون فعالة دون الدعم الكامل لها من كل أعضائها ، وبخاصة الدول الكبرى . ان ميثاق الامم المتحدة ملزم لكل الدول الاعضاء فيها ، وتنص المادة ١٠٣ من الميثــاق على أن الالتزامات التي يحددها القانون لها السيادة على « أي التزام دولي آخر » في حالة أي نزاع . وتقول المادة ٥٥ (جـ) من الميثاق : « رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريين لعلاقات سلمية ودية بين الامم مؤسسة على احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها ، تعمل الامم المتحدة على (ان يشيع في العالم احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء ، ومراعاة تلك الحقوق والحريات فعلا) » . وتنص المادة ٥٦ من الميثاق أن جميع الاعضاء ملزمون بالعمل على تحقيق الاهداف المبينة في المادة ٥٥ . وقد وضعت هذه البنود لتحقيق السلام بمنع ذلك النوع من التمييز على أساس عرقي الذي يشكل أساسا من أسس القانون العام لدولة جنوب افريقيا ، وكذلك التمييز على اساس ديني الذي يشكل أساسا من أسس القانون العام لدولة اسرائيل . وباختصار ، التمييز العنصري محظور سواء كان يقوم على تحديد الهوية الدينية او العرقية للافراد .

في ١٩٦٩/١٢/١٠ تبنت الجمعية العامــة للامم المتحدة قرارا يتعلق بالفلسطينيين . وقبل التصويت قررت الجمعية العامة أن المسائل الموضوعة أمامها « مسائل هامة » تستدعي حضور ثلثي الاعضاء والتصويت بموجب المادة ١٨ (٢) من الميثاق . وقد اعترفت الجمعية العمومية في هذا القرار الذي تبنته بأغلبية تفوق الاغلبية المطلوبة (وبمعارضة الولايات المتحدة) أن « مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين قد نشأت عن حرمانهم من حقوقهم المصون بموجب ميثاق الامم المتحـــدة والاعلان العالمــي لحقوق الانسان » . وبهذا تكون الجمعية العمومية قد قبلت دعوى الوضع القانوني للفلسطينيين كشعب مؤهل لكل حقوقه بموجب الميثـــاق . والجمعية العمومية هي بالطبع الهيئة ذاتها التي تبنت قرار تقسيم فلسطين للعام ١٩٤٧ السيء المصير .

ربما كانت تسوية مسألة الفلسطينيين كلاجئين بتنفيذ التعويض أو العودة كافية في وقت مضى . لكن من المشكوك فيه جدا أن يكون الامر كذلك اليوم عندما أصبحوا ممثلين بمنظمة التحرير الفلسطينية وبحركة مقاومة . ان الفلسطينيين حاذقون سياسيا ، وهذا ما يعكسه اقتراح السلام الذي يقترحونه والذي يتفق تمام الاتفاق مع ميثاق الامم المتحدة . ويقضي هذا الاقتراح ، باختصار ، بأن تنظم فلسطين في دولة ديمقراطية علمانيـــة يتمتع فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بحقــوق متساوية . ويشرح البروفسور يوسف صايغ ، الاستاذ فــي الجامعة الاميركية في بيروت ، هذا الاقتراح بالتفصيل في كتيبه « نحو سلام في فلسطين » (١٩٧٠) . وربما كانت المجموعة المنظمة الوحيدة في اسرائيل التي توافق الان تماما على هــذا الموقف هي المنظمة الاشتراكية الاسرائيليـة (ماتزبن) ، ولكن هذا الاقتراح يجد تجاوبا يمكن فهمه لدى افراد وجماعات

آخرين ذوي توجه ديمقراطي . واذا ما اعترف بالمصالح الفلسطينية وصينت في تسوية فان الفلسطينيين اذ ذاك سيكون لهم مصلحة في الحفاظ على هذه التسوية ، وحتى لو لم يكن للفلسطينيين أي حقوق كلاجئين او كشعب ، فان الادراك السليم يقتضي ان يستشاروا في تسوية يراد لها ان تكون ملزمة لجميع الاطراف .

يجب على كل من يهتم بتحقيق السلام أن يأمل أن ملاحظات الرئيس على التلفزيون الوطني في ١/٧/١٩٧٠ لم تكن تعكس جدارة مستشاريه في شؤون الشرق الاوسط . ومن سوء الحظ على وجه الخصوص أن يردد رئيس الولايات المتحدة اللازمة الدعاوية المعهودة التي تتسم بالهواية والتي تدعي أن « الاقطار الاخرى » تريد « أن تلقي باسرائيل في البحر » ، فبعد أن اثبتت كل البيانات الدعاوية التي يمكن القاؤها أو الاستماع اليها في هذا الموضوع ، تظل الحقيقة انه ما من اسرائيلي ألقي به في البحر ، وتظل الحقيقة أن الشعب الفلسطيني قد ألقي به خارج بلاده . ينبغي أن يأمل المرء ، بالنظر الى أهمية تغيير وضع الشرق الاوسط من النزاع الطويل الامد الى الاجراءات السلمية ، أن يدرك « الفرع التنفيذي » حقائق الوضع ويتعامل معها بدلا من الدعاية التي اخترعت لطمس هذه الحقائق .

اذا كان للكونجرس أن يستخدم سلطاته الدستورية فيما يتعلق بأي مشكلة من مشاكل العلاقات الخارجية ، فان عليه أن يكون عارفا بالحقائق جيدا . ويصح هذا الامر أكثر مما يصح على السياسة الاميركية الخارجية في الشرق الاوسط . فليس هناك جزء آخر في العالم يماثل الشرق الاوسط في صعوبة الحصول على المعلومات المتعلقة به وفهمها . ومن الضروري أن يستخدم كل من مجلسي الكونجرس سلطاته الكافية في البحث عن الحقائق للتحقق من أصدق المعلومات المتعلقة بالشرق الاوسط .

يسمع المرء الكثير عن تحقيق سلام العالم من خلال القانون في الوقت الراهن ، ويعتبر البعض هذا المنحى مثاليا وطويل الامد في افضل حالاته . وما دام الكثير من عمليات سياسة القوة قد استعمل لتحقيق سلام في الشرق الاوسط دون نجاح في ذلك، فلربما كان القانون البديل العملي الان . وميثاق الامم المتحدة يحتوي على أكثر القوانين علاقة بمشكلة الشرق الاوسط ومن الضروري أن يطبق هذا القانون الآن . ان الولايات المتحدة تملك الفرصة والالتزام لاستعمال نفوذها لتطبيق القانون والعدل ، ولا يمكن للامم المتحدة ان تكون أداة فعالة لتحقيق السلام الا بدعم الولايات المتحدة ، وتعود لافعالية الامم المتحدة حتى الآن في معالجة مشكلة الشرق الاوسط الى فشل حكومة الولايات المتحدة في الاشتراك في الاجراءات التي يراد بها تطبيق روح الميثاق على كل أطراف النزاع بالتساوي . لقد فشلت حكومتنا المرة تلو الاخرى في المشاركة بهذه الاجراءات التي تحظى بدعم اغلبية واسعة متزايدة من المجتمع العالمي . وبهذا تكون الولايات المتحدة قد أسهمت في المشكلة لا في حلها . وقد حان الوقت للتحول الى سياسة عادلة لم تعرف بعد طريقها الى التطبيق العملي .

---

١ — The Legal Problems Concerning the Juridical Status and Political Activities of the Zionist Organization /Jewish Agency: A Study in International United States Law, 9 Wm & Mary Law Review, 556-629 (1968).

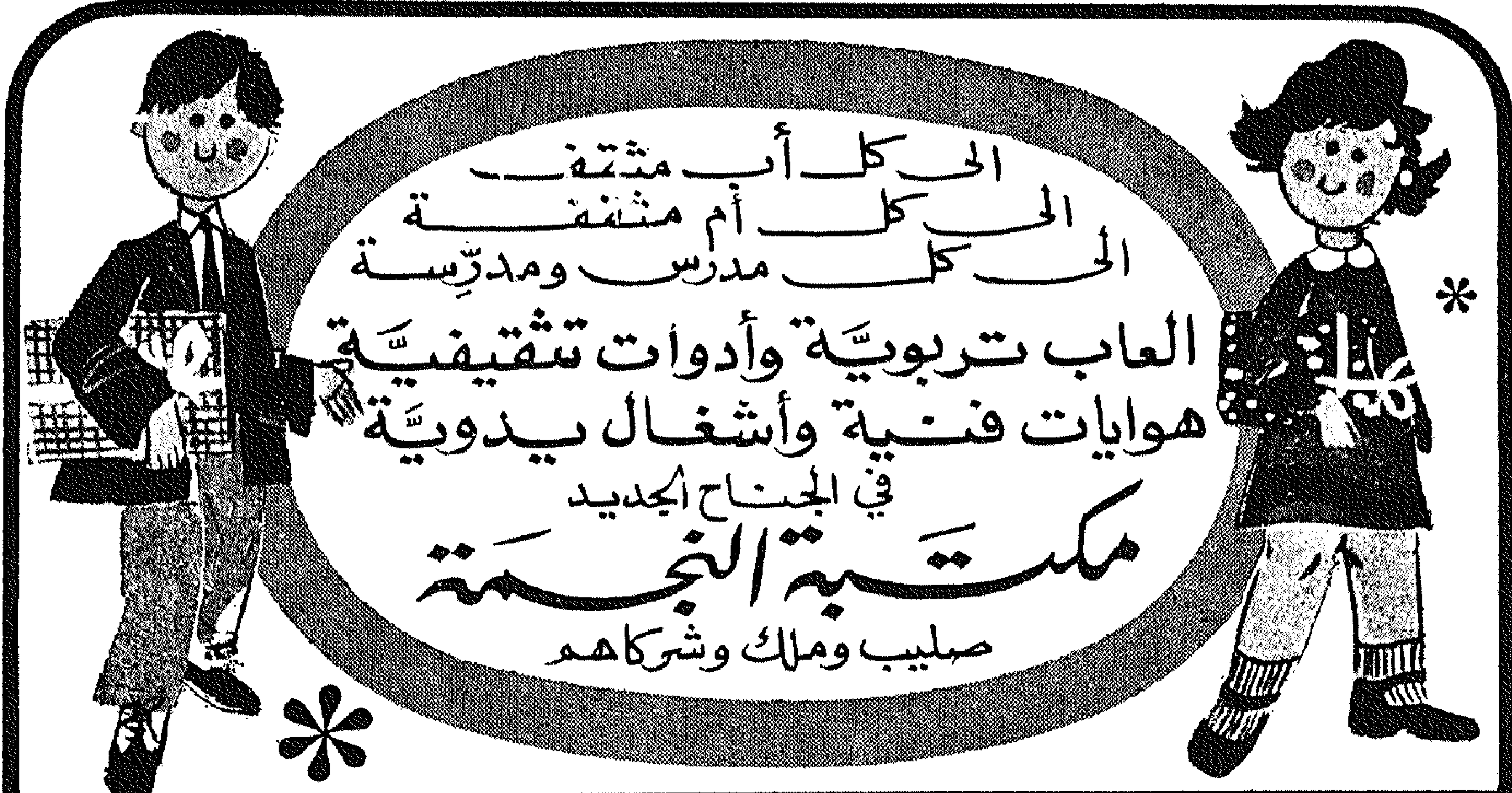
٢ — 52 Stat. 63 (1938) 22 U.S. Code 611 (1964).

٣ — Justice Black in Viereck V. United States, 318 U.S. 236 at 249, 251 (1943).

٤ — الاصيل هو من يوكل شخصا أو هيئة عنه فيكون الاول أصيلا والثاني وكيلا — المحرر .

٥ — Hearing on Activities of Non-diplomatic Represantatives of Foreign Principals in the United States Before the Senate Committee on Foreign Relations (88 con. 1st Sess. 1963).

مع أطيب التمنيات

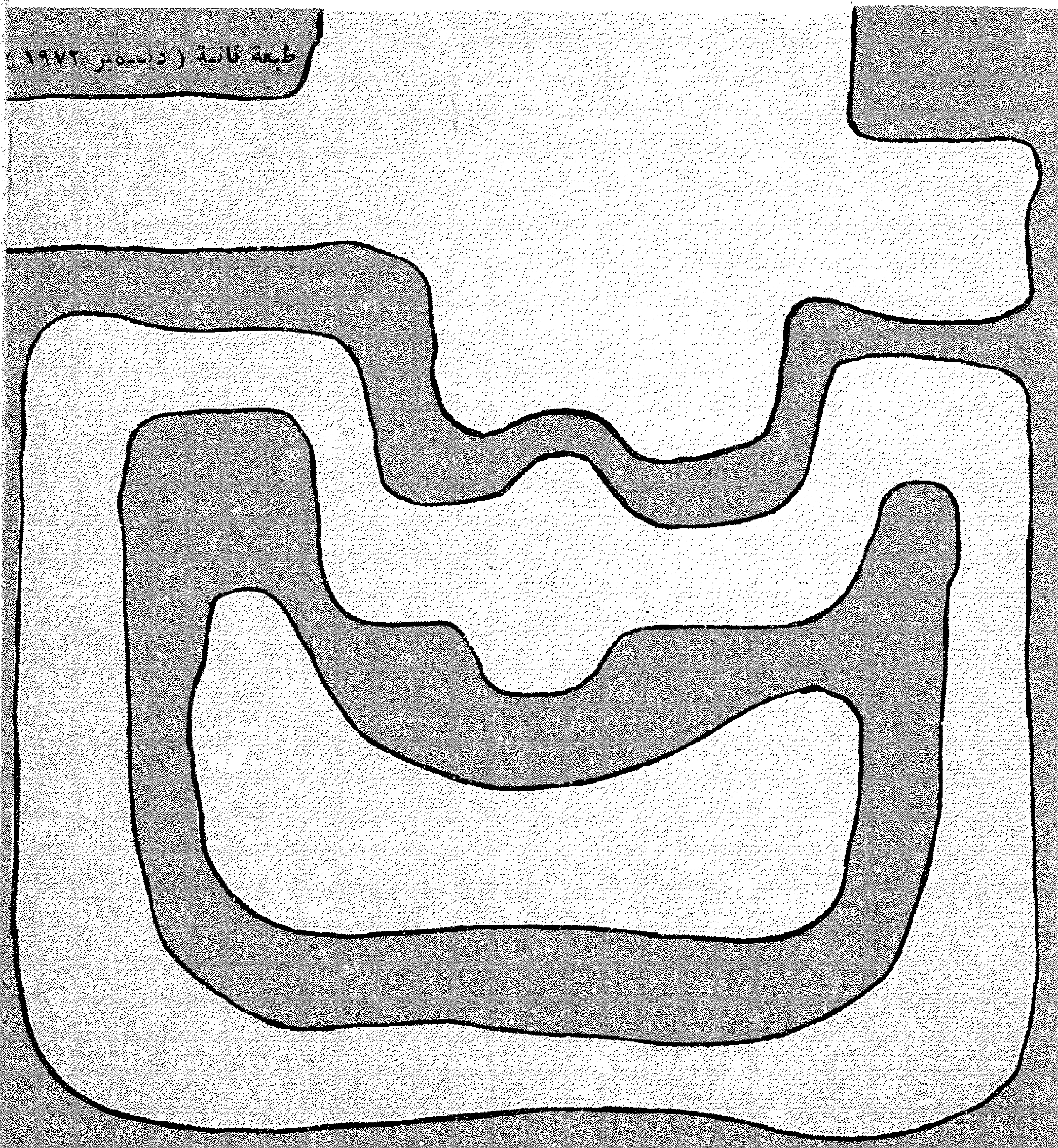

الى كل أب مثقف
الى كل أم مثقفة
الى كل مدرس ومدرّسة
العاب تربويّة وأدوات تثقيفيّة
هوايات فنية وأشغال يدويّة
في الجناح الجديد
مكتبة النجمة
صليب وملك وشركاهم
شارع المعرض: سوق البزركان الجديد : تلفون : ٢٢٦٠٧٠ و ٢٥٦٠٧٠
مطلوب وكلاء للتوزيع في جميع انحاء لبنان والبلاد العربية

السعر ٤ ل.ل. في الوطن العربي او ما يعادلها
٢١/٢ دولار في الخارج (بريد جوي)

شؤون فلسطينية

٣

تموز (يوليو) ١٩٧١



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: الدكتور انيس صايغ

رقم ٣ — تموز (يوليو) ١٩٧١

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر ست مرات في السنة عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.
العنوان : بناية مكارم وابو عز الدين شارع كولباني (متفرع من السادات)، رأس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون ٢٩٣٧٧٨ مؤقتا ، برقيا مرابحاث ، بيروت .
ثمن العدد ٤ ل.ل. في لبنان او ما يعادلها في الوطن العربي، ٢/١ ٢ دولار في الخارج. الاشتراك السنوي ٢٥ ل.ل. في لبنان او ما يعادلها في الوطن العربي ١٥ دولارا في الخارج (بريد جوي) .

PALESTINE AFFAIRS
A bimonthly journal published in Arabic by the Palestine Research Center
Editor : Dr. Anis Sayegh
Address : P.O.B. 1691, Beirut, Lebanon, Tel. 293778, Cables: MARABHATH
Subscriptions : 25 Lebanese Pounds in the Arab world
and $ 15 abroad (by air mail)

المحتويات

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

رأت « شؤون فلسطينية » ان تشارك في وقفة العرب التأملية في الايام الخمسة السوداء من حزيران وفي الهزيمة التي انبثقت عنها ، بنشر مقالة لاحد افراد هيئتها التحريرية حول الفهم الفلسطيني لتلك الهزيمة ، وهو موضوع لم يعالج حتى اليوم بالرغم من اهميته . وطبيعي ان هذه المقالة ، شأن سائر ما ينشر في « شؤون فلسطينية » ، انما هي تعبير عن رأي كاتبها ، ولا تلزم بالضرورة هيئة التحرير ولا النشرة الدورية ككل . وشأن سائر ما تنشره « شؤون فلسطينية » ايضا ، نضع الآراء الواردة في المقالة امام القارىء كاجتهادات وكأفكار ليتناقش معها ويحاورها . واسرة التحرير ، ومن ضمنها صاحب المقال ، ترحب بكل ما يصل من القراء من تعليقات او مناقشات .

ومشاركة في الذكرى نفسها رغبت « شؤون فلسطينية » ان تستطلع الاوضاع القاسية التي يخضع لها ابناء شعبنا الصامدون في الارض المحتلة في السنوات الاربع الاخيرة استطلاعا مباشرا وفي ارض الصمود نفسها . ولذلك اوفدت ، لهذا الخصوص ، كاتبة بريطانية خبيرة بالمنطقة . وقد قضت هناك عدة اسابيع ، تتجول وتستفسر وتشاهد وتستمع وتلاحظ وتسجل . وننشر ، في هذا العدد ، اولى رسائلها .

وكان مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية قد دعا سبعة من المفكرين العرب الى ندوة مغلقة لبحث النتائج العملية لاية تسوية سلمية ، من الجوانب القانونية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والعقائدية والاجتماعية والتكنولوجية . وكان بين مواد البحث اوراق عمل ثلاث عالجت جوانب ثلاثة (قدمها الدكاترة اسعد رزوق ونديم البيطار وصلاح الدين الدباغ) . وتنشر « شؤون فلسطينية » هذه المعالجات في عددها الثالث هذا ، القريب صدوره من ذكرى الهزيمة ، وذلك لابراز خطورة التسوية السلمية لا من حيث المبدأ فحسب بل من حيث الآثار العملية على الاصعدة المختلفة ، وهي آثار تكمّل ، اذا حصلت ، هزيمة حزيران وتجسدها في مكاسب اسرائيلية تفوق الهزيمة السابقة خطورة . لكن اصحاب المعالجات الثلاث المذكورة يؤكدون على ضرورة مطالعة معالجاتهم كأوراق بحث وكأفكار أولية للمناقشة وليس كأبحاث متكاملة .

وما دامت « شؤون فلسطينية » تسمح لنفسها بأن تتحدث عن نفسها في هذه الصفحة ، فلا بأس من أن تذكر للقارىء انها ، وبفضل اقباله على عدديها الاولين ، زادت من عدد النسخ المطبوعة ، ابتداء من هذا العدد الثالث ، بنسبة الثلثين . فانه يؤسفها (بقدر ما يرضي غرورها !) ان الاف النسخ التي طبعت ووزعت من كل من العددين السابقين قد نفدت من المكتبات (« قد طارت من الاسواق » اذا اردنا ان نقتبس من تقرير شركة التوزيع) خلال ثلاثة اسابيع فقط من تاريخ صدور كل من العددين ، بحيث تعذر على الادارة تلبية طلبات المشتركين وأصحاب المكتبات ووكلاء التوزيع . ومع هذا، وبقدر ما سيؤسفنا ان يبحث قراء عن العدد الثالث ولا يجدونه في حال نفاد النسخ الاضافية ايضا ، نرجو ان يضطرنا القراء الى القفز مرة اخرى في العدد الرابع او الخامس .

الفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران

بلال الحسن

من الامور(١) التي أصبح الاتفاق عليها كاملا ، ان هزيمة الخامس من حزيران قد اسقطت مفاهيم كثيرة كانت سائدة سيادة البديهيات في الواقع العربي . وأصبح حتى المواطن العادي يدرك ان متطلبات المواجهة العربية — الاسرائيلية تحتاج الى تغييرات عميقة في الواقع الاقتصادي والعسكري والسياسي .

في عام ١٩٤٨ ، ساد الانطباع نفسه ، وكانت له نتائج خطيرة جدا ، أدت الى سقوط أكثر القيادات التي تعاملت مع القضية الفلسطينية آنذاك ، ولم يكن سقوط تلك القيادات التي تعاملت مع القضية الفلسطينية آنذاك ، سقوط افراد ، ولم يتم في لمحة عين ، بل كان سقوطا لطبقة كاملة من مركز القيادة ، حلت مكانها عبر صراع عنيف (اضطهاد الحركة الوطنية — الانقلابات — كبت الحريات العامة) طبقة جديدة ذات سمات وطنية واضحة ، خرجت من قلب المؤسسة العسكرية ، المؤسسة الوحيدة التي كانت ولا تزال قادرة على التحرك لتغيير الاوضاع بسرعة في عالم الدول النامية . أما هزيمة ١٩٦٧ فقد اوجدت نفس المناخ الجماهيري الذي يدرك ضرورة التغيير من اجل تأمين شروط أفضل للمواجهة ، ولكن ظروفا متشابكة عديدة ادت الى قيام ما يمكن تسميته بمرحلة الانتظار ، انتظار تحقيق وعود كثيرة قدمت ، ومن أبرز هذه الظروف بناء الجيوش العربية ، والجو العسكري المتوتر لفترة طويلة على قناة السويس ، وبروز حركة المقاومة الفلسطينية والتفاف الجماهير حولها وانتظار المعجزات منها ، كذلك فان العلاقات الوثيقةالقائمة مع الاتحاد السوفياتي لعبت دورها في هذا المجال ، وسمحت بوجود رئة دولية يتنفس منها المواطن العربي ، وهو العامل الدولي الذي كان مفقودا عام ١٩٤٨ . وتوشك حاليا مرحلة الانتظار على الانتهاء وهي تقترب من نهايتها دون أن تحمل للمواطن العربي المفجوع بالهزيمة دلائل مشجعة على امكان تنفيذ الوعود التي قدمت . فهو بدلا من ذلك يرى في كل يوم اندفاعات جديدة نحو التسوية السياسية التي قبلها في البداية « كتكتيك » وقبلها « بشروط » . ولكنه يواجهها الان « كنضال سياسي » وبدون « شروط » . وليس من الممكن حتى الان ، تقييم النتائج « الواقعية والعملية » لهزيمة حزيران ، قبل أن تنتهي مرحلة الانتظار هذه . ولكن يمكن القول سلفا ان القانون الطبيعي الذي يرافق الهزائم ، العسكرية أولا ، ثم نتائجها السياسية ثانيا ، لا بد ان يسود ، وهو بالبداهة لا يسود بالمنطق المجرد ، بل عبر صراع طبقي عنيف .

وقد كانت للخامس من حزيران على الصعيد الفلسطيني بالذات تأثيرات هامة ، فقد كان العلامة الفارقة التي أنهت منطق « العمل الفلسطيني » للتحرير من خلال الاندماج في المؤسسات الوطنية العربية فقط ، سواء كانت انظمة أو احزابا ، وابرزت بالاضافة اليه واحيانا بديلا عنه منطق « الدور الفلسطيني الخاص » . صحيح أن « حركة فتح » نادت بالدور الفلسطيني الخاص منذ عام ١٩٦٠ (بداية صدور مجلة فلسطيننا) ومارست

نداءها عمليا عام ١٩٦٥ (بداية عملها المسلح) . ولكن حركة فتح بهذه المبادرة كانت ظاهرة معزولة في وسط جماهيري فلسطيني وعربي يتجه نحو الحركة الوطنية العربية في مؤسساتها الرسمية والشعبية . ملم تكن لذلك قادرة على النمو والانتشار ، وساعد على بقائها في عزلتها انها لم تدعم ممارستها العملية للكفاح المسلح بأي تحليل سياسي يؤدي الى خلق تيار جديد على انقاض ما هو سائد(٢) . وقد جاءت هزيمة حزيران لتوفر الاساس الموضوعي للدور الفلسطيني الخاص في العمل من أجل التحرير ، وفي هذه المرحلة فقط استطاعت حركة فتح ان تمتد وتنتشر ، وأصبح العمل الفدائي الفلسطيني المسلح ، موقفا مسلما به جماهيريا ورسميا .

لقد ولد « الدور الفلسطيني الخاص » في جو الفراغ العربي - وفي ظل حالة العجز عن مواجهة الانتصار الاسرائيلي . وكان له بسبب ذلك تأثير نفسي عميق في أوساط الجماهير ، ولعب دورا فعالا في اعادة الشعور بالكرامة الوطنية ، وفي خلق أجواء الثقة بالنفس ، وخاصة بالنسبة للاجيء الفلسطيني الذي لم تكن له الهزيمة مرارة فحسب ، بل وكانت مذلة ايضا . وأصبح العمل الفدائي الشيء المتحرك الوحيد في عالم جامد لا حركة فيه .

هل تكفي الحركة وحدها منطلقا للتقييم ؟ هذا ما لا يتجرأ احد على القول به . فعدد الثورات الفاشلة في التاريخ أكثر بكثير من الثورات الناجحة ، أن التسليم بالدور الفلسطيني الخاص ، والتسليم بهذا الدور في اعقاب الهزيمة ، لا يعطي لهذا الدور ميزة خاصة الا اذا كان يمثل بالفعل فهما متقدما لعملية التحرير يتخطى الفهم العربي كما هو معروف وسائد . ولذلك فان دراسة الدور الفلسطيني الخاص وتقييمه هو بالاساس دراسة للكيفية التي فهم بها العمل الفلسطيني ثلاث مسائل : ١ — مؤشرات فهم الواقع العربي على ضوء هزيمة حزيران . ٢ — أبعاد الدور الفلسطيني الخاص في عملية التحرير . ٣ — العلاقة بين العمل الفلسطيني والعمل العربي . وحين نقوم بعملية رصد لمواقف المنظمات الفدائية من هذه المسائل الثلاث ، فاننا نواجه في البداية سيلا من العموميات والبديهيات ، تبدو المواقف ضمنه متفقة لا خلاف بينها . واذا كانت مخططات وبرامج الحركة الوطنية العربية قد عانت من هذه البديهيات طويلا ، فان الدارس لفكر حركة المقاومة يصطدم بسيل عظيم منها . وفي بعض الاحيان تصاغ هذه البديهيات بشكل ملتو ، لاضفاء طابع الاهمية عليها . ولكن كل ذلك لا يمنع من استكشاف المحاور الاساسية التي تدور ضمنها مواقف حركة المقاومة .

١ — موقف رفض وتجاهل التحليل العلمي : ان التيار السائد في حركة المقاومة هو التيار الذي يرفض او يتجاهل التحليل العلمي للقضايا التي تهم النضال الفلسطيني . ان كافة المنظمات تتحدث عن أثر هزيمة حزيران في هز الواقع العربي ، وعن حتمية التحالف بين العمل الوطني الفلسطيني والعمل الوطني العربي ، وعن الدور الكبير الذي سيلعبه العمل الفدائي في مستقبل القضية الفلسطينية ، ولكن الحديث عن هذه القضايا الكبيرة يرد في اغلب الاحيان في جمل مبتسرة ، وبطابع تقريري فوقي ، قد يعني كل شيء وقد لا يعني شيئا على الاطلاق ، اذ ان التحليل وحده هو الذي يحدد قيمتها ومداها . وهي بدون هذا التحليل تبقى كلاما انشائيا عاجزا عن التأثير والفعل في الحياة السياسية .

ان ادبيات فتح أبرز مثال على هذا النوع من المواقف . فحين نتصفح الكتاب السنوي لحركة فتح لعامي (٦٨ — ٦٩) قد نجد فيهما أي شيء ، ولكننا لن نجد ابدا تحليلا للهزيمة التي جعلت منهج فتح بالعمل الشعبي المسلح المنهج الفلسطيني السائد . كذلك لا نعثر في مجلتها (الثورة الفلسطينية) المخصصة للابحاث والدراسات ، موقفا من هذه القضايا حتى ضمن الاعداد الصادرة في شهر حزيران من كل عام . وحين تكتب حركة فتح شيئا في ذكرى الهزيمة ، فانها تكتب عن منجزات العمل الفدائي فقط . ان منطق فتح يبرر هذا الابتعاد عن الخوض في مسائل الواقع العربي ، ولكن المسألة ليست مسألة ابتعاد عن الخوض في هذه المسائل ، لاسباب تتعلق بحرية العمل واستمراره ، لو كانت

كذلك ، لكان الواقع الفلسطيني ، على الاقل ، قد اخضع للنقد والتحليل للاستفادة من دروسه ، ولكن حتى في هذا النطاق ، فان حركة فتح لا تقدم شيئا . انها تقرر فشل الاساليب الماضية . ولكنها لا تشرح السبب ولا تبين نقاط الضعف ، وعلى ضوء ذلك لا يعود هناك اي مقياس للحكم على صحة الموقف الجديد ، وقدرانـــه على الصمـــود والاستمرار ، وينفسح المجال أمام الاعلان عن « الارادة والعزيمة والنوايا الطيبة » .
من الكتابات القليلة جدا لحركة فتح عن هزيمة حزيران مقطع صغير في كراس بعنوان « الثورة الفلسطينية المسلحة ومراحل تطورها » . يقول المقطع « ان نكسة حزيران تدل على **ضعف** في البنية العربية الثورية التي كانت تمثل القيادات القومية للامة العربية، واثبت فشل القيادات العربية **وسطحية** تخطيطها وعدم **جديتهـــا في التحـــرير** . ودلت مواقفها التي اتخذتها في تلك المرحلة على انها مواقف ارتجالية لم تتخذ بناء على دراسة علمية موضوعية . بل كانت مجرد مناورات سياسية تأخذ في اعتبارها المكاسب الآنية لاوضاعها الخاصة . وبكلمة قصيرة كانت الاستراتيجية العربيـــة تفتقر الى المضمون الثوري والتخطيط العلمي والاسلوب الصحيح ، لذلك فقدت **زمام المبادرة** ، حيث انتزعها العدو الصهيوني في حينها فحقق بالعدوان أهدافه المرحلية » .
هذا المقطع نموذج للموقف التقريري الذي لا يرغب بالاستناد علـــى اي تحليل ، وهو بالاضافة الى ذلك يتضمن فهما غريبا لهزيمة حزيران ، فالنكسة تدل : على **ضعف** فقط في البنية العربية . والضعف يمكن تلافيه بقليل من الاصلاحـــات ، وعلى **سطحية** في التخطيط ، والسطحية تعوض بالاعتماد على عناصر اكفأ ، وعلى **عدم جدية** في التحرير ، وفي ضوء الضعف فقط ، تصبح الجدية عاملا نفسيا يمكن علاجـــه بخلق التحديات . والنتيجة الطبيعية لكل ذلك اننا فقدنا **زمام المبادرة**. ولو لم نفقد زمام المبادرة فمن المحتمل بل من المؤكد ان النتيجة سوف تكون غير ما كانت عليه .
ان منطقا من هذا النوع كفيل بأن يلغي كل دعوة لحرب التحرير الشعبية ، فما دامت نقاط الضعف في الواقع العربي هي ما تقدم ذكره فان تعويضها لا يحتاج لعناء الحرب الطويلة الامد . لا يحتاج لثورة ، بل لاصلاحـــات . ويمضي المقطع قائلا ان النكســـة « كشفت عن عجز في القيادة ، وفي الوجـــود الثوري وانحراف في الاستراتيجية التـــي اعتمدتها القيادات العربية »(٣). ماذا يعني : العجز في الوجود الثوري ؟ ماذا يعني : الانحراف في الاستراتيجية ؟ هل ان الاستراتيجية سليمة ، وقد انحرفت عن أهدافها ، ويمكن العودة بها الى مسارها السليم ؟ قد نقول نعم هذا هو المقصود ، وقد نقول لا ان المقصود شيء آخر . ويبقى باب الاحتمال مفتوحا الى ان تدعم هذه المقاطع التقريرية بتحليل محدد .
** في ضوء هذا الفهم لهزيمة حزيران ، كيف تتصور فتح الدور الفلسطيني الخاص . كيف تفهم دور حركة المقاومة ؟ هنا ننتقل فجأة للتضخيم ، وفي ضوء الفهم الذي قدمناه لهزيمة حزيران لا يمتلك هذا التضخيم اي مبرر . فلا نستطيع القول مع فتح « لقد مزقت الثورة/الفلسطينية حـــالة الجمود العربي وكشفت عن ضعف بنيته وتركيبـــه المـــادي والفكري ، وأصبحت ظاهرة ثورية رائدة تحاول من خلال وجودها وممارستها المسلحة نقل الواقع العربي بأسره من مرحلة الزيف والضعف الى مرحلة الحقيقة والقوة ، بسبب ما خلقته من مناخ ثوري بدأ يذيب التناقضـــات التي يعيشهـــا المجتمع العربي »(٤). وبالاضافة الى ان هذا التضخيم لاثر حركة المقاومة ودورها في الواقع العربي ، يتناقض مع التشخيص المتواضع لهذا الواقع الذي قدم عند تحديد اسباب هزيمة حزيران ، فانه بدوره يلجأ الى لعبة الغموض والكلمات العامة غير المحددة الانتقال « من مرحلة الزيف والضعف الى مرحلة الحقيقة والقوة » .
** وتبلغ عملية التضخيم الانشائي ذروتها في الحديث عن علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية « ان الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية الكبرى تتمثل فيهـــا

أهداف الجماهير العربية وحيويتها وفاعليتها بسبب نشاطاتها اليوميـة في قلب الواقع العربي »(٥). هنا نستطيع ان نفهم كيف ان الثورة الفلسطينية تمثل أهداف الجماهير العربية بالعمل اليومي من اجل التحرير ، ولكننا لا نستطيع ان نفهم كيف تتمثل في الثورة الفلسطينية حيوية وفاعلية الجماهير العربية . كذلك لا نستطيع أن نفهم ما هي نشاطات الثورة اليومية في قلب الواقع العربي . والتفسير الوحيد لكل هذا الحشد من الكلمات الكبيرة ، انها تشكل ستارا يتم الاختباء خلفه هربا من تقديم التحليل الواضح. وحين تريد فتح أن تنتقل الى التحديد تقع في شرك أفدح ، شرك المنطق السفسطائي في تحديد العلاقة الفلسطينية العربية « ان العلاقة بين الجزء والكل هي علاقة (جدلية) وعضوية » وهذا كلام مرتب وجميل وان كان بديهيا ، ولكن الكارثة تبرز عند شرحه وتفسيره، فهذه العلاقة جدلية « بحكم وجود وتوفر العوامـل الموضوعية المشتركـة في المجتمع العربي بكل اجزائه »(٦). وما دام الامر على هذه الحال ، فما هو فضل الثورة الفلسطينية ، وما هو تأثير فاعليتها وحيويتها ، ما دام توفـر العوامل الموضوعيـة المشتركة سوف يحل كل مشكلة ؟

وليس من المفيد أن ننتظر اجابة على هذا السؤال ، لان موقفا آخر في نفس الكراس سوف يلغيه من اساسه « ان فقدان الثورة الفلسطينية لاطارها الاقليمي ومؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية المكتملة ، يخلق فيها عنصر **المرونة والتكيف** مع النظم الاقتصادية العربية بتعددها »(٧). ان الانتقال يتم بسهولة من العلاقة الجدلية الى المرونة والتكيف « مع النظم الاقتصادية العربية بتعددها » . وهنا نقف على الارضية الاساسية التي تنبثق منها استراتيجية فتح ، والتي تحدد فهم فتح لعلاقـة العمل الفلسطيني بالواقع العربي ، فالثورة الفلسطينية تتكيف مـع تناقضات الواقع العربي ، والواقع العربي المتناقض تنحل تناقضاته عند نقطة لقاء واحدة ، هي القضية الفلسطينية . « ان الثورة الفلسطينية بكل معطياتها تعتبر نقطة الالتحام العربي مع العدو الصهيوني »(٨). « ان قضية فلسطين كانت ولا تزال عامل لقاء وتجمع للاقطار العربية بالرغم من فقدان العمل والتخطيط والقيادة من اجل تحريرها»(٩). (كيف يتم اللقاء والتجمع بدون عمل وتخطيط وقيادة ؟)

ان هذا الفهم للعلاقة الفلسطينية ــ العربية ، هو الذي قاد فتح الى شعار (عدم التدخل بالاوضاع العربية) . وفي البداية شرحت فتح شعارها بالشكل التالي « تلتزم قيـادة الكفاح الوطني الفلسطيني **فكرا وعملا** بعدم التدخل في الشؤون الداخليـة لاية دولة عربية ، باعتبار ان كل شعب من الشعوب العربيـة مسؤول مسؤوليـة مباشرة عن شؤونه وكفاحه الوطني كمنطلق ثوري صحيح للنضال على مستويات قومية »(١٠). ان هذا الشرح يبين ان رفض فتح لتحليل الواقع العربي هو رفض واع تماما ، فالالتزام بعدم التدخل في الاوضاع العربية ليس التزاما عمليا فقط بل هو التزام فكري ايضا . وهذا الشرح لا بد ان يقود الى تصور يعتقـد ان الشعب الفلسطيني هـو المسؤول مسؤولية مباشرة عن تحرير فلسطين ، وان الدور العربي بالتالي ليس الا دور المساعدة والدعم « يجب أن تعرف الامة العربية انها مشاركة للشعب الفلسطيني بالمال والسلاح والرجال ... وان المرحلة القادمة سوف تتسع لاخوتنا العـرب ليقفوا مع اخوانهم الفلسطينيين على جبهة القتال داخل أرضنا المحتلة »(١١). فبالاضافة الى المال والسلاح فان المساهمة العربية في معركة فلسطين تتلخص بمشاركة المتطوعين بالقتال ، وليس في النضال من أجل تهيئة الاوضاع العربية لتكون في مستوى معركـة التحرير ، لان الوصول الى مثل هذه النتيجة هو تدخل **فكري** بالشؤون الداخلية العربيـة ، يتضمن اشارة الى ان الواقع العربي ليس في هذا المستوى حتى الان .

في شرح آخر للشعار نفسه ، نجد محاولة للرد على الانتقادات الكثيرة التي وجهت اليه. يقول الرد : « رفعنا هذا الشعار حتى لا نعطي لاي دولة عربية اي مبرر لضرب شعبنا

من جهة وحتى تطمئن الدول العربية ان توجهنا لن يكون الا للساحة الفلسطينية . بشرط ان لا يكون هناك تدخل في المقابل من الدول العربية في الشؤون الفلسطينية . وبشرط ان لا يكون هناك اي مساومة على حقوق الشعب الفلسطيني ، او اي محاولة لتصفية القضية او التعرض لثوار فلسطين بشكل مباشر او غير مباشر »(١٢). ان هذا الشرح يمثل خطوة للامام ، ولكنه يحصر نفسه ضمن دائرة رد الفعل ، واصحابه يدركون نقاط الضعف فيه ، لذلك يبادرون فورا للقول ان هذا الشعار : « في قمـــة الايجابية لانه يستهدف التفريق بين النظام والشعب . النظام الذي تمثله الدول والشعب الذي نحن جزء منه »(١٣). ولكن هذه التفرقة لا تأخذ مداها ولا تستخرج منها نتائجها المنطقية . لان حركة فتح تعود وتعطي لهذه الانظمة دورا اساسيا في معركة التحرير « ان الدول العربية بأرضنا المحتلة يتركز دورها الحقيقي بالنسبة للكفاح المسلح في ان تتحمل ما ينتج عن عمليات المقاومة من ردود فعل اسرائيلية . وكذلك اعادة بناء قواتها المسلحة وتطوير جيوشها »(١٤). قد يقال ان هذا الحديث يشير الى ما يجب ان يكون وليس للواقع القائم. نعثر على جواب دقيق على هذه المسألة في موضع آخر « اما الجيوش العربية فانها تقوم في هذه المرحلة بدور الردع والحماية ، وتتولى الثورة الفلسطينية وقواتها المسلحة عملية الهجوم على المواقع والمراكز الاستراتيجية داخل الارض المحتلة لارباك العدو . . . وهذا التكامل في الدفاع والهجوم يخلق الاستراتيجية الثورية المطلوبة »(١٥). هل تعتبر فتح الدور الفلسطيني تكميلا لدور الجيوش العربية ؟ هل تعتبر الحرب الشعبية تكميلا لحرب الجيوش العربية النظامية ؟ هذا ما توحي به كتاباتها . ولذلك يصاب القارىء بالدهشة حين يقرأ بعد هذا السيل من المواقف التي اما أن تتحدث عن دور فلسطيني خاص ومنفصل ، أو عن دور فلسطيني متكيف مع الدور الرسمي العربي ، موقفا ثالثا خطابيا يقول « وسوف تمتد الثورة الفلسطينية كتجربة عربية رائدة الى جميع الارض العربية لتشن حربا شعبية ضد قواعد الاستعمار والامبريالية وتتسلم زمام السلطة السياسية من يد القيادات التقليدية »(١٦). كيف تنسجم هذه الامنية مع الموقف الذي يحدد دور الدول العربية الاخرى غير المحيطة بالارض المحتلة على انه دور «يتركز اساسا في الدعم المادي المستمر . هي بعيدة عما يمكن ان نسميه بالخطر المباشر فالمفروض ان تعوض عن تعبئة الجيوش بتعبئة الجماهير »(١٧). ان الجواب مطلوب من حركة فتح ، لان احدا لا يستطيع ان ينوب عنها في هذه المهمة .

في أدبيات فتح يمكن العثور على بوادر واعية للعلاقة الجدلية (وليس الميكانيكية) بين العمل الفلسطيني والعمل العربي « القضية لم تعد قضية شعب فلسطين بقدر ما هي قضية الصراع **الخفي** (لماذا الخفي ؟) بين الامة العربية بكل تاريخها وحضارتها ، وبين الاستعمار بكل شراسته وخياناته . . . وما المعركة الدائـــرة بين الشعب الفلسطيني والوجود الصهيوني الا **ظلال** للصورة الخلفية للمعركة الحقيقية بين الاستعمار والشعب العربي . ومن هنا تبرز مسؤولية القوى العربية **المنظمة** ومسؤولية الشعب العربي في كل مكان لحماية ودعم ثورة الشعب الفلسطيني »(١٨) ولكن مثل هذه المواقف ، تضيع اولا في زحمة التناقضات ، وتقف ثانيا عند حدود العموميات ، فلا تأخذ مداها بالتالي من اجل صياغة وجهة نظر متكاملة وثورية بصدد موضوعة أساسية من موضوعات حركة المقاومة الفلسطينية .

ومن الممكن على ضوء ما تقدم القول ان حركة فتح تمثل تيارا أساسيا في حركة المقاومة الفلسطينية يتميز بالسمات التالية : ١ ــ ابتعاد واع عـــن الخوض في تحليل الواقع العربي او في تحليل هزيمة حزيران . ٢ ــ تصور للعلاقة بين العمل الفلسطيني والعمل العربي على انها علاقة دعم بالمال والسلاح والمتطوعين . وبهذا المفهوم تصبح مسؤولية التحرير مسؤولية فلسطينية بالدرجة الاولى . ٣ ــ يقود هذا التصور عمليا الى امكان اقامة علاقات وثيقة مع الحكومات العربية المتناقضة ، ومطالبة كل دولة بما تستطيع

تقديمه من ضمن ظروفها القائمة . ٤ ـــ تضخيم لاثر الدور الفلسطيني في الواقع العربي، مقارنا بمشكلات الواقع العربي كما تشرحها فتح . ٥ ـــ تناقض بارز ومكرر بالمواقف هو نتيجة طبيعية لغياب الاساس النظري لحركة فتح ، وهو نتيجة للرغبة بالانسجام مع الجميع ، وبالتالي حتمية الحديث بأكثر من لغة .

ومن الواضح ان نسيجا فكريا من هذا النوع لا يستطيع (بل ويرفض) تقديم جديد في فهم الواقع العربي ، وفهم طبيعة ارتباطاته بالقضية الفلسطينية ، يتخطى ما كان سائدا حتى هزيمة حزيران .

٢ ـــ خطوة للامام تحت سقف الانظمة : في أدبيات الصاعقة وجبهة التحرير العربية ، نستطيع أن نتقدم مع الفهم الفلسطيني للخامس من حزيران خطوة للامام . ولكن هذه الخطوة ما تلبث ان تكبو وتنحصر ضمن حدود ضيقة . ولعل السبب الاساسي في ذلك ان هذين التنظيمين هما امتداد لتيارين رئيسيين افرزهما حزب البعث العربي الاشتراكي، فهما يعكسان بالتالي فكر هذين التيارين . ويأتي وجود هذين التيارين البعثيين في موقع السلطة في سوريا والعراق ليلعب دوره البارز في تحديد مدى النقد الذي يقدمـــه هذان التنظيمان للواقع العربي . وبسبب وجود تمايز شبه واضح بين التنظيمين ، فسنتناول مواقف كل منهما على حدة .

ا ـــ الصاعقة : في مراحل تكوينها الاولى ، لم تطرح الصاعقة فهما متبلورا للواقع العربي الذي أفرز هزيمة حزيران . قدمت نتفا متناثرة في بعض نشراتها ، تعكس فهما سطحيا للهزيمة واسبابها . وفي مرحلة متأخرة ، اخذت كتابات الصاعقة ، تعكس فهما أوضح للمسألة نفسها . وبدأت تحليلاتها تنمو نموا تقدميـــا واضحا ، ولكنه بقي دون حدود التكامل ، ورافقته في نفس الوقت كبوات غير مبررة . ففي الذكـــرى الثالثة لهزيمـــة حزيران اصدرت طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) كراسا بعنوان في ذكرى حزيران ، اشتمل على حديث مفصل عن تطورات معارك الخامس من حزيران ، وعن المؤشرات الجديدة في الاقتصاد الاسرائيلي ، وعـــن أثر العمل الفدائـــي على العدو الاسرائيلي . واكتفى الكراس بمقدمة موجزة وعامة جدا عن الوضع العربي . في هذه المقدمة الموجزة والعامة فسرت الطلائع هزيمـــة حزيران على الشكل التالي « في ظل اوضاع التخلف والتجزئة التي تعاني منهما الامة العربية، وفي غياب وحدة القوى التقدمية والوطنية المعادية للاستعمار ، استطاعت القوى الصهيونية ـــ الامبريالية أن تربح المعركة العسكرية »(١٩). ومن الواضح ان هذا الموقف يندفع نحو النتائج قافـــزا عن اسبابها ، التي يشكل الحديث عنها محور التحليل المطلوب . فتحديد اسباب التخلف ، واسباب التجزئة ، واسباب غياب وحدة القوى التقدمية والوطنية، هو القضية الرئيسية المطروحة للبحث والنقاش . كذلك فان ربط الهزيمة بالتخلف يحتاج الى وقفة خاصة ، اذ ان حرب التحرير الشعبية هي بالاساس منهج عمل شعب متخلف لمواجهة قوى تتفوق عليه بآلة الحرب والقدرة الاقتصادية .

ان التخلف عند الصاعقة ليس مرتبطا بمنهج طبقي معين . فالقضاء على التخلف يمكن أن يكون بتنشيط الفعاليات الاقتصادية القائمة وليس بتغيير نمطها « من الضروري اتخاذ كافة الاجراءات الفعالة **لتحسين** مستوى الانتاج ، **ورفع** انتاجية العمل ، وتحسين ادارة القطاع العام ، وهذا يتطلب **تقليص** الانفاق غير الانتاجي ، **والتعجيل** في انجاز المشاريع التي هي قيد التنفيذ ... ان تحقيق زيادة الانتاج ... يعتبر التجسيد الحي لاصرارنا على متابعة الكفاح وعدم الرضوخ لمشيئة المعتدين »(٢٠). ان معالجة الوضع الاقتصادي العربي من هذا المنطلق تكرس ما هو قائم ، ولا تدعو الى ما هو اكثر مـــن « النشاط والحيوية » . ويقود هذا الفهم الى نتيجة منطقية تؤكد القدرة على الانتصار ـــ بعد قليل من الجهد ـــ في ظل الوضع الراهن . وهذا ما تعلنه الطلائع فعلا فهي تعتقد ان حركة التحرر العربي استطاعت « ان تتجاوز كل حسابات التحالف الامبريالي الصهيوني، وبدل

ان تسارع للرضوخ والاستسلام . ازدادت صلابة ووعيا وقدرة وتصميما على خوض حرب طويلة الامد ، واضحة الاهداف والمصير »(٢١).
ان الرد على هذا الفهم للهزيمة ، يأتي من الطلائع نفسها حين تقول « كانت هزيمة حزيران نتيجة حتمية لواقع التكوين الطبقي والايديولوجي والسياسي لحركة الثورة العربية »(٢٢). ويمثل هذا الرد نموذجا لمحاولة الطلائع تكوين رؤيا اشمل واعمق لاسباب هزيمة حزيران ونتائجها ، يعبر عن نفسه في محاولة استخلاص النتائج التي تترتب على القول بأن هزيمة حزيران كانت نتيجة تكوين طبقي معين . ومن النتائج التي حددتها في هذا الميدان : ١ — رفض شعار عدم التدخل في الاوضاع الداخلية لاي قطر عربي . ذلك انه « لا يمكن تحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني الامبريالي ، دون النظر الى ركائزه المادية المتمثلة بالزمر البورجوازية الرجعية المرتبطة المتآمرة »(٢٣). ٢ — توسيع اطار المعركة مع اسرائيل لوضعها ضمن مجالها الحقيقي من خلال التركيز على ان اسرائيل هي « اكثر من استعمار استيطاني ... انها الوجود العسكري الاميركي الامبريالي ... انها الفكر البورجوازي الرجعي ... انها البنى الاقتصادية والسياسية التي تكبل الطاقات والامكانيات الهائلة لجماهير الشعب العربي ، انها شركات النهب الامبريالية التي تمتص ثرواتنا »(٢٤). ٣ — تأكيد التلاحم العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية والخروج بهذا التأكيد عن نطاق الصيغ الانشائية المقطوعة الصلة عن معاني هذا التلاحم « فالمطالبة باستقلالية الثورة الفلسطينية ، بحجة التمييز بين قضايا التحرر الوطني ، وقضايا التحرر الاجتماعي والاقتصادي ... ان هذه المطالبة عدا عن كونها عملية فصل تعسفية بين العدو الوطني والعدو الطبقي ، فهي فلسفة بورجوازية يمينية »(٢٥).
وهكذا نجد ان الطلائع حققت نقلة واضحة في طبيعة فهمها لهزيمة حزيران . فهل يتطابق هذا الفهم للهزيمة مع طبيعة الدور الذي تتصوره الطلائع للعمل الوطني الفلسطيني ؟ تقول الطلائع « ان حركة المقاومة (رغم كل السلبيات والمعوقات) لا زالت تحمل امكانية تحولها الى حركة تحرر وطني تحمل لواء الثورة الشعبية المسلحة . ولكن ذلك يتطلب وعيا متزايدا لطبيعة الصراع القائم بين حركة التحرر العربية — الفلسطينية من جهة وبين الحركة الصهيونية والدول الامبريالية والقوى الرجعية من جهة ثانية »(٢٦). ان التفاؤل بارز جدا تجاه الدور الفلسطيني في معركة التحرير . ولكنه تفاؤل واع لطبيعة الشروط اللازم توفرها حتى يأخذ هذا التفاؤل مداه . ويعبر هذا الوعي عن نفسه بصورة ادق في الملاحظات النقدية حول سياسة حركة المقاومة . فالطلائع تعتقد ان « علاقة الحركة المسلحة الفلسطينية بالاوضاع العربية المحيطة بفلسطين لا زالت تحكمها العفوية والارتجال وردود الافعال اكثر مما يحكمها الموقف الايديولوجي المبدئي »(٢٧). وفي نطاق تعامل حركة المقاومة مع الجماهير ترى الطلائع ان هذه العلاقة « لا زالت تقوم على العفوية والارتجال نظرا لغياب الخطة النابعة من الايمان بالجماهير المنظمة ، وبأهمية العمل السياسي الى جانب العمل العسكري »(٢٨). بهذا الموقف النقدي لممارسات حركة المقاومة ، يوضع تفاؤل الطلائع بمستقبل الدور الفلسطيني في اطاره الصحيح البعيد عن النرجسية والفوغائية الاعلامية .
عند هذه الحدود تقف قفزة الطلائع نحو الامام ، وتبدأ تحليلاتها بالقيام بعملية لوي لعنق الزجاجة . وهدف عملية لوي العنق هذه ، ربط حركة المقاومة الفلسطينية بالانظمة العربية، التي قالت الطلائع نفسها ان ما هزم في حزيران هو تكوينها الطبقي والايديولوجي والسياسي . فهي تعتبر صراحة « ان العمل الفدائي بشكله ومضمونه المادي والمعنوي يؤلف اداة من ادوات العمل السياسي والعسكري للاستراتيجية السياسية العربية على النطاقين المحلي والعالمي »(٢٩). وبالطبع لا يمكن النظر لهذا الارتباط بصورة مجردة عن مضمون السياسة العربية على النطاقين المحلي والعالمي ، ومهما كانت نوايا الطلائع من

وراء ذلك فان المضمون الحالي للسياسة العربية يتعارض مع المضمون الفلسطيني لها ، ومن شأنه نتيجة لذلك ان يحصر العمل الفدائي المسلح ضمن قمقم هذه الانظمة . والمقال نفسه يقدم لنا تصورا للنتائج العملية التي تترتب على هذا الارتباط فهو يقول « في كل الظروف والاحوال يطلب من العمل الفدائي ان يكون دائما ملتحما بالعمليات النظامية للجيوش العربية لدول المواجهة لمساندة القوات المسلحة »(٣٠) في مهمات الاستطلاع وتخريب خطوط المواصلات . وبهذا يتحول العمل الفدائي الى فرق كوماندوس ملحقة بالجيوش العربية ، من المؤكد ان فرق الكوماندوس التي تنشئها هذه الجيوش نفسها ، اكثر قدرة وخبرة فنية منها . وبهذا ايضا يلغى مفهوم حرب التحرير الشعبية حتى ضمن اطاره العسكري ، وتنتفي نهائيا الابعاد الاخرى لحرب التحرير الشعبية ، لنجد انفسنا في النهاية امام بدايات واعية لمعنى هزيمة حزيران تنتهي الى نتائج توفيقية ، تحت سقف الانظمة العربية .

ب — **جبهة التحرير العربية** : تحرص جبهة التحرير العربية على تقديم نفسها على انها صاحبة موقف متميز في فهم طبيعة المعركة مع اسرائيل . فهي تنادي بقومية المعركة ، معتبرة ان اكثرية التنظيمات الفدائية تنطلق في نضالها من منطلق قطري عاجز عن تلبية متطلبات التحرير . بل انها ترى ان « مفهومها » القومي هو مبرر وجودها بالذات . وانطلاقا من مفهوم قومية المعركة تطرح جبهة التحرير كل تحليلاتها . ويتوقع القارىء نتيجة لذلك ان يجد لديها تعميقا لمفهوم قومية المعركة ، وتحديدا أدق لمعنى الترابط بين المعركة الفلسطينية والمعركة العربية ، ولكن هذا التوقع ما يلبث ان يخيب مصطدما بأكثر المفاهيم سطحية عن معاني « قومية المعركة » .

ان الحيز التقريري والانشائي في أدبيات جبهة التحرير بارز بشكل واضح ، ويعبر عن نفسه احيانا بشكل ساذج جدا على غرار القول بأن هزيمة حزيران قد اكدت « حقيقة كانت معروفة ، وكانت بعض الحركات الثورية تنادي بها ، ولكن اعلانها والمناداة بها لم يبلغا الحد المطلوب من العمق والجدية . ان هذه الحقيقة هي انه يجب حشد جميع امكانيات الامة العربية على أعمق واقوى شكل حتى تتمكن من الصمود في وجه الغزو الامبريالي الصهيوني والتغلب عليه »(٣١). ولا شك ان هذا الاكتشاف « المتكرر » للبديهيات يثير الدهشة حقا . ونحن نجد مثيلا له في بيانات تعد عادة بدقة متناهية ، مثل البيان السياسي الذي أعلن قيام الجبهة ، فقد جاء فيه « أمام الاستعمار العالمي والصهيونية والرجعية تقف الامة العربية مهددة في وجودها لا تجد طريقا للخلاص الا تضافر القوى الثورية وتجنيد طاقات الامة كاملة في المعركة »(٣٢).

وفي تحليلها للواقع العربي الذي ادى الى هزيمة حزيران نجد نفس هذا النسق الانشائي. فهي تقول « ان واقع الامة المجزأة الى أقطار، المفتتة ضمن حركات وتنظيمات مختلفة ، واقع صارخ لا يحتاج الى اثبات ، ولقد تجلت عيوب هذا الواقع اكثر ما تجلت صبيحة الخامس من حزيران ، حين استفاقت الامة وسط تجزئها وتفتت قواها وتشرذم ابنائها ، لتجد الهزيمة قد نفذت اليها بسرعة لا تصدق »(٣٣). ان اسطوانة التجزئة والتفتت والتشرذم اسطوانة صالحة للعمل باستمرار ، وهناك هواية لدى اكثر من فصيل في استعمالها دائما ، ولكن الهوايات التي تشرح امكانيات وأساليب تخطي التجزئة قليلة جدا ، مع انه من المفروض ان يكون دعاة قومية المعركة هم اساتذة هذا الميدان .

وبالاضافة الى التحليلات الانشائية الساذجة ، نعثر في أدبيات جبهة التحرير على نقل شبه حرفي لمواقف منظمات أخرى ، دون اي اشارة الى مصدر هذه المواقف . نقرأ مثلا « لم تكن هزيمة حزيران هزيمة عسكرية فقط بل كانت هزيمة لمجموع التكوين الطبقي والاقتصادي والعسكري للانظمة العربية التقدمية » ونقرأ أيضا « لم تكن الانظمة الرجعية هي المخاطبة بحرب وهزيمة حزيران بل ان الذي خاطبه العدو الاسرائيلي هي الانظمة التقدمية »(٣٤) ويمكن العودة الى أصل هذه المقتطفات في أدبيات الجبهة

الديمقراطية(٢٥) . ان هذه المقتطفات التي اشرنا اليها تقف جنبا الى جنب مع مقتطفات اخرى ذات نفس تحليلي ونقدي واضح ، ولكنها تضيع (على غرار أدبيات فتح) في دوامة المواقف الانشائية ، ولا تستطيع ان تشكل اللحمة الاساسيـــة لتحليل الجبهــة ولكنها مع ذلك لا تفقد قيمتها . تقول جبهة التحرير « ان عامل الاستمرارية في الثورة الذي وفرته قيادة البورجوازية الصغيرة كان قصير النفس وغير قادر على تحويل الترابط الموضوعي بين المرحلتين (مرحلة التحرر الوطني ومرحلة الوحدة القومية) الى ترابط واقعي ينعكس في اعادة صياغة المجتمع جذريا لمصلحة الاغلبية الساحقة فيه (العمال والفلاحين) ، ذلك لان حركتها الى الامام ترابطت مع وعي متزايد لديها بالخطر الذي يتهدد سلطتها السياسية وامتيازاتها من جراء نمو الحركة الجماهيرية ونضوجها »(٣٦) .
هنا يقف النقد للواقع العربي الذي أفرز هزيمة حزيران على أرض صلبة . والحديث عن ابتعاد الجماهير عن المشاركة في المعركة لا يرد كوصفة طبيـــة ، بل يرد معللا بأسبابه الحقيقية الكامنة في طبيعة الطبقة السائدة وفي خوفها من تنظيم الجماهير الكادحة لنفسها .
وتمضي جبهة التحرير العربية خطوة اخرى الى الامام موضحة موقفها بدقـــة اكبر حين تقول « لا تختلف بعض الانظمة العربية التقدمية وبعض الحركات اليسارية في الوطن العربي عن الانظمة الرجعية من حيث منطقها في قضية فلسطين الا بالكم والدرجة وليس بالنوع »(٣٧) . ان الانتقال في تحليل الوضع العربي من مرحلة الوصف الى مرحلة التحليل والنقد هو النافذة الوحيدة المفتوحة لامتلاك رؤيا نظرية تضع الحوار بين القوى الوطنية والتقدمية في مسار متنام لا يصطدم بعد الجمل الاولى في حائط طــريق مسدود . فهل استطاعت الجبهة ان تسير خطوات ولو اولية في هذا الاتجاه ؟ ان التدقيق في فهمها لمعنى قومية المعركة ، اي لمعنى التلاحم المصيري بين القضية الفلسطينية والقضية العربية هو الذي يشكل جواب هذه المسألة . وهنا تضع الجبهة منطلقات مبدأية سليمة أبرز مـــا فيها : ١ ـــ رفض فكرة الجبهة العربية المساندة بعد ان « استطاعت القوى المضادة للثورة ان تحرف شعار الجبهة العربية المساندة من مجرد تعبير عن الافاق العربية للعمل الفدائي الفلسطيني الى سجن تقيد فيه هـــذا العمل وتمنعه من الانطلاق القومـــي الواسع »(٣٨) . ٢ ـــ رفض فكرة الدعم العربي المقتصر على المال والسلاح لانه « حين يكون مقياس المساندة والدعم محصورا بالتبرعات يصبح كبار الراسماليين والاقطاعيين والسماسرة وعملاء الاستعمار أشد وطنية واكثر ارتباطا بحركة المقاومة مـــن الملايين الفقيرة من جماهيرنا الكادحة »(٣٩) . ٣ ـــ الاصرار على المحتوى السياسي للعمل الفدائي اذ « ان افراغ العمل المسلح من المحتوى السياسي ـــ الفكري هو اقرب الطرق الى فشله »(٤٠) . ٤ ـــ ادراك اهمية التنظيم في الحرب الشعبية (مع صياغة كيفية لشروط هذا التنظيم تختلط فيها المفاهيم المتناقضة) . فالتنظيم المطلوب « قومـــي التركيب من الناحية التنظيمية ، قومي اشتراكي من الناحية الايديولوجية ، عمالي فلاحي من الناحية الطبقية »(٤١) .

هذه المفاهيم المبدأية السليمة كيف تجد طريقها للتطبيق في تنظيم وعمل جبهة التحريـــر العربية ؟ هنا تتقلص الادعاءات القومية لجبهة التحرير ، وتنحصر في مفهوم رومانتيكي مثالي يرى في اشتراك متطوعين من المقاتلين العرب مع الفدائيين الفلسطينيين التجسيد الامثل لقومية المعركة .
تقول جبهة التحرير : « اذا كانت تلك المعركة عربية اولا واخيرا فهل يعقل بأن تخاض بغير اداة عربية . بغير تنظيم قومي يعبىء المقاتلين العرب في كـــل اقطـــار الوطـــن العربي»(٤٢) . وتقول ايضا : « ان هذه الجبهة حين تأتي بالمقاتلين العـــرب من اطراف الوطن العربي الكبير ليقاتلوا على أرض فلسطين ، انما تكون بذلك نواة الوحدة العربية على الارض التي اراد لها اعداء الامة ان تكون حاجزا بوجه الوحدة العربية»(٤٣) . هذه هي الحصيلة النهائية لكل ضجيج قومية المعركة التي تنادي بها جبهة التحرير العربية .

ان ترجمة قومية المعركة بهذا المعنى الضبابي والعائم نموذج لعقلية القفز من فوق الواقع، نرد على الاقليمية بانفتاح قومي وهمي غارق في الضباب . لا يمكن ان يقود مطلقا لاي تصور عملي حول العلاقة المطلوبة بين العمل الفلسطيني والعمل العربي . ان قومية المعركة لا يمكن أن تجد مفهومها الواضح الا على أساس فهم أبعاد معركة التحرير، وترابط جبهة الخصم فيها بين اسرائيل والامبريالية والرجعية العربية . وعلى أساس هذا الفهم يصبح كل انجاز وطني لتحرير الاقتصاد العربي وركائزه السياسية الرجعية عملا يصب مباشرة في طريق التحرير . ومن منطلق هذا الفهم يتوضح ان قومية المعركة هي في التلاحم النضالي بين العمل الفلسطيني والعمل العربي ، ويتوضح ان الاطلال الفلسطيني على « تعريب » المعركة هو في تمتين هذا التلاحم مع القوى التي تخدم هذا الهدف الكبير والبعيد . وفي تحديد موقف سياسي فلسطيني ، وترجمته عمليا من المواقف العربية . يكون ضمن مسار هذا الهدف . وهنا تتلاشى من « قومية » المعركة المعاني التي تحاول القفز من فوق الواقع الطبقي العربي . وتنحصر عروبة قضية فلسطين . واقعيا وعمليا في اطار الحركة الوطنية العربية . والا فان عدم التحديد يضعنا مع الرجعية العربية منظمات وافرادا في صف وهمي واحد لتحرير فلسطين .

ان اي محاولة تبذل لتخطي الواقع العربي الذي أفرز هزيمة حزيران ، لا تستطيع ان تفعل ذلك بعقلية توفيقية . فالنقد لا بد ان يقود الى نتائجه ، واذا لم تكن هناك جراة على ذلك فلن يكون هناك فكر جديد تبنى عليه تجربة جديدة .

٣ ــ المحاولة الاولى لتقديم تحليل متكامل . (التحليل النقدي ، الوصف الانشائي) :

مثلت الجبهة الشعبية الديمقراطية ، ومن بعدها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اول محاولة فلسطينية لتقديم تحليل متكامل للاوضاع العربية التي افرزت هزيمة حزيران ، وللاوضاع الفلسطينية التي حاوت الرد عليها ، وللعلاقة الجدلية بين الوضع الفلسطيني والوضع العربي . ويعتمد تحليل هاتين المنظمتين على الماركسية اللينينيــة كمنطلــق وكمنهج . وينتهيان بشكل عام الى نفس النتائج . وبالرغم من ذلك فان نسيج المنهج التحليلي لدى كل منهما يختلف عن الاخر ويتناقض معه ، فبينما تميل الجبهة الديمقراطية الى النقد والتحليل واستخلاص النتائج المحددة والملموسة ، تميل الجبهة الشعبية الى الوصف التقريري ، المقتصر على العموميات ، والذي نادرا ما يلج نطــاق التحديد ، واضعة رؤيتها الفكرية في صفوف منتظمة دون ان تربط بينها اية لحمة جدلية . ومــن الضروري لذلك ان تعالج محاولة كل منهما على حدة . اضافة الى ان تحليــل الجبهة الديمقراطية كان من الناحية الزمنية هو التحليل الاسبق(٤٤).

٤ ــ الجبهة الديمقراطية : أثار تحليل الجبهة الديمقراطية للوضع العربي والفلسطيني اوسع موجة من الجدل في اوساط حركة المقاومة . وادى من الناحية العملية الى توتير علاقاتها مع كثير من الانظمة العربية ، بينما اتاح لها فرصة اللقاء والحوار مع الكثير من الاوساط اليسارية العربية والفلسطينية . ويعود السبب في ردود الفعل المتناقضة التي أحدثتها الى تكامل التحليل الذي طرحته من جهة ، والى جراة هذا التحليل مــن جهة اخــرى .

فمنذ اللحظة الاولى رفعت الجبهة الديمقراطية سيف النقد في وجــه الواقع العربــي والواقع الفلسطيني ، معتبرة ان الانظمة الوطنيــة وكافــة فصائل حركة التحــرر الوطني الفلسطينية والعربية هي المخاطبة بشكل رئيسي بهزيمة حزيران ، ولذلك فان اوضاعها ومخططاتها يجب ان تخضع للتحليل والتقييم وصولا الى المخطط الجديد القادر على الصمود في وجه التحدي الامبريالي الصهيوني .

ادانت الجبهة الديمقراطية برامج البورجوازية الصغيرة الحاكمة وغير الحاكمة ، معتبرة ان هزيمة حزيران اثبتت بالواقع الملموس فشل هذه البرامج، واكدت ضرورة تبني الاختبار الفيتنامي والكوبي بالحرب الشعبية الطويلة الامد ، القادرة على تعبئة طاقات الجماهير

للوقوف في وجه التفوق التقني الامبريالي - كمخرج وحيد من المأزق الراهن . وحددت في النهاية بوضوح ان الانظمة الوطنية بالرغم من معاداتها للاستعمار والصهيونية غير قادرة بحكم تكوينها الطبقي والايديولوجي البورجوازي الصغير على وضع برنامج حرب التحرير الشعبية موضع الممارسة الثورية .

كذلك ادانت الجبهة الديمقراطية واقع حركة المقاومة الفلسطينية معتبرة هذه الحركة من نفس طبيعة الحركة الوطنية العربية . وان الجماهير انتظرت منها أن تشق طريقا جديدا ولكنها انتهت اسيرة الايديولوجية اليمينية والبورجوازية الصغيرة ، وتحولت الى ورقة تكتيكية ضاغطة في يد الانظمة العربية . فأصبحت بمثابة فرقة امامية للجيوش العربية . وهي لن تستطيع الانتقال الى موقع متقدم إلا اذا امتلكت ايديولوجية ثورية هي ايديولوجية العمال والفلاحين . وعملت على تعميم الوعي السياسي في اوساط الجماهير . وساعدت في تغذية حركة الجدل في الواقع الفلسطيني والعربي ، وتوفرت لها طليعة قيادية بروليتارية الانحياز . وليس مطلوبا من حركة المقاومة حتى بهذه الصفات ان تصبح بديلا لحركة التحرر الوطني العربي ، ولكن مهمتها المركزية في هذا النطاق ان تكون اداة تفجير لنضال الجماهير العربية ونموذجا لهذا النضال ، وبدون أن يتم هذا التفجير فان امكانيات تصعيد الكفاح المسلح الفلسطيني ستبقى محدودة .

لذلك كله تطالب الجبهة الديمقراطية حركة المقاومة الفلسطينية ان تنتقل بعلاقتها مع الجماهير الفلسطينية والعربية من طور العفوية والانفعالات العاطفية الى طور العلاقة المنظمة وتطالبها ايضا ان تنطلق في علاقتها مع الانظمة العربية من حقها المشروع في اخضاع اي موقف عربي تجاه القضية الفلسطينية الى محاكمة نقدية علنية ، تحدد كنتيجة له مع من تنسج علاقاتها في المنطقة العربية وضد من في الوقت ذاته . وهي تطالب حركة المقاومة الفلسطينية بهذه المهمة الكبيرة نظرا لقناعتها بأن « الانتقال بحرب المقاومة الراهنة ... الى حرب عصابات داخل الارض المحتلة ، ومن ثم الى حرب شعبية شاملة ، يستلزم بالضرورة الانتقال بالثورة من اطارها الفلسطيني البحت الى اطار عربي اكثر شمولا واكثر قدرة على توفير المستلزمات الاساسية للنصر الحاسم »(٤٥) .

ان هذا التحلبل الذي يختلف بشكل نوعي عن تحليلات المنظمات الفدائية الاخرى ، والذي يتوفر فيه عنصر الانسجام الداخلي ، البعيد عن القفزات الفكرية والمواقف التوفيقية تعرض لحملة نقد عنيفة ، غالبا ما كانت تميل الى تشويهه . وبغض النظر عن بعض المقاصد السيئة التي حركت مثل هذه الحملات ، فان قيام حالة من الحوار والجدل حول مشكلات العمل الفلسطيني ، يعتبر ظاهرة ايجابية تساهم في تحريك الجو الفكري الآسن الذي غرق به الواقع الفلسطيني، وشاءت كثير من اجهزة الاعلام ان تبقيه ضمنه . ولان مسألة نقد الواقع العربي ، تحتل في تحليل الجبهة مكانة بارزة ، فقد كان من المفروض فيها أن تساهم في اغناء عملية الحوار هذه ، وهي قد ساهمت فيها فعلا ، ولكن مساهمتها سارت في منحى دفاعي غرق نتيجة لذلك في التكرار . اذ من الملاحظ ان الجبهة الديمقراطية طرحت رؤيا اولية واضحة ومترابطة ، ولكنها توقفت عند تلك الحدود ، ولم تسع لاغناء تحليلها بعملية استقصاء دقيقة لمشكلات الواقع الفلسطيني والعربي . فبالرغم من اصرار الجبهة مثلا على الطبيعة الطبقية للنضال الوطني ، فان اصرارها هذا لم يدعم بأي تحليل طبقي لواقع الشعب الفلسطيني. ومن المؤكد ان افتقاد مثل هذا التحليل يعني — حتى في ظل ادراك الطبيعة الطبقية للنضال الوطني — سير الممارسة العملية بشكل عائم ، يعتمد النجاح فيها على الكفاءة الفردية ، وليس على وضوح الدليل النظري .

وقد فهمت الجبهة الديمقراطية بصورة دقيقة معنى الترابط العضوي بين النضال الفلسطيني والنضال العربي ، ولكنها في تحديدها للمهمات الفلسطينية ازاء الواقع

العربي ، ركزت على موضوعة النقد العلني ، ومع الاعتراف بضرورة النقـد العلني واهميته، وخاصة في اعقاب هزيمة مثل هزيمة حزيران،الا ان هذا الموقف يمكن ان يصبح موقفا لفظيا ، اذا لم يوضح الاسلوب العملي ، الذي يصبح فيه هذا النقد اساسا لبناء علاقات عملية نامية مع فصائل الحركة الوطنية العربية . وهذا لم تقدم عليه الجبهـة الديمقراطية حتى الان .

لقد قدمت الجبهة انضج تحليل لهزيمة حزيران ، وللدور الفلسطيني في الرد على الهزيمة، يمكن ان يكون اساسا لبناء حركة نضالية فلسطينية ثورية تكون لها تأثيرات عميقة في الواقع العربي ، ولكن هذه المهمة لا يمكن أن تنجز ما لم تقم الجبهة بقيادة عملية الصراع الايديولوجي التي بدأتها ، حتى النهاية .

ب ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : قدمت الجبهة الشعبية بدورها تحليلا متكاملا وواضحا لهزيمة حزيران انتهت فيه الى نفس النتائج التي قالت بها الجبهة الديمقراطية من قبل . ولما كان عرض النقاط الاساسية في هذا التحليل هو نوع من التكرار، فسنقتصر على تحديد الفارق النوعي بين تحليل الجبهتين . ونحن نحدد هذا الفارق بسيادة التصوير الميكانيكي للامور وغياب العقلية الجدلية ، في فكر الجبهة الشعبية. ان العقلية الميكانيكية في التحليل ، التي تميل لتثبيت النقاش وعزل قضاياه عـن بعضها بعضا ، كما تميـل لتبسيطه وتعميمه ، تقود دائما الى الجمود العقائدي . ولا تنحصر اخطـار الجمود العقائدي في ميدان النظرية فقط ، بل تعكس نفسها اساسا في الممارسة . ولذلـك فان استكشاف نتائج هذه العقلية الميكانيكية في فكر الجبهة الشعبية، مرهون بدراسة تجربتها العملية ، وبنوع النموذج النضالي الذي أرادت تجسيده .

في كراس « الاستراتيجية السياسية والتنظيمية »(٤٦) نعثر علـى التحليل الاساسي للجبهة . وهو منذ البداية يتجه نحو تبسيط الامور ، والبدء من العموميات التي لا جدال حولها . ففي الصفحة الاولى نقرأ تحت عنوان « أهمية الفكر السياسي » ما يلي « ان شرطا أساسيا من شروط النجاح هو الرؤية الواضحة للامور. والرؤية الواضحة للعدو، والرؤية الواضحة لقوى الثورة » . وفي نفس الصفحة وبعد قليل من الاسطر نقرأ أيضا ما يلي « ان ما يقرر النجاح هو الرؤية الواضحة للامور وللقوى الموضوعية التي تخوض الصراع وما يقرر الفشل هو العفوية والارتجال » . ان هذه العموميات والتبسيطات المتناهية ، متناثرة في القسم الاكبر من ادبيات حركة المقاومة . ولكن خطورتها هنا انها تتجه لتكتسي ثوب النظرية « الجديدة » . فاذا تجاوزناها لنصل الى جوهر الموضوع ، فاننا نجد انفسنا أمام السؤال التالي : من هم اعداؤنا ؟ ونجـد انفسنا ايضا امـام استشهاد من ماوتسي تونغ يقول فيه « من هم اعداؤنا ومن هم اصدقاؤنا . هذه مسألة في الدرجة الاولى من الاهمية »(٤٧). وبناء على هذا الاستشهاد من ماو يبدأ الكراس في تحديد الاعداء . فيقرر انهم اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية والرجعية العربية المتمثلة بالاقطاع والرأسماليـة . وهنا نبلـغ ذروة الخـوض في العموميات . فمن هم اعداؤنا ؟ سؤال طرحه ماوتسي تونغ في سياق مختلف تماما عما انتهت اليه الجبهة الشعبية من تحديد . فقد كتب ماو تحليله لطبقات المجتمع الصيني في الوقت الذي كان يخوض فيه معركة ضد القائلين بالتعاون مع الكومينتانغ فقط متناسين الفلاحين ، وضد القائلين بالاهتمام بالحركة العمالية فقط متناسين الفلاحين أيضا . كتب تحليله ليبرز دور الفلاحين في الثورة الصينية ، ومحددا داخل هذا الاطار اصدقاء الثورة من اعدائها . فكيف انتهي هذا المنهج لدى الجبهة الشعبية ، انتهى الى القول بأن اعداءنا هم اسرائيل والصهيونية والامبريالية والرجعية . ولو ان ماو نسج على منوالهم لقال ايضا ان اعداءنا هم الامبريالية والرجعية المتمثلة في الاقطاع والرأسماليـة ، ولاتفق معه في هذا التحليل بحماس التياران المعارضان له ، واعفى نفسه من خوض معركة ضخمة كان لها تأثيرها الحاسم في تاريخ الثورة الصينية . ان الخوض في مسألة تحديد

اصدقاء الثورة وأعدائها ، تصبح قضية مجردة تماما ، واكاديمية جـدا ، ان لم تربط بالمرحلة التاريخية المعاشة ، وان لم تناقش من خلال التيارات الفكرية التي تتجاذبها . وفي واقع حركة المقاومة الفلسطينية (التي تعيش في عام ١٩٦٩ ، وليس في عام ١٩٠٠) فان معالجة مسألة الرجعية كخصم ، لا تتم بقول ذلك ، بل بتحديد أساليبها الراهنة في ممارسة هذه الخصومة للثورة . وتتم أيضا بتفنيد وجهات النظـر التي تقول بامكـان تحييدها . وبمناقشة من هذا النوع فقط ، يكون هناك اغناء لمتابعة موضوع الرجعية. اما تثبيتها كحادثة مكتشفة ، فبديهي انه لا يضيف للحركة الوطنية الفلسطينية والعربية اي جديد كان : وهو موقف يمكن قوله الان ، ونكون متأكدين مئة بالمئة ، اننا نستطيع تكراره بنفس الطريقة بعد خمسين عاما أخرى ، فهل هذا التكرار هو المطلوب ؟

وحين يناقش الكراس مسألة « من هم أصدقاؤنا » يبدأ بداية صحيحة جدا حين يبين كيف « ان الفكر اليميني في الساحة الفلسطينية والعربية يحاول ان يلغي أو يميع النظرية الطبقية للامور »(٤٨). ولكنه ينتهي الى نفس التحديدات المعروفة والتي لا جدال حولها والتي تقول ان مادة الثورة هم العمـال والفلاحون ، وان البورجوازيـة الفلسطينية الصغيرة يمكن ان تكون حليفا ، ويجب ان لا تحتل موقع القيادة . وهنا نجد انفسنا أمام طريقة في تحليل الامور وتحديدها تصلح في عصرنا الراهن لكـل زمان ومكان . فعلى امتداد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، تردد ادبيات الثورة الموروثة عـن ماركس وانجلس ولينين وماوتسي تونغ وجياب ان العمـال والفلاحين هم مادة الثورة ، وان البورجوازية الصغيرة اقرب حليف لها ، وان البورجوازية الوطنية متذبذبة وتحدد موقفها على ضوء نتائج الصراع . ولكن هذه التحديدات التي كرسها التحليل الماركسي في شرحه لقوانين الصراع الطبقي ، خضعت حسب ظروف كل بلد ، لدراسة واقعية ، واكتسبت ذلك قيمتها كمرشد ودليل لفهم أوضاع محددة بطريقة ملموسة .

ان اصرار الجبهة الشعبية على امتلاك تحليل متكامل هو ايجابيتها الرئيسية ، ولكنها عانت من ظاهرة خطرة ، حين حصرت اهتمامها في وصف الظواهر العامة ، ولم تستطع ان تدخل ميدان الفهم الجدلي للوقائع .

نتائج عامـة

من هذا الاستعراض المكثف للفهم الفلسطيني لهزيمة حزيران ، نلاحظ بوضوح ان أبرز المواصفات العامة للحيز الاكبر من المواقف النظرية ، هو الهرب مـن التحليل والنقد وحصر الاهتمام في الحديث الوعظي « عما يجب » . التركيز على ابراز مظاهر العجز ، وتجاهل تحليل اسباب هذا العجز ، والغرق نتيجة لذلك في المواقف التقريرية والانشائية، حيث تصبح البديهيات السياسية سيدة الموقف . وحـين تكون هناك محاولة لتخطي البديهيات تبرز نزعة النرجسية المفرطة ، وخاصة حين يتناول الموضوع الدور الخاص للعمل الفدائي ، ومنجزات هذا العمل . ان تخطي هذا الفقر النظري المدقع ، لا يتم بمعجزة . فما لم تحسم داخل كل تنظيم مسألة ضرورة النظـرية الثورية ، والفكـر السياسي الثوري ، فان العجز عن رؤية الواقع على حقيقته ، والعجز بالتالي عن تحليله، والتخبط في مواجهته ، سيبقـى صفة ملازمة لحركة المقاومة ، لا تستطيع في ظلالـه ان تحتل موقعا قياديا في مسار الحركـة الوطنية العربية . وغياب النظرية الثوريـة المرشدة عن القطاع الاكبر من حركة المقاومة الفلسطينية ليس في الوقت الراهن قضية اختيار ارادي ، اذ ان له اسبابه الموضوعية .

فتركيب فتح الذي يضم خليطا من التيارات الفكرية والانتماءات الطبقية ، لا يسمح لها بحسم المسألة النظرية . وكون الصاعقة وجبهة التحرير العربية انعكاسا لاجنحة حزب البعث ، ولد افتعال مؤسسة وطنية عربية بكل حيثياتها الى ميدان العمل الفلسطيني ، ولم يولد ردا خاصا بهما على هزيمة حزيران . اما المحاولات النظرية المتقدمة في مواجهة الهزيمة فقد تمت في المؤسسة التي فجـرتها أحداث حزيران . لقـد انشقت الجبهة

الديمقراطيــة عن حـركة القوميـين العرب معلنــة رفضها لكـل الاسس الفكـرية التي كانت تقوم عليها هذه المؤسسة . وقد سمح لها موقف الرفض ، والنقـد الذاتي العلني الذي مارسته بالانتقال الى موقع نظري وسياسي جديد ، الامر الذي لم يحصل في الصاعقة او في جبهة التحرير العربية . ولم تستطع الجبهة الشعبية الجمود أمام آثار الانشقاق فقامت بمحاولة مماثلة ، ولكنهـا آثرت التوفيق بين الماضـي والحاضر(٤٩) واعتبرت التجديد تطويرا للماضي وليس ثورة عليه . ولذلك لم تستطع محاولتها ان تتخطى حدودا معينة .

---

١ — يعتمد هذا البحث على وثائق المنظمات الفدائية المنشورة بعد الخامس من حزيران فقط ، والصادرة باسم التنظيمات نفسها ، معتبرا ان ما صدر باسم بعض المسؤولين من كتابات لا يعبر بالضرورة عن رأي المنظمات التي ينتمون اليها ، وان كان أحيانا يعبر بشكل افضل (أو أسوأ) عن فكر التنظيم المعني . ويركز البحث على المواقف الفكرية للمنظمات بغض النظر عن طبيعة الممارسة ، سواء كانت هذه الممارسة تنسجم مع التحليل المقدم أو كانت تتعارض معه . أما الهدف من البحث فهو اكتشاف الجـديد الذي قدمه العمل الفدائي الفلسطيني في محاولته لتخطي المفاهيم العربية السائدة فيما يتعلق بالتصدي للخطر الصهيوني ، معتبرا ان العمل العسكري الفدائي وحده ليس هو الجديد المطلوب ، وذلك لاسباب كثيرة أقلها ان هناك ممارسة فدائية سابقة لحرب حزيران تمثلت بشكل بارز بهجمات الفدائيـين الفلسطينيين التابعين للجيش المصري عام ١٩٥٦ ، وبمبادرة فتح في العمل المسلح عام ١٩٦٥ . وبالنسبة لحركة فتح بالذات ، فان موقفها يمكن ان يفهم بشكل أفضل من خلال ما هو متوفر من تعاميمها الداخلية ، ولكننا لم نعتمد على هذه التعاميم، لان عدم نشر ما ورد فيها ، له بحد ذاته دلالة فكرية وسياسية ، ولانه ليس من حقنا الان ان ننشر ما لا ترغب حركة فتح في نشره .

٢ — في بداية عملها كانت فتح تصر على منطق الممارسة أولا ثم يأتي الشرح للمواطن الفلسطيني والعربي . وتنفيذا لذلك أصدرت عدة بيانات عسكرية قبل أن تصدر بيانها السياسي الاول .

٣ — الثورة الفلسطينية المسلحة ومراحل تطورها ، اصدار مكتب التعبئة والتنظيم ، ص ١٥ .

٤ — كراس القضية الفلسطينية كمحور للقضية العربية ، ص ١٤ (البحث الذي القاه فاروق القدومي في الملتقى الفكري بالخرطوم) .

٥ — نفس المصدر ، ص ١٥ .

٦ — نفس المصدر ، ص ١٥ .

٧ — نفس المصدر ، ص ١٠ .

٨ — نفس المصدر ، ص ١١ .

٩ — نفس المصدر ، ص ١١ .

١٠ — كراس الوحدة الوطنية ، اصدار مكتب التعبئة والتنظيم ، ١٩٦٨/٥/٢١ ، ص ٦ .

١١ — منطلقات ثورية رقم ١٢ ، كانون الاول ١٩٦٨ ، ص ١٠ — ١١ .

١٢ — نفس المصدر ، ص ٣ .

١٣ — نفس المصدر ، ص ٤ .

١٤ — كراس حوار حول القضايا الاساسية للثورة (حوار مجلة الطليعة مع ابو اياد) ، ص ٧٥ .

١٥ — القضية الفلسطينية كمحور ، ص ١٨ .

١٦ — نفس المصدر ، ص ١٩ .

١٧ — حوار حول القضايا الاساسية للثورة ، ص ٧٦ .

١٨ — دراسات وتجارب ثورية ، رقم ١٠ ، ص ٣٥ .

١٩ — في ذكرى حزيران ، ص ٥ .

٢٠ — نفس المصدر ، ص ١١١ .

٢١ — نفس المصدر ، ص ٩ .

٢٢ ـ كراس **نحو فهم علمي وثوري لماهية الثورة في الارض المحتلة** ، ص ٤٣ .
٢٣ ـ **نفس المصدر** ، ص ٤٧ .
٢٤ ـ **نفس المصدر** ، ص ٤٩ .
٢٥ ـ **نفس المصدر** ، ص ٥٠ .
٢٦ ـ **في ذكرى حزيران** ، ص ٢٢ .
٢٧ ـ **نفس المصدر** ، ص ٢٠ .
٢٨ ـ **نفس المصدر** ، ص ١٨ .
٢٩ ـ مجلة **الطلائع** ، العدد ٣٠ ، ص ١١ ؛ مقال بعنوان « الارتباط العضوي بين الجيش والمنظمات الفدائية ودور كل منها » .
٣٠ ـ **نفس المصدر** .
٣١ ـ بيان في الذكرى الثالثة لهزيمة حزيران ، مجلة **الثائر العربي** ، العدد ٢٧ ، ص ٢ ـ ١٩٧٠/٦/٢٠ .
٣٢ ـ كراس **البيان السياسي لجبهة التحرير العربية** ، ص ٣ .
٣٣ ـ كراس **جبهة التحرير العربية** ، ص ١٢ .
٣٤ ـ **الثائر العربي** ، العدد ٢٤ ، مقال بعنوان « هزيمة حزيران للانظمة التقليدية وهزيمة للرأسمالية » .
٣٥ ـ **حول ازمة حركة المقاومة الفلسطينية** ، ص ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٨ و٦٩ .
٣٦ ـ كراس **جبهة التحرير العربية** ، ص ٣٦ .
٣٧ ـ كراس **البيان السياسي لجبهة التحرير العربية** ، ص ٧ .
٣٨ ـ **الطريق القومي لتحرير فلسطين** ، ص ٦٥ .
٣٩ ـ **نفس المصدر** ، ص ٦٢ .
٤٠ ـ كراس **جبهة التحرير العربية** ، ص ٢٢ .
٤١ ـ **نفس المصدر** ، ص ٤٠ .
٤٢ ـ **نفس المصدر** ، ص ١٦ .
٤٣ ـ **نفس المصدر** ، ص ١٩ .
٤٤ ـ طرح « الجناح التقدمي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » موضوعاته في آب ١٩٦٨ . وكانت هذه الموضوعات اساس الانشقاق الذي تكونت على اثره الجبهة الديمقراطية في ٢٢ شباط ٦٩ . ثم طرح موضوعاته بشكل أوسع في المجلس الوطني الفلسطيني السادس في القاهرة في أيلول ١٩٦٩ . بينما طرحت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تقريرها الرئيسي (الاستراتيجية السياسية والتنظيمية) في تموز ١٩٦٩ .
٤٥ ـ كراس **المقاومة الفلسطينية والاوضاع العربية** ، ص ٦ . انظر ايضا كتاب **حول أزمة حركة المقاومة الفلسطينية** .
٤٦ ـ التقرير الذي اقره مؤتمر الجبهة الشعبية المنعقد في شباط ١٩٦٩ . نشر لاول مرة بدءا من العدد الاول لمجلة **الهدف** في تموز ١٩٦٩ .
٤٧ ـ **الاستراتيجية** ... ص ٦ .
٤٨ ـ **نفس المصدر** ، ص ١٦ .
٤٩ ـ رفعت الجبهة الشعبية شعار امكانية تطوير تنظيم بورجوازي صغير (حركة القوميين العرب) الى حزب ماركسي لينيني (حزب العمل الاشتراكي العربي) .

التركيب البنيوي للعنف : خواطر نظرية في المقاومة الفلسطينية

الدكتور اميل نخله

كتب الكثير في ظهور حركة المقاومة الفلسطينية(١) وتأثيرها خاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على التطورات الراهنة والمقبلة في الشرق الاوسط. ولكن ما أقل ما كتب عن الاطار المفاهيمي للعنف الفلسطيني بالعلاقة مع المفاهيم التقليدية للنظرية السياسية : العدالة والشرعية والالتزام والمسؤولية الفرديين وبناء الجماعة السياسية واخيرا التفوق من خلال الابداع الفردي الحر . وبالطبع تبرز هنا بعض الاسئلة . هل استعمال العنف ، أي الكفاح المسلح ، وسيلة مبررة لتحقيق وجود فلسطيني مجتمعي ومؤسسي مشروع ادبيا ومعنويا واخلاقيا ؟ وهل يصح اعتبار استخدام القوة صحيحا اخلاقيا ومقبولا معنويا ، اذا كان ذلك بقصد احباط استمرار التعاسة والدمار ؟ وهل يجب الحفاظ على السلطة بأي ثمن ؟ بكلمات اخرى ، متى يحق لشعب ، او للنخبة الممثلة لهذا الشعب بحكم الواقع ، أن يثور وبالعنف الذي تقتضيه الظروف للقضاء على حالة راهنة قمعية احدثت بالقوة وكرست بها ؟ واذا كان شعب كهذا يستطيع اشتراع حقه في استخدام العنف ، فمتى يكف هذا الاستخدام عن ان يكون شرعيا ؟ متى تكف الوسائل (استخدام العنف) عن أن تبرر الغايات (خلق بنية مجتمعية جديدة) ؟ وما هي الظروف المقيدة التي ينبغي ان يراقبها بوعي ويتقبلها بمنهجية مستخدمو العنف المشروع ، اذا ما برهنت شرعية هذا العنف ؟

وعلى الرغم من ان عملية التحويل العنفية لا تفترض تخطيطا هيكليا مسبقا ولا تعمل بموجب مثل هذا التخطيط ، وذلك أمر يمكن تصوره ويجري التنبؤ به احيانا كثيرة ، الا أن من الضروري استعمال اطار نظري لضمان حد ادنى من الرؤيا الموضوعية خلال العملية العنفية ، خشية الوقوع في شرك القمع الدائري(٢) الذي كان يقصد في البداية تحطيمه باستخدام العنف . ويعطي هذا الاطار العملية العنفية احساسا بأنها هادفة ، فيعمل هذا ككابح داخلي للمحدودية العقائدية والجبرية الدوغمائية المتحجرة المقرة سلفا . تحاول حركة المقاومة الفلسطينية ، ممثلة أساسا بفتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ان تصيغ الان أجوبة كافية على بعض الاسئلة النظرية التي اثرناها اعلاه ، مما يجعل المرحلة الراهنة تشهد توترا ايديولوجيا بين فتح والجبهة الشعبية(٣). وقد تشكل هذه الاجوبة تأليفا نافعا ربما يبرر في النهاية استخدام العنف الذي ، بدونه ، لا يمكن ان يكون هذا التأليف .

لا غنى لنهم الكفاح العنيف للشعب الفلسطيني عن البحث في اربعة مجالات على الاقل في الوقت ذاته : دور النظرية ، كفاية العنف في النظرية السياسية، طبيعة المقاومة الفلسطينية ، الاطار البيئي للعنف الفلسطيني (الوجود الصهيوني) . ولربما يصبح ممكنا بتفحص هذه المجالات الاربعة تطوير تأليف انساني لا عنفي مؤسس بصلابة على القيم الاخلاقية الكلاسيكية التي يشترك الناس فيها جميعا .

لماذا النظرية ؟

على الرغم من أن السعي الى النظرية يبدو على

السطح بعيدا عن العنف الذرائعي (البراجماتي) المتضمن في حركة التحرير الفلسطينية ، وعلى الرغم من أن التنظير يتضمن داخله استعدادا لان يصبح نوعا من « الخليط الفكري العشوائي »(٤)، الا ان امكانية تقديم سلسلة من المفاهيم المنظمة من خلال تحليل نظري للفرضية الوظيفية للحركة يجعل الثورة بالتأكيد قابلة للتشريح التحليلي الضروري للتنبؤ غير المنحاز . الى ذلك تخلق النظرية طيفا عريضا من الاختيارات يصبح بها الفحص الميكروسكوبي للثورة ممكنا. وليس هناك من تناقض جوهري بين طريقة المعالجة النظرية هذه وبين الثورة الفلسطينية ذات التوجه نحو العمل ، ذلك ان كليهما خاضع للحكم التقييمي . فالواقع الذي أملى على الثورة سبب وجودها والتحام اجهزة الثورة السياسية والعسكرية ، هما بحد ذاتهما غير نظريين او في احسن الاحوال لا نظريين . بيد أن هدف الثورة ، ألا وهو اقامة مجتمع ديمقراطي علماني متعدد الاديان ، هو ، بالتعريف ، مشحون أخلاقيا . فهذا الشكل من اشكال المجتمع يجب ان يبنى على ما هو خير للانسان الفلسطيني لا كذات بل كانسان . كذلك يجب ان يبنى تماسك المجتمع الجديد على صالح عام يخدم مصالح كل اعضاء ذلك المجتمع . وفي هذا المجال ، تمد الثورة الفلسطينية ، على الاقل في تصريحات قادتها ، جسرا ما بين ثقافة البرج العاجي والعمل الثوري. وتمكن هنا الاشارة بحذر الى ملاحظة مورجنثو أن ما يعطي النظرية السياسية حيويتها وقوتها هو « صلتها الخلاقة بالواقع السياسي»(٥). ونحن نشهد في الثورة الفلسطينية رفضا واضحا لافكار آبي هوفمان في « الثورة لذاتها »(٦) ولطوباوية جري روبن الضبابية في « افعله ! »(٧)، فهذه الثورة تقدم تأليفا مقنعا الى حد ما من العمل والنظرية ، ومن هنا تنشأ ضرورة التنظير .

يذكرنا البروفسور ريمون آرون في كتابه « السلام والحرب » أن « أزمنة الاضطراب تشجع التأمل »(٨). ويفترض آرون ان الاعمال العظيمة في التاريخ مثل «جمهورية» افلاطون و«سياسيات» ارسطو و«دولة» هوبز(٩) قد ترافقت مع ازمات كبيرة ساهمت بطريق غير مباشر في انتاج البحث السياسي الخصب . كذلك شهدت أزمة « عصر الثورة » ظهور النظرية الديمقراطية عند مونتيسكيو وروسو ، ويمكن ايضا النظر الى « البيان الشيوعي » و« الاوراق الفيدرالية » (وهي سلسلة مقالات كتبها الكسندر هاملتون وجيمس ماديسون وجون جي ١٧٨٧ حول الدستور المقترح الجديد للولايات المتحدة) من منظور الازمة/ رد الفعل ، طبقا لنظرية آرون . تخدم النظرية بهذا المعنى غرضا متعدد الوجوه : « فهي تمكن من استقصاء المعلومات »(١٠) ويمكن لها أن تكون « أداة ذات فائدة للفهم ... ولاستيعاب لا المنتظمات والمتسقات فحسب ، بل المصادفات واللامعقولات ايضا »(١١) وذلك من خلال التصنيف المنطقي الضروري للمسائل .

العنف والنظرية

على الرغم من أن العنف ظاهرة جديدة نسبيا في النظرية السياسية ، على الاقل فيما يتعلق بتفحصها كمجال بحث مستقل ، الا ان هذه الظاهرة قد لعبت دورا عظيما في الشؤون الانسانية . وسواء اعتبر العنف امتدادا للسياسة (كلاوزفيتز) او « مسرعا للتطور الاقتصادي»(١٢) (انجلز) ، فان جماعات وحركات عدة على امتداد العالم قد استخدمته ، واعتبرته مشروعا لانه السبيل الفعال الوحيد لاحداث تغييرات اجتماعية وسياسية واقتصادية . وما دام العنف هو سبيل العمل الرئيسي الذي تتبناه حركة المقاومة الفلسطينية ، فان من المناسب هنا ان نتفحص بعض الكتابات المعاصرة في العنف والتغيير الثوري ، وذلك بالقدر الذي وسم فيه العنف والعملية العنفية التطورات السياسية الحديثة . وليس الهدف من ذلك البحث عن تبريرات للعنف بل تفحص طبيعة العملية العنفية واستخدامها واهدافها كظاهرة سياسية . تؤكد حنه آريندت أن أحد أسباب عدم تطور نظرية مكتملة في العنف يعود الى أن العنف قد نظر اليه غالبا من منظور ضيق ، هو منظور التبرير(١٣). وهناك سبب جدير آخر لغياب نظرية موحدة في العنف هو أن مستخدمي العنف يكونون خلال العملية العنفية منهمكين فيها كلية ومباشرة فلا يجدون وقتا للتفكير في الطريقة العنفية(١٤).

على الرغم من تكاثر الفرضيات النظرية والتنظير في العنف ، الا أن سؤالا يجب ان يثار دوما : لماذا يستخدم العنف ؟ يتساءل بارنجتون مور «هل العنف سمة لازمة لخطوات الانسانية المترددة نحو الحرية ؟ »(١٥). لقد اعطيت على هذا السؤال

اجابات متعددة تعدد القناعات الايديولوجية التي تكمن خلفها. فالماركسيون يؤكدون ان العنف « يجب ان يستخدم من اجل الحرية »(١٦) خاصة اذا لم تنتج التناقضات داخل مجتمع معين عملية تحلل سريعة . ويمضي الماركسيون قائلين ان العنف الثوري يستخدم « عندما يكون النظام الاجتماعي السائد قمعيا بما لا ضرورة له »(١٧). ويؤكد ماركس انه عندما يبدو انهيار مجتمع معين أمرا متأصلا نتيجة ثقل تناقضات هذا المجتمع ذاتها، فأن العنف يصبح « القابلة التي تولد المجتمع الجديد من رحم المجتمع القديم »(١٨).

يذهب المفكرون السياسيون الاكثر حداثة ، الى ربط العنف بالسلطة والحرب والثورة ، فكان أن احتلت نظريات السلطة والثورة مكانا مرموقا ، بينما دفع العنف ، كموضوع للبحث ، الى موقع الغموض والابهام(١٩). يقول رايت ميلز ان « كل السياسة صراع على السلطة ، والنوع النهائي من السلطة هو العنف »(٢٠). وقبل ذلك ببضع سنوات كتب هانز مورجنثو في كتابه الكلاسيكي « السياسة بين الامم » يقول : « السياسة الدولية ، ككل سياسة ، صراع على السلطة . ومهما كان الهدف النهائي للسياسة الدولية فان السلطة هي الهدف المباشر »(٢١). ولقد تبلت حنه اريندت بصراحة اكثر ما يقوله ضمنا ميلز ومورجنثو من أن العنف أداة ، فهي تقول « يحتاج العنف ككل الوسائل الاخرى الى القيادة والتبرير من خلال الغاية التي يسعى اليها »(٢٢). ولا تربط البروفسورة اريندت العنف بالحرب والصراع على السلطة فحسب ، بل انها ايضا ترى في العنف خطرا متأصلا ينذر بتدمير العلاقة بين الوسائل والغايات ، فيقود بالتالي الى محو المجتمع . « ان ممارسة العنف ، كأي عمل آخر ، تغير العالم ، ولكن اكثر التغيرات احتمالا هو عالم اكثر عنفا »(٢٣). وهي لا تقبل « الروح الخلاقة » التي يعزوها للعنف فرانز فانون وجان بول سارتر وآرثر واسكو وغيرهم من الكتاب اليساريين . فالمنطق المحرر الذي استخدمه هؤلاء الكتاب في نماذجهم النظرية هو مشتق علاقة ثنائية القطب لا منطقية أساسا : المستغلين (بفتح الغين) والمستغلين (بكسر الغين)(٢٤). بيد ان المنطق الافلاطوني والارسطي والهيجلي الذي تعتنقه البروفسورة اريندت وكذلك التقليد المساواتي التحرري الغربي، كل ذلك قادها الى الاستنتاج بأن العنف عبث(٢٥).

ومع ذلك يبدو ان البروفسورة اريندت تتأرجح بين هذا الموقف القائم على رفض العنف كمبدأ وبين اعجابها الضمني بأعضاء المقاومة الفرنسية خلال نضالهم العنيف ضد الطغيان النازي . واذا كان للمرء ان يطبق بصراحة ما تقوله البروفسورة اريندت من وجود علاقة تناسب عكسي بين العنف والسلطة وعبثية العنف على المقاومة الفرنسية ، فانه يتوقع أن تستنتج أنه كان يجب أن تستخدم قوة نازية اكبر ليجري البرهان بها للمقاومة الفرنسية برهانا اكثر فعالية على مشروعية السلطة النازية مما يؤدي بالتالي الى البرهنة على لافعالية المقاومة . ولكن النتيجة التي تصل اليها البروفسورة أريندت مختلفة جدا بالطبع(٢٦).

وحتى لو كان استخدام العنف ، كما هو طبقا للحجة الماركسية ، ضروريا احيانا لقتال نظام اجتماعي قمعي ، فان هناك من يعترضون على مشروعية العنف وكونه مبررا على اساس انه يتطلب ثمنا مرتفعا . غير ان هؤلاء لا يدركون « أن مجرد استمرار النظام الاجتماعي القائم يفرض ثمنا مأسويا هو الاخر»(٢٧). ويشير بارنجتون مور الى أن « حساب المعاناة التي يحتمل ان تنجم عن العنف الثوري يجب أن يتضمن المعاناة التي كانت ستنجم عن استمرار الامور في حالتها الراهنة »(٢٨) لو لم تغتنم الفرصة الثورية(٢٩). يذهب مور الى أنه على الرغم من أن العنف لا يمكن رفضه « كمسألة مبدأ فحسب »(٣٠)، الا انه يجب ان يتخلى عنه كأداة للتغير اذا سادت ظروف تفضي الى النقاش العقلاني ، وبرغم كون هذه الظروف نادرة تاريخيا ، يمكن النظر اليها على مستويين : فهي تتطلب من الناحية السيكولوجية حدا معينا من النضج والتوازن في الشخصية الانسانية(٣١)، ومن الممكن لها سوسيولوجيا وتاريخيا « ان تتمخض عن وتيرة « تقدم » بطيئة بما لا يفزع حماة الوضع الراهن دونما داع وسريعة بما يرضي على الاقل باعتدال اولئك الذين يقاسون في ظل النظام السائد»(٣٢). أي نوعا من الوسط الذهبي الطوباوي ينسجم مع الصورة التحررية الكلاسيكية للمسائل الانسانية ، تلك الصورة التي تفتتت مع انهيار الليبرالية الكلاسيكية ذاتها في مطلع هذا القرن . لكن الصورة الصراعية البديلة التي وسمت العلاقات الاجتماعية في المجتمعات

الغربية وغير الغربية جميعا منذ انهيار الليبرالية واستخدام العنف عشوائيا قد جعلت وجود هذه الظروف « المفضية الى النقاش العقلاني » نادرة حقا . اما الثوريون من طراز فرانز فانون فيذهبون الى أن هذه الظروف لم توجد ابدا ، ولذا فان العنف هو وسيلة العمل الوحيدة في متناول الضعفاء المضطهدين المستغلين ليحرروا انفسهم ويحدثوا تغيرا خلاقا حقا في المجتمع قائما على كرامة الانسان وقيمة الشخص الانساني، بغض النظر عن العرق او اللون . ويقدم لنا جان بول سارتر في مقدمته لكتاب فانون «معذبو الارض»(٣٣) نظرة نفاذة في طبيعة العنف الخلاقة التي تقف خلف تحليل فانون للثورة الافريقية ضد الاستعمار . يتوجب علينا هنا ان نؤكد نقاطا ثلاث . اولها ان عنف فانون رد فعل على عنف أسبق هو العنف الذي استخدمه المستوطنون ضد السكان الاصليين . ولذا فان استخدام المستعمرين للعنف لانهاء عنف اكثر تدميرا أمر مبرر . والعنف الذي يستخدمه المستعمرون يتوخى نزع انسانية المواطنين ، ولا يستطيع المواطنون ان « يصبحوا بشرا »(٣٤) الا من خلال العنف « ذلك الغضب المجنون »(٣٥). ويضيف سارتر مؤكدا « ان العنف اللاقمعي... هو الانسان يعيد خلق ذاته »(٣٦). وخلال هذا العمل الخلاق تبدأ عملية شفاء جديدة « فالعنف كسيف أخيل يشفي حيث يجرح »(٣٧).

ثانية النقاط التي يجب تأكيدها هي أن فانون ينظر الى عنفه من خلال عملية خلاقة لا يمكن أن تتقدم بالعمل اللاعنفي . فـ« قهر الاستعمار عملية عنفية دائما»(٣٨) على مستويين : تدمير الاستعمار ، تلك الظاهرة التي ولدت وابقي عليها بالعنف ، وخلق المجتمع الجديد المتحرر من الاستعمار حيث الانسان سيد نفسه . لذا فان العنف في هذا المضمار هو « وحي الجماهير المستعمرة ان تحريرها يجب ان ينجز بالقوة ولا يمكن ان ينجز الا بها»(٣٩).

النقطة الثالثة التي يجب تذكرها هي ان عنف فانون قيمي ، ذلك انه يتركز على اعادة خلق الانسان . انه ليس غاية بحد ذاته ، ولا يشاد به لذاته . العنف هو الوسيلة التي يغسل بها المواطن الاصلي الذي جعله المستعمر وضيعا بالعنف والقوة ، هذه الوصمة اللاانسانية ، ويعيد بناء علاقة صحيحة قائمة على انسانية الانسان . ويعلن فانون في كتابه «بشرة سوداء واقنعة بيض» أن « العرقي هو الذي يخلق (الانسان) الاحط منه » وهذه العرقية هي ما يتوجب على المواطن ان يمحوه بالقوة .

في المضمار الفلسطيني الذي لا يختلف عن المضمارين الاميركي والافريقي ، ينظر الفدائيون الى العنف على انه الوسيلة الفعالة للتحرير . وسنركز على هذا العنف في الفصل القادم .

المقاومة الفلسطينية : مدخل تحليلي

ان المقاومة الفلسطينية كنضال ثوري وحركة تحرر وطني وحركة عصابات هي عملية عنفية . والكفاح المسلح هو المبدأ الهادي لحرب التحرير الفلسطينية الراهنة . ان « اعتماد الكفاح المسلح ... مبدأ استراتيجي اساسي يوجب اقصاء اية تسوية سياسية »(٤٠).

تقدم حركة المقاومة الفلسطينية حالة نموذجية لدراسة العنف كظاهرة في المجال السياسي . وعلى الرغم من تعقيد هذه الحركة الا أنهـا يمكن أن تستخدم لاختبار صحة الفرضيات الاساسية التي يقدمها المنظرون المختلفون والتي عرضت في الجزء الاول من هذه الدراسة : أن العنف يندلع عندما تضعف السلطة الشرعية ، وانه مهما كان التغيير الذي يأمل الثوريون في احداثه باستخدام العنف فلا يمكن لهذا التغيير الا أن يكون سلبيا . يمكن أن تكون موضوعة البروفسورة اريندت قابلة للتطبيق على حركة المقاومة الفلسطينية من وجهة اخرى : أن التلقائية المدمرة المتضمنة في العنف لا تترك مجالا للبرمجة الطويلة الامد ، التي هي شرط مسبق للتغيير المتوازن . وتقول البروفسورة اريندت ، لتوضيح ذلك ، أن افتقار حركة اليسار الجديد [في اميركا] في الستينات لبرنامج حيوي طويل الامد هو نقطة الضعف الحاسمة في هذه الحركة ، وهذا النقص هو الذي يجعل الحركة غير فعالة كحركة سياسية جديرة بالثقة . لا تنطبق كل النتائج التي توصلت اليها البروفسورة اريندت بالضرورة على الكفاح الثوري الفلسطيني. بيد ان بامكاننا أن نفترض دون ان نجانب الصواب أن العنف الفلسطيني قد برز بشكل صارخ في المناطق التي تآكلت فيها السلطة الشرعية (الاردن ولبنان) . وليست علاقة التناسب العكسي بين العنف والسلطة علاقة تبادلية كلية على الاطلاق ، مما لا يمكننا من أن ناخذ فرضية اريندت ابعد من ذلك ، فحتى يكون منظور العنف/السلطة صحيحا

يتوجب أن يكون العنف والسلطة في المجتمع ذاته. ففي حالة المقاومة الفلسطينية تتطلب فعالية العنف كأداة للتغيير السياسي تحلل السلطة الشرعية في محيطين : محيط الاعداد (الاردن ولبنان وسوريا) ومحيط التنفيذ (فلسطين/اسرائيل)(٤١).

بالاضافة الى منظور حنه اريندت ، يمكن دراسة العنف الفلسطيني في اطار الازدواجية — القطبية للمستعمر/المستعمر التي يقدمهـا فرانز فانون . وكثيرا ما ألح قادة حركة المقاومة الفلسطينية ، وخاصة قادة فتح ، الى أن فرضية فانون تنطبق على نضالهم ضد الاستعمار الصهيوني في فلسطين. ويذهب قادة المقاومة الى أن استخدامهم للعنف (الكفاح المسلح) أمـر مشروع ، خاصة في محاولتهم لتحرير فلسطين من السيطرة الاجنبية والانسان الفلسطيني ممـا يدعوه قادة المقاومـة الانغلاق العرقي للبنية السياسية الصهيونية في فلسطين .

ان الصحة النظرية لهذا الموقف ، الذي طور بوعي منذ عام ١٩٦٧ على هدي خطوط نموذج فانون ، تتعلق مباشرة بعمليـة التحرير الفعلية . ويعـي واضعو استراتيجية فتح حتمية العنف في الاطار الفانوني ومن هنـا موقفهم الصلب مـن الكفاح المسلح . ومـن المثير للانتباه ان نلاحظ هنا أن الابداعية الانسانية الشمولية في عنف فانون المحرر قد اصبحت النغمة الغالبـة في خطابات الثـورة الفلسطينية . فالمجتمع الفلسطيني الديمقراطـي العلماني هو ، بالنسبة لفتح ، تتويج هذا الابداع الذي سينجز عنـد تحرير الواقـع الفلسطينـي الحقيقي . غير أنه يجب ان يشار الى ان المجتمع « الديمقراطي العلماني » الذي تأمل فتح أن تقيمه في فلسطين بعد تدمير البنية الراهنة لاسرائيل ، هو في احسن الاحوال شعار غامض يجب ان يوضح ويطور . هل يكون هذا المجتمع بنية عربية مؤسسة على القومية العربية تحكمه اغلبيـة عربية ، أم يكون مجتمعا انسانيـا حقـا مفتوحـا للعـرب والاسرائيليين، والمسلمين والمسيحيين واليهود على حد سواء ! لسوء الحظ ، فشلت حركة المقاومة الفلسطينية حتى الان في تقديم أي وصف مقنع منفصل لمجتمع المستقبل هذا . اذ ان ما تدمته حركة المقاومة خلال السنوات الثلاث الماضيـة ليس الا محاولة ضعيفـة للاضفاء على مجتمـع المستقبل هذا نوعا من الانسانية الشمولية ، يجب ان يتخذ شكلا مقنعا . واذا كانت حركة المقاومة تسعى ، صادقة ، الى غاية انسانية كهذه ، فان عليها أن تقول بلا تردد أن المجتمع الجديد الذي سينشأ بعد التحـرر سيرفض بحزم كل الميـول الايديولوجية القومية التي تفضل شعبا على آخر ، أي العرب على اليهود . فاذا ما صدر بيان كهذا، توجب على حركة المقاومة لتدلل على هذه الانسانية أن تسعى سعيا حثيثا الى اقامة حوار ذي معنى مع العناصر اليهودية التقدمية الاشتراكية داخل اسرائيل وخارجها ، ليس تلك العناصر التي تحمل عقيدة العنف فحسب ، بل ايضا تلك التي تؤمن ، صادقة ، بامكانية حل لا عنفي .

المنظور النظري الثـالث الذي يمكن تطبيقه على المقاومة الفلسطينية هو الفرضيـة الماركسية : استخدام العنف مبرر عندما يصبح النظام الاجتماعي في مجتمع معين قمعيا بما لا حاجة له . ويبدو هذا الموقف أشد ما يكون وضوحا في موقف الجبهـة الشعبية لتحرير فلسطين . فموقف الجبهة هو في الاساس « أن نظاما اجتماعيا قمعيا بما لا ضرورة له » يقوم في المجتمعات العربية واسرائيل جميعا ، وهذه ظاهرة لا تمكن ازالتهـا الا بالعنف . لذا فللنضال الثوري ، كما تراه الجبهة الشعبية ، دوران مميزان ومع ذلك لا يمكن فصمهما : تحرير فلسطين والانسـان الفلسطيني مـن الاضطهـاد الصهيوني ، وتحرير المجتمع العربي مـن القوى المضادة للثورة والرجعية . يختلف هذا الموقف عن موقف فتح التي تنظر الى النضال الفلسطيني من منظور ميكروسكوبي ، هـو بالتحديد أن الكفاح من اجل فلسطين « مهمة فلسطينية حصرا »(٤٢) وبهذا فهو « الطريق الوحيـد لتوكيد شخصيـة الفلسطينيين الوطنية »(٤٣). من جهة اخرى تنظر الجبهة الشعبية الىالنضال من منظور ماكروسكوبي فهي قد « اعتبرت مصير الكفاح الفلسطيني مرتبطا بالنتيجة بنجاح الحركة الثورية على مدى العالم العربي »(٤٤) يجب ان نتذكر ان الفروق بين فتح والجبهة الشعبية ، هي في الواقع فروق دقيقة وليست فروقا صارخة كما قد توحي قراءة عابرة لادبياتهما . وكمثال على ذلك حدث في الشهـور الاخيرة تطور في مفهـوم فتح للتحرير الذي كان فلسطينيا في الاساس فأصبح التحرير يوضع في مضمار نضال اوسع ضـد الامبريالية العالمية . كذلك أبدى مظهـر الحياد الرسمـي لفتح تجاه

الشؤون السياسية المحلية للبلدان العربية بعض علائم التشقق . فقد تيقنت فتح لسوء الحظ ، خاصة نتيجة الصدامات العسكرية مع السلطات الاردنية واللبنانية منذ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، ان الحياد تجاه السياسة العربية المحلية امر ساذج الى حد ما . مما أدى الى تغير ملحوظ في موقف الحياد هذا — فسيحافظ على الحياد الان ما لم تتدخل الحكومات العربية في الشؤون الداخليــة لفتح وحركة التحرير الفلسطينية ومــا لم تحاول فرض أي حل لا تقبله حركة المقاومة .

وبالنسبة للجبهة الشعبية ، يجري التأكيد الان على الكفاح ضد اسرائيـــل والصهيونية اكثر من الكفاح ضد القوى الرجعية العربية داخل الاقطار العربية . الى ذلك ، ابدى قادة الجبهة الشعبية رغبة في التعايش مع بنية طبقية معينة في الوسط العربي اكثر مما تدل على ذلك خطاباتهم . ويبدو ان التفسيرات التي يعطيها الناطقون باسم الجبهة الشعبية لهذه التنـــازلات تعكس تقديرا واقعيـــا لقدراتهم العسكرية المحدودة على الاقل في الوقت الحاضر .

لقد قبل كـــل من فتح والجبهة الشعبيـــة نظريا منطق فانون في العنف . فهما تقولان بالتحديد ان الانسان الفلسطيني ، كزميله الافريقي ، ثار ليمحو شكلا من المواطنيـــة المضطهدة فرضته عليه ، بالعنف ، الصهيونية الاوروبية في فلسطين ، شكلا شبيها جدا بالاشكال التي فرضتهـــا الكولونيالية الاوروبية على المواطنين الافريقيين . لقد استخدم المستعمرون الاوروبيـــون مفهوم المواطنية ليرادف المعاملة السيئة المحسوبة للمواطنين الاصليين . ويقول قادة المقاومـــة ان الانسان الفلسطينـــي كالانسان الافريقي قد عومل زمنـــا طويلا **كمواطن اصلي** وشعر **كمواطن اصلي** وعانى **كمواطن اصلي**، وتؤكد حركة المقاومة ان هذه الحالة يمكن وصفها وصفا صحيحا بأنها قمعية بما لا ضرورة له .

بالاضافة الى المنظورات الثلاثة التي وضعت اعلاه (اريندت ، فانون ، ماركس) ، يمكـــن دراسة العنف الفلسطيني طبقا للنموذج الذي طوره آرثر واسكو لدراسة حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة(٤٥). وموضوعة واسكو ، في الجوهر ، مزدوجة : ان انهيار « سياسة النظام » في المجتمع تؤذن بقدوم سياسة الفوضـــى ، وان سياسة الفوضى غالبا ما تكون خلاقة(٤٦). ويمكن لسياسة الفوضى ان تكون عنفية او سلمية ، فهي نوع من المتوالية التطورية تبــدا باللاعنف وتنتهي بتأليف جديد ينتج عن تداخل الفوضى العنفية ، التي تحدث في مكان ما وسط المتوالية ، والمجتمع الذي تكون المتوالية جزءا منه. ان مدى سياسة الفوضى دالة مباشرة للضغط الذي تتعرض له هذه السياسة من داخل المتوالية (ذلك القطاع من المجتمع الذي يتأثر مبـــاشرة بالفوضى) ومـــن خارج المتوالية (المجتمع ككل) . وعلى الرغم من أن أداة واسكو التحليلية قد ألهمتها حركة الحقـــوق المدنية (في اميركا) في الستينات ، الا انها يمكن ان تطبق على التطورات العنيفة على النطاق القومي والعالمي. من السهل ، باستخدام نموذج واسكو ، ان نزيح النقاب عن نمط من « سياسة النظام » وجد في فلسطين منذ عام ١٩٢٢ عندما فرضت عصبة الامم نظام الانتداب على فلسطين(٤٧). ويجب ان يشار هنا الى ان هـــذه السياسة قد فشلت في نصف القرن الاخير ، كما يقول الفدائيون ، في تحقيق نظام حقيقي في فلسطين لانهـــا كانت تطبق ضـــد رغبات اغلبية الفلسطينيين وبالقوة (الشاهد على ذلك القسوة والفظاظة التي عاملت بها سلطات الانتداب البريطاني قادة ومناضلي انتفاضة ١٩٣٦ — ٣٩) ، وتكرس ، على الاقل على المستوى الدولي ، بمناورات دبلوماسية تتعارض مع نص تقرير المصير الذي يعلنه ميثاق العصبة بوضوح. فقد كان يشار الى الفلسطينيـــين العرب الذين يعتبرون انفسهم الملاك الشرعيين لارض فلسطين على انهم « الجاليات غير اليهودية الاخرى » . وفي الثلاثينات والاربعينـــات اخرج الفلسطينيون العرب الذين كانوا لا يزالون الطرف الحقيقي في الصراع من الصورة عمليا ، وذلك بالمناورة . وقد كان هذا ممكنا عبر جهود متناسقة لتعريب الصراع الفلسطيني وكذلك نتيجة فشل الفلسطينيين العرب بسبب الثارات العائلية (الحسيني ضد النشاشيبي) في خلق قيادة حيوية . وفي الخمسينات والستينات كف العرب الفلسطينيون عـــن ان يكونوا موجودين كشخصية سياسية في نظـــر الاسرة الدوليـــة ، واصبحوا بدلا مـــن ذلك لاجئيـــن . ولم يعـــد الفلسطينيون الى الظهور الا في اواسط الستينات وعلى الاخص بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ عندما برزوا كحركة فدائيـــة تسعى الـــى رفع الظلـــم واستئصال ما يعتبرونـــه وضعا راهنـــا فرضـــه

الغرب ، ذلك الوضع الذي هو رمز سياسة النظام التي سادت خلال العقود القليلة المنصرمة . ولقد اعتبر الفدائيون مبررا لاستخدام العنف عجز الفلسطينيين العرب بين أوائل العشرينات وأواسط الستينات عن التأثير على مجرى الاحداث في فلسطين لصالحهم (على الاخص فيما يتعلق بالهجرة اليهودية) وفي المؤتمرات الدولية (على الاخص فيما يتعلق بأحداث السيادة اليهودية الشرعية على نحو ما في فلسطين) . وليثبت الفدائيون وجهة نظرهم فانهم يشيرون ان الكتاب البريطاني الابيض للعام ١٩٣٩ لم يكن ليصدر لولا العنف الذي ساد فلسطين في فترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ .

كانت حركة المقاومة الفلسطينية، مثل حركة الحقوق المدنية في الاباما ، احتجاجا ، وان بعنف اكبر ، على نظام قانوني غير عادل ونظام اجتماعي قمعي . لكن الفارق الاساسي بين الحالتين هو أن الحيف في الاباما كان متضمنا في قوانين الولاية (التمييز العنصري بحكم القانون) بينما كانت القوانين الفدرالية وعلى الاخص الدستور اقل تمييزا من قوانين الولاية . ومع ذلك فان مشكلة التمييز بحكم الواقع خارج الجنوب الاميركي لا تزال تستدعي حلا[٤٨]. أما في حالة فلسطين ، فقد كان التمييز ضد السكان العرب الاصليين بموجب القوانين المحلية (القوانين المدنية وقوانين الدفاع البريطانية قبل عام ١٩٤٨ والقوانين المدنية وقوانين الدفاع الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨) يسير جنبا الى جنب ، كما يقول الفلسطينيون ، مع حيف آخر في النظام القانوني الدولي . ويشعر الفلسطينيون ان القوى المعنية في كل من عصبة الامم وهيئة الامم قد خرقت، بحرمانها الشعب الفلسطيني، حق تقرير المصير وهو المبدأ المركزي في ميثاقي العصبة والهيئة . مما أدى بالفدائيين الفلسطينيين الى اعتبار اللجوء الى العنف سبيل العمل الوحيد المفتوح أمامهم لاستعادة هذا الحق[٤٩].

اقترن انهيار سياسة النظام في فلسطين باندلاع سياسة فوضى عنفية جديدة — حركة التحرير الفلسطينية . ويقدم النضال الثوري الفلسطيني نفسه في هذا الديالكتيك المتوجه نحو العمل كبديل منطقي موثوق لسياسة النظام التي فرضت ظاهريا . نظريا ، يمكن فهم التغيير الذي تسعى اليه سياسة الفوضى العنفية قبل تحقيق هذا التغيير ، اي قبل ان ينجز التحرير ، وذلك بالمعاينة المستمرة لغرض العملية العنفية واهدافها. واحدى نقاط الضعف في هذا الربط بين النظرية والعمل في الحالة الفلسطينية تكمن في فشل حركة المقاومة في تفصيل الاهداف التي تتوخاها — وهذا سبب اخر ملح يدعو الى الاتيان بتعريف واضح للدولة « الديمقراطية — العلمانية »[٥٠].

المقاومة الفسطينية : التطور والعقيدة

تتألف المقاومة الفلسطينية أساسا من حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، وهي الطرف الرئيسي في منظمة التحرير الفلسطينية وقيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وهي ليست عضوا في قيادة الكفاح المسلح . أما المنظمات الاخرى ، التي توجد داخل او خارج منظمة التحرير وقيادة الكفاح المسلح ، فهي على وجه العموم اضعف من أن تشكل هوية مستقلة فعالة تستطيع تعديل مجرى الثورة كما تراه فتح والجبهة الشعبية تعديلا جذريا[٥١] . واذا افترضنا ان الحركتين الرئيسيتين تختلفان في ايديولوجيتهما وطريقةعملهما وان تأثيرهما على الثورة ككل سيكون مختلفا ، فان بحثهما يجري هنا من وجهة نظر الاهداف التي ترميان اليها ، لا من وجهة نظر الوسائل التي تستخدمانها .

ظهرت فتح الى حيز الوجود كحركة سرية لتحرير فلسطين في غزة في مطلع العام ١٩٥٦ ، واصدرت بيانها الاول في ١٩٦٥/١/١ بعد ان قامت بعمليتها العسكرية الاولى في ١٩٦٤/١٢/٣٠ . وقد عملت فتح بين ١٩٥٨ و١٩٦٦ في ظروف تكاد لا تقهر : الشك الجماهيري والصراعات بين الحكومات العربية والموارد المحدودة واللامبالاة الانهزامية من جانب الفلسطينيين والحملة المتناسقة من النقد والتجريح التي شنتها الصحافة العربية على فتح لتشويه سمعتها وتصويرها على أنها نفر من المغامرين تدعمه قوى اجنبية[٥٢].

يتضمن التطور المبكر لفتح اربعة تواريخ هامة ، أولها الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ . ففي هذا اليوم هاجم الاسرائيليون قرية السموع في الاردن (الضفة الغربية) ، مما أدى بصورة مفاجئة وعن غير قصد الى انهيار «جدار الصمت» الذي اقامه الاردن حول حركة التحرير[٥٣].وثاني التواريخ الهامة هو العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الذي كشف انهيار الجيوش العربية التقليدية

في وجه الهجمة الاسرائيلية خلال ما يسمى حرب الايام الستة . وعلى الرغم من « حالة الذهول التي سادت الجماهير العربية »(٥٤) فقد رفض العرب وخاصة الفلسطينيون فكرة الاستسلام دون تردد وفي ١١ حزيران « اقتحم رجال العاصفة بالسلاح الارض المحتلة لاول مرة بعد الهزيمة »(٥٥). أما التاريخ الثالث الهام في تقويم فتح فهو ١٩٦٧/٨/٢٩ . ففي هذا التاريخ نسقت فتح خطوط عملها السياسي والعسكري وقررت البدء بعمليات واسعة النطاق نسبيا في الاراضي المحتلة(٥٦) . التاريخ الرابع والاهم بالنسبة لفتح هو ١٩٦٨/٣/٢١ ، اي معركة الكرامة . ففي ذلك اليوم عبرت قوة اسرائيلية كبيرة نهر الاردن وهاجمت قرية الكرامة . فأمر الفدائيون الفلسطينيون ان يلتحموا بالقوة الاسرائيلية في مجابهة مباشرة — وكان ذلك استراتيجية اثبتت أنها ناجحة بالنسبة للفدائيين ومكلفة بأكثر مما يتوقع للاسرائيليين . وفي ١٩٦٩/٥/٢ نجحت فتح في تجربة استراتيجيتها الجديدة التي نشأت في الكرامة والتي تقوم على المجابهة المحدودة الواسعة النطاق مع القوات الاسرائيلية ، بعكس قاعدة « اضرب واهرب » التقليدية في تكتيك العصابات ، ففي هذا اليوم احتلت قوات العاصفة التابعة لفتح لمدة قصيرة قرية الحمة التي يحتلها الاسرائيليون. وتقوم فتح الان باختبار هذه الاستراتيجية الجديدة كمدخل لمرحلة تالية(٥٧).

ظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ نتيجة اندماج مجموعتين صغيرتين هما : ابطال العودة والجناح الفلسطيني من حركة القوميين العرب . وقد انشقت عن الجبهة الشعبية مذ ذاك ثلاث جماعات هي : الجبهة الشعبية الديمقراطية (ويقودها نايف حواتمه) وجماعة زعرور وجماعة جبريل . على اية حال ، شاركت الجبهة الشعبية فتح في ارض المعركة حوالي كانون الاول / كانون الثاني ١٩٦٨/١٩٦٧ . وعلى الرغم من أن فتح تقوم بمعظم عمليات المقاومة ، الا ان الجبهة الشعبية اكتسبت شهرة بـ « عملياتها الخاصة » المثيرة ، التي تقوم بها خارج الساحة المباشرة للصراع . وكانت اولى هذه العمليات خطف طائرة العال بوينغ ٧٠٧ من روما الى الجزائر في تموز ١٩٦٨. وتبرر الجبهة الشعبية عملياتها هذه على اساس أن « معسكر الخصم ليس اسرائيل وحدها وانما هو اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية والرجعية العربية »(٥٨). وتقول الجبهة الشعبية ان هناك « تلاحما عضويا » بين الرجعية العربية والامبريالية(٥٩). فوق ذلك «فان الجغرافيا يجب ان تكون قضية غير مهمة في الحرب الشاملة التي يشنها شعب فلسطين لمواجهة الحرب العدوانية الموجهة ضده . والمسألة ليست داخل المناطق المحتلة او خارجها »(٦٠). تخالف فتح الجبهة في مفهومها للعدو على أسس ذرائعية (براجمانية) وتكتيكية ، غير أنها تقبل ضمنا موقف الجبهة الشعبية ولكنها تتحفظ بأن هذا الموقف صحيح فقط بعد انجاز تحرير فلسطين .

تبقى حقيقة واحدة قائمة لا نقاش فيها ، بغض النظر عن اختلاف توجه وطريقة عمل وتكتيك الحركتين الفدائيتين الرئيسيتين : لقد بدأت حركة المقاومة في ظروف شديدة العداء داخل فلسطين والعالم العربي والمجتمع الدولي ، ولكن هذا الحال قد تحسن بدرجة كبيرة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . كتب جيرار شاليان في « لوموند ديبلوماتيك » قائلا : « يمكننا ، اذا استخدمنا المصطلحات الكوبية ، أن نقول أن المقاومة الفلسطينية بدأت كـ « بؤرة » او كنواة تستخدم العنف المسلح ، دون أي اعداد سياسي للسكان الذين تريد المقاومة تعبئتهم . ولكن بينما برهنت استراتيجية « البؤرة » عن عدم فعاليتها في اميركا اللاتينية في اطار **الصراع الطبقي** ، فان نواة المقاومة الفلسطينية المسلحة نجحت في اطار **الحركة الوطنية** »(٦١). ان المجال البنيوي الذي عملت فيه حركة المقاومة الفلسطينية منذ بدايتها ، أي كحركة وطنية ، قد حدد أساسا لا بمخطط تنظيمي مسبق بل بالاعتبارات العملية للمجتمع العربي ، على الاخص في العلاقة مع القوى التي يمكن ان تدعم او تعارض المقاومة . ومن الطبيعي انه لا يمكن صرف النظر عن مصادر الدعم المالي المحتملة ، وهنا تفترق فتح عن الجبهة الشعبية . ففتح تعترف بأن المجتمع العربي يحبل بالتناقضات وان الانسان العربي في حاجة ماسة الى التحرير . ولكنها مع ذلك ترى أن تحرير فلسطين والحقيقة الفلسطينية من الصهيونية هو الهدف الاولي الذي يجب الا يغيب عن المقاومة. وهي ثانيا تقول انه ما دامت معركة التحرير طويلة

الامد فان كل قدرات المجتمع العربي يجب ان تعبأ بغض النظر عن التوجهات الايديولوجية لهـــذه القدرات . وترى فتح ثالثا أنه ما دامت معركة التحرير هي المهمـــة الملحة فان مسألة طبيعـــة وشكل مجتمع ما بعد التحريـــر في الاطـــارين الفلسطيني والعربي مسألة اكاديمية سجالية لم يحن اوانها بعد(٦٢).

لقد فشلت هذه النقطة الاخيرة كما أوضحنا سابقا، في الاستجابة للحاجة التي تقضي بتفصيل طبيعـــة مجتمع ما بعد التحرير. واذا كان للمجتمع المنشود أن يمسي جديرا بالثقة ، فان من الضروري ان تهتم فتح جديا باقامة حوار جدي مع العناصر اليهودية وغير اليهودية ، الفلسطينية وغير الفلسطينية . وتجب الاجابة على الاسئلة المطروحة بصدد بنية مجتمع المستقبل ونوع الحكم فيه وتوجهه الايديولوجي وارتباطاته القومية . والا فلن تؤدي الخطابيـــة الثورية للمقاومة الى أي حوار ذي معنى وستقود فحسب الى الشك وفقدان الثقة . من جهة اخرى ترى الجبهة الشعبية ان التحرير الحقيقي لفلسطين لا يمكن تحقيقـــه الا بانجـــاز شرطين : تربيـــة الجماهير سياسيا ، وتحرير المجتمع العربي ككل . وعلينا ان نعترف ان الجبهة الشعبية هي أول حركة ماركسية ــ لينينية تكسب دعما شعبيـــا ملحوظا بين اللاجئين الفلسطينيين . ولكن هـــذه النقطة ينبغي الا تؤكد بما لا تحتمل ، ذلك ان القول بأن هذا الدعم يمكن ان يكون ناجما عـــن عمليات الجبهة الدعاوية الجريئة (خطف الطائرات الخ) لا عن ايديولوجيتها الماركسية اللينينية يبدو مقنعا(٦٣). ولا شك في ان هذه الاعمال قد اشبعت مؤقتا على الاقل ضمير الشباب العربي المتضعضع بصورة محزنة منذ هزيمة ١٩٦٧ . وهناك سبب اخر لنجاح الجبهة الشعبية هو هجماتها علـــى المصالح الاميركية ، على الرغم من قلة عددها ، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار شعور الفلسطينيين المعادي للولايات المتحدة بسبب ما يعتقدون مـــن دعمها الذي لا يتزعزع لاسرائيل . بيد ان هـــذه الاعمال يترتب عليها مسؤولية جسيمة تقع علـــى عاتق استراتيجيي الجبهة : ان عليهم أن يثبتوا أن الجبهة الشعبية حركة مقاومة موثوقة لهـــا برنامج حيوي وانها ليست عصابة المغامرين القساة. أي أن الجبهة يجب ان تشجب تمجيد العنف من أجل العنف ، خـــاصة وانه لا يمكن ايجاد رابط مبرر ما بين معاناة شعب ما واعتماد هذا الشعب على العنف من أجل العنف . وبيانات الجبهـــة التي تفيد العكس لا تكفي .

يكفي هنا ان نورد بعض النقاط الهامة من عقيدتي كل من الحركتين الرئيسـيتين ، ذلك أن هـــذا المقال ليس مهتما أساسا بتركيب حركة المقاومة أو بالجماعات الايديولوجية داخلها . تحتوي عقيدة فتح على النقاط التاليـــة : ١ ــ « ان الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة هي المسؤولة الاولى عن اشهار الحق العربي بصورة عملية حاسمة . ٢ ــ « ان محور القضية الفلسطينية واساسها هو الثورة الفلسطينية المسلحة(٦٤). ٣ ــ « يأخذ علينا البعض اننا لم نفكر حتى الان في المضمون الاجتماعي لثورتنا المسلحة . والحقيقة اننا كحركة ثورية نشأت كتلبية تاريخية لرغبة شعبنا المناضـــل من أجل عودته الحرة الكريمة ، لا نأخذ بالمذاهب الكلاسيكية والمفاهيم المثالية الجامدة التي لا تمس واقعنا بشيء . ٤ ــ « ان صراعنا الدامي مـــع الاحتلال الصهيوني في الواقع صراع وجود وليس صراعا عن مبدأ اجتماعي معين . هو صراع بقاء او فناء . هو صراع أن نكـــون او لا نكـــون . ٥ ــ يجب ان « يلتحم الشعب كله في جبهة ثورية عريضة لاجتثاث الكيـــان السياسي والاجتماعـــي والاقتصادي لدولة الاحتلال ، بل لاجتثاث كـــل الوجود الصهيوني عن ترابنا الطاهر »(٦٥). ٦ ــ شعارنا « الارض للسواعد الثورية المسلحة التـــي تحررها »(٦٦).

أما عقيدة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فتتضمن النقاط الرئيسية التالية : ١ ــ اعداد الشعب كله للحرب يعني خلق الشعب المسلح . ٢ ــ ان عدونا الامبريالي حقـــود ومصمم على اخضاعنـــا لارادته وذلك لحماية مصالحه الحيوية . ان واجبنا أن نضرب هذه المصالح في كل مكان . ٣ ــ نستطيع هزيمة الامبريالية عبر الحرب الطويلة الامد بجبهة عربية عريضة تنتظم العالم العربي كله ــ بخلق فيتنام جديدة . ٤ ــ اننا واثقون من اننا نستطيع كسب دعم كل شعوب العالم التقدمية والمحبـــة للسلام ، فنضالنا نضال عادل . ٥ ــ ليس من بديل لطريق النضال الطويل الامد والتضحيـــات الجسيمة . ان نضالنا نضال من أجل البقاء . ٦ ــ علميا ، ينتصر الجانب المتفوق تقنيا انتصارا حتميا في الحرب الخاطفة ، ولكن النصر المحتـــوم

في الحرب الطويلة الامد من نصيب الجانب الذي يملك قدرات بشرية اكبر(٦٧).
يستطيع المرء آخذا بعين الاعتبار الاهداف التي ذكرناها ، ان يوجه الاسئلة التالية : كيف يمكننا أن نضمن قيام مجتمع انساني حقا عند التحرير ؟ اذا كانت حركة المقاومة تهدف الى مساعدة الانسان الفلسطيني على تطوير اطار سياسي — اجتماعي لا يستطيع فيه ان يعيش ويدع غيره يعيش فحسب بل أن يعيش حقا ايضا ، فما هي الضمانات التي تستطيع الحركة تقديمها ضد امكانية وقوع المجتمع الجديد ضحية الشوفينية والتحريرية الوحدوية (وهو مبدأ سياسي ينادي بتحرير المقاطعات المتصلة تاريخيا او عرقيا وجمعها في نطاق وحدة) في غمرة حماسة النصر العربي ؟ وهيحالة ليستمختلفةعن تلك التي اجتاحتاسرائيل بعد النصر الصهيوني عام ١٩٤٨ . هل تضمن حركة المقاومة لليهود الفلسطينيين الذين يتنصلون من الصهيونية استمرار وجود حقيقة يهودية في فلسطين دون أن تطغي عليها وتضطهدها الحقيقة العربية ؟ أيحقق المجتمع الجديد الذي سيولد في فلسطين حقيقة انسانية حقا تعيد التوكيد على نزعات الانسانية الاولية نحو العدالة والقسطاس؟ أم يكون المجتمع الجديد مجرد دولة اخرى تحتضن كل مفارقات الدول الاخرى وآفاتها الاجتماعية ؟ ان طرح هذه الاسئلة ليس تمرينا في الطوباوية ولا محاولة عقيمة للتنظير . فالاجابة عن هذه الاسئلة ، على الرغم من أنها ستفتقر الى اليقين، قد تلمح الى مستقبل المجتمع الجديد فتساهم بالتالي في فهم النسيج الاخلاقي / المعنوي للعملية المنفية الراهنة وفهم اتجاهها . وسنبحث في الفصل التالي كيف يمكن للمشاركين في هذه العملية أن يؤثروا عليها ايجابا .

المقاومة الفلسطينية : تاليف انساني

يمكن للمقاومة الفلسطينية ان تكون بمعنى ضيق كحركات التحرير الاخرى « مدمرة ومحرفة وشريرة »(٦٨) اذا كان ما سيحرر صورة متزمتة لحقيقة جماعية محدودة ، مغلقة على الحقائق الاخرى في المنطقة ذاتها . وسيكون الامر كذلك لو أن حركة المقاومة الفلسطينية تدفع الى اقامة مجتمع طبقة واحدة او دين واحد أو لون واحد . ففي مجتمع كهذا تسيطر الطبقة الممتازة او العرق الممتاز (الشعب المختار ، ان صح التعبير) على افراد المجتمع الجديد وتستغلهم ، او تعطيالفرص للافراد على اساس الطبقة او الانتماء العرقي بدلا من الكفاءة . فتسيطر اغلبية عربية على هذا المجتمع ، في حين يشكل غير العرب اقلية مضطهدة من الدرجة الثانية . غير أن حركات التحرير ، بما فيها النضال الفلسطيني ، قد تكون على مستوى اوسع « بناءة دامجة موحدة »(٦٩) اذ كانت عملية التحرير مكرسة لخدمة الانسان ضمن الوقائع الموضوعية للصراع بغض النظر عن العرق والاصل والانتماء الديني — ما دام الانسان المحرر قد اختار الانضمام الى المجتمع الجديد طوعا . ومن الضروري ان تنادي حركة المقاومة دون تردد بحقيقة انسانية منفتحة في فلسطين ، وهذا هدف يجب أن يؤكد باستمرار ، اذ عبر هذه الانسانية ، فقط ، تتغذى عملية التوحيد والبناء والدمج . هذا هو جوهر المنطق الثوري ، اذ عبر هذه العملية فقط تمكن اقامة رابطة عضوية بين المجتمع المحرر وكل افراده . ومن الواضح أن هذا الالتزام الخلقي يلقي مسؤولية ثقيلة على عاتق الثوريين الفلسطينيين . ومع ذلك فان عليهم أن يواجهوا الامر مباشرة لئلا يقعوا في وهدة التحلل الانساني ذاتها التي وقع فيها الاستعمار الصهيوني في فلسطين . ولكي يجري تجنب هذه الوهدة ، فان من المناسب ان نبحث الدعائم الايديولوجية / الخلقية للصهيونية الهرتزلية التي كان مقدرا لها ان تحل « المسألة اليهودية » في اوروبا .

اقترح ثيودور هرتزل ، وهو صحفي من فينا ، في كتاب له بعنوان « الدولة اليهودية » حل « المسألة اليهودية » باقامة دولة قومية مستقلة لليهود . وتتمحور موضوعة هرتزل الاساسية حول أربعة افتراضات(٧٠). اولها أن اليهود يؤلفون امة سيكولوجيا وثقافيا ، ولكنهم يفتقرون الى خواص المواطنة السياسية . الافتراض الثاني هو أن افتقار اليهود الى دولة أمر شاذ ادى الى اللاسامية والعذاب اليهودي (« المسألة اليهودية الابدية ») . وثالث هذه الافتراضات انه ما لم يعط اليهود الفرصة للتعبير عن انفسهم روحيا دون خشية الانتقام الجسدي فان الحضارة والثقافة اليهودية مهددة بالفناء . اما الافتراض الرابع فهو ان الطريقة الوحيدة لضمان تعبير اليهود عن أنفسهم ودفاعهم عن أنفسهم هي اقامة دولة

قومية مستقلة . ولقد تم تحول الحلم الهرتزلي الى حركة سياسية عملية تعمل لاقامة دولة يهودية في فلسطين في المؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في آب ١٨٩٧ في بال بسويسرا . فقد تبنى المؤتمر في مقرراته التي عرفت باسم « برنامج بال » فلسطين على أنها **الارض** التي ستقام فيها الدولة الصهيونية .

ليس الامر المهم هنا مطامع الصهيونيين في وطن ، ولكن المهم هو التوجه الصهيوني فيما يتعلق بمصير سكان فلسطين الاصليين . نظر هرتزل الى المخطط الصهيوني لاقامة دولة قومية في فلسطين على أنه امتداد لثلاثة عناصر هامة . اولا : الاستيطان الصهيوني في فلسطين امتداد للامبريالية الاوروبية. وقد بنى هرتزل على هذا المنطق آماله في الدعم الاوروبي . واوضح ان الدولة الصهيونية في فلسطين ستكون المركز الامامي للسياسات الامبريالية الاوروبية في الشرق ، فكتب يقول « سنؤلف هناك جزءا من المتراس الاوروبي ضد آسية ومركزا أماميا للمدنية بوجه البربرية»(٧١). العنصر الثاني في الخطة الصهيونية هو السلبية الكامنة في موقف هرتزل من اليهود . فقد كان يعتقد ان اللاسامية «حركة نافعة للخلق اليهودي». وكان يرى مفهومه للخير والحرية والابداع القومي فيضوءالضغط الذيتعرضاللاسامية اليهود له(٧٢). ومع ذلك فقد كانالحل الذيارتآه هرتزل في جوهره تكريسا للانعزالية ذاتها التي طبعت اللاسامية بطابعها . فهو لم يناد بالقضاء على اللاسامية في اوروبا ، ولم يدع الى خلق مجتمع اوروبي جديد منفتح ، بل كان الحل الذي تقدم به وفيا للتقليد الاوروبي : اقامة دولة انعزالية في مكان ما بعيدا عن اوروبة . لقد كانت اللاسامية الاوروبية ترى في اليهودي عقبة انسانية ، فأتت صهيونية هرتزل لترى في المواطن الاصلي الفلسطيني عقبة انسانية. وكان اللاسامي والصهيوني مصممين على التخلص من هذا العائق .

العنصر الثالث والاكثر اهمية في المخطط الصهيوني هو تعداد هرتزل لـ « الالتزامات » التي يتوجب على المستوطنين الصهيونيين القيام بها تجاه مواطني فلسطين العرب : ١ — « علينا ان نقوم بنزع الملكية الخاصة بلطف عن الاراضي المعينة لنا . ٢ — سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين العمل لهم في البلدان الانتقالية (بلدان الترانزيت) ، على أن نسد في وجوههم كل مجالات الاستخدام في بلادنا . ٣ — اذا انتقلنا الى منطقة تضم حيوانات متوحشة لم يعتد عليها اليهود — كالافاعي الكبيرة ... الخ — فسوف استعين بالاهلين ، قبل اعطائهم عملا في البلدان الانتقالية ، للقضاء على هذه الحيوانات . على ان تكون المكافآت عالية لمن يأتي بجلود الافاعي او بيوضها »(٧٣).

تبين « الالتزامات » التي ذكرناها الطريقة التي اقترحها هرتزل للتعامل مع العقبة الانسانية التي ستواجههاالدولة الصهيونية المستعمرة في فلسطين. ولقد اتبع مخطط هرتزل لسوء الحظ بدقة حرفية بعد أن بدأ الصهيونيون في استعمار فلسطين . ولقد كان الصهيونيون جد مخلصين لهذه المدركات الى درجة جعلت آحاد هاعام ، وهو فيلسوف روسي عبري ، يكتب في مطلع هذا القرن مؤنبا اليهود لسلوكهم تجاه عرب فلسطين ، معبرا عن أساه للتغير الذي طرأ على المستوطنين الصهيونيين منذ قدومهم الى فلسطين والذي « ولد في نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما هي الحال عندما يصبح العبد سيدا. وهم يعاملون العرب بعداء وشراسة، فيمتهنون حقوقهم بصورة غير معقولة ... ولا يفعل احد شيئا ضد هذا الميل الخطر الخسيس»(٧٤). لقد مارس المستوطنون الصهيونيون هذه السياسات التمييزية قبل وبعد عام ١٩٤٨ عندما اعلنت اسرائيل دولة . فحرم السكان الاصليون حقهم الانساني الخلقي الاساسي ، الا وهو حق العيش . ولقد رفض رجال الاعمال اليهود ببساطة استخدام العمال العرب ، وذلك ليحلوا مشكلة بطالة المستوطنين اليهود . « ففي تل ابيب ، حيث كان يقطن قرابة ٣٠٠٠٠ شخص عشية انشاء دولة اسرائيل ، لم يكن هناك عامل عربي واحد ، ولا قاطن عربي واحد »(٧٥).

ولقد تبنت دولة اسرائيل سياسة الافقار والتمييز ضد عرب فلسطين هذه على شكل قوانين أمن اضطهادية ومصادرة اراض وانكار للحقوق الانسانية والتمييز في الاستخدام . حتى لقد ذهب الناطقون الرسميون باسم اسرائيل حديثا الى حد القول بأن الشعب الفلسطيني لم يوجد على الاطلاق ، وهذا اعتراف بأن الاسرائيليين الصهيونيين يظنون أن العقبة الانسانية قد ازيلت اخيرا .

يتوجب على حركة المقاومة الفلسطينية ان تنظر الى اهدافها على هذه الخلفية . وعلى الرغم من أن الطوباوية حالة عقلية ، الا ان حلا انسانيا حقا ، اقل من طوباوي ، يجب أن يدعى اليه ، حلا يتضمن كل مبادىء العدل والاخلاقية التي قبلتها الشعوب المتحضرة على امتداد العالم . لقد دعت الثورة الفلسطينية الى اقامة فلسطين ديمقراطية تقدمية لا عرقية ولا طائفية يعيش فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون بلا تمييز . ويستطيع مواطنو اسرائيل الحاليون ان يصبحوا اذا ارادوا مواطنين في فلسطين المحررة في مجتمع مفتوح تصان فيه الحقوق والحريات الفردية . « ان الثورة الفلسطينية مصممة على القتال من اجل خلق فلسطين جديدة ديمقراطية لا طائفية كهدف نهائي بعيد الامد للتحرر . اما افناء اليهود او المنفيين الفلسطينيين واقامة دولة عرقية انعزالية في فلسطين سواء أكانت يهودية ام مسيحية ام مسلمة فأمر لا يمكن القبول به اطلاقا وليس عمليا ولا يستطيع ان يدوم »(٣٦).

ان المعاني الاخلاقية المتضمنة في هذا الموقف قوية والمنطق مفهوم . "لكن ايضاحها للهدف كهذا ليس كافيا ، كما بينا ، الا اذا برهنت حركة المقاومة بالعمل على اليقينية الخلقية لمناداتها بمجتمع مفتوح. اذ ان كثيرا من اليهود يشترك في المخاوف الحقيقية والتردد والشك بمستقبل ما بعد التحرير . ولا يمكن تخطي هذه النزعات الا بان يظهر الفدائيون رغبة مقنعة في بدء حوار مع العناصر اليهودية التي تعبأ بفلسطين وبشعب فلسطين والتي ستشارك في مصير المجتمع الجديد . وينبغي التأكيد هنا بما لا يقبل الشك ان الحقيقة الانسانية ستكون قادرة على تحقيق ذاتها دون ان تسلب بشواذ كاللاسامية والعرقية والاستغلال الطبقي والظلم العرقي . ويجب ان تضيء الحاجات الانسانية جدا — التعاون والسلام والعدالة — المجتمع المحرر حديثا ، وفي التحليل الاخير هكذا يبرأ العنف وهذا ما يجب ان تفعله حركة التحرير الفلسطينية .

---

١ — سنستخدم في هذا المقال تعابير حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية لتعني الشيء ذاته .

٢ — القمع الدائري تعبير يستخدم في هذا المجال لوصف علاقة التناسب الطردي بين حاجة السلطات الواعية للحفاظ على المستوى الادنى الضروري من الشرعية ، والاجراءات — غالبا القوة القمعية — الضرورية لضمان مستوى الشرعية الذي تم وعيه سابقا . فكلما كانت الحاجة الى الشرعية اكثر الحاحا ، كلما استخدمت القوة القمعية اكثر .

٣ — يشير التشديد على الاحتمال وليس التأكيد في هذه الحالة الى أن صحة الاجابات التي تقدم ، مهما كانت هذه الاجابات لا يمكن تبنيها الا في اطار ثورة ناجحة . ولنعترف أن فرضية نظرية قد تكون صحيحة بذاتها ولذاتها بغض النظر عن امكانية تطبيقها في وقت محدد على ظرف محدد . غير أن الكاتب يعتقد أن عملا ناجحا هو الشرط المسبق لنظرية صحيحة في تحقيق تحويل مجتمعي حقيقي في فلسطين، خاصة وأن التحويل المعني لا يمكن بعد الان تحقيقه بالاقناع — على الاقل اقناع اولئك الذين يحتلون مراتب هرم القوة .

٤ — "An intellectual Grab Bag". Kenneth W. Thompson in Abdul A. Said (ed.), Theory of International Relations, Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1968, p. 36.

٥ — Hans J. Morgenthau in Abdul A. Said (ed.), Theory of International Relations, Ibid, p. 176.

٦ — Abbie Hoffman, Revolution for the Hell of It, New York, The Dial Press, 1968.

يعتقد هوفمان ، في مجال ثوري مختلف تماما ، أن « العمل هو الحقيقة الوحيدة ، وليس الحقيقة فحسب بل الاخلاقية كذلك . فالمرء يتعلم أن الحقيقة هي تجربة ذاتية » ص ٩ .

٧ — Jerry Rubin, Do It ! (New York: Simon and Schuster, 1970).

حلم جري روبن الرؤيوي أنه يوما ما « لن تكون سجون ولا محاكم ولا شرطة ... وسيصبح العالم عامية (كومونة) واحدة كبيرة ، الطعام والسكن فيها مجانيان وكل شيء مشترك » .

٨ — Raymond Aron, Peace and War: A Theory of International Relations (New York: Praeger, 1967), p. 1.

٩ — كتاب كتبه الفيلسوف الانجليزي توماس هوبز في ١٦٧٩ بعنوان "Leviathan" قاصدا بها

الدولة، واللفياثان وحش اسطوري ضخم ، وأصبح هذا التعبير يستخدم في الانجليزية للدلالة على الدولة الكلية القوة او الدكتاتورية .

١٠ — Kenneth W. Thompson, "Toward a Theory of International Politics," American Political Science Review, XLIX, 3 (Sept. 1955) pp. 735-36.

١١ — المصدر ذاته ص ٧٣٦ .

١٢ — Hannah Arendt, "On Violence," Journal of International Affairs, XXIII, No. 1 (1969) pp. 2-3.

١٣ — « لذا فان نظرية في الثورة او في الحرب لا يمكن الا أن تتعامل بتبرير العنف ، لان هذا التبرير يشكل قصورها السياسي . واذا ما وصلت نظرية كهذه بدلا من ذلك الى تمجيد او تبرير العنف بما هو ، فانها لا تعود سياسية بل ضد — سياسية » .

Hannah Arendt, On Revolution (New York: The Viking Press, 1965), p. 10.

١٤ — سول النسكي : « في حقل العمل ، عليك أن تقوم بالتفكير وانت تجري ، فليس لديك الوقت لتفكر فيما اذا كان ما تفعله معقولا حقا».

Marion K. Sanders (ed.), The Professional Radical: Conversation with Saul Alinsky (New York: Harper and Row, Publishers, 1970), p. 34.

١٥ — Barington Moore Jr., Political Power and Social Theory (New York: Harper Torchbooks, 1965), p. 204.

١٦ — المصدر ذاته ص ٢٠٥

١٧ — المصدر ذاته ص ٢٠٦

١٨ — Quoted in Tariq Ali (ed.), The New Revolutionaries: A Handbook of the International Radical Left (New York: William Morrow and Company, Inc. 1969) p. 302.

١٩ — تؤكد حنه اريندت ان معظم المنظرين السياسيين يتفقون على أن « العنف ليس الا اكثر تجليات السلطة انكشافا » .

Journal of International Affairs, op. cit., p. 12.

٢٠ — C. Wright Mills, The Power Elite (New York, Oxford University Press, 1959), p. 171.

٢١ — Hans J. Morgenthau, Politics Among Nations, 4th edition (New York: Knopf, 1970), p. 25.

٢٢ — Journal of International Affairs, op. cit., p. 18.

٢٣ — المصدر ذاته ص ٣٣ .

٢٤ — من بين ما كتبه فرانز فانون الكتب التالية :

١) معذبو الارض ، ترجمة سامي الدروبي وجمال الاتاسي ، دار الطليعة .

The Wretched of the Earth (New York: Grove Press, Inc. 1963).

وقد كتب جان بول سارتر مقدمة له .

٢) Black Skins, White Masks (New York: Grove Press, Inc. 1967).

٣) Toward the African Revolution (New York: Grove Press, Inc. 1969).

ومن بين ما كتب آرثر واسكو

Arthur Waskow, From Race Riot to Sit-In (Garden City, New Jersey: Doubleday and Company,Inc. Anchor, 1967).

٢٥ — « ان من الصعب أن ننكر أن أحد الاسباب التي جعلت الحروب تتحول بهذه السهولة الى ثورات والتي جعلت الثورات تبدي هذا الميل المشؤوم الى شن الحروب هو كون العنف القاسم المشترك للحروب والثورات » .

Hannah Arendt, On Revolution, op. cit., p. 9.

٢٦ — كتبت البروفسورة اريندت تقول أن أعضاء المقاومة « قد زارهم شبح الحرية للمرة الاولى في حياتهم ، ليس بالتأكيد لانهم كانوا يعملون ضد الطغيان وما هو أسوأ ، .. بل لانهم اصبحوا « متحدين » ... وبدأوا في خلق ذلك الفراغ العام بين انفسهم حيث يمكن للحرية أن تظهر ».

Between Past and Future: Eight Exercises in Political Thought. (New York: The Viking Press, 1968), p. 4.

٢٧ — Barrington Moore, Jr. op. cit., p. 206.

٢٨ — المصدر ذاته .

٢٩ — المصدر ذاته ص ٢٠٧ .

٣٠ — المصدر ذاته .

٣١ — المصدر ذاته ص ٢٠٩ .

٣٢ — المصدر ذاته .

٣٣ — The Wretched of the Earth, op. cit., p. 17.

٣٤ — المصدر ذاته .

٣٥ — المصدر ذاته ص ١٥ .

٣٦ — المصدر ذاته . « يكتشف المواطن الاصلي ... من خلال قوة السلاح براءته المفقودة ويتوصل الى معرفة نفسه بأن يخلق هو نفسه».

٣٧ — المصدر ذاته ص ٢٠ .
٣٨ — المصدر ذاته ص ٢٥ .
٣٩ — المصدر ذاته ص ٧٣ .
٤٠ — هشام شرابي ، المقاومة الفلسطينية في وجه اميركا واسرائيل (دار النهار للنشر ١٩٧٠، ص ٢١٥ .
Hisham Sharabi, Palestine and Israel: The Lethal Dilemma (New York: Pegasus, 1969), p. 198.
يوضح الدكتور شرابي الامر باحكام بارع جدا فيقول : « فالمقاومة الفلسطينية باعلانها الكفاح المسلح طريقا وحيدا لبلوغ « سلم عادل » ؛ استشرفت استراتيجية انهاك تقوم على حرب طويلة . وبذلك ارست تقديراتها على القول بأن القوة هي اساس الاستراتيجية الصهيونية . واذن فالشرط الذي لا بد منه لاحداث أي حل انما يكون بتعقيم القوة كوسيلة يعتمدها السلام الصهيوني . وهذا لا يمكن تحقيقه بالاقتناع بل بالقوة » (ص ٢٢٣) .
٤١ — ليس دعم سوريا العلني للثورة الفلسطينية مطابقا لحرية حركة الثوريين الفلسطينيين بالضرورة . فالثوريون يشكلون فعلا خطرا على الانظمة العربية القائمة كما على اسرائيل . اذ أن حرية الحركة التي يسعى اليها الفلسطينيون تضمن في النهاية مشاركة في سيادة الاقطار المعنية ، وهذا من شأنه أن يقود الى العنف ، كما حدث اخيرا في الاردن .
٤٢ — شرابي ، المصدر السابق ص ٢١٥ .
٤٣ — من حديث لناطق رسمي من فتح لمراسل « نيويورك تايمس » (٣ كانون الثاني ١٩٦٨ ، ص ٦) .
٤٤ — شرابي ، المصدر السابق ص ٢١٦ .
٤٥ — Arthur I. Waskow, From Race Riot to Sit-In, op. cit.
٤٦ — المصدر ذاته ص ٢٢٦ .
٤٧ — من الممكن أن نؤرخ لبداية سياسة النظام ، كما يراها الغرب ، في فلسطين ، بالعام ١٩١٧ عندما كتب بلفور وزير خارجية بريطانية في رسالة الى البارون روتشيلد عرفت فيما بعد باسم وعد بلفور ، يخبره أن الحكومة البريطانية تحبذ « انشاء وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ... » غير ان رسالة بلفور لم تكن كالانتداب معاهدة دولية ، على الرغم من أنها استخدمت كذلك . لمراجعة مسح ممتاز للتطور التاريخي للمسألة الفلسطينية انظر :
Don Perez, A Palestine Entity ? (Washington, D.C. : The Middle East Institute, 1970), pp. 1-55.
٤٨ — كان مرسوم الحقوق المدنية للعام ١٩٦٤ أول تشريع للحقوق المدنية على المستوى القومي . وقد أقر مجلس النواب (الكونجرس) في العام ١٩٦٥ مرسوم حقوق التصويت . وأقر الاسكان المفتوح عام ١٩٦٨ . وعلى الرغم من أن الغاء التمييز في المدارس فورا قد أقر في العام ١٩٥٤ ، فان المحكمة العليا لم تأمر به حتى العام ١٩٦٩ . ولا يزال بند (تنفيذ الالغاء) « بكل سرعة وتصميم » مفتقرا الى التطبيق الكامل .
٤٩ — كثيرا ما يسمع المرء الحجة القائلة أن الفلسطينيين العرب قد تلقوا شروطا مجحفة في معظم المؤتمرات الدولية لانهم رفضوا أن يمدوا يد العون لمعظم هيئات التحقيق الدولية التي زارت فلسطين . ولكن وعلى فرض صحة هذه الحجة ، فان عدم تعاون الفلسطينيين لا يبرر اطلاقا الظلم الذي اوقع بهم — وهذا تبرير آخر لاستخدام العنف .
٥٠ — كتب واسكو يقول « في سياسة العنف ، يوجه الناس اهتمامهم الى ناحيتين : نحو التغييرات التي يجب ان تحقق ، ونحو الاقوياء الذين يقفون في طريق التغيير — أي العدو . أما في سياسة الفوضى فان الناس يركزون اهتمامهم على التغييرات التي يجب ان تحقق». واسكو ، المصدر السابق ص ٢٧٨ . لقد قرنت حركة المقاومة الفلسطينية في هذا المجال سياسة العنف بسياسة الفوضى ، منتجة بذلك سياسة الفوضى العنفية .
٥١ — لمراجعة تركيب منظمة التحرير الفلسطينية ولجنتها التنفيذية وقيادة الكفاح المسلح بالتفصيل أنظر
Hisham Sharabi, Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness (Supplementary Papers of the Center for Strategic and International Studies, Georgetown University, Washington, D. C., 1970), Appendix I, p. 45.
٥٢ — حوار بين فتح والطليعة : حديث بين ابو أياد أحد قادة فتح ولطفي الخولي رئيس تحرير الطليعة القاهرية . الطليعة العدد السادس السنة الخامسة ١٩٦٩ . ص ٥١ — ٨٧ .

٥٣ ــ المصدر ذاته ص ٦٣ .

٥٤ ــ المصدر ذاته ص ٦٤ .

٥٥ ــ المصدر ذاته ص ٦٤ «وقيمة المبادرة بالعمل في ١١ حزيران (يونيو) هو تخطي كل مواقف اليأس والذهـول . وترجمـة ارادة الشعب العربي عامة والفلسطيني خاصـة فـي عـدم الاستسلام والاستمرار في محاربة العدو دون انقطاع » . ص ٦٤ .

٥٦ ــ « اضطررنا ان نبدأ المقاومة فـي ذلك التاريخ ... لعدة اعتبارات هامة . اولا لانه ليس من السليم سياسيا وعسكريا ونفسيا أن تجمد التنظيمـات والمقاتلون عن العمل بعـد الدرجة التي كنا قد وصلنا اليها من التدريب والتنظيم وحشد السلاح . وثانيا لان التجميد دون الحركة كان يجعلنا عرضة اكثر للمخاطر. وثالثا لان العدو كان قد بدأ يشعر ويتشمم ببعض قواعدنا السرية » . المصدر ذاته ص ٦٥ .

٥٧ ــ ان هذا التفكير العسكري الجديد « يعني احتلال موقع يسيطر عليه العدو ، وذلك لمدة محدودة من الزمن نطهره خلالها من كل قوات العدو وامكانياته فيه ... وهذه المرحلة بدورها تمهيد للمرحلة التي تليها ... واعني بها مرحلة احتلال المواقع وتطهيرها والاقامة فيها » المصدر ذاته ص ٥٨ .

٥٨ ــ الجبهة الشعبية والعمليات الخارجية . كتاب « الهدف » ، لا تاريخ ، ص ٧ .

٥٩ ــ المصدر ذاته ، ص ٨ . هذا الموقف يشكل جوهر ايديولوجية الجبهة الشعبية الماركسية ــ اللينينية .

٦٠ ــ المصدر ذاته ص ١٣ .

٦١ ــ The Palestine Resistance Movement. An extract from a report by Gerard Chaliand, Published by Le Monde Diplomatique, March 1969, pp. 13-14.

٦٢ ــ ان محاولات فتح الاخيرة للدخول في نقاش نظري لمجتمع ما بعد التحرير ناجمة عن سببين : الضغط الذي احدثته انتقادات جماعات المقاومة والجماعات الاخرى التي تقول ان فتح ذات توجه عسكري وانها تفتقر الى برنامج سياسي للمجتمـع الذي تسعى الى خلقـه . وثانيـا الضغط من داخل فتح لتطوير مفهوم المجتمـع الديمقراطي المتعدد القوميات الذي سينشأ في فلسطين عند التحرير . غير ان هذه المحاولات كانت في معظمها سطحية الى حد بعيد .

٦٣ ــ يربط الدكتور هشام شرابي بوضوح نجاح الجبهة الشعبيـة بين الجماهـير العربيـة بايديولوجيتها الماركسية اللينينية . ويؤكد شرابي ان هذا النجاح « ذو أهمية خاصة لان الاحزاب الشيوعية العربية فشلت حتـى الان في شق طريقها بين الطبقات البروليتارية والفلاحية وظلت جماعات فئوية صغيرة يسيطر عليها مثقفـون بورجوازيون صغار عديمو الفعالية » .
H. Sharabi, Palestine Guerrillas: Their Credibility and Effectiveness.

٦٤ ــ فتح ، كيف تتفجر الثورة الشعبية المسلحة من دراسات وتجارب ثورية ص ١٠٥ .

٦٥ ــ فتح ، من منطلقات العمل الفدائي ، طبعة جديدة آب ١٩٦٧ ، ص ٦٤ ــ ٦٥ .

٦٦ ــ المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

٦٧ ــ الجبهة الشعبيـة ، المقاتل الثـوري ، حزيران ١٩٦٩ . ص ٤ ــ ٨ .

٦٨ ــ Kenneth W. Thompson in Abdul A. Said (ed.), Theory of International Relations, op. cit., p. 35.

٦٩ ــ المصدر ذاته .

٧٠ ــ Samuel Halperin, The Political World of American Zionism (Detroit, Michigan: Wayne State University Press, 1961), p. 6.

٧١ ــ Theodor Herzl, The Jewish State (London 1946) p. 30.

٧٢ ــ Theodor Herzl, Foundation, The Complete Diaries of Theodor Herzl, Vol. I (New York: Thomas Yoseloff, 1960 p. 196).

٧٣ ــ المصدر ذاته ، المجلد الاول ص ٨٨ .

٧٤ ــ Free Palestine (Washington D. C.) Vol. 11. No. 1 (May 1970), p. 6.

٧٥ ــ Tony Cliff, "The Struggle in the Middle East" in Tariq Ali, The New Revolutionaries, op. cit., pp. 220-221.

٧٦ ــ Free Palestine, op. cit., Vol. II, No. 2 (June 1970) p. 6.

العقيدة الصهيونية في ظل السلام

الدكتور اسعد رزوق

تطرح هذه التوقعات والتنبؤات في مستهلهـــا سؤالا يتناول ما يلي : ما هي الآثار أو انتائج التي قد تنجم على صعيد العقيدة الصهيونية من جراء احلال السلام الدائم بين العرب واسرائيل وعقد الصلح بين الطرفين ؟ وما هي بالتالي انعكاسات ذلك كله على مستوى التفكير العقائدي والاتجاهـــات الحضارية والفكرية السائدة في العالم العربي اليوم ؟ ولا بد من توضيح جملة أمور قبل الانتقال الى معالجة الموضوع من الزاوية التي يطرحها هذا السؤال ، ودفعا لكل التباس أو فهم خاطىء قد يتبادر الى الذهن فيشوش عليه . لذا نجد لزاما علينا ايراد التوضيحات المعنية من خلال الملاحظات المبدئية التالية : **أولا** : ان المقصود بالصيغة المطروحة أعلاه ليس الجواب عما اذا كان السلام ممكنا أو قابلا للتحقيق بين الطرفين المتنازعين ، أو بين الاطراف المتنازعة . **ثانيا** : ان السؤال الماثل أمامنا ينطلق من فرضية اساسية على صعيد النظر والتجريد ، لكي ينقلها من مجال الامكان الى حيز التطبيق والوجود . اي ان احلال السلام واقامة الصلح بصورة دائمة ليست مطروحة على بساط البحث بقدر ما هي على سبيل الافتراض وامكان الحدوث . فالتركيز ينصب على الآثار والنتائج المترتبة عـــن حالة السلام والصلح فيما لو أمكن الوصول اليها ونجحت المساعي الرامية الى تحقيقها . **ثالثا** : هناك صيغ ونماذج متعددة لحالات الصلح والسلام بين أطراف النـــزاع ، وهي صيغ لهـــا مستلزماتها القانونية والحقوقية مثلما انها تنطوي على شتى التنويعات والدلالات ، بحيث قد تستتبع عن كل منها نتائج متغايرة وآثار متمايزة فيما بينها . فالى جانب الاجتهادات والتخريجات التي يبرع فيها أرباب القانون الدولي العام توجد انماط واحتمالات مختلفة يتداولها المعنيون بدراسة حقل مستجد من حقول النظر العلمي الذي تطلق عليه تسمية « بحوث السلام » (Friedensforschung . Peace Research) . حتى باتت « نظرية السلام » متعددة الجوانب والاتجاهات ، وتكاثرت الانماط والنماذج التـــي تخطط لاستراتيجية السلام وترسم صورة لعالم يسوده السلام بعيدا عن الايديولوجية وسياسة القوة . **رابعا** : ازاء تعدد الصيغ الممكنة لاحلال السلام وتشعب الملابسات والدلالات القانونية التي تلازم كل صيغة من تلك الصيغ لا يسعنـــا الا التنويه بوجود شتى الاحتمـــالات دون الدخول في تفاصيلها او التصدي لدقائقها القانونية . لذا نكتفي بالاشارة الى هذه الناحية الهامة ، تاركين مسألة التوقف عندها وايفائها حقها من البحث والتحليل الى أهـــل الاختصاص وأرباب الاجتهاد القانوني . وبناء عليه سوف تتم الاجابة على السؤال الوارد في مطلع هذا البحث انطلاقـــا من حالة السلام « البسيطة » أو المفترضة على اساس الاعتراف

المتبادل واقامـــة العلاقات الطبيعية بين الطرفـــين المتنازعين ، دون تخصيص الصيغ القانونية او الالتفات الى سائر التنويعات والاحتمالات الممكنة في هذا المجال الواسع .
فالسلام الذي يفترضه السؤال هو ســـلام يقوم على انهاء حـــالة الحرب بين العرب واسرائيل وعلى عقد معاهدة صلح دائم بين الطرفين وانشاء علاقات متبادلة على مختلف المستويات بحيث تأخذ الامور سيرها الطبيعي كما هي الحـــال بين الدول المتجاورة في نطاق وجود اقليمي متصل الحلقات يؤمـــن حرية الحركة والتنقل ويفسح المجـــال أمام التعاون والتفاعل والاحتكاك المباشر ، دون فرض القيود الاستثنائية أو اتخاذ الاجراءات التي من شأنها ايجاد حالة الحرب واحداث المقاطعة الاقتصادية أو ارجاعها الى سابق عهدها . **خامسا** : تبقى مسألة على جانب كبير من الاهمية وان كانت وثيقة الصلة بما سبقها من اشارات الى الصيغة التي سوف يتخذها الصلح بين الطرفين : هل ينعقد الصلح العتيد بين طرفين متكافئين ؟ وهل سينبع السلام المنشود من عودة الى جذور النزاع واساس المشكلة ؟ ان احلال السلام لا يتم الا بازالة أسباب النزاع واستئصال شأفة العوامل التي أوجدت حالة الحرب . وكل صلح أو سلام يتم بمعزل عن الطرف الاصيل والمعني في القضية المتنازع عليها أو حولها سوف يزيد من حدة النزاع ويعمق جذوره ، لأنه يتجاهل أصحاب الحق المشروع ويتحاشى الاعتراف بكيانهم وبلوغهم سن الرشد على مستوى الوعي القومي ، مثلما انه يفشل في الاعتراف بحقهم في تقرير المصير وفي معاملتهم معاملة الند للند . فالصلح الذي تنشده اسرائيل ينطلق من موقعها الحالي ومركز قوتها الراهن ، ولا يرغب في الرجوع الى جذور المشكلة ، اي انه يفترض وجود الدولة الصهيونية في وضعها الحاضر ، ومعنى ذلك انه لا يطرح مسألة الغزو الصهيوني لفلسطين ضمن اطارها التاريخي والحقوقي الصحيح . لذا فان النتيجة الحاصلة مسبقا هي ترسيخ الاستعمار الصهيوني وتوطيد دعائمه .
نعود الى السؤال الاصلي من جديد لنطرحه على الشكل الآتي : لو افترضنا انه سوف يتم عقد صلح بين العرب واسرائيل ، فما هي الآثار والنتائج التي تنجم عن هذا الصلح بالنسبة للعقيدة الصهيونية وما هي الانعكاسات المحتملـــة او المتوقعة على الصعيد العربي في المجال العقائدي . هل يعني الصلح ان العقيدة الصهيونية على استعداد تام لدفع الثمن الذي يترتب على انتصارها وتسليم الطرف العربي بوجودها وبالحقوق التي تدعيها لنفسها . وبكلام آخر ، هل يكـــون الصلح بمثابة الخاتمـــة لانتصار العقيدة الصهيونية في تحقيق مآربها وغاياتها من خلال انتزاع الاعتـــراف العربي بالكيان الذي اوجدته ؟ أم ان الانتصار لن يعقبه انحسار عقائدي ، بل سوف يكون من شأنه تمهيد السبيل أمام المزيد من الانتصارات ومضاعفـــة المطالب والادعاءات ، لا بل تصعيد المد الصهيوني وتأمين المنطلقات الجديدة له مـــن خلال التطلع الى اهداف أبعد والسعي لتحقيق انجازات أخرى تضمر التوسع الاقليمي على حساب الكيانات العربية المجاورة وتتوسل الطرق السلمية لتوطيد الدعائم وترسيخ المكاسب تحت ظل السلام الملائم ؟

الصهيونية المنتصرة

مما لا ريب فيه ان الاثر المباشر والبديهي لعقد الصلح بين العرب واسرائيل يضفي على العقيدة الصهيونية حلقة جديدة في سلسلة انتصاراتها التي دشنها ثيودور هرتزل منذ سبعة عقود ونيف من الزمن . فقد بادر هرتزل في المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨) الى رفع شعار « الاستيلاء على الجماعات اليهودية » في محاولة ترمي الى استقطاب ولاء اليهود لصالح الحركة الصهيونية وكسب تأييدهم للفكرة والدعوة التي تقوم عليها تلك الحركة . واستطاعت الحركة خلال عشرين عامـــا من تأسيسها تحقيـــق بعض الانتصارات المحدودة في هذا المجال ، فأوجدت لنفسها ركائز ثابتة بين جماهير اليهود في بلدان أوروبا الشرقية . ثم جاء صدور وعد بلفور بمثابة تتويج للسياسة التي أرسى دعائمهـــا مؤسس الصهيونية ، فرأت فيـــه الحركة « براءة » تؤكد حقهـــا في الهجرة

والاستيطان ، واعتبرته « مظلة واقية » للوجود الاستعماري اليهودي بفلسطين بحيث أصبح هذا الوجود في نظرها ، وتحت رعاية الاحتلال والانتداب البريطاني وبتشجيع تام منه ، حقا وليس منّة .

وخلال ثلاثين عاما من الاحتلال البريطاني لفلسطين كانت العقيدة الصهيونية هي المحرك الفعال لسياسة تأسيس الوطن القومي اليهودي ، فجاء قيام اسرائيل بعد انقضاء قرابة نصف قرن على انشاء الحركة الصهيونية بمثابة الانتصار الجديد للعقيدة التي جعلت من صلب أهدافها الاستيلاء على فلسطين واقامة الدولة اليهودية فوق أرضها وضمن حدود جرى رسمها تارة وفقا لاعتبارات تاريخية معينة أو نوازع دينية متطرفة، وطورا بالنسبة الى الحاجات الجغرافية والسياسية والاقتصادية بحيث تستطيع استيعاب القسم الاكبر من يهود العالم .

ان قيام دولة اسرائيل فوق رقعة من الارض الفلسطينية تتجاوز في مساحتها تلك الرقعة التي اوصى بها قرار التقسيم الصادر في الجمعية العامـــة للامم المتحدة يمثل انتصارا للعقيدة الصهيونية بحيث يزكيه نجاح الأجهزة العاملة في الحركة في تهجير المزيد من يهود العالم الى فلسطين المحتلة واحلالهم مكان السكان العرب الذين أرغموا على النزوح عن ديارهم والفرار من وجه الارهـــاب الصهيوني . لكن المؤتمنين على مقدّرات العقيدة الصهيونية سارعوا غداة اعلان قيام دولتهم على التوكيد بأن الانتصار المذكـــور ليس سوى مرحلة في طريق تحقيق الهدف النهائي لكل من العقيدة والحركة . فالحرب التي شنها المستوطن اليهودي ضد العرب واتخذت لدى دخول الجيوش النظامية العربية طابع النزاع العربي ـــ الاسرائيلي اصبحت توصف في القاموس الصهيوني بـــ « حرب الاستقلال » و« حرب التحرير » . والأجزاء التي وقعت تحت الاحتلال الصهيوني صارت تعرف بـــ « الاجزاء المحررة » ، تقابلها تلك « الاجزاء غـــير المحررة » في قطاع غزة والضفة الغربية للاردن والمناطق المجردة من السلاح على جانبي خط الهدنة الفاصل بين سوريا واسرائيل . ثم تكررت عملية « التحرير » على صعيد الممارسة ابان العدوان الثلاثي على شبه جزيرة سيناء وقناة السويس عام ١٩٥٦، فجاءت تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ومواقفهم لتؤكد على انتقال العقيدة الصهيونية الى المرحلـــة التالية من مراحل تحقيق ذاتها ووضع منطقها الاساسي موضع التنفيذ . وفي حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل توسيع حدودها وضم مساحات شاسعة من الاراضي الفلسطينية واراضي الدول العربية المجاورة، لكي تعاود الحديث الصهيوني عن «المناطق المحررة » وتستعيد الى ذاكرتها صورة « أرض اسرائيل » في حدودها التاريخية .

فالعقيدة الصهيونية لعبت دورا اساسيا في تحقيق الانتصار المتمثل بقيام اسرائيل بعد خمسين عاما من اطلاق الحركة المنفذة لتعاليمها ، كما انها أسهمت في تحقيق الانتصار الذي تجسد غداة عدوان الخامس من حزيران ، لكي تصبح اسرائيل الصغرى (١٩٤٨) بعد مضي عشرين عاما على قيامهـــا دولة « اسرائيل الكبرى » . هذه السلسلة من الانتصارات ، مهما يكن طابعها وبغض النظر عـــن أبعادها في المستقبل واحتمـــالات مصيرها ، تؤلف في مجموعها وسياقها ذخيرة اثباتية لقوة العقيدة الصهيونية وفاعليتها في المجالين الاساسيين : مجال اسرائيل وأوساط يهـــود العالم . فقد أثبتت العقيدة الصهيونية انها قادرة علـــى استقطاب المزيد من يهود العالم ، سواء كان ذلك لصالح تدعيم اسرائيل ومدها بالمساعدات والمعونات والتأييد ام لصالح حمل الكثيرين من اليهود على الهجرة الى اسرائيل والاستيطان فيها بصورة دائمة . ومما لا سبيل الى نكرانه ان الدعوة الصهيونية لعبت دورا حاسما وفعالا ، الى جانب عوامل أخرى تمكنت الحركة من تطويعها واستغلالها لمصلحتها ، في تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . كما لا يخفى علينا بأن الهجرة بالنسبة لاسرائيل تؤلف وظيفة اساسية من وظائف الامن وامتلاك القدرة الكافية للحفاظ على المكاسب والمغانم .

استمرار الفاعلية

ان استمرار العقيدة الصهيونية بعد تحقيق الهدف الذي اعلنته قبل قيام اسرائيل بنصف قرن من الزمن يؤلف دليلا قاطعا على ان تلك العقيدة ليست منوطة بذلك الهدف وحده ، بل هي تعتبره مجرد مرحلة جزئية تثب منها الى مراحل اخرى . فقد مارست الحركة نشاطاتها طيلة خمسين عاما في ظل البرنامج الذي اعلنه مؤتمر بازل الصهيوني الاول ١٨٩٧ بأن « هدف الصهيونية هو خلق وطــن للشعب اليهودي في فلسطين (« أرض اسرائيل ») يضمنه القانون العام » . لكنها عادت بعــد مضي ثلاث سنوات على قيام دولتها فوضعت « برنامج القدس » (١٩٥١) الذي أكدت فيه « ان مهمة الصهيونية هي توطيد دعائم دولة اسرائيل وتجميع المنفيين في أرض اسرائيــل وتعزيز وحدة الشعب اليهودي » .

وغداة حرب حزيران كان الجنرال اسحق رابين يخطب في الحفل الذي أقيم بمناسبة مرور سبعين عاما على تأسيس المنظمة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول قائلا ما يلي : « ان موقعنا اليوم يختلف عما كان عليه قبل سبعين عاما . فقد تأسست آنذاك حركة يهودية صهيونية تهدف الى اقامة دولة يهودية في أرض اسرائيل . أما اليوم فهناك دولة يهودية عظمى تبحث عن المزيد من سكانها، عن أولئك الذين سوف يأتون للاستيطان والعيش فيها . هذا هو محك الحركة الصهيونية اليوم ، لأنه الطريق المؤدي الى تقوية دولة اسرائيل وتوطيــد دعائمها . وعندما يصبح لدينـــا ٤ أو ٥ ملايين من اليهود في اسرائيل ، فلن يستطيع شيء ما الحاق الاذى بها أو زعزعة أركان وجودها .... ان المهمة المحورية التي تقبع أمام الحركة الصهيونية هي البحث عــن سبل جديدة لزيادة الهجرة »(١) .

لقد انقضى ما يزيد على عشرين عاما بعد قيام اسرائيل ولا تزال مسألة تشجيع الهجرة اليهودية من مختلف انحاء العالم احدى المهمـــات الرئيسية التي تضطلع بهـــا الحركة الصهيونية . فالهجرة ليست في نهاية المطاف وظيفة من وظائف الامن فحسب ، بل ان تهجير اليهود الى اسرائيل يعتبر أسمى اشكال الصهيونية وارفعها شأنا .

وحين انعقد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون (١٩٦٨) تم الاتفاق على اعادة صياغة الأهداف الصهيونية في برنامج جديد يتضمن المرتكزات الاساسية التالية : وحدة الشعب اليهودي ومركزية اسرائيل وسط الحياة اليهودية . جمع شمــل الشعب اليهودي في موطنه التاريخي (« أرض اسرائيل ») عن طريق الهجرة من جميع البلدان . تقوية دولة اسرائيل التي تقوم على أساس الرؤيا النبوئية للعدالة والسلام . الحفاظ على هوية الشعب اليهودي عن طريق رعاية التربية اليهودية والعبرانية وتنمية القيم الروحيــة والحضارية اليهودية . حماية الحقوق اليهودية في كل مكان(٢) .

ان هذا البرنامج الصهيوني الذي تبنته الحركة لن يتأثر في عناصره الاساسية من جراء عقد الصلح بين العرب واسرائيل . اي انه لن يشهد تراجعـــا أو انحسارا فيما لو تم احلال السلام بين الاطراف المتنازعة . فهو من صلب العقيدة الصهيونية ، اذ ينص على الاهداف العريضة التي تسعى هذه العقيدة الى ممارستها ووضعها موضع التنفيذ .

ومن السخف أن نتوقع مبادرة الصهيونية الى التخلي عن منطقها الداخلي وتمييع الروابط التي تشدها الى اسرائيل ، لا بل ابطال ذاتها وسلب مضمونها الجوهري ، متى تم عقد الصلح العتيد .

لذا تتراءى لنا احدى النتائج المترتبة عن حالة السلام بالنسبة للعقيدة الصهيونية على النحو الآتي : سوف تشكل حالة السلام تذليلا لكثــير من العقبات التي كانت تعترض سبيل البرنامج الصهيوني ، وسوف تجد العقيدة الصهيونية نفسها في ذروة الانتصار ، وعلى عتبة مرحلة جديدة من تحقيق الذات واستمرار الممارسة والفعالية .

ان المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين اعاد في قراراته تعريف برنامج القدس بحيث

بصبح هدف الصهيونية « تجميع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي »، مع التشديد على مركزية اسرائيل في الحياة اليهودية » . واذا كانت اللجنة السياسية للحركة قد اقترحت اضافة عبارة « أرض اسرائيل » بعد عبارة « وطنه التاريخي » ، فان اسقاط هذا الاقتراح لا يعني تراجعا عن المعادلة التقليدية ، بل يعود الى الرأي القائل بانه ليس من المستحسن « التسبب في احراج السياسة الخارجية الاسرائيلية » ، لئلا تنطوي تلك العبارة على دلالة معينة بالنسبة الى قضية الحدود .

لكن ما احجم عنه المؤتمر الصهيوني لأسباب تكتيكية ، سبق له أن كان لسان حال الاوساط الاسرائيلية في مطلع العام نفسه . فقد كتبت مجلة «ذي اسرائيل ايكونوميست» تحت عنوان « حدود السلام » ما يلي : « ثمة نزعة للبحث عن حدود طبيعية . ومن الواضح ان هذا الامر مرغوب فيه ، لكن الوصول اليه عادة وبصورة كلية لا يتسنى الا للدول الجزيرية (القائمة بذاتها مثل الجزيرة) . فمن وجهة النظر هذه تبدو قناة السويس ، على قصرها وامتدادها المستقيم بمعالمه الواضحة ، افضل حد مع مصر . بينما يصبح وادي الاردن وغوره السحيق الذي يفصل شرقي الاردن عن فلسطين وكأنه خلق ليشكل الحد الطبيعي بين بلدين . وعليه فان نهر الليطاني هو الحد الأمثل والطبيعي مع لبنان ، كما ان نهر الاردن هو ذلك الحد مع سوريا » . ثم يستدرك كاتب المقالة ليؤكد وجود مقاييس أخرى لتعيين الحدود المنشودة . فيقول : « بيد ان ذلك يؤلف مقياسا واحدا من مقاييس الحدود . فالتاريخ والديموغرافيا والاقتصاد والامن لا تقل اهمية عما تقدم في كثير من الاحيان »(٣).

فالملاحظ ان هذه الاعتبارات الاخرى يجري وضعها ايضا في خدمة الاهداف الصهيونية بحيث تغدو اداة طيعة بتصرف « حدود السلام » . وليس هناك ما يدل على ان الصلح سوف يحمل العقيدة الصهيونية على التخلي كليا ونهائيا عن مضمونها « الار يدنتي » وعن نظرتها الى « ارض اسرائيل في حدودها التاريخية » . فالتراجع عن بعض المناطق المحتلة سوف يضع هذه المناطق في عداد الاجزاء السليبة أو المسلوخة عن أرض الوطن القومي اليهودي ، مما يؤهل العقيدة الصهيونية للالتزام بمسألة « تحريرها » في المستقبل وضمها الى « الوطن الأم » .

ومن المستبعد أن تعمد الصهيونية الى التغلب على ذاتها وابطال منطقها الاساسي بهذه السهولة ولقاء السلام المتبادل . ان ما يقوله الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان بأن « المعنى الاوحد والصحيح للصهيونية يقبع في الحقيقة التي مؤداها أننا استوطنا في يافا. وكل ما عدا ذلك فلا يعدو كونه شروحات وتفسيرات »(٤). هذا القول ربما كان يصدق على فئة قليلة من الذين يتطلعون الى الخلاص من الماضي الصهيوني وتجاوز العقيدة الصهيونية . فالمحاولات الرامية الى تخطي المنطق الصهيوني تبقى حتما اسيرة هذا المنطق بالذات من حيث تدري أو لا تدري . وليس هناك ما يمثل على قصور هذه التوقعات او التمنيات الفردية بصورة افضل من تلك الصورة التي تطالعنا لدى أوري أفنيري .

« اسرائيل بلا صهيونية » ؟

ان احدى النتائج المترتبة عن عقد صلح مع اسرائيل، حتى ولو أبدت اسرائيل استعدادها للتخلي عن القسم الاكبر من الاراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، سوف تكون الابقاء على العقيدة الصهيونية في موقع القوة والسيطرة. والحديث عن «اسرائيل بلا صهيونية» لا يعدو كونه شعارا ترفعه اصوات مفردة تفتقر الى القاعدة الواسعة داخل الحركة الصهيونية . ان اسرائيل لا تستطيع نكران ذاتها وتجاوز طبيعتها الراسخة والمتأصلة : فكيف يتوقع لها اصحاب الشعار المذكور أن ترتد على نفسها وتتنكر للعقيدة التي كانت من صلب مقومات وجودها ؟

يتمنى أفنيري على الصهيونية أن يكون نجاحها بالذات سبيلا لتحولها الى عقيدة مماثلة

وبالية . اي انها في تحقيق أهدافها تكون قد تجاوزت نفسها وأبطلت ذاتها . لكنه سرعان ما يبادر الى قطع الطريق على كل التمنيات من هذا القبيل ، فيقول : « من الطبيعي ان النظام السياسي للحكم الذي قاد الصهيونية الى عصرهـــا البطولي ليس بالنظام الذي يتخلى عن السلطة طوعا وبسهولة . فالبنـــاء الفوقي ، الايديولوجـــي والسياسي ، للصهيونية ما زال يمارس تأثيرا هائلا في اسرائيل . وقيام الدولة لم يغير ذلك . والحق انه لم يبدل تبديلا يستحق الذكر في التركيب الشخصي والسياسي للطبقة القائدة في البلاد. لذا فانه من الصعب جدا الاجابة على سؤال من طراز: هل اسرائيل دولة صهيونية؟»(٥).

وعلى الرغم مما تعنيه لفظة « صهيونية » ــ على حــد قول آفنيري ــ بالنسبة للجيل الجديد من الشبان المولودين في اسرائيل ، اذ يجري تشبيهها بالهراء أو الشعار الفارغ، فان ابناء هذا الجيل بالذات « قد يتعلقون عن غير وعي بالافكار الصهيونية التي يعرفون انهـــا برهنت على خطأها » . ألا يمكن الاستدلال من هذا الاعتـــراف بأن الجيل الذي ينسبون اليه ابتعادا عن الصهيونية أو لامبالاة بها هو في الواقع ذلك الجيل الذي تربى عليها وترعرع في كنفها وما زال على تعلقه اللاواعي بها رغم الاخطاء التي تعتريها .

ان آفنيري لا ينكر ابدا وجود مرتكزات أساسية للعقيدة الصهيونية ، وهي مرتكزات تؤلف المناخ الفكري السائد في اسرائيل. فالمدارس تعلم طلابها جوهر الصهيونية والحياة السياسية شديدة الصلة بالاتجاه الصهيوني ، كما ان الصحافـــة تمارس نشاطها من خلال الاطار الصهيوني العام . والنظـــام القائم في اسرائيل يعتبـــر مرتكزات العقيدة الصهيونية بمثابة جوهره الاساسي ومقومات وجوده . فكيف يتوقع دعاة ازالة الطابع الصهيوني عن اسرائيل ان يتم ذلك ؟

ان صهيونية اسرائيل ليست بالقشرة البرانية التي يمكن انتزاعها في سبيل الوصول الى عقد الصلح واحلال السلام . ومن المؤكد ان عقد الصلح مع دولة اسرائيل لن يقلل من شأن طابعها الصهيوني ، ولن يكون من نتائجه اضعاف التزاماتها الصهيونية أبدا . بل على العكس من ذلك تماما . اذ سوف تجد العقيدة الصهيونية في ظل الاوضاع الجديدة متسعا من المجال لتنفيذ مرتكزاتها الاخرى بالطرق السلمية وتوسيع رقعة نشاطاتها وتحقيق المزيد من الانتصارات التي تتطلع اليها منذ زمن بعيد . فلا ننسى مطلقا بأن هرتزل كان سباقا في وصف الصهيونية بـــ « صانعة السلام » ، مثلما ان ماكس نوردو وغيره من زعماء الحركة توسموا في الدعوة الصهيونية تلك الحركة التي تحمل مشعل التمدن الى شعوب الشرق وتعمل على توسيع حدود الحضارة الاوروبية حتى تصل الى الفرات شرقا . وليس من المتوقع أو المعقول أن تتجرد العقيدة الصهيونية من مرتكزاتها ومقوماتها الاساسية لتنقلب على نفسها وتخرج من جلدها محاولة القفز فوق ظلها . اذ كيف يقدم المنتصر على اطراح أسباب انتصاره جانبا ، متى أمكنه تحقيق السلام دون التضحية بشيء من مكاسبه الحقيقية او التنازل عن العناصر الاساسية لقوته الرادعة والمنفذة لمآربه القريبة منها والبعيدة .

ان الدعوة الرامية الى تصوير اسرائيل بلا صهيونية والمنادية بتجريد الدولة اليهودية من طابعها الصهيوني وازالة الصفة الصهيونية عنها سوف تبقى محصورة ضمن نطاق ضيق جدا ، ولن تتهيأ لها أسباب النجاح والانتشار الواسع . والصلح الذي نفترض حدوثه لن يتم مع اسرائيل كما يتمناها أصحاب تلك الدعوة ان تكون ، بل مع اسرائيل في واقعها الصهيوني وكافة الابعاد التي ينطوي عليها هذا الواقع . فمن السابق لأوانه ، لا بل هو أشبه بضرب من المحال ، توقع زوال الصبغة الصهيونية عن اسرائيل القائمـــة في ظل الصلح والسلام مع العرب . ان الروابط الصهيونية التي تشد اسرائيل الى يهود العالم ما برحت تزداد قوة ومتانة حتى بعد تحقيق هدف الصهيونية بقيام دولة اسرائيل .

ولا غرو فان المناداة بشعار زائف من طراز « اسرائيل بلا صهيونية » ترمي من جملة ما ترمي اليه لتشجيع العرب على القبول بالكيان الصهيوني في وسطهم والاعتراف بحقه في

الوجود دون أن تساورهم المخاوف والشكوك حيال الطبيعة المتأصلة لهذا الكيان القائم على سلب حقوقهم واغتصاب أرضهم . وما علينا سوى النظر الى الوزن الطفيف الذي يتمتع به أصحاب تلك الدعوة بالنسبة الى مجموع القوى الصهيونية الواقفة بالمقابل .
ثم هناك التقصير من جانب الذين يرفعون هذه الشعارات عن ادراك طبيعة العقيدة الصهيونية ومدى تملكها من نفوس معتنقيها وهيمنتها على نظرتهم الشاملة الى الحياة والانسان والتاريخ . فالقول باطراح الصفة الصهيونية ينم عن سذاجة في فهم الابعاد والمعاني التي ينطوي عليها وجود اسرائيل ، وفي الاحاطة بطبيعة المنابع التي تستمد منها اسرائيل كيانها الصهيوني . لذا ينبغي الحذر من مغبة السير في ركاب الشعارات الزائفة من هذا الطراز وامثاله . وما علينا سوى التوقف عند بعض العناصر الاساسية في العقيدة الصهيونية لكي نتبين الاتجاه الذي سوف يأخذه التطور في ظل الصلح والسلام دون أن يخطر للصهيونية خاطر الارتداد على نفسها والانكفاء أو الانحسار .

عناصر الصهيونية الاساسية

ثمة عناصر أساسية في العقيدة الصهيونية سوف تبقى بمعزل عن تأثيرات السلام العتيد بين العرب واسرائيل . فهي عناصر ونزعات متأصلة في تلك العقيدة ، ومن المستبعد كليا ، لا بل من المتعذر ان تطرأ عليها أية تعديلات أو تخضع الى التغييرات . فهي أشبه ما تكون بالمسلمات أو البديهيات التي تأبى التعديل والتغيير طالما انها اثبتت حتى الآن جدواها وفعاليتها في تمكين العقيدة الصهيونية من احراز الانتصارات التي أحرزتها .
وليست هناك علاقة مباشرة تشدها الى حقل النزاع العربي — الاسرائيلي فتجعلها عرضة للتأثر باحتمالات السلام أو اقامة الصلح بين الطرفين . على أن توضيح ذلك يتطلب الينا تعداد العناصر المقصودة والتوقف عند ابرز نواحيها وأكثرها أهمية .

١ — **الجالوت ومعاداة السامية** : تنطلق العقيدة الصهيونية لدى هرتزل وعلى أيدي الذين توارثوا أفكاره من نظرة معينة الى الظاهرة المعروفة بـ « معاداة السامية » أو العداء لليهود . هذه النظرة تعتبر العداء المذكور بمثابة خاصة طبيعية وأبدية تتأصل في الطبع الانساني . أي انه عداء ليس من الممكن استئصال شأفته والقضاء على بذوره وجذوره الكامنة في قلب الامم وعقلها . وفي ذلك يقول هرتزل : « ان الامم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها كلها عدوة للسامية ، أما في الباطن او في الظاهر »(٦). هذا العداء المستحكم يمثل قيمة ثابتة في نظر هرتزل ، ربما كان قابلا للازدياد والاستفحال ، لكنه غير قابل للزوال أو النقصان والانحسار . ومن المعروف ان هرتزل ونوردو اتفقا على اعتبار هوية اليهودي وادراكه لتلك الهوية المميزة رهنا بوجود العداء المشار اليه . فقد كان يطيب لهما القول التالي : « لولا العداء للسامية ، لما كنا أوحافظنا على يهوديتنا . فهو الذي جعل من اليهود يهودا » .
واذا كانت الصهيونية ترى في العداء للسامية باعثا دائما يحفز اليهود الى اكتشاف هويتهم والالتفاف حول بعضهم ورص صفوفهم ، فان الشق المقابل لهذا المرتكز الاساسي يقوم على العنصر العقيدي الصهيوني القائل بضرورة ابطال الجالوت او النفي . اي ان الواقع اليهودي المشتت في سائر انحاء العالم ، حالة النفي التي يعيشها اليهود هي المسؤولة عن البؤس والشقاء والالم الذي يعانون منه(٧). ولا سبيل الى الخروج من هذا الوضع الا باستخدامه كحافز ومحرك للانتقال الى حالة صهيونية جديدة . هذا هو المقصود بـ « سلب الجالوت » أو تجاوز المنفى عن طريق الاستعانة بوجود العداء للسامية .
فهل من المتوقع أن تتخلى العقيدة الصهيونية عن هذا المرتكز الاساسي من مرتكزاتها الراسخة ؟ ان تحقيق الحل السياسي للمشكلة اليهودية بقيام اسرائيل وفقا للتصميم الهرتزلي لم يضع حدا لظاهرة العداء مثلما انه لم يقلل من شأن الاخطار التي تتوجس الصهيونية منها خيفة : كالاندماج والانصهار وايثار البقاء خارج اسرائيل . ولا يخفى بأن

الصيغة المستحدثة لظاهرة العداء للسامية اصبحت تتألف من أطراف المعادلة التالية : العداء للسامية = العداء للصهيونية = العداء لاسرائيل . هذا التوافق المتعمد سوف يبقى في متناول اسرائيل والحركة الصهيونية ، حتى في ظل الصلح والسلام ، لأنه يؤلف أحد المنابع الرئيسية التي تستمد منهـا العقيدة الصهيونية حوافزهـا والدوافع التي تحركها ، لا بل المقومات التي تتيح لها البقاء والاستمرار قيد الممارسة والتطبيق .
ان الحركة الصهيونية العماليـة تتمتع بأكثرية بين القوى السياسية داخـل المجتمع الاسرائيلي وعلى صعيد التنظيم الصهيوني العالمي . ففي مطلع هذا العام (١٩٧٠) عهدت اللجنة العقائدية في الامانة العالمية للحركة الى أحد كبـار المنظرين الصهيونيين — شلومو درخ — بوضع مخطط عقـائدي لكي يجري طرحه على بساط البحث لدى اوساط الحركة ومراكزها في الدياسبورا . ومما جاء في المخطط العتيد ، لرصد التحديات الجديدة والتطلع نحو آفاق السبعينـات ، تحت عنوان « الصورة الجـديدة لمعادلة السامية » القول التالي : « ان التنبؤ المتفائل بأن العداء للسامية سوف يتناقص ويصير في نهاية المطاف الى الزوال كعامل اجتماعي وسياسي بارز في المجتمع اللاحق للنازية قد برهن على كونه تنبؤا خاطئا . واتضح الآن ، رغم اضعاف الاســاس الديني والعرقي للعداء ، بأن المنابع الاخرى التي غذت العداء التاريخي للسامية لم تنضب بعد . هذه المنابع هي الآتية : روح المنافسة والتحاسد الاقتصادي والفروقات القومية والحضارية، والحاجة الملحة لدى كل حركة سياسية رجعية الى كبش محرقة ، خصوصا ابان الازمات السياسية أو الاقتصادية »(٨).
فهل سيؤدي الصلح مع اسرائيل الـى زوال هذه الاخطار التي لا تريد لهـا العقيدة الصهيونية أن تزول ؟ ان الصهيونية لن تتورع عن استنباط الاخطار الوهمية حتى في زمن السلم ، لان اعتقادها بوجود تلك الاخطار يضمن لها الاستمرار والفاعلية ويؤهلها للمضي في ممارسة نشاطها لدى الاوساط اليهودية في العالم .
ب — اليهودية والصهيونية : تنطوي العقيدة الصهيونية على نظـرة معينة الى الماضي اليهودي والى الروابط التاريخية بين اليهود وأرض فلسطين. هناك محاولة لتعزيز مكانة « أرض اسرائيل » في الوجدان اليهودي التاريخي ولتوثيق الصلات التي لا تنفصم عراها بين « الشعب اليهودي » و« أرضه » . وهناك تشديد على التواصل بين الطرفين الى درجة « الرباط الصوفي » بينهما ، كما يطالعنا ذلك التوكيد على الجهود المستمرة والآمال المعقودة طيلة الفي سنة بغية تحقيق العودة واستئناف الاستيطان من جديد . هذا بالاضافة الى الدور المنسوب لعقيدة انتظار المسيا والامل بمجـيء العصر المسيائي . فالعقيدة الصهيونية ترى في التاريخ اليهودي سياقا متصل الحلقات وتضفي عليه الطابع القومي منذ زمن بار كوكبا (ابن الكوكب) حتى العصر الحاضر .
ولو شئنا استخلاص المرتكزات التي تنبع من هذه المقدمة الرئيسية ، لجاز لنا تعدادها على الشكل الآتي : أولا : ان جميع اليهود الموزعين في شتى انحاء العالم يؤلفون أمـة واحدة . ثانيا : ان الفرد اليهودي لا يستطيع تحقيق ذاته والحفاظ على جوهر يهوديته الا في الصهيونية : « الصهيونية وحدها هي التي تمكن الفرد اليهودي من صيانة مثله ، العصرية منها والمتطرفة ، دون تشويه جوهر يهوديته أو احداث تناقض داخلي بين كيانه الانساني وهويته اليهودية »(٩). ثالثا : اسرائيل هي الدولة اليهودية التي أوجدها اليهود لكي تجمع شمل شتاتهم من سائر انحاء العالم. رابعا : ان الهجرة اليهودية الى اسرائيل هي السبيل الأمثل لتحقيق المرتكز الصهيوني الاساسي في ابطال المنفى ووضع حد نهائي للشتات . وبما ان العداء للسامية ظاهرة متأصلة في نفوس غير اليهود ، فمن المحتم عاجلا ام آجلا ان يستجيب يهود العالم لنداء الهجرة وان يدفع بهم العداء الى التوجه شطر اسرائيل . خامسا : بالاضافة الى احياء التحركات المعادية لليهود في المجتمعات الحديثة ، هناك دوافع أخرى ممكنة قد تحفز اليهود على المهاجرة الى اسرائيل : منها

« الرغبة في أن يعيشوا حياة يهودية تامة وأصيلة » ، ومنها « الاغراءات التي تقدمها لهم دولة اسرائيل » . سادسا : بالنسبة لدولة اسرائيل ، فان تجميع المنفيين وتوطينهم فوق الارض التي تسيطر عليها هو **علة وجود الدولة** وفي رأس مقومات هذا الوجود . انه الغاية القصوى التي تستقطب جميع الاهداف والغايات وتجعلها بمثابة وسائل للوصول اليها . سابعا : « ان المجتمع اليهودي في دولة اسرائيل هو نبتة من غرس افكار الحركة الصهيونيةواعمالها . وكل يهودي يعيش في اسرائيل يعمل من خلال حضوره او وجوده بالذات على تحقيق الصهيونية ، حتى ولو كانت هجرته لم تأت نتيجة دوافع صهيونية ، وحتى ولو كان من مواليد اسرائيل »(١٠). وهنا لا بد من الاشارة الى المحاولات التي تسعى لتعزيز الوجدان الصهيوني لدى مواطني اسرائيل تبعا للحاجة ، وذلك بقصد « الحفاظ على الطابع العقائدي للدولة ولضمان الروابط بين اسرائيل ويهود العالم » . ثامنا : ان « أرض اسرائيل » بحدودها التاريخية غير قابلـــة للتجزئة ، وكل تجزئة تبقى مرهونة بالمرحلة الزمنية فقط ، دون ان تؤثر على طبيعة الهدف النهائي وشموله . وقد عبر دعاة الاحتفاظ بالمناطق العربية التي استولت عليها اسرائيل في حرب حزيران عن « تمامية ارض اسرائيل » بقولهم « ان الصهيونيـــة كحركة سياسية للعائدين الـــى أرض الآباء والاجداد لم تفرق ابدا بين يافا والخليل أو بين حيفا ونابلس » . و« اذا لم يكن لنا حق أخلاقي للاحتفاظ بأريحا ، فلا حق لنا كي نحتفظ بتل أبيب »(١١).

هذا التصور الصهيوني لفلسطين باعتبارهـــا « أرض اسرائيل التي لا تقبل التجزئة » يتخذ شتى الصيغ ويحتمي وراء العديد من الحجج والتبريرات الملفقة . فلا حاجة بنا الى تكرار قصة المطالبة بحدود آمنة او تلك « الحدود التي يمكن الدفاع عنها وحمايتها » . كما ينبغي لنا تذكر مسألة التوحيد بين « حـــدود السلام » و« الحدود الطبيعية » . وبالاضافة الى كل ذلك فان اسرائيل التي تستطيع حمل العرب على توقيع معاهدة صلح وسلام ليست على استعداد ابدا للتراجع عن مطالبها وأمانيها الصهيونية . فالحجة التي يتذرعون بها اليوم لتبرير احتفاظهم بالاراضي التي احتلوهـــا تنطوي على ناحية هامة لا يجوز اغفالها . انهم يقولون بأن العرب لو قاموا بتوقيع معاهدة صلح مع اسرائيل ، فهم لا يعنون ذلك بصورة جدية . اي ان الصلح الذي يتحدثون عنه يبقى حبرا على ورق ، طالما ان الهدف الاساسي للعرب سوف يبقى قائما على « ازالة اسرائيل من خريطة الدول ذات السيادة » ! فهل نذهب بعيدا في التوقعات حين نقول بأن الصلح لن يؤدي الى حمل الصهيونية على التنازل عن مبادئها ومقوماتها ؟

اسرائيل والدياسبورا

ان المرتكزات التي أوردناهـــا فيما تقدم تشير الـــى الطابع الصهيوني العقائدي على صعيدين بارزين : صعيد الدولة والمجتمع في اسرائيل ، وصعيد التواقف بين اسرائيل والدياسبورا . فعلى صعيد الدولة ، تطالعنا آفاق السبعينات من خلال منظور التحديات التالية : « ان الطابع الفريد والجاذب في اسرائيل لا يكمن في حقيقة كونها دولة من اليهود فحسب ، بل في انها دولة يهودية تتحلى بطابع يهودي : في روحها ولغتها ومثلها العليا ــ القومية منها والانسانية ، في كونها حاملة لاستمرارية التراث القومي الخلاق ، وكملجأ وملاذ من الاخطار الجسدية ، بالاضافة الى كونها نجعة كل يهودي ينشد حياة تنطوي على معنى قومي وكرامة فردية » . « ان دولة اسرائيل لا توجد لأجل ذاتها فحسب ، وليس لاجل اولئك اليهود الذين تجمعوا حتى الآن داخل حدودها . بل هي توجد أيضا لاجل الامة ككل . انها الضمانة لوحدة الشعب وبقائه على قيد الحياة. وهي كذلك تصون هذه الوحدة على الصعيد العملي ، لان جميع ثقافات الدياسبورا وطبقات الشعب فيها قد اندمجت داخل حدود اسرائيل في كتلة واحدة » . « ان الدولة والدياسبورا متواقفان. فالتحديات الرئيسية التي تواجه الدولة في أيامنا هي التالية : الامن والسلام ، استيطان الارض ، التوسع العددي السريع، والانماء الاقتصادي المعجل عن طريق استخدام العلم

الحديث والتكنولوجيا العصرية ». « ان هذه التحديات تتطلب تعبئة كافة الموارد البشرية والاقتصادية ، موارد القوة التي يجسدها الشعب ، في سبيل بناء صرح الدولة . مثلما تتطلب في المقام الاول : الهجرة الجماعية ، وبنوع خاص هجرة الشباب واصحاب المهن والمهارات »(١٢).

أما على صعيد التواقف بين الدولـــة والدياسبورا ، فان الصهيونية تلتزم بالعمل على تحقيق جملة أمور الى جانب التمسك بقاعـــدة الصلات العضوية بين الطرفين . ففي التوصيات المرفوعة من اللجنة العقائدية في الامانة العالمية للحركة الصهيونية العمالية نقرأ ما يلي عن التحديات الرئيسية التي تواجه اليهود في الدياسبورا : * تعزيز الوعي القومي * الوقوف بوجه موجات الانصهار الطوعي داخل بلدان الديمقراطيات الحرة * ومقاومة الانصهار الالزامي في «بلدان الاستبداد». ثم نعرف بأن الدياسبورا سوف لن تستطيع معالجة هذه المشاكل بنجاح ومجابهة تحدياتهـــا دون الحصول على مساعدة الدولة ـــ أي اسرائيل من حيث كونها تعتبر نفسهـــا دولة الشعب اليهودي بأسره وفي تطلعها الى احتلال مركز الوسط في حياة اليهود قاطبة . معنى ذلك ان الفرد اليهودي أصبح ملزما باتخاذ موقف شخصي من اسرائيل، وعليه ان يعتبر مسؤوليته تجاه اسرائيل بمثابة المحك الذي يمتحن ولاءه ليهود العالم واخلاصه نحـــو هويته اليهودية . كما ان « مركزية اسرائيل » تفرض بدورها على الدولة مسؤولية «تجاه جميع الجاليات اليهودية في ظل كافة الحكومات » .

ان اسرائيل في ظل السلام لن تتخلى مطلقا عن حصيلة الاعتبارات الواردة أعلاه ، بل سوف تمضي في ممارسة « الدمج الجوهري بين الاعتبارات السياسية واليهودية في جميع أعمال الدولة وأفعالها ، وفي المجالين الداخلي والخارجي على حد سواء » . فالفصل بين اسرائيل والصهيونية يشبه ضربا من المحال ، لان التصور الذي تنسجه اسرائيل لذاتها ولكيانها يقوم في الاساس ، زمن الحرب والسلم على السواء ، على ذلك التواقف المتبادل بينها وبين يهود العالم .

واذا كانت اسرائيل بحاجة مستمرة وملحة الى الطاقات البشرية اليهودية في العالم والى أموال اليهود ومساعداتهم ، فان الطرف الآخر لهذه المعادلة الصهيونية ما فتىء يردد بأن : « الشعب اليهودي لا يستطيع البقاء على قيد الحياة دون دولة اسرائيل . وكل خطر يتهدد الدولة هو خطر يتهدد الامة ايضا . فمن الجوهري ان تصبح الدولة اكبر تمركز يهودي في العالم خلال المستقبل القريب . ان توسعها هو أمـــر حيوي بالنسبة لأمنها ورخائها ، مثلما هو أمر جوهري بالنسبة للدياسبورا ايضا . ان اسرائيل القوية والمستقلة عن تكرّمات الامم الاخرى ، والمتحررة من التهديدات المستمرة لوجودها ، هي وحدها القادرة على تحقيق رسالتها التاريخية : في ان تقوم بدور الاداة التي تكفل بقاء الشعب وتضمن الاستمرار الخلاق لتراثه القومي »(١٣).

ان هذا الدور الاسرائيلي في المجال الصهيوني لن يتقلص أبدا في ظل الصلح والسلام . وليس هناك ما يحول دون استمرار الترابط المصيري من زاوية العقيدة الصهيونية بين دولة اسرائيل من جهة ويهود العالم من جهة ثانية . لا بل ان هذا الترابط سوف يزداد وثوقا ويتسع مداه ، بحيث تؤمن اسرائيل المتطلبات اللازمة والمجالات الكافيـــة لحمل المزيد من يهود العالم على المجيء اليها بقصد الاستيطان والاقامة الدائمة . فالمخاوف التي تساور أصحاب الخبرات والمهارات والرساميل بينهم سوف تبدد شيئا فشيئا ، لكي يحل محلها مناخ الاستقرار والطمأنينة . كما ان الانتقال من اقتصاد الحرب الى اقتصاد السلام سوف يفسح المجال أمام تأمين العمل للقوى الناشطة في الميدان العسكري بحيث تسعى الدولة الصهيونية الى اتاحة فرص العمل المنتج أمام القوى المجندة في خدمـــة الاغراض العسكرية او الدفاعية . ولا ندري الى اي حد من النجاح سوف تصل اسرائيل في محاولتها الرامية الى استخدام القوى العسكرية للاغراض السلمية(١٤).

الفكر العربي والسلام الصهيوني

حين ننتقل الى الحديث عن النتائج المرتقبة والتوقعـات المحتملة بالنسبة للاتجاهات الفكرية والعقائدية في العالم العربي ، تحت ظل السلام الصهيوني في فلسطين ، نجد من المناسب استحضار الرؤيا التي أطلقها نجيب عازوري في مطلع هـذا القرن فأصبحت نتميز اليوم برصيدها التنبؤي . فقـد كتب عازوري في **يقظة الأمـة العربية** (باريس ، ١٩٠٥) يقول : « هنالك حادثتان هامان من طبيعة واحـدة ولكنهما يقفان على طرفي نقيض : هما يقظة الامة العربية وسعي اليهود الخفي لاستعادة ملك اسرائيل القديم على نطاق اوسع . ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر ، حتى تتغلب الواحدة منهما على الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبداين متعارضين »(١٥) .

وعلى سبيل التبسيط ، يمكن القول بأن اعتراف العرب باسرائيل وعقد صلح معها يعني بالتالي اقرار دعوة القومية العربية بحق القومية اليهودية وعقيدتها الصهيونية في الوجود فوق أرض فلسطين . فانتصار الحركة الصهيونية على صورة انتزاع الاعتراف العربي بوجود الكيان الاسرائيلي قد لا يعني بالضرورة نهـاية الصراع بين الحركتين او حسم النزاع القائم بشكل قاطع . بينما يصبح « التعايش » المتخيل بين القوميتين ـــ فيما لو تم الوصول الى تعايش ـــ اشبه ما يكون بتعايش في ظـل السلام الصهيوني ورهنا بمشيئته الى حد بعيد . فالغلبة هي دون ريب للقومية اليهودية وعقيدتها الصهيونية ، وسوف تستمر هذه الغلبة طيلة فترة زمنية يصعب تحديدها . ويمكن اعتبار الانتصار الذي تحرزه اسرائيل بمثابة كسب للجولة القادمة ، دون الالتزام بشيء حاسم لجهـة النتيجة النهائية للصراع .

ان السلام الاسرائيلي معناه رضوخ العرب لمنطق القوة الصهيوني وخضد شوكة الرفض العربي للوجود الصهيوني في فلسطين . فلو اعتبرناه رضوخا للامر الواقع وتنازلا عن جملة من المبادىء الاساسية والاماني القومية ، لجاز لنا ان نتوقع سلسلة من ردود الفعل على شتى المستويات الفكرية . ولا بأس من تعداد تلك الردود والنتائج (بشيء من التحفظ والتحسب، وعلى سبيل التجربة الاولية ازاء خلفية من الاستبطان الشخصي):

أولا : ان انتصار الصهيونية في عقد الصلح مع العرب لا يوازيه سوى الفشل الذريع من جانب التفكير العربي والممارسة العربية بنوع خاص في ايصال الحركة القومية الى ما يشبه الانتصارات الآنية او المرحلية . فهل يقدم الفكر العربي على خطوة حاسمة لتخطي ذاته واستعادة الثقة بنفسه ، أم انه سوف يلجأ الى اجترار الخيبة والانكفاء ضمن دائرة الذاتية والقصور ؟ **ثانيا** : ليس بمستبعد ابدا ان يصاب « علم النكبة » و« أدب النكسة » و« هول الكارثة » بنوع من التضخم والتخمة . ولا نغالي اذ نقول بأن هذا « التسامي » والتصعيد اللفظي لا يعدو كونه بديلا مرضيا لارادة القتال او مرارة العجز والقصور . **ثالثا** : ربما اسهم « السلام الاسرائيلي » في شحذ « الوجـدان الشقي » لدى المفكـر العربي الملتزم بقضايا الشعب المصيرية فأدخل الى روعـه التنوط واليأس الى جانب النقمة العاجزة عن ترجمة لواعجها الى فعل وعمل . وهناك احتمال بأن يتم القضاء على البقية الباقية من ايمان المثقفين العرب بفكرتين شهدتا اسوأ انواع الممارسة والتطبيق خلال العقود الاخيرة من تاريخ العرب الحديث ، وهما : فكرة الوحـدة العربية وفكرة الاشتراكية أو البناء الاشتراكي . **رابعا** : مـن المحتمل ان تشهد ساحة الايديولوجيات العربية انحسارا لموجة الافكار التقدمية ، يقابله ارتفاع مد الرجعية والسلفية الى حدود لم تكن مألوفة من قبل . ان هذه الردة الرجعية سوف تحمل في طياتها بذور ارتباط أوثق بالقوى الامبريالية التي تقف وراء اسرائيل وتستخدم الدولة الصهيونية كأداة لتحقيق مآربها وحماية مصالحها في المنطقة العربية. **خامسا** : سوف يتزعزع ايمان الفكر العربي بحق الشعوب في تقرير مصيرها أيما تزعزع ، ويرسخ في وجدان العرب الحديث ذلك

التصور المخيف ازاء ما حل بالشعب العربي الفلسطيني على أيدي الصهيونية والاستعمار دون أن تملك الملايين حيلة للوقوف بوجه التوسع والتشريد والنزوح عن الديار والوطن. فالجرح الذي قد يصيب وجدان الانسان العربي الواعي ليس من السهل له أن يلتئم ، كما ان الزمن ليس كفيلا بتضميده وشفائه . **سادسا** : ان نزعة الاستقلال والتحرر الوطني سوف تجد نفسها رهينة السلام الصهيوني او الاسرائيلي وتحت أمرة مقتضياته وشروطه . فالسلام الذي تفرضه اسرائيل ، وقد تلجأ الى اخفاء معالمه تحت ستار « السلام السامي » (Pax Semitica) ، ليس في الواقع سوى سلام المنتصرين على الضعفاء والمهزومين . ومن الواضح ان هذا الامر لا يحتمل التمييع باسم « لا غالب ولا مغلوب » . **سابعا** : ان المصير الفلسطيني يتبوأ منزلة اساسية في وجدان الحضارة العربية الحديثة وفي نظرتها الى مائة وخمسين عاما مضت من تاريخ اتصالها بالغرب . فهل ستخفق راية الحضارة اليهودية والثقافة العبرانية في ظل السلام العبراني (Pax Hebraica) الذي تصبو اليه الصهيونية؟ ان اسرائيل كدولة يهودية وصهيونية سوف تزداد رسوخاً وتوطدا كجسم غريب في جسد الوطن العربي دون ان تكون منه في شيء او دون ان تحظى بقبوله ورضاه . **ثامنا** : ان التطلعات الحضارية في العالم العربي ، من حيث واقعها ومرتجاها ، سوف تنكمش داخل ذاتها وتنكفيء على نفسها ازاء المجتمع المغلق الذي تتألف منه اسرائيل . ومهما اتسع التبادل الثقافي والحضاري بين الطرفين فان العقيدة الصهيونية تأبى الا الحفاظ على الطابع المغلق للمجتمع اليهودي في فلسطين ، لجهة العنصرية والحفاظ على نقاء العرق اليهودي . وليس بمستبعد ان تصبو الدولة اليهودية في ظل السلام الى استلام الدور الحضاري الذي اضطلع الغرب بمسؤوليته طيلة العقود الماضية ، لكي تصبح واسطة بين العرب والعالم الغربي او تضعهم أمام قطعة من الغرب وجها لوجه في قلب الوطن العربي . وهناك خطر «الليفانتينية» (Levantinism) الذي قد يساهم الى حد كبير في التشكيك بأصالة العروبة وابعادها الحضارية .

هذه الردود او النتائج لا تعدو كونها مجرد تكهنات أو تحسبات للمستقبل . فمن الصعب تحديد الوقع الذي يتركه ابرام السلام مع اسرائيل وعقيدتها الصهيونية على الفكرة العربية والعقائد التي تلازمها أو تستمد منها بصورة متبادلة . والحديث عن « اسرائيل بدون صهيونية » — كما مر معنا — هو حديث خرافة لا يستند الى أساس عيني على الاطلاق .

ان « السلام العربي » — متى تهيأت له اسباب الوجود والتحقيق — هو وحده الكفيل باعادة الامور الى نصابها واعطاء صاحب الحق حقه . فالأقلية اليهودية في فلسطين العربية لن تكون مهضومة الحقوق في ظل دولة ديموقراطية وعلمانية ، حيث تتعايش مختلف الطوائف والفئات فوق ارض فلسطينية واحدة . هذا هو الحل الحضاري والانساني الممكن لاحلال السلام وتصفية المشكلة اليهودية .

ويجب ألا ننسى بأن تقرير الهوية اليهودية في نظر الصهيونية لا يختلف عنه في نظر معاداة السامية أبدا . فالصهيونية تعتبر عداء العالم غير اليهودي بمثابة العامل الحاسم في تعيين هوية اليهودي . وكذلك معاداة السامية تشاطرها الرأي بتقديم مواصفات مماثلة للشخصية اليهودية . أما التقليد الديني اليهودي فانه يستند الى مقياس من العنصرية الدينية والنقاء البيولوجي العرقي لتحديد تلك الهوية . فهل يستطيع المجتمع الاسرائيلي المنغلق على ذاته كسر هذا الطوق والخروج من تلك الحلقة المفرغة الا في ظل تجاوز الصهيونية لذاتها وانحسارها الكلي أمام انفتاح السلام العربي ورحابة صدر تقاليد العروبة السمحاء والمتساهلة ؟

ان تغلب العروبة هو وحده الكفيل بتقديم حل انساني ومشرف للمشكلة اليهودية، والمبدأ العربي والفلسطيني يملك الامكانات والاستعدادات اللازمة لاحتواء المبدأ اليهودي

واضافته الى الرصيد العريق من معاملة العرب للأقليات وتجاوز التعارض القائم بين المبداين . ولا حاجة بنا الى تكرار النتائج التـــي سوف تترتب عـــن كل صلح أو سلام صهيوني ، علما بأن هذا الصلح لن يؤدي مطلقا الى ازالة التناقض بل الى زيادة حدته والسير بالقوى العالمية نحو مزيد من التوريط في لجة الصراع بحيث يجرها ذلك الى صدام محتوم ويزجها في أتون حرب لن ينفع معها سلام الاموات او صلح الابادة والفناء.

حاشية : ثمة اغراء يجذبنا نحو القول بأن العقل العربي سوف يبقى بمنأى عن كل ذلك ، غير عابىء بأمور مصيرية أو حضارية من هذا النوع ، طالما ان المجتمع الاستهلاكي لن يتأثر بشكل سلبي . فالعقل والتفكير الذي لم تهزه نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ ، لن يحرك ساكنا ازاء تحصيل الحاصل والاقدام على ابرام معاهدة صلح مع اسرائيل والصهيونية. والواقع ان هذا الاحتمال الذي يخشى منه هو أسوأ الاحتمالات قاطبة ، لكنـــه يبقى احتمالا واردا في متناول الحدوث . وهناك نوع من التحجر يعتري العقل العربي فيجعله يتقبل الصدمات برحابة صدر وطول أناة ، لكي يكتفي في فوراته بالتصعيد اللفظي . مثلما توجد نزعة انفعالية تبحث عن خلل ما في التفكير والعقل العربي : هناك شيء أعوج لدى العرب ، وثمة خلل حضاري يعانون منه على صعيد الفرد والمجتمع !

---

١ — انظر الكراس التالي: *Bâsele 1897-Israel 1967:* Assembly to Mark the 70th Anniversary of the Foundation of the Zionist Organization at the First Zionist Congress, (Published by the Organization Department of the World Zionist Organization, Jerusalem 1967), See pp. 38-43.

٢ — راجع النص الكامل في المصدر التالي : *The Jerusalem Post* (Weekly Overseas Edition), No. 493, April 6, 1970, p. 10.

٣ — انظر: *The Israel Economist,* Vol. XXIV, No. 2, February 1968, pp. 38-39: "Frontiers of Peace".

٤ — Amos Kenan: *Israel - A Wasted Victory,* trans. from Hebrew by Miriam Shimoni, (Amikam, Tel-Aviv Publishers, 1970), p. 166.

٥ — راجع Ury Avnery : *Israel Without Zionists.* A Plea for Peace in the Middle East, (New York, Macmillan, 1968), p. 157.

٦ — Theodor Herzl. *The Jewish State,* 4th Ed., (London, 1946), p. 23 .

٧ — انظر المقتطفات التالية : Prof. Benzion Dinur: "The Zionist Ideology", (from"Sefer Hatzionut") in *Zionism: The Force of Change* (Information Dept. of the W.Z.O., Jerusalem, 1968), p. 17.

٨ — انظر النص الكامل في *The Jerusalem Post* (Weekly Overseas Edition), No. 483, January 26, 1970, p. 10: "The Challenge of New Thinking".

٩ — المصدر نفسه .

١٠ — **المصدر السابق** : عدد ٤٨٤ ، ٢ شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، ص ١٠ .

١١ — انظر *Jewish Observer and Middle East Review,* Jan. 12, 1968, p. 6 ("Israelis Debate the Big IF").

١٢ — المصدر نفسه .

١٣ — المصدر نفسه .

١٤ — يحسن الرجوع الى الدراسة التالية حول هذا الموضوع :
Hugh Hanning: *The Peaceful Uses of Military Forces* (Praeger Special Studies in International Politics and Public Affairs), New York 1967 (2nd Ed. 1968). See Chapter 12: "Israel", pp. 119-131.

١٥ — Néguib Azoury: *Le Réveil de la Nation Arabe* (Paris, 1905), p. V.

التسوية السياسية والنهوض العربي

الدكتور نديم البيطار

قبل كل شيء أريد أن أؤكد انني شخصيا لا أعتقد ان الحل السلمي ممكن بأي شكل أو وجه . ان القتال فقط هو القدر المفروض علينا تجـــاه احتلال فلسطين ، وأن العلاقة الوحيدة الممكنة بيننا وبين الصهيونية هي علاقة حرب وحرب فقط . أقول هذا في ضوء قناعة تعتمد تجارب التاريخ قاعدة لها . فمن هذه التجارب يمكن لنا أن نصل الى استنتاج عام فيما يتعلق بموضوعنا .

الوصول الى تسوية ممكن عندما يشارك الاطراف المتحاربون في مفهوم متماثل عن مجرى الحرب ، والاهداف التي تسعى اليها . فعندما تكون التضحيات والتنازلات التي يرقبها كل طرف من الآخر تضحيات وتنازلات محدودة يسهل انهاء حالة الحرب ، ويكون بامكان الطرف الذي يشعر بالخسارة أن يطالب بوقف القتال واحلال السلم . ولكن عندما تكون الاهداف غير محدودة ، وخصوصا ان كانت من النوع الذي يعني القضاء على كيان أو وجود الخصم القومي ذاته ، فان الحرب تصبح كلية ، هدفها القضاء التام على الخصم ، على قواه ومقاصده ، او حتى ازالته ، ويستحيل عندها اجراء تسوية ، مصالحة ، او معايشة .

في حربنا مع اسرائيل لا توجـــد أبدا أية صلة بعيدة أو قريبـــة ، بين المقاصد العربية والمقاصد الصهيونية . هذا يعني أن ليس هناك أية أرضية مشتركة أبدا لأية مصالحة أو سلم . عندما تكون علاقة الطرفين المتحاربين من هذا النوع ، عندما يستحيل على أي طرف قبول تحديد الآخر للوضع ، أو مفهومه عـــن الصلح أو المعايشة ، فان أي حل سلمي نهائي يصبح مستحيلا . وكل كلام أو حديث عن سلم ممكن يمسي أقصوصة او مناورة تكتيكية لكسب الوقت .

الاطراف المعنية قد تقبل بانهاء المعركة عندما ترى أن متابعة القتال لا تحقق مقاصدها ، او ان تحقيق هذه المقاصد يتطلب ثمنا باهظا هي غير مستعدة لتأديته،او ان المواظبة على القتال اقل فائدة وقبولا من السلم . ففي جميع هذه الاوضاع ، يرفض المتقاتلون قبول الهزيمة وان كانوا يقبلون بوضع لا يمثل نصرا نهائيا ، هنا قد يضطر هؤلاء الى استقصاء امكان تسوية .

ان نحن نظرنا الى القوى والمقاصد التي تحدد المعركة بيننا وبين اسرائيل نجد أنها تنفي جميع هذه الاوضاع التـــي تسمح بتسوية او سلم . فالطـــرف العربي ، وان هزم في حزيران ، يرى أن امكانات وطاقات متابعة المعركة الى أجل غير محدود متوفرة له ، ولكنها لا تتوفر للصهيونية ، كما ان المقاصد التي يريدها هي مقاصد لا تمكن المساومة عليها أبدا وبأي شكل كان لانها ترتبط أساسيا وقبل كل شيء بالوجود القومي ذاته ، بأن يكون او أن لا يكون ، وليس بتصحيح حدود هذا الوجـــود او تحديد علاقته بوجودات قومية أخرى . الصهيونية تدرك هذا ، تعيه وتنطلق منه ، ولذلك يستحيل عليها الاقتناع

بأن الجانب العربي يقبل فعلا واكيدا وضعا سلميا نهائيا . ثم ان مقاصدها هي الاخرى مقاصد تتعلق بوجود « قومي » لا يمكن لها المساومة عليه ، بوجود بررت به وجودها وبلورت فيه كل نفس من انفاسها ، ولا يمكن لها التنازل عنه او عن جزء واحد منه . ثم ان هذا الوجود الذي تبغيه وتريده والذي عجن تركيبها النفسي والاخلاقي منذ الفي عام لا يقتصر على الارض التي تحتلها ، بل يمتد الى أراض عربية أخرى تزيد مساحتها مرات عديدة على المساحة التي تم لها الاستيلاء عليها .

ولكن ماذا يعني الحل السلمي ؟.. من وجهة عربية تتمثل بالطرف العربي الذي تحمل عبء المعركة كلها حتى الآن ، أي الطرف المصري ، فانه يعني الانسحاب التام الكامل من جميع الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حزيران عام ١٩٦٧ وعدم التنازل عن « شبر واحد » من هذه الارض ، وعدم المساومة على قضية فلسطين او قضية المقاومة . القبول بوجهة النظر هذه من قبل اسرائيل يعني انها مستعدة ان تنسحب من جميع هذه الاراضي وان تقبل ثمن ذلك « حدودا آمنة » تؤكدها اتفاقيات أو ضمانات دولية . هذا شيء لا يوجد اي دليل أبدا عليه ، وهو أمر لا يقول به الذين قبلوا مبادرة روجرز أو الذين رفضوها . كل الدلائل والشواهد تعلن ، في الواقع ، عكس ذلك . ثم ان اسرائيل تعلم أن التاريخ يكشف بوضوح ان اتفاقيات وضمانات من هذا النوع تجد قيمتها في اوضاع دولية وعسكرية وسياسية معينة ، وأنه عند تغير هذه الاوضاع في مرحلة لاحقة لمصلحة احد الاطراف المعنية تموت هذه الاتفاقات والضمانات او تخسر قيمتها . كما انها تعلم أن التاريخ يكشف أيضا وبوضوح تام أن المهم في أية اتفاقات وضمانات ليس مضمونها بل مفاهيم الاطراف المعنية لهذا المضمون ، وان هذه المفاهيم تتغير وتتحول بتغير وتحول أوضاع هذه الاطراف اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ودوليا واجتماعيا ، الخ، ... هذا يعني بكلمة أخرى ، أن اسرائيل ستتنازل ليس فقط عــن مكاسبها الهائلة في حزيران ١٩٦٧ ، بل عن المطامع والنوازع والمقاصد التي تعجن نفسيتها ذاتها ، اي تنكر ذاتها بذاتها ، مقابل ضمانات لا تكون قيمتها ــ هذا اذا كان لها أية قيمة ــ سوى قيمة مؤقتة . ولكن « يمكن » القول ان اسرائيل ستقبل بهذا النوع من الحل السلمي المشروط بخروجها التام من جميع هذه الاراضي لان الولايات المتحدة تخلت عنها وهي تريدها أن تنسحب ، لانها لا تريد تصعيد الموقف العسكري بشكل يقودها الى مواجهـــة عسكرية خطرة لا تريدها مع الاتحاد السوفياتي . ولكن كما نعلم كلنا ليس هناك اي شاهد أبدا على هذا ، كما انه ليس هناك من يقول به .

من ناحية أخرى ، فان الحل السلمي قد يعني أن الطرف العربي ، اي بالضبط الطرف المصري ، مستعد أن ينكر ما يعلنه من مفهوم للحل السلمي ، لقرار مجلس الامن ولمبادرة روجرز ، وانه مستعد بأن يقبل باسترجاع قسم من تلك الاراضي والابقاء على القسم الآخر في يد اسرائيل بقاء نهائيا . هذا أمر لا يستطيعه اي قائد في مصر ، او اي قطر عربي آخر ثوري . موقف كهذا سيستنفر الجماهير ويحرضها ضده ، ويدفع الى قيام انقلابات تضع حدا له . اي نظام يحاول ذلك يعلم انه سيزول ، وكل قائد تداعبه فكرة من هذا النوع يعلم تماما انه لا محالة مقتول .

وأخيرا يمكن القول أن الطرف العربي المصري سيقبل بحل سلمي يعيد الينا فقط جزءا من تلك الاراضي ليس لانه يريد ذلك ، ليس لانه لا يريد متابعـــة الحرب او لانه تنكر لمقاصدنا التحريرية والقومية ، ليس لان الحرب أنهكته ويريد تجنبها ، بل لان الاتحـــاد السوفياتي تخلى عنه ، ويريده ان يقبل بحل من هذا النوع كي يتجنب مجابهة عسكرية مع الولايات المتحدة . ولكن حتى الان ليس هناك اي دليل او شاهد يشير الى ذلك ، على العكس تماما ، فالوقائع كلها تدل ان الاتحاد السوفياتي مثابر حتى النهاية في دعم وتأييد المطلب العربي بضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة في حزيران ، فلا يبقى من هذه الاراضي في يدها شبر عربي واحد .

ولكن حتى وان افترضنا المستحيل ، أي قبول اسرائيل بالانسحاب من جميع الاراضي المحتلة في حزيران ، فهذا لا يعني حلا سلميا في المدى البعيد . فالعرب لا يمكن لهم تجاهل وجود الاحتلال الاسرائيلي الذي شرد شعب فلسطين ، الذي أذلهم وامتهن كرامتهم ، الذي يشطر الوطن العربي الى شطرين ، يجعله أسير التخلف ولقمة سائغة للاستعمار والتجزئة . فمسيرة الثورة العربية ستدفع الى ظهور حركات وقيادات ثورية جديدة تستطيع أن تستغل بعض الاوضاع الدولية المناسبة لمتابعة تحرير فلسطين وانهاء وجود اسرائيل . المهم في وضع كهذا هو الشروط الاساسية الثابتة للقوة العسكرية السياسية وهي المساحة الجغرافية الواسعة ، القوى البشرية الكبيرة ، والامكانات الاقتصادية . هذه الشروط تتوفر لنا بشكل كبير ، ولكنها لا تتوفر لاسرائيل أبدا . اما الشروط الاخرى وهي التكنولوجيا والتصنيع والتنمية وعقلية جديدة عن طريق تصور ايديولوجي جديد للتاريخ فأمور يمكن توفرها مع الزمن ، بالجهد او الصراع الثوري ، ولكن ان كانت الشروط الاساسية مفقودة ، فلا يمكن توفيرها بأي جهد كان . كل ما نحتاجه في الافادة من هذه الشروط الاساسية المتوفرة لنا هو الوقت والجهد الثوري ، وعندما نستطيع تسخيرها وحشدها ونفيد منها افادة صحيحة تجعل منا قوة عسكرية سياسية بمقاييس هذا القرن ، فانه يستحيل عندئذ استمرار اسرائيل ، كما انه يستحيل علينا عدم استخدامها في اول فرصة ممكنة في متابعة معركة التحرير .

ولكن ان استحال الحل السلمي ، ولا خوف منه ، في الواقع ، فان مناقشة آثاره الممكنة تكون مفيدة لانها تدل على الآثار الثورية ، التي تترتب على متابعة القتال والاستمرار في معركة التحرير ، والتي نحتاجها في تثوير الواقع العربي والانتقال الى مجتمع جديد .

فما هي هذه الآثار ؟

بما ان المجال لا يتسع لدراسة تفصيلية ، سأقتصر على بعض الآثار الاساسية الشاملة التي تتناول المجتمع العربي ككل . هذه الاثار أساسية لانها تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة في جميع مقاصدنا الثورية ، وفي جميع أوضاع الثورة العربية . فهي بمثابة الاصل للفرع .

(١) الحل السلمي قد يقضي — هذا ان لم نقل سيقضي — نهائيا على المقصد الثوري الاول الذي نريده أو يجب أن نريده ، أي على الدولة الثورية الواحدة التي تجمعنا من الخليج الى المحيط . معركة تحرير فلسطين معركة يفرض ديالكتيكها الخاص المستقل أن تكون معركة قومية وحدوية ثورية ، وهي تغذي وتدعم وتعمق النزعة الوحدوية ، وتدفعها دفعا الى الوحدة العربية . بما أن الدولة الثورية الواحدة هي قاعدة جميع مقاصدنا الثورية الاخرى ، فان معركة فلسطين تصبح رقبة جسر الى هذه المقاصد ، اي الى المجتمع الجديد الذي نريد اقامته . الحل السلمي قد يقتل نهائيا امكان ولادة هذا المجتمع ، لذلك كان من الضروري مقاومة هذا الحل .

اشكال الصراع المختلفة كانت باستمرار من أهم أسباب التوحيد السياسي التي كانت توحد بين جماعات مختلفة في مجتمعات سياسية أكبر ، الحرب ضد عدو خارجي كانت تأتي في طليعة هذه الصراعات .

الحاجة الى تركيز القوى والطاقات الممكنة في أي صراع اجتماعي وسياسي ، وخصوصا عندما يكون من النوع المصيري الذي نعانيه في معركة تحرير فلسطين ، لا تحتاج في الواقع الى تدليل . هذا التركيز هو الأداة التي تسمح بحشد هذه القوى والطاقات ، دون تبذير ودون اضاعة كبيرة للوقت والجهد . جميع أشكال الصراع السياسي والاجتماعي والعقائدي في التاريخ تدل على ذلك ، وبشكل يسمح بالاستنتاج أن التركيز هو من أهم القوانين التي يفرضها هذا الصراع . لهذا نجد أن كثيرا من المجتمعات التاريخية كانت توفر حتى أثناء السلم ، نظاما سياسيا وعسكريا آخر يعبر عن هذا التركيز ، ويمكن اللجوء اليه عند الحاجة ، اي عند تعرض المجتمع لازمة خارجية او

داخلية كبيرة . خذ مثلا مجتمع الهنود في شمالي اميركا ، فاننا نجد فيه نظامين مختلفين ، واحدا للسلم وآخر للحرب ، نفس الشيء يطالعنا في العالم القديم وخصوصا في روما ، كما انه يبرز واضحا في الديمقراطيات الغربية الحديثة التي افسحت المجال في دساتيرها لهذا التركيز الذي يجب تحقيقه اثناء الازمات او الحرب . ثم اننا نرى نفس الشيء في بعض التنظيمات المهنية في القرن التاسع عشر ، التي كانت تمارس تنظيما معينا اثناء الاوقات العادية، وتنظيما آخر يؤكد درجة من التركيز يوحد بينها اثناء الازمات والصراع. التجارب التاريخية تدل بوضوح ان المجتمعات المجزاة تجد وحدتها وتحققها في دولة واحدة نتيجة الصراع مع عدو خارجي . ان سويسرا توفر لنا مثلا واضحا عن اثر النكبات الوحدوي . فحتى القرن التاسع عشر كان ما يجمع هذه البلاد يقتصر على تحالف عسكري فقط بين كانتونات مختلفة ومنقسمة ، دينيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ولغويا ، تتعاون فيما بينها فقط بسبب خطر الغزو الخارجي . فابتداء من عام ١٢٩١ ، كان سكان سويسرا يتساندون من وقت الى آخر بسبب ضرورات دفاعية ، ولكنهم لم ينشئوا اية مؤسسة سياسية مشتركة الا عام ١٦٤٨ . ففي ذلك التاريخ اقاموا مجلسا تشريعيا مشتركا ، ولكن هذا المجلس كان في الواقع مجرد مكان يلتقي فيه سفراء مستقلون يمثل كل منهم مصالح كانتونه القومية الخاصة . الوحدة السياسية جاءت في ذيل الغزو النابليوني ، الذي كان من نتائجه تحالف البورجوازية مع الحرفيين والعمال في ثورتين ، عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٨ ، ضد الارستقراطية الحاكمة ادتا في النهاية الى تثبيت الوحدة والديمقراطية الليبرالية. ولكن شخصية سويسرا القومية كانت قد تطورت وتبلورت سابقا ، بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر اثناء تلك الصراعات الحاسمة التي خاضتها في سبيل استقلالها .

فيتنام حققت وحدتها من لانج سون في الشمال الى كاموه في الجنوب في مراحل قصيرة من تاريخها الطويل ، في الفترة التي كانت تقاوم فيها الصين ، اثناء نضالها ضد الاستعمار الفرنسي ، وحاليا في صراعها ضد الامبريالية الاميركية .

من الحقائق المعروفة ان حرب المائة عام هي التي عجنت وصنعت وحدة فرنسا ، وان هذه الوحدة وطابع فرنسا الخاص تثبتا وقويا اثناء صراعات الثورة الفرنسية .

وحدة هولندا ووعيها القومي تبلورا واستقرا ايضا اثناء حرب الاستقلال ضد اسبانيا . والحرب ضد العرب هي التي وحدت بين مناطق اسبانيا المختلفة وادت الى انشاء دولة واحدة .

الثورة الهوسية وصراعاتها في القرن الخامس عشر كانت عاملا اساسيا في ولادة الشخصية التشيكية والوعي القومي التشيكي .

العصبة الاخية اليونانية برزت نتيجة الحرب ضد مقدونيا ، والحلف اليوناني الاتحادي المسمى بـ (Delos League) تحقق بقيادة اثينا كرد على الغزو الفارسي . وكان من نتائجه رد هذا الغزو والانتصار عليه .

الاستعمار مزق وحدة بولندا ، وطيلة قرن ونصف بعثر هذه الوحدة ، ولكن بولندا لم تمت ، وكانت وحدتها النفسية تترسخ بسبب تلك النكبة نفسها .

غزو الغرب لروسيا وسلخ أراضيها عنها ابتداء من القرن الثالث عشر قاد كرد أول الى ظهور نظام سياسي قومي جديد فرض على روسيا الوحدة السياسية التي تحتاجها ان هي أرادت أن تحافظ على بقائها . لذلك لم يكن غريبا ، كما يكتب توينبي ، أن يولد هذا النظام الاوتوقراطي في موسكو ، المدينة التي توجد في الطريق الذي يتبعه كل غاز غربي يريد غزو ما تبقى من روسيا .

تشكيل شعب اميركي من عناصر مختلفة، وشتيت من الجماعات المتناقضة يعود بالدرجة الاولى الى حرب التحرير ضد بريطانيا . جورج واشنطن اكد على هذه الناحية في أوامره الوداعية الى الجيش عام ١٧٨٣ ، عندما أعلن : « من رأى سابقا حشدا منظما يتشكل

راسا من تلك المواد الخام !.. اي انسان - لم يكن شاهدا عيانا لما حدث ، كان يستطيع أن يتصور ذلــك الزوال السريع لأعنف أهواء التغرض ، والتحيز المحلية ؟.. من كان يستطيع أن يتصور أولئك الرجال الذين أتوا من مناطق القارة المختلفة ، الذين يميلون ، بسبب عادات التربية التي تعودوها ، الى ازدراء ومخاصمة بعضهم بعضا ، يتحولون فجأة الى عصبة وطنية من الاخوة ؟.. » .

حرب التحرير هي المسؤولة عن ذلك ، وهي التي خلقت ، عبر الكفاح المسلح الطويل ، تلك الوحدة القوميـــة الجديدة . فقبـــل تلك الحرب ، لم يكن هنـــاك أي شعور ولاء لـــ « أميركا » ، لان الولاء كان يتجه اما الى بريطانيا ، وامـــا الى الولايات الفرديـــة المختلفة التي كانت تعيش منفصلة عن بعضهـــا ، متباغضة ، متخاصمـــة ، متنافرة ، متهاترة ، سياسيا ، واقتصاديا ، واخلاقيا . كثيرون من معاصري تلك المرحلـــة ، مـــن أميركيين ، ومن أجانب ، علقوا آنذاك على هذه المشاحنات والانقسامـــات الصريحة ، وكثيرون ، كفرانكلين ، كانوا متشائمين من امكان تجاوزها .

هنا تجدر الملاحظة أن أميركا اللاتينية التي لم تواجه هذا النوع من الصراع الخارجي ضد المستعمر لم تستطع ان تحقق الوحدة التي استطاعتهـــا الولايات الاميركية . فحرب التحرير ضد اسبانيا كانت محدودة ، لم تتطلب تلك المواجهـــة القاسية الطويلة التي عانتها الولايات الاميركية . فالضغط الاسباني كان ضعيفا ، ولذلك كان بامكان بعض المناطق أن تحقق حريتها دون أن تخوض معركة واحدة ضد اسبانيا .

وحدة بريطانيا ، وكذلك وحدة المانيا ووحدة ايطاليا تعود أيضا اساسيا الى صراعات مع أعداء من الخارج .

بلدان آسيا وافريقيا كانت تعيش في ظل أنظمة تقليدية ثابتة، ولا تتميز بديناميك اجتماعي تاريخي . المرحلة الانتقالية التي تمر بها الآن تعني فيما تعنيه أن هذه البلدان أصبحت تعاني هذا الديناميك . أما الاسباب التي فجرته، فلم تكن داخلية ، تتمثل في قوى انتاجية وطبقية جديدة ، بل خارجية تقوم في نكبات أصابتها نتيجة هزائمها أمام الغزو الغربي . هذا الغزو هو الذي حرك أولا شعوب هذه البلدان ـــ وخصوصا الاسيوية ، ودفعها الى التحول ، وهو الذي قاد الى ظهور طبقات وقوى انتاجية جديدة كانت جزءا من الرد ضده .

هذا لا يعني أن البلدان الاسيوية والافريقيـــة لم تعرف التحولات الداخلية في الماضي . ففي ماضيها الطويل الذي يمتد الى آلاف السنين ، عانت هذه البلدان تحولات عديدة ولكنها لم تعرف ما يمكن تسميته بردود الفعل المتسلسلة التي يقود فيها تحول ما الى تحول آخر ، بسلسلة متتابعة من التحولات المترابطة ، وبشكل يشعر فيه الناس أن التحول شيء طبيعي، وهو ما نعنيه عندما نتكلم حاليا عن الديناميك الاجتماعي التاريخي. هذا النوع من التحول لم يفرض ذاته عليها نتيجة تطور بطيء ، بل نتيجة كوارث وهزائم من الخارج ، كان من أولى نتائجها الكشف عن افلاس الانظمة والطبقـــات التقليدية ، وتشتيت وحدة الوجود التقليدي . ماركس كان ، بين مؤسسي السوسيولوجيا الحديثة، أول من نبه الى أثر هذا الغزو الثوري في آسيا . فقد كتب أن استعمار الدول الاوروبية لآسيا كان قاسيا وشرسا ، ولكنه قوة تدعم ـــ طبعا من حيث لا تريد ـــ التقدم في البلدان المتخلفة . ذلك الاستعمـــار كان قاسيا ـــ وكل تقدم في نظـــر ماركس يكون في الاغلب قاسيا ـــ ولكنه في الوقت نفسه كان نافعا لانه ينهي ذلك السبات الطويل الـــذي ساد آسيا ، ويدفع شعوبها الثابتة « في المجرى الاساسي للتطور التاريخي » .

هذه الوحدة التي تنتج عن صراع ضد غزو ، استعمار أو صراع خارجي تؤكد ذاتها في صعيد آخر هو صعيد الاقليات الدينية والقومية . فهذه الاقليات تحقق عادة درجة من الوحدة والشعور الواحد لا تتوافر للأكثرية التي تحيط بها ، وذلك بسبب الضغط الذي تعانيه من الخارج .

ماركس جعل الصراع الطبقي ضد الرأسمال والرأسمالية الشرط الاساسي في تحول العمال الى طبقة واعية لذاتها ، لوحدتها ووحدة مصالحها . فالوحدة الطبقية تنتج عن حالة صراع موضوعية . وعن طريق معاناة هذا الصراع ، طريق استيعائه والعمل بوحي هذا الوعي ، يمكن للطبقة أن تحقق شخصيتها .

الرد على نكبة خارجية تتمثل في غزو ، احتلال او استعمار كان لا يقتصر تاريخيا على التوجه ضد المعتدين الاجانب فقط ، بل كثيرا ما كان يحاول التحرر على جبهتين ، من هؤلاء ، ومن الانظمة والطبقات الوطنية التقليدية الحاكمة التي تفقدها هذه النكبات سمعتها ومكانتها وشرعيتها. هذا الوضع كان يؤدي الى تحالف بين الاسياد من الخارج، والاسياد من الداخل ، وهو تحالف اكد ذاته تقريباً في جميع بلدان آسيا وافريقيا .

اليابان كانت اول مجتمع في آسيا وافريقيا دخل العصر الحديث ، وقد استطاعت ان تقوم بذلك رغم موانع هائلة . ففي عام ١٨٦٨ ، عندما اخذت حركة التنمية تؤكد ذاتها ، كانت اليابان لا تعتمد الاساس الصناعي الذي كان بامكان الغرب اعتماده عام ١٨٠٠ ، او حتى روسيا عام ١٩٠٠ . فأرضها المزروعة كانت صغيرة محدودة ، وكانت تحتاج الى المواد المعدنية الاساسية ، كما ان الوضع الدولي آنذاك لم يكن يسمح لها بفرض تعرفة جمركية تحمي انتاجها ، أو الاعتماد على مستعمرات كمصدر للتصنيع والاسواق . ولكن هذا المجتمع الزراعي الفقير استطاع فعلا أن يخلق اقتصادا حديثا . بداية الطريق كانت نكبة خارجية نتجت عن غزو أجنبي ، وادت الى ثورة داخلية ، كان قصدها الاول والاخير معالجة الوضع . حتى عام ١٨٦٨ ، كانت قبائل التاكوجوا تحكم اليابان في نظام اقطاعي انموذجي ، وتصونها ضد كل احتكاك مع الغرب . ولكن هذا الغرب تدخل بشكل جذري عندما اخذت بواخره عامي ١٨٦٣ و١٨٦٤ ، تضرب مدينتي شاشو ، وساتسمو . هذا الدليل القاطع على تفوق التكنولوجيا الحديثة أقنع طبقة أخرى، خارج السلطة ، مستثناة منها ، وهي طبقة الساموراي ، بأنه على اليابان ان تنقض طريق حياتها التقليدية ان هي ارادت حريتها وبقاءها ، فجمعت صفوفها في حركة تمرد ناجحة تسلمت فيها السلطة من الطبقة السابقة . في العهد الجديد ، المعروف بعهد الماييجي ، تابعت اليابان برنامج تصنيع وتحديث نشيط وناجح تأدى بها في بضعة عقود من السنين الى دخول القرن العشرين .

هذا الذي حدث في اليابان كان ظاهرة أعادت ذاتها في جميع الردود الثورية على الاستعمار الخارجي في جميع بلدان آسيا وافريقيا، وهي الان ابتدأت تؤكد ذاتها في اميركا اللاتينية . ففي هذه البلدان كان الرد على الاستعمار يعني التحرر من الطبقات التقليدية الحاكمة ومن الانظمة التي تمثلها . الهزائم الخارجية تدل بوضوح ان النظام التقليدي عاجز عن حماية وحدة وكيان الامة ، فتنخفض او تزول شرعية الطبقات الحاكمة ، وهي تؤدي ، من جهة اخرى ، الى افراز طبقات وفئات جديدة كان يتمخض عنها النظام التقليدي ، فتدفعها الى الاستيلاء على السلطة كأداة في اجراء تغيير اساسي في الوضع الراهن ، فكلما اشتدت الهزائم والنكبات اشتدت حدة الردود الثورية. فان كانت روسيا والصين مثلا قد مارستا حلا جذريا ثوريا شاملا لمشكلة التخلف على نقيض الهند التي تمارس حلا ليبراليا اصلاحيا براجماتيا ، فالاختلاف يعود بمقدار كبير الى النكبات الخارجية والداخلية التي تعرضتا لها ، بينما كانت الاخيرة تنعم بقرن من الاستقرار . التجارب الاوروبية الثورية الحديثة تدل أيضا على الظاهرة نفسها . فجذور الديمقراطية الدانمركية مثلا تعود الى هزيمة أصابت الدانمرك . تحالف الدانمرك مع نابليون ، ومن ثم انكسارها العسكري ، كان العامل المباشر الذي حرض على اجراء تحولات سياسية واجتماعية كانت نتيجتها تثبيت الديمقراطية الليبرالية عام ١٨٨٠ عن طريق طبقات جديدة هي طبقات الفلاحين والبورجوازية .

وفي هولندا تعود أيضا الديمقراطية الليبرالية الى هزيمة الطبقة الحاكمة الاقطاعية امام

جيش نابليون ، وهي هزيمة ادت الى ظهور حزب الوطنيين الذي تشكل أساسيا من طبقة التجار وانتهى بعد كثير من الاضطرابات الى ترسيخ هذه الديمقراطية عام ١٨٦٨ ضد ارادة الملك والاقطاعيين .
وفي ايطاليا كانت الديمقراطية الليبرالية نتيجة رد ثوري على هزيمة خارجية أمام الغزو النابليوني . وهكذا دواليك !..
وفي اميركا اللاتينية نجد مثلا ان النكبة التي أصابت بوليفيا في حربها مع البارجواي بين عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٥ أدت الى نتائج سياسية واجتماعية ثورية لم تكن في حسبان الطبقة الاقطاعية الحاكمة آنذاك . بما أن الحكومة كانت تحتاج في هذه الحرب الى جميع القوى البشرية المتوفرة ، فانها أخذت في تجنيد جماهير الفلاحين التي كانت منذ الفتح الاسباني مستثناة من الحياة السياسية وتعيش خارجها . هذا التجنيد جعل هذه الجماهير تشعر لأول مرة بأنها جزء من المجتمع ، خاصة وان الطبقات الحاكمة كانت تعمل اثناء الحرب على ايقاظ الشعور القومي الذي كانت تحتاجه . الهزيمة نزعت من هذه الطبقات هيبة السلطة وشرعيتها وادت الى تمرد الجماهير عليها ، والى دخولها في حركات اشتراكية وليبرالية ثورية غايتها تغيير قواعد النظام السياسي الاجتماعي . هذا التحول أدى في النهاية ، عبر اضطرابات وثورات متتابعة الى ثورة اجتماعية كان من نتائجها تأميم البترول والصناعات المعدنية الاساسية ، وتوزيع الارض على الفلاحين .
وفي كوبا ، كانت الثورة الاخيرة بقيادة كاسترو الرد الثوري على غزو الامبريالية الاميركية البلاد وتواطؤ الطبقات الحاكمة معها .
الشيوعيون في الصين ، يوغسلافيا ، البانيا ، البلقان ، وفيتنام ، استلموا السلطة بعد حروب ثورية ضد محتل أصاب البلاد بالهزيمة . ففي كل من هذه البلدان ، نجد أن هناك محتلا وحربا ثورية ، وان الاحتلال والحرب قادا الى افلاس ونهاية سلطة الطبقات التقليدية الحاكمة .
الاثر الاول للازمة الاقتصادية التي أصابت الولايات المتحدة في أوائل الثلاثينات لم يكن اقتصاديا فقط بل نفسيا . فقد هدمت تلك الازمة وجاهة الطبقة الحاكمة التقليدية ، التي كانت تسود دون مقاومة او تحد منذ الحرب الاهلية . فالسلطة الاقتصادية نكبت نكبة هزتها من الاساس ، والشعب خسر ثقته القديمة بها . اصحاب البنوك والاعمال الكبيرة انفسهم خسروا آنذاك الايمان بقدرهم الخاص .
من ناحية اخرى يمكن القول أن التجارب التاريخية تدل ايضا ان المجتمعات والطبقات والاحزاب تخسر وحدتها عندما لا تجد عدوا يناصبها العداء والصراع . كثيرون من المؤرخين دلوا مثلا على هذه الناحية في دراستهم للحركة البروتستانتية ، التي تعني الرفض والتمرد . فقد قيل انها كانت تخسر « وحدتها » و« حيويتها » عندما لا تجد أمامها عدوا تمارس الرفض والتمرد ضده ، وأن هذه الوحدة كانت تنحسر الى درجة تدفع الى ظهور نفس الصراع مع العدو في اطار تركيبها ذاته ، اذ كانت تنقسم آنذاك الى جناحين متخاصمين متقاتلين ، الجناح الليبرالي ، والجناح المحافظ .
تاريخ الاحزاب السياسية يوفر لنا مثلا آخر على هذه الناحية . ففي الولايات المتحدة مثلا نرى أنه عندما كان ينتصر أحد الحزبين الكبيرين انتصارا نهائيا على الحزب الآخر ، فان وحدة الحزب المنتصر كانت تتلاشى ، فيتبدد الحزب الى جماعات مختلفة متخاصمة .
وحدة الكنيسة الكاثوليكية كانت تجد دائما ما يقوي ويوطد وحدتها في « البدعات » و« الهرطقات » التي كانت تخرج عليها وتخاصمها . فموقفها العنيد الصلب الذي لا يتعرف على اية مصالحة او تسوية مع هذه البدعات والهرطقات ، كان يدفع مختلف عناصر الكنيسة الى الاتجاه في وجهة واحدة ، رغم ما قد يكون بين هذه العناصر من اختلاف او مصالح متباينة .
الانتصار التام على العدو لا يؤدي اذن الى نتائج ايجابية في المعنى السوسيولوجي

للكلمة . فالنصر يضعف الطاقة التي تضمن وحدة المجتمع ، ويدفع العناصر المجزئة ، التي لا تغيب أبدا ، الى أن تطفو على سطح الحياة وتسودها. هذا الديالكتيك ، ديالكتيك الصراع والنصر ، هو من الاسباب التي قدمهـا المؤرخون في تفسير صعـود وهبوط المجتمعات والحضارات المختلفة . فقد قيل مثلا أن انهيـار الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي ، يعود الى انها كانت قد اخضعت تماما أعداءها . لا شك ان أسباب هذا الانهيار كانت عديدة ، ولكن هذا المفهوم يقول أن هـذه الاسباب أصبحت واضحة وأدت الى نتيجتها المحتومة عندما لم تجد تلك الامبراطورية عدوا ما يرفعها فوق تناقضاتها الداخلية .

الوحدات القومية والطبقية تبرز للوجود وتؤكد ذاتها بفاعلية فقط أثناء الازمات والمخاطر الداخلية والخارجية التي تحيق بطبقة أو أمة ما . هذا الشعور الحاد بالوحدة ينكمش عند زوال الخطر والازمة ، وهو في الاوقات العادية يكون هامشيا لان الجماعات المختلفة تتحرك أثناءها تبعا لمصالحها الشخصية والمحلية .

التوحيد قد يجري في خدمة قصد واحد مباشر ، كانتصار في حرب معينة ، وبعد نجاحه او فشله فيما يبغيه ، فان الوحدة التي أنشأها لهذه المناسبة تنفرط ويرجع الفرقاء الى ما كانوا عليه قبل التوحيد ، أي الى كياناتهم السياسية المستقلة. هذا ما صنعته اليونان مثلا ، بعد أن تغلبت نهائيا على الخطر الفارسي . ولكن التجارب التاريخية تدل أيضا ان هذه الوحدات السياسية التي تنشأ في الصراع وفي خدمـة مقاصده ، تستمر بعد انتهاء دور القتال والحرب ، اذ تتميز آنذاك بمصالح ومقاصد جديدة ، وتعتمـد قوى توحيدية لا تختلف عن تلك التي انطلقت منهـا . ان مغزى الصراع الخارجي ، في هـذا الصعيد ، يكمن في الواقع ، في التعبير عن وحدة ممكنة أو ضمنية (Latent) . فهو لا يشكل قصدا للتوحيد ، بل بالاحرى ، فرصة مناسبة في تحقيق هذه الوحدة الممكنة ونقلها الى حيز الفعل .

العمل العربي الوحدوي الثوري لا يجد ضرورته المصيرية بسبب معركة التحرير ضد الاحتلال الصهيوني فقط ، او في كون العرب ، من الخليج الى المحيط ، يشكلون أمـة واحدة ، تبغي التعبير عن ارادتها في دولة واحدة ، بل هو يجدهـا في جميع مقاصدنا الثورية الجديدة ، التغلب على التخلف ، الانتصار على الامبرياليـة ، تحقيق التنمية الاقتصادية الفعالة والتصنيع الحـديث ، دخول القرن الواحـد والعشرين ، وتحقيق اشتراكية صحيحة . لهذا فان معركة التحرير لا تعني فقط قوة دفع زاخمة نحو الدولة الواحدة ، بل هي اداة تكشف عن قوى واتجاهات وحدوية كامنـة تدعو المعركة الى تفجيرها ، وتدفع الى هذا التفجير .

هذه الملاحظات التاريخية* تدل بشكل واضح على دور الصراع ضد عدو خارجي في توحيد المجتمعات المجزاة ، ومنها يمكن القول ان معركة تحرير فلسطين ضرورة أساسية في تحقيق المقصد الثوري الاول الذي يشرط كل مقصد آخر ويجعله ممكنا . فان كانت هذه المعركة غير موجودة وجب علينا خلقها .

هذا يكشف بوضوح عن الخطر الذي ينطوي عليه أي حل سلمي — هذا ان افترضنا امكانه — . فهو لا يعني خسارة فلسطين ، شطر الأمة العربية الى شطرين ، تشريد عرب فلسطين ، اذلالنا بشكل نهائي ، بل سد طريق الوحدة ، اي الطريق الى جميع مقاصدنا الثورية .

المقياس الوحدوي هو المقياس الاول الذي يتقدم على ويقاس به كل مقياس ، كل موقف ثوري آخر . فالعربي الثوري الذي لا يقيس جميع أعماله ومواقفه ، جميع تخطيطاته الاستراتيجية والتكتيكية بهذا المقياس الوحدوي ، يعثر الثورة، وهو ليس بثوري، او هو

* — راجع كتاب **الفعالية الثورية في النكبة** ، لكاتب المقال ، حول هذا الموضوع .

بعبر عن ثورية مبتورة تزيد أضرارها على فوائدها .
(٢) التذرر الاجتماعي ، أي خسارة الفرد للعلاقات العضوية التقليدية التي تشده الى الوجود التقليدي ، وحداته الاجتماعية الاساسية ، عاداته ، قيمه ، وأنظمته ، يشكل اساس الحركات الثورية الجذرية الشمولية . فدون درجة كبيرة من هذا التذرر يستحيل هذا النوع من الثورات . حرب تحرير فلسطين هي اداة فعالة في احداث هذا التذرر في المجتمع العربي ، اي في احداث وضع نحتاجه في توفير الابعاد الجذرية الشمولية التي تحتاجها الحركة العربية القومية الاشتراكية الوحدوية في تجاوز ذاتها . الحل السلمي يعني انهاء هذه الحرب والغاء الوضع الثوري الذي ينتج عنها . لذلك كانت مقاومة الحل السلمي ضرورة ثورية .
خروج الافراد والجماعات من الوجود التقليدي خروجا ماديا ونفسيا هو الشرط الاساسي للثورة المتكاملة ، للثورة الجذرية الشمولية ، وذلك لسبب بسيط ، بله بده واضح . فثورة من هذا النوع تعني تدمير النظم والانظمة والقيم والوحدات الاجتماعية الاساسية التي يتشكل منها الوجود التقليدي ، تعني تجديد الانسان نفسه وخلقه من جديد في اطارات نفسية وعقلية وايديولوجية جديدة تعبر عن ذاتها في مجتمع جديد . هذا يعني ان الجماعات والافراد الذين لا يزالون يعانون ويعيشون الروابط التي تربط بينهم وبين تلك النظم والانظمة والقيم والوحدات والاطارات التي تسود الوجود التقليدي ، يعجزون عن المساهمة الفعلية في احداث الثورة أو الانتماء لها ، لان طاقاتهم تكون مجمدة بتلك الروابط . لذلك كان انهيار أو تفسخ او تمزيق هذه الروابط الشرط الاساسي الذي يشرط جميع الاوضاع الاخرى في تكامل الثورة ، وفي احداث جذريتها وشموليتها .
الحروب الخارجية والاهلية هي من اهم القوى التي كانت عبر التاريخ تؤدي أفقيا وعموديا الى درجة عليا من التذرر الاجتماعي الذي كان يؤدي ويدفع بدوره الى تحولات اجتماعية وسياسية وايديولوجية ثورية جذرية ، هذا التذرر يعني انهيار الوحدات الاجتماعية التي كانت تضبط سلوك الفرد ، فيصبح الافراد أنفسهم الوحدات الحقيقية ، وذلك لان التذرر يهدم ويدمر تلك الوحدات التقليدية التي كانت تقف بين الفرد والمجتمع ككل ، او بين الفرد والدولة ، هذا يفرض على الفرد نفسه أن يختار سلوكه وان يتحكم فيه ، وهذا بدوره يدفعه الى ارتباطات ثورية تعبر عن ذاتها في وحدات جديدة . ثورات روسيا والصين وفيتنام مثلا لم تنتج فقط عن تناقضات داخلية تفرعت عن قوى انتاجية جديدة بل عن درجة كبيرة من التذرر الاجتماعي ولدتها حرب تحريرية ضد احتلال استعماري .
دون هذا التذرر يستحيل علينا بناء مجتمع جديد ، او تحويل المجتمع التقليدي بشكل اساسي جذري ، فقد ندخل اليه التحويلات السياسية والاجتماعية ، وقد نصبغ عليه التنظيمات والتشكيلات الثورية ، ولكنه يبقى تقليديا ، على الاقل نفسيا وعقليا وأخلاقيا وايديولوجيا ، ان لم يتقدم تلك التحويلات والتنظيمات والتشكيلات درجة معينة من التذرر . لا شك ان هذه الاجراءات والتغييرات تؤدي في المدى البعيد الى هذا النوع من التذرر ، ولكن سيفرض آنذاك هذا التذرر تحويلات أخرى على صعيد ثوري جديد . فكيفما نظرنا الى الموضوع نجد ان درجة معينة من التذرر شرط اساسي لا يمكن دونه تحقيق تحولات ثورية ، كما أن الانتقال من صعيد ثوري الى صعيد آخر اكثر جذرية يفترض توسيع درجة التذرر السابقة .
معركة تحرير الارض المحتلة فرضت علينا ولم نخترها ، وهي فرضت علينا في وقت ومرحلة لم تتوافر لنا فيهما تلك الدرجة من التذرر التي تنفتح لتحولات ثورية جذرية تسمح بارتفاعنا الى صعيد المعركة . ولكن المعركة نفسها ، وقد فرضت علينا ، ستوفر هذا النوع من التذرر الذي يفجر الامكانات والطاقات التي لا تسمح فقط في التغلب على

الاحتلال ، بل تدفع الى انشاء المجتمع الجديد . وهي ستفجرها لانها تفرض على العربي المشارك فيها ، مباشرة او غير مباشرة ، ارتباطات وانتماءات سياسية وايديولوجية وتجارب نفسية واخلاقية وقواعد سلوكية يومية لا تنسجم مع الارتباطات والانتماءات وقواعد السلوك التقليدية ، وتؤدي ضمنا ، على الاقل ، الى تفتيت هذه الاخيرة وانهيارها .

الولاءات والانتماءات التي كانت تسود سلوك العربي هي اساسيا ومن ناحية عامة انتماءات وولاءات عائلية وقبلية ومحلية ودينية ، وليست طبقية او حتى عربية او قومية. الوحدة العائلية او العشائرية كانت الوحدة التي تشكل قاعدة السلوك العربي طيلة قرون عديدة ، وتمتد جذورها الى تاريخ سحيق . اما الاطار العام الذي كانت ترتبط به هذه الوحدة والسلوك الذي يتفرع منها ، فكان دائما اطارا دينيا. هذا الاطار كان الاطار الذي كانت تتعاون فيه هذه الوحدات ، تحدد فيه وبه مقاصدها العامة في الحياة ، وعلاقتها مع التاريخ .

ولكن مفهوم الامة والقومية برز واخذ يعمل في بسط ظله على المجتمع العربي بشكل غايته ان يحل محل تلك الوحدات والاطار الذي يعمل فيه . ثم ما لبث هذا المفهوم ان اقترن بمفهوم آخر جذري وثوري هو مفهوم الثورة الاجتماعية الذي اضاف الى المفهوم الاول ليس فقط فكرة تغيير النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، بل نوعا جديداً من الارتباط هو الارتباط الطبقي الثوري . هذه المفاهيم تعني ولاءات وانتماءات جديدة تعمل في ديالكتيكها الخاص على اقتلاع جذور الولاءات والانتماءات التقليدية. هذا التحول يعني صداما بين هذين النوعين من الولاءات والانتماءات ، يؤدي بدوره الى انفصام في المجتمع والدولة والانظمة المختلفة ، وفي ذات الفرد نفسها ، يمهد الطريق ويخلق الوضعية الملائمة لتجديد الفرد والمجتمع . ولكن كي يحدث ذلك على نطاق افقي وعمودي مناسب يجب ان تتفتت علاقات الفرد العربي العضوية بالوحدات الاجتماعية التقليدية. الحرب التحريرية اداة فعالة في هذا السبيل ، لذلك كان اي انحراف عنها انحرافا ليس فقط عن ضرورات تفرضها معركتنا ضد الصهيونية ، بل عن مقاصدنا الثورية كلها .

هذا التناقض هو ، بكلمة اخرى ، تناقض بين الثقافة التقليدية وبين الثقافة الحضارية الحديثة التي اخذت تغزوها . انه ، بكلمة توينبي ، اهم واقعة في القرن العشرين ، وهو ، في اي شكل يعبر عن ذاته اولا ، سياسيا كان هذا الشكل ، او تكنولوجيا ، او اقتصاديا ، فلا مندوحة له من التحول الى تناقض اخلاقي وايديولوجي . انه حالة من التوتر بين مواقف ومفاهيم اخلاقية وفكرية وايديولوجية شاملة ، متناقضة ومتصارعة ، نتيجتها المحتومة هي غلبة المفاهيم والمواقف الحضارية الحديثة على المفاهيم والمواقف التقليدية .

ان الذات ، في ابعادها النفسية والعقلية تستمد غذائها ومقوماتها من العالم الخارجي ، من الاوضاع المختلفة التي تحيط بها من الخارج ، ومفاهيمنا السياسية والاجتماعية والاخلاقية والايديولوجية والميتافيزيقية نفسها تتفرع نهائيا من الواقع الموضوعي (Reality) . التكيف مع تحولات هذا الواقع يستلزم دائما وقتا ونفسا طويلين . ولكن عندما تهتز الاطارات العقلية والنفسية التي تجد فيها الذات التقليدية وحدتها ، اهتزازا ينتج عن علاقتها بتحولات جذرية تحدث في المحيط الخارجي ، تفقد هذه الذات قدرة الامساك بهذا الواقع ، قدرة توجيهه او التوجه فيه ، فتتخبط وتصبح في بلبلة ، وبذلك تخسر مقاصدها الفاعلية . هذا ما ابتدأ يحدث فعلا الآن في المجتمع العربي ، وفي كل مجتمع آسيوي آخر ، والنتائج هي واحدة متماثلة ، حالة من الضياع والبلبلة الاخلاقية والنفسية والايديولوجية .

نزع السلطة عن المفهوم الديني والرجعية التي تمثله ، تجريد الطبقات الاقطاعية من دورها الاقتصادي والسياسي، العائلة او القبيلة من دورها واهميتها كالوحدة الاجتماعية

الاساسية ، وادخال التكنولوجيا ، والعلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة ، والتصنيع ، والنظم التربوية الجديدة ، الـى المجتمع التقليدي ، كل هـذا يؤدي الى نتائج نفسية واخلاقية واجتماعية وفكرية وايديولوجية جذرية التحول وهائلة النتائج .
أن ما يمكن أن نسميه بالازمة الانتقالية التي يعانيها العربي — والانسان الآسيوي في جميع مجتمعاته — هي في الواقع أزمة الانتقال من هذا النوع من الولاءات والانتماءات التقليدية الى نوع آخر ينقضه . هذا الصدام بين هذين النوعين يشكل فحوى هذه الازمة ومضمونها الاساسي. بما أن النوع الجديد ليس نتيجة تصورات ذاتية او مواقف تبشيرية بل ينتج حتما عن القوى الحضارية الجديدة التي تغـزو المجتمع العربي ، فان الوقت يعمل له والزمان يقف الى جانبه . الثوري هو اذن انسان يعمل جهده في استخدام كل وسيلة ممكنة في مساندة هذا النوع ، في تغذيته ، وفي دفعه ، ليس لان انتصاره يرتبط بهذا الموقف ، بل لان هذا الموقف يسرع في تحقيق ديالكتيكه المستقل ويختصر الطريق امامه ، وبذلك يفسح الطريق امام القوى الحضارية الجديدة الفاعلة في المجتمع العربي التقليدي بأن تسرع الخطى وتحث السير نحو غايتها المحتومة : توليد مجتمع جديد . هذا المجتمع قد يتخذ أشكالا عديدة ، ولكن لا مفر لها كلها من الالتقاء في ارضية واحدة مشتركة ، وهي نقض المجتمع التقليدي والغاؤه .
هذه الملاحظات التي تكشف لنا أن درجة من التذرر الاجتماعي يجب أن تتقدم كل تغيير ثوري توضح وتفسر لنا كيف أنه لم يكن مـن قبيل الصدفة أن الحـركات والانقلابات العسكرية ، وليس الاحزاب الثورية ، كانت حتى الآن في افريقيا وآسيـا اداة التغيير الاولى . ذلك يعود الى كون الجيش مؤسسة تحدث درجة مـن التذرر لا يعرفها بعد المجتمع القبلي ، العائلي ، الزراعي ، الديني التقليدي . فعند المقارنة نجد ان الجيش يتميز بدرجة من الفردية لا يتميز بها هذا المجتمع . فبين السلطة العسكرية وبين الفرد لا توجد وحدة أو سلطة وسطية ، لان وحدة من هـذا النوع تضعف أو تلغي وحدة وضرورة السلطة العسكرية التي لا يمكن لجيش أن يتكون دونها ، لذلك كانت التشكيلات العسكرية تؤدي الى نوع من الفردية في العلاقات الاجتماعية لانها تضعف الوحدات التقليدية الاساسية لهذه العلاقات . ثم أن السلطة العسكرية تعمل عن طريق أوامر لا تتفرع من التقاليد والقيم التقليدية ، بل من صعيد خاص بها . لذلك فهي تتميز بدرجة من الحرية الاخلاقية مجهولة في المجتمع القبلي أو الزراعي التقليدي . أما من ناحية ثالثة ، فان التشكيلات العسكرية تحاول ، على عكس هذا المجتمع ، أن تكون عقلانية في توزيع السلطة والادوار التي يفترض فيها أن تكون في أكثر الايدي أهليـة ، بصرف النظر عن المكانة العائلية ، الاصل الاجتماعي ، أو السن .
هذه الدرجة من التذرر الاجتماعي التي تميز التشكيلات العسكرية هي السبب الذي جعل هذه التشكيلات تقبض على زمام المبادرة في محـاولة تكييف المجتمع مع القوى الحضارية الحديثة ، وذلك لان الفرد المتذرر ، أي الذي تحرر بقدر ما على الاقل من الولاءات والانتماءات التقليدية يستطيع ان ينفتح لارتباطـات جديدة تتجاوب مع هذه القوى الحديثة ، بينما أن الفرد التقليدي يعجز عن هذا الانفتاح ، فيبقى على الرغم من الاكثرية الكبيرة التي يمثلها ، على هامش التاريخ الذي يصنع نفسه بشكل جديد . لهذا لم يكن من قبيل المصادفة ايضا ان الحركات السياسية الثورية التي استطاعت أن تحول المجتمع تحويلا ثوريا جذريا دون الانطلاق من الجيش كانت تلك التي توفرت لها درجة عليا من التذرر الاجتماعي نتجت عن صراع مجتمع معين ضد غزو خارجي امتد اليه ككل وسامه الاستعباد والاستغلال والمهانة كما نرى مثـلا في الصين وفيتنام وكوريا الشمالية . فهذا التذرر هو الذي جعل جماهير الشعب منفتحة لمعاناة ولاء جديد ، الولاء للحزب الثوري .
كل مجتمع صناعي حديث تقريبا كان وليد صراعات وحروب أهليـة سياسية ودينية

واجتماعية تقدمتها درجة معينة من التذرر ، ووسعت هي بدورها هذه الدرجة الى ابعاد واصعدة جديدة . اننا نجد مثلا واضحا على ذلك في الثورة الانكليزية ١٦٤٠ — ١٦٨٨ ، في الثورة الاميركية ، ١٧٧٥ — ١٧٨١ ، وفيما بعد في الحرب الاهلية التي عانتها الولايات المتحدة وفيها انتصرت الصناعة نهائيا على الزراعة ، ١٨٦٠ — ١٨٦٥ ، في الثورة الفرنسية ، ١٧٨٩ ، في الثورة الروسية ، ١٩١٧ ، في الحرب الاهلية التي خاضتها ، ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

في اطار حياة اجتماعية عادية ، يكون الفرد عادة عضوا في وحدات أو تشكيلات عديدة ، والتناقضات التي لا يخلو منها اي مجتمع تعبر عن ذاتها آنذاك في اشكال ثانوية محدودة من الصراع او الخصام، يحمل اليها الفرد جزءا فقط من ذاته ، دون ان يلتزم كيانيا بها ، ودون أن يعلق بها قضية وجوده نفسه . ولكن عندما يستثني المجتمع جزءا من ابنائه — كاستثناء الزنوج في الولايات المتحدة مثلا — من المشاركة على قدم المساواة مع الآخرين ، في هذه الوحدات والتشكيلات العديدة ، فان التناقضات تصبح أساسية وشمولية تعبر عن ذاتها في اشكال من الصراع العنيف يدخلها الفرد بكل ذاته ، ويلتزم بها بكل كيانه ، لان النظام القائم كان قد استثنى ليس جزءا بسيطا او ثانويا من هذا الكيان من المساهمة فيه ، بل كل الكيان وكل الذات ، لذلك يكون الرد عليه ردا يلزم كل الكيان ، وكل الذات .

تشتت عرب فلسطين لم ينه ويمزق فقط العلاقات والوحدات الاجتماعية التي عرفوها في مجتمعهم الفلسطيني ، بل اخرجهم من المجتمع العربي ككل ، وبذلك وفر لهم الوضع الاجتماعي النفسي الذي يمكنه افراز وضعية ثورية مثلى ، لانه قطع جميع الروابط والعلاقات التقليدية التي تربطهم بهذا المجتمع في وجهيه ، الوجه الفلسطيني والوجه القومي . هذا الخروج من المجتمع التقليدي ، هذا التذرر هو — على الرغم من سلبياته — بداية الانطلاق نحو حياة جديدة ، نحو بناء انسان عربي جديد . فهو لا يستطيع أن يبقى في هذه السلبيات وظواهرها المرضية ، لانه يجد أمامه قضية ثورية كبرى تتميز بمقاصد نبيلة تدعوه الى الالتزام بها ، وعن طريق هذا الالتزام تحقيق وحدة ذاتية جديدة ، تقوده الى ولادة جديدة .

هذا التذرر الذي عاناه عرب فلسطين عن طريق النكبة والمأساة ، فوفر له أولا الخروج المادي من المجتمع العربي التقليدي ، الذي يدفعه بديالكتيكه الخاص الى الخروج النفسي الاجتماعي والايديولوجي منه ، هو التذرر الذي يفرضه القتال في سبيل تحرير فلسطين على العربي . فدونه لا يمكن للعربي أن يكشف عن جميع طاقاته وامكاناته وتكريسها للمعركة ، ودون الكشف عن هذه الطاقات والامكانات لا يستطيع ان يكسب المعركة .

من هذه الملاحظات العامة نصل الى الحقائق التالية التي يجب الارتباط بها :

١ — المرحلة الانتقالية المفروضة علينا فرضا كنتيجة لديالكتيك تفاعلنا مع التاريخ الحديث ، تعني درجة متزايدة من التذرر الاجتماعي والنفسي . أي أن المرحلة الانتقالية تعمل — كنتيجة تلقائية للاقتباسات الحضارية التي نأخذها وتدخل الينا باستمرار ، التي نمارسها ونعانيها ولا قبل لنا بدفعها او التهرب منها — على تهديم الولاءات والانتماءات التقليدية ، وتحويل الفرد العربي عنها .

٢ — ان هذا التذرر الذي يعني تحويل العربي ، بطريقة واعية أو لا واعية ، بشكل مباشر او غير مباشر ، عن تلك الانتماءات والولاءات التقليدية ، ويجعله يعاني حالة من الاغتراب والفراغ لا قبل له بها ، تولد فيه جميع أنواع الاضطرابات النفسية والاخلاقية والانحرافات السلوكية .

٣ — ان هذه الحالة ، حالة الاغتراب والفراغ ، لا يمكن — كما نعرف من التجارب التاريخية الثورية ، او بكلمة محددة اكثر ، من الاوضاع التي مهدت لظهور هذه التجارب — أن تستمر طويلا ، لان الجماعات التي تعانيها تحاول دائما أن تتجاوزها

بالانضمام تحت لواء انتماءات وولاءات جديدة تنسجم مـــع التاريخ كما يصنع نفسه . الذين يعانون هذه الحالة يتشوقون دائما وبالحاح الى الخروج منها بأي شكل كان . من هذه الحقائق التاريخية الاجتماعية نصل الى النتيجة التالية التي يجب على الثوريين العرب الارتباط بها ، وهي : ضرورة مساندة جميع القوى الحضارية والسياسية التي تسرع بعملية التذرر ، التي تزيد من اتساع وعمق هذا التذرر .

العمل الفدائي ينطوي على امكانات هائلة في احداث هذا التذرر ، لان حدة المجابهة مع العدو ، حدة المخاطر التي يتعرض لها في هذه المواجهة ، حدة الاستقطاب الشعبي الذي يجب عليه ممارسته ان أراد الكشف عن فاعلية ثورية صحيحة ، الالتزامات الجديدة التي يلزم بها والتي تناقض الانتماءات والولاءات التقليدية ، التحرير الذي يفرضه من الوحدات الاجتماعية التقليدية من عائلية وعشائرية وطائفية ومحلية وقطرية، وديالكتيك التحول الثوري الذي يجب على هذا الاستقطاب أن يكشف عنـــه ان هو أراد انجاز مقاصده التحريرية ، كل هذا يجعل منه أداة فعالة في توسيع وتعميق هذا التذرر ، أي في نزع الولاءات والانتماءات التقليدية عن العربي ودفعه نحو انتماءات وولاءات جديدة ترتبط بالتاريخ الحديث ، وبذلك يكون أداة فعالة في دفع هذا العربي نحو مصير جديد .

(٣) العنف الثوري ضروري في تثوير العربي ، في اقتلاع جذوره من المجتمع العربي التقليدي ، في تحريره من الاطارات النفسية والعقلية التقليدية ، في خلقه وولادته من جديد ، ضروري في تجديد الحياة العربية ومعالمها وبلورتها في مصير جديد. الحل السلمي يعني نهاية العنف الثوري في أعمق وأنبل صوره المتوفرة لنا ، وهذا يعني نهاية شرط من الشروط الاساسية التي نحتاجها في تحقيق جميع مقاصدنا الثورية . لهذا وجب علينا مقاومة الحل السلمي لانه يفوت علينا فرصة فريدة في تحقيق حياة جديدة .

ليس من قبيل المصادفة أن تتميز جميع المراحل السياسية والايديولوجية الثورية الكبرى التي تشكل منعطفات التاريخ الاساسية بالعنف الثوري. ليس من قبيل الارتجال التاريخي أن نرى الاصعدة التاريخية التي كان يعلو فيها الانسان على ذاته تتصف بممارسة هذا العنف على نطاق واسع. ليس من الغريب أن تقترن المراحل التقدمية التحولية الجذرية في حركة صعود الانسان وتطوره بقسوة الانسان على نفسه وعلى غيره . ليس من الامور العرضية أن تكون الادوار التاريخية التي تميزت بأعلى درجة من الحرية تتصف بهذا العنف وتنطلق منه . لماذا ذلك ؟..

الانسان هو قبل كل شيء كائن معلق بين وضع يحياه ووضع يتجه نحوه ، بين حالة يجد نفسه فيها ، وبين مثال يريده ، بين واقع يحيط به ويفرض عليه من الخارج وبين تصور جديد لهذا الوضع يعمل على تحقيقه ، بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون* . ليس هناك من خاصة أصيلة في الوضع الانساني متأصلة فيه أكثر من هذه الخاصة ، وهي خاصة يستحيل دونها ادراك الوضع التاريخي الثقافي ، طبيعة التاريخ والحضارة . هذا يعني أن الانسان كائن يحاول دائما ان يتجاوز ذاته ، لا يقـــر له قرار في وضع ساكن جامد ، انه يجد ذاته وحريته في مواجهة الصعاب والعقبات وفي ممارسة الصراع ضدها. في أوضاع معينة ، يتخذ هذا الصراع شكله الاعلى في ممارسة العنف الثوري* .

عندما ندرس الاوضاع التاريخية التي لازمهـــا العنف الثوري ، نجد ، فيمـــا يتعلق بموضوعنا ، أنها تتميز ، فيما تتميز بـــه ، بصفتين أساسيتين هما : أولا ، أزمة حادة تتولد عن تحولات وتناقضات داخلية ، مخاطر او نكبات من الخارج . وثانيا ، تصور جديد للحياة والتاريخ يحاول أن يعالج الوضع وينقل الحياة الى صعيد جديد .

هذا يدل ، فيما يدل عليه ، أن الانسان يكشف عن انسانيته بشكل خاص عندما يجد ان

---

* — راجع في هذا الموضوع **من النكسة الى الثورة** ، للكاتب .

* — راجع حول هذا الموضوع **الايديولوجية الانقلابية** ، وخاصة ص ٥٤٩ — ٧٢٣ ، للكاتب .

هناك ما يعترض طريقه . أهم اشكال خلقه وابداعه تنتج عن حدة نفسية تتولد فيه بسبب موانع تقف بينه وبين مقاصد يبغيها . فعندما تتعثر الحياة اليومية السطحية وتعجز عن تاكيد ذاتها ، ينفصل الانسان عنها ، ويأخذ يتساءل عن معناها وشرعيتها .
في الاوضاع العادية تتخذ افكار ومشاعر وأعمال الفرد أشكالا يومية رتيبة ، ولكن عندما يكون هناك خطر ، او نكبة خارجية ، أو ازمة داخلية ، يخرج الافراد من عوالمهم الفردية والاجتماعية المحنطة ، ويصبح من الممكن الكشف عن طاقات كبيرة يمكن تجنيدها ضد الخطر ، النكبة ، أو الازمة . الاوضاع العادية تبلد الذهن ، تغذي اللامبالاة ، تشجع على الريبة والتشكك ، كما أنها توسع دائرة الانانية والنفعية . كل مجتمع ، مهما كان متطورا يكون عرضة للجمود السياسي ، لشلل في الارادة ، وتشتت في الطاقة ، عندما تكون أوضاعه عادية . الازمات الكبيرة تأتي في طليعة العوامل التي تغير الوضع وتدفع الى تجاوز هذه الظواهر السلبية . في الازمات ، والمخاطر والنكبات فقط ، عندما لا يعود بامكان الحياة اليومية التقليدية أن تكون بدها يوميا نستطيع ان ننظر الى وجودنا من الخارج ، وان نعين ما ينطوي عليه من نقص وضعف . معظم النظريات الاجتماعية التي تحاول تفسير التحولات التاريخية وظواهر الخلق فيها تعيدها الى أزمات ونكبات تداهم مجتمعا ما ، تتحداه وتدفعه الى الكشف عن أحسن ما ينطوي عليه من امكانات .
الاوضاع المستقرة لا تعرف أو تتعرف على أشكال الخلق في التاريخ .
من هايديجير الى جاسيرز وخصوصا عند الاخير ، نجد أنه يصبح من الممكن لنا أن نقدر حقا الوجود ونعانيه بعمق عندما نجابه الخطر الكبير الذي يهدد بالعدم والابادة . فكي

نحيا حياة عميقة يجب ان نحيا في ازمة ، لان الازمة هي التي ترفعنا الى أصعدة نبيلة في الوجود . وكي نتذوق الحياة باصالة وجب ليس فقط أن نغامر ، بل أن نخسر .
بين مشاغل الوجودية الاولى ، في الواقع ، نجد التنبيه الى الابعاد العميقة والجدية في الوضع الانساني ، كأبعاد تناقض الحياة السطحية والضحلة التي يحياهـا الانسان ، والتي يتجنب فيها مواجهة قضايا وجوده الاولى ، مما يجعل الحياة فقيرة ومنكفئة . هذا المفهوم ليس تصورا أدبيا أو فلسفيا محضا ، بل كان ذا نتائج مباشرة وجذرية في علم التحليل النفسي حيث وجد بعض علمائه كماسلو وماي أنه يلقي الضوء على الكثير من القضايا التي تواجههم . فقد رأى هؤلاء مثلا أن المصيبة أو النكبة التي يتعرض لها فرد ما غالبا ما تكون ذات مفعول علاجي . فقـد يقود الالم الذي توله الى شفاء المريض النفسي . هناك عدد آخر ايضا من علماء هذا العلم يرون أن من أهم الاسباب في كون المعالجة بالصدمات ، كهربائية وغيرها ، تقود الى نتائج ايجابية في المرضى ، هو أن هذه المعالجة توفر لهم تجربة موت وولادة خيالية .
في الادب أيضا نجد تأكيدا لهذه الطبيعة الخلاقة للازمات ، للصراع ، للعنف والالم . فالانسان يتنازل عن معناه عندما يقبل بوجود رتيب ، يعيش فيه وبه . هذا القبول يعبر عن ضعف ، ولا يمكن ان يقود للحرية ، والوجود الصحيح هو الذي يصل اليه الانسان بعد المرور بالفوضى والبلبلة والالم . هذا المفهوم يطالعنا في مجموعة كبيرة من الادباء ، من نيتشه ، وبلاك ، ودوستويفسكي ، الى هيس ، وويلسن . اننا ، في الواقع نجد عددا من كبار الادباء ، كهيس ، وستريندبرغ ، قد أنتجوا اجمل انتاجهم أو قسما مهما منه ، بعد انهيار عصبي أو عقلي أصابهم . في « الدكتور فوست » ، يكتب توماس مان ، بأن الخاطىء العادي لا يثير عطفا كبيرا ، والسلوك العادي لا يتميز بأية مكانة لاهوتية . ولكن القدرة على خطيئة لا تجد شفاء وتجعل الانسان ييأس باطنيـا من الفداء ، هي الطريقة اللاهوتية الصحيحة الى الخلاص .
الاوضاع التي يحدث فيها العنف الثوري الكبير تكشف عن الظاهرة نفسها . فهي أوضاع يشعر فيها المجتمع أو قسم منه شعورا حادا بانهيار الوجود اليومي الرتيب ، فيرد على الانهيار بالعنف الثوري يعالجه ويتجاوزه فيه . هذا الشعور بالوصول الى نهاية الاشياء القائمة والعادية ، أو بوصول الوجود الراهن والتقليدي الى نهايته كان من أهم الحوافز الى العنف الثوري . لقد كتب كيركجارد مرة ، « ليست الطريق هـي الصعبة ، ولكن الصعوبة هي الطريق » . العنف الثوري الذي يجابه فيه الانسان التحديات الكبيرة هو الطريق الى الخلاص من وجود مرهق ومذل .
الخلق والابداع يتوفران في ذيل التدمير والهدم ، ولا يمكن للصعيد الاول ان يحقق ذاته دون الصعيد الثاني . فهما وجهان لحقيقة واحـدة ، وعلاقتهما هي علاقة ديالكتيكية وثيقة . كل شيء موجود مقضي عليه بالخراب والموت ، وعملية الخلق والابداع تبدأ ، عند اعتماد العنف الثوري ، في تكنيس مسرح التاريخ مـن العقائد والنظم والتراكيب الهرمة التي أخذ يدب اليها الموت والخراب . هزة الخلق والابداع تلازم مطرقة الهدم والتدمير القاسية .
العنف الثوري المستمر ضد احتلال ارضنا ضروري ليس فقط في سبيـل تحرير هـذه الارض ، بل للحيلولة دون استقرار الاوضاع العربية وتحجرها ، ولممارسة الضغط الدائم عليها بغية تجديدها ومعالجتها . فالمجتمع العربي يحتاج الى هذا العنف الذي يمتد ويتعمق كي يتمكن من تجديد حيويته واحياء طاقاته ، الكشف عنها وحشدها . فهو يمثل ويبلور ويعمق التناقض الحاد ليس بيننا وبين الاحتلال فقط ، بل بين الواقع العربي القائم وبين ما يجب أن يكون عليه هذا الواقع ، بين المصالح والقيم المرتبطة بهذا الواقع وبين التحرير الذي يفرض تجاوزها ، بين حياة يومية تقليدية رتيبة وبين سلوك جديد يحفز الشعب ويدفعه الى تكسير طوق هذه الحياة اليومية والتحرر من كابوسها الذي

يخنق ما فيه من امكانات الخلق والابداع .
الوعي الذي كان ، منذ فلسفة ديكارت ، شاملا للحياة النفسية كلها ، خسر هذا المركز ، وابتداء من فرويد بشكل خاص ، اصبحنـــا ندرك أن الوعي يمثل فقط جـــزءا من هذه الحياة ، وأن الاجزاء الاخرى فيها غير متيسرة للملاحظة المباشرة . فهي كالجبل الجليدي المغمور تحتاج الى البحث والتنقيب في الكشف عنها .
العنف الثوري في خدمة انتماءات وولاءات جديدة تتناقض مـــع الانتماءات والولاءات التقليدية هو من اهم الادوات في ترويض هذه الاخـــيرة ، اضعافها ، تفتيتها ، واقتلاع جذورها ، وذلك لان الالتزام بهذا العنف هو التزام حياة وموت ، ولان ممارسته يوميا وبشكل كلي ، يبلور الذات تدريجيا في الانتماءات الجديدة، وبطريقة تقضي على الانتماءات القديمة ، لان الانتماءات التي لا تحدد سلوك الفرد ، الانتماءات التي لا تعين مقاصده ، لا يمكن لها أن تعيش كمحرضات فعالة للسلوك .
الوعي المستقل يبرز نتيجة العثرات والصعوبات والازمات التي تجابه الناس والجماعات المختلفة في حركة تفاعلها مع الخارج والآخرين . العنف الثوري الذي يعالج هذه العثرات والصعوبات والازمات يشحذ الفكر ويوقظه ، يحرك حس الملاحظة والذاكرة ، يرهف حاسة الخلق ويحرض على الابداع ، يهزنا من ركودنا المشابه لركود الغنم ، وهو الشرط للوعي .
العنف الثوري ضروري في تحرير العربي من ذاته المهلهلة الفضفاضة ، وممارسته ضد الطبقات المستغلة ، والانظمة البالية ، والاستعمـــار ، والاحتلال ، كان ولا يزال يمثل صعيدا انسانيا يعلو فيه الانسان على وضعه ، ويتجاوز فيه ذاته . المساهمة فيه يوفر لمظلومي الارض فرصة يؤكدون فيها شخصيتهم ، كرامتهم ، وانسانيتهم الكاملة التي نزعتها عنهم قوى الاستبداد والظلم . انـــه الاداة التي تعطي هؤلاء حق المشاركة في المجتمع ، حق دخول المواطنة التاريخية الصحيحة . العنف الثوري يلزم صاحبه كيانيا بقضية ثورية ، وعن طريق هذا الالتزام ينهي علاقته بحياته والتزاماتها السابقة . في ممارسته يولد ثانية ، وبه يتخذ موقعه الصحيح في عالم الانسان الجديد .
المفهوم النفعي والليبرالي الذي يرى أن المحرك الاول للسلوك الانساني هو المصلحة الفردية ، مفهوم فاشل في الكشف عن معنـــى وحركة التاريخ ، لان هذا التاريخ يفرز انجازاته الذروية والأوجية في تلك الاوضاع التي يستطيع فيها الانسان تجاوز منافعه الشخصية فيقبل على التضحية بها في سبيل منافع ومقاصد مجموعية وشمولية . ما يميز سلوك الانسان بشكل خاص هو القدرة على التضحية بالمصالح الفردية ، في تأجيل مصالح آنية بسبب التزام بمقصد عام يكرس الحاضر للمستقبل ، والذات الفردية لحقيقة عليا . فالانسان الذي يستطيع أن يعبر عن مقاصد ومصالح جماعية عامـــة هو فقط الانسان الذي يستطيع أن يساهم في بناء الانسان ، وفي تحديد قدر التاريخ .
معركة تحرير فلسطين هي من أهم هذه الاوضاع في التاريخ العربي ، وقد تكون أهمها على الاطلاق . انها توفر فرصة فريدة في دعوة الانسان العربي الى تفجير طاقته ، والى بلوغ ذروته الانسانية عن طريق العنف الثوري . الحل السلمي يبتر هذه الفرصة ، لانه يعيد العربي الى وضعه اليومي الرتيب المعذب الاليم ، لذلك وجبت مقاومته لان المقاومة تعني حماية ورعاية وتغذية طريق ينفتح أمامه كي يحيا انسانيته ويمارسها في أجلى وانبل ما يمكن أن تنطوي عليه من طاقة . فكي يمكن للعربي ان يتجه بعزم حاسم، بكل امكاناته وزخمه نحو مصير جديد ، يحتاج الى الخروج من الحياة التقليدية ، ومن مهانة الاحتلال والاستعباد ، يحتاج الى الخروج من ذاته نفسها واتخاذ قاعدة لسلوكه وحياته في حقيقة خارجية عليا . العنف الثوري الذي تفرضه معركة تحرير فلسطين ، بوجهها القومي والانساني والاخلاقي النبيل ، يوفر هذه الحقيقة ، يوفر هذه الطريق .
العنف الثوري ضرورة ليس فقط لان معركة التحرير تفرضه ، أو لان الاستعباد يزيد

ويمتد ان لم يلق مقاومة ، بل لان هذا العنف يشحذ انسانيتنا ويوفر لنا راحة وجدانية تجاه هذه الانسانية والزاماتها . العنف الثوري يشعرنا بأننا لسنا تماما ضحايا الاوضاع التي أحاطت وتحيط بنا ، وبذلك يوسع ويعمق من حريتنا .
القضية ليست فقط استرداد أرض مهمـــا عزت علينا الارض ، بل هي اولا وبالدرجة الاولى استرداد الارض بالطريقة التي خسرنا فيها الارض . هنا طريقة الاسترداد قد تكون أهم من الاسترداد ، وأداة التحرير قد تكون اهم من التحرير . احتلال فلسطين جرد العربي من الكرامة والانسانية . والعنف الثوري الذي يحرر الارض فقط يمكن العربي ان يسترجع ما خسره من كرامة وانسانية .
من الضروري أن نجد طريقا تتجاوز فيه الثورة العربية ذاتها . العنف الثوري قد لا يكون قادرا على تحقيق مقاصده او جزءا من هذه المقاصد ، ولكن عن طريق الفداء والضغط اللذين يمكن له ممارستهما ، فانه يستطيع دفع هذه الثورة نحو آفـــاق جديدة تعدها لتحرير الارض وبناء مصير جديد .
العنف الذي مارسه الاحتلال ضد العربي امتهن كرامته ومسخها ، وبالعنف الثوري المضاد يستطيع العربي أن يسترد كرامته ، أن يسترجع احترامه لنفسه ، وأن يعاني انسانيته من جديد . قتل المحتل ضروري في تطهير العربي ، في تحريره من عقد النقص ، الواعية او اللاواعية ، التي ولدها هذا المحتل فيه . قتل المحتل ضروري لنجاة العربي من القنوط واليأس ، من التردد والذبذبة ، مـــن التأرجح بين القديم والحديث ، ومن العيش على هامش التاريخ . انه ضروري كي يجد العربي حريته من جديد . فمن جيف المحتلين ورائحتها الكريهة يطل الجو النقي الذي يساعد العربي في تنقية نفسهوتحريرها.
في هذا العنف الثوري تتجاوز الذات العربية التمزق الذي ولده الاحتلال فيها ، وفيه يتحول تبعثر هذه الذات الى وحدة صلبة شامخة . العنف الثوري الذي يقاوم بالقتل والدم مهانة الاحتلال والمحتلين يشق للعرب طريقهم الى الوحدة . ان وحدة الشعب العربي تعمد وتكرس في الفتك الذي تستطيع ممارسته بالمحتل في ارض فلسطين . هدف كل عربي يجب أن يكون المساهمة ، مباشرة او غير مباشرة ، ولكن دائما بالتزام كلي بمعركة التحرير ، في هذا القتل ، لان الفتك بالمحتل هو طريقه الى هويته الثورية . في هذا القتل نحرق مراتب التاريخ ، ونقفز قفزا الى المصير الجديد الذي نريد .
اقول هذا لان العنف الثوري الذي نمارسه لاجل التحرير يحمل في الواقع بذور معركة قد تكون اجمل معركة انسانية في القرن العشرين . لهذا يجب على الفكر الثوري أن يكشف عن هذه البذور فيعطيها جميع أبعادها الانسانية . هذا العنف الثوري ليس فقط في سبيل تحرير فلسطين ، ليس فقط في سبيل تحرير العربي ، بل هو في سبيل تحرير الانسان ذاته . فالرصاص الذي نسدده الـــى القتلة والسفاكين العنصريـــين مـــن الصهيونيين ، والى عملائهم وكل من يتواطأ معهم مباشرة وغير مباشرة ، هو رصاص نسدده رمزيا ضد جميع اشكال التعصب ، والحقد ، والاستغلال ، والاستعلاء العنصري والقومي التي تفرق بين الشعوب . هو رصاص ضد كل ما يزرع البغضاء والتفرقة بين هذه الشعوب ، هو انتقام لكل انسان أهين ويهان ، لكل شعب ذل ويذل . فالى جميع اشكال الاغتصاب الانساني ، الى جميع أنواع الاذلال والعسف التي واجهت الانسان ولا تزال تواجهه في هذه الارض التعيسة ، يجب أن نقول ، اننا لا نستطيع ان نصل اليك في كل مكان ، بل نستطيع ان نطال رمزا لك في فلسطين ، وفي قتالنا ضد هذا الرمز لك ، نقاتلك جمعاء ، وفي القتل الذي نمارسه ضد هذا الرمز نريد قتلك انت ، وفي اصلاء هذا الرمز نار عنفنا الثوري ، نريد الايحاء لجميع مظلومي الارض ، ضرورة اصلائك نفس النار ، في كل مكان ، في كل شبر من هذه الارض ، لاننا نؤمن ان كل اهانة تلحق بأي انسان ، في أية بقعة من بقاع هذه الارض هي اهانة لنا ، هي اهانة للانسان كانسان .
ان العنف الثوري الذي ندعو اليه هو تكريس لهذا الايمان .

الاثار القانونية
المترتبة على الصلح مع اسرائيل

الدكتور صلاح الدين الدباغ

أولا : مقدمـــة

دراسة الاثار القانونية المترتبة على عقد صلح مع اسرائيل هي دراسة في احكام القانون الدولي العام وقواعده . وهذه الاحكام والقواعد قد تكون بعيدة عن الممارسة اليومية للسياسة الدولية . ذلك ان سياسات الدول لا تنقرر وتتحدد دوما على هدى المبادىء والاعتبارات التي يفرضها القانون الدولي . وعليه فالسياسة الدوليـــة تأتلف حينا مع القانون الدولي وتختلف أحيانا اكثر . ويتضح هذا التباعد والاختلاف في موضوع الحرب والسلم . فثمة فرق بين نظرة القانون الدولي الى حالتي الحرب والسلم ونظرة السياسة اليها . فالقانون الدولي يعتبر الحرب والسلم حالتين منفصلتين تمام الانفصال بعضهما عن بعض . ويضع لكل منهما احكاما تختلف عن الاخرى . فالقواعد التي تحكم علاقات الدول ابان الحرب وتحدد حقوق المتحاربين وواجباتهم تختلف اختلافا واسعا وبيّنا عن تلك التي تحكم علاقات الدول في حالة السلم وتحدد حقوق كل دولة وواجباتها . وقد درج فقهاء القانون الدولي العام على استعمال تعبير مأخوذ في الاصل عـــن شيشرون لوصف الانفصـــال التـــام بين حـــالة الحرب والسلم هـــو : Inter Pacem et Bellum nihil medium اي ليس من حالة وسطى بين السلم والحرب .

اما السياسة الدولية فتعتبر ان حالة السلم هي حالة سلبية تستمر فيها الحرب بأسلحة اخرى . فتحتل فيها القوة السياسية والاقتصـادية مكان القوة العسكرية التي تتراجع عن مركز الصدارة الذي تحتله زمن الحرب . ولكن هذه القوة العسكرية تبقى قـــوة ضاغطة كامنة وتشكل عنصرا تهديديا يبقى في حيز الامكان بدلا ان يدخل حيّز الممارسة الفعلية كما في حالة الحرب. ومرد الاختلاف بين السياسة الدوليةوالقانون الدولي هو أن السياسة الدولية تقررها مصالح الدول المعنية بينما تحدد احكام القانون مبادىء الحق والعدالة والاستقرار في المجتمع الدولي . وعندما تتعارض مصالح الدول ، لا سيمـــا القوية منها ، مع احكام القانون الدولي ومبادئه ، تفضل هذه الدول اتباع مصالحهـــا وتعرض عن تطبيق احكام القانون الدولي . وسبب ذلك ان المجتمع الدولـــي لا يزال مجتمعا بدائيا بمعنى انه يفتقر الى سلطة مركزية تطبق احكام القانون بواسطة القسر ، وأن القوة تبعا لذلك ، لا تزال تقوم بدور اساسي في تسيير مقدار هذا المجتمع .

والعبرة مما تقدم هي ان الاعتبارات القانونية ، في ظل المجتمع الدولي المعاصر ، ينبغي ان لا تكون الاعتبارات الوحيدة لاي قرار سياسي تتخذه القيادة السياسية في موضوع دولي ، لا سيما اذا كان هذا القرار يتعلق بمصالح الامة في الصميم .

ان الصلح هو انهاء لما يعرف بالقانون الدولي بحالة الحرب واحلال حالة السلم مكانها . وان حالة الحرب التي نعنى بها في هذه الدراسة قائمة بين فرقاء ثلاثة هم : الشعب الفلسطيني والدول العربية من جهة واسرائيل من جهة اخرى . وعليه فاننا سنتناول في هذا البحث دراسة الاثار القانونية المترتبة على اجـــراء صلح بين الشعب الفلسطيني واسرائيل من ناحية وبين الدول العربية واسرائيل من ناحية اخرى .

ثانيا : اثار الصلح على العلاقة بين الشعب الفلسطيني واسرائيل

الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في السيادة على فلسطين . ولقد احتل الصهيونيون فلسطين بقوة السلاح وطردوا شعبها رغما عن ارادته وحرموه وجردوه من حقوقه الاساسية . وحسبنا ايراد الحقائق الموجزة التالية لاقامة الدليل على ذلك :

أ ـــ بموجب الاحصاء الذي أجرته السلطات البريطانية عام ١٩٢٢ كان تعداد اليهود في فلسطين لا يزيد عن ٨٣٬٧٩٤ نسمة اي ما يوازي ١١٫٠٦٪ من مجموع السكان(١). وقد قام الشعب العربي الفلسطيني بثورات متعاقبة طيلة أيام الاحتلال مطالبا بالاستقلال ومحتجا على سياسة السلطة المنتدبة الرامية الى ادخال اعداد وفيرة من المهـــاجرين الاوروبيين اليهود الى البلاد . ونتيجة لهـــذه السياسة بلغ عدد اليهود في اخر عهـــد الانتداب حوالي ٣٠ بالمئة من السكان(٢). ولم يملكوا آنذاك سوى ٥٫٧٦٪ من مجموع اراضي فلسطين(٣).

ب ـــ ونتيجة الاحداث عام ١٩٤٨ استولت الاقلية اليهودية المذكورة بقوة السلاح على ٧٧٫٤٠ بالمئة من مساحة فلسطين واجلت بقوة السلاح أيضا حوالي مليونا من السكان العرب الفلسطينيين خارج بلادهم لتحل محلهم سكانـــا مستوردين . وفي عام ١٩٦٧ استولت اسرائيل في موجة توسعية جديدة على جميع أراضي فلسطين فضلا عن احتلال اراضي دول عربية أخرى . وأضحى الشعب الفلسطيني اما مشردا خارج بلاده او رازحا تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي .

جـ ـــ ان قيام الغزاة الصهيونيين بانشاء الكيان الاسرائيلي كان متوقفا على هدر حقوق الشعب الفلسطيني ومشروطا به . اي ان هذا الكيان كان يستلزم لقيامه وانشائه كشرط مسبق هدر حقوق الشعب الفلسطيني لا بل سحقها وابادتها . ومن هذه الحقوق الحق في الارض والممتلكات والحق في العودة الى الوطن . وعلى ضـــوء هذا تبرز لاشرعية الكيان الاسرائيلي بوضوح .

د ـــ بيد ان أهم الحقوق التي هدرها قيام الكيان الاسرائيلي ، على الاطلاق ، هو حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . وان حرمان الشعب الفلسطيني من هذا الحق لا يجعل من هذا الكيان كيانا غير شرعي فحسب ، بل ان هـــذا الحرمان يعطي للشعب الفلسطيني حقوقا ايجابية هي الحق في مقاومة الغزاة والحق في تحرير الوطن .

وتجدر الاشارة هنا ولو بايجاز شديد الى أن الحق في تقرير المصير لم يعد حقا نظريا او طبيعيا فحسب ، بل أضحى حقا وضعيا تكفله المواثيق الدولية ومنها ميثاق الامم المتحدة الذي اعتبره في مادتيه الثانية والخامسة والخمسين ، هدفا من أهداف المنظمة الدولية ، وكذلك كرسته وكفلته كل من شرعـــة الحقوق المدنيـــة والسياسية وشرعـــة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اللتين اقرتهما الجمعية العامة للامم المتحدة بالاجماع بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٦٦(٤). وكذلك تجدر الاشارة هنا الى ان الحق في المقاومة قد أضحى حقا وضعيا معترفا به بموجب احكام القانون الدولي العام الحديث . وقد أقرت هذا الاعتراف وكرسته المعاهدات الدولية وقرارات المحاكم وكتابات الفقهاء وهي المصادر الرئيسية الثلاثة للقانون الدولي العام في الوقت الحاضر .

فمن جهة المعاهدات أقرت اتفاقية جنيف المؤرخـــة في ١٢ آب ١٩٤٩ والمتعلقة بمعاملة أسرى الحرب بحق السكان في مقاومة المحتلين فهي قد نصت على ضرورة معاملة أعضاء المقاومة المنظمين معاملة اسرى الحرب . وهذا يعني ان الاتفاقية المذكورة قد أقرت بحق

منظمات المقاومة بحمل السلاح ضد الاعداء. ومن ناحية قرارات المحاكم نجد في محاكمات مجرمي الحرب التي تلت الحرب العالمية الثانية أن المحاكم كانت تعطي صفة المحاربين ، وبالتالي ما يتمتع به هؤلاء من حقوق ، للفدائيين والمقاومين حتى في الحالات التي لم يكونوا يتقيدون فيها بالشروط المنصوص عليها في اتفاقية جنيف المشار اليها ، اي ان هذه المحاكم ذهبت الى أبعد من اتفاقية جنيف في اعطاء المقاومين صفة المحاربين . واننا نجد لدى مراجعة بعض قرارات هذه المحاكم أنها قد اعتبرت من لا يحترم الحقوق الممنوحة لمنظمات المقاومة والفدائيين مجرمي حرب وادانتهم بهذه الجرائم(٥).

نستخلص مما سبق أن حق الشعب الفلسطيني في المقاومة لم يعد حقا نظريا او طبيعيا، بل هو حق قانوني وضعي تكفله وتكرسه احكام ومبادىء القانون الدولي الحديث . كما نستخلص ان للمقاومة الفلسطينية حق التذرع بأحكام القانون الدولي التي تحكم علاقات المحاربين بعضهم ببعض . وعليه فان اي صلح يعقد مع اسرائيل ويكون الشعب الفلسطيني طرفا من أطرافه يعني تنازل الشعب الفلسطيني تنازلا قانونيا عن حقوقه (او بعض منها) في أرضه او في تقرير مصيره وتصبح بالتالي أعمال المقاومة التي يقوم بها أعمالا عدوانية تقع تحت طائلة احكام القانون الدولي العام بدلا من أن تكون ممارسة لحق مشروع . وتجدر الملاحظة هنا ان المفاوضات التي يقوم بها الشعب الفلسطيني مع الاعداء لن يكون لها أثر قانوني ما لم تقترن باتفاقية ملزمة للفريقين .

ان الصلح مع اسرائيل الذي يكون الشعب الفلسطيني طرفا من أطرافه يبدل اذن الاوضاع القانونية لهذا الشعب راسا على عقب . بيد ان الصلح مع اسرائيل حتى وان لم يكن الشعب الفلسطيني طرفا من أطرافه سيرتب على هذا الشعب آثارا قانونية معينة.. ذلك ان سياسة اسرائيل ترتكز على أن تقوم الدول العربية المحيطة بها بدور الحارس والشرطي على حدودها ، أي أن تجعل من المقاومة مشكلة بين الدول العربية والمقاومة بدلا من أن تكون مشكلة بينها وبين المقاومة.وفي ردود فعل اسرائيل على أعمال المقاومة الدليل الواضح على ذلك . وتطبيقا لهذه السياسة ، يبدو من المحتم أن تتضمن ترتيبات الصلح نصوصا واضحة تتعهد بموجبها الدول العربية تعهدا قانونيا صريحا بمنع اي عمل موجه ضد اسرائيل ينطلق من اراضيها .

ففي اتفاقيات الهدنة المعقودة بين كل من لبنان والاردن وسوريا من جهة واسرائيل من جهة أخرى ، نصوص تحظر على قوات الفريقين العسكرية أو شبه العسكرية او غير النظامية دخول اراضي الفريق الاخر كما تحظر القيام بأي عمل عدائي من اراض واقعة تحت سيطرة فريق ضد الفريق الاخر . فالفقرة الثانية من المادة الثالثة من اتفاقية الهدنة بين سوريا واسرائيل تنص على ما يلي : « لن يقوم أي عنصر من عناصر القوات العسكرية أو شبه العسكرية البرية أو البحرية او الجوية بأي عمل حربي او عدواني ضد القوات العسكرية او شبه العسكرية للفريق الاخر ضد المدنيين في الاراضي الخاضعة لاشراف الفريق الآخر ، او أن يتجاوز لاي غاية من الغايات حد خطوط الهدنة كما هو مبين في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية أو أن يدخل او يمر عبر الفضاء الجوي للفريق الاخر أو عبر المياه الواقعة ضمن ثلاثة أميال من شواطىء الفريق الاخر » . وتتضمن الفقرة الثالثة من المادة الثالثة من الاتفاقية المذكورة(٦) على ما يلي : « لا يسمح بالقيام بأي عمل حربي أو عمل عدواني من الاراضي التي يشرف عليها أحد الفريقين الموقعين على هذه الاتفاقية ضد الفريق الآخر»(٧).

ومن المتفق عليه قانونا أن اتفاقيات الهدنة لا تلغي حالة الحرب ، فمن باب أولى أن تتضمن اقامة صلح دائم ونهائي مع اسرائيل تنهي فيه حالات الاحتراب نصا أقوى من هذا النص تحظر فيه وبشكل واضح وصريح الاعمال الحربية مهما كان نوعها وشكلها من اراضي الدول العربية الى اسرائيل والعكس بالعكس . لا سيما وان المقاومة الفلسطينية لم تكن موجودة وقت توقيع اتفاقيات الهدنة ، وان الصلح الذي يدور الحديث عنه الان

منطلق من قرار مجلس الامن المؤرخ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ الذي ينص فيما ينص على ما يلي : « انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وسلامتها الاقليمية واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها حرة من التهديد وأعمال القوة واحترام كل ذلك » .
ومن المحتم اذن أن تتعهد الدول العربية التي تقوم على الصلح مع اسرائيل تعهدا قانونيا صريحا بمنع أعمال المقاومة المنطلقة عبر اراضيها الى المناطق المحتلة . اي ان عبء مواجهة المقاومة سينتقل قانونيا الى الدول العربية . وان هذا الا دليل آخر على ان تصفية المقاومة هو شرط أساسي لكل صلح نعقده الدول العربية مع اسرائيل .

ثالثا : آثار الصلح على العلاقة بين الدول العربية واسرائيل

منذ أيار ١٩٤٨ والدول العربية في حالة حرب مع اسرائيل . وان اتفاقيات الهدنة . في الفترات التي كانت فيها احكامها سارية المفعول ، لم تنه حالة الحرب هذه . فالهدنة بموجب احكام القانون الدولي لا تنهي حالة الحرب القائمة بين المتحاربين لا قانونيا ولا واقعيا ، بل ان حالة الحرب تستمر وتحكم اعمال المتحاربين(٨). وتترتب على حالة الحرب القائمة بين الدول العربية واسرائيل بعض الحقوق والواجبات التي تزول عند انتهاء حالة الحرب واحلال حالة السلم مكانها . كما ترتب حالة السلم حقوقا وواجبات على الفرقاء مختلفة عن تلك التي ترتبها حالة الحرب . وفيما يلي تفصيل ذلك :

١ — **الاعتراف باسرائيل** : لم تعترف الدول العربية حتى الان باسرائيل كدولة ليس لانها في حالة حرب معها فحسب ، بل وايضا لان اسرائيل قد تأسست كدولة على حرمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وعلى تجريده من حقوقه الاخرى بالقوة والعدوان . وان عقد صلح معها لا بد وان يستتبع اعتراف الدول العربية بكيانها كدولة . وهذا الاستنتاج تفرضه نصوص قرار مجلس الامن الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ كما تفرضه الاعتبارات القانونية الملازمة لحالة الصلح . فقرار مجلس الامن المشار اليه والذي يدور من حوله موضوع قيام الصلح ينص فيما ينص على : « انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب **والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وسلامتها الاقليمية واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها** » . كما ينص على : « ضمان حرمة الأراضي الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة » . اي ان عقد الصلح بموجب قرار مجلس الامن المشار اليه مشروط بالاعترافبالسيادة الاسرائيلية وبسلامة اسرائيل الاقليمية واستقلالها السياسي .
وبصرف النظر عن نصوص قرار مجلس الامن المشار اليها فان الصلح بموجب احكام القانون الدولي يستلزم الاعتراف بالجهة التي يعقد الصلح معها ، اذ لا صلح مع الدولة التي لا يعترف بوجودها أصلا ومن الاساس ، لا سيما وان الاعتراف بدولة من الدول قد يكون صريحا او ضمنيا . وفي هذا نصت الاتفاقية الامريكية حول حقوق الدول وواجباتها المعقودة في مونتفيديو عام ١٩٣٣ في مادتها السابعة على ما يلي : « الاعتراف بدولة من الدول قد يكون صريحا او ضمنيا ، ويستنتج الاعتراف الضمني من كل عمل ينطوي على قصد الاعتراف بالدولة الجديدة »(٩). وفي هذا المعنى كتب احد علماء القانون الدولي ما يلي : « الاعتراف من حيث الجوهر مسألة قصد وقد يكون صريحا او ضمنيا وليست طريقة القيام به ذات اهمية خاصة »(١٠).
الصلح اذن لا بد أن ينطوي على الاعتراف بالكيان الصهيوني اعترافا قانونيا . وعلى هذا الاعتراف تترتب النتائج التالية : ١ — اعطاء صك البراءة لجميع الجرائم الاسرائيلية والاعتراف بحق اسرائيل في السيادة والاستقلال السياسي ، والتضحية بحقوق شعب فلسطين في وطنه السليب . ٢ — ان اية حرب تقوم بها الدول العربية بعد عقد صلح مع اسرائيل والاعتراف بها تصبح في نظر القانون الدولي العام حربا غير مشروعة ، أي ان مهاجمة اسرائيل تصبح من الناحية القانونية اعتداء يعاقب عليه . ذلك ان الحرب في

الوقت الحديث لم تعد من الوجهة القانونية وسيلة متاحة يمكن للدول أن تلجأ اليها متى أرادت . وينتج تحريم الحرب في العصر الحديث عن وثائق قانونية مختلفة لعل اهمها معاهدة كيلوج ــ بريان ، والمسماة بمعاهدة التخلي عن الحرب ، وميثاق منظمة الامم المتحدة . وتنص معاهدة التخلي عن الحرب التي أصبحت نافذة المفعول بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٤٩ على ادانة اللجوء الى الحرب من أجل حل الخلافات الدولية وعلى التخلي عن الحروب كوسيلة من وسائل السياسة في علاقات الدول فيما بينها وكذلك تنص على ان تسوية النزاعات الدولية مهما كان أصلها أو طبيعتها والتي قد تنشأ بين الدول لا ينبغي ان تحل الا بالسبل السلمية . وتنص الفقرة الثالثة من المادة الثانية من ميثاق منظمة الامم المتحدة على تعهد الدول الاعضاء بحل منازعاتهم الدولية بالوسائل السلميـــة بحيث لا يعرضون السلام والامن الدوليين للخطر . كما تنص الفقرة الرابعة من المادة ذاتها على تعهد الدول الأعضاء بالامتناع عن التهديد بالقوة او استعمالها ضد السلامة الاقليمية والاستغلال السياسي لاي دولة من الدول(١١). وهكذا نرى ان اي هجوم تقوم به الدول العربية على اسرائيل بعد الاعتراف بها وعقد الصلح معها يعتبر ، مـــن وجهة النظر القانونية البحتة ، عملا غير مشـ ع وخرقا للقانون الدولي واعتداء يعاقب عليه .

٢ ــ لا يحتم الاعتراف باسرائيل اقامة علاقات دبلوماسية معها . فالاعتراف بدولة من الدول شيء واقامة علاقات دبلوماسية شيء آخر(١٢).

ب ــ **الامتناع عن ممارسة الحقوق التي يتيحها القانون الدولي للمتحاربين طيلة استمرار حالة الحرب حتى بالرغم من وجود هدنة عامة** : يعطي القانون الدولي للمتحاربين حقوقا لا يعطيها اياهم في حالة السلم . واهم هذه الحقـــوق هو حق منع الاتجـــار مع العدو والحقوق البحرية .

١ ــ الاتجار مع العدو والمقاطعة الاقتصاديـــة : ان وجود حـــالة الحرب تجيز للدول المتحاربة ان تتخذ اجراءات لايقاف جميع التعامل التجاري مـــع العدو وفرض عقوبات شديدة على من يتعامل تجاريا مع الاعداء . ولكن تحريم الاتجـــار مع العدو وفرض العقوبات الجنائية بحق من يتعامل تجاريا مع اسرائيـــل يصبح غير متلائم مع حـــالة الصلح ، فلا بد اذن من اعادة النظر في القوانين الداخلية التي تحرم الاتجار مع الاعداء. وكذلك تصبح المقاطعة العربية غير مشروعة مع حالة الصلح . ذلك ان شروط قانونية المقاطعة ، بموجب أحكام القانون الدولي، ان تفرض هذه المقاطعة كعقاب ضد عمل لا إشرعي تقوم به احدى الدول(١٣). وبما أن الصلح يتضمن انهاء حالة الحرب وصفحـــا ضمنيا عن جميع الاعمال غير المشروعة بين الدولتين المتصالحتين ، فلا يبقى من مبرر قانوني لحالة المقاطعة بعد الصلح .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان حالة الصلح لا تتعارض مع بعض الاجراءات الاقتصادية التي تتخذها دولة من الدول تجاه دولة أخرى بغيـــة فرض ضغوط عليهـــا . ومن هذه الاجراءات فرض رســـوم جمركيـــة مرتفعة على بضائـــع تستوردهـــا دولة من دولة اخرى وتجميد الاموال التابعة لهذه الدولة او لمواطنيها ومنع السفر اليها واغلاق الموانيء بوجه سفنها وما شاكل . بيد انه من غير المحتمل ان تلجأ الدول العربية الى اتخاذ مثل هذه الاجراءات بعد التوصل الى صلح مع اسرائيل يفترض معه حـــل جميع المشاكل واحلال جو ملائم من العيش بينها وبين اسرائيل . بل مـــن المتوقع أن تزول التدابير الاقتصادية التي اتخذتها الدول العربية بحق اسرائيل وتتلاشى شيئا فشيئا .

٢ ــ الحقوق البحرية : للمتحاربين ، بموجب القانون الدولي وأعرافه ، ممارسة خمسة حقوق بحرية أساسية في حالة الحرب هي : أ ــ ضبط المواد الحربية التي تحملها سفن محايدة . ب ــ حق فرض الحصار البحري . جـ ــ حق مصادرة سفن الاعداء التجارية. د ــ حق ضبط السفن المحايدة التي تقوم بعمل غير حيادي. هـ ــ حق الزيارة والتفتيش.

ـــحق ضبط المواد الحربية التي تحملها سفن محايدة : المواد الحربية هي المواد غير

المسموح بنقلها الى العدو على اعتبار انها تيسر له سبل القيام بالحرب ، او تسهل له عملية الاستمرار فيها . ولا توجد لائحة موحدة بالمواد الحربية تعترف بها جميع الدول ، بل ان كل دولة تفرض لائحة خاصة بها ، وان كان من المعتاد ان يتناول مثل هذا الحظر الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية على اختلاف انواعها والذهب والعملات والوقود والمواد الغذائية والمنسوجات والالبسة .

ب ـــ حق فرض الحصار البحري : الحصار البحري هو منع دخول السفن جميعا الى شواطىء العدو أو الى قسم منه وخروجها منه منعا شاملا وعاما . وبينما لا تضبط ، في حالة حظر المواد الحربية ، سوى البضائع المدرجة في لوائح خاصة والمتجهة الى أراضي العدو ، تصادر في حالة الحصار البحري جميع السفن وجميع البضائع التي تحملها مهما كان نوعها ومهما كانت جنسيتها اذا حاولت الدخول الى السواحل او الموانىء المحاصرة، او الخروج منها .

جـ ـــ حق مصادرة سفن الاعداء التجارية : فضلا عن مهاجمة السفن الحربية للعدو ، يحق للدول المتحاربة أن تصادر سفن الاعداء التجارية متى كانت هذه السفن في المياه الاقليمية للدولة المصادرة او في اعالي البحار ، وسواء كانت هذه السفن تعود للدولة او للمؤسسات الخاصة او الافراد . وكذلك يحق للدولة مصادرة ما تحمله هذه السفن من بضائع تعود للاعداء .

د ـــ حق ضبط السفن المحايدة التي تقوم بعمل غير حيادي : عندمـــا تشترك السفن المحايدة بعمليات القتال او تقوم بنقل جنود العدو او بأعمال التجسس ، يحق للدولة المتضررة ان تصادرها على اعتبار انها تساعد العدو في عمليات القتال . وكذلك يجوز ضبط أي سفينة محايدة يتبين انها تخضع لسلطة الاعداء او تقوم بعملها في خدمتهم كأن تؤجر للقيام برحلات تجارية لمصلحة الاعداء وكأن يشرف على سيرها وكيل او عميل منهـــم .

هـ ـــ حق الزيارة والتفتيش : ليس هذا الحق حقا منفصلا ولكنه تابع للحقوق الاخرى المذكورة اعلاه . وهو حق المتحاربين في زيارة السفن المحايدة وتفتيشها عند الاقتضاء للتحقق من انها تتبع دولا حيادية ، وللتثبت والتأكد من انهـــا لا تحمل بضائع حربيـــة محظورة ، او انها تحاول خرق الحصار البحري او انها تقدم خدمات غير محايدة للاعداء. ولزيارة السفينة وتفتيشها لا بد من ايقافها . والمعتاد ان يعطى أمـــر بالتوقف باطلاق طلقات نارية وفق قواعد معينة . وبعد التوقف ، يصعد على السفينة ضابط او اكثر لتفتيشها ويتم التفتيش بوجود قبطان السفينة الذي يتوجب عليـــه الانصياع لعمليات التفتيش . وفي حال ممانعته ، فان هذه الممانعة تعتبر سببا كافيا يبرر ضبط السفينة.

وقد مارست الجمهورية العربية المتحدة من هذه الحقوق البحرية حق مصادرة السفن الاسرائيلية وحق مصادرة البضائع الحربية التي تحملها سفن محايدة ، عند مرور هذه السفن في قناة السويس وفي مضيق تيران . وبينما بقيت قناة السويس مقفلة في وجه السفن الاسرائيلية وفي وجه السفن المحايدة التي تحمل البضائع الحربية لاسرائيل حتى عام ١٩٦٧ ، فتح مضيق تيران في وجه هذه السفن في اعقاب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ومن المؤلم حقا ان نلاحظ ان الدول العربية باستثناء مـــا ذكر أعلاه لا تمارس الحقوق البحرية التي يعطيها اياها القانون الدولي لمواجهة اسرائيل على امتداد البحـــر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندي والخليج العربي وان ممارسة هذه الحقـــوق كفيلة لان تحول الحياة لدى الاعداء الى ضيق لا يطاق .

وعلى كل حال ، فمن المؤكد ان انهاء حالة الحرب مع اسرائيل لا تتيح للعرب ممارسة اي حق من الحقوق البحرية المذكورة وهي تؤدي بالضرورة الى فتح قناة السويس ومضيق تيران بوجه الملاحة الاسرائيلية . وذلك طبقا للفقرة الرابعة من المادة السادسة عشر

من اتفاقية جنيف حول المياه الاقليمية والمنطقة المجاورة(١٤) التي تنص على ما يلي : « لا يجوز ايقاف المرور البري للسفن الاجنبية عبر المضائق التي تستخدم في الملاحة الدولية والتي تصل بين جزئين في أعالي البحار أو التي تصل بين جزء من أعالي البحار وبين جزء من مياه البحر الاقليمية لدولة اجنبية » .

---

١ ــ حكومة فلسطين ، **الكتاب الاحصائي لفلسطين ١٩٣٦** باللغة الانكليزية (القدس ، المطبعة الحكومية ، ١٩٣٧) ، الجدول رقم ٥ .

٢ ــ حكومة فلسطين ، **النشرة الشهرية للاحصاءات الجارية** باللغة الانجليزية (القدس ، دائرة الاحصاء ، كانون الثاني ــ شباط ١٩٤٨) .

٣ ــ سامي هداوي ، **فلسطين ــ ضياع تراث** باللغة الانجليزية (سان انطونيو شركة نايلر ، ١٩٦٣) ص ٢٥ . ووفق الاحصاءات اليهودية بلغت مساحة الاراضي اليهودية عند انتهاء الانتداب ١٩٢٢ كيلومترا مربعا اي حوالي ٧٫٣١٪ من مجموع أراضي فلسطين . **الكتاب السنوي والاطلس الاسرائيلي للجيب** باللغة الانجليزية (القدس ، ١٩٦١) ص ٤٣٠ .

٤ ــ انظر أيضا توصية الجمعية العامة المؤرخة بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٥٢ المنشور في **السجلات الرسمية للجمعية العامة** ، الجزء السابع ، ٢٠ ، ص ٢٦ .

٥ ــ لجهة كتابات الفقهاء انظر مثلا اوبنهايم ، **القانون الدولي** ، الجزء الثاني ، الطبعة السابعة للاوترباكت (لندن : لونغمانز ، ١٩٦١) ، ص ٢١٢ و٢١٣ .

٦ ــ تتضمن اتفاقيات الهدنة مع لبنان والاردن نصوصا مماثلة .

٧ ــ ان اتفاقيات الهدنة ، لا سيما بعد عدوان عام ١٩٦٧ قد أصبحت لاغية وذلك وفقا للمادة الاربعين من مدونة لاهاي للحرب المبرمة الموقعة عام ١٩٠٧ التي تنص على ان اي خرق خطير لاتفاقية الهدنة من جانب احد الفريقين الموقعين عليها يؤدي الى اعطاء الحق للفريق الاخر بالغائها . انظر بالمعنى ذاته نص المادة ١٣٦ من التعليمات الموجهة الى جيوش حكومة الولايات المتحدة للبروفسور فرانسس لابير .

٨ ــ انظر في ذلك كتاب **السيادة العربية على خليج العقبة ومضيق تيران** للكاتب . (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٧) ص ٦٨ وما يليها .

٩ ــ انظر النص الكامل للاتفاقية في **قوانين الولايات المتحدة** ، الجزء ٤٩ ، ص ٣٠٩٧ .

١٠ ــ هاكورث ، **مجموعة القانون الدولي** ، الجزء الاول ، ص ١٦٦ .

١١ ــ انظر ايضا الفقرات الاولى والثانية والثالثة من المادة السادسة عشرة من ميثاق عصبة الامم .

١٢ ــ انظر تصريح وزير الخارجية البريطانية امام مجلس العموم بتاريخ ٢١ آذار ١٩٥١ منشور في *Hansard's Parliamentary Debates*, Vol. 485, Cols. 2410 - 2411.

١٣ ــ وهذا يستفاد من المادة ٤١ المعطوفة على المادة ٣٩ من ميثاق منظمة الامم المتحدة والفقرة الاولى من المادة ١٦ من ميثاق عصبة الامم . كما يستفاد من مقاطعة الامم المتحدة لجنوب افريقية وروديسية ومقاطعة الولايات المتحدة لكوبه بتاريخ ٦٢/٢/٣ . انظر حول كل ذلك جوزف مغيزل ، **المقاطعة العربية والقانون الدولي** (بيروت : مركز الابحاث ، ١٩٦٨) .

١٤ ــ أقر هذه الاتفاقية مؤتمر الامم المتحدة الثاني لقانون البحار في ٢٩ نيسان ١٩٥٨ ، واصبحت نافذة المفعول في العاشر من أيلول ١٩٦٤ وذلك بمرور ثلاثين يوما على تاريخ ايداع وثائق الابرام العائدة للدولة الثانية والعشرين من الدول الموقعة عليها .

الضغوط الاقتصادية الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة

الدكتور سعيد حمود

تظل الحاجة الى دراسة اوضاع شعبنا الرازح تحت الاحتلال الاسرائيلي علــى درجة عالية جدا من الالحاح والاهمية ، مهما يكن من أمر التطورات السياسيـــة التي طرأت والتي قد تطرأ في السياقين القصير والمتوسط . ولعل الاعتبارات التاليـــة ، بأبعادها المختلفة ، تقف على رأس الدوافع وراء ضرورة وضع هذه الدراسة في اطار موضوعي علمي ، محدد وواضح :

١ ــ ان المطامع التوسعية للحركة الصهيونية منذ بدء تخطيطها لايجاد دولة لها على ارض فلسطين لم تعد بحاجة الى اية براهين . وكذلك الامر بالنسبة لمطامع اسرائيل منذ نشوئها في العام ١٩٤٨ . وبعد العدوان في العام ١٩٦٧ والاحتلال الذي تلاه ، باتت حقيقة المطامع التوسعية اشد خطورة ووضوحا وأثرا على المستقبل . لم يعد الاستيلاء امرا في ضمير المحتمل ، بل تحول الى واقع ضاغط ، ذي مخططات وبرامج لها امتدادات وخطوات تنفيذ تشمل رقعة واسعة من الاراضي وقطاعات عريضة من البشر (تمثل اراضي الضفة الغربية وقطاع غزة حوالي ٢٢ بالمائة من مساحة فلسطين كلها ، يعيش فوقها حوالي مليون فلسطيني) .

٢ ــ يظل صمود شعبنا في وجه مختلف التحديات والمخططات التي يمثلهـــا الاحتلال الاسرائيلي ، القضية المركزية الاولى المؤهلة بأن تطوع التطورات الى مصلحة التحرير وفي اتجاهه في المدى المرحلي والاستراتيجي . غير ان الصمود لا تتحقق صلابته بمجرد تمنيه أو مناشدته ، وانما عبر مخططات علمية مضادة (للاجراءات الاسرائيلية) وفي اطار برامج لدعمه . وحتى تكون خطة الصمود في حيــز الواقع وفي متناول التحقيق العملي ، لا بد ان تكون واضحة صورة الضغوط التي يتعرض لها شعبنا ، وبشكل خاص فئاتها الاقتصادية .

٣ ــ لعل هذا الاعتبار الثالث هو أهم الاعتبارات : ان شعبنا في الاراضي المحتلة المقيد بالاجراءات والضغوط يحتاج الى ثقة عالية جدا بأداة التحرير حتى تنطلق لديه ارادة الرفض والصمود وارادة المقاومة الى آفاقها الواسعة . ولا شك ان الامر الحاسم الذي يطلق عنان هذه الثقة ، انما هو التصديق والقناعة بأن أداة الثورة تدرك الواقع الذي يعيشه على حقيقته دون أوهام ولا مبالغات ، وبأنها (أي أداة الثورة) قادرة على تحويل ادراكها هذا الى برامج عمل ، دؤوبة واثقة ومخططة .

ما هي ، اذن ، فئات الضغوط الاقتصادية التي يتعرض لها شعبنا ؟ من المفيد قبل الاجابة على هذا السؤال ان نعمد الى استعراض موجز للاوضاع القائمة في الاراضي المحتلة :

اولا : لمحة عامة حول الاوضاع القائمة في الضفة الغربية وقطاع غزة(١): تبلغ مساحة الاراضي التي احتلت في حزيران ١٩٦٧ حوالي ٢٧،٠٠٠ ميل مربع . قسمت الاراضي اداريا الى اربع مناطق : مرتفعات الجولان، قطاع غزة وشمالي سيناء ، جنوبي سيناء، والضفة الغربية للاردن. يتولى الاشراف على كل منطقة من هذه المناطق حاكم عسكري. اما الادارة المدنية فيقوم بها قسمان : اقتصادي وخدمات . يشرف القسم الاقتصادي على النشاطات المحلية للوزارات الاسرائيلية ، العمل والزراعة ، التجارة والصناعة ، بينما يشرف قسم الخدمات على نشاطات تتعلق بالصحة والتعليم الخ .. ويبلغ مجموع عدد سكان المناطق المحتلة حوالي مليون نسمة ، تتركز غالبيتهم في الضفة الغربية وفي قطاع غزة . اما مرتفعات الجولان فهي صغيرة الحجم ، مساحة وفي عدد السكان . يشكل الاولاد دون سن الخامسة عشرة ٤٨،١٪ من مجموع السكان : ٣٤،٧٪ تتراوح اعمارهم بين ١٥ و٤٤ سنة . اما الذين تزيد اعمارهم عن ٤٥ سنة فتبلغ نسبتهم من مجموع عدد السكان ١٧،٢٪ . اما نسبة عدد الرجال في فئة الاعمار بين ١٥ و٤٤ سنة فهي صغيرة ، وهذا يعود الى ظروف الحرب وظروف الهجرة التقليدية من هذه المناطق الى مناطق اخرى بحثا عن العمل .

من المعروف ان اقتصاد الضفة الغربية للاردن يقوم على الزراعة . قبل حرب حزيران كان حوالي ٣٦٪ من مساحة الارض في الضفة مزروعا ، وحوالي ٥٪ من الاراضي المزروعة مرويا . ويقع حوالي ٦٤٪ من الاراضي المروية في وادي الاردن ، حيث يسبب اشتداد الحرارة في الصيف استهلاكا كبيرا من المياه . قبل حرب حزيران كان عماد الاقتصاد المحلي للضفة هو تجارة المزروعات مع الضفة الشرقية. اما القطاعات الاخرى فيمكن ايجاز اوضاعها على الشكل التالي : كان يعمل حوالي ٢٩،٥٠٠ شخص في قطاع البناء اي ١٧٪ من القوة العاملة . وحوالي ٦٠٠ شخص كانوا يعملون في المنشآت العامة . وحوالي ٢٠٠ شخص كانوا في المحلات الصغيرة لتصليح السيارات . وفي قطاع التعليم كان هناك حوالي ٣٨٢٠ معلما . اما في المستشفيات وقطاع الصحة فكان هناك ٧٠٩ بين طبيب وممرض وممرضة . وحوالي ٧٠٠ شخص كانوا يعملون في العام ١٩٦٧ في الصناعات التذكارية الصغيرة والبلاستيك وفي بعض المنشآت الصغيرة التي تنتج الالبسة والمفروشات الحديدية . هذا في منطقة بيت لحم . اما في منطقة الخليل فكانت هناك بعض الصناعات لانتاج الاغذية وصناعة الزجاج والاحذية . بلغ عدد العاملين فيها حوالي ٥٥٠ شخصا . وفي رام الله كانت في العام ١٩٦٧ بعض محلات المفروشات ، وعدد قليل من اماكن انتاج النبيذ والكحول ومصنع حلويات كان يشغلها حوالي ٣٥٠ عاملا . اما مجموع العاملين في الصناعات على اختلافها في منطقة نابلس فكان حوالي ١٣٥٠ عاملا . مجموع عدد سكان الضفة الغربية يبلغ ٥٩٨،٦٣٧ نسمة ، توزيعهم على الشكل التالي(٢): نابلس ١٥٢،٣٨١ والخليل ١١٨،٣٥٨ ورام الله ٨٨،٨٧٧ وجنين ٧٨،٢٩٥ وطولكرم ٧٢،٢٢٩ وبيت لحم ٤٩،٥١٥ والقدس ٢٩،٩٠٤ واريحا ٩٠٧٨ .

في نهاية العام ١٩٦٨ كان حجم القوة العاملة في الضفة الغربية حوالي ١٠٤،٠٥٣ — اي حوالي ٣٠،٣٪ بالنسبة لعدد السكان فوق سن الرابعة عشرة . من هؤلاء كان حوالي ٩٢،٦٠٠ اي ٨٩٪ يعملون في الضفة الغربية وفي اسرائيل . (وسوف نبين اثر الضغوط الاقتصادية على القوة العاملة وعلى توزيعها وتطورها في البحث اللاحق) . وفي نهاية العام ١٩٦٩ كان حجم القوة العاملة حوالي ١٠٨،٠٠٠ عامل ، بنسبة بطالة ٣٪ فقط. اما العمل نفسه فيتأمن عبر برامج للمشاريع العامة ، بناء الطرق والتشجير . بلغت نسبة العمال الزراعيين حوالي ٤٦٪ وفي الحرف والصناعات حوالي ١٥٪ ، في البناء والمشاريع العامة حوالي ١٢٪ (٣). اما بالنسبة لقطاع غزة فان ما مساحته ٢٤٠،٢٤٠ دونما من مجموع مساحة تبلغ حوالي ٣٣٢،٦٤٠ دونما هو من الاراضي المزروعة ، من هذه الاراضي يقع حوالي ١٢٩،٣٦٠ دونما في شبكة الري بينما تروي الامطار فقط

المساحات المتبقية .
تعتبر زراعة الحمضيات في القطاع الجزء الرئيسي من نشاط القطاع ومن مصادر دخله الاساسية . وقد تأثر اقتصاد قطاع غزة تأثرا كبيرا بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وخاصة بعد انقطاع سيل تجارة البضائع المعفاة من الضرائب الى الجمهورية العربية المتحدة . كما ان التجارة مع الدول العربية مثل لبنـــان وسوريا والعراق تقلصت لتصبح قائمة بشكل ضيق عبر الاردن فقط ، في حين ابتدأت علاقات تجارية مع السوق الاسرائيلية . (وسوف نبين طبيعة هذه العلاقات الاقتصادية في بحث الضغوط) وقد احتكرت السوق الاسرائيلية كافة الصادرات الى القطاع .
يبلغ عدد سكان قطاع غزة ٣٥٦،٢٦١ (حسب احصاء شهـــر أيلول ١٩٦٧ ، المكتب الاحصائي المركزي لاسرائيل) . يتوزعون على الشكل التالي : غزة ١١٨،٢٧٢ وخان يونس ٥٢،٩٩٧ ورفح ٤٩،٨١٢ وجباليا ٤٣،٦٠٤ ودير البلح ١٨،١١٨ ومخيم النصيرات ١٧،٦٣٨ والبريج ١٢،٧٨٦ . ويسكن ٨،٨٪ من سكان القطـــاع في القرى (مقابل ٦٣،٣٪ في الضفة الغربية) . ٤٨،٤٪ من مجموع سكان القطاع يسكنون في المخيمات. ويعتمد غالب السكان على الدعم المالي الذي يأتي من ذويهم الذين يعملون في الخارج ، وعلى معونات وكالة الغوث .
تشكل قوة العمل في قطاع غزة نسبة صغيرة من مجموع السكان ، ففي نهاية العـــام ١٩٦٩ بلغ حجم قوة العمل حوالي ٥٤،٠٠٠ (حوالي ١٥٪ من عدد السكان) . بعد حرب حزيران كانت نسبة البطالة مرتفعة جدا (٣٦٪) وذلك بسبب غياب مصادر العمل الرئيسية في القطاع : جيش التحرير الفلسطيني ، الجيش المصري وقوات الطوارىء الدولية . أما في نهاية العام ١٩٦٩ فقد انخفضت نسبة البطالة لتصل الى حوالي ٤٪ (من قوة العمل) . يشكل العمال الزراعيون حوالي ٣٣٪ من مجموع قوة العمل، التجار حوالي ١٦٪ ، عمال الحرف والصناعات الخفيفة ١٤٪ ، عمال البناء ١٠٪ (٤).
وحول التعاطي الاقتصادي والعلاقات الاقتصادية في الضفـــة والقطاع نورد الصورة الموجزة التالية : بالنسبة للضفة فان القوة العاملة موزعة على الشكل التالي :
من أصل ٩٢،٦٠٠ عامل : في الزراعة ٤٢،٦٠٠ عامل وفي الخدمـــات ٢٧،١٠٠ عامل وفي الصناعة ١٠،١٥٠ عاملا وغير مصنفين ١٢،٧٥٠ .
منابع العون بالنسبة للنازحين :

	في المخيمات	خارج المخيمات
اونروا	٨٥،٨٪	٧٤،١٪
من الاقارب في الخارج	٦،٥ ٪	١٣،٧٪
من مصادر أخرى	٢،٠ ٪	٣،٦ ٪

وهناك ٨٦ مؤسسة خيرية تقدم الدعم وتسع منظمات دولية ، وتدعي الادارة العسكرية انها تقدم عونا الى جزء كبير من المحتاجين . وهناك ايضـــا العمال الذين يعملـــون في اسرائيل والذين سوف نأتي على دراسة اوضاعهم في القسم الاخير من هذا البحث . كما ان ما يقارب ٨١ بالمائة من عائلات قطاع غـــزة وشمالي سيناء يتلقـــون العون ، والمصدر الرئيسي هو الاقارب العاملون في الخارج . حوالي ٧٠،٠٠٠ شخص يتلقون العون من منظمة (CARE) الاميركية ، وتدعي الادارة العسكرية الاسرائيلية انها تتولى حوالي ثلث النشاط الانمائي في منطقة العريش عبر برنامج « الطعام مقابل العمل » ، حيث تتاح فرصة العمل مدة ١٥ يوما في الشهر للمحتاجين . الاجـــر اليومي للعامل المدرب هو ٣ ليرات اسرائيلية وغير المدرب ٢،٤٠ ليرة اسرائيلية . وتبلغ قيمة الاعاشة التي تقدم للفرد الواحد في الشهر حوالي ٦ ليرات اسرائيلية . في العام ١٩٦٩ شمل هذا البرنامج البدو أيضا ، وهم يتلقون حوالي ٣٥،٠٠٠ اعاشة .
ثانيا : فئات الضغوط الاقتصادية : ثلاث ملاحظات من الضروري تأكيدها في مقدمة بحث

فئات الضغوط الاقتصادية: ١) لا بد أن يؤخذ مجموع الاجراءات والقرارات التي أصدرتها سلطات الاحتلال بالنسبة لمختلف القطاعات ، بعين الاعتبار ككتلة واحدة . بمعنى انه ، حتى نتمكن من حصر آثار تلك الاجـراءات ، وحتى نتلمس نتائجهـا على دورة الحياة الاقتصادية في المناطق المحتلة ، لا بد من اعتبارها مجتمعة وغير مجزأة . ٢) لا شك ان العديد من الاجراءات التي تحمل طابعا سياسيا او شكلا يتعلق بأمور الامن ، تفرز ، كضغوط ، آثارا مباشرة وغير مباشرة على الحياة الاقتصاديـة . فمنع التجول فترات طويلة ، وتقييد حرية التنقل ، واشاعة جو من القلق والتوتر مثلا ، كل هذه وغيرها تؤثر بشكل مباشر على الانتاجية وعلى الاستمرارية وعلـى العمل وعلى كثير مـن الامور الاقتصادية الرئيسية . ٣) لا شك ان الوضع الاقتصادي لمنطقـة تقع تحت الاحتلال ، يكون دائما في حالة عدم استقرار ، وخاصة اذا كانت هناك، كما هي الحال تحت الاحتلال الاسرائيلي، مخططات معادية وهادفة الى السيطرة الاقتصادية والاستغلال الاقتصادي، بالاضافة الى السياسة التوسعيـة الاستيطانية ، التي عرفت بهـا المطامع الصهيونية والاسرائيلية عبر تاريخها الطويل .

بعد هذه الملاحظات نعمد الى تعداد فئات الضغوط الاقتصادية وآثارها :

أ) **الهجرة والتهجير** : شهدت الضفة الغربية وشهد قطاع غزة ابان حرب حزيران ١٩٦٧ موجات كبيرة من الهجرة ، فقد فر ما مجموعـه حوالي ٢٠٠،٠٠٠ نسمة خلال الحرب (من الضفة الغربية وحدها) ومنذ ذلك الحـين اضطر آخرون قدر عددهم بحوالـي ٢١٠،٠٠٠ شخص (من الضفة الغربية وقطاع غزة) بدافع الخوف ونسف بيوتهم او فقدان اقربائهم الى مغادرة ديارهم واراضيهم. ولم يسمح الا لـ ١٤٠٢٧ لاجئا بالعودة بالاضافة الى ١٨٤٧ دخلوا بموجب « مشروع جمع شمل العائلات »(٥). ان لهذه الهجرة بالاضافة لمعانيها وآثارها الاخرى ، وقع رهيب على الحالة الاقتصادية من ناحية النشاط الاقتصادي.، والقوة العاملة فيه ، ثم من ناحية الاستهلاك والتوفـير وحوافز الانتاج الاخرى . انه من الصعب جدا تقدير الدلالة الاقتصادية لعمليات الهجرة والتهجير ولعل فقدان الممتلكات الفردية وفقدان موارد الرزق (فرص العمل والانتاج) تمثل أهم الفئات من الخسائر التي سببها الاحتلال وأدت الى الهجرة . لا بد من النظر الى هذه الخسائر من زاويتين : الاولى ، اثرها على المهاجرين انفسهم ، والثانية : اثرهـا على اقتصاد الضفة والقطاع ، هذا الاقتصاد الذي جاء وجود اسرائيل بين الضفة والقطاع وعامل الهجرة ليكسرا دورته الطبيعية .

ب) **تهديم المنازل** : بغض النظر عن العدد الحقيقي للمنازل التي قامت سلطات الاحتلال بتدميرها ، اما بعد الحرب مباشرة او خلال الفترة التي تلت الحـرب ، عبر اجراءات العقاب الجماعي او بالادعاء بأن احتياطات الامن انما تكمن وراء هذه الاجراءات (هناك تقدير نعتقده قريبا من الحقيقة لعدد المنازل التي هدمت حتى اواخـر العام ١٩٦٩ ، يصل تقريبا الى ٧٥٤٢ منزلا) . بغض النظر عن العدد الحقيقي ، وكذلك عن الاسباب وراء التهديم ، فان تهديم المنازل ادى الى عدة نتائج اثرت على الوضع الاقتصادي تأثيرا بالغا واصابت استقرار الناس في صميمه من النواحي التالية : اجبار اصحاب البيوت المهدمة على دفع ايجارات لم يكونوا يتوقعونها ، التشويش والتوتر الذي اصاب الاعمال والوظائف ، من جهة انقطاعها والاضطرار الى البحث عن عمل في أماكن مختلفة ، الحيف الاقتصادي الذي اصاب حياة الناس من جراء عمليات التهديم ، تدمير قسم من رأس المال المنتج لدى السكان ، فبين العاشر والخامس والعشرين من حزيران ١٩٦٧ اي بعد حرب الايام الستة مباشرة دمرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي منازل ثلاث قرى عربية في قضاء رام الله/البيرة ، هي قرى : عمواس ، بيت نوبا ويالو . مجموع عدد المنازل التي تهدمت هو ١٩٠٠ منزل ، تبلغ تكاليفها التقديرية ، حسب تقديرات مخاتير القرى مـا مجموعه ١،١٢٣،٣١٢ دينارا. بعد هذا التاريخ قامت سلطات الاحتلال بتدمير حوالي ٥٦٤٠ منزلا

في الاراضي المحتلة ، يكون المجموع في أواخر ١٩٦٩ حوالي ٧٥٤٠ منزلا ، اذا افترضنا الان ان قيمة تكاليف المنازل التي تهدمت بعد تدمير منـــازل القرى الثلاث ، تتقارب مع تكاليف منازل القرى نفسها ، لوجدنا ان القيمة الاجمالية لتكاليف المنـــازل التي تهدمت تصــل الى حوالي ٤٤٤٥٧،٩٠٠ دينـــار . هذا الرقـــم يمثــل الحد الادنـــى مـــن الخسائر الناجمة عن تدمير هذه المنازل ، لانه يمثل قيمة تكاليف بنائها فقط ولا يشمل قيمة محتوياتها (وان كان الكثير منها قد افرغ من محتوياته قبل النسف) ولا يشمل أيضا قيمة الاراضي التي اقيمت عليها هذه المنازل والتي تم الاستيلاء عليها . (لقد تم الاستيلاء على اراضي القرى الثلاث المذكورة وعلى بعض الاراضي الاخرى ، وليس على كافة الاراضي التي تهدمت المنازل فوقها) .

نورد هنا احصائية بمساحة اراضي القرى الثلاث التي تم الاستيلاء عليها ، لنعطي فكرة عن حجم الخسائر المادية التي لو أمكن تقديرها لبلغت ملايين الدنانير . **قرية عمواس** : كانت مساحة اراضيها في العام ١٩٤٨ حوالي ٣٠،٠٠٠ دونم ، استولى عليها العدو في ذلك الحين وابقى للقرية ٢٠،٠٠٠ دونم منها ليعود يستولي عليهـــا في حزيران ١٩٦٧ . **قرية بيت نوبا** : مساحتها في العام ١٩٤٨ حوالي ١٦،٠٠٠ دونم ، استولى عليها العدو وعاد في حزيران ١٩٦٧ ليستولي على ما تبقى وهـــو ٤،٠٠٠ دونم . **قرية يالو** : كانت مساحتها ١٧،٨٠٠ دونم ، بقي منها ٤،٠٠٠ استولت عليها سلطات الاحتلال خلال حرب حزيران . ان هذه الخسارة الواسعة للارض واضطرار السكان الى الانتقال الى مناطق مجاورة ، ادت الى ضغط سكاني على الموارد الطبيعية لا بد من اخذه بعين الاعتبار .

ج) **الاعتقالات والتوقيفات الواسعة النطاق** : ربما كان من الصعب تحديد عدد المعتقلين والموقوفين في سجون العدو ومراكزه ، ولكننا نتمكن من القـــول انه لم يمض شهر منذ حزيران ١٩٦٧ الا وكان فيه معتقلون وموقوفون اداريا ، وتحقيقات والى ما هنالك من مثل هذه الاجراءات . انه بصرف النظـــر عن الاذى الذي يلحق بالمواطنين مـــن هذه الاجراءات ، فان الاعتقالات والتوقيف الاداري الذي تمارسه سلطـــات الاحتلال تؤثر بشكل مباشر على اوضاع العمل واستمراريته . ان الانقطاع عن العمل بسبب الاعتقال او التوقيف او التحقيق يصيب ناحيتين : العامل او الموظف نفسه من ناحية ، ومكان العمل من ناحية اخرى . وعندما تكون هذه الحالة دائمة وشاملة لعدد كبير من الحالات فان الحياة الاقتصادية تتأثر من جرائها تأثرا بالغا .

د) **عدم الاستقرار الاقتصادي الناجم عن الاحتلال** : ربما كانت حركة الاستثمار واحدا من أهم أعصاب حركة الحياة الاقتصادية في بلد ما ، فهي التي تنعش الاقتصاد وتعمل على تحقيق تسارع دورته (بتنشيط حوافز الانتاج) وربما كان الاطمئنان والاستقرار من اهم الشروط لنمو حركة الاستثمار وتصاعدها . ولا شك ان الاحتلال العسكري هو من اشد العوامل الباعثة على عدم الاطمئنان وعدم الاستقرار . هذه الصورة تعيشها ، منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ، الاراضي العربية التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي . ولا تفيد، بصدد تغيير النتائج الاقتصادية المترتبة على الاحتلال ، جملة المحاولات المصطنعة التي يمكن ان تبذل . فلا صورة البحبوحة السطحية ، ولا الازدهار الشكلي ، يمكن لهما ان يدفعا بحركة الاستثمار الى تنشيط فعلي لدورة الحياة الاقتصادية . ما نقصده ، من هذه الزاوية ، هي الارقام التي تشير اليها بعض الاستنتاجات الاسرائيليـــة حول اقتصاد المناطق المحتلة ، اذ تحاول هذه الارقام اعطاء صورة مشرقة حول الاوضاع القائمة ، وربما كانت الارقام صحيحة ، ولكن العامل الحاسم هـــو زاوية النظرة الى الاوضاع الاقتصادية . الجهات الاسرائيلية تعتبر النتائج التي توصلت لها سياساتها الاقتصادية في المناطق المحتلة ، دلائل نمو وتطور . وفي الواقع فانه لا يجوز ان يقيم اقتصاد المناطق المحتلة من زاوية ارتباطه بالاقتصاد والتخطيط الاقتصادي الاسرائيلي الذي يحاول ان يبتلعه ، وفي أحسن الاحوال يريد ان يخضعه لمخططاته التوسعية العدوانية . وانما لا

بد ان تكون زاوية تقييم اقتصاد المناطق المحتلة ، على اساس انه اقتصاد مستقل ، كانت ارتباطاته تمتد (قبل الاحتلال) داخل اطار اقتصاد الضفتين . الى ماذا تشير الارقام الاسرائيلية ؟ تبين دراسة قام بها « بنك اسرائيل » في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧(٦)، ان النشاط الاقتصادي في هذه المناطق ازداد نموا وباضطراد طيلة العام ١٩٦٩ ، كما ان ارتفاعا في مستوى المعيشة رافق هذا النمو . وان الناتج القومي العام، بالارقام الفعلية ارتفع بنسبة ٢٥٪ (بالنسبة للسنة السابقة) . كما ان نسبة الانتاج للفرد ارتفعت بـ ٢٣٪ . وقد ارتفعت المداخيل وكذلك الطلب الخاص بنسبة ١٩٪ . واستمر عامل الارتباط باسرائيل بكونه المحرك الحقيقي للاقتصاد . اخذت المناطق المحتلة ما نسبته فقط ١٠٥٪ من صادرات اسرائيل (اقل من ١٪ من الناتج القومي الاسرائيلي) ولكن هذه النسبة تساوي حوالي ١٧٪ من الناتج القومي للمناطق المحتلة للعام ١٩٦٩ . اما العجز في الميزان التجاري (حوالي ١٤٦ مليون ليرة اسرائيلية) فقد امكن التغلب عليه بواسطة المقبوضات (اجور العمال الذين يعملون في اسرائيل زائدا الاستثمارات والمعونات الخ ...) تضاعفت الاستثمارات في العام ١٩٦٩ الى مبلغ ٦٧ مليون ليرة اسرائيلية ، منها ٤٤ مليونا للضفة الغربية و٢٣ مليونا لقطاع غزة وشمالي سيناء . كان نصف قيمة الاستثمارات في القطاع العام وبواسطة السلطات العسكرية والمحلية ، وكذلك كان الاستثمار الخاص في ازدياد ونمو . هذا ما تقوله الارقام الاسرائيلية وهو يؤكد ، بالفعل، خطورة المحاولات الاسرائيلية الرامية الى السيطرة على اقتصاد المناطق المحتلة واضفاء صورة مزيفة من الازدهار على تلك المناطق .

هـ) **ارتفاع ضرائب الاستيراد وأثره على صغار التجار (بشكل خاص)** : لقد اضطر عدد كبير من اصحاب المحلات التجارية الى ترك مهنتهم الاساسية والعمل خارج المناطق المحتلة ، نتيجة الارهاب والضغط الاقتصادي ، المتمثل باجبارهم اما على شراء بضائعهم من تجار الجملة الاسرائيليين وبأسعار مرتفعة ، او باستيرادها من الضفة الشرقية وبضرائب استيراد مرتفعة جدا . وقد توسعت سلطات الاحتلال في فرض الضرائب على السلع المستوردة وضاعفت من قيمة الضريبة ، نورد هنا بعض الأمثلة :

		قبل الاحتلال
ــ الرز يستوفى	٥٠ فلسا كرسم جمركي	الضريبة كانت ٢٥ فلسا تقريبا
ــ الشاي	٢٦٠ فلسا كرسم جمركي	الضريبة كانت ١٣٠ فلسا تقريبا
ــ الزجاج	٩٠٪ من قيمته كرسم جمركي	٤٥٪ من قيمته تقريبا
ــ القرطاسية	١٥٪ من قيمته كرسم جمركي	لم تكن هناك ضريبة اطلاقا
ــ المنسوجات	١٥٪ من قيمته كرسم جمركي	لم تكن هناك ضريبة اطلاقا

وتجدر الملاحظة ان السلطات الاسرائيلية تمنع استيراد بعض السلع (السكر مثلا) ، وتقوم هي باستيراده وتبيعه بأسعار احتكارية ، وتقدر أرباح الخزينة الاسرائيلية بحوالي ١٠٠٠ دينار يوميا من الضفة الغربية لوحدها ومن السكر لوحده . ويتمثل الضغط الاقتصادي ايضا باغلاق الاسواق بأوامر عسكرية وفرض الحصار على بعض المناطق والاحياء التجارية كما حصل في الخليل وغزة . وكذلك اجبار التجار على دفع ما يمثل نصف قيمة البضائع التي يريدون استيرادها الى السلطات الاسرائيلية كتأمين من أجل الحصول على اجازة استيراد ولا يمكن استرداد هذا التأمين قبل مدة ستة شهور على دفعه ، مما يؤدي الى تجميد هذه المبالغ ، الامر الذي يعود بالربح على الخزينة الاسرائيلية بسبب تمكنها من التصرف بهذه الاموال .

و) **صعوبات التحويل من الخارج** : لقد بينا في مقدمة بحث فئات الضغوط الاقتصادية أن نسبة كبيرة من شعبنا في الاراضي المحتلة تعيش على ما يحوله لها ابناؤها الذين يعملون خارج الاراضي المحتلة وخاصة في دول الخليج العربي . حتى هذا المدخول لم تتركه سلطات الاحتلال دون تضييق وتعقيد ، فقد أخضعت سعر التحويلات الى تعادل في

صالح العملة الاسرائيلية ، مما أدى الى خفض قيمة التحويلات بالنسبة لشعبنا وزيادة مدخول الخزينة الاسرائيلية من هذا الباب أيضا .

ز) **مصادرة الممتلكات والاراضي وتفريغ المنازل من أجل الاسكان** (وهو بند يختلف عن تهديم المنازل) : لقد أشرنا سابقا الى عدد المنازل التي نسفت بعد الاحتلال في العام ١٩٦٧ وكذلك الى مساحة الاراضي التي استولت عليها سلطات الاحتلال وخاصة في القرى الثلاث عمواس ، بيت نوبا ، ويالو في قضاء رام‌الله / البيرة . أن سجل الاستيلاء والمصادرة الذي كونته ممارسة سلطات الاحتلال في السنوات الاخيرة القليلة كبير وحافل . لذلك سوف نكتفي بالاشارة الى أهم البنود فيه ، للدلالة على ضخامة العبء الناتج عنه (ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى كتاب روحي الخطيب المشار اليه في الحاشية رقم ٧) : ١) بتاريخ ١٩٦٨/٤/١٨ نشر في الجريدة الرسمية الاسرائيلية عدد ١٤٤٣ أمر يتعلق بمصادرة الاراضي والمباني العربية داخل اسوار القدس القديمة . تمتد المساحة المصادرة بين السور الجنوبي الغربي للحرم الشريف والحي الارمني داخل أسوار المدينة . تقدر المساحة بحوالي ١١٦ دونما . وهي في غالبيتها العظمى أملاك عربية (حوالي ٥٩٥ منزلا عربيا من أصل ٧٠٠ منزل شملتها المصادرة) ، ويسكنها حوالي ٦٠٠٠ عربي(٧) . ٢) نشر في جريدة الوقائع الاسرائيلية (النشرة العبرية) رقم ١٦٥٦ بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠ ، اعلان من وزير المالية الاسرائيلي يتعلق بمصادرة أراض جديدة في القدس : قطعة أرض مساحتها الاجمالية ٤٧٠ دونما وتقع في منطقة النبي يعقوب . قطعة ارض اخرى مساحتها ٤،٨٤٠ دونما تقع شمالي — غربي القدس . واحدة اخرى بجنوبي شرقي القدس تبلغ مساحتها حوالي ٢،٢٤٠ دونما . وفي جنوبي — عربي المدينة قطعة مساحتها ٢،٧٠٠ دونم تقريبا . ثم مجموعة اراض في مواقع مختلفة من القدس تقدر مساحتها الاجمالية بحوالي ١،٤٣٠ دونما . وتكون المساحة الاجمالية المصادرة بموجب هذا القرار المعلن بتاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠ حوالي ١١،٦٨٠ دونما(٨) . ٣) بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٤ نشرت جريدة هآرتس الاسرائيلية خبرا احتوى المعلومات التالية : تقوم وزارة الاسكان ببناء ثلاثة آلاف وحدة سكن في شرقي القدس ، كما تقوم شركات تجارية ببناء ٥٠٠ وحدة سكنية أخرى ، ومن المتوقع أن يتم بناء ٦٩٨ وحدة سكن أخرى في ضاحية رامات اشكول . وكذلك ١٥٠ وحدة على جبل سكوبس و١٢ عمارة في كرم لويز . ٤) بتاريخ ١٩٧١/١/٥ نشرت هآرتس الخبر التالي : «تعمل في البلدة القديمة وحدة خاصة مهمتها تخلية عقارات الحي من السكان العرب ولم يبق منهم حتى الان سوى ٢٥٠٠ عائلة تبذل الجهود لاخلائهم . فقد تم مؤخرا اخلاء خمسين حانوتا وحوالي ٣٠٠٠ ساكن عربي في الحي » . ٥) وقد نشرت جريدة « معاريف » بأعدادها بتاريخ ١٢/١٣/ ١٩٧٠ و١٩٧١/١/١١ و١٩٧١/١/١٤ معلومات حول التخطيط لانشاء ٣٣ الف وحدة سكن جديدة في الاراضي المستملكة والمصادرة حديثا . وقد جاء في عدد ١٩٧٠/١/١٤ وضمن مقال حول الموضوع : « لو كنا حقا نخشى الردود العربية أو اية ردود أخرى لهذه الخطوة الهامة في مواصلة العمل لتوحيد شطري القدس لما اقدمنا على مصادرة هذه الاراضي»(٩) . ٦) في الجولان اقيمت ١٤ قرية ، وفي الضفة الغربية ٩ «قرى دفاعية» وخمس مستعمرات في شبه جزيرة سيناء . اما في قطاع غزة فقد انشئت اول «مستعمرة دفاعية » في مطلع شهر ١٩٧٠/١٢ ، الدوافع وراء كل ذلك : استراتيجية — سياسية — جغرافية — اقتصادية(١٠) « كلما ازداد عدد المستعمرات في المناطق الهامة استراتيجيا ، تضاعفت فرصنا في المستقبل لاقامة حدود آمنة » (يغال آلون) . ٧) هناك خطة سوف يحضر على اساسها ٣٥٠٠ اسرائيلي لغاية العام ١٩٧٥ للاقامة في ١٧ قرية جديدة في الجولان ، وخطة أخرى لانشاء ثلاثة مراكز سكنية ومركزين سياحيين . ٨) ان الاستيلاء على أراضي الفلاحين في غور الاردن لم يعد أمرا خافيا على أحد (كيبوتس « مهولا ») وكذلك قرار الحكومة الاسرائيلية باقامة ٢٥٠ وحدة سكنية في الخليل(١١) . هذا قليل من

كثير يمكن ايراده في هذا الصدد وهو يثبت ان كافة الاجراءات المتعلقة بتفريغ المنازل ومصادرة الممتلكات والاراضي انما ترمي الى غايتين : غاية توسعية بفرض الامر الواقع وخلق « حقائق جديدة » ، وغاية أخرى هي افساح المجال للمستوطنين الجدد .

د) **فرض الضرائب الاسرائيلية علـى القدس وبعض الضرائب على المناطـق المحتلة الاخرى** : ذكرنا سابقا الضرائب على الاستيراد التي فرضتها السلطة المحتلة على تجار المناطق المحتلة والتي سببت لهم ضيقا وضغطا جديدا فوق ما يعانونه . بالاضافة الى هذه الضريبة هناك عدة ضرائب أخرى جديدة :

ـــ ضريبة الانتاج ، وهي ضريبة على السلع التي تصنع محليا ، وقد تدرجت هذه الضريبة حتى أصبحت تشمل كافة السلع التي تنتج مهما بلغت قيمتها . وازدادت حتى بلغت ١٥٪ من قيمة السلعة . من الطبيعي ان يكون اثر فرض هـذه الضريبة كبيرا على ارتفاع الاسعار ، مما سبب ضيقا ، وبشكل خاص ، على أصحاب الدخول البسيطة من الحرفيين الصغار (كالنجارين والحدادين ومعامل البلاط والخزف والنسيج واشغال الابرة) . حتى الصناعات البسيطة مثل تلك التي تعبر عن رموز دينية مقدسة شملها هذا الاجراء ، فقد احتجز موظفو الجمارك هذا الانتاج الديني ، بحجة انه لم تدفع عليه ضريبة الانتاج .

ـــ ضرائب الدخل ، بقصد مزيد من الضغط الاقتصادي والتضييق الهادف الى قهر صمود المواطنين وبالتالي اجبارهم على مزيد من الارتباطات بالمخططات الاسرائيلية ، تلاحق الادارة المحتلة اصحاب المحال التجارية ، الذين يعانون كافة انواع الضيق حتى ان كثيرين منهم اصبحوا عاجزين عن سداد ايجارات محالهم ، تلاحقهم الادارة الاسرائيلية بضرورة دفع ضريبة الدخل ، التي تحددها هي بمستواها المطبق في اسرائيل . واكثر من ذلك فانها تطالبهم بضرائب دخل استحقت عليهم قبل الاحتلال (كمطالبتها شركة الزيوت بمبلغ ٢٥ الف دينار كضريبة عن أرباحها ، ورفضها اعطاءها براءة ذمة لاجل الاستيراد) .

ـــ ضريبة الدفاع ، نشرت جريدة القدس الاسرائيلية في عددها الصادر بتاريخ ٧٠/٢/٤ قرارا لوزير المالية الاسرائيلية يقضي بجباية ضريبة الدفاع عن استهلاك الكهرباء على مواطني القدس العربية ، وقد أعلن احد المسؤولين انه ستتم في المستقبل جباية ضريبة الدفاع على استهلاك الكهرباء في جميع المناطق .

ـــ الضريبة على السيارات ، تحصل السلطات الاسرائيلية ٤٠٠٠ ليرة اسرائيلية عن كل سيارة خصوصية تباع الى اي شخص في القدس العربية ، وقد حجزت السلطات كافة السيارات التي بيعت هناك والتي لم يستجب اصحابها للقرار بدفع القيمة المذكورة .

بالاضافة الى هذه القضية فاننا نلاحظ هنا الاستنزاف المخطط ، اذ حسبنا على اساس تقدير معين (تشير الارقام التقريبية الى أن الرسوم الجمركية على بضائع المناطق المحتلة تبلغ ربع مليون دينار أردني شهريا) عائدات الخزينة الاسرائيلية طيلة ثلاث سنوات من الاحتلال فقط من الرسوم الجمركية المفروضة على بضائع المنطقة المحتلة فوصلنا الى مبلغ تقريبي هو عشرة ملايين دينار أردني .

ط) **ارتفاع الاسعار وتكاليف المعيشة** : فئات صغيرة من أبناء شعبنا في المناطق المحتلة لم يؤثر عليها كثيرا ارتفاع الاسعار وارتفاع تكاليف المعيشة ، بينما عانت وتعاني الكثير من اثر الضغوط الاخرى التي عددناها والتي توجه ضد شعبنا يوميا . هذه الفئات هي : العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل (وسوف نتعرض بعد قليل لاوضاعهم) وموظفو الحكومة الذين يتقاضون راتبين من الادارة الاسرائيلية والحكومة الاردنية . أما باقي فئات شعبنا الرازحة تحت الاحتلال كالمزارعين والعاطلين عـن العمل ، فان ارتفاع الاسعار المضطرد يمثل عبئا حياتيا عليها يكاد يخنقها ويشلها ، فهي كما بينا سابقا ، تتعرض لكافة انواع الضغوط بالاضافة الى الحالة السياسية القائمة التي يعيشها شعب تحت احتلال معـــاد لا يلتفت الى حقوق الانســـان البديهية ولا يراعـــي أبسط شروط العيش . نورد فيما يلي بعض الفروقات في اسعار السلع الحياتية الرئيسية بين عامي

١٩٦٧ و١٩٦٩ : الرز من ٧٠ ــ ٨٠ فلسا للكيلو الى ١٠٠ ــ ١٣٥ والسكر من ٤٠ الى ٦٥ والشاي من ٨٠ ــ ٨٥ الى ٩٠ ــ ١٠٠ والحبوب من ٩٥ الى ١١٠ والخبز من ٩٥ الى ١١٠ والصابون من ٢٣٠ الى ٢٦٠ والقهوة من ٥٥ للمئة غرام الى ٨٠ .
لا شك ان العبء الذي يمثله ارتفاع الاسعار هذا يمكن اعتباره مضاعفا (وخاصة ان هذه المواد هي من المواد الرئيسية التي لا يمكن الاستغناء عنها) اذا اخذنا بعين الاعتبار الانخفاض في المداخيل . يكون الارتفاع في مستوى الاسعار مؤشرا الى تحسن في مستوى المعيشة العام ، فقط عندما يرافقه او يسبقه ارتفاع في المداخيل . ولكن ارتفاع الاسعار في المناطق المحتلة ، الذي تحقق بسبب عدة عوامل منها ارتفاع اسعار الجملة ومنها الرسوم الجمركية المرتفعة ، انما يمثل ضغطا اقتصاديا جديدا واستنزافا موجها الى صمود الناس ومعنوياتهم .

ي) **اغلاق الحسابات ومصادرتها في البنوك العربية** (١٢): ان الاستمرار في اغلاق البنك العربي والبنك العثماني والبنك البريطاني للشرق الاوسط وفروعها في الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل يسبب قلقا واضطرابا للالاف من سكان القدس الغربية والضفة الغربية كلها ، اذ ان هؤلاء ما زالوا يملكون الملايين من الدنانير في الاردن ولا يستطيعون الاستفادة من خدمات البنوك التي وضعوا ودائعهم فيها.
قامت بعد الاحتلال مباشرة مجموعة خاصة من قبل السلطة العسكرية بتدقيق حسابات ٣١ فرع بنك في الضفة الغربية فوجدت ان ميزان الموجودات العام يبلغ حوالي ١٥ مليون دينار . اما موجودات البنوك النقدية فبلغت ٦٢٠،٠٠٠ دينار (كان النقد الفعلي الموجود في الخزائن حوالي ٤٨٠،٠٠٠ دينار بسبب السحوبات في اللحظة الاخيرة) . بلغت قيمة الودائع ١٣ مليون دينار وحسابات الفروع الاخرى (للبنوك نفسها) حوالي مليوني دينار . بلغت قيمة الودائع في فروع البنكين الانكليزيين عشية الاحتلال ما مجموعه ٤،٥ مليون دينار ، وهي تمثل حوالي ثلث الودائع العامة في بنوك الضفة الغربية ، اي حوالي ٢٥٪ من وسائل الدفع المتداولة الان في الضفة الغربية باستثناء القدس . جملة القروض غير المدفوعة تبلغ ١،٧ مليون دينار . على ضوء هذه الصورة قامت السلطة العسكرية باغلاق البنوك ريثما يتخذ قرار بشأنها . ومع هذه القضية برزت مشكلة ٣٠٠ موظف اصبحوا بلا عمل نتيجة لاغلاق البنوك وفروعها . ان هذه المشكلة ما زالت قائمة حتى الان ولا يخفى على أحد اثرها ودلالتها . وربما يفيدنا ان نحدد عناصر الموقف الاسرائيلي من قضية البنوك ، لمعرفة الزاوية التي تنظر من خلالها سلطات الاحتلال الى هذه القضية : ١) ان اقتصاد الضفة الغربية هو اقتصاد بدائي ، لذلك فانه ليس بحاجة الى شبكة بنوك ولا الى معاملات بنكية (تصريحات حاكم البنك المركزي في اسرائيل ومقالات الصحف الاسرائيلية مثل الايكونومست الاسرائيلية حزيران ١٩٦٨ ، ص ٢٣٧) . ٢) رغم ذلك فان السلطات الاسرائيلية ترغب في اعادة فتح البنوك لان ذلك « يؤدي الى اعادة الحياة الى طبيعتها في المناطق المحتلة وفي الوقت نفسه يشد اواصر الروابط الفعلية بين المناطق التي تشرف عليها اسرائيل والبلدان العربية » (المرجع نفسه ، ص ٢٣٦) . ٣) تشترط السلطات الاسرائيلية ان يستمر اشراف بنك اسرائيل على معاملات هذه البنوك ، حتى لا تظل مرتبطة بالبنوك الام في عمان ، وان تخضع هذه البنوك لقوانين البنوك الاجنبية في اسرائيل .
اما ما يمثله استمرار اغلاق البنوك بالنسبة لشعبنا في الاراضي المحتلة فيمكن تلخيصه بما يلي : ١) استمرار القيد على حركة الاقتصاد ، والضيق الذي يسببه ذلك على المودعين والتجار وغيرهم . ٢) استمرار الحيف اللاحق بالموظفين (ذكرنا انهم حوالي ٣٠٠ موظف) ، من حيث بقائهم خارج وظائفهم الاصلية ، واضطرارهم للبحث عن عمل جديد في وضع اقتصادي صعب . ٣) تعميق سيطرة السلطات الاسرائيلية على اقتصاد الضفة الغربية ، وبالتالي على كافة جوانب الحياة فيها . (هناك الان ١٣ فرعا لبنوك

اسرائيلية تعمل في المناطق المحتلة منها ٩ في الضفة الغربية و٤ في قطاع غزة) . وهذا كله يشترك مع فئات الضغوط الاخرى في مخطط مدروس لاذلال شعبنا وقهر صموده .

ك) **تقلص الزراعة والانتاج الزراعي بسبب الارهاب المخطط** : ذكرنا سابقا ان الزراعة هي القطاع الاقتصادي الرئيسي والاهم بالنسبة لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، فهو يشمل ٤٧٪ من سكان الضفة و٣٩،٥٪ من سكان القطاع . وعلى هذا الاساس فان سياسة الارهاب التي مارستها السلطة المحتلة تجاه هذا القطاع الاقتصادي تعتبر من ابرز نشاطاتها الموجهة ضد شعبنا وضد صموده . ١) قامت القوات الاسرائيلية في مناسبات عدة بحرق المزروعات في مناطق الاغوار وطوباس بحجة مطاردة الفدائيين ، ٢) منع مزارعي الاغوار من الوصول الى بياراتهم واغلاق مناطق زراعية اخرى في وجه المزارعين ، وعدم منحهم التصاريح لتفقد بياراتهم ومزارعهم الواقعة في الاغوار .

(تعتبر « قضية رؤوف الحلبي » مثالا صارخا على سياسة الارهاب الاسرائيلية في هذا الصدد . كان الحلبي مزارعا في الغور الشرقي ، وظل متمسكا بأرضه على خط وقف اطلاق النار ، جاعلا منها نقطة تمركز ضاربة للفدائيين ، غير آبه بالقصف اليومي الذي كان يتعرض له من قبل القوات الاسرائيلية ، محاولة منعه من القيام بنشاطه الزراعي . ولكن الحلبي لم يستسلم ولم يهدأ الى أن استشهد في أواخر العام ١٩٦٩ على أثر قصف مباشر أصابه في منزله ضمن مزرعته في الغور الشرقي . وكانت مجلة «التايم» الاميركية قد كتبت تحقيقا عنه وعن محاولاته ونشاطه الزراعي قبل عام من استشهاده تقريبا .)

٣) فرض منع التجول ولمدة طويلة على المناطق الزراعية مما ادى الى تلف الثمار في الحقول نتيجة عدم تمكن المزارعين من جني ثمار مزروعاتهم. ٤) نتيجة لسياسة الارهاب والتهجير وفرض الحصار ومنع التجول المتواصل فقد ترك ما لا يقل عن ٧٠٪ من الاراضي الصالحة للزراعة دون فلاحة .

ل) **القيود (المالية خاصة) على الدخول والخروج من الاراضي المحتلة** : لا بد ، قبل البدء في تعداد نوعية القيود التي تفرضها سلطات الاحتلال على أبناء شعبنا وعلى حركة خروجهم ودخولهم من والى الاراضي الواقعة تحت الاحتلال من ابداء ملاحظة هامة : ان سلطات الاحتلال لم تضع هذه القيود على حركة السفر من أجل منع السكان من المغادرة او من العودة ، وانما قصدت في الدرجة الاولى الى ارهاقهم او استنزافهم ، باتجاه مزيد من السيطرة عليهم وعلى مصيرهم . هذا ما تشير اليه ، بالفعل ، نوعية القيود التي فرضتها سلطة الاحتلال : ١) لا عودة للذين يغادرون بتصاريح عمل أو دراسة قبل ستة أشهر ، هذا يعني مزيدا من تحطيم احتمالات الاستقرار في الضفة او في القطاع ، وخاصة بالنسبة للذين يخرجون بحثا عن عمل ولا يوفقون بذلك . ٢) اجبار كل شخص يتأخر عن العودة بموجب تصريح الخروج ان يدفع دينارا عن كل يوم يتأخر مهما كان العائق الذي تسبب في تأخره . ٣) فرض على جميع المواطنين والتجار الذين يرغبون في الحصول على تصاريح سفر تقديم كفالة مالية موقعة من تجار ثلاثة والصاق طوابع على الكفالات المالية بمعدل ١٥٠ فلسا عن كل مائة دينار وقد سرى مفعول هذا الامر الذي نشر في جريدة القدس الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١/٣٠ في عددها رقم ٣٦٩ بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٩ وقد وزعت قيمة كل كفالة كما يلي : أصحاب السيارات والتجار، ٢٠ الف ليرة اسرائيلية، تصاريح الزيارة ، ٥ آلاف ليرة اسرائيلية ، تصاريح الاشخاص من سن ١٤ — ٤٥ ، ٥ آلاف ليرة اسرائيلية ، تصاريح الطلاب ، ٥ آلاف ليرة اسرائيلية ، طلبات جمع الشمل ، ١٠ آلاف ليرة . ان العبء الذي تفرضه هذه الاجراءات كبير جدا ، وخاصة أن الناس لا يمكن ان يتجنبوها ، فهم مضطرون للخروج لانجاز اعمالهم . وكذلك فان العائدات لخزينة سلطات الاحتلال كبيرة ايضا ، فقد خرج عبر الجسور في العام ١٩٦٩ حوالي مائة الف شخص ، وبلغ عدد الذين عادوا ضمن برنامج جمع الشمل ٣٩٢٩ شخصا . ٤) فرض القيود على الحجاج الفلسطينيين باجبار كل حاج يغادر بلده الى مكة على دفع كفالة مالية

مقدارها ٥٠ دينارا لكل حاج . ٥) بالاضافة الى هذه الاعباء تأتي قضية الرشاوى التي يأخذها المختصون باصدار التصاريح من اجل الاسراع في الحصول على التصريح ، لان مدة اعطاء التصريح غير محددة ، فقد تطول لمدة تزيد عــن الشهر ، ومن هنا يضطر اصحاب الاعمال الى دفع هذه الرشاوى خوفا على مصالحهم من التعطيل . من الصعب جدا اعطاء أرقام دقيقة تدل على حجم هذه الفئة من الضغوط ماديا ، ولكنها بدون شك تعتبر عبئا ثقيلا يزيد في قهر شعبنا الرازح تحت الاحتلال .

م) **الاستيلاء على أموال وممتلكات المبعدين والغائبين** : بالاضافة الى العدد الكبير من ابناء شعبنا الذين هاجروا وهجروا أثناء حرب حزيران وبعدها ، هناك مجموعة أخرى من مواطني الضفة الغربية والقطاع ابعدوا عن هذه المناطق ولا زالت السلطات الاسرائيلية تمنع عودتهم وهم موجودون في الكويت وغيرها من البلدان ، وقد وضعت السلطات يدها على ممتلكاتهم وعقاراتهم ، ورفضت الاعتراف بوكلائهم او اقاربهم كمشرفين على هذه الممتلكات ، كما عمدت السلطات الاسرائيلية الى تأجير واستغلال الاموال مستفيدة من العائدات لخزينتها هي . انه من الصعب جدا الوصول الى الارقام التي توضح حجم هذه الفئة من الضغوط ، ولكننا على اي حال نتمكن من القول بأن شعبنا يعاني كثيرا منها . ولا بد من التوصل الى حل في صددها .

ن) **العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل** : ابقينا بحث هذا الموضوع الى الفقرة الاخيرة من دراسة فئات الضغوط الاقتصادية ، وذلك لاهميتــه وحساسيته ، ولكونه في نظرنا بحاجة الى وقفة دقيقة في خطة الصمود .

ترتكز اهمية هذا الموضوع الى العوامل التالية : ١) ان ما يزيد عن ثلاثين الفا (٣٠٠٠٠) من ابناء شعبنا في الضفة الغربية وفي قطاع غزة يعملون داخل اسرائيل وبشكل خاص في قطاعي البناء والزراعة. ٢) ان السلطات الاسرائيلية تطمح (حسب برامج مكاتب العمل الاسرائيلية الموزعة في المناطق المحتلة) الى اغراء ٢٥ الفا آخرين في العام للعمل داخل اسرائيل ، وذلك بدفع أجور مرتفعة نسبيا عما يمكن ان يتقاضوه في مناطقهم لو توفرت فرص العمل لهم هناك (وقد أشرنا سابقا الى صعوبة بل استحالة توفر فرص العمل). ٣) ان هؤلاء العمال لا يذهبون يوميا للعمل داخل اسرائيل بناء على رغبة ذاتية او طمعا في أجر مرتفع ، ولكن نتيجة لضغط ظروف العيش عليهم وعلى عائلاتهم بما لا يدع امامهم فرصة للتردد في الاقبال على العمل لتأمين استمرار حياتهم في غيــاب اي احتمال آخر يؤمن لهم هذه الحياة . ٤) نتيجة لادراك المقاومة الفلسطينية لاهداف الخطة الاسرائيلية، في هذا الصدد والرامية الى اجتذاب المزيد من اليد العاملة للعمــل في القطاعات التي تعاني من نقص في اليد العاملة ، وذلك لزيادة الانتاج خصوصا وان أجور العمال العرب اقل بكثير من أجور العمال اليهود ، كما انه لا يسمح لهم بتأليف نقابات عمالية خاصة بهم (أي انهم طاقة اضافية رخيصة لا تستفيد من مزايا النقابات) ، ونتيجة لادراك المقاومة بأن السياسة الاسرائيلية تهدف ايضا الى ابعاد هذه القوى البشرية عن أي تقارب او تعاون مع المقاومة الفلسطينية ، في حين تستفيد هي (السياسة الاسرائيلية) منهم في تسهيل برامج التجنيد والتعبئة التي تفرضها حالة الحرب عليهــا وعلى مجمل قواها البشرية ، نتيجة لهذا الادراك تعمل المقاومة الفلسطينية على افشال المخطط المذكور ، وفي غالب الاحيان بالتعرض للعمال العرب الذين يذهبون للعمل داخل اسرائيل ، وتنشأ على هذا الاساس مشكلة معقدة ، لا بد لخطة الصمود من أن تحدد عناصر حلها بكل دقة ووضوح ، اذ انه من غير الطبيعي ان تستمر الحالة القائمة الان والتــي تسيطر على شكلها الظاهر صورة القاء المتفجرات ووضع العبوات الناسفة على السيارات التي تنقل العمال من اماكنهم الى اماكن عملهم داخل اسرائيل .

لقد ذكرنا ان عدد العمال الذين يعملون داخل اسرائيل من ابناء شعبنا في الضفة والقطاع قد بلغ ما يقارب ٣٠٠٠٠ (ثلاثين الف عامل) هذا الرقم يشمل العمال المسجلين وغير

المسجلين في مكاتب العمل . في شهر آذار ١٩٧٠ بلغ عدد العمال المسجلين فقط من الضفة الغربية والذين دخلوا للعمل داخل اسرائيل حوالي ١٨٠٠٠ عامل ، وفي الشهر نفسه بلغ عدد العمال من قطاع غزة حوالي ٦٦٠٠ عامـــل . يعمل هؤلاء في الغالب في قطاعي البناء والزراعة ، وتقول المصادر الاسرائيلية انهم يتقاضون الاجور نفسها التي يتقاضاها العامل الاسرائيلي ، غير ان الوقائع تشير الى أن مستوى الاجور التي تدفع للعمال العرب هو أقل (أيضا بسبب الحسومات من اجل الخدمات والنقل الخ ..) من مستوى أجور العمال الاسرائيليين (الاجر اليومي للعامل هو اقـل بحوالي ٦ ليرات اسرائيلية عن ادنى اجر يتقاضاه العامل الاسرائيلي في نفس المجال) ولكنه على اي حال اكثر من مستوى الاجور التي يمكن ان يتقاضوها في الضفة او القطاع .

ومن هنا ، فان هذه القضية تعتبر من أشد فئات الضغوط الاقتصادية خطورة ، بمعنى ان فرص العمل المتاحة في اسرائيل امام الفلاح والعامل من الضفة والقطاع سوف تؤدي الى الاثار التالية : ١) كسر ارتباط الفلاح بالارض التي يعيش عليها ومنها ، وذلك بسبب اضطراره لتركها والعمل في أراض غريبة عنه . ٢) تعود العامل والفلاح ، بسبب تأثير الاجور المتحسنة ، على الانتقال الى المكان الذي يؤاتيهما اكثر من هذه الناحية ، وبالتالي عدم الاستقرار في مكان واحد . ٣) بالاضافة الى ما ذكر أعلاه مـــن ناحية نزع هؤلاء العمال والفلاحين من مجال تأثير المقاومة عليهم والتحامهم بهـــا ، وايضا مـــن ناحية استيعابهم في قوة العمل الاسرائيلية وتأثيرهم على حجم الانتاج هناك .

على اساس هذه الصورة المتداخلة من الضغوط وآثارها ، فان التوجه الى وضع خطة صمود علمية وشاملة يبقى أمرا على درجة كبيرة من الاهمية والالحاح لرفع عبء هذه الضغوط عن كاهل شعبنا في الاراضي المحتلة .

---

١ — المعلومات مستقاة من عدة مصادر :

أ. *Labor Development Abroad, U. S. Development of Labor,* B. of L.S., Jan. 1970, Vol. 15, No. 1.

ب. **ثلاث سنوات من الحكم العسكري ١٩٦٧ — ١٩٧٠** ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ١٩٧٠ .

جـ. بعض الصحف الاسرائيلية والغربية .

د. *Quarterly Economic Review,* The Economist Intelligence Unit,

(الاعداد حول اسرائيل الصادرة في السنوات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠) ،

(نسب الاعمار في المرجع « أ » صفحة ٤ جدول رقم ٢)

٢ — المكتب الاحصائي المركزي في اسرائيل ، احصاء عام ١٩٦٧ (أيلول) .

٣ — *Israel Economist* عدد تشرين الاول — تشرين الثاني ١٩٧٠ ، تقرير حول الاراضي المحتلة .

٤ — **المرجع نفسه .**

٥ — سامي هداوي ، د. يوسف صايغ . **ملف القضية الفلسطينية** ، مركز الابحاث ١٩٦٨ ، صفحات ٧٢ و١١١ .

٦ — النتائج مأخوذة عن ، *Quarterly Economic Review,* Israel No. 4-1970, p. 10.

٧ — انظر من أجل مزيد من التفاصيل : Rouhi El-Khatib, *Jerusalem, Israeli Annexation,* Jerusalem Liberation Committee, April 1969, pp. 34-38.

٨ — انظر ملف مركز الابحاث ، رقم ٣٠٢ تاريخ آب ١٩٧٠ .

٩ — **المرجع نفسه .**

١٠ — مجلة « **در شبيغل** » الالمانية ، عدد رقم ٥٠ ، تاريخ ٧/١٢/١٦٧٠ ، صفحات ١٢٠ — ١٢٣ .

١١ — **المرجع نفسه .**

١١ — *Israel Economist* حزيران ١٩٦٨ ، ص ٢٣٦ .

الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة في حرب حزيران

عبد الحفيظ محارب

لا نبتعد عن الحقيقة في شيء اذا قلنا ان الكيان الاسرائيلي يعود الى الاستيطان اليهودي في فلسطين . فبفضل الاعمال الاستيطانية التي بدأت بشكل ملحوظ ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، واستمرت الان في فلسطين واجزاء من أراض عربية ، قامت دولة اسرائيل وتعززت بها. ذلك لان الصراع العربي الاسرائيلي يدور بالاصل حول الارض ، وقد رأت الحركة الصهيونية ان خير طريقة لبلوغ أهدافها لتكوين دولة في فلسطين بناء شبكة من المستعمرات الاستيطانية في الارض العربية لتشكل عندما يحين الوقت قاعدة اساسية للدولة العتيدة . وتعتبر الاعمال الاستيطانية السمة الرئيسية للصهيونية التي تميزها عن الحركات الاستعمارية العالمية ، ذلك ان هذه الحركات تستهدف ، بشكل عام ، استغلال ثروات البلدان المحتلة ، او الخاضعة لسيطرتها ، او تطويع اقتصاد وثروات تلك البلدان لخدمة اقتصادها . اما الحركة الصهيونية فليس هذا هو مرماها الاساسي ، ولو اقتصرت مراميها على ذلك لهان الامر ، واصبحت كأية حركة استعمارية تقليدية ، فهي تسعى الى شيء آخر اكثر من ذلك وأشد خطورة منه ، تسعى للحصول على الارض. ولذلك فان الوسائل التي تتبعها لتحقيق مآربها تختلف اختلافا جذريا عن الوسائل التي تتبعها الحركات الاستعمارية المألوفة . فالحركات الاستعمارية عند استعمارها لاي جزء من العالم تعتمد اما على القوة العسكرية او على نفوذها في ذلك الجزء الذي تعتزم استعماره . أما الحركة الصهيونية المتمثلة الان في الكيان الاسرائيلي فانها تعتمد كليا بعد اعتمادها على القوة العسكرية ، على بناء المستوطنات في المناطق التي تحتلها لخلق وقائع جديدة ، وازالة معالم قديمة ، تمهيدا للسيطرة عليها الى الابد . وليس هنالك مثيل في التاريخ الحديث للاسلوب الاستيطاني الذي اتبعته الصهيونية في استعمار فلسطين ، وتتبعه الان في المناطق العربية التي احتلت في حرب الايام الستة، الا الاسلوب الذي اتبعه الاوروبيون في استعمار اميركا وجنوب افريقيا واستراليا . وهو اسلوب يحمل بين طياته خطرا كبيرا للبلدان التي يطبق فيها ، فلولا الاستيطان الاوروبي في اميركا لما انقرض الهنود الحمر ، اصحاب البلاد الشرعيين، ولولا الاستيطان الاوروبي لاستراليا لما اوشك ابناء استراليا الاوائل على الانقراض ، ولولا الاستيطان الاوروبي لافريقيا الجنوبية لما اصبح اصحاب البلاد الشرعيين يعيشون في ظلال التمييز العنصري ، وكذلك يقال بالنسبة للشعب الفلسطيني ، فلولا الاستيطان الصهيوني لما اصبح معظم الشعب الفلسطيني مشردا بعيدا عن أرضه ووطنه !

من هنا ، تبدو لنا مدى الخطورة الكامنة وراء الاسلوب الاستيطاني الذي تتبعه دول او مجموعات بشرية للسيطرة على بلد ما . ومع ادراكنا لاختلاف دوافع وظروف الاستيطان الصهيوني عن دوافع وظروف الاستيطان الاوروبي لا يسعنا الا ان نقرر أن القاسم المشترك بينهما كان الاستيطان البشري كتمهيد للسيطرة التامة على الارض . وقد تمتع الاستيطان الاوروبي بميزتين ادتا الى نجاحه التام، بعكس الاستيطان الاسرائيلي الذي لا يزال يخوض صراعا عنيفا من اجل بقائه ونجاحه : ١ — طاقة بشرية كبيرة على امتداد الساحة الاوروبية ، كانت تشكل روافد كبيرة تصب في محيط الاستيطان الاوروبي ، بينما تقتصر الطاقة البشرية التي يحتاجها الاستيطان الصهيوني على ١٣ مليونا من

اليهود مشتتين في بقاع مختلفة من أرجاء المعمورة.
٢ ـ ضعف الاستجابة الحضارية ، لتحدي حملات الاستيطان الاوروبية من قبل شعوب المناطق التي تعرضت لهذه الحملات ، وهذا لم يحظ به الاستيطان الاسرائيلي، لعمق جذور حضارة الشعب الذي يواجهه .

حظي الاستيطان الاسرائيلي بعد حرب الايام الستة في المناطق العربية المحتلة باهتمام الحكومة الاسرائيلية ، ووضعته ضمن الخطوط الرئيسية لسياستها . فقد جاء في الخطوط الرئيسية لسياسة الحكومة في الفقرة رقم ٤ من الفصل الاول الخاص في المهام المركزية لسياسة الحكومة انها ستعمل على « مضاعفة اقامة مستوطنات امنية ، ومستوطنات دائمة ، قروية وبلدية في ارض الوطن »(١). وقد اعتمدت الحكومة في بناء هذه المستوطنات على سلاح الناحال الذي كانت له اليد الطولى في اقامة عدد من المستوطنات في المناطق العربية المحتلة حديثا ، كما كانت له اليد الطولى في اقامة وحماية شبكة من المستوطنات الامنية في المناطق النائية ، وعلى امتداد خطوط الهدنة مع الدول العربية قبل حرب الايام الستة . وقد أسس الناحال ـ اختصار للكلمات العبرية الثلاث « نوعر حالوتسي لوحيم » ومعناها الشبيبة الطلائعية المحاربة ـ في شهر آب ١٩٤٨ ، ويعتبر سلاحا من اسلحة الجيش الاسرائيلي ، ويرئسه قائد برتبة عقيد . وكان الناحال حتى حرب الايام الستة ينشط في مجالين : تحويل المستوطنات الزراعية المؤقتة الى مستوطنات دائمة ، وحماية المستوطنات الزراعية المتاخمة للحدود وجعلها سورا واقيا للجبهة الخلفية . اي انه ينبغي على رجل الناحال ان يكون مزارعا على دراية بالشؤون الزراعية ، ومقاتلا متمرسا بالشؤون العسكرية . اما بعد حرب الايام الستة ، وما تأتى عنها من اتساع لرقعة الارض التي تسيطر عليها اسرائيل ، الامر الذي يتطلب مزيدا من الطاقة البشرية لحمايتها ، فقد اخذ الناحال يتجه اكثر فأكثر الى الاعمال الامنية، منه الى الاعمال الزراعية ـ الامنية. تقول صحيفة « دافار » في مقارنة لها بين نشاط الناحال قبل حرب الايام الستة وبين نشاطه بعد الحرب ، « بيد ان الناحال يتدفق اليوم في جداول جديدة . وليس سرا اذا قلنا ان الجيش الاسرائيلي بحاجة اليوم الى قوى بشرية اكثر من السابق لتنفيذ المهام في المناطق الواسعة . ان الناحال الذي أقام في الماضي وحدات مختارة في نطاق قوات المظلات ، يتوجه الان نحو مجالات أخرى ، فقد اصبحت قوات الدروع تضم ناحال دروع ضمن تشكيلات وحدات الجيش الاسرائيلي الاخرى المرابطة على امتداد خط وقف اطلاق النار. كما ان ناحال الهندسة يساهم في تحصين الحدود الجديدة ، ويقوم الناحال بجولات استطلاعية في مناطق سيناء . والشيء المميز للوحدة الاستطلاعية التابعة للناحال عن الوحدات الاخرى من هذا النوع هو انها مشكلة من نواة استيطانية تشمل الفتيات. وهؤلاء الفتيات يتواجدن في قاعدة الوحدة ويقمن بخدمات مختلفة من الطهي وحتى الحراسة وينتظرن رجال الوحدة الاستطلاعية العائدين من الصحراء، وفي بعض الاحيان يشتركن بأنفسهن برحلات الاستطلاع من اجل جلب الانبساط لانفسهن ورفع معنوية الرفاق »(٢).

ومع ان الناحال اصبح أقرب الى المنظمة العسكرية منه الى المنظمة شبه العسكرية بعد حرب الايام الستة ، للاستجابة لتحديات مطالب الامن الناجمة عن الرقعة الواسعة التي أصبح الجيش الاسرائيلي يسيطر عليها بعد الحرب ، الا انه استطاع ان يقوم بنصيب كبير في أعمال الاستيطان في الاراضي العربية المحتلة . وتعمل الى جانب الناحال ، في بناء واشادة وتقديم النواة للمستوطنات الجديدة عدة مؤسسات استيطانية ، كانت ولا تزال تلعب دورا في تنظيم القوى الاستيطانية قبل وبعد قيام دولة اسرائيل. وهذه المؤسسات هي: ١ ـ ايحود هكيبوتسوت فهكيبوتسيم ، وتدين بالولاء الى حزب « مباي » . ٢ ـ هكيبوتس هآرتسي ، وتدين بالولاء الى حزب « مبام » . ٣ ـ هكيبوتس همؤحاد ، وتدين بالولاء الى حزب « احدوت هعفودا » . ٤ ـ هكيبوتس هداتي ، وتدين بالولاء الى الحزب الوطني المتدين « مفدال » . ٥ ـ كيبوتس بوعل اغودات يسرائيل ، وتدين بالولاء الى حزب بوعل اغودات يسرائيل . هذا فضلا عن حركة الموشافيم « تنوعات هموشافيم » التي تقوم هي الاخرى بدور فعال في الحركة الاستيطانية في المناطق المحتلة . وقد اقامت هذه الحركة حتى عام ١٩٦٩ اربع مستوطنات في هضبة الجولان ونواة ناحال ارجمان في غور الاردن(٣). كما انها دعمت في الاونة الاخيرة المستوطنة المدنية التي اقيمت عند

مدخل رفح في شمال سيناء . وتقوم هذه المؤسسات بتزويد المستوطنات الاسرائيلية في المناطق المحتلة بالاشخاص ذوي الخبرة في الشؤون الزراعية ، ليشكلوا نواة للمستوطنة ، ويحولوها مع جنود الناحال الى مستوطنة دائمة قادرة على الاعتماد على نفسها . اما من الناحية التمويلية ، فان الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة ، يعتمد على الوكالة اليهودية حيث ينشط « الصندوق القومي » التابع لها في شق الطرق لتلك المستوطنات وتقديم المساعدة لها ، وكذلك على المؤسسات الحكومية والمؤسسات الاستيطانية الآنفة الذكر . ومما يسترعي الانتباه انه ليس من الضروري ان تقتصر نواة اية مستوطنة جديدة في المناطق العربية المحتلة على عناصر المؤسسات الاستيطانية (الموشافيم والكيبوتسات) بل يدخل ايضا ضمن تشكيلاتها عناصر من المدن ومن بين صفوف المهاجرين الجدد والمتطوعين الاجانب . ففي كيبوتس « ماروم هجولان » نجد انه يوجد بين كل اربعة اشخاص شخص واحد من ابناء الكيبوتسات .

هنالك عدة عوامل تقف وراء الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة : **العامل القومي** ، وهو الاهم ، اي النزعة الصهيونية للاستيلاء على مزيد من الارض . ثم **العامل الامني** ، فقد بنيت هذه المستوطنات على امتداد خط وقف اطلاق النار مع سوريا لتشكل سورا دفاعيا يقي الجبهة الخلفية من المستوطنات . كما وشيدت مستوطنات الناحال في الاغوار على امتداد نهر الاردن لتحول بقدر الامكان دون توغل الفدائيين العرب الى المناطق العربية المحتلة ، كما اقيمت في الاونة الاخيرة مستوطنة من مجموع ثلاث مستوطنات من المقرر اقامتها عند مدخل رفح في شمال سيناء لتغلق الطريق بوجه الفدائيين العرب الذين يستخدمون مدخل رفح اثناء ذهابهم وايابهم من قطاع غزه الى الاردن(٤). ويقف الدافع الامني ايضا وراء اقامة مستوطنات سيناء. تقول صحيفة معاريف « ليس هنالك شك بأنه لولا المستوطنات الثلاث (ناحال يام ، ناحال سيناء ، ناحال دكله) لاستغل الفدائيون الفراغ لتنظيم صفوفهم في المنطقة ، وفرض سيطرتهم على سكان المنطقة »(٥). هذا فضلا عن ان اسم المستوطنة يقترن عادة بصفة الامن ، حيث يصطلح على تسمية هذه المستوطنات بالمستوطنات الامنية . وهو اصطلاح « مستعار من عالم التعابير الاستيطانية التي كانت تستعمل ابان الانتداب البريطاني على فلسطين »(٦). وهناك **العامل السياسي** : ان بناء شبكة من المستوطنات في المناطق المحتلة أمر على جانب كبير من الاهمية في الصراع العربي الاسرائيلي ، فهذه المستوطنات ، فضلا عن انها تجعل الانسان الاسرائيلي يسيطر على الارض ، وتخدم بالاصل العامل القومي ، فانها تعتبر ورقة لها وزنها في حالة التفاوض على تسوية مع العرب، فبفضل هذه المستوطنات تخلق اوضاع جديدة في المناطق العربية المحتلة كما حدث في فلسطين ، وهذه الاوضاع الجديدة هي التي تقرر الحدود الجديدة ، فقد كان الاسلوب الذي سارت عليه الصهيونية يتمثل في بناء مستعمرات ثابتة « لان المستعمرات الثابتة هي التي تضمن سيطرتنا على اقسام البلاد المختلفة ، وقد ثبت ذلك في حرب التحرير ان خارطة الاستيطان المكتظة بالسكان هي التي عينت بدرجة كبيرة خارطة الهدنة »(٧) او كما تقول صحيفة دافار « انه من المحتمل ان يكون لكل مستوطنة معنى عندما يحين الوقت اوسع مما يبدو للوهلة الاولى »(٨). ان اسرائيل تضع في حسابها أمرين عند قيامها بالعمل الاستيطاني في المناطق المحتلة . الامر الاول تعذر التوصل الى حل للنزاع العربي الاسرائيلي ، وعند ذاك تكون قد اقامت حزاما امنيا يتمثل في شبكة المستعمرات على امتداد خطوط وقف اطلاق النار مع الدول العربية ، والامر الثاني احتمال التوصل الى تسوية مع الدول العربية ، وهنا يأتي دور « الورقة ذات الوزن »» المتمثلة في المستوطنات القائمة ، فأي تنازل تبديه اسرائيل عن بعض او معظم المستوطنات ، من اجل التوصل الى سلام دائم وحقيقي مع الدول العربية، من شأنه ، كما تعتقد ، ان يصورها بأنها تنازلت عن اشياء كثيرة وكبيرة . ثم هناك **العامل الاقتصادي** : ليس هنالك شك بأن الاستيطان الاسرائيلي يسعى من وراء بناء المستعمرات في المناطق العربية المحتلة الى ايجاد موارد اقتصادية جديدة لاسرائيل . ان اسرائيل ترمي من وراء استيطانها في هضبة الجولان الى تحويل الهضبة برمتها الى مزرعة ابقار تكفي حاجيات اسرائيل من اللحوم الطازجة(٩)، كما وترمي من وراء استيطانها في غور الاردن الى الاستفادة من مزايا الاغوار الزراعية ، حيث الخضار والفواكه المبكرة . هذا علاوة على المزايا السياحية التي تتمتع بها المناطق

المحتلة ، والتي من المحتمل ان تشكل شغلا رئيسيا للمستوطنات الاسرائيلية . فهضبة الجولان تمتاز سياحيا بمناخها الاوروبي حيث الثلوج والبرودة ، بينما تمتاز الاغوار بدفئها وحرارتها ، كما ان شرم الشيخ تمتاز بطبيعتها الجميلة على ساحل البحر الاحمر . ويأتي اخيرا **العامل النفسي** : تعتقد اسرائيل ان وجود مستوطنات اسرائيلية في المناطق العربية المحتلة من شأنه جعل السكان العرب في هذه المناطق يشعرون بالوجود الاسرائيلي ويحسون به ، وبذلك « يزول احتمال عودة الحكم العربي الى هذه المناطق من مخيلة السكان العرب » ، ويبدأون بالتأقلم مع الحكم الاسرائيلي الجديد(١٠). هذا فضلا عن تلويح المسؤولين الاسرائيليين في بعض الاحيان بالمستوطنات الاسرائيلية كأداة حرب نفسية ضد العرب خارج المناطق المحتلة . فقد قال وزير الدفاع موشيه ديان بعد قصف الجيش السوري لاحدى المستوطنات الاسرائيلية في هضبة الجولان « ان الجواب على تحرش السوريين سيكون اقامة مستوطنات اخرى دائمة في المنطقة ، ومن بينها مستوطنة مدنية في ناحال جيشور »(١١).

ونظرا لاهمية موضوع الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، شكلت في عهد حكومة ليفي اشكول لجنة وزارية بشؤون غوش عتسيون والخليل ، برئاسة ليفي اشكول وعضوية كل من الوزراء : يوسف الموغي ومناحيم بيجن وحايم جباتي وموشيه ديان وموشيه شبيرا وزئيف شرف ، الا ان اسم هذه اللجنة غير في عهد حكومة غولدا مئير الى « اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان » وعهد الى يجال الون برئاسة اللجنة التي تضم في عضويتها كلا من الوزراء : يوسف بورج وموشيه كول وفكتور شمتوف وموشيه ديان وحاييم لنداو وزئيف شرف(١٢).

يمكن تقسيم الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة الى قسمين رئيسيين : اولا الاستيطان الزراعي ، ويشكل الاكثرية الساحقة من المستوطنات التي اقيمت حتى الان في المناطق المحتلة . وثانيا الاستيطان المديني ، وقد تعثر هذا الاستيطان حتى الان . ويمثل هذا النمط من الاستيطان الاستيطان الاسرائيلي في الخليل والقدس .

وينقسم الاستيطان الزراعي الى نمطين : ١ — الاستيطان الزراعي الامني ، الذي تقوم به كتائب الناحال ، وخطر هذا الاستيطان اقل من خطر الاستيطان المدني على المناطق المحتلة ، فمستوطنات الناحال هي بمثابة معسكرات لسلاح من اسلحة الجيش الاسرائيلي ، مهمتها مزدوجة ، العمل الزراعي والعمل العسكري حيث « يكون من السهل حلها اذا ما اتخذت الحكومة قرارا بالانسحاب من احدى المناطق »(١٣). ٢ — الاستيطان المدني الذي تقوم به مجموعات مدنية (غير عسكرية) من القرى التعاونية الاسرائيلية او من المهاجرين الجدد وابناء المدن. وهذا النمط من الاستيطان يشكل خطورة اكثر من النمط الاول للمناطق المحتلة، غير ان خطره يبقى محدودا لعدم توفر عدد كبير حتى الان من القوى البشرية في المستوطنات المدنية . اما الاستيطان المديني فهو الذي يشكل الخطر الجسيم على مستقبل المنطقة التي يجري فيها ، ذلك لانه «من الصعب » ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، «مجرد تصور حل مدينة يهودية كاملة . وعلى هذا الاساس يمكن معرفة لماذا لم يكن لدى الحكومة جواب عملي لمسألة الاستيطان في الخليل »(١٤).

يمكن القول ان غالبية الاحزاب الاسرائيلية تدعو الى استيطان المناطق المحتلة وتقف الى جانبه ، وان اختلفت حول سلم الافضلية للاماكن التي ينبغي اقامة النقاط الاستيطانية فيها. فمثلا نجد ان حزب « مبام » يدعو الى استيطان منطقة الهضبة السورية ويتحفظ على الاستيطان في الخليل، بينما تدعو الاحزاب الدينية الى استيطان الخليل والقدس والاماكن التي كان لليهود اثر بها في الضفة الغربية ولا تتحمس للاستيطان في الهضبة السورية، مثل الحزب الوطني المتدين « مفدال » وحزب عمال اغودات يسرائيل . اما حزب « جاحال » فيدعو الى « استيطان كافة المناطق المحررة واقامة ضواح سكنية لليهود في جميع ارض اسرائيل المحررة في اريحا والخليل وبيت لحم ونابلس وجنين وطولكرم وقلقيلية وغزه ورفح وغيرها »(١٥). الا ان زعيم « الحركة من اجل ارض اسرائيل الكاملة » الدكتور « الداد » لا يكتفي باستيطان كافة المناطق العربية المحتلة بل يدعو ايضا الى طرد العرب من هذه الاراضي . ويقول الدكتور «الداد» ردا على سؤال وجه اليه حول الحل الذي يراه مناسبا لحل مسألة السكان العرب في المناطق المحتلة : « ان الحل المثالي والانساني هو تنظيم خروجهم ، حيث يوجد بيننا وبينهم خلاف موضوعي وتناقض تام : فاما ان تكون ارض اسرائيل ، او ارض اسماعيل!

انني اريد حقي . فهـذا بلدي ولو كانت هنالك محكمة دولية عادلة وطرحوا الموضوع امامها فلن يعتريني اي شك بأن المحكمة ستحكم لصالحنا»(١٦)!

وفيما يتعلق بالاحزاب والتيارات الاسرائيلية التي تقف في وجه الاستيطان وتعارضه ، فانها تتمثل في اليسار الاسرائيلي الجديد «سيح» وكتلة «معولام» حزبه وبعض الاوساط المستنيرة من بين المثقفين في اسرائيل ، وكذلك القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » والمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « متسبين » . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الكتل السياسية الثلاث الاولى تعارض الاستيطان في المناطق المحتلة باستثناء الاستيطان في القدس بخلاف الكتلتين الاخيرتين اللتين تعارضان كافة اوجه الاستيطان في كافة المناطق المحتلة بدون استثناء. اما على الصعيد الشعبي فان حركة الاستيطان الاسرائيلية في المناطق العربية المحتلة تحظى بتأييد ما يقرب من ثلثي السكان اليهود في البلاد . فقد اظهر استفتاء نشرت نتيجته في صحيفة معاريف ان ٧٣٪ من الذين استفتوا يؤيدون الاسراع في العمل الاستيطاني في المناطق المحتلة(١٧). وفي استفتاء آخر نظمته صحيفة يديعوت احرونوت اتضح ان ٧٤٪ من مواطني اسرائيل اليهود يؤيدون الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، وان ١٠٪ يعتقدون بضرورة الامتناع كليا عن الاستيطان ، وان ١٦٪ لم يقرروا كيف ينبغي على اسرائيل ان تتصرف . كما واوضح الاستفتاء ان ٤٢٪ من بين الذين اشتركوا بالاستفتاء وعددهم ١٢٢٨ شخصا، يعتقدون ان اقامة مدن يهودية هي الوسيلة المرغوب فيها لتنفيذ سياسة الاستيطان ، و٣٢٪ يعتقدون انه يجب ان يكون الاستيطان استيطانا زراعيا فقط . اما السؤال الثاني الذي وجه للذين يؤيدون الاستيطان في المناطق العربية المحتلة فهو : هل يجب الاستيطان حالا ؟ واوضحت نتيجة الاستفتاء ان : ٢٣٪ يؤيدون الاستيطان السريع في الجولان و٢٦٪ يؤيدون الاستيطان السريع في الضفة الغربية و٢٠٪ يؤيدون الاستيطان السريع في جميع الاراضي العربية المحتلة و١٩٪ يؤيدون الاستيطان السريع في غور الاردن و٢٪ يؤيدون الاستيطان السريع في غزة وسيناء(١٨).

الاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان

يتضح من الاستفتاء الانف الذكر الذي أجرته صحيفة يديعوت احرونوت ان هضبة الجولان تقف على رأس سلم الافضلية من بين المناطق العربية التي يرى الاسرائيليون ضرورة الاسراع بعمليات الاستيطان بها . هذا فضلا عن ان المسؤولين الاسرائيليين بدون استثناء يتحدثون دائما على وتيرة واحدة اذا كان الحديث حول مصير هضبة الجولان ويجمعون على « ان اسرائيل لن تعيد هضبة الجولان الى سوريا حتى ولو مقابل اتفاقية سلام » . واذا كانت هنالك بعض الخلافات بين الاسرائيليين حول مصير بعض المناطق العربية المحتلة ، فان الهضبة السورية لا تدخل ضمن المناطق المختلف عليها ، فهي تعتبر « ضمن المناطق التي لا يثار الجدل حولها بين الجمهور الاسرائيلي »(١٩). ولعل ابرز العوامل الكامنة وراء تمسك اسرائيل بالهضبة السورية تعود الى الوضع الاستراتيجي الهام لهضبة الجولان وما كان يشكل هذا الوضع من خطر وتهديد على المستوطنات الاسرائيلية حيث كانت كافة مستوطنات وادي الاردن الشمالي تحت رحمة المدفعية السورية . يقول « ايلي لنداو » المراسل العسكري لصحيفة معاريف : « ان الهضبة السورية كانت احد الاسباب التي ادت الى اندلاع الحرب ، فالحياة التي لا تطاق عند اسفل الحصن السوري صعدت من حدة الصراع العربي الاسرائيلي وادت في نهاية الامر الى اندلاع حرب الايام الستة »(٢٠). ومن الملاحظ في الاستيطان الاسرائيلي في الهضبة السورية ، ان دوافعه تختلف عن دوافع استيطان المناطق العربية المحتلة الاخرى بأنها مشوبة بالحقد وروح الانتقام . يقول احد مستوطني « شاعر هجولان » والعضو في حزب مبام « رافي كوتسر » : « ان سوريا كانت تكن لنا الكراهية اكثر من غيرها . لذلك اقترح أن تقام هناك وقائع جديدة . ان الذي شاهد الهضبة وهي محصنة يدرك بأنه ينبغي المرابطة بها من اجل سلامة جميع المستوطنات المواجهة لها »(٢١).

كان الجيش الاسرائيلي اول مؤسسة رسمية تقف وراء الاستيطان في الهضبة وتدعم هذا الاستيطان. ولذلك برزت النقاط الاستيطانية في أماكن استراتيجية على امتداد خط وقف اطلاق النار مع سوريا، وكان وزير الدفاع موشيه ديان من بين اولئك الذين اصروا على ان تكون هذه المستوطنات على امتداد خط وقف اطلاق النار(٢٢). ويصف قائد المنطقة الشمالية سابقا ، ورئيس شعبة العمليات في القيادة العامة حاليا الزعيم دافيد اليعازار ، في

معرض حديثه عن بداية الاستيطان في هضبة الجولان، المساعدات التي قدمها الجيش الاسرائيلي للمستوطنين بقوله : « لقد تلقوا منا كل شيء ، السلاح والتراكتورات والابقار والارض ، وكل شيء . وقد اعتنينا بهم كأولادنا ، الى ان جاءت الحكومة وتبنتهم »(٢٣). وقد خلق ذلك نوعا من العلاقات الطيبة ، والثقة المتبادلة الوطيدة بين الجيش الاسرائيلي والمستوطنات الجديدة بحكم مكان هذه المستوطنات وظروف نشأتها. يقول «يهودا هرئيل » احد سكان كيبوتس « ماروم هجولان » : « ليس من المبالغة في شيء اذا قلنا ان الثقة التامة بين مستوطنات الحدود والجيش الاسرائيلي الذي يقوم بحمايتها هي اغلى كنز تملكه اسرائيل . وقد تم التوصل الى هذه الثقة خلال اعوام من التعاون الحقيقي بين الجيش الاسرائيلي والمستوطنات. »(٢٤) تتسم الاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان ، اكثر منه في غور الاردن وسيناء ، بالصبغة المدنية. اذ ان القاعدة الاساسية للاستيطان هناك تتشكل الى جانب كتائب الناحال من عناصر مدنية من سكان المدن والقرى التعاونية ، ومن بين صفوف المهاجرين الجدد والمتطوعين .

من اهم الامور التي يواجهها مستوطنو الهضبة الشكوك حول احتمال انسحاب اسرائيل في المستقبل من هضبة الجولان ، لان اسرائيل لم تقدم حتى الان على ضم الهضبة اليها رسميا ، كما فعلت بالنسبة للقدس ، بالرغم من انها صرحت مرات عديدة بأنها ستبقى فيها الى الابد . ولذلك تقوم المسؤولون في مستوطنات الهضبة بمحاولات شتى لازالة تلك الشكوك بواسطة المحاضرات المناشير التي تلصق على الحيطان ، والتي تهدف الى جعل المستوطن يشعر بأن مصيره اصبح مرتبطا بمصير الهضبة . فقد جاء في احد مناشير مستوطنة « ماروم جولان » : « ... الذي يقرر الانتماء هنا ، يقول : هنا بيتي ، والذي يقرر الزواج هنا يقول : هنا بيت عائلتي ... والذي يقرر تثقيف ابنائه هنا يقول : هنا بيت اولادي . المزيد من العائلات ، المزيد من الاولاد — هذا هو المهم »!!(٢٥). وبما ان المهم بالنسبة للمستوطنات هو انجاب الاطفال ، فانها تقوم بتشجيع التناسل هناك وتعمل جاهدة الى المزيد منه ، لكي يولد جيل جديد يرى النور لاول مرة في الهضبة ليرتبط بها الى الابد ارتباطا طبيعيا ، ويخلق بذلك واقعا جديدا يحول بقدر الامكان دون ارغام اسرائيل على الانسحاب . يقول احد مستوطني الهضبة : « لنفترض اننا سوف نضطر لا لمواجهة الجيش الاسرائيلي ، بل الضغط الاميركي . انني لست متأكدا بأننا نستطيع الاعتماد على الجيش الاسرائيلي . وفي هذه الحالة يبدو لي انه سيكون لابني وزن اكبر من قوة الجيش الاسرائيلي»(٢٦). وسنورد هنا مثلا من الامثلة الواردة في مناشير المستوطنة التي تدعو الى تشجيع الزواج وانجاب الاطفال . جاء في احد هذه المناشير « انه قد تمت الموافقة على الاقتراح الذي قدمته « لجنة الرفاق » لشراء كل جهاز العرس ، سواء للعروس او للعريس على حساب المستوطنة . كما وانه تمت الموافقة على منح العروسين اللذين يعقدان قرانهما بالمستوطنة وينجبان طفلا تذكرة سفر بالطائرة ذهابا وايابا الى مدينة ايلات علىحساب المستوطنة»(٢٧). وقد بلغ عدد مواليد مستوطنة « ماروم جولان » حتى منتصف عام ١٩٧٠ : ٢٥مولودا(٢٨). وبمناسبة مرور عامين على تأسيس المستوطنة ، رأى المستوطنون ان « خير هدية » يقدمونها لمستوطنتهم « الاحتفال بزواج سبعة ازواج من الشباب ، ستة ازواج من ابناء الكيبوتس ، والزوج السابع من المتطوعين القادمين من خارج اسرائيل »(٢٩).

ومع ذلك فان الشكوك حول مستقبل هضبة الجولان ، واحتمال الانسحاب الاسرائيلي منها ، تبقى تعتري نفوس هؤلاء المستوطنين اذا لم تقدم الحكومة الاسرائيلية على ضم الهضبة رسميا . يقول احد مستوطني « ماروم جولان » : « ان الانسان لا يعرف اية امتحانات تنتظرنا . ومن الصعب التكهن بالصراعات والحروب والضغوط الخارجية والداخلية التي تنتظرنا . ان كل من يقول بأن هضبة الجولان ، بكافة اجزائها ، ستكون بدون ادنى شك جزءا لا يتجزأ من اسرائيل ، لا يفقه ما يجري على لسانه ... ومن الواضح ان الجيش السوري لا يستطيع تعريض استمرار وجودنا في الجولان للخطر ، فليس الجيش المصري هو الذي اخرجنا من سيناء عام ١٩٥٧ . ومن المحتمل جدا انه في صمودنا في مواجهة القوى التي تحاول تعريض تمسكنا بالجولان للخطر ، ان تكون للمستوطنات اهمية لا تقل عن اهمية الالوية المحصنة »(٣٠). وعندما سئل احد المستوطنين عما سيفعلون اذا ما قيل لهم ذات يوم جهزوا حقائبكم

وانسحبوا من الهضبة اجاب : « من اجل ذلك نجلس نحن هنا . من اجل خلق وقائع لكي لا يحدث هذا الامر »(٣١).

وقد حدث بالفعل ان اقترح « ايلي لنداو » المراسل العسكري لصحيفة معاريف بايعاز من قبل عناصر امنية في جهاز الحكم الاسرائيلي بعد المعارك العنيفة التي وقعت بين الجيش السوري والجيش الاسرائيلي في اواخر شهر حزيران من عام ١٩٧٠ والتي احدثت خسائر في الارواح والممتلكات بين صفوف المستوطنين ، اقترح تحريك الحزام الامني المشكل من المستوطنات على امتداد الحدود الى الخلف في اماكن ليست قريبة من القنيطرة الواقعة ضمن مجال النار السورية ، ذلك لان حياة النساء والاطفال في هذه المنطقة معرضة للخطر ، وقال في سياق اقتراحه « انه يمكن تحقيق الرغبات العادلة للسكان الجدد في هضبة الجولان لدق وتد خلف خط مجال المدفعية . وحتى لو ان المستعمرات الاسرائيلية في هذه المرحلة لا تنمو وتتعاظم على « سطح الهضبة » فان ذلك لن يبدو كتقصير في خدمة العلم . ليس هنالك شك بأن سكان قرى الحدود الجدد لن يستهووا ما هو مكتوب هنا ، غير انه ينبغي على المسؤولين في جهاز الامن ان يقوموا الان باتخاذ خطوة متطرفة ، ليحولوا دون وقوع تضحيات ومفاجآت لا فائدة منها بالنسبة لنا » . ثم دعا الى « اقامة خط محصن قوي ، يكون من السهل فيه اجراء حرب على « البطن الطرية » لسوريا »(٣٢). غير ان هذا الاقتراح احدث استياء بين صفوف المستوطنين الذين لم يقبلوه . وكانت حجتهم بذلك ان القذيفة يمكنها اليوم الوصول الى اي مكان في الهضبة ، ولذلك فليس هنالك داع لتحريك المستوطنات الى الخلف لانه « لا يوجد فرق بين مستوطنة تقع على بعد ٥ كم من الحدود وبين مستوطنة اخرى تقع على بعد ٢٠ كم من الحدود، ذلك لان المدفعية السورية بامكانها الوصول الى اي مكان »(٣٣). وقد أعتبر « يهودا هرئيل » (من مستوطني كيبوتس ماروم جولان) دعوة ايلي لنداو كقذيفة من الخلف توجه الى ظهر المستوطنات ، حين رد عليه بقوله : « ان مئات القذائف التي انهالت مؤخرا على مستوطنات الهضبة لم تهز الاحساس بالامن والثقة بالمستقبل لمستوطني هضبة الجولان ، مثلما فعلت « القذيفة » التي ارسلها اليهم من الخلف ايلي لنداو »(٣٤).

غير ان الصورة التي يحاول ان يظهر بها مستوطنو الهضبة تختلف عن الصورة التي اتسموا بها اثناء حملاتهم الاستيطانية الاولى على هضبة الجولان ، ذلك ان الشكل الذي استوطنوا فيه الهضبة يختلف اختلافا كليا عن اي شكل استيطاني سابق . فقد انهمك هؤلاء في بداية الاستيطان بالسطو على قطعان الابقار والاغنام الكثيرة التي خلفها العرب وراءهم(٣٥) كما انشغلوا في السطو على منازل القنيطرة المهجورة ، حيث بدأوا يجمعون كل ما يقع تحت متناول ايديهم من أثاث ، الامر الذي ادى الى اصطدامهم مع قوات الشرطة(٣٦). هذا فضلا عن ان مستوطني «ماروم جولان» لم يتعبوا انفسهم ببناء مستوطنة جديدة لهم ، بل لجأوا الى الطريق الاسهل والاخف، حيث احتلوا منازل الضباط التابعة للجيش السوري وحولوها الى منازل لهم . كما ان مستوطني عين زيوان لم يرهقوا انفسهم ببناء مستوطنة بل فضلوا احتلال المنازل التي كانت تخص سلاح الدروع السوري في المنطقة وحولوها الى منازل لهم . وكذلك يقال بحق رجال مستوطني « ناحال جيشور » الذين استولوا على منازل الحرس السوري بالقرب من رفيد ، وايضا بحق اعضاء « موشاف العال » الذين فضلوا منازل الضباط السوريين على منازل القرية السورية العال نفسها(٣٧).

على ان هنالك ظاهرة اخرى للاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان تدعو الى السخرية ، الا وهي ظاهرة المتطوعين الاجانب حيث استطاع احدهم ان يقيم مستوطنة في الهضبة السورية !! الا انه بعد نصف عام من انشاء المستوطنة وجد نفسه بين قضبان السجن ، كما ان المستوطنة التي استطاع انشاءها اصبحت انقاضا تحتوي على بعض الجرارات والالات الزراعية التي دمرها الفدائيون العرب .

ظاهرة المتطوعين الاجانب

قدمت الى اسرائيل ابان فترة التريث التي سبقت حرب الايام الستة ، وفي اعقاب تلك الحرب ، موجات صغيرة من المتطوعين الاجانب يحملون جنسيات مختلفة من ٤٠ بلدا تقريبا وخاصة من بلدان العالم الغربي(٣٨). وكان من المفترض ان يخدم هؤلاء في المرافق المختلفة لافتقار اسرائيل الى القوى البشرية العاملة ابان الازمات . وقد وصل عددهم عند مطلع عام ١٩٦٨ حوالي ١٢ الف متطوع ،

واقيمت لهم فرقة تحمل اسمهم يرئسها اسرائيلي يدعى « يهودا باز »([39]). وقد انيطت بهم أعمال شتى من بينها الخدمة في الكيبوتسات وفي وحدات جمع الغنائم التابعة للجيش الاسرائيلي وفي ترميم مستشفى هداسا في القدس القديمة وفي مد انابيب المياه في صحراء سيناء . غير ان هؤلاء المتطوعين لم يستطيعوا التأقلم مع ظروف الحياة في اسرائيل . ومع أن الكيبوتسات توفر لهم الطعام والمنام الا انهم « لم يستطيعوا العثور على مكانهم في الكيبوتس ، ففي حالات كثيرة خفت حدة حماسهم في القيام بأعمال جسمانية ، ولم يستطع البعض التأقلم مع المجتمع التعاوني . كما ان الكيبوتسات ارادت في حالات كثيرة التخلص منهم بسرعة ، فمظهرهم ولباسهم غير العادي وشعرهم الذي لا يعرف المقص ، كل ذلك خلق سورا بينهم وبين ابناء الكيبوتسات ، وعمق من عدم المحبة ، واصبح انفصال الطرف الواحد عن الطرف الاخر ، أمرا محتملا »([40]).

ليست صفة الكسل والتهرب من القيام بأعمال جسمانية هي الصفة الوحيدة التي تلازم هؤلاء المتطوعين ، بل هنالك صفات اكثر سلبية واخطر من ذلك ، واصبحت معروفة لرجل الشارع الاسرائيلي . وسنورد هنا بعض الاعمال المشينة التي يقترفونها على سبيل المثال لا الحصر : **السرقة** : « القت الشرطة القبض على احد المتطوعين (من فرنسا) بتهمة سرقة محفظة طالبتين». **ترويج تعاطي الحشيش** : « القت قوات الامن القبض على متطوع (من كندا) لانه رأى ان جزءا من واجبه القيام بتزويد الحشيش لاعضاء الكيبوتس الذين أووه » . **التزوير** : « القت قوات الامن القبض على متطوعين (من أستراليا) في احد كيبوتسات الجليل بتهمة التجارة في جوازات سفر مسروقة » . **الزنا** : « تحولت احدى المتطوعات (من بريطانيا) الى زانية ، وقد تلقت بعض اللكمات من بائعات الهوى في تل ابيب ، اللواتي تخوفن من المنافس الجديد » . **السطو** : « القت الشرطة القبض على سبعة متطوعين بتهمة السطو على الحوانيت وسرقة اغذية بقيمة ١٠٠٠ ليرة اسرائيلية». **القتل والاغتصاب** : « ارتكب بعض المتطوعين عملية قتل ، وعمليتي اغتصاب »([41]). هذا فضلا عن ان الفئة المثقفة من بين صفوف المتطوعين والتي التحقت بالجامعة العبرية في القدس ، يعود لها الفضل في ترويج تعاطي الحشيش بين صفوف الطلبة ، وادخال « موضة » تعاطي الحشيش بين جدران الجامعة . وشعار هؤلاء هو : « اذا كان الشرب والتدخين يعرقلان الدراسة ، فكف عن الدراسة »([42])!!

والذي يهمنا هنا ، هو الجانب الاستيطاني الذي خدم فيه البعض من هؤلاء المتطوعين ، والنتيجة التعيسة لهذا الاستيطان . فقد استطاع متطوع من الولايات المتحدة يدعى « ديك سكوت » يبلغ من العمر ٣٨ عاما اقناع المؤسسات الاسرائيلية المسؤولة لبناء مستوطنة جديدة تحمل اسم « رمات هشالوم » في الهضبة السورية ، ولم يدر بخلد هذه المؤسسات ان « سكوت » هذا متهم من قبل سلطات كليفورنيا في الولايات المتحدة بتهريب مخدرات من المكسيك بقيمة نصف مليون ليرة ! تمكن ديك الذي استحوذت عليه فكرة بناء مستوطنة لمتطوعين ومهاجرين من الولايات المتحدة عندما سحرته مناظر هضبة الجولان ، من اقناع بعض المهاجرين من الولايات المتحدة وبعض المتطوعين بفكرته . وقد تجمع هؤلاء المستوطنون الجدد في مركز الاستيعاب التابع للوكالة اليهودية في صفد ، بانتظار بناء المستوطنة على يد السلطات ، غير انهم ملوا الانتظار وقرروا الذهاب الى المكان الذي ستبنى فيه المستوطنة قبل البدء في عملية البناء ، ولم تكن هذه المجموعة الاستيطانية المكونة من عشرين شخصا تمتلك شيئا الا البطانيات وبعض السيارات ، وشرعت عند وصولها بتمهيد مكان لتنام فيه ، فقد « أخذ الاولاد بابعاد الحجارة ، بينما اخذت النسوة باعداد الطعام في سيارة الاوتوبيس التي تحولت الى مطبخ »([43]). وعندما علمت قيادة المنطقة الشمالية بعد يومين بأمر هؤلاء المستوطنين ارسلت اليهم بعض الضباط للوقوف على اوضاعهم حيث مدوهم بالخيام العسكرية وبقطع من الاسلحة . وكان هؤلاء يتخوفون كثيرا من العمل الفدائي . ففي الليلة الاولى من بناء الخيام أحس الحراس بحركة مشبوهة واخذوا يطلقون النار بكل غزارة ، وعند الصباح ظهر ان حمارين قد نفقا بالقرب من خنادقهم([44])!!

بعد ذلك رات السلطات الاسرائيلية انه من الواجب وضع حجر الاساس للمستوطنة الجديدة « رمات هشالوم » الواقعة على سفح جبل الشيخ . ففي احتفال ضم عددا من الوزراء وكبار ضباط الجيش

والشرطة تم وضع حجر الاساس في شهر ابريل ١٩٦٨ لهذه المستوطنة . وقد افتتح الاحتفال نائب رئيسة الوزراء يجآل الون الذي قال في كلمته التي ألقاها بهذه المناسبة « اذا كان لا يوجد هنالك استعداد من جانب الدول العربية للموافقة على حدود أمن ، فاننا نعين حدود أمن ، ونقيم سورا دفاعيا على خطوط وقف اطلاق النار ، بواسطة تأسيس مستعمرات مدنية .. اذ انه فقط بواسطة مستعمرات نظير رمات شالوم توجد ضمانة لذلك بأن نقيم حدود أمن »(٤٥). وقال رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي كلاما مماثلا(٤٦).

غير ان امور المستوطنة لم تجر على ما يرام ، حيث اخذ الوضع المعيشي لسكانها يتدهور يوما بعد يوم، وأصبح هؤلاء المستوطنون مع ابنائهم على حافة الجوع . تقول « بات شيفع باهر » وهي اسرائيلية انضمت الى مستوطني « رمات شالوم » : « لقد مرت علينا ايام كنا نتناول بها قطعة من الخبز وقدحا من القهوة فقط ، ولم يكن لدينا ما نأكله . انني اتذكر زوجة « ديك سكوت » عندما هجرت المكان وسافرت الى كريات شموناه لان اولادها لم يستطيعوا تحمل الظروف السكنية ، حيث كانت تصعد يوميا الى الجبل لتطلب من الجنود قليلا من الطعام لاولادها لتقيهم غائلة الجوع . وقد كنا جميعا جوعى . وبدأت مرة أخرى موجة من الهجرة من المستوطنة لان المستوطنين لم يستطيعوا الصمود . كنا نطلب طعاما من قوات الجيش الاسرائيلي. وكانوا يقدمون لنا بقايا الخبز والطعام. ولم يكن امامنا مفر من ترك المستوطنة »(٤٧). وهكذا خلت المستوطنة من مستوطنيها ، ولم يبق بها الا انقاض من السيارات والجرارات التي دمرها الفدائيون العرب ، كما ان مصير « الاب الروحي » للمستوطنة وزعيمها ديك سكوت لم يكن بأفضل من مصير مستوطنته ، فقد القت قوات الامن الاسرائيلية القبض عليه في أواخر شهر حزيران من عام ١٩٦٩ بناء على طلب من حكومة الولايات المتحدة بتهمة تهريب مخدرات من المكسيك الى كليفورنيا(٤٨).

من المعروف ان الاستيطان الاسرائيلي القروي يعتمد على الزراعة ، ولذلك كانت مؤسسات الحركة الصهيونية تعمد منذ البدء في نشاطها الى اختيار الاراضي الزراعية الخصبة ، لتقيم مستوطناتها عليها . فأمهات المستوطنات الاسرائيلية مثل « بيتح تكفا » (عام ١٨٧٨) و« ريشون لتسيون » (عام ١٨٨٢) و« جديرا » (عام ١٨٨٢) و« زخرون يعقوب » (١٨٨٢) و« رحوبوت » (١٨٩٢) احتلت اخصب بقعة في فلسطين ، حيث أشيدت في السهل الساحلي الفلسطيني كقاعدة لظهور مستوطنات اخرى، والسيطرة بالتالي على الاراضي الخصبة . وكانت الجهات الاسرائيلية الرسمية المسؤولة عن استيطان هضبة الجولان تأمل ان الهضبة تحتوي على اراض زراعية خصبة غير انه بعد اجراء الدراسات في المنطقة خاب امل هذه الجهات اذ ان خصوبة الارض لم تكن بالشكل الذي تصورته . فقد اشار وزير الزراعة حاييم جباتي في مؤتمر للمزارعين عقد بتاريخ ١٩٧٠/٤/٣٠ في منطقة « جدروت » « الى انه خلافا للامال ، وما كنا نتوقعه ، ظهرت المنطقة كمنطقة غير خصبة من الناحية الزراعية »(٤٩).

ويمكن القول ان الاستيطان الزراعي في هضبة الجولان يفتقر الى عاملين اثنين : خصوبة الاراضي الزراعية ووفرة المياه . ولعل العامل الثاني هو الذي يشكل مشكلة رئيسية امام تطوير الاستيطان الزراعي . فاذا ما توفرت المياه بشكل جيد سيكون بالامكان تحويل الاراضي البور القابلة للزراعة الى أراض خصبة، وهذا ما دفع المسؤولين الاسرائيليين الى القيام — بالاضافة الى اعمال التنقيب عن مصادر المياه في المنطقة — الى دراسة امكانية تزويد هضبة الجولان بالماء من بحيرة طبريا ، حيث « يقوم مختصو المياه الان باعداد مشروع لرفع منسوب مياه بحيرة طبريا بمتر واحد ، لانه بهذه الطريقة يكون بالامكان الحصول على زيادة في مياه البحيرة بـ ٦٠ مليون متر مكعب من الماء »(٥٠). واذا ما خرج هذا المشروع الى حيز التنفيذ فسيكون بالامكان توسيع رقعة الاماكن الزراعية .

ومما تجدر الاشارة اليه ان مستوطنات الجولان كانت حتى النصف الاول من عام ١٩٧٠ قد مهدت وقامت بزراعة ٥٠ الف دونم ومن الممكن بعد القيام باعمال تمهيد ، زراعة ٥٤ الف دونم آخر(٥١). غير ان الاتجاه الرئيسي يسير الان نحو العناية بتربية الابقار لوجود مناطق كثيرة في الهضبة السورية غنية بالمراعي تصل مساحتها الى اكثر من ٣٠٠ الف دونم . وقد استغل المستوطنون هذه المراعي وقاموا بتربية الابقار والأغنام ، ويملكون

حوالي ٤٠٠٠ رأس من البقر ، و٢٢٠٠ رأس من الغنم(٥٢). وتقول صحيفة معاريف : « ان الهدف هو تحويل المنطقة في الاعوام القريبة القادمة الى مركز لتربية الابقار لكي تكفي اسرائيل حاجياتها من اللحوم الطازجة بدل اللحوم المجففة المستوردة »(٥٣). اما صحيفة دافار فقد قالت تحت عنوان « هضبة الجولان مزرعة ابقار لاسرائيل » : « انه بمقتضى الخطة لاعوام السبعينات سيصبح عدد الابقار في الهضبة ٣٠٠ الف رأس ، سترعى في مراع تصل مساحتها الى ٨٠٠ ألف دونم . أما قطعان الاغنام فيصل عددها الى ٥٠٠٠ رأس ، هذا بالاضافة الى ان المنطقة ستنتج ٢٠٠٠ طن من لحوم ديك الحبش ، وبهذا الشكل تتحول الهضبة الى مورد اللحوم الطازجة الى اسرائيل »(٥٤). والى جانب هذا الاتجاه الرامي الى جعل الهضبة « تكساس اسرائيل » هنالك اتجاه آخر يرمي الى تحويلها الى منطقة سياحية ، حيث الثلوج والطقس الشبيه بالطقس الاوروبي . وقد شرعت السلطات الاسرائيلية بتحريش المنطقة ، وغرست حوالي ١٥٠ ألف شجرة في الاماكن غير القابلةكثيرا للزراعة(٥٥). الا ان الاستيطان الاسرائيلي في الهضبة السورية وبقية المناطق العربية المحتلة ، لا زال يعاني — علاوة على المسائل الموضعية — من النقص في القوى البشرية . فسكان معظم هذه المستوطنات يعدون بالعشرات . كما ان معظم مستوطني الهضبة شباب غير متزوجين ومعدل اعمارهم ٢٣ عاما(٥٦). ومن اجل حل هذه المشكلة ، يطالب مستوطنو الهضبة بتوجيه سيل الهجرة اليهم ، ويدعون « ان المهاجرين لم يرسلوا في اعوام الخمسينات الى تل ابيب وحيفا ، بل الى اماكن جديدة » كما ويعتقدون « ان وزارة الاستيعاب لم تبذل جهودا كافية لفحص امكانية توطين مهاجرين في الجولان »(٥٧).

مستوطنات هضبة الجولان

كفار شاريت: تعتبر كفار شاريت طليعة المستوطنات الاسرائيلية في المنطقة . وتقع في منحدرات الهضبة بالقرب من الموقع السوري المعروف باسم تل عزيزات . وكانت هذه المستوطنة تحمل في البداية اسم رمات هبانياس ، لقربها من منابع نهر البانياس ، ثم حول اسمها الى « ناحال شنير » الا انه عاد فبدل بقرار من لجنة الاسماء الحكومية، واصبح كفار شاريت(٥٨) على اسم موشيه شاريت. وتتشكل نواة المستوطنة من عناصر « هشومير هتسعير » المرتبط بحزب مبام . وتعتمد كفار شاريت على الاعمال الزراعية ، وقد نمت وتطورت بسرعة لخصوبة الاراضي التي تستغلها(٥٩). وقد قامت دائرة الاشغال العامة في اللواء الشمالي بمد طريق في اعقاب حرب الايام الستة الى منابع البانياس ، تسهل الوصول الى هذه المستوطنة(٦٠).

كيبوتس ماروم هجولان : بعد مضي شهر تقريبا على حرب الايام الستة قامت مجموعة استيطانية معظم افرادها من مستوطنات الجليل ووادي نهر الاردن الشمالي بتأسيس كيبوتس « ماروم هجولان » ، قبل أن يعلن المسؤولون الاسرائيليون ان هضبة الجولان لن تعاد الى السوريين حتى ولو مقابل اتفاقية سلام . أقيم الكيبوتس في البداية في معسكر سوري في « عليقة » الواقعة بالقرب من طريق القنيطرة — اشدوت يعقوب . وقد انهمك هؤلاء المستوطنون في بداية استيطانهم بجمع قطعان الابقار التي بقيت في المنطقة بعد أن التجأ اصحابها العرب الى سوريا خلال حرب الايام الستة(٦١). وفي شهر اوكتوبر من عام ١٩٦٧ انتقل المستوطنون الى القنيطرة واستولوا على « ضاحية الضباط » التي كانت تخص الجيش السوري وشرعوا بجمع ما يقع تحت متناول أيديهم من الاشياء التي تركها السكان العرب مما تسبب بوقوع اصطدامات مع قوات الامن(٦٢). واصبحوا يمتلكون بالاضافة الى ضاحية الضباط فندقا ومدرسة ميدانية لحماية الطبيعة ومطعما ومحطة بنزين . ثم اخذوا يقومون بزراعة ٥٥٠٠ دونم ، وبتربية قطعان الابقار ، وبصناعة لعب الاطفال . وتوجد لديهم ايضا محددة وكراج لاعتدة ميكانيكية ثقيلة(٦٣). ويعتبر هذا الكيبوتس اكبر مستوطنة في هضبة الجولان ، حيث يبلغ تعداد سكانه ٢٥٠ نسمة ، من بينهم ٢٥ طفلا، ولذلك انشئت في الكيبوتس روضة أطفال . ومما تجدر ملاحظته ان هذا الكيبوتس يحتوي على عدد من المتطوعين الاجانب(٦٤). وتعتزم السلطات الاسرائيلية نقل الكيبوتس الى مكان آخر في الشمال الغربي من تل ابو ندى على بعد ٤٠ كم من القنيطرة ، عندما تستكمل عملية البناء هناك(٦٥).

كيبوتس عين زيوان : مستوطنة مدنية أسست في مطلع شهر شباط ١٩٦٨ ، نواتها من أفراد « هكيبوتس هموحاد » التابع لحزب « احدوت هعفوداه » بالاضافة الى بعض المتطوعين الاجانب.

تقع هذه المستوطنة على بعد عشرة كيلومترات جنوبي القنيطرة وقد اقيمت علـى انقاض موقع سوري للدروع ، بالقرب من القرية الشركسية عين زيوان، ومن هنا جاء اسم المستوطنـة الاسرائيلية(٦٦). ويقوم سكان هـذا الكيبوتس بالاعمال الزراعية الشتوية ، كما انهم اقاموا مصنعا للصنادل يحمل اسم « مصنع صنادل دفناه » تصل طاقته الانتاجية الى نصف مليون زوج من الصنادل في العام ، الا انه ينتج حاليا ٥٠ ألف زوج فقط « بسبب اغراق السوق بالمنتوجات المماثلـة التي تنتجها المعامل الجديدة ، التي انشئت في غزة ونابلس وعكا»(٦٧). ويعتبر هذا المصنع اهم مرفق صناعي في هضبة الجولان ، ومن المتوقع ان يغلق بسبب المنافسة الشديدة مع المصانع الاخرى . ويقول «آشر جيل» رئيس مستوطنة عين زيوان : « اذا لم تشرف وزارة التجارة والصناعة على انتاج الصنادل ، فانه لن يكون هنالك مفر من اغلاق معمل « صنادل دفناه » في عين زيوان »(٦٨).

ناحال العال : اقيمت هذه المستوطنة في مطلع شهر شباط عام ١٩٦٨ ، وقد دعيت على اسم القرية السورية المهجورة « العال » . تقع عند منتصف الطريق بين القنيطرة والحمة على بعد ١٦ كم من الحمة شرقي بحيرة طبريا(٦٩). ويمر بالقرب منها وادي العال الذي يمتاز بصخوره الجميلة وبمصابه المرتفعة والصاخبة . وكانت مستوطنة العال في البداية مستوطنة مدنية ، وقد تعثر نموها ، وفشل مستوطنوها في تطويرها لاسباب اجتماعية ، الامر الذي حدا بالمسؤولين عن الاستيطان الى ان يرسلوا في عام ١٩٧٠ نواة الـى المستوطنة مكونة من الناحال الديني بغرض تطويرها(٧٠).

ناحال جيشور : انشئت هذه المستوطنة في شهر ابريل من عام ١٩٦٨، نواتها من «هشومير هتسعير» التابع لحزب مبام . اتخذ المستوطنون في البداية المباني المهجورة التابعة لمعسكر سوري للتموين عند منحدرات تل فرس مساكن لهم . الا انهم انتقلوا بعد ذلك الى مبان ثابتة . وتسيطر مستوطنة ناحال جيشور على احـد المحاور الرئيسية في هضبـة الجولان ، محور البطيحة ــ الحمة الذي يتجه عند مفترق رفيد نحو حوران ، ومن ثم يتفرع الـى دمشق(٧١). ومما يسترعي الانتباه والاهتمام معا ان اسم هذه المستوطنة جاء على اسم بلاد «جشور» التي كانت قائمة في عهد المكرا (كتاب مقدس عند اليهود) . وتذكر الكتب اليهودية المقدسة : « ان داوود تزوج معكة ابنة تلماي ملك جشور ، التي انجبت له ابشالوم »(٧٢). ويعتمد سكان ناحال جشور على زراعة الخضروات والاشجار وتربية الاغنام . وقد اقيم في هذه المستوطنة معمل لصنع لعب الاطفال المصنوعة مـن القماش لتشغيـل الفتيات فيه(٧٣).

رمات مجشيميم : تقع مستوطنة « رمات مجشيميم » في المنطقة الجنوبية من هضبة الجولان على الطريق المؤدية الى الحمة التي حول الاسرائيليون اسمها الى « حمة جادر » . ويمكنها موقعها التي اشيدت فيه من الاشراف على المناطق السورية والاردنية معا لقربها من تلاقي خط وقف اطلاق النار مع كل من سوريا والاردن . ويعمـل سكانها بالزراعة وتربية الابقار(٧٤). وقد اقيمت هذه المستوطنة في النصف الثاني من عام ١٩٦٨ على أيدي مجموعة من شباب هبوعيل همزراحي ، بعد انتهاء خدمتهم في كتائب الناحال التابعة للجيش الاسرائيلي . أما الفتيات فقد تدمن من المدن(٧٥).

ناحال جولان : انشئت المستوطنة في اوكتوبر١٩٦٧، وتعتبر اقرب المستوطنات الى خـط وقف اطلاق النار ، وتقع علـى الجانب الغربي مـن وادي « دوقاد » . وتتعرض بين الفينة والاخرى الى اعمال القصف الشديد(٧٦). ونواتها من شباب ايحود هكيبوتسوت (التابع لحـزب مباي) ومن المتطوعين الاجانب. وتعتمد المستوطنة على الزراعة وتربية الماشية والدجاج. وقد دعيت هذه المستوطنة على اسم بلدة جولان التـي كانت قائمة في عهد المكرا ، والتي أصبحت في عهد التلمود والمشناه ــ كما تدعي المصادر العبرية ــ مستوطنة يهودية مزدهرة . وتوجد بالقرب منهـا قلعة « جملا » اليهودية التي كانت قائمة ابان الحروب اليهودية الرومانية عام ٦٧ ميلادية(٧٧).

جبعات يوآب : أسست المستوطنة أواخر عام١٩٦٨ بالقرب من قرية فيق السورية المهجورة التي تشرف على بحيرة طبريا . ويقوم سكانها بالاعمال الزراعية وتربية الماشية . ودعيت المستوطنة على اسـم المقدم « يوآب شاحم » الذي كان قد لقي مصرعه في العملية التي قام بها الجيش الاسرائيلي ضد قرية السموع العربية قبل حرب الايام الستة . ويزعم الاسرائيليون انه قد عثر بوادي فيق بالقرب من المستوطنة علـى رسم منحوت على صخر ،

لشمعدان ذي سبعة رؤوس . وعلى كتابة منحوتة عند أسفل الشمعدان تقول : «انا يهودا المرتل». تقول صحيفة دافار : « انه ليس هنالك شك بأن مستوطنة يهودية كانت قائمة هنا »(٧٨).

مفو حمه : تقع المستوطنة جنوبي هضبة الجولان بالقرب من الحدود الاردنية وعلى بعد ٤ كم جنوبيا منها ، بينما تبعد عن خط وقف اطلاق النار مع سوريا بحوالي ٢٠ كم(٧٩). وقد شيدت في مكان الموقع السوري « عمارة عزالدين » الذي كان يهيمن على مستوطنات بحيرة طبريا . ودعيت المستوطنة على اسم « حمة جادر » الحمة العربية المشهورة بينابيعها المعدنية ، والتي تقول عنها صحيفةدافار«انها حمةجادر التاريخيةاليهودية»(٨٠).

مستوطنة رموت : لم تنشأ حتى الان بيوت ثابتة او مؤقتة لمستوطني « رموت » الذين استوطنوا القرية السورية المهجورة « سكوفيه » منذ اكثر من ثلاثة اعوام . ويقوم المستوطنون بالاعمال الزراعية وخاصة زراعة القطنوالغلال الا ان هذه المزروعات قد اتلفت بواسطة الخنازير البرية الموجودة بكثرة في المنطقة(٨١). وبالاضافة الى ذلك يقوم هؤلاء المستوطنون بزراعة الخضروات وتمهيد الارض لاجراء تجارب على زراعة اشتال المانجا والافوكادو. ولكن المشكلة الرئيسية التي تعاني منها هذه المستوطنة هي النقص في القوى البشرية ، حيث انه يوجد بها « اعضاء معدودون وشخصان متزوجان »(٨٢).

مشاريع أخرى

لا تقف المطامع الاسرائيلية في هضبة الجولان عند هذا الحد من المستوطنات التي أشيدت حتى الان في الهضبة السورية ، بل تسعى جاهدة الى بناء المزيد منها ، فقد ذكر يجال ألون نائب رئيسة الحكومة في شهر آذار من عام ١٩٧٠ امام الكنيست انه قد تم بناء عشر مستوطنات في هضبة الجولان وان « اربع مستوطنات هي الان في طور البناء »(٨٣). ولم يذكر أسماء هذه المستوطنات ، وكذلك لم يحدد الاماكن التي تقام عليها في الهضبة السورية . كما ذكرت صحيفة معاريف انه من المنتظر ان تتخذ اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قرارا باعادة استيطان مستوطنة «رمات هشالوم» (التي مر الحديث عنها سابقا) الواقعة على المنحدرات الجنوبية من جبل الشيخواقامة مستوطنة جديدة أخرى في المنحدرات الغربية لهذا الجبل و« سيعمل اعضاء هاتين المستوطنتين ، الذين هم في سن الشباب من مسرحي الجيش ، في الحقل الزراعي »(٨٤).

ويجري العمل الان على اقامة مستوطنة جديدة في منطقة الرمثه في هضبة الجولان ، تعتمد على السياحة كمصدر رئيسي لمعيشة سكانها . ومن المقرر حسب خطة بناء هذه المستوطنة « ربط قمة الرمثه بقلعة النمرود التي ستصبح مركزا سياحيا في كل أيام السنة ، بحافلة معلقة »(٨٥). وقد شرع عمال الكرن كييمت باقامة مرصد على احدى القمم في الطريق الى جبل الروس في منطقة الرمثه ، ويبلغ ارتفاع القمة عن سطح البحر ١٢٠٠ متر(٨٦). كما ذكرت اوساط الصندوق القومي الاسرائيلي « انه ستقام خلال العام القادم (١٩٧١) مستعمرتان جديدتان في مرتفعات الجولان ومستعمرة اخرى في وادي البطحة »(٨٧). هذا فضلا عن ان الخطة الخمسية لتطوير مستوطنات هضبة الجولان التي وافقت عليها وزارة الزراعة ، والتي تبلغ تكاليفها ١٧ مليون ليرة اسرائيلية ستستثمر في اقامة المباني وتطوير الحقول المنتجة(٨٨). ولعل أهم المشاريع الاسرائيلية واخطرها هو مشروع السبعينات لهضبة الجولان ، الذي يعتمد على الزيادة في الطاقة البشرية للمستوطنين وليس على الزيادة في عدد المستوطنات . وبموجب هذا المشروع سيكون في هضبة الجولان اكثر من عشرين مستوطنة زراعية يبلغ تعداد سكانها ١٢٬٥٠٠ نسمة ، بحيث يتراوح عدد سكان كل مستوطنة ما بين ٦٠٠—٦٥٠ نسمة . وستعتمد هذه المستوطنات — بمقتضى هذا المشروع — على زراعة وتصدير الخضروات والزهور والافوكادو بالاضافة الى تربية الابقار والدجاج. ومن المتوقع ان تبلغ قيمة الانتاج الزراعي سنويا في هذه المنطقة ٥٥ مليون دولار ، بينما يبلغ الدخل السنوي الصافي للعائلة الواحدة ١٠٬٠٠٠ ليرة اسرائيلية(٨٩). ان الهدف من وراء هذه المشاريع هو ترسيخ قواعد الاستيطان الاسرائيلي في هضبة الجولان ، بواسطة خلق وقائع جديدة في هذه المنطقة التي هجرها معظم سكانها في حرب الايام الستة ، وبقيت شبه خالية . ويقول بن غوريون في كلمة ألقاها في بيت سوكولوف في تل ابيب « ان الضرورة تحتم حاليا وفي اقرب وقت ممكن اقامة عشرين مستوطنة يهودية في هضبة الجولان بالاضافة الى المستوطنات الموجودة حاليا

هناك . ذلك ان هذه الوسيلة في نظري من انجع الوسائل التي يمكن بواسطتها ابقاء هذه الهضبة تحت سيطرتنا ، ذلك لان العالم حينذاك لن يبادر الى طرد اليهود من هذه المنطقة »(٩٠).

الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية

ليس هنالك شك بأن للحركة الصهيونية مطامع كبيرة في الضفة الغربية وخاصة في الاماكن التي كان لليهود فيها وجود قبل حوالي الالفي عام ، حيث حظوا لفترة محدودة من الزمن بحكم هذه المنطقة ، وتشكلت لهم مملكتان فيها : مملكة يهودا في الجنوب وعاصمتها « أورشليم » بيت المقدس ، ومملكة السامرة في الشمال وعاصمتها « شخيم » نابلس. هذا فضلا عن احتواء هذه المنطقة للاماكن الدينية الهامة لدى اليهود وخاصة في القدس التي تحتوي على حائط المبكى ، والخليل التي يعتبرها اليهود « مدينة الاباء » لاحتوائها على « مغارة المكبيلا » الحرم الابراهيمي . وليس من المستغرب في شيء أن تقوم السلطات الاسرائيلية عند احتلالها لهذه المنطقة بتغيير اسماء المناطق والمدن ، وان تصم آذان العرب بأسماء غير مألوفة ترددها وسائل الاعلام الاسرائيلية مثل « يهودا والسامرة » بدل الضفة الغربية و« حبرون » بدل الخليل ، و« شخيم » بدل نابلس و« أورشليم الشرقية » بدل القدس العربية الخ ...

وربما تكون الضفة الغربية هي المكان الذي كان ينبغي على الحركة الصهيونية أن تبدأ منه في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في بناء مستوطنات لها ، تمهيدا لبناء الدولة المعتيدة ، لما لهذه المنطقة من مكانة دينية في قلوب اليهود ، غير ان عامل خصوبة الارض حال دون البدء باستيطان زراعي في هذه المنطقة ، ودفع الحركة الصهيونية الى البدء ببناء شبكة من المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني ، حيث الخصوبة والارض الطيبة . وكان لهذه المستوطنات الفضل الاول في تحديد خطوط الهدنة بين العرب واسرائيل . ولم تحظ اسرائيل آنذاك بالضفة الغربية لندرة المستوطنات الاسرائيلية بها . وليس من المستبعد ان يكون عامل خصوبة الارض الذي صرف في الماضي انظار الحركة الصهيونية عن بناء المستعمرات في الضفة الغربية ودفعها الى بناء شبكة من المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني هو نفسه، الى جانب عوامل اخرى الذي يدفع اسرائيل الى بناء شبكة من المستوطنات في غور الاردن حيث الارض الخصبة والماء ، فضلا عن كون هذه المستوطنات تشكل حزاما أمنيا وتجعل السكان العرب في الضفة الغربية يشعرون بأنهم محاطون من كل الجوانب بحلقة من المستوطنات الاسرائيلية.

وازاء تباطؤ الحكومة الاسرائيلية في دفع عملية الاسيطان في منطقتي الخليل وغوش عتسيون ، وتفضيلها بناء مستوطنات ناحال في غور الاردن ، اندفعت بعض المجموعات المتحمسة ، خاصة من بين صفوف المتدينين والحزب الوطني المتدين « مفدال » الى خلق وقائع جديدة في هاتين المنطقتين . فبعد انتهاء حرب الايام الستة بمدة وجيزة قامت سيارات بنقل متطوعين من الكيبوتسات والموشافيم التابعة للاحزاب الدينية ، مع خيامهم واعتدتهم ، وتوجهت بهم الى منطقة غوش عتسيون وعند ذلك فقط وافقت الحكومة على استيطان غوش عتسيون(٩١). وكذلك قامت مجموعة اخرى من المتدينين بالتوجه الى الخليل لخلق امر واقع هناك ، واستأجرت فندقا في المدخل الشمالي من المدينة ، ثم انتقلت الى مكان بالقرب من مقر الحاكم العسكري وعند ذلك فقط وافقت الحكومة وصادقت على استيطان هؤلاء للخليل(٩٢). وهذا لا يعني ان الحكومة الاسرائيلية كانت تقف في وجه الاستيطان في منطقة الخليل وغوش عتسيون ، بل كانت تفضل ارجاء موضوع استيطان هاتين المنطقتين ، حفاظا على وحدة حكومة الائتلاف الوطني ، وتفضل في الوقت ذاته بناء شبكة من المستوطنات الزراعية الامنية (مستوطنات ناحال) في غور الاردن وعلى امتداد النهر لان استيطان منطقة الاغوار لا يشكل مثار جدل بين اعضاء الحكومة ، بعكس الاستيطان الاسرائيلي في كل من الخليل وغوش عتسيون الذي انقسمت وجهات نظر اعضاء الحكومة الاسرائيلية حوله . ولكن الحكومة الاسرائيلية خضعت في نهاية الامر لمطلب استيطان الخليل وغوش عتسيون ، ليس بسبب قوة المستوطنين الذين أتوا خلسة او جهارا بسياراتهم الى هاتين المنطقتين بل بسبب طبيعة تكوين حكومة الائتلاف الوطني (تشكلت عشية حرب الايام الستة ، وانفرط عقدها عند موافقة اسرائيل على مشروع روجرز) المشكلة من تيارات مختلفة ابتداء باليمين المتطرف وانتهاء باليسار المعتدل . وكان اليسار في تلك الحكومة (حزب مبام وبعض حمائم حزب مباي؟) يعارض استيطان الخليل

وغوش عتسيون ، بحجة ان هذا العمل من شأنه ان يبعد من احتمالات السلام ، بينما كان اليمين وعلى رأسه كتلة حيروت الاحرار « جاحال »والحزب الوطني المتدين « مفدال » يدعو الى استيطان كافة المناطق المحتلة ويضع الخليل وغوش عتسيون على رأس سلم الافضلية للاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة .

وكان موقف رئيس الحكومة ليفي اشكول ومن بعده غولدا مئير وصقور حزب العمل المؤثرين في مجريات سير الاحداث في اسرائيل يتذبذب بين موقفي اليمين واليسار ، ولذلك لم تمنع الحكومة الاستيطان في الخليل وغوش عتسيون كما انها لم تفتح الباب على مصراعيه امام هذا الاستيطان ، في الوقت الذي اغلقت فيه الباب كليا امام من يرغب في استيطان منطقة « السامرة » نابلس .

اليسار الاسرائيلي الجديد واستيطان الضفة الغربية : حظيت الضفة الغربية وخاصة منطقتي الخليل وغوش عتسيون اكثر من غيرها من المناطق العربية المحتلة بوقوف تيارات اسرائيلية تمثل اليسار الاسرائيلي الجديد وبعض رجال الفكر الى جانبها ضد "الاستيطان الاسرائيلي . فقد وقع ١٥٠ شخصا من رجال الفكر والاطباء والاساتذة واعضاء كيبوتسات في اسرائيل على منشور ضد اقامة ضاحية يهودية في الخليل لكي لا يفسر ذلك : « كخطوة نحو ضم المناطق المدارة. وكتناقض لادعاء الحكومة بشأن رغبتها في مفاوضات سلام . وكخلق وقائع جديدة تغلق الطريق أمام التسوية . ان هذا الامر يضعف العناصر الفلسطينية والعناصر الاخرى التي ترغب في التوصل الى تفاهم مع دولة اسرائيل »(٩٣).

لقد اكتفى الموقعون على هذا المنشور بمطالبة الحكومة ، وبشكل معتدل ، بعدم اقامة الضاحية اليهودية في الخليل ، دون ان يطالبوا بابعاد المستوطنين الموجودين في الخليل ، غير ان «شموئيل جلاي » وهو استاذ في جامعة تل ابيب ، تجرأ اكثر من زملائه ومس صلب الموضوع ، فقد طالب في مقالة له بضرورة اظهار حسن نوايا اسرائيل تجاه السلام مع العرب ، واعرب عن اعتقاده ان قضية الاستيطان تثير خشية العرب من توسع اسرائيلي جديد . ومن اجل اثبات حسن نية اسرائيل قال : « ينبغي على الحكومة ان لا توقف فقط استيطانا آخر في المناطق المحتلة ، بل ينبغي ايضا الغاء الاعمال الاستيطانية التي قامت بها في الخليل وغوش عتسيون . هكذا ، وليس عن طريق الاستيطان ، نبدأ بالتقدم للحصول على اهدافنا في السلام ، مرحلة بعد مرحلة ، بطول أناة ، وبدون هستيريا الاستيطان »(٩٤).

اما اليسار الاسرائيلي الجديد والمصطلح عليه بالعبرية « سبح » الذي برز بعد حرب الايام الستة في الساحة الاسرائيلية ، كتيار غير مبلور الاهداف وغير مجسد التنظيم، فقد اتخذ من أسلوب التظاهرات وتوزيع المناشير منهجا له ضد الاستيطان الاسرائيلي في الخليل وغوش عتسيون . ومن الجدير بالذكر هنا ان اليسار الاسرائيلي الجديد يتعاون ويتحالف في نشاطاته المناوئة للحكومة الاسرائيلية مع « جماعة رفتين » المنشقة عن حزب المبام ومع جماعة متسبين . فقد قامت مجموعة من اليسار الاسرائيلي الجديد ومن عناصر « جماعة رفتين » بمحاولة تعتبر الاولى من نوعها للتوجه الى مدينة الخليل للقيام بمظاهرة هناك ضد الاستيطان الاسرائيلي ، غير ان قوات الامن الاسرائيلية حالت دون وصول افراد هذه المجموعة الى مدينة الخليل(٩٥). وعندما قررت حكومة اسرائيل بضغط من الاحزاب اليمينية والدينية الاعلان عن موافقتها لاقامة ضاحية يهودية في الخليل قام شباب من المنتمين لليسار الاسرائيلي الجديد ومن المؤيدين له بمظاهرة انطلقت من الجامعة العبرية في القدس وتوجهت نحو وزارة الاسكان ، احتجاجا على مشاريع وزارة الاسكان بشأن الضاحية اليهودية في الخليل . وكان المتظاهرون يحملون نعشا يرمز الى احد احتمالات السلام التي ماتت بسبب مشاريع البناء لهذه الضاحية ، ارادوا مواراته بالتراب بالقرب من وزارة الاسكان . وقد اصطدمت المسيرة بقوات الامن ، وسقط النعش على قارعة الطريق . وكان المتظاهرون يحملون لافتات كتب عليها «غولدا صقر او حمامة المهم ان تطير » « وزارة الاسكان تعد ضاحية الخليل — من يعد السلام » « مستوطني الخليل ، اذهبوا الى النقب »!(٩٦).

وقد نشط اعضاء اليسار الاسرائيلي الجديد في طبع المناشير وتوزيعها ، ضد الاستيطان في الخليل ، في الاوقات التي تشتد فيها الدعوة لاستيطان هذه المدينة . ويبلغ نشاطهم ذروته في هذا المجال عندما استطاعوا توزيع مناشير مناوئة للاستيطان في بيت الرئيس زلمان شازار ، حيث استطاع عدد من

الشبان التسلل بين الجموع التي اتت لتهنئة الرئيس ووزعوا مناشير ضد الاستيطان في الخليل(٩٧).

حملات استيطانية فاشلة في منطقة نابلس : ازاء حملات اليسار الاسرائيلي الجديد المناوئة للاستيطان في الخليل وغوش عتسيون قامت مجموعات من اليمين الاسرائيلي المتطرف بايحاء وتأييد الكتل اليمينية المتطرفة في اسرائيل مثل كتلة حيروت الاحرار « جاحال » و« المركز الحر » و« الحركة من اجل ارض اسرائيل الكاملة » بحملات استيطانية موجهة بشكل خاص الى مدينة نابلس العربية للاستيطان فيها عن طريق القوة . فقد قامت اربع مجموعات تضم حوالي ٤٠ شخصا من الشباب والشابات في ١٩٧٠/٥/٢٧ من القدس وحيفا والجنوب بالتوجه الى مدينة نابلس . وقد نصبوا خيامهم على ظهر جبل على بعد ١٠ كم جنوبي المدينة واطلقوا على مستوطنتهم اسم « مفو شخيم » (مدخل نابلس) غير ان هذه المستوطنة الوليدة ماتت في مهدها . فعندما علمت سلطات الامن بأمر هؤلاء المستوطنين ارسلت اليهم قوة ارغمتهم على ترك المكان في نفس اليوم الذي قدموا فيه . وقد قال احد المستوطنين يدعى « زئيف بيرل » طالب يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما، على اثر فشل المحاولة الاستيطانية: « يا للخسارة ! ان كل ما كنا نبغيه ، هو ابراز نابلس على خريطة ارض اسرائيل »(٩٨). وقال مستوطن آخر : « ان الامر الذي يوحدنا هو الرغبة في مشاهدة البلاد مأهولة بالسكان اليهود »(٩٩). وقال ثالث : « لقد كانت لدينا برامج لاقامة مدرسة ميدان ؛ ومحطة وقود ، ومطعم على الطريق الرئيسي »(١٠٠). بعد مرور شهرين تقريبا على هذه المحاولة الفاشلة ، قامت مجموعة أخرى معظم افرادها من الطلاب حوالي ٣٠ شابا وشابة(١٠١) بمحاولة لاستيطان جبل جرزيم ، غير ان قوات الامن تصدت لهم ومنعتهم من الوصول الى الجبل ، الامر الذي دفع المستوطنين الجدد الى الاستعاضة عن هذه المنطقة بمنطقة « شيلا » التاريخية . وبالفعل توجه افراد هذه المجموعة الاستيطانية الى هناك ورفعوا العلم الاسرائيلي ايذانا بانشاء مستوطنة شيلا ، الا ان هذه المستوطنة الجديدة لم يكتب لها ان تعيش اكثر من بضع ساعات ، حيث قامت قوات الامن بتعقبهم ومنعتهم من البقاء هناك(١٠٢). لم ييأس دعاة استيطان نابلس ، واتبعوا محاولاتهم السابقة بمحاولة اخرى عندما قامت مجموعة مكونه من ٦٠ شخصا بالتوجه الى المدينة ونصبوا خيامهم على بعد ٢٢ كم جنوبي نابلس ، الا ان قوات الامن تصدت لهم وحالت دون استيطانهم . وقبل أن ترغمهم قوات الامن على مغادرة المنطقة وزع هؤلاء منشورا جاء فيه انهم « يريدون الاستيطان في نابلس ويسعون الى اقامة معهد لتعليم اللغتين العبرية والعربية ، ومحطة وقود ومدرسة زراعية »(١٠٣).

لم تقتصر المحاولات الاستيطانية الفاشلة التي قامت بها مجموعات اسرائيلية يمينية متطرفة على منطقة نابلس بل شملت نواحي اخرى من الضفة الغربية مثل بيت ايل الواقعة على بعد ٣ كم من رام الله ، التي واجهت حملة استيطانية قامت بها مجموعة اسرائيلية مكونة من ٣٠ شخصا(١٠٤) تابعة لمنظمة تدعى « منظمة استيطان الضفة الغربية » يرئسها شخص يدعى « شمعون رحاميم » موظف بنك في القدس ، وقد تصدت قوات الامن لافراد هذه المجموعة ومنعتهم من الاستيطان في بيت ايل . ومثل قرية بتير الواقعة الى الغرب من بيت لحم ، حيث قامت مجموعة معظم عناصرها من الطلبة وحركة بيطار في فرنسا (التابعة لحزب حيروت) بنصب خيمة على تل يقع بين قرية بتير وبيت لحم ، غير ان هذه الخيمة لم يكتب لها البقاء ، حيث قامت سلطات الحكم العسكري بطرد هؤلاء المستوطنين في نفس اليوم الذي قدموا فيه(١٠٥). وهكذا فشل اليمين المتطرف في رسم وقائع جديدة في بقية الضفة الغربية ، كما فشل اليسار الاسرائيلي الجديد في ازالة وقائع جديدة في المناطق العربية المحتلة .

استيطان الخليل

ذكرنا سابقا ان مجموعة اسرائيلية دينية صغيرة قامت بعد حرب الايام الستة بالتوجه الى الخليل بغرض خلق نواة استيطانية في مدينة « الآباء » حيث توجد « مغارة المكبلا » الحرم الابراهيمي ، واستأجرت فندقا في المنطقة الشمالية من المدينة ، وبعد ذلك فقط وافقت الحكومة الاسرائيلية واقرت هذا العمل بعد ان أصبح أمرا واقعا . الا ان سلطات الحكم العسكري هناك قامت لاسباب أمنية بنقل هؤلاء المستوطنين الى أماكن أخرى أعدت لهم داخل سور مقر الحاكم العسكري . ولا تزال هذه المجموعة الاستيطانية التي يرئسها الحاخام «موشيه لفنجر » والمكونة من ٢٥ عائلة ، يصل تعداد

افرادها الى ١٢٥ نسمة ، من بينهم ٢٦ طفلا ولدوا في مقر الحاكم العسكري بالخليل(١٠٦) لا تزال حتى الان تعيش في هذا المقر المحاط بالحراسة المشددة ! ويقول « عاموس » احد مستوطني مقر الحاكم العسكري في الخليل في وصفه لحياة هؤلاء المستوطنين: « منذ عامين ونحن نعيش ضمن السور داخل باحة الحاكم العسكري ، بعزلة ، وباكتظاظ مخيف ، وباحساس المحكوم عليه بالموت شنقا . غير اننا صمدنا بفضل قوة ايماننا بأن تحولا سيحدث في المستقبل »(١٠٧). وقد أقام هؤلاء المستوطنون ، بفضل المعونات التي تلقوها ، متجرة ومطعما ، كما أقاموا مدرسة دينية وروضة اطفال .

ومع مرور الزمن ، واشتداد مطالبة العناصر اليمينية والدينية وضغطها على حكومة الائتلاف الوطني ، لبناء ضاحية في الخليل على نمط الضاحية اليهودية التي بنيت بالقرب من الناصرة العربية في الجليل في فلسطين المحتلة بغرض تهويد المنطقة ، وعلى أثر تهديد مستوطني الخليل بترك بيوتهم الموجودة بالقرب من مقر الحاكم العسكري ، والانتقال للسكن في مخيمات خارج المقر اذا لم تقم الحكومة بتزويدهم بالوحدات السكنية التي كانت قد وعدتهم بها ، قرأ يجآل ألون نائب رئيسة الحكومة بيانا أصدرته الحكومة بهذا الخصوص ، جاء فيه « ان الحكومة تعكف الان على اعداد تخطيط لاقامة ضاحية يهودية في الخليل ... وان هذا التخطيط سيستغرق عاما او أكثر . وفي غضون ذلك ستتمكن الحكومة من مضاعفة السكان اليهود في مدينة الاباء حول النواة الاستيطانية القائمة »(١٠٨). وبذلك تكون الحكومة الاسرائيلية قد اماطت اللثام ولاول مرة بشكل رسمي ، عن اعتزامها لاستيطان منطقة الخليل .

وفي نفس الشهر ، كشف يجآل الون النقاب عن عدد الوحدات السكنية التي ستشكل الضاحية اليهودية حين أعلن في الكنيست ان الحكومة قد قررت بناء ٢٥٠ وحدة سكنية « للعائلات التي تريد الانضمام الى المستوطنين في مدينة الآباء »(١٠٩) وبعد ذلك اقرت الحكومة في نهاية شهر آذار من عام ١٩٧٠ الميزانية المطلوبة من اجل اقامة الضاحية اليهودية في الخليل بمبلغ عشرين مليون ليرة اسرائيلية(١١٠) وقد لقي هذا القرار معارضة شديدة من قبل أعضاء حزب « مبام » واعضاء آخرين من حزب العمل .

ويجري العمل حاليا ، بالقرب من مدينة الخليل العربية ، بأعمال تمهيد الارض وشق الطرق وحفر اسس للبيوت لاقامة الـ ٢٥٠ وحدة سكنية التي قررت الحكومة الاسرائيلية بناءها . كما سيجري العمل لاقامة مبان للخدمات العامة تشتمل على « روضة اطفال ومدرسة وعيادة طبية وكنيس ومركز للحوانيت ومصانع »(١١١). ومن الملاحظ هنا ان مباني الخدمات هذه بامكانها تأدية الخدمة ليس فقط لـ ٢٥٠ وحدة سكنية ، بل لاكثر من ذلك . وليس من المستبعد أن تكون مباني الخدمات تلك معدة لتأدية الخدمة لضاحية أكبر من الضاحية المقرر اقامتها والتي سينتهي العمل بها بعد عامين على الاقل . ويمر بناء الضاحية بمرحلتين ، المرحلة الاولى تشاد فيها ٨٠ وحدة سكنية مساحة كل وحدة ٧٥ مترا مربعا ومكونة من ثلاثة طوابق. اما المرحلة الثانية ، فستبنى فيها بالقرب من هذه الوحدات السكنية وحدات أكبر تتراوح مساحة كل منها بين ٨٧ الى ١٠٠ متر مربع ، وهي مخصصة للعائلات الكبيرة ويبلغ ثمن كل وحدة ٩٠ الف ليرة اسرائيلية(١١٢). وقد قامت قبل مدة ١٢٠ عائلة من بين العائلات المرشحة لاستيطان هذه الضاحية بزيارة الخليل بواسطة سيارات الاوتوبيس لمشاهدة المكان الذي يجري فيه العمل لاقامة الضاحية اليهودية وسير العمل هناك(١١٣).

ولكن من الملاحظ هنا ان عملية الاستيطان في الخليل تسير ببطء شديد ويعود ذلك الى ثلاثة اسباب رئيسية : الاول : يتمثل في المعارضة الموجودة داخل الحكومة نفسها ، حيث يقف اعضاء حزب مبام سواء في الحكومة او الكنيست مع أعضاء آخرين من حزب العمل ضد استيطان المدينة لكي لا يؤثر هذا العمل على احتمالات السلام مع الدول العربية . والثاني : المعارضة الخارجية وخاصة معارضة الولايات المتحدة الامريكية بالذات ، فعندما اخذت الاوساط الحكومية في اسرائيل تتحدث حول اقامة ضاحية يهودية في الخليل ، أثار هذا الامر « اهتمام وقلق الولايات المتحدة » مما حدا بوزير الخارجية ابا ايبن الى الادعاء بأن المقصود هو اقامة « وحدات سكنية مقلصة وليس ضاحية كبيرة » ! والثالث : ان الحكومة الاسرائيلية لم تقدم حتى الان على ضم مدينة الخليل الى اسرائيل، وبالتالي فان احتمالات الانسحاب من المدينة في حالة التوصل الى سلام مع العرب أمر وارد ، وهذا الاحتمال هو الذي يجعل السلطات الاسرائيلية

تتردد كثيرا في بناء الضاحية اليهودية ، ذلك لان الضواحي تختلف عن المستوطنات الزراعية من حيث المباني السكنية وعدد المستوطنين ، فمن السهل التخلي عن مستوطنة صغيرة واخلاء سكانها ، ولكن من الصعب التخلي عن مدينة واجلاء سكانها منها ولذلك نرى السلطات الاسرائيلية تقدم علـى بناء المستوطنات الزراعية الامنية وتحجم عـن بناء الضواحي بالقرب مـن المدن العربية مثل نابلس والخليل وطولكرم وغزة باستثنـاء مدينة القدس العربية التي أعلنت اسرائيل رسميا ضمها اليها . ومع ذلك فقد اقرت اسرائيل خطة اقامة الضاحية اليهودية في الخليل . فهل يعني ذلك انها ستقيمها لكي تبقى الضاحية مع مستوطنيهـا اليهود تحت رحمـة احتمالات السلام ؟ ترد رئيسـة الحكومة الاسرائيلية غولدا مئير على هذا بقولها : « انه من المتفق عليه اذا مـا انسحبت اسرائيل مـن الخليل ، فان ذلك سيكون فقط في نطاق سلام بين اسرائيل والدول العربية . واذا مـا تقرر اعادة الخليل للحكم الاردني، فليس هنالك اي سبب يحول دون بقاء اليهود في المدينة التي طردوا منها نتيجة الحوادث التي وقعت قبل حوالي أربعين عاما ، ذلك لان السلام الحقيقي يمكن اليهود من البقاء في الخليل . ومن هنا ينبغي ان لا نرى في الاستيطان تعيين حدود سياسية للمستقبل »(١١٤). اي ان السلطات الاسرائيلية تتصور انها عثرت اخيرا على حل لا يتناقض واستيطان اليهود لمدينة الخليل ، حتى ولو تم التوصل الى اتفاقية سلام مع العرب، تنسحب بموجبها اسرائيل من المدينة ، ويبقى بها المستوطنون اليهـود ، كما بقي العرب في اللد والرملة ويافا وحيفا والناصرة !

استيطان غوش عتسيون

ذكرنا سابقا ان فئة صغيرة من المستوطنين قامت بعد انتهاء حرب الايام الستة بالتوجه نحو منطقة غوش عتسيون بغرض استيطانها وخلق واقع جديد هنـاك. وقد لقي هذا العمـل موافقة الحكومة الاسرائيلية فيما بعد . وتقع منطقة غوش عتسيون على هضاب الخليل في المنطقة الواقعة بين مدينتي القدس والخليل . وكانت الحركة الصهيونية قد شادت بعد الحرب العالمية الثانية أربع مستوطنات في تلك المنطقـة تعرف باسـم مستوطنات غوش عتسيون . وقد جاء انشاء هذه المستوطنات متأخرا بالنسبة لانشاء المستوطنات في السهل الساحلي الفلسطيني، والمناطق الخصبة الاخرى في فلسطين. ولذلك لم يكن بوسع هذه المستوطنات تشكيل حزام دفاعي او هجومي قوي كبقية المستوطنات الاخرى، ولذا سقطت بسهولة عـام ١٩٤٨ علـى أيدي المناضلين الفلسطينيين الذين دعمهم الجيش العربي الاردني .

بعد احتلال الضفة الغربية في حرب الايام الستة ، أخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تدعو المستوطنين الذين قدموا الـى غوش عتسيـون بالمستوطنين « العائدين » على اعتبار ان معظم هؤلاء هم من بين الاشخاص الذين بقوا على قيـد الحياة بعد احتلال الجيش العربي الاردني لمستوطنات غوش عتسيون . وقد اتخذ المستوطنون الجدد في بداية مجيئهم من مباني الجيش الاردني مساكن لهم ، شأنهم في ذلك شأن معظم المستوطنين الاسرائيليين في هضبة الجولان . وبعـد ذلك اخذ الصندوق القومي اليهودي على عاتقه شق طريق بين غوش عتسيون ومنطقة « عدولام » طولها ١٣ كم وعرضها ستة أمتـار(١١٥) بغرض تسهيـل الاتصال بمدن ومستوطنات السهـل الساحلي الفلسطيني وقـد انتهى العمل من شق هذه الطريق عند مطلع عام ١٩٦٩(١١٦) دون ان تعبد وبقيت طريقا ترابية ، ولذا أصبحت هدفا للالغام التي يغرسها الفدائيون بها ، الامر الذي أثار الخوف والهلع في قلوب المستوطنين الذين اخـذوا بعد ذلك يشكون الى السلطات المختصة من عدم الامن الناجم عن عدم تعبيد الطريق اثناء ذهابهم وايابهم من والى مركز البلاد(١١٧). وقام الصندوق القومي ايضا علاوة على شق الطريق بتشجير المنطقة ، ووصل عدد ما غرس حتى منتصف عام ١٩٦٩ حوالى نصف مليون غرسـة(١١٨).

قبل التطرق الى المستوطنـات الاسرائيلية التي أقيمت في هذه المنطقة ، تجدر بنا الاشارة الى مكانة هذه المنطقة لدى الاسرائيليـين . ذلك ان مكانة غوش عتسيون تختلف وتتفاوت لدى الاحزاب في اسرائيل . فحزب « مبام » مثلا لا يعير هذه المنطقة اهتمامه ، بينما يرى فيها الحزب الوطني المتدين « مفدال » وطن الآباء « القدامى » ووطن الاباء « الحديثي العهد » ، وعليه فان لهذه المنطقة مكانة كبيرة بين أنصار هذا الحزب . وقد قال « يوسف بورغ » وزير الشؤون الاجتماعيـة (من الحزب

الوطني المتدين) في كلمة ألقاها بمناسبة تدشين مستوطنة « روش تسوريم » : « اننا اقمنا هذه المستوطنة بالدم والدموع والعرق ، ولا تستطيع قوة في الارض ان تنتزعها منا »(١١٩). أما يجآل الون نائب رئيسة الوزراء فان مكانة هذه المنطقة بالنسبة اليه تعود الى مزاياها الامنية ، ويمكن تلخيص وجهة نظره التي تشبه الى حد بعيد وجهة نظر سائر « الامنيين » في اسرائيل كالآتي : « ان صحراء يهودا برمتها من البحر الميت وحتى مشارف الخليل تعتبر منطقة مثالية لتمركز المقاتلين من الفدائيين . وبداعي متطلبات الامن الجمة لمدينة القدس فانه من الضروري ان تكون هذه المنطقة بأيدينا ... ولكي لا يغدو مصير القدس كمصير سايغون مثلا ، ينبغي علينا ان نسيطر على هذه المنطقة»(١٢٠).

مستوطنات غوش عتسيون : يوجد في غوش عتسيون حتى الان ثلاث نقاط استيطانية وهي : كفار عتسيون وروش تسوريم وألون شابوت . وقد اقيمت مستوطنة **كفار عتسيون** في شهر اوغسطس من عام ١٩٦٧ وبلغ عدد سكانها في عام ١٩٦٨ خمسين شخصا نصفهم من الشباب والنصف الآخر من الشابات . ومن بين هؤلاء يوجد عشرون شخصا من أفراد الناحال(١٢١). اما مستوطنة **روش تسوريم** فقد احتفل بتدشينها في ١٩٦٩/٧/٣٠(١٢٢) وتقع في المكان الذي اشيد فيه كيبوتس « عين تسوريم » الذي دمر في معارك ١٩٤٨ . اما المستوطنة الثالثة **الون شابوت** فقد أقيمت لتكون مركزا فرديا يقدم كافة الخدمات للمستوطنتين الاتنتي الذكر والمستوطنات التي ستبنى في المستقبل في هذه المنطقة . ولذا اقيمت عند مفترق مستوطنات غوش عتسيون .

تعتمد مستوطنات غوش عتسيون على الزراعة الشتوية لعدم توفر المياه في المنطقة ، كما تقوم بتربية الطيور وخاصة ديك الحبش ، غير ان ذلك لا يكفي حاجة السكان ، ولذا فان الاكثرية من المستوطنين يذهبون يوميا الى السهل الداخلي للعمل هناك ، وتبلغ المسافة التي يقطعونها ذهابا وايابا حوالي ٩٠ كم(١٢٣). ويواجه مستوطنو المستعمرات الثلاث مشاكل جمة أهمها :

١ — الوحدات السكنية : تشبه هذه الوحدات الى حد كبير « البراكيات » وهي بيوت مصنوعة مقدما على شكل قطع يتم تركيبها عند البناء ومنظرها لا يدخل البهجة في النفس ، فضلا عن ان نوعيتها غير جيدة فمياه الامطار تتسرب منها خلال فصل الشتاء، كما ان منافعها تبعد قليلا عنها . ويقول احد مستوطني « ألون شابوت » في وصفه للحالة النفسية لدى المستوطنين : « الحقيقة ان اليأس يعصر قلوبنا من هذا البناء . ان ألون شابوت ينبغي ان تكون كمركز قروي فخم . غير ان الشعور السائد هو اننا وقعنا في المصيدة »(١٢٤). وقال بعض المرشحين لاستيطان غوش عتسيون « انهم لن يأتوا الى غوش عتسيون ليعيشوا في مخيم لاجئين »(١٢٥). ومن الجدير بالذكر ان البرنامج الاساسي لبناء مستوطنة الون شابوت يتضمن بناء ٣٠٠ وحدة سكنية ، وبناء مدرسة دينية تحمل اسم « هار عتسيون » تضم ٣٠٠ طالب من سن الثامنة عشرة فما فوق، ومدرسة ميدانية تضم مئتي طالب، ومدرسة داخلية ثقافية ، ومدرسة ثانوية دينية وموسيقية فنية تدار بواسطة « جوقة زمير » التي تعتزم ارسال نواة من بين أفرادها من نيويورك الى منطقة غوش عتسيون بغرض الاستيطان، وبناء مركز للخدمات ، ومدرسة ابتدائية ، وعيادة ومطعم ومركز تجاري بالاضافة الى المؤسسات العامة(١٢٦). ولكن خلال عامين من الموافقة على البرنامج الاساسي لم يتم الا بناء ١٤ وحدة سكنية . ويقول احد المستوطنين ان سبب التأخير في بناء الوحدات السكنية يعود الى اعتبارات سياسية . فقد أخر وزير الاسكان (عن حزب مبام) في صيف عام ١٩٦٨ عملية البناء « لان الحزب الذي ينتمي اليه «مبام» يعارض الاستيطان ، وخلق وقائع جديدة في يهودا والسامرة »(١٢٧).

٢ — أزمة المياه : يشكو مستوطنو غوش عتسيون من قلة المياه . ولا زالت هذه المستوطنات حتى الان تعتمد على الماء الذي يصلها بواسطة شاحنة تنقله من آبار تابعة لبلدية الخليل ، ويصل ثمن الكوب الواحد الذي تتقاضاه بلدية الخليل من مستوطنات غوش عتسيون ثمانية اضعاف عما هو عليه في فلسطين المحتلة ، الامر الذي يجعل هذا الثمن المرتفع موضع تندر وسخرية المستوطنين الذين يصفونه بانه يضاهي ثمن « الشمبانيا » ! وكانت المؤسسات الحكومية قد وعدت بربط المنطقة بأنبوب للمياه يصل قطره الى ٨ انش ، الا ان هذا الوعد لم يخرج الى حيز التنفيذ . ويقول أحد المستوطنين : « انهم يتحدثون دائما ... حول

امكانية مد انبوب ، قطره ٨ انش ، وربط المنطقة بمصادر المياه في قطاع عدولام . انهم يتحدثون ... ونحن نعود من اعمالنا الى البيت ... لنستلقي على الاسرة والاوساخ تلتصق باجسادنا »(١٢٨).

٣ ــ مشكلة الاراضي : وضع تحت تصرف مستوطني المستعمرات الثلاث في غوش عتسيون حوالي ٦٠٠٠ دونم ، ولكن الاراضي القابلة للزراعة تصل الى ٥٥٠ دونما فقط . ولتغطية النقص في الاراضي الصالحة للزراعة قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة ١٢٠٠ دونم من الاراضي التابعة للفلاحين العرب بغرض منحها للمستوطنات الاسرائيلية . الا ان اجراءات المصادرة لا زالت تسير ببطء شديد ، الامر الذي جعل التذمر يسود المستوطنين اليهود بسبب تباطؤ الحكومة في تنفيذ اجراءات المصادرة(١٢٩).

وهنالك مشاكل اخرى تواجه مستوطني غوش عتسيون مثل تعبيد الطريق بين مستوطناتهم وقطاع « عدولام » ، وربط المنطقة بشبكة كهربائية . وقد بقيت هذه المشاكل جميعها حتى الان دون حل وقيد الدرس، الامر الذي دفع المستوطنين الى ان يدعوا رئيسة الحكومة لزيارة منطقتهم ، وقد لبت غولدا مئير الدعوة وذكرت لهم ان السبب في تأخير مشاريع الاستيطان يعود الى العجز في الميزانية ، ثم اخذت تضرب على الوتر الديني قائلة : « عندما يكتب التاريخ اليهودي سيكتب انه هنا ، وفي هضبة الجولان ، وفي غور الاردن ، وفي أماكن اخرى ، استوطن اناس ليس فقط بفضل القوة اليهودية ، بل ايضا بفضل قوة الايمان اليهودي الذي يعود اليه الفضل في وجود شباب وشابات مثلكم ، مستعدين لترك بيوتهم ، بدافع الامل والايمان بالمستقبل »(١٣٠).

استيطان منطقة اللطرون

مستوطنة موديعين : يطلق الاسرائيليون اهمية خاصة على منطقة اللطرون بسبب الموقع الاستراتيجي الذي تشغله . وقد بذلت القوات الاسرائيلية محاولات كثيرة لاحتلال هذه المنطقة في معارك ١٩٤٨ ، الا ان محاولاتها باءت بالفشل ، فضلا عن الخسائر الباهظة التي لحقت بها .

بعد سقوط منطقة اللطرون في حرب الايام الستة ، قامت القوات الاسرائيلية بتشريد سكان ، وازالة معالم اربع قرى عربية تقع بالقرب من دير اللطرون وهي عمواس ويالو وبيت نوبا وزيتا ، كما واخذت المستوطنات الاسرائيلية المجاورة لهذه المنطقة تتسابق وتتصارع حول نصيب كل منها في اراضي القرى العربية الآنفة الذكر . وفي جو التسابق هذا بين المستوطنات الاسرائيلية لاقتسام اراضي قرى اللطرون العربية ، كان حزب عمال اغودات يسرائيل (حزب ديني ، يشغل في الكنيست الحالية اربعة مقاعد) يقيم من بين صفوفه نواة ، استعدادا لاقامة مستوطنة في تلك المنطقة. وبالفعل برزت على الارض مستوطنة « موديعين » في اواخر اوكتوبر ١٩٦٩ . وكانت نواة المستوطنين المتدينين تتكون حينذاك من الشباب والشابات غير المتزوجين. وقد قرر البعض منهم اجراء طقوس الزواج في بيت حارون التاريخية بالقرب من مقابر المكابيين!(١٣١). وقد خطط لهذه المستوطنة لكي تصبح كيبوتسا مدنيا بعد مدة وجيزة من تأسيسها على يد سلاح الناحال . ويعتمد هذا الكيبوتس على الزراعة وخاصة زراعة الزهور ، التي يتقنها المستوطنون، كما ويعتمد ايضا على تربية الابقار ، حيث توجد المراعي الطبيعية الخصبة(١٣٢).

مستوطنة نفيه شالوم : تعتبر مستوطنة « نفيه شالوم » (واحة السلام) المزمع انشاؤها في منطقة اللطرون ظاهرة فريدة من نوعها في المناطق العربية المحتلة . فهذه المستوطنة لن تقام بواسطة الجهات الاسرائيلية الرسمية او الشعبية، ولا حتى بواسطة المتطوعين الاجانب الذين تزعموا اقامة مستوطنة « رمات شالوم » في هضبة الجولان ، بل سيقوم بتأسيسها الراهب الدومينيكاني « برونو هوسار » احد رهبان دير اللطرون ، تساعده في ذلك امرأة يهودية تدعى « رينا جفتمان » كانت قد هاجرت من فرنسا الى اسرائيل قبل خمسة أعوام . ويبدو ان حمى الاستيطان قد اصابت هذا الراهب ، وابعدته عن الامور التي ينبغي ان يكرس نفسه لها . فقام بتشكيل « لجنة تأسيسية » تضم يهودا ومسلمين ومسيحيين وتقوم بنشاط دعائي داخل اسرائيل وخارجها ، لجلب مستوطنين من اصحاب الكتب السماوية الثلاثة ، الى هذه المستوطنة ، الواقعة بالقرب من دير اللطرون في الاراضي العربية المحتلة. وهو يصف دوافعه من وراء اقامة هذه المستوطنة بانها تتسم بالنبل والانسانية : « اننا نستهدف من اقامتنا لهذه القرية ان تكون مكانا يستطيع فيه اليهود والمسلمون والمسيحيون داخل البلاد وخارجها ، ان يلتقوا فيه ويعملوا سوية . اننا

ستقبل اشخاصا ذوي رغبة اصيلة في التفاهم ، مؤيدين للسلام الحقيقي والعادل بين البشر ، وبين الطوائف المختلفة ، وبين الشعوب »(١٢٣). اما مشكلة تعليم اطفال القرية فان الراهب هوسار يعطي حلا بسيطا وسهلا لها اذ يقول : بالنسبة لابناء المسلمين ، ستقلهم سيارة اوتوبيس الى المدرسة العربية في قرية بيت سيرا ، اما ابناء المسيحيين فسينتقلون الى مدرسة في رام الله ، وسينقل ابناء اليهود الى مدارس المستوطنات اليهودية القريبة(١٢٤). وفيما يتعلق بقضية الانتماء الى هذه المستوطنة ، يقول الراهب « هوسار » : « ان كل من ينضم الينا ، سيرسل مدة نصف عام الى الكيبوتس ، لكي يتعلم اللغة العبرية ، ويتعرف على الحياة التعاونية التي ستتبع عندنا ايضا »(١٢٥).
اختير مكان اقامة مستوطنة « نفيه شالوم » في منطقة اللطرون ضمن الاراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ ، بالقرب من موقع عسكري اردني ، وفي مكان لا زالت تطل منه مبان قديمة تعود الى عهد الصليبيين . ويقوم عمال عرب ومتطوعون من بين أولئك الذين استهوتهم فكرة الراهب هوسار بترميم هذه المباني وتزيينها . ومن المقرر ان تعتمد هذه المستوطنة على الزراعة والصناعة والاستضافة . وقد تم حتى الان اقامة مطعم ، ومكان للصلاة للاديان الثلاثة . ومن المعروف عن هذا الراهب انه قدم من فرنسا الى اسرائيل عام ١٩٥٣ ، ومنح الجنسية الاسرائيلية عام ١٩٦٥ لقاء الخدمات التي قدمها للصهيونية(١٢٦).

استيطان منطقة الغور

اقام الاسرائيليون منذ انتهاء حرب الايام الستة وحتى الان في غور الاردن ست مستوطنات ، خمس منها مستوطنات ناحال والمستوطنة السادسة مستوطنة مدنية . وهنالك مستوطنة سابعة في طور التخطيط والاعداد ، ستقام على الطريق التي شقت بعد الحرب بين عين جدي وعين الباشا ، تحمل اسم « راس حريبه » . وعلى خلاف الاستيطان في هضبة الجولان وغوش عتسيون ، فان « الاستيطان الارتجالي » الذي قامت به مجموعات اسرائيلية لخلق وقائع جديدة هناك ، لم تنجح في غور الاردن. فقد حدث ان قامت مجموعة استيطانية اسرائيلية مكونة من ١٤ شخصا من ابناء الكيبوتس والطلبة المتحمسين ، بعد انتهاء حرب الايام الستة بأسبوعين ، بمحاولة لانشاء مستوطنة في القسم الجنوبي من غور الاردن ، على الساحل الشمالي للبحر الميت ، الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل . ويصف احد المستوطنين هذه المحاولة بقوله : « كان لدى كل واحد منا مبلغ من النقود ، ووافق كل واحد ان يستثمر نقوده في هذه المحاولة . بعد اسبوعين من انتهاء الحرب اقمنا خيمة ، وبدأنا نفحص الاراضي ، ونهتم بالمياه وما شابه ذلك . وبعد ثلاثة شهور من عملنا في المنطقة ، ابعدنا من هناك بهدوء وادب »(١٢٧).
رات السلطات الاسرائيلية بعد اغلاقها الباب في غور الاردن امام « الاستيطان الارتجالي » ان تبادر هي باقامة شبكة من المستوطنات على امتداد الغور بواسطة سلاح الناحال . وتعتبر مستوطنات الناحال هذه الجزء الذي تم تنفيذه من مشروع آلون ، الذي يستهدف خلق حزام أمني على امتداد وادي الاردن ومرتفعات الجولان ووادي عربة وشرم الشيخ بواسطة اقامة مستوطنات امنية في هذه المناطق . ولذلك فان المشاكل التي يواجهها مستوطنو الاغوار تختلف عن مشاكل الاستيطان المستعصية في الاماكن مثل غوش عتسيون والخليل، وبعض مستوطنات هضبة الجولان ، ويعود ذلك الى كون مستوطنات الاغوار مستوطنات ناحال ، يديرها سلاح من اسلحة الجيش الاسرائيلي ، ويمتلك القدرة على حل مشاكلها . وهنالك ميزة اخرى تتسم بها هذه المستوطنات عن غيرها وهي الرابطة القوية التي تجمع هؤلاء المستوطنين بحكم انتمائهم لمؤسسة واحدة ، مؤسسة الناحال . وتقوم هذه المستوطنات بتبادل الخبرات واعمال الحراسة . فقد يحدث ان ترسل مستوطنة مجموعة من شبابها لحراسة مستوطنة أخرى مجاورة لها اذا ما قررت الاخيرة القيام بحفلة ليلية تستمر حتى الصباح ، كما ويحدث نفس الشيء اذا ما قررت المستوطنة الاولى القيام بهذه الحفلة(١٣٨)، ذلك لان مشكلة الامن هي المشكلة الرئيسية التي تواجه هذه المستوطنات .
اذا استثنينا العامل الامني الذي يقف وراء مستوطنات الناحال في الاغوار ، نجد ان هنالك عدة عوامل تقف وراء هذا الاستيطان اهمها :
العامل الاقتصادي : تمتاز الاغوار عن غيرها من المناطق المحتلة بثمارها وخضارها المبكرة ، بحكم طقسها الفريد من نوعه في العالم . وتسعى السلطات الاسرائيلية الى تحويل الاغوار الى

« بستان خضار شتوي »(١٣٩) لاوروبا عندما تنمو وتتطور مستوطنات الاغوار وتتقدم في المجال الزراعي . والعامل السياسي : ان واقع قيام شبكة من المستوطنات الاسرائيلية على امتداد نهر الاردن ، يجعل الضفة الغربية محاطة من جميع الجهات بالتواجد الاسرائيلي ، الامر الذي من شأنه أن يعمل على عزل عرب فلسطين ولو جغرافيا عن الشعوب العربية .

بدافع من هذه العوامل الثلاثة اقامت السلطات الاسرائيلية شبكة من مستوطنات الناحال على امتداد نهر الاردن . غير ان هذه المستوطنات لم تصل بعد من الكثرة الى الحد الذي يمكنها من تحقيق الامال التي علقت عليها . ويقول الدكتور « رعنان فايتس » مدير قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية بعد ان شن حملة عنيفة على المؤسسات التي تعيق فكرة اقامة المستوطنات في الاراضي العربية المحتلة ، ودعا الى بناء المزيد من المستوطنات في غور الاردن : « اننا لم نتمكن حتى الان من اقامة رأس الجسر المطلوب اقامته في غور الاردن لضمان خطنا الدفاعي هناك . ذلك انه لا يمكن سد الفراغ هناك عن طريق اقامة المستوطنات النائية ، كما هو الحال اليوم ، وانما عن طريق اقامة سلسلة من المستوطنات القريبة بعضها من البعض الاخر »(١٤٠).

مستوطنات الغور

ناحال محوله : تقع المستوطنة بالقرب من مخاضة ام السوس على طريق اريحا بيسان ، وتبعد عن بلدة بيسان بحوالي ٢٠ كم . وهي تعتبر طليعة مستوطنات غور الاردن ، فقد برزت على الارض في ١٩٦٨/٢/٦ كمستوطنة ناحال للمتدينين من اعضاء « بني عكيفا » ، وقد تبنتها مستوطنة دينية ليست بالبعيدة عنها تدعى « معليه هجلبوع » . تعتمد المستوطنة على الزراعة وخاصة زراعة الخضار المبكرة . وقد سميت هذه المستوطنة على اسم رقصة كان يرقصها اليهود في عهد المكرا « احتفاء بيوم النصر على العدو »(١٤١).

ناحال ارجمان : تقع المستوطنة الى الجنوب من ناحال محوله في وسط غور الاردن ، نواتها من ابناء المدن التابعين لحركة الشبيبة التي تعمل وتتعلم ، ويعتمد مستوطنوها على الزراعة . ويوجد على مرتفعات المستوطنة برج للمراقبة يشرف على المناطق الشرقية للنهر ، وجبال جلعاد ، وجسر داميا(١٤٢).

وقد برزت المستوطنة على الارض بتاريخ ٦٨/٢/٢٠ ، ودعيت على اسم ضابطين اسرائيليين لقيا مصرعهما على أيدي الفدائيين العرب في معركة كبيرة جرت بالقرب من مكان المستوطنة ، تخليدا لذكراهما ويدعى الضابط الاول « اريه ريجف » وهو برتبة عقيد (من سلاح المظليين) كان يقود اعمال المطاردة ضد الفدائيين العرب ، ليشق بذلك طريقه الى قيادة المؤسسة العسكرية في اسرائيل . وقد حزنت اسرائيل على موته ومنعت القيادة العسكرية الاسرائيلية بعد ذلك كبار الضباط من مطاردة الفدائيين . اما الضابط الثاني فهو الرائد « جاد مانيلا » .

ناحال مسوآه : تقع مستوطنة ناحال مسوآه في وسط الغور ، بالقرب من الجفتلك عند مدخل وادي الفارعة . نواتها من ابناء الكيبوتس الديني ، ومن بين هؤلاء ابنة وزير الشؤون الاجتماعية يوسف بورغ (من الحزب الوطني المتدين)(١٤٣) وبرزت على الارض عام ١٩٧٠ . ويعتمد سكانها على الزراعة الشتوية،مثل الباذنجان والكوسا والشمام والخيار والبطاطا . وقد وضع تحت تصرف المستوطنة ٤٠٠٠ دونم . وتتلقى هذه المستوطنة المياه من عيون فاره ، وتقتسمها مع عرب تلك المنطقة(١٤٤). دعيت المستوطنة بهذا الاسم لقربها من قلعة سرطبة التاريخية ، التي كان اليهود في عهد المكرا يشعلون فوقها المشاعل عند اعلان حاخامية القدس عن مطلع الشهور (شهور قمرية) وعن حلول الاعياد اليهودية ، لتشاهدها منطقة اخرى وتشعل المشاعل بدورها لتشاهدها منطقة ثالثة . وقد قرر الزعيم رحبعام زئيفي قائد المنطقة الوسطى اطلاق اسم مسوآه (مشعل) عليها ، للتذكير بعهود اليهود الغابرة(١٤٥).

ناحال جلجال : تقع مستوطنة ناحال جلجال في المنطقة الجنوبية من غور الاردن ، على بعد ١٥ كم في الشمال من اريحا ، في معسكر تدريب سابق للجيش الاردني . نواتها من اعضاء « هكيبوتس همؤحاد » التابع لحزب احدوت هعفوداه . برزت على الارض عام ١٩٧٠ . ويقوم مستوطنوها بزراعة الخضروات والبطيخ والشمام ، وقد خصص للمستوطنة ٤٠٠٠ دونم(١٤٦). ودعيت المستوطنة باسم جلجال على اسم محطة جلجال التي كانت قائمة بالقرب من اريحا ، والتي رابط فيها بنو اسرائيل بقيادة يهوشوع بن نون عند اجتيازهم لنهر

الاردن ودخولهم ارض كنعان(١٤٧).
ناحال كاليا : تقع المستوطنة في المنطقة الشمالية للبحر الميت ، في مكان مستوطنة كاليا القديمة التي احتلها الجيش العربي الاردني عام ١٩٤٨، وحولها الى معسكر . وقد دعي مستوطنو ناحال كاليا الذين قدموا الى المنطقة ، واقاموا في المباني التي كانت تخص ضباط وجنود الجيش الاردني ، بالعائدين . وتواجه المستوطنة مشكلة زراعية تتمثل في ملوحة اراضي المنطقة ، ولذلك قدم اليها مرشدون زراعيون لكي يأخذوا بيد المستوطنين . وقد فكر هؤلاء باتباع طريقة زراعية معقدة ، باهظة التكاليف ، للتغلب على ملوحة الارض كالمستعملة في عين جدي . وتتلخص هذه الطريقة في القيام بغسل كميات كبيرة من التربة بالمياه العذبة لازالة ملوحتها ، ووضع قطع كبيرة من البلاستيك تحت تلك التربة لعزلها عن الطبقة الترابية السفلى المالحة ، ونشر كميات من مادة البازلت المهشمة، والمجلوبة من هضبة الجولان على البلاستيك ، وظيفتها امتصاص الماء وبالتالي المحافظة على رطوبة التربة ومنعها من التبخر . ومع ان هذه الطريقة تجعل الانتاج يصل الى ثلاثة اضعاف ما كان عليه ، الا ان تكاليفها باهظة ، حيث تصل تكاليف الدونم الواحد الى ٤٠ الف ليرة اسرائيلية(١٤٨). ومع ذلك فقد استطاعت مستوطنة « ناحال كاليا » برغم الظروف الزراعية القاسية ، تصدير قسم من انتاجها الزراعي الى الخارج(١٤٩). وقد اشتق اسم المستوطنة من الاحرف الاولى للجملة العبرية « بعث البحر الميت من جديد »(١٥٠).
مستوطنة بتسائيل (فصال) : تقع مستوطنة بتسائيل بين مستوطنتي ناحال جلجال وناحال مسوآه غربي طريق اريحا الجفتلك مسافة ٧ كم على هضبة مرتفعة . وتعتبر هذه المستوطنة الحلقة الاخيرة في سلسلة المستوطنات الاسرائيلية التي بنيت حتى الان في غور الاردن ، كما وتعتبر المستوطنة المدنية الاولى من بين هذه المستوطنات. وقد أعلن عن انشائها في الشهر الاخير من عام ١٩٧٠ . والمشكلة الرئيسية التي تواجه المستوطنة هي مشكلة القوى البشرية ، حيث يوجد نقص كبير في عدد المستوطنين . وهنالك مشكلة اخرى تتمثل في بعد المستوطنة عن المزارع التي خصصت لها والتي تقع على جانب الطريق الرئيسية. فمستوطنو بتسائيل مضطرون يوميا الى قطع مسافة ١٥ كم في ذهابهم وايابهم من اجل الاعتناء بالحقول الزراعية البعيدة عن المستوطنة . ويعتبر ذلك ظاهرة جديدة في الاستيطان الاسرائيلي الذي يقيم عادة المستوطنات الزراعية داخل الحقول او بالقرب منها. ولعل السبب في « ابعاد » هذه المستوطنة عن الحقول المخصصة لها يعود الى عامل الامن ، خاصة وان نواتها من المدنيين وليس من قوات الناحال ، وربما يكون عامل الامن هو الذي دفع المسؤولين عن الاستيطان الى اشادتها فوق قمم الجبال لتكون في مأمن من هجمات الفدائيين . وقد شبه الصحفي الاسرائيلي « مناحيم تلمي » هذه المستوطنة « بعش الصقور » !(١٥١).

استيطان القدس

تعتبر القدس المنطقة العربية المحتلة الوحيدة التي ينعدم الجدل حول مصيرها ، سواء بين الكتل السياسية أو الهيئات العامة في اسرائيل . فهنالك اجماع تام بين الاحزاب الاسرائيلية التي تمتلك مقاعد لها في الكنيست (باستثناء القائمة الشيوعية الجديدة) على ضرورة ضم القدس العربية لاسرائيل ، وتوحيدها مع القدس اليهودية والعمل على تهويدها ، وجعلها عاصمة اسرائيل مهما كانت النتائج . ولذلك اقدمت اسرائيل في اواخر شهر حزيران من عام ١٩٦٧ بعيد انتهاء حرب الايام الستة مباشرة على ضمها اليها رسميا ، واخذت تطبق على سكانها العرب القانون الاسرائيلي وتعتبرهم مواطنين اسرائيليين ، كما فتحت باب الاستيطان فيها لمن يرغب من اليهود ، وشرعت تشجعهم في استملاك وشراء واستئجار الاراضي والمنازل العربية ووعدتهم « بتقديم يد المعونة بقدر الامكان » كما جاء على لسان يجآل الون نائب رئيسة الوزراء .

لم يكن الاستيطان الاول مبرمجا ، بل جاء عفويا على ايدي مجموعات من العائلات اليهودية من طبقة « الياقات البيضاء » التي أرادت أن تخلق وقائع جديدة في القدس العربية، اسوة بطلائع المستوطنين في هضبة الجولان . واذ كانت الوسيلة لخلق وقائع جديدة لاوائل مستوطني الجولان هي الانهماك في جمع قطعان الابقار المهجورة في الهضبة السورية ، فان الوسيلة لخلق وقائع جديدة في القدس العربية تتمثل في وضع اليد على او استئجار « البيوت المهجورة » في القدس التي تركها اصحابها الشرعيون في الحرب . وتصف « راحيل منير »

محررة المجلة الاسبوعية « لمتحيل » ، التي تركت بيتها وانتقلت مع زوجها واولادهـا الى القدس العربية ، دوافع العائلات اليهودية التي استقرت في القدس بقولها : « نما احساس عند كل عائلة بضرورة عمل شيء ما ، لكي يتقرر مصير المناطق على ضوء التواجد ... قلنـا : اننا لسنا ابناء ثمانية عشر ، لن نذهب لجمع الابقار في الجولان ، ولكن ، بما انهم خلقوا هناك وقائع جديدة بواسطة جمع الابقار المهجورة ، خرجنا نحن في نفس الوقت في مسار آخر ، وراء البيوت المهجورة في شمال شرق القدس ... »(١٥٢). الا ان عملية استئجار هذه البيوت « المهجورة » لم تكن بالامر اليسير كعملية جمع الابقار المهجورة في هضبة الجولان ، لان سكان المدينة العرب أدركوا مطامع تلك العائلات وما تصبو اليه من اهداف لخلق وقائع جديدة بينهم لتمهيد الطريق أمام تهويد المدينة ، وامتنع الكثيرون منهم عن تأجير المنازل ، او التصرف بالمنازل التي هجرها اصحابها ، الامر الذي جعل اليهود الذين يرغبون في استيطان المدينـة يتذمرون من موقف السكان العرب ويحتجون ضد الموقف « المتساهل » للسلطات الاسرائيلية تجاه هؤلاء العرب ! وبالرغم من ذلك فقد استطاع الاستيطان اليهودي العفوي غير المبرمج العثور على منازل مهجورة في أماكن متفرقة من مدينة القدس العربية ، واستئجارها . وقد بلغ مجموع هذه العائلات حتى شهر يوليو عام ١٩٧٠ ، ٣٨ عائلة(١٥٣). وتعاني هذه العائلات من العزلة ، كما وانها تواجه مشكلة نقل اطفالها الى المدارس اليهودية في القدس اليهودية . ولكن السلطات الاسرائيلية لم تدع الاستيطان العفوي يعمل لوحده علـى خلق وقائع جـديدة في القدس العربية ، بل اخذت هذه السلطات تعد وتخطط وتبرمج وتعمل جاهدة من اجل تهويد المدينة .

ومن اجل تحقيق عملية التهويد واخراجها الى حيز التنفيذ ، كان لا بد للسلطات الاسرائيلية من التفكير في توجيه سيل الهجرة اليهودية الى مدينة القدس، والاقدام على مصادرة اراض عربية ، تمهيدا لاقامة وحدات سكنية لهؤلاء المهاجريـن . ولذلك طالب الوزير شمعون بيرس المسؤول عن وزارة الاستيعاب العمل على تركيز معظم المهاجرين الجدد في القدس العربية حين قال في مطلع عام ١٩٧٠ « انه سيأتي الى اسرائيل خلال الاعوام الاربعة القادمة ما يقارب ربع مليون يهودي . وينبغي اسكان هؤلاء المهاجرين في القدس لكي يتحقق بذلك هدف ديموغرافي سياسي واجتماعي من الدرجة الاولى »(١٥٤). بيد ان تحويل سيل الهجرة الى القدس لن يعطي الثمار المرجوة منه اذا لم يقترن بمصادرة اراض عربية بغرض بناء وحدات سكنية لهؤلاء اليهـود ، ولذلك أقدمت الحكومة الاسرائيلية في أواخر عـام ١٩٦٧ على مصادرة حوالي ثلاثة آلاف دونم في مناطق رمات اشكول وجبعات همفتار والتل الفرنسي والمنطقة المتاخمة لجبل الزيتون(١٥٥). وبعد ذلك وفي شهر اوغسطس من عـام ١٩٧٠ استكملت السلطات الاسرائيلية سلسلة اخرى من المصادرات شملت حوالي ١٢ ألف دونم في مناطـق شرفات جنوبي القدس بجانب الطريق المؤدية الى بيت لحم وبالقرب من بيت صفافا ، وفي منطقة قصر المندوب السامي، وفي منطقة النبي صموئيل شمال غرب القدس(١٥٦). وقد بدأت السلطات الاسرائيلية في اعمال التمهيد والبناء في المناطق التي تمت مصادرتها بعيد حرب الايام الستة ، حيث أقامت في عام ١٩٦٩ ضاحية « رامات اشكول » الواقعة بين حي الشيخ جراح وشعفاط وتحتوي على ٢١٠٠ وحدة سكنية ، بيعت معظمها الى العائلات اليهودية ، وقد بدأ البعض من هذه العائلات باستلام المباني المخصصة لها . وكذلك تم بناء اكثر من ١٥٠ فيلا من اصل ٣٠٠ فيلا في « هضبة المفتار » . اما بالنسبة للحي اليهودي فقد اعدت فيه خمس مدارس دينية بالاضافة الى منازل اخرى للطلاب الجامعيين، كما واعدت مساكن لسبع عائلات واقيمت بعض الحوانيت(١٥٧). ثم اخذت السلطات الاسرائيلية تخطط وتعد لإقامة مبان سكنية في مناطق اخرى من القدس العربية بغرض تهويدها . ففي التل الفرنسي يجري العمل على قدم وساق لبناء ١٥٠٠ وحدة سكنية من اصل ٢٥٠٠ وحدة سكنية حسب المخطط الرئيسي وتقدر تكاليف هذه الاعمال بـ ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية ، ثمن كل وحدة ٧٠ ألف ليرة اسرائيلية . كما وتجري اعمال التمهيد لبناء ٣٠٠٠ وحدة سكنية في النبي يعقوب ثمن كل وحدة سكنية ٥٠ الف ليرةاسرائيلية، وتقدر تكاليف البناء في النبي يعقوب بـ ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية(١٥٨) هذا علاوة علـى ٧٠٠ وحدة سكنية (فيلا) ستبنى في النبي صموئيل شمال غربي القدس ، تتسع لخمسة آلاف نسمة .

وستبنى أيضا حسب المخطط الرئيسي ٧٠٠ وحدة سكنية في منطقة قصر المندوب السامي و٧٠٠ وحدة

سكنية اخرى في منطقة شرفات في الجنوب من القدس(١٥٩).

اي ان المخطط الاسرائيلي الاساسي يستهدف احاطة القدس العربية بقوس من الضواحي اليهودية يكون مركز ثقل البناء لهذا القوس في الشمال والجنوب وليس داخل المدينة . ذلك لان القائمين على المخطط الاساسي للبناء لا يوصون بوضع المئتي الف مهاجر يهودي داخل القدس بل يدعون الى توطينهم في ضواح تقام بين القدس ورام‌الله وبين القدس وبيت لحم . ويتوقع هؤلاء انه بعد مرور ٤٠ — ٥٠ عاما ستصبح المناطق الواقعة بين رام‌الله والقدس ، وبين بيت لحم والقدس ، مغطاة بالمباني اليهودية ، كما هو الحال اليوم بالنسبة للمناطق الواقعة شمال تل ابيب حتى هرتسليا ، والواقعة جنوبها حتى بات يام وحولون(١٦٠). وقد وصل عدد اليهود الذين اصبحوا يقطنون في القدس العربية حتى الشهر الاخير من عام ١٩٦٩ ثلاثة الاف نسمة ، كما جاء على لسان يجال ألون في الكنيست . ومن المقرر ان يصل عددهم في نهاية عام ١٩٧٣ في القدس العربية ٤٢،٠٠٠ نسمة(١٦١).

استيطان سيناء

لم تنج شبه جزيرة سيناء الصحراوية من الاستيطان الاسرائيلي . فبعد حرب الايام الستة بأسابيع معدودة قام جيولوجيون ومنقبون عن الكنوز الارضية بجولات في شبه الجزيرة للوقوف على اوضاع الاقليم والحياة فيها . ثم تبعتهم سبع بعثات علمية تابعة للجامعة العبرية بغرض « اجراء دراسات حول امكانية الاستيطان في شبه جزيرة سيناء » ، اتخذت من شرم الشيخ ومنطقة رودس ، مكانين دائمين لها(١٦٢). ولكن هذه المنطقة لم تشهد — بسبب ندرة الارض الزراعية ، وعدم توفر المياه ، ولكونها منطقة صحراوية — حملات استيطانية شعبية كتلك التي جرت في هضبة الجولان والضفة الغربية . ولذا وقع عبء الاستيطان على كاهل السلطات الاسرائيلية ، حيث اخذت تعد وتخطط بعيد الحرب لاقامة مستوطنات « ناحال » في شبه الجزيرة بغرض اثبات التواجد الاسرائيلي هناك . كما رات هذه السلطات ان الواجب يتطلب فتح أبواب سيناء امام الشركات المختلفة لبناء فنادق ومؤسسات سياحية خلال الاعوام القادمة تتسع لحوالي ٣٠٠٠ سرير ، تصل تكاليفها الى ١٢ مليون ليرة اسرائيلية(١٦٣) على امل ان تساعد هذه الفنادق والمؤسسات السياحية على اثبات التواجد الاسرائيلي في المنطقة ، فضلا من الارباح المادية التي ستجنيها اسرائيل من وراء ذلك . كما واقدمت السلطات الاسرائيلية على اقامة مستشفى حديث(١٦٤).

لم تكتف السلطات الاسرائيلية بالخطوة التي اقدمت عليها في بناء مستوطنات الناحال في سيناء ، بل اعقبت هذا النمط من الاستيطان باستيطان مدني عند مدخل رفح في شمال سيناء كما وانها تعد العدة لتكوين استيطان مدني في شرم الشيخ . ويمكن تقسيم الاستيطان الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء الى ثلاثة انماط من الاستيطان : ١ — استيطان الناحال ، على امتداد المحور الشمالي من سيناء .
٢ — استيطان مدني زراعي ، عند مدخل رفح .
٣ — استيطان مدني سياحي (في طور الاعداد) في شرم الشيخ .

مستوطنات الناحال

اقام سلاح الناحال الاسرائيلي حتى الان ثلاث مستوطنات في سيناء تقع كلها على امتداد المحور الشمالي من شبه الجزيرة حيث تتركز اكثرية السكان العرب على هذا المحور . ومن الجدير بالذكر ان اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان قد وافقت في مطلع شهر حزيران عام ١٩٧٠ على اقامة مستوطنة رابعة تدعى « حروبه » على بعد ١٥ كم من العريش(١٦٥). كما وانه من المقرر اقامة مستوطنة ناحال تحمل اسم « نوبا » على ساحل خليج العقبة بين ايلات وشرم الشيخ (كما ذكرت الاذاعة العبرية في ٧١/٤/١٩) .

هنالك عاملان بارزان وراء اقامة هذه المستوطنات، العامل الامني والعامل النفسي . فبالنسبة للعامل الاول تشكل مستوطنات الناحال نقاط حراسة ثابتة في اماكن معينة على المحور الشمالي وتحول بقدر الامكان دون القيام بأعمال فدائية من قبل عرب المنطقة . وفيما يتعلق بالعامل النفسي فالمقصود هو جعل عرب سيناء لا يحسون فقط بالتواجد العسكري الاسرائيلي ، الذي ينظرون اليه بأنه تواجد مؤقت ، خاصة وان الجيش الاسرائيلي كان قد انسحب من سيناء عام ١٩٥٧ ، بعد العدوان الثلاثي ، بل أيضا بالتواجد الاسرائيلي المدني الذي يوحي بأن اسرائيل لن تنسحب هذه المرة من سيناء، وبالتالي جعل هؤلاء السكان « يتعايشون » مع الوضع الجديد .

ناحال يام : برزت المستوطنة على الارض بتاريخ

٦٧/١٠/٤ . وقد اختـار المستوطنون في البداية الطريق الاسهل اسوة بطلائع مستوطني هضبـة الجولان ، فاتخذوا من منازل محطة سكة الحديد في بير مصنق مساكن لهم(١٦٦) ثم انتقلوا بعد ذلك الى بيوت ثابتة بالقرب من بحيرة البردويل على الطريق الرئيسية العريش ـ القنطرة . ويمكنها موقعها التي اشيدت فيه ، من الاشراف على جزء من المحور الشمالي الذي يعتبر اهم محور من ثلاثة محاور يستخدمها الجيش الاسرائيلي في سيناء . هذا فضلا عن ميزة قرب المستوطنة من بحيرة البردويل الغنية بالاسماك ، حيث يقوم المستوطنون هنـاك بصيد الاسماك بكميات لا بأس بها ، وشحنها الى اسرائيل بسيارات شحـن مبردة ، لتقـوم المؤسسـات الاسرائيلية بدورها بتصدير قسم من هذه الاسماك الى اوروبا . وقد اهتم المسؤولون عن اقامة هذه المستوطنة ، بأن تكون نواتها من بين الذين تخرجوا من مدرسة صيد الاسماك ، من بين صفوف سلاح الناحال . ومن الجدير بالذكر ان صيادي الاسماك العرب من مدينة بورسعيد ، كانوا قبل العدوان يقومون بأعمال صيد الاسماك في البحيرة .

ناحال سيناء : تقع مستوطنة ناحال سيناء بالقرب من العريش على الطريق المؤدية من العريش الى مفترق بير لحفان(١٦٧) . اقيمت في اواخر عام ١٩٦٧ ، داخل مزرعة نموذجية ، اعدتها سلطات الجمهورية العربية المتحدة قبل حرب حزيران بغرض استصلاح الاراضي في مناطق معينة من شبه جزيرة سيناء . اما غرض اسرائيل من وراء اقامة هذه المستوطنة فهو « فحص امكانية توطين اللاجئين في قرى في سيناء حول مدينـة العريش »(١٦٨) . ويقـوم المستوطنون بالاعمال الزراعية ويصدرون انتاجهم الى مدينة العريش .

ناحال دكله : برزت المستوطنة علـى الارض في ١٩٦٩/٧/١٣ في مكان يقع بالقرب من الشيخ زويد وعلى بعد ١٠ كم جنوبي مفترق رفح في الطريق الى العريش(١٦٩) . نواتها مـن اعضاء منظمة « بني عكيفا » الموالية للحزب الوطني المتدين . وكان من المقرر عند تأسيسها ان تحـل محل نواة « بني عكيفا » بعد مدة من الزمن نواة من حركة « بيطار » التابعة لحزب « حيروت » ، وبالفعل قدمت مجموعة من اعضاء هذه الحركة واستوطنت ناحال دكله . وتعتبر مستوطنة ناحال دكله المستوطنة الوحيدة حتى الان التي استطاعت حركة « بيطار » ارسال نواة اليها من بين اعضائها بغرض الاستيطان . وقد وضعت السلطات الاسرائيلية تحت تصرف هذه المستوطنة ٢٠٠ دونم لزراعة الخضار الشتوية . بيد ان هذه الاعمال لا تسد حاجة المستوطنين ، ولذلك انيطت بهم مهام الاعتناء ببيارة كبيرة تصل مساحتها الى ٤٠٠ دونم في منطقة «بيسور»(١٧٠) داخل فلسطين المحتلة .

استيطان مدخل رفح

في عام ١٩٧٠ اخذت الجهات الاسرائيلية المسؤولة عن الاستيطان تبدي مزيدا من الاهتمام في المنطقة الشمالية من سيناء ، فقد شرعت في ذلك العـام بالتخطيط والعمل بهدوء لاقامة ثلاث مستوطنات مدنية هناك . ويعتبر ذلك تحولا حاسما في الاستيطان الاسرائيلي في سيناء الذي يعتمـد اساسا على المستوطنات الامنية (مستوطنات الناحال) . ولعل الدافع الاساسي من وراء قيام الحكومة الاسرائيلية بالاقدام على بناء مستوطنة مدنية من اصل ثلاث مستوطنات مدنية في القطاع الشمالي من سيناء بالقرب من رفح يعود الى عامـل سياسي ، فقد اخذت الحكومة الاسرائيلية في الوقت الذي طرحت فيه في المنطقة مشاريع سلام ، وخاصـة مشروع روجرز ، تعد العدة لاقامة هذه المستوطنات لخلق وقائع جديدة في شمال سيناء بواسطة سكان مدنيين وليس بواسطة سلاح الناحال ، بغرض استخدام هذه المستوطنات المدنية اذا ما تم التفاوض على تسوية سلام مع الجمهورية العربيـة المتحدة ، كورقة لها وزنها . هذا فضلا لما لهذه المستوطنات من ميزة أمنية ، ذلك لان وجود استيطان يهودي بالقرب من رفح من شأنه ان يغلق المنفذ الاساسي الذي يستخدمه الفدائيون العرب اثنـاء ذهابهم وايابهم من قطاع غزه الى الاردن ، الامر الذي دفع السلطات الاسرائيلية الى التفكير باقامة حزام امن عند مدخل رفح للحد من نشاط الفدائيين(١٧١) . وبدافع من هذين العاملـين ، العامل السياسي والعامل الامني ، اخذت السلطـات الاسرائيلية تخطط وتعد لاقامة ثلاث مستوطنات مدنية في شمال سيناء وقد شادت حتـى الان مستوطنة مدنية واحدة .

مستوطنة مدخل رفح : تقع هذه المستوطنة التي اطلق عليها مؤقتا اسم « بتحات رفيح » (مدخل رفح) في القطاع الشمالي من سيناء بالقرب من

مدينة رفح . وقد احتفل رسميـا يوم ٧١/١/٤ بتشييدها . وسبق هذا الاحتفال ، اعمال كثيرة منها ربط المنطقة بشبكة المواصلات وبشبكة الكهرباء ، وكذلك مد انبوب للمياه يربط المستوطنة بمشروع المياه القطري ، بوسعه ايصال اكثر من مليون متر مكعب من الماء خلال العام الواحد للمستوطنة(١٧٢). وتشبه منازل المستوطنة (من المنازل المصنوعة مقدما) المنازل التي يجري بناؤها في منطقتي غوش عتصيون والخليل ، وتبلغ مساحة كل وحدة سكنية ٦٨ مترا مربعا ، تشتمل على « غسالة كهربائية ، وفرن غاز ، وثلاجة كهربائية »(١٧٣). قدم سكان المستوطنة اليها بعد انتهاء بنائها ، ولم يواجهوا اية مشاكل سكنية كبقية سكان المستوطنات المدنية في المناطق المحتلة ، ووجدوها جاهزة دون ان يكلفهم ذلك شيئا ، أللهم الا عناء الانتقال من مكان الى اخر ! ومعظم هؤلاء من سكان الكيبوتسات. وهنالك ظاهرة تختص بهـا هذه المستوطنة ، دون كافة المستوطنات الاخـرى التي شيدت حتى الان في المناطق العربية المحتلة ، وهي ظاهرة اقتصـار الاستيطان فيها على العائلات المدنية فقط . ومن المقرر ان يعمل سكان المستوطنة في الحقل الزراعي، حيث اعدت الارض ، بعـد حل مشكلة المياه ، لزراعة فستق العبيد والمنجا والبرتقال والليمـون خلال المرحلة الاولى من الاستيطان . وقد خصص لكل عائلة ٢٠ دونما ، ومن المقرر ان تتوسع قطعة الارض بعد مدة لتصبح ٤٨ دونما ، كما خصص لكل عائلة مدجنة لتربية الدجاج الهندي(١٧٤).

وقد واجه المستوطنون في اليوم الاول من قدومهم الى مدخل رفح عداء سياسيا من قبل المستوطنتين الاسرائيليتين القريبتين من مستوطنتهم العتيدة ، وهما مستوطنتا « كيرم شالوم » و«نير يتسحاق » التابعتان لحركة « هشومير هتسعير » الموالية لحزب « مبام » . فقد استقبلتهـم هاتان المستوطنتان بلافتات عدائية « حل للاجئين ، في مدخل رفح ! » و« الخزي والعار للاستيطان ! » بسبب معارضة حزب مبام لاستيطان سيناء . ومن الجدير بالذكر ان حزب «مبام» يؤيد الاستيطان في هضبة الجولان، وفي غور الاردن والقدس ، ويعارض الاستيطـان الاسرائيلي في المناطق الاخرى من المناطق العربية المحتلة . غير ان الامر الذي يثـير السخرية هو وجود عدد من المنتمين لحركة « هشومير هتسعير » بين مستوطني مدخل رفح !

استيطان شرم الشيخ

تحتل منطقة شرم الشيخ المكانة الثالثة بين المناطق المحتلة التي يؤكـد الاسرائيليون على انهم لن ينسحبوا منها ، حتى ولو مقابل سلام حقيقي مع العرب ، فهي تأتي حسب سلم الافضليات لدى الاسرائيليين ، بعد القدس وهضبة الجولان . ويعود تمسك اسرائيل بمنطقة شرم الشيخ الى عاملين رئيسيين : العامل الامني والعامل السياحي . فالعامل الاول والاهم يمكن اسرائيل من السيطرة على خليج العقبة ومضائق تيران ، فضلا عن انه يمكنها من نصب رأس جسـر يطل على البحـر الاحمر . ويقف وراء هـذا العامل المؤسسـة العسكرية الاسرائيلية والاحزاب اليمينية المتطرفة ودعاة الضم في اسرائيل . اما العامل السياحي الذي من شأنه ان يزيد من دخل اسرائيل السياحي فانه يستهوي وزير السياحة موشيه كول وقطاعات كبيرة من المجتمع الاسرائيلي . ولم تقم السلطات الاسرائيلية حتى الان ببناء مستوطنة او مدينة في شرم الشيخ ، الا انها تصر على ابقاء المنطقة تحت سيطرتها ، وتفكر في استيطانهـا . ويقول وزير السياحة موشيه كول : « ان شرم الشيخ لن تعاد الـى مصـر ، وستصبـح مدينـة استجمـام وسياحة »(١٧٥). اما وزير الاسكان زئيف شيرف فقد صرح : « انني أؤمن باقامة مدينة في شرم الشيخ في المستقبل القريب ... وستبادر وزارة الاسكان الى البحث عن المكان الملائم لاقامة المدينة، مع الاخذ بعين الاعتبار النواحي المتعلقة بطبيعة واحتياجات المنطقة » . واضاف : « هنالك ٥٠ عائلة من المهاجرين الجدد تريد الاستيطان هناك لتطوير المنطقة طبيعيا وسياحيا »(١٧٦).

هنالك عدد من المشاريع لاستيطان المنطقة ، ابرزها مشروعان الاول تقدمت بـه الى الحكومة لجنـة اسرائيلية تدعو الى الاستيطان في شرم الشيخ ، ويتحدث هذا المشروع عن « الخطة التفصيلية من اجل اقامة مدينة في شرم الشيخ ، يعتمد سكانها على السياحة ». وسيتم بموجبه في المرحلة الاولى: « بناء ضاحية سكنية ومساكن فسيحـة ومدرسـة وروضة اطفال وسوبر ماركت وعيادة طبية »(١٧٧).

اما المشروع الثاني والاخطر ، فقد جاء من قبل الادارة المدنية لخليج العقبة ، التي تشكلت في شهر آذار عام ١٩٧٠ برئاسة « ابراهام يوفي » قائد احدى الفرق الاسرائيلية الثلاث التي هاجمت سيناء

في حرب الايام الستة ، والذي يشغل حاليا منصب مدير دائرة الحفاظ على الطبيعة . فقد اعدت هذه الادارة واصدرت في شهر اغسطس ١٩٧٠ كتيبا يحمل اسم « مشروع اولي للتنمية المدنية في منطقة خليج العقبة » يتطرق الى المشاريع التي يمكن ان تقوم بها اسرائيل في منطقة خليج العقبة . وفيما يتعلق بشرم الشيخ جاء في هذا الكتيب : « ان شرم الشيخ تشكل مركزا استيطانيا مركزيا واساسيا في جنوب سيناء لعدة اسباب من بينها : المعاني السياسية والعسكرية لمضائق تيران ، والامال المعلقة على تنمية جهاز سياحي ... » وبمقتضى هذا المشروع ستبنى مدينة في شرم الشيخ تضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية ، وحوالي ١٥٠٠ غرفة لاستقبال السياح وعدد من الفنادق . ويتوقع القائمون على هذا المشروع ان يصل عدد السكان الاسرائيليين في هذه المدينة الى ١٤ الف نسمة في عام ١٩٨٥(١٧٨).

قطاع غزه والاستيطان الاسرائيلي

بقي قطاع غزه منذ حرب الايام الستة ولغاية مطلع ديسمبر ١٩٧٠ ، منطقة خالية من الاستيطان الاسرائيلي . ويعود ذلك الى عاملين اساسيين : اولا ، بروز المقاومة العربية في القطاع ، وتصاعد قواها يوما بعد يوم ، حتى اصبحت قوة بارزة لا يمكن القضاء عليها او الاستهانة بها . وثانيا ، كثافة السكان العرب في القطاع ، الذي يبلغ تعداد سكانه حوالي ٣٧٠ الف نسمة ، وتصل نسبة الكثافة السكانية فيه للكيلومتر المربع الواحد حوالي ١٠٠٠ نسمة . غير ان هذا الوضع لم يرض المصابين بحمى الدعوة للاستيطان . ففي الآونة الاخيرة اخذت الصحافة الاسرائيلية توجه نقدا للحكومة وتتهمها بالتقصير في استيطان القطاع ، وتدعوها الى اقامة مستوطنات اسرائيلية هناك اسوة بالمناطق العربية المحتلة الاخرى . فقد دعت صحيفة معاريف في خريف عام ١٩٧٠ الحكومة الاسرائيلية الى بناء شبكة من المستوطنات في القطاع تحت عنوان : « منطقة محررة ... من اية مستوطنة اسرائيلية ! »(١٧٩) تلتها استجابة من الحكومة على لسان الوزير جليلي بصفته رئيس اللجنة الوزارية للاستيطان عندما قال : « في كل جولة اقوم بها في قطاع غزة اقتنع من جديد بصدق وجهة نظر الحكومة القائلة بعدم عودة القطاع الى الحكم الاجنبي وضرورة عدم فصله عن بقية اجزاء دولة اسرائيل » واضاف : « ان الامر يتطلب منا اتخاذ عدة اجراءات وينبغي ان لا نتوانى في تنفيذها . كما وينبغي علينا ان لا نتوانى في تنفيذ المشروعات الاستيطانية التي اقرتها الحكومة »(١٨٠).

مستوطنة « كفار داروم » : تقع هذه المستوطنة على انقاض كيبوتس « كفار داروم » الذي اسس عام ١٩٤٦ بالقرب من الطريق الرئيسية وخط سكة حديد غزه رفح شرقي دير البلح ، والذي كان الجيش المصري قد اجتاحه في معارك عام ١٩٤٨ . وقد سميت المستوطنة الجديدة على اسم الكيبوتس السابق . ونواتها من شباب وشابات سلاح الناحال ، الذين ينتمون الى حركتين دينيتين : « بني عكيفا » و« عزرا » . واحتفل بتدشين المستوطنة رسميا يوم ١٩٧٠/١٢/٢ بحضور حوالي ألف شخص من بينهم قائد المنطقة الجنوبية الزعيم اريك شارون ، وقائد قطاع غزه وشمال سيناء الزعيم الثاني «مناحيم افيرام» وقائد الناحال العقيد تسفي ليفانون ، والحاكم العسكري لقطاع غزة العقيد بنيامين منيتيف وممثلون عن الصندوق القومي(١٨١).

١ — معاريف ١٩٧٠/٢/١٢ .
٢ — دافار ١٩٦٨/١/٢٦ .
٣ — دافار ١٩٦٩/٦/٢٧ .
٤ — معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٥ — معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
٧ — دافار ١٩٦٩/٤/١٨ .
٨ — دافار ١٩٦٨/١/٢٦ .
٩ — دافار ١٩٦٩/٧/٢٣ .
١٠ — معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
١١ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
١٢ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٢ .
١٣ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
١٤ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
١٥ — يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١/١٢
١٦ — معاريف ١٩٧٠/٦/١٨ .
١٧ — معاريف ١٩٧٠/٦/١٨ .
١٨ — يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١/٣ .
١٩ — دافار ١٩٦٩/١/١٩ .
٢٠ — معاريف ١٩٧٠/٧/٥ .

٢١ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٦/١٢ .
٢٢ — معاريف ١٩٧٠/٧/٩ .
٢٣ — معاريف ١٩٧٠/٧/٩ .
٢٤ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٢٥ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٢٦ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٢٧ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٢٨ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/٣ .
٢٩ — دافار ١٩٧٠/٧/٣٠ .
٣٠ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٣١ — ملحق دافار عدد ٢٢ عام ١٩٦٨ .
٣٢ — معاريف ١٩٧٠/٧/٥ .
٣٣ — معاريف ١٩٧٠/٧/٩ .
٣٤ — معاريف ١٩٧٠/٧/١٢ .
٣٥ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٣٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٣٧ — ملحق دافار عدد ٢٢ عام ١٩٦٨ .
٣٨ — دافار ١٩٧٠/٦/٣٠ .
٣٩ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٠ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤١ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٢ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٣ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٤ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٥ — دافار ١٩٦٩/٤/٢٤ .
٤٦ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٧ — ملحق هآرتس ١٩٦٩/١/٩ .
٤٨ — دافار ١٩٦٩/٦/٢٧ .
٤٩ — دافار ١٩٧٠/٥/١ .
٥٠ — دافار ١٩٧٠/٥/١ .
٥١ — دافار ١٩٧٠/٥/١ .
٥٢ — معاريف ١٩٧٠/٣/١١ .
٥٣ — معاريف ١٩٧٠/٣/١١ .
٥٤ — دافار ١٩٧٠/٧/٢٣ .
٥٥ — دافار ١٩٦٩/٨/٢٨ .
٥٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٥٧ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٥٨ — هايوم ١٩٦٧/١٠/٤ .
٥٩ — دافار ١٩٧٠/١٠/١٩ .
٦٠ — دافار ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٦١ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٦٢ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٣ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٤ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٥ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ ودافار ١٠/٩/ ١٩٧٠ .
٦٦ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٦٧ — عل همشمار ١٩٧١/١/١١ .
٦٨ — عل همشمار ١٩٧١/١/١١ .
٦٩ — جروزلم بوست ١٩٦٨/٢/١٤ .
٧٠ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧١ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٦/١٢ .
٧٢ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٣ — ملحق هآرتس ١٩٧٠/٧/١٠ .
٧٤ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٥ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٦ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٧ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٨ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٧٩ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٨٠ — دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
٨١ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٨٢ — ملحق معاريف ١٩٧٠/٩/٣٠ .
٨٣ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٠ .
٨٤ — معاريف ١٩٧٠/١٢/٣٠ .
٨٥ — عل همشمار ١٩٧١/١/١٦ .
٨٦ — عل همشمار ١٩٧١/١/١٦ .
٨٧ — دافار ١٩٧٠/٤/٣ .
٨٨ — هآرتس ١٩٧٠/٦/١ .
٨٩ — دافار ١٩٦٩/٧/٢٣ .
٩٠ — هتسوفيه ١٩٧٠/١٢/٢٧ .
٩١ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٣ .
٩٢ — معاريف ١٩٧٠/٣/١٣ .
٩٣ — معاريف ١٩٧٠/٦/١ .
٩٤ — معاريف ١٩٧٠/٤/١٢ .
٩٥ — دافار ١٩٧٠/٣/٢٥ .
٩٦ — معاريف ١٩٧٠/٦/١٩ .
٩٧ — معاريف ١٩٧٠/١٠/٢٠ .
٩٨ — معاريف ١٩٧٠/٥/٢٨ .
٩٩ — معاريف ١٩٧٠/٥/٢٨ .
١٠٠ — معاريف ١٩٧٠/٥/٢٨ .
١٠١ — دافار ١٩٧٠/٦/٢٤ .
١٠٢ — معاريف ١٩٧٠/٦/٢٤ .
١٠٣ — معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .

١٠٤ ــ هآرتس ١٩٧٠/١١/١٩ .
١٠٥ ــ دافار ١٩٧٠/٨/٢٩ .
١٠٦ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/١٨ .
١٠٧ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٤/١٠ .
١٠٨ ــ معاريف ١٩٧٠/٣/١٠ .
١٠٩ ــ معاريف ١٩٧٠/٣/٢٦ .
١١٠ ــ دافار ١٩٧٠/٣/٣٠ .
١١١ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/١٨ .
١١٢ ــ معاريف ١٩٧٠/١٠/٢٠ .
١١٣ ــ معاريف ١٩٧٠/١٠/٢٠ .
١١٤ ــ ملحق هآرتس ١٩٧٠/٥/٢٩ .
١١٥ ــ دافار ١٩٦٩/٧/٣٠ .
١١٦ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٢/٢٥ .
١١٧ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٢/٢٠ .
١١٨ ــ دافار ١٩٦٩/٧/٣٠ .
١١٩ ــ جروزالم بوست ١٩٦٩/٧/٣١ .
١٢٠ ــ معاريف ١٩٧٠/٣/٢٧ .
١٢١ ــ ملحق دافار عدد ١٧ عام ١٩٦٨ .
١٢٢ ــ جروزالم بوست ١٩٧٠/٧/٣١ .
١٢٣ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٢/٢٥ .
١٢٤ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/١٢/٢٥ .
١٢٥ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/١٢/٢٥ .
١٢٦ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/١٢/٢٥ .
١٢٧ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/١٢/٢٥ .
١٢٨ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٢/٢٠ .
١٢٩ ــ معاريف ١٩٦٩/٦/٢٠ .
١٣٠ ــ معاريف ١٩٧٠/٢/٢٦ .
١٣١ ــ معاريف ١٩٧٠/١٠/١٦ .
١٣٢ ــ معاريف ١٩٧٠/١٠/١٦ .
١٣٣ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/١٨ .
١٣٤ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/١٨ .
١٣٥ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/١٨ .
١٣٦ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/١٨ .
١٣٧ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/١٠ .
١٣٨ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٤/١٠ .
١٣٩ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٤٠ ــ هتسوفيه ١٩٧٠/١٢/٢٠ .
١٤١ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٤٢ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٤٣ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٤/١٠ .

١٤٤ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٤/١٠ .
١٤٥ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٤/١٠ .
١٤٦ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٢/٢٣ .
١٤٧ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ وملحق معاريف ٢٣/ ١٩٧٠/٢ .
١٤٨ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٤/٢٤ .
١٤٩ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٥٠ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٥١ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/١/٢٩ .
١٥٢ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/١٧ .
١٥٣ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٧/١٧ .
١٥٤ ــ دافار ١٩٧٠/١/٢٣ .
١٥٥ ــ معاريف ١٩٧٠/١/٢٩ .
١٥٦ ــ معاريف ١٩٧٠/١/٢٩ .
١٥٧ ــ دافار ١٩٦٩/١٢/١١ .
١٥٨ ــ ملحق هآرتس ١٩٧٠/٢/٢٦ .
١٥٩ ــ معاريف ١٩٧١/١/٢٩ .
١٦٠ ــ ملحق معاريف ١٩٧٠/٣/٢٠ .
١٦١ ــ دافار ١٩٦٩/١٢/١١ .
١٦٢ ــ هآرتس ١٩٦٩/٤/٣٠ .
١٦٣ ــ يديعوت احرونوت ١٩٧٠/١١/٤
١٦٤ ــ دافار ١٩٧٠/١١/٤ .
١٦٥ ــ هآرتس ١٩٧٠/٦/٥ .
١٦٦ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٦٧ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٩ .
١٦٨ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
١٦٩ ــ دافار ١٩٦٩/٧/١٤ .
١٧٠ ــ دافار ١٩٦٩/٧/١٤ .
١٧١ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
١٧٢ ــ معاريف ١٩٧١/١/٨ .
١٧٣ ــ ملحق معاريف ١٩٧١/١/١٥ .
١٧٤ ــ معاريف ١٩٧١/١/٨ .
١٧٥ ــ دافار ١٩٧٠/١٠/٢٩ .
١٧٦ ــ عال همشمار ١٩٧٠/٩/٢٥ .
١٧٧ ــ يديعوت احرونوت ١٩٧٠/١١/١٤ .
١٧٨ ــ معاريف ١٩٧٠/١٠/٣٠ .
١٧٩ ــ معاريف ١٩٧٠/٩/٨ .
١٨٠ ــ هآرتس ١٩٧٠/١٠/٨ .
١٨١ ــ جروزلم بوست ١٩٧٠/١٢/٣ .

تحرير فلسطين والتحرر العالمي

الدكتور هشام شرابي

في اللحظة التي بدأت فيها الثورة الفلسطينية تلعب دورا هاما في حركة التحرر العالمية أخذ مركزها في العالم العربي يضعف . اذا نظرنا الى الوراء يتأكد لنا ان حركة المقاومة دخلت ، بعد القتال الضاري في أيلول ١٩٧٠ ، أكثر مراحل نموها خطورة . كما ان تناقضاتها الداخلية والخارجية قد نضجت في الوقت نفسه ، مما يفسر النكسات المتلاحقة التي منيت بها .
بدأت المقاومة رغم هزائمها ، او ربما بسبب هذه الهزائم ، تعكس صورة مميزة لنفسها. وأصبح الفلسطينيون مرتبطين اكثر واكثر بأسلوب ثوري خاص بهم واحتلوا مكانة أبرز على خارطة النضال التحرري العالمي . ومع ازدياد الروابط بين الثورة واليسار العالمي نتيجة اهتمام الحركات الثورية المتزايد بحركة التحرير الفلسطينية حدث تغير كبير في الوعي الفلسطيني نفسه ، واصبح الفلسطينيون ينظرون الى كفاحهم في اطاره العالمي وهو بالطبع أعرض من الاطار القومي . وقد اصبحت كوبا وفيتنام والصين تدريجيا عناصر جوهرية في الاطار السياسي والعقائدي للثورة . وقد تغير تصور النضال الفلسطيني : لم يعد ينظر الى أهداف التحرير من خلال النضال اليومي ، بل من خلال حركة التحرير العالمية — التاريخية . وهكذا تم ربط التحرر الفلسطيني بالنضال العالمي في سبيل التحرر ربطا محكما . في ضوء الوعي الجديد اكتسب شعار « اذا قاتلنا في اي مكان فاننا نقاتل في كل مكان » (وهو الشعار الذي طرحه الاشتراكيون البريطانيون عام ١٩٦٨) معنى محدودا وملموسا عند الفلسطينيين .
اذا كانت حركة المقاومة الفلسطينية طليعة حركة التحرر العربية فان سقوطها سوف يؤثرتأثيرا عكسيا على تطور الحركة العربية الاشمل ويشكل نكسة خطيرة لحركة التحرر العالمية.بالتالي فان السؤال الذي يجب ان نطرحه عام ١٩٧١ هو: اذا هزم الفلسطينيون في الاردن هل تشكل هزيمتهم بداية النهاية للثورة الفلسطينية او هل يكون ذلك ، كما يعتقد بعض المراقبين ، بداية مرحلة جديدة من النمو الثوري في العالم العربي ؟ ان الاجابة على هذا السؤال أساسية لفهم دور ومكان الثورة الفلسطينية في العالم العربي وفي حركة التحرر العالمية .

الهزيمة جزء من النضال الاجتماعي . قيمة الهزيمة الايجابية تكمن في اسهامها في عملية نضوج التجربة الثورية . وقد حلل الفيلسوف الاشتراكي البولوني لسزك كولاكوسكي هذا الجانب من النشاط الاجتماعي ووجد ان الهزيمة شرط مسبق ضروري للنصر : « لن تحرز الحركة الثورية أية انتصارات اذا لم تصب في مراحل تطورها السابقة بهزائم حتمية — واذا لم تكن قد بدأت التحرك الثوري في وضع تاريخي لا تتوفر فيه اية امكانية للنجاح »(١). ان موقف كولاكوسكي يختلف عن الموقف الكلاسيكي التقليدي . يؤكد التحليل التقليدي ان اية حركة قد تنجح فقط « عندما تكون اهدافها ممكنة التحقيق ، اي

عندما يكون التطور السابق قد أوجد المفترضات الموضوعيـــة الضرورية كحجم الطبقة الاجتماعية ووحدتها التنظيمية الخ»(٢). لكن الحالة التي تتواجد فيها ظروف ملائمة للتغير الاجتماعي غالبا ما يخلقها العمل الجذري الراديكالي . اي بكلام آخر ، لا يمكن خلق الرغبة في تغيير الاوضاع القائمة فقط عندما تتوفر « المفترضات الموضوعية » او عندما « تنضج » الاوضاع . في الواقع ، كما يقول كولاكوسكي ، ان بعض الشروط الرئيسية لهذا النضوج هي « المتطلبات الثورية من وضع غير ثوري »(٣). التشديد هنا على الوعي الاجتماعي كعامل تغيير رئيسي . الافتراض الاساسي هو ان « التأثير المستمر للوعي الاجتماعي هو أحد الشروط الضرورية لانضاج التاريخ ليصل لدرجة التغيير الجذري»(٤).

وهكذا فان الانتكاسات والهزائم التي تأتي نتيجة محاولة تحقيـــق ما يبدو غير ممكـــن التحقيق في تلك اللحظة ، هي على المدى الطويل الشروط الوحيدة للنجاح : « الاهداف التي لا يمكن تحقيقها الان لن تتحقق ابدا الا اذا جرى توضيحها عندما تبدو غـــير قابلة للتحقيق »(٥). او بكلام آخر « المستحيل في وقت معين قد يصبح ممكنا فقط اذا جرى طرحه عندما يكون مستحيلا »(٦). فان « الجهود غير الواقعية تصبح الشروط المسبقة للجهود الواقعية »(٧) في مجال العمل الاجتماعي . ويجد الفلسطينيون في هذا الكلام أبلغ تعبير عن مشروعهم الثوري . انهم مقتنعون ان قوة ثورية صغيرة نسبيا قادرة احيانا على احداث تغيير جذري في الوضع القائم . وقـــد عبر دانيال كوهن بنديت ، الشاب الالماني الراديكالي ، عن ذلك بقوله : « لقد ثبت ان مجموعات ثورية صغيرة قادرة ، في الزمان والمكان المناسبين ، على تمزيق النظام القائم بشكل حاسم ونهائي »(٨).

يمكننا فهم المستقبل بامكانياته الملموسة فقط عندما نفهم الحاضر بظواهره الملموسة . وكما قال ريجي دوبريه : « البصيرة رؤيا صحيحة للواقع الملموس »(٩). لكن التحليل الصحيح لا يمكنه ان يقتصر على ما يجري الان ، وعليه التوجه الى « ما لم يخطط له او يتوقع »(١٠).

يمكن القول بشكل عام ان هناك طريقتين للنظر الى الاحداث ولتفسير التاريخ ولفهم الحقيقة . هناك الطريقة الوضعية empirical (التجريبية العملية) والطريقة الجدلية (الثورية). من وجهة نظر اليقيني تتألف الحقيقة مما تكشفه الحواس والعقل. فالسببية تربط الاشياء والاحداث ، بحيث تكون ظاهرة معينة السبب في ظاهـــرة اخرى . هذه الطريقة خارجية ووصفية ومقدارية quantitative. ان ما يدركه الانسان حسيا على انه يمثل الواقع والترابط يصلح فقط ، من وجهة النظر اليقينية ، لان يكون المجال الحقيقي للتحليل . تصبح الهزيمة ، على أساس هذا الموقف ، انهيارا ، ويكون القول بأن الهزيمة تؤدي الى النصر بلا معنى ، ويساوي عندئذ القول بأن الموت يؤدي الى الحياة . ويؤدي التناقض ، ضمن هذا الاطار النظري ، الى طريق مسدود لانه لا يمثل شيئا سوى النقيض في مواجهات منغلقة متبادلة . باختصار ، كل العلاقات الجدلية (الديلكتاكية) مفقودة في هذه الطريقة من التفكير .

الطريقة الوضعية ، مـــن الوجهة السياسية والعقائديـــة ، تدعم النظام القائم . من الطبيعي ان يتلاءم اسلوب هذه الطريقة مع الموقف التدريجي غير الثوري للوضع القائم. هذا/هو أسلوب اليمين كله ، من المعتدل الى الرجعي . ان التصور اليقيني للتاريخ هو تصور حاضر لا نهاية له . ويميل اليقيني الى الرضوخ والاستسلام للوضع القائم حاليا. وهدف جهود اليقينية العملية هو المحافظـــة على استقرار النظـــام وتوازنه . وتهدف اليقينية ، من الناحية السياسية ، الى المحافظة على ميزان القوى في الوضع القائم من خلال السيطرة بواسطة القوة أو بالتسوية والتفاهم . وهكذا يهدف الاستعمار الليبرالي، بواسطة « تحديث » مجتمع ما او باستعمال القوة العسكرية ، الى توسيع وترسيخ الاستغلال والتحكم وذلك من خلال المحافظة على بنيان القوى الحالي .

اما الطريقة الجدلية او الثورية فتعتمد في النظر الى الامور عـــلى أسلوب لا يقف عند

الحالة الحاضرة بل يتجاوزها ، فالحواس والعقل تكشف بعض جوانب الحقيقة فقط . ورغم ان الاسلوب العملي التجريبي سيد في حقله ، فانه يفشل في فهم العلاقة الديناميكية بين الاشياء . وهو يفتقد الامر الاساسي الذي تركز عليه الطريقة الجدلية : العلاقات المتداخلة بين الظواهر ووحدة الحقيقة وتعدد وجوهها . ويتخذ التفكير الجدلي منطلقه من الافتراض التالي : « الحقيقة هي الكل » . ويصبح ممكنا ، من وجهة النظر هذه ، ان نفهم كيف ينتج النصر عن الهزيمة . وتكون التناقضات هنا الارضية التي ينطلق منها التغيير النوعي . وتصبح جملة فويرباخ « نقيض النقيض فقط هو التأكيد الصحيح » واضحة . وبناء على هذه الاعتبارات المحددة يصبح التفكـــير الجدلي تفكيرا ثوريا له مرجعه الملائم وطريقته او اسلوبه الخاص وادوات تحليله الخاصة .

وفي النظرة الجدلية يجري تفضيل مصلحة الانسان والمجتمع « التاريخية » اي الحقيقية على المصلحة « الفورية » اي الآنية . ويفهم الحاضر ، في هذه النظرة ، ليس فقط من خلال الحقائق او المعلومات الزمانية والمكانية المتوفرة حاليا ، بل مـــن خلال المحتوى الواسع للتاريخ العالمي . وهكذا فان الطريقة الجدلية في التحليل بالضرورة تفترض ، كما قال هربرت ماركوس(١١)، طابع الشمولية وتتخذ من حركة التحرير العالمية مرجعا اساسيا لها .

بهذا المعنى، الطريقة الجدلية هي طريقة اليسار ، من المتحررين الى اقصى الراديكاليين. وتوجه الطريقة الجدلية هو نحو التغيير الجذري ، وبذلك تصبح مهمتها الرئيسية انتقاد الوضع القائم وتخطيه (وتحويله تحويلا تاما) . ويعتبر التحديث ، من وجهة نظر التحليل الجدلي ، كتكتيك للاستعمار يهدف الى احتواء التغيـــير الجذري وتدعيم الوضع القائم محليا وعالميا . وهكذا فان التحليل الجدلي يركز على ضرورة مجابهة الاستعمار وجها لوجه ،وعلى حتمية الكفاح المسلح . ويبدو واضحا انه في الصراع العقائدي الدائر حاليا ليس لدى اليقينية التجريبية ما تقدمه سوى تكتيكات للمحافظة على المصالح القائمة بينما تقدم الطريقة الجدلية نظرية سياسية تنير الرؤيا والعمل .

تعارض القوى الاستعمارية ، على المستوى العقائدي ، المطلب الثوري في تجاوز الوضع القائم، وتصف المشروع الثوري بأنه خيالي وغير عملي ومثالي.وترفض هذه المؤسسة، على المستوى العملي ، شرعية التغيير الثوري وتحارب العمل الثوري . ومن وجهة نظر النظام القائم ليس هناك اي شيء يتصف بالشرعية اكثر من الشيء الموجود،**الامر الواقع**. فاسرائيل مثلا غير مهتمة في **كيفية** قيـــام المجتمع الاسرائيلي او السيـــادة الاسرائيلية (بالاغتصاب) ، وهما امران لم يكن لهما وجود منذ خمسة وعشرين عاما ، بل هي تهتم بالقوة الموجودة التي تضفي على هذه الحقائق صفة الشرعية . ومن وجهة نظر الولايات المتحدة المسألة الهامة ، اي العملية ، هي ليس كيف دخلت الولايات المتحدة فيتنام ، بل « الحقوق » التي تكتسبها الولايات المتحدة بوجودها في فيتنام . في كلا الحالتين الحقيقة القائمة تبدأ وتنتهي بالوضع القائم ، للحق شرعية فقط الى المدى الذي يدعم فيه ميزان القوى السائد والى المدى الذي يدعمه ذلك الميزان .

ان الانظمة ، البنى القائمة ، مغروسة في نظام مـــن المصالح الراسخة التي تتعارض بطبيعتها مع كل دعوة ثورية . وبما ان النظام القائم يرفض المنطق الثوري فهو قادر على الرد على الدفع الثوري بطريقتين : اما ان يقمعه او يتعايش معه . والعامل الرئيسي الذي يحدد الطريقة التي سيتبعها النظام هو التيار الذي سيسير فيه التطور الثوري . وطالما بقيت الحركات الثورية ضمن الحدود التي يرسمها او يسمح بها النظام القائم ، يظل التعايش ممكنا . في تلك الظروف تبقى التناقضات الاساسية مخفية ومكبوتة. وينتج عن ذلك سياسات تسوية . لكن حال ما تأخذ الحركات الثورية اشكالا اكبر واحدث ، يقوم النظام بوضع سياسة جديدة هدفها القمع والتدمير . وعلى قوى النظام القائم في النهاية ان تعيد بناء سيطرة النظام وهيمنته على الاوضاع . وكذلك على الدفع الثوري

عاجلا او آجلا ان يقف في وجه النظام القائم .
ان الثورة المضادة في الشرق الاوسط ، سواء في شكلها الصهيوني او الاستعماري او الانظمة الرجعية ؛ تجد نفسها مقيدة في تحركها بمدى محدود من التكتيكات التي تقع تحت بابين رئيسيين : باب القوة وباب الخداع . وهذا مدى تفرضه فكرة الجزرة والعصاة . واحدى الافكار الرئيسية التي تستحوذ على الموقف المضاد للثورة ، والتي تؤثر كثيرا على سياسات اسرائيل والولايات المتحدة والانظمة الرجعية العربية ، هي فكرة الاستقرار : اذا أمكن المحافظة على الاستقرار يمكن المحافظة على الوضع القائم الى ما لا نهاية . ويبقى الارباك والعنف هما الوسيلتان الرئيسيتان لتحقيق هذا الهدف .
ان لسياسة الاحتواء نظرة ضيقة . فقد تكون هذه السياسة ناجحة في المدى القصير . لكنها تستعمل اساليب واستراتيجيات تزيد ، في المدى الطويل ، من خطورة المشاكل التي وضعت اساسا لحلها . ان النقطة الاساسية التي دائما ما تنساها هذه الطريقة هي ان القوى الاجتماعية ، داخل اية عملية تاريخية ، قد تصل الى درجة من النضوج لا تؤدي محاولات احتوائها سوى الى أشكال جديدة من الانتفاضات. وهذا أحد الاسباب الرئيسية التي تجعل العالم الثالث فريسة للازمات المستمرة بدلا من ان ينعم « بالاستقرار » الذي تريده لها القوى الرجعية والاستعمار .
تجري المواجهة بين حركة التحرر العالمي والاستعمار في جو من التأزم المتزايد. فالازمات هي محرك التاريخ . الازمات تتجسد في الحوادث والحركات والاوضاع التي تحدث التطورات من يوم الى آخر . وفي أوقات الازمات تتلاحق التحولات بسرعة وتقود الى تطورات جديدة وغير مرئية . وقد لاحظ لينين ان الازمات تحطم البنى التقليدية ، وتدمر الواجهات الزائفة وتجعل قيام اشكال جديدة أمرا ممكنا . اما على مستوى الوعي فان الازمات تعمق الوعي وتسرع في عملية التحول الجذري . وكما كتب دوبريه : « في أوقات الازمة ، يطير الوقت السياسي بسرعة . ونحن نفهم في اسبوع واحد من الثورة اكثر مما نفهم في عشر سنوات من الروتين اليومي »(١٢).
ما هي التطورات التي علينا توقعها خلال العقد القادم في عالم متأزم سيتابع الاستعمار تأزيمه ؟ أين ستكون نقاط الاحتكاك الرئيسية بين الاستعمار العالمي والتحرر العالمي ؟ ما هو الدور المحتمل ان تلعبه الثورة الفلسطينية في هذه المواجهة ؟ ليس المقصود بالمقترحات التي سنعرضها الان اعطاء اجوبة على تلك الاسئلة . انما المقصود بها توفير اطار يمكن من خلاله تحليل تلك الاسئلة .
١ — تجري المواجهة حاليا بين الاستعمار العالمي والتحرر العالمي في خمس مناطق مختلفة من العالم ، وتأخذ هذه المواجهة اشكالا مختلفة . فالمواجهة في احد الاشكال هي داخل البلدان الاستعمارية نفسها ، وفي شكل آخر في اميركا اللاتينية وافريقيا ، وفي شكل آخر مختلف في الهند الصينية والشرق الاوسط .
٢ — رغم ان النظام الاستعماري العالمي في مرحلة حرجة ويتهدده الخطر من الداخل والخارج ، فما زالت له القوة الكافية داخل منطقته وفي اميركا اللاتينية وافريقيا لمنع انهياره في وقت مبكر . ومن ناحية موضوعية ، تعتمد السرعة التي يجري فيها انهيار الاستعمار على عاملين : نمو حركات المقاومة في هذه المناطق والاتجاه الذي تتخذه المجابهة العالمية في المناطق الامامية : في الهند الصينية والشرق الاوسط .
٣ — تشكل المجابهة في الهند الصينية والشرق الاوسط مجابهة واحدة. فالنزاع في الشرق الاوسط هو امتداد واستمرار للنزاع في الهند الصينية . في كلا المنطقتين تتجابه القوى نفسها حول نفس المشاكل . والعامل المشترك بين النزاعين هو الطابع الدولي لعواقبهما: كلاهما يشكل نقاط تركيز قد تنتشر منها الثورة الى مناطق كبيرة . تشكل جنوب فيتنام وفلسطين اليوم قلب اعصار عالمي . يرتبط الفيتكونغ ، كنواة ثورية ، ببيئة او منطقة جنوب شرق آسيا بنفس الطريقة التي يرتبط فيها الفدائيون الفلسطينيون ببيئة او منطقة

الشرق الاوسط . كلاهما يشكل الطليعة لانتفاضة ثورية واسعة ومحتملة تفجر حركات التحرير في المنطقة الممتدة من بحر الصين الى المحيط الاطلسي .

٤ — وللمجابهة في الهند الصينية والشرق الاوسط وجهان آخران . فهي مجابهة **شاملة** وهي مجابهة **ناشطة** . انها شاملة من حيث اشتراك كل قوى المنطقة فيها بالاضافة الى القوتين الرئيسيتين في العالم . وهي شاملة لان التناقضات المخفية تظهر على السطح وتؤدي الى استمرار النزاع . لكن يوجد في هذه المرحلة خلاف اساسي واحد بين الشرق الاوسط والهند الصينية . ففي الهند الصينيـــة تم الوصول الى توازن بين المدى الذي يذهب اليه كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، فبينما لا يمكن اخماد الثورة لا يمكن توقع انتهاء الاشتباكات في وقت قريب . اما في الشرق الاوسط فان ميزان القوى بعيد جدا عن درجة الاستقرار . فلا توجد للآن نقطة توازن واضحـــة تخشى القوتان الرئيسيتان بعدها ان تجابه كل منهما الاخرى . ان الازمة المتعاظمة في الشرق الاوسط تنعكس على الهند الصينية وعلى أماكن اخرى من العالم . فالوضع اذن في حالة تصعيد مستمرة ومتزايدة ، مع نمو احتمال صدام مباشر او غير مباشر — تم تجنبه للآن في جنوب شرق آسيا — بسرعة كبيرة .

٥ — ان انتقال مركز الازمة من فيتنام الى فلسطين قد بدأ فعلا . ومن المحتمل في ميزان السبعينات ان يكون الشرق الاوسط مركز الازمة العالمية . وفي هذه الحالة يحتمل ان تلعب الثورة الفلسطينية دورا يفوق بكثير دورها المحدود في تحرير فلسطين . لان الصراع على فلسطين قد يشكل نقطة تحول في الصراع العالمـــي بين الاستعمار والتحرير في السبعينات .

٦ — يبدو ان كل التناقضات التي بقيت بدون حل في جنوب شرق آسيا تظهر في الشرق الاوسط . في هذه المرحلة ما زال العرض والضرورة متشابكين . ان تحول اسرائيل الى دولة كبرى في المنطقة يتنافى مع تنفيس الازمة من خلال اقامة صلح متفاوض عليه . كما ان الطريق المسدود الذي سوف يستمر حتما في المجالين العسكري والسياسي سوف يزيد التناقضات في كل المجالات الاخرى : بين المقاومة الفلسطينية واسرائيل ، بـــين اسرائيل والدول العربية ، بين الجماهير العربية والحكومات العربية ، وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . وسط هذا الجو من الازمة غير المنفرجة والمتسعة يحتمل ان ينمو الوعي الثوري بسرعة هائلة في العالم العربي . وقد تتمكن المقاومة الفلسطينية في المرحلة القادمة ، واعتمادا على الاتجاه الذي تسير فيه الازمة ، من تحويل نفسها الى ثورة شعبية كالتي حققها الفيتناميون منذ وقت طويل . عندئذ من المحتمل ان يخلق هذا التحول ، اكثر من أي عامل آخر ، فيتنام اخرى في الشرق الاوسط .

---

١ — "The Content of the Left," *New Left Reader*, ed. C. Oglesby (New York, 1969), p. 148.

٢ — Jerzy J. Walter, "Sociology — Marxism — Reality," *Social Research* (Autumn 1967), p. 334.

٣ — نفس المصدر ، ص ١٤٨ .

٤ — نفس المصدر .

٥ — نفس المصدر .

٦ — نفس المصدر .

٧ — نفس المصدر .

٨ — "Battle of the Streets," *New Left Reader*, p. 263.

٩ — Regis Debray, "Notes de Prison," *Les Temps Modernes* (Juin, 1970), p. 1966.

١٠ — كولاكوسكي ، ص ١٤٨ .

١١ — *Five Lectures* (Boston, 1970), p. 83.

١٢ — Regis Debray, *op. cit.*, p. 1940.

اوراق ييل الاميركية والصراع حول فلسطين

الدكتور محمد حسن صالح منسى

يحتاج الباحث الموضوعي في دراسة المسألة الفلسطينية الى مصادر اساسية يعتمد عليها في بحوثه ، على ان تتوفر فيها الضمانات التي تجعل الكاتب يطمئن الى ما ورد فيها من آراء . وفي الدراسات الفلسطينية بالذات نجد الكتابات كثيرا ما تخرج عن الموضوعية لتتأثر بوجهة نظر معينة لطرف من الاطراف المعنية بالمسألة الفلسطينية ولها ازاءها سياسة خاصة ،ولذلك فان الباحث الموضوعي الذي يسعى وراء الحقيقة ، ولا شيء سواها ، لا بد وان يتثبت بأي مصدر يهتدي اليه ويجد فيه ضالته . ومن المصادر الاساسية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة موضوع المسألة الفلسطينية ابان الحرب العالمية الاولى تقارير وليام ييل المحفوظة بمكتبة جامعة ييل الامريكية وفي دار الوثائق القومية الامريكية بواشنطن .

ووليام ييل امريكي كان يعمل بشركة ستاندارد الامريكية للنفط في الشرق منذ مايو (أيار) ١٩١٥ ، وكانت القدس مقرا له ، وعندما دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب في ابريل (نيسان) ١٩١٧ الى جانب الحلفاء صارت تعتقد انه يجب ان تكون لديها صورة واضحة لما يجري في الشرق من أحداث ، غير مكتفية بما كان يرسله ممثلوها السياسيون الرسميون من معلومات وذلك بالاعتماد على مندوب خاص يستطيع التحرك في مختلف انحاء المنطقة بسهولة، والاتصال بمختلف القوى المعنية، متحررا من القيود التي يفرضها المنصب الدبلوماسي ، فوقع اختيارها على وليام ييل للقيام بهذه المهمة اعتبارا من عام ١٩١٧ . وبعد أن سافر من القدس الى الولايات المتحدة لتلقي تعليمات حكومتها بشأن مهمته الجديدة عاد الى مصر مارا ببريطانيا وفرنسا حيث قابل عددا من المسئولين البريطانيين والفرنسيين والصهيونيين ، وعندما وصل الى القاهرة في اكتوبر (تشرين الاول ١٩١٧ قدمه نائب القنصل الامريكي في القاهرة الى سير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر باعتباره مبعوثا خاصا من لدن وزارة الخارجية الامريكية الى مصر لوافاتها بالأحداث الهامة التي تجري شرق السويس : في سوريا وفي فلسطين وشبه الجزيرة العربية ، وذلك حتى لا تفرض السلطات البريطانية في مصر قيودا على انتقالات وليام ييل ومحادثاته مع مختلف الشخصيات . ومنذ اكتوبر (تشرين الاول) أخذ يوافي حكومته بتقارير اسبوعية تقريبا(١) يصف فيها ما يجري أمام ناظريه من أحداث،

١ ــ حصل كاتب هذه الدراسة على مجموعة تقارير ييل ، اثناء دراسته لاعداد رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعة الازهر عن (الشرق العربي ابان الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ــ ١٩٢٠) تحت اشراف الاستاذ الدكتور عبدالعزيز محمد الشناوي استاذ كرسي التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الازهر .

وما يخرج به من محادثاته مع مختلف الشخصيات ، ولقد كانت هذه التقارير موضع تقدير المسئولين في وزارة الخارجية الامريكية لما كانت تحويه من معلومات هامة . وليس ادل على اهمية وليام ييل وخبرته بأمور الشرق من قرار حكومته بتعيينه مستشارا فنيا للقسم الامريكي من اللجنة الدولية للانتدابات في الامبراطورية العثمانية (كنج ـ كرين). ولم تضع هذه اللجنة توصياتها الا على ضوء المقترحات التي قدمها لها ييل في تقرير له بتاريخ ٢٦ يوليو، ولتقارير ييل أهمية خاصة تميزها عن كتابات غيره من المعاصرين، فهي رواية شاهد عيان ، ومما يضفي على كتاباته مزيدا من الاهمية تلك المكانة الخاصة التي كان يتمتع بها بصفته مبعوثا من لدن وزارة الخارجية في الولايات المتحدة الامريكية ، تلك الدولة التي كانت في ذلك الوقت موضع تقدير كافة الاطراف المعنية بالمنطقة ومشاكلها ، فقد كانت الحليفتان الغربيتان (بريطانيا وفرنسا) في أمس الحاجة للمعونة الامريكية من اجل احراز النصر في اوروبا ، وعندما احتدم الصراع بين الحليفتين نتيجة تنافسهما في الشرق كانت كل منهما تتطلع الى الولايات المتحدة لتؤيدها في مواجهة الاخرى كما كان للولايات المتحدة تقدير في نظر العرب بسبب المبادىء التي نادى بها الرئيس وودرو ولسن عن حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، ومعارضة الاتفاقيات السرية . كما كان الصهيونيون يعلقون الآمال على كسب تأييد حكومة الولايات المتحدة لبريطانيا في سياستها الصهيونية وذلك من أجل التغلب على العقبات التي كانت تقف في طريقهم والتي كانت تتمثل في موقف الحكومة الفرنسية ، ثم في موقف الشعب العربي في فلسطين على وجه الخصوص . ولقد كان نتيجة التقدير الذي كانت الاطراف المختلفة المعنية بالشرق العربي عامة وفلسطين خاصة تكنه لوليام ييل نتيجة لمكانة دولته ان صار في استطاعته الاتصال بمختلف الجهات ومباحثة مختلف الزعماء والقادة الذين لم يتحرجوا في الافصاح عما في دخيلة نفوسهم له ، الامر الذي لم يتيسر لغيره ، وقد ساعد هذا الامر وليام ييل على أن يتعرف على حقيقة موقف كل طرف من الاطراف من مسألة فلسطين ، وهي المواقف التي نحاول في هذه الدراسة ان نعرضها من خلال تقارير ييل ذاتها .

الموقف البريطاني :

لقد كانت بريطانيا هي الدولة التي لعبت الدور الاكبر في سير الاحداث المتعلقة بالشرق العربي عامة وفلسطين خاصة ابان الحرب العالمية الاولى ، ولذلك نبدأ هذا العرض بتوضيح موقفها من القضية الفلسطينية . وكان في مقدمة المسائل التي استطاع وليام ييل ان يستشفها فيما يختص بموقف بريطانيا الدوافع التي كانت تكمن وراء تأييدها للصهيونية ومخططاتها في فلسطين ، وكان ييل يؤكد ان الدافع الرئيسي للبريطانيين هو رغبتهم في السيطرة على فلسطين لاهميتها الاستراتيجية « لانها بذلك سوف توفر الحماية لقناة السويس ومصر ضد اي هجوم ، كما يمكن لبريطانيا من السيطرة على خليجي السويس والعقبة والبحر الاحمر مما يجعل لبريطانيا النفوذ الاعلى في غرب شبه الجزيرة العربية والحجاز » (تقرير رقم ٣٣) . ويروي ييل ان شخصيات بريطانية كانت تعتقد انه بتأييد الصهيونية يأمل البريطانيون ـ عن طريق النفوذ في الولايات المتحدة ـ الحصول على تأييد الحكومة الامريكية للمخططات البريطانية في الشرق ، وخاصة ازاء العرب وامانيهم القومية في الشام والعراق وشبه الجزيرة العربية ، وازاء محاولات فرنسا السيطرة على مناطق معينة من الشرق العربي (الشام) . وينقل ييل عن الميجور اورمزبي جور الضابط البريطاني الذي رافق اللجنة الصهيونية الى فلسطين بأن الفكرة الاساسية التي تدفع بريطانيا لاقامة دولة يهودية في الشرق هي ان تقف هذه الدولة في وجه قوة الاسلام المتزايدة (تقرير رقم ٣٣) . ولا شك ان القومية العربية هي المقصودة ، لانه منذ بداية العصور الحديثة اسدلت على فكرة العروبة استار النسيان في اذهان الاوروبيين ولم تعد سوى ذكريات ، وذلك بعد أن انزوى العرب واختفوا من مجالات النشاط المختلفة وظهرت الدولة العثمانية كدولة إسلامية فصار

الاوروبيون يطلقون لفظ الاسلام على كل ما هو عربي. أما عن الموقف من أطماع فرنسا فان وليام بيل ـــ بعد أن أمضى فترة من الوقت في الشرق ـــ فطن الى أن « البريطانيين يعملون بطريقة من شأنها الاضرار بمصالح فرنسا في فلسطين وسوريا »(تقرير رقم ٣١).
وكانت بريطانيا تعتقد أنها قد تصبح مضطرة الى التسليم لفرنسا باحتلال سوريا وعندئذ فلا معدى من اقامة دولة حاجزة بين المصالح الفرنسية في سوريا والمصالح البريطانية في مصر ، باستخدام الاهمية الدينية للاماكن المقدسة في فلسطين كذريعة لابعاد السيطرة الفرنسية عنها كخطوة اولى ، ثم العمل على انشاء دولة في فلسطين تنمو لتصبح فيما بعد دولة يهودية صرفة ، مما يؤدي الى ادخال عنصر جديد في الشرق ودولة اخرى تواجه قوة الاسلام (يقصد ولا شك القومية العربية) ، دولة تحمي قناة السويس ، ويسكنها « شعب مدين لبريطانيا بدين أبدي » (تقرير رقم ٣) .
واوضح بيل كيف افاد الصهيونيون من هذه السياسة التي املتها المصالح البريطانية فتوثقت العلاقات على المستوى الرسمي وغير الرسمي بين البريطانيين والصهيونيين الذين « يؤيدون سيطرة بريطانيا على فلسطين » ، وأخذت السلطات البريطانية من ناحيتها تشجع الصهيونيين في آمالهم . ويبدو ان وليام بيل لم يكن مقتنعا بالدوافع الانسانية التي كانت بعض الدوائر البريطانية تحاول التستر وراءها في تبني وجهة النظر الصهيونية ، ولذلك اورد بيل في احد تقاريره (رقم ٣) عبارة كان قد ذكرها اليهودي غير الصهيوني منتفيوري ، ورمى فيها لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بالاغراق في الوهم والخيال في سياسته الصهيونية ، لانه على الرغم من عدم ذهابه الى الشرق فانه كان يسلم بوجهة نظر الصهيونيين المتطرفين « اعتقادا منه بأن اعطاء فلسطين لليهود انما هو توفير للعدالة لجنس طال استعباده » .
وحفلت تقارير بيل المتتالية بالكثير من المظاهر التي تدل على اهتمام بريطانيا بالصهيونية ورغبتها في اتاحة الفرصة لها لتحقيق مخططاتها في فلسطين ، ومن ذلك انه بينما كانت القوات البريطانية بقيادة اللنبي تتقدم في فلسطين كلفت السلطات البريطانية في القاهرة جمعيات ومنظمات الاغاثة اليهودية بالاستعداد للسفر الى فلسطين في أي وقت بدعوى القيام باعمال الاغاثة وتعمير فلسطين (تقرير رقم ٥) . وعندما جاءت اللجنة الصهيونية الى مصر برئاسة حاييم وايزمان في مارس (آذار) ١٩١٨ استقبلتها السلطات العسكرية والمدنية البريطانية في مصر استقبالا حارا (تقرير رقم ٢٠) .
ولما كانت اقامة الوطن الصهيوني في فلسطين تحقق هدفا حيويا لبريطانيا فانها لم تدخر وسعا في سبيل تحقيقه ولجأت الى شتى الوسائل الدبلوماسية التي يمكن ان تحويها جعبتها كدولة عريقة في المجال الدبلوماسي، الى جانب الوسائل العسكرية التي تتمثل في احتلال فلسطين ووضعها تحت ادارة عسكرية بريطانية . وكان في مقدمة الوسائل التي لجأت اليها بريطانيا جعل عبارات تصريح بالفور غامضة بدرجة صار فهمها يستعصي على المسئولين البريطانيين في الشرق ، فقد صرح الكولونيل فيلدنج (من ادارة المخابرات البريطانية في القاهرة) انه لا هو ولا الجنرال كلايتون يفهمان ما تعنيه وزارة الخارجية البريطانية بعبارة « وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » ، وان المكتب العربي بالقاهرة يجهل ما اذا كان تصريح بالفور يقصد انشاء دولة يهودية او انه يقصد فقط ان يعيد لليهود حق الهجرة الى فلسطين واستيطانها « وبذلك يقيمون وطنا للشعب اليهودي تحت اية حكومة يتقرر اقامتها » (تقرير رقم ٩) . وقد كان هذا الغموض مقصودا ، فقد ارادت بريطانيا اخفاء حقيقة نواياها ، فاخذت تنكر ان دولة يهودية سوف تقام في فلسطين ، وقد فطن وليام بيل الى ان ذلك لا يعبر عن حقيقة النوايا البريطانية ، وانما « تحاول السلطات البريطانية ان تزيل بهذا القول مخاوف العرب ، ولمنع حدوث انفجار عام ضد الصهيونيين وضد السياسة البريطانية نحو اليهود » (تقرير رقم ١٩) . وهذا ما دعا وليام بيل الى الكتابة الى حكومته داعيا الى الاعلان صراحة عن حقيقة نوايا

الحكومة البريطانية ازاء الصهيونية « لان عدم الاستقرار الحالي بخصوص هذه المسألة ــ مسألة هل ستقام دولة يهودية ام لا ــ سيكون له اثر سيء على العرب الذين يشعرون باضطراب ، ولا يدرون ماذا يصدقون ، وعدم الاستقرار من شأنه ان يبذر في نفوس العرب الشك في اخلاص الحلفاء ، وتعطي التصريحات الغامضة التي يصدرها ممثلو الحليفتين (بريطانيا وفرنسا) سلاحا للالمان والترك يستطيعون استخدامه في دعاياتهم ضد الحلفاء لاستعادة عطف العرب على الامبراطورية العثمانية (تقرير رقم ١٩) .

والى جانب ذلك فقد حاولت السلطات البريطانية ان تلوح للعرب بمختلف وسائل الترغيب والترهيب حتى تقضي على موقفهم العدائي من الصهيونية والسياسة البريطانية المؤيدة لها ، ويتجلى هذا في الخطاب الذي بعث به مارك سايكس بتاريخ ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ رداً على برقية احتجاج عربية ، وارفق بيل صورة لهذا الخطاب بتقريره رقم ١٩ . وكانت أهم الحجج التي ساقها سايكس لترويض الزعماء السوريين المحتجين على تصريح بالفور ان الحركة العربية لن يقدر لها النجاح الا اذا اتخذت وضعها الصحيح والملائم في السياسة العالمية وحركات العصر ، وتواءمت مع وجهات نظر مختلف حكومات واجناس العالم ، وانه بدون ذلك لن تلقى الحركة العربية التأييد السياسي اللازم للمحافظة على استمرار بقائها ، ويقصد سايكس بحركات العصر الحركة الصهيونية ، ويقصد بمختلف أجناس العالم اليهود ، وهكذا ادخل سايكس في روع الزعماء العرب ان تحرير ما تبقى من الارض العربية من السيطرة التركية لن يتم الا بالتعاون مع الصهيونيين، وبالتالي فان معارضة الصهيونية ستؤدي الى تعريض القضية العربية ذاتها وبرمتها للخطر . أما النقطة الثانية التي لوح بها سايكس في وجه الزعماء فهي ان « الحكومة البريطانية قد اعترفت بالصهيونية باعتبارها أعظم القوى المحركة بين اليهود ، واليهود موزعون في شتى انحاء العالم ولن يتم تحرير العرب الا اذا تضافرت الصهيونية والقومية العربية » ، فكان على العرب ان يفهموا من ذلك ان معارضة الصهيونية معناها معارضة ~~بريطانيا~~ ذاتها . ثم انتقل سايكس الى الدعوة الى وفاق عربي صهيوني ارمني، وقد ادخل سايكس الارمن كعنصر ثالث حتى يخفف هذا من المخاوف والشكوك من أي تضامن يقتصر على العرب والصهيونيين ، وانه لا غضاضة في الانضمام الى هذا الوفاق ، متناسيا انه ليس بين الارمن والصهيونيين من مشاكل كتلك التي بين العرب والصهيونيين . ولم ينتظر سايكس موافقة العرب على فكرة الوفاق العربي الصهيوني الارمني بل قام هو بنفسه بتعيين ثلاثة من العرب (هم نجيب هاني واسماعيل عبده عكاوي وعابدين هاشمي) كأعضاء في اللجنة العربية الارمنية الصهيونية التي قرر تشكيلها في لندن برئاسته « للمحافظة على الوفاق بين الحركات الثلاث وربط العرب بالموقف الغربي » . وقد علق بيل على تكوين هذه اللجنة بأنها « لا تمثل العرب أو السوريين بأي حال ، فان ملك الحجاز لم يعين احدا من الاعضاء العرب الذين لا يمثلون الفلسطينيين ولا المجموعات السورية في مصر ، وهؤلاء الاعضاء لم يخترهم الا سير مارك سايكس نفسه » (تقرير رقم ١٩) .

الموقف الصهيوني :

عقب الحديث عن الموقف البريطاني يجدر بنا ان نثني بالحديث عن الموقف الصهيوني وذلك بسبب الصلة الوثيقة بين الموقفين ، والتخطيط المنسق بينهما . وقد تابع بيل النشاط الصهيوني عقب تصريح بالفور سواء في مصر او في فلسطين ، ومن هذا النشاط ، وكذلك من لقاءاته المتكررة مع عدد من الزعماء الصهيونيين ، استطاع بيل ان يتعرف على حقيقة نوايا واهداف الصهيونية ازاء فلسطين والشرق العربي ، فيصف لنا بيل في احد تقاريره (رقم ٥) المظاهرتين اللتين نظمهما في الاسكندرية الصهيونيون في مصر احتفالا بصدور تصريح بالفور ، وحضرهما زيور باشا محافظ الاسكندرية

والاف من اليهود ، وقد بلغ الحماس أشده اثناء هذه الاحتفالات ، وتقرر في الاحتفال الثاني الذي عقد في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ارسال برقية الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية تعبيرا عن عميق امتنان الصهيونيين للحكومة البريطانية لاصدارها التصريح ، وبرقية أخرى الى حاييم وايزمان تعبيرا عن امتنانهم لجهوده في هذا السبيل .

ومما يلفت النظر في تقرير بيل هذا ، ذلك التصريح الذي ادلى به جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر وذكر فيه انه لا يتوقع اية متاعب مع عرب فلسطين ، معتقدا انه عندما يتحقق العرب من القوة التي تساند الصهيونية فانه لن يكون امامهم الا الرضوخ والمهادنة ، واعرب موصيري عن توقعه ان تصير فلسطين دولة يهودية صرفة تصبح اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للحكومة والبلاد، واللغة الاساسية للتعليم في المدارس ،ولكنه أقر بأنه في البداية قد يكون من الضروري اعطاء العرب بعض التسهيلات التي لا تؤثر على نمو القومية والامة اليهودية . أما بالنسبة للهجرة اليهودية فقد ذكر موصيري — في نفس التصريح الذي نقله بيل الى حكومته — انه في ظل ظروف ملائمة يمكن توطين نصف مليون يهودي في فلسطين خلال خمسين سنة ، اما بالنسبة للشعب العربي فقد أعلن موصيري ان الصهيونيين يأملون ليس فقط في عدم زيادة الشعب العربي ، ولكن وفي انخفاض عدده (تقرير رقم ٥) . وهذا التصريح يكشف الستار عن حقيقة نوايا الصهيونيين ازاء فلسطين ، وان التصريحات التي كانت تتردد أحيانا عن عدم وجود نية اقامة دولة يهودية كان القصد منها التمويه وتخفيف حدة المعارضة العربية . وحتى هذه التصريحات التي تنكر أن في النية اقامة دولة يهودية في فلسطين كانت في معظم الاحيان تتضمن عبارة (في الوقت الحاضر) . ويتضح هذا من الحديث الذي ادلى به مستر ماير الامريكي الذي كان ضمن اللجنة الصهيونية التي زارت مصر وفلسطين في ربيع ١٩١٨ وذكر فيه أن العرب يجب الا ينتابهم القلق خوفا من أن تفرض عليهم حكومة يهودية في الوقت الحاضر ، ولكنه — كما يقول بيل — استطرد مستدركا فذكر ان اللجنة الصهيونية في اية تصريحات تصدرها للعرب حول حكومة فلسطين في المستقبل يجب أن تحرص على عدم اصدار اية تصريحات تتضمن ما قد يكون من شأنه تقييد اية حقوق قد يستطيع الصهيونيون كسبها استنادا الى تفسير تصريح بالفور ، وأوضح ماير لوليام بيل أن اللجنة الصهيونية مضطرة للتطلع الى المستقبل وانها لا ترغب في التضحية بأية حقوق منحت او قد تمنح لليهود بل انها اكثر من ذلك لا تستطيع ان تثني اليهود في البلاد الاخرى عن الهجرة الى فلسطين باقرارها بأنه لن تقام دولة يهودية فيها ، وقد عقب بيل على هذا التصريح بأنه فهم منه أن الصهيونيين يخشون ضعف الدعوة الموجهة الى اليهود في الاقطار الاخرى للهجرة الى فلسطين اذا ما ظهر لهم انه ليس ثمة اتجاه الى خلق دولة يهودية او حكومة يهودية في فلسطين .

ولما كانت اللجنة الصهيونية تهدف ضمن اهدافها من الحضور الى فلسطين محاولة تهدئة العرب وازالة ما يساورهم من شكوك حول حقيقة نوايا الصهيونية ومخططاتها في فلسطين وذلك بعد التحذيرات التي تلقاها وايزمان من الجنرال سمطس وريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر ، فقد صار ماير يعتقد انه ما دامت هناك ضرورة لتهدئة العرب فانه من الممكن ان تؤكد اللجنة الصهيونية للعرب بأن الصهيونيين ليست لديهم الرغبة في الوقت الحاضر لخلق دولة او اقامة حكومة يهودية وذلك دون بذل اية وعود بخصوص المستقبل (تقرير رقم ٢٠) . وعندما سأل بيل مستر ماير عن الرسالة التي سيحملها الى الصهيونيين الامريكيين الذين ينادون باقامة جمهورية يهودية انكر ماير ذلك ، ولكن عندما ذكره بيل بالقرارات التي اتخذت في الاجتماع الصهيوني في بلتيمور في يوليو (تموز) ١٩١٧ رد ماير بأن الموقف قد تغير وان « الصهيونيين صاروا لا يرغبون في اقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين في الوقت الحاضر » ولكنه اضاف ان الاقلية

اليهودية في فلسطين لا يمكن أن تخضع لسيطرة الاغلبية العربية ، تماما مثلما يرفض الاهالي البيض الخضوع لسيطرة الزنوج في الولايات المتحدة الجنوبية (تقرير رقم ٣١) .

وقد اتضح هذا التفكير اكثر من مرة ، لعل ابرزها اثناء زيارة اللجنة الصهيونية لمصر وفلسطين اذ عقدت في مصر عدة اجتماعات مع الزعماء السوريين المقيمين في القاهرة، ونفى وايزمان ان في نية الصهيونيين اقامة حكومة يهودية في فلسطين ، وعلى الرغم مما لاحظه بيل من أن الزعماء السوريين سروا لهذا التصريح وصدقوه واعتقدوا ان اليهود يأتون الى فلسطين « بأفكار معقولة » (تقرير رقم ٢٢) الا ان بيل ــ مع ذلك ــ كان يعتقد انه ليس من الممكن التوفيق بين هاتين القوتين « فالقومية اليهودية والقومية العربية لا يمكن ان تلتقيا على أرض واحدة تتنازعان عليها وهي فلسطين ، فان المثل الاعلى للصهيونية اقامة دولة يهودية وابتلاع فلسطين وهو أمر لا ترتضيه القومية العربية الوليدة التي أيقظتها واثارتها احداث الحرب » (تقرير رقم ٢٠) . ولعل هذا ما دعا وليام بيل ــ في تقريره رقم ٣٤ ــ الى ان يعبر عن اعجابه بحاييم وايزمان ويعتبره شخصية بارزة لانه استطاع أن يفطن الى الاخطار المحدقة به ، « وعلى الرغم من أنه صهيوني قلبا وقالبا الا انه رأى بسياسته ان اظهار الحماس الزائد في الوقت الحاضر سيضر بالقضية الصهيونية اكثر مما يفيدها لانه سيؤدي الى زيادة المعارضة التي يبديها الفلسطينيون » . وبهدي هذه الفكرة واجه وايزمان الزعماء العرب في فلسطين في الخطبة التي القاها عقب حفل الغذاء الرسمي الذي اقامه رونالد ستورز حاكم القدس العسكري في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩١٨ ليعلن لهم أن اليهود « يعودون » الى فلسطين ليقيموا «مرة اخرى» مركزا روحيا وثقافيا ، وهذا في رأيه يتضمن الجانب الاكبر مما تعنيه عبارة الوطن القومي ، وان اقامة هذا المركز لن ينطوي على ضرر لاي من الجماعات الكبرى المقيمة في فلسطين وان المخاوف التي يبديها العرب لا مبرر لها، وانها اما نتيجة سوء فهم العرب لحقيقة اهداف الصهيونية ونواياها واما نتيجة لدعاية اعداء العرب واليهود على السواء (الترك والالمان) ، ونفى وايزمان ان اليهود سوف يستحوذون على السلطة السياسية في فلسطين في نهاية الحرب (تقرير رقم ٢٨) .

وعلى الرغم من كل هذه التصريحات فان الانطباع الذي خرج به بيل من محادثاته مع كثير من الشخصيات الصهيونية ، ونتيجة لما لمسه من نشاط الصهيونيين هو ان كل هؤلاء على اختلاف القوميات التي ينتمون اليها ورغم ما بينهم من اختلاف في الراي « فانهم جميعا يتطلعون الى الوقت الذي تصبح فيه فلسطين ــ بجهودهم ــ قطرا يهوديا خالصا ، ويتحقق حلمهم في اقامة دولة يهودية مستقلة » . « وكلما ازداد المرء اتصالا بالصهيونيين ازداد اعتقاده بوحدة هدفهم ورغبتهم في رؤية الشعب اليهودي يعود للاقامة في فلسطين كدولة مستقلة » ، حتى لقد فطن بيل الى ان الصهيونيين في تصميمهم على الحصول على فلسطين « قد ابدوا استعدادهم للتفاوض مع اية حكومة يكون في مقدورها تحقيق آمالهم اي صار الصهيونيون لا يعملون من أجل البلاد التي ينتمون اليها أصلا » (تقرير رقم ٣٣) .

ونقل بيل الى حكومته تصريحا كان قد ادلى به وايزمان وذكر فيه « ان المرء يسمع ما يتردد من أن الهدف الذي تسعى اليه الحركة الصهيونية هو اقامة دولة يهودية فورا في فلسطين ، واصدقاؤنا في امريكا يزداد تعلقهم بهذه الفكرة حتى لقد رسموا شكل هذه الدولة فطالبوا بجمهورية يهودية ، وعلى الرغم من اننا نحيي من أعماق قلوبنا كل هذه المظاهر المخلصة للارادة اليهودية الا اننا لا نستطيع ان نعتبر أنها نابعة من سياسة سليمة حكيمة ، فانه مهما كانت القوة الحقيقية للصهيونية فانه يجب ان يكون واضحا أمام كل اولئك الذين يسهمون في أعمال المنظمة ان الاحوال ليست ملائمة بعد من أجل انشاء دولة يهودية . ان الدول يجب ان تبنى ببطء وبالتدريج وبترتيب وصبر ، وعلى ذلك

فاننا نعلن اننا اذ نحدد — بدون تحفظ — ان هدف جهودنا هو اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وهو الهدف الاسمى الذي تسعى من اجل تحقيقه المنظمة الصهيونية كلها، الا اننا يجب ان نمر بسلسلة من المراحل الانتقالية ، وارجو ان تكون احدى هذه المراحل وقوع البلاد الفلسطينية الجميلة تحت حماية دولة في قوة بريطانيا وعظمتها ، فانــه في ظل هذه الدولة سيتمكن اليهود من تطوير انفسهم والحصول على تلك الدرجة من الحكم الذاتي التي يستحقونها » (تقرير رقم ٣٣) .
وهنا أيضا تتضح محاولة الصهيونيين اخفاء حقيقة نواياهم ، فانه على الرغم من أن وايزمان عبر في هذا التصريح عن رغبة الصهيونيين في تولي بريطانيا حكم فلسطين نجد انه في الخطبة التي القاها في القدس في ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩١٨ يذكر ان « السلطة السياسية العليا في فلسطين يجب ان تكون في يد احدى الدول المتحضرة الديمقراطية تختارها عصبة الأمم لتتولى الوصاية على فلسطين الى أن يصير الشعب قادرا على حكم نفسه » ، واعلن وايزمان انه في ذلك الوقت لا يستطيع ان يعلن اسم الدولة التي وقع عليها الاختيار ، ولكن اليهود سيختارونها بعد فترة غير طويلة (تقرير رقم ٢٨) .
كما عبر ماير العضو الامريكي في اللجنة الصهيونية لوليام بيل انــه حريص على عدم التصريح بتفضيل دولة معينة تتولى السيطرة على فلسطين ، ولا يريد ان يظن احد انه يتمسك ببريطانيا ، ومع ذلك فانه في نفس اللقاء عبر لوليام بيل عــن اعتقاده بأن اعلان الولايات المتحدة الامريكية الحرب على تركيا ستجد فيــه اماني البريطانيين في فلسطين وسوريا سندا قويا ضد العرب (تقرير رقم ٣١) ولا شك ان هذا السند كان ايضا من شأنه أن يدعم من موقف البريطانيين ازاء حلفائهم الالداء الفرنسيين .
ولم يقتصر اهتمام الصهيونيين على فلسطين التي عزموا على اقامة وجود لهم فيها ، بل كذلك صاروا يهتمون اهتماما كبيرا بمستقبل سوريا (شمال الشام) التي ستكون مجاورة للوجود الصهيوني المزمع اقامته في فلسطين ، كما كان للصهيونيين اطماع في شمال الشام ، بالاضافة الى انهم كانوا يعتقدون ان الوضع في شمال الشام من شأنه ان يؤثر على الوضع في فلسطين . ويتساءل وليام بيل عن موقف الصهيونيين من احتلال فرنسا لشمال الشام ، ويجيب هو نفسه على هذا التساؤل على ضوء ملاحظاته ، بأنه يعتقد ان الصهيونيين لن ينظروا بارتياح لوجود دولة اوروبية قوية تحتل القطر الذي يقع الى الشمال من فلسطين لان مثل هذه الدولة الاوروبية سوف تقف في وجه الانفساح الصهيوني نحو الشمال في المستقبل ، كما كان الصهيونيون يعتقدون أيضا انــه اذا استطاعت سوريا ان تصبح دولة عربية مستقلة قوية تحكم نفسها بنفسها فانها لن تقف في وجه توسع الدولة اليهودية المنتظر اقامتها في جنوب الشام فحسب بل ان هذه الدولة العربية السورية قد تنمو لتشكل خطرا وتهديداً فعليا للدولة اليهودية (الصغيرة) التي تضم داخل حدودها آلافا من السكان العرب الذين يعارضون بشدة الحكم اليهودي ويتعاطفون مع اخوانهم في الشمال خصوصا اذا استمر الوعي القومي في الازدياد بين السوريين الذين يعتبرون فلسطين جزءا لا يتجزأ من الشام ، « ولا شك ان هذه الحركة القومية سوف تجذب عرب فلسطين اليها » . ولكن اذا كان بيل يعتقد ان الصهيونيين يعارضون الوجود الفرنسي في سوريا وكذلك قيام دولة سورية مستقلة وذات شخصية قائمة بذاتها فقد كان يعتقد من ناحية اخرى ان الصهيونيين يرحبون بأن تكون سوريا ضمن اتحاد من اقطار المشرق العربي تحت حكم ملك الحجاز لان مثل هذا الاتحاد — في راي الصهيونيين — سيكون بناء مفككا ، وتديره حكومة ضعيفة بسبب التنافر بين اجزائه ، وبذلك لا يكون هناك ما تخشاه الدولة اليهودية في فلسطين من جانب جاراتها العربيات ، بل على العكس ستجد هذه الدولة المجال للتوسع على حساب دولة ضعيفة متخلفة . ويخلص بيل من ذلك الى ان مصالح الصهيونيين — من نواح متعددة — تبدو متفقة مع مصالح بريطانيا في الشرق ، « ولن تكون مفاجأة لنا اذا أيد الصهيونيون من

كل قلوبهم أية سياسة قد تقدم عليها بريطانيا ، بل ان اليهود في كل قطر من اقطار العالم سيحاولون الضغط على حكومتهم من أجل تأييد سياسة بريطانيا ، وهذه ستكون حقا (ضربة معلم) دبلوماسية من جانب بريطانيا » .

الموقف العربي :

ويشمل ثلاث دوائر . الاولى تختص بالشعب العربي في فلسطين اولا وبقية الشام ثانيا ، وتضم الدائرة الثانية الشخصيات السورية التي كانت مقيمة في القاهرة ابان الحرب العالمية الاولى وتعطي لنفسها حق التحدث بأسم اهالي الشام بما فيهم اهالي فلسطين ، اما الدائرة الثالثة فتضم الملك حسين ملك الحجاز وابنه الامير فيصل اللذين تصديا لقيادة الحركة العربية في هذه الفترة . ويهمنا باديء ذي بدء ان نتعرف من خلال تقارير بيل على موقف الشعب العربي في فلسطين وبقية الشام ، وقد اكد بيل في كل تقاريره تقريبا ان اهالي فلسطين الذين شاهدوا عن كثب نمو المستعمرات اليهودية كانوا اكثر فئات الشعب العربي شعورا بالمرارة والقلق حول المصير الذي احسوا انه يدبر لبلادهم فلسطين . ولم يكن السخط والشعور بالمرارة بين عرب فلسطين وليد فترة الحرب ونتيجة صدور تصريح بالفور ، ولكنه وجد قبل الحرب بسنوات عديدة « فاجداد عرب فلسطين كانوا يعيشون فيها لعدة مئات من السنوات ، ويعرف الرجل بأسم البلدة التي ينتمي اليها ، ولذلك من الطبيعي ان يتمسكوا بأرضهم كل التمسك ، واي فكرة تهدف الى مجيء عنصر غريب ينتزع منهم بلادهم لا بد وان تثير فيهم غريزة حب البقاء بكل قوتها وضراوتها بحيث يمكن ان تترتب على ذلك حركة غير مرضية في فلسطين » خصوصا وان المثقفين العرب قادرون على قيادة المقاومة العربية « وهم اكثر فهما للحركة الصهيونية وأكثر ادراكا للخطر الذي يتهدد بلادهم وقد فطنوا الى ان الزعماء الصهيونيين يرغبون وينوون خلق مجتمع يهودي مستقل وبذلك فان بلادهم سوف تضيع منهم حتى ولو حفظت لهم حقوقهم الدينية والسياسية » (تقرير رقم ٤) . ويشير بيل الى أنه على الرغممن أن الفلسطينيين قد يكتمون الى حد ما مشاعرهم الحقيقية (خصوصا اثناء زيارة اللجنة الصهيونية لفلسطين) خوفا من بطش الحكومة العسكرية البريطانية بهم فقد أدرك بيل ان موقف الفلسطينيين وشعورهم الحقيقي ازاء الصهيونية سوف يتضح اكثر عندما تزول شدة وطأة هذه الحكومة العسكرية (تقرير رقم ٢٢) .

وقد نبه بيل الحلفاء الى أنهم بتأييدهم ومساندتهم للصهيونية انما يعادون شعور العرب وأمانيهم «ولا يصدق العرب أن الحلفاء يساندون الصهيونية تطبيقا لمبدأ مناصرة الشعوب المظلومة ، لان العرب لا يتصورون عدالة تنتزع منهم بلادهم بالقوة لتعطيها لليهود ، وكراهية العرب وسخطهم لا ينبثقان من الدين ولكن من الوعي القومي ومن غريزة المحافظة على الذات ، واذا ذهب الحلفاء الى ابعد من ذلك في سياستهم نحو الصهيونية فانهم سوف يخاطرون بفقدان تأييد العرب ، واذا كانت النية متجهة الى انشاء دولة يهودية في فلسطين فلا بد وان تتم اقامتها واستمرار بقائها بقوة السلاح وسط محيط من البشر لا يضمر لها الا العداء الشديد » (تقرير رقم ١٨) . واراد بيل أن يؤكد لحكومته اقواله هذه عن حقيقة مشاعر اهالي فلسطين ، فاقتبس في تقاريره بعض الفقرات من النشرة العربية السرية(٢)، فأشار الى ما جاء في احد اعدادها من أن جميع اهالي فلسطين « يخشون ما تخبئه حكومتنا والمستقبل ، وما من شيء يعوق علاقاتنا مع السكان غير اليهود في فلسطين اكثر من غموض تصريحنا المؤيد للصهيونية (تصريح بالفور) وعلى الرغم من انه في الفترة السابقة على الحرب كان السخط عاما على الحكم التركي الا أنه في ربيع ١٩١٨ وعقب الاحتلال الانجليزي لفلسطين مباشرة ،

---

٢ ــ وهي أشبه بتقرير اسبوعي ، وكان يصدرها المكتب العربي (المخابرات البريطانية في القاهرة) ، لاستعمال الضباط البريطانيين المتصلين بالمسألة العربية ووزارة الخارجية البريطانية .

وطبقا لما يبعث به الموظفون السياسيون البريطانيون، ازداد عدد من يرغبون في الحياة في المستقبل تحت حكم الترك ، ولا يمكن تفسير هذا الشعور الا باعتقاد الفلسطينيين بأنه في ظل الحكم التركي لن يحصل الصهيونيون على موطىء لقدم أكثر مما لهم حاليا في فلسطين » (تقرير رقم ٢١) .
وعلى ضوء هذه الملاحظات حاول وليـــام بيل ان يرسم صورة لما يتوقع ان يحدث في المستقبل في فلسطين، واول استنتاج خرج به بيل وضمنه تقريره (رقم ٤) انه « لا يمكن تنفيذ المخطط الصهيوني دون الاعتداء على حقوق اهالي فلسطين » ، ولذلك توقع ان تصبح فلسطين ميدانا للصراع بين العرب الى ان يتمكن احد الفريقين من احـــراز السيطرة لنفسه ، والحل الذي كان يراه بيل هو اقامة حكومة قوية غير متحيزة تعمل على اتاحة الفرصة لكي ينمو الشعب العربي في فلسطين بحيث يستطيع مواجهة منافسة الهجرة اليهودية ، وان كان بيل يعتقد انه حتى لو اقيمت مثل هذه الحكومة فان ذلك لن يقلل من السخط نتيجة استعمار اليهود لفلسطين . ونتيجة اخرى استخلصها بيل وهي انه ازاء عجز ملاك الاراضي والتجار العرب عن منافسة الصهيونية المنظمة فان العرب سيتركون مكانهم (نشاطهم) لليهود « بل وسيتركون فلسطين ذاتها » . أما عن الفلاحين العرب في فلسطين فانه «بعد أن تصير الاراضي فيحوزة اليهود فانهم سيضطرون اما للهجرة الى بلد آخر واما ان يصيروا رقيقا لارستقراطية يهودية تمتلك البلاد » .
ورد بيل في استنتاجاته هذه على ما كان يدعيه الصهيونيون عن مقدرتهم على تشرب العرب وامتصاصهم بحيث يندمجون في اليهود القادمين الى فلسطين ، فأعلن بيل ان ذلك ليس ممكنا ، بل ان العكس هو الذي قد يحدث « لان المستوطنين اليهود يأتون من جهات متفرقة من العالم ويتحدثون لغات منوعة ولهم عادات وتقاليد متباينة ، ومن أجل صهر هذه العناصر (اليهودية) وادماجها في بعضها اولا لا بد وان يعيشوا في عزلة عن العرب ، يتكلمون لغة واحدة هي العبرية ، ويعترف الصهيونيون انه بدون هذه العزلة لن يكون من الممكن خلق الشخصية القومية التي يهدفون اليها ، والا سيصير اليهود في فلسطين كالعرب ، ويحدث لهم في فلسطين ما حدث لهم في بلـــدان العالـــم الاخرى حيث اصبح اليهود يشبهون سكان البلاد التي يعيشون فيها » (تقرير رقم ٤).
ثم ينتقل بيل وهو يعرض للموقف الشعبي من مسألة فلسطين والخطر الصهيوني ليتناول موقف العرب في شمال الشام ، ويؤكد بيل أنهم ايضا يعارضون الصهيونية وفكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لانهم يعتقدون ان مجيء اليهود سيؤدي الـــى ابتلاع البلاد تدريجيا ، وبيل يقصد هنا بلاد الشام كلها وليس فلسطين وحدهـــا ، خصوصا وانه بعد الخراب الذي حل ببلاد الشام نتيجة الحرب وخلوها من اي حكومة قادرة او تنظيم قوي فأنه سيكون من المستحيل على اهالي الشام مقاومة ومنافسة الصهيونيين الذين تساندهم موارد اليهودية العالمية « ووراءهم سبعة ملايين يهودي في شرق اوروبا يستمدون منها المهاجرين » . واضاف بيل ان السوريين يتوقعون ان تصبح فلسطين ـــ التي يعتبرونها جزءا لا يتجزأ من الشام ـــ دولة يهودية « بل وسيطبق الصهيونيون ايضا ووراءهم الموارد الهائلة من الرجال والاموال على لبنان وسوريا » . ويخلص بيل من ذلك الى انه « حتى السوريون الذين ليسوا من سكان فلسطين يخشون ان يفقدوا في النهاية بلادهم ولغتهم وتضيع قوميتهم » (تقرير رقم ٤) .
ولم يكتف بيل بوصف مشاعر اهل الشام بل انه ايضا اورد بعض الحقائق التي يستندون اليها في معارضة الصهيونية ويردون بها على بعض الذرائع التـــي كان الصهيونيـــون يرددونها لتبرير سياستهم ، وفي مقدمة هـــذه الحقائق ما ذكره السوريون عـــن الحق التاريخي للعرب لا لليهود في فلسطين . ولما كان الصهيونيون يعلنون انه في ظل حكومة صالحة يمكن ان تستوعب فلسطين شعبا يتراوح عدده بين ثلاثة واربعة ملايين بحيث يصير فيها متسع للعرب واليهود على السواء ، فقد رد السوريون على ذلك بأن اليهود

سيحضرون الى فلسطين وقد تملكتهم فكرة انشاء دولة قومية يهودية وبذلك يصبح من المستحيل ان يعيش العرب واليهود في ود وسلام ، كما أن ثروة العرب سوف تضيع ويتحولون الى حالة من العبودية بعجزهم عن مجاراة الصهيونيين . كما أشار السوريون الى انه اذا كان اهل فلسطين لم يستطيعوا النهوض بالبلاد طوال القرون السابقة (وهو ما كان يردده الصهيونيون) فذلك لان العرب كانوا يرزحون تحت الحكم التركي القاسي، وتسائل السوريون عما اذا كان جزاؤهم — وهم يحاربون في صفوف الحلفاء ضد الترك — ان ينتزع جزء هام من بلادهم بعد ان صار يوم الخلاص من الحكم التركي قريبا (تقرير رقم ٤) .

اما موقف الزعماء السوريين المقيمين في القاهرة(٣) فانهم على الرغم من ارسالهم برقية الى وزير الخارجية البريطانية احتجاجا على اصدار تصريح بالفور ، كما اوفدوا مبعوثين الى ملك الحجاز وابنه فيصل يدعونهما الى الاحتجاج الا ان موقف هؤلاء الزعماء السوريين كانت تحكمه عدة عوامل جعلتهم يتصرفون بحذر ، فقد كان لديهم انطباع — كما يقول بيل — بأنه لا فائدة ترجى من محاولة مقاومة قرار الحكومة البريطانية حيث كانوا يعتقدون انها لا بد قد حصلت على تأييد الحلفاء وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، كما كانوا يعتقدون انهم — كسوريين — لن يكون لصوتهم الا وزن ضئيل لدى الحكومة البريطانية التي قد تستجيب اكثر لو صدر الاحتجاج عن مسلمي العالم وشريف مكة ، يضاف الى هذا ان هؤلاء الزعماء كانوا يعيشون في مصر في كنف السلطات البريطانية ولذلك فقد كانوا أشبه بالاسرى لا يتحركون الا طبقا لارادة آسرهم ومشيئته ، ولذلك اكتفوا بارسال برقية الاحتجاج ، ولكنهم لم يقدموا على عمل معين بقصد الدعاية في سوريا وفلسطين لتعبئة الشعور لمقاومة المخطط الصهيوني البريطاني .

ويتجلى انصياع هؤلاء الزعماء لمشيئة السلطات البريطانية انهم لم يلبثوا ان اقتنعوا بما سمعوه من الجنرال كلايتون رئيس المكتب العربي ، وهو حديث حفل بمختلف وسائل الترغيب والوعيد ، مرددا ما جاء في الخطاب الذي بعث به سير مارك سايكس من مجلس الحرب الوزاري في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ . ويذكر بيل ان كلايتون ابلغ الزعماء السوريين بمضمون خطاب سايكس بل واعطاهم صورة منه ، واضاف ان الحكومة البريطانية تؤكد ان تصريح بالفور لا يعني اقامة دولة يهودية في فلسطين ، ولوح كلايتون للزعماء بأن الصهيونيين على جانب كبير من القوة ، وان اليهود يسيطرون على راس المال في كل انحاء العالم ، وانهم اذا لم يحصلوا على ما يريدون في فلسطين من الدول المتحالفة فانهم سوف يحصلون عليه من الترك وفي هذه الحالة — كما يقول كلايتون — سوف تصاب القضية العربية بالخسران المبين . وعقب هذا الحوار مع كلايتون صار الزعماء السوريون — كما يقول بيل — يشعرون بشيء من الاطمئنان بعد ما علموا انه ليس في نية الحكومة البريطانية اقامة دولة يهودية في فلسطين وان شعب فلسطين العربي لن يرغم على قبول حكومة يهودية وسيمنع اليهود من الاستحواذ على الاراضي الخصبة بل وسيستفاد من اموال اليهود الضخمة في استغلال موارد الثروة الطبيعية في فلسطين . وقد فهم بيل ان اطمئنان الزعماء السوريين يرجع — الى جانب تصريحات الساسة البريطانيين — الى اعتقاد هؤلاء الزعماء بأن مركز العرب في فلسطين افضل من مركز اليهود بسبب تفوق العرب عدديا وبحكم اقامتهم الطويلة في البلاد ، وبذلك فانه اذا لم تعط فلسطين للصهيونيين في الحال سيكون لدى العرب فرصة للاستعداد لمجابهة الصهيونيين مجابهة الند للند في الصراع الاقتصادي . ويذكر بيل انه

---

٣ — انظر المقال الذي كتبه كاتب هذه الدراسة في مجلة (الطليعة) التي تصدر في القاهرة عن دار الاهرام في عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ بعنوان : تصريح بالفور والتناقض بين موقف الشعب وموقف الزعامة.

استنادا الى حجج كلايتون (القوية) والتأكيدات التي تلقوها بأنه لـــن تفرض عليهم حكومة يهودية في فلسطين ان شعر هؤلاء الزعماء بالرضا وصاروا يعتقدون بحكمـــة التخلي ـــ في ذلك الوقت ـــ عن معارضة الصهيونية ، بل وأخذوا يتحدثون عن التعاون مع الصهيونيين (تقرير رقم ٩) .
وتنفيذا لهذا الاتجاه عقدت عدة اجتماعات بين بعض هـــؤلاء الزعمــــاء وبعض قـــادة الصهيونيين في مصر مثل جاك موصيري ، وتبودلت في هذه الاجتماعات وجهات النظر ، وكما يقول بيل طلب الصهيونيون من الزعماء العرب محاولة اثارة الحماس من اجل عقد اتفاق عربي يهودي ومن أجل التعاون في المستقبل بين العرب والصهيونيين ، ولكـــن الزعماء السوريين نصحوا بعدم الاقدام على مثل هذه الخطوة في ذلك الوقت « الى ان يصل العرب الى تلك الدرجة من الاستنارة التي تجعلهم يقبلون ـــ عن طيب خاطر ـــ الهجرة اليهودية الى فلسطين ، واقترحوا بدلا من ذلك استقدام بعض اعيان القدس الى القاهرة لمباحثتهم واعدادهم لقبول فكرة التضامن العربي الارمني الصهيوني الـــذي اعلنه سير مارك سايكس ، كما اقترحوا ان يسجل الصهيونيون ـــ كتابة ـــ خطة عملهم المقبل في فلسطين » (تقرير رقم ١٩) . واستمرارا في تنفيذ هذه السياسة التي جنح اليها الزعماء السوريون في مصر وضع هؤلاء الزعماء برنامجا يتضمن بعض الاسس التي رأوا انه من الممكن ان تقوم على أساسها العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، وقدموا هذا البرنامج الى الميجور اورمزبي جور الضـــابط البريطاني المرافق للجنـــة وايزمان الصهيونية ، وكانت هذه الاسس تشمل صيانة الاماكن المقدسة وبقاءها في ايدي القائمين عليها ، والمساواة بين مختلف العناصر بصرف النظر عن نسبتهم العددية ، وان تكون العربية هي اللغة الرسمية وان يخضع الوافدون لقوانين البلاد ، ووقف عمليات بيع وشراء ممتلكات الاهالي واقامة بنك زراعي للتسليف واصدار قانون مماثل لقانون الخمسة افدنة في مصر ،واتاحة الفرصة للمستوطنين اليهود لشراء اراضي الحكومـــة وتكوين لجنة مشتركة مستقلة عن الحكومة لحل ما قد ينشأ من مشكلات (تقرير رقم ٢٣) . وعلى الرغم من ان كلايتون ذكر أنه لا يستطيع الموافقة علـــى هذه المطـــالب والاقتراحات في ذلك الوقت على اعتبار ان الوقت غير مناسب لاتخـــاذ خطوات بشأن مستقبل فلسطين الا انه اعرب عن اعتقاده بأن هذه المقترحات تبدو معقولة ، وخرج السوريون بانطباع مؤداه ان كلايتون لا يريد ان يلزم نفســـه او حكومته بخطة معينة (تقرير رقم ٢٩) .
وعقب الاجتماعات التي عقدها الزعماء السوريون مع اللجنة الصهيونية التي جاءت الى الشرق برئاسة حاييم وايزمان ، وشعور الزعماء السوريين بالاطمئنان بعد التفسيرات التي ساقها الزعماء الصهيونيون طلب بعض الزعماء السوريين السماح لهم بالسفر الى فلسطين لشرح موقفهم من الصهيونية وليوضحوا للفلسطينيين ان مصالحهم تستدعي عدم معارضة الصهيونية ، ويذكر بيل ان المسئولين البريطانيين كانوا يشكون في صدق نوايا الزعماء السوريين ، ولذلك رفض كلايتون هذا العرض « ما دامت الحالة فـــي فلسطين لم تخرج من ايدي البريطانيين » (تقرير رقم ٢٢) الا ان السلطات البريطانية لم تلبث ان اقتنعت بفائدة سفر مثل هذه اللجنة السورية لتهدئـــة الفلسطينيين الذين ازداد قلقهم وسخطهم وخاصة عقب زيارة لجنـــة وايزمان الصهيونية لفلسطين . وقد خصص بيل التقرير رقم ٢٩ للحديث عن اللجنة السورية ورحلتها في شهر مايو (أيار) ١٩١٨ الى فلسطين حيث امضت اسبوعين معظمهما في القدس ويافا ، وذكر بيل ان اللجنة كانت تتكون من ثلاثة اعضاء أولهم سوري مسلم من دمشق ، وثانيهم لبنـــاني بروتستانتي ، والثالث سوري رشحته السلطات البريطانيـــة ليكون بمثابة رقيب على العضوين الاخرين لعدم اطمئنانها اليهما ، الا ان بيل لم يذكر اسم اي مـــن الاعضاء الثلاثة وان كان قد ارفق بتقريره رقم ٣٤ ملخصا لخطاب ذكر بيل أن سليمان بك نصيف

عضو اللجنة السورية الى فلسطين القاه في اهالي يافا ، مما يقطع بأن سليمان نصيف كان احد اعضائها الثلاثة . وقد لاحظ بيل ان هذه اللجنة السورية لم تعقد اجتماعات عامة مع الفلسطينيين وانما اقتصر نشاطها على الاجتماع بالزعماء المسلمين والمسيحيين في كل من القدس ويافا . ويذكر بيل ان اللجنة العربية اسدت النصح لاعيان القدس لكي يعدلوا عن موقف الريبة والشك في سياسة بريطانيا وان عليهم ان يطمئنوا الى ان البريطانيين لن يسمحوا لليهود بحكم المسلمين والمسيحيين « واكدت اللجنة السورية لاعيان القدس ان مخاوفهم لا أساس لها وان الصهيونيين ليست لديهم فكرة انشاء دولة يهودية ... وان القوانين سوف تحمي الفلسطينيين من بيع اراضيهم لليهود » . ويضيف بيل ان الزعماء العرب قبلوا تصريحات المسئولين البريطانيين وعلى أساسها — رغم انه لا يمكن اعتبارها وعوداً رسمية — نصح الزعماء السوريون مواطنيهم بالتعاون مع الصهيونيين وقبول برنامج لجنة وايزمان الصهيونية (تقرير رقم ٢٩) . وقد علق بيل على نتيجة مساعي اللجنة السورية فذكر ان الهدوء الظاهري يخفي تحته شعوراً بالمرارة والسخط وانه « لا يمكن القول بأن اهالي فلسطين ستصل بهم الحال الى درجة الترحيب بهجرة اليهود الى الارض المقدسة » .

ولذلك تقدم بيل باقتراح مؤداه ان تصدر الدول تصريحاً واضحاً محدداً عن وضع اليهود في فلسطين في المستقبل على أساس أن مثل هذا التصريح الواضح سيساعد في تخفيف حدة التوتر لانه سيجعل الصهيونيين يفهمون الحدود التي سيسمح لهم بالعمل داخلها ، ويضع حداً لما يقال عن تحول فلسطين الى بلاد يهودية وبذلك تزول مخاوف العرب ، خصوصاً وان بيل كان يعلم انه على الرغم من تصريحات وايزمان بأن الصهيونيين لا يريدون حكومة يهودية في فلسطين الا ان كل من تتبع الحركة الصهيونية ودرس اهدافها لا بد وان يوقن بأن الهدف النهائي للصهيونية هو انشاء دولة يهودية تضم كل فلسطين ، اما تصريحات البريطانيين ووايزمان فانها لا تحمل اي التزام . وكان بيل يقدر ان الصهيونيين سوف يعارضون اصدار مثل هذا التصريح لانهم يفضلون الا تفرض قيود على نشاطهم المقبل في فلسطين .

فاذا انتقلنا الى الدائرة العربية الثالثة التي تضم الملك حسين ملك الحجاز وابنه الامير فيصل فنجد ان أول اشارة لموقفهما من الصهيونية اوردها بيل وهو يتحدث عن موقف الزعماء السوريين في مصر لان هؤلاء — ضمن رد الفعل الذي احدثه صدور تصريح بالفور — قرروا ايفاد مندوبين الى ملك الحجاز وابنه فيصل « خاصة وان الاخير يبدي اهتماماً بسوريا ، وذلك لشرح الموضوع لهما وحثهما على تقديم احتجاج شديد للبريطانيين على اعطاء فلسطين لليهود كوطن قومي » (تقرير رقم ٤) ثم اشار بيل في التقرير التالي (رقم ٥) الى ان الزعماء السوريين لا يثقون في ملك الحجاز لانهم يعتقدون انه خاضع تمام الخضوع لسيطرة البريطانيين ، ومع ذلك فانهم ينوون ان يطلبوا منه — بصفته رئيس دولة عربية — ان يتولى القضية وان يقدم احتجاجاً للحلفاء على اعطاء فلسطين لليهود .

وفي بداية الامر لم يتمكن حقي بك العظم وهو — كما يقول بيل — من أنشط السوريين في المناقشات المتصلة بمستقبل الشام — من السفر الى العقبة لمقابلة الامير فيصل واقناعه بالاحتجاج على اصدار تصريح بالفور ، ولم يذكر لنا بيل سبب عدم تمكن حقي العظم من السفر في ذلك الوقت والمرجح ان السلطات البريطانية لم تكن تحبذ سفره منعاً لاثارة الامير فيصل مما قد يؤثر على سير العمليات العسكرية في الشام . ولكن يعود بيل في تقرير لاحق (رقم ١٠ بتاريخ ١٩١٧/١٢/٣١) فيذكر ان حقي بك سافر الى العقبة بناء على دعوة الامير فيصل ، وقد يكون الامر كذلك لرغبة الامير فيصل في ازالة ما علق بالاذهان نتيجة موقفه ، وقد يكون السماح لحقي بك بالسفر الى العقبة بعد أن نجح البريطانيون بسلسلة التصريحات المتعددة وفي مقدمتها خطاب سايكس في ١٦ نوفمبر في

ان يخضدوا شوكة الزعماء السوريين بحيث لم يكن يخشى جانبهم لدرجة السماح لهم بزيارة فلسطين وعقد اجتماعات فيها كما سنرى . وعلى كل حال فانه بعد زيارة حقي بك العظم للامير فيصل في العقبة أدلى بحديث عن هذه الزيارة فذكر — كما يقول بيل — ان الامير عبر عن عدم ارتياحه لتصريح بالفور ، الا انه لا ينوي الاحتجاج على حصول اليهود على حق اقامة وطن قومي في فلسطين ، ولم يذكر سبب ذلك ، ويضيف بأن حقي بك حاول اقناع الامير بصفته احد كبار القادة العرب بالاحتجاج على الخطأ الذي يرتكب في حق العرب باعطاء فلسطين للصهيونية وانه يجب ان يؤثر على والده بصفته شريف مكة و(ملك الامة العربية) للاحتجاج على البريطانيين ، ولكن الامير لم يستجب لالحاح حقي بك الذي اصبح يعتقد ان ملك الحجاز مرتبط باتفاق مع البريطانيين بالا يتدخل في سياستهم في فلسطين . (تقرير رقم ١٠) .
ويلاحظ ان وليام بيل — رغم اتصاله بالمكتب العربي — لم يشر في تقاريره الى الزيارة المعروفة التي قام بها هوجارث وهو من رجال المكتب العربي للملك حسين في جدة في ١٩١٨/١/٤ وحمل اليه رسالة الحكومة البريطانية لتوضيح موقفها من الصهيونية(٤).
وفي معرض الحديث عن الموقف العربي من الصهيونية تناول بيل حدثا هاما وهو اجتماع وايزمان والامير فيصل (في جويرة على طريق العقبة في ١٩١٨/٦/٤) بتدبير السلطات البريطانية في القاهرة على أمل الوصول الى نوع من التفاهم قد يساعد على التخفيف من معارضة العرب للصهيونية وتهدئة الموقف المتوتـــر في فلسطين بعـــد ان لمست اللجنة الصهيونية تدهور الموقف فيها . وقد أفرد بيل لاجتماع فيصل — وايزمان تقريرا خاصا (رقم ٣٤) واستقى الكثير مـــن معلوماته من النشرة العربية ، اي ان معلومات بيل تعكس وجهة النظر البريطانية عن الاجتماع الذي اعتبرته مرضيا للطرفين . واذا كان الامير في هذا الاجتماع قد أعلن ان والده هو المختص باتخاذ قرارات في الموضوع فقد اعلن وايزمان — من ناحية اخرى — ان الصهيونيين لم يفكروا في اقامة دولة يهودية في فلسطين وان كل ما يرغبون فيه هو العمل — تحت حماية بريطانيا — من اجل استيطان فلسطين ، وان الامير فيصل أجاب على ذلك بأنه ازاء احتمال استخدام العدو لاي اعلان يصدر عنه تأييدا لوضع بلد عربي تحت سيطرة غير عربية وانه يكتفي بالاعراب عـــن رايه الشخصي وهو ان أمنية وايزمان ليست بعيدة عن التحقيق ، وانه يرحب قلبيا بما عرضه وايزمان لتمثيل الاهداف العربية الى جانب الاهداف الصهيونية في امريكا .
ويذكر بيل ان النشرة العربية اختتمت روايتها عن الاجتماع بأنه كان فرصة للتعـــارف وايجاد تقدير متبادل حتى يكون لدى كل زعيم فكرة عما يريده الاخر وذلك عندما يحين وقت المساومة .
وقد سجل بيل ملاحظاته على هذا الاجتماع ولخصها فيما يلي : ١ — تنصل الامير من الافصاح عما في دخيلة نفسه واحال الموضوع الى والده ارضاء له (وقد يكون لرغبة الامير في عدم الارتباط بشيء محدد) . ٢ — أن وايزمان تجنب الاشارة الى ان الهدف النهائي من الاستيطان اليهودي هو « اعادة توطين الشعب اليهودي في فلسطين كدولة

---

٤ — وفي هذه الرسالة التي تعتبر بمثابة تبليغ بريطاني لجأت بريطانيا — كعادتها — الى الخديعة واخفاء الحقائق عن الملك حسين ومزجت بين الترغيب والوعيد ، فأعلنت في هذا التبليغ ان العرب لن يخضعوا لليهود ، وأنها عازمة على الا توضع عقبة في وجه تحقيق امنية الصهيونيين ، وان الصهيونية ضروريـــة لتحقيق أماني العرب ، وقد أبلغ الملك هوجارث انه طالما ان تصريح بالفور يوفر لليهود ملجأ من الاضطهاد فأنه سوف يستخدم كل نفوذه لتأييده ، الا أنه اوضح انه لا يمكن قبول فكرة تنازل العرب عن حقهم فـــي السيادة ، ولذلك أبلغ هوجارث المندوب السامي البريطاني في مصر بأن الملك حسين لا يقبل دولة يهودية مستقلة في فلسطين « ولم تصدر لي التعليمات بأن انبهه الى أن مثل هذه الدولة موضع تفكير بريطانيا » وهذه العبارة توضح كيف أن بريطانيا كان في نيتها اقامة دولة رغم انكارها ذلك في التصريحات العلنية .

يهودية » ٣٠ — اقر فيصل — لاغراض شتى — بأن مجموعة الحجاز — اي الاشراف — قد توافق بشروط معينة على استيطان اليهود في فلسطين تحت الحماية البريطانية وتدل على ذلك العبارة التي ذكر فيها انه في رايه الشخصي ليست امنية وايزمان بعيدة عن التحقيق .

ويبدي بيل تعجبه من أن تتم تسوية مسألة فلسطين في مساومة بين الامير البدوي والزعيم الصهيوني ،ويقود هذا التعجب وليام بيل لكي يبحث في ختام تقريره لمسألة على جانب كبير من الاهمية ، وهي الى اي حد يمثل فيصل ووالده وجهة النظر العربية، وهل للامير فيصل حق اعطاء وايزمان حق تمثيل الاماني العربية ؟ ويخلص الى راي مؤداه ان فيصل لا يعتبر المتحدث باسم العرب ، لان الحركة العربية ترجع اساسا الى سخط العرب على الحكم التركي ، وقد بدأ هذا الشعور قبل الحرب بسنوات عدة وتزعمه قادة من الشام الى أن اتصل بهم فيصل عام ١٩١٥ ، وعلى الرغم من أن بعض الزعماء السوريين يرتبطون بفيصل ويحاربون في صفوف الاشراف الا ان هدفهم هو تخليص بلادهم من الترك وليس من أجل وضع بلادهم تحت سيطرة ملك الحجاز « ولا يمكن القول بأن اهل فلسطين وسوريا قد اعترفوا بحق الامير او والده في تمثيل أمانيهم . . . وليس من العدل ربط مصالح اهل الشام بمصالح واطماع مجموعة الحجاز التي تريد الارتباط بالصهيونية » (تقرير رقم ٣٤) .

واحب أن أضيف الى تعليق بيل تفسيرا يضع الحق في نصابه ، وهو انه اذا كان زعماء الشام قد سلموا بتولي الشريف حسين زعامة الحركة فانما كان ذلك على اساس التزامه (ببروتوكول دمشق) عام ١٩١٥ الذي ينص على حصول الشرق العربي داخل حدود معينة على الاستقلال، وكانت فلسطين ضمن هذه الحدود التي اوردها (بروتوكول دمشق) ، فاذا لم يلتزم الشريف حسين بهذا البروتوكول فان زعماء الحركة العربية يصبحون في حل من الاستمرار على التسليم بزعامته . ويجرنا هذا الى التساؤل عن اسباب اتجاه الصهيونيين الى الاتفاق مع الاشراف الذين كان بيل يطلق عليهم اسم (مجموعة الحجاز) وهنا يذكر بيل ان وايزمان وقد ايقن — بعد زيارته لفلسطين في أبريل (نيسان) ١٩١٨ — ان الصهيونيين لن يتمكنوا من كسب ثقة الفلسطينيين ، فقد صار يعتقد انه يستطيع ان يحرز نصرا دبلوماسيا له بعض الاهمية اذا كسب تأييد (مجموعة الحجاز) لما لتأييدها من وزن في العالمين العربي والاسلامي ، كما سيكون لهذا التأييد

أهميته وقيمته في مؤتمر السلام ، ولما كان للاشراف مطالب معينة فان وايزمان سيدخل معهم في مساومة من اجل حصوله على تأييدهم ، وفي هذه الحالة من الممكن أن يعرض وايزمان على مجموعة الحجاز ضمانا بالمساعدة في الحصول على موافقة الدول وخاصة الولايات المتحدة على مخطط الاشراف « ويبدو ان ما عرضه وايزمان من تمثيل الاهداف العربية في امريكا ما هو الا بداية المساومة » .

الموقف الفرنسي :

واذا كان الموقف الفرنسي لم يحظ — في تقارير بيل — بالحجم الذي حظيت به مواقف جوانب اخرى كبريطانيا والصهيونية والعرب فذلك لان بريطانيا حاولت أن تستأثر بنصيب الاسد في معالجة مشاكل الشرق بما يتفق ومصالحها ، كما حاولت عن عمد أن تبعد فرنسا وتحول بينها وبين التدخل في هذه المشاكل لما عرف عن الاطماع الفرنسية في الشام والتي كانت تتعارض مع المصالح البريطانية ، خصوصا وان فرنسا لم يكن لها وجود مادي في المنطقة اثناء هذه الفترة . وعلى الرغم من أن بيل أفرد معظم تقريره رقم ٣١ للموقف الفرنسي الا أنه ضمن تقاريره السابقة على هذا التقرير بعض ملاحظاته على موقف الفرنسيين من المسألة الفلسطينية ، منها ما جاء في تقريره رقم ١٠ عن المقال الذي نشرته صحيفة الاجيبشيان جازيت — كبرى الصحف الانجليزية التي تصدر في مصر — عن الاستقبال الحار الذي لقيه من جانب اهالي بيت لحم مسيو بيكو ممثل فرنسا السياسي في الشرق « باعتباره ممثل الدولة الحامية للكاثوليكية مما دفع احدى اليهوديات الانجليزيات الى التعليق على ذلك بقولها : ان المرء ليلمح اضطرابا مقبلا » ويعقب بيل على ذلك بأنه من الواضح ان فرنسا لن تقتنع بسوريا (بدون فلسطين) ولن تكون سعيدة بالوطن القومي اليهودي « ولذلك فليس بمستغرب الا يرد في جريدة الطان الباريسية اي ذكر لتصريح بالفور » .

وقد ذكر وايزمان رئيس اللجنة الصهيونية الى فلسطين ان الاطماع الفرنسية تمثل عقبة من العقبات التي تعترض طريق الصهيونية بسبب رغبة الفرنسيين في السيطرة على فلسطين (تقرير رقم ٢٠) . ونستشف شعور الفرنسيين من عدم حضور جورج بيكو اثناء الخطبة التي القاها وايزمان في الحفل الذي اقيم له في القدس (تقرير رقم ٢٨) . ولم يلبث بيكو — كما يقول بيل في تقريره رقم ٣١ — ان غادر فلسطين عائدا الى فرنسا، ويعزو بيل هذا الرحيل المفاجىء الى ان بيكو لم يكن سعيدا في علاقته مع السلطات البريطانية في مصر وفلسطين ، وانه لم يكن راضيا عن مركزه في فلسطين ، ولذلك سافر لمباحثة حكومته في هذا الشأن ، ويضيف بيل بأن اجتماعا واحدا مع الضباط المسئولين البريطانيين « يكفي لكي يشعر الانسان بأن البريطانيين يعملون بطريقة من شأنها الاضرار بمصالح فرنسا في فلسطين وسوريا » .

وقد اجتمع بيل باللفتنانت ماسينيون مساعد بيكو في البعثة الفرنسية الى سوريا وروى ماسينيون لبيل كيف ان البريطانيين لا يعاملون الفرنسيين باخلاص نتيجة انفراد البريطانيين بغزو فلسطين وتقدمهم لغزو سوريا، وليس لفرنسا قوات تذكر في الجيوش الزاحفة . ويروي بيل في نفس التقرير كيف أن بيكو كان ينظر الى زيارة وايزمان للامير فيصل باعتبارها خطوة أخرى في تشجيع العرب في آمالهم لحكم سوريا « لانه اذا كان الامير فيصل ووالده ملك الحجاز قد وافقا على خطة البريطانيين بالسماح للصهيونية باقامة وطن في فلسطين فلا بد ان بعض الامتيازات المباشرة او غير المباشرة قد اعطيت للزعيمين العربيين في سوريا على حساب فرنسا » كما كان بيكو — كما يقول بيل — ينظر بعين الريبة والشك الى زيارة اللجنة السورية الى فلسطين في مايو (ايار) ١٩١٨ ويعتبرها ضمن مخطط لتدعيم مركز العرب وتأييد سيطرتهم على سوريا « فهي موجهة ضد اماني الفرنسيين في سوريا ، خصوصا وان اعضاء اللجنة السورية الثلاثة معروفون بمعارضتهم للسيطرة الفرنسية على سوريا » .

وفي حديث جرى بين بيل وجورج بيكو في ١٧ ابريل (نيسان) ١٩١٩ عن الشام ندد بيكو بالتصريحات المتهورة التي كان يصدرها الصهيونيون متوعدين العرب الذين كانوا ـ مسلمين ومسيحيين ـ يعارضون الصهيونية معارضة شديدة « مما يهدد باراقة الدماء في المستقبل القريب » .

الموقف الامريكي :

ان الموقف الذي طالب وليام بيل حكومته بأن تتخذه من المسألة الفلسطينية ـ كما جاء في تقريره رقم ٣٤ ـ هو موقف الحياد الدقيق الصارم ازاء المصالح المتصارعة في هذه البقعة من العالم ، مع دراسة وجهات النظر المختلفة دون تحيز حيث أن « للولايات المتحدة شهرة في كل أنحاء الشرق لدورها النظيف وعدالتها ، ولن يكون من الممكن المحافظة على هذه الشهرة الا اذا استخدمت الولايات المتحدة نفوذها من أجل الوصول الى حل عادل لهذه المسألة دون أن يشوب موقفها ايه شائبة من الشك توحي بأنها قد رضخت لاية مصلحة محلية او اجنبية » . ومع ذلك فاننا نلمح من كتابات بيل محاولات لكي تفيد الولايات المتحدة من اقامة وجود يهودي في فلسطين تكون دعامته من اليهود الامريكيين ، ولعل بيل في هذا كان متأثرا بما كتبه الصهيوني الامريكي القاضي برانديز في مقال له بعنوان : الصهيونية واليهود الامريكيون نشر في كتاب : الصهيونية ـ مشاكل واراء ، واقتبس منه بيل فقرات في احد تقاريره (رقم ٣٣) ، فان برانديز رغبة منه في ابراز الدور الذي يجب ان يتحمله الصهيونيون الامريكيون في بناء الدولة اليهودية في فلسطين اشار في مقاله الى ان موقف الولايات المتحدة الحيادي وعدم تورطها في مشاكل العالم القديم سوف لا يجعل الشكوك تحيط باليهود الامريكيين مثلما تحيط باليهود الذين ينتمون الى الاقطار الاوروبية المتنافسة والتي لها أطماع « كما انه لا يوجد تعارض ملموس بين المصالح الامريكية والاهداف الصهيونية واخلاصنا لامريكا ليس موضع جدال » . ويتجلى تأثر بيل بهذه الفكرة في التوصيات التي اعدها عن مستقبل فلسطين وسوريا ولبنان وقدمها الى القسم الامريكي من اللجنة الدولية للانتدابات في تركيا (لجنة كنج ـ كرين) بصفته مستشارا فنيا لهذا القسم ، فقد طالب بيل في هذه التوصيات بفصل فلسطين عن سوريا ، ووضعها تحت الانتداب البريطاني، واقامة وطن قومي لليهود فيها ، وعلى الرغم من اقرار بيل بأن هذا الاقتراح يتعارض تماما مع رغبات أهالي فلسطين وسوريا الا ان السند الوحيد الذي دعاه الى ذلك هو انه يجب ان تؤخذ في الاعتبار ـ كما يقول ـ رغبات اربعة عشر مليون يهودي ، كما أن الولايات المتحدة والحكومات المتحالفة اصدرت وعودا رسمية لليهود ، وفي رأيه ان عدم الوفاء بها سيكون ظلما وحمقا . ولا يلبث بيل في نفس التوصيات ان يفصح عما بدأ يجول في نفسه ، فهو يعرب عن اعتقاده ، بأن « الدولة اليهودية سوف تقع حتما تحت سيطرة اليهود الامريكيين الذين سوف يعملون على انتشار الافكار الامريكية والمدنية الامريكية في الاتجاهات والميول اليهودية ، ولذلك فان كومنولثا يهوديا في فلسطين سوف يتطور ليصبح مركزا اماميا للامركة في الشرق » .

ومن الغريب أن بيل الذي كان يطالب حكومته بالعدالة في موقفها من المسألة الفلسطينية لا يكتفي بالتوصية بحل يعترف هو نفسه بأنه يتعارض مع رغبات الاهالي بل أنه في نفس التوصيات يعرض الوسيلة التي يجب ان تتبع للقضاء على معارضة أهل فلسطين « فانه عندما يعلم الفلسطينيون ان الدول الغربية عازمة على أن تتيح لليهود فرصة انشاء وطن قومي يهودي ، وعندما تضرب الدولة المنتدبة بيد قوية على اية قلاقل ومظاهرات معادية لليهود فانه سوف يقضى على خطر قيام ثورة واسعة النطاق وبذلك يتقبل العرب الهجرة اليهودية كأمر حتمي لا مفر منه » . وعلى كل حال فان الحل الذي ارتآه بيل في النهاية لا ينتقص من قيمة ما جاء في تقاريره السابقة من آراء وهي آراء تهدم توصية بيل من اساسها .

عامل السرعة والمرونة في الحرب الحديثة ومدى تطبيق جيش العدو لها

العقيد مروان التميمي

تتصف الحرب الحديثة قبل كل شيء بالحركة والانتشار الواسع لمختلف الوحدات مهما كانت أشكال المعارك وظروفها ومكان وقوعها ولم تعد للمبادىء القديمة كالجبهات المستقرة اية ضرورة الا فيما ندر. وبنظرة خاطفة على تطورات الحروب تاريخيا وتسلسل وقائعها بمرور الزمن واضطراد التقدم نلحظ ان قيمة الزمن تبرز بازدياد ومعها تتبلور أكثر فأكثر السرعة في الانجاز لتصبح ركنا أساسيا في تحقيق هدف النصر. وضمن النطاق العملي التطبيقي في الحروب الحديثة لجأت معظم الدول المتطورة الى حسن تقييم عامل الزمن فتبنت مختلف سبل التطور. فسرعة العمل ومرونته مترابطة مع الزمان والمكان وتعتبر عوامل اساسية للقائد الناجح الذي يقدرها حق قدرها فيحسن ترابطها ببعضها. فما هي صفات القائد الناجح في هذا المضمار؟ في نظر اصحاب المبادىء العسكرية التقليدية تتلخص القيادة في السيطرة المستمرة على الوحدات وتنظيم أعمالها القتالية وتوجيه جهودها لتنفيذ المهمات المحدودة والقيادة الماهرة هي التي تتوصل الى تدمير العدو بأقل الخسائر وبلوغ النصر في أقصر وقت. والقيادة لها ميزات تتصف بها منها الحزم والاستمرار والسرعة والكتمان وعلى رأسها المرونة. وتتجلى مهارة القائد في مجال مقالنا هذا في ان الاعمال القتالية لا تجري دوما وفق ما خطط لها بل كثيرا ما تظهر خلال المعركة مواقف تبدو صعبة او غير متوقعة الامر الذي قد يخلق لدى القائد الذي خطط للمعركة روحا من الشك في عمله قد يؤدي الى الدمار، ولذلك فان مرونة القيادة أحسن ما تظهر كميزة في سرعة التلاؤم مع الوضع الجديد والمواقف المتغيرة وفي سرعة اتخاذ قرار جديد ملائم للوضع الحاصل، وتسمح مرونة القيادة بتوحيد جهود القوات بشكل ناجح لبلوغ الهدف المحدد بسرعة.

على ضوء سرعة وتيرة الهجوم في حروب عصرنا هذا التي قد تبلغ ٤ ـــ ٥ كم ساعة، يجب أن يتصف عمل القائد كذلك بسرعة ملائمة لسرعة تقدم القوات وهذا يوضح انه في حالة رد الفعل البطيء لدى القائد لاتخاذ القرار المناسب عند تطور الاحداث فانه قد ينجم عنه تأخر في وصول تعليمات القتال الجديدة وقد لا تطابق مع الموقف الراهن على أرض المعركة. وبنظرة فاحصة على كيفية انتقاء الضباط في الجيش الاسرائيلي نرى ان قيادتهم قد ركزت على صفات معينة أهمها نزعة المغامرة وحتى روح المقامرة. وعلى سبيل الاطلاع فقد أورد الجنرال مارشال في كتابه عن «حرب سيناء» ١٩٥٦ بعضا من الخصائص التي اعتبرها كتعليمات تسيطر على عقلية الضباط الاسرائيليين في مسرح

العمليات : * ان تقود يعني ان تنتقل الى اخطر موقع . * لا تبق في المؤخرة فليس هناك سبب يدعو الى ذلك . * اذا لم تتلق اي امر فتصور انت ما يجب ان يكون عليه هذا الامر . * اذا تولد الشك لديك فاضرب . ان اقرب سبيـــل الى السلامة هو طريق الهضبة العدوة . * لا تهاجم من الامام . هناك عادة طريقة أحسن . * اذا هاجمت من الامام فاحرص الا تكون هدفا عريض الجبهة . * حينما تصبح القطعات منهكة توقف وامنحها فرصة للراحة . * حينما تقع تحت وابل النيران العدوة فتحرك لان ذلك افضل من أن تدفن نفسك بالتراب . ان هذه التعليمات التي اوردهـــا الجنرال مارشال تكاد تلخص مبدأ قتال القادة الاسرائيليين : الهجوم دوما ــ القدوة ــ البداهة ــ الابتكار .

كيف يمكن ان نقدر عامل السرعة والمرونة في الحروب ؟ ما هو مقياسه ؟ الجواب لن يكون بسهولة طرح السؤال لانه لا يمكن تقدير اهمية السرعة في هذا المجال بسهولة . فالسرعة تعتبر عاملا هاما في احراز النصر لانها كفيلة بتأمين عنصر المفاجأة . وعدو العالم العربي الحالي ، المتمثل في اسرائيل تمكن بحكم ما زود به من امكانيات آلية وفنية ومادية ان يحسن ترابط هذه العوامل ببعضها . ووقائع حرب حزيران ١٩٦٧ تعتبر الدليل القاطع لما لعنصر المفاجأة من اهمية وقيمة ولولا حسن تطبيق العدو لعنصر المفاجأة لما كتب له مثل هذا النصر السريع . والتحدث عن سرعة الانجاز يجب ان نفهمه في أوسع معانيه . لن نعني به فقط سرعة انتقال وحدة عسكرية ما الى مكان آخر بل ويجب ان نعني كذلك سرعة اتخاذ القرار وسرعة اتخاذ الاجراء المعاكس وزيادة فعالية مثل هذه الاجراءات بتبني ما استحدث من سلاح وتطوير استخدامه بما يتناسب مـــع ما يمتلكه العدو . فسلاح حرب ١٩٤٨ لم يعد صالحا بالمعنى التكتيكي العام لحرب عام ١٩٥٦ وسلاح هذه الحرب لم يكن كذلك كافيا لخوض غمار حرب ١٩٦٧ ففـــي كل من هذه الحروب استخدمت اسلحة احدث مما قبلها ان لم نقل ان بعضا منها لم يكن حتى معروفا في الحرب التي سبقتها .

تزايد القوات المحمولة : اول ما عرف الانسان القتال عرفه وهو ماش على قدميه ثم استخدم الحصان ليحارب وهو راكب . مر الزمن وتطور معه أسلوب القتال فاستعاض عن الحصان بالآلية المدرعة ثم الدبابة فالطائرة يقينـــا منه بأن الاسرع في التدخل هو المنتصر حتما . وفي مجال القوات البرية فانها تطورت لتصبح نسبة المحمول منها بتزايد مستمر . ووسائل النقل بدورها في تطور تقني مضطرد فمع مر الزمن وتوالي الحروب تزداد هذه الوسائط سرعة وتصفيحا فتتمكن في بعض الحالات ــ وقد أصبحت شائعة ــ ان توجه ضربة قاضية في عمق تجمعات العدو وفي الامكنة غير المتوقعة بفعـــل بعدها الجغرافي . فالقوات المتحاربة في عصرنا الحالي لم تعد تمشي الاميال الطوال على اقدامها في مسيرات طويلة لتصل الى حيث تشتبك مـــع عدوها ، بل أصبحت تتقدم راكبـــة او محمولة لتترجل فقط عند الاشتباك وتكون عندها في أتم الراحة الجسمية لخوض غمار الاشتباك دون ان تكون قد استهلكت ولو البعض من مجهودهـــا الجسمي في سبيل الوصول الى الهدف . فقد غدت جيوش العالم في عصرنا الحالي تعتمد اعتمادا كليا على الآليات العادية والمصفحة سواء للتحركات وحتى في القتال . فالالية او المصفحة او الدبابة بفعل ما تمتاز به من ليونة في الحركة تتيح لها امكانيات منـــاورة تسهل عليها القضاء على عدو متمركز في دفاع مستكـــن وراء مستر ما سواء من صنعه او صنع الطبيعة . وبالنسبة للجيش الاسرائيلي بعد ان ضمن توفر الآلية صار يسعى دوما الى نقل المعركة الى خارج اراضيه .

حتمية قيام المعركة خارج فلسطين المحتلـــة : بحكم صغر مساحـــة الاراضي المحتلـــة ومجاورتها لدول عربية معادية لوجودها فان الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية قامت على اساس عدم التنازل عن اي شبر من الاراضي التي احتلتها في مراحل مختلفة وعلى اساس نقل المعركة الى ارض العدو فكل مكسب تناله من جراء الاحتلال والتوسع تعتبره

« حقا تاريخيا » تدافع عنه بقوة السلاح . ان تاريخ الاستعمار الاسرائيلي في فلسطين منذ أواخر القرن الماضي حتى اليوم يؤكد هـذا الراي ويجعله اساسا للاستراتيجية الاسرائيلية والسبب في ذلك هو المطامع والاهداف التوسعية المحددة في الخطة الصهيونية والوضع الجغرافي الخاص باسرائيل في الوقت الحاضر .
ولكي تواجه اسرائيل هذا الواقع الجغرافي العسكري نجد انها تسلحت بالاسلحة التي تساعدها على الحركة والمفاجاة ونقل القتال الى خارج اراضيها . فسلاح الطيران قادر على التدخل السريع والتسلل العميق وتخريب الطرق العربية . وسلاح المدرعات قوة قادرة على الحركة السريعة ونقل القتال الى خارج الحدود والاختراق السريع والعميق وسلاح المظليين قادر على احتلال المراكز الهامة الخلفية وضرب عقد المواصلات وشل القيادات ونشر الذعر . وقد ركزت اسرائيل جهودها على هذه الاسلحة الثلاثة ، فاعتنت بها تدريبا وتسليحا وانتقاء عناصر ، ولكي تواجه اسرائيل ايضا هذا الواقع كان لا بد لها من ابعاد المعركة عن اراضيها ودفعها الى ارض العدو قدر استطاعتها .
ففي الميدان البري ركزت اسرائيل على سلاح المدرعات وكما قال قائد سلاح المدرعات : « بالمدرعات نستطيع تأمين الحركة والقوة النارية الكبيرة وبذلك يمكننا الاندفاع بسرعة لكي ننقل القتال الى الاراضي العربية، فالمدرعات ما زالت عصب المعركة البرية ومرتكزها وهي القوة الحاسمة فيها ، وان النصر يمكن ان يتحقق بواسطة سلاح الطيران وسلاح المدرعات ، لهذا فان هذين السلاحين هما مدار اهتمام جيش الدفـاع الاسرائيلي وان الاهتمام بسلاح المدرعات في الجيش الاسرائيلي بدأ يتعاظم بسرعة منذ عام ١٩٦١ » .
وتعتبر القيادة الاسرائيلية سلاح المدرعات حـد السيف الحاد الذي يجب استعمـاله للاجهاز على الخصم بصورة حاسمة واحراز النصر النهائي . ولا تخطط اسرائيل لاي عملية هجومية ناجحة بالمدرعات الا على اساس وجود تفوق جوي وتعاون وثيق بين القوات المدرعة والقوى الجوية . وكانت تجارب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ العامل الرئيسي في تطوير سلاح المدرعات الاسرائيلـي وتزويده بالدبابات والمعدات الحديثة فأعيد تنظيم هذا السلاح وتشكيله حسب المفهوم التالي : « نقل المعركة القادمة الى الارض العربية بسرعة فائقة » . وقد كانت معظم المناورات والتدريبات التي كان يقوم بها سلاح المدرعات منذ عام ١٩٦٤ حتى صيف ١٩٦٦ تجري وفق هذا المفهوم ، ففي مرحلة اعادة التنظيم التي تمت قبل آذار ١٩٦٧ اعدت هيئة الاركان العامة قوات ضاربة قوامها المدرعات والمشاة المحمولة والمظليين ومهمتها العمل بسرعة للسيطرة على الموقف سواء كانت المعركة هجومية او دفاعية . وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ صرح الجنرال تل قائد سلاح المدرعات الاسرائيلي في صحيفة جروسالم بوست بتاريخ ١٩٦٨/٧/١٨ ما يلي : « أن الحرب أعطت السلاح خبرة وكشفت نقاط الضعف فيه وتم لنا تلافيها كما ادت الى تبني نظريات جديدة والتخلي عن النظريات القديمة » .
واما سلاح المشاة فان الستراتيجية الاسرائيلية تعتبره قوة مهاجمـة ويلقن رجاله بأن السلامة تكمن في التحرك السريع نحو الامام وحول جناحي العدو وليس في التثبت بالارض تحت نيران العدو . ومن الناحية التدريبية تجهز الوحدات للقتال في كافة انواع الاراضي الجبلية والصحراوية وبغية تحقيق المزيد من سرعة التدخل والمناورة والمباغتة . وبعد انتهاء عمليات العدوان الثلاثي قامت القيادة الاسرائيلية بادخال تعديلات جوهرية على استخدام المشاة فجعلت وحداتها جميعها آلية اي محمولة ولا تزال تطور اعادة التنظيم حسب النتائج المستخلصة من حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن جملة أوجه التطور الطارىء في تدريب جندي المشاة الاسرائيلي تدريب الجندي على الرمي من السيارات المتحركة بسرعة ٤٠ كم ومن الدبابات اثناء سيرها بسرعة ٢٠ كم . كما يجري التدريب على الصعود والنزول من هذه السيارات اثناء سيرها بسرعات متزايدة ، وفي سبيل تنفيذ هذا الاسلوب القتالي العنيف فقد اعيد تصميم الخوذات والملابس وجعـاب الطلقات

والمعدات الاخرى لتسهيل الحركة على الجندي والقتال ضمن هذه الظروف .
وفي حرب حزيران ١٩٦٧ لم تستخدم المشاة بشكل بارز وكثيف في عمليات سيناء واقتصر استخدامها على مرافقة الدبابات في هجماتها وضرب المقاومة التي تعترض سير المدرعات او التي تخلفها المدرعات وراءها بعد اندفاعها . اما على الجبهة السورية فقد امضى اللواء « الجولاني » بكافة كتائب مشاته اكثر من ست ساعات لاحتلال المخفرين الاماميين السوريين (تل العزيزات وتل الفخار)وقد خسر اللواء مقابل احتلال المخفرين ما لا يقل عن مئة قتيل . وقد توجت القيادة الاسرائيلية هذا التطور بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بأن دمجت كلا من سلاح المشاة وسلاح المظليين تحت قيادة واحدة وبذلك ترمي القيادة الاسرائيلية الى تدريب اكبر عدد ممكن من المشاة على الهبوط بالمظلات بهدف انشاء تشكيلات مشاة/مظليين تتصف بالمرونة والسرعة وبحيث يصبح من السهل استخدام قسم كبير من الوحدات لالقائها بالمظلات او حملها بالطائرات او نقلها بالسيارات والعربات نصف المجنزرة او حتى سيرها على الاقدام . ان توفر هذه الامكانات في قسم كبير من وحدات المشاة/المظليين يساعد القيادة على مجابهة المواقف في ميدان المعركة البرية وتطورها ومعالجة الظروف حسب العوامل الجديدة التي تطرأ أثناء القتال، اذ ان القيادة تستطيع بهذه الوحدات ان تؤثر في شكل المعركة وتغير اتجاهها لانها قادرة على أن تزج بقوات كبيرة في ما وراء خطوط العدو وجبهات القتال وخاصة اذا ما توفر لديها العدد الكافي من الطائرات العادية والهيليكوبتر .
ومن أساليب اسرائيل الستراتيجية في سرعة تحقيق النصر وبالتالي بلوغ الهدف استخدام القوات المنقولة جوا . فقد شكلت اسرائيل منذ عام ١٩٥٢ اول نواة للقوات المظلية والتي بلغ تعدادها فوجين عام ١٩٥٦ واستخدمت قوات المظليين الاسرائيلية في العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ فقد أنزلت سريتين في ممر متلا في سيناء قبل ٢٤ ساعة منهجوم القوات البرية . وكذلك أنزلت سرية مظليين في شرم الشيخ وكانت تنقلها طائرات من نوع نورد أطلس وقد استمرت اسرائيل في الاحتفاظ بقوات مظلية حتى عام ١٩٦٣ حيث بدأت تلك القوات تنقلب الى قوات محمولة بالهيليكوبتر . وقد استخدمت القوات المنقولة جوا بالهيليكوبتر في حرب حزيران حيث أنزل ما يقرب من اربعمائة جندي وراء منطقة المدفعية في ابي عجيلة على الجبهة المصرية وعلى بعد ١٠ كم تقريبا خوفا من رمي المصريين عليها واقتضى تجميعها اكثر من ثلاث ساعات لتوجيهها والوصول الى مهاجمة المدفعية المصرية من الخلف . وعلى الجبهة السورية استخدمت الهيليكوبترات الاسرائيلية في انزال القوات المحمولة لاحتلال مرتفعات فيق والرفيد قبل وصول القوات الارضية اليها . وبعد حرب حزيران تصاعد العمل الفدائي العربي وانطلق من الاغوار ومن داخل الارض المحتلة واستخدم الاسرائيليون الطائرات الهيليكوبتر للنقل والاخلاء والاستطلاع ورصد رمايات المدفعية . وكانت اول عملية تكتيكية واسعة لاستخدام الهيليكوبتر في التصدي للفدائيين اثناء معركة الكرامة حيث نقل الاسرائيليون فوجا محمولا كاملا وهبط خلف معسكر الكرامة في غور الاردن بقصد عزل المعسكر والسيطرة على المرتفعات المجاورة وقد تكبدت هذه القوات المنقولة جوا خسائر جسيمة في مواجهتها للفدائيين . وآخر عمليات الانزال الجوي المفاجئة كانت عملية مطار بيروت وصرفند . وتستخدم اسرائيل الهيليكوبترات مقلدة اساليب فرق هجوم « فرسان الجو » الاميركية وتستوحي منها تكتيكها الاساسي وتحاول اسرائيل في الظرف الراهن تطوير استخدام ومعرفة حدود وقيود استخدام الهيليكوبترات كواسطة نقل قتالية تؤمن المفاجأة اولا بالنسبة لتعاملها مع أماكن تواجد الفدائيين ومن ثم امكانية الاعتماد والتركيز على استخدامها في معارك القتال المقبلة مع الجيوش العربية . ومن المؤكد ان الرمي ليلا على اهداف ارضية محصنة من الهيليكوبتر ليس مجديا لصعوبة تمييز الاهداف ولقلة دقة الاصابة مع ما في ذلك من خطر محقق في حالة وجود اسلحة مضادة لها ولو خفيفة .

الدفاع ضد القوات الاسرائيلية المنقولة بالهيليكوبتر : تستخدم اسرائيل الهيليكوبتر لنقل بعض قواتها سواء في معركة ارضية للاستيلاء على أهداف في البلاد العربية والتمركز فيها بصورة نهائية او للنزول فيها مؤقتا بغية تدميرها والعودة الى قواعدها فيما بعد او لمهاجمة وقصف هذه الاهداف دون النزول فيها كالاهداف الاقتصادية والمواضع العسكرية المنعزلة وذلك نهارا ام ليلا ، ولذا ينبغي على كل وحدة نظامية او فدائية ان تهتم بالدفاع الذاتي عن نفسها من كل الاتجاهات الى جانب الدفاع عن المكان او المحور المكلفة بالدفاع عنه . وعليه فان وجود مخطط مهيأ سلفا ضد القوات المعادية الهابطة جوا من الامور البديهية في خطة الدفاع . عند احتمال قيـام العدو بانزال جوي توجه نيران مختلف الاسلحة المضادة للطائرات بما في ذلك حتى البنادق الى كل الطائرات المعادية من مختلف الانواع والتي تحوم فوق القطعات الارضية العربية اذا كانت على مسافة الرمي الجوي حتى ولو كانت تلك الطائرات مصفحة من الاسفل ومـن جوانب الطيار لان اصابتهـا واسقاطها محتمل جدا رغم ذلك . وينبغي ان يخصص عدد من الوحدات النارية لمختلف الاسلحة المضادة للطائرات لاجراء مثل هـذه الرمايات وان هـذه النسبة في الظروف الراهنة مع العدو الاسرائيلي هي ربع الوحدات النارية فتضاف هذه الى الوحدات النارية الاساسية .

ان تمركز القطعات الفدائية ينبغي أن يكون على شكل معسكر واسع الانتشار تتخلله الخنادق المغطاة وأماكن الرمي المتعددة ضـد الطائرات بحيث يتحكم هـذا المعسكر طبوغرافيا في الاراضي المجاورة بالنظر وبالنار الى مسافات بعيدة تمكن من التصدي الفعّال لكل الاخطار الجوية سواء القاذفة او الهابطة وحتى لاخطار الهجـوم الارضي المدرع المعادي . ويحسن ان يجهز المكان ليكون قابلا للتصدي لاي عدوان جوي محتمل من كافة الاتجاهات .

ومن القضايا الاساسية في الدفاع عن قواعد الفدائيين ضرورة وجود شبكة رصد وانذار سريعة ضد هذه الاخطار في القواعد وتربيض الاسلحة باستمرار في أماكن رميها بحيث يستطيع الفدائيون الوصول اليها بأقصر مدة ممكنة واخذ مواضعهم القتالية . ويحسن كذلك تواجد ملاجىء للاسعاف واخلاء الجرحى اليها .

عامل السرعة في مراقبة القوات العدوة : ان مبدأ التمويه والخداع مـن اهم مستلزمات القتال ، والبراعة في الخداع ـــ في المجال العسكري المفهوم هو من ميزات المقاتل الجيد المدرب، وهذه الحقيقة يمكن أن تتصف بها الوحدة المقاتلة بحالها فاذا أحسن الخداع توه العدو لا بل وقع في الفخ، وتحاشيا من الوقوع في مثل هذه الافخاخ التي طالما تكون مميتة يكون الحل في ايجاد جهاز مراقبة ورصد نشيط وفعال ، نشيط في مراقبة وتسجيل كل صغيرة وكبيرة يؤتيها العدو المقابل ، وفعال بحيث يبلغ عنهـا فورا للسلطات الاعلـى المسؤولة مهما بدا للمراقب ضآلة قيمة ما شاهده . ففي معركة صرفند الاخيرة التي وقعت على الساحل اللبناني الجنوبي تمت قبلها المراقبة ورفعت نتائجها الى المسؤولين الا ان اتخاذ القرار بالاجراء المعاكس المناسب لم يتم بالسرعـة المطلوبة فلو اتخذت الاجراءات الكفيلة بصد هذا العدوان بنتيجة المراقبة والرصد لما عاد جندي عدو واحد الى داره .

كثير من الاوضاع العسكرية سرعان ما تتغير خاصة اذا ما اتقن العدو مبدأ التمويه والخداع واذا ما زود بالحديث من المعدات مما يسهل له حرية المناورة وليونة الحركة، فعلى عناصر الرصد والمراقبة سرعة تزويد المسؤولين بمشاهداتهم كي يتمكن هؤلاء القادة من سرعة اتخاذ القرار، فهناك قرارات او خطط قد يضطر الى تغييرها وحتى الى الغائها في غضون دقائق معدودة من الزمن . فالنصر لن يتم الا لمن يحسن الاستفادة من الدقائق المتوفرة لديه في اتخاذ قرار مجبر عليه لمقابلة وضع جديد لم يكن قد سبق له وقام بحسبانه .

المفهوم العام لقابلية الحركة في الميدان : لما كان مفهوم الحرب الحديثة هو السرعة في

الانجاز فقد لجأت الدول المتحاربة الحديثة الى تطبيق واستخدام كل ما من شأنه احراز النصر في اقصر مدة ممكنة . الامر الذي يتطلب تأمين عنصر المفاجأة . فالحرب القصيرة الاخيرة ، حرب حزيران ، كانت حرب حركة مهد لها بعدوان جوي مفاجىء . والعمليات الحربية محدودة النطاق التي قام بها العدو على مـــا اعتبره قواعد للفدائيين في كل من الكرامة وصرفند وغيرها فقد نفذها العدو بتكتيك واشراك شتى صنوف الاسلحة وخاصة سلاح الهليكوبترات الذي شرع العدو باستخدامه على نطاق واسع يحسن ان يحسب له حساب في الاحداث المقبلة .

ان اي حرب اخرى ستكون حتما الحرب المتحـــركة ويحتم تنسيقها مع طـــرق القتال الكلاسيكية العادية بشكل منطقي وعلمي ففي ذلك اقتصاد للقوى وليس بتبذير لها وبهذه الطريقة فقط يمكن بلوغ النصر بشرط ان يحسن تكثيف القوى والوسائط في المكان والزمان المناسبين . هل يمكن لحرب مقبلة ان تكون تقليدية ؟ لقد عودنا العدو في مناسبات عدة انه قلما يتبع القتال التقليدي فهو بفعل ما تزوده القوى الامبريالية باستمرار من مختلف الاسلحة ذوات الخصائص المختلفة ، تتيح له ان يطور باستمرار اساليب وخطط قتاله .

ان الحروب المقبلة قد تكتنفها صفة الشمول بحيث تعم نظرية دفاع الخط الاول لتشمل مساحات اكبر من الرقعة الارضية كأن تشمل كافة المنطقة الدفاعية بأبعادها الطولانية والعرضانية . وعليه فان كافة المواقع القتالية سيتحتم علينا اعتبارها في الخط الاول بمعنى انه مهما بدا لناظرها انها بعيدة فان قوى الطيران الحديث والاستخدام الموسع للصواريخ جعلها بمتناول الرمايات المختلفة .

وبالنسبة للجيش الاسرائيلـــي فانه أولى العمليات الهجومية اهتمامـــه الاول ولا يعتبر الدفاع الا مرحلة انتقالية الى هجوم مقبل . فاسرائيل لا تنسحب من شبر مـــن أرض احتلتها الا من قبيل الاضطرار والهزيمة . ان ضيق رقعةالارض لديها لا تسمح لها أن تناور في العمليات الدفاعية . ففي البلدان الواسعة الارجاء تستطيع جيوشها ان تتراجع الى الخلف بهدف اطالة طرق المواصلات على عدوها او بغية استدراجه الى مكان ما تنوي الايقاع به لكن بالنسبة لجيش اسرائيل فان هذه الامكانيـــة مفقودة بفعل صغر ساحة العمليات فما هو اذن أسلوب هجومها ؟

لتنفيذ الاعمال الهجومية يعمـــد الجيش الاسرائيلي الى خلق السيطرة المستمرة على الخصم بالقوة القتالية وخاصة بالطيران والدبابات في الزمـــان والمكان الحاسمين وقد اختار أسلوب الهجوم من الحركة في جميع عملياته اذ أن الانتقال من الحركة الى الهجوم يتم مباشرة بعد المسير بدءا من مناطق التحشد المحتلة مسبقا من قبل القوات . وفي تطبيق الجيش الاسرائيلي لاحد اشكال الهجوم فانه يلجأ الى مناورة الاختراق عندما يكون دفاع الخصم متكاملا غير مكشوف الجوانب . في هذه الحالة يتحتم على القوى المهاجمة ان تخترق الحد الامامي الدفاعي ويتطلب هذا الشكل من الهجوم التفوق بالقوى والوسائط فتوجه الضربة الرئيسية الى قطاع من الجبهة ضيق نسبيا وبالاتجاه الاقرب الى الهدف المقصود . وفي حالة عدم توفر التفوق بالقوى والوسائط يستعاض عنها بتأمين عنصر المفاجأة وقد طبق الجيش الاسرائيلي هذا الشكل من المناورة اي الاختراق — في صحراء سيناء في حرب حزيران ١٩٦٧ .

اما الشكل التالي من المناورة الهجومية فهو التجاوز ويستخدم عندمـــا تكون جوانب الخصم مكشوفة وذلك بالالتفاف عليه بغية احتلال الاهداف التي تعيق انسحابه وهذا ما جرى في الجبهة الاردنية في عدوان حزيران ١٩٦٧ حينما التفت القوات الاسرائيلية حول الترتيب الدفاعي الاردني وهاجمت جنين في الشمال والقدس في الجنوب واحاطت بالجيب الدفاعي الممتد بين المدينتين حتى الحدود مما اضطر القوات الاردنية الى الانسحاب من هذا الجيب ثم اخلاء الضفة الغربيـــة . وعلى الجبهة السوريـــة استخدمت القوات الاسرائيلية شكلي المناورة : فقد ركزت قوات كثيفة لخرق الجبهة وتمكنت من فتح ثغرة

فيها ثم وسعتها وانطلقت منها بمناورات التفاف متعددة .

طبيعة مناورة الدفاع على ضوء التكتيك الاسرائيلي : اما وقد تطور التسليح فان اساليب القتال قد واكبت هذا التطور فوجب تكييفها لمجاراة هذا التغير وتركيز الاهتمام على ميزات الدفاع المتحرك والذي يستجيب اكثر الى تنفيذ متطلبات الدفاع المثمر . خاصة بعد نمو وازدياد استخدام اسلحة التدمير الشامل . فتمركز المجموعات الكبيرة في منطقة واحدة اصبح صيدا ثمينا لعدو يمتلك مثـــل هذه النوعية من الاسلحـــة الامر الذي يحتم بعثرة القوى الصديقة الى العديد من المجموعات الصغرى والتي تتطلب تواجد شبكة اتصال سلكي ولاسلكي يعوض عن هذا التباعد بسرعة الاتصال للقيـــام بواجب ردود الفعل من هجمات معاكسة او اي اجراء آخر في المكان والزمان المناسبين .

وقد عمد العدو الاسرائيلي الى تزويد نفسه بعدد كبـــير من الهيليكوبتـــرات . وللاقاة العمليات المحمولة جوا والتي على ما يبدو انها ستكون الصفة البارزة في أي عمليات حربية مقبلة يجدر التركيز على دراسة اختيار الكيفية والكمية مـــن الوسائط الحديثة لمقابلة مثل هذه العمليات الحديثة التطبيق في معاركنا الاخيرة والتي قد تصبح اكثر مشاعا واحتمالا مع مرور الزمن .

وبهذا الخصوص ماذا عساها تكون الخصائص العامـــة لتكتيك القوات الاسرائيلية ؟

١ ــ ان العمليات الليلية هي الطابع المميز للقوات الاسرائيلية حيث تستفيد من مزايا الليل الكثيرة وأهمها الظلام الذي يستفيد منه العدو كستـــار ناجح لتأمين المفاجأة في هجومه وتجنب نيران المدفعية والنيران المباشرة وقـــد اولى الجيش الاسرائيلي تدريب القتال الليلي اهمية كبرى مكنته من النجاح في معظم العمليات التي قام بها ضد العرب .

٢ ــ يتبع العدو أسلوب تطويق المواقع بحيث يفاجىء القوات المدافعة بالهجوم على مؤخرتها وجوانبها مما يسهل عليه اقتحام الموقع وخاصة اذا لم يراع المدافع تنظيم خططه الدفاعية على اساس استعمال النيران مـــن جميع الجهات . ٣ ــ في المرحلة الاولى للمعركة يعمد العدو الى عزل المدافعين بقطع مواصلاتهم البرية والسلكية وباتباعه هذه الطريقة يعزل المدافعين عن مراكز القيادات وقوى الاحتياط ويمنعها او يؤخرهـــا مـــن التدخل في الوقت المناسب . ٤ ــ كثيرا ما يسلك العدو اساليب الخداع بطرق متنوعة منها : القيام بعمليات قتال خادعة موهما الخصم بالهجوم على مواقع مختلفة عن الموقع المقصود فيشغل بذلك قوات خصمه في هذا الموقع الثانوي ثم ينقل قواته بفعل مرونة حركته بآلياته الى الهدف المقصود . ٥ ــ استخدام الطيران ــ وخاصة الهيليكوبترات في عمليات مفاجئة ليلية . ٦ ــ واخيرا ينظم العدو خطة الهجوم بدقـــة وعناية فائقتين معطيا الاوامر بصورة مفصلـــة ومبينا على مخططات دقيقـــة اماكن الاسلحة وطرق المواصلات ومحاور وصول النجدات ، كل ذلك يؤدي الى انهاء العملية العسكرية بأسرع ما يمكن وبأقل خسائر ممكنة وضمن مفهوم السرعة والمرونة في الحروب الحديثـــة .

فما هي المبادىء التي تتبعها القوات الاسرائيلية في حروبها :

آ ــ الهجوم وخاصة غير المباشر : في تصريح للجنرال ييجـــال يادين احد رؤساء أركان الجيش الاسرائيلي السابقين (١٩٤٩/١١/٩ الى ١٩٥٢/١٢/٧) اكد على مبدأ الهجوم غير المباشر في المذهب العسكري الاسرائيلي وقال : « لا شيء أخطر من وجود الروح الهجومية لدى العدو . لذلك يتوجب علينا ان نواجه هـــذه الروح الهجومية بعزيمة هجومية أقوى . ولا يرد الهجوم العدو الا بسبقه اليه . وان سبقنا هو الى ذلك فالرد الهجومي أيضا يجب ان يبقى الجواب الوحيـــد المضمون النتائج » . ان ايام الهجوم الجبهي قد ولت . وان فن التعبئة اليوم يتلخص بأن الواجب الرئيسي للهجوم يجب أن يتحقق بواسطة الهجمات الجانبية وفي المؤخرة». ويتحقق النصر باتباع هذه الستراتيجية فقد قال يادين بوجوب تحقيق الشروط التالية: ١ ــ القيام بضرب وقطع خطوط مواصلات العدو الامر الذي يحطم وسائل الامداد لقوات العدو . ٢ ــ قطع طـــرق الانسحاب

لقوات العدو باحتلال عقد مواصلات معينة وهذا يكفل تحطيم معنويات العدو . ٣ ــ قصف مراكز العدو الادارية والقيادية وقطع طرق الاتصال السلكية واللاسلكية له وهذا ما يؤمن قطع الاتصال بين القيادة (العقل المدبر والموجه) والوحدات (الاطراف المنفذة).
وحينما بدأ عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ فقد بدأ بهجوم جوي جد كثيف ومركز حشدت فيه اسرائيل جميع قواتها الجوية في السماء دفعة واحدة ووجهتها نحو جبهة واحدة (الجمهورية العربية المتحدة) وبهدف واحد : المطارات . وما ان اطمأنت القوات الاسرائيلية ان القوات العربية المحشدة في سيناء قد جردت مما يسمى بالغطاء الجوي العربي وكشفه أمام الطيران الاسرائيلي بدأت عمليات القوات البرية الاسرائيلية تسير بسرعة كبيرة وهي مطمئنة الى خلو السماء مــن الطيران العربي . ضمن هذا الظرف المواتي شرعت القوات الاسرائيلية تتقدم وتناور في منتهى السرعــة والليونة فنفذت هجماتها غير المباشرة بالالتفاف والتطويق والخرق .
ب ــ المفاجأة : أظهرت التجارب عبر التاريخ العام ان الجانب الذي يفاجىء خصمه في القتال يحصل على احد عوامل التفوق والنجاح وخير مثال هو مفاجــأة التدخل الجوي الاسرائيلي في تصفية القوات الجوية العربية وهي جاثمة على أرض قواعدها في صبيحة ٥ حزيران وقد أثبتت هذه الواقعة مجددا انه من أهم شروط النجاح في الهجوم هو مفاجأة العدو . ولتحقيق المفاجأة ــ كما يشير المذهب السوفييتي ــ هناك عدة وسائل أهمها: كتمان النوايا ، اخفاء الحشود وتحركات العدو ، خداع العدو (بالقيام بعمليات التضليل) ، تمويه الرجال والعتاد ، استخدام أسلحة أو تكتيكات جديدة لا يتوقعها العدو ، المناورة بمهارة وسرعة . وهناك أشكال عديدة للمفاجأة تختلف عن بعضها بعضا ، سوى أن القيادة الاسرائيلية تسعى دائما الى ان تجد شكلا جديدا للمفاجأة لم تألفه الحروب السابقة ونتيجة سعي القيادة الى ايجاد تلك الاشكال الجديدة فقد تولدت في أذهان القادة نزعة الى التجديد في أساليب الغارات الخاطفة والضربات غير المتوقعة . ويتوقف تحقيق المفاجأة بالزمان والمكان او باستخدام اساليب وطرق قتال لا يتوقعهــا العدو . كما يتوقف على صحة وسرعة تقدير الموقف واستغلال اخطاء وثغرات العــدو واظهار الابداع والبحث عن الطرق المؤدية الى الاعمال المفاجئة في مختلف شروط الموقف . ولتحقيق المفاجأة يجب اتخاذ كافة التدابير لمنع العدو من تحقيقها بدوره. ويمكن ادراك ذلك بالاستطلاع المستمر والقدرة العالية على مجابهة العدو . وقد اوردت مجلة المدرعات الاميركية (تموز وآب ١٩٦٧) عن لسان الجنرال اسحق رابين رئيس هيئة الاركان العامة الاسرائيلية السابق:
« ان افضل اشكال المفاجأة هو ذلك النوع الذي يربك القيادة العليا ويشل طاقتها عن العمل طيلة مدة تنفيذ خطة العمليات . ويتضمن هذا النوع من المفاجأة انزال الضربات الحاسمة في ترتيبات العدو شريطة ان يكون اسلوب الضربات الحاسمة جديدا ويختلف عن الاساليب السابقة بحيث لا يستطيع العدو الرد على الضربة بسبب جدة اسلوبها بعد ان يكون قد تدرب على الرد على أسلوب الضربة السابقة » . وانطلاقا مــن هذه الفكرة فان القادة العسكريين الاسرائيليين يوصون دومــا بالا يستعملوا في المستقبل طرائق العمليات الناجحة في الماضي حتى ولو توفرت الظروف والشروط ذاتها التي توفرت في السابق ، والسبب في ذلك هو توجيه المخططــين لكي يحاولوا دوما ايجاد افكــار ومفاهيم جديدة في تخطيطهم واساليب جديدة في تنفيذ الخطط .
ان هذه النزعة ، نزعــة التجديد المستمر بغية ايجــاد اساليب وطرائق جديدة تتصف بالمفاجأة ، هي التي تفسر لنا التغيير الدائم الذي يطرأ على منصب رئيس هيئة الاركان العامة للجيش بحيث لا يطول بقاء الضابط والقائد في هذا المنصب مدة طويلة والقصد في ذلك هو افساح المجال أمام الافكار الجديدة لكي تتوالد وتنمو وتؤتي ثمارها في التخطيط والتطبيق . وبالملاحظة نجد ان اطول مدة شغل فيها ضابط قائد منصب رئيس الاركان هو الجنرال موشيه ديان (من ٥٣/١٢/٦ الى ٥٨/١/٢٩) أي حوالي اربع سنين .

ونلاحظ كذلك ان تبديل شخص رئيس الاركان امر محتم بعد انتهـــاء كل حرب تشنها اسرائيل : ـــ فبعد حرب ١٩٤٨ احيل الجنرال يعقوب دوري على التقاعد وبعد حرب ١٩٥٦ بعام وشهرين احيل الجنرال ديان على التقاعد . وبعد حرب ١٩٦٧ احيل الجنرال اسحق رابين على التقاعد وعين سفيرا لاسرائيل في واشنطن . وان دل هذا الامر الواقع على شيء فانما يدل على النزعة في البحث عن العقول الجديدة والافكار الحديثة بحيث تبقى أساليب الجيش في تطور مستمر . ونزعة البحث عن الجديد لا تنحصر فقط بمنصب رئيس الاركان بل وكذلك تشمل مناصب قادة القوات الجوية والبحرية ورؤساء شعب العمليات والمخابرات في هيئة الاركان العامة وغيرها من بقية المناصب العليا في الجيش.

ان مجموعة هذه المفاهيم التي تبناها الجيش الاسرائيلي ولدت نظرية « الحركة الدائمة » التي يمكن تلخيص خصائصها بما يلي : ١ ـــ المفاجأة ذات الاسلوب المتجدد. ٢ ـــ التفكير المتطور وغير التقليدي في التخطيط وتنفيذ العمليات . ٣ ـــ تحطيم قوات العدو وتشتيتها بخلق الارتباك في قياداته . ٤ ـــ الاعتماد على طرق الالتفاف وضرب العدو من الاجنحة والخلف . ٥ ـــ خرق صفوف العدو بأقصى سرعة ممكنة في العمق وعدم التوقف اثناء التقدم . ٦ ـــ سرعة التفكير واتخاذ القرار السريع في كافة انساق القيادات . ٧ ـــ تنظيم الجيش تنظيما يحقق مبدأ المفاجأة . ٨ ـــ التخلي عن حرب المواضع والخنادق والدفاع الثابت . ٩ ـــ السرعة في كل شيء والاعتماد على « القوة الضاربة والمفاجأة السريعة ».

جـ ـــ الحركة : تتمثل الحركة بالمناورة . وقد قال عنها المارشال الروسي فرونزي « ان المناورة ليست غاية في حد ذاتها بل هي احدى الوسائل لبلوغ النصر » . وذلك بتدمير قوات العدو واحتلال أراضيه . فالمناورة تمثل حركة الوحدات المتجهة الى المكان الاكثر ملاءمة لتدمير العدو واكد علـــى ان المناورة الجريئة الفعالة هي التـــي تسمح بانزال الضربات الحاسمة بالعدو وتطويقه وابادته .

ويعتبر العسكريون السوفييت ان السرعة في العمل والمهارة في المناورة وقابلية الحركة هي بعض الشروط الرئيسية للنجاح . وان القوات التي تنفذ الاوامر بسرعة وتقفز الى الامام وتتخذ تشكيلة القتال وتندفع في هجومها بسرعة وتستخدم نيرانها وتطارد عدوها بسرعة يمكنها ان تكون واثقة من النصر دائما لان السرعة وقابليـــة الحركة والايقاع السريع في القتال تسمح بكسب الوقت وتخلق أوضاعا لم يكن للعدو ان يتوقعها .

هناك أربعة عوامل يجب توافرها في تأمين عنصر الحركة ليكون فعالا في مضمار العمليات وهي : ١ ـــ القدرة النارية المتفوقة : كي تتمكن بواسطتها من المحافظة على تفوقها من ناحية قابليتها للحركة في ظروف متشابهة . ٢ ـــ التصفيح القوي : فالآليات غير المصفحة تفقد قابليتها للحركة بينما تبقى الآليات المحمية بالدروع محافظة على حركتها دون ان تعاني كثيرا من نيران العدو . ٣ ـــ الكشف السريع والدقيق للاهداف في ارض المعركة . ٤ ـــ تأمين الليونة والحركة في المؤخـــرات الامر الذي يسهل تنظيـــم الامداد والتموين للقوات في ميدان المعركة . ٥ ـــ جهاز اتصال محكم ودقيق من شتى وسائل الاشارة فبدونها لا يمكن تأمين قيادة فعالة وحاسمة للقوات واتخاذ القرارات في الوقت المناسب. ٦ ـــ المرونة في القيادة . وتأمين زيادة حركة القوات الصديقة يجب أن يواكبه انقاص في قابلية الحركة لدى العدو بمختلف الوسائل .

ويرى الجنرال حاييم بارليف رئيس هيئة الاركان العامة الحالي ان اية حرب مع اسرائيل هي حرب حركة وليست حرب جامدة او حرب مواقع ، وان القوات الموجودة على خطوط وقف اطلاق النار بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ليست متمركزة في مواقع ثابتة وخطوط دفاعية جامدة ولكنها مؤهلة بقدرة فائقة على الحركة والمناورة . وقد جاء هذا في حديث لبارليف في مطلع عام ١٩٦٩ بمناسبة مرور عام على تسلمه منصب رئيس الاركان العامة وقد ركز في حديثه على امر هام وهو اعتماده الكبـــير على المناورة والحركة وحسن القيادة والمرونة المتوفرة لدى الجيش الاسرائيلي الذي اثبت فيحرب حزيران ١٩٦٧ عدم اعتماده

على اسلوب خطوط الدفاع الثابتة الذي تعتمده جيوش عربية مجاورة .

كتب الجنرال حاييم هرتزوغ ، رئيس شعبة المخابرات الاسرائيلية السابق في صحيفة الجويش كرونكل البريطانية الصهيونية والتي أصدرت عددا خاصا عن حرب حزيران في ذكرى مرور عام واحد على تلك الحرب ، قال انه من ضمن الاسباب التي مكنت اسرائيل من تحقيق ذلك النصر هو : ١ ــ مرونة تفكير وتخطيط القادة وهي الميزة التي جعلتهم يسيطرون على المبادرة . ٢ ــ وجود شبكة مواصلات ارضية راقية مما مكن القوات الاسرائيلية من سرعة الانتقال من جبهة وميدان الى آخر . ٣ ــ ما زودت به اسرائيل نفسها بوسائط آلية لفتح الثغرات في المواقع وحقول الالغام .

تسعى القوات الاسرائيلية عند المعارك الى تركيز كثافة كبيرة من نيرانها على الاهداف المعادية المقصودة هادفة الى عدم افساح المجال امام العدو للعمل بحرية ومنعه من الحركة فتتمكن القوات الاسرائيلية من التحرك بحرية وبسرعة وهو ما حصل في عمليات سيناء في حرب حزيران عند اختراق قطاع رفح ــ العريش .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

لقد شكلت معركة ايلول ١٩٧٠ في الاردن علامة فارقة في تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية . ويمكن اعتبارها بداية لمرحلة جديدة من مراحل العمل الوطني الفلسطيني ، فرضت فهما جديدا لظروف العلاقة الجدلية بين العمل الفلسطيني والعمل العربي ، يستتبع بالتالي اساليب تنظيمية جديدة ، يعبر عنها حاليا بالقول بضرورة الانتقال من العمل العلني الى العمل السري . الا ان الانتقال من العلنية الى السرية لا يتم بقرار ، ولا بشكل فجائي ، بل هو بحاجة الى مرحلة انتقالية ، يمكن تسميتها بمرحلة التراجع (الذي أملته ظروف موضوعية) ، والتي كانت الاحداث المتتالية في الاردن ، منذ أيلول ١٩٧٠ حتى الان تعبيرا عنها . وقد عرضنا في العددين الاول والثاني من شؤون فلسطينية مظاهر التوتر العنيف التي رافقت هذه المرحلة الانتقالية . ولكن احداث الشهرين الماضيين التي كانت استمرارا لما سبقها من أحداث ، تميزت بأنها **حملت اشارات عديدة الى أن مرحلة الانتقال هذه قد قاربت نهايتها.** وسنحاول القيام بعملية رصد لهذه الاشارات على امتداد الفترة الواقعة بين ٢٠ اذار و٣١ ايار ١٩٧١ .

١ — العلاقات بين المقاومة والنظام الاردني :
كان تكنيك النظام الدائم بعد أيلول لضرب الوجود العلني لحركة المقاومة يتركز حول القيام بحملات صغيرة وسريعة متباعدة زمنيا تجنبا لردود الفعل السياسية الجماهيرية والرسمية . وفي الفترة المعنية ، وفي ٢٦ اذار بالذات ، نفذ النظام الاردني احدى هذه الحملات ضد الوجود الفدائي في مدينة اربد ، متخذا لذلك ذريعتين الاولى اشتباك كان قد وقع بين الفدائيين والجيش قرب اربد يوم ٢١ اذار قتل فيه حسب رواية ناطق رسمي اردني ، ثلاثة فدائيين وجندي ، ومدني ، وجرح مدني آخر . والثانية الاعلان يوم ٢٦ آذار وبطريقة دراماتيكية عن اكتشاف وجود صواريخ والغام في مقبرة قرب مخيم اللاجئين في المدينة . وبالاعتماد على هاتين الذريعتين تحركت قوات الجيش لاحتلال المدينة ، التي فرض عليها نظام منع التجول في اليوم التالي . وبدأت بها عملية تفتيش داخل المنازل عن الاسلحة والفدائيين . وقد تعمدت السلطات الاردنية أن تدخل اربد بقوة عسكرية كبيرة ، وان تقوم بكثير من حوادث الاستفزاز لتوسع من نطاق الاشتباكات ، وذلك لفرض جو من الارهاب والاذلال النفسي بسبب الموقف الصلب الذي اتخذته المدينة أثناء حوادث أيلول ، والذي ساعد قيادة المقاومة على اعلان المدينة منطقة محررة ، ولذلك فقد قصف مخيم اللاجئين في المدينة بصورة متعمدة وبطريقة وحشية ، رغم ان الوضع العسكري لم يكن يتطلب ذلك ، فالمقاومة كانت منذ اتفاق القاهرة قد سحبت المقاتلين من المدينة وسمحت لرجال الامن ان يدخلوا اليها لممارسة مهمانهم . وامام حملة الاجتياح هذه لم يقم سوى رجال الميليشيا بعمليات دفاعية ضد الاستفزازات العنيفة التي أصابت المدنيين بالدرجة الاولى . وقد انتقلت أصداء اشتباك اربد فورا الى عمان فسادها جو من التوتر الشديد رافقته عمليات تبادل في اطلاق النار ، حاولت السلطة جهدها اخفاءها اعلاميا حتى تظهر سيطرتها على الوضع . وازاء هذا الموقف من السلطة لتزوير حقيقة ما يجري ، لجأت حركة المقاومة الى سياسة جديدة صعدت بها التوتر القائم ردا على استمرار حملات التصفية. وتعتمد هذه السياسة الجديدة على ضرب المرافق الحيوية ، الاقتصادية والعسكرية ، وقد بدأ تنفيذ هذه السياسة يوم ٢٩ آذار بينما كانت حملة اجتياح اربد لا زالت مستمرة . ففي صباح ذلك اليوم نسف الفدائيون عبارتين ، ثم توالت عمليات مشابهة كان أبرزها ١ — نسف خط سكة الحديد ثلاث مرات الاولى في ٣٠ اذار والثانية في ٣ نيسان والثالثة في ٢٤ نيسان . ٢ — نسف خط الانابيب الذي يزود مصفاة الزرقاء بالنفط يوم ٢ نيسان . ٣ — قصف مطار المفرق واصابة طائرتين فيه يوم ٦ نيسان . وبلغ مجموع العمليات التي نفذت بين ٢٩ اذار و٦ نيسان ١٨ عملية عسكرية.

ومن الواضح ان مثل هذه العمليات تزعج النظام الاردني وتقلقه لان لها نتائج مباشرة على مجمل الوضع الاقتصادي . وقد كان يمكن الاستفادة من نتائجها في تخفيف الضغط من المقاومة ، لولا حادث مفاجىء تم اثناء تنفيذ هذه السياسة . ففي يوم ٤ نيسان نقلت وكالات الانباء من عمان اخبارا تقول بأن اتفاقا اوليا قد تم الوصول اليه يدور حـول نقطتين : ١ — تتعهد المقاومة باخراج الاسلحة الثقيلة والفدائيين من عمان كاجراء ذاتي في غضون ٥ أيام . ٢ — يصدر كاجراء مقابل قانون عفو عام من المعتقلين بتهم امتلاك السلاح واطلاق النار . وفورا صدر عن ناطق بأسم اللجنة المركزية نفي رسمي لهذا النبأ . وأكد النفي « ان موقفنا هـو التوقف عن التراجع ، وقد بدأنا فعلا العمليات في معظم المناطق ، وخاصة على الحدود السورية — الاردنية ، دون اعلان منا عن العمليات ، ثـم ابتدأت السلطة تعلن ، مما اضطرنا للاعلان . ان موقفنا واضح : لا تراجع ، ولا اتفاقات جديدة » . الا ان يوما واحدا مضى على هذا التصريح فقط ، وزع بعده في بيروت بيان بأسم اللجنة المركزيـة اعلن أن اللجنة قررت سحب الفدائيين من عمان . وفي نفس اليوم عقد أبو أياد مؤتمرا صحفيا في عمان اعلن فيه ان ما جرى « ليس اتفاقا جديدا مـع السلطة ، وان اللجنة المركزية رات سحب السلاح من عمان باجراءات ذاتية حتى لا تعطي للاردن حجة بضرب عمان ، ونحن لم نربط هذا الاجراء باجراء العفو الذي ستصدره الحكومة » . وقد بدأ الانسحاب فعلا من عمان بصورة يومية وانتهى يوم ١٣ نيسان ، وقد رافقت عملية الانسحـاب مواقف ذات دلالة خاصة : ١ — كانت اللجنـة العربية ، واللجنة العسكرية التابعة لها مجمدة تماما منذ أن رفض وصفي التل ان يسمح لوفـد عسكري منها بالتوجه الى اربد للتحقيق بما يجري. (٢٨ اذار) . ٢ — صرح وصفي التل لصحيفـة « لوموند » الفرنسية قائلا انه يستطيع تصفيـة المقاومة خلال ساعات وطالب الفلسطينيين «بتكييف انفسهم بالوضع الجديد بالنسبة لاسرائيل.ومواجهة الحلول السياسية بشجاعة ، وليس بالتمسـك بالمواقف المبدأية » . (٦ نيسان) . ٣ — اعلن انه بعد انهاء الانسحاب ستقوم السلطة بعمليـة تفتيش عن الاسلحة والمقاتلين تحت اشراف مكتب الارتباط الذي يضم ممثلين عن السلطة والمقاومة واللجنة العربية . (٨ نيسان) . وقد كان هذا الانتقال المفاجىء ، من قرار ضرب المرافق الحيوية، الى قرار الانسحاب من عمان والموافقة علـى التفتيش في ظل استمرار الاشتباكات وخاصة في شمالي الاردن ، مثار تكهنات واسعة في اوساط المراقبين . ويبدو ان استنتاجاتهم تلخصت في النهاية بموقفين . يرى الموقف الاول ان قرار ضرب المصالح الحيوية يعكس موقفا سائدا في قيادة حركة المقاومة يرفض امكانية التعايش مع النظام الاردني ويعتبر خوض المعركة معه ضرورة لا بد منها لضمان حرية المقاومة في العمل ضد اسرائيل مـن الاراضـي الاردنية . بينما يرى الموقف الثاني انه اذا انتقل الفدائيون الى الاغوار ، فمن الممكن ايقاف الصدام بين المقاومة والنظام . ويظهر ان كل موقف من هذين الموقفين وجد طريقه للتنفيذ في وقت واحد . ولعل التصريح الذي ذكرناه قبل قليل والقائل « لا تراجع ، ولا اتفاقات جديدة » يعبر عن الموقف الاول ، بينما يعبر عن الموقف الثاني تصريح آخر قال فيه ابو أياد « ان القوات المنسحبة اعيـد توزيعها على القواعد في الاغوار، مكانهم الطبيعي» (١٦ نيسان) .

بينما كانت عملية الانسحاب تتم من عمان ، بدأت السلطة الاردنية عمليات التفتيش عن الاسلحة في الاحياء التي أعلنت المقاومة أنها قد اخليت مـن السلاح والفدائيين ففتشت في اليوم الاول لبـدء العملية ثلاثة احياء، وواصلت عمليات التفتيش حتى يوم ٣ ايار ، وبذلك تكـون هذه العمليـة قد استغرقت حوالي ٢٢ يوما ، تعمدت السلطـة أثناءها ان تعلن بين وقت وآخر انها عثرت علـى كميات كبيرة من الاسلحة في مخابىء سرية ، كما تعمدت ان تعلن بين حين وآخر انباء تتعلق بقانون العفو لتؤثر على معنويات الجماهير وتدفعها لتسليم ما لديها من سلاح فردي . ففي ١٠ نيسان أعلن ان الحكومة « انتهت من اعداد قانون عفو عام وان هذا القانون سيصدر فور اخلاء مدينة عمان من السلاح والمسلحين تماما » . وفي ٣٠ نيسان اعلن « ان اللجنة القانونية في مجلس النواب قد اقرت قانون العفو » . ثم إختفت أخبار هذا القانون لان جولة جديدة من التوتر قد بدأت ، فبعد أن غطت المواقف الهادئة على حملة اربد ، وعلى عمليات الانسحاب والتفتيش ، اصبح الوقت مناسبـا للضغط على المقاومة من جديد حسب التكتيك المتبع باستمرار . وفيما يتعلق بعمان ، كانت الحجـة الاردنية دائما اثناء المفاوضات مع اللجنة العربية

والمقاومة ، تركز على موضوع الامن ، وعلى مسؤولية النظام الاردني في تولي هذا الموضوع. وان بقاء السلاح في عمان يعرقل هذه المهمة ، وعندما سحب السلاح من عمان ، وبدأ النظام يفكر بشن حملة جديدة ابتدع حجة واهية لذلك . ففي ٣٠ نيسان اعلن ابو أياد في عمان ان الاردن طلب خروج الفدائيين من دبين (جبال عجلون) لانها منطقة سياحية ووجودهم هناك يؤثر على مورد اقتصادي هام . وذكر ابو اياد ان حركة المقاومة رفضت هذا الطلب ، وبقي الموقف معلقا مدة اسبوعين ، حتى انفجر فجأة في ١٦ ايار حين قام وزير الخارجية باستدعاء السفراء العرب وأبلغهم رسالة طلب منهم نقلها الى حكوماتهم . تقول الرسالة ان الفدائيين وفتح بالذات يهيئون من حدود سوريا مخططا لاسقاط النظام يشمل ضرب المؤسسات الاقتصادية واغتيال المسؤولين . ومن المؤكد ان هذا الموقف الاردني وثيق الصلة بمواقف الادانة العربية ، التي صدرت في اكثر من مناسبة، فكان بمثابة رمي للكرة الى الجانب الاخر . وبهذا الموقف ايضا انتهت اسطورة التعاون مع العمل الفدائي « الشريف » ، وأصبحت فتح مثل غيرها مستهدفة ليس عسكريا فقط بل واعلاميا ايضا . وقد استمرت تفاعلات هذا الموقف فترة من الزمن حتى صباح ٣٠ ايار حيث تجددت الاشتباكات في منطقة جرش وعجلون اي في منطقة التواجد العلني الرئيسي للفدائيين . وتشمل هذه المنطقة قرية دبين التي تعتبرها السلطة منطقة سياحية يجب اخلاؤها لاسباب اقتصادية . وتعليقا على تجدد الاشتباكات قال كمال ناصر الناطق الرسمي للجنة المركزية (بعد ان عاد عن استقالته في ٤ ايار) « ان هذه بداية مجزرة جديدة ، والثورة مصممة على الدفاع عن نفسها » . وفي ٣١ ايار حدثت خمسة انفجارات في يوم واحد ولكنها كانت متباينة الغايات : ١ — انفجاران في مصنع الفوسفات في الرصيفة . ٢ — قنبلة في منزل موظف من موظفي الاستخبارات ، يقابلها : ١ — نسف نصب الفدائي المجهول في الوحدات . ٢ — نسف نصب الفدائي المجهول في سوق الخضر ، اعلنت السلطة على أثرهما أنها هي التي قامت بنسف النصبين لانهما كما تقول رمز للفرقة الوطنية. وقد كان رد الفعل الجماهيري على ذلك حادا وسريعا . ففي الوحدات اشتبكت الجماهير العزلاء مع رجال الجيش بالحجارة وسقط من سكان المخيم ١٢ جريحا .

وبعد اجتماع بين رئيس الوزراء ووفد من المقاومة، أعلن احد المسؤولين « ان الحوار بين المقاومة والنظام قد انقطع » . وردت الحكومة باتهام الفدائيين بالعمل لاسقاط النظام واقامة دولة فلسطينية تمهد لها حكومة تعلن في المنفى . واعتبر الفدائيون هذه التهم تبريرا للمجزرة ، ومهما كانت التوقعات بعد ذلك عما سيجري ، فان هذا النوع من التهم المتبادلة يشكل موضوعيا اقتراب مرحلة الانتقال من حدودها النهائية .

٢ — الموقف العربي من احداث الاردن : رافق حالة التوتر في الاردن ردود فعل عربية متعددة شكلت بمجموعها ادانة للنظام الاردني ، ومن ابرزها : اولا ، تحرك ليبي سريع فور بدء حملة اربد حيث دعا العقيد معمر القذافي الجيش الاردني للعمل على اسقاط النظام ، معلنا تأييده لكل حركة تحرير في الاردن تباشر العمل ضد النظام . (٢٨ اذار) . وقد ردت الحكومة الاردنية على هذا الموقف بحملة اعلامية عنيفة . ثانيا ، وفي نفس اليوم أعلن الرئيس انور السادات من الخرطوم دهشته لما يجري في الاردن قائلا « ان حساب الشعب سوف يكون عسيرا » وفي اليوم التالي (٢٩ اذار) أمر السادات باعادة فتح اذاعة العاصفة التي كانت تبث من القاهرة واغلقت بعد الاعلان عن مبادرة روجرز . ثم وجهت المتحدة دعوة لعقد اجتماع يحضره ممثلو الملوك والرؤساء لبحث « أزمة العمل الفدائي في الاردن » . (٣١ اذار) . ورد الاردن على ذلك بطلب عقد مؤتمر للقمة « لتحقيق اجماع عربي على مستقبل القضية الفلسطينية ، في ضوء معلومات عن تبني بعض الدول الكبرى لمشروع دولة فلسطينية » . وأعلن الاردن ان دولا عربية وافقت على هذا المشروع واقترحت على يارينغ اجراء اتصالات مع الفلسطينيين . وازاء هاتين الدعوتين بدأت المواقف تتشابك ، اذ برزت اربعة مواقف عربية تعمل في وقت واحد ، دون ان يظهر على السطح انها تتناقض مع بعضها بعضا .

فمن جهة اولى بدأت بعض الحكومات العربية تعلن استجابتها لدعوة القاهرة بعقد مؤتمر لممثلي الملوك والرؤساء . فحتى ٣ نيسان كانت تسع دول قد وافقت على هذه الدعوة هي (مصر — السودان — ليبيا — تونس — المغرب — سوريا — لبنان — الكويت — اليمن الديمقراطية) . ومن جهة ثانية بدأت حكومات عربية اخرى تعلن موافقتها على

عقد مؤتمر للقمة حسب دعوة الملك حسين ، مع أنها كانت قد وافقت على دعوة مصر بعقد مؤتمر للممثلين . وهذه الدول هي (لبنان — الكويت — المغرب — ليبيا) والجزائر التي كان لها موقف خاص وهو الاشتراك بمؤتمر الممثلين واعتباره تمهيدا لمؤتمر القمة . وكانت المغرب قد اقترحت يوم ٤ نيسان عقد مؤتمر قمة في الجزائر « لان الاحداث تتطلب معالجة من قبل الملوك والرؤساء انفسهم ». ومن جهة ثالثة قامت الحكومة السورية فجأة بوساطة على مستوى عال ، حيث اوفدت اللواء مصطفى طلاس رئيس الاركان الى عمان (٨ نيسان) . وقد اسفرت وساطة طلاس عن تأليف لجنة سداسية (٢ من السلطة ٢ من اللجنة العربية ٢ من الفدائيين) تضع الاجراءات اللازمة لوضع اتفاقي القاهرة وعمان موضع التنفيذ . ومن جهة رابعة قررت بعض الدول (الكويت والسعودية) ارسال بعثات الى عمان وبعض الدول العربية لتنقية الاجواء في عمان .

ازاء هذه المواقف الاربعة ماذا جرى عمليا ؟ عقد فقط مؤتمر الممثلين في القاهرة من ١٠ — ١٥ نيسان بحضور وفود من تسع دول ، وارسل المؤتمر منذ جلسته الاولى برقية الى كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات ، طالبا منهما وقف الاشتباكات فورا . وتقدم العميد حلمي رئيس اللجنة العسكرية (الذي كانت القاهرة قد سحبته وانهت مهمته منذ ٢٤ اذار) تقريرا الى المؤتمر ، ثم تلاه تقرير للباهي الادغم الذي اعلن بعد ذلك في مؤتمر صحفي تجميد مهمته « لان هناك مخططا جديدا تتبعه السلطة للقضاء على حركة المقاومة على مراحل ، ولكنه سيفشل كما فشل مخطط ايلول » . وكان الباهي الادغم قد قال في تقريره الى مؤتمر الممثلين ان الاردن غير راغب بوجود اللجنة العربية. وبهذا تكون اللجنة العربية قد انتهت رسميا ، بعد أن انتهت عمليا منذ فترة اطول .

في مواجهة مؤتمر الممثلين واجه الموقف الفلسطيني احراجا خاصا . وسبب هذا الاحراج ان حركة المقاومة كانت قد وافقت على الوساطة السورية ، ووافقت ايضا على اللجنة السداسية التي انبثقت عنها . وكان هذا يعني ضمنيا استبدال اللجنة العربية باللجنة السداسية التي كانت حتى ذلك الوقت قائمة من الناحية الرسمية . وقد انتهى هذا الاحراج ، بعد اجتماع عقد في دمشق بين رئيس الاركان السوري اللواء طلاس ووفد من المقاومة ، أعلن فيه الجانب السوري أنه يعتبر وساطته تكميلا للموقف العربي وليس شيئا منفصلا عنه ، ولذلك فهو يضع نتائج هذه الوساطة في خدمة مؤتمر القاهرة . وبناء على ذلك قررت المقاومة ارسال وفد خاص بها الى المؤتمر . وقال مصدر من اللجنة المركزية عقب ذلك ، ان المقاومة لن تسمي مندوبيها في اللجنة السياسية الا اذا وافق عليها مؤتمر الممثلين في القاهرة (١٢ نيسان) . وقد انتهى المؤتمر دون اتخاذ قرار خاص بشأن اللجنة السداسية ، واصدر بيانا عاما طالب فيه الاردن بوقف جميع العمليات العسكرية ضد المقاومة الفلسطينية، مؤكدا ضرورة الالتزام باتفاق القاهرة. وردت الحكومة الاردنية باذاعة انتقادات شديدة اللهجة ضد بيان مؤتمر الممثلين ، وبشن حملة عنيفة ضد الباهي الادغم اتهمته فيها بالتواطؤ واستغلال مهمته .

وقد حاول الاردن ان يرد على هذه المواقف العربية التي تدينه بنشاط سياسي مضاد . كان له هدف اساسي هو استعادة الدعم المالي من الكويت وليبيا الذي توقف منذ معركة ايلول ١٩٧٠ . وتنفيذا لذلك أعلن الاردن منذ ٢٠ اذار ان وفودا اردنية ستقوم بجولة في الدول العربية لشرح الموقف الاردني من بعض القضايا الراهنة. وفي ٢٢ نيسان حذر وصفي التل مما أسماه « التآمر المالي » على الاردن ، قائلا ان ذلك يؤثر على صمود الاردن العسكري . وفي الخامس والعشرين من ايار طلب الاردن من الكويت رسميا اعادة النظر في قرار تجميد المعونة، التي توقفت اثناء معركة ايلول ، ثم استمرت فترة شهر واحد بعد توقيع اتفاق القاهرة ، ولكنها عادت وتوقفت مرة اخرى بتوصية من مجلس الامة الكويتي ، ولا زالت متوقفة حتى الان . ومن المتوقع ان يبذل الاردن محاولات دؤوبة لاستعادة هذه المعونة من الكويت . أما بالنسبة لليبيا فان العلاقات بينهما سيئة الى حد لا يسمح بالعودة لطلبها .

٣ — المجلس الوطني الفلسطيني : مع انتهاء المجلس الوطني الفلسطيني الثامن في القاهرة ، كانت أمام اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قضيتان اساسيتان : الاولى تنفيذ قرارات توحيد القيادات العسكرية والاعلامية ، والثانية اعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني . وحددت لذلك فترة زمنية محددة لا تزيد عن ثلاثة اشهر أي حتى نهاية شهر حزيران ١٩٧١ . وقد كلفت اللجنة التنفيذية

باداء هاتين المهمتين في ظل جو نقدي لكونها لم تمارس صلاحياتها كاملة خلال المرحلة السابقة ، تاركة هذه الصلاحيات للجنة المركزية وامانة السر المنبثقة عنها . ومع ذلك فان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لم تعقد طوال هذه الفترة غير اجتماعين اثنين . اقرت في الاجتماع الاول تشكيل قيادة عسكرية واحدة . وتشكيل لجنة عسكرية لبحث شؤون التوحيد العسكري ، وتشكيل مكتب اعلامي موحد لم يمارس صلاحياته ابدا . وفي الاجتماع الثاني شكلت اللجنة التنفيذية لجنة من خمسة اشخاص مهمتها الاتصال بكافة المنظمات والقوى الفلسطينية ، والاطلاع على آرائها ومواقفها والخروج من كل ذلك باقتراحات حول الاسس التي سيشكل المجلس الوطني الجديد على اساسها . ويمكن القول بأن ثلاثة تيارات تقليدية تتجاذب هذا الحوار . يقول التيار الاول بتشكيل المجلس بأغلبية من المنظمات الفدائية التي لا زالت قائمة وتمارس دورا نضاليا ، ويقول التيار الثاني بتشكيل المجلس بأغلبية مستقلة على ان تمثل المنظمات بشكل رمزي . اما التيار الثالث فيدعو الى اعتماد المنظمات الجماهيرية الفلسطينية (النقابات والاتحادات) بصفتها اقرب المؤسسات للتمثيل الديمقراطي ، كأساس . ومن الواضح ان استمرار النقاش ضمن هذه المواقف الثلاثة ليس الا دورانا في حلقة مفرغة . فالمسالة الاساسية ليست الشكل التنظيمي للمجلس ، بل القضايا السياسية الراهنة التي بالاتفاق عليها ، تعود المسألة التنظيمية لتأخذ حجمها الطبيعي متقهقرة نحو المرتبة الثانية من الاهمية . وفي الاجتماع الاخير للجنة المركزية بدمشق (٨ حزيران) اتفق على تشكيل المجلس حسب النسب التالية : ٨٥ من المنظمات ، ٤١ من اصحاب الكفاءات ، ٢٥ من الاتحادات والنقابات . وسيتركز العمل الان على نقطتين ١ — تحديد نسب ممثلي المنظمات — ٢ — تسمية الاعضاء ، ليتوفر انعقاد المجلس في نهاية شهر حزيران حسب القرار المتخذ سابقا .

وفي الوقت الذي تعكف فيه دوائر منظمة التحرير على البحث في قضايا تشكيل المجلس الوطني ، فان مسالة اخرى استقطبت الاهتمام في الاسابيع الماضية هي مسألة الجبهة الوطنية الاردنية (التي لا تسمح الظروف الان بالحديث عنها) . وما يمكن قوله الان ينحصر في نقطتين : اقدام جريدة فتح وللمرة الاولى على الحديث علنا عن ضرورة هذا الموضوع . وصدور بيان في مناسبة ١٥ ايار نشرته جريدة فتح ايضا وكان موقعا باسم « اللجنة التحضيرية للجبهة الوطنية الاردنية » ، وتشير هاتان النقطتان الى ان خطوة اساسية قد قطعت نحو الامام ، لان نشر تعليقات تؤيد هذه الفكرة في جريدة فتح ، يعني زوال عقبة اساسية في الحوار الدائر . ان اهمية هذا الموضوع انه يشكل نقطة مركزية في الحوار الفلسطيني الداخلي حول طبيعة العلاقة مع النظام الاردني ، وحول اسلوب المواجهة لتحديات النظام ، من شأنه اذا تم ان يدخل تغييرا نوعيا على طبيعة العمل الوطني الفلسطيني في الاردن .

٤ — **العلاقات الداخلية** : نشبت في الفترة السابقة خلافات بين بعض المنظمات الفدائية ، عكست جوا غير صحي ، لا بسبب وجود الخلافات نفسها ، فالخلافات احيانا تكون ظاهرة صحية تماما ، ولكن بسبب نوع القضايا المطروحة للتداول في هذا الحوار ، والتي يمكن ان تحل بسرعة لو وضعت في حجمها الطبيعي ولم تضخم بشكل مقصود ، خاصة وان هناك قضايا أساسية مطروحة حاليا في أوساط المقاومة وتستحق ان يدور حولها جدل علني طويل .

موضوع الخلاف الاول كان موضوع الوفد الفلسطيني الذي زار الصين الشعبية للاشتراك في اسبوع فلسطين الذي بدأ يوم ٣ ايار فقد تشكل هذا الوفد من منظمات اللجنة التنفيذية الثلاث (فتح — الصاعقة — الديمقراطية). وكتبت الهدف الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بصدد ذلك تقول « سلكت بعض العناصر القيادية في منظمة التحرير سلوكا غريبا يثير الدهشة والتساؤل حين استثنت الجبهة الشعبية من الوفد الذي لبى دعوة الصين الشعبية ... بالرغم من أن الدعوة موجهة اصلا بواسطة منظمة التحرير الى اربع تنظيمات بينها على وجه التحديد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » . واذا اخذنا اعتراض الجبهة الشعبية من زاوية النتائج فان الوفد الفلسطيني عاد بموقف يستفيد منه الجميع بما فيه الجبهة الشعبية نفسها ، اذ أن مساعدات الصين الشعبية ستكون من الان وصاعدا باسم منظمة التحرير ولصالح كافة المنظمات المتحالفة بداخلها . لان الوفد كان حريصا في محادثاته على الوصول الى مثل هذه النتيجة .

موضوع الخلاف الثاني كان موضوع اسر الشهداء

وكتبت حوله الهدف مقالا في العدد ١٠٠ — ١٥ ايار ١٩٧١ — بعنوان « من الذي يخرب الوحدة الوطنية ... محاولات لمحاصرة الجبهة الشعبية وخنقها بمنع مساعدتها وتجويع اسر الشهداء والاسرى » وشاركت في هذه الحملة ايضا الجبهة الشعبية — القيادة العامة — فنشرت على عددين متواليين (٣٥٠—٣٥١) قائمتين بأسماء ٢٦ شهيدا قالت ان المساعدات لم تصل الى عائلاتهم . وقد ردت جريدة فتح على ما كتبته الجبهة الشعبية في عددها الصادر بتاريخ ٧١/٥/١٨ مؤكدة ان جمعية رعاية اسر الشهداء مستمرة بالدفع لكافة عائلات الشهداء وانها تملك ارقام الايصالات وتواريخ الدفع .

موضوع الخلاف الثالث برز حين كتبت الهدف مقالا يناقش افكار احد الاتجاهات في الاممية الرابعة (اتجاه بوسادس) وقالت اثناء المناقشة ما يفيد بأن الجبهة الديمقراطية قد اعلنت اثناء معركة ايلول بأنها « حررت اربد واقامت فيها مجالس شعبية سوفياتية » — العدد ٩٦ — وقد ردت الجبهة الديمقراطية موضحة ان قصة سوفيات اربد المزعومة لم تطلقها الجبهة الديمقراطية ولم تستعملها في أي بيان او منشور او كراس ، ولا حتى في أي خبر وزعته . وان المسؤول عن اطلاقها واستعمالها بالحصر والتحديد هو السيد (لورن جنكينز) مراسل مجلة نيوزويك الامريكية الذي نسب التسمية الى تعليق عرضي ادلى به « احد قادة المقاتلين » دون تحديد هويته الحزبية (الحرية — العدد ٥٦٠) .

٥ — **العمل العسكري** : لم يتضمن الشهران الماضيان على صعيد العمل العسكري ، (بالاعتماد على ما تنقله وكالات الانباء فقط) احداثا بارزة بشكل خاص . فقد ساد خلال هذه الفترة نفس الوضع الذي كان سائدا في الاشهر السابقة ، اي استمرار الوضع المتوتر في غزة . وانجاز عدد لا بأس به من العمليات في الجليل الاعلى والجولان . واستمر توقف هذا النشاط تقريبا في منطقة الاغوار والضفة الغربية بسبب الوضع العصيب القائم في الاردن . ويمكن تلخيص ما نشر حول العمليات العسكرية بما يلي : ١ — **غزة** : قام الفدائيون بعشر عمليات عسكرية ضد القوات الاسرائيلية ، وسقط نتيجة لارهاب القوات الاسرائيلية ٨ قتلى و٢١ جريحا . وجرح من الجنود الاسرائيليين ٥ جنود . وقامت اسرائيل بنسف ٣ منازل وحكمت على فدائيين بالسجن الاول ٢٠ سنة والثاني ١٠ سنوات . وعثر على ٥ من العرب قتلى بظروف غامضة واصيب اثنان اخران من العرب بجراح ، ويعتقد ان هذه الحوادث هي من تدبير الفدائيين ضد الذين يتعاملون مع العدو . ٢ — **لبنان** : قام الفدائيون بتسع عمليات عسكرية، قتل فيها ١٠ من الفدائيين ، وجرح من الاسرائيليين ١٧ جنديا . وردت اسرائيل على هذه العمليات بثلاثة اعتداءات على الاراضي اللبنانية نسفت اثناءها ١٣ منزلا . ٣ — **الجولان** : قام الفدائيون بالجولان بـ ٥ عمليات عسكرية قتل فيها ٤ من الفدائيين واسر اثنان . ٤ — **الضفة الغربية** : قام الفدائيون بأربع عمليات عسكرية . ونسفت السلطات الاسرائيلية منزلين. وقتل نتيجة العمليات ٤ ضباط اسرائيليين بينهم ضابط برتبة كولونيل ، وجرح ٤ جنود . ٥ — **الاغوار** : لا شيء . ٦ — **داخل اسرائيل** : قام الفدائيون بأربع عمليات نسف في مدينة تل ابيب وفي المناطق القريبة منها . وعلى صعيد مقاومة نشاط الفدائيين قامت اسرائيل باعتقال ١٩ شخصا بينهم خمسة اجانب قيل أنهم ينتمون للجبهة الشعبية . ومن الخمسة فتاتان مغربيتان تحملان الجنسية الفرنسية . ومن المعتقلين ايضا رئيس رابطة الطلبة العرب في الجامعة العبرية الذي وجهت اليه تهمة ترؤس خلية فدائية . و١٣ طالبا عربيا يشكلون منظمة بأسم « العصابة البيضاء » وجهت لهم تهمة توزيع منشورات معادية وارسال رسائل تهديد . وفي نفس الفترة قامت اسرائيل باصدار احكام على ١٩ شخصا (١١ مؤبد و٨ من ١٠ — ٣٠ سنة).

ب٠ ح٠

(٢) القضية الفلسطينية عربياً

١ ـ الاردن وحركة المقاومة : بـدأت السلطـة في الاردن ، اواخر شهر اذار ، المرحلة الجديدة من عملياتها لتصفية حركة المقاومة . ولقد اختارت السلطة هدفين عسكريين وهدفا سياسيا . أمـا الهدف العسكري الاول فقد كان السيطرة علـى مدينة اربد ، عاصمة الشمال ، وعنق الزجـاجة في عملية الاتصال بين قواعد المقاومة في الداخل وقواعدها في الخارج . وكان وضع اربد ، بعد سقوط جرش والسماح لقوات الجيش بالتمركـز في اربد ، قد أصبح صعبا وحرجا ، اما الهدف الثاني فكان السيطرة على عمان سيطرة كاملة بتجريدها من السلاح . وكان وضع عمان صعبا وحرجا ، لسقوط طرق المواصلات بيد الجيش ، بعد سقوط جرش والرصيفة ، ونتيجـة وجـود مراكز متعددة للجيش داخل المدينة . وكـانت السلطة تعلم أن السيطرة على اربد وعمان تعني السيطرة الكاملة على المدن وطرق المواصلات . أما الهدف الثالث فكان انهاء مهمة اللجنة العربية وبعثة الرقابة العربية التي جاءت الـى الاردن بموجب اتفاق القاهرة ، والتي حاولت ان تكون حكما رياضيا في جو صراع محموم ، فلم تستطع أن تلعب اي دور يستحق الذكر ، غير الدعـوة للصبر والتريث ، وغير جمع الطرفين بعد كـل صدام لمحاولة منع صدامات مقبلة . مع ان السلطة كانت تكسب في كل صدام موقعـا ، وعلى الرغم من فعالية اللجنة واخلاص معظم ضباط البعثـة واتضاح آفاق المؤامرة أمام اعينها ، فانها لـم تستطع ان تحول دون أن تكون واجهة لعبث السلطة من ورائها دورا تآمريا خبيثا . وكانت المرحلـة الجديدة في المخطط التآمري تقتضي ان تنتهي اللجنة والبعثة ، لان لحظة التصفية النهائية قد حانت . وكان ضرب اربد وعمان سينهي مهمة هذه اللجنة ، وسينهي بالتالي اية شهادة عربية وأية رقابة عربية على ما يجري في الاردن .

ولقد استطاع الجيش أن يحتل اربد بعد معركة دامية مع الميليشيا . ولكن سقوط اربد دفع السلطة الى توسيع نطاق الهجوم ضد عمان وضد قواعد المقاومة في الاغوار وجرش وعجلون . ولما عجزت اللجنة العربية عن عمل شيء ، لان السلطة منعتها من التحرك الى اربد ، أعلن رئيس البعثة العميد احمد حلمي احتجاجـه وكشف اساليب السلطة في الاردن . فبادرت القاهرة بعد ذلك الى سحب جميع ضباطها من البعثة (جريدة فتح ٣/٣٠/ ١٩٧١) . وفي هذا اليوم دعا الملك حسين الـى مؤتمر قمة عربي ، في محاولة لكسب الوقت ، ولتركيز اهتمام الدول العربية والجماهير العربية على المؤتمر ، بدلا من ان يركز على مؤامـرة التصفية . ولكن الرئيس السادات لم يوافق على الدعوة الى مؤتمر قمة ، فدعا في اليوم التالي الى اجتماع لممثلي الملوك والرؤساء العرب الذين وقعوا على اتفاق القاهرة (جريدة فتح ١٩٧١/٤/١) . وبدأت في هذا الوقت عمليـة احتجاج واستنكار واسعة ، اشترك فيها بعض الرؤساء العـرب ، وساهمت فيهـا الاحزاب والمنظمـات الشعبيـة والجماهير ، ضد مؤامرة التصفية والاستسلام في الاردن . ولكن النظام استمر في مؤامرته ، فاستمر تطويق عمان وقصفها ، كمـا استمـرت محاصرة القواعد وعمليات المناوشة والاستفزاز ضدهـا . وحاولت السلطة في الاردن ان تعطل اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء حتى تنهي موضوع السيطرة على عمان ، وكانت السلطة تفضل ان تجرد حركـة المقاومة في عمان من السلاح ، لانها بذلك تتجنب مجزرة جديدة ، وتتجنب بالتالي ، عدا الخسائر الكبيرة في الجيش وآلياته ، نقمة الجماهير وسخط الراي العام العربي والعالمي . وبينما كان مقررا أن يجتمع ممثلو الملوك والرؤساء يوم ٤/٤ فان مؤتمرهم لم يبدأ . وفي هذا الوقت قام الملك حسين بعقد اجتماع في قصره للوزراء والاعيان والنواب مهد لـه بحديث عـن القدس بقوله : لا سلام دون القدس . ولكن موضوعه الاساسي كان موضوع الصدام مع حركة المقاومة . وهنا قال الملك بلهجة المتشدد : « اننا لا يمكن ان نساوم على أمن هذا البلد واستقلاله وأمن المواطنين وحياتهم » ، واضاف الملك : « واذا كان هنالك أمل في تسوية الازمة دون اللجوء الى الشدة فلن نتخلى عنه » (النهار ٧١/٤/٤) .

وكانت الاشتباكات في هذا الوقت ما زالت مستمرة ، بينما كانت الحملات الاعلامية العربية مستمـرة على النظام في الاردن ، وكان بعض الرؤساء العرب وبعض المنظمات الشعبية يطالبون بوقف المجزرة .

واتهم الباهي الادغم ، مع استمرار المؤامرة ، الحكومة الاردنية بأنها « كانت دائما تعمل على عرقلة اعمال اللجنة ، وعلى اشعاره بعدم رغبتها في استمرار وجودها في الاردن » . وأضاف « انه من المستحيل في ظل الظروف الحالية ايجاد تفاهم بين الفدائيين والحكومة الاردنية ، ما دامت هذه الاخيرة تصر على عرقلة اي جهد مخلص يبذل لهذه الغاية » . وكان رياض المفلح ، ممثل السلطة الاردنية في اللجنة العربية قد احتج على تقديم الباهي الادغم تقريره لمؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء، على أساس أن التقرير يجب ان تقدمه اللجنة ، وليس الباهي الادغم ، مع العلم بأن ممثل السلطة صرح يوم ٣/٣١ بأن مهمة اللجنة قد انتهت .

وقامت السلطة في هذا الوقت ، وخلال استمرار هجماتها وتهديداتها ، بما يلي : اولا : رفضت الاشتراك في اجتماع ممثلي الملوك والرؤساء ، بحجة أن الدعوة وصلتها متأخرة . ثانيا : قامت بهجوم على الدول العربية عموما واعتبرتها مشتركة في مخطط تآمري لتدمير الاردن، كما اتهمت الجمهورية العربية المتحدة بشن « حملة مغرضة على الاردن » (فتح ١٩٧١/٤/٨) .

وتوجه اللواء طلاس رئيس الاركان السوري يوم ٤/٨ الى عمان للتوسط . وقد جرى الاتفاق في عمان على تشكيل لجنة سداسية ، تتألف من اثنين من ج. ع. س ، واثنين من السلطة الاردنية واثنين من المقاومة ، على أن تحدد هذه اللجنة العلاقات بين السلطة والمقاومة ، وتشرف على تنفيذ الاتفاقيات . تمت هذه الاتفاقية ، ومؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء لم ينعقد بعد . فحاول النظام في الاردن أن يستفيد منها ليحبط مؤتمر القاهرة ، ولينهي اتفاقية القاهرة ، وليحقق اهدافه في السيطرة على عمان ، قبل ان يستطيع ممثلو الملوك والرؤساء عمل شيء . ولقد رفض رئيس ل. م. م. ت. ف. هذه الاتفاقية وطلب ان تقدم لمؤتمر القاهرة ، لتدرس فيه : فيقرها او يرفضها . ثم عقد مؤتمر القاهرة يوم ٤/١٠ . وبعد أن كانت الاصوات تردد بأن المؤتمر سيدين الذين خرجوا عن اتفاقية القاهرة ، اخذت بعض الاصوات تقول بأن المؤتمر لا يستهدف احدا ، وحين انتهى المؤتمر اكتفى بمناشدة الطرفين وقف نزيف الدم .

واستطاعت السلطة ، باحباط مؤتمر ممثلي الملوك والرؤساء واحباط مهمة اللواء طلاس، وبجو الترويع والتهويل الذي خلقته في عمان ، ان تحصل على تجريد عمان من السلاح بلا معركة . وحين خرجت ارتال الميليشيا والاعداد القليلة من الفدائيين دخل الجيش محتلا ومروعا ، وتنفست السلطة الصعداء ، ولم يستطع رؤوس النظام الا ان يعبروا عن فرحتهم . فالسلطة تعرف اهمية عمان وأهمية السيطرة على عمان . وهي تعرف ان الذي يسيطر على عمان يستطيع السيطرة على الاردن . ثم أن عمان هي مركز الدولة ومركز النشاط الاقتصادي والتجاري ، والذي يشلها يشل الدولة كلها . وها هي عمان نفسها ، القادرة على ايقاع افدح الخسائر في النظام تفتح له ابوابها سلما . فلماذا لا يصرح وصفي التل قائلا : « لقد كانت عمان مفتاح قضية الامن في الاردن وكان اختلال الامن والطمأنينة فيها السبب المباشر والوحيد لكل التشنجات ولكل الاجراءات الاستثنائية الناتجة عنها » (الحياة ٧١/٤/١٤) . وبينما كان وصفي التل يؤكد بأنه « ليس هنالك من حدود لرعاية العمل الفدائي وتأمين الحرية لدعمه وتوفير كل المجالات لنصرته واتجاهه الاتجاه الصحيح... » كان الملك حسين يعلن ان السلطة قد اخضعت الفدائيين وانها تسيطر عليهم سيطرة تامة (الاهرام ٧١/٤/١٨) . ومع هذا كله فان « الارضية الممتازة للتعاون » التي تحدث عنها التل لم تتحقق بتجريد عمان من السلاح ، واستمرت استفزازات السلطة واعتداءاتها ، واستمرت الاشتباكات. ولم يلبث الحسين ان صرح « ان اتفاقيات القاهرة وعمان والاتفاقات المنبثقة عنها كانت عبارة عن مراحل ونقاط على الطريق » (الجريدة ٤/٣٠/ ٧١) .

وما أن جردت عمان من السلاح ، وجرى اول اجتماع بين ممثلي ل.م وممثلي السلطة حتى بادرت السلطة الى المطالبة باخلاء جرش وعجلون لانهما من المناطق السياحية . ثم قامت السلطة بتوزيع مذكرة على الدول العربية تتهم فيها حركة المقاومة بوضع خطة للتخريب والنسف والتدمير في الاردن. ومن الواضح ان هذه المذكرة كانت تستهدف بدء مرحلة جديدة من الهجمات على باقي مراكز المقاومة . ولقد بدأت هذه الهجمات بالفعل وما زالت الاشتباكات مستمرة .

ان النظام في الاردن ما زال مستمرا في هجومه . وهو يستهدف القضاء الشامل والنهائي على حركة المقاومة لا لانه يريد ان يصفي القضية الفلسطينية باستسلام فحسب ، بل لانه حكم يعادي الجماهير

وبطامحها وحريتها ولا يستطيع ان يقبل بوجود جماهير مسلحة . كما انه لا يقبل بوجود مقاومة مسلحة تعمل من أجل التحرير ، لانه يعلم ان وجود مثل هذه القوة كاف لاسقاطه ماديا ومعنويا .وعلى المقاومة ان تعلم أن اسطورة التعايش ، حتى من اجل فلسطين ، غير ممكنة ، وان تتعلم كيف تقاتل على جبهتين ، جبهة العدو الصهيوني ، وجبهة القوى المضادة للثورة .

٢ — **زيارة روجرز** : تأتي اهمية زيارة روجرز بما يلي : اولا : لقد جاءت هذه الزيارة ، بعد ان ضربت قوات المقاومة في مدن الاردن ، او انسحبت منها ، وبعد أن أمنت السلطة سيطرة نسبية في طول الاردن وعرضه . ولولا هذه السيطرة (اخراج السلاح من المدن ، فرض الهدوء بقوة السلاح ، الخ) ، لما استطاع روجرز ان يجيء الى عمان ولكان فشله اشنع من فشل مساعده سيسكو قبل سنة خلت . ثانيا : جاءت هذه الزيارة ، بعد محاولة اوساط عربية معينة ، ان توهمنا بأن تحييد الولايات المتحدة ممكن ، وانه حدث سنة ١٩٥٦ ويمكن ان يحدث مرة اخرى . ثالثا : جاءت هذه الزيارة وهنالك استعداد للبحث في التسويات والتصفيات . ولكن روجرز عندما جاء لم يكن يحمل في جعبته اية مشاريع تتعلق بحل شامل للمشاكل في المنطقة . وعلى الرغم من تأكيده « ان الموقف غير المستقر في الشرق الاوسط قد يؤثر تأثيرا مباشرا على أمن المنطقة وسلامتها»، فانه كان يعلم بأن زيارته لمصر واسرائيل لن تسفر « عن اية نتائج مثيرة » حسب تصريحه (الاهرام ٧١/٥/١) .

ان الولايات المتحدة لا تطرح في هذه المرحلة حلولا شاملة ، ولا تضغط من أجل تنفيذ قرارات مجلس الامن . وما تريده الولايات المتحدة من الدول العربية هو أن تسير هذه الدول على طريق الخضوع . ولقد كان مخططها منذ البدء الا تفصل موضوع النزاع العربي مع دولة الاحتلال الصهيوني عن موضوع السيطرة الامريكية على الوطن العربي. فالولايات المتحدة تريد سلاما في المنطقة ، ولكن السلام الذي تريد هو السلام الذي يضمن لها مواقعها ومصالحها . وما يهدد الولايات المتحدة ، وبالتالي دولة الاحتلال الصهيوني في المنطقة ، هو انتشار القتال وتوسع رقعته ، لان القتال يحرك الجماهير ويكشف العملاء والخونة ، ويضع الجماهير العربية امام اعدائها الحقيقيين . ولهذا فقد أصرت الولايات المتحدة منذ البدء على عدم الضغط على دولة الاحتلال . ثم شرطت الضغط فيما بعد بأمرين : اولهما ايقاف القتال وكل الاعمال العدائية وثانيهما: الاستعداد لقبول حل استسلامي.

ولقد بدأ روجرز عمله باقتراح وقف القتال ، كل اشكال القتال ، في العام الماضي . وكان ان توقف القتال النظامي على قناة السويس ، والتزمت الحكومة الاردنية التي كان جيشها حول عمان والمدن بموقف مماثل على طول نهر الاردن . ولكن المقاومة تحدت القرار ، فكان قرار ان تسحق المقاومة . وضربت المقاومة ضربة ايلول وما تلاها . الجزء الاساسي من مشروع روجرز هو اذن في سبيله الى التحقق التام ، ماذا بقي اذن ؟ ان تصفى المقاومة في الاردن ولبنان وكل مكان . وحتى يتم ذلك ويتم تحويل المنطقة الى منطقة تابعة خاضعة ، تظل الولايات المتحدة تركز ، لا على قرار مجلس الامن وانسحاب قوات الاحتلال من الاراضي المحتلة ، بل على تحويل المنطقة لصالح الدولار . ومن هنا جاءت فكرة فتح قناة السويس. ان فتح القناة هو ليس الانسحاب ولا الحل ، ولكنه خطوة صغيرة يفتح بموجبها هذا الشريان الحيوي للملاحة الدولية ، ويصبح حاجزا بين القوتين المتحاربتين . وهكذا تبقى دولة الاحتلال حيث هي ، ويعزل جيش مصر عن الجيش المحتل بقناة السويس ، الممر المائي المسالم ، المفتوح لكل اعلام العالم حتى علم اسرائيل ، وبسبعماية مليون دولار دخلا سنويا تحققه القناة بعد توسيعها (النهار ٧١/٥/١٢) . ثم تواصل الولايات المتحدة لعبتها ، فتسقط من تسقط وترفع من ترفع ، وتبقى الامور كذلك حتى تجد الحل المناسب لمصالحها ومصالح الاحتلال الصهيوني .

وكان النظام في الاردن يعرف ماذا يريد روجرز ، ولذلك حرص على ان يدخله عمان اولا ، وعلى أن يجعله يلمس ان عمان آمنة مطمئنة ، ثم على أن يدخله حتى الى مخيم الوحدات . لماذا فعل النظام في الاردن هذا كله ؟ لانه آراد ان يثبت لوزير الخارجية الامريكي ان النظام هو السيد الاوحد في البلاد ، وانه حقق ما طلب منه ، وانه قادر على التفاوض ، وهو المفاوض الوحيد .

أما القاهرة فقد حرصت ان تقابل روجرز بقلب مفتوح ، كما يقول الرئيس السادات ، لانها كانت تريد ان تعرف ماذا يريد روجرز . وروجرز لم يكن يعوزه الذكاء ولذلك فقد عرض « عدة حلول

بديلة تدور كلها حول التسوية المؤقتة وصلتهـا بالحل الشامل للازمة ... » (الاهرام ٦/٥/٧١). انه اذن يتحدث عن حل جزئي وحلول بديلة. وامام هذا كله كان لا بد من ان تصر القاهرة على اعتبار فتح قناة السويس والانسحاب الجزئي المقترح ليس « حلا منفصلا ، ولا هو حل جزئي ، انما هـو تحريك اجرائي يرتبط ارتباطا عضويا بالحل الكامل على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن بكل بنوده ، واولها الانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلت بعد الخامس من حزيران » (كما جاء في خطاب الرئيس السادات) . كما ان القاهرة أصرت على رفض « أي حل انتقالي مؤقت » (الاهرام ٧/٥/٧١) .

ولعل هآرتس اصابت كبد الحقيقة عندما قالت (٥/٥/٧١) بأن الامريكيين لم يكونوا يريدون فتح القناة « ولكن ما دام نيكسون لا يعطي الضوء الاخضر لممارسة وسائل الضغط على اسرائيل ، فان الادارة الامريكيـة تتمسـك بفكـرة التسويـة الجزئية ... » . والولايات المتحدة لن تضغط الا اذا حدث التطـور المطلوب في السياسة العربية عموما وسياسة مصر خصوصا . وعليه فـــأن « العودة الى معجزة ٥٧ دون تغيير اساسي ..» غير ممكنة . وهذا التطور المطلوب يتعلق بوضــع المصالح الامريكية في المنطقة ، والمصالح الامريكية « معروفة ، وهي العودة الى تجديد النفـوذ الامريكي في العالم العربي ، وخصوصا مصر » (كما قالت دافار ، ٥/٥/٧١) . وستبقى السياسة الامريكية في انتظار مثل هذه التحولات تنتظر وتناور وتطرح المشاريع والمشاريع البديلة مؤكدة انهـا سيدة الموقف بلا منازع . فاذا ما حصلت التحولات المطلوبة لم تكن الولايات المتحدة بحاجة الى ان تضغط ، لان التسوية ستتم ، وستكون استسلاما كاملا .

٢ ــ اتحاد الجمهوريات العربية : حين اعلن اتحاد الجمهوريات العربية في منتصف نيسان لم يحدث الهزة المتوقعة ، على الرغم من المظاهرات التـي جـرت في بعض الاقطـار العربيـة ، وعلى الرغم مـن برقيـات التأييـد والتبـريك . والسبـب في راينا ناتج عن أن الاتحاد لم يكن وحدة كاملة وفورية ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ناتج عن ان البيان الذي صدر يعلن عن الاتحاد فقـط ، على أن ينجز خلال خطوات معينة ، اهمهـــا الاستفتاء . وربما كان فشل ميثاق نيسان سنة ١٩٦٣بينج.ع.م. وسورية والعراق سببا من اسباب الانتظار والتوقع . الا ان هذا كله لا يغير مـن اهمية الخطوة على الصعيد العربي عمومـا ، وعلى صعيد القضية الفلسطينية خصوصا .فالاتحاد الجديد يشكل ثقلا بشريا وماديا كبيرا . انه مـن الناحية البشرية يضم اربعين مليون انسان ، ومن الناحية المادية يضم امكانيات مصر وسوريا وليبيا . فاذا ما تحقق هذا الاتحاد ، حتى على المستوى الذي تم به ، فانه سيكون مركز ثقـل حاسم في السياسة العربية ، وفي مواجهة العدوان الصهيوني ، والتحديات الامبريالية . ولكن هل يتحقق هذا الاتحاد ؟ ان ذلك مرتبط بعـدد من العوامل الداخلية والخارجية ، وبقدرة الانظمـة الثلاثة على مواجهة التحديات المختلفة المعرقلـة لتحقيق اي اتحاد. ان معركة الاتحاد ليست مفصولة عن معركة فلسطين ، ولذلك فان الصراع فيها لا ينفصل عن هذا الصراع ، ومن يريد ان يجعل من الوحدة اداة للصراع في فلسطين ، فان عليه أن يواجه التآمر الصهيوني ــ الامبريالي كله ، ولن تنظر الامبريالية والصهيونية لاي نوع من الاتحاد الا من خلال هذا المنظور ، حتى لو كانت لها أهداف اخرى . ولهذا فلن تستطيع اية وحدة او اتحاد أن تقف على رجليها دون نضال جماهيري .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

يمكننا تلخيص أهم التطورات الدولية التي طرأت على النزاع العربي الاسرائيلي في الشهرين الاخيرين بالنقاط التالية : ١) وصول مهمة يارينغ الى مأزق مغلق لم يعد الخروج منه ممكنا ضمن المواقف السياسية المعلنة والمحددة لكافة الاطراف المعنية بالنزاع اما بصورة مباشرة او غير مباشرة ، مما جعل الوسيط الدولي يعود الى مقر عمله في الاتحاد السوفياتي . ٢) التدخل المباشر والنشيط للولايات المتحدة في مسألة النزاع وقيامها بدور الوسيط بين ج ع م واسرائيل بحيث حل وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز محل الوسيط الدولي ، هذا بالاضافة الى ما رافق هذه الخطوات من انحسار في الاهمية المعلقة على اجتماعات الدول الاربع الكبرى حول الصراع في الشرق الاوسط. ٣) تحول اقتراح اعادة فتح قناة السويس، على اساس انسحاب اسرائيلي جزئي من ضفة القناة ، الى قضية رئيسية احتلت مكان الصدارة وطغت على المشاورات الثنائية والمناقشات الدولية الجارية حول النزاع وذلك تحت اسم « التسوية المؤقتة للنزاع » . ٤) الزيارة التي قام بها وليم روجرز في القسم الاول من شهر ايار لبعض العواصم العربية واسرائيل . ٥) زيارة الرئيس السوفياتي بودغورني للقاهرة في أواخر شهر ايار وعقد معاهدة صداقة وتعاون بين ج ع م والاتحاد السوفياتي .

وصلت مهمة يارينغ الى مأزقها الحالي على أثر المذكرات التي بعثتها كل من ج ع م واسرائيل في شهر شباط الماضي ردا على التعهدات التي طلبها الوسيط الدولي من الحكومتين بغية الوصول الى تسوية سلمية سريعة للنزاع . وكما هو معروف كان جواب مصر « ايجابيا » بمعنى انها وافقت على التعهدات التي طلبها يارينغ بما في ذلك قبولها عقد معاهدة سلام مع اسرائيل مقابل انسحابها الى الحدود الدولية التي كانت قائمة بين مصر وفلسطين قبل عام ١٩٤٨ . أما الرد الاسرائيلي فقد كان « سلبيا » بمعنى ان الحكومة الاسرائيلية سجلت على نفسها لاول مرة وفي وثيقة دولية الرفض الصريح للانسحاب الى خطوط الهدنة كما كانت قائمة بينها وبين الدول العربية قبل حرب ١٩٦٧ . على اثر ذلك وجد الوسيط الدولي ان مهمته قد دخلت في طريق مسدود . وفي اواخر شهر آذار قرر يارينغ العودة الى مقر عمله في موسكو بانتظار تطورات جديدة تخرج مهمته من مأزقها الحالي .

ويتضح السبب الرئيسي لوصول مشاورات يارينغ الى هذا الوضع اليائس في تصريح ادلى به أبا ايبان حيث قال : « لدي انطباع بأن يارينغ ملتزم أمام الجمهورية العربية المتحدة بأن يحاول الحصول على التزام مسبق من اسرائيل (اي الانسحاب) ولكن عليه ان يعلم انه لن يحصل عليه. » . وفي ٢٣ نيسان أعلن يارينغ تعليق مهمته الى أجل غير مسمى مع التأكيد بأنه مستعد للعودة الى مقر المحادثات في نيويورك عند اول بادرة توحي بأن انفراجا سيطرأ على مسار مساعي التسوية السلمية نتيجة لتحرك الدول الكبرى والولايات المتحدة بصورة خاصة .

من ناحية أخرى وجدت المذكرة الجوابية المصرية « الايجابية » الموجهة الى يارينغ وما تضمنته من موافقة على عقد معاهدة سلام مع اسرائيل استجابة حسنة في اوساط الحكومة الامريكية بالاضافة الى ارتياحها الظاهر للمبادرة التي أطلقها الرئيس السادات في اقتراحه اعادة فتح قناة السويس أمام الملاحة الدولية على أساس انسحاب اسرائيلي جزئي من ضفتها الشرقية. أبدت الاوساط الامريكية النافذة اهتماما بهذه المقترحات العربية كأساس للتسوية واخذت الدبلوماسية الامريكية تبدي نشاطا اكبر عن طريق التدخل المباشر في موضوع التسوية السلمية والقيام بدور الوسيط المستقل عن بقية الدول الكبرى بين ج ع م واسرائيل. وعلى هذا الاساس بدا للجانب العربي الرسمي وكأن تحولا بطيئا اخذ يطرأ على الموقف الامريكي لصالح العمل الاكثر جدية على تطبيق قرار مجلس الامن ووضع مشروع روجرز المعروف موضع التنفيذ الفعلي . ومن أهم العلائم التي اشارت الى هذا التحول ما يلي : أ) التقرير الشامل الذي قدمه الرئيس نيكسون في اواخر شهر شباط الى الكونغرس الامريكي حيث قال بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، ان التسوية السلمية لا يمكن ان تعني الا ادخال تعديلات طفيفة على الحدود العربية الاسرائيلية. بعبارة أخرى تخلى نيكسون عن الموقف الاسرائيلي القائل بضرورة حصول اسرائيل على حدود «يمكن الدفاع عنها» لصالح مشروع روجرز

الداعي لفكرة ادخال « تعديلات طفيفة » فقط على الحدود . كذلك اشار نيكسون في تقريره اشارة سريعة « الـى التطلعـات المشروعة للشعب الفلسطيني »، وهذه اول اشارة من نوعها بالنسبة للمسؤول الامريكي الاول . غير ان نيكسون اكد ايضا لاسرائيل ، في مؤتمر صحافي عقده في اوائل آذار ، بأن امريكا لن تفرض اية تسوية في الشرق الاوسط على الدول المعنية بالنزاع مباشرة ، كما شدد على عزم بلاده المحافظة على ميزان التسلح في المنطقة . ب) في مؤتمر صحفـي عقده وزيـر الخارجية وليم روجرز في ١٦ آذار ١٩٧١ توسع نوعا مـا في شرح الموقف الامريكي المستجد وفي ايضاح الاشارات المقتضبة التي وردت فـي تقرير نيكسون . شدد روجرز علـى قضية الضمانات الدولية للحدود العربية الاسرائيلية كأساس للتسوية السلمية (وهذا اكثر انسجاما مع الموقف العربي الرسمي) وقال بالتحديد ان وجود قوة دولية في النقاط الرئيسية في الشرق الاوسط يمكن ان يكون اكثر أمانا مـن المكاسب الجغرافية التي تسعى اليها اسرائيل . وبين في كلامـه انه اذا توصل الطرفان المتنازعان الى اتفاق سلام شامل فان الكونغرس الامريكي سيوافق حتما على اشتراك امريكا في قوة السلام الدولية التي ستتمركز على الحدود . كما عاد روجرز الى التشديد على نظريته المعروفة حول التعديلات الطفيفة على الحدود . ج) نجد تعبيرا اكثر تطرفا في شرح هذا الاتجاه في التخطيط السياسي الامريكي على لسان تشارلز يوست المندوب الامريكي السابق في الامم المتحدة الذي قال في مقالة له في مجلة « لايف » : « ان موقف اسرائيل الحالي من اتصالات يارينغ بعيد كل البعد عن الواقعية وهو موقف غير مقبول . ان اصرار اسرائيل على الحصول على مكاسب اقليمية، يعني بكل بساطة رفض التسوية السلمية ... ومن العدل والحق والانصاف رفض اية تسوية لا تتفق الا مع مصالح اسرائيل . على حكومة تل ابيب ان تستفيد من الفرصة المدهشة التي تسنح لايجـاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، فهذه الفرصة هي بدون شك مؤقتة » . واشار يوست الـى المحادثات الرباعية حـول الشرق الاوسط التي اشترك فيها عندما كان رئيسا للوفد الامريكي في الامم المتحدة فقـال : « ان الجمهورية العربية المتحدة والاردن اكدا استعدادهما للاعتراف بحق جميع دول المنطقة في العيش ، ولتوقيع معاهدة سلام ، كما اكدا ان اراضيهما لن تستخدم لشن هجوم علـى اسرائيل ، وانهما سيفتحـان قناة السويس ومضائق تيران امام الملاحة الدولية بما في ذلك مرور سفن اسرائيل ... فما تريد اسرائيل اكثر من ذلك ؟ اوليس ما يعرض عليها اليوم ، هو ما كانت تطالب به منذ ١٨ سنة ؟ وما بالها ترفض ما كانت تطالب بـه ؟ ان اصرار اسرائيل على الحصول على مكاسب اقليمية كبيرة ، يعني بكل بساطة رفض تسوية سلمية تقوم على الاساس الوحيد الممكن ، كما انـه يعني خداع الشعب الاسرائيلي بشأن ما هو ممكن وما هو غير ممكن ».

وعاد يوست الى تأكيد الاشارات التي وردت في كلام الرئيس نيكسون ووزير خارجيته روجرز حول كون الاتفاقية بين الاسرائيليـين والعرب ، التي تضمنها الامم المتحدة والدول الاربع الكبرى ، اكثر امنا مما يمكن أن يوفره اي ضم لاراض عربية ، مهما كانت هذه العملية مغرية لاسرائيل . هنا يجب ان نفهم بوضوح حدود الموقف الامريكي المستجد والذي يبدو حاليا والى حد ما اكثر ميلا الى التفسير العربي لمعنى تصفية آثار العدوان مما كان عليه في السابق . مـن خصائص السياسة الامريكية الاستعمارية طبيعتها البراجماتيـة على مستوى التطبيق . وهذا يعني الاعتماد على القوة المتفوقة في ضبط مجرى الاحداث وفقـا للحاجات الآنيـة والمباشرة ، مع محاولة الخروج من المآزق بأفضل السبل المتوفرة آنيا وأقربها منالا بما يتناسب مع المصالح الامريكية العالمية الراهنة . لذلك تعمل السياسة الامريكية على اساس ابقاء النزاع العربي الاسرائيلي في حالة مائعة ورجراجة وبدون أي حسم الى ان تتحقق تدريجيـا المطالب الاستعماريـة الاسرائيلية شريطة بقاء ميزان القوى العام كما هو، اي لصالح الامبريالية، وبقاء مجرى الاحداث العام تحت سيطرتها بحيث لا يتطور باتجاه يهدد المصالح الامبريالية الحيوية في الوطن العربي . ان النشاط الامريكي الجديد الذي اشرنا اليه وضربنا بعض الامثلة عن تجلياته هو جزء من براجماتية السياسة الامريكية الاستعماريـة التي تميل الى معالجة الازمات المحدودة مع نشوئها وعلى علاتها وعـن طريق التدخل المباشر في المجرى العفوي للاحداث بغية السيطرة عليه والتأثير على نتائجه بما يضمن المصالح الامريكية على افضل وجه ممكن ، لكن بدون تبديل هذا المجرى بصورة جذرية طالما انه لا يسير باتجاه مضاد تماما للمصالح الامريكية . يأخذ

هذا الاسلوب في معالجة النزاع العربي الاسرائيلي صورة الهيمنة الامريكية البعيدة والعامة على الازمة لضمان نتائجها النهائية ومنعها من التفاقم والانفجار مع رفض التدخل في تفصيلاتها وترك احداثها تتفاعل على سجيتها باعتبارها تعمل ، على كل حال ، لصالح الطرف الاقوى الذي يفرض الاحتلال براحة نسبية .

ويعكس هذا الاسلوبنفسه على صعيد الدبلوماسية العلنية على صورة موقف أمريكي متوازن شكلا بين الطرفين المتنازعين ومترفع صوريا عن الانغماس في جزئيات الصراع . وينبغي ان يكون واضحا ان التوازن الذي نجده في نصوص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ هو من هذا النوع الشكلي تماما . وقد تبين اخيرا من تصريحات جديدة لغولدبرغ (ممثل الولايات المتحدة في هيئة الامم عام ١٩٦٧) ان الوفد الامريكي كان في الحقيقة وبصورة رئيسية خلف صياغة قرار مجلس الامن على النحو المعروف وليس الدبلوماسية البريطانية . وفي أواخر شهر آذار لخص وليم روجرز هذا الموقف الامريكي «المتوازن» و« المترفع » من النزاع العربي الاسرائيلي بالكلمات التالية : « اننا مرتبطون بعلاقات ودية مع العرب والاسرائيليين . فدعوتنا الى انسحاب اسرائيلي كما جرى تصور ذلك في قرار مجلس الامن دون تحقيق اتفاق حول سلام سيكون تحيزا للعرب . ودعوتنا العرب لقبول سلام دون انسحاب اسرائيلي سيكون تحيزا لاسرائيل . لذلك فسياستنا هي تشجيع العرب على قبول سلام دائم يرتكز على اتفاقية ملزمة ، وحث الاسرائيليين على الانسحاب من اراض محتلة عندما تضمن سيادتهم الاقليمية حسبما جرى تصور ذلك بقرار مجلس الامن » . (تقرير روجرز الى الكونغرس حول السياسة الخارجية الامريكية) .

وانسجاما مع هذا الاسلوب « المتوازن » وفي مقابل المبادرات الامريكية « الايجابية » التي لاحظناها (تجاوبا مع التنازلات العربية الرسمية) اكد روجرز لاسرائيل ، في تقريره المذكور ، تمسك بلاده بمبدأ عدم فرض اية تسوية في الشرق الاوسط « لان التسوية المتفق عليها بين الاطراف المعنية وليس التسوية المفروضة هي السبيل لاحلال السلام » ، على حد قوله. كذلك عبر التقرير عن اعجاب حكومة الولايات المتحدة بمقدرة نظام الملك حسين على البقاء في وجه « تحديات الفدائيين وغيرها من المصاعب » . وفي اجتماع مغلق (لا سابقة له) عقده روجرز مع مجلس الشيوخ الامريكي بغية تطمينهم حول اتجاهات السياسة الامريكية في منطقتنا ، بيّن لهم ان حكومته لا تسعى الى فرض اية تسوية على اسرائيل او اجبارها على الانسحاب من الاراضي المحتلة قبل اجراء مفاوضات مع العرب . وصرح الشيخ جاكوب جافيتس ، المشهور بولائه التام للصهيونية واسرائيل، انه اصبح يشعر بارتياح اكبر بالنسبة لموقف حكومته بعد هذا الاجتماع . ويبدو واضحا ان من الاهداف الحالية للتحرك الامريكي من جهة والتصلب الاسرائيلي من جهة اخرى جر مصر الى مائدة المفاوضات المباشرة وانتزاع تنازل مهم آخر منها باستخدام اساليب الترغيب والترهيب المعروفة باسم سياسة «التوازن» الامريكية . وبهذا الصدد كان الرئيس نيكسون قد أبلغ زالمان شازار (رئيس اسرائيل) اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ان واشنطن لن تمارس اي ضغط على الحكومة الاسرائيلية لارغامها على تغيير سياستها ، كما انها لن تفرض على تل ابيب ايا من افكارها وستترك لاسرائيل حرية اتباع السياسة التي تريدها وفقا لمصالحها وبدون التدخل في طبيعة المحادثات التي تنوي اجراءها مع العرب . (اي سياسة التصلب والتعنت الى ان تقبل مصر بالجلوس الى مائدة المفاوضات) .

ومن الاسباب الاخرى التي جعلت الدبلوماسية الامريكية تتحرك على هذا النحو وتعلن مثل هذه المواقف « المتوازنة » شكليا الضغط الذي تمارسه الدول الاوروبية الرئيسية على امريكا من أجل تحريك قضية التسوية السلمية واخراجها من مأزقها الراهن ، بسبب المصاعب البترولية المتراكمة من جراء استمرار اغلاق قناة السويس . وقد وجدت هذه الدول فرصة جديدة للتكتل حول مشروع « التسوية الجزئية المؤقتة » القائمة على اعادة فتح قناة السويس . هذا بالاضافة الى ضغط الاتحاد السوفياتي والدول البترولية العربية التي تستسيغ تذكير امريكا بأهمية مصالحها الحيوية في البلاد العربية . يضاف الى ذلك ان الجمهورية العربية المتحدة قد استفادت من استمرار فترة وقف اطلاق النار في تدعيم جبهتها الدفاعية والتقدم على طريق المزيد من تسليح قواتها وتدريبها ، كما ان الاتحاد السوفياتي مستمر في توطيد مواقعه في مصر في ظل استمرار الوضع المتوتر على حاله ، وهذه أمور تدركها امريكا جيدا وخاصة فيما يتعلق

بتوازن القوى في منطقة البحر الابيض المتوسط حيث تتعرض السيطرة العسكرية الغربية الكاملة في السابق الى تدهور مستمر ومنافسة شديدة من قبل الاتحاد السوفياتي . وقد عبر المسؤولون من شؤون الحلف الاطلسي اكثر من مرة عن قلقهم الشديد ازاء هذا الوضع . بطبيعة الحال جاء هذا التحرك الامريكي بصورة مستقلة عن بقية الدول الاربع الكبرى وخارج نطاق هيئة الامم وأجهزتها وكأن الهدف من ذلك تأكيد كون امريكا وحدها القادرة على ايجاد الحل المناسب للنزاع واخراج مهمة يارينغ من مأزقها الحالي .

بدأت الولايات المتحدة تلعب دور الوسيط النشيط بين ج ع م واسرائيل عندما طلبت الحكومة الامريكية من اسرائيل ان تدرس بجدية قضية الانسحاب الجزئي لقواتها من ضفة قناة السويس في مقابل تعهد مصر بالاستمرار في وقف اطلاق النار لاشهر عدة وذلك تمهيدا لفتح الممر المائي للملاحة الدولية بما فيها السفن الاسرائيلية . منذ ذلك الحين تركز النشاط الامريكي على موضوع اعادة فتح قناة السويس . وفي النصف الثاني من شهر نيسان قام نيكسون بابلاغ الرئيس السادات ان اسرائيل تدرس حاليا مقترحات معينة حول اعادة فتح القناة . بعد ان ابلغت اسرائيل وجهة نظرها في الموضوع الى الحكومة الامريكية اعلن ناطق باسم وزارة الخارجية ان المقترحات المطروحة تشكل قاعدة لمفاوضات جديدة حول ترتيبات مؤقتة بشأن اعادة فتح قناة السويس ، شرط الا تقوم القوات المصرية بالعبور لتحل محل قوات الاحتلال المنسحبة. بعد ذلك أعلن ان روجرز سيقوم بزيارة لاسرائيل وعدد من العواصم العربية وعلى رأسها القاهرة حيث سيحمل معه الاقتراحات والشروط الاسرائيلية ليطلع عليها الرئيس السادات . أي أصبح واضحا ان مسألة المفاوضات حول اعادة فتح قناة السويس، كتمهيد للتسوية العامة للنزاع ، قد اصبحت مبادرة امريكية محض ، لذلك أعلن رسميا في هيئة الامم المتحدة ان يو ثانت ويارينغ غير مطلعين على مجرى المفاوضات . من ناحية اخرى انتقد الاتحاد السوفياتي الحكومة الامريكية بسبب قيامها بهذا النشاط السياسي السري والثنائي مع مصر واسرائيل واهمال محادثات الدول الاربع الكبرى . يظهر ان التحرك الامريكي قد تجاوز حدود التفاهم الضمني بين العملاقين حول قضية الشرق الاوسط. أوضح روجرز منذ البداية انه لا ينبغي لاحد ان يتوقع نتائج مذهلة او نجاحا فوريا من رحلته الى الشرق الاوسط ، كما اكد ان هدفه ليس مجرد نقل الاقتراحات والاقتراحات المضادة بين القاهرة وتل أبيب بل اجراء مناقشات عميقة مع الطرفين على امل ان يؤدي ذلك الى تقارب كاف في وجهات النظر تمهيدا للوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس خلال الصيف ان امكن وعلى ان يكون الاتفاق خطوة في اتجاه تسوية شاملة للنزاع .

ويبدو ان روجرز كان قد اجرى اتصالات مكثفة مع المسؤولين المصريين والاسرائيليين قبل ان يقرر زيارة المنطقة مما جعله يقتنع بأن الساحة ممهدة لتقبل مبادرة امريكية من هذا النوع . هذا ما يفسر اعلان روجرز في لندن بأن الجو لم يكن في يوم من الايام اكثر ملاءمة مما هو عليه الان لتحقيق تسوية في الشرق الاوسط . كما صرح يو ثانت في نفس الوقت انه يتوقع تطورات مهمة في المستقبل القريب بعد زيارة روجرز للمنطقة .

اما النقاط المتنازع عليها في مسألة اعادة فتح القناة ، والتي ركز روجرز محادثاته عليها في كل من القاهرة وتل ابيب، فتتلخص بالتساؤلات التالية: أ) الى أي حد يفترض في القوات الاسرائيلية ان تبتعد في انسحابها عن ضفة القناة ؟ ب) كيف ستتم مراقبة وقف اطلاق النار وعملية الانفكاك العسكري من طرفي القناة ؟ ج) كيف سترتبط هذه التسوية المؤقتة بالتسوية الشاملة والنهائية للنزاع ؟ مع الاخذ بعين الاعتبار انه اذا تمت عملية اعادة فتح القناة فان الاهتمام الدولي في ايجاد حل نهائي للنزاع سوف يتراجع ، كما سيتراجع الاهتمام الدولي بالقضايا الجوهرية الاخرى مثل مصير القدس والجولان والضفة الغربية . وواضح ان كلا من الجانبين العربي والاسرائيلي يقدم اجوبة متباعدة واحيانا متناقضة على الاسئلة المطروحة أعلاه . ومهمة روجرز هي العمل على اقناع الطرفين بتقديم بعض التنازلات وتقريب وجهات النظر بحيث يصبح من الممكن الاتفاق على موضوع الحل . ويبدو ان روجرز يميل الى حث الاسرائيليين على الانسحاب الى مدى معين من ضفة القناة والقبول بالتسوية المؤقتة بمقابل مرور سفنهم في القناة . وبمقابل ذلك يتفق الموقف الامريكي مع الاسرائيليين حول رفض فكرة عبور القوات المصرية الى الضفة المحتلة للحلول محل الجيش الاسرائيلي المنسحب . غير ان امريكا مستعدة لتبني فكرة السماح لقوة بوليس مصرية رمزية العبور لحماية

علم البلاد . اشاد روجرز بأهمية الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح القناة لانه ، حسب قوله ، سيؤدي الى المزيد من الاستقرار في المنطقة لفترة من الزمن ، اولا ، وسيثبت للعرب والاسرائيليين ان في امكانهم ان يعيشوا معا ، ثانيا ، وسيجعل مهمة يارينغ تستمر في مناخ أفضل وسيخفف من اخطار تجدد القتال في المنطقة ، ثالثا .

ان اهم النقاط التي برزت في زيارة روجرز لعواصم الشرق الاوسط تتلخص بما يلي : ١) في عمان امتدح روجرز الملك حسين على عزمه وبأسه في ضرب العمل الفدائي ، وسلمه رسالة من نيكسون اعرب فيها الرئيس الامريكي عن تقديره للاسلوب الذي عالج به الملك حسين « الوضع الصعب وغير الطبيعي في بلاده » . كما أكد روجرز للملك عدم رغبة الولايات المتحدة في قبول اي تغيير في الاردن لاجل تحقيق التسوية السلمية ، وهذه اشارة واضحة الى التنازل الامريكي عن فكرة حل قضية شعب فلسطين عن طريق اقامة دولة فلسطينية مكان المملكة الاردنية الهاشمية (بالاضافة الى قطاع غزة) وكانت هذه الفكرة متداولة كثيرا في اوساط الخارجية الامريكية قبل مجزرة ايلول ١٩٧٠ في الاردن . كما وعد روجرز بالتجاوب مع حاجات الاردن ووافق ، من حيث المبدأ ، على تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لتغطية العجز في موازنة المملكة وتغطية حاجاتها الاقتصادية المستجدة . ٢) في القاهرة قام روجرز بتسليم الرئيس السادات رسالة من نيكسون . ويبدو أن المحادثات تركزت هناك ، بصورة رئيسية ، على اتفاقية اعادة فتح قناة السويس (او التسوية المؤقتة) وصلتها بالحل الشامل للنزاع . وتضمنت المحادثات كذلك عرضا لوجهات النظر حول مراحل الانسحاب ، والمناطق المجردة من السلاح ، وامكان احلال قوات دولية محل القوات الاسرائيلية المنسحبة . وجدير بالذكر ان الوفد الامريكي اعلن استعداد بلاده للمشاركة بقوات امريكية مع قوات من بلاد أخرى للفصل بين الجيش المصري والجيش الاسرائيلي في سيناء . وبالاضافة الى ذلك برزت النقاط التالية : أ) ترددت أنباء عن ان الولايات المتحدة ستقدم مساعدة اقتصادية كبيرة الى مصر لاعادة بناء منطقة السويس واسكان اللاجئين . ب) التفاهم على ان حل الازمة القائمة يحتاج الى وقت طويل وان التسوية المؤقتة لا يمكن أن تكون الا جزءا من التسوية الشاملة التي ستليها . ج) اتفاق الطرفين على زيادة البعثة الدبلوماسية لدى الطرف الثاني . د) الاتفاق على تعديل مواعيد ايفاء ديون مصر لامريكا بغية انهاء كل المسائل العالقة بين البلدين . هـ) تصريح روجرز بأنه يتطلع الى الاجتماع ثانية الى وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة في الخريف المقبل عند انعقاد دورة هيئة الامم المتحدة ، مما يعني ان الوضع في المنطقة مرشح لان يستمر على حاله وجموده (لا اطلاق للنار) حتى انعقاد الجمعية العمومية لهيئة الامم في نيويورك . و) تأكيد روجرز امام الرئيس السادات ان حكومته ليست على استعداد للضغط على اسرائيل لاسباب داخلية ولكن روجرز وعده ببذل محاولاته لاقناع حكام تل ابيب بما يجب ان يقتنعوا به . ٣) في اسرائيل تم روجرز ممارسته لسياسة « التوازن » الشكلي المذكورة سالفا حيث اكد استمرار الدعم الامريكي لاسرائيل على كافة المستويات من ناحية ، ووجه نقدا ناعما لمضيفيه من ناحية اخرى وذلك في الكلمة التي القاها امام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست حيث قال ان اسرائيل ليس لديها الى الان موقف واضح في حين « ان الرئيس السادات قد كشف اوراقه وعرض موقفه بوضوح » .وتناولت محادثات روجرز موضوع اعادة فتح القناة والتسوية السلمية للنزاع بالاضافة الى مناقشة لنظريته في التعديلات الطفيفة على الحدود التي ترفضها اسرائيل باصرار . وترددت انباء عن أن روجرز قال أنه اذا أظهرت اسرائيل مرونة اكثر في موقفها فسيحاول الحصول على تنازلات مماثلة من القاهرة. وربما نجد في هذا النبأ تفسيرا لعودة مساعد روجرز جوزيف سيسكو الى القاهرة لمقابلة الرئيس السادات مرة اخرى ، مع العلم أن روجرز صرح عند انتهاء زيارته بأن احتمالات الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس قد زادت وأعرب عن أمله في أن تؤدي عودة سيسكو الى القاهرة الى تضييق جديد للفجوة التي تفصل الطرفين حول موضوع فتح القناة . من الواضح ان الهدف من عودة سيسكو هي ابلاغ القاهرة مباشرة بنتائج محادثات روجرز مع المسؤولين الاسرائيليين ، ومن المرجح ان تكون قضية عبور القوات المصرية للقناة قد شكلت محور محادثاته مع الرئيس السادات . يصعب التكهن منذ الان بالنتائج البعيدة نسبيا لزيارة روجرز لان الزيارة لم « تنته » بعد باعتبارها جزءا من التحرك الامريكي الحالي والمستمر . وقد صرح

روجرز أنه سيواصل اتصالاته بالحكومات المعنية وبيوثانت ويارينغ فيما يتعلق بموضوع اعادة فتح القناة . وقام روجرز باطلاع الوسيط الدولي وبيوثانت على نتائج رحلته وعلق قائلا أنه بالامكان الوصول الى تسوية مؤقتة حول اعادة فتح قناة السويس ولكن ليس في الحال . ويبدو ان يارينغ لن يشترك في تحقيق هذه التسوية باعتبار انها أصبحت معتبرة مسألة امريكية بحت .

يتضح في هذه المراجعة ان التطورات الدولية لم نعد تأخذ القضية الفلسطينية الام بعين الجد أو الاعتبار كما ان ذكر الشعب الفلسطيني وحقوقه في تحرير وطنه تحولت الى نوع من الشعائر التي تردد عربيا في المناسبات حيث يقدم لها الولاء اللفظي والمعنوي لا أكثر . أما التطورات الحقيقية التي تؤثر على الواقع وتبدله فتتركز كلها حول السلام والتسوية السلمية ليس الا . لقد برز هذا الاتجاه على الصعيد الدولي بقوة بعد الضربة التي تلقتها حركة المقاومة في أيلول ١٩٧٠ .

أما بالنسبة لنشاط الاتحاد السوفياتي الدولي فيما يتعلق بالنزاع في الشرق الاوسط فيمكن تقسيم أهم مافيه الى ثلاث مراحل :

١) حددت الحكومة السوفياتية موقفها من رد كل من ج ع م واسرائيل على مذكرة يارينغ في بيان صدر عنها في اوائل اذار ١٩٧١ حيث ايدت موافقة مصر على الالتزامات التي طلبها يارينغ واشادت بموافقتها على التوقيع على معاهدة سلام مع اسرائيل واعتبرت هذا الموقف بناء وجريئا وواقعيا . كذلك أشار البيان السوفياتي الى رفض اسرائيل الرسمي الانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ وندد به ، وذكر انه امام هذه التطورات الايجابية عربيا والسلبية اسرائيليا تجد الحكومة السوفياتية أنه لم يعد يوجد الا خيار اساسي واحد في الشرق الاوسط وهو بين التسوية السياسية أو التصادم الحربي. لذلك ناشد البيان كل الدول المهتمة بالسلام عدم اعطاء اسرائيل وحماتها فرصة عرقلة التسوية السلمية واحباطها . وتبع البيان نشاط دبلوماسي سوفياتي تركز على محاولة عقد اجتماع فوري للدول الاربع الكبرى للنظر في رفض اسرائيل الموافقة على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وافقت كل من فرنسا وبريطانيا على هذه الدعوة الا ان أمريكا رفضتها بسبب معارضتها لفكرة فرض اية تسوية في الشرق الاوسط من قبل الدول الكبرى . لذلك لم يتم عقد الاجتماع .

٢) في اواخر شهر آذار عقد المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفياتي حيث القى زعيم الحزب ليونيد بريجنيف خطابا سياسيا شاملا أمام وفود من ٩٠ بلدا وممثلين عن ٧٥ حزبا شيوعيا من كافة انحاء العالم . تطرق بريجنيف الى النزاع العربي الاسرائيلي حيث أكد من جديد الموقف السوفياتي المعروف من التسوية السلمية وتطبيق قرار مجلس الامن . بالاضافة الى ذلك امتدح قبول مصر مقترحات يارينغ وموافقتها على توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل واستعدادها لاعادة فتح قناة السويس . وندد الزعيم السوفياتي بالتصلب الاسرائيلي الذي ما زال يعترض طريق التسوية السلمية . واعلن أن بلاده مستعدة للاشتراك مع الدول الكبرى الاخرى في ضمان اية تسوية في الشرق الاوسط وتحويل المتوسط الى « بحر سلام » . ويعني هذا استعداد الاتحاد السوفياتي للمشاركة بقوات من عنده مع الولايات المتحدة وغيرها من الدول الكبرى لتشكيل قوة الطوارىء الدولية التي يفترض ان تتمركز في المناطق المجردة من السلاح بين اسرائيل والدول العربية لاحلال التسوية السلمية . كذلك اصدر المؤتمر قرارا حول « العدوان الاسرائيلي على البلدان العربية » استنكر فيه العدوان واكد على انتصار الحقوق المشروعة لجميع الشعوب العربية بما فيها الشعب الفلسطيني . وشدد القرار على التأييد السوفياتي للدول العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي ودعا الى تضامن دولي اكبر لارغام القوات الاسرائيلية على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . لم يخرج القرار عن حدود التأييد للعرب ضد الاحتلال الاسرائيلي والتنديد «بالرفض العنيد الذي يبديه حكام اسرائيل» حول سحب قواتهم من الاراضي المحتلة واعتبار ذلك تحديا صريحا للرأي العام الدولي ولقرارات هيئة الامم» مع التشديد على ان الهدف النهائي هو الوصول الى التسوية السلمية وفقا لبنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . اما قضية الشعب الفلسطيني الام والكفاح الفلسطيني المسلح فلم يرد لهما اي ذكر.

٣) بعد حركة التغيير التي بدأها الرئيس السادات في الجهاز الحاكم في مصر (١٥ أيار ١٩٧١) أعربت الاوساط السوفياتية عن قلقها وتضايقها من زيارة روجرز للشرق الاوسط ومن التحرك الامريكي المنفرد والمتفرد حول اعادة فتح قناة السويس . على سبيل المثال ذكرت الصحف السوفياتية ، في

معرض تعليقها على جولة روجرز ، ان زيارته لم تسفر عن اي تغيير اساسي بالنسبة الى تسوية الازمة وان الدعوة الى جعل الدبلوماسية الامريكية اكثر توازنا ليست الا نفاقا ورياء . وبعد ذلك بفترة قصيرة قام الرئيس السوفياتي بودغورني بزيارة ، وصفت بأنها غير رسمية ، الى القاهرة على رأس وفد ضخم يضم مسؤولين كبارا عـن الشؤون العسكرية والاقتصادية وغيرها من المجالات الحيوية . لا شك ان زيارة بودغورني قد ضربت عصفورين بحجر من حيث كونها ردا مباشرا وسريعا على جولة وليم روجرز في المنطقة من جهة ، ومن حيث تأكيدها اهمية الوجود السوفياتي في مصر من جهة اخرى خاصة بعد أن شملت التطهيرات التي قام بها الرئيس السادات عددا من القادة القدامى المعتبرين من أصدقاء موسكو في الجهاز المصري الحاكم . ومع انتهاء الزيارة صدر بيان مشترك لم يتعد في محتوياته حدود الكلام عن تصفية آثـار العدوان والعمل على تحقيق التسوية السلمية . هذا بالاضافة الى ادانة اسرائيل بسبب رفضهـا لكل المقترحات المعروضة من أجل انجاز التسوية السلمية وتطبيق قرار مجلس الامن ، والاشادة بسياسة ج ع م البناءة « من اجـل الوصول الى التسوية السلمية بالوسائل السياسية » . ولم يرد في البيان المشترك الا اشارة واحدة مقتضبة تتعلق بالشعب الفلسطيني . تفيد الاشارة « ان اعادة السلام العادل في الشرق الاوسط يعتمد على احترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين » أما دور كفاح الشعب الفلسطيني في فرض هذا النوع من الاحترام على الاطراف المعنية فلم يرد له اي ذكر الا على سبيل الغائه كعامل نضالي مستقل والحاقه بالجهود الرسمية العربية ليس الا . وقد قال الرئيس بودغورني ذلك صراحة في خطاب القاه في القاهرة حيث اشار الى جهود ج ع م « لحل الازمة آخذة بعين الاعتبار الحقـوق والمصالـح المشروعة لكل الدول والشعوب في هذه المنطقة بما في ذلك شعب فلسطين العربي » . ولم يرد اي ذكر آخر لقضية الشعب الفلسطيني وحقوقه في أي من تصريحات بودغورني وخطاباته اثنـاء الزيارة .

وكانت المفاجأة التي تمخضت عنها زيارة بودغورني هي توقيع معاهدة صداقة وتعاون بـين ج ع م والاتحاد السوفياتي علما انها اول معاهدة مـن نوعها يعقدها السوفيات خـارج دول الكتلـة الشيوعية ، وهي اقرب الى التحالف منها الـى « التعاون والصداقة » بين دولتين . وشددت المعاهدة بصورة ملحوظة على موضوع السـلام في الشرق الاوسط وعلى ضرورة تحقيقه . كمـا أكدت ان الدولتين المتحالفتين ستواصلان بكـل حزم بذل الجهود الضرورية « لتحقيـق السلام الوطيد والعادل في الشرق الاوسط وصيانته طبقا لاهداف هيئة الامم المتحدة ومبادئها . » (المادة الثالثة) .

ولم تترك المعاهدة مجالا من المجالات (باستثناء الدين) الا ونصت على التعاون فيه بين الدولتين بما في ذلـك المجالات العسكريـة والاقتصاديـة والتجارية والفنية والعلمية والزراعية والثقافية والحزبية والاعلامية . وتكون بذلك العلاقات المصرية السوفياتية قد تكرست بصورة رسمية ودوليـة وقانونية ملزمة تبعدها عن تأثيرات الاحداث الطارئة مثل تبدل الحكومات او سقوط بعض القيادات او موت زعيم من الزعماء . ولا شك في أن هـذه المعاهدة تكرس نهائيا في الاستراتيجية المصريـة السياسية الخط السوفياتي القائل بحق دولـة اسرائيل في الوجود والاستمرار وضرورة اعتراف العرب بذلك وتركيز الجهود العربية على تصفيـة آثار العدوان بالوسائل السياسية لاحلال السلام العربي الاسرائيلي بصورة نهائية في المنطقة .

اما بالنسبة للموقف الاوروبي الغربي العـام من النزاع في منطقتنا فلم يطرأ عليه تبدلات هامة في الفترة الاخيرة . اي انه ظل معبأ لصالح مشروع اعادة فتح قناة السويس بسبب تراكم المشاكـل البترولية الناتجة عن اغلاق الممـر المائي . وما زالت هذه الدول تمارس ضغطا على الولايـات المتحدة لحملها على الاسراع في تحركها الرامي الى تحقيق « التسوية المؤقتة » حول القناة . ويمكننا تلخيص أهم التطورات التفصيلية في الموقف الاوروبي بما يلي : ١) في اوائل شهـر نيسان عقـدت اجتماعات رسمية في لندن بين الحكومة البريطانية والحكومة السوفياتية لمناقشة موضوع الضمانات الدولية التي يمكن أن تقدمها الدول الكبرى لانجاح التسوية السلمية ، ومناقشة مسألة تشكيل قوات السلام الدولية التي يفترض ارسالها الى المنطقة. وكانت هذه الاجتماعات جزءا من سلسلة لقاءات رسمية ثنائية قررت الدول الاربع الكبرى اجراءها حول الموضوعات المذكورة . ٢) القـى وزير الخارجية البريطاني خطابا في اواسط شهر نيسان

المنصرم أشار فيه الى اهمية الدور الذي كان يمكن ان تلعبه قوة الطوارىء الدولية في حفظ السلام بين العرب واسرائيل واكد من جديد موافقة بريطانيا على مشاركة قواتها في تشكيل قوة السلام الدولية المزمع انشاؤها في حينه . يضاف الى ذلك انه اعلن عن عزم وزير الخارجية البريطاني القيام بزيارة للقاهرة في الخريف المقبل . ٣) في منتصف شهر أيار عقد وزراء خارجية دول السوق الاوروبية المشتركة اجتماعا في باريس تناولوا فيه أزمة الشرق الاوسط وعلاقتها بمشاكل أمن اوروبا ، وقد شارك في الاجتماع وزراء خارجية اربع دول اوروبية اخرى تطلب الانضمام الى السوق (بريطانيا ، ايرلندا ، النروج ، الدانمارك) . وقد اتفق الوزراء بالاجماع على تأييد الجهود التي تبذلها الولايات المتحدة لاعادة فتح قناة السويس كجزء من تسوية شاملة للنزاع ، وهذا هو أول موقف سياسي موحد تتخذه دول السوق الاوروبية المشتركة بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي .وقد جاء الموقف نتيجة لتبني الوزراء لتقرير سري أعده خبراء السوق عن أزمة الشرق الاوسط وكيفية حلها . وقد لعبت فرنسا دورا رئيسيا في دفع دول السوق المشتركة الى اتخاذ مثل هذا القرار ، ومعروف ان السياسة الفرنسية تميل الى دعم مطلب الانسحاب الاسرائيلي باستثناء بعض التعديلات الطفيفة على الحدود ، وتقول بضرورة فرض حل للازمة على الدول المتنازعة من قبل الدول الاربع الكبرى وهذا ما تعارضه الولايات المتحدة حتى الان .

بهذا الصدد ذكر وزير خارجية فرنسا ، موريس شومان ، في مؤتمر صحافي عقده بمناسبة اجتماع وزراء الخارجية ان الاتفاق قد تم حول النقاط التالية : أ) ان الوضع الراهن في الشرق الاوسط يوفر « فرصة فريدة للسلام » ويجب اغتنامها . ب) ان قرار مجلس الامن الدولي المؤرخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ يشكل اساسا واطارا لتسوية عامة تنص على حدود آمنة ومعترف بها لاسرائيل . ج) يجب درس اي حل جزئي او مؤقت شريطة ان يؤدي هذا الحل الى تسوية عامة لا ان يعتبر غاية في حد ذاته . كما اضاف انه ينتظر ان ترتبط بريطانيا والدول الثلاث الاخرى التي تطلب الانضمام الى السوق المشتركة بالتقرير الذي يجري اعداده الان عن الشرق الاوسط .

ويبدو ان دول السوق بقيت حريصة ، في هذه الفترة ، على عدم الافضاء بالمزيد من التفاصيل عن محادثاتها وعن الخطوات التي تنوي القيام بها حول قضية الشرق الاوسط خوفا من نشوء مهاترات ستعكر « جو المفاوضات الدقيقة التي تجري الان لايجاد تسوية سلمية .. » . وذكرت مصادر فرنسية ان دول السوق تدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ما قبل حرب ١٩٦٧ والى انشاء مناطق مجردة من السلاح . كذلك ذكرت مصادر بريطانية ان وزير الخارجية ، اليك دوغلاس هيوم ، يشعر بأن رأي بلاده لا يختلف كثيرا عن رأي بلدان السوق حول البادرة السياسية التي يقوم بها وزراء الخارجية المذكورين بصدد ازمة الشرق الاوسط . وفي وقت لاحق تم تسليم مشروع دول السوق الاوروبية المشتركة الى يوثانت . من ناحية اخرى يبدو ان دول السوق قد وافقت على ان يعقد كل من مصر ولبنان اتفاقا مع السوق يعطي كلا منهما حق الدولة الاكثر رعاية مع استمرار كل من البلدين في مقاطعة الشركات المتعاملة مع اسرائيل باعتبار ان مسألة المقاطعة تتعلق بأمن الدولتين وبقوانينهما الداخلية . وقد اعتبرت هذه الموافقة في اسرائيل على انها نوع من الاعتراف من قبل دول السوق المشتركة بشرعية المقاطعة العربية لاسرائيل . بعبارة اخرى هناك جهود كثيرة تتجمع وتتكتل للضغط باتجاه انجاح الجهود الامريكية الرامية الى تحقيق ما يسمى « بالتسوية المؤقتة » عن طريق اعادة فتح قناة السويس ، وقد أبلغ روجرز مؤخرا (اوائل شهر حزيران)، اجتماع المجلس الوزاري للحلف الاطلسي أنه يأمل في الوصول الى اتفاق بين مصر واسرائيل حول اعادة فتح قناة السويس في وقت لا يتجاوز نهاية العام الحالي .

الدكتور صادق جلال العظم

(٤) السياسة الاسرائيلية

لاول مرة منذ حرب الايام الستة يشعر المتتبع لاحداث السياسة الاسرائيلية ان موضوعات اخرى بجانب موضوع الامن والخارجية (بشكل أدق الصراع العربي — الاسرائيلي) قد بدأت تطفو على السطح وتشغل اهتمام الساسة والمجتمع . وقد تجلى بروز مثل هذه الموضوعات في الاهتمام الكبير الذي اولاه المؤتمر المنتخب الاول لحزب العمل المنعقد في اوائل نيسان الماضي لمسألتي الفقر والهوة الاجتماعية والاقتصادية القائمة بين الطوائف والطبقات في اسرائيل . كما تجلى ايضا في الاهتمام الذي اولاه المسؤولون الاسرائيليون والرأي العام لظاهرة الفهود السود ، وفي الجدل العاصف حول قضية « البناديق » ونهويدات فيينا التي أثارت من جديد مسألة علاقة الدين بالدولةوكادت ان تدخل الحكومة في أزمة ائتلافية . ولكن مع ذلك تظل معضلة الصراع العربي — الاسرائيلي هي المعضلة الاساسية ويظل الاهتمام الاكبر موجها اليها ، وقد كانت المباحثات الامريكية — الاسرائيلية لفتح قناة السويس هي الحدث المركزي في الحياة السياسية الاسرائيلية ، وفيما يتعلق بأخبار الاحزاب كان أهم حدث الازمة التي ثارت في بلدية القدس حول وثيقة تتعلق بمصير القدس كأن اعدها المسؤول عن القدس العربية عام ١٩٦٨ . واشتد الصراع في قيادة هعولام هزه ، واستقال الياب سكرتير حزب العمل ، وبدأ الحزب الليبرالي يستعد لمؤتمره القادم ، وتوفي احد قادة المفدال تاركا وراءه صراعات حادة على الزعامة داخل صفوف الحزب .

مؤتمر حزب العمل : كان المؤتمر المنتخب الاول لحزب العمل (هعفودا) ، المنعقد بين ٤ — ٧ نيسان ١٩٧١ ، أهم حدث على صعيد الحياة الحزبية الاسرائيلية في الفترة المستعرضة . وتنبع أهمية اي مؤتمر لحزب العمل من كونه الحزب الاكبر في اسرائيل من حيث العدد والنفوذ ونسبة التمثيل في المؤسسات التشريعية والحاكمة ، ومن حيث كونه الحزب الذي يقرر سياسات الحكومة الاساسية في كافة المجالات بحكم سيطرته على المراكز الحساسة في الحكومة بما فيها رئاسة الوزارة ووزارات الدفاع والخارجية والمالية . ومن المعروف ان هذا الحزب تأسس في اوائل عام ١٩٦٨ من اتحاد الاحزاب الثلاثة المباي واحدوت هعفودا ورافي سابقا ، وعقد مؤتمره الاول غير المنتخب عشية انتخابات الكنيست السابعة في عام ١٩٦٩ — ذلك المؤتمر الذي توصل فيه الفرقاء المكونون للحزب الجديد ، بعد نقاش صاخب وتهديد البعض بالانسحاب ، الى ما يسمى بـ « الاتفاقات الشفهية» التي قررت فيما قررته سياسة الاستيطان و« الحدود الامنة » ، واصبحت تمثل المبادىء الموجهة لسياسة الحكومة فيما يتعلق بالمناطق المحتلة ومصيرها ومفاوضات التسوية . وقد سبق المؤتمر الحالي اعداد كبير تمثل في اجراء انتخابات الفروع ووضع قائمة مركزية لاختيار اعضاء المؤتمر البالغ عددهم ٣٠٠٠ مندوب ، وفي تشكيل لجان تحضيرية وضعت احداها برئاسة يسرائيل يشعياهو مسودة دستور الحزب الجديد ، وبحثت الاخريات عدة موضوعات هامة من بينها الكيان الفلسطيني وعلاقة الدين بالدولة ومشكلة الفقر والهوة الاجتماعية وعلاقة الحزب بالهستدروت . وتميز المؤتمر الحالي بوجود ٣٧ مندوبا من « العرب والدروز » فيه ، وذلك تجسيدا للقرار الذي اتخذه الحزب في الصيف الماضي بالسماح لاول مرة لابناء « الاقليات القومية » — على حد قول التعبير الاسرائيلي لوصف « عرب ودروز » فلسطين — بالانتماء الى صفوفه . كما سجل المراقبون كحدث له دلالته حضور بن غوريون المؤتمر ، ورأوا في ذلك علامة على رضائه عن القيادة الحالية للحزب، وهي القيادة التي اختلف مع معظم عناصرها عام ١٩٦٥ خلافا ادى به الى الانشقاق عن المباي وتأسيسه لحزب جديد (رافي) ضم فيمن ضم وقتها من الاقوياء موشه دايان وشمعون بيرس .

ان ايا من المراقبين السياسيين الجديين في اسرائيل لم يتوقع حدوث مفاجآت في المؤتمر ، رغم وجود تيارات عدة داخل الحزب ، تحمل آراء مختلفة كثيرا او قليلا ، حول عدد من المسائل الجوهرية . والسبب في عدم توقع المراقبين حدوث مفاجآت داخل المؤتمر هو ادراكهم لمدى سيطرة القيادة الاساسية للحزب على اعضائه ، وهذه متفقة بشكل عام كما يبدو على الخطوط الاساسية لسياسات الحزب في مختلف المجالات ، وادراكهم لاستحالة حدوث نقاش جدي في مؤتمر تعداد اعضائه ٣٠٠٠ عضو ومدة انعقاده ثلاثة ايام . وقد تنبأ التعليق

السياسي لصحيفة معريف قبيل انعقاد المؤتمر بساعات (عدد ٧١/٤/٤) ان المؤتمر لن يكون اكثر من مجرد « مظاهرة قوة تجاه الداخل وتجاه الخارج . ويمكن أن يكون لطرح سياسات الحزب الحاكم بشكل مركز من قبل واضعي هذه السياسة ذاتهم من على منبر واحد اهمية تجاه الخارج اكثر بكثير من اهميتها تجاه الداخل — داخل الحزب وداخل الدولة ».

وفعلا تظهر دراسة التغطية الصادرة في الصحف الاسرائيلية لانباء المؤتمر ومناقشاته ، ودراسة القرارات الصادرة عنه ، ان هذه النبوءة لم تكن بعيدة عن الصواب ، وان كان المؤتمر لم يخل كليا من الاثارة والمفاجآت الصغيرة . وقد حدثت الاثارة في مناقشة موضوع الفقر والهوة الاجتماعية والاقتصادية بين الطبقات ، والمفاجآت الصغيرة في حذف موضوع علاقة الدين بالدولة من جدول اعمال المؤتمر ، وتأجيل بحث التوصيات الخاصة بالهستدروت لمؤتمر قادم ، وفي تركيب المركز الجديد.

كان المتكلمون الرئيسيون في نقاشات سياسة الامن والخارجية غولدا مئير ودايان وايبن وسابير وغاليلي . وادلى بدلوه في الموضوع عدد آخر من المؤتمرين أهمهم يتسحاق تبنكين ، من آباء حركة العمل الاسرائيلية ومن زعماء حركة أرض اسرائيل الكاملة ، وابراهام عوفر ممثل الاتجاه الاكثر لينا بين «حمائم» حزب العمل . واذا استثنينا العضوين الاخيرين يمكننا القول ان الباقين المذكورين عكسوا في مناقشاتهم خطا متشددا ، يطابق واحيانا يتجاوز، الخط الرسمي المعلن للحكومة الاسرائيلية تجاه التسوية الجزئية والشاملة . ويمكن اعتبار الفقرات الاساسية من القرارات السياسية ، التي نورد نصها فيما يلي ، خلاصة لرأيهم المشترك حول النقاط المركزية : « ان خطوط الرابع من حزيران والحدود الدولية لا تتلاءم مع شروط الامن الحيوية لاسرائيل وينبغي ان تجري فيها تعديلات جوهرية . ويصادق المؤتمر على قرار الحكومة القاضي بعدم العودة الى حدود متدنية استراتيجيا . لا مجال لقبول اية ضمانات او تسويات كبديل لحدود دفاعية . يدعم المؤتمر حكومة اسرائيل في معارضتها لاية طلبات بالتزامات مسبقة ، مهما كانت الجهة المطالبة ، حول موضوعات ينبغي ان تتوضح في المفاوضات . يدعو المؤتمر الى اقامة مستوطنات امنية ومستوطنات ثابتة ، زراعية ومدينية ، على ضوء اعتبارات الامن وتطوير الدولة. يناشد المؤتمر دول العالم الحر العمل على اخراج القوات السوفياتية من البلدان العربيه من اجل ابعاد خطر الحرب وخلق ظروف مؤاتية لتقدم السلام في المنطقة » .

ويذكر دانيال دجن (معريف ٧١/٤/٧) ان اللجنة الفرعية التي صاغت القرارات السياسية امتنعت عمدا عن مس الموضوعات الشائكة كالمسألة الفلسطينية ، وان اعضاء حركة ارض اسرائيل الكاملة في حزب العمل طالبوا بأن يرفق بالقرارات نص بيان يعلن ان « حق الشعب اليهودي في ارض اسرائيل ينبغي ان يشكل نقطة الانطلاق في الصراع السياسي » وان « الفرضية القائلة بأن التنازل عن مناطق يقرب السلام هي فرضية خاطئة » . ولكن اعتراض ممثلي حركة الحرس الفتي (همشمرت هتسعيره) التابعة لحزب العمل على ارفاق مثل هذا البيان ، واصرارها في حالة ارفاقه على تقديم بيان يعكس آراء حركة « الحرس الفتي » الاكثر اعتدالا ، دفع لجنة الصياغة الى اسقاط مطلب ممثلي حركة ارض اسرائيل الكاملة ، واكتفى هؤلاء بقراءة بيانهم بشكل منفصل عن القرارات . ويذكر هنا ان حركة « الحرس الفتي » كانت قبل فترة وجيزة من انعقاد المؤتمر قد استثارت حنق رئيسة الحكومة ووزراء آخرين عندما اتخذ مركزها قرارا يعترف بوجود « هوية فلسطينية » ويدعو الحزب الى السعي من اجل السلام « ضمن نطاق تنازل عن جزء من الحقوق التاريخية للشعب اليهودي في ارض اسرائيل التاريخية واعتراف بحق العرب بالاستقلال السياسي في جزء من هذه الارض » .

كما يذكر ان اللجنة التحضيرية المشكلة من قبل الحزب قد اتخذت توصيات تمهيدا للمؤتمر برئاسة ارييه الياب سكرتير الحزب شبيهة بقرار مركز « الحرس الفتي » ، وكان من المتوقع ان تثير هذه التوصيات عاصفة من النقاشات ، ولكن الذي يبدو هو ان قيادة الحزب الاساسية ، التي يحمل أعضاؤها آراء متباينة حول هذا الموضوع ، اتفقت على حذفه باعتباره موضوعا شائكا من المحتمل ان يسيء لصورة « تماسك الحزب » التي شددت القيادة على ابرازها في المؤتمر .

وكان الموضوع الشائك الاخر الذي حذف من جدول اعمال المؤتمر كليا هو موضوع الدين والدولة . رغم ان لجنة تحضيرية كانت قد بحثته مليا واتخذت توصيات معينة بشأنه . وقد تم حذف الموضوع بقرار من اللجنة الدائمة للمؤتمر ، حرصا من قيادة حزب العمل على الائتلاف الحكومي الذي تشكل

الاحزاب الدينية ركنا هاما من اركانه . وقد اثار حذف الموضوع استياء عاما في المؤتمر ، نظرا لان الموضوع كان قد اثار اهتماما واسعا في اسرائيل مؤخرا بسبب قضية « البناديق » وتهويدات فيينا [أنظر أدناه] ، واصرت عضو المؤتمر ، شالوميت آلوني ، على الحديث فيه ، ولم تستطع رئاسة المؤتمر تجاهل طلبها ازاء الاحتجاجات الصاخبة التي صدرت من القاعة ، فسمحت لها بالكلام لمدة خمس دقائق فقط . ولكنها ما لبثت ان توطعت في مستهل كلمتها ، وطوي الموضوع نهائيا. وطوي كذلك موضوع علاقة الحزب بالهستدروت ، بناء على اصرار سكرتير الهستدروت ، الذي رفض ان يناقش المؤتمر توصيات تتعلق بالهستدروت قبل بحثها في هيئات الهستدروت ذاتها . وكان الموضوع الوحيد الذي تركت قيادة الحزب للاعضاء مجالا أوسع لمناقشته هو موضوع الفقر والهوة الاجتماعية. ويبدو من دراسة التقارير المنشورة ان هناك اتجاهين داخل حزب العمل بالنسبة للموضوع ، يتبلور الخلاف بينهما حول اولا مدى خطورة الظاهرة وثانيا حول مدى ما بذلته الدولة (الحزب) من جهود لحلها . فبينما يرى الاتجاه الاول ، الذي يعتبر سابير وزير المالية ابرز ممثليه ، ان الحديث عن الفقر مبالغ فيه وان الدولة ضمن سلم اولوياتها لم يكن باستطاعتها ان تفعل اكثر مما فعلت ، يرى الاتجاه الثاني ، وأبرز ممثليه في المؤتمر بن أهرون ومردخاي بن فرات ، ان الفقر قائم فعلا بصورة مخيفة وان الدولة تهمل علاجه لحساب الامن وتأمين اوضاع المهاجرين الجدد ، واذا كانت حركة العمل لم تستطع ان تلتقط مدى حدته وخطورته فلأن « حركة مدهنة وشبعانة لا تستطيع ان تحس بجوع الجائع » ، على حد تعبير بن أهرون . وتظهر دراسة القرارات الاقتصادية والاجتماعية الصادرة عن المؤتمر ان وجهة النظر التي سادت حول سلم الافضليات بالنسبة للدولة كانت وجهة نظر سابير ، التي تعطي الاولوية للامن والهجرة وتطوير اقتصاديات الدولة ومن ثم تصفية مراكز الفقر .

اما بالنسبة لنتائج المؤتمر على الصعيد التنظيمي ، فقد أقر الحزب الدستور الجديد (راجع الاشارة اليه في شؤون فلسطينية العدد ٢) وانتخب المركز الجديد الذي يبلغ تعداد اعضائه لهذه المرة فقط ٦٠١ عضوا بدلا من ٥٠١ عضوا كما ينص الدستور. وقد كان السبب في هذه الزيادة الكبيرة الضغوطات التي مارستها مراكز القوة والضغط داخل الحزب وبشكل خاص رافي واحدوت هعفودا سابقا والحرس الفتي ومجموعة اعضاء الحزب القدامى والفروع. ويلاحظ في المركز الجديد ، مقارنة بالمركز السابق ، انخفاض قوة كتلة رافي واحدوت هعفودا سابقا وازدياد قوة كتلة المباي . اذ انخفضت نسبة تمثيل احدوت هعفودا من ٢١٫٥٪ الى ١٨٪ ، ورافي من ٢١٫٥٪ الى ١٣٪ بينما ارتفعت نسبة المباي من ٥٧٪ الى ٦٩٪ ، وهذا راجع بالطبع الى النجاحات التي حققتها المباي في الانتخابات الداخلية للمؤتمر. وبالنسبة لوضع القيادة اظهر المؤتمر نجاح جولدا مئير في رص صفوف الحزب وتحقيق انسجام اكبر بين كتله المختلفة ، كما اظهر بوضوح رسوخ مركز القيادة الاساسية فيه ، المكونة من جولدا مئير وسابير ودايان وايبن وألون وجاليلي . وبالنسبة لمسألة الوراثة يجمع المراقبون على ان المؤتمر قد عزز الرأي القائل بأن الرجل الاقوى في حزب العمل ، وبالتالي المرشح لخلافة جولدا عندما يحين الوقت لذلك ، هو بنحاس سابير . ولم تفت المراقبين دلالة ان الشخص الوحيد بين الوزراء [عدا رئيسة الحكومة طبعا] الذي عالج كافة الموضوعات ، وليس فقط شؤون وزارته ، كان هو بنحاس سابير .

فتح القناة : وفي الوقت الذي تراجعت فيه فرص الوصول الى تسوية شاملة لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط نتيجة لرفض اسرائيل التعهد بالانسحاب الى الحدود الدولية بينها وبين مصر، اشتد النشاط السياسي المتركز حول موضوع التسوية المرحلية المتمثلة بفتح قناة السويس للملاحة ، وهو الموضوع الذي طرحه السادات في خطابه المشهور في ٤ شباط (فبراير) من العام الحالي . وقد تبلور الموقف الاسرائيلي بشأن هذا الموضوع تدريجيا ، وبعد نقاشات واسعة دارت بشكل اساسي داخل مجلس الوزراء ، واحيانا من على صفحات الصحف . وقد ثارت الخلافات بين الوزراء في البداية ليس حول القبول بفتح القناة او الانسحاب الجزئي وانما حول نقطة معينة مرتبطة بالاطار الذي من ضمنه تستطيع اسرائيل ان توافق على الانسحاب ، باعتبار ان عناصر أمنية درست مدى تأثير الانسحاب على نظام الدفاع الاسرائيلي في منطقة القناة وتوصلت الى نتيجة بأن الانسحاب عدة كيلومترات ، اذا لم تحدث عملية عبور أساسية مصرية الى الشاطىء الشرقي ، لا يؤثر بشكل جدي على وضع اسرائيل من الناحية الاستراتيجية.

بينما ارتأى بعض الوزراء ان اسرائيل يجب ألا تقبل بالانسحاب الا اذا تعهدت مصر بانهاء حالة الحرب ، رأى البعض الاخر ان هذا المطلب غير واقعي ، وطرح آخرون فكرة عقد هدنة رسمية .
وقد كان ابرز المتحمسين لفكرة مطالبة مصر بانهاء حالة الحرب كشرط من شروط التسوية المرحلية ايغال الون ، الذي طرح الفكرة على المسؤولين الاميركيين في الزيارة التي قام بها لواشنطن في أواخر الاسبوع الثالث من شهر نيسان (ابريل) الماضي.ولكن في الوقت الذي كان الون يطرح فيه هذا المطلب كمطلب اساسي لاسرائيل كان الموقف داخل مجلس الوزراء الاسرائيلي يتغير لصالح الصيغة التي طرحها آبا ايبن وزير الخارجية ، والتي تكتفي بالمطالبة باستمرار وقف اطلاق النار بشكل مطلق.
وقد عبر ايبن عن موقفه بشدة في المقابلة التي أجرتها معه اسرة تحرير عل همشمار ونشرتها الصحيفة بتاريخ ٧١/٤/٢٨ . قال ايبن : « انهاء حالة الحرب ليس مجرد وقف اطلاق نار . انه تنازل عن كل ادعاء نابع من الحرب . انه تقريبا سلام. . . عمليا طلبنا هذا معناه كمن يقول (للمصريين) اعقدوا السلام معنا مقابل انسحابنا عدة كيلومترات ... ان هذا المطلب مبالغ فيه » . وقد كان العامل الذي حسم النقاش حول الموضوع تقرير جولدا مئير ودايان ، بعد تردد من الاخير ، ان المهم ليس الشكل القانوني المتعلق بهذه النقطة ، وانما الجوهر وهو عدم تجدد القتال . وفيما عدا هذه النقطة يمكن القول بأن الموقف الاسرائيلي من موضوع التسوية المرحلية لم يكن مثار خلاف جدي داخل الحكومة .
ما هي نقاط هذا الموقف ؟ ان التقييم الاسرائيلي العام للموقف كان يقود الى ضرورة الوصول الى اتفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة حول النقاط الجوهرية اولا ، ومن ثم نقل الموقف المتفق عليه الى الطرف المصري لبحثه . أما التقييم الاسرائيلي الخاص للموقف الاميركي من فتح القناة فقد توصل الى النتيجة بأن الولايات المتحدة ترمي من وراء اصرارها على فتح القناة الى تنفيذ مشروع روجرز على مراحل بعد ان جزمت برفض اسرائيل له ، ولذلك قررت الحكومة الاسرائيلية ان تصوغ شروطها لفتح القناة بشكل يقطع الطريق على الولايات المتحدة لتنفيذ ذلك . ونطرح فيما يلي نقاط الموقف الاسرائيلي ، ذاكرين انها لم تقدم دفعة واحدة وانما اثناء حوار استمر شهرين مع الولايات المتحدة ، لنشير بعد ذلك الى ما سقط منها او عدل او بقي على حاله : طالبت اسرائيل بأن تجرى المفاوضات لفتح القناة بمعزل عن قرار مجلس الامن والجهود المبذولة لتحقيق التسوية الشاملة ، وبواسطة الولايات المتحدة دون تدخل من يارنغ . وذلك في محاولة منها لتطع الطريق على اعتبار الانسحاب الجزئي مرحلة اولى [حسب المطلب المصري] يليها ضغط لتحقيق انسحاب شامل من سيناء تنفيذا لقرار مجلس الامن ومشروع روجرز . واشترطت اسرائيل عدم عبور قوات مصرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، وطالبت الولايات المتحدة بتقديم ضمان بدعم اسرائيل بشكل فعال في حالة عبور القوات المصرية بمساعدة الاتحاد السوفياتي . وتقول المعلومات المتسربة الى الصحف الاسرائيلية بأن التعهد الذي طلبته اسرائيل يتمثل باعتراف الولايات المتحدة بحق اسرائيل في حالة عبور أساسي لقوات مصرية بالرد باستئناف الحرب وتوجيه الولايات المتحدة انذارا للروس تضعه موضع التنفيذ عند الضرورة . واشترطت اسرائيل قبول مصر بوقف اطلاق النار لفترة غير محدودة . وحددت اسرائيل مدى انسحاب قواتها بعشرة كيلومترات شرق القناة وطالبت بالسماح للسفن الاسرائيلية بعبور القناة في حالة فتحها للملاحة .
ويقول المراقبون المطلعون في اسرائيل بأن الولايات المتحدة كانت على خلاف مع اسرائيل حول كافة النقاط الموردة اعلاه ، ولكن نتيجة للحوار، وبشكل خاص عقب زيارة روجرز لاسرائيل في اواخر الاسبوع الاول من أيار الماضي ، ضاقت شقة الخلاف قليلا. وتحدد الصحف الاسرائيلية التقارب والتباعد بين الموقفين الاسرائيلي والاميركي كما يلي : حول ربط التسوية المرحلية لفتح القناة بقرار مجلس الامن : اتفق الطرفان على انه من الممكن ايجاد صيغة تسوية بشأنها ، وان كان الاتفاق على الصيغة لم يتم بعد . حول مسألة العبور : ما زال الخلاف قائما . وتذكر الصحف الاسرائيلية ان الولايات المتحدة اقترحت عبور قوات مصرية رمزية ، ورفضت اسرائيل الاقتراح . كما تذكر الصحف انه بحث خلال زيارة روجرز فكرة عبور قوات شرطة مصرية ، وان اسرائيل اقترحتبالمقابل بقاء «مجموعات مدنية» اسرائيلية في المواقع العسكرية الاولى لخط القناة للحفاظ عليها. أما بالنسبة لضمانالولايات المتحدةعدم عبورقواتمصريةضمانا بالشكل الذيتقترحه اسرائيل ،

تتذكر الصحف ان الولايات المتحدة ابلغت اسرائيل انها تضمن بهذا الشكل تسوية نهائية فقط وليس التسوية المرحلية . حول موقف اطلاق النار : ما يزال الخلاف قائما . واقترحت الولايات المتحدة ان يكون وقف اطلاق النار لمدة سنة ، وربما سنتين على الاكثر . حول مدى الانسحاب : تذكر الصحف ان اسرائيل أبدت خلال زيارة روجرز استعدادا للانسحاب اكثر من (١٠) كم كما حددت سابقا ولكن ليس لـ (٤٠) كم كما اقترحت الولايات المتحدة او الى ما وراء خط العريش — رأس محمد كما اقترحت مصر . حول مرور السفن الاسرائيلية في القناة : تذكر الصحف ان الطرفين اتفقا على انه لا مجال لذلك ضمن تسوية مرحلية .

وهكذا يتضح من تقدير الصحف الاسرائيلية ، المطلعة عادة ، ان نقاط الخلاف الاساسية بين اسرائيل والولايات المتحدة ما تزال قائمة . فاذا أضفنا لذلك عدم استعداد الولايات المتحدة للضغط على اسرائيل كفاية لارغامها على قبول الموقف الامريكي ، والفوارق الكبيرة بين الموقف الامريكي — الاسرائيلي والموقف المصري ، نستطيع القول بأن التسوية المرحلية لفتح القناة تواجه صعوبات لا تقل جسامة عن الصعوبات التي تواجه تحقيق التسوية الشاملة .

قضية « البناديق » : ولفترة طويلة خلال شهري نيسان — أيار شغلت الرأي العام الاسرائيلي مشكلة « البناديق » والخلافات الحادة التي ثارت حولها في الاوساط الدينية والمدنية وداخل الحكومة الاسرائيلية . ومما زاد المشكلة حدة والمشاعر توترا هو انها أتت في اعقاب قضية « تهويدات فيينا »(١)، التي اثار موقف الحاخامين المتطرفين منها غضب وزراء الاحزاب غير الدينية والرأي العام غير المتدين في اسرائيل ، وفي اعقاب الخلافات بين الوزراء حول قانون انتخاب الحاخام الرئيسي لاسرائيل وتمديد فترة صلاحيات الحاخامين الحاليين(٢) .

ان جذور « قضية البناديق » تعود الى عام ١٩٦٥ عندما تقدم الاخوان حنوخ ومريم لانغر الى المحكمة الحاخامية في تل ابيب بطلبي زواج ليكتشفا ان المحكمة تعتبرهما « بندوقين » لا ينتميان الى «شعب اسرائيل » وان اسميهما معممان على كافة المحاكم الحاخامية ومسجلي عقود الزواج في اسرائيل ، مما كان يعني انهما لن يستطيعا الزواج كل ممن اختاره قلبه، او العيش ضمن نطاق «المجتمع المحترم » في اسرائيل . ولدى البحث اتضح ان امهما حوا لانغر من بولندا كانت في صباها قد تزوجت من نصراني تهوّد ومن ثم هاجرت الى اسرائيل ، وتركت زوجها دون طلاق ، وتزوجت شخصا آخر ولدت منه الاخوين لانغر ، وبعد ذلك تم طلاقها من زوجها الاول حسب اصول الشرع اليهودي . وتوفي الزوج الثاني لانغر ، وتقدمت الام في عام ١٩٥٥ الى المحكمة الحاخامية في تل ابيب بطلب زواج ثالث ، ولدى استماع المحكمة لشهادتها وشهادة زوجها الاول ، قررت منحها اذن الزواج ، ولكنها اعتبرت الولدين بندوقين لا يجوز لهما الانتماء لـ « شعب اسرائيل » . وظلت المسألة نائمة الى ان كبر الولدان ، وتقدما بطلب الزواج كما ذكرنا اعلاه في عام ١٩٦٥ ، وانكرت المحكمة عليهما ذلك . واستأنف الولدان الحكم لدى المحكمة الحاخامية الكبرى في القدس ، وبعد اخذ ورد استمر ست سنوات ، وتحويل القضية من محكمة الى اخرى ، صادقت المحكمة الحاخامية الكبرى في القدس في عام ١٩٧٠ على القرار القاضي باعتبارهما بندوقين، وأسقط في يد الاخوين . ولما كان الاخ في الجيش الاسرائيلي على خط القناة الاول ، والاخت مجندة سابقة ، لم يجد الاخوان امامهما الا موشيه دايان، وزير الدفاع ، ليطلبا منه حل المشكلة . وهنا بدأت

---

١ — تشكل فيينا محطة عبور لليهود القادمين من دول اوروبا الشرقية . وفي هذه المدينة تم تهويد عشرات المهاجرين من غير اليهود ، الذين ينتمون الى عائلات يهودية مختلطة . وقد اعترض الحاخامون المتطرفون على هذه التهويدات بحجة انها تتم بسرعة وبشكل مخالف للاصول ورفضوا الاعتراف بقسم كبير منها . وقد أثار هذا الموقف غضب الوزراء غير المتدينين لان هذا الموقف يسيء لفرص الهجرة من الاتحاد السوفياتي ، وضغطوا على الوزراء المتدينين لاقناع الحاخامين باتخاذ موقف متساهل .

٢ — هناك حاخامان رئيسيان في اسرائيل ، واحد لليهود الغربيين وواحد للشرقيين ، وهناك اقتراح بانتخاب حاخام واحد لكل اسرائيل . وقد ثار خلاف عنيف بين الحاخامين انفسهم ، وبين الوزراء في الحكومة حول هذا الاقتراح . وكانت نتيجة الخلاف تأجيل اقرار القانون المتعلق بالحاخامية الرئيسية وتمديد مدة الحاخامين الحاليين لاربعة شهور اخرى .

القضية بالتحول الى قضية سياسية ، وازدادت تعقيداتها ، الى ان انفجر النقاش العلني حولها في الفترة المستعرضة في هذا الباب .
حول وزير الدفاع المشكلة الى الحاخام الرئيسي في اسرائيل يتسحق نسيم ، وعقد هذا اجتماعا في منزله بحضور وزيري العدل والاديان ومستشار الحكومة القانوني والحاخام الرئيسي للجيش الاسرائيلي شلومو غورن . وقرر المجتمعون ان يبحث الحاخام الرئيسي للجيش المسألة وان ينظر رأي الشرع اليهودي فيها . وكانت الاسئلة المفاتيح في القضية هي : هل تهود زوج الام الاول فعلا وفقا للشريعة الموسوية ؟ واذا كان تهود ، هل عاش حياته كيهودي ؟ وهل تم الزواج وفقا للطقوس اليهودية ؟ فاذا كان الجواب على هذه الاسئلة ، او اي منها ، سلبيا ، فان زواج الام الاول يعتبر باطلا ، وبالتالي يكف الولدان عن ان يكونا بندوقين . ويبدو ان الحاخام الرئيسي للجيش وجد بناء على الشهادات الجديدة التي جمعها ان هناك مجالا لاعادة البحث في القضية ، واستنادا الى رأي غورن قرر الحاخام الرئيسي لاسرائيل ، نسيم ، تشكيل محكمة خاصة لبحثها . ولكن يبدو أيضا ان حاخامي اسرائيل ، الواقعين تحت سيطرة المتطرفين بينهم ، والمعادين لغورن بسبب «تساهله» في حل الاشكالات الدينية من هذا النوع ، لم يعجبهم تدخل دايان وغورن في موضوع يعتبرونه من شؤونهم الداخلية . ولذلك عندما توجه نسيم الى الحاخامين والقضاة بطلب تشكيل محكمة خاصة رفض الجميع — عدا حاخام مفرد في اشدود — بحثها ، بحجة ان الجهة الوحيدة المؤهلة لبحث القضية هي المحكمة التي قضت فيها اصلا ، وهذه قد اتخذت قرارها ولا مجال لبحثها ثانية . وفشلت كل جهود نسيم في هذا الاتجاه . وثار دايان ، وهدد بتقديم قانون باسمه يدعو لاقرار الزواج المدني وبشن حملة ضد المتدينين المتطرفين في اسرائيل ، وانقسم الرأي العام الى مناصر ومعارض لرأي دايان ، وتأزم الوضع في الحكومة ، وهدد ممثلو الاحزاب الدينية في الحكومة بالانسحاب من الائتلاف . وتداخلت « قضية البناديق » مع قضايا تهويدات فيينا وقانون انتخاب الحاخام الرئيسي لاسرائيل، وتأزم الوضع. ولكن في النهاية ، كعادة حزب العمل ، توصل في الحكومة مع ممثلي الاحزاب المتدينة الى قرار بتأجيل الموضوع ، وشطبت قيادته موضوع الدين والدولة من جدول اعمال مؤتمر الحزب ، وبقي «البندوقان» بندوقين ، وظل حزب العمل الاسرائيلي يتفاخر ، على لسان سكرتيره الباب (معريف ٧١/٤/٥) بأنه واحد من الاحزاب الاشتراكية العشرة الكبرى في العالم .

الفهود السود : وفي الوقت الذي كانت فيه المشكلة الامنية والدينية تقلق بال المسؤولين والمجتمع الاسرائيلي ، برزت الى السطح بعنف المشكلة الاجتماعية — الطائفية ، التي دفعتها حدة المشكلة الامنية بعد حرب الايام الستة الى الاعماق . وقد كانت الرافعة التي ابرزت هذه المشكلة منظمة « الفهود السود » الاسرائيلية ، التي نظمت في القدس في ١٩٧١/٥/١٨ أعنف مظاهرات شهدتها المدينة لسنوات طويلة . وقد اشتبك المتظاهرون مع الشرطة ست ساعات ، من قبيل المساء الى منتصف الليل ، واسفر الاشتباك عن جرح عشرات الافراد من الشرطة والمدنيين ، والقاء القبض على اكثر من ٦٢ شخصا من اعضاء المنظمة وانصارها. وقد كانت هذه المظاهرة تتويجا لسلسلة من اعمال الاخلال بالنظام العام ، التي استهدف الفهود السود من ورائها ، لفت نظر السلطة الى حدة الاوضاع السيئة التي تعيش في ظلها الطوائف الشرقية (السفارديم) في اسرائيل .
ان منظمة الفهود السود منظمة حديثة ، مكونة في غالبيتها الساحقة من ابناء الطوائف اليهودية الشرقية الفقيرة . وقد بدأت الاخبار عن هذه المنظمة تظهر في الشهر الاول من العام الحالي . ففي ٧١/١/٢٣ ظهر الخبر التالي في صحيفة عل همشمار : « قال عدد من افراد الشباب المهمل قبل أيام للمسؤول عن عصابات الشوارع في القدس : اننا سننظم انفسنا ضد الحكومة الاشكنازية (حكومة اليهود الغربيين) والمؤسسات القائمة . اننا سنكون فهود دولة اسرائيل السود. لما شنقوا اليهود السود في بغداد ، صمت الاشكنازيون . والان عندما تلوح نية لشنق يهود بيض في روسيا — ينظمون اضرابات عن الطعام ومظاهرات » . ويستمر خبر عل همشمار : « من خلال المحادثة مع الشباب اتضح للمسؤول ان لهم اتصالا بأعضاء منظمة (ماتسبن) في القدس » . ان سياق الخبر يظهر منذ البداية الطابع الطائفي للمنظمة ، كما يظهر القلق الذي يحسه المسؤولون من جراء العلاقات القائمة بين هذه المنظمة والعناصر اليسارية ، لان المسؤولين يدركون ان اكبر خطر يمكن ان تواجهه المؤسسات القائمة في اسرائيل

هو حلف بين الفئات اليسارية غير الصهيونية القليلة العدد ، وجماهير الطوائف الشرقية الفقيرة الواسعة . وقد ظل الطابع الطائفي لمنظمة الفهود السود طوال الشهور السابقة يتعزز ويبرز اكثر فأكثر ، وظلت لافتاتهم وشعاراتهم تركز عليه بشكل واضح . ونقدم نموذجا على هذه الشعارات ما أوردته صحيفة معريف (٧١/٥/٤) من ان لافتات الفهود السود كانت تحمل فيمظاهرقاموا بها بتاريخ ٧١/٥/٣ قرب بلدية تل ابيب الكتابات التالية : «غولدا علمينا بيدش» (لغة يهود أوروبا الشرقية)، « متى يصبح ابو الطبول بايجان » (اشارة للتكريم والدعاية الواسعة التي لقيها مهاجر ضابط سابقا من الاتحاد السوفياتي اسمه بايجان) ، وما اورده نفس العدد من ان رجل « الفهود السود » في دعوته للمظاهرة كان يذيع من سيارة متنقلة : « ايها الفهود السود ليس لنا ما نخسره بعد . انتم تستطيعون قول الحقيقة كلها ... كلكم تعرفون ما يجري في هذا البلد . هنا حفنة من المستغلين تتحكم بنا باسم دولة اليهود . الى الامام في حربكم ضد الفقر ... **يسقط الاشكنازيون** » . والى جانب الشعارات التي تبرز الطابع الطائفي ، كانت هناك دوما الشعارات التي تبرز الطابع الاجتماعي — الاقتصادي ، اذ انه من المعروف جيدا ان حدود الفقر في اسرائيل تتطابق بشكل عام مع حدود الطوائف اليهودية القادمة من الشرق . وتعكس هذه الشعارات شعورا عنيفا بالمرارة من العناية التي توليها الدولة للجيش والمهاجرين القادمين من اوروبا ، مقابل الاهمال الذي تواجه به الدولة مشكلة الفقر في الاحياء الفقيرة . ونقدم كنموذج عن هذه الشعارات ما أوردته معريف في عددي ٣/٢٥/ ٧١ و٧١/٤/١٢ من ان لافتات الفهود السود كانت تحمل في مناسبتي احتجاج الكتابات التالية : « الى متى (١٠) في غرفة واحدة ؟ » ، « نعم للهجرة ، ولكن ليس على حساب المساكين » ، « للجيش نعم — لمساكن لائقة ، لا ؟ » ، « تيدي [كوليك] ، نريد حشيشا اخضر ايضا في احيائنا » .

وقد تقصدنا في صدد وصف البواعث والتطلعات لمنظمة الفهود السود ايراد الشعارات والنداءات العفوية قبل المطالب المرفوعة للمسؤولين لانها تعكسها بحرارة اكثر. وقد قدم الفهود السود مطالبهم في مقابلة اجروها مع جولدا مئير بتاريخ ١٩٧١/٤/١٣ وتتركز كلها حول المطالبة بالغاء التمييز الطائفي وتصفية الفقر وتحسين اوضاع العائلات الفقيرة وفتح المجالات التعليمية امام ابنائها وقبول ذوي السوابق في الجيش واتخاذ موقف انساني اكثر منهم وكف يد الشرطة عن معاملة المسجونين والموقوفين بقسوة . وتفسير المطالب الاخيرة هو ان عددا كبيرا من زعماء واعضاء منظمة الفهود السود هم من ذوي السوابق . وتذكر الصحف ان ممثلي الفهود السود خرجوا غير راضين من المقابلة ، لانهم لم يحصلوا على شيء فيها ، سوى الوعد بالنظر في مطالبهم .

هذا حول السمات الطائفية والاجتماعية — الاقتصادية للفهود السود ، فماذا عن السمات السياسية وعلاقتهم بماتسبن واليسار ؟ ان الناطقين بلسان الفهود السود اعلنوا في مهرجان عقدوه في الجامعة العبرية بتاريخ ٧١/٣/٢٤ انه ليس لهم ارتباطات مع الماتسبن او اية حركة اخرى سياسية يمينية او يسارية . وفي هذا القول الكثير من الصحة . اذ ان خطاباتهم والمقابلات التي اجريت معهم تظهر انهم لا يزالون غير واضحين بعد فيما يتعلق بالاهداف والوسائل والبرامج — هناك مشاعر عنيفة ومطالب تفصيلية او عريضة وعامة جدا ، وهناك فكرة مسيطرة بأن العنف هو الوسيلة الاساسية لهز الدولة واشعارها بمظالمهم . ولكن ليس هناك ثمة ايديولوجيا او برامج واضحة ، او رغبة جذرية في تهديم اسس « المجتمع الابيض ». ولذلك لا تزال الدولة تنظر اليهم في تعاملها معهم كفئة من فئات « الشباب المهمل » او « الهامشي » التي يجب حل مشاكلهم عن طريق مساعدتهم وتأهيلهم . ولكن المراقبين السياسيين يلاحظون تواجد اعضاء ماتسبن ورجال اليسار الجديد في كل المظاهرات والاحتجاجات التي ينظمها الفهود السود ، ويخشون ان يستغل اليسار المعادي للصهيونية والمؤسسات القائمة الفهود السود ، والمنظمات الاخرى الشبيهة بهم كمنظمة « اسرائيل الاخرى » لخلق تيار جماهيري عريض معاد للصهيونية ، ومن هنا يدعون الحكومة الى وضع حلول اكثر جذرية .

ما مدى قوة تنظيم الفهود السود ؟ وما هي احتمالات تحوله الى قوة سياسية جدية ؟ تقول هآرتس (٧١/٤/٢٢) ان ممثلي الفهود السود ادعوا في اجتماعهم مع ممثلي المجلس الصهيوني في اسرائيل ان تنظيمهم يضم (٩٠٠٠) عضو منهم (٤٠٠٠) خارج القدس ، وان الاعضاء العاملين عددهم (٣٠٠) . وتقول معريف (٧١/٤/١٣)

ان ممثلي الفهود السود ذكروا انهم عينوا لجنة نطق بأسمهم ، وشكلوا لجانا اخرى بينها لجنة مالية ولجنة للعلاقات الخارجية ، كما تذكر نفس الصحيفة (عدد١٢/٤/٧١) ان هناك محادثات بين ممثلي الفهود السود وممثلي « اسرائيل الاخرى » لتوحيد المنظمتين . ومهما كانت نسبة المبالغة في هذا الكلام ، فمما لا شك فيه ان المنظمة تتجه نحو المزيد من القوة والتنظيم واتساع العضوية ، ونحو التوحد مع المنظمات المشابهة . ولكن بين هذا وبين تحولها لقوة سياسية فعالة مسافة كبيرة جدا . فهي ما زال ينقصها التنظيم الفعال ، والايديولوجيا والبرامج ، والاهداف الواضحة ، ومشاركة جماهير الطوائف الشرقية لها بالانفعال لا بالعواطف . ان مطالبها أقل جذرية من مطالب الفهود السود في الولايات المتحدة الذين تكنت بأسمهم ، وعنفها ادنى بكثير من عنف اولئك . فعدا عن المظاهرة التي اشرنا اليها في مطلع الفقرة، والتي استخدمت فيها زجاجات المولوتوف، كانت اعمالهم عبارة عن مهرجانات وتظاهرات وتعطيل لحركة السير واقلاق لبعض الاحتفالات العامة ، والارجح ان تنجح المؤسسة الحاكمة في امتصاصهم .

وثيقة بنبنستي : وكان من أهم احداث الصراعات الداخلية بين الاحزاب نشر مذكرة تتعلق بمستقبل القدس ، كان ميرون بنبنستي المسؤول عن شؤون القدس العربية في البلدية اليهودية قد رفعها لوزارة الخارجية الاسرائيلية عام ١٩٦٨ ، وسربها مصدر مجهول الى صحيفة معريف التي نشرت مقاطع منها بتاريخ ٢٧/٤/٧١ . وقد اثارت هذه المذكرة ازمة حادة جدا في البلدية وطالب شركاء حزب العمل (الذي ينتمي اليه بنبنستي) في ائتلاف البلديةالحزب باقالة المذكور،واثار ممثلو كتلةجاحال والمتطرفون الموضوع في الكنيست ، مثيرين بذلك عاصفة من الجدل حول بنبنستي والقدس . وقد وقفت ادارة حزب العمل ولجنة سكرتاريته الى جانب بنبنستي، وحملت في بيان وزعته على الصحف على الجهات التي سربت الوثيقة ، واعتبرت مطلب شركاء حزب العمل في مجلس بلدية القدس باقالة بنبنستي تدخلا منهم في شؤون الحزب الداخلية . ويعود سبب الضجة التي اثارها نشر الوثيقة الى حساسية موضوع القدس بالنسبة للراي العام اليهودي ، والى الاقتباسات غير الكاملة التي نشرها الصحفي الذي سربت اليه الوثيقة ، والاستنتاجات غير الصحيحة التي توصل اليها . فقد نشر الصحفي يهوشع بتسور ، من محرري معريف ، الوثيقة دون أن يذكر تاريخها ، او يحدد الهدف منها ، او يذكر الظروف التي قدمت فيها ، وقال بأن بنبنستي يدعو الى اعادة الجزء الاكبر من مدينة القدس العربية الى السيادة الاردنية في حالة تحقق السلام ، موردا فقرات تعزز استنتاجه هذا . وقد جاء توقيت نشر الوثيقة قبل ساعات من انعقاد ادارة حزب العمل لتبحث في اقتراح تيدي كوليك ، رئيس بلدية القدس ، بتعيين بنبنستي نائبا له لشؤون التخطيط البعيد المدى لبلدية القدس، مما حمل المراقبين السياسيين على الاجماع بأن تسريب الوثيقة في هذا الوقت كان متعمدا لنسف تعيين بنبنستي ، الذي اثار خصومه الكثيرين داخل حزب العمل وخارجه بسبب آرائه « المعتدلة » .

ان نص الوثيقة نشر كاملا في عدد معريف ٤/٥/١٩٧١ بعد أن اذن آبا ايبن ، وزير الخارجية ، لبنبنستي بارفاق النص السري بالدعوى التي اقامها المذكور على الصحيفة لنشرها الوثيقة مشوهة ، حسب رأيه . ويتضح من نص الوثيقة ، ومن البيانات التي أدلى بها كولك وبنبنستي ووزارة الخارجية الاسرائيلية ، ان الوثيقة عبارة عن مذكرة تحمل آراء شخصية كان بنبنستي قد قدمها في ٢/٧/١٩٦٨ لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، من ضمن عمله في لجنة شكلت آنذاك لتقديم مشاريع بديلة لمدينة القدس في حالة حلول السلام ، ولم تجر مناقشتها في وزارة الخارجية او الحكومة او أي مكان آخر لابتعاد احتمالات تحقق حل سلمي . كما يتضح أيضا من نص الوثيقة انه ليس صحيحا ان بنبنستي اقترح اعادة الجزء الاكبر من القدس العربية للسيادة الاردنية بحلول السلام ، وانما اقترح اقامة بلدية موسعة تمثل فيها خمس بلديات فرعية يهودية وعربية تشمل صلاحياتها مدينة القدس والقرى المحيطة بها ، بما فيها بيت لحم وبيت جالا وعدد من القرى العربية التي لم يدخلها الاحتلال أصلا في نطاق ما يسمى بـ « القدس الموحدة » (!) . وفي اطار هذه البلدية الموسعة ، لما يمكن ان يسمى « بالقدس الكبرى » ، يقترح بنبنستي ترتيبات معقدة لا مجال للدخول في تفاصيلها هنا ، وانما يمكن القول انه بالنسبة لمسألة السيادة ، يعطي للاردن سيادة على جزء طفيف يقع داخل ما يسمى الان بـ « القدس

الموحدة » ، يصفه بنبنستي نفسه في الرسالة المرفقة بالمذكرة بأنه « قطعة حلوى ليس لها اهمية عملية ، ويمكن ان ترضي اعتبارات الكرامة العربية » .

ان اتضاح هذه التفصيلات بعد نشر المذكرة ، والشروحات التي قيلت فيها ، خففت من حدة الهجوم على بنبنستي من قبل مجموعة المفدال في مجلس البلدية ، وان كانت جاحال ظلت تستغلها لمهاجمة حزب العمل في الكنيست والمنابر الاخرى. ولكن الذي يلفت النظر بشكل خاص في الضجة التي ثارت حول الوثيقة هو أمران : اولا الاسلوب الذي يلجأ اليه المتطرفون السياسيون في اسرائيل لتحطيم خصومهم ، وهو اسلوب شبيهه معلق دافار السياسي (عدد ٧١/٤/٣٠) بأسلوب السناتور مكارثي السيء الصيت ، الذي كان يعمد الى نشر مقتطفات مشوهة من وثائق سرية دون ذكر تواريخها لتشويه سمعة خصومه السياسيين وتحطيمهم. وثانيا خضوع « المعتدلين » في اسرائيل لارهاب المتطرفين الفكري . وتمثل هذا هنا في تراجع بنبنستي عن موقفه الوارد في المذكرة، رغم هزالته منوجهة النظر العربية. اذ انه صرح في مجلس البلدية فيالجلسة التيعقدها المجلس بتاريخ ٧١/٥/١ بأنه لو طلب منه ابداء الراي اليوم لما اقترح ما أورده في المذكرة التي كتبها عام ١٩٦٨ لانه « منذ ذلك التاريخ تغيرت امور كثيرة » .

اخبار الاحزاب : وعلى صعيد الحياة الداخلية للاحزاب كان ابرز ما حدث اعلان أرييه الياب سكرتير حزب العمل عن عدم رغبته في تجديد ترشيحه لمنصب السكرتارية دورة اخرى ، وطرح مناحيم بيجن زعيم كتلة جاحال موضوع توحيد الحزبين المكونين للكتلة ، ووفاة بن مئير أحد زعماء المفدال البارزين ، وتفاقم الخلاف في قيادة هعولام هزه — قوة جديدة ، وحل اشكال رئاسة بلدية الناصرة.وقد جاء قرار الياب بترك منصب السكرتير العام لحزب العمل مفاجئا لاعضاء الحزب ، اذ أنه تسلمه قبل سنة ونصف فقط ، وبذل جهدا كبيرا للفوز به . وخلال عمله كسكرتير اكتسب احترام قطاعات وَاسعة من أعضاء الحزب ، رغم الخلافات التي سادت بينه وبين مئير والمتطرفين قبل فترة من الوقت بسبب رأيه من المسألة الفلسطينية . ولم يكن احد ليشك في فوزه بالمنصب مرة اخرى بدون منافسة فيما لو أعلن تجديد ترشيحه له . وقد حاول عدد كبير من زعماء الحزب ثنيه عن القرار الا انه أصر عليه . وفسر عدم رغبته في تجديد ترشيحه بعزمه على العودة لمتابعة الكتابة والبحث والتدريس ، ونفى كل الاقوال التي ذكرت انه استقال لعدم رضائه عن السياسات المتطرفة للحزب ، التي تجلت في انتقاد المتطرفين له لاعلانه عن اعترافه بوجود « هوية فلسطينية » ، وفي الخطابات المتشددة التي ألقاها المسؤولون عن رسم سياسات الحزب في مؤتمره الاخير ، والتي يقال بأنها جاءت مخالفة « لاتفاق جنتلمان » بين اعضاء الحزب ، بألا يطرح الصقور آراءهم بتطرف ، مقابل امتناع « الحمائم » عن طرح آرائهم بالمقابل . وهناك اوساط تفسر ترك الياب لمنصب السكرتير العام بطموحه لان يصبح وزيرا ، اذا ارتأى حزب العمل استخدام حقه في اضافة وزير جديد للوزارة .

وفيما أظهر حزب العمل في مؤتمره الاخير تماسكا واضحا بين الكتل المكونة له ، دعا مناحيم بيجن، زعيم حركة حيروت في كتلة جاحال ، يوسف سابير ، زعيم حزب الليبراليين شريك حيروت في الكتلة ، الى بدء محادثات معه لدمج الحزبين . وقد أعلن سابير عن استعداده للبحث في الموضوع ، رغم عدم اخفائه لاستيائه من هذه الدعوة ، واعلانه بأن اغلبية الليبراليين تفضل عدم الاندماج ، وبقاء التعاون بين الحزبين في شكله الحالي ، المتمثل بكتلة جاحال . ويعود سبب استياء سابير الى شعوره بأن بيجن طرح فكرة الدمج في هذا الوقت بالذات لدعم موقف الجناح المنافس لمجموعة سابير داخل الحزب الليبرالي بمناسبة اقتراب موعد عقد مؤتمر الحزب ، الذي تحدد موعدا له الاسبوع الاول من ايلول القادم . ويدعو الجناح المنافس لسابير ، بزعامة ي. سرلين وز. تسيمرمان ، الى دمج الحزبين قبل انتخابات الكنيست الثامنة القادمة .

وكانت وفاة ي. ش. بن مئير ، زعيم الجناح المدعو جناح (ب) في حزب المفدال ، وهو حزب المتدينين ، في اوائل ابريل ، صدمة عنيفة لاعضاء الحزب ، الذي يعاني من أزمة داخلية حادة بسبب الخلاف بين الاجنحة المختلفة المكونة له ، وهو خلاف استفحل بعد وفاة حاييم شابيرا ، الشخص الاقوى في حزب المفدال . ويجد زعماء الحزب الحاليون صعوبة في ضبط اعضاء الحزب في الكنيست ، ويسود شعور في اوساط المراقبين السياسيين بأن حزب المفدال يشبه سفينة فقدت

ربانها ، ويتوقعون حدوث تبدلات في موازين القوى داخله .

وفشلت اللجنة التي شكلها مركز حركة هعولام هزه — قوة جديدة في تحقيق مصالحة بين زعيمي الحركة المختلفين فيما بينهما ، اوري افنيري وشلوم كوهن . وقد نجم الخلاف بشكل رئيسي عن رفض شلوم كوهن التخلي عن منصبه في الكنيست ليحل محله امنون زخروني ، سكرتير الحركة ، بناء على قرار مركز الحركة ، وحسب وعد شلوم كوهن لدى شغله لمنصب الممثل الثاني لحركة هعولام هزه في الكنيست ، باعتبار اوري افنيري الممثل الاول . بل على العكس من ذلك اتسع الخلاف بينهما ودخل ممثل الحركة في اللجنة التنفيذية للهستدروت نعيم جلعادي طرفا في الخلاف ، ورفض هو بدوره الاستقالة من منصبه ، استجابة لقرار مركز الحركة ليحل محله نوعام بلوم . وقد شنت مجلة الحركة هعولام هزه في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٥/١٩ هجوما عنيفا على كوهن وجلعادي واتهمتهما بمحاولة نسف الحركة لخدمة مصالحهما الشخصية .

وتم في الاسبوع الثالث من شهر نيسان اتفاق مفاجىء بين حزب العمل والمفدال حل الاشكال الذي كان قائما بينهما بصدد شغل منصب رئيس بلدية الناصرة العربية . وكان سبب الاشكال هو اصرار حزب العمل على تعيين سيف الدين الزعبي ، نائب رئيس الكنيست ، رئيسا للبلدية ، واصرار المفدال على رفضه . ويبدو أن المفاوضات المضنية التي دارت بين الطرفين ودامت أربعة شهور ، قد اقنعت المفدال بسحب اعتراضه . وهكذا جاء الاتفاق ليقضي بتعيين سيف الدين الزعبي رئيسا للبلدية ، ويعقوب سالم ممثل المفدال نائبا له ، وموسى كتيله رئيس البلدية السابق نائبا له لشؤون التخطيط . ويقول المراقبون بأن قبول سيف الدين الزعبي بمنصب رئاسة البلدية ، بعد أن كان يطالب بمنصب نائب وزير ، فسح المجال للاتفاق بين حزب العمل والمابام على تعيين العضو المابامي عبد العزيز الزعبي ، منافس سيف الدين الزعبي العائلي ، نائبا لوزير الصحة .

احمد خليفة

(٥) المناطق المحتلة

حول موضوع اقامة جامعة في رام الله : كثر في الاونة الاخيرة الحديث في الصحافة العبرية حول موضوع اقامة جامعة في الضفة الغربية ، ولم يكن موضوع الجامعة بحد ذاته هو الذي يقف وراء هذا الاكثار الذي وصل الى درجة الاسفاف ، بل الاطراف المتناقضة ذات الصلة بالموضوع هي التي أججت هذا الحديث ، وجعلته يبتعد عن صلب الموضوع . وقبل التطرق الى موضوع اقامة الجامعة ، ولمعرفة أسباب الضجة التي أثيرت حول هذا الموضوع ، سنحاول تحليل مواقف الاطراف المختلفة ذات الصلة به .

١ — السلطة الاردنية : تعارض السلطة الاردنية بكل شدة فكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية لاسباب سياسية ، خشية ان يؤدي هذا العمل الى بلورة « الكيان الفلسطيني »، وبالتالي فصل الضفة الغربية عن الاردن ، ولهذا السبب ايضا تعارض السلطة الاردنية اقامة معامل صناعية في الضفة الغربية . وقد اوضحت السلطة الاردنية ذلك ، مع التهديد ، لمندوبين من الضفة الغربية قدموا الى عمان . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان معارضة النظام الاردني لفكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية ليست بالجديدة ، كما أن فكرة الجامعة ليست بالجديدة أيضا ، وليست وليدة الاحتلال الاسرائيلي ، بل تعود الى عام ١٩٥٢ عندما قدم اقتراح في ذلك الوقت بواسطة انور نسيبة الذي شغل عدة مناصب في النظام الاردني ، الى سلطات الاردن باقامة مؤسسة اكاديمية في الضفة الغربية لاستيعاب خريجي المدارس الثانوية ، الا ان الحكومة عارضت لاسباب سياسية هذا الاقتراح ، ورأت انه اذا كان الامر يتطلب اقامة جامعة ، فانه من الواجب اقامتها في عمان .

٢ — سلطات الاحتلال الاسرائيلية : يتسم موقف سلطات الاحتلال الاسرائيلية بالتأرجح والتذبذب بين قبول الفكرة ومعارضتها ، فالسلطات الاسرائيلية تسعى من وراء قبولها الى اظهار مدى تسامحها تجاه عرب المناطق المحتلة ، وبالتالي ابراز صورة حكمها في انظار العالم بالشكل الحسن ، في محاولة منها لتخفيف وطأة الاحتلال ، واستدامته . الا انها من الناحية الاخرى ، وهذا ما يفسر التذبذب في موقفها ، تخشى ان تتحول الجامعة الى « بؤرة تحريض ضد الوجود الصهيوني » . ولهذا السبب نرى موقف يجال الون نائب رئيسة الحكومة ووزير الثقافة والتعليم يتأرجح تجاه هذا الموضوع حين قال في اوائل شهر فبراير عند زيارته لمدينة نابلس: « ان حكومة اسرائيل لن تعارض اقامة جامعة في الضفة الغربية ... وستقام هذه الجامعة على أيدي العرب ومن أجل العرب ومن نقود العرب » (معاريف ٧١/٤/٢) الا أنه عاد ووضع شرطا يتناقض مع طبيعة الاشياء ، « بأن لا تكون هذه الجامعة بمثابة بؤرة تحريض ضد اسرائيل » . وكان وزير الدفاع موشيه ديان هو الاخر قد صرح قبل يجال الون ، أمام نفر من رجالات الضفة الغربية انه على استعداد ان يدرس « بعطف وتقدير » الاقتراح الداعي لاقامة مؤسسة اكاديمية في الضفة الغربية دون أن يتعهد بالموافقة سلفا على الاقتراح . ولكن « عطف وتقدير » وزير الدفاع تجاه هذا المشروع يتناقض تماما مع موقفه القديم المعروف تجاه المثقفين العرب الموجودين في فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ عندما قال في احدى المناسبات انه « كان يتمنى لو أن هؤلاء العرب بقوا حطابين ونشالي مياه » .

٣ — الزعامة التقليدية في الضفة الغربية : يمكن تصنيف هذه الزعامة من زاوية الدعوة لاقامة الجامعة الى جناحين : اولا ، الداعون الى اقامة الجامعة . ثانيا ، المعارضون لاقامتها . ويعتبر الجناح الاول وهو صاحب الفكرة ، من أنصار الدعوة الى « الكيان الفلسطيني » ولهذا السبب تعثرت فكرة اقامة الجامعة ودخلت في متاهات سياسية ، واصبح ينظر اليها من خلال شخصيات انصارها الذين يعتبرون من أنصار « الكيان الفلسطيني » وليس من خلال الفكرة بحد ذاتها. ويقف على رأس هذا الجناح المحامي عزيز شحادة المعروف بدعوته الى الكيان الفلسطيني . وقد اكتسبت دعوة المحامي عزيز شحادة لاقامة جامعة في الضفة الغربية شخصيات اخرى من الضفة ، وان كانت هذه الشخصيات تختلف معه حول فكرة الكيان الفلسطيني ، مثل رئيس بلدية نابلس سابقا حمدي كنعان الذي يتذبذب موقفه تجاه السلطة الاردنية بين تأييدها والوقوف في وجهها ، ومثل

رئيس بلدية الخليل الشيخ محمد علي الجعبري المعروف بتملقه للسلطات الاردنية قبل حرب الايام الستة ، وبتحويله هذا التملق ذاته للسلطات الاسرائيلية بعد الحرب .

أما الجناح الثاني الذي يقف في وجه فكرة اقامة الجامعة فانه يتشكل من الزعامة التقليدية التي لا زالت على ولائها للسلطات الاردنية وان اختلفت نسبة الولاء بين هذا او ذاك « ومن بينهم حاكم القدس سابقا أنور الخطيب . ومفتي القدس سعد الدين العلمي ، والرئيس السابق للبرلمان الاردني حكمت المصري من نابلس ، وعبد الرحيم الشريف من الخليل ، وعبدالرؤوف الفارس من طلوزه » . وتقول صحيفة معاريف (٧١ /٣/١٥) : « ان العزف على وتر القومية العربية هو الذي يوجه اولئك الذين يعارضون اقامة الجامعة » . ولكن هذا الجناح المعارض ، لا يبدي نشاطا ملموسا لمعارضته ، بل يكتفي بالتزام موقف سلبي تجاه الدعوة لاقامة الجامعة. بينما الجناح الاول صاحب الدعوة ، يقوم بنشاط واسع وكبير من أجل استقطاب معظم رجالات الضفة الغربية الى جانبه، ويحاول في نفس الوقت ابعاد الامور السياسية ، والمواقف السياسية لاصحاب الدعوة ، عن فكرة اقامة الجامعة « لان الحاجة لاقامة جامعة في الضفة » — كما يقول المحامي عزيز شحادة — ليست نابعة من اعتبارات سياسية ، فهنالك صعوبات تقف امام قبول خريجي المدارس الثانوية في المعاهد العليا في الدول العربية » ويضرب مثلا على ذلك بقوله انه يوجد في رام الله لوحدها ٤٠٠ شاب يودون الالتحاق في المعاهد العليا في الدول العربية ، غير ان هذه المعاهد لم تقبل الا عشرة أشخاص ، ولا يزال ٣٩٠ شابا ينتظرون ... (معاريف ٧١/٤/٢) . ويشكو الداعون الى اقامة الجامعة في الضفة ، من « ان جامعات القاهرة تخصص عددا محدودا من الاماكن للطلبة الفلسطينيين » ، وكذلك من العراقيل التي تضعها الجامعة الاردنية في وجه ابناء الضفة الغربية بعد مجزرة ايلول .

والحقيقة ان اوضاع خريجي المدارس الثانوية ، القاسية، في المناطق العربية المحتلة تعزز من موقف انصار فكرة اقامة جامعة في الضفة الغربية ، فقد اظهرت دراسة أعدها الدكتورسليمناشفمديرمدرسة خضوري الزراعية في طولكرم « ان عدد خريجي المدارس الثانوية في الضفة الغربية وصل في عام ١٩٧٠ الى ٦٢٦٦ طالبا بزيادة حوالي ١٥٠٠ طالب عن ١٩٦٩ ، وحوالي ٢٠٠٠ طالب عن ١٩٦٨ . اما خريجو المدارس الثانوية في قطاع غزة لعام ١٩٧٠ فقد بلغ ٦٨٥٧ » . واظهرت الدراسة أيضا ان حوالي ١٠٠٠ طالب من الضفة الغربية يتلقون دراستهم اليوم في جامعات الدول العربية. وفيما يتعلق بعدد طلبة القطاع فقد أعطت الدراسة ارقاما دقيقة « ١٠٣١ طالبا في جامعات مصر و٤٢٠ في جامعات بقية الدول العربية » .

من خلال هذا الواقع القاسي الذي يمر به خريجو المدارس الثانوية في المناطق العربية المحتلة ، انطلق دعاة فكرة اقامة جامعة في الضفة ، وقد اجتذبوا الى جانبهم عددا كبيرا من شخصيات الضفة الغربية ، الا ان هؤلاء واجهوا مشكلة المكان الذي ينبغي ان تقام فيه الجامعة ، فقد حبذ رجال نابلس ان تبنى الجامعة في مدينتهم بينما حبذ رجال القدس والمنطقة الجنوبية من الضفة ان تشاد في بلدة بير زيت بالقرب من رام الله الى ان استقر الرأي بالاجماع على ان تبنى في بير زيت . غير أن المشكلة الاساسية التي واجهت أصحاب الدعوة تتمثل في مدى جدية استعداد السلطات الاسرائيلية للموافقة على مبدأ الفكرة . فقد اتضح فيما بعد ان الضوء الاخضر الذي اعطاه كل من الون وديان لدعاة الفكرة ، بدأ يتحول رويدا رويدا الى ضوء احمر . ويعود ذلك الى تخوف الحكومة الاسرائيلية من أن تتحول الفكرة الى واقع بسبب النشاط الواسع الذي يقوم به انصار اقامة الجامعة ، والحاجة الماسة التي يفرضها الواقع المرير لخريجي المدارس الثانوية ، لانشاء مؤسسة دراسية عليا تستوعب هؤلاء الخريجين ، فسلطات الاحتلال الاسرائيلية كانت تتصور ان الفكرة حول اقامة جامعة في الضفة ستكون ميدان صراع بين السلطات الاردنية والزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، يخرج النظام الاردني منه في نهاية المطاف بقصبة السباق ، ومن الافضل لسلطات الاحتلال، من خلال هذا التصور ، أن ترسم لنفسها صورة امام الرأي العام توحي بأنها مؤيدة للفكرة . الا ان هذا التصور لم يكن في محله ، فقد تمكن انصار فكرة اقامة الجامعة من تجنيد عدد كبير من ابناء الضفة الغربية وكذلك من قطاع غزة ، واداروا ظهرهم لمعارضة السلطة الاردنية حين اعدوا عريضة وجهوها الى سلطات الاحتلال الاسرائيلية لكي تسمح لهم باقامة الجامعة . ومن الجدير بالذكر

هنا ان القائمين على هذه الدعوة لا يريدون من سلطات الاحتلال اية معونات مادية او بشرية من اجل اخراج فكرتهم الى حيز التنفيذ ، بل يسعون للحصول على شيء واحد فقط : السماح بالتنفيذ. عندما امر اصحاب الدعوة على مطلبهم بتوجيه عريضة الى سلطات الاحتلال الاسرائيلية للحصول على موافقة رسمية من قبلها، اخذت هذه السلطات تماطل الامر الذي دفع اصحاب الدعوة الى المطالبة بعقد مؤتمر عام يحضره ممثلون عن الضفة الغربية وقطاع غزة لدراسة موضوع اقامة الجامعة ، واتخاذ قرار حاسم تجاه هذا الموضوع . عند ذلك تحركت سلطات الاحتلال الاسرائيلية لافشال المؤتمر ، فوضعت شرطين لعقده . الاول : عدم اشتراك مندوبين عن قطاع غزة في المؤتمر . الثاني: اقتصار المؤتمر على رجال السلك التعليمي في الضفة الغربية . ولا يخفى على احد ان الشرط الثاني ، ينسف تعهدات آلون وديان لشخصيات الضفة الغربية ، خاصة وان رجال السلك التعليمي في الضفة الغربية الذين اشترطت سلطات الاحتلال الاسرائيلية اقتصار المؤتمر عليهم ، لا يستطيعون بحكم مصالحهم الذاتية معارضة النظام الاردني ، فهؤلاء لا يزالون يتلقون معاشاتهم من الخزينة الاردنية ، ولو حدث ان خالف البعض رأي عمان لعرض لقمة عيشه للخطر . ولعل هذا الواقع هو الذي حدا بالسلطات الاسرائيلية الى اتخاذ هذا الشرط .

وقد عقد المؤتمر في ٥/٤/٧١ في دار المعلمات في رام‌الله بحضور ٢٥ شخصا من افراد السلك التعليمي « لبحث المكان الذي ستقام فيه الجامعة ومصادر التمويل » (معاريف ٦/٤/٧١) وبعد مداولات استغرقت اربع ساعات قرر المؤتمرون تشكيل لجنة مكونة من ١١ شخصا للعناية بشؤون التعليم في الضفة الغربية دون ان يتطرقوا الى موضوع الجامعة .

حادثة بيت جبرين و« قوات الرعب » : من ابرز الاعمال الفدائية التي وقعت مؤخرا في الضفة الغربية عملية بيت جبرين التي اعادت الى الاذهان فترة المد في النشاط الفدائي الذي بلغ ذروته في عام ١٩٦٩ ، تلك الفترة التي لقي فيها عدد من كبار الضباط الاسرائيليين مصرعهم . ففي حادثة بيت جبرين التي وقعت في ٢٠/٤/٧١ لقي اربعة ضباط اسرائيليين مصرعهم ، واصيب ثلاثة آخرون بجراح على اثر ارتطام سيارة عسكرية اسرائيلية بلغم غرسه الفدائيون العرب . وهؤلاء القتلى هم (١) العقيد « مردخاي نديبي » الذي كان يشغل في الاونة الاخيرة منصب قائد الدفاع المدني في منطقة دان ، وعمل قبل ذلك كمدرس في كلية القيادة والاركان ، كما اشترك في العدوان على الضفة الغربية كقائد كتيبة (٢) المقدم بيرتس عوري (٣) الرائد مردخاي لوستيج (٤) الملازم (احتياط) باروخ روزن . ومن ناحية اخرى اعلنت سلطات الاحتلال عن اكتشافها لعدد من الخلايا السرية في الضفة الغربية ، من ابرزها تنظيم سري في نابلس يدعى «قوات الرعب» الذي يتميز بأن معظم افراده من النساء والفتيات . وقد نشطت قوات الرعب التي تستهدف«التصدي للاحتلال الصهيوني والحفاظ على شرف المرأة العربية » في توزيع المناشير المناوئة للاحتلال الاسرائيلي ، وفي تلقي التدريبات على استخدام الاسلحة والمواد المتفجرة . ومن بين اللواتي ألقي القبض عليهن بتهمة الانتماء الى هذا التنظيم ابتسام عميرة وهيام محمد احمد وانصاف شبارو ونعمت احمد .

« السياسة الجديدة » في قطاع غزة : على اثر الاعمال المشينة و« الفظائع » التي ارتكبتها قوات الاحتلال الاسرائيلية في شهر يناير من هذا العام ، تتويجا لسياسة العقاب الجماعي التي ابتدعها وزير الدفاع موشيه ديان ، وعلى اثر ردود الفعل الغاضبة بين اوساط الرأي العام العالمي وحتى بين اوساط مستنيرة في اسرائيل ، وصمود شعب القطاع ، هذا الصمود الذي ارغم احد الضباط الاسرائيليين من بين اولئك الذين اشتركوا في حملة يناير الى الاعتراف : « انني افضل الاشتراك في خمس حروب على ان اشترك مرة اخرى في نسف منزل عربي واحد في غزة » (معاريف ٩/٤/٧١) على اثر ذلك كله وجدت السلطات الاسرائيلية انها مضطرة لتغيير سياستها المعلنة تجاه قطاع غزة واتباع « سياسة جديدة » .

ففي مطلع شهر ابريل من هذا العام اقدمت السلطات الاسرائيلية على استبدال قائد قطاع غزة وشمال سيناء الزعيم الثاني مناحيم ابيرام « بالزعيم الثاني يتسحاق فونداق » كما والحقت هذا الاستبدال بسلسلة من التغييرات على جهاز الحكم العسكري بغية اعادة تنظيمه من جديد وملاءمته بالجهاز العسكري في الضفة الغربية . وبمقتضى هذه التغييرات تم الفصل بين الموضوع الامني والموضوع المدني الامر الذي ادى الى

خلق قيادتين في القطاع الاولى «قيادة قوات الجيش الاسرائيلي لقطاع غزة وشمال سيناء » يقودها «ضابط كبير» يخضع مباشرة لقيادة المنطقة الجنوبية التي يقف على رأسها الزعيم « اريك شارون » ومسؤوليتها الحفاظ على الامن ، والثانية « قيادة منطقة قطاع غزة وشمال سيناء » ، برأسها الزعيم الثاني « يتسحاق فونداق » ، ومسؤوليتها الاعتناء بالشؤون المدنية .

وترمي السلطات الاسرائيلية من وراء ذلك الى ان ينشط كل جهاز في مجاله ، حيث يقتصر نشاط القيادة الاول على مطاردة رجال المقاومة بينما تنشط القيادة الثانية في تقديم الخدمات للمدنيين، على أمل ان تؤدي عملية الفصل هذه في الاجهزة الى عزل المقاومة عن الشعب ، وبالتالي تصفيتها ، غير أن القائد السابق للقطاع ، الذي اكتسب خبرة عشرين شهرا من العمل هناك يعارض عملية الفصل لانه يرى « ان المشاكل العسكرية والمدنية في القطاع متشابكة ، ولا يمكن الفصل بينها » واشار الى « ان المنظمات الارهابية في القطاع منظمة بشكل سري ، وتعتمد على الرغبة القومية الجامحة التي تختلج في صدور السكان المدنيين » (معاريف ٧١/٤/٢) . ومع ادراك المؤسسة العسكرية لوجهة نظر القائد السابق الا انه يبدو انها وصلت الى قناعة بأنه من غير الممكن الاستمرار في « سياسة اليد القوية » التي انتهجتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي تجاه القطاع قرابة اربعة اعوام ، والتي كانت نتائجها بعكس ما تتوخاه تلك السلطات. ولذلك قررت انتهاج سياسة اخرى شبيهة بالسياسة المتبعة في الضفة الغربية .

ما هي ملامح هذه السياسة الجديدة ؟ تقول صحيفة هآرتس (٧١/٤/٢٨) : « ان السياسة كما تبدو اليوم ، هي معالجة اوسع في منح خدمات للمواطنين وفي تنفيذ اعمال تطوير في مدن القطاع . وكذلك البدء باعمال اجتماعية تشمل عرض افلام في المدارس والمستشفيات ، وتنظيم رحلات من غزة الى اسرائيل ، واقامة مكتبة متنقلة في القطاع ، وانشاء عشرات من ميادين الملاهي في مدن القطاع . وكذلك ايجاد عمل لكل عاطل عن العمل خاصة لاولئك الذين يتسكعون طيلة اليوم دون اي عمل . ومن الطبيعي ان هؤلاء ينجذبون الى الاعمال التخريبية اكثر من الاخرين . كما ويبدو انه ستدرس امكانية اصدار صحيفة في قطاع غزة ، كما هو الحال في الضفة الغربية ، ذلك لان السكان في القطاع معزولون تماما عن الاحداث التي تقع هناك ويستقون الاخبار من خلال اجهزة الراديو والتلفزيون التي تكثر من الحديث حول اعمال التخريب .. » . ومن اجل تخفيف عبء هذه السياسة الجديدة عين القائد الجديد لمنطقة قطاع غزة وشمال سيناء مساعدين له ، الاول يتقن اللغة العربية ويلم جيدا بمشاكل القطاع ، سيكون مسؤولا عن الصحة والشؤون الاجتماعية ، بينما المساعد الثاني سيكون مسؤولا عن شؤون التطوير والاسكان والزراعة .

غير ان هذه السياسة الجديدة التي تحاول السلطات الاسرائيلية اضفاء روح التسامح عليها تحمل بين طياتها اخطارا جسيمة ونوايا مبيتة تفوق اخطار سياسة « اليد القوية » التي ورثتها. وقد كشفت صحيفة معاريف عن هذه الاخطار اثناء تطرقها لهذه السياسة الجديدة بقولها : « انه سيكون من الممكن - مثلا ، نقل ما بين ١٠٠ — ١٥٠ الف لاجىء من القطاع الى مخيمات اللاجئين الخالية في الضفة وتوطينهم هناك ، وبذلك تقل الكثافة السكانية في القطاع ، مما من شأنه ان يؤدي الى تطوير نشط في المجال الصناعي ، لايجاد عمل دائم الى ٧٠ - ١٠٠ الف لاجىء الذين سيبقون في القطاع . واضافت : « ان هذا التوزيع للقوى البشرية في اماكن قريبة من المراكز الصناعية في البلاد بوسعه حل المشكلة . ويمكن لهذه العملية ان تتم بسهولة عندما يكون هناك تنسيق تام بين الضفة والقطاع ... » . ومع ذلك ، وبالرغم من كل الامال التي تعلقها اسرائيل على ما تسميه « بالسياسة الجديدة » في القطاع فان الالتحام المستهدف بين الشعب والمقاومة يبقى العنصر الاساسي لافشال مخططات سلطات الاحتلال الاسرائيلية . وقد برهن هذا الالتحام عن وجوده بعد اسبوع واحد من اعلان تلك السياسة ، حين خرجت جماهير مخيم جباليا للاشتراك في تشييع جنازة اربعة من الفدائيين استشهدوا في معركة مع قوات الجيش الاسرائيلي داخل المخيم . فقد تحولت المسيرة الجنازية الى مظاهرة ضد قوات الاحتلال ، وحاولت قوات الاحتلال التدخل في هذه المظاهرة الا « ان النساء اللواتي يتملكن الغضب قمن برجم رجال الدورية الاسرائيلية بالحجارة ». وتقول صحيفة معاريف (٧١/٤/٨) « وفي غضون ذلك سمعت طلقات نارية من قبل الفدائيين » !

مراجعات

Mona Saudi, **In Time of War: Children Testify**
(Beirut, Mawaqef and P. F. L. P., 1970).

« شهادة الاطفال في زمن الحرب » ، ليس كتابا يتناول احد اوجه القضية الفلسطينية بالمعنى المتعارف عليه منذ زمن ، غير انه حري بالاهتمام شأنه شأن اكثر الكتب اتصالا بواقع الشعب الفلسطيني ونضاله في أسخن مراحله في التاريخ المعاصر . انه « آلبوم » غني بأكثر من مئة صورة رسمت بأقلام اطفال المخيمات والوانهم ، يعطينا أول فرصة « لقراءة » افكار اطفال النزوح الثاني عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ومعركة الكرامة وما تلاها من زخم نضالي ، ولان الاطفال ، عندما يودون أن يقولوا شيئا فأنهم يرسمون ، فأن الكتاب — الالبوم ، يقدم لنا بلغة الطفولة نتفا مما قالوه في الحرب والنزوح ، وفي حياة المخيم اليومية، في الفدائي، ولا ينسى الاطفال ان يرووا ايضا حكاياتهم الصغيرة الاخرى، بالزخرفة واللعب والتلوين . لذلك يمكن القول ، ان اطفال المخيمات ، عبر كتاب منى السعودي ، قد اوصلوا اصواتهم عاليا هذه المرة باللغة التي تروق لهم ، وكم هو مبهج ذلك الصدى الذي نلقاه اينما وصلت هذه الاصوات النزقة ، اذ انني ، في حدود ما اتصل بي ، قد رأيت نتفا منها في صحف فرنسية والمانية وامريكية ، بالاضافة الى ما تداولته الصحف العربية ، وهو ليس بالقليل .

مع ذلك فأن الكتاب ، بأهميته الاستثنائية ، لا يخلو من بعض اوجه القصور وبعض الثغرات والاخطاء سوف نتناولها في سياق ملاحظاتنا التالية :

١ — يخلو الكتاب من اية دراسة او ملاحظات مفيدة حول تجربة جمع رسوم الاطفال الفلسطينيين وعرضها ، ويبدو ان هذا لم يكن في نية منى السعودي اذ تكتب « ليس هذا الكتاب بحثا او دراسة لفن الاطفال ، انه وثيقة وضعها الاطفال الفلسطينيون برسومهم واحاديثهم » (ص ١٤) . غير ان هذا لا يعني الكتاب من قصوره من تقديم هذه الرسوم ضمن اطار تجربة اكتسبت مدلولات اجتماعية ونفسية وسياسية وتقانية في حقبة تاريخية هامة ، اذ لا يكفي ان يردد لسان حال « الرسوم تفسر نفسها بنفسها » لتدفع عن انفسنا مهمة استخلاص جملة من النتائج نحن اقدر على صوغها بحكم اتصالنا بالتجربة ، والتي قد تقدم اساسا اوليا للمعنيين والمهتمين بدراسة رسوم الاطفال(١). وحتى المقدمة التي صاغتها محرر الكتاب ، قاصرة جدا عن ايفاء هذه المهمة ، فهي مشوشة ، رومانطيقية ، ذاتية ، تصف مشاعر « رحلة » ولا تقدم أوليات منهج للتجربة ، كأن تقول « في اليوم الاول استقبلوني بالشتائم وعبارات الاستهزاء : « نحن لسنا للفرجة ، روحوا اتفرجو على شيء آخر » . خجلت منهم وكدت اعتذر . بعد ايام عرفوني وعرفتهم . نبتت بيننا صداقة ، (ص ١٤ ، ١٦) . واذ تتحدث كيف تخاطف الاطفال الورق واقلام التلوين تقول « كانت أصابع الالوان تتحول بين أيديهم الى سكاكين حادة ، وكانت بهم رغبة عنيفة لحفر ذكرياتهم بكل كثافتها الحقيقية ؛ فالحرب لم تكن حلما ماديا ، كانت حلما حقيقيـــ

---

١ — اقول هذا بوصفي قد شاركت منى في التجربة حتى عرض هذه الرسوم في مخيم البقعة في الاردن (٢١ — ١٩٦٨/١١/٢٤) ، ولعل هذا يطرح أحد أوجه الخلاف بيننا ، اذ غالبا ما تنظر منى الى هذه الرسوم من منظار جمالي بحت ، فيما يفترض فينا ، ان نراها داخل اطارها الاجتماعي العام أيضا . وقد انعكس هذا على نهج كل منا في رؤية هذه الرسوم ، فاكتفت هي بعرض هذه الرسوم ، وانصرفت شخصيا الى دراسة هذه الرسوم من جوانب متعددة . وعلى الرغم من ان دراستي قيد النشر الا انني رغبت دوما في أن تقدم منى سعودي وجهة نظرها في هذه الرسوم . وهو ما كان مطلوبا منا بصورة خاصة (راجع تقديم د. صادق العظم للمعرض في كلمة نشرت في جريدة « الثورة » الدمشقية الصادرة في ١/٣/ ١٩٦٩) .

سكنه ازيز الطائرات ، ملونا بدماء الناس » غير انها بعد هذه الجملة البليغة حقا تصطنع موقفا محايدا فتقول « لم اطلب منهم التعبير عن مأساة الحرب ، كان هذا آخر ما يهمني » لماذا ! لانها تريد ان تقول « تركت لهم حرية التعبير » (ص ١٦) .

غير أن ثمة فقرة يتيمة تكاد توضح ما ارادته من التجربة « كنت اريد من خلال الرسوم معرفة مدى تأثير الظروف القاسية التي مروا بها والتجارب المريرة التي عاشوها ، ومدى وقع المفاجأة التي فاجأهم العالم بها وتأثيرها في طاقاتهم الابداعية » (ص ١٨) . غير أنها تظل فقرة مبهمة غامضة .

خلاصة القول ان « المقدمة » ، تقف عند حدود الوصف الانشائي الجميل ، قافزة عن منهج موضوعي يشد الفقرات المتفصلة ، المكتفية بذاتها ، عن سابقاتها ولاحقاتها ، جامعة ما بين فقرات مثالية، وجودية (« كيف يستطيع الصغار أن يسخروا من لعب الكبار ! » من هم الكبار مثلا ؟ واضعة بذلك هموم أطفال المخيمات المزدوجة في مصاف هموم « الامير الصغير ») وفقرات تبشيرية ، استنهاضية : « ولد الالم . صار الحزن يقطر من قلوب الناس . انطلق غضب حاد ، وفي قلوب الاطفال والفقراء ولد فعل الرفض ، حمل الانسان المشرد بندقية معلنا ارادته ، تحولت خيمة اللاجيء الى خيمة ثائر . لم يعد الطفل الفلسطيني اللاجيء الفقير المسكين ، طفل وكالة الغوث ، بل أصبح ولادة جديدة في العالم العربي ، انطلاقة تحمل الكثير من الامكانات والطاقات الخلاقة ! » (ص ٢٠) وكان ممكنا ، ما دامت منى قد اختارت أن تكون مقدمتها على هذا النحو ، ان تضع « مدخلا » يقدم الملاحظات الضرورية لكل باحث تهمه هذه الرسوم .

٢ — لم يكتف الكتاب برسوم الاطفال ، اذ استنطقتهم منى السعودي بلغة محكية ، في محاولة لاستكمال « شهادتهم » . غير أن هذه المحاولات تكون غالبا محفوفة بالمخاطر ، وعلى الاقل فان تجربة منى لاستخلاص شيء من أفواه اطفال المخيم لم تنته الى نتائج يركن الى قيمتها . ويعود هذا الى أن طبيعة اللغة المنطوقة عند الاطفال تتباين مع « لغتهم » الشكلية ،وهذا هو سر رسوم الاطفال وقيمتها الحقيقية ، فالتعبير بالكلام « فن » يتعلمه الطفل من الاسرة ، من المدرسة ، ومن الوسط الاجتماعي ، فيما يفترض ان الرسم والتخطيط فن يتعلمه الطفل من تلقاء نفسه ، مستمدا مع تقدم نموه رموزه وقيمه من الوسط الاجتماعي(٢). لذلك نجد تعامل الطفل مع الالوان والخطوط والاشكال اكثر نقاء وعفوية وصدقا من تعامله مع اللغة المنطوقة ، التي كثيرا ما تتضمن مواقف ناضجة لفظيا دون أن يطابقها نضج موضوعي « ذهنيا وسيكولوجيا وخبرة » اذ غالبا ما « تتسرب » الى لغته كلمات وعبارات اشبه ما تكون بالكليشهات اللفظية يتعلمها الاطفال بالتكرار من الكبار في مراحل نمو الطفل المبكرة ، اي مرحلة اكتساب اللغة وتعلمها وما يتلوها .

صحيح أن ثمة عبارات ينطقها الطفل ، تتضمن عبقرية خاصة ، كما يشير الى ذلك كارل ياسبرز، الا أنه ينبغي عدم تعميمها بصورة تعسفية . وليس عبثا ، ان تنشأ مدرسة كاملة في ميداني علم النفس التجريبي والاختباري قائمة على اتخاذ رسوم الاطفال أداة لقياس الذكاء عند الاطفال وليس على « كلام » الطفل او لغته(٣). لذلك ، فانه لا يعتد كثيرا بما استنسخته منى من اقوال الاطفال في المخيم ، فيما عدا القليل الذي تضمن « لغة » طفولية حقيقية . لنأخذ امثلة مقارنة من الكتاب :

---

٢ — أقول : « يفترض » ان الرسم والتخطيط فن يتعلمه الطفل من تلقاء نفسه ... ، لان ما يحدث عمليا في المدارس العربية عكس ذلك ، اذ يجري استخدام طريقة الامشق ، اي وضع نماذج محددة امام الطفل ليرسمها ، ويكون معيار الجودة في الرسم الدقة والاتقان في نقل النموذج، او تلوينه . وهذا طبعا مغاير لطبيعة الطفولة ومتطلباتها ، وقد أشرت الى هذه الظاهرة — في نطاق تجربتنا مع اطفال مخيم البقعة ، وكيف تخلصنا منها — في الدراسة التي أعددتها حول هذه التجربة وهي كما ذكرت قيد النشر .

٣ — راجع : مؤسسة هذه المدرسة فلورنس جودانف ، التي وضعت أول اختبار مقنن لقياس الذكاء عند الاطفال من خلال رسومهم ، في كتابها الصادر عام ١٩٢٦ :

Florence Goodenough, *Measurement of Intelligence by Drawings*, N. Y. : World Book Cc.,1926.

وبالعربية يمكن مراجعة : سيكولوجية رسوم الاطفال (اختبارات رسم الانسان وتطبيقاتها على اطفال البلاد العربية) دكتور مالك بدري . دار الفتح للطباعة والنشر — بيروت ١٩٦٦ .

في رسم يحتل صفحة ٩٢ ، يتضمن عددا من الخيم والطائرات وطفلة ورجال يقفون في صف ، يوجد تعليقات يفترض انها لصاحب الصورة تقول : « النازحون في المخيم يعيشون عيشة شقاء وتعب». « طفلة تبكي للعيش الذي تعيشه في الخيمة الحقيرة » . « رجال في الصف لاستلام المؤن » . « سنرجع اليك يا فلسطين باذن الله واننا لعائدون » .

وهذه الجمل تتضمن تعابير انشائية ، مكتسبة من المدرسة او الوسط الاجتماعي ، وهي ناضجة مقارنة مع طريقة الرسم ، كما انها مطبوعة بطابع تعليمي ، اذ تكاد تكون الرسوم اشبه بـ Illustrations لهذه الجمل ، او لنقل ان الرسم والكتابة كانا يخدمان بعضهما بعضا بصورة ناضجة ، تحريضية ، وهذا « الفن » لا يقدمه الطفل من تلقاء نفسه بهذه الصورة القصدية الواعية . وبكلمة اخرى ، تعبر هذه الجمل عن نمط من انماط التعبير اللغوي الذي يلقنه الكبار للاطفال بصورة او باخرى . ولو قارنا الكلام السابق بحديث الاطفال عن « القضايا الكبيرة » كما نقله الكتاب لوجدنا اثر المنظمة السياسية في احاديثهم : مصطفى حسين ١١ سنة، يتحدث عن الموت «بسهولة» مذهلة «انها ميتة واحدة» انها سهولة منزعة كثيرا ما لا نجدها حتى عند الكبار ، بذات اليسر يتحدث عن (ناصر) وعن الحرب النظامية الفاشلة (ص ١١٦) . سمير ١٠ سنوات ، يتحدث عن الجندي اليهودي الذي هاجر من بولونيا « ولا يدري لماذا يحاربنا » وكيف رفض ان يطلق النار على الفدائيين في الكرامة ، ويجيب على سؤال بقوله حول امكانية العيش مع الاطفال الاسرائيليين « ... اذا أرادوا أن يعيشوا معنا بسلام نعيش معهم مواطنين في دولة واحدة ... » (ص ١٤٤ ، ١٤٨) . طلعت ١٤ سنة يروي كيف رفض ان يصبح طبيبا او مهندسا ، وترك المدرسة ليحرر الوطن عن طريق القتال (ص ١٥٨) . صقر ١٤ سنة يتحدث « لقد خلق الانسان وخلقت معه غريزة الدفاع عن النفس، والظلم على عدوه، فهما لا يتفقان في مكان واحد او زمان واحد » (ص ١٦٢) . غيفارا ١٤ سنة يقول في حديث طويل « بدأنا نسمع اجهزة الدعاية العربية الجاهلة الفاشلة . اخذتنا العاطفة ، واعتقد الشعب المشرد ان الجيوش العربية ستعيدنا الى بلادنا ... » (ص ١٧١) . « تحدثت مع اخي الكبير على أن الرجعية كانت السبب في الهزيمة، في ضياع فلسطين منذ البداية ، واقنعته ان الاشتراكية العلمية هي الطريق الوحيد لمعركة التحرير ، فالثورة التي تتخذ الاشتراكية العلمية طريقا تنتصر دائما لان الثورة من مصلحة الشعب الكادح المستغل » (ص ١٧٤ ، ١٧٦) . « أشعر بالسعادة حين افكر بأن حياتي ستكون حياة نضال من اجل تحرير بلدي وليس حياة برجوازية تافهة». « الفلسطينيون لا يحاربون اسرائيل على أساس محاربة اليهود ، بل يحاربون الصهيونية التي هي حركة استعمارية عنصرية ، وهذه الحركة تتجسد في دولة اسرائيل ، نحارب اسرائيل على أنها كيان سياسي عسكري اغتصبت فلسطين وشرد شعبها ... » (ص ١٧٨) .

لاول وهلة ، يبدو وكأن لنا الحق في أن نفخر بأطفال المخيم الذين اصابوا مثل هذا الوعي الثوري والنضج المبكر ، غير أن المسألة ليست بمثل هذه السهولة ، اذ بمكنتنا ان نلحظ أن الالفاظ والشعارات والافكار والمحاكمات التي تتضمنها هذه الشهادات اوسع من مستوى ادراكهم الموضوعي لها ، انها تتضمن لفظية تتكرر بصورة آلية ، تحكمية ، تلقينية ، ليس عند الاطفال قابلية ادراك أبعادها كما طرحت . لذلك يمكن النظر الى هذه الشهادات على أنها تعكس صورا من الافكار السائدة في نطاق معين ، او ظاهرة اجتماعية محددة ،دون أن تعني ان هذه افكارهم او هذا هو مستوى وعيهم ، وان ترددت على السنتهم . بل نجد في واقع هذه الشهادات شكلا من اشكال مأساة طفولة المخيم ، وان بدت بمظهر ايجابي ، اذ تجسد وجها آخر من اوجه الاضطهاد الذي يعيشه أطفال المنفى ، الذين يحملون فوق ما يتحملون ، يتكلمون عن قضايا اعقد من عالم طفولتهم .

ان النضج السياسي والتنظير — ان جاز لنا أن نسميه كذلك — الذي بدا في الشهادات وجه جديد لطفولة مضطهدة ، بعيدة عن الوطن ، عاشت النزوح من خلال الدماء والجثث المطروحة في الطرقات ، محرومة من مميزات الطفولة : اللعب، ثم اخيرا عليها ان تفهم دروس النضال الوطني والقتال . وبهذا المعنى يتحدث محمود درويش عن طفولته وعن النزوح اذ يقول « كنت ادخل عالم قضايا جديدة ، والتصق بها رغما عني ، مبتعدا بوتيرة سريعة ، من عالم الطفولة ، اذا كان

يعني ما يحظى به الطفل من تفوق وتميز .. » . لذلك يكون مناسبا ، لو كان الكتاب اقل فخرا بهذا « النضج » المأساوي من خلال شهاداته تماما كما ينصح ولهلم فيولا(٤): « ليس من سبب يدعو الام لان تكون فخورة بطفلها ابن السابعة اذا ما انتج رسوما مثل طفل جارتها ابن العاشرة »(٥). « على المعلم (او المدرسة) ان يسعى كي لا يصبح الطفل راشدا بأسرع مما ينبغي . ومن ناحية اخرى ، من الخطأ ابقاء الطفل في مرحلة نمو مبكرة بصورة مصطنعة ، مرة اخرى المطلوب هو النمو العضوي للطفل »(٦).

٣ — تضمن الكتاب اقتطافات من كتب ودراسات وعن قصائد ، ولا ادري ان كان هذا الخليط من الاقتطافات مناسبا ام لا ، ربما كان التبويب مسؤولا عن اعتقادي بأنه لم يكن ثمة حاجة لاقحامها على هذه الصور .

٤ — تضمنت رسوم الكتاب نماذج متعددة معبرة عن كافة الموضوعات وانماط التعبير التي لمسناها في رسوم الاطفال الفلسطينيين وهذا وجه الغنى في الكتاب . اذ شملت نماذج لانتاج اطفال تراوحت اعمارهم بين الخامسة والرابعة عشرة ، فجمعت بين موضوعات المخيم ، الحرب ، الفدائيين ، الالعاب ، الزهور ، الطائرات ، المنازل ، تدريب الاشبال ، الدبابات ، الطيور ، والزخارف الخ . الا ان تبويب هذه الرسوم ضمن موضوعات ، او اعمار معينة او جنس او ضمن مجموعات مستقلة لكل طفل ، لم يجر اتباعه بصوره منتظمة ، كما أن هناك العديد من الرسوم التي خلت من أسماء اصحابها او من اعمارهم ، وهو ما يعقد اي عمل دراسي لهذه الرسوم . ومن جهة ثانية ، فقد تضمن الكتاب بعض الصور التي كان يستحسن عدم تضمينها الكتاب ، ما دامت هذه المجموعة الصغيرة من الرسوم قد اختيرت من بضعة الاف الصور التي جرى جمعها ، كما هو الحال مع صورتين تحملان توقيع آمنة عبد الغفار ١٤ سنة ، والتي يظهر جليا انهما قد نقلتا من رسوم ناضجة (ص ١٣٠ ، ١٣٢) . كذلك هذا هو حال رسم صالح ٩ سنوات الذي لا يتضمن اية قيمة جوهرية من الوجهة التعبيرية عند الاطفال ، اذ لم يكن ثمة حاجة لتكريس غرض دعاوي عبر رسم فقير كهذا (ص ١٥٧) .

٥ — من العلامات البارزة في الكتاب خطوط فلاديمير تماري الذي قدم لنا مادة مكتوبة بخط طفولي جميل واضح ، لم نره من قبل . وقد غطت رقة خطوطه على الاخراج المشوش للصور والمادة المكتوبة . ومع ذلك ، فان الكتاب ككل ، يبقى انجازا هاما ، على صعيد قضية نضال شعبنا العربي الفلسطيني الذي اغتنى بتغطية احد جوانبه المهملة منذ زمن ، وعلى صعيد المكتبة العربية التي اغتنت بوثيقة جديدة في ميدان لا يلقى العناية الكافية ايضا : ميدان رسوم الاطفال .

هاني حوراني

---

٤ — ولهلم فيولا ، كاتب بريطاني يعنى بدراسة رسوم الاطفال ، مؤلف كتاب :
"Child Art and Franz Cizek"
وكتاب *"Child Art"*

٥ — W. Viola, *Child Art*, University of London Press Ltd., p. 72.

٦ — المرجع السابق صفحة ٧٩ .

Abdu Wahab al Messiri (ed.), **A Lover from Palestine: An Anthology of Palestinian Poetry** (Washington, Free Palestine Press, 1970).

لما كنت قد قمت في العدد الاول من « شؤون فلسطينية » بمراجعة الترجمة الانجليزية لمختارات من الشعر الفلسطيني ووجدت اذ ذاك لزاما علي أن اتخذ منها موقفا نقديا ، فقد كنت آمل ان استطيع القول أن بين يدينا أخيرا مختارات من الشعر الفلسطيني يستطيع المرء بثقة ان يشير على القارىء الانجليزي بقراءتها . ولكن الحقيقة المؤسفة هي أن هذه المختارات أقل نجاحا من الاولى حتى أنها أكثر منها احتواء على الاخطاء التي تعود الى الاهمال والى عدم الدقة في الترجمة. اخراج « عاشق من فلسطين » جميل بلا ادعاء وهو يملك بعض الميزات عن المختارات الاولى وهي : ان القصائد مرتبة بحسب الشعراء ، وان كل شاعر قد خص بملاحظة عن حياته وان تكن هذه لا تكاد تكون كافية ، وأن الاصل العربي يرد على الصفحة المقابلة للترجمة . غير أن العيب الاساسي للكتاب هو الاهمال الذي جمع به ، فمثلا يورد الكتاب الاسماء بالانجليزية بطرق عدة مثل اسم البروة واسم الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي ، في حين ان أسماء الناس يجب ان ترد كما يلفظونها هم . ولا شك ان هناك طرقا مقبولة لكتابة الاسماء العربية باللغة الانجليزية ، ويجب على محرر كالدكتور عبدالوهاب المسيري أن يعرف ذلك فلا يقدم لنا عملا يتسم بالاهمال كما يفعل (وبالمناسبة « اغصان الزيتون » ليست "Leaves of Olives" ولكن "Olive Branches"). ويمكن للمرء ان يعاين اهمال المحرر من أول صفحة من صفحات الترجمة، اذ يبدو في نهاية الصفحة أن القصيدة لا تؤدي أي معنى . ونظرة خاطفة على الاصل العربي تؤكد ذلك ، واذا ما دقق المرء اكثر فانه يجد أن جزءا من القصيدة يرد في الصفحة الرابعة من الترجمة كان يجب أن يرد في نهاية الصفحة الاولى . فماذا اذن يستطيع القارىء الانجليزي الذي لا يعرف العربية أن يفهم من كل هذا ؟ وفي القصيدة الثانية لا تعني « ماذا طبخت لنا » (What will you cook for us?) فهنا نجد أن الترجمة تذهب بكل الحاح النص اذ تغير الفعل الماضي الى فعل مضارع يدل على المستقبل . وفي هذه القصيدة يقرر المترجم لاسباب لا يعرفها أحد غيره أن لا يترجم الابيات الاربعة الاخيرة في القصيدة — فلماذا اذا يوردها بالعربية ؟ وبالمناسبة فان هذا هو الحال بالنسبة لعدد من القصائد . وفي قصيدة « أبي » لا تعني « وصلى لسماء بلا مطر » (He prayed for a sky that sent no rain) بل (To a Sky..) وهذه مسألة مختلفة جدا . وفي قصيدة «عن الامنيات» لا يعني البيت « كل فجر وله موعد ثائر » (And each fighter will see the dawn) ما الذي تعنيه هذه الترجمة بالضبط ؟ اما فيما يتعلق بقصيدة « طائر الرعد » فان الترجمة الانجليزية لا علاقة لها بالاصل العربي (شكرا لله، معظم قراء الانجليزية لا يعرفون العربية !). وحتى في الاصول العربية للقصائد المطبوعة على الالة الكاتبة نجد أخطاء عدة تم تصحيحها بقلم الحبر — وكان يمكن بالتأكيد ان تعاد طباعتها ! وفي بعض الاحيان نجد أنها لم تصحح ، فنرى ان شجرة الزيتون توصف بأنها فارغة بدلا من فارعة . وفي قصيدة « الجواد الجامح » نجد أن تعبير « الجواد الجامح » يترجم حينا (The Proud horse) وحينا آخر (The Stubborn horse) . وفي هذه القصيدة ترجمت « هنا باريس ، هنا بيروت ، هنا موسكو » (There is Paris etc) . وفي القصيدة ذاتها نجد ان « الكز صدر جوادك » قد ترجمت (I sput the neck) ولا شك ان الفارس سيبذل محاولة شاقة كي يلكز الجواد في العنق . وفي قصيدة فدوى طوقان « الطرقات الاخيرة » نجد العنوان مترجما (The Last Knock) وهذا يعطي معنى مختلفا جدا ، وكذلك في القصيدة ذاتها لا تعني « بعد ضياعي في الفلوات » (After my loss in the deserts) . وفي قصيدة «لا» لا تعني كلمة «صياح» (Quaking) كما ترد في الترجمة المرة تلو الاخرى ، ولكن يبدو أن المترجم قد خلط بين Quaking و Squawking . وفي قصيدة «القمر بعد ثمانية عشر عاما» لا تعني كلمة «نجوم» (Stones). ان هذه المختارات ملأى بأخطاء كهذه ، ومن الواضح أن بعضها ناجم عن الاهمال المحض ، اما البعض الاخر فناجم عن عدم التمكن من اللغة الانجليزية . وانه لامر مؤسف ان يقدم للقارىء الانجليزي عمل سيء كهذا ، في حين أن القلة من الاعمال الادبية العربية تجد طريقها اليه .

دنس جونسون دافز

George Jabbour, **Settler Colonialism in Southern Africa and The Middle East,** (Beirut, P. L. O. Research Center, 1970).

« وهل هناك اي فرق حقيقي بين الطريقة التي يحاول فيها شعب اسرائيل ان يحافظ على نفسه بين الشعوب غير اليهودية وبين الطريقة التي يحاول فيها الافريقاني (المواطن الجنوب افريقي من اصل أوروبي) ان يبقى كما هو ؟ »[1] هل هناك، في الحقيقة ، تشابه أساسي بين مختلف الدول التي انشئت على أساس الاستعمار الاستيطاني وعلى استغلال واضطهاد السكان الاصليين الذين بقوا في بلادهم ؟ ان افريقية والبلدان العربية التي عانت من وطأة الاستعمار والامبريالية قاست أيضا من وجود جماعات مستوطنة على اتصال بالقوى الامبريالية ولكن مع الاحتفاظ بديناميتها الخاصة بها . لقد شهدت الجزائر وفلسطين ، وانجولا وموزامبيق وزمبابوي (روديسيه) وناميبيه (جنوب غرب افريقيه) وجنوب افريقيه وجود مثل هذه الجماعات ، وانه لاكثر من صدفة انه في هذه المناطق بالذات ان موجة انحسار الاستعمار ونيل الاستقلال تأخرا جدا وان النضال من اجل الاستقلال تميز بعنف لم تشهده المناطق الاخرى . وبالاضافة لذلك ، فان هذه البلاد التي تحاذي مناطق السيطرة الاستعمارية عانت من سياسة توسعية جلية تهدف الى اضعاف استقلالها .

لو حصر المرء مجالات المقارنة بين الجماعات المستوطنة في تلك الجماعات التي لها استقلال **واقعي أو قانوني** ، وبذلك تستثنى المستعمرات البرتغالية ولكن ليس روديسيه تحت حكم ايان سميث ، تظهر سلسلة من الامور المتوازية ، على صعيد الطريقة التي تم بها الحصول على الاستقلال **الواقعي** لهذه الجماعات ، وعلاقاتها مع الدولة الامبريالية — بالنسبة للتي درسها جبور ، المملكة المتحدة هي هذه الدولة في كل حالة — والاساس القانوني الذي يرتكز عليه اضطهاد المواطنين الاصليين ، وما الى ذلك . لقد حاول جورج جبور رسم هذه المتوازيات ، ولاحظ بأنه « لم يعط اهتمام كاف للاجهزة السناتية والديناميسة التي اعطت الاستعمار الاستيطاني شكله المميز » . ومع انه فعل ذلك ، الا انه لم يحاول استخراج نموذج سياسي — ان هذه لمهمة يمكن أن يقوم بها بعض علماء السياسة — ولكنه حصر نفسه في تبيان بعض الملامح الموجودة فيها جميعا ومن ثم مقارنتها .

اذا ما ألقينا نظرة سطحية نرى ان هناك تشابها قليلا بين البلدان الثلاثة ، على الاقل عندما ننظر اليها من الموقف التقليدي القائم على الدعاية الفعالة التي يقوم بها الصهيونيون ومعارضو التمييز العنصري . فبينما يقول الصهيونيون منذ عشرين سنة ان اسرائيل دولة ضد العنصرية ، وديمقراطية تسودها العدالة ، أظهرت جنوب افريقيه بشكل جلي ، وهذا صحيح في هذه الحالة ، بأنها عنصرية وفاشية . وفي الحقيقة ان تاريخ حكام جنوب افريقية الحاليين المناهض للسامية يجعل المقارنة بين اسرائيل وجنوب افريقيه غير قابلة للتصور . فتحول الافريقانيين المناهضين للسامية الى مناصرين لاسرائيل ، كما تحدث عن ذلك ريتشارد ستيفنز حدث بعيد ١٩٤٨ عندما تسلم الافريقانيون السلطة واقيمت دولة اسرائيل . وفي الحقيقة عندما كان زعماء اسرائيل واعين لضرورة تقديم صورة جيدة لدولتهم أمام العالم ، ولذلك لم يعلنوا بصراحة ان هناك تشابها بينهم وبين جنوب افريقية ، لم يشعر فيروورد ، رئيس حكومة جنوب افريقيه بشيء من ذلك ، وقال : « انني متفق مع العرب على ان اسرائيل دولة عنصرية كجنوب افريقيه »[2]. طبعا ليس من الضرورة الاستشهاد بأقوال زعماء جنوب افريقيه من النازيين السابقين لاظهار مثل هذا التشابه ، رغم ان ذلك فيه نوع من السخرية . ان تاريخ هاتين الجماعتين الاستيطانيتين وتاريخ روديسيه ، الشقيقة الصغرى لجنوب افريقيه ، تربط بينهما خيوط مشتركة ، وهذا هو ما يركز عليه جبور .

ان جبور يعالج طريقة مد المستوطنين لسيطرتهم **الشرعية** على البلاد ، وادخال تشريع يسمح بطرد السكان الاصليين ، والاشكال التي تتخذها مقاومة هؤلاء السكان والاحتكاك بين الجماعة المستوطنة والدولة الامبريالية مما يؤدي في النهاية الى

١ — ستيفنز ، ريتشارد ب. **الصهيونية، وجنوب افريقيه والتمييز العنصري** . (مركز الابحاث ، م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٢٥ ، نقلا عن مجلة « ذي ترنسفالر » بجنوب افريقيه .

٢ — « **راند دايلي ميل** » ١٩٦١/١١/٢٣ .

استقلال واقعي وقانوني ، لكن باستثناء روديسيه ، بالرجوع الى هذه البلاد ، ومع انه ليست هناك محاولة لتقديم نموذج ، الا انه يوجد هناك أساس لمثل هذا النموذج .

ومع ان الكتاب يقدم نتائج بحث في حقل لم ينل الا اهتماما قليلا في الفترة الاخيرة ، الا انه بعيد عن الكمال . ومع هذا فان الكتاب يقدم فائدة جليلة بتقديمه أرضا خصبة يستطيع أن يستفيد منها الباحثون الاخرون ، ولكنني كم كنت اتمنى لو ان الكاتب تطرق الى الانقسامات بين الجماعة المستوطنة ، الانقسامات حول الامور الجوهرية بدلا من مسألة توزيع المغانم الناتجة عن الاستغلال. لقد قامت بعض العناصر من هذه الجماعات في البلدان الثلاثة بتغيير موقفها بالانتقال من النقد الراديكالي في الداخل الى رفض النظام ومعارضته. ورغم ذلك فان هذه المعارضة بقيت معزولة الى حد بعيد عن حركة التحرير الوطني باستثناء انضمام فئة قليلة من المستوطنين الى هذه الحركة . ففي جنوب افريقيه ، على سبيل المثال ، كانت هنالك حركة التحرير الافريقية التي تتألف في غالبيتها من جماعات ليبرالية من البيض الذين قاموا لفترة قصيرة بعمليات تخريب اعتبرت خطوة هامة على الطريق الى الوضع الحالي حيث يوجد في المجلس الوطني الافريقي اعضاء من البيض يشتركون في الاعداد لنشاط مسلح ضد النظام بتعاون تام مع السكان الافريقيين . ولقد قدمت حركة التحرير الافريقي الصلة الايديولوجية وللبعض الجسر التنظيمي الحقيقي . ويمكن ان تكون متسبن لها دور مماثل في المجتمع الاسرائيلي ، وبكل تأكيد فان عددا من أعضاء متسبن السابقين انضووا تحت لواء حركة المقاومة الفلسطينية. ومع انه لا يوجد في روديسيه منظمة مماثلة الا ان ظهور بعض الافراد من امثال جودي تود يكشف عن بعض التشابه . وكان يمكن ايضا معالجة المعارضة الليبرالية ولكن ليس الثورية لانظمة المستوطنين ، كما يتمثل ذلك في الطلبة وقطاعات الكنائس في جنوب افريقيه وروديسيه وفي قطاعات « اليسار الاسرائيلي الجديد » ، اذ سيكون في ذلك بعض الفائدة . ولكن من الانصاف الاعتراف بأن الانشقاقات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي بدأت تظهر منذ سنة او ما يقارب ذلك .

لذلك من السهل التحدث عن المجتمعات الاستيطانية كوحدة . ان بعض الانقسامات في داخلها ليس بذات أهمية بالنسبة الى التناقضات الاساسية ، فاختلاف حيروت مع المباي ، وفورستر مع الحزب المتحد في جنوب افريقيه ، وايان سميث مع وينستون فيلد في الجبهة الروديسية لا يمثل اكثر من اختلاف حول افضل السبل للاحتفاظ بالمغانم . ولكن لبعض الانقسامات أهمية خاصة وتحليلها يعتبر اكثر من مجرد هواية اكاديمية . فبالنسبة لاسرائيل والصهيونيين بشكل خاص يظهر ان هناك خطأ في تقدير جبور للدور الذي لعبه البوند . ففي حديثه عن المعارضة التي واجهتها الصهيونية قبل ان تثبت اقدامها في فلسطين يقول : « كان المنتقدون الاوائل للصهيونية يشملون الماركسيين — اللينينيين الذين فعلوا ذلك بدافع من موقفهم العقائدي المعادي للامبريالية » . ثم يستطرد قائلا بأن لينين وصف البوند بأنهم جماعة من اليهود القوميين البورجوازيين . اما ج. ل. طلمون فيتحدث في كتابه « اسرائيل بين الشعوب » عن الفترة نفسها من التاريخ الصهيوني من زاوية « ليبرالية صهيونية » ويقول : « ان العبء الذي شكلته معارضة البوند للصهيونية كان الاتهام بأن الصهيونية قبلت بوجهة نظر مناهضي السامية »(٣).

انه من الاهمية معرفة ما اذا كانت هناك اية صلة بين الدينامية الظاهرة للتوسعية في الجماعات المستوطنة وبين الحاجة للتغلب على الانقسامات الداخلية . ان لها بكل تأكيد علاقة بعلة وجود هذه الدول واضطرارها للمحافظة على سيطرتها التامة على السكان الاصليين . ويمكن تجاهل روديسيه بشكل رئيسي في هذا المجال وذلك لان الضعف الداخلي للمستوطنين بسبب صغر حجمهم وفشلهم بتحقيق استقلال قانوني وما تلا ذلك من عداوة دولية أدى الى ان تصبح البلاد مقاطعة تابعة لجنوب افريقية الامر الذي رفضه المستوطنون في استفتاء داخلي في العشرينات . ان لكل من اسرائيل وجنوب افريقيه اهدافا توسعية بشكل جلي وواضح . فالاولى تحافظ على توسعيتها العسكرية الاستيطانية الاقتصادية على مستوى ضعيف نسبيا يؤكد صحة القول بأنه تم الوصول الى « قمة حملة المستوطنين في جنوب افريقيه للحصول على أراض جديدة بعد فترة وجيزة من ولادة الاتحاد » . ان مثل هذا القول سيكون موضع شك من قبل شعب

---

٣ — موجودة في « غري بالسقين » شباط (فبراير) ١٩٧١ .

ناميبيه الذي يرزح تحت وطأة احتلال جنوب افريقيه منذ أكثر من خمسين سنـة ، وكذلك من قبـل الافريقيين في روديسيه وانجولا وموزامبيق الذين يشهدون في الوقت الحاضر ليس فقط قوات جنوب افريقيه وهي تعمل ضد حركات التحرير ولكن أيضا يشهدون تدفقا من المستوطنين من جنوب افريقيه . وهناك ولا شـك دروس يمكـن ان يستخلصها الاسرائيليون أيضا من القسم الاكبر لطبيعة توسعية جنوب افريقيه اقتصاديا وسياسيا ، وهي « سياسة الخارج » ومن الملاحظ ان ابا ايبان يطالب باتباع سياسة مماثلة في اسرائيل تسمح بحرية التبادل والتجارة والافكار مع العالم العربي(٤).

ان من الصعوبات التي أوردتها سابقا هي ان هذا المجال واسع لدرجة ان كتابا واحدا رائدا في هذا المجال لا يقدر الا أن يتغاضى عن ذكر بعض المجالات الممكنة للمقارنة . فعلى سبيل المثال ، هناك فصل عن التضامن الاقليمي ضد الدول الاستيطانية ، ولكن دون معالجة الدور الذي لعبته ملاوي وبشكل مختلف ، سلطات الاردن لتحطيم هذا التضامن . ولو كان صحيحا ان « المستوطنين لا يعيرون ادنى اهتمام للضغط الدولي لانهم صمموا على المضي وحيدين في سبيلهم » ، فمن حسن حظهم ان تكون الدول المجاورة لهم ادوات طيعة في أيدي دول الاستعمار والاستعمار الجديد . بكل تأكيد ليس الامر انهم لا يتأثرون بالضغط الدولي ، ولكن حماتهم من الدول الامبريالية يحمونهم مـن هذا الضغط باستثناء روديسيه الى حد ما اذ انها محمية بشكل غير مباشر عن طريق جنوب افريقيه والبرتجال . وبالاضافة لما سبق ، هناك مجال آخر يمكن معالجته وهو امتزاج نشاط جنوب افريقيه واسرائيل في الاماكن الاخرى مـن العالم ، وخاصة في الدول الافريقية المستقلة . فمثلا ، لكليهما نفوذ في ساحل العاج — فهل كانت المسألة مجرد ضغط من فرنسه أن يدعو الرئيس هوفوويت — بويجني الى اجراء حوار مع جنوب افريقيه ؟ لقد كان اوبوتي ، رئيس جمهورية اوغنده مـن أقوى المعارضـين لجنوب افريقيه . هل كان على علم بالانقلاب الذي أوحت به اسرائيل ضده ؟ وكذلك ، ما هي العلاقات التي تربط بين الدولتـين علـى الصعيد السيـاسي والاقتصادي ؟ ما هي مهمة العسكريين من جنوب افريقية في اسرائيل ، ومـا هو مصدر رشاشات عوزي التي استولى عليهـا رجال العصابات في انجولا من البرتجاليين ؟ يذكر جبور ان المؤتمر الذي عقدته منظمة تضامن الشعوب الافرو — آسيوية في موشي بتنزانيه في ١٩٦٣ شجب العلاقـات بين اسرائيل وبعض حركات التحرير الافريقية ، كما أن هناك انباء عن قيام مصانع جنوب افريقيه بانشاء مشاريع في الدول المتصالحة .

واخيرا ، أريد تسجيل ملاحظة مثيرة للدهشة وهي ان ذكر ناميبيه لم يرد اطلاقا في الكتاب ، اذ انه يمكن ايجاد نوع من الشبه بين ناميبيه وفلسطين — كانت كلتاهما تخضعان للانتداب، وفي الحالتين توجد جماعة مستوطنة تسيطر على البلاد ، في الاولى جنوب افريقيه وفي الاخرى اسرائيل ، انكرت على شعب فلسطين وشعب ناميبيـه حقهما في الكيان المستقل .

وفي كلتا الحالتين ايضا ، يوجد لعصبة الامم وللامم المتحدة سجـل حافل مـن التخاذل لحفظ حقوق الشعب ، والدولة المستعمرة فعلت الشيء نفسه. يمكن للمرء ان يدهش عندما يعلم ان منظمة شعوب جنوب غرب افريقيه (سوابو) ، في ناميبيه هي من اكثر حركات التحرير في جنوب افريقيه استنكارا لمواقف الاسرائيليـين وتأييـدا لحركة المقاومـة الفلسطينية .

وبسبب اهمية حركات التحرير في افريقيه والعالم العربي ضد الدول الاستيطانية ، والعلاقات فيما بينها ، يمكن للمرء ان يتوقع وضع برنامج مكثف من البحث حول اوجه الشبه والعلاقات بينهـا . فمثل هذا البرنامج ، بكل تأكيد ، سيكون ذا فائدة جمة لمنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية وأهالي جنوب افريقيه والفلسطينيين . ومع هذا ، فان البداية قد وضعت ، على الاقل . فلو نجح كتاب جبور في اثارة مزيد من الدارسين ، كما يعرب من أمله في مقدمة الكتاب ، فان ذلك وحده سيكون عملا مفيدا . وكأول محاولة كبرى على صعيد اظهار اوجه الشبه بين الانظمة الاستيطانية ، فان تلخيص نقاط الالتقاء والعلاقات سيكون عملا رائعا . والان، وقد أصبح الهيكل جاهزا ، على الاخرين ان يتقدموا ويملأوا الفراغ في بعض الاجزاء بمزيد من التفاصيل.

بيتر هيلي

٤ — فايدفين ماك ديرموت، في « غري بالستين »، كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ .

Cattan, Henry. **Palestine: The Road to Peace.**
London: Longman, 1971.

يمكننا ان نقسم الكتاب الى قسمين رئيسيين : الاول تاريخي يعــرض التطورات الاساسية التي ادت الى اغتصاب فلسطين وقيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، والثاني تحليلي يتناول مسؤولية الاطراف المختلفة في الصراع لينتقل بعد ذلك الى طرح الحل الذي يراه المؤلف لوضع حد للصراع الدائر في المنطقة . ان المنطــق الذي يسحب نفسه على الكتاب بتسميه هو المنطق الذي يرى القضية فقط من خلال حقوق الشعب الفلسطيني وعدم وفــاء بريطانيا بوعودها للعرب الى جانب عدم قانونية وعد بلفور وقرار التقسيم وما الى ذلك دون ان يتطرق من قريب او بعيد للاسباب الحقيقية للصراع والكامنة في الطبيعة الاستيطانية للحركة الصهيونية وفي تحالف هذه الحركة مع الاستعمار بشكليه القديم والجديد من أجــل السيطرة علــى هذه المنطقة واستغلال ثرواتها وشعوبها . واذا كان الاسلوب الذي يعرض قضية فلسطين على اساس الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني مقبولا جزئيا ، فانه لا يقبل ابدا عندما يسحب نفسه على الحل المقترح للصراع مع الصهيونية واسرائيل . وهذا هو المنزلق الذي يقع به الكتاب في القسم الثاني . فبدلا من التأكيد علــى نضال الشعب الفلسطيني المدعوم بالامة العربية وما ينتج عن هذا النضال من ردود فعل ، نرى المؤلف يحصر تفكيره ازاء الحل في النواحي القانونية فقط فنجده يقترح اولا انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالتقسيم وباللاجئين والقدس ثم يقترح اعــادة النظر في قانونية قرار التقسيم بواسطة محكمة العــدل الدولية .

صحيح ان الكتاب باللغة الانكليزية وموجه للاجانب مما يشفع بعض الشيء لهذا الاسلوب القائم على مناشدة العدالة الانسانية والقانون الدولي ، لكنه اسلوب مثالي غير واقعي لانه ينسى ان التاريخ اثبت ان الشعوب لا تستطيع ان تسترد حقوقها من الاستعمار الا بالقتال لان الاستعمار لا يقبل بالتنازل عن مصالحه واستغلاله للشعــوب الا مرغمــا وبالسلاح فكيف باسرائيل ، المجتمع الاستيطاني ؟ ومن ناحية ثانية فان التجربة اثبتت ان لا قيمــة للقرارات التي تصدر عن المنظمات الدولية اذا كانت هذه القرارات مخالفة للمصالح الامبريالية لان هذه المصالح لن تدع هذه القرارات تمر بل تحيلها الى ملفات في ادراج الامم المتحدة وفي احسن الاحوال الى جلسات مناظرة في اروقة مجلس الامن . قد يقال : لماذا لا تتبع هذا الاسلوب في عرض قضيتنا طالما ان الحق معنا ؟ الجواب : ليس المطلوب ان نكسب عطف العالم علينا بل تأييده لنــا . ولن نستطيع ان نحصل على هذا التأييد الا اذا اثبتنا اننا جديرون بما نطالب به ، بفضل وجود المقاومة الفلسطينية المسلحة .

هذه هي الملاحظة الرئيسية التي لنا على الكتاب وهناك ملاحظات فرعية اخرى منها : (١) لا نعتقد بأن معظم ما حدث في فلسطين ما كان حدث لولا جهل الحقائق وتشويهها المستمر على يد دعاية مضللة وفعالة جدا كما يقول المؤلف اذ ان هناك اسبابا موضوعية وذاتية تقف في الاساس وراء ما حدث ويحدث . (٢) ليس صحيحا تماما ما يقوله المؤلف بأن حكومة الولايات المتحدة قد أيدت ولا تزال تؤيد اسرائيل لان السياسيين الاميركيين من الرئيس ترومان وحتى الان اعتبروا ، او دفعوا ليعتبروا انهم بحاجة للصوت اليهودي للوصول الى سدة الرئاسة لان اساس الدعم الاميركي لاسرائيل هو في المصالح الاميركيــة في المنطقــة وهو فــي الاستراتيجية الشاملة للامبرياليــة الاميركية في مواجهة حركات التحرر في العالم ، نقول هذا دون اغفال للتأثير الفعال لليهود الصهيونيين في السياسة الاميركية . (٣) ان تعرض المؤلف للموقف الروسي من القضية هو ظالم وجزئي اذ انه يتحدث ، على الاقل ، عن الموقف في العام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ دون ان يتحدث عن التحول الذي طرأ فيما بعد .

اخيرا لا بد من توضيح نقطة تتعلق بالكتاب دفعا للالتباس : ان المؤلف صريح وواضح بشأن الحق الذي لا ينــازع للشعب الفلسطيني في ارضــه وسيادته عليها ، وفي تأييده للمقاومة الفلسطينية في نضالها ، ولما ترمي اليه من اجل اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . كما ولا بد ان نسجل بأن للكتاب قيمة هامة للرأي العام الغربي الليبرالي لان المنطق الذي يلجأ اليه المؤلف هو ، كما اشرنا ، منطق ليبرالي يناسب العقلية الغربية الليبرالية .

ابراهيم العابد

Jan Bjoendal, **Israel — folk og Samtid**
(Oslo, Norsk Utenrikspolitisk Institutt, 1970).

بهذا العنوان صدر في النرويج في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ كتيب في ٤٨ صفحة من الحجم المتوسط وذلك ليكون مرجعا مساعدا لطلبة المدارس الثانوية . ولم يثر الكتيب لدى صدوره اي انتباه او اهتمام وتم توزيعه الى الاسواق كمئات الكتيبات المماثلة التي تعالج مختلف المشاكل في العالم . ولكن في شهر شباط (فبراير) الماضي افتعلت ضجة حول الكتيب حتى تطرقت صحيفتان يوميتان في اوسلو الى ما ورد فيه وشككت كل منهما بأسلوب يختلف عن الاخرى بالمعلومات التي ورد ذكرها . فكانت النتيجة ان سحبت نسخ الكتيب من الاسواق ثم تكليف كاتب جديد لاعادة وضع كتيب جديد حول نفس الموضوع ولكن من منطلق واسلوب مختلفين. وكان الكتيب قد صدر ضمن سلسلة من ١٢ كتيبا عن مواضيع تعالج مختلف المشاكل الدولية لمساعدة طلبة المدارس الثانوية وذلك عن طريق توفير معلومات اكثر تفصيلا مما تحتويه الكتب المقررة . وقد أشرف المعهد النرويجي للسياسة الخارجية على تقديم هذه السلسلة . وهو مؤسسة شبه رسمية تمارس نشاطها بشكل مستقل بعد ان اتخذت على نفسها مبدأ تقديم دراساتها باطار موضوعي حيادي غير متحيز لطرف او لاخر . وكان المعهد النرويجي قد أوعز الى احد موظفيه الشباب، جان بيوندال ، ليقوم بوضع بحثين منفصلين ، احدهما عن اسرائيل والاخر عن البلدان العربية. وقد اختير بيوندال لهذه المهمة لاعتباره من المواطنين النرويجيين المتتبعين للتطورات المستمرة في منطقة الشرق الاوسط ، هذا بالاضافة الى انه سبق وان وضع كتابا بعنوان (الحرب من اجل فلسطين — **Krig Om Palestina**) صدر في صيف عام ١٩٧٠ باللغة النرويجية . وبالفعل انهى بيوندال البحثين فصدر الاول عن اسرائيل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، وصدر الثاني بعده في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، وتم توزيعهما على الاسواق في كل انحاء النرويج . وصباح يوم ١٠ شباط (فبراير) طلعت جريدة داكبلادت ، وهي ليبرالية مستقلة تصدر في اوسلو وتعتبر من أكبر الصحف النرويجية ، وبين صفحاتها مقالة بقلم سكرتير التحرير ، السيد كارل اميل هاكلوند، يعالج فيها الكتيب ويقول بأن المعالجة كانت غير موضوعية وموالية للجانب العربي ولا تصلح كمادة لطلبة المدارس . واخيرا طالب المعهد بسحب الكتيب موضع البحث من الاسواق . وفي اليوم التالي مباشرة طلعت جريدة اربيدر داكبلادت ، الناطقة بلسان حزب العمال النرويجي ، وعلى الصفحة الاولى مقالة كتبها البروفيسور ليو ايتينكر ، وهو استاذ علم النفس في جامعة أوسلو، ويعتبر من اليهود النرويجيين المتزعمين للحركة الصهيونية في النرويج . وقد عالج ايتينكر بحث بيوندال ولم يكتف باتهام الكاتب باللاموضوعية بل أتهمه بمعاداة اليهود واسرائيل واللاسامية . ولم تمر غير ايام قليلة حتى جاء دور رد الفعل من جانب المعهد النرويجي وكان عنيفا ولكن ليس ضد الصحيفتين والنقد الوارد فيهما ولكن ضد موظف المعهد وواضع الكتيب بيوندال . فقد سحب الكتيب الذي عالج فيه اسرائيل وفي نفس الوقت اعلن مدير المعهد بانه شخصيا سيقوم بوضع دراسة جديدة .

لماذا اثار هذا الكتيب هذه الضجة المفتعلة ؟ وما هي النقاط التي عالجها الكاتب جان بيوندال فأثار حفيظة الصهيونية ضده ؟ بشكل مختصر استعرض الكاتب التاريخ اليهودي ابتداء بالعهد القديم وانتهاء بذكر بعض المعالم المميزة في الانظمة المعمول بها في اسرائيل اليوم . وسأحاول فيما يلي ان أتطرق لبعض ما ورد في بحث بيوندال عن اليهود والحركة الصهيونية واسرائيل : فيما يخص التعبير السائد « القوم » او « الشعب » اليهودي يتساءل الكاتب النرويجي ان كان من الصحة معالجة اليهود واعتبارهم وحدة عرقية اثنولوجية وذلك بحسب المفهوم السائد؟ ومن ثم رواية العهد القديم التي وعد الله فيها ابراهيم بأرض كنعان ولاحفاده من بعده ما هو موقفنا من الرواية ؟ بالنسبة لما جاء في العهد القديم يكون الرفض والقبول بالرواية كل بحسب ايمانه واجتهاده الديني . فبالنسبة الى كثير من اليهود تعتبر النبوة غير تامة بقيام اسرائيل التي لم تقم الا على جزء من أرض كنعان الموعودة والتي تمتد بين النيل والفرات . اما بالنسبة للعرب فهم الاخرون أحفاد ابراهيم ويمكنهم ان يعتبروا انفسهم المعنيين بالنبوة . ومن ناحية اخرى فيمكن تفسير النبوة على أساس ان اليهود تحرروا من الوعد بتحررهم

من الاسر البابلي واختيارهم العيش في الهجرة . وبالنسبة للحركة الصهيونية فانها قد قامت على اساس كون اليهود قوما او شعبا واحدا . والمفاهيم الحديثة تعرف الامة بمن لهم عرق مشترك ولهم لغة وثقافة مشتركة ويعيشون في دولة واحدة. فهل اليهود او يهود اي منطقة تتوافر فيهم مثل هذه الشروط ؟ كل اليهود ليسوا أحفادا للعبرانيين — هذا اذا كان منهم اطلاقا من يعود اصله لهم. واليهود يشكلون مجموعة اقوام مختلفة من معتنقي الدين اليهودي . ففي فلسطين كان اليهود عربا ويهود افريقيا من أصل عبراني او عربي او زنجي وفي اوربا يوجد « اوربيون » من معتنقي الدين اليهودي وفي آسيا « اسيويون » يهود وبالنسبة للتاريخ المشترك من في العالم قادر على أن يتتبع تاريخه او أصله الى عام ١٥٣ او ٧٠ بعد الميلاد ؟ اما بخصوص اللغة المشتركة فان اليهود كانوا يتكلمون لغات المجتمعات التي يعيشون بينها . لذلك ولكل هذه الاسباب مجتمعة لا يمكننا ان نسمي اليهود شعبا او قوما .

اما بالنسبة للحركة الصهيونية نفسها فيقول الكاتب النرويجي بأن الدعوة لها قد بدأت في منتصف القرن التاسع عشر ومن أشهر دعاتها كان موسيس هيس الالماني وآشار غينسبيرغ الروسي وكلاهما من المعجبين بافكار كارل ماركس ، ثم تطورت الحركة واخذت ابعادها الجديدة بعد ان ركز بسمارك سياستهضد اليهود وبدل مفهوم اللاسامية التيكانت موجودة منذ عام ٣٨٠ حين اتخذت الامبراطورية الرومانية من المسيحية دينا رسميا ، الا ان اللاسامية كانت آنذاك بالمفهوم الديني والاجتماعي فجاء بسمارك واعطاها بعدا جديدا واوجد اللاسامية السياسية فكان ان وجدت الصهيونية قدما لها بزعامة ثيودور هيرتزل وحاييم وايزمان ثم نشب الخلاف بينهما حين عرضت بريطانيا قيام الوطن القومي اليهودي في اوغندا فقبل هيرتزل ورفض وايزمان معتبرا ذلك ليس خيانة للشعب اليهودي بل وخيانة لارادة الله . ويعلق الكاتب على ظهور الصهيونية فيقول بأن اوربا الليبرالية لم تكن خطرا على الحركة الصهيونية فحسب ولكن اوربا كانت خطرا على كل اتجاه قومي ظهر آنذاك، والفكرة الصهيونية كايديولوجية دينية وسياسية لم يكن ليكتب لها النجاح لو لم تتطور الاحداث في المانيا النازية بالشكل الذي تطورت عليه .

ويؤكد الكاتب على ان اسرائيل قامت بالعنف والقوة وحققت الصهيونية اغراضها باقامة اسرائيل من ناحية ومن ثم فرض نفسها على دول الشرق الاوسط . وفي عدة مناسبات اتبعت اسرائيل سياسة انتقامية ضد كل جيرانها من البلدان العربية . وفي كل المناسبات ابتداء بحرب ٤٨ ثم ٥٦ واخيرا حرب حزيران ١٩٦٧ اثبتت اسرائيل اعتمادها الكلي على العنف وانتصرت على العرب وهذا أدى الى انتنتزع الاعجاب والتقدير والاحترام في دول العالم — بما في ذلك هنا في النرويج .

ويتطرق الكاتب الى المجتمع الاسرائيلي ويقول بأن غير اليهود لا يتمتعون بنفس المكاسب التي يتمتع بها اليهود ابتداء من فرص العمل والى فرص التعليم ، وخير مثال على ذلك ما يعانيه العرب الاسرائيليون . ومن الناحية الاخرى فأن كل اليهود لا يجدون أمامهم نفس الفرص في اسرائيل اذ هناك حد فاصل بين اليهود الغربيين (الاشكنازي) واليهود الشرقيين (السفاردي) . ويتضح ذلك في ان معظم القيادات الاسرائيلية هي منبين الاشكنازي.

ويعرب الكاتب عن تشاؤمه الشخصي في المساعي المبذولة باشراف جونار يارينغ للوصول الى صيغة مقبولة وتحقيق السلام في المنطقة . ويعزي الكاتب تشاؤمه بالدرجة الاولى للصيغ المختلفة لقرار مجلس الامن في ١٩٦٧/١١/٢٢ ويقول بأن ظهور المقاومة الفلسطينية كقوة جديدة بين الاطراف المتنازعة اضافة الى الموقف الاسرائيلي المتعنت للحصول على مكاسب اقليمية توسع من ارضها اضافة الى اصرارها على المفاوضات المباشرة يجعل الوصول الى حل سلمي أصعب من أي وقت آخر .

والغريب في الضجة المفتعلة حول هذا الكتيب ان هذا الحدث ، رغم اهميته بالنسبة للتقليد الاسكندنافي الذي يعبر عنه بقدسية الكلمة وحرية ابداء الرأي ، بقي محصورا في النرويج ولم يتعد حدودها الى بقية الاقطار الاسكندنافية رغم كل الروابط الموجودة بين الاقطار المذكورة والتي تنتقل بينها كل انواع الاخبار الا الاخبار التي تهم العالم العربي . وهكذا فقد اضيفت منطقة جديدة الى المناطق التي تشل الاعلام العربي فيها .

سمير بوتاني

Moshe Shamir, **My Life With Ishmael**
(London, Vallentine, Mitchell, 1970).

موسى شامر مقاتل قديم في البالماخ وضع مؤخرا كتابا بالعبرية سجل فيه خبراته وتجاربه خلال عملية استيلاء الاستعمار الصهيوني على ارض فلسطين (بما في ذلك حرب عام ١٩٦٧) وحيث يعرض الاستنتاجات والآراء التي يفترض انه توصل اليها وكونها عن العرب وحياتهم الاجتماعية والسياسية.لذلك جاء كتابه يحمل العنوان التالي: « حياتي مع اسماعيل » باعتبار ان العرب هم من ذرية اسماعيل وفقا للحكايات الدينية القديمة والمتوارثة . وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية ونشر مؤخرا في لندن ولا شك انه سيلاقي اقبالا في بعض الاوساط الانكليزية والامريكية التي اعتادت على تلقف مثل هذا الانتاج والترويج له . المؤلف من اصل روسي ومن مواليد فلسطين عام ١٩٢١ .

ان أول ما يلفت الانتباه في هذا الكتاب هو الاسلوب الذي كتب فيه بمعنى ان المؤلف لا يتبع الطريقة المعهودة في كتابة المذكرات مثلا او الاسلوب السردي او القصصي مما هو متعارف عليه في مثل هذه الكتابات ، عوضا عن ذلك يعرض علينا مجموعة كبيرة ومفككة من التصورات والانطباعات والاحكام والتعميمات والتجارب حول عدد ضخم من المسائل السياسية بطريقة تفتتها الى جزئيات وتفصيلات تافهة ومملة في معظم الوقت . يعرض المؤلف ما عنده من أفكار واحكام مستخدما ضمير المتكلم مما يجعل كتابه يبدو ، لاول وهلة ، وكأنه شهادة شخصية لانسان مر بتجارب متنوعة ومتعددة فتوصل الى قناعات متميزة وعميقة وغير مألوفة مما يبرر قيامه بتأليف هذا الكتاب . غير ان نظرة ثانية الى محتويات الكتاب تبين بسرعة انه يفتقر كليا الى أي من هذه الخصائص التي يحاول ان يتلبس بها كما تبين ان انطباعات المؤلف الشخصية المزعومة ليست الا البضاعة الدعائية العتيقة والمستهلكة جدا مما تروج له الصهيونية باستمرار حول استيلائها على فلسطين وكل ما ترتب على ذلك من نتائج وعواقب . في الواقع لا يخرج الكتاب عن كونه مجرد اعادة وتكرار للروايات الصهيونية الرسمية وغير الرسمية حول شتى المواضيع ابتداء من وضع اليهودي في اوروبا والعالم وانتهاء بحرب عام ١٩٦٧ ومرورا بهزيمة عام ١٩٤٨ . وكثيرا ما ينحدر هذا التكرار في الكتاب الى مستويات غريبة من الفجاجة والبدائية والتبسيط الساذج للاحداث والامور ، خاصة عندما يعطي المؤلف رأيه في العرب والمجتمع العربي .

يبدأ الكتاب بعملية اختزال سريعة لتاريخ اليهود الاجتماعي والسياسي الى وضع واحد فقط هو الدفاع عن النفس . اليهودي منذ بداية تاريخه حتى هذه الساعة هو الانسان الذي يدافع عن نفسه باستمرار ضد قوة خارجية ضده . هذه هي الحكمة الوحيدة التي استطاع موسى شامر استخراجها من تجاربه حول كل ما يتعلق بتاريخ اليهود الطويل . ولو اردت اختصار « نظريته » في التاريخ اليهودي لقلت « أنا ادافع عن نفسي باستمرار ودوما فاذن انا يهودي » . بطبيعة الحال واضح ان كل هذه السفسطة ليست الا تعبيرا صريحا وفجا عن النظرية الصهيونية الرسمية حول التاريخ اليهودي والقائلة بأن اليهود امة منفصلة باستمرار عن بقية شعوب الارض وتاريخها لا يخضع لمنطق التاريخ وتحولاته المعروفة، كما أنها تتميز بخصائص ثابتة تفردها عن بقية الشعوب وتاريخها الى آخر ذلك مما هو معروف جيدا . انطلاقا من هنا يستمر الكتاب في ترديد كل ما في جعبة الدعاية الصهيونية من أفكار وانصاف حقائق وتشويهات حول كافة الموضوعات المعنية . على سبيل المثال يسجل المؤلف « الانطباع الشخصي» التالي حول نزوح الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ : « ينبغي على مئات الالوف من العرب الذين فروا من على ارض دولة اسرائيل الا يلوموا احدا الا انفسهم وزعماءهم باعتبار انهم تركوا برضاهم التام . » (ص ٣٢) لكن المؤلف لا يذكر للقارىء ان هذا « الانطباع » ليس في الواقع استنتاجا توصل اليه بعد تأمل بل هو الموقف الرسمي للمؤسسة الصهيونية ليس الا . بعبارة اخرى يردد شامر هذا الكلام بطريقة توحي للقارىء الغربي ببراءة الكاتب واخلاصه الشخصي التام في طرح اجتهاده في الموضوع . كذلك يكرر — بنفس الطريقة الموحية بالبراءة الى حد السذاجة — الاسطورة الصهيونية القائلة بأن الصهيونيين جاءوا الى فلسطين فوجدوها صحراء مجدبة فحولوها بعملهم وجهودهم الى واحة للديمقراطية والتقدم والحضارة ... في منطقة تطغى عليها كافة

الخصائص المعاكسة . وانسجاما مع هذا المنطق لا يفوت المؤلف الاشادة بالاستعمار الانكليزي في فلسطين باعتباره حمل اليها الحضـــارة والنور والتقدم والعلم ... (ص ٨٧) .
اما التصورات التي يروجها عن العرب ومجتمعهم فهي لا تختلف شيئا عن التصورات العنصريـــة والشوفينية التي اشتهرت بها الحركات الاستعمارية من حيث نظرتها الى الشعوب المستعمرة . المجتمع العربي بالنسبة الى شامر قطعة متجانسـة متوحدة صلبة منغلقة على نفسها لا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء، كما انه لا يجري بداخلها اي شيء ذو اهمية باستثناء الرغبة الجامحة في ايذاء الناس . لذلك نجده يشبه حياة العرب الاجتماعية بالهرم من حيث سكونه وانغلاقه وانعدام الحيوية فـــي داخله . هذه هي الصورة الكاريكاتورية الرديئة التي يرسمها الكتاب للمجتمع العربي . في الواقع انها أسوأ بدرجات من الصورة الكاريكاتورية التي رسمها العرب لانفسهم عن اسرائيل قبل ١٩٦٧ . فيما يلي نماذج عن تفسيراته لمجرى بعض الاحداث والتصرفات على الجانب العربي : لا يجد المؤلف اي احراج في تفسير النزاع العربي الاسرائيلي ، بكل بساطة وسخف ، على انه « صراع بين الذين يفلحون الارض (اي اليهـــود المهاجرين الـــى فلسطين) وبين رعاة الغنم (اي العرب)» . (ص٣٧) . وفي احدى شطحات شامر الفرويدية يفسر سياسة مصر في اغلاق قناة السويس بقوله انها «صفة من الصفات النموذجية للسادو — ماسوشية في سياسة مصر « الدرويشية » (نسبة الى الدراويش) . وكل انسان على غير علم بهذا كمرض جوهري من أمراض الشرق لن يفهم أو يعرف شيئا عما يرى حولنا » (ص ٦٣) . وبسبب الصورة التعسة التي يرسمها لنفسه عن المجتمع العربي ، وكأنه قطعة جليد مرصوصة ، ينكر بكل صفاقة ، وجود طبقة عاملة عربية ووجود انتلجنسيا عربية متميزة (ص ٧٤) . حتى الدعاية الصهيونية الرسمية لم تصل الى هذا المستوى مـــن العماء والاسفاف والاستهتار بالواقع . يحاول شامر ايضاح ناحية معينة من النزاع الاسرائيلي بالتعليق التالي : « انا مقتنع انه ليس بامكاننا ان نفهم العداء العربي لاسرائيل بصورة افضل ما لم نفهم تماما عنصـــر اللصوصية والنهب والسلب الكامن في مخططاتهم ... (أي العرب) » (ص ٣٧) .

بالنسبة لحرب الايام الستة يطرح المؤلف ، من خلال انطباعاته واستنتاجاته الشخصية المزعومة، الموقف الصهيوني بكل عنفه وتوسعيته وبدون أية تورية او مداورة او مداراة . من ناحية نجده لا يكل ولا يمل من التبشير برغبة اسرائيل العميقة والمخلصة في العيش بسلام مع جيرانها العرب . من ناحية ثانية لا يصف الهجوم الاسرائيلـــي في حزيران ١٩٦٧ الا على انه حرب دفاعية هدفهـــا تحرير الاجـــزاء الباقيـــة من ارض اسرائيـــل . يقول بالتحديد : « في حرب الايام الستة لم تدخل اسرائيل الى قلب اي من الدول العربية المهاجمة ولم تحدث فيه اي تخريب . لقد اكتفت بطردهم من مناطق كانوا قد احتلوها سابقا في بلد خارج بلدهم» . (ص ١٨٧) .
بالرغم من هذا الموقف السافـــر يعود المؤلف الى استخدام الحيلة الصهيونية العتيقة ، التي لم تعد تمر على احد ، التي تظهر اسرائيل بمظهر الدولة الفقيرة الضعيفة الخ... يقول شامر بهذا الصدد « حتى بحدودها الجديدة تبقى اسرائيل اصغـــر دولة في الشرق الاوسط (باستثناء لبنان) كما أنها من أكثر الدول فقرا بالقياس الـــى نوعية تربتها ومواردها المائية ومواردها الطبيعية الاساسية » . (ص ١٣٠) . ثم يعود المؤلف للتأكيد من جديد على ان « اسرائيل هي بلد واحد من جبل حرمون الى قناة السويس ، ومن البحر الابيض المتوسط الى نهر الاردن » (ص ١٣٥) . وجدير بالذكر ان شامر خصص صفحات عديدة من كتابه للبرهنة على الوحدة الجغرافية والتكامل الطبيعي والاقتصادي لارض اسرائيل ضمن الحدود المذكورة اعلاه (ص ١١٦ — ١٣٤) . بطبيعة الحال لا يبخل المؤلف على « ذرية اسماعيل » التـــي يكتب عنها بالنصائح والارشادات والتوجيهات ، التي لا تتعدى كونها دعوة مكشوفة وبأسلوب في غاية البدائية والفجاجة للاستسلام العربي الكامل والتام امام قوة المؤسسة الصهيونية التوسعية في اسرائيل ، كل ذلك باسم تحقيق السلام والعدل والوئـــام في المنطقة . اذا كانت المؤسسة الصهيونية لا تزال تشعر حقا بحاجة الى نشر مثل هذه الكتب الفجة وتوزيع مثل هذه الدعاية البدائية فان في ذلك نوعا من الاطراء غير المباشر للموقف العربي .

ص . ج . ع .

Herbert Feis, The Birth of Israel, the Tousled Diplomatic Bed (New York, W. W. Norton & Co., 1969).

كتاب هربرت فيس «ولادة اسرائيل» دراسة موجزة في النشاط الدبلوماسي للسياسيين الصهيونيين والاميركيين والبريطانيين خلال الفترة التي سبقت تأسيس دولة اسرائيل . وبما أنها دراسة قصيرة للغاية فان الكثير من التفاصيل والحوادث قد اغفلت. فان الكاتب يركز على النشاطات الصهيونية خاصة في الولايات المتحدة خلال التصويت على مشروع التقسيم في الامم المتحدة وقبل أن يعلن بن غوريون قيام اسرائيل . والكتاب جزء من فرع من دراسة أوسع حول العلاقات السوفياتية — الغربية . وقد كتب فيس كتبا أخرى حول مواضيع متنوعة مثل بيرل هاربر ، والقنبلة الذرية، والحرب العالمية الثانية . وعند قيام اسرائيل كان مستشارا لحكومة الولايات المتحدة. ان الطريقة التي يستعمل بها فيس اللغة والمجاز تشوه ، الى حد ما ، ما يبدو محاولة علمية لمعالجة مشكلة الشرق الاوسط. وفي المقدمة على سبيل المثال يشير الى « المعجزة التاريخية » المتمثلة بولادة اسرائيل . ومع ان الكتاب مليء بالحواشي كان من الافضل لو انه استخدم الوثائق والمعلومات من كلا الجانبين العربي والاسرائيلي . وقد ساعد فيس في اعداد كتابه طالب اسرائيلي في الدراسات العليا في جامعة هارفرد وكذلك لوي هندرسون أحد زملاء فيس في وزارة الخارجية الاميركية . ولم يستخدم الكاتب مصادر فلسطينية او عربية . والواقع أن الفلسطينيين قد اهملوا تماما كما هي الحال عادة في مثل هذه الدراسات .

يمتدح فيس سياسات الولايات المتحدة تجاه اسرائيل ويقدم بعض المقاطع المثيرة نوعا ما عن ترومان وعلاقته بكبار زعماء الصهيونيين . الا انه يشير ايضا الى أنه كان بامكان الولايات المتحدة ان تقدم دعما علنيا للحركة الصهيونية وان وزارة الخارجية كانت الى حد ما مترددة بالنسبة للبرنامج الصهيوني . ويسهب الكاتب في الحديث عن بعض نشاطات ترومان خلال عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ مبرزا الجوانب التي لم يتحدث ترومان فيها بشكل كامل عن مواطفه نحو الصهيونيين . ويلاحظ فيس أيضا تأثير دعم الحزبين الجمهوري والديموقراطي للصهيونية في انتخابات الولايات المتحدة .

ويميل فيس الى اتخاذ موقف نقدي من الدبلوماسيين البريطانيين الذين كانوا يسعون الى الحفاظ على الامبراطورية البريطانية لا الى تقديم العون المخلص للصهيونية . وعندما يناقش نشاطات الامم المتحدة وخاصة بعثة لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين يشير الى القوى الموالية للصهيونية التي كانت تدعم خطة التقسيم الاولى . ويشدد على نشاطات السفير الغواتيمالي يورغ غارشيا غرانادوس الذي تبنى الموقف المؤيد للصهيونية واصر على زيارة معسكرات الاعتقال في المانيا ، واجتمع بأعضاء من منظمة أرغون . ولم يبحث في اغتيال برنادوت بشكل واف مكتفيا بقوله أنه لم يلق القبض على القتلة أبدا ، دون ان يذكر ان كثيرين من عصابة شترن قد ألقي القبض عليهم وتم سجنهم الا ان معظمهم قد فر ولم يلق القبض عليهم ابدا .

يختتم فيس كتابه بدعوة الولايات المتحدة أو بريطانيا لاخذ زمام المبادرة وحل مشكلة الشرق الاوسط .

ويبدو أنه يفضل حلا مفروضا من الخارج ويدافع في الوقت نفسه عن استمرار دعم الولايات المتحدة لاسرائيل والارتباط الوثيق بينهما . ومن المؤسف ان الكتب الحديثة حول ازمة الشرق الاوسط لا تقدم عادة للقارىء عرضا موضوعيا تماما للنشاطات الدبلوماسية التي أدت الى خلق اسرائيل . ان الجمهور بحاجة الى وصف تام لخلق اسرائيل يقوم على الحقائق والوثائق في سبيل الوصول الى نتائج منطقية وعقلانية والى فهم المشكلة الحاضرة . وبينما يقدم الكتاب وصفا للنشاطات الصهيونية ودعم الدول الكبرى لها ، لا يستعرض تعقيدات المشكلة كاملة ولا يقدم تحليلا اعمق لدوافع الاطراف المعنية .

ج. ج. قري

Simon N. Herman, **American Students in Israel**
(New York, Cornell University Press, 1970).

كان من الانسب لكتاب الدكتور هيرمان أن يحمل عنوان « اليهود الاميركيون في اسرائيل » ، ذلك لانه يقتصر في بحثه على معالجة تصرف وردود فعل مجموعة من اليهود صغيرة نسبيا قضت سنة في الجامعة العبرية في القدس ضمن « برنامج الطالب الاميركي » A.S.P. ولانه يعطي اهتماما ضئيلا بالنواحي الاكاديمية لفترة الاقامة تلك . وبسبب ظهور عدد كبير من الكتب والمقالات حول الطلبة الاجانب ، يعمد المؤلف في البداية الى تبرير مساهمته بقوله « ان لهذه الدراسة عن الاميركيين في الخارج بعدا جديدا . فهؤلاء كانوا طلبة يهودا لهم وضع خاص في تركيب مجتمعهم الام كأعضاء في جماعة أقلية وفي الوقت نفسه لهم ارتباط خاص كيهود بالدولة المضيفة اسرائيل » . ويضيف « ان هذه في الاساس دراسة حالة معينة يؤيد فيها الطلبة الزائرون الدولة المضيفة بشكل عميق » . وهكذا فان الدكتور هيرمان يبحث في وضع طلبة يتوقعون حتى قبل وصولهم من الخارج علاقة ودية خاصة من مضيفهم لا يتوقعون ان يلقوها في أي مكان آخر في العالم . أضف الى ذلك ان جميع الذين استجوبوا أبدوا بالفعل اهتماما عميقا بالاقامة الدائمة في اسرائيل بخلاف الاميركيين في بلدان أخرى . والحقيقة ان نصف الكتاب تقريبا يدور حول مسألة الهجرة .

وقد تم درس مجموعات متعاقبة من الطلبة . ومع ان المؤلف كان يهدف الى درس وضع طلبة « برنامج الطالب الاميركي » للعام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ فان « التغيرات العميقة في كل من الولايات المتحدة واسرائيل » في السنة التالية اضطرته الى توسيع دراسته لتشمل مجموعات أخرى . وجمعت المعلومات بطرق مختلفة : اجرى مع الطلاب استجوابات مطولة قبل الاقامة في اسرائيل وخلالها وبعدها ، كما أجريت مقابلات شخصية مع بعض مشتركي العام ٦٥ — ٦٦ في حين بعث آخرون الى المؤلف برسائل أو مذكرات كتبوها عن تجاربهم . وللمقارنة فان عددا من الاسئلة التي وجهت الى المشتركين في « برنامج الطالب الاميركي » وجهت أيضا الى مجموعة من (الصابرا) الاسرائيليين . وقد أعطي الاستجواب الاول لسبعة وثمانين طالبا اميركيا وهم في طريقهم الى اسرائيل لكن سبعة وعشرين منهم فقط أتموا الاستجوابات والمقابلات اللاحقة . ويبني المؤلف معظم استنتاجاته على اجابات مثل هذه الاعداد الصغيرة .

يخبرنا المؤلف في الفصل الثاني ان كون هؤلاء الطلبة قد اختاروا المجيء الى اسرائيل وكانوا ميالين لها يثبت بحد ذاته انهم كانوا يحتلون مواقع ايديولوجية معينة في الحياة اليهودية الاميركية . وبناء على هذا نرى ان الاستنتاجات التي انتهت اليها الدراسة لا تشكل مفاجأة لاي شخص تقريبا. وليس من المدهش ان ثلاثة ارباع الطلاب يعتبرون هجوما صحافيا بريطانيا على اسرائيل اهانة شخصية وان ثلثهم يفكرون بشكل قاطع بالهجرة الى اسرائيل ، وحوالي تسعين بالمئة منهم يشعرون ان واجب يهود اميركة هو الدفاع عن اسرائيل (وستة وخمسون بالمئة يتمسكون بهذا الرأي حتى وان كان ذلك يضر بيهود اميركة) . وربما كان الشيء الوحيد المدهش ان كثيرين من طلاب الكليات الاميركيين يميلون الى اسرائيل لهذا الحد لان الكتاب يكرس جزءا قليلا للمعارضين ، وبعد ذلك يعالج مسائل تافهة مثل التأثر من سائق فظ او عدم تمكن طالب اسرائيلي من التحدث مع من يجلس بجواره على الغداء. وجدير بالملاحظة ان الجداول العديدة في نهاية الكتاب تظهر وجود اختلافات ومشاعر غير ودية . وعلى سبيل المثال فان حوالي عشر الطلاب اشاروا الى انهم « أقل فخرا » بيهوديتهم نتيجة اقامتهم في اسرائيل . لماذا ؟ ان هذا السؤال لم يناقش ابدا . وفشل الكتاب يكمن فيما لم يقله لا فيما يقوله لان كثيرا من المسائل المهمة قد أهملت . ويمكن ان يستنتج القارىء العادي ان اسرائيل يهودية مئة بالمئة . وقد ذكر « العرب والاقليات الاخرى » مرة واحدة فقط كجماعات غير يهودية تجعل الاسرائيليين اكثر وعيا لهويتهم اليهودية . وبكلمة اخرى ، ان العرب بالنسبة للاسرائيليين كالاميين بالنسبة لليهود الاميركيين . وفي الحقيقة ان كلمة « عربي » تظهر على صفحات الكتاب اربع مرات فقط (رغم ان كلمة « ارهابي » تستعمل لتدل على العرب ايضا) . ويعتبر الكاتب اليهود الشرقيين افضل قليلا فقط من العرب . ويضم الكتاب ثلاث فقرات عنهم ليقول بعدها ان الاميركيين يجدون صعوبة في الانتساب الى اليهود

الشرقيين .
هناك تهرب من الكثير من المسائل السياسية والاجتماعية . ويستدرك الكاتب دوما في الحالات القليلة التي يتأثر فيها الطالب تأثرا سلبيا بمظهر ما من مظاهر الحياة الاسرائيلية ليؤكد لنا ان هذه نظرة القليلين وليست نموذجا عن الجميع . وبالاضافة الى ذلك حرص الكاتب على المحافظة على لهجة عاطفية وذاتية خاصة في الفصول الاخيرة بواسطة استشهادات يختارها من أقوال الطلاب . وعلى سبيل المثال يقدم الكتاب نقاط شبه بين « حرب الايام الستة » التي كانت على وشك الاندلاع وبين « الابادة حرقا » (افناء اليهود الاوروبيين) . وفي مطلع الكتاب تطالعنا تعابير مثل « سنصل اسرائيل خلال ساعة ، سنقبل الارض » أو « وبكيت ، وتأثر الجميع كثيرا » .
ورغم ان الكتاب يبدو علميا الا أننا نضطر ان نتساءل عن منهجية الدكتور هيرمان وحتى عن غرضه الحقيقي من الكتاب. ان ما كان من المفروض فيه والممكن له ان يكون تحليلا عميقا لمجموعة فريدة من الطلاب الاميركيين في الخارج قد اتخذ بدل ذلك لهجة نشرة دعائية لتجنيد الافراد لهدف ما . لم لم يتصل بمزيد من الطلاب الاميركيين في اسرائيل ؟ ان المجموعة التي يدرسها الكتاب ما هي الا جزء من الاميركيين الذين درسوا في اسرائيل . وربما يقصد الكاتب خدمة هدف ايديولوجي لان الطلاب الذين يشتركون في « برنامج الطالب الاميركي » يأتون عادة من كليات تنتسب الى جهات معينة ، يهودية في معظمها ومؤيدة للصهيونية (مثل جامعة برانديس ، وجامعة يشيفا) . لماذا لم يأت الكاتب بأميركيين من غير اليهود على ان العنوان يقول « الطلاب الاميركيون » ؟ هل كان بمحض الصدفة ان اجرى الاستفتاء حول مواقف الطلاب تجاه اسرائيل خلال حرب حزيران ، وبعد ان مضى على عودتهم الى الولايات المتحدة مدة عام ؟ ويذكر المؤلف ان الطلاب عادوا الى بلدهم في تموز وآب وبذلك يظهر انه لم ينتظر سنة في الحقيقة . وهناك المزيد من الاسئلة والانتقادات يمكن ان تثار الا ان المجال لا يسمح بذلك هنا . ولا يسعني الا ان اطلب من قراء الدكتور هيرمان ان يعوا استخدامه الاساليب العاطفية والتلميح والتلاعب بالاحصائيات والا يتجاهلوا حقيقة ان الكاتب يهدف أشياء غير العلم . والكتاب جدير بالقراءة كنموذج ممتاز عن الفكر الصهيوني الذي تتبناه بعض الجامعات الاميركية . وجدير بالذكر ان الدكتور هيرمان استاذ في علم النفس في الجامعة العبرية .

ميليسيا خوري

Leonard Wolf, **The Passion of Israel**
(Boston, Little — Brown, 1970).

هذا الكتاب مجموعة من المقابلات الفريدة والظواهر الغريبة جمعها استاذ صهيوني اميركي من سان فرانسيسكو قضى سنة في اسرائيل . وهذا وصف تطعي للكتاب . فالمقابلات فريدة لان من جرت مقابلتهم ليسوا بالتأكيد الرجال والنساء العاديين في اسرائيل ، فمن بينهم رسامة وجنرال تحول الى مدير اعمال ، ورائد من رواد الكيبوتز ، وقاتل، وفدائي فلسطيني ، والارهابي السابق الوزير السابق مناحيم بيجن ، ومديرة المدرسة السابقة في ميلووكي التي اصبحت رئيسة وزراء ، و«عربا» مختلفين ، والمحامية فيليسيا لانجر ، وواحد ممن هربوا من مجبر (غيتو) وارسو . أما الظواهر التي جمعت فتتضمن احداثا دينية وحوادث نسف وملاحظات حول المهام الاجتماعية الاسرائيلية . ويشير جمع هذه النتف والاجزاء الى بعضها بعضا من قبل صهيوني اميركي من سان فرانسيسكو الى ان الناتج النهائي سيتضمن بعضا من الاستقلال المصطنع والالتواء . ولا شك في أنه بالفعل يتضمن ذلك . وليس الكتاب بالتأكيد « ولع اسرائيل » ، بل هو بالاحرى « من ولماذا ؟ » مصغر ممل ويحتوي على قدر لا بأس به من المعلومات للناس الذين قابلهم ليونارد ولف في اسرائيل .
لنعالج أولا الظواهر التي يحتويها الكتاب . ان تجربة السيد ولف فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي الاسرائيلي تؤكد ما اذهب اليه من ان على المرء عندما يزور أحدا أن يمضي وقتا طويلا قبل أن تقدم له القهوة . ليس هناك في الواقع والى حد كبير ضيافة غريزية في اسرائيل كتلك التي توجد في العالم العربي وفي باقي آسيا . وهذه ناحية صغيرة ولكنها هامة من النواحي التي تختلف بها اسرائيل عن

جيرانها في اسيا . وتجربة الاستاذ ولف بالنسف مباشرة ــ كانت زوجته في طريقها الى السوبرسول عندما انفجرت فيه العبوات الناسفة ــ وانطباعية ــ كما لو انها رسمت على قطعة من الخيش الابيض خلال نقاش ليلي مع اصدقاء . ان ولف ليس يهوديا متدينا ، ككثيرين غيره ، وهو يحاول ان يستحث ما يعتقد أن مشاعره الدينية الكامنة خلال وجوده في اسرائيل . ولكنه عبثا يحاول.

هناك مقابلتان احدهما مثيرتين للاهتمام على وجه الخصوص . اولاهما مع فيليسيا لانجر ، المحامية الشيوعية التي تدافع عن « الارهابيين العرب » في المحاكم العسكرية الاسرائيلية . ويقدم لنا الكاتب صورة متعاطفة للسيدة لانجر على الرغم من انه واضح أن المؤلف يعلم ان السيدة لانجر لا تحظى برضى السلطات الاسرائيلية تماما ، ولا برضى جيرانها الاقربين في رامات جان خارج تل ابيب . غير ان المؤلف يبرر الصورة المتعاطفة التي يصور بها السيدة لانجر بأن يؤكد للقارىء أن السيدة لانجر يجب ان لا تعتبر شخصا لا يطاق بسبب انتمائها السياسي فهي في الحياة الواقعية لا تعدو كونها « أما يهودية » أخرى ــ وهذه حقيقة استنتجها المؤلف لانها اعطته قطعتين من السندويش ليأكلهما وهو في رطيقه من تل ابيب الى القدس . من الواضح ان الاستاذ ولف كان يعتقد انه يعبر عن استقلاله الفكري عندما ضمن الكتاب مقابلة مع السيدة لانجر ، ولكنه نسي أن يذكر ان السيدة لانجر ببساطة تخلص لضميرها فيما يتعلق بالفلسطينيين . وتناسى ان يقول ان السيدة لانجر تؤمن ايمانا عميقا بمبدأ الدولة اليهودية الذي تقول « أننا لن نتخلى عنه » . اما المقابلة مع الهارب من مجبر وارسو فتحتوي على معلومات كثيرة . فالرجل، واسمه بنيامين ايختر، يصف بالضبط كيف سقط المجبر ، والحقائق التي يوردها تبدد الخرافة التي نسجتها الصهيونية والتي تقول ان المجبر قد جرى الدفاع عنه ببسالة ، وتجعل من ذلك المثل الرئيسي للمقاومة اليهودية للنازيين خلال الحرب . ولكن الواقع ، كما تكشف عنه المقابلة ، هو أن سقوط المجبر كان ألما ممضا مطولا (١٩٤١ــ١٩٤٣) مبعثه خيانة اليهود لانفسهم وتعاونهم مع النازيين. كانت انتفاضة وارسو حضيض التاريخ اليهودي تحت الاحتلال النازي لا قمته . ان هذه القصة ايضا ككثير غيرها ليست الا خرافة صهيونية اخرى اخترعتها الميثولوجيا الصهيونية بعناية . أما العرب الذين جرت مقابلتهم فهما الاب ريا ابو العسل ، راعي كنيسة المسيح في الناصرة ، وعنان الصفدي احد مراسلي الصحيفة الحكومية الاسرائيلية جروسالم بوست . يعبر الاب ابو العسل بصراحة عن مشاعر الفلسطينيين الذين انتزعت منهم أملاكهم . وتغطي مقابلته صفحتين . أما عنان الصفدي فعربي من بيسان وهو متعاون مع الاسرائيليين ويردد الخرافات الاسرائيلية القياسية عن علاقات الفلسطينيين (العرب) واسرائيل . وقد اعتبر السيد صفدي نفسه واحدا من اعضاء ما يدعوه بـ « عائلة الشعوب الاسرائيلية » . وكون ولف قد اختار مسلما لهذه المقابلة أمر هام : فهو يأمل في أن يبين ان المسلمين يمكن ان يكونوا « عربا طيبين » اي « اسرائيليين طيبين » . وتغطي مقابلة الصفدي « العربي ــ الاسرائيلي الطيب » سبع صفحات مقابل الصفحتين اليتيمتين اللتين خصصتا للاب ابو العسل . فالاب ابو العسل ليس « عربيا طيبا » ، بل هو بدلا من ذلك عربي صريح .

يعتقد كثير من الناس ان الحقيقة يمكن ان يعثر عليها باستشارة عدد كبير من الناس والتأليف بين آرائهم ويبدو ولف في منحى معالجته لاسرائيل والتجربة الاسرائيلية واحدا من هؤلاء، ولكنه لا يتبنى المبدأ الديمقراطي ويستشير عددا كافيا من الناس . فهو يستشير فقط عددا قليلا من الناس غير العاديين. لقد ردد كل الاسرائيليين اليهود الذين جرت مقابلتهم الخرافات المعتادة عن اسرائيل . ولكن يجب ان يقال انهكان بمقدور ولف ان يوسع دائرة المسلح الذي قام به ليصل الى النتيجةذاتها، ذلك ان غالبية الاسرائيليين تؤمن بهذه الخرافات. ولقد كانباستطاعة ولفان يجتنب هذه العثرة ويصل الى الحقيقة لو انه تحمل عناء زيارة قسم الاعلام في رئاسة الوزراء ودائرة النشر الضخمة في وزارة الدفاع . ولعثر هناك على المصدر الذي يستقي منه الاسرائيليون افكارهم عن اسرائيل وتاريخ اسرائيل ، ولاستنتج أن « ولع » اسرائيل ، هو الى حد بعيد من صنع دعاة اذكياء . ولكن ولف لم يكن يعير اهتماما لدراسة جادة لاسرائيل وشعبها . فقد كان يبتغي كتابة مؤلف مقروء ومقبول أكاديميا ليبرر به عطلته في اسرائيل . وقد نجح في ذلك .

مايكل جانسن

Cornell Capa (ed.), **Israel The Reality**
(N.Y., World Publishing Co., 1969).

يحق لنا أن نفترض أن محرر هذا الكتاب شعر أنه يستطيع أن يعطـي له هـذا العنوان الصارخ « اسرائيل الواقع » لانه مجموعة من الصور ، والكاميرا كما يدعي لا تكذب . صحيح انه كان هناك زمن وضع الناس فيه ثقة عمياء في صدق الكاميرا ، ولكن هذا الزمن مضى وانقضى منذ امد . وأصبح معروفا أن الكاميرا لا تقل صدقا أو كذبا عن المصور الذي يستخدمها ، ولذا فانهـا بالتالي تستطيع أن تأتي كذبا وهي أحيانا تفعل . اما في الكتاب الذي نبحثـه ، فليست الكاميرات والمصورون هم الذين يكذبون قدر ما يكذب المحرر، كورنيل كابا ، الذي يقدم صورة لاسرائيل بعيدة جدا عـن أن تكون « الواقع » ، وذلك باختيار للصور مفرط في التحيز واختيـار سيء جـدا للتعليقات .

انه لامر مدهش ان يعود كتاب صدر عام ١٩٦٩ ليصغي الـى المثل الاعلى الذي كـان يتبناه الصهيونيون قبل أربعين أو خمسين أو حتى ستين سنة ، وهذا المثل بالتحديد هو أن اليهودي المديني سيتخلص من عقدة الكوسموبوليتية بالعودة الى الارض ليصبح فلاحا بسيطا صلبا . فالكتاب الذي بين يدينا يحاول جاهدا أن يعطي انطباعا رئيسيا هو أن اسرائيل بلد زراعي رعوي ، وهذا انطباع معاكس تماما لـ « الواقع » . ومن هنا يضمن المحرر كتابه صورا عديدة للحملان والرعاة منذ العام ١٩١٠ ولمزيد من الحملان والرعاة منذ العام ١٩٥٢. لكن اسرائيل ليست في الواقع بلدا للحملان ، لا الحملان ذات الارجل الاربعـة ولا ذات الرجلين الاثنتين . ان واقع اسرائيل الراهن نتاج لفشل المثل الصهيونيـة منذ البدايـة عندما طبقت في الممارسـة على الارض الفلسطينية . فمنـذ وقت مبكر، ابدى المستوطنون اليهود ميلا واضحا لتفضيل الحياة في المدن ، تلك الحياة التي اعتادوها في أوطانهم الاصلية في اوروبا الشرقية والوسطى ، على العمل الذي يسمو بالروح في الكيبوتزات . وهذا هو السبب في أن اسرائيل اليوم واحد من أكثر الاقطار تصنيعا وتمدينا في العالم ، وتكاد تلحق في ذلك بهولندا وبلجيكا . فثلاثـة ارباع سكان اسرائيل يعيشون في شريط المدن الساحلية التي تمتد من عسقلان في الجنوب مرورا بتل ابيب وحيفا حتى عكا في الشمال . هذا الشريط المديني هو واقع اسرائيل . ولكن المدن الصناعية في اسرائيل ، كما في غيرها ، ليست جميلة ، وصورها لا تشكل مادة دعاوية جذابة كهذا الكتاب . ولذا فان المحرر يكاد يتجاهل اسرائيل الحقيقية : فمن بين ١٨٠ صورة لا نجد اكثر من اثنتي عشرة صورة تعـرض اوجه الحياة الاسرائيلية المدينية، ولكن هذه الصور برغم ذلك تفلح في اعطاء انطباع عـن الابتذال القذر الرث . ان الدعاة الاسرائيليـين وكذلك اغلبية سكان اسرائيل يعيشـون في احياء مغبرة كريهة الرائحة ان لم تكن قبيحة وقذرة . وبالطبع ليس هذا هو وجه اسرائيل الذي يعرض . ففي جملة وحيدة في أسفل واحدة من الصفحات الاولى يعترف الكاتب « أن الكتاب أصبح ممكنا بفضل هبة من الخطوط الجوية الاسرائيلية (العال) » . وعلى هذا فان السياح اليهود ، مـن اميركا بصورة رئيسية ، لن يستقلوا طائرات العال الى اسرائيل اذا قيل لهم مسبقا انهم سيرون حارات خلفيـة كتلك التي يعيشون فيها .

ان من بين الصور المثيرة للانتباه في هذه المجموعة تلك الصور التاريخية التي تعود الى فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى. وواحدة منها تصور الشارع الرئيسي في بتاح تكفا وتعود الى ١٩١١ ، وهي مثيرة على وجه الخصوص لانها تبين ان الصهيونيين استطاعوا ان يخلقوا على بعد بضعة اميال من الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط نسخـة مضبوطة لقرية أنموذج لقـرى البلقان او أوروبا الوسطى . وهذه الصورة بالاضافـة الى بعض الصور الاخرى توضح بجـلاء أن المستوطنـين الصهيونيين كانوا غرباء عن الشرق الاوسط تماما حتى في ذلك الحين : لقد كانوا غرباء الى حـد جعلهم يخلقون حولهم منظرا طبيعيا اجنبيا .

وبغض النظر عن التحريف المتعمد غير الواقعي ، فان الكتاب في بعض التعليقات على الصور يكذب كذبا مفضوحا . وأسوأ هذه الاكاذيب قاطبة تلك التي ترافق صورة لجنود المدرعات الاسرائيليين وهم يعتمرون الخوذ الفولاذيـة وفي الوقت ذاته يرتدون ملابس الصلاة ويحملون الكتاب المقدس ، واعينهـم تتطلع نحـو السماء مليئة بالخشـوع والتقوى : ويفتـرض أن يكون هؤلاء « جنـودا

اسرائيليين يصلون الفجر بينما الطائرات المصريه تقترب من سيناء في ٦ حزيران ١٩٦٧ » . ومع ذلك ففي قلة من الصور لا تكذب الكاميرا . وهذه هي الصور المتعلقة بالاحتلال الاسرائيلي والتي تصور القوات الاسرائيلية وهي تفتش احدى القرى طالبة من السكان التعاون معها ، والسكان يستجيبون لذلك ، حتى أنهم يقدمون لها القهوة : وهنا نرى أن العداء الذي يبدو على وجوه الفلسطينيين وهم يحدقون في الكاميرا يلغي التعليقات المتفائلة التي ترافق الصور .

أما بالنسبة للقارىء ، أو بالاحرى الناظر ، العربي فان أهم صورة في الكتاب هي ما قبل الاخيرة . وهي صورة تغطي صفحتين من الكتاب وتصور المنظر من قمة برج شالوم ذي الطوابق الثلاثين في تل ابيب . وقد أخذت الصورة في يوم رائق الجو وتبدي بنايات وشوارع والمزيد من البنايات والشوارع على امتداد المدى الذي تستطيع أن تلتقطه عين الكاميرا . هذه هي اسرائيل الواقع، هذا هو هدف التحرير. يبدو أن الدعاية الاسرائيلية المصورة الذكية (التي يمثل هذا الكتاب أحد أمثلتها الجيدة) تهدف الى اقناع اصدقاء اسرائيل وكذلك اعدائها ان اسرائيل بلد زراعي وليس مدينيا . ولكن اذا ما ادرك واقع اسرائيل كبلد مديني ، فان المرء يأمل ان يأخذ الكفاح الفلسطيني المسلح ذلك باهتمام خاص .

جودفري جانسن

Sir Laurence G. Smith, **Bright Levant**
(London, John Murray, 1971).

كتاب آخر عن العالم العربي من منشورات جون موراي ، الذي يكاد يصبح ناشرا متخصصا بشؤون الشرق الاوسط . والمؤلف دبلوماسي بريطاني قضى أكثر من نصف قرن يعيش مع العرب في القاهرة وجدة والموصل والخرطوم . وهو يبدأ كتابه بصورة « المشرق المتلالىء » في اشعة الشمس وينهيه بصورة يكتنفها الاكتئاب والاشمئزاز بل وحتى التأسي على الذات . ومن يقرأ الكتاب بقصد العثور على حقائق غائبة فيما يتعلق بالدبلوماسية العربية — الانجليزية سيصاب بخيبة أمل ، أما من يقرأه بقصد الاستمتاع به فسيجد فيه ما يعوض ما دفعه من ثمن ويزيد . ان لمن المؤسف حقا أن يكون السير لورنس موظفا حكوميا ، فقد كان يجب ان يصبح فنانا . فهو في القصص الصغيرة التي يرويها يبدي موهبة فذة وقدرة على الملاحظة والتفكه ويعبر عن الاوجه المجنونة لـ « الحياة الرئيسية » بالطف الكلمات والذع الجمل ، بملاحظات وظلال مختصرة اختصار ملاحظات وظلال بوتيشيللي .

والسير لورنس كفنان ساخر متفنن في السخرية ولا يحتاج المرء ليتيقن من ذلك غير أن يقرأ القصص التي يرويها عن حافظ عفيفي وام كلثوم وهي تغني تحت الشرفة المزخرفة . وعن تعقيم طوابع الشريف حسين الجديدة قبل ارسالها الى الملك جورج وعن الحوض الذي أهداه هنري كنج الى الشريف حسين (لم يكن في قصر الشريف ماء جار ، فوضع الشريف الحوض على السطح ليجمع فيه ماء المطر) . وقد بدت روح الفكاهة لدى السير لورنس في وقت مبكر عندما كان لا يزال قنصلا مساعدا في جدة ، اذ نشر في التايمز في رأس السنة الجديدة ملاحظة تقول « البريطانيون الاربعة في الحجاز يتمنون جميعا لمن تبقى من العالم عاما جديدا سعيدا ويتمنون لانفسهم عاما باردا » . كلا ، لم يحب السير لورنس جدة ، ولا أحب الموصل التي قضى فيها سنتين تعيستين انتهتا بطلاقه لزوجته . ولا شك ان المرء يتساءل عما اذا كانت متاعب السير لورنس الزوجية قد جعلت الموصل تبدو باعثة على الكآبة له أو أن

حياة الموصل المضجرة هـي التي جعلتـه يطلق زوجته . غير أنني وقد قضيت يومين في تلك المدينة العراقية اميل الى القول أن الاحتمال الثاني هو الارجح .

الافراط في السخرية موقفسلبي يصبح صاحبه عاجلا او آجلا كالحطيئة يكره كل الناس . فمن بين كل الشخصيات التي يرد ذكرها في « برايت ليفانت » نجد أن أحدا لم يستحوذ على اعجاب المؤلف بلا تحفظ غير الملك عبد العزيز بن سعود في الجانب العربي واللورد كرومر في الجانب البريطاني . حتى أن تشرشل ذاته لم يفلت من قلم المؤلف الحاد . فقبل أن يقابل رئيس الوزراء البريطاني ابن سعود تلقى نصيحة بأن لا يمس مسألة فلسطين . ولكن تشرشل أبلغ المؤلف انه لو أراد أن يبحث المسألة ويكسب مباركة الملك للمشروع الصهيوني لحاول أن يقول : كما أن بريطانيا أسدت للعرب جميلا فأعطت العراق لفيصل ، ينبغي على العرب أن يردوا الجميل بمثله ويعطوا فلسطين لليهود . هذا ما كان سيقال لابن سعود ، الد اعداء الهاشميين !

أما تعليقات سميث على مسألـة فلسطين فحرية بالتفات أولئك السياسيين البريطانيين الذين يضحون بمصالح بلادهم على مذبح حفنة مـن الاصوات اليهودية في الانتخابات العامة . « لقد ترعرعت مع رسالة مكماهون كخلفية وحيدة لتفكيري فيما يتعلق بالمخططات الخاصة بالعالم العربي في فترة ما بعد الحرب ، ويعود ذلك جزئيا الى أن حياتي العملية، كحياة معظم زملائي ممن عملوا في المشرق ، قد تأثرت تأثرا بالغا ، بل سممت ، بردود فعـل المسلمين تجاه دعمنـا للصهيونية السياسية » .

ويتصـدى المؤلف لمسألـة رسالـة مكماهـون فيناقش دعوى العرب ان فلسطين لم تكن مستثناة من المملكة العربية ، ولكن اشارته الى « ردود فعل المسلمين » بالغة الدلالة . فبالنسبة للمؤلف ، لم توجد القومية العربية قط ، وحيث وجدت كانت لعنة . واعتذار المؤلف لجيله من الدبلوماسيين الذين كانوا يمضون اوقاتهم في نادي محمد علي فلا يعرفون شيئا عن الجماهير المتململة اعتذار يبعث على الشفقة . وليس ذلك لانه يتطلع بأي قدر من الاعجاب الـى الباحثين عن الثروة والسياسيين الفاسدين من باشوات وامراء ما قبل عهد الثورة. على العكس من ذلك ، سيجد القادة الحاليون خيرا في ترجمة ما يرويه المؤلف عن الحياة التي كان يعيشها أفراد « نخبة » تلـك الفترة : ضعفهم الذليل أمام النساء ، نهمهم المتهتك للمركز والثراء، جهلهم ، تحللهم ، لصوصيتهم وخياناتهم . حتى ان سادة مصر الملكيةخلفوا لنا طقسا عربيدا من طقوس الجريمة . فعندما صدرت الاوامر بادخال بعض التعديلات على قصر المنتزه ، وجد المعمار الايطالي هيكلين عظميين لرجـل وامرأة مدفونين في أحـد الجدران .

ان حب السير لورنس لابن سعود وكرومر يفسر موقفه ، أي موقف القيادة الابوية . فلو لم يغرق الالمان كرومر وسفينته(!) لكان مجد بريطانية في العالم العربي خالدا . فبدون كرومر والنخبة التي كان يستعين بها من الخبراء المتازين ، أصبحت رئاسة الوزراء تعتمد على موظفين مـن الدرجة الثانية ، وجرى التعويض عن النوع بالكم ، وكان الكم يحمل في احشائه انحطاط النوع الى مستوى عادي . فاستطاع العـرب أن يبددوا خرافـة السوبرمان الانجليزي اذ اكتشفوا أنه ليس بأفضل منهم . وكان هذا بداية المتاعب لانجلترا . وخلال الحرب كانت النقود التي سكبتها انجلترا في المنطقة لشراء البضائع والخدمـات تذهب الى جيـوب المقاولين اليهود فلا تصل ابدا الى الفلاح الفقير .

وفي محاولة أبوية أخرى ، اقترح سميث تشكيل دائرة خاصة لتشتري من الناس مباشرة ، ولكن انجلترا كانت مشغولة بالحرب الى درجة لا تسمح لها بالاهتمام بالفلاحين ، وكتب الجنـرال فيليب ميتشيل يطلب فصل سيمور سميث . فظل الفلاحون يبيعون منتوجاتهم بأسعار العام ١٩٣٩ ، وظل أصحاب المشاريع اليهود يلتهمون الفارق الضخم في الاسعار ، على حد رواية المؤلف . الكتاب غني بـ « لو أن »، ولكن لا شك في أن أعظم « لو أن » من بينها جميعا ، هي : لو أن آرثر بلفور كان فتاة.

خالد القشطيني

ثلاث رسائل

(١) رسالة بريطانية: الاذاعة البريطانية والصراع العربي الاسرائيلي

اذاعة لندن* هي من اقدم الاذاعات في العالم، كما أنها أشهرها على الاطلاق. فبالاضافة الى الاربع وثلاثين لغة، منها العربية، التي تذيع بها، فان برنامجها الانجليزي العام لما وراء البحار يبث طوال اربع وعشرين ساعة في اليوم، وله جمهور كبير منتشر في جميع ارجاء الارض من بين الذين ينطقون بالانجليزية كلغتهم الام، كالشعب الاسترالي والنيوزيلندي والكندي والامريكي، او كلغة اضافية، مثل ما هو الامر في الهند والباكستان والشرق الاوسط وبعض الاجزاء من افريقيا. والاذاعة البريطانية هي اذاعة المحترفين الاولى في العالم، فمنها تستقي الاذاعات الاخرى والصحف ووكالات الانباء وحتى الحكومات أخبارها، كما ينصت اليها رجال الدولة والاقتصاد بانتظام. فكان مثلا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ينصت اول ما ينصت في الصباح الباكر الى نشرة اخبار البي بي سي. وهي تذيع ما لا يقل عن ست عشر نشرة اخبارية كاملة في اليوم، مدة كل منها تسع دقائق، بالاضافة الى نشرات ملخصة اخرى. كما تقدم تعليقا على الانباء يكتبه ويلقيه مراقب سياسي مختص من هيئة الاذاعة نفسها، او من خارجها، ويذاع في أعقاب ثماني نشرات اخبارية. ومدته ست دقائق. وتقدم اذاعة لندن أيضا جريدة ناطقة للاخبار تتضمن تقارير مراسليها المنتشرين في أنحاء العالم، وتذاع سبع مرات يوميا ومدتها ربع ساعة. وعلاوة على ذلك تذيع لندن البرامج السياسية التالية: **العالم اليوم:** وفيه يلقي المذيع أسئلة على أربعة او خمسة مراسلين او مراقبين مختصين حول قضية سياسية ذات اهمية آنية. وقد يحدث احيانا ان يلقي المذيع اسئلة من الاستديو في لندن على المراسل الموجود في البلاد التي اعتمد فيها، فيجري الحوار عبر الاثير. هذا البرنامج يكرر خمس مرات في اليوم، ومدته ربع ساعة. **المنصة:** وفيه يتناقش الخبراء والاختصاصيون والسياسيون فيما بينهم حول موضوع معين. ويختلف عن البرنامج السابق في ان كلا من المشتركين هنا يدلي برأيه ويناقش آراء الاخرين. اي لا يقتصر الامر على السؤال من الاستديو والرد من المراسل كما يجري في «العالم اليوم». يذاع مرتين في الاسبوع، والمدة نصف ساعة. **نظرة:** وفيه تطلب الاذاعة من اي شخص له علاقة او خبرة، الاجابة على اسئلة متعلقة بخبر اذيع قبل ساعات او حتى دقائق. مثلا حدث بعد تشكيل الوزارة العسكرية في الاردن في ايلول الماضي ان طلب مخرج هذا البرنامج من انور نسيبه المقيم في القدس المحتلة الاجابة على بعض الاسئلة بصفته وزير دفاع أسبق في الحكومة الاردنية. فذهب الاخير الى محطة الاذاعة الاسرائيلية التي سجلت المقابلة لحساب البي بي سي. يذاع هذا البرنامج مرتين في اليوم. وفي النسخة المسائية يلقي المذيع نظرة على عناوين الصحف المسائية في لندن. مدته اربعون دقيقة. **ما تقوله الصحف البريطانية (اليومية) في افتتاحياتها:** ويتضمن ملخصا لآراء الصحف. ويكرر سبع مرات في اليوم. المدة ست دقائق. **ما تقوله المجلات الاسبوعية (البريطانية):** ويذاع مرتين في الاسبوع. المدة ربع ساعة. **من مراسلنا الخاص:** برنامج اسبوعي يذاع يوم الاحد مرتين. وفيه يقدم اربعة من مراسلي البي

---

* هذا البحث يقتصر على البرنامج الانكليزي العام لما وراء البحار ولن يتطرق الى البرنامج العربي.

بي سي تقاريرهم المفصلة عما وراء الاحداث ذلك الاسبوع ، من البلدان التي كلفوا بتغطية اخبارها. المدة نصف ساعة . **ما تقوله الاذاعات الاخرى :** ويتضمن ملخصا لاهم ما تذيعه اذاعات دول يصادف أن تكون تحت الاضواء ذلك الاسبوع . يذاع يوم الاحد مرتين . ربع ساعة .

من ذلك نرى ان البي بي سي هي حقا دار الاذاعة ذات التغطية الافضل لاحداث الساعة في العالم، مما جعل الاذاعات الاخرى تنصت اليها بانتظام ليس فقط لتستقي منها المعلومات والاخبار ، بل حتى لترتب فترات الانباء في نشراتها على غرار ما تفعله اذاعة لندن . لا شك اذن ان البي بي سي هي اشهر مؤسسة بريطانية في العالم ، اشهر بكثير من سكوتلنديارد وشركة رولز رويس ومجلسي العموم واللوردات وقصر بكنغهام الذي هو مقر الملكة . والذي كفل لاذاعة لندن الاستقلال في الرأي والاتجاه هو تحررها الاداري التام عن الحكومة البريطانية، مع انها طبعا مؤسسة بريطانية رسمية (corporation) وليست شركة اهلية ، اذ يتحمل نفقاتها دافع الضريبة البريطاني . انها مستقلة حتى عن رئيس الوزراء نفسه ، فلا يتمكن من املاء سياسته او سياسة حزبه الحاكم عليها. بل أنها ابان حرب السويس عام ١٩٥٦ اتهمت باتخاذ موقف غير ودي من الحكومة المحافظة آنذاك ، مع ان تلك الحكومة كانت تمثل اغلبية الشعب البريطاني ، وقد جر عليها ذلك انتقاد انتوني ايدن وانصاره . اذن فاذاعة لندن هي ليست عادة بالمؤسسة الاعلامية التي تتراكض لاهثة متزلفة وراء الرأي العام في البلاد كأشهر الوسائط الاعلامية في العالم، بل أنها بحكم سمعتها الحسنة في الموضوعية والتجرد، تحاول اتخاذ موقف اولبي في شموخه من أحداث العالم ، وهو بالذات الموقف الذي أمن لها ولاء أكبر جمهور من المستمعين في ارجاء الارض ، وجعلها المؤسسة التي تخصص لها الميزانية البريطانية الاموال بسخاء حتى ابان الازمات الاقتصادية . ولكن هل اذاعة لندن ذات رأي حر مستقل في قضية الشرق الاوسط ؟ هل هي متحررة من الضغوط الصهيونية تحررها من الاعلانات وتهديدات المعلنين ؟ او بعبارة اخرى ، هل نجحت في الاختبار الاكبر الذي سقطت فيه الاغلبية المطلقة لصحف العالم الغربي واذاعاته ؟

في عدد ١٩٧٠/٢/١٩ من مجلة « ذي ليسنر » ، وهي مجلة تصدرها هيئة الاذاعة البريطانية ، وتتضمن نخبة من المقالات السياسية والادبية كانت قد اذيعت قبل ذلك في البي بي سي ، ظهر مقال لاذاعي اسمه براين ماغي بعنوان « التحيز » ، كان قبل ذلك قد اذيع في نطاق « البرنامج الثالث » الشهير المخصص للقضايا الفكرية . وفي هذا المقال — الحديث تحدث الكاتب عن تحيز وسائط الاعلام البريطانية للجانب الاسرائيلي اثناء حرب حزيران وبعدها ، وروى كيف أنه اعد برنامجا تلفزيونيا يبحث شعور العرب بعد هزيمتهم ، فاذا الاحتجاجات تنهال عليه من كل صوب ، وتلصق به تهمة الانحياز للعرب ، واذا بالموضوع يثار في مجلس العموم . ثم استخلص ماغي من ذلك بأن الشخص لا يمكن ان يعتبر موضوعيا ومحايدا في بريطانيا الا اذا اقتصر على تقديم وجهة النظر الاسرائيلية. اما اذا ألحق بها وجهة النظر العربية، فهو يعتبر عند ذلك متحيزا ضد اسرائيل . وكان الاستنتاج النهائي الذي توصل اليه براين ماغي في مقاله هو أنه توجد — على حد قوله — «رغبة أكيدة في عدم الاستماع الى وجهة النظر العربية » مستثنيا من ذلك الى القول بأن « الكثيرين لا يعلمون اساسا ان للعرب وجهة نظرتستحق الذكر، بغض النظر عما هي » . وقد استعرض الكاتب في سياق مقاله تاريخ نشوء اسرائيل ، وما رافق ذلك من احتجاجات عربية حول الدولة الجديدة التي كانت في رأيهم ستصبح رأس جسر للاستعمار في المنطقة ، وكيف ان الدول الغربية ظلت تستخف بهذه الاحتجاجات وتتجاهل مخاوف العرب ، الى ان وقعت حرب السويس عام ١٩٥٦ فأكدت بصورة لا تقبل الشك بأن مخاوف العرب كانت في محلها. وتلا مقال ماغي مقال اخر في نفس العدد من مجلة « ذي ليسنر » بعنوان « الردهية » بقلم اذاعي اخر اسمه ف. ر. مكنزي ، وفيه تحدث عن حساسية اليهود المفرطة تجاه كل ما يصوره خيالهم لهم بأنه اهانة موجهة اليهم . فروى كيف انشغلت بدالة تليفونات البي بي سي بمكالمات الاستنكار قبل أعوام قليلة ، بعد أن اذاع الراديو وصفا لسجين هارب تضمن العبارة: له ملامح يهودية. وقارن الكاتب ذلك مع انتشار النكات والتشنيعات على العرب في المسارح البريطانية ، والتي تقابل بالضحك والاستمتاع ، فخلص الى القول بأن هناك مناخ رأي في بريطانيا اليوم يسمح بمعاملة العرب كما كان اليهود يعاملون في الثلاثينات ، اي باحتقار

وكأنهم انصاف بشر ، كما ذكر أن استفتاءا للرأي العام قامت به مؤسسة غالوب بتكليف من صحيفة « ديلي تيليغراف » عام ١٩٦٧ اظهر بأن ٥٩ بالمئة من البريطانيين يؤيدون اسرائيل ، مقابل أربعة بالمئة يناصرون العرب . واستطرد مكنزي يقول بأن كل من ينتقد اسرائيل يتعرض لحملة اغتيال لسمعته ، وللاتهام بأنه معاد للسامية . أما اليهود الذين يعارضون الصهيونية ، امثال ايلمر بيرغر وموشي مينوحين وغيرهما ، فهؤلاء يوصمون بالخيانة . ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن قضية الاذاعي البريطاني كيث كايل الذي اتهم بالتواطؤ مع الفدائيين، وكيف انه بالرغم من السخافة الواضحة للتهمة ، فقد تعرض كايل للمقاطعة العامة في اسرائيل عندما منعت غولدا مائير وزراءها من اعطائه أي حديث ، بل وهددت حتى بالقاء القبض عليه . كما تعرض توني سميث ، زميل كايل في البرنامج ، الى حملة تجريح مشابهة ، وقام وفد من النواب اليهود في مجلس العموم البريطاني بزيارة اللورد هيل ، رئيس مجلس ادارة البي بي سي ، لتقديم الاحتجاج حول « انحياز » الاذاعة الى جانب العرب . وهذه الضجة المفتعلة كلها ادت ، كما ذكر مكنزي في مقاله ، الى ان يقوم المستر كوران ، المدير العام للبي بي سي ، بدعوة السفير الاسرائيلي ريميز مع ملحقه الصحفي الى الغذاء والاجتماع بمدراء الاذاعة . ثم تطرق مكنزي بعد ذلك الى التحيز الواضح في الصحف البريطانية ضد العرب ، وخاصة في « التايمز » و« الغارديان » ، وعن انشاء « مجلس انماء التفاهم العربي البريطاني » (كابو) من قبل بعض البريطانيين ذوي النظرة الموضوعية في قضية الشرق الاوسط ، امثال مايكل أدمز وكريستوفر ميهيو ، وذلك لخلق حركة ردهية عربية قوية من اجل مواجهة الضغوط الصهيونية على الحكومة البريطانية ووسائط الاعلام في البلاد .

وقد أثار هذان المقالان ضجة كبيرة في صفوف الصهاينة ببريطانيا ، فامتلأت الاعمدة المخصصة لرسائل القراء في ستة اعداد متتالية من مجلة « ذي ليسنر » برسائل الاستنكار . وكان بين المحتجين على المقالين جيكب غيفرتز من صحيفة « جيويش كرونكل » والنائب اليهودي في مجلس العموم فكتور ميشون . اما من المؤيدين فكان يوجد الصحفي مايكل ادمز وهاري هوبكنز (مؤلف الكتب عن الشرق الاوسط) والنائب ايان غيلمور . وعن اليهود المعادين للصهيونية نشرت « ذي ليسنر » رسالتين . واحدة من صولي ساخس (جنوب افريقيا) واخرى من مارك براهام (استراليا). ولم تكن تلك اول مرة تغضب فيها اذاعة لندن مؤيدي اسرائيل في بريطانيا ، فانها كانت قد اثارت عداءهم في وقت سابق عندما ألغت البرنامج العبري الموجه الى اسرائيل . ومع ان السبب الذي دفع الاذاعة الى اتخاذ تلك الخطوة كان الضائقة المالية الشديدة التي ألمت بها من جراء الازمة الاقتصادية الخانقة التي عمت البلاد ، ومع ان البي بي سي خفضت ايضا البرنامج العربي بمقدار ساعتين في اليوم (دون أن تقوم ضجة عربية او غير عربية حول ذلك) وأشارت ايضا الى ان اليهود في اسرائيل يفهمون الانجليزية على كل حال ، ويفضلون الاستماع الى البرنامج الانجليزي العام لما وراء البحار (وتشهد على ذلك الطلبات العديدة التي تصل الى فكتور سيلفستر، قائد الاوركسترا المعروف ، من المستمعين الاسرائيليين لعزف الحانهم المفضلة) وانه بالتالي لا يكاد يوجد جمهور من المستمعين للبرنامج العبري، الا ان الغطرسة الصهيونية اعتبرت ما أقدمت عليه اذاعة لندن بمثابة تحد وقح لها ، فالبرنامج العبري يجب ان تستمر اذاعته حتى وان لم يستمع اليه احد ، فالمهم هو اثبات وجود للعبرية في لندن ، واستمرار المذيعين والمشرفين اليهود في قبض رواتبهم من دافع الضريبة البريطاني .

ان الغاء البرنامج العبري ، والسجين صاحب الملامح اليهودية ، و« تواطؤ » كيث كايل المزعوم مع الجبهة الشعبية ، و« تحيز » توني سميث للعرب ، وبرنامج براين ماغي « غير الموضوعي » عن شعور العرب بعد هزيمتهم ، وحديث مكنزي عن الردهية الصهيونية في بريطانيا ، والرسائل العديدة التي نشرتها «ذي ليسنر» حول هذا الجدل المستعر ، كل ذلك دفع بالصهاينة الى القاء كامل ثقلهم على الاذاعة البريطانية من اجل الضغط عليها كي تتخلى عن موضوعيتها التقليدية وتنحاز الى جانبهم . فهل استسلمت البي بي سي للضغط ام استمرت سائرة على خطها الموضوعي المحايد ؟ للاجابة على هذا السؤال ينبغي القاء نظرة على برامج البي بي سي التي تطرقت الى الصراع العربي الاسرائيلي خلال العام المنصرم (١٩٧٠) والربع الاول من العام الحالي ، مع الاشارة الى أن الباحث الذي يبغي وضع برامج اذاعية تحت

مجهر الفحص لاختبار موضوعيتها وحيادها ، لا يقوم بعملية سهلة ، فالنصوص التي عليه دراستها ليست متوفرة كلها امامه، باعتبار ان الكلمة المذاعة على الهواء ليست باقية للمراجعة كالكلمة المكتوبة. ولذا لا يمكن اعتبار هذا التقرير الا على انه تمهيدي ويحمل صفة تجريبية . وقد تتاح الفرصة للباحث العربي او غير العربي ان يراجع في المستقبل ارشيفات البي بي سي في لندن ، فيقرأ النصوص ويعيد الاستماع الى التسجيلات ويتناقش مع المشرفين على الاذاعة ، من اجل كتابة دراسة اغزر مادة واكثر شمولا .

للبي بي سي ثلاثة مراسلين دائمين في العالم العربي : اولهم هو مراسلها الثابت في الشرق الاوسط ومقره في بيروت ، والثاني مراسلها في القاهرة ، والثالث مراسلها في المغرب . وهؤلاء هم عادة من البريطانيين الاقحاح . أما مراسلو اذاعة لندن في اسرائيل ، فهما يهوديان : مايكل الكنز (الذي يراسل ايضا مجلة نيوزويك الاسبوعية الامريكية ، وهو نفسه من اصل امريكي) وآشر ولفش . ويعاونهما احيانا مراسل ثالث هو جون بيرمان ايضا يهودي . والسؤال الحتمي الذي يتبادر الى الاذهان هو : لماذا اعتمدت البي بي سي مراسليها في اسرائيل من بين اليهود ؟ اذا كان هذا التعيين يستند الى الافتراض القائل بأن ليس كل يهود العالم صهاينة (وان كانت الاستفتاءات قد اثبتت بأن ٩٩ بالمئة من اليهود في العالم يمنحون اسرائيل درجات متفاوتة من التأييد) فليس من المعقول بتاتا ان تسمح اسرائيل ليهودي غير صهيوني ان يقيم فيها كمراسل لاذاعة اجنبية كبرى بأهمية اذاعة لندن ، في الوقت الذي توصم فيه الصهيونية العالمية كل يهودي لا يناصر اسرائيل بالخيانة والارتداد عن الدين . فكما كان جون فوستر داليس ، وزير خارجية الولايات المتحدة في عهد ايزنهاور، يصف الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية ، باللااخلاقية ، كذلك لا يمكن لاسرائيل مطلقا ان تعترف ليهودي بحقه في اتخاذ موقف محايد منها .

ان الصهيونية لا تعترف بوجود يهودي غير ملتزم باسرائيل ، وهي لم تتورع عن اتهام ساخس وبراهام حتى في يهوديتهما عندما انتقدا اسرائيل لرفضها الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران . لقد تعرض الرجلان لحملة شعواء ومقاطعة يهودية شاملة لا تختلف عن عملية التحريم التي كانت الكنيسة الكاثوليكية في السابق تعاقب بها كل من يخرج عن القطيع . فمارك براهام مثلا فصل من وظيفته كمحرر في جريدة يهودية واضطر الى مغادرة وطنه استراليا ، كما أتهم بالمروق والعمالة للقاهرة . ولم تنشر الصحف اليهودية رسائله التي دافع فيها عن نفسه . ولم يشفع لبراهام او ساخس تأييدهما لبقاء اسرائيل، او أن اعتراضهما على السياسة الاسرائيلية اقتصر على مطامع تل ابيب التوسعية ، فالصهيونية تعتبر جميع اليهود في العالم شعبا واحدا قلبه النابض اسرائيل . فقبل انشاء الدولة اليهودية بخمس سنوات، وقف بن غوريون أمام حشد يهودي بفلسطين ليعلن: « ان اليهود في العالم يكونون شعبا واحدا » . كما نص البند الاول في مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرين الذي انعقد في نيويورك عام ١٩٦١ بأن « كل يهودي في العالم جزء من مجموعة قومية واحدة » . وفي عام ١٩٥٩ كتبت صحيفة يهودية تقول : « ان يهود العالم شعب واحد بمركزين حيويين ، اسرائيل وبلاد المنفى . واحدهما يجب ان يزود الاخر بالامن واستمرار الوجود » . ان المبدأ الاساسي الذي ترتكز عليه الصهيونية هو اعتبار كل يهودي في العالم مواطنا في أرض الميعاد ، له الحق مطلق الحق في طلب حماية الدولة اليهودية ، والدولة اليهودية بدورها تتوقع منه ان يمنحها ولاءه الكامل وتأييده غير المشروط . معنى ذلك ان الكنز وولفش هما مواطنان اسرائيليان يقع على عاتقهما ، اسوة ببقية اليهود ، « تزويد اسرائيل بالامن واستمرار الوجود » . فهل فاتت على هيئة الاذاعة البريطانية هذه الحقيقة البديهية ؟ هل تتوقع حقا ان يتجرد الكنز وولفش من التزامهما بالقضية الاسرائيلية من أجل تزويدها بتقارير لا يرقى الشك الى دقتها وعدم انحيازها ؟ والا فلماذا لا تقطع البي بي سي الشوط كله في هذا المضمار وتعين مراسلها في موسكو من الروس ، وفي بكين من الصينيين وفي القاهرة من العرب ؟

ان كل من ينصت الى مايكل الكنز وهو يقدم تقريره على الاثير في نطاق برنامج « الجريدة الناطقة » لا يمكن ان ينسى نبرة صوته عندما ينهي كل تقرير يتضمن خبر هجوم عربي على اسرائيل بالعبارة التالية : « لا بد لاسرائيل أن تنتقم » . ومن الجدير بالذكر ان ونستن تشرتشل الحفيد ، المعروف بتأييده لاسرائيل ، اثنى عليه في كتابه « حرب

الايام الستة » الصادر في ١٩٦٧ وقال انـه قام بمهمته كمراسل خير قيام ابان الحرب ، بالرغم من شك بعض البريطانيين في تجرده وموضوعيته بسبب يهوديته . وتجاهل تشرتشل بذلك حقيقة بسيطة جدا ، وهي أن الانهيار العربي السريع كفى الكنز شر تزييف الاخبار او تحريفها ، وان تصرفه ابان حرب حزيران لا يمكن مطلقا ان يصبح القياس الذي يعتمد عليه في أية احداث قادمة. وفعلا كشفت الاحداث فيما بعد تحيزه الكامل لاسرائيل عندما غطى بتقاريره اشتباكات قناة السويس وهجمات الفدائيين وحرق المسجد الاقصى .

ان الكنز ليس مراسلا مهمته تحليل الاحداث وتقديمها الى المستمع داخل اطار من الموضوعية والتجرد ، وانما هو محام بارع للدولة الصهيونية، ويشهد بذلك تبييضه الدائم للدوافع الاسرائيلية واختياره بعناية رجل العلاقات العامة الدقيق المصدر الاسرائيلي الذي يريد الاستشهاد به . فنادرا ما نسمعه يستشهد بأحد « المتطرفين » المتنفذين في اسرائيل من امثال ميناحيم بيغن ، زعيم حزب جاحال ، والجنرال اليعازر ، وغيرهما من الصهاينة الذين لا يهمهم ان يجهروا بمطامعهم بل انه دائما ينقل حديث الاسرائيليين «المعتولين» حتى وان كان هؤلاء من المزيفين ، او غير المتنفذين من الذين لا يمثلون الرأي العام. ويجب الاشارة في هذه المناسبة الى ان اذاعة لندن نفسها كانت قد اذاعت مرة في ضمن برنامجها المسمى « من مراسلنا الخاص » تقريرا لمراسل لها وصف فيه ما يجب ان يكون عليه المراسل الخاص في بلاد اجنبية ، فأكد على ضرورة تجنبه ان يصبح محاميا لتلك البلاد ، ذاكرا ان واجبه هو ان يحلل من الداخل سياستها ويبين دوافع تلك السياسة ، لا أن يكتفي بشرح موقفها للعالم ويتخذ له المعاذير . فأي من الدورين يقوم به مايكل الكنز ؟

اما زميله اشر ولفش فهو لا يحاول حتى ان يبدو بمظهر المراسل المحايد ، فالفدائيون العرب هم مخربون وارهابيون في تقاريره التي يذيعها بصوته في « الجريدة الناطقة » مع ان البي بي سي تطلق على الفدائيين اسم « الغوريللا » في نشراتها الاخبارية . وجميع التقارير التي يقدمها هذان المراسلان عن الحالة في غزة هي مستقاة من مكتب الانباء التابع لوزارة الدفاع الاسرائيلية ، اي ان حوادث المقاومة وارقام الاصابات كلها مستقاة من الناطق العسكري الاسرائيلي ، ينقلها الكنز او زميله ولفش الى المستمع وكأنها اخبار لا يرقى الشك الى صحتها .

ان الرقابة الاسرائيلية شديدة على المراسلين ، وقد سبق ان طرد مراسل كندي لاحدى الاذاعات الامريكية من البلاد لانه (على حد زعم اسرائيل) استعمل العبارة « غزو مصر » ليصف الغارة التي قام بها الاسرائيليون على الضفة الغربية لخليج السويس عام١٩٦٩. الا ان اذاعة لندن تتغلب عادة على عقبة الرقابة في الاقطار الاخرى، فتكلف مراسلا اضافيا التوجه الى البلاد المعنية بالامر ليستقي المعلومات الصحيحة ، ثم يعود الى لندن ، او يسافر الى بلاد مجاورة ليذيع اخباره من هناك . وهذا ما تفعله البي بي سي عندما تريد تفادي الرقابة المصرية ، فتكلف مراسلها في بيروت التقصي عن النبأ المطلوب في صيغته الحقيقية ، اذا عجز مراسلها بالقاهرة عن تمريره عبر الرقابة المصرية. اما بالنسبة لاسرائيل ، فلم يحدث حتى الان ان لجأت البي بي سي الى هذه الخطوة الاضطرارية . وهكذا تظل المعلومات الحقيقية ذات الاهمية الكبيرة تحت رحمة مراسليها المنحاز لاسرائيل . وحتى لو حدث ان حاول هذا المراسل ان ينسى ولاءه الصهيوني ، فالرقابة الاسرائيلية كفيلة بخنق الخبر في المهد .

ولا ينحصر التأييد السافر لاسرائيل في تقارير الكنز وولفش فقط ، بل يتجاوزه الى ترتيب الانباء في نشرات الاخبار . مثلا : طوال يوم كامل قبل اشهر كان النبأ الاول الذي يتوج كل نشرة هو اعلان غولدا مائير عن استعدادها للسفر الى القاهرة ، والتباحث مع الرئيس انور السادات وجها لوجه. ومغزى اذاعة هذا النبأ في مقدمة النشرة هو اضفاء اهمية بالغة عليه . ولما كانت اذاعات كثيرة اخرى تقتفي اثر « المعلمة » لندن في ترتيب فقرات الانباء في نشراتها ، فقد كان هذا اهم خبر في العالم ذلك اليوم ، مع ان الناطق الرسمي المصري فضح تفاهته (وقد اذاعت لندن تصريحه) ومن المصادفات ان النشرة ذلك اليوم تضمنت ايضا خبر انشاء اسرائيل مستعمرة جديدة في سيناء ، الا انه حشر بين الانباء الثانوية .

ولدى هيئة الاذاعة البريطانية مجموعة من المعلقين المختصين بشؤون الشرق الاوسط يمكن وصفهم بأنهم جميعا من المتحيزين ضد العرب ، وعلى رأسهم

ستانلي ميز الذي في احد تعليقاته مؤخرا وصف رفض مصر الموافقة على « التعديلات في الحدود » التي طالبت بها اسرائيل ، بأنه غير واقعي . وبين الملقين ايضا جورج غـريتن ووليـم فوريست وكريستوفر سيربل . والذي يستمع الى تعليقات المختصين بشؤون الشرق الاوسط في اذاعة لندن يظن ان العرب هم الذين يحتلون «أراضي اسرائيلية» ويرفضون الجلاء عنها ، وليس العكس، فالتعليقات كلها منصبة على « تعنت العرب وعدم واقعيتهم ». مثلا : انتقد وليم فوريست في تعليـق له مقارنة الرئيس السادات حاجة مصر الى الحلفاء في حربها ضد اسرائيل مع حاجة بريطانيا الى الحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية، والقى على الرئيس المصري درسا في التاريخ المعاصر ! اما كريستوفر سيربل ، مراسل الاذاعة الدبلوماسي ، فقـد انحى على العرب باللائمة لانهم « لم يفهموا الى الان مقدار تعلق اليهود بأرض الميعاد التي عادوا اليها بعد طول شوق واغتراب » .

وقد بلغ من استخفاف البي بي سي بقيمها السابقة في الموضوعية وعدم التحيز انها طلبت مرة مـن معلقها الصهيوني ، اناتول غولدبرغ ، خبيرهـا في الشؤون السوفياتية (ومعلقها الوحيد الذي لا يزال ينطق الانجليزية بلكنة اجنبية) ان يقدم تعليقا عن الصراع العربي الاسرائيلـي . وطبعا كان رايه صهيونيا لا مواربة فيه .

وفي كثير من الاحيان تطلب الاذاعة من أحد المختصين من بين الكتاب والصحافيين من خارج هيئتها ، ان يعد لها تعليقا يلقيه بصوته . وبين اولئك توم ليتل ، المدير السابق لوكالة الانباء العربية ، وبيتر مانسفيلد ، مراسل الصندي تايمـز في القاهرة وبيروت سابقا ، وبيتر كلنر ، رئيس تحرير نشرة وثائقية شهرية عن العالم العربي تصدر في لندن ، وتعليقات هؤلاء الصحفيين هـي على العمـوم موضوعيـة . امـا المراسلـون والمحـررون الذين ينتمون الى صحف تعادي العرب مثل التايمز والغارديـان والفاينتشيال تايمـز والايكونوميست والديلي تيليغراف والديلي ميرور ، والذين تطلب البي بي سي منهم بـين الفينة والاخرى اعداد تعليقات عن الشرق الاوسط ، فتعليقاتهم متحيزة عادة . والغريب ان البي بي سي لا تطلب من مايكل ادمز التعليق باعتبار انه منحاز الى العرب !

ولعل أسوأ الملقين سجلا في التهجم على العرب هو دونالد وات ، المحاضر في معهد الدراسات الدولية في لندن ، وأحد الذين يكتبون بانتظام في مجلة « نيو ميدل ايست » التي يصدرهـا جون كمشه ، الصهيوني المعروف . انه أشد المعلقين تحاملا على العرب ، ويشهد على كراهيته العميقة لهم مقاله المنشور في عدد تشرين الاول ١٩٧٠ من مجلة « نيو ميدل ايست » بعنوان « موت الامة العربية ــ نهاية اسطورة ؟ » الذي وصف فيه العرب بالجعجعة وعدم الكفاءة العسكرية المضحكة. كما اتهمهم بالركض كالارانب أمام الاسرائيليين في حرب حزيران ، وانه بالاضافة الى « كذبهم الذي لا ينقطع ووقوعهم اسرى لاحـلام يقظتهم ، فهم متعطشون الى الدماء وغليظو القلـوب وينتقرون الى التوازن العقلي ويثيرون الاشمئزاز لبربريتهم الخ .. »

وكان أيلول الماضي موسم الحقد على العرب في أوربا الغربية ، فبلغت الحملة أوجها بعد خطف الطائرات . وامتد التشويه حتى الى برنامج « ما تقوله الاذاعات الاخرى » فاذا بالمذيع الانجليزي يتلو خطاب الرئيس جعفر النميري (الذي القاه بعد عودته مـن الاردن ابان المذابح) بلهجـة شكسبيرية مضحكة باعتبار ان هذه هي الطريقة التي يتحدث بها العرب ، بينما كل من استمع الى الرئيس السوداني يصف أحداث الاردن الدامية في مؤتمره الصحفي الشهيـر في القاهرة يتذكر نبرة صوته الخافتة الحزينة التي خلت من أي مؤثرات ميلودرامية .

وحاولت البي بي سي ، بل ولا تزال تحاول ، ان تغطي تحيزها ضد العرب بستار من العطف على النظام الاردني ، فمثلا اتصلت بأنور نسيبه في القدس المحتلة ليدلي برأيه حول تشكيل الوزارة العسكرية في الاردن ، وكان نسيبه متحمسا لتلك الحكومة ، فوصف بلهجته الاوكسفوردية الشهيرة الذين اشتركوا فيهـا بأنهم جميعا : « رجـال شرفاء .. جنتلمن » . ولم ينس مذيع البي بي سي ان يذكرنا بأن نسيبه سجل رايه هذا في الاذاعة الاسرائيلية قبل نقله الى البي بي سي واذاعته على العالم من هناك . ومن الطريف بهذه المناسبة ان ستانلي ميز في تعليق له على تشكيل الوزارة العسكرية في الاردن نفى انها ضد الفلسطينيين ، وكان دليله ان رئيسها نفسه فلسطيني ، فكيف يمكن ان تعتبر الوزارة ضد الفلسطينيين ؟ وبعد ايام

معدودة من ذلك ، طلب رئيس الوزراء الفلسطيني تبوله لاجئا سياسيا في القاهرة !

ويحدث احيانا في نطاق برنامج « العالم اليوم » ان تدعو البي بي سي ممثلين عن الجانبين الاسرائيلي والعربي لابداء وجهة نظرهما . فيتحدث عن الجانب الاسرائيلي صحفي اسرائيلي او كاتب بريطاني ملتزم جهارا بالجانب الصهيوني ، مثل تيرينس بريتي ، مؤلف الكتاب « معجزة في الصحراء » . أما عن الجانب المصري فيحدث عادة ان تكلف الاذاعة صحفيا بريطانيا بلا اتجاه معين ، مثل ديفيد هولدن، مراسل الصندي تايمز في الشرق الاوسط سابقا ، ليتحدث من الزاوية العربية .

ان انحياز البي بي سي السافر للجانب الصهيوني امكن المستمع العربي الذي يتتبع تعليقات هذه الاذاعة بعناية من التكهن بحجج كل معلق حتى قبل ان يبدأ تعليقه، فالزاوية التي ينطلق منها المراقبون السياسيون والمشرفون على البرامج باذاعة لندن هي تلك التي تفترض بأن العرب هم مصدر المشاكل في الشرق الاوسط . ومما يثير السخرية والمرارة ان البي بي سي انتقدت بشدة ، على لسان معلقيها ومراسليها ، « غزو » الاتحاد السوفياتي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ . اما الاضطهاد الفظيع الذي يتعرض له سكان غزة منذ حرب حزيران والعقوبات الجماعية التي تنزلها بهم سلطات الاحتلال ، وهي العقوبات التي تذكر بالحكم النازي ابان الحرب العالمية الثانية ، فهذه لم تتطرق اليها اذاعة لندن ، مع انه حتى « التايمز » وهي الصحيفة التي تعيش ، عكس البي بي سي المستقلة ماليا، على اعلانات مؤسسات يسيطر عليها صهيونيون، تجرأت ونشرت مقالا شهيرا بقلم محررها هوجكين ، تنتقد فيه اضطهاد اسرائيل للعرب في الارض المحتلة . وهكذا كان سقوط اجهزة الاعلام البريطانية على مستوى النخبة ، لاننا اذا فسرنا انحياز الصحف البريطانية بسبب اعتمادها على الاعلانات ، فكيف نفسر موقف البي بي سي ؟ هل كان براين ماغي على حق عندما كتب في رسالته الى « ذي ليسنر » معلقا على بعض الرسائل التي انتقدت مقاله في المجلة المذكورة فقال : « ان وسائط الاعلام البريطانية لم تزيف الرأي السائد في البلاد تجاه مشكلة الشرق الاوسط ، بل عكسته بكل امانة » ؟ اننا اذا سلمنا بهذا الرأي ، فمعنى ذلك ان البي بي سي لم تعد تقود الجمهور عن طريق تزويده بالخبر الصحيح والتعليق الموضوعي، وانما اصبحت المرآة التي تعكس موقفه الباثولوجي في كراهيته من الشعب العربي .

ف . م .

(٢) رسالة السويد : ملاحظات اشتراكي اوربي حول الكيبوتز

وصف الاشتراكي الديمقراطي الالماني أوجست ببيل اللاسامية بأنها « اشتراكية البلهاء » . وكان يعني بذلك ان اللاسامية يمكن ان تتخذ في بعض الاحيان شكل « صراع طبقي » مشوه وخاطىء التوجه . فيميز المضطهدون الرأسماليين اليهود فقط على انهم أعداء لهم ويتعامون عن غير اليهود من الرأسماليين ، رغم ان هؤلاء أقوى واكثر عددا . ولا شك ان الرأسماليين غير اليهود يشجعون المضطهدين على تبني وجهة النظر المشوهة هذه . وتشارك الاشتراكية الصهيونية «اشتراكية البلهاء» في انها لا ترى غير اليهود ، مع فارق ان «اشتراكية البلهاء » لا ترى مضطهدين (بكسر الهاء) غير الرأسماليين اليهود ، في حين أن الاشتراكية الصهيونية لا ترى مضطهدين (بفتح الهاء) غير اليهود . وقد استخدمت الاشتراكية الصهيونية السمات الخاصة لوضع اليهود في أوروبا لتنحي التحليل الطبقي المعتاد جانبا ، وتشن « صراعا طبقيا » ، اليهود فيه هم « الطبقة » المضطهدة (بفتح الهاء) وغير اليهود هم المضطهدون (بكسر الهاء) او المضطهدون المحتملون .

وضعت المنظمات الاشتراكية الصهيونية التي تشكلت في أوروبا نفسها خارج الصراع الطبقي في الاقطار الاوروبية — على عكس ما فعل كثير من الاشتراكيين المتحدرين من عائلات يهودية . وقبلت هذه المنظمات

الموضوعة البورجوازية الصهيونية القائلة بـ«شعب يهودي» واستخلصت من ذلك نتيجة فحواها ان التحرر الوطني يجب ان ينجز قبل التحرر الاجتماعي، وبذلك فصلت العامل اليهودي عن رفيقه العامل الاورثوذكسي مثلا والخياط اليهودي عن زميله الحرفي البروتستنتي والمثقف البورجوازي الصغير اليهودي عن زملائه الطلبة والكتاب والراسمالي اليهودي عن غيره من الراسماليين. (يمكن مقارنة ذلك بمحاولة بعض المنظمات النسائية فصل نضال النساء عن نضال الرجال على اساس سمات محددة تطبع وضع النساء). «وهنا شعب يفتقر الى اي ارتباط بالتراب والزراعة والطبيعة، شعب مسلوخ عن وسائل الانتاج الاولية الريفية والمدينية معا ... والحل الجذري الدائم الوحيد يكمن في التجميع الاقليمي لهذا الشعب المشتت. الا ان هذا ايضا سيكون هدفا وهميا اذا لم يترافق مع تحويل اجتماعي ليس اقل جذرية وثورية من التجميع الجغرافي. ذلك ان تسوية الحياة اليهودية وجعلها طبيعية ومستقرة يتطلب ايضا العودة الى الارض والزراعة والعمل العضلي. لقد كان هذا هو المخرج الوحيد الذي يوفر امكانية معالجة الشذوذ اليهودي من جذوره»(١). في الواقع، ليس من الصعب أن يفهم هذا النوع من الافكار عاطفيا، عندما يكون المرء على علم بالاضطهاد الذي كان يقع على اليهود في روسيا القيصرية خلال العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر: «في العام ١٨٨٦ جرى تخفيض عدد اليهود الذين يقبلون في المدارس الثانوية والعالية وفي العام ١٨٨٧ منع اليهود الذين كانوا يقطنون الريف من الانتقال من قرية الى اخرى. وفي العام ١٨٨٩ نزع حق اليهود في الانتساب الى مهنة القضاء ... وفجأة قيل للحرفيين كالرسامين وصانعي الحبر وصانعي صباغ الاحذية وبائعي الواح الخشب الخ، ممن كانوا يعيشون وعائلاتهم طيلة سنوات عدة على هذه الحرف، انهم لم يعودوا حرفيين ... واصبح بوليس كييف، الذي ينظم غارات خاصة على المساكن اليهودية اثناء الليل، مشهورا بقسوته ضد اليهود. ولكن هذه الفظائع جميعا ليست شيئا بالمقارنة مع الاضطهاد الوحشي الذي تعرض له اليهود في موسكو عامي ١٨٩١ و١٨٩٢. فبجرة قلم، حرم الالاف من اليهود الذين كانوا يعيشون في موسكو من حقهم في البقاء فيها، واجبروا على مغادرتها مع زوجاتهم واطفالهم مشيا على الاقدام مسافات تحف بها المخاطر»(٢).

هكذا ليس من الصعب التوصل الى الدوافع التي تقف خلف الاشتراكية الصهيونية ولكن هذه الاشتراكية مجنونة قدر جنون اللاسامية. كان لا بد «للاشتراكيين» الذين فصلوا العمال والحرفيين والفلاحين اليهود عن غيرهم من العمال والحرفيين والفلاحين في اوروبا ان يفعلوا الشيء ذاته عندما وصلوا الى فلسطين. اذ لم يكن باستطاعة هؤلاء ان يروا ان اليهود وغيرهم ممن ينتمون الى الطبقة ذاتها يشتركون في اشياء أكثر بكثير من تلك التي تفصل بينهم: في الكتاب الذي اقتبسنا عنه آنفا فصل كامل بعنوان «المسألة العمالية» يصف فيه الكاتب زيارة لمصنع للبسط، حيث كان على الزائر ان يتلمس طريقه عبر الغرف المظلمة متعثرا بأحواض المياه منتزعا قدميه بجهد جهيد من طبقة القاذورات التي كانت تغطي الارض محاذرا باستمرار ان يسحق الاطفال الذين يزحفون في القاذورات «وبهذه الطريقة، وصل في النهاية الى احدى النوافذ حيث كان العمل يجري»(٣).

ربما كان قادة الحركة الصهيونية قد استطاعوا خداع «الاشتراكيين»، كما خدعوا غيرهم، وأوهموهم أن فلسطين خالية من السكان، فذهب هؤلاء اليها بنية طيبة. فقد كان للاكاذيب الدعاوية الكولونيالية فيما يتعلق بفلسطين الطابع ذاته الذي كان لها فيما يتعلق بالاراضي الاخرى التي احتلها الاوروبيون. وفي السيرة التي كتبها مايكل بار زوهار لحياة بن جوريون، ونشرت عام ١٩٦٦، لا يزال يقال ان «... الحروب وانجراف التربة وقلة الزراعة حولت كروم العنب وبساتين الفاكهة وجداول نشيد الانشاد الى قفار قاحلة مجدبة. واصبحت السهول الساحلية الخصبة والوديان الداخلية الغناء مستنقعات للملاريا. وتسوط الشمس العنيدة جبال اليهودية لتصطدم بصخور

١ — Dan Leon: The Kibbutz, Tel Aviv 1964, p. 6.

٢ — Russia Described by Russians (in Swedish), Stockholm 1906, p. 391-410.

٣ — المصدر ذاته ص ١٦٨.

جرداء »(٤). ولكن اذا كان هؤلاء قد خدعوا عندما غادروا اوروبا ، فقد كان لهم أعين ليروا بها عندما وصلوا فلسطين.كان هناك بالطبع ملاريا وتراخوما، وبالطبع كانت الزراعة متخلفة بالمقارنة مع الزراعة في اوروبا في ذلك الحين ، وبالطبع كان الفلاحون فقراء وكان ملاك الاراضي يستغلون المستأجرين استغلالا فاحشا . ولكن البلاد كانت مسكونة وفيها شعب يقطنها . وقد زار الفيلسوف البريطاني آحاد هاعام فلسطين في العام ١٨٩١ — ١٨٩٢ وعاد ليكتب في احدى مقالاته : « اننا في الخارج معتادون على الاعتقاد ان فلسطين اليوم مقفرة ، وانها صحراء مجدبة لا يشتري احد فيها الارض عن طيب خاطر . ولكن ليس هذا هو الحال في الواقع ، اذ يصعب ان يجد المرء في طول البلاد وعرضها أرضا قابلة للزراعة لم تزرع بعد »(٥). وربما كان الصهيونيون الاشتراكيون قد غفلوا عن مقالة آحاد هاعام ، ولكن لم يكن باستطاعتهم ان يغفلوا عن حقيقة الوضع عندما أتوا الى فلسطين. الاشتراكية تعني أن يكون الاشتراكي أساسا الى جانب كل المضطهدين ضد مضطهديهم ، فيتوجب على الاشتراكي مثلا ان يقف الى جانب مستأجري الارض الفلسطينيين المضطهدين ضد ملاك الارض. ولكن بدلا من ذلك طور الصهيونيون الاشتراكيون الكيبوتز ، طوروا مجتمعا يستطيعون فيه أن يحسنوا وضعهم هم ، طوروا مجبرا (غيتو) بالمقلوب . « كان الكيبوتز جوابا على الاراضي القفر المعادية التي كانت تنتظر الخلاص على يد العمل اليهودي ، وجوابا على المطامح الاجتماعية للمستوطنين . لقد فشلت كل المحاولات السابقة لتحقيق الاستيطان اليهودي عبر الوسيلة الرأسمالية الكلاسيكية ، وسيلة الملكية الخاصة والعمل المأجور . وقد أجبرت الموجة الاولى من الرواد الصهيونيين ، التي أتت الى فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر تحدوها آمال كبيرة ، على التخلي عن النضال وانحط افرادها ليصبحوا مستخدمين للعمل العربي الرخيص او اتباعا للمحسنين اليهود في الخارج »(٦).

كانت هذه « الاشتراكية » تريد أن تخلق طبقة من العمال وطبقة من الفلاحين بصرف النظر عن الخلفية الاجتماعية لليهود الذين يجب أن يتحولوا ليصبحوا كذلك . « علينا ان نعترف ان داءنا القومي يكمن في تحلل الفرد اليهودي كانسان ، والافتقار الى الوعي القومي ليس الا نتيجة منطقية لهذا الوضع ... فلو نظرنا الى الشاب اليهودي ، لوجدنا انه شائخ روحيا برغم انه شاب عمرا — ولوجدنا ان روحه مثقلة بالاسى ... ان اليهودي في الشتات (المنفى) كاريكاتير للانسان الطبيعي العادي جسديا وعقليا ... ويجب ان يكون هدفنا التربوي خلق يهودي شاب متين العضلات قوي الارادة منضبط وطريقته في التفكير سليمة وطبيعية ... »(٧). هذا ما نجده في نشرة اصدرتها منظمة الشباب التابعة لحزب المابام الاشتراكي اليساري ...

وفي الكيبوتز كان كل شيء يقتسم بالتساوي، والمهام يتغير توزيعها على الاعضاء والقرارات تتخذ جماعيا ، ونما الكيبوتز ليصبح مزارا مثاليا للاشتراكيين الديمقراطيين والنقابيين الاوروبيين الغربيين . ولكن وعلى الرغم من ذلك لم يترك الكيبوتز اثرا متساويا على جميع من زاروه : « العاميات (الكومونات) جزر اشتراكية ، تمهد السبيل للاشتراكية التي ستأتي ... ان الرؤى السياسية التي أتى بها هؤلاء اليهود الشبان المتسامين أول مرة الى فلسطين ، والتي ما فتئوا يتعلقون بها ، رغم كل شيء ، ضرورية سيكولوجيا. فرؤيا الدولة اليهودية الاشتراكية التي سيعيش فيها اليهود والبروليتاريون العرب بسلام وحرية ضرورية لاخفاء الحقيقة ، حقيقة الاكواخ العربية القذرة بسكانها التعساء على بعد بضع مئات من الامتار خلف سياج كيبوتز مشمرهاعمق الشائك»(٨) — هذا هو الوصف الذي يعرضه كاتب بريطاني زار كيبوتز مشمر هاعمق في منتصف الثلاثينات . ولكن هذه « الاشتراكية » كانت أكثر جنونا حتى

٤ — M. Bar-Zohar : The Armed Prophet, London 1967, p. 16.

٥ — Ahad Haam: Truth From Palestine, quoted in "Israc" No. 1, May 1969.

٦ — ليون ، المصدر السابق ، ص ٤ .

٧ — Origins, Ideology, Achievements of Hashomer Hatzair, 1949, quoted in "Israc" No. 2, March 1970.

٨ — T. R. Feiwel: No Ease in Zion, London 1968, quoted in N. Barbour: Nisi Dominus, A Survey of the Palestine Controversy, London 1946.

من ذلك . فهي لم تفشل في الوقوف الــى جانب المستأجرين الفلسطينيين المضطهدين فحسب ، بل ذهبت الى اقامة اشكال حياتها «الديمقراطية» على ارض طرد منها هــؤلاء المستأجرون . « اصبح اغتصاب الارض ــ وبكلمات اخرى انتزاع الارض من الفلاحين العرب ــ شعارا وطنيا . وكان يدعم هذه المغانم القانون الزراعي العثماني الذي يعود الى أيام الحكم التركي في فلسطين والذي ظــل ساري المفعول خلال الانتداب البريطاني . وينص هذا القانون على ان المزارعين ــ المستأجرين لا يملكون في الارض اي حق كان . ولما كانت اغلبية الفلاحين العرب فيفلسطين من المزارعين ــ المستأجرين الذين يعملون لدى ملاك الارض كما كان يفعــل اجدادهم من مئات السنين، فقد مكن ذلك المنظمات الصهيونية (مثل الكيرن كايمت الخ) من عقــد صفقات لشراء الاراضي من الملاك العرب الكبار الذين لم يكونوا في العادة يعيشون في البلاد . وعلى اساس الشراء بكميات كبيرة من ملاكي الاراضي ، استطاعت هذه المنظمات ان تحصل من المحاكم البريطانية على أوامر بطرد السكان الذين كانوا يقطنون قرى عربية بكاملها ويفلحون اراضيها منذ اجيال كثيرة ... وكان هذا الصراع على الارض والطرد القسري لسكان قرى عربية كاملة هو التربة التي نبتت منها معظــم الصدامات بين العــرب واليهود ، تلك الصدامات التي ملأت قلب الادارة البريطانية بالغبطة »(٩).

وعلى هــذه الارض ، التي اشترتهــا الاجهزة الصهيونية الاستيطانية ، بنيت الكيبوتزات وقدمت الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي لهؤلاء « الاشتراكيين » رأس المال الابتدائي والمعــدات ونفقات اقامة شبكات الري والكهرباء الخ. وهذه هي مثلا الطريقة التي لم تعد بها قرية العفولة في الجليل عربية : « وفجأة جاءت جماعة من الشبان اليهود ودعت الفلاحين الى التوقف عن العمل قائلة ان الارض اصبحت ممتلكــات يهودية . استمر الفلاحون يحرثون ! وعندما اعترض اليهود الثيران وبدأوا بحل اربطتها من المحاريث ، نشب القتال وتطايرت العصي والحجارة في كل اتجاه . واجتذبت الصرخات والصيحات تعزيزات لكلا الجانبين ، ولم ينته المعترك الا بسقوط أحد العرب ضحية لرصاصة يهودية . ثم جاء البوليس و« أعيد النظام » واقتيد عشرات من العرب الى سجن الناصرة واقتيد من زاد منهم الــى سجن طبرية »(١٠) وبين ١٩٢١ و١٩٢٥ استولى الصهيونيون مثلا على سهل كبير شرقي حيفا كان يسكنه ثمانية آلاف عربي في اثنتين وعشرين قرية « وكان على سكان واحدة وعشرين من هذه القرى أن يغادروا منازلهم ، ومنذ ذلك الحين لم يعرف مصيرهم اللاحــق علــى وجه الدقة »(١١). وفي ٤ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ اعلن موشيه دايان في مقابلــة مع الجريدة اليوميــة الاسرائيلية هآرتز : « ابتعنا الارض من العرب في مساحات كبيرة من البلاد . وبنيت القرى اليهودية مكان القرى العربية . وانتم لا تعرفون حتى اسماء هذه القرى العربية . وانا لا الومكم على ذلك ، لان كتب الجغرافيا تلك لم تعد موجودة . وليس كتب الجغرافيا فحسب ، بل والقرى العربية ايضا. لقد قامت نهلال مكان محلــول وجفت مكان جبتا وساريد مكان حنيفه وكفار يهوشــوع مكان تل سمعان . وليس هناك مكان واحد بني في هذه البلاد ولم يكن فيه سكان عرب سابقا ... »(١٢).

هنا نجد حقيقة « القفار المعادية » التي كانت تنتظر الخلاص على يد العمل الصهيوني الاشتراكي . فبين الاماكن التي ذكرها دايان كيبوتزان همــا ساريد وجفت . لقد اقيمت الكيبوتزات اليسارية الاشتراكية التابعة للمابام مشمرهاعمق ومرحفياه وساريد في ١٩٢٦ واقيمت مزراع سنة ١٩٢٤ ، وجميعها تقع في منطقة يبدو انها تنطبق على المنطقة التي تقع فيها القرى العربية الواحدة والعشرون التي طرد سكانها منها في ١٩٢١ ــ ١٩٢٥ .

من المفيد بشكل عام ان ندرس قائمة الكيبوتزات اليسارية الاشتراكية ونلاحظ السنوات التي انشئت فيها . فعندما طرد ٨٠٠ الف فلسطيني ، معظمهم من الفلاحين في العــام ١٩٤٨ انشئت كيبوتزات المابام التالية في السنوات الاربع اللاحقة (يجب ان نلاحظ ان الكيبوتزات الاشتراكية الديمقراطية وغيرها لا تدخل ضمن القائمة) : برعام ، برقاي ، بيت قاماه ، كرمياه ، دفيراه ، عين دور ، جعش،

٩ ــ **Meir Vilner: The Palestinian Problem and the Israeli-Arab Dispute, Tel Aviv 1969.**

١٠ ــ **Francis E. Newton: Fifty Years in Palestine, London 1948, p. 260.**

١١ ــ بارير ، المصدر السابق ص ١١٧ ــ ١١٨ .

١٢ ــ هاآرتز ٤ نيسان ١٩٦٩ .

جعتون ، جازبت ، جفعات عز ، هرتل ، لهنوت حنيفاه ، ماجن ، مجدو ، نحشون ، نحشونيم ، نيريم ، نيريتزحاق ، راموت منشه ، رفاديم ، رشافيم ، ساريس ، ساسا ، شومراه ، يسعور ، زبقيم . وهذه تشكل اكثر من ثلث الكيبوتزات التي يملكها المابام اليوم ! والكاتب ذاته الذي يكتب عن « القفار المعادية » يعيش اليوم في يسعور التي انشئت في العام ١٩٤٩ . وتبين الاحصاءات التي يوردها في كتابه ان مساحة الاراضي المزروعة التي تملكها حركات الكيبوتز مجتمعة ازدادت بين ١٩٤٧ و١٩٥٢ بنسبة ٣١٧٦٣٪ وان الدخل المشترك للكيبوتزات ازداد بنسبة ٤٨٤٤٧٪(١٣). انه لامر عجيب كيف يمكن للمرء ان يجعل القفار تينع بسرعة اذا ما بذل جهدا في سبيل ذلك وكان اشتراكيا !

ليس الكيبوتز في الواقع تعبيرا عن الاشتراكية البروليتارية بل هو تعبير عن المثالية البورجوازية الصغيرة، المتأثرة بالاتجاهات الشوفينية والاستعمارية والاشتراكية الطوباوية والماركسية في اوروبا القرن التاسع عشر . ويمكن بشكل عام النظر الى الحركة الصهيونية على أنها رد فعل البورجوازية الصغيرة اليهودية تجاه الاضطهادات التي كانت تقف بينها كطبقة وبين متابعة التطور الرأسمالي . ففي روسيا مثلا ، كان تطور هذه الطبقة معاقا بفعل الامبريالية الاوروبية الغربية وكذلك بفعل الاضطهاد المباشر الذي كانت تتعرض له من النظام القيصري . اما في فلسطين ، فقد أنشأت هذه البورجوازية الصغيرة وطورت مؤسسات جعلت بامكانها صيانة مصالحها ، وأول هذه المؤسسات هو الهستدروت ، الاتحاد العام للعمال اليهود ، الذي سرعان ما أصبح الاطار الرئيسي للمشروع الاستعماري ، والذي « خلق » في الوقت ذاته « بروليتاريا يهودية » (لمصلحة البورجوازية الصغيرة) وبدا كأنه ممثل هذه البروليتاريا وموظفها في آن معا . واليوم يملك الهستدروت الجزء الاكبر من الصناعة الاسرائيلية والبنوك وشركات الشحن البحري والخطوط الجوية وشركات البناء ، وهو كذلك يشارك رأس المال الخاص في ملكية مشاريع في معظم المجالات في اسرائيل — وفي الوقت ذاته يعين الهستدروت من يشغلون المناصب الرئيسية في النقابات .

١٣ — ليون، المصدر السابق، ص ٥٠ وص ٢٠٦ .

كانت حركة الكيبوتز منذ البداية متحالفة مع المنظمات التي خلقت الهستدروت ، وكذلك مع الوكالة اليهودية التي كانت قبل العام ١٩٤٨ تلعب دور « الحكومة » الصهيونية ، والتي كانت تسيطر من بين أمور أخرى على الموارد المالية التي تتم جبايتها . لقد كان الكيبوتز في الواقع اكثر ادوات الاستيطان الصهيوني مهارة . وكما تنشأ الكيبوتزات اليوم في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧(١٤)، كانت تنشأ دوما على حدود المنطقة التي يسيطر عليها الصهيونيون في مرحلة معينة . وكان الاستيطان يقوم على المعونة الاقتصادية والادوات التي تقدمها الاجهزة الاستعمارية الرئيسية التي أدركت في وقت مبكر اهمية « روح الريادة » والوحدة المتينة التي يتمتع بها الكيبوتزيون . « وكان يجري اختيار الاعضاء (في الكيبوتز) بعناية فائقة . فكانوا رجالا ونساء يتمتعون بروح معنوية اشتراكية رفيعة »(١٥). وقد كانت الجماعات المتماسكة تستطيع الصمود في وجه « القفار المعادية » بطريقة اكثر فعالية من تلك التي يستطيعها مستوطنون لا تجمع بينهم ايديولوجية مشتركة وروح معنوية مشتركة — مثلا عندما دعت الحاجة الى بناء اول موقع للدفاع الليلي والبدء في الزراعة بحماية البنادق . ان الكيبوتزات بالنسبة لاسرائيل كاسرائيل بالنسبة للامبريالية الاميركية : قلاع بفعل تركيبها الداخلي الصلب افعل بكثير من أي قوات تستخدم مؤقتا . « كانت الكيبوتزات توسع وتحمي حدود المستوطنة في وجه الهجمات العربية والعداء البريطاني ... »(١٦). « يوجد ٦٠٪ من الكيبوتزات على حدود اسرائيل ، وهذه المستوطنات تلعب دورا هاما في النظام الدفاعي الاسرائيلي . فالكيبوتزات ، كمستوطنات متماسكة على الحدود ، تشكل في الوقت ذاته عناصر مدنية قوية وحيوية في شبكة الدفاع الاستاتيكي الاسرائيلي وتمنح لقوات الدفاع الاسرائيلي حرية حركة تستطيع بها الدفاع عن الحدود »(١٧). « ولد عدد كبير من

١٤ — N. Weinstock: Le Sionisme Contre Israel, Paris 1969, p. 512.

١٥ — Issac Deutscher: The None Jewish Jew, London: Oxford University Press, 1968.

١٦ — ليون ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

١٧ — نيو اوتلوك ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٢١ — ٢٢ .

الضباط والقادة العسكريين في الكيبوتزات وترعرعوا فيها ... »(١٨). « حتى الان زودت الكيبوتزات البيشوف والدولة بأفضل كادراتها السياسية»(١٩). « كان ٣٣٪ من وزراء الحكومة الائتلافية الاخيرة اعضاء في الكيبوتز »(٢٠). وكتب دويتشر يقول : « وجدت مثلا في أحد الكيبوتزات ان سائق التراكتور سفير اسرائيلي سابق في براغ وبودابست . كذلك أشاروا الى راع طويل القامة قوي البنية ملوح البشرة حافي القدمين (يكاد يشبه داوود كما رسمه مايكل انجلو) ، كان يسوق القطيع عند الغروب عائدا من الحقول . لقد كان هذا الراعي احد قادة الجيش الاسرائيلي فيحرب التحرير عام١٩٤٨»(٢١). واضح أن دويتشر لم يدرك ان ما وصفه ، وما يبدو عليه هؤلاء الناس ، مثال « آري » . فهنا يعيش رجال ونساء ، اختيروا بعناية ويتمتعون بروح رفيعة، حياة مثالية في اراض محتلة. واكثر من ٣٠٪ ممن يتعلمون فيمدارس الكيبوتز ينمون«سلوكا قوميا»، حسب استقصاء اجري في منتصف الستينات(٢٢). ويخسر عضو الكيبوتز عضويته اذا تزاوج مع « عربي اسرائيلي » . ولم يقبل سوى عضو عربي واحد في الكيبوتز(٢٣). وحيث كانت حنينه يوجد اليوم كيبوتز ساريد وحيث كانت جبتا يوجد اليوم كيبوتز جفت .

ليس غريبا بالنظر الى خلفية الكيبوتز الطبقية ودوره في المشروع الاستعماري الصهيوني ان يكشف الكيبوتز في الوقت المناسب عن تناقضه مع البروليتاريا الاسرائيلية — اليهودية . كان الكيبوتز منذ البداية مكرسا في ممارسته المعتادة لهدفين رئيسيين : العمل من أجل الاهداف القومية . وتحقيق مصالح الكيبوتز ذاته .

النقطة الاولى هي التي عالجناها حتى الان . أما أهم أوجه النقطة الثانية فهو ان الكيبوتز في فلسطين او اسرائيل عمل اساسا كمشروع رأسمالي بين المشاريع الاخرى. وكان على الكيبوتز ان يصمد اقتصاديا أمام منافسة المشاريع الرأسمالية العادية والمشاريع الرأسمالية التي تملكها الدولة . ومن هنا اصبح لزاما عليه ان يحصل على رأس مال للاستثمار بالطريقة ذاتها التي يستخدمها الاخرون ، فكان عليه ان يبيع ويشتري البضائع طبقا للقوانين ذاتها وان يتعقلن ليصبح بمقدوره ان يرفع من مستوى معيشة اعضائه بما يتفق مع ارتفاع مستوى معيشة بقية المجتمع . « الكيبوتزات جميعا مدينة للحكومة والمصارف الخاصة والشركات . ولولا المساعدات المستمرة من المؤسسات الصهيونية لما كان بمقدور الكيبوتزات ان توجد »(٢٤). ان هذه «الاشتراكية» تعمل بدعم من قروض تقدمها المصارف الرأسمالية ومنبينها البنك الاميركيللاستيراد والتصدير...(٢٥) وبمرور الوقت وضعت الوكالة اليهودية الرقابة على خطط الانتاج والاستثمار شرطا للقروض التي تقدمها(٢٦).

عندما أنشئت اسرائيل ، خلق التطور الاقتصادي بعد فترة حالة اصبح معها في السوق فائض من المنتوجات الزراعية ، وبذلك وجدت الكيبوتزات نفسها مجبرة على تنمية صناعات خاصة بها — وكثيرا ما كانت هذه الصناعات صناعات تجميعية لمنتجات مشاريع امريكية(٢٧). واليوم تحصل الكيبوتزات على ٤٠٪ من دخلها من الانتاج الصناعي . « غير ان سكان الكيبوتز القلائل (بضع مئات) لم يكن باستطاعتهم توفير قوة العمل اللازمة للزراعة والصناعة معا . ولما كان التخلي عن النشاط الزراعي يعني خيانة مبادىء الصهيونية الاشتراكية ، فقد وجد الكيبوتز نفسه مجبرا على استخدام العمل المأجور من المدن المجاورة . هكذا يصبح الكيبوتز الجماعي مستغلا جماعيا للعمل المأجور . وفي العادة يعمل اعضاء الكيبوتز كمراقبي عمال في المصانع بينما يقوم العمال المأجورون بالاعمال التي تستدعي قدرا اقل من المهارة . وعندما ينتهي العمل ، يعود العمال المأجورون الى

١٨ — نيو اوتلوك ، ايلول — تشرين الاول ١٩٧٠ ، ص ٦٣ .

١٩ — Saul Freidlander: Réflexions Sur l'Avenir d'Israël, Paris 1969, p. 135.

٢٠ — نيو اوتلوك ، كانون الثاني ١٩٧٠، ص ٢٢

٢١ — دويتشر ، المصدر السابق .

٢٢ — فرايدلاندر ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

٢٣ — Tony Cliff, The Struggle in the Middle East, in Tariq Ali: The New Revolutionaries.

٢٤ — Israeli Socialist Organisation: The Other Israel, Tel Aviv 1968, p. 21.

٢٥ — واينشتوك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

٢٦ — نيو اوتلوك ، ايلول ١٩٦٦ ؛

٢٧ — واينشتوك ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

المدينة . ومن هنا فان الكيبوتز بالنسبة لهم موظف كأي رأسمالي آخر ، سوى ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية . وعندما ينشب اضراب في مصنع كيبوتز ، فان الملاك يستدعون الشرطة دون وازع »(٢٨).

ليس هذا من حيث المبدأ أمرا جديدا . فقد دأب الكثير من الكيبوتزات على استئجار نساء عربيات او يهوديات شرقيـات لتنظيف المراحيض الخ . وصحيح أن هذا التطور لم يحصل دون نقاش وان بعض الكيبوتزات رفضت استئجـار اناس مـن خارجها . ولكن هذا النقاش اساسا هو ذاته الذي ما زال مستمرا منذ نصف قـرن في المستعمـرة الصهيونية : ما اذا كان يجب استخدام العمل العربي او التخلص مـن العرب . ففي الحالة الثانية ، الطابع « اليهودي » لاسرائيل هو المسألة موضع الاهتمام . أما في الحالة الاولى فان الطابع « الاشتراكي » للكيبوتز هو المسألة . وفي كلتـا الحالتين ، البديلان متساويان في الخطأ لان نقطتي انطلاقهما خطأ . وليست مشاكل الكيبوتز فيما يتعلق بالعمل المأجور شيئا منفصلا عن علاقته بالطبقـة العاملة عموما ـ ففي بداية العام ١٩٧٠ شاركت الكيبوتزات الموظفين (بكسر الظاء) الاخرين في الوقوف ضد اضراب عمال احواض السفن في حيفا، وطالبت الحكومة باتخاذ اجراءات ضـد الاضراب الذي كان يتهدد بالخطر تصدير برتقالها .

يعيش اليوم في الكيبوتزات ٩٠ ألف شخص او ٤٪ من سكان اسرائيل « مجتمع الكيبوتز هو النخبة المعترف بها لاكبر حركة سياسية في البلاد ، الحركة العمالية ... »(٢٩) والتشكك في الكيبوتز وأسسه الايديولوجية مرادف في اسرائيل للقصور في التكيف الاجتماعي . « وقد لا يكون هناك اشارة للقوة التي تتمتع بهـا أنماط التفكير الكيبوتزية افضل مـن الاحتجاج عليها ـ احتجاج عنيف وعلى نطـاق واسع ـ من جانب الجماعات الهامشية وعلى الاخص في الاحياء الفقيرة . ويأخذ الاستلاب في حالة المراهقين الاكثر عزلة والمعادين للمجتمع ، الذين تحاول الخدمات الترفيهية الاجتماعية الوصول اليهم والذين بدأت تصلهم هذه الخدمات ، يأخذ شكل رفض مفاهيم الكيبوتز التي يشعر هؤلاء انها جوهر الايديولوجيا الرسمية »(٣٠).

يوضح نقاد آخرون للصهيونيـة الاشتراكية ان الكيبوتزات « انحطت » لانها « جزر اشتراكية » في مجتمع رأسمالي.وهم يشيرون مثلا الى الاستغلال الجماعي الذي تمارسه الكيبوتزات على العمـل المأجور من خارجها ، ويصفون ذلك بأنه أحـد أعراض « انتصار » المجتمع المحيط بـ « الجزر الاشتراكية » عليها . لكن الواقع أن الجزر لم تكن اشتراكية ابدا ، الا بالمفهوم المثالي البورجوازي الصغير . فقد كانت هذه الجزر منذ البداية اجزاء لا تتجزأ من المجتمع الرأسمالي الاستعماري الذي أنشأه الصهيونيون ، واعضـاء الكيبوتز مـلاك مشتركون لمشاريع زراعية رأسمالية ـ استعمارية وقد كانوا كذلك دوما ، بغض النظر عن كل حديثهم عن « الاشتراكية » و« التضامن الاممي » . ان هؤلاء النقاد الاخرين يخطئون فيما يتعلق بالتحليل الطبقي وكذلك فيما يتعلق بالمعرفة التاريخية ، ولذا فهم لا يستطيعون ان يروا ان ما حدث خلال العقود الاخيرة هو ان الكيبوتزات اجبرت على الكشف عن تناقضها مع البروليتاريا في اسرائيل . ولا يكاد هذا يكون اكتشافا مثيرا بالنسبة لاشتراكي فلسطيني جذوره ضاربة في البروليتاريا الزراعية الفلسطينية.

ستيفان بكمان

٢٨ ـ المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، المصدر السابق ٢١ ـ ٢٢ .

٢٩ ـ نيو اوتلوك ، ايلول ـ تشريـن الاول ١٩٧٠ ، ص ٦٢ .

٣٠ ـ المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

(٣) رسالة المغرب : اليهود المغاربة واسرائيل

يمكننا ان نستخلص من دراسة سابقة[1] ومن الوثائق التي سنبينها هنا ، بعض النقاط الاساسية لهذه الرسالة : اولا ، ان هجرة اليهود المغاربة الى دولة اسرائيل حديثة العهد . فقد ظهرت بوادرها بعد عام ١٩٤٨ كما حصلت اولى الموجات الهامة في فترة ١٩٥٥ — ١٩٥٦ (وقد ضمت ٤٥ الف شخص اقتلع قسم كبير منهم من قراهم) . اما الهجرة الاساسية التي تضم اكثر من مئة الف شخص ، فهي تجري بشكل مستمر ومنتظم منذ اواخر عام ١٩٦١ . ها هو اذا ، وعلى طبيعته ، عنصر اساسي (يضم حوالي ٢٠٠ الف شخص) من هذه « الامة الاسرائيلية » المبنية على الدين وعلى مفهوم « الشعب اليهودي » . وثانيا ، بالنسبة للذين يتناسون كل بحث علمي حين يتعلق الامر بهذه الدولة ، يقدم الوضع الحالي لليهود المغاربة في دولة اسرائيل الدليل على ان الامم لا تبنى على الاوهام العنصرية . اما بالنسبة لمن لا يبالي بالعنصرية المعادية للعرب ، فان هذا الواقع يلقي الاضواء على الطبيعة الملموسة للدولة الصهيونية كمؤسسة للامبريالية الغربية . وثالثا ، ان المأزق الفعلي الذي وقع فيه اليهود المغاربة يفرض عليهم ان يتخطوا كافة التناقضات التي ولدها التغلغل الاستعماري والصهيوني باتجاه الحل الوحيد ، وهو الثورة العربية .

الاقتلاع

لقد كانت الهجرة ، بشكل عام ، بمثابة اقتلاع لليهود المغاربة من ارضهم بغية اعادة غرسهم في فلسطين المحتلة . فماذا كان وضع اليهود المغاربة في الخمسينات ؟ بامكاننا ان نقسمهم الى ثلاث فئات متوازية بشكل اساسي : الفئة الاولى التي بقيت مرتبطة بألفي عام من تاريخها ، تاريخ الجماعات الفلاحية في الجبال والمناطق شبه الصحراوية ، وهي جزء لا يتجزأ من تلك الجماعات العربية — البربرية التي تكوّن الواقع العميق لبلاد المغرب. الفئة الثانية التي كانت تتكون من جماعات حضرية تقليدية تتعاطى التجارة والحرف . الفئة الثالثة كانت الجماعة اليهودية في الدار البيضاء ، وكانت نتاجا للبؤس الاستعماري كسائر العمال وانصاف العمال في الدار البيضاء .

وكان مجمل اليهود المغاربة ، لظهورهم من مجتمع متعدد الجماعات ومزدوج الطوائف ، ينتظمون في نوعين من البنى هما البنية الثقافية والايديولوجية للحاخامين — وهي من البقايا المتحجرة للبنى القديمة — والبنية السياسية والاجتماعية للجماعات اليهودية ، وقد اقامتها سلطة الاستعمار مستندة الى البورجوازيين الكبار والمتوسطين من اليهود المغاربة الذين شجع الاستعمار بروزهم ونظم « تغربهم » (أي تمثلهم بالغرب) . وكانت سلطة الاستعمار قد اخفت في كتابتها للتاريخ الواقع العميق لماضي هذه الجماعات . وقد نظم الاستعمار بالتعاون مع البورجوازية اليهودية في المغرب وهم « التغرّب » . وكانت الصهيونية بالنسبة للشباب في المدن وسيلة التوفيق بين اتجاههم نحو «التغرب» وارتباطهم بالقيم التقليدية لليهودية . كما فعلت مآزق الحلول البورجوازية للاستقلال فعلها في هذا المجال . اما الجماعات الفلاحية فلا حاجة لاعدادها ايديولوجيا، فان الموقف السلبي المتواطىء للسلطة الاستعمارية ولجهاز الاستعمار الجديد الاقطاعي البورجوازي قد اتاح « لقادة » الجماعات اليهودية في المدن ان ينظموا اقتلاع قرى بكاملها لاعادة زرعها في اسرائيل . وقد حاول الحاخامون ان يعيقوا تقدم الصهيونية السياسية التي اعتبروها معادية للدين (انظر دفاتر المجمع الرابع للحاخامين ، الرباط ، ١٩٥٢ ، ورسالة رئيس المحكمة الحاخامية بمكناس في ٥/٥/٥٢ المذكورة لاحقا) . ولكن قواهم كانت ضئيلة ، ولم يكن لديهم اي حل بديل . اما الاعوان ، من رجال الاعمال الاستعماريين والبورجوازيين اليهود بالاضافة الى جهاز الاقطاع الجديد والبورجوازية الكبيرة الاسلاميين ، فانهم يواصلون علاقاتهم المثمرة عبر الحدود . ويمثل المغرب بالنسبة لهم ، كصلة وصل بين الشرق والغرب ، شيئا ملموسا . اما السياسيون البورجوازيون المغاربة، الذين تواطأوا بالامس وابعدوا اليوم ، فانهم لا يتوانون عن تغذية الالتباس بين اليهودية والصهيونية لصرف النظر عن المحتوى الطبقي للنضال الوطني العربي ضد الامبريالية والصهيونية .

اليهود المغاربة في دولة اسرائيل

ها هي اذا غالبية اليهود المغاربة في اسرائيل ، في « أرض اسرائيل » (وهو التعبير الذي بنوا

عليه المغالطة !) ولكن ما هي حقيقة الوضع ؟ لنسرد في البدء بعض الوقائع التي تثير الارتياب :

١٩٥٩ : اضطرابات وادي الصليب — وهو حي فقير في حيفا — وكذلك بئر السبع ومجدل هرمك — تلفت الانظار الى اليهود « الشرقيين » . وكانت الجماعة الاساسية بينهم من اليهود المغاربة . وقد تظاهروا يتقدمهم العلم المغربي وهم يهتفون : « عاش محمد الخامس » . ثم كان الصمت ، وغابت مسألة « اليهود الشرقيين » ، « فدولة اسرائيل الفتية » التي طالما حققت المعجزات لن تتوقف عند حاجز كهذا . كل ما هنالك ان ظاهرة الهجرة قد تعثرت بالنسبة للعائلات اليهودية المغربية في عام ٦٦ وفي اوائل عام ٦٧ . ثم جاءت الحرب ، وبدت الوحدة « الوطنية » اقوى منها في اي وقت مضى . أليس كذلك ! ولكن ؟... بعض الكتاب يقرعون ناقوس الخطر . منهم « مارك هيلل » في كتابه « اسرائيل في خطر السلم » . ومجلة « تايم » الواسعة الاطلاع تقول بأن على خلفاء ليفي اشكول ان يحلوا « المشكلة الاجتماعية المعقدة التي تكمن في الاستيعاب الكامل لما دعي « باسرائيل الاخرى » ، اي اليهود الشرقيين الذين يشكلون ٥٢ بالمائة من السكان ! » ومنذ فترة وجيزة ، كتب مراسل « لوموند » في القدس نقلا عن الصحف المحلية مقالا بعنوان : « الفهود السود في القدس » جاء فيه : « ان بعض شباب الاحياء الشعبية في القدس يعدون العدة للقيام بأعمال عنف تعبر عن غضبهم تجاه المجتمع الاسرائيلي الذي جعلهم يحيون حياة هامشية ، وينتمي جميع هؤلاء الى اليهود « الشرقيين » (سفارديم) ويعيشون في احياء بنيت في فترة الهجرة الكبرى عام ١٩٥٠ . ولم يطرأ على هذه الاحياء اي تحسن منذ ذلك الحين . وقد أصبحت هذه المناطق السكنية « المنسية » مع ازدياد سكانها احياء بائسة يقطن فيها اليهود القادمون من البلاد الاسلامية . وهؤلاء « الشباب الغاضبون » الذين تتحدث عنهم الصحافة الاسرائيلية قد ولدوا وعاشوا في تلك الاحياء ، وهم يتهمون « الاشكنازيم » (اي اليهود الغربيين) والسفارديم الذين منحوا بعض الامتيازات بقصد التمويه » . (لوموند في ٧١/١/٣٠) .

وقد تعرفنا شخصيا على بعض الشبان المغاربة اليهود العائدين من اسرائيل . وهم يناضلون الان ضد الصهيونية . وحديثا صدر كتاب يتحدث عن كافة جوانب الوضع(٢). وان كانت المؤلفة لا تخفي عطفها على دولة اسرائيل ، الا انها ، بسبب عملها ومنشأها واتجاه بحوثها ، اكثر الناس اطلاعا على وضع اليهود المغاربة . ان هذا الكتاب ، الذي صدر عام ١٩٧٠ ، هو خلاصة تحقيقات اجريت في اوساط اليهود القادمين من شمالي افريقيا الى اسرائيل ، وقد تمت قبل حزيران ٦٧ . وتختم المؤلفة الدراسة بقولها : « ان اسرائيل ستتمكن مع الوقت ، اذا ساد السلام الشرق الاوسط ، ليس فقط من محو تخلفها الخاص بل وستتمكن من مساعدة جيرانها على حل مشاكلهم بتقديمها الامثلة لهم . تبدو هذه النظرة الان وكأنها حلم ، ولكن الاحلام تتحول في بعض الاحيان الى وقائع في تاريخ اسرائيل المليء بالعظمة والبؤس » . الا ان الوقائع تناقض هذه النظرة وهذا الحل المبني على انكار حقوق الشعب الفلسطيني وعلى استغلال العرب اليهود المنقولين الى فلسطين ، كما يناقضه الاتجاه العميق الذي يتيح لنا رؤية الحل الصحيح — هذا الاتجاه الذي لا تراه المؤلفة وهي عالمة اجتماع من المدرسة البورجوازية . ويبقى هذا الكتاب مجموعة ثمينة من المعلومات المجردة التي سنختار منها بعض العناصر المعبرة . ولكن هذا الكتاب ، بالرغم من جفافه ، اكثر من مجموعة معلومات . انه بالفعل ، ورغم الحلم العاجز الذي راود مؤلفته ، سجل افلاس للصهيونية في عقر دارها واظهار لحقيقة الصهيونية كمؤسسة للراسمالية العالمية ولثقافتها الغربية ، وبرهان جديد على الضرورة الملحة للتخلص من هذا المجتمع .

العمل وظروف المعيشة : يوجه المهاجرون القادمون من افريقيا الشمالية الى مزارع « الموشاف » او نحو « مدن التنمية » وخاصة بئر السبع وديمونا وكريات شمونه وصفد . وقليلون منهم نظموا في « الكيبوتز » ، تلك المؤسسة السياسية العسكرية التي تسمح لابناء البورجوازية الغربية ان يطلوا مشاعر التفوق الاستعماري لديهم بطلاء اشتراكي. وتعترف المؤلفة ، على اي حال ، بأنه يبدو ان الحركة الكيبوتزية لا تجذب الجماهير الفقيرة . فما اعجب هذه الاشتراكية ! و« الموشاف » قرية ينظم فيها شراء اللوازم وبيع المحصول على اساس تعاوني ، ولكن الانتاج والاستهلاك ينظمان على اساس صناعي . ان نظاما كهذا في مجتمع بنيته راسمالية ان لم تكن استعمارية يعطي النتائج التي عرفناها في المغرب حيث تحول الفلاح في المناطق المروية ، بسبب الجهاز البيروقراطي ، الى قن

مرتبط بالارض . في دولة اسرائيل اكد اكثر من نصف الذين أجابوا على الاسئلة (٥٨،٢ ٪) بأنهم سيغادرون الموشاف لو استطاعوا ، كما اعلن ٦٦،٩٦٪ ان عملهم مرهق . وقد صدر كتاب عن موشاف يقطنه المغاربة وعنونه « الرواد بالرغم عنهم » . بالطبع « فان للشبان بعض الامتيازات ، لاتمام علمهم ما بعد الابتدائي ، دون ان يعني ذلك انهم يتعلمون مهنة ما » . انهم يوجهونهم نحو الاستثمارات الزراعية، وتبقى بذلك امكانيات ارتقائهم محدودة . « في النهاية ، فان الانصهار في الموشاف يؤدي الى قدر كبير من التربية الاسرائيلية » . بالطبع ! .

ان التخلف الاقتصادي والثقافي يسيطر بشدة فيما يسمى « بمدن التنمية » . واذا كانت المؤلفة تشير الى انه قد طرأ تحسن ملموس على عملية « من الباخرة الى منطقة التنمية » بين عامي ٥٤ و٦٥ ، فقد كان ٦١،٦٩٪ من المهاجرين الجدد من شمالي افريقيا في عام ١٩٦٥ يقطنون في منازل تضم ما بين شخصين واربعة او اكثر في الغرفة الواحدة في حين كان ٧٢،٦٩٪ من المهاجرين القادمين من اوروبا واميركا في منازل تضم اقل من شخصين في الغرفة الواحدة .

ولكن اذا كان هؤلاء المهاجرون المغاربة في مساكن سيئة « فان الطرق الجميلة التي تخترق النقب من بئر السبع الى ايلات هي اكثرها من صنعهم ، ولكن تربيتهم الايديولوجية لم تكن كافية لكي يفخروا بذلك . وقد قال لنا يوما احد العاملين على هذه الطرق : « ان الخبز الذي اكسبه ملعون لدرجة ان لم يعد له أي طعم » . « ومع ذلك ، فان هؤلاء ممن لديهم عمل » !

ومن المعبر في هذا المجال ما جرى من تحقيقات حول رغباتهم . « يؤكد الاختيار الذي عبر عنه الراشدون والعمال الشباب ، الرغبات التي كانت قد ظهرت من خلال التحقيقات : اي تفضيل عمل ثابت وان بأجور منخفضة . ان الرغبة الاولى لدى القادمين من افريقيا الشمالية هي في الحصول على عمل ثابت يؤمن استقرارا ماديا . وتأتي هذه الرغبة قبل الاتجاهات العقائدية . اما لدى التلاميذ الذين لم يختبروا بعد الصعوبات المادية للحياة والذين يتأثرون بالتلقين العقائدي في المدرسة ، فكان حب اسرائيل يأتي قبل الرغبة في العمل » . ولنضف بهذا الصدد ، كما تقول المؤلفة ، « ان عبارة « حب اسرائيل » لا تنحصر في الوطنية : ان « حب اسرائيل » يشتمل على كافة مظاهر حياة الشعب اليهودي . انها ليست تعلقا باسرائيل كدولة فحسب ، بل باسرائيل بالمعنى الديني والروحاني للكلمة » . ولنعد لموضوعنا ولنؤكد منذ الان على ان واقع الحياة في دولة اسرائيل يجعل الرغبة في العمل تتقدم على الاتجاهات العقائدية .

تبقى المدن الكبرى ، أي القدس وتل أبيب وحيفا . تقول المؤلفة : « ان المهاجرين من شمالي افريقيا يعيشون في كثير من الاحيان متجمعين في نفس الاحياء ، ان في الاحياء القديمة من المدينة او سواها ، كـ « الكتامونيم » في القدس ، وقد بنيت بسرعة لاستقبال المهاجرين القادمين بأعداد كبيرة . انهم يعيشون هنا بأعداد كبيرة وفي ظروف مادية سيئة كما في الموشاف او في مدن التنمية » . غير انه توجد بقربهم الاحياء الجميلة حيث يمكن للشبان ان يتنزهوا « للتمتع ، الى حد ما ، بأضواء المدينة » . وهذا مما يزيد الحقد . لذلك « فان الحالة متأزمة في بعض الاحيان في الاحياء المكتظة بالمهاجرين من شمالي افريقيا في المدن الكبرى . انهم كثيرا ما يصلون الى حافة الثورة حتى حين لا يتحول ذلك الى فتنة كما في « وادي الصليب » بحيفا » .

التعليم والثقافة : تشدد المؤلفة بحق على مشاكل التعليم والثقافة بقصد القاء الاضواء على طرق « التثقيف » ، اي الانصهار في الثقافة الغربية . ان اكتساب الثقافة الاسرائيلية ، بالنسبة لها ، عملية معقدة تتطلب في الوقت نفسه تعلم اللغة العبرية والتعمق في الاصول الثقافية والدينية لليهودية والقبول بايديولوجية سياسية وطنية وديموقراطية وكذلك اتجاها معينا نحو مستوى رفيع في المجال التقني — كل ذلك داخل منطقة جغرافية معينة هي الشرق الاوسط . من هذه النواحي الثلاث ، فان المهاجرين من شمالي افريقيا هم بالطبع على طريق التثقيف الاسرائيلي . ان التحول التام سيكون بطيئا وطويلا ، وقد يستمر لجيلين أو ثلاثة ، ولكن الاتجاه قد بدأ وبصورة لا تراجع فيها . لا تراجع ! على أي حال ، يجب ان نشير الى اعتراف المؤلفة بأن على هذه « الامة الاسرائيلية » ان تمضي جيلين او ثلاثة لاستيعاب ٥٢٪ من سكانها اذا اعتبرنا (وهذا ما تفعله المؤلفة) ان هؤلاء السكان مستسلمون كليا لهذه العملية ، وان الثورة الفلسطينية والعربية خارج ساحة المعركة . فكيف اذا وضعنا العملية التي

سيعيشها الجيلان او الثلاثة في اطار نمو الثورة الفلسطينية والعربية وفي اطار انهيار المجتمع الغربي الامبريالي .

فهود سود في القدس ! ان هذا السؤال قد طرح في كانون الثاني عام ١٩٧١ ! ماذا يصبح اليوم « سود » اسرائيل (كما يدعوهم الاسرائيليون الغربيون) في « آلة التغرب » هذه !

ان دراسة فشل ازدواجية اللغة والثقافة في المغرب تتيح لنا تفهما افضل **للمازق ، للمازق التام** للتعليم في اسرائيل بالنسبة للعرب اليهود . يؤدي المزج الثقافي بالنسبة للعرب ــ اليهود الى تداخل تعليم العبرية كلغة للتوراة مع اللغة الام للاولاد اليهود المغاربة التي بقيت ، بالنسبة للاغلبية ، اللغة العربية . ان اللغة العربية في اسرائيل اليوم هي لغة من هم دون البشر . فكيف لا تحتقر ! وهذا اول سبب للطلاق العميق بالنسبة للولد المغربي اليهودي بين المدرسة وبيئته العائلية . وقد نظم هذا الطلاق . فالمربون الاسرائيليون ، « ثقة منهم بتفوق المفاهيم الغربية قد اعتبروا ان كافة الوسائل يجب ان تستعمل لتعجيل الانسلاخ عن تقاليد الماضي » . النتيجة : « في تموز ١٩٦٢ ابلغت وزارة التربية البرلمان تقريرا وضعه المفتش العام للتعليم الابتدائي في المنطقة الجنوبية ، التي يشكل المهاجرون الشرقيون (وخاصة القادمون منهم من شمالي افريقيا) اغلبية سكانها : كان ٣٥ الى ٤٠٪ من الاولاد ، بعد تسع سنوات من الدراسة ، عاجزين عن قراءة وفهم كتاب بسيط ، وعن كتابة رسالة وعن القيام بالعمليات الحسابية الاربع ، ولم يكونوا يعرفون سوى القليل عن بلادهم وعن العالم المحيط بهم » . سيقال لنا : ولكن هذا كان في عام ١٩٦٢ . انظروا الى قوة الديموقراطية التي تكشف عن نواقصها لتصححها . لنر ! : « ان الايديولوجية السياسية والوطنية والديموقراطية » لدولة اسرائيل « هي بشكل أساسي غربية وتكنولوجية » .

ان ما سنراه من الانتكاسات المتتالية والبنيوية للانصهار الثقافي والتعليمي لليهود ــ العرب في هذه الدولة ليس سوى تعبير جديد ومعبرا عن عجز المجتمع الرأسمالي عن تأمين التطور الانساني . لقد ولد هذا المجتمع ومستواه التقني « المتقدم » من نهب العالم منذ خمسة قرون . وقد أمن الاطار الثقافي والبنى الاجتماعية نشوء « النخبة » في هذا المجتمع . لقد كان ابناء الطبقات الارستقراطية والبورجوازية يجدون في المدرسة البورجوازية التتمة الطبيعية لتربيتهم الطبقية . وقد جعل امتداد التصنيع من الضروري ، في المدارس الابتدائية والتقنية تعليم العمال الاكفاء القادمين من الفئات المستغلة (بفتح الغين) . وقد وجد كل ذلك توازنه في الاستغلال الاستعماري. اما اليوم ، وفي المرحلة الاخيرة من انحلال الرأسمالية ، فان النظام بأسره يتعثر . وان نقل هذا النظام المتداعي الى المجتمعات الاستعمارية الجديدة يجعل منه داء أساسيا لهذه المجتمعات ، ليس فقط في المغرب وفي سائر الدول الخاضعة للاستعمار الجديد ، بل كذلك بالنسبة للجماعات التي تعيش في اطار هذه البنى الاستعمارية الجديدة بداخل النظام الرأسمالي . وهذا وضع زنوج اميركا مثلا ، فقد ادت محاولات كندي وجونسون ونيكسون لحل هذه المعضلة الى مآزق . وهذا هو الوضع كذلك بالنسبة للعمال الاجانب في اوروبا الغربية . وفي اسرائيل ، تلك البقعة من العالم الغربي المزروعة في الشرق الاوسط ، فان الاستيراد الضخم لجماعات اليهود ــ العرب يؤدي الى المآزق نفسها !

ولنسرد الوقائع :

المدارس الرسمية والكليات المهنية : ان التعليم الثانوي والمهني الطويل الامد (٣ الى ٤ سنوات) مبني على البحث عن الفعالية ، ويريد المدراء « وهم المشرفون الوحيدون على اختيار الطلاب » تأمين وتركيز سمعة مؤسساتهم . لذلك « فان مدراء افضل المدارس الرسمية والكليات المهنية للمدن ، حتى المتوسطة منها ، خوفا منهم من انخفاض مستوى مؤسستهم ، يظهرون عادة القليل من الحماس في قبول اولاد يأتون من مدارس ابتدائية تقع في الاحياء او المناطق المعروفة بمستواها الثقافي المنخفض » . والنتيجة ان « عدد الاولاد من شمالي افريقيا الذين يتابعون دروسهم في المدارس الممتازة يكاد لا يذكر » . وفي المدارس المهنية الهامة ، « يندر وجود التلاميذ القادمين من شمالي افريقيا في فروع الالكترونيك (حيث تطلب معلومات رياضية واسعة) ، ولكنهم اكثر عددا في الفروع الميكانيكية . وفي المدارس المهنية للبنات ، نرى تقسيما مماثلا : فالبنات القادمات من شمالي افريقيا يتجهن عادة نحو الفنون المنزلية والخياطة لا نحو دروس السكرتاريا » . بالاضافة الى ذلك فان التعليم الثانوي ليس مجانيا ، « بل ان الرأي السائد في اوساط رؤساء المؤسسات هو ان مجانية

التعليم التامة ليست الحل الافضل تربويا » .

التعليم الابتدائي : اذا اخذنا بعين الاعتبار وضع كافة الدول المهتمة بالتعليم الابتدائي تتضح لنا كل مآزق المجتمع الاستعماري الذي يحاول فرض بناء البورجوازية على مجتمع متعدد الفئات لم يصل بعد الى مرحلة الرأسمالية . وبعض أوجه الشبه غريبة . فكما استخدم المغرب بتأثير البورجوازية ونقابات المعلمين نظام « قطاع الاستيعاب » فقد جربت اسرائيل نظام « المستويين التعليميين » . ويتحدثون بالطبع « في الاوساط المسؤولة عن القرية في اسرائيل عن « تأخر وراثي » أو عن « تخلف فكري » لدى المهاجرين الجدد من اليهود الشرقيين . والمقصودون هنا الاولاد المغاربة الذين يشكلون المجموعة الاهم التي جاءت منذ عشر سنوات » . في الوقت نفسه لا يلعب هؤلاء المهاجرون الجدد سوى دور اليد العاملة الاستعمارية . وتعبر المدارس في المناطق المسماة بمناطق التنمية عن هذا الوضع . فالاساتذة فيها غير اكفاء . « في أكثر الاحيان ، تقوم المجندات بالتعليم في مدن التنمية ، وهن عديمات الخبرة ، ويتركن لدى انتهاء التدريب العسكري . والاساتذة كذلك لا يبقون . فهم يصلون فور تخرجهم من دار المعلمين ويغادرون حين يبدأون باكتساب بعض الخبرة . وهم يجهلون عادة كل شيء عن طرق معيشة الولد في عائلته ، لذلك ، فالولد يتحمل نتائج انعدام الخبرة ، والتغييرات العديدة للاساتذة . وينتقل في حياته المدرسية من ازمة الى اخرى . ولا يقطن المعلمون عادة (أو بالاحرى المعلمات اللواتي يشكلن اغلبية الجسم التعليمي) في مدن التنمية . وهم يستعجلون للصعود في السيارة فور انتهاء الدروس » . وبالطبع ، تشكل الابنية المكتظة حيث « لا يوجد لدى التلاميذ اي مكان للانفراد » ، ونتائج الفقر ، « أولى الحلقات المفرغة المحيطة بالولد المغربي » . النتائج : « ان من المسلم به عادة ان مستوى التعليم منخفض في مدارس مناطق التنمية وفي بعض المدارس الواقعة في الاحياء الفقيرة في المدن الكبرى الثلاث . تلك الاحياء التي يشكل المهاجرون الشرقيون غالبية سكانها » . وتختتم المؤلفة بهذه الجملة الرهيبة : « ان الولد القادم من شمالي افريقيا يجد نفسه اذا ، بطبيعة الامر ، في حلقة مفرغة » .

لنضف فقط ان هذه البرامج تمثل بالنسبة لدولة اسرائيل وسيلة « لصهر المجموعات المختلفة » ، وتقول المؤلفة بصدد هذه العبارة : « اننا نترجم بذلك عبارة « مزوج غالويات » اي ، حرفيا « مزج المنفيين » . » وهذا عين الصدق !

التمييز : يجمع الجدول الثامن في الكتاب المشار اليه الاجوبة المتعلقة « بالحماية والفروقات والتمييز » . و« الحماية » تعبير اسرائيلي يعني « الواسطة » التي يستفيد منها اليهود الغربيون . اجماليا ، ٧٢٫٤٪ من الذين اجابوا على الاسئلة يؤكدون وجود تمييز ، و١٢٫٥٪ يعترفون به ولكنهم يبررونه كما ان ٥٫٢٪ يرفضون الاجابة وينكر ٩٫٠٪ وجود اي تمييز » .

ان دولة اسرائيل « مزيج من المنفيين » ، بالطبع ولكنها مجرد مزيج ، لا التحام ولا انصهار ! ما هي « الامة الاسرائيلية » ؟ انها مجتمع يتألف من مليون مستوطن نقلوا من الغرب تحت الحماية المباشرة للامبريالية ، مجتمع بني على دماء الشعب الفلسطيني وعلى تشريده ، ومجتمع يستغل مليون عربي — يهودي منفيين من بلادهم الى ذلك المجتمع : مليون مستوطن ! ان ذلك يذكرنا بأرقام بلد عربي آخر . فهل كان سكان « الالزاس » الهاربون من الاحتلال الالماني عام ١٨٧٠ يشكلون امة جزائرية في عام ١٩٦٠ ؟ او ، كما كتبنا في تموز ١٩٦٧ : « ان وجود ضحايا النازية الالمانية بين سكان هذه الدولة لا يغير من طبيعتها كما ان وجود مقاومين سابقين للاحتلال الالماني في صفوف منظمة الجيش السري لم يغير من طبيعتها ». اما مفهوم « الشعب اليهودي » ، فأين هو في هذا الواقع ؟ فلنتكلم من ذلك ، وعما يميز الثورة الفلسطينية في عام ١٩٧٠ ومستقبلها عن الثورة الجزائرية في عام ١٩٦٠ وما آلت اليه !

اليهودية العربية والثورة العربية

لقد كان تجميد مفهوم « اليهودية العربية » من اكثر السدود الايديولوجية الصهيونية فعالية . وقد ظهرت مشكلة فلسطين على انها صراع بين العرب واليهود . ولم يظهر غير ذلك من الطرفين قبل حزيران ١٩٦٧ . وكان الصراع ، بالفعل ، بين ايديولوجيتين بورجوازيتين . اولاهما الايديولوجية الصهيونية التي خلقتها ودعمتها الامبريالية ، وقد تمكنت من الاستمرار مع ترابط ظاهري . ولكننا رأينا التناقضات الداخلية للدولة الصهيونية ، ولن تبرز هذه التناقضات طالما بقيت الايديولوجية العربية اسيرة الفكر الرجعي البورجوازي . ولكن الثانية قد سقطت في حزيران ٦٧ . وكون مشروع روجرز

قد صدق على وثيقة وفاتها يزيد من حدة هذا السقوط . هذا لا يعني اننا نضع امام الشعب الفلسطيني مهمات روحانية . ولكن الظروف الموضوعية التي صنعتها الامبريالية والصهيونية لم تدع لهذا الشعب مخرجا سوى الوعي الثوري . لن يأتي هذا الوعي تلقائيا . كما ان ايديولوجية الثورة الفلسطينية والثورة العربية لن تبنى دون صدام . ولكن الامبريالية، في سعيها لتقوية مواقعها في هذه المنطقة الهامة ، خلقت وضعا يتطلب عملية ثورية عميقة تعجز البورجوازية عن قيادتها . ولا يمكن لهذه العملية ان تبقى محصورة بالشعب الفلسطيني، فترابط الصهيونية مع المصالح الحيوية للامبريالية في الشرق الاوسط وفي المتوسط يفرض ترابطا بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، التي تشكل بدورها جزءا لا يتجزأ من الثورة العالمية .

بذلك تكتشف الثورة العربية في ممارستها الايديولوجية الوحيدة القادرة على بناء الثورة العالمية ، وهي ايديولوجية الطبقة العاملة . وتتمكن الثورة عندئذ من ازاحة كافة المفاهيم الوهمية التي حاكتها الامبريالية – الصهيونية حول المشكلة الفلسطينية. وكان تطوير مفهوم « الدولة الديموقراطية الفلسطينية » الخطوة الحاسمة في هذا المجال . فبالرغم من ان « فتح » كانت قد فرقت منذ البدء ، وقبل حزيران ٦٧ ، ما بين اليهودية والصهيونية ، فالممارسة اجتماعية، ولم يكن ممكنا ان تأتي الخطوة الثانية ، وهي الخطوة الحاسمة ، قبل ان تدخل الايديولوجية الثورية وطريق حرب التحرير الشعبية الى الجماهير الفلسطينية . وكما كتبت « فتح » : « لقد أتت الثورة بالنضوج للمقاتلين . وبالرغم من المظاهر ، فان الذين يناضلون يصبحون اكثر تسامحا . ان العنف في الافكار والاقوال لا يرافق سوى اليأس والانهيار » . واليوم ، فان مجمل الشعب الفلسطيني يستوعب الايديولوجية الثورية، ويتعلم ان يفرق ما بين اليهودية والصهيونية ، ويتأمل في مستقبل فلسطين . ان الخيال ، في انبل معانيه – اي بمعنى التخطي الخلاق – قد بدأ يتحقق . وقد ظهرت في الاشهر الاخيرة وثيقتان تعبران عما توصل اليه تفكير هذا الشعب المقاتل. والوثيقتان هما وثيقة « فتح » التي ذكرناها والوثيقة التي قدمتها الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين الى الندوة العالمية للمسيحيين من أجل فلسطين .

ان كون المرء ثوريا عربيا ويهوديا في الوقت نفسه يفرض عليه بعض البحث اذ كان يعتبر نفسه ماركسيا . لقد تعودت العقلية البورجوازية ، ومن بعدها ما يسميه احد اصدقائنا بالاركيوماركسية (وهي ماركسية مطورة مع تعابير «ما قبل التاريخ» اي عصر البورجوازية بالنسبة لماركس) على ابعاد الدين عن المجال الايديولوجي والثقافي . ولنأخذ فرنسا «كنموذج»، وهي البلد الذي يعتبر «نموذجا» في المغرب . ماذا يعني ان يكون المرء فرنسيا . ان الدين ، بالنسبة للمؤمنين ولغير المؤمنين ، مسألة جانبية تدخل في « باب خاص » لدى الانسان « المبوب » الذي يخلقه المجتمع البورجوازي . وهذه « الابواب » ، اذا احصيناها ، هي العمل ، والعائلة ، والوطن ، يضاف اليها الدين او لا يضاف . والثقافة اين موقعها ؟ انها باب آخر تدخل فيه السهرات المسرحية ونوادي البريدج والجوائز الادبية التي تشكل الثقافة البورجوازية، ليس فقط في فرنسا ، بل بالنسبة للانسان «الحديث» ، سواء أكان موظفا كبيرا او رجل اعمال في طبقاتنا الحاكمة « الكومبرادور » . والعربي ، بالنسبة لهم ، هو الذي يناقش بالفصحى عن فوائد الفكر الاسلامي والشخصانية المسيحية . والماركسي هو الذي يناقش في موضوع النماذج الاقتصادية ووتائر النمو ونمط الانتاج الاسيوي والمجتمعات البطريركية او الصناعية . اما اليهودية فتظهر ، كما قال احدهم ، في نفحة من « كيسلر » او من « انريكو ماسياس » .

في هذا الاطار ، ماذا يعني ان يكون المرء عربيا يهوديا ؟ بما ان اليهودية لم تكتف بالبقاء دينا يدخل في الباب الذي خصص له منذ ١٨٠٠ عام ، فهي اذا أمة . ثم يحددون انها أمة « أصيلة » مما يتيح لهم ان يضيفوا بأن الماركسية ليست ، في احسن الاحوال سوى نظرية اقتصادية ، وانها عاجزة عن تفسير المسألة القومية . اذا كونوا يهودا او عربا (كما قال مرة احد القوميين البورجوازيين المغاربة : فليدخلوا الى المسجد ولن تعود هنا مشكلة !) . اما ان يكونوا الاثنين معا ، فلا !

ليس الهدف هنا ان نعرض اوضاعا فردية ، بل ان نبين ان تخطي هذا التناقض قد يأتي عن طريق العيش بموجبه . ان نعيش هذا التناقض لا يعني ان نتحمله او ان نهرب منه ، بل يعني بعث الصيرورة واعلان الحقيقة . « لقد كان ذلك في قلبي

كالنار الموقدة في عظامي ، وقد أرهقت نفسي وانا احاول كبتها ولم استطع ! » .
ان هذا التعبير عن اليهودية في كمالها الثقافي ستبنيه الثورة العربية، بوصفها ثقافة عربية ثورية. ان على اليهود العرب المنفيين في هذه الدولة التي ليس بها من اسرائيل سوى الاسم ان يعيدوا اكتشاف وبناء التعبير الجديد عن الثقافة اليهودية. ان اشتراكهم في النضال الثوري ، في النضال ضد الصهيونية المتسلطة واسيادها الامبرياليين هو الذي سيضع اسس الانطلاقة الجديدة لليهودية العربية، من خلال البناء الثوري للامة العربية ، مع امثال الفارابي وابن ميمون ، وفي هذا النضال الثوري ستتمكن اليهودية « الاشكناز » ، التي اقتلعتها العواصف وجرائم الرأسمالية وزرعتها في فلسطين، من اعطاء عملية البناء هذه اكثر من«سبينوزا»جديد. وكما كتبت « فتح » : « فان فلسطين تضم اذن العرب من يهود ومسيحيين ومسلمين ، بالاضافة الى اليهود من غير العرب ، اي اليهود الغربيين». وهكذا ينطلق في قلب هذه الارض المليئة بالمجد نور جديد ساطع للثقافة العالمية ، ويرتكز ذلك على بناء فلسطين عربية تكون مجال انصهار جدلي لجميع تلك المساهمات .
ولنعد الى بحث المفاهيم :
١) **حول مفهوم اليهودية — العربية** : ان طرح مشكلة اليهودية العربية ضرورة منطقية للفكر المعادي للعنصرية كما انه يحمل ، للوهلة الاولى ، خطر دخول العنصرية الى الفكر المعادي للصهيونية. هذا ما يفسر جزئيا كون هذه المشكلة قد اثيرت دون تعمق حتى الان . أقول جزئيا فقط ، لان العائق الاساسي لبروز هذا المفهوم يكمن في صعوبة تركيبه من خلال الافكار الموجودة في المحيط البورجوازي العربي والغربي . لذلك ، فعلينا ان نعود مجددا الى الماركسية بوصفها اداة طرائقية ، لرفض المجتمع البورجوازي ولبناء العالم الجديد . عندئذ، وبالممارسة الثورية ، تتبلور المفاهيم .
تؤدي النظرة الثورية والماركسية بالضرورة الى رفض مفهوم الشعب اليهودي ، وذلك لاسباب عميقة لا فائدة من العودة اليها هنا ، ولكنها تسمح بالتأكيد على ان الحل الثوري الوحيد الناتج عن الماركسية يخلق الظروف التي تضع حدا لكافة اشكال التفرقة العنصرية وبالتالي للمشكلة الاساسية التي ولدت المسألة اليهودية . ولكن ، هل يؤدي رفض مفهوم الشعب اليهودي الى رفض كل تمييز لليهود ؟ هذه هي الفكرة التي سيطرت حتى الاعوام الاخيرة على فكر الماركسيين الثوريين ، اليهود منهم وغير اليهود . وكان الهجوم الشهير الذي شنه لينين على « البوند » بمثابة التبرير لهذا الرأي . وكانت ركيزته الايديولوجية كامنة في الايديولوجية البورجوازية العلمانية والكارتزيانية . يؤدي التفكير في الواقع المحسوس الى التفكير في الاسس . وانطلاقا من الماركسية كفلسفة للممارسة وبعيدا عن التشويهات « الاختبارية » والمتأثرة بالمادية البورجوازية ، يجد المناضل غنى ما كتبه ماركس حول المسألة اليهودية حيث يضع النظرة الى الانسان الكلي في مواجهة الموقف العلماني البورجوازي . كما يكتشف المناضل غنى جدلية ما كتبه لينين حيث يضع في مواجهة الشعار البوندي الرجعي حول « الثقافة القومية » اليهودية شعار مشاركة الملامح التقليدية للثقافة اليهودية في خلق « الثقافة العالمية للحركة العمالية » ، وضرورة الاسهام ، بالنسبة للماركسيين اليهود والروس « كروس وكيهود » في هذا الخلق .
ويرى المناضل ان لينين الذي يرفض « الثقافة القومية » اليهودية يتحدث رغم ذلك عن أمة يهودية . ماذا يعني ذلك ؟ ان النظرة ، غير « الوسط — أوروبية » تساعدنا على فهم ذلك .
أ) لذلك علينا ان نتساءل في الوقت نفسه حول صحة المفاهيم الكارتيزيانية الجامدة للامة ، اذ ان المجتمع البورجوازي يتجه الى عدم منح هذا اللقب لغير أمته ، والى عدم القبول بالنسبة لسائر المجموعات البشرية الا بصفة « ما قبل الامة » ، والى عدم رؤية ان هذا الشكل للامة البورجوازية سيجري تخطيه ، والى رفض امكانية انتقال المجموعات التي يصفها « بما قبل الامة » الى البنى الاشتراكية بغير الطريق الرأسمالية .
في هذه المجتمعات المتعددة الفئات التي تطلق عليها أسماء مبهمة « كالبنى ما قبل الرأسمالية » او « ما قبل الامة » ، ما زال الانسان ، كما أشار ماركس في دراسته لهذه البنى ، انسانا تاما ، انسانا تصهر ثقافته (وهي بدورها وليدة محيطه المحسوس التاريخي الاجتماعي) مختلف مقومات الانسان من اقتصادية وسياسية وايديولوجية وبالتالي دينية. وتأخذ هذه المجموعات شكل «امة»، أي شكل جماعات تشتمل على هذه المقومات المختلفة. وبالطبع يبقى هناك التباس تغذيه الطبقات الحاكمة والمثقفون البعيدون عن الواقع . وقد يكون

من بقايا الاتجاهات القبلية، ومضمون هذا الالتباس هو ان الايديولوجية هي الاساس الوحيد لهذه « الامة » . وتصبح هذه النظرة الاساس النظري لايديولوجية « الاخوان المسلمين » والصهيونية ، وسائر الايديولوجيات الفاشية . بالفعل ، فان هذه البنى مرتبطة بالواقع المحسوس ، وبالارض ، وبالحياة الاقتصادية . وتتكون في اطار هذا الواقع، وفي اطار البنى الجماعية الاولية الشاملة جماعات ثانوية تميزها ايديولوجية متميزة هي الدين ، دون ان ينفصل هذا الواقع عن البنى الفوقية الايديولوجية ودون ان يحدث اي تفتيت للثقافة الشاملة . وقد عرضنا في دراسة سابقة كيفية عمل تلك الجماعات الريفية في جنوب المغرب .

يظهر التحليل التاريخي المرتكز على الماركسية ان الشمول يتغلب على الخاصة ، وان الجماعات اليهودية — العربية والاسلامية — العربية والمسيحية — العربية هي عربية حين تكون داخل مجتمع عربي واحد . ويظهر التحليل التاريخي ان لهذه الايديولوجيات المتميزة علاقة جدلية ببعضها بعضا وبمحيطها . وهكذا تتكون ايديولوجيات ، او ثقافات ثانوية يهودية — عربية واسلامية — عربية، متميزة ومتكاملة ومنصهرة في ثقافة واحدة هي الثقافة العربية (لا يسعني التحدث عن الثقافة الثانوية المسيحية — العربية في المشرق العربي ، لانني بنيت بحثي على معرفة الواقع المحسوس في بلاد المغرب. الا ان « الرسالة الى مواطني المسيحيين من اجل نظرة معينة الى لبنان » ، التي نشرها « المنتدى » في العدد ٢٨ — ٢٩ ، « تضع الكنيسة في الشرق الاوسط تحت شعار العروبة » وقد تكون بذلك مثالا على ما يجري هناك) .

وهكذا يتضح موقف لينين في رفضه لمفهوم « الثقافة الوطنية » اليهودية ورفضه تقسيم المدرسة الى امم وقوميات واقليات قومية من جهة ، ثم ، من جهة اخرى ، احترامه لميزات الجماعات المختلفة (لا تجاهله لها كما تفعل العلمانية البورجوازية) وسماحه مثلا « بتوظيف اساتذة للغة اليهودية وللتاريخ اليهودي بشكل خاص ، الخ ... على نفقة الدولة، وكذلك تخصيص مبنى رسمي للدروس المخصصة للاولاد اليهود او الارمن او الرومانيين وحتى لولد جيورجي واحد » .

وبرنامج فتح يتفق مع هذه النظرة حين يحدد « ان علينا ان نفرق بين نظرية فلسطين كدولة لا طائفية ونظرية الدولة المتعددة الاديان او المزدوجة القوميات . ان فلسطين الجديدة لا يمكن ان تقوم على اساس ثلاثة اديان دولة وقوميتين . ان نظرتنا تعني ، ببساطة ، انعدام التسلط الديني لمجموعة على اخرى وحرية ممارسة الدين دون تمييز » . وكذلك حين يقول بأنه « سيكون لليهود ولغير اليهود الحق في ممارسة دينهم وفي تطوير ثقافتهم ولغتهم . فمن الطبيعي مثلا ان تدرس العربية والعبرية كلتاهما كلغتين رسميتين في المدارس الحكومية لجميع الفلسطينيين من يهود وغير يهود » . وهذا مناقض ، كما نرى ، للعلمانية البورجوازية .

ويؤكد النص الذي اشرنا اليه للجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين بأن « التحدث عن ديموقراطية علمانية يرجع بالاساس الى اعتبار الصراع بين اسرائيل والعرب صراعا دينيا ، مما يشكل سقوطا في مهاوي الايديولوجية الرجعية المسيطرة والقبول باحدى فرضياتها الاساسية الخاطئة ، بالاضافة الى ان ذلك لا يحل المشكلة ، ان الديموقراطية الليبرالية لا تشكل ضمانة لحل مشكلة التسلط القومي ، وهي لا يمكن ان تتعدى استبدال تسلط ما بتسلط آخر ، اي استبدال تسلط اليهود بتسلط العرب » .

ان الحل الديموقراطي لا يمكن ان يتحقق الا من خلال نضال ثوري ، وتدمير الدولة الصهيونية لا يمكن ان يتم تلقائيا ، بل يتطلب عملية ثورية تغير جذريا ميزان القوى ضد التفوق الاسرائيلي . ولا يمكن ان يتم ذلك الا عن طريق حرب شعبية طويلة الامد يتكامل فيها النضال ضد الصهيونية بالنضال ضد الامبريالية » .

وبذلك تتضح ايضا تعابير لينين حول « الامة اليهودية » . انه يعني بذلك الجماعة « اليهودية — الروسية » لا الشعب (« الاثنية ») كما ينقله « رودنسون » خطأ . فالجماعة هي جزء من الامة الروسية ، كما ان هذا ، بهذا المعنى ، امة افرو — اميركية تشكل جزءا من الامة الاميركية ، مما لا يقدم اي تبرير لفكرة « الشعب الاسود » .

ب) ان بنى هذه الجماعات ، والثقافات المتأتية عنها تتفتت الى حد ما بتأثير تطور الراسمالية والسلطة الاستعمارية . لذلك فانها قد تكون اليوم مضمحلة الى حد كبير — ان لم يكن كليا — في اطار المجتمع الراسمالي الغربي . اما في العالم العربي، فهي ما زالت حية ، وحتى حين تفتتت ماديا كما جرى بالنسبة لليهود العرب الذين نقلوا على نطاق واسع الى اسرائيل ، فان الثقافات المقاومة لم

تقتلع ، خاصة وان مـــا تتعرض اليه هو عملية رجعية لنزع الثقافة لا لاعطاء ثقافة جديدة ، لان ما يسمى « بالثقافة الغربية » التي يحاولون اخضاعهم لها لم تعد سوى انزال للانسان الى مستوى الشيء الجامد. من هذا المنطلق بالذات ، لا يمكن التحدث عن « أمة اسرائيلية » ، واذا كان رودنسون على حق حين يقول « ان ما يجعل الناس يشكلون شعبا او امة هو ان يعيشوا معا في وضع معين ، خلقه التاريخ وان تربطهم العوامل الموضوعية القائمة بعدد من المجموعات والافـراد ذوي الخصـائص الموضوعية » ، فمما لا يخدمه سوى في اظهـار ذاتيته وذاتية كلمة « شعب » التي يستعملها ، ان يضيف بأن ذلك لا ينطبق الا على الوضع العام، وان هناك استثناءات منها « الشعب الاسرائيلي ». وفي البلاد التي ما تزال فيها تلك البنى والثقافات حية ، فهي « قد تكون نقطة ارتكاز لعملية البعث الاجتماعي » ، كما كتب ماركس لفيرا زاسوليتش ، بشرط ادخالها في عملية ثورية . ان هذه العملية ، التي ستستمر لوقت طويل بعـد القضاء علـى الامبريالية ، ستؤمن انصهار بنى هذه الجماعات في اطار بناء وطني واحد وانطلاق ثقافي واحد — هما ، بدورهما جزء من بناء الثقافة العالمية .

٢) **جدلية الثورة العربية** : أ) اقول الثورة العربية لا الثورة الفلسطينية فحسب لان العامل الخارجي المتمثل بالوحدة الجدلية بين الامبريالية والصهيونية يبرر الوحدة الجدليـة بين الثورة الفلسطينيـة والثورة العربية . ولكن هذا العامل الخارجي يبقى محدود التأثير ان لم توجد الظروف الداخلية — وهي الحاسمة في النهاية . وقد استمرت البنى التي تحدثنا عنها خـلال القرون السابقة في تشكيـل الاسـاس الذي بنيت عليه المجتمعات المركنتيلية التي لم تتمكن — بعكس جدلية المركنتيلية والاقطاع في اوروبا — من الوصول الى الرأسماليـة والى المجتمع البورجوازي ، وذلك بسبب مقاومة تلك البنى نفسها. وكانت هذه البنى الجماعية تستوعب، في الوقت نفسه ، ما اتت به المجموعات المركنتيلية ايديولوجيا ولغويا وثقافيـا ، ولكن الاستيعـاب الايديولوجي والثقافي قد جرى من خلال الاسس التي ترتكز عليها تلك الجماعات . ويظهر عبدالله العروي في كتابه الاخير كيف استوعبت الجماعات البربرية في بلاد المغرب الايديولوجية والثقافة العربيتين . ويشكل هذا الكتاب(٦) اول مساهمة هامة في نزع الصبغة الاستعمارية عن التاريخ في بلاد المغرب .

وهكذا تكونت ، من خليج عمان الى موريتانيا ، الخلفية المستترة للامة العربية . وقد بدت هذه الخلفية ، بسبب جمود القرون الماضية ، وكأنها قد تجزأت مع بروز البنى الوطنية البورجوازية . ولكن ، كما قال العروي ، ها قد بدأ النزول من الجبال والعودة الى الصحارى . وبالفعل ، فان الامبريالية قد شاركت في ذلك بخلقها منابع للطبقة العاملة . لذلك برزت الثورة العربية مع نواتهـا المكونة « وهي الجماهير العمالية والكادحة » كما تشير الى ذلك ، بالنسبة للثورة الفلسطينية ، الوثيقة الموحدة التي اصدرتها المقاومة الفلسطينية في ٦ ايار ١٩٧٠ . وقد جاءت هذه الثورة في ظروف افلاس شامل للايديولوجيات البورجوازية .

لذلك ، وبالرغم من كافة الاقطاعيات من اعـوان الامبريالية وبالرغم من القوميـات البورجوازيـة الاستسلامية ، فان كل ضربة توجه الى المركـز الاساسي اي الى القدرة الوطنية ، ستعمق عملية الثورة العربية . وقد سمحت حرب حزيران التي كانت ظاهريا هزيمة للامة العربية ، بصعــود جمهورية اليمن الشعبية وحركة تحرير ظفار والخليج العربي الى جانب الثورة الفلسطينية. ان الضربات التي وجهها اعوان الامبريالية للثورة الفلسطينية منذ أيلول ٧٠ ستؤدي الى اتساع وتعميق الثورة. فالى اين ستؤدي؛ في المشرق والمغرب العربي على السواء ، ازالة اخر غموض ايديولوجي كـان يحيط بالسياسيين البورجوازيين ، من شركـــاء نشيطين او خجولين لمشروع روجرز ! كما قـالت الجبهة الشعبية الديموقراطيـة (في الوثيقة التي اشرنا اليها) :«ان الامبريالية تشدد من قبضتها على المنطقة العربية عن طريق تحالفها مع الفئـات الحاكمة في النظم الرجعية ، وكذلك بسبب عجز الانظمة البورجوازية الصغيرة من خوض نضـال حاسم ، منظم وعسكري ضد الامبريالية . لذلك فان النضال ضد الامبريالية يضع بالضرورة وجها لوجه الطبقات التي لهـا مصلحة في هذا النضال والطبقات التي لها مصلحة في التحالف مــع الامبريالية . وسيصبح هذا النضال نضالا من أجل تحطيم الانظمة الرجعية المتحالفة مع الامبريالية ، ومن أجل اقامة انظمة ديموقراطية شعبية تتمكن الطبقات الكادحة فيها من تحقيق التحرير الشامل والتقدم الاجتماعي . ولكن كون النصر النهـائي مرهونا بالقضاء على الامبريالية لا يعني ابدا ان النضال ضد الصهيونية يجب ان يؤجل الى مـا

بعد القضاء على الامبريالية ولكنه يعني، بالعكس، بأن النضال ضد الصهيونية يجب ان يوقد ويدعم الصراع الطبقي ضد الامبريالية ، والعكس بالعكس . »

ب) ان التطور الجدلي للثورة العربية يؤثر كذلك على تعميق التناقضات الداخلية للدولة الصهيونية، ويجب ان يؤدي الى انفجار الصراعات العميقة والموضوعية . ولنعد الى وثيقة الجبهة الشعبية الديموقراطية : « ان امكانية تطوير هذه التناقضات ستؤدي بالمجتمع الاسرائيلي الى الازمة ، اي الى قلب ميزان القوى لصالح حركة التحرر الفلسطينية والعربية . » وذلك ، كما يؤكد النص ، شرط ان تعمق ايديولوجية الثورة العربية وتصبح محسوسة مع تطور الثورة . وهذا ما يحصل بالفعل . بهذا المعنى ، فان نضال الثوريين المغاربة سيؤثر على التناقضات التي تعيشها اليهودية المغربية المنقولة الى الدولة الصهيونية . ولكن يجب كذلك على المغاربة اليهود الثوريين ان يتحملوا ، داخل المنظمات الثورية المغربية ، مسؤولياتهم المتميزة .

فهود سود في القدس ! حتى الان ما زالت ايديولوجيات لليأس وانتفاضات لا افق لها ، ضد كل شيء وضد كل الناس . بالنسبة لهؤلاء المغاربة اليهود المحتجزين في مأزق وبأس الاحياء الفقيرة في حيفا والقدس وتل ابيب ، المسجونين في الجو الخانق الكئيب للموشاف ولمدن التنمية ، علينا واجب الاتيان بالافاق الثورية المنقذة التي بامكانها وحدها ان تدخل يهوديتهم وعروبتهم في انطلاقة موحدة . وان لم يتم ذلك ، فانهم سيكونون لقمة سائغة لاكثر القوى فاشية في الايديولوجية الصهيونية . ولا يمكن ان ينحصر هذا النضال باليهود المغاربة سجناء الصهيونية ، وان كانت الظروف الموضوعية والذاتية تؤكد حاليا امكانياتهم الثورية . فهذا النضال يجب ان يكون ، بقيادة الثورة الفلسطينية ، ومع العملية الثورية العربية، محررا لكل فلسطين ، ولكل يهود فلسطين ، من يهود عرب ويهود « يديين » ، لكل هؤلاء ، او على الاقل للذين يريدون ، كمريم غاليلي ، ان يعيشوا في هذا البلد مع عازار واسماعيل ولا يرغبون في الهجرة الى « ميامي بيتش او الى الريفييرا الفرنسية » . وكذلك من أجل اولئك الذين يريدون استعادة ارض اجدادهم ، بلاد اودية النور في الانطي — اطلس ، بلاد زيتون اسجن وكرز سفرو وتين دمناط ، البلاد التي سنجعلها معا تنفتح وتنطلق .

ان البناء الثوري للامة العربية وللثقافة العربية الثورية ، كاسهام في « خلق الثقافة العالمية للحركة العمالية » ، هذا البناء الذي تشكل الثورة الفلسطينية تطبه الاساسي في مواجهة القطب الاساسي للمؤسسة الامبريالية — الصهيونية ، هو الجواب ، الجواب الانساني الوحيد ، ليس فقط بالنسبة لمجمل الشعب العربي ، بما فيه اليهود العرب ، ولكن كذلك بالنسبة لليهودية — اليدية المغروسة في ارض فلسطين .

هنا ايضا نعود لماركس لنقول بشأن الدولة الديموقراطية التي يريد الفلسطينيون بناءها هي بالذات الدولة التي اعتبرها ماركس الجواب الوحيد الصحيح على المسألة اليهودية وعلى الدولة اللاانسانية للمجتمع البورجوازي . فعلى كافة الثوريين العرب ان يجعلوا المشرق العربي والمغرب العربي يبنيان الرد نفسه على الامبريالية والصهيونية والتفرقة العنصرية .

ابراهام صرفاتي

---

١ — ا. صرفاتي . اليهودية المغربية والصهيونية (« سوفل » عدد ١٥) .
٢ دوريس بن سيمون — دونات . المهاجرون من افريقيا الشمالية الى اسرائيل (منشورات انتروبوس ١٩٧٠) .
٣ — حاييم زعفراني . التربية اليهودية في بلاد الاسلام (منشورات ميزوننوف ١٩٦٩) .
٤ — فتح . الثورة الفلسطينية واليهود (منشورات مينوي ١٩٧٠) .
٥ — مكسيم رودنسون . الماركسية والامة (« لوم اي لاسوسيتي » عدد ٧) .
٦ — عبدالله العروي . تاريخ المغرب (ماسبيرو ١٩٧٠) .

تقريران عن تعليم الفلسطينيين

(١) تطور المفهوم الاقتصادي الاجتماعي للتعليم لدى وكالة الغوث وتصور اولي لاهداف تخطيط تربوي للشعب العربي الفلسطيني

تشرف وكالة الغوث حاليا على تعليم حوالي مليون تلميذ فلسطيني ، جاعلة من التعليم هدفها الاساسي في سبيل أستيطان الفلسطينيين ، فالواجب يدعو الى معرفة نشاط الوكالة في هذا المجال ومناقشته من حيث بواعثه واهدافه ، سعيا وراء ادراك معنى خطواتها ومقارنة هذه الخطوات ونشاطها التعليمي عموما مع الحقوق الاساسية للشعب العربي الفلسطيني . ومحور البحث الحالي هو ادراك النظرة الاقتصادية — الاجتماعية المحركة لنشاط الوكالة التعليمي ، والتطرق بعد ذلك الى موقفها من التخطيط التربوي . وينتهي البحث بعرض تصور اولي لاعباء هذا التخطيط . وبالرغم من مناقشة أمور تربوية ، غير ان معالجتها جاءت وليدة الاهتمام الاقتصادي — الاجتماعي بالموضوع، اذ للسيكولوجية التربوية رايها ، اضافة على امكانية قبولها للتحليل الاجتماعي ولذا ينوه الكاتب انه لا ينوب عن الاختصاصيين في هذا الفرع والمربين عامة في معالجة موضوع التربية في اطار الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة . ويسعى البحث الحالي الى بعث اهتمام واسع بنشاط الوكالة التعليمي ، والتداول حول وضع التعليم في الثورة الفلسطينية والعربية عامة واستخلاص التخطيط التربوي الملائم .

اولا : تطور مفهوم التعليم لدى الوكالة

١) اعتمد التعليم بعد نكبة ١٩٤٨ مباشرة على مبادرة المعلمين السابقين ومؤازرة جهات محلية ودولية عديدة . تمثلت هذه المدارس بخيام مستشفيات الميدان ودفعت مكافآت للمعلمين من ثمن بيع غلافات مواد الاعاشة (براميل ، اكياس ...) . توجه الهدف الاكبر للاسعاف او الى اطعام وايواء اللاجئين ، وحين انتدبت الوكالة الدولية لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين انيطت بها حسب قرار الجمعية العمومية الصادر في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩(١) المهمتان التاليتان : أ — تأمين الاغاثة المباشرة وبرنامج الاشغال المذكور في بعثة الاستقصاء الاقتصادية، بمشاركة الحكومات المحلية(٢). ب — التشاور مع حكومات الشرق الادنى بخصوص تحديد الخطوط الواجب القيام بها تحضيرا للوقت الذي يمكن بعده الاستغناء عن المساعدة الدولية .

يتضح من هذا التوكيل الصفة الموقتة لعمل الوكالة والاتجاه الاساسي لتحقيق المشاريع القادرة على استيعاب اللاجئين وانهاء الاهتمام الدولي بهم . نتيجة لذلك جعل التعليم قسما من الاغاثة المحددة من قبل الوكالة على أنها تهدف الى « المحافظة على صحتهم وخيرهم(٣). وعقدت الوكالة اتفاقا مع الاونيسكو لمساعدتها على تمويل قسم من اعباء التعليم والاشراف عليه .

وجهت الوكالة جل جهدها شطر التعليم الابتدائي وحصرته بالصفوف الاولى . ووجدت عام ١٩٥١

ان نسبة المنتسبين الى المدارس من اصل نفس فئة العمر كانت كافية ، مقارنة مع ارقام الانتساب في الدول العربية المضيفة ، اضافة على ذلك لا يجب ان تتجاوز نسبة الانتساب لدى اللاجئين النسبة الموجودة في كل بلد مضيف(٤). نتيجة لهذا التحليل والاقتناع حافظت الوكالة نسبيا على هذا المستوى التعليمي خلال السنة الدراسية ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وعللت ايضا هذا الجمود بسبب قلة الاعتمادات وغلاء الاسعار نتيجة الحرب الكورية .
لم تكن الاعتمادات المالية قليلة ، لكن ميزانية الاغاثة هي التي كانت ضئيلة ، فالقسم الاكبر من هذه الاعتمادات خصص لمشاريع الاستيطان . فلقد خصص مبلغ ٢٠٠ مليون دولار للاستيطان ، وحتى آخر السنة المالية المنتهية في ٣٠حزيران كانت الوكالة قد حصلت على تعهد من قبل اعضاء الامم المتحدة بدفع مبلغ يوازي ٦٥،٩ مليون دولار (٥٠ مليونا من الولايات المتحدة و١٢،٤ مليون من بريطانيا) ، استلمت من هذا المبلغ فعلا حوالي ٤٠،٧ مليون دولار ، بينما كان مجمل ميزانية الاغاثة حوالي ٢٧ مليون دولار . اشترطت الولايات المتحدة وبريطانيا على الوكالة تخصيص القسم الاكبر من الاعتمادات على مشاريع الاسكان ، حتى انهما حددتا مهلة لاستعمال القسم غير المسدد من قبلهما . فحددت الولايات المتحدة تاريخ ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٢ كآخر فرصة لاستعمال مبلغ ٢٠ مليون دولار(٥).
تهدف الدولتان الى انهاء حالة اللاجئين الشاذة على الخريطة السياسية المخططة من قبلهما ، وذلك في اقرب وقت ممكن وعن طريق الاستيطان في البلاد المضيفة.ولتحقيق عملية دمج الفلسطينيين في المحيط الجديد ، يجب المحافظة على نفس نسبة الانتساب في المرحلة الابتدائية الموجودة في كل بلد عربي ، دون النظر الى المستوى الثقافي والاستعداد الحضاري للشعب العربي الفلسطيني.
بعد التأكد من فشل المشاريع الجزئية لتوطين اللاجئين ، وهكذا الاستغناء عن خدمات الوكالة ، اتضح أن هذه العملية ليست مباشرة بل تحتاج الى مشاريع كبيرة ودراسات واسعة افتقرت اليها دراسة بعثة الاستقصاء الاقتصادية . ولذا جاء تخصيص ميزانية ٢٠٠ مليون دولار لتحقيق مثل هذه المشاريع ، والسعي في نفس الوقت الى تحقيق مشاريع فرعية للتأهيل .
بدأت الوكالة تشعر باحتمال اطالة مدة عملها ، كما لمست في نفس الوقت عدم جمود النسبة المئوية لانتساب الاولاد الى المدارس في الدول المضيفة ، ولاحظت انه في ارتفاع ملموس . وتوازيا مع ذلك فوجئت الوكالة بالحاح متزايد من الفلسطينيين الى تعليم اولادهم ، ففي العام الدراسي ١٩٥١ — ١٩٥٢ رفضت الوكالة في الاردن عددا من الاولاد يوازي العدد التي قبلته في مدارسها(٦). ورفعت خلال عام ١٩٥٣ ميزانية التعليم ولكن على حساب الاغاثة والمستوى التعليمي النوعي ، كما زادت الاونيسكو معاضدتها لبرنامج الوكالة التعليمي .
بالرغم من هذا الاهتمام بالتعليم،ظل مجرد قسم من نشاط الاغاثة ، اي خارج نطاق التأهيل الاقتصادي ، ولذا لم يسمح للوكالة الاستعانة بقسم من مبلغ ٥ ملايين دولار المخصصة للتأهيل المهني السريع والمشاريع الفردية(٧). كان التدريب السريع مرتبطا بمشروع الاستيطان وبدائرة الشؤون الاجتماعية . خلال عام ١٩٥١ درب حوالي ١١٠٠ فتى على بعض الاعمال المهنية ، ودربت دائرة الشؤون الاجتماعية ١٣٦٤ فتى و٢٨٠٠ فتاة(٨).
بعد هذه التجارب قررت وكالة الغوث بارشاد من خبيري الاونسكو ومكتب العمل الدولي وضع خطة لتدريب ما بين ٥ و١٠ آلاف فتى فلسطيني بالمبلغ السابق الذكر وتمويل نشاطهم النتاجي بعد ذلك .
من خلال تجربة مناقشة المشاريع الطويلة الامد، مثل مشروع نهر الاردن — اليرموك ومشروع سيناء، مع الحكومات العربية ، ومن خلال دقة دراسة جميع جوانب هذه المشاريع ، تأكد ضمنيا للمسؤولين عن الوكالة ، ان انتهاء عملهم ليس بالقريب ، وفي نفس الوقت وضعت الدول العربية شروطا مستحيلة لاستلام مكانها في ١٩٥٤/٦/٣٠ .
خلال ذلك اتضح للوكالة ان التأهيل المهني السريع لا يعطي نتائجه لانتشار البطالة في الدول المضيفة وبين اللاجئين ، ولا يساعد مثل هذا التأهيل على منافسة القوى العاملة المحلية شبه الفنية والعاطلة.
ورفض الاهل من جانبهم هذا التأهيل لتقصيره في توفير تعليم عام لاولادهم . مع بدء تلمس هذه الحقائق ، وتمديد عمل الوكالة الى ٣٠ حزيران ١٩٥٥ بدأت الوكالة تحسن من وضعها التعليمي.
حسنت خلال عام ١٩٥٣ دخل المعلمين توازيا مع دخل زملائهم في الدول المضيفة . كما بدأت تشييد الابنية المدرسية الثابتة والمتقشفة (لبقاء قسم من الغموض حول مستقبلها ، الله امكانية العودة ، بل العامل الاكبر ، احتمال نجاح عملية الاستيطان)

كما سعت الى تخفيض عدد التلامذة في الصف الواحد بعدما وصل هذا العدد احيانا الى ١٥٠ تلميذا .

٢) مع انتهاء العام الدراسي ١٩٥٢ — ١٩٥٣ والتأكد من فشل برنامج التأهيل المهني السريع ، اعلنت الوكالة سياسة تربوية جديدة : أ — تأمين التعليم الابتدائي لجميع الاولاد في سن الدراسة . ب — الاعتماد في محيط التأهيل على التعليم المهني العالي وتخريج المعلمين .

استنتجت الوكالة هذه السياسة من الحقائق التالية كما جاءت متفرقة في بيان مدير وكالة الاغاثة امام الدورة التاسعة للجمعية العمومية(٩): اولا : المشاريع الكبيرة (اليرموك ، سيناء) لا تستوعب الا جزءا ضئيلا من عدد اللاجئين . ثانيا : ان تنمية الامكانيات الاقتصادية في الدول العربية المضيفة تكاد تكفي توفير العمالة للبطالة الحقيقية والمقنعة والتزايد السكاني المقبل لتلك الدول . ثالثا : لم تتضاءل مرارة اللاجئين الفلسطينيين بالرغم من مضي ست سنوات على تشردهم ، وعدم تجاوبهم مع مشاريع الوكالة . رابعا : يتطلب سوق العمل في الدول العربية المضيفة او المجاورة عناصر ذات تخصص مهني او جامعي. خامسا : يتطلب الاستيطان في المشاريع المزمع تحقيقها وجود عدد كبير من الفنيين وتسلح معظم المستوطنين بدرجة من الثقافة تساعد في تحقيقه مشاريع التنمية الاجتماعية وتحقيق النجاح الاقتصادي لجميع المشاريع . سادسا : تعتقد الوكالة ان درجة معينة من الثقافة تخلق لدى الفرد وعيا للاستفادة من قروضها الفردية المساعدة في تحقيق الاعالة الذاتية .

بدأت الوكالة عموما منذ اواخر عام ١٩٥٣ ومع تعثر مشاريع الاستيطان ، تدرك ان مهمتها في قطاع التعليم تتجاوز مفهوم الاغاثة ، ولذا بدات تعطي للتعليم اهتماما اكبر مبرزة اهميته الخاصة. وانعكس ذلك على التقرير السنوي لعام ١٩٥٣ ، حيث فصل التعليم عن الاغاثة وذكر في فقرة خاصة به . وجاء تقرير عام ١٩٥٥ ليؤكد فشل المشاريع الكبيرة واضمحلال احلام الدول الاستعمارية في توطين اللاجئين واخفاء معالم مأساة فلسطين . فبدأت الوكالة تعترف باهمية العلم كعامل لدمج الشباب الفلسطيني في المحيط العربي ، واقرت بتخلف نشاطها في حقل التعليم الثانوي (التكميلي). وضعت الوكالة خطة لها بحيث تصل نسبة الملتحقين بالصفوف التكميلية الى عدد تلامذة المرحلة الابتدائية ٢٢ بالمائة بعد خمس سنوات ، وهي نسبة الالتحاق في الاردن عام ١٩٥٣ . اذ في ذلك العام قارب رقم غزة (٢٠٫٨ بالمائة) هذا المستوى ، مرجع ذلك انتشار البطالة بشكل واسع في القطاع وانعدام أي أمل لحصول خريجي المرحلة الابتدائية على اعمال ، فوجدت الوكالة نفسها ملزمة بزيادة عدد الصفوف وافساح المجال للطلبة لاكمال دراستهم . اما هذه النسبة فكانت ضئيلة جدا في مدارس الوكالة في المناطق الاخرى ، في الاردن (٦٫٨ بالمائة) ، في لبنان (٩ بالمائة) وفي سوريا (١١ بالمائة)(١٠). ومع الاعتراف بهذا التقصير ، الا ان طموح الوكالة جاء هزيلا ، كما اتضح لنا ، اضافة على ذلك وجدت الوكالة ان اكتفاءها بصفين ثانويين وفي حالات قليلة صف ثالث يتلاءم والحاجة ، تاركة على الطالب مهمة اكمال دراسته خارج نطاقها . وسبب هذا الطموح الهزيل مسعى الوكالة على ابقاء الفلسطينيين في مستوى اقل من المستوى الثقافي لسكان الدول المضيفة او يوازيه ، تسهيلا لامر الاستيطان . ليس المال كما تدعي هو العائق في عملها فقسم كبير من رصيد ٢٠٠ مليون دولار ما يزال متوفرا ، وتتضاءل امكانية استغلاله لتعثر المشاريع الكبيرة . ومن الجدير بالذكر انه في بعض المخيمات سعت العناصر الواعية الى اضافة صفوف ثانوية بوسائلها الذاتية وبدعم مادي خاص ، فمثلا في مخيم عين الحلوه ، استطاع معلمو المدرسة الابتدائية جمع الاموال من امريكا ومن دول الخليج عام ١٩٥٣ لبناء وتجهيز الصفين الاول والثاني الثانويين ووضعت الوكالة تحت الامر الواقع وحين ارادوا السنة التالية تحقيق الصف الثالث الثانوي رفضت الوكالة ، فاعلن الطلبة الاضراب واجبروا الوكالة على القبول .

بعد فشل المشاريع الكبيرة والمشاريع الفردية اتضح للوكالة ان الفرصة الاساسية لتحقيق الاعالة الذاتية لدى الفلسطينيين هو المضي في سياسة التعليم العادي والصناعي . اعترفت الوكالة بهذا الواقع في تقريرها لعام ١٩٥٦(١١) ، ذاكرة التعليم في فقرة « المساعدة للاعالة الذاتية » . ونتيجة التفكير بربط اكبر قدر ممكن من التعليم بالتدريب المهني ، اقدمت الوكالة منذ عام ١٩٥٥ على ادخال دروس تدريب يدوي في الصفوف الابتدائية العالية والصفوف التكميلية . كما نشطت الوكالة

في محيط آخر وهو تدارك نقص المعلمين الاكفاء بعد هجرة الكثير منهم الى دول الخليج ، ففتحت معهدين لتخريج المعلمين والمعلمات في الاردن ، وخطط للمعهدين بحيث يمدان الدول العربية بالمعلمين انعكاسا لفكرة الاستيطان والاعالة الذاتية .

توتنت الدول الاستعمارية عن دفع ما وعدت به من مساعدات اضافية داخلة في اطار اعتماد ٢٠٠ مليون دولار، انتظارا لتوفير مشاريع استيطان(١٢). اذ نظرت تلك الدول بحذر للنشاط التعليمي ، فمخاطره توازي فوائده ، بل اكدت الاحداث السياسية خصوصا المظاهرات ضد حلف بغداد عداء الاجيال الصاعدة للاستعمار ، كما انتشر بينها نفوذ الاحزاب القومية . اضافة على ذلك بدأت الجماهير العربية خلال وبعد حرب السويس تلتف حول الرئيس عبدالناصر. بعد الحماس الكبير في تمويل الوكالة في اوائل الخمسينات املا في استيطان اللاجئين وحل مشكلتهم لصالح اسرائيل، تراجعت الولايات المتحدة وبريطانيا عن الدعم السخي للوكالة ، وحصرتا هذا الدعم في حد ادنى لا يكاد يلبي متطلبات الاغاثة .

اكدت التطورات السياسية خلال عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ ان اي امل في تحقيق مشاريع الاستيطان قد تبدد . واكدت مشاريع الاعالة الذاتية حدود امكانياتها وتعرض الكثير منها للفشل ، فلذا ليس أمام الوكالة إلا الاعتماد تماما على التعليم والتأهيل المهني لتحقيق استقلال اللاجئين منها على الامد الطويل . كما وجدت الوكالة ان تجاوب الدول العربية من الناحية المادية والمعنوية والحاحها في تعليم الفسطينيين كبيران ، يساهمان في خلق جو من الثقة المتبادلة . ولكن مقابل ذلك تبخل الدول الاستعمارية في دعم الاتجاه ، مما جعل الوكالة تجد نفسها امام ازمة مالية عام ١٩٥٨ ، تفرض عليها الاقتصاد في المشاريع التعليمية . ولكن أمام حملة الوكالة الاعلامية واتضاح الولايات المتحدة وبريطانيا لخطورة تأزم الوضع الفلسطيني، قبلتا رفع مساعداتها السنوية. وهكذا بعد أن كانت الوكالة اداة امريكية – بريطانية لاخفاء معالم جريمة اغتصاب فلسطين ، اصبحت علة لا بد من القبول بها خوفا من انعكاسات خطيرة .

٣) بالرغم من الاهتمام المتزايد بالتعليم من قبل الوكالة ، الا انها ظلت حتى عام ١٩٥٩ متمسكة بالمبادىء التي اعلنت منها في العام الدراسي ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ولم تتجاوزها : أ) تطبيق التعليم الابتدائي الشامل ، ب) اضافة صفين ثانويين وفي الحالات القليلة (غزة) صف ثالث . وبالرغم من أن الوكالة اقرت مبدأ الاقتراب من النسبة المئوية لعدد التلامذة في الصفوف التكميلية الى عدد التلامذة في الصفوف الابتدائية الموجودة في الدول المضيفة ، الا انها تقاعست عن تحقيق هذا الوعد . وجاء نمو التعليم بطيئا ، انعكاسا لسياسة التقشف في هذا الحقل ، فظلت ميزانية التعليم لمدة ثلاث سنوات جامدة وشهدت عام ١٩٥٨ تراجعا بطيئا . وبنيت المعاهد المهنية ومعاهد المعلمين من ميزانية الاستيطان .

خلال عام ١٩٥٩ حدث للوكالة تطوران : اولهما تعيين جون ديفس مديرا عاما بدلا من هنري لابويس وثانيهما ارتفاع نسبي في دخل الوكالة نتيجة الحملة التي قامت بها اثر العجز الذي حصل عام ١٩٥٨ . وبالرغم من اعتماد تقرير ديفس لعام ١٩٥٩ على مبدأ عدم تجاوز النسبة المئوية لعدد الطلبة في الصفوف الثانوية نسبة الى الصفوف الابتدائية والخاصة بالدول المضيفة(١٣)، الا ان مقدمة التقرير افصحت عن تطور في فهم قضية الاجيال الفلسطينية الجديدة ومعالجتها(١٤) ، اذ تطرق التقرير في هذا الخصوص الى الامور الاربعة التالية : اولا : وصول ٣٠ الف شاب وشابة فلسطينية الى سن الرشد سنويا ، مع امل ضئيل بايجاد عمل لهم . ثانيا : يخلق فقدان الامكانيات الانتاجية لدى هؤلاء الشباب شعورا بالمرارة والضياع ، هما في حقيقتهما اكثر مأساة ، من الناحية الانسانية ، من فقدان الاعاشة والمأوى . ثالثا : تأثر الحياة السياسية في الشرق الادنى من قريب او بعيد بالقضية الفلسطينية . رابعا : الى حين ايجاد حل جذري يحقق للاجئين الفلسطينيين الاستقرار من حيث المسكن الدائم والعمل الملائم ، يجب ان تتحمل الوكالة المسؤولية التامة بتوفير الخدمات الاساسية لهم .

انطلاقا من منظارنا الفلسطيني والعربي عامة هناك الايجابي والسلبي في ملاحظات ديفس ، يظهر الإيجابي من خلال النظر الى مشكلة الاجيال الجديدة الفلسطينية على أنها وضع خاص يجب دراسته من هذه الناحية وعدم ربطه بأي مؤشر خاص بالدول العربية المضيفة ، وفي نفس الوقت الاهتمام بادخال مزيد من التخطيط في عمل الوكالة خصوصا في مجال التعليم . أما السلبي في

تقريره ، فمرجعه تجاهله للعامل السياسي الناتج عن زيادة الوعي لدى الشباب الفلسطيني واصرار الجماهير عامة على العودة ليس فقط الى الارض بل الى فلسطين بمعناها الاجتماعي — السياسي . ينظر ديفس الى مرارة الشباب العربي الفلسطيني كعنصر اساسي في تأجيج عدم الاستقرار في المنطقة ويجب تداركه بالوسائل الاقتصادية التي منهـــا التعليم والتأهيل المهني ، متناسيا ان قدرا كبيرا من هذه المرارة مرجعه سياسي وليس اقتصاديا . من التصورات الاربعة السابقة بدأ ديفس نشاطه على راس وكالة الاغاثة ، ساعيا خلال عملـــه الى التعمق في جميع جوانب مشكلـــة الشعب الفلسطيني المشرد . فسنح له عام ١٩٦٠ فهـــم علاقة هذه المشاكل مع بعضها وفهم حقيقة وظيفة الوكالة في مرحلة الركود السياسي نسبة الـــى القضية الفلسطينية . كانت نتيجة تحليلاته الامور الاضافية التالية(١٥): اولا: يتواجد ثلثا الفلسطينيين في مناطق غير قادرة بصورة ملائمة على استيعابهم. ثانيا : مع التطـــور التكنولوجـــي الذي تشهده المنطقة ، تضاءلت فرص بعض المهن التقليدية ، ولذا يجب توجيه الشباب الفلسطيني شطر المهن الحديثة . ثالثا : بسبب نفي الفلاح عن ارضه ، اختفت لدى اولاده فرصة تعلم مهنة الزراعة ، فلذا يحتاج الى تعليمه هذه المهنة عن طريـــق اخر ، تحسبا لعودته الى ارضه والعمل فيها . رابعا : لما كان التأهيل سيأتي خصوصا عن طريق المهن الحديثة ، فلذا يجب تحقيق برنامج عمـــل لثلاث السنوات القادمة .

انطلاقا من واجب الوكالة ونشاطها حدد ديفس لها الاهتمامات الاتية : ١) ادارة الاغاثة (اعاشة ، مأوى — خدمات صحية وتطبيب) . ٢) تحقيق تعليم عام من ابتدائي وتكميلي . ٣) تعليـــم مهارات فنية وزيادة المنح الجامعية . ٤) تقديم قروض واعانات صغيرة لتحقيق الاعالة الذاتية . بالرغم من حديثه احيانا عن العودة ، ينظر ديفس اليها كاتفاق بين الاطراف اعتمادا على قـــرارات الامم المتحدة او على قرارات جديدة ، فواجب الوكالة الحالي وفي خلال فترة الجمود السياسي تحقيق الاهتمامات المذكورة اعلاه بشكل مثالـــي تخفف من آلام اللاجئين ومرارتهم خصوصا الشباب منهم . وتساهم على خلق قوى جديدة قادرة علـــى العمل بشكل اكثر انتظاما في المستقبل . ويأمل ديفيس من التعليم والتأهيل المهني ضبط قـــوى التمرد لدى الفرد الفلسطيني . يعتقد ان منشأ هذا التمرد الحالة الانتاجية الفردية ، فمحاسن التعليم والتأهيل المهني هي في التغلب على هذا المسلك وخلق مسلك ايجابي معاكس بدلا عنه اي: مسلك الانضباط نتيجة الانتاج الخلاق . وهناك نظرة ايجابية لديفيس لا بد من الحديث عنهـــــا لاهميتها في تصوره لوظيفة العلم والتخصص . انه يرى فيهما عملا يفوق صنعـــة الخدمات ، انهمـــا استثمار في الامكانيات الانسانية قاعدة كل ثروة تطمح اليها كل الدول . يتضح من هذه النظـــرة انه يريد نسبيا التحرر من توجيه التعليم المهنـــي حسب الطلب السوقي الاني ، بل التطلع نحـــو مجمل التطور الاقتصادي .

يتطلبتحقيق هذه الاهداف برمجة النشاط التعليمي. ولذا يقترح وضع مخطط يشمل السنوات الثلاث (١٩٦٠ — ١٩٦٣) ينفذ خلاله التطبيق الشامل للتعليم العام بشطريه الابتدائي والتكميلي مع رفع مستوى المعلمين وتحسين الوضع التعليمي عامة . وفي نفس الوقت توسيع المعاهد المهنية ومن ضمنها اعداد المعلمين ، ومضاعفة عدد المنح الجامعية السنوية من٩٠ الى ١٨٠ .تكون حصيلةهذا التوسع تخريج ما بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ شاب مـــن المعاهد المهنية ودور المعلمين والجامعات ابتداء من العام الثالث . وللوصول الى هذا المستوى يجب تقسيم البرامج الى قسمين : القسم الاول اتمام وتشييد المعاهد المهنية المخططة وفي القسم الثاني مضاعفة استيعاب هذه المعاهد . يتطلب تطبيق مجمـــل البرنامج تخصيص مبلغ ٨ ملايين دولار اضافي ، يؤمن نصفه من ميزانية الوكالة . والح ديفيس على اعتماد هذه السياسة بعد عام ١٩٦٣ وتأميـــن التكاليف الاضافية وقدرها مليونا دولار سنويا ، بأي طريقة كانت ، خصوصا انه في جميع الظروف سيكون هناك اعتماد في عشر السنوات المقبلة ، وربما أكثر ، على مساعدة المؤسســـات الدولية . ارتباطا بهذه التحليلات والاهداف مـــارس ديفيس عمله . حقق قسما لا بأس به من برنامجه مـــع تعثر في تحسين نوعية التعليم ، الا انه استطاع قبـــل انهاء خدمته تحقيق معهد التربيـــة لتدريب المعلمين على نطاق واسع . وحين استلم المفوض الجديد(١٦) لورنس ميتشلمور زمام الامور واطلع على اراء وبرنامج سلفه ، اعلن موافقته الكاملة على الخط المتبع والتصميم على متابعته(١٧). غير ان هذا التصميم كان جامدا بل سلبيا احيانا ،

اذ ينقصه الحماس والاندفاع الذي اظهره ديفيس في تحليل الاوضاع وتحقيق البرنامج .

٤) ابتداء من عام ١٩٦٥ ، بدأ الاهتمام يزداد ببرنامج التعليم من قبل الاونيسكو والدول العربية واتفق على عقد مؤتمر سنوي تحضره الاطراف الثلاثة (الوكالة — الاونيسكو — الدول العربية المضيفة) ، تناقش فيه امور التعليم . طالبت الدول العربية الوكالة في الاجتماع الاول بتحديد تصورها لتخطيط تربوي يوجه عملها . فلبت الطلب وتحدثت باسهاب في « التقرير عن سير العمل خلال السنة الدراسية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ والبرنامج والميزانية المقترحين للسنة الدراسية ١٩٦٧ — ١٩٦٨ » .

أعلنت الوكالة عجزها عن تحديد سياسة تربوية واضحة ، لكون المجتمع الفلسطيني غير مستقر. فوضع مخطط منطلق من تخيل عدم ترك المجتمع الفلسطيني ارضه مناف للواقع ، وبناء الخطة التربوية على اساس المعايير الموجودة في الدول العربية المضيفة مرفوض من قبل هذه الدول بسبب ارتفاع درجة الحاجة الى العلم لدى الفلسطينيين لفقدانهم الارض وحرية التصرف عامة بممتلكاتهم . لكن العجز هذا ، حسب رأيها ، لا يثني قبول الافتراضين التاليين(١٨) انطلاقا من متطلبات المجتمع غير المستقر : اولا : يجب ان يوازي المستوى التعليمي في الوكالة افضل مستوى في الدول المضيفة . ثانيا : زيادة على تأمين التعليم الابتدائي والتكميلي ، يجب توفير فرص في التعليم الثانوي وما بعد الثانوي لابناء الفلسطينيين اللاجئين اكبر من تلك المتوفرة لابناء الدول المضيفة .

فباقرار هذه الافتراضات تكون الوكالة قد تحررت كليا من عقلية اتباع مقاييس معينة في التعليم مستمدة من اوضاع الدول العربية.لكن لا يعني هذا تحررا شاملا عن الدول العربية المضيفة ، فمناهج التعليم ما تزال مرتبطة بمنهاج كل دولة ، كما أن المفهوم الاقتصادي البحت لتعليم اللاجئين ما يزال مترسخا في ممارسة الوكالة . لم تذكر هذه الممارسة في التقرير المذكور اعلاه ، الا انها افاضت في تحليله في برنامج وميزانية دائرة التعليم لعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، حيث اوضحت تمسكها برأي همرشولد الذي جاء في تقريره امام الجمعية العمومية لعام ١٩٥٩ « يجب النظر الى القوى العاملة اللاجئة الفلسطينية العاطلة عن العمل على أنها ليست عبئا ، بل في الحقيقة موجودات للمستقبل ، اذ تمثل مخزنا للقوى العاملة القادرة، عبر تنمية اقتصادية مأمولة ، المساهمة في خلق مستوى رفيع لمجمل سكان المنطقة »(١٩).

ساهمت عوامل اخرى في الدفع نحو هذا الاتجاه، اهمها الضغط المتزايد من قبل الفلسطينيين انفسهم للتوسع في التعليم ، يقابل ذلك ضغط مماثل من قبل الدول العربية في نفس الاتجاه . بالرغم من ان هذا الاتجاه لدى الوكالة حث الكثير من الدول على زيادة مساهمتها المتواضعة او البدء في تقديم المساعدة ، الا أن تجاوب الحكومة الامريكية كان سلبيا مقارنا بسخائها في بدء عهد الوكالة او نسبة الى مساعداتها الى كثير من دول العالم . معنى ذلك لما ذكر مرارا عدم اقتناعها بنجاح هذه السياسة بسبب تسييس الشباب الفلسطيني وارتفاع معدل وعيهم وممارستهم الثورية ووجودهم المتزايد في بلاد البترول .

ثانيا : انعكاس التفكير الاقتصادي — الاجتماعي على المستوى التعليمي .

ظهر لنا من خلال البحث مرور تفكير الوكالة الاقتصادي — الاجتماعي بأربع مراحل ، ولما كانت المرحلة الرابعة جديدة العهد سندرس اثر المراحل الثلاث الاولى على التعليم .

١ — التأثير على عدد الطلبة : تمثل السنتان الدراسيتان ١٩٥٠/١٩٥١ و١٩٥١/١٩٥٢ المرحلة الاولى حيث اهملت الوكالة التعليم انسجاما مع مبرر انشائها وهو تحقيق استيطان اللاجئين في اقرب وقت ممكن . كانت الزيادة السنوية في عدد التلامذة في مدارسها عام ١٩٥١/١٩٥٢ قليلة نسبيا (١٧ بالمائة) ، وكاد يكون التعليم الثانوي شبه مهمل . بالرغم من وجود عدد كبير من الفلسطينيين اللاجئين في المدارس الحكومية والخاصة الا ان نسبة هؤلاء الطلاب وفي جميع المراحل الدراسية الى مجموع اللاجئين لم يكن الا ١٢،٦ بالمائة في الاردن و١٤،٦ بالمائة في غزة(٢٠)، بينما فئة السكان من عمر ٥ سنوات الى ٢٠ سنة حوالي ٤٥ بالمائة .

امتدت المرحلة الاولى الى منتصف السنة الدراسية ١٩٥٢/١٩٥٣ ، حيث ادركت الوكالة خطأ قسم كبير من منطلقاتها كما ذكر في الفقرة السابقة ، فبدأت في تحسين وضعها التعليمي . ارتفع عدد الطلبة ارتفاعا قويا حيث وصل في العام الدراسي ١٩٥٣/١٩٥٤ حوالي ٨٨ بالمائة نسبة الى العام

الدراسي ١٩٥٢/١٩٥١ وحوالي ١٢٠ بالمائة نسبة الى العام الدراسي ١٩٥١/١٩٥٠ . تشمل هذه الزيادات فقط المرحلة الابتدائية(٢١). وفي المرحلة الثانية هذه والتي امتدت حتى العام الدراسي ١٩٥٩/١٩٥٨ شهدت هذه المرحلة تحقيقا شاملا لانتساب الاولاد الذكور بالصفوف الابتدائية وعددا متزايدا من الاناث . لكن البطء في بناء المدارس الخاصة بالبنات اثر على اكمال عدد كبير منهن المرحلة الابتدائية ، لان متوسط عمر التلامذة كان مرتفعا نسبة للمرحلة الابتدائية بسبب سلبيات المرحلة التعليمية الاولى،وما نتج عن ذلكمن التحاق عدد كبير من الاولاد الكبار بالصفوف الابتدائية بعد ١٩٥٣ لعدم تمكنهم من الانتساب سابقا او عدم توفر الصفوف الابتدائية العالية وكانوا قد اتموا في فلسطين المرحلة الابتدائية الدنيا . فكان وضع المدارس المختلطة شاذا نسبة للتقاليد الاجتماعية السائدة . واضافة على التخلف في بناء المدارس، عكست سلبيات النظرة الاقتصادية — الاجتماعية للوكالة على التعليم التكميلي ، حيث حرم على عدد كبير من الطلبة انهاء المرحلة التكميلية .

مع مجيء المرحلة الثالثة والاقتناع بتوفير كامل الصفوف في المرحلة التكميلية ارتفع عدد الطلبة ، وما يزال يرتفع بشكل ملحوظ حتى الان. كما ساهم توفير المدارس الكافية للبنات ورجوع متوسط الاعمار في المرحلة الابتدائية الى وضعه الطبيعي وقبول الاهل مبدأ المدارس المختلطة ، الى ارتفاع نسبة البنات خصوصا في المرحلة الابتدائية وانهاء عدد كبير منهن هذه المرحلة . وبالرغم من رفع شعار توفير جميع الامكانيات لاكمال الطالب الفلسطيني دراسته الثانوية العامة او المهنية وتهيئة فرص اكبر للتعليم الجامعي ، الا ان هذا المبدأ لم يدخل حيز التنفيذ بحجة عدم توفر المال اللازم .

ب — التاثير على وضع المعلم : لم يكن المال وحده هو الذي اعاق رفع مستوى المعلم والمدرسة وهكذا رفع مستوى التعليم عامة ، بل ايضا مجمل تفكير الوكالة حتى المدة الاخيرة .

تغاضت الوكالة في البدء ، اي في مرحلة ربط التعليم بمبدأ الاغاثة ، عن حرمة المعلم ، فاستغلت تضحيته وحاجته المادية لتفرض عليه رواتب زهيدة، بينما اغدقت على موظفي الادارات برواتب جيدة نسبيا . وبسبب هذا الوضع تدهور مركز المعلم بعدما كان رفيعا في فلسطين . فبدأ المعلمون الاكفاء بترك الوكالة توجها نحو دول الخليج والبترول عموما . يجدون هناك اضافة الى دخل احسن وضعا مدرسيا واجتماعيا أسلم . وادركت الوكالة منذ البدء خطر هجرة المعلمين لكنها عملت القليل لتحسين مستواهم ، كانت نظرية الاستيطان وتحقيق الاعالة الذاتية لاكبر عدد ممكن من الفلسطينيين تحجب اي نظرية اخرى وتحقق من خلال هجرة المعلمين : اولا : استيطان المهاجرين منهم الى الدول العربية المجاورة في تلك البلاد . وثانيا : الاعالة الذاتية لعدد اخر من خريجي الصفوف الثانوية والتكميلية في البدء .

في الحقبة الاولى لم يكن هناك حاجة ملحة لرفع المستوى التعليمي . فما يحتاج اليه اللاجئون هو ادخال اولادهم الى المدارس . واما الالحاح الاخر برفع مستوى التعليم فهو ثانوي. كانت الاحتجاجات فردية ولم يظهر وجود فلسطيني منظم وواع يضغط بثقله في سبيل تحسين نوعية التعليم . كما لم تتسلح الوكالة بنظرة تشدها الى تهيئة الفرد لنمط مجتمع معين وتحضير الطالب للدراسة الجامعية . كان هدف الوكالة كما ذكر في البدء تهيئة الفرد ليصبح مهنيا او معلما للصفوف الابتدائية ، تتلاءم جميعها مع مجالات العمل في الشرق الاوسط .

لقد كان المال متوفرا لكنه مرصود لمشاريع الاستيطان. ترفض الولايات المتحدة وبريطانيا تحويل جزء منه للتعليم العام . ولقد برهنت الوكالة ، بانشائها وحدات الاشغال اليدوية الملحقة بالمدارس ، مقدرتها على ادخال وسائل تربوية حديثة لتهيئة الفرد المنتج في المجتمع . غير ان حصر الوسائل الحديثة بهذه الوحدات فقط هدف منه مقاومة الاتجاه الجامعي لدى الطلبة واوليائهم واعطاء الاعتبار للتخصص المهني . ولا يمنع ادخال وحدات الاشغال اليدوية من الاهتمام برفع المستوى العلمي للطلاب بتحسين المناهج والوسائل التعليمية الاخرى مثل المختبرات اذ ليس هدف التعليم تلقين الفرد اي معلومات او تخصص ، بل تشجيع الفرد على اكتشاف امكانياته الفعلية وتهيئته ليكون عضوا فعالا في مجتمع منتج .

بعد ادراك مستقبل الفرد الفلسطيني في فتح جميع الامكانيات العلمية امامه ، انعكاسا للتطور الاقتصادي السريع في المنطقة ولظروفه الخاصة ، بدأت الوكالة تهتم برفع المستوى العلمي النوعي . نسعت الى الحد من هجرة المعلمين برفع رواتبهم وفي نفس الوقت رفع مستواهم التربوي عن طريق

معهد التربية الخاص بتدريب المعلمين خلال العمل، وما سبق هذا المعهد من انشاء دور للمعلمين لعبت دورها في تخريج معلمين مهيأين تربويا . ومع ذلك ما تزال فكرة تحقيق استيطان الفلسطينيين متسربة الى ما تمارسه الوكالة . ما يزال تخطيطها يضع في اعتباره تشجيع المعلمين العمل في دول البترول . اذ ما يزال جو العمل والدخل المادي والضمان الاجتماعي دون المطلوب . تضع الوكالة « كحقيقة » مسلم بها ارقام التحاق قسم من خريجي معاهد المعلمين الخاصة بها بوظائف خارج نطاقها بالرغم من حاجتها اليهم . وتمثل ايضا « حقيقة » لها ترك سنويا عدد لا بأس به من المعلمين عملهم بالوكالة للعمل في دول البترول . وبعد سرد هذه «الحقائق» تبرر الوكالة تعيينها سنويا عددا كبيرا من المعلمين غير الاكفاء(٢٢) ، تاركة على عاتق معهد التربية تدريبهم خلال ممارستهم للمهنة .

ثالثا : هل من المستحيل وضع تخطيط تربوي لتعليم الاجيال العربية الفلسطينية الجديدة ؟

تجزم الوكالة ان ظاهرة عدم الاستقرار في التجمعات الفلسطينية ، نتيجة تشتتها وفقدان الارض وادوات الانتاج ، يجعل من المستحيل وضع تخطيط تربوي يدعم عملية النمو الاقتصادي ويحقق رفاهية المجتمع العربي الفلسطيني . معظم مجالات العمل حاليا هي الدول العربية ولكنها غير مضمونة نسبة الى استيعابها او قبولها لليد العاملة الفلسطينية . وهناك في الحقيقة اربعة اسباب تجعل الوكالة تتخلى عن مبدأ التخطيط التربوي .

اولا : ادراكها لعدم استقرار مستقبلها ، فهي لا تعرف موعد انتهاء عملها ، وعلى الاخص في الوقت الحالي بعد ازدياد مؤشرات حل للقضية الفلسطينية ترافق الحل السلمي ، الذي لا يخدم وحدة المجتمع العربي الفلسطيني .

ثانيا : تنظر الوكالة الى الشعب الفلسطيني كقوى عاملة تخدم اقتصاديات الدول العربية حاليا ومستقبلا . فلا تنظر الى هذا الشعب من خلال حقه بالعودة وبناء كيانه الخاص ، وما يتطلب ذلك من تربية اجيال مرتبطة بهذا الحق ومهيأة لخدمة المجتمع العائد والموحد .

ثالثا : اضافة الى الاصرار على التفكير الاقتصادي الضيق وعدم الاعتراف بوحدة الشعب الفلسطيني واماتيه داخل الاطار العربي العام ، تسعى الوكالة الى عدم تجاوز مستويات التخطيط التربوي في الدول العربية المضيفة ، حيث المدارس « مكبس » لحشر المعلومات . ولم تتجاوز الثورية في بعض تلك الدول رفع الشعارات واصدار بعض القوانين المتخلفة تماما عن واجب تغيير النمط التعليمي سعيا وراء ايجاد نموذج جديد من المواطن ، قادر حقا على تحمل اعباء التغيير الاجتماعي — الاقتصادي أساس النمو الحقيقي . تضع الوكالة هدفا لها احسن مستوى تعليمي في الدول المضيفة ، مدركة على انها لن تتحمل اي عبء اضافي ، فالاحسن تربويا لا يتفوق كثيرا عن وضع التعليم في الوكالة .

رابعا : تجد الوكالة ان اي تطوير في اهدافها التربوية سيضعها امام مسؤوليات مادية جمة ، ذكرت قسما منها في تقريرها لعام ١٩٦٧ ، اذ بلغت التكاليف الاضافية حوالي عشرة ملايين ونصف مليون دولار(٢٣) . واقتصر التحسين في مجال خفض عدد التلامذة في الصف الواحد وزيادة عدد المعلمين والمفتشين ، وفتح صفوف خاصة للمتأخرين عقليا وتجهيز جميع المدارس التكميلية بالمختبرات .

تمثل جميع هذه الاقتراحات تطورا شكليا امام التطور النوعي في تغيير اسلوب التعليم وتجهيز جميع المدارس الابتدائية والتكميلية بتجهيزات عدة تدعم هذا الاسلوب الجديد ، يضاف الى ذلك ادخال مواد التربية والفنون الجميلة (غناء ، رسم) . واذا اضفنا انشاء المدارس الثانوية والمرتبطة بالاسلوب الجديد ، يظهر لنا حجم التكاليف الاضافية . تهربا من المسؤوليات الحقيقية وما تعكسه من تكاليف مادية عبرت الوكالة عن العجز المبدأي في وضع مخطط تربوي .

نعترف مقدما ان العنصر الاساسي في التخطيط التربوي هو ربط التخصص بالامكانيات الانتاجية الحالية والقادمة ، لكن ليس معنى ذلك جعل التخصص مادة اولية للصناعة ، بل هو في حقيقته ، كما تؤكده الوكالة ايضا رأسمال . لكن يجب فهم هذا الرأسمال بمفهومه الشامل والجزئي . انه رأسمال ليس فقط بما يحققه من تخصص في المجالات العديدة الدافعة لعملية الانتاج وتطوره ، بل ايضا لما يهيىء من قيم ومسلك يتفقان والتغيير الهيكلي للاقتصاد . كما على هذه القيم والمسلك تحقيق قسم من التغيير في الوضع الاجتماعي السابق لعملية التغيير الاقتصادي . ورفض مبدأ التخطيط التربوي من قبل الوكالة هو انعكاس لتمسكها بمبدأ تحقيق الاعالة الذاتية وفي اقرب وقت ممكن . لم تستطع تحقيق هذا الهدف من خلال المشاريع الاقتصادية الجماعية

والفردية فوجدت الحل الوحيد المتوفر هو التعليم. تريده مطية لخدمة هذا الهدف مهملة الفرد والشعب الفلسطيني ، مهملة حقوقه واهدافه ، فهذه كلها لا تدخل في الحساب الاقتصادي الضيق المهيمن على تفكيرها .

لسنا هنا في صدد وضع خطوط لتخطيط تربوي ، فهذا لا يأتي عن طريق مناقشة سريعة لممارسة الوكالة والوضع الفلسطيني وعن طريق اجتهاد فردي . ولكن يأتي هذا التخطيط التربوي عن طريق مناقشة واسعة ، يشترك فيها اطراف عديدة للوضع التعليمي الحالي والوضع الفلسطيني حاليا ومستقبلا ووضع الشعب الفلسطيني في اطار المجتمع العربي المجزأ الموحد .

نقر مبدأيا بوجود مشكلتين : ١) تشتت الفلسطينيين ووجودهم تحت انظمة متعددة ، كما ان قسما منهم غير مستقر ماديا في بعض الاماكن . ٢) فقدان القاعدة المادية الواضحة ، التي يتطلع التخطيط التربوي الى تطويرها في خدمة رفاهية المجتمع والفرد . وتمثل هاتان النقطتان مشكلتين وليس عقبتين ، بمعنى ان اي بحث جاد في ظروفهما وحجمهما في معركة تطوير الفرد والمجتمع الفلسطيني ، يساعدنا على معرفة عمق ثقلهما السلبي في معطيات اي خطة عمل . انعكاسا لهاتين المشكلتين ، يبرز عامل ايجابي وهو الاصرار العنيد على العودة وتحرير الارض ، وما يجسد هذا الاصرار من وعي وتسييس واسعين لدى الجماهير الفلسطينية وانطلاقها في ثورتها التحريرية. يمثل هذا العنصر الايجابي مقدرة على تحريك الجماهير وتطوير امكانياتها الذاتية والمادية غير المتجانسة . كان حتى الان هذا العنصر الايجابي شبه معطل وما يزال وذلك لفقر الوعي الى الثورة الشاملة المولدة لمزيد من المقدرة القتالية والصمود. بالرغم من تشتته، يحتفظ الشعب العربي الفلسطيني بوحدة تشده نحو الالتحام والتماسك . وجسد هذا الالتحام من خلال ثورته واجبار الرأي العام والامم المتحدة الاعتراف بوحدته وحقه بالعودة . فعلى كل تخطيط تربوي وضع هذه الحقيقة في مكانها السليم، اي جعل الواجب الاساسي تنشئة فرد فلسطيني واع لوطنه ولامته العربية وواع لواجباته تجاه مجتمعه في جميع ظروفه . وتجاوبا مع أمانيه واصراره على العودة ، يجب فسح المجال له للتخصص في جميع المجالات وعدم تقييد مستقبله المهني حسب دراسة سريعة لمتطلبات سوق العمل العربية .

كان حديثنا حتى الان عن التخطيط التربوي من خلال مناقشة آراء الوكالة ومقارنة بعضها مع مفهومنا لبعض أوجه التخطيط التربوي . وسننتقل في المقطع التالي الى الحديث بصورة مباشرة عن تصورنا لمجمل التخطيط التربوي المناسب لوضع الشعب العربي الفلسطيني ، متخطين وجود الوكالة ، متطلعين الى ما هو واجب تحقيقه . لا يعني ذلك تقفزا فوق الظروف والامكانيات الحالية ، بل تحديدا لتصور اولي لاهداف نابعة من الارادة الثورية النضالية . تدرس بعد المناقشة الجماعية وبلورة الاهداف السليمة الاولويات وطرق التطبيق. نلخص تصورنا لتخطيط تربوي خاص بالشعب العربي الفلسطيني بالنقاط التالية : ١ — تقوية ادراك الجيل الجديد لانتسابه الفلسطيني والعربي. ٢ — تربية الجيل الجديد على خدمة مجتمعه والشعور بواجب الدفاع عن هذا المجتمع وتحصيل حقوقه المشروعة . ٣ — غرس المسلك العلمي لدى الجيل الجديد : التفكير النقدي ، المقدرة على البحث والعمل الجماعي . ٤ — غرس أسلوب عمل لدى الجيل الجديد يساعد على تنظيم وبرمجة نشاطه . ٥ — تدريب الجيل الجديد خلال الدراسة على العمل كمجموعة يكون فيها الزميل سندا وليس منافسا . ٦ — غرس الانضباط الذاتي لدى الجيل الجديد ، واستيعاب النظام كمحرك للعمل ولكن في نفس الوقت تعويده على الديموقراطية ، اي تعويد الجيل الجديد الادراك ان فعالية المجتمع في انضباطه ولكن التأكيد ان منبع هذا الانضباط ثقة الفرد بنفسه وكفاءته ومقدرته على المشاركة في بلورة رأي المجموعة المتواجد فيها . ٧ — توفير حد ادنى من الثقافة العامة لدى الجيل الجديد ، تجعله يدرك الظواهر الاجتماعية والطبيعية المحيطة به ، مهيئة له هذه الثقافة مقدرة على كسب مزيد من المعرفة والتعمق خلال حياته العامة . ٨ — ربط العمل الفكري بالعمل اليدوي للتعلم من خلال العمل وازالة الفرقة بين الاتجاهين (لذا ممارسة الوكالة رائدة في هذا المضمار ، لكن سلبيتها في سعيها الى اخذ الشطر الثاني من الفائدة اي ازالة الفرقة بين الفكر والعمل اليدوي ، دون الاهتمام بالشطر الاول اي التعلم من خلال العمل). ٩ — توفير قاعدة من المعرفة التكنولوجية للجيل الجديد من خلال التعليم المهني تزوده بالحركية ، وعدم ربطه بتخصص محدود ، يعيق مستقبله .

التخلي بعض الشيء عن مبدأ التقيد بالطلب الآني ، بل النظر الى مجمل الوضع الانتاجي الحالي والمستقبلي في المنطقة العربية ، العاكس بصورة أسلم الوضع الانتاجي للمجتمع المستقر ، اي مجتمعه الفلسطيني العائد مستقبلا الى وطنه . وفي هذا المجال يجب النظر الى التعليم المهني كتوسيع لقدرة المجتمع العربي الفلسطيني في حربه التحررية .

هذا قسم من التصورات نسعى خلالها الى ابراز ملامح الانسان العربي الفلسطيني الجديد : المرتبط مصيريا بمجتمعه والمهيأ لاعطاء جميع امكانياته في اطار العمل الجماعي المنظم ، تبقى الافكار غيبيات طالما ينظر اليها كاقتراح حل يلاقي الاستحسان او الرفض ، وليس كنقاط عمل اولية تدرس بدقة معطياتها ونتائجها، يشترك في دراستها اختصاصيون ملتزمون ثوريا كما يشترك قسم من الكادر الثوري في مناقشتها .

تساهم ايضا مثل هذه الافكار في فتح حوار او مناقشة تغني معرفتنا لنظام الوكالة التعليمي وتأثيره على تنشئة الاجيال الجديدة . ومن جهة اخرى تفسح هذه الافكار المجال لتوضيح نظرتنا التربوية في نطاق التحول الثوري للمجتمع الفلسطيني المصر على خوض الحرب الشعبية بما تحتويه من تعبئة قصوى وصمود جبار .

نبيل ايوب بدران

---

١ — مراجعة قرار الجمعية العمومية رقم

٢ — U. N. Conciliation Commission for Palestine: Final Report of the U. N. Economic Survey Mission (Clapp Mission): For the Middle East. Part I, II AAC, 25/6.

٣ — U. N., UNRWA, Annual Report Covering the Period, 1 July 1951 to 30 June 1952 Seventh Session. No. 13 (A 12171) p. 1.

٤ — U. N. Annual Report of the Director of UNRWA Sixth Session Supl. No. 16 (A/1905), p. 30.

٥ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Seventh Session, Supl. No. 13 (2171), p. 13.

٦ — نفس المصدر ص ٣٦ .

٧ — UNRWA : Reviews, the UNRWA Education and Training Programme 1950-1962, No. 3, p. 4.

٨ — مراجعة نفس المصدر ص ١٢ .

٩ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Supl. 17 (A/2717).

١٠ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Tenth Session, Supl. 15 (A/2978), p. 7, 28.

١١ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Twelvth Session, Supl. (A/3212), p. 6.

١٢ — مراجعة نفس المصدر ، ص ٣٥ .

١٣ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Fourteenth Session, Supl. (A/4213). p. 5.

١٤ — مراجعة نفس المصدر ، ص ١٢ .

١٥ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, Fifteenth. Session, Supl. 14 (A/4478), p. 2-5.

١٦ — قررت الجمعية العمومية عام ١٩٦٢ استبدال اسم مدير الوكالة باسم المفوض العام.

١٧ — U. N. : Report of the Commissioner General of the UNRWA, Twentieth Session, Supl. 13 (A/6013).

١٨ — UNRWA : Department of Education : Progress Report on School Year 1966-67, p. 5-6.

١٩ — UNRWA : Department of Education, Proposed Programm and Budget for the School Year 1966-67, p. 11.

٢٠ — U. N. : Annual Report of the Director of UNRWA, 12 (A/2470). p. 20.

٢١ — UNRWA - UNESCO : Department of Education Statistical Year Book 1969-70, Table 24.

٢٢ — UNRWA : Department of Education, Progress Report on School Year 1966-67, p. 24.

٢٣ — مراجعة نفس المصدر ، ص ٢٧ .

(٢) تغيير المناهج المدرسية في الضفة الغربية للاردن بعد ١٩٦٧

بعد ان عقد الصلح بين النازيين الالمان والفرنسيين في ٢٢ حزيران ١٩٤٠ اعتقد النازيون انه بذلك أصبح النصف الشمالي من فرنسا جزءا من «النظام الجديد» الذي كانوا يستهدفون فرضه على أوروبا. فقامت سلطات الاحتلال النازي بعد ذلك بسلسلة اجراءات تناولت كثيرا من مرافق الحياة الفرنسية ، تستهدف دمج الفرنسيين بذلك « النظام الجديد » .
وكان التعليم أداة هامة اراد النازيون المحتلون استخدامها للوصول الى الجيل الفرنسي الطالع لتثبيت دعائم « نظامهم الجديد » في مستقبل فرنسا . وقد اتخذوا اجراءات شتى في مجال التعليم وربما كان من ابرزها تعديل المناهج المدرسية . فقد فرضت السلطات المحتلة رقابة على المناهج والكتب المدرسية ، ومنها كتب الدين ، بل راجعتها واضفت عليها تغييرات تتمشى وتعاليمها وقيمها النازية . ومثال على ذلك ان الكتب الجديدة قد وجهت بروح عالمية « أي لا قومية »(١).
وفي حزيران ١٩٦٧ وبعد ان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بالاستيلاء على الاراضي العربية في الضفة الغربية للاردن ، قامت باجراءات شتى في مختلف مجالات الحياة هناك هادفة بذلك الى دمج الاراضي المحتلة فيما يسمى « بدولة اسرائيل » . وفي مجال التعليم ، كان أبرز عمل قامت به هو تعديل المناهج والكتب المدرسية، بعد مراجعتها واضفاء التغييرات التي رأتها لازمة عليها ضمن خط اهدافها وسياستها الصهيونية .
وهنا تجدر الاشارة الى بعض المواثيق العالمية بخصوص التعليم في بلاد لا يحكمها اهلها سياسيا . ففي الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ورد في المادة ٢٦ منه وفي الفقرة الثالثة ، بهذا الصدد : ان « الوالدين لهما الحق الاول في اختيار نوع التعليم الذي يريدونه لاولادهم » . وكذلك جاء في قرار رقم (٧،٨١) للمؤتمر العام للاونسكو في جلسته التاسعة (١٩٥٦) والذي قضى باتخاذ الاجراءات اللازمة « للتأكد ان التعليم في كل مكان يحترم التقاليد القومية ، والدينية واللغوية للسكان . وان طبيعتها يجب الا تغير لاسباب سياسية » .

مقاومة تغيير المناهج

في أواخر تموز ١٩٦٧ اعلنت سلطات الاحتلال الاسرائيلية عن قرارها بالغاء المناهج والكتب المدرسية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم الاردنية والتى كانت تدرس في المدارس الاردنية الرسمية والاهلية والتابعة لوكالة الغوث ، بحجة ان هذه المناهج والكتب « تثبت ان الاطفال اللاجئين الذين يدرسون في المدارس كانوا يشربون الكراهية لاسرائيل »(٢). فهي « تعطي وصفا مشوها للاحداث التي أدت والتي تبعت قيام دولة اسرائيل تفضي الى اثارة الكراهية لاسرائيل في اذهان الطلاب الذين يستعملونها »(٣). وطبقا لهذا القرار وفي التاسع من آب ١٩٦٧ اصدرت سلطات الاحتلال امرا عسكريا يقضي بمنع استعمال (٧٨) كتابا مدرسيا في مدارس الضفة الغربية من اصل ١٢١ كتابا مقررا من وزارة التربية الاردنية .
تضامنت الهيئات التدريسية في الضفة الغربية في رفض هذه الاجراءات واعلنت الاضراب العام في المدارس حتى يتراجع العدو من قراره في تغيير المناهج . وقد دعت في بيان ، اصدرته باسم اتحاد معلمي الضفة الغربية ، في ٣٠ تموز ١٩٦٧ ، الى عدم التعاون مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية . كما دعت الطلاب الى مقاطعة المدارس اذا ما ادخل اي تغيير على مناهجها الدراسية السابقة . وقال البيان ان سلطات الاحتلال « تعمل جاهدة في هذه الايام من اجل انتظام الدراسة في مدارس الضفة الغربية لا لتحقيق مصلحة لاجيالنا الصاعدة وانما لتحقيق مكسب سياسي تستغله في المحافل الدولية

---

١ — Internationalism بالمفهوم النازي . Adolfo Meyer, *The Development of Education in the Twentieth Century*. (New York, 1951), p. 220.

٢ و ٣ — رسالة ميتشلمور المفوض العام لوكالة الغوث لرينيه ماهيو مدير عام الاونسكو ١٧/٧/١٩٦٧ .

بتكريس احتلالها واضفاء الصفة الشرعية عليه » . وذكر ان سلطات الاحتلال هذه « قد تلجأ الى الايهام بالابقاء على المناهج الدراسية الاردنية وذلك من اجل الاخذ بزمام الموقف ومن ثم فرض ما يحلو لها من مناهج » . واعلنت الهيئة في بيانها ان « الضفة الغربية جزء لا يتجزأ من الكيان الاردني والقدس هي القلب النابض في هذا الكيان وان وعي الشعب لن ينخدع بتلويح السلطات الاسرائيلية بعدم تغيير المناهج في الضفة الغربية مستثنية بذلك مدينة القدس ». وقال البيان : « ان ذهاب الطلاب الى المدارس على اساس تغيير المناهج الاردنية او العبث بها يعني ان ما سيتلقونه في هذه الفترة لن يكون للصالح الوطني او الاجتماعي او القومي ولهذا فانهم مدعوون الى مقاطعة المدارس على هذا الاساس وما سيفوتهم تحت ظل الاحتلال الموقت سيعوض لهم فيما بعد » . واضاف البيان : « ان التعاون مع سلطات الاحتلال يعني تكريس هذا الاحتلال وترسيخ جذوره على تراب وطننا الغالي وهو يعطي المحتلين مبررا لمواصلة احتلالهم »(٤).

وفي بداية العام الدراسي في ١٤ أيلول بقيت المدارس مقفلة ، اذ اضرب ستة آلاف مدرس و٥٠ الف طالب ، رغم تهديد السلطات الاسرائيلية باتخاذ اجراءات قاسية ضد الممتنعين عن العمل . وقد ادى ذلك بالسلطات للقيام باعتقالات بين المعلمين والمسؤولين عن التربية في الضفة الغربية . فكان بين من اعتقلت في ٥ ايلول ، مدير التربية والتعليم بمحافظة القدس ومساعده ومدير التربية والتعليم في لواء رام‌الله وغيرهم ، كما اعتقلت عددا من رجال التعليم في محافظة نابلس في اليوم التالي . وعلى اثر ذلك اصدر المعلمون العرب في الضفة المحتلة بيانا باسم اتحاد معلمي الضفة الغربية دعوا فيه الى مواصلة الاضراب حتى ترجع السلطات عن قرارها بتغيير المناهج . وقال البيان ان من بين الكتب التي منعت اسرائيل تدريسها في المدارس العربية كتب اللغة العربية والدين الاسلامي . « وانها تهدف من وراء ذلك الى طمس معالم الدين واللغة » . وتابعت السلطات اجراءاتها ، فقامت باعتقالات اخرى بين المعلمين والطلاب ومدراء التربية . كما حكمت على بعضهم بالسجن مدة ثلاثة شهور بتهمة اثارة اضرابات ضد فتح المدارس في الضفة الغربية المحتلة . وجابهت السلطات المحتلة هذا الاضراب بأساليب عنف أخرى بالاضافة الى الاعتقالات . ففي القدس ، اخذت تعلن عن فتح المدارس واحدة بعد الاخرى مستخدمة القوة — كما وجهت انذارات شخصية لكل معلم . وحين لم يستجب لها أحد ، عينت معلمين من طلاب الصفوف الاعدادية ، وحظرت الاجتماعات والتجمعات لقطع الصلة بين العاملين في التدريس .

وحين ظهر للسلطات ان الوضع في تأزم مستمر ، اتجهت الى ناحية اخرى في الحياة في الضفة الغربية وهي الناحية الاقتصادية ، فقد منعت تسويق المنتجات في كثير من القرى تهديدا للسكان لعدم استجابتهم لانظمة السلطات. وفي نابلس ، في مطلع تشرين الاول ٦٧ ، وقبل موسم الزيت والزيتون الذي تعتمد عليه المنطقة بشكل رئيسي من الناحية الاقتصادية ، اصدر وزير الدفاع موشي ديان أمر دفاع يحظر فيه تصدير الزيت والزيتون الى الضفة الشرقية حتى تفتح المدارس في الضفة الغربية . واوضح ذلك في مقابلة مع رئيس بلدية نابلس ووجهائها . كما أعلن لهم : « أن اغلاق المدارس هيأ جميع افراد الشعب نفسيا وعاطفيا للمقاومة». وزاد على ذلك : « بأنه مستعد لابادة شعب بأكمله اذا تعرض أمن اسرائيل للخطر » .

لم يكن هناك تنظيم نقابي للمعلمين في الضفة الغربية ، لذا لم تكن هناك خبرة نقابية ولا قيادات منتخبة ولا سلطة للمندوبين عن المعلمين، او بالاحرى الذين اخذوا زمام المبادرة منهم ، والذين عقدوا الاجتماعات ، على بقية المعلمين . لذا تدخل الكثيرون من اصحاب وجهات النظر العديدة واصحاب المصالح المتباينة واصحاب السيطرة التقليدية على المجتمع في موضوع المناهج والتعليم. كما لعبت هناك عوامل أخرى في التأثير على الوضع ، منها اعطاء الحكومة الاسرائيلية راتبا آخر للمعلمين المداومين زيادة على راتب الحكومة الاردنية ، هذا غير العامل الاقتصادي الاخر العام عن تحديد تسويق المنتوجات ، وكذلك خوف بعض المعلمين من نزوح عائلات بأكملها الى الضفة الشرقية سعيا وراء تعليم ابنائها . وساد اتجاه نحو فتح المدارس بين كثير من المعلمين ووجهاء البلد وعقدوا اجتماعين بينهم في نابلس . الاول كان في منزل حكمت المصري ، والثاني في مدرسة النجاح . فشل الاجتماع الاول دون اتفاق وفي الاجتماع الثاني قررت الاكثرية تشكيل لجنة فنية من رجال التربية لابداء الرأي حول المناهج والكتب

٤ — جريدة **النهار** البيروتية ، ٦٧/٩/٢ .

العربية التي عدلها العدو . وكان العدو قد تراجع قليلا ، اذ امر باعادة طبع (٥٩) كتابا من الـ ٧٨ مع تعديلات تشمل حذف بعض العبارات والفصول التي لم تتلاءم وسياسته واهدافه .

وعين يوم ٦٧/١٠/١٦ موعدا للاجتماع . وقد حضر من الجانب الاسرائيلي داود مزراحي استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة العبرية ومندوب رئيس الوزراء في الضفة الغربية وقال في هذا الاجتماع بصورة صلفة ومتعجرفة انهم عدلوا الكتب وهي الان في المطابع وعلى العرب الاطلاع على النماذج دون ابداء الرأي ، كما رفض الجانب الاسرائيلي اي تدخل في شؤون القدس التعليمية ، حيث طبق المنهاج الاسرائيلي على اعتبار ان القدس قد ضمت الى اسرائيل نهائيا .

وكان الاجتماع الثاني في ٦٧/١٠/٢٣ ، وتحت ضغط شديد اضطرت اللجنة الى رفع التوصية التالية التي قضت بما معناه ، انه رغم الضرر الناجم عن التغييرات المستحدثة في المناهج والكتب المدرسية ، فان اللجنة ترى ان لا مانع من فتح المدارس بالشروط التالية : ١ ـ الافراج عن جميع المعتقلين من أسرة التربية والتعليم . ٢ ـ عدم الاستغناء عن خدمات اي موظف او معلم كان يعمل قبل ٦٧/٦/٥ . ٣ ـ عدم الطلب الى المعلمين والموظفين تعبئة استمارات عمل اسرائيلية او اي مقصد من شأنه ان يمس حقوقهم في الخدمة في الحكومة الاردنية . وخطورة هذه الاستمارات هي انها تطلب من العربي التخلي عن جنسيته العربية وتعامله «كمهاجر يهودي رجع الى بلاده». ٤ ـ ان يكون سير المدارس حسب الانظمة والقوانين الاردنية وان يتمتع مديرو التعليم بنفس صلاحياتهم الممنوحة لهم . وقد قبل الاسرائيليون بهذه الشروط وفتحت المدارس في ٦٧/١١/٤ .

ورغم افتتاح المدارس ، كانت هناك وجهة نظر أخرى بين المعلمين تعارض ذلك ، وقد انسحبت المجموعة التي تساند هذا الرأي من الاجتماع الثاني في مدرسة النجاح بنابلس ، احتجاجا على فتح المدارس ، اذ كان رأيهم ان الاضراب يؤدي الى تدعيم وتصعيد المقاومة واحراج العدو في الامم المتحدة حيث كانت القضية معروضة للمناقشة . وهؤلاء ايضا قاموا بتشكيل اتحاد للمعلمين اسموه « اتحاد المعلمين الاردنيين في الضفة الغربية » . وقد انتشر هذا التنظيم السري في مدارس الضفة الغربية واسهم بجهد واسع في دعم الحركة الوطنية وتصعيد المقاومة ضد الاحتلال فنظم الاضرابات ، ووزع المنشورات وقام بالمظاهرات . وقد تعرض نتيجة لذلك عدد كبير من المعلمين للاعتقال والاضطهاد ولا يزال حتى الان عدد كبير من المعلمين من اعضائه في معتقلات العدو . كما تعرضت اللجنة المركزية للاتحاد للاضطهاد والملاحقة والسجن ، وانتهى الامر بابعاد اغلب اعضائها .

اين يدرس المنهاج الاسرائيلي المعدل ؟

في الضفة الغربية من الاردن مدارس حكومية ومدارس اهلية ومدارس وكالة الغوث . وقد كانت هذه المدارس كلها تستعمل مناهج وزارة التربية والتعليم الاردنية ، الا في بعض المواد مثل الدين (في المدارس الطائفية) واللغة الاجنبية في أغلب المدارس الاهلية ، اذ يتقدم طلاب هذه المدارس جميعها للامتحانات الرسمية التي تتولاها وزارة التربية الاردنية ، مثل الاعدادية والتوجيهية . ومع فتح المدارس في الضفة الغربية في ٦٧/١١/٤ طبق المنهاج الجديد المعدل على جميع مدارس الضفة الغربية الاهلية والحكومية ، ما عدا مدينة القدس ، حيث سمح للمدارس الاهلية فقط بتطبيق هذا المنهاج او اختيار المنهاج الرسمي الذي طبق على المدارس الرسمية في القدس وهو المنهاج الذي أعدته وزارة المعارف والثقافة الاسرائيلية ليدرس في مدارسها العربية . فقد اعتبرت القدس جزءا من الدولة الصهيونية ، وكان هذا الاجراء ضمن سلسلة اجراءات تهدف الى دمج القدس نهائيا في الكيان الصهيوني .

وقد أتاح هذا الامر ، اي السماح للمدارس الاهلية في القدس باستعمال المناهج المطبقة في الضفة الغربية ، لعرب القدس تحويل قسم كبير من الطلاب والطالبات الى المدارس الاهلية تلك . وقد أدى هذا الى تخفيض عدد الطلاب في المدارس الحكومية والثانوية منها بشكل خاص . واكبر مثال على ذلك هو المدرسة الرشيدية (وهي مدرسة ثانوية للبنين في القدس) التي تضاءل عدد طلابها الى عشرات ، بعد ان كان عددهم عام ٦٧/١٩٦٦ ٦٨٧ طالبا . وقد ردت السلطات الاسرائيلية على هذا التصرف بإصدار قانون جديد اسمته (قانون الاشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩) نشر في مجلة القوانين الاسرائيلية عدد رقم ٥٦٤ تاريخ ٦٩/٧/١٧ . وقد بوشر بالعمل [illegible]

١٩٧٠/١/١٧(٥). والمهم في هذا القانون انه منع فتح مدرسة جديدة الا برخصة من مدير التربية والتعليم في وزارة التربية الاسرائيلية . وقد حدد القانون شروطا تفصيلية كثيرة لاقامة المدرسة ، تختص بالقائمين عليها والبرنامج الدراسي والادوات والمركز ، وسير العمل . كما اعطى المدير العام حقا باعطاء الرخصة حسب الشروط الموضوعة وكذلك بتعليق اعطاء رخصة « بشروط تنفذ سلفا » او اعطاء الرخصة بشروط تنفذ بعدها . كما اعطى المدير الحق في اعطاء رخصة محددة المدة الزمنية. وبهذا يصبح مدير التربية مشرفا اشرافا كاملا على المدارس الخاصة الجديدة مع صلاحية اقفالها متى يشاء وحسب القانون .

ولمساعدة المدارس الاهلية هذه على استيعاب الطلاب الجدد ، تعطي وزارة التربية الاردنية مساعدات لهذه المدارس تتراوح بين ٧٥٠ — ٣٠٠٠ دينار اردني سنويا، كما اعطت رخصا لفتح مدارس جديدة . اما مدارس وكالة الغوث فقد اوقفت استعمال الكتب التي منعتها السلطات الاسرائيلية. وبحجة عدم اضاعة السنة على الطلاب طبعت « مذكرات تعليمية » للمعلمين واستعملتها في مدارسها في الضفة الغربية ، بديلا عن تلك الكتب، بما فيها مذكرات في العلوم والرياضيات . ومن الجدير بالذكر ان هذه المذكرات لم تعط اية هوية، فعليها فقط شعار الوكالة وعبارة «الضفة الغربية» دون الاشارة الى كونها جزءا في دولة تعترف بسيادتها دول العالم والامم المتحدة . كما ان وزارة التربية الاردنية تعترض عليها لكون مادتها قد جاءت دون هوية ايضا . « فلا ارتباط بين المادة في الكتاب وبين بيئة الطالب وهو ما يعتبر عيبا تربويا خطيرا خاصة حين يحدث ذلك في كتب التاريخ والجغرافيا والدين . وكذلك تجاهلت كل ما له صلة بالقضية الفلسطينية »(٦). وفوق ذلك فقد طبعت المذكرات ووزعت دون علم الحكومة الاردنية .

رفعت الوكالة هذه القضية الى الاونسكو باعتبارها الشريك الثاني للوكالة في الاشراف على مدارسها.

٥ — روحي الخطيب ، تهويد القدس ، (امانة القدس ، اذار ١٩٧٠) ص ١٧ .

٦ — مذكرة وزارة التربية الاردنية حول ما اصاب التعليم واهدافه من اضرار قومية وتربوية واجتماعية في الضفة الغربية من الاردن ص ٦ و ٧ .

وفي ٦٨/١١/٤ وبموافقة الدول المعنية ، ما عدا سوريا ، عين المدير العام للاونسكو « لجنة خبراء خارجيين » لفحص الكتب المدرسية المستعملة في مدارس الوكالة في الاردن والجمهورية العربية المتحدة ولبنان . وذلك وفقا للاسس والمبادىء التي تضمنها قرار المجلس التنفيذي للاونسكو رقم ٦،٨ في دورته السابعة والسبعين وهي : ١ — القاعدة الاخلاقية المقررة في دستور الاونسكو والمادة ٢٦ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان. ٢ — التعليمات الواردة في قرار ٧،٨١ الذي اتخذه المؤتمر العام لسنة ١٩٥٦ لاتخاذ الاجراءات « لضمان احترام التربية في كل مكان للتقاليد القومية والدينية واللغوية للسكان ، وعدم تغيير طبيعتها لاسباب سياسية ». ٣ — تمكين الطلاب من متابعة دراستهم في مراحل اعلى ضمن نظامهم التعليمي او نظام ذي خصائص ثقافية — وخاصة لغوية — مطابقة(٧).

وفي ٢٤ شباط ١٩٦٩ قدمت اللجنة تقريرها النهائي للمجلس التنفيذي للاونسكو في جلسته الثانية والثمانين . وقد تضمن التقرير تحفظات واعتراضات على الكتب العربية ، كما تضمن توصيات . وكانت اعتراضاته الاساسية ان الكتب لا سيما الجغرافيا والتاريخ والدين ، توجه نحو العنف (وقد اوردت امثالا على ذلك كلمات توحي بالعنف وهي ، « تحرير » ، « عودة » ، « تطهير » . وتتضمن تشريبا سياسيا ، وفيها عداء لشعوب اليهود ، ولدولة قائمة (اسرائيل) ، وتجاهل لكونها قائمة ومعترف بها دوليا) . وبناء على ذلك طلب المدير العام للاونسكو الغاء ١٨ كتابا ، تاريخ وجغرافيا ودين ، واعادة توزيع ٤١ كتابا ، لم تر اللجنة فيها ما يسترعي حذفها ، ولكن سلطات الاحتلال رفضت ذلك الطلب . وبقيت مدارس الوكالة تدرس من المذكرات التي طبعتها للمعلمين ولا يحمل الطلاب كتبا في اغلب المواد .

اما الاردن فقد اتخذ موقفا من قضية المذكرات وقبول الاونسكو لمنع تدريس الـ ٥٩ كتابا مدرسيا التي رفضتها سلطات الاحتلال . وقد عرض هذا الموقف ضمن المذكرة التي قدمها الوفد الاردني للدورة الخامسةعشرة للمؤتمر العام للاونسكو الذي عقد بين ١٠/١٥ — ٦٨/١١/٢٠ . ونورد هنا ذلك الجزء من المذكرة المتعلق بالموضوع :

٧ — مذكرة الوفد الاردني في الدورة الخامسة عشرة للمؤتمر العام للاونسكو ، ص ٥ .

«من المتوقع — وعلى الاقل من المأمول — انه مهما كانت لسلطات الاحتلال من دوافع سياسية ، ومهما بلغ الضغط الذي توجهه تلك السلطات ، فان الموقف والاجراء اللذين اتخذتهما الجمعية العمومية للامم المتحدة في توصيتها في ٤ و١٤ تموز ١٩٦٧ واتخذهما مجلس الامن في قراريه في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ و٢٢ ايار ١٩٦٨ بشأن المناطق المحتلة بما فيها القدس ، هما موقف واجراء حاسمان فيما يخص وضع تلك المناطق وموجهان في مجموعهما الى اسرائيل . ولكنهما بطبيعة الحال شاملان في انطباقهما على اليونسكو والوكالة فيما يخص نشاطهما التعليمي في تلك المناطق . وفي الوقت الذي يفرض فيه التزام سلطات الاحتلال بالتوصيتين والقرارين الانف ذكرهما (والقراران يبطلان قانونية احتلالها للضفة الغربية بما فيها القدس) وكذلك يفرض على تلك السلطات مراعاة التشاريع الدولية وخاصة المادتين ٢٦ و٣٠ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان والمادة (٣) من دستور اليونسكو ، فانه يتطلع الى سلطات التعليم في اليونسكو والوكالة (وهما هيئتان تنفيذيتان للامم المتحدة) لمنع سلطات الاحتلال تلك من اي تناول للمناهج والكتب من شأنه ان يعزل، عزلا تعليميا ، نحو ٧٠٪ من طلاب المدارس الاردنيين الذين اصبحوا لاجئين ونازحين ويقوض سيادة الاردن على مواطنيه وضمن حدود أراضيه. وحيث ان الوضع القانوني للمنطقة موضوع البحث لم يتغير ، فان وقوعها الحالي تحت الاحتلال لا يجوز ان يحرم الجيل الشاب من ابنائها من مواصلة تلقي نفس التعليم الذي كان يتمتع به من قبل ، وحيث ان نظام التعليم الذي تتولاه اليونسكو والوكالة لم يسبق ان تعرض لاي نزاع مع السلطات الاردنية فيما يخص المناهج والكتب ، فان لسائل ان يسأل ، لم يثار هذا الموضوع اطلاقا ؟ وما دام العمل العسكري الذي انتج وضع الاحتلال هذا قد شجبته الامم المتحدة نفسها وأمرت بالانسحاب فلم تقبل وكالة تابعة لها — ولم تغض طرفها — عن اجراء يحرم احد قطاعات الطلاب من التعليم الذي تتلقاه قطاعات اخرى منهم في المنطقة نفسها ، وضد رغبة الوالدين ، ويؤدي الى عزل بعض الطلاب عن الباقين منهم ، ويضع العقبات في سبيل مواصلتهم التعليم في مراحل اعلى ؟ ان التنمية الشاملة لشخصية الطالب تشمل اعداده للعضوية الفعالة في مجتمعه والمجتمع في هذه الحالة مصمم على صيانة وجوده وبناء حياة قومية سليمة تقدمية على اسس الحرية والكرامة والعدل ، وهذه هي الوسيلة التي تضمن تحقيق سلام دائم للعالم .

والاردن موقن ان محتوى كتبه لا يخرج عن اطار المستويات الاخلاقية المعترف بها دوليا . فالعرب أنفسهم شعب سام ، والاسلام دين تسامح يعترف ويحترم غيره من الاديان بما فيها اليهودية . ولذلك لا يكن احد الكراهية لليهود او لدينهم بهذه الصفة، بل انهم في الواقع قد تمتعوا بحماية تتصف بالشهامة في ظل الحكم العربي الاسلامي . لكن العرب لا يستطيعون التسامح او الرضوخ امام الصهيونية الباغية التوسعية الرامية الى اجتياحهم واجتثاثهم. والرضوخ للعدوان يستزيد العدوان ويولد الكراهية في نفوس ضحاياه ، ومن ثم تنشأ الحرب .

ويبدو ان التغيير الذي اجري في الكتب الاردنية قد استهدف جعل الذين يتلقون التعليم على هذه الصورة جيلا مذعورا خانعا مصيره انقطاع الصلة بماضيه الحافز وحاضره المتحدي، والحرمان من الطموح المشروع في مستقبل زاهر . فاذا كان من الضروري فحص بعض العبارات التي حامت حولها بعض الشبهات في محتوى هذه الكتب ، كان من اليسير ايراد عبارات نظيرة لها في الكتب الاسرائيلية . لكنه يبدو انه ليس ثمة من مبرر لهذه الكثرة من حالات الحذف والابدال والتمويه في العبارات الواردة في الكتب الاردنية التي اعادت السلطات الاسرائيلية طبعها وفي الكتب الاسرائيلية التي فرضتها على الطلاب العرب في القدس ...

وفي ضوء هذا يرى الاردن وجوب السير على مناهجه وكتبه في جميع المدارس في الضفة الغربية بما فيها القدس وفي الضفة الشرقية . ويأمل الاردن كذلك ان تقدم اليونسكو والوكالة معونتهما باداء دورهما القانوني والتربوي والانساني لتحقيق هذه الغاية.»

لمحة عن التغييرات في الكتب

عندما منعت السلطات المحتلة تدريس بعض الكتب في مدارس الاراضي المحتلة ، ادعت ان اعتراضها كان على ما تبثه هذه الكتب في اذهان الطلاب العرب من كراهية لاسرائيل. ولكن نظرة على الكتب الـ ٥٩ التي اعادت السلطات طباعتها مع التغييرات التي اضفتها عليها ، تظهر ان ما حذف انما هو ما ليس من مصلحة اسرائيل ان يعرفه الطالب العربي عن وضعه وتاريخه ومستقبله. وان ما حذف او استبدل هو عبارة عن حقائق وقيم تسير باتجاهات واضحة عن الوضعين العربي واليهودي ويمكن حصرها في

اربعة اتجاهات او محاور رئيسية ، نجدها هنا من خلال امثلة من الكتب لا سيما كتب الاجتماعيات والتربية الدينية واللغة والادب العربي ، اذ لا يمكن ايراد كل ما حذف لكثرته . وهذه المحاور الرئيسية هي (١) الوحدة العربية (٢) اطماع الاستعمار في الوطن العربي ومقاومته (٣) تقدم المجتمع العربي والتوجيه نحو الاخلاق الحميدة (٤) الصهيونية ودولتها . وربما كانت هذه المحاور متداخلة ، بمعنى ان هناك امثلة ممكن ايرادها مع محورين او اكثر ، وذلك لان المواضيع او المحاور نفسها متداخلة ، فقضية الوحدة العربية مقرونة دوما بالتحرير والاستعمار والصهيونية ، فهي تشكل مجتمعة منطلق الثورة العربية .

المحور الاول : الوحدة العربية : المحور الاول او ربما الموضوع الاول الذي تم حذفه هو موضوع الوحدة العربية ، في مجالات شتى من حيث ايراد الحقائق وابراز القيم ، الصريحة منها والمبطنة . فمن حيث الحديث عن الوحدة العربية بشكل صريح، عن ضرورتها واهميتها وحتميتها بالنسبة للاقطار العربية تم حذفه من جميع الكتب . فمثلا حذف من :

أ. كتاب **الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثاني الثانوي : ١ — الفقرات التي تبحث في ضرورة واهمية الوحدة العربية والمصالح المشتركة والمصير المشترك ، ص ٨ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٢ . ٢ — الفقرة التالية : « من هذا كله ندرك انه حتى التضاريس الطبيعية توحي بالوحدة الى ابناء هذا الوطن لان الوضع السياسي القائم الان مصطنع ومن بقايا الاستعمار الاجنبي فالوحدة العربية اذن قائمة ان عاجلا ام آجلا » . ص ١٢ .

ب. كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** ، للصف الرابع الابتدائي : ١ — هذه الفقرة من المقدمة تتعلق بأهداف التربية الاجتماعية « ١ — تنمية الايمان في نفس الطالب بوحدة الامة العربية ومستقبلها ووحدة الوطن العربي وتكامله والحرص على استرجاع القسم المغتصب من فلسطين والاجزاء السليبة في الوطن العربي » .

ج. **كتاب الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثالث الثانوي : ١ — الفقرة هـ من ص ٧٧ وتشمل ٣٣ سطرا عن اثر الوحدة الاقتصادية العربية على اسرائيل .

د. **كتاب جغرافيا آسيا العربية** ، للصف الخامس الابتدائي : ١ — اربعة اسطر عن محاولات تحرير البلاد العربية من الاجانب لتحقيق وحدة عربية قوية . ص ٢٩ .

هـ. كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** ، للصف السادس الابتدائي : الفقرات المتعلقة بالوحدة العربية ص ٣ — ٤ ، والتمرين ، هل كانت الوحدة العربية ناجحة ، لماذا ؟ ص ٦٠ ، وكلمة عربية من عنوان فصل عن الاستعمار الاوروبي في افريقيا العربية ، وموضوع موقف الحسين بن علي من فلسطين والوحدة العربية والوضع الثقافي والاقتصادي والصحي والاجتماعي ، ص ١٢٦ .

و. كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحديثة** للثاني الاعدادي : المناقشات رقم ٤ و٥ ص ١٤٤ ، عن تطبيق ما فعله كافور وغاريبلدي للوحدة الايطالية على العالم العربي وان الوحدة العربية هي الطريق لتحرير فلسطين .

ز. كما حذفت من جميع الكتب كلمة الوطن العربي واستبدلت بكلمة « البلاد العربية » . وعند الكلام عن مقومات الوحدة حذفت جملة تتعلق باللغة العربية من كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي ، « ان الناس في البلاد العربية ومنها فلسطين يتكلمون اللغة العربية » .ص ١ .

كما حذف من كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** للصف السادس الابتدائي ، تمرين عن العملة المستعملة في البلاد العربية . ص ١٩٢ — ١٩٣ .

وغير حذف ما ورد بشكل صريح عن الوحدة العربية: فقد حذف كل ما يحث على وحدة الصف في مجالات شتى بشكل عام فقط ، دون ذكر العرب والعروبة فقط. فقد حذفت من كتب الدين جميع الآيات التي تتحدث عن وحدة الصف . ومن كتب القواعد حذفت الجمل التي تشير الى الموضوع ، فقد حذفت من كتاب **القواعد الوافية للصف الثالث الاعدادي :** « اتنازعا بينكم والعدو متربص بكم » ، ص ١٧ .

وفي كتاب **القواعد العربية للصف الاول الاعدادي :** استبدلت جملة «يخيف اعداءنا ان نتفق» بـ « يسر اباءنا ان ننجح » ، ص ٦٨ . واستبدلت جملة « لنكن صفا واحدا في محاربة العدو » بـ « لنكن اخوة في هذه المدرسة » ، ص ٤٣ .

وهناك مجال اخر يظهر فيه التضامن العربي والمصالح المشتركة وحذف هو في معاداته ووقفته الواحدة ضد القوى الاستعمارية . فقد حذفت من كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** للصف السادس الابتدائي ما يلي : الفقرة التي تتكلم عن التضامن العربي في الثورة العربية الكبرى والتي تبدأ في « وكانت النشوة والحماسة تعم وجه كل

عربي وكانت المدن والقرى تعلن انضمامها للثورة..» والفقرات المتعلقة بالقرارات الجماعية في مؤتمر سوريا ١٩١٩ عن الرفض العربي لاتفاقية سايكس بيكو ، ص ١٠٥ . والفقـرات المتعلقة بالرفض العربي لتقسيم فلسطين ١٩٤٧ حتى احداث الاردن ١٩٥١ ص ١٢٤ — ١٢٥ . والفقرات عن مشاركة الجيوش العربية في معركة فلسطـين ، الجيش العراقي ، ص ١٣٦ — ١٣٩ ، السعودي ، ص ١٤٢ ، المصري ، ص ١٥٣ .

وفي مجال وحدة الصف العربـي ايضا حذفت السلطات من الكتب مظاهر التعاون بين المسلمين والمسيحيين العـرب ، من كتاب **الوطن العربـي** (جغرافيا) للصف الثالث الثانوي ، التوجيهي — العلمي ، وكذلك من كتاب **الوطن العربي** (جغرافيا) للصف الثاني الثانوي .

المحور الثاني : الاستعمـار في الوطـن العربي ومقاومته: المحور الثاني من سلسلة التغييرات هذه التي ادخلتها السلطات على الكتب هو محـور اطماع الاستعمار في الوطن العربي ومقاومته ، وذلك عن طريق حذف الوقائع التاريخية التي تتعلق باحتلال الاستعمار لبعض الاقطار والاراضي العربية وثورتها عليه ، وكذلك مـن خلال حذف مشاهد لبطولات عربيـة تعطي مثـالا حيـا للمقـاومة ، عن طريق حذف اية فقرة او جملة او فكرة يظهر فيها حب الوطن والحث على مقاومـة اعـدائه وقتالهم ، اما من ناحية قومية او دينية (الجهاد) . فمن حيث الاحداث التاريخية، حذفت الجمل المتعلقة بالاحتلال الاستعماري ومقاومته في الوطن العربي منذ ان دخلته القوى الاستعمارية القديمة والحديثة. فقد حذفت مقاومة العرب للصليبيين ودفاع صلاح الدين عن فلسطين ، مـن كتاب **تاريخ العـرب والمسلمين** للصف الخامس الابتدائي ص ٦٦ ، ٨٣ . كما حذف ما يتعلق بالاستعمار القـديم والجديد ومقاومته من **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** ، للصف السادس الابتدائي ، وذلك في ما يلي : فقرات من المقدمة المتعلقة بالاستعمار القديم للبلاد العربية واستقلالهـم ص ب وت . والفقـرات المتعلقـة بسقـوط البـلاد العربيـة بيـد القوى الاستعماريـة والسؤال المتعلـق بهـا ص ٣ — ٣٠ . والصفحة الكاملة المتعلقة باحتلال نابليون لمصر ومقاومة العرب هناك له ص ٣٦ . و٦ اسطر ص ٦٢ ، التي تشير الى الاستعمار واسرائيل والتحرر العربي . والاستعمار الفرنسي للجزائر وثورته ص ٦٤ و١٧٣ — ١٧٦ والاسئلة المتعلقة بها ص ١٨١ (ولمحو أي اثر لمثال الجزائر في ذهن الطالب ، حذفت كلمة (جزائري) من كتاب **القواعد الوافية** للثاني الاعدادي وذلك في تمرين لصياغة الجمع ص ١٧ واستبدلت بكلمة ديني) . وسياسة الاستعمارين الفرنسي والاسباني في مراكش ص ٦٨ وثورة المغـرب ص ١٦٧ . والاحتـلال الاوروبي لمصر والسودان ص ٦٨ والخرائط المتعلقة به ص ١٦٣ وكذلك ثوراتهم الهامـة ، وتاريخ استقلالهم . واستقلال الشعب العربي في ليبيا ص ٧٥ . والشعر عن الانتفاضة العربيـة ضـد الاتراك ، ص ٨٣ . والفقرات المتعلقة بالشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا في ٦ و١٦ ايار ١٩١٦ واقوالهـم قبـل الاعدام ٩١ — ٩٣ . والفقرات المتعلقة باستقبال المدن العربية في سوريا للملك فيصل ص ٩٨ . والفقرة عن الرفض العربي لاتفاقية سايكس بيكو ص ١٠٥ . والفقرة المتعلقة بخطط الامير عبدالله لتحرير البلاد العربية ، ص ١١٠ . والفقرات المتعلقة بالكفاح المسلح للشعب العربي في سوريا ضد الاتراك ثم الفرنسيين ، ص ١١٤ — ١١٦ . والفقرة التي تشير الى اقامة الامير عبدالله لجيش قوي واعمالـه اللاحقة ص ١٢٣ . وما يتعلق بمعركة السويس ، ص ١٦٢ . وثورة الجنوب العربي ضد الانكليز ص ١٨٨ — ١٨٩ والاسئلة ٨ و٩ المتعلقة بها ص ١٩١ . وحذف من كتاب **جغرافيا افريقيا العربية** للصف السـادس الابتدائي الاسطر الثلاثة المتعلقة بصمود بورسعيد أمام الغزو الثلاثي لمصر عام ١٩٥٦ ص ٢٢ . وحذف من كتاب **تاريخ اوروبـا في العصـور الوسطى والحديثة** للصف الثاني الاعدادي الفصل الثالث بكامله عن « الاستعمار الاوروبي في الوطن العربي » ص ١٩٠ — ١٩٥ .

اما من حيث البطولات العربية ، فقد حذفت الصور الحية لابطال عرب بأسمائهم وكذلك قصص بطولات ليس لها اي وجـود تاريخي . فقـد حذفت ، كما مر، بطولات صلاح‌الدين الايوبي ضد الصليبيين. وكذلك الجمل المتعلقة به في كتب الادب واللغة ، فمن كتاب **مبادىء البلاغة** للثاني الثانوي الادبي استبدل السؤال « أين يقع قبر صلاح الدين » ص ٤٤ بـ « اين يقع البحر الابيض المتوسط » ص ٣٩ . وحذف من كتاب **القواعد الوافية** ، للصف الثاني الاعدادي ، الجملة من تمرين ٨ ص ٤٠ « نعم المنقذ صلاح‌الدين » ، واستبدلت بـ « نعم

الصديق اخوك » .
كما حذفت قصص او اشارات لابطال آخرين ، فمن كتاب **عروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي حذف الفصل بعنوان « ميسون » ، عن بطلة عربية في دمشق ايام الصليبيين ص ١٥٤ . ومن كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي حذف سؤال رقم ٩ ص ١١٤ وهو « هل تعرف بين العرب والمسلمين ابطالا من هذا النوع ؟ » وذلك اشارة الى مصعب بن عمير في معركة بدر . وحذف من الكتاب نفسه الفصل عن موسى بن ابي غسان ، البطل العربي الذي عاش في الاندلس خلال فترة الاحتلال العربي لها ، والاسئلة والتمارين المتعلقة به ، ص ١٣٠ — ١٣٣ . وحذف من كتاب **النصوص المختارة** ، للصف الاول الاعدادي قصيدة عمر ابو ريشة « نخوة المعتصم » . ومن كتاب **الادب الاعدادي** للصف الاول الاعدادي حذف القسم المقتطف من خطبة العالم الفلسطيني اسعاف النشاشيبي المتعلقة بالبطل العربي ابراهيم هنانو ص ٦٩ — ٧٠ . وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي استبدلت الجملة « كلا الاخوين استمرا بالقتال كالابطال » بـ « كلا الاخوين كانا منتبهين في المدرسة » . وحذف من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي « فصل عن بطل ، طفولته ، شبابه ، اعماله في السلم والحرب ، مدلل على شجاعته وصفاته الحميدة وواجب الامة تجاه ابطالها » ، ص ٤٣ .

هذا من حيث النضال التاريخي ضد الاستعمار في الوطن العربي ومن حيث البطولات العربية التي برزت في مراحل نضال مختلفة . اما من حيث القيم والافكار التي تظهر انها حث على الثورة فقد حذفت الجمل والفقرات المتعلقة بها في كتب الاجتماعيات واللغة والادب العربي والتربية الدينية . ويمكن تقسيمها هنا الى اربعة مواضيع : ١ — حب الوطن ، والحنين اليه ، والتصميم على استرجاعه . ٢ — الاستشهاد في سبيل الوطن . ٣ — ضعف الاعداء ، او الانتصار عليهم . ٤ — الجهاد .

وحذفت من كتب اللغة والادب الجمل وبيوت الشعر المتعلقة بالموضوع الاول وهذه بعض الامثلة : من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** ، للصف الاول الاعدادي حذف بيت شعر لاحمد شوقي ، وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي ، ص ٨٩ ، وقصيدة ابي سلمى « التربة السمراء » ، ٩٣ — ٩٥ ، والفصل الخامس والعشرون ، بعنوان « الشعر والوطن » ص ١٠٠ — ١٠٢ ويتضمن ثلاث قصائد مع تفسيراتها وتمارين عليها ، هي : ١ — كم من دماء لاحمد شوقي ، ٢ — لو مثلوا لي وطني لخيرالدين الزركلي ، ٣ — ولي وطن لابن الرومي . كما حذف من الكتاب نفسه موضوع انشاء «نفسي كما اريدها . معتمدا على العناصر التالية ، اريدها ان تكون حرة مثقفة ، جريئة عفة ، صادقة تقول الحق ولو عليها ، مؤمنة بالله واليوم الاخر ، متفانية في حب مليكها ووطنها وامتها ، معتزة بتاريخها وماضيها واثقة بحاضرها مطمئنة الى مستقبلها . » ص ٣٥ . وحذف من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف السادس الابتدائي الدرس ١٣ ص ٣٨ بعنوان « غدا سنعود » . وفي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي : استبدلت الجملة « حافظ على وطنك فان من لا وطن له لا كرامة له» ، بـ «حافظ على صحتك فان من لا صحة له لا عقل له » ، ص ١٨ . وحذف بيت الشعر ص ٥ « يا منزلي سلمى سلام عليكما هل الازمن اللاتي مضين رواجع» وقول ابي نواس ، ص ٦٨ «الى الله نشكو اننا بمنازل تحكم في آسادهن كلاب» وقول ابن الرومي ، ص ١٨ ، « ولي وطن آليت ألا ابيعه والا أرى غيري له الدهر مالكا » . وقول الشاعر ، ص ٦٩ ، « رحلوا فلست بسائل عن دارهم انا باخع نفسي على آثارهم » . واستبدل من كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي ما يلي : ص ١١٤ « الوطن المغتصب جزء مطعونة كرامته » بـ «الحقل الفسيح محروثةارضه».وص ١٠٦ استبدلت « الوطن تقطع اوصاله ويعتدى عليه » بـ « الصحراء تروى وتستغل ارضها » . وص ٢٦ استبدلت « نظرت الى الوطن السليب » بـ «نظرت الى القرية الجديدة » . وص ١٧ استبدلت « قسما بالوطن لنطهرن جوه من انفاس الاعداء » بـ «قسما بالله سأعالج المريض حتى يشفى » . وص ٢١ استبدلت « دافع اجدادنا عن البلاد دفاعا مجيدا » بـ « حافظ اجدادنا على القيم الخلقية وسنحافظ عليها كذلك » . واستبدلت من كتاب **القواعد الوافية** للصف الاول الاعدادي ما يلي : « سحقا لمن يخون وطنه » بـ « سحقا لمن يجحد النعمة » ص ٥٠ . واستبدلت « ان تخدم امتك واجب مقدس » بـ « ان تحترم آراء الغير احترام غيرك » ، ص ٦٨ ، واستبدلت « الوطنية ان تعمل لا أن تقول » بـ « العزم ان تعمل

لا ان تقول » ، ص ٦٨ . واستبدل من كتاب **النصوص المختارة** للصف الثاني الثانوي قول الشاعر « وغمغم وراحت يداه تعيثان ما بين نحر وخد فأهوت على الطفل تشتم فيه روائح فردوسها المفتقد » .

وحذفت كل اشارة للاستشهاد (وتمجيده) في سبيل الوطن ، من كتب الادب والقواعد . فقد حذفت من كتاب **الوافي في تاريخ الادب** ، للصف الثالث الثانوي ، ثلاث قصائد : قصيدة « فدائي » لابراهيم طوقان ، ص ١٤٤ . وقصيدة « الشهيد » لابراهيم طوقان ، ص ١٤٤ . وقصيدة « سأحمل روحي » لعبدالرحيم محمود ، ص ٥٩ — ٦١ . وحذفت من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي قصيدة « الشهيد » لابراهيم طوقان والاسئلة والتمارين المتعلقة بها ، ص ٧٧ — ٧٩ . وحذفت من كتاب **الادب الاعدادي** للصف الاول الاعدادي قصيدة « الفدائي » لابراهيم طوقان مع النبذة القصيرة عن حياته ص ٨٦ — ٨٩ . وفي كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي استبدلت « اولائك الشهداء هم المخلدون » بـ « اولائك المهندسون هم المبرزون » ، ص ٥١ . وحذفت من كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي قصيدتان « وللاوطان في دم كل حر يد سلفت ودين مستحق » ص ٦ ، و« شرف للموت ان نطعمه انفسا حرة تأبى الهوان » ص ١٧. واستبدلت من كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي الجملة « أقدم خالد على الموت فداء لوطنه ، ودفاعا عن حريته المقدسة » بـ « اسرع المهندس في انهاء القصر ارضاء لصديقه وخوفا من بداية موسم الامطار » . واستبدلت الجملة « سقط الجندي مضرجا بدمائه » بـ « تقدم الناجح الى المنصة فرحا » ، ص ٩٨ . واستبدلت الجملة « كم رجل قدم نفسه فداء لوطنه » بـ « كم رجل تسرع في كلامه فندم » ص ١٠٩ . واستبدلت الجملة « جرح الجندي صدره » بـ « نظف البيت فناؤه » .

والموضوع الثالث هنا هو الحث على القتال ، قتال الاعداء وحمل السلاح في سبيل الوطن . وهنا تكثر الامثلة عن الجيش والجنود . فكان الحذف من كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي : استبدلت الجملة « ابلينا في الجهاد بلاء وسوف نكافح اعظم كفاح » بـ « ابلينا في الجد احسن بلاء وسوف نثابر اعظم مثابرة » ص ٢١. واستبدلت « أسر بجيشنا » بـ « أسر بمعلمينا » ، ص ٢٦ .

واستبدلت « هاجم الحرس الوطني المتسللين » بـ « استتب السلام في بلادي » ص ١٦ . وفي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي : استبدل السؤال « اي ابطال الحرب أحب اليك ؟» ص ٤٥ بـ « اي اصدقائك أحب اليك ؟ » . واستبدلت « لا يركب الطائرة في الحرب الا الشجاع » بـ « لا يزرع القمح في الحقل الا الفلاح» و« لا يركب الشجاع الطائرة الا في الحرب » بـ « لا يزرع الفلاح القمح الا في الحقل » . واستبدلت «لا يركب الشجاع في الحرب الا الطائرة» بـ« لا يزرع الفلاح في الحقل الا القمح » . وحذفت و« امتطى نسور الجو رعاهم الله طياراتهم لقصف الاعداء » ص ٨٤ . واستبدلت « اذا قال القائد لجنوده » بـ « اذا قال المعلم لتلاميذه » ص ٢٨ . وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي: استبدلت « المجاهدون في سبيل الوطن مخلدون » بـ« المتمسكون بحبل الله فائزون»ص ٣٥.واستبدلت « فما يخلد ذكر الانسان في الحياة جهاده في الدفاع عن حرية وطنه واستقلاله ومسارعته الى اغاثة المنكوبين ومد يد الرحمة للمحتاجين » بـ « مما يخلد ذكر الانسان في الحياة مبادرته الى الذود عن حق اليتامى والمساكين ومسارعته الى اغاثة المنكوبين ومد يد الرحمة للمحتاجين ». واستبدلت: « هؤلاء الجنود هم الذين انقذوا الوطن » بـ«هؤلاء الاصنام هم الذين عبدهم العرب في جاهليتهم » ص ١١٣ . واستبدلت : « كافأ القائد الجنديين الشجاعين » بـ « كافأ المدير الطالبين المتفوقين». من كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف السادس الابتدائي : — حذفت ستة ابيات من الدرس الخامس والعشرين وهو بعنوان « وطنية امرأة » ، ص٧٣ . حذف الدرس الاربعون ص ١٢٣ بعنوان « مملكتنا الاردنية الفتية » والذي يبين مهمة المرأة بالحرب . وفي كتاب **مبادىء في الدين الاسلامي** للصف الاول الاعدادي : حذفت الفقرة ص ٥٠ عن الحروب المقدسة . حذف فصل كامل عن الحروب المقدسة في الاسلام ص ٩٤ — ٩٧ . وفي كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي : استبدلت جملة « جيشنا هو رمز فخرنا » بـ«علمنا هو رمز فخرنا» ص ١٣ واستبدلت جملة : انطلق الجنود الشجعان ليحاربوا الاعداء » بـ « اخذ الاطفال الابرياء يصفقون للفرسان في الملعب » ص ٣١ . واستبدلت جملة « الجنود يحاربون الاعداء » بـ « الحديقة

سياجها متين » ص ٢٩ . واستبدلت « كل جندي وسلاحه » بـ « كل صديق وصديقه » . وفي كتاب **المطالعة الجديدة في القراءة العربية** للصف الثالث الاعدادي : — حذف الفصل بعنوان « العرب في حروبهم » ص ١١٤ — ١١٧ وحذف موضوع اخر يتعلق بالقتال وهو دور المرأة في الكفاح والجهاد وذلك ص ٢٨ .

هنا يرد الموضوع الرابع والذي يرتبط بالمواضيع الاخرى ايضا وهو ذكر الانتصار او فشل وضعف الاعداء والذي بحد ذاته يثير في الطالب الحماس للقتال . كانت التغييرات في كتاب **القواعد الوافية** للصف الثالث الاعدادي : استبدلت « طغى الهول على الاعداء حقا واشتد بهم الذعر جدا » بـ « تقدم العلم في ايامنا تقدما كبيرا » ص ٢٧ . وحذفت « هزم العدو هزيمة منكرة » ص ١٨ وحذفت « لتلقون بالاعداء فاما انتقاما هم له اهل واما عنوا نحن له اهل » . وفي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي استبدلت « رجع المجاهد منتصرا » بـ « رجع المصطاف منتعشا ». وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الخامس الابتدائي استبدل ما يلي : استبدلت جملة « هزم العدو ». بـ « فتح الباب » ص ١٤ . واستبدلت « يمسي العدو ذليلا » بـ « يمسي الجو لطيفا » ، ص ١٩ . واستبدلت : « اضحى العدو منهزما » بـ « اضحى الضجيج قويا » ص ١٩ . واستبدلت « لعل الجيش منتصرا » بـ « لعل النصيحة نافعة » ص ٢٢ . واستبدلت « ايقنت ان العدو غدار » بـ « ايقنت ان الصديق مفيد » ص ٢٢ . واستبدلت « لن نسمح للعدو ان ينعم بخيراتنا » بـ « لن نكافىء الا المجتهد » ص ٤٧ . واستبدلت « قل عدد الناجين من الاعداء » بـ « قل عدد المتأخرين عن المدارس » ص ٦٤ . واستبدلت « ارتد العدو » بـ «وصل المسافرون » ص ٨٠ . واستبدلت « بات الجنود مستعدين للقاء العدو » بـ « بات الاباء ساهرين على سلامة ابنائهم » . وفي كتاب **القواعد العربية** للصف الاول الاعدادي استبدل ما يلي : « الا ان يوم النصر قريب » بـ « الا ان الله غفور رحيم » ص ٧٣ . واستبدلت « هزم العدو هزيمة منكرة » بـ « مثلت المسرحية تمثيلا رائعا » ص ٨٢ . واستبدلت « رجع الجنود منتصرين » بـ « رجع اللاعبون تعبين » . وفي كتاب **القواعد الوافية** للصف الثاني الاعدادي استبدلت جملة « كان جيشنا المنتصر » بـ « كان بيتنا المرتب » ص ٤٩ . واستبدلت « هزم العدو » بـ « دفع الدين » ص ٥٤ . واستبدلت « اطلق النار على العدو بـ « انقذ الطفل من الموت تحت عجلات السيارة » ص ٥٤ . واستبدلت « كأنما يساق جنود الاعداء الى الذبح » بـ « كأنما تسيل الفتنة مع النصر » ص ١٢١ . واستبدلت « ان العدو لغدار » بـ « ان الثعلب لغدار » ص ١٢١ . واستبدلت « اعلن ان العدو منهزم » بـ « اعلن ان المعلم حاضر » ص ١٢٦ .

أما الموضوع الاخير من هذا المحور وهو الحث على القتال من ناحية دينية اي الجهاد ، فقد حذف كل ما يتعلق به من جميع الكتب ، فقد حذفت الايات التي فيها حث على الجهاد . وهنا نورد مثلين من كتاب **التربية الدينية** للصف الثالث الثانوي والاخر **الدين الاسلامي** للصف الاول الاعدادي . فقد حذف من الكتاب الاول الايات من سورة الانفال ، التي تحث على الجهاد وتظهر مواقف العزة في الطريق الى النصر واسبابه ، من الاية ١ — ١٦ و ٤٥ — ٤٨ ، و٧٢ — ٧٥ ، وكذلك من سورة التوبة الآيات المتعلقة بقتال العدو ، من الآية ١ — ١٨ و٣٨ — ٤٢ . كما حذفت من الكتاب نفسه الاحاديث النبوية عن الجهاد وعن مشاركة المرأة ودورها في الجهاد . وفي الكتاب الثاني حذف الدرس السابع والعشرون بأكمله بعنوان : الجهاد في الاسلام . ص ٩٤ — ٩٧ . وكذلك الدرس الثالث والحادي عشر ، ص ١٤ — ١٧ و٤٦ . وحذف الشرح رقم ٣ من الدرس الحادي عشر وعنوانه « الجهاد في سبيل الله »، ونصه « اذا اقتضت مصلحة الدعوة الاسلامية القتال دفاعا عن ديار الاسلام او نصرا لدين الله او نصرة للضعفاء او غير ذلك فعلى المسلم ان يبادر للانخراط في سلك الجندية ليقوم بهذا الواجب المقدس » .

المحور الثالث — تقدم واصلاح المجتمع العربي :

المحور الثالث والخاص بالعرب هو تقدم المجتمع العربي والحث على اصلاحه وعلى الاخلاق الحسنة لا سيما في التربية الدينية . فقد حذفت ٤ آيات من كتب التربية الدينية تحث على الاخلاق الجيدة. فمثلا من كتاب **التربية الدينية** للصف الثالث الثانوي ، حذف من سورة التوبة من الاية ٤٣ — ٥٢ عن مطالبة المؤمن بالقيام بواجبه من غير تهرب او تخلف عن اخوانه. كما حذفت من السورة

نفسها من الايه ٥٨ — ٦٠ ، ٧٥ — ٧٩ ، ١٠٧ — ١١٠ والتي تظهر مواقف المنافقين المبنية على الخداع والجري وراء المصالح الذاتية . وكذلك حذفت احاديث الرسول عن مكارم الاخلاق ، من الاحاديث النبوية من الكتاب نفسه . كما حذف ما رواه ابو سعيد الخرزي عن الحث على انتقاء الخير ومصاحبة الاخيار واختيار الرفقة الصالحة. وكذلك ما روته عائشة زوجة النبي في الحث على جميع الاعمال الاخلاقية . كما حذفت جمل تدل على تقدم البلاد العربية . ففي كتاب **مبادىء البلاغة** للصف الثاني الثانوي (أدبي) ، حذف سؤال عن « عدد الجامعات في البلاد العربية » . ص ٥٠ .

المحور الرابع — الصهيونية واليهود ودولتهم :

أما المحور الرابع والاخير والذي ناله اكثر ما ناله من الحذف والذي حذف بكامله وحتى كل ما يمت اليه بصلة فهو موضوع الصهيونية واليهود ودولتهم . فالمحاور الثلاثة التي مرت مرتبطة بهذا المحور فهو المنطلق والاساس . فقد حذف كل ما يتعلق باليهود (العبرانيون) وتاريخهم وعلاقتهم مع العرب ، في التاريخ القديم والحديث. فمن كتاب **تاريخ الحضارات القديمة في الشرق والغرب** للصف الاول الاعدادي حذف موضوع « العبرانيون » ص ١٠٠ — ١٠٣ ويتضمن الفصول المتعلقة باحتلال اليهود لاقسام من فلسطين واقامة دولة يهودية عليها ، وكذلك الاسئلة المتعلقة بها ص ١٠٤ — ١٠٥ وهي رقم ٥ ، ٦ ، ١١ ، و١٢ . كما حذف العنوان « العبرانيون » من الفهرس ص (ب) . وحذف من كتاب **التاريخ العام ، حضارات العصور القديمة والوسطى ،** للصف الثاني الثانوي ادبي الفصل العاشر عن « الحضارة العبرانية » ، ص ٦٥ — ٧٤ . كما حذفت الايات من كتب التربية الدينية المتعلقة باخلاق اليهود وعلاقتهم مع النبي والاسلام . فمن كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي حذف ما يلي : حذفت جملة « كان اليهود في المدينة المنورة اكثر المرابين » ص ١٩ ، وحذفت «محاربة اليهود للمسلمين وكيدهم» ص ١٩، وحذفت«محاربة معركة الخندق». وحذفت «علاقةالنبي باليهود بينها خيانتهم للنبي واخراجهم من المدينة المنورة ومن خيبر » ص ٤٦ — ٤٧ . وحذفت المجلة « انتصر المسلمون على اليهود في المدينة » ص ٤٨ ، وحذفت الجملة « زمن النبي صارت الجزيرة العربية مسلمة وتخلصت من اليهود وبذلك صار العرب دولة قوية » ص ٥٢ . وحذف سؤال رقم ١١ من صفحة ٥٦ وهو « لماذا طهر النبي الحجاز من اليهود ؟ اذكر احد مراكزهم العامة التي استولى عليها النبي » . وحذف موضوع « عثمان وبئر رومة » ، حول بئر رومة الذي كان صاحبه يهودي تحكم في بيع مائها للمسلمين ، واشتراها منه الخليفة عثمان ص ٦٩ . ومعركة خيبر وعلاقة اليهود بعلي ، حذفت ص ١٠٢ — ١٠٤ . وحذفت الامثلة والتطبيقات عن الموضوع ، ص ١٠٦ . وحذف من كتاب **مبادىء في الدين الاسلامي** للصف السادس الابتدائي الدرس الكامل عن « غزوة الخندق » ، ص ٨٩ — ٩٥ . أما التاريخ الحديث فقد حذف كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومضاعفاتها والصراع العربي — اليهودي من فصول كاملة الى اشارات في جمل . ولكثرة الامثلة هنا نورد مثلا من كتاب واحد وهو كتاب **التاريخ العربي الحديث والمعاصر** للصف السادس الابتدائي حيث حذف فصل كامل من ص ١٩٤ — ٢٣٢ عن « القضية الفلسطينية » ، كما حذفت الاشارات والجمل المتعلقة بها في بقية الكتاب : ص ٣ الفقرات المتعلقة بالقضية وص ٤ الفقرة الاولى والثانية واسئلة ٣ و٤ ، وص ٣١ حذف السؤال رقم ٨ ونصه (كان على الوطن العربي اذن مواجهة اعداء جدد فهل هذا صحيح) . ص ١٠٠ — حذفت الفقرة تحت عنوان « وعد بلفور » من سطر ٣ حتى آخر الصفحة . ص ١٠٢ السؤال « ما هو التعهد الذي اعطاه الانكليز لليهود » . ص ١١٩ — الفقرات المتعلقة بالحرب العربية — الاسرائيلية عام ١٩٤٨ . ص ١٢٤ حذفت الصفحة مع قسم من ص ١٢٥ وهو كل ما يتعلق بالصراع العربي — اليهودي . وص ١٢٦ — حذفت الكلمات الاتية من الفقرة الاولى سطر ٥ « بتحرير فلسطين من الغزاة اليهود » ، وص ١٤٢ — الفقرة الاولى سطر ٥ حذفت كلمتا « حروب فلسطين » و ص١٥٣ — حذفت الفقرة الثانية المتعلقة « بمشكلة فلسطين » . وص ١٥٤ — حذفت الجملة « والعمل مع الدول العربية على تحرير فلسطين » .

وكذلك حذف كل ما يتعلق بالصهيونية وعلاقتها بالاستعمار من جميع الكتب ولذا حذف وعد بلفور ، من الكتاب السابق ، كما حذفت اتفاقية سايكس بيكو وجمل مثل « ادراك اخطار الاستعمار والصهيونية التي تهدد الوطن العربي

بجميع مظاهرها والاعداد لرد هذه الاخطار ومقاومتها بجميع الوسائل » ، وهو أحد اهداف التربية الاجتماعية من مقدمة كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي . وكذلك من كتاب **الوافي في تاريخ الادب** للثالث الثانوي حذف ما يلي : ص ١٦ ، « وقد تركزت فيها لذلك اطماع الصهيونية العالمية المتآمرة على تنفيذ خططها مع الدول الاستعمارية » ، و « فتمكنت الصهيونية من غزو البلاد في ظل الاستعمار » ص ١٧ . كما حذفت قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية واللاجئين . فمن كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى والحديثة** للصف الثاني الاعدادي حذفت التمارين ٥ ، ٦ ، ٧ المتعلقة بتقسيم فلسطين ، عام ١٩٤٧ ، قرارات الامم المتحدة منذ ١٩٤٨ التي تشير الى عودة اللاجئين الفلسطينيين ونشاطات وكالات الامم المتحدة المختلفة في الاردن . وكذلك المساندة العالمية للقضية مثل مؤتمر باندونغ الذي حذف من كتاب **تاريخ اوروبا في العصور الوسطى** للثاني الاعدادي، ص ١٨٦ .

وغير هذا حذف كل ما يظهر عدم وجود دولة اسرائيل العميق في جذور التاريخ او بالاحرى حذف ما يظهر وجوداً غير الوجود الاسرائيلي في فلسطين عبر التاريخ . فقد حذفت كلمة فلسطين من جميع الكتب واحيانا كانت تستعمل بدلا عنها كلمة «اسرائيل» . حتى في المراحل التاريخية التي لم يكن هناك وجود لاية دولة يهودية في تلك المنطقة . وحذف هذا من البحث وكذلك من جميع الخرائط . حيث وضعت «اسرائيل» مكان فلسطين، او حذفت الخريطة كلها اذا كانت لفلسطين ، مثل كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الخامس ابتدائي ص ٩٧ . وهنا يجب الاشارة الى انه في كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي حذفت من خريطة الوطن العربي كلمة « بلاد الشام » ووضع مكانها « اسرائيل » ص ٢ . الشيء نفسه عوملت به كلمة القدس ، فقد حذف كل حديث عنها كجزء من المملكة الاردنية الهاشمية . كما استبدلت بكلمة « اورشليم » التسمية العبريةِ لها ، حين ابقيت دون الاشارة الى اي بلد تنتمي . وكذلك كلمة الخليل استبدلت « بحبرون » .

ولازالة أي اثبات عن عروبة فلسطين ، وغير هذه التسميات ، حذفت اسماء واوصاف المدن والقرى الفلسطينية ، كليا ، ومن جميع الكتب ، من الشعر ، والقواعد حتى الجغرافيا والتاريخ . فمن الشعر مثلا ، حذف من كتاب **النصوص المختارة** للصف الثالث الثانوي قصيدة «يافا الجميلة»، ومن كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي حذفت قصيدة ابي سلمى « التربة السمراء » ص ٩٣ — ٩٥ اذ هي تذكر بمدن وقرى فلسطينية . ومن كتب الجغرافيا ، مثلا على ذلك نورد كتاب **جغرافيا آسيا العربية** للصف الخامس الابتدائي فقد حذف الفصل السابع الكامل عن الوطن المغتصب فلسطين ص ٨٠ — ٨٧ . وخريطة « فلسطين » ، ص ٥٧ . وحذفت الاشارة ص ٧٢ الى مطار القدس . والجملة المتعلقة بوجود مطاري اللد وحيفا في فلسطين المحتلة ، وكذلك الفقرات المتعلقة بالقدس كجزء من المملكة الاردنية . وحذفت المدن الفلسطينية عند الاشارة الى الطرق وسكك الحديد ، وهي طرق القدس ، الخليل ، غزة ، رفح ، يافا ، خطوط القدس — اللد — يافا ، حيفا — عكا ، حيفا — بيسان ص ٧٠ . وحذفت عبارة : « حيفا في فلسطين » ، سطر ٤ ، ص ٩٧ . ومن كتاب **المطالعة الجديدة في القراءة العربية** للصف الثاني الاعدادي ، حذف فصل عن السياحة في الاردن ، لذكر المدن العربية في الضفة الغربية كجزء من الاردن . وفي كتاب **القراءة الهاشمية** للصف الخامس الابتدائي، حذف درس كامل بعنوان « بلادنا جميلة » وهي تبحث في مناخ فلسطين والمدن والقرى فيها ، والرغبة في اعادتها ، ص ٢١ — ٢٢ .

اما تاريخيا فقد حذفت الاشارة الى احداث حصلت في مدن فلسطينية ، لا سيما القدس ، ومثال على ذلك قصة الاسراء والمعراج ، فقد حذف من الشرح رقم ٦ ص ١٣٥ من كتاب **الدين الاسلامي** للصف الثاني الاعدادي ، ونصه : « ان مجيء سيدنا محمد رسول الله الى فلسطين اكسبها شرفا وقدسية وجعل لها مكانة سامية في نفوس المسلمين في جميع اقطار الارض وهم يتذكرون ذلك كلما تلوا آية الاسراء في القرآن الكريم وكلما احتفلوا بهذه الذكرى السنوية ، ويحرصون على فلسطين أشد الحرص ويرون من واجبهم الديني المحافظة عليها واستعادة ما اغتصبه اليهود منها . وابقاء موطن الاسراء والمعراج بعيدا عن الاخطار » .

كما حذف ذكر وجود قبر الحسين بن علي في القدس، ص ١١١ من كتاب **التاريخ العربي الحديث**

والمعاصر » للصف الثالث الابتدائي .
اما الجزء الثالث من هذا المحور عن الصهيونية ودولتها والمتعلق بالحنين الى فلسطين وعودة اللاجئين اليها ، فقد مرت ضمن المحور الثاني امثلة عن حذف الحنين الى « الوطن المغتصب » ، و« الوطن السليب » . وقد حذف ايضا كل ما يشير الى عودة اللاجئين الى فلسطين ، استعادة فلسطين ، او العمل على استعادة فلسطين وذلك في القصائد والجمل اللغوية وكتب التاريخ والجغرافيا . فمن كتاب **النصوص المختارة** للصف الاول الاعدادي حذفت القصائد التالية : « الى فلسطين من وراء البحار » لنسيب عريضة و« جهاد فلسطين» لبشارة الخوري و« حنين لاجيء » لرفعت صليبي و« نخوة المعتصم » لعمر ابو ريشة . ومن كتاب **الروض في المطالعة والاستظهار** للصف الاول الاعدادي حذفت تمثيلية شعرية بعنوان « اللاجئون العائدون » ، ص ١٧٣ — ١٧٦ . وقصيدة ابي سلمى « التربة السمراء » ص ٩٣ — ٩٥ . ومن كتاب **المطالعة الجديدة في القراءة العربية** للصف الثالث الاعدادي حذف الفصل بعنوان « بيتي » قصة يرويها لاجيء فلسطيني ، ص ١٢٧ — ١٣٣ . ومن كتاب **بيارق البلاغة** للصف الثاني الثانوي حذفت ابيات الشعر ص ٧ « نحن نفديك يا بلاد فلسطين ... » واستبدلت جملة « يا يهودي ، فلسطين للعرب » بـ « يا كافر الجنة للمؤمنين » ص ١٩ . ومن كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الرابع الابتدائي حذفت جملة في معركة اليرموك : « ستبقى عربية اسلامية للابد باذن الله » ص ٦٨ . ومن كتاب **تاريخ العرب والمسلمين** للصف الخامس الابتدائي حذف سؤال رقم ٦ ص ٦٨ ، وهو « ما هي واجبات العرب والمسلمين لتحرير الوطن المغتصب فلسطين » .

خلاصة

ان هذه اللمحة الموجزة عن ما غيرته السلطات الصهيونية المحتلة في مناهج التعليم في الضفة الغربية تعطي فكرة عن مخاوف اسرائيل مما يعرفه او يؤمن به العربي من حقائق واهداف . تلك الحقائق والاهداف التي هي اساسية في التراث العربي داخل وخارج الاراضي المحتلة ، والتي لم تكن المناهج السابقة افضل تعبير عنها . فالوحدة العربية هي الخطر الاول على السلطات ، فهي اذا لم تستطع ان تفصم الطالب العربي عن العرب خارج الاراضي المحتلة فهي على الاقل تبعد عن ذهنه فكرة وحدتهم وبالتالي قدرتهم . والخطر الثاني والمرتبط بالاول هو ابعاد فكرة الاستعمار عن ذهن الطالب العربي ، حتى لا يربط بين الاستعمار والصهيونية من ناحية وحتى لا يرى حقيقة الاستعمار من ناحية اخرى . وبالتالي حتى لا يربط بين مقاومة الاستعمار ومقاومة الصهيونية من ناحية ولا يجد ضرورة وحتمية مقاومة الاستعمار من ناحية اخرى . ثم الخطر الثالث ، هو معرفة الصهيونية نفسها ، طبيعتها ، اطماعها في الوطن العربي وعلاقتها بشعبه واقتطاعها الجزء من وطنه ، فلسطين . وذلك حتى لا يرى الطالب حقه في هذا الجزء ليكون تمهيدا لانتمائه للدولة الصهيونية في المستقبل .
وربما كانت المناهج المدرسية التي طبقت على القدس والتي تدرس في الاراضي المحتلة الاولى في فلسطين ، اي ما احتل قبل عام ١٩٦٧ تعطي فكرة واضحة عن تلك السياسة التربوية التي تنفذها اسرائيل . اذ هي بكليتها من صنع السلطات . ونظرة خاطفة على هذه المناهج تؤكد ان التغيير الذي فرض على مناهج الضفة الغربية لا يمكن الا ان يكون خطوة اولى ، الخطوات التالية تحددها السلطات في الوقت الذي تراه مناسبا وذلك بهدف خلق المواطن العربي — الاسرائيلي المنتمي اليها والمنفصل عن تراثه العربي .

نجلاء نصير بشور

انطباعات موفد خاص الى الضفة الغربية وقطاع غزة

أوفدت « شؤون فلسطينية » الكاتبة ارليت تسيير الى الاراضي الفلسطينية التي احتلها العدو ١٩٦٧ ، وقد عادت بالانطباعات التالي ترجمتها :

ان تعليق رجل أعمال اسرائيلي لي على الوضع عامة يلخص تقييم الرجل العادي في اسرائيل للاوضاع بعد اربع سنوات من الاحتلال : «الوضع اليوم احسن مما كان في اي وقت مضى . لا اطلاق نار في جبهة السويس . وهدوء في الجبهة الاردنية. وسلطات الاردن تقوم بالنيابة عنا بقطع دابر الارهابيين. الحقيقة ان الحالة ممتازة » . واضاف « بالطبع اننا نتمنى لو نعقد مفاوضات للوصول الى تسوية نهائية ولاعادة ابنائنا الى منازلهم . ولكن ما دام العرب اختاروا العناد فأنه يسعدنا ان تبقى الامور على حالها الى أن يعود العرب الى رشدهم ... انظري حولك تري من هو المنتفع من هذا الوضع الغريب حيث لا سلام ولا حرب » .

وكنا نجلس في مقهى عربي في القدس ، بالقرب من باب الخليل ، مطلين على زقاق ضيق . الا ان اشارة اصبعه الى ما يريدني ان انظر اليه شملت كل التبديلات في القدس وضواحيها ، تلك التبديلات التي تدمغ استمرارية الوجود الاسرائيلي في المناطق المحتلة ١٩٦٧ . وسألني « ألم تشاهدي ما بنيناه في القدس ؟ ألم تلاحظي الفرق في الجو عن السابق — عن زياراتك السابقة في اربع السنوات الماضية ؟ لقد اصبح العرب اكثر هدوءا وتعاونا . لا ازعم انهم يحبوننا . لكننا اقمنا معهم جسرا وعقدنا صلة . لقد انتعشت الاعمال وتدفق السياح ونشطت التجارة . بل ان بعض العرب اخذ يتكلم بالعبرية . لقد تبين لهم انهم اذا كانوا عقلاء وحكيمين وعاشوا معنا بسلام وتعاملوا وتاجروا معنا اصبحنا نحن أيضا عقلاء معهم . والا فلماذا يوجد اليوم اكثر من ثلاثين الف عربي يعملون في اسرائيل في مصانعنا ومبانينا ويكسبون ضعف ما كانوا يكسبون قبل الحرب ؟ » ..

وقال مدير احد اكبر فنادق القدس العربية ، وهو فلسطيني « ان الموسم السياحي هذا العام أفضل موسم منذ الحرب . صحيح ان معظم نزلاء فندقنا هم من الذين زادوا عن الفنادق اليهودية وليسوا من زبائن الفندق المعهودين ، لكننا يجب الا نتذمر. فقبل سنتين لم يكن عندنا نزلاء قط . اما الان فقد عاد نصف العمل السابق على الاقل » .

وتحولت المكتبة التي كنت دائما اتعامل معها الى دكان قرطاسيات . وقال صاحبها « لقد استسلمت للواقع . لم يعد للكتب اي سوق . فأين هو العربي الذي معه مال كاف لشراء الكتب في هذه الايام ؟ ولما أصبحت مخيرا بين ان اتاجر مع الاسرائيليين او أن يجوع ابنائي او نهاجر لم يصعب علي اختيار الامكانية الاولى » . ومع انه في الواقع تمنع طويلا لم يجد اخيرا بدا من قبول عرض تاجر اسرائيلي في تل ابيب بالتعاون في بيع القرطاسيات . وقال لي مخلصا « لقد كنت آمل ، وكان الجميع يأملون ، ان يتبدل الوضع. الا اننا الان نرى ان الحالة قد تستمر على ما هي عليه عدة سنوات . وعلينا ان نعيش . علينا ان نبقى في القدس » .

لقد أصبحت القدس العربية ، في ظاهرها ، مدينة يهودية . فبعد مرحلة تردد خلال نشاط العمليات الفدائية ، اخذ الاسرائيليون مؤخرا ينجزون احتلالهم الثاني للمدينة المقدسة — وهو احتلال سلاحه الحفارات وادوات البناء وشعاره بناء الجسور بين الحاكم والمحكوم . كما تسير عملية

الاستيطان بخطى سريعة . وبينما كان اليهود قبل سنتين يأتون من الجانب الاخر من المدينة للتبضع السريع او للسياحة او للصلاة امام حائط المبكى ثم يسرعون بالعودة قبل حلول الظلام ومجيء « المخربين » ، أصبحوا اليوم يتصرفون وكأنهم أصحاب المكان . اذ أن جماهير الاسرائيليين والسياح « تحتل » البلدة القديمة كل يوم ، من ساعات الصباح المبكرة حتى المساء ، وهم يلبسون اغرب مزيج من الالبسة ، فترى الى جانب « الشورتز » والتنانير القصيرة القفاطين الفلسطينية الشعبية المزركشة ، ومع بناطلين رعاة البقر ترى الكوفيات والعقل . وتراهم يملأون الدكاكين والمطاعم والمقاهي العربية ، وهم بالرغم من المظاهر « الهيبة » يتصرفون كأسياد البلاد وأصحابها الجدد .

عندما وصلت القدس في اخر زيارة لي كان العمال قد أنموا تهديم عمارات عربية في منطقة الحرم الشريف . وتهديم المباني عمل « روتيني » في الاراضي المحتلة . وتقوم السلطات اولا باخلاء سكان المباني بهدوء وبحزم (واحيانا قليلة مع دفع بعض التعويض لهم) . وسواء احتجوا ام لم يحتجوا لا احد يبالي . وبينما يختفي السكان الاصليون وتنقطع صلتهم بالمكان (يلجأون الى اقارب لهم الى ان يعثروا على مساكن اخرى ، او ينزحون الى الضفة الشرقية من نهر الاردن للانضمام الى مئات الالاف من النازحين قبلهم) تقوم الات الهدم الحديثة ، بمدى ساعات واحيانا بمجرد دقائق فقط ، بازالة اثار وذكريات اجيال من حياة الشعب ، في سعي اخر لازالة الهوية الفلسطينية عن البلاد ، وبالتالي زيادة شعور الفلسطيني بالمرارة وبحقه في استعادة ارضه .

والى الشمال الغربي من القدس كانت افواج من الاسرائيليين تقوم بزيارة قرية النبي صموئيل ، او بالاحرى ما تبقى من هذه القرية : مقام النبي صموئيل (حيث مدفنه) وبقايا المنازل العربية التي هدمت تهديما كاملا تقريبا . وكان اهالي القرية قد أجلوا عنها بالقوة ودفع لكل عائلة مبلغ الف ليرة اسرائيلية فقط كتعويض عن الممتلكات كلها . وقد شاهدت احد ابناء القرية يعود الى موقع بيته ويقف أمامه بتأثر شديد . فسألني احد السياح الاسرائيليين بغضب « مم يشكو هذا الرجل ؟ لقد عوضنا عليه تعويضا حسنا وبامكانه ان يبني بيتا اخر في مكان اخر ! » فقلت « ولكن الارض ارضه والبيت كان بيته » . فأجابني بصراحة « كلا . الارض ارضنا نحن ونحن في حاجة اليها » . واضاف « يهود كثيرون يأتون الى اسرائيل من اوربه الشرقية ، ويجب ان نوفر اماكن الاستيطان لهم . الا يحصل في كل بلاد العالم أن تنقل الحكومة سكانا قليلين لتبيح لالاف الناس بناء مشاريع نافعة ؟ ثم أن موقع هذه البلدة مهم لنا استراتيجيا . فهو يسيطر على المنطقة بأكملها وعلى الطريق الى القدس. اننا لم ننس بعد حرب ١٩٤٨ » .

وينمو مشروع القدس الكبرى كعاصمة لاسرائيل نموا كبيرا وسريعا بين القدس ورام الله وبين القدس وبيت لحم ، على مئات الدونمات من الاراضي العربية المصادرة . ويعبر عن هذا النمو بمئات المباني (للسكن وللاعمال وللادارة وللحراسة وللتجارة وللتأجير) التي تطبع الختم اليهودي على المدينة . بل أن احد المباني في شمال المدينة يحمل يافطة كتب عليها « مفهوم جديد للحياة العصرية ». وقد علق احد الشبان الفلسطينيين « لا يسمح لعربي بالاقامة هنا في هذه المنطقة العربية من القدس . ولا يسمح لعربي بالاقامة في غرب القدس ، حيث السكان يهود . لقد كانت عائلتي نعيش في القدس الغربية مدة عشرين سنة قبل حرب ١٩٤٨ . ولا يزال بيتنا قائما هناك . ولكننا لا نستطيع الذهاب الى هناك . لقد ضمت اسرائيل القدس . وضمتنا نحن . واصبحنا مواطنين اسرائيليين . الا انه يجب علينا ان نقيم في اماكن خاصة محدودة » .

قال لي مهندس اسرائيلي ، بزهو « اننا نتوقع سكنى مليون يهودي في القدس الكبرى » . الا انه لم يكن معجبا بنمط العمارة الحديث . « انه قبيح ، بلا جذور ولا علاقة له بالمحيط . لكننا لا نستطيع ان نفعل شيئا » . ثم رجعنا الى القهوة الصغيرة قرب باب الخليل . وجاء صبي راكضا وهمس كلمات بأذن رجل يجلس الى الطاولة المجاورة فقام الرجل وهمس باذن صاحب المقهى وغادر مسرعا ، وقال لي صاحب المقهى « لقد القوا القبض على اثني عشر ولدا في البلدة القديمة. واخو الرجل واحد منهم ».

كل شيء هادىء في الضفة الغربية . والاجراءات الامنية قليلة اذا ما قيست بما كانت عليه ١٩٦٨

— ١٩٦٩ حينما كان العمل الفدائي يشغل بال قوى الامن الاسرائيلية ليلا نهارا ، التي كانت دائمة التنقل فيدوريات بسيارات الجيب والمصفحات نصف المجنزرة او في طائرات الهليوكبتر . واخذت الاشجار تنمو في مواقع ثلاث قرى عربية سويت بالارض في يوم الحادي عشر من يونيو ١٩٦٧ « لاسباب استراتيجية وامنية » . وقد سجل الكاتب الاسرائيلي عاموس كينان قصة هذه القرى الثلاث (بيت نوبا ويالو وعمواس) تسجيلا تاريخيا في كتابه « اسرائيل : نصر مبكّر » . وكان كينان في الجيش في العدوان وارتعب من وحشية الاعمال الاسرائيلية في هذه القرى الثلاث . ويقرأ كتابه الكثيرون من العرب ومن الاسرائيليين وخاصة يقرأون صرخته ضد العقاب الجماعي . لكن الاسرائيليين يتابعون اقتراف العقاب الجماعي ويستأنفون تهديم البيوت ، بينما يستمر تعرض العرب للخسارة والعذاب والمعاناة المؤلمة . الا ان منطقة اللطرون ، حيث كانت تقع القرى المذكورة ، هادئة الان . ولم يعد يقيم بها عربي واحد . وقد اقتلعت أشجار الزيتون وكروم العنب من جذورها مع البيوت المهدمة . وتحول اهالي القرى الى نازحين في منطقة رام‌الله او في عمان. وقريبا سيقوم هناك ، على الارض العربية التي طالما تغذت من جهد الاجيال العربية ، غابة اسرائيلية تحمل اسم « غابة النصر » .

وفي الطرف الشمالي من شاطىء البحر الميت ، ينتعش عمل الفندق الاردني قرب اريحا بفضل جماعات السياح والزوار الاسرائيليين . لكن مديره يقول انه لم يشاهد ، منذ ١٩٦٧ ، زائرا عربيا واحدا . فان الفلسطينيين الذين كانوا يقضون اجازات اخر الاسبوع في اريحا او في فنادق البحر الميت قبل ١٩٦٧ يفضلون قضاء اجازاتهم في بيوتهم . « لا احد يعرف ماذا يحصل لو ان الناس يعودون الى المجيء الى هنا بعد الاحتلال . فان كل نزهة وكل فرصة قد تنتهي بمعركة او بحادث ». وقبل زيارتي للمنطقة بأسبوع واحد فقط جرحت قنبلة يدوية خمسة ضباط اسرائيليين ، مات اربعة منهم متأثرين بجراحهم .

يبحث الاسرائيليون عن المياه العذبة في المستعمرات الاسرائيلية الجديدة في الضفة الغربية لنهر الاردن، ويستعملون الالات الزراعية الحديثة في الارض العربية التي هدمت قراها او التي اجلي سكانها عنها او التي لم تكن تفلح من قبل . وقد قال لي صحافي اسرائيلي ، ساخرا « لقد منحنا وقف اطلاق النار وانحسار العمليات الفدائية عبر الاردن فرصة لبناء خطوط دفاع هناك حصينة مثل خط بارليف في سيناء ، في وجه اي هجوم عسكري اردني او سوري او عراقي من هذه الجهة . الا اننا لا نتوقع هجوما كهذا على اي حال » . ويجمع سكان الارض المحتلة على قسوة السخرية الاسرائيلية، واكثر ما يؤلمهم بها أنها لا تعدم الاسباب : فقد حصل الاسرائيليون على سلام في جبهة القتال والجبهة الاردنية والجبهة السورية ، بينما تحاول السلطات الاردنية تصفية الفدائيين في الاردن ، بينما يطلق العالم يدهم ليحتلوا وليضموا ما شاءوا من الارض . والصورة قاتمة من كل جوانبها . وقد اعترف لي محام من القدس « ان الوضع بالنسبة لنا تحت الاحتلال ميؤوس منه . وخاصة منذ مذابح الاردن . اننا نحس اننا طعنا من الخلف ، واننا ضحية ابناء امتنا . والحقيقة اننا لا نفهم ما تبغي اليه سلطات الاردن » .ويقول معظم الفلسطينيين الذين قابلتهم ان الفدائيين هم املهم الوحيد وانهم هم وحدهم القادرون على منع الضم والتهويد او على الاقل على منع انجاز الضم والتهويد بدون عناء وفرضه كأمر واقع . ويقول هؤلاء ايضا انهم ضد وقف اطلاق النار. انهم ضد كل ما يعطي الاوضاع في الارض المحتلة صفة طبيعية بالرغم من الوجود الاسرائيلي . الا أنهم يتخوفون من نتائج المذابح الاردنية التي لا بد ان تؤدي الى ترسيخ هذا الوجود الاسرائيلي. وهم يرفضون المزاعم الاردنية بوجوب حصر العمليات الفدائية في داخل فلسطين المحتلة وعدم شنها من وراء نهر الاردن ، ويخشون ان تكون هذه الدعوة تمهيدا لترسيخ الامر الواقع بحدود بين شرقي النهر وغربيه . وهم يدعون السلطات الاردنية ان تتصرف باعتبار امن شرق الاردن وحمايته مربوط بسلامة غربي الاردن . وبالتالي فان تحرير « الضفة الغربية » يتم انطلاقا من الضفة الشرقية وبفضل اعتبار الضفة الشرقية المكان الطبيعي لانشاء قواعد التدريب والتجميع والانطلاق للفدائيين. ويرون انمهمة الجيش الاردني الاساسية انما هي حماية الفدائيين وتغطية عملياتهم ومساعدتهم .

ويزعم الاسرائيليون ان المقاومة انحسرت في القدس

والضفة الغربية لان السكان هناك لم يكونوا من قبل يدعمون الفدائيين دعما اصيلا واسعا ، من جهة ، ولان السكان اخذوا ، من الجهة الاخرى ، يعتادون على الحكم الاسرائيلي وعلى التعايش معه . ويرد الفلسطينيون الذين قابلتهم على هذه المزاعم بأن السكان لا زالوا يؤيدون المقاومة ، ولا يستثنون الا جماعة صغيرة من المتعاملين الخونة . ويستشهدون على ذلك بالعدد الضخم للفلسطينيين الذين هم في الاسر والسجن او تحت الاقامة الجبرية او الذين ابعدوا الى الخارج ، بتهم القيام بنشاطات فدائية او المشاركة بها او مساعدتها . ويبلغ عدد الفلسطينيين الذين اوقفوا او صدرت بحقهم أحكام ، منذ ١٩٦٧ ، خمسين الفا . ولا يزال معظمهم في السجون او تحت الاقامة الجبرية حتى الان . أما ضعف المقاومة الفعلية نسبيا فيرجعه هؤلاء الى احداث الاردن . فان هذه المقاومة الفعالة يجب ان تكون جزءا اساسيا من استراتيجية تحرير شاملة . وما دامت الجيوش العربية النظامية غير مستعدة او غير قادرة على خوض القتال ، وما دامت القوات الاردنية تواجه الفلسطينيين وتحول بينهم وبين الغارات على اسرائيل ، فانه لا معنى لتصاعد المقاومة في القدس او الضفة الغربية بشكل معزول ومحلي لان عملا كهذا لن يؤدي الا الى المزيد من الخسائر والاعتقالات وحوادث النفي والابعاد . « وعليكم ايضا ان تتذكروا اننا الفنا، في السنوات العشرين الماضية ، الاقوال التي نسمعها اليوم في عمان ، حينما كان يقال لنا ان الضفة الغربية ليست المكان الصالح ولا المناسب لتنظيم واطلاق اية مقاومة مسلحة ضد الاسرائيليين، بالرغم من هجمات الاسرائيليين المتكررة على قرانا واعتداءاتهم التي لم تنقطع بين ١٩٤٨ و١٩٦٧ على مزارعنا ومزارعينا ومراعينا ورعاتنا . لقد منعونا من قبل من المقاومة وكانوا يسجنون كل وطني يتهم بالانضمام للمقاومة او بعثر معه على سلاح . وكثيرون من ابنائنا استشهدوا قبل ١٩٦٧ برصاص القوات الاردنية وهم في طريق عودتهم من غارات شنوها على اسرائيل . لقد سلبت منا هويتنا الفلسطينية . وحيل بيننا وبين العمل لاستعادة ارضنا وحقوقنا . وملأ ابناؤنا الوطنيون المتحمسون السجون الاردنية . وبينما كانت السلطات الاسرائيلية توجه شبابها وشاباتها وتعدهم وتدربهم للتوسع كنا نحرم من حق الاستعداد للدفاع عن النفس » . والواقع ان القدس والضفة الغربية كانتا ، عند اندلاع القتال ١٩٦٧ ، بدون دفاع منظم ، ولا دفاع مدني ، ولا ملاجىء ، ولا منظمة للمقاومة ، ولا اي شكل من أشكال الاستعداد . وما كان على الاسرائيليين الا دخول المنطقة وكانهم في نزهة . هذه هي خلفية شكوى عرب الارض المحتلة .

ويرى عرب الارض المحتلة ايضا ان من اول واجباتهم الصمود والبقاء في البلاد ، مهما كانت المصاعب والضغوط . فان الاسرائيليين يريدون اخلاء البلاد من سكانها العرب . « وعلينا ان نمنع العدو من تحقيق امنيته » . وهذا يفسر كثرة العرب الذين يعملون في اسرائيل . فان البديل لذلك هو النزوح تحت وطأة الحاجة . « الا تعتقدون ان عمالنا وصناعنا الفلسطينيين يفضلون ان يعملوا في مشاريع عربية ولو بنصف الاجور التي يحصلون عليها حاليا من العدو ؟ » . وبالفعل بعث الكثيرون من زعماء المنطقة المحتلة بنداءات الى الدول العربية لتأمين مساعدات لتشغيل العرب في الارض المحتلة « مثلا في اعادة بناء المساكن العربية بدلا من بناء مساكن جديدة للاسرائيليين ، او في انشاء صناعات صغيرة تستخدم عمالا عربا » . الا ان الاستغاثات ظلت بدون تلبية . وقد قال احد الذين اجتمعت بهم من الفلسطينيين العاملين في حقل الخدمات الاجتماعية « مضى عام على آخر مساعدة مالية جاءت من عمان . وهذا الاحجام العربي عن المساعدة يضطر المزيد من العرب العمل في اسرائيل او عند الاسرائيليين ، مما يتيح لالاف اخرى من الاسرائيليين الالتحاق بالجيش » . ان اليأس والاضطراب والمرارة تصبغ تفكير الكثيرين من العرب الخاضعين للاحتلال . وهم يقولون انهم كانوا يتوقعون ان يهز ما حصل في ١٩٦٧ (من هزيمة فادحة ومذلة قومية ، الى جانب خسارة الارض) الامة العربية ويدفعها نحو وحدة العمل وينسيها خلافات الحكام وصراع القوى على السلطة . « لقد سمعنا الكثير من الشعارات والخطب الرنانة . ولكن لما نلتفت الى الدول العربية المختلفة لا نزال نرى المنظر نفسه : من التفرقة والمزايدة والفساد والعجز عن استيعاب خطورة المأساة » . ومع هذا ، لا يزال الفلسطينيون الخاضعون للاحتلال يحتفظون بشيء من

التصميم وبالكثير من التعلق الراسخ والعنيد بالارض ومن الشعور الحازم بحتمية النصر « بغلبة الخير على الشر » . وهذا كله يحميهم من الاستسلام واليأس الكاملين . انهم يحتفظون بالاعتقاد العربي التقليدي واسع الانتشار بأن « النصر للحق » واننا ما دمنا اصحاب الحق فلا بد ان ننتصر . وهم يرون هذا الانتصار في انشاء دولة فلسطينية يتعايش بها المسلمون والمسيحيون واليهودويتمتعون بحقوق متساوية . « نعيش مع اليهود ، ولكن ليس مع صهيونيين يسودون علينا » . واول كل شيء يجب انهاء الاحتلال .

ويتكلم أبناء القدس والضفة الغربية عن غـزة الصامدة بافتخار واعجاب ، وكأنها بلد بعيد ، وخيال ، وكرمز لكل طموح قومي عربي . « لم ينعم الاسرائيليون بلحظة سلام واحدة في قطـاع غزة . ولن يحصلوا على لحظـة سلام . ولن يقهروا اهل غزة » . ويذكرون ، بشيء من الحسد البريء ، ان اهالي غزة تدربوا ، قبل ١٩٦٧ ، على القتال والكفاح وتسلحوا .

وزيارة قطاع غزة سفر الى عالم آخر . انك تدخل هذا العالم الجديد بمجرد ان تعبر الحاجز علـى الطريق في بيت حانون . يفحص الجنود المسلحون السيارات بدقة ، بينما يقوم اخرون بحراسـة شديدة . ويرفعون كل شيء من السيارة ويفتشون تفتيشا دقيقا . ويفتحون الحقائب والشنط ، حتى شنط السيدات الصغيرة . ويدققون النظر فـي الهويات . ويضيقون على المسافرين ، الداخلين الى القطاع والخارجين منه .

ومحطة سكة الحديد على مدخل مدينـة غـزة مهجورة تماما الا ان الجنود المسلحين يملأون سطح المحطة والمنطقة المجاورة . وقبل أشهر قليلـة فجرت مجموعة من أصابع الديناميت حائط مبنـى ادارة البريد الرئيسي وتركت فيه فجوة ضخمـة وجرحت واحدا وستين شخصا . وتترك البيوت التي تهدمها السلطات فجوات وركامات فـي الشوارع . وقد هدم الاسرائيليون ، ما بـين يونيو ١٩٦٧ واخر ديسمبر ١٩٧٠ (اي في فترة ثلاث سنوات ونصف السنة) ١١١٦ بيتا، قصاصا. ان غزة تعيش تحت شريعة الغاب ، بينما تجوب دوريات الجنود المسلحين الشوارع شبه المهجورة واصابعهم على رشاشاتهم واعينهم تتجول بحـذر من منطقة الى اخرى . انهم مستعدون لاطـلاق رشاشهم لمجرد ادنى حركة يرتابون بها . ومعظم الحوانيت مغلقة . أما الحوانيت المفتوحة فان ستائرها منخفضة بحيث يمكن اغلاقها بأقصـى سرعةعند حصول اية متاعب. الحركة في الاسواق شبه معطلة . وتنقطع الاعمال قبل المساء بوقت طويل، ساعات قبل موعد منع التجول (وهو موعد يتبدل بين يوم واخر حسب الظروف) .

ويكمن وراء النوافذ المغلقة ، وربما في المـرات الضيقة وعلى جوانب الازقة ، رجال وشبـان واولاد ، يتربصون لهدف اسرائيلي ما . ويكون الشارع هادئا . وفجأة ينطلق صوت انفجار . ثم رصاص . ثم صفير الانذار . ثم ضجيج السيارات المدرعة المحملة بالجنود . وتسد الطرق . ويمنع التجول . ويمنع الجنود المسلحون الناس من الاقتراب . ويحدق الناس بالبقعة السوداء التي خلفها الانفجار ، وكأنهم يقرأون فيه تفسيرا لما حصل . ويقول أحد الناس « رمى ولد قنبلـة يدوية على جندي اسرائيلي واخطأه » . ويرد آخر « بل هو جندي اطلق الرصاص على الناس ، وجرح ثمانية عشر رجلا » . وقد يكون اي منهما مصيبا وقد يكون كلاهما مصيبا . فان الاسرائيليين حذرون ويقظون وسريعو الرد على أية حركة مريبة بحيث يبدو الهجوم عليهم وردهم عليه وكأنهما حركة واحـدة .

ان حياة البشر في غزة رخيصة . يقتـل الناس فيها ، ويستشهدون ، بكثرة . وهذه هي حصيلة النشاط الفدائي خلال اقامتي في غزة مدة ثلاثـة أيام فقط : قتل ثمانية عشر رجلا في هجوم بالقنابل في شارع عمر المختار في المدينة . وعثر على جثتي شابين عربيين ، ممزقتين بالرصاص ، في مخيـم جباليا . ودمر خط السكة قرب رفح . ودمـر خمسة وثلاثون انبوب ري في كيبوتز قرب القطاع . واطلقت دورية الرصاص على صبي في مخيـم النصيرات واصابته بجراح . والقيت قنبلة علـى دورية من الجيش في معسكر البريج . وحصـل هجوم اخر بالقنابل على محطة بنزين في رفح . ومع هذا اعتبرت السلطات هذه الايام الثلاثة فترة هدوء .

وتعترف الجروسالم بوست بهذه الخسائر في عام ١٩٧٠ كله في غزة : قتل ثمانية جنود اسرائيليين وتسعة مدنيين يهود وجرح واحد وستين جنديا وثمانية واربعين مدنيا ، مقابل قتل تسعة وثلاثين

وجرح سبعمئة وسبعة وستين مدنيا عربيا . كما يزعم الجريدة ان الفدائيين خسروا ، في العام والمدينة نفسيهما ، واحدا وسبعين قتيلا والفين ومئتين وسبعة عشر أسيرا . أما المصادر العربية في غزة فانها تؤكد ان خسائر الاسرائيليين هي اضعاف ما يعترفون به ، وان نصف القتلى العرب انما سقطوا تحت رصاص الاسرائيليين بدون تمييز وكرد فعل سريع وانتقام لاعمال المقاومة . وذكرت لي مصادر أجنبية ، حيادية ، في غزة ان عدد المواطنين في القطاع الذين اوقفوا او اعتقلوا او وضعوا تحت الاقامة الجبرية يزيد على عشرة الاف مواطن في اربع السنوات التي مضت على الاحتلال ، وان عدة الاف من هؤلاء لا يزالون رهن الاعتقال . ويصف اهل غزة الحياة تحت الاحتلال بأنها «جحيم». ولكنهم يؤكدون انهم غير مستعدين ان يستسلموا للاسرائيليين كثمن لحصولهم على « حياة عادية » تحت العلم الاسرائيلي. والواقع ان تدابير اسرائيل الانتقامية كانت قاسية منذ بدء الاحتلال . الا انها بلغت اقصاها في مطلع العام الحالي ، مستغلة مقتل طفلين وجرح امهما في هجوم فدائي بالقنابل اليدوية . فقد ارسلت الى القطاع ، اثر الحادث ، امدادات من بوليس الحدود ، واعلن منع شامل للتجول في مخيم الشاطىء ، وعزل المخيم ونواح من المدينة بأسلاك شائكة . « اما ما تلا ذلك فما لا يصدقه عقل » كما قال لي طبيب في غزة . « اخذ رجال بوليس الحدود يطاردون الناس رجالا ونساء وصبيانا وبنات ، بدون تمييز ، ويضربونهم بالعصي ويجلدونهم بالسياط ». واطلقت الدوريات الرصاص في الشوارع وقتلت خمسة على الاقل وجرحت العشرات . وفي حادث واحد ، اطلق البوليس فيه رصاصهم على باص مزدحم ، جرح خمسة . ونهبت البيوت في مخيم الشاطىء عندما قام الجنود ببحث عن الاسلحة و« المخربين » ، ونسف عدد منها . واعتقل المئات من الاشخاص . وابعد المئات من العائلات الى معسكرات الاعتقال في سيناء . ويقول بعض ابناء المدينة ان عدد الذين لا يزالون معتقلين في هذه المعسكرات في سيناء يتراوح بين ثلاثة آلاف وخمسمئة واربعة آلاف شخص . لكن المصادر الاسرائيلية الرسمية لا تعترف الا بألف ومئتي معتقل . ولا تكاد توجد عائلة واحدة في القطاع لم تضرر ولم تقاس ، مباشرة ، من نتائج الاحتلال الاسرائيلي ، بفقدان فرد من افرادها ، قتيلا او سجينا او مبعدا او موقوفا ، او صريع رصاصات الجنود الطائشة . ويقاسي السكان كلهم من جراء الوضع الاقتصادي المنهار منذ اربع سنوات . وبينما يشد الاغنياء احزمتهم ويخسرون فرص الرفاهية السابقة يعاني الفقراء من الفاقة ، وبينهم من مضى عليه وقت لم يأكل فيه وجبة كاملة. والاكل في مخيمات النازحين ، حيث يقيم ثلثا سكان القطاع . اقل بكثير من مستوى التغذية الاساسية المطلوب . وبسبب نقص المخصصات اضطرت وكالة الاغاثة (الاونروا) في اواخر ١٩٧٠ الى تقليص الحصص الموزعة على النازحين والى حذف بعض الاصناف الاساسية بحيث حرم النازحون من سبيلهم الوحيد الى البروتينات ، ونقص نصيب الفرد اليومي من الوحدات الحرارية من ١٥٠٠ الى ما يتراوح بين ٩٠٠ و١٠٠٠ . وافظع من ذلك كله ، كما قالت لي ام لاربعة اطفال ، هو الشعور بأن الامور لن تتحسن « بل انها تسير من سيء الى أسوأ . ويصبح الوضع في كل يوم جديد اشد صعوبة وقسوة من الامس » .

ومن الطبيعي ان امهات غزة يعنين بأطفالهن وينشغل بالهن عليهم ، لاضطراب حياتهم المستمر. فهم يعيشون في خوف دائم من « الرجل حامل البندقية » . واشدهم هلعا هم الذين شاهدوا وحشية حرس الحدود في الشهرين الاولين من هذا العام . ويقاسي الاطفال أكثر من الكبار من اعلانات منع التجول حيث يمنع خروجهم من خيمهم او اكواخهم مدة عشرين ساعة متواصلة . وتنقطع دراستهم باستمرار ، بسبب منع التجول والتظاهرات والاضرابات والعقابات . وحدث وانا في غزة ان كان ألف طالب مضربين . وقال لي احد المسؤولين عن التعليم ان المدارس في القطاع فتحت في العام ١٩٧٠ مئة يوم فقط .

وبينما يسخر الاسرائيليون من مقاومة غزة ويزعمون انها عديمة الفعالية ، يشير اهالي غزة بأن قطاعهم هو المنطقة الوحيدة تحت الاحتلال التي لا يجرؤ اسرائيلي واحد على سكناها . « اننا لا نتوهم اننا نستطيع ان نحرر القطاع بأنفسنا . الا اننا منعنا ونمنع تحقيق الامر الواقع في المنطقة ، وحميناها ارضا عربية » كما قال لي شاب من دير البلح . « ان الجهاد في دمنا . وحتى لو صفى العدو تسعين بالمئة من السكان لن نستسلم . علينا ان ندافع عن ارضنا وتراثنا وحضارتنا » .

وثيقة

بيان " الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان والمواطن " المتفرعة من الرابطة الدولية لحقوق الانسان في نيويورك

لقد تحطمت اسطورة « ليبرالية الاحتلال » الى شظايا . في اجتماع عقد في حيفا قال موشيه ديان : « قبل عام صدر أمر للقوات الاسرائيلية في غزة بفتح النار نحو مصادر اطلاق النار عندما يطلقون النار في الشوارع . اي عندما يطلقون النار على جنودنا ، ينبغي عليهم الرد على مصادر النيران ، واذا حدث ذلك في السوق وفر الذي اطلق النار بين الجماهير فان من المسموح به اطلاق النار نحوه وحتى لو اصيب اناس اخرون . لقد كنت مسؤولا عن هذا الامر ، ولم أكن لاحتج لو اصابوا الناس في الشوارع . غير ان الجنود لم ينفذوا هذا الامر . ورفضوا اطلاق النار نحو الجماهير ، واوضحوا بأنهم لا يستطيعون تنفيذ ذلك . انني فرح لانهم لا يريدون . ينبغي اطلاق النار ولكن ينبغي ايضا رؤية المستقبل المشترك » (« يديعوت احرونوت » ٧ يناير ١٩٧١) .

يمكن الاستنتاج من اقوال الوزير المحترم : ان الوضع في غزة وصل الى درجة ان جنود الجيش الاسرائيلي يرفضون تنفيذ الامر الذي يسمح بقتل جماعي ، من خلال ادراك انساني بسيط بأن الامر ، وحتى من قبل وزير ، لا يمكن ان يلزم بقتل مواطنين ابرياء . ومع ذلك هنالك أساس للاعتقاد بأن الوزير لم يكن دقيقا ، فليس كافة جنود الجيش الاسرائيلي رفضوا تنفيذ امره ، ولكننا نبارك اولئك الذين رفضوا . ولم يكن هذا هو راي اكبر صحيفة في اسرائيل ، التي عبرت في مقال افتتاحي عن رأيها عندما وجهت حديثها للقادة: « بأن يهتموا على الاقل بالقيام بتوضيح جيد للجنود، بانه لا مفر في بعض الاحيان من اتخاذ خطوات شديدة ، ليست لطيفة ... » (« معاريف » ٧ يناير) . نعم ان السماح بقتل جماعي بحاجة ماسة الى التوضيح والشرح . بعد ذلك بأيام زفت الصحف بشرى نقل وحدات من حرس الحدود ، لاول مرة ، الى قطاع غزة « من أجل القيام بمهام الحراسة ومعالجة قضايا الامن الجمة » وان « هؤلاء معروفون بيدهم القوية » (هآرتس ١١ يناير) ومن الجدير بالذكر ، ان رجال حرس الحدود ، الذين يلقبون بأصحاب « القبعات الخضراء » قد ادينوا في حينه بمجزرة كفر قاسم ، هذه المجزرة التي قتلوا فيها بدم بارد ٤٩ انسانا (بما في ذلك الاولاد والنساء وفي يوم واحد) . وكانت العقوبة القصوى التي فرضت حينذاك بحق هذه المجزرة ثلاثة اعوام ونصف العام ، في الوقت الذي غرم فيه المسؤول عن اصدار الامر بالمجزرة، الزعيم شدمي ، بقرش واحد . ومنذ ذلك الحين سجلت هذه الوحدات ، وخاصة بعد الاحتلال ، فصلا مجيدا في تاريخ اضطهاد الشعوب .

عند اقتراب قدوم حرس الحدود الى غزة بدأت تنشر الاخبار التالية : وزير الشرطة : « اننا نأخذ زمام المبادرة بأيدينا » (« هآرتس » ٥ يناير) مراسل معاريف : « سكان غزة ملزمون باجتياز دورة طويلة ومتواصلة في السلوك الحسن » . (معاريف ٤ يناير) . كيف ينقلون دورة في السلوك الحسن ؟ تشهد على ذلك التقارير التالية : « واصل رجال حرس الحدود وجنود الجيش الاسرائيلي الليلة الماضية انتهاج سياسة اليد القوية . اصيب البارحة في غزة ثلاثة اشخاص

عندما لم يستجيبوا لنداء للتوقف وللتشخيص . رجال حرس الحدود يردون على كل تحرش ورفض للانصياع للاوامر . في صباح هذا اليوم اطلقت النار واصيب شخصان في غزة . ففي الحادث الاول شاهد حرس الحدود شابين يحرضان على اغلاق الحوانيت ، وعندما طلب منهما افراد الدورية ابراز هويتهما ، شرعا بالهرب ، وقد اصيب احدهما بجراح ، اما الاخر فقد القي القبض عليه دون أن يصاب ، وبعد نصف ساعة فتح رجال حرس الحدود النار نحو شاب لم يستجب لنداءاتهم ، ومن جراء هذه الطلقات اصيبت شابة عابرة سبيل » (« هآرتس » ١٢ يناير) . « اصيب الليلة الماضية خمسة من سكان غزة بنيران الجيش الاسرائيلي فقد امرت دورية اسرائيلية عددا من السكان بالتوقف وبدل ذلك ، بدأ هؤلاء بالفرار وصعدوا سيارة اوتوبيس محلية ، وقد فتح رجال الدورية النار باتجاه الطرف الاسفل من الباص ، باتجاه السكان الذين التجأوا بداخله ، واصيب من جراء الطلقات النارية خمسة أشخاص ، نقل ثلاثة منهم الى المعالجة »، (هآرتس ١٥ يناير) .

كيف يطلقون النار على سيارة باص مكتظة بالمدنيين، ويصيبون بالضبط الفارين ؟ هناك حلول لدى الصحافة الاسرائيلية : « يتلقى الاشخاص الذين يعيشون في المناطق الخاضعة لنظام منع التجول اذونات مغادرة ، ولكن لا يحق لهم العودة الى بيوتهم بعد أن يغادروها . وقد أكدت ذلك مصادر الحكم العسكري . واضاف مدير مستشفى النصر انه يوجد في المستشفى ست نساء انجبن اطفالا ، ولا زلن هنالك لانهن يسكن في مخيم الشاطىء (مخيم لاجئين) ولا يستطعن العودة الى بيوتهن » (جروزلم بوست ١٥ يناير) .

للمرة الاولى منذ الاحتلال تعترف الصحافة الاسرائيلية ان الموضوع ليس «الاحتلال الليبرالي» بل اعمال الكبت الشديدة . فهنالك مناطق كاملة مأهولة بعشرات الالاف من السكان ، تخضع منذ اسابيع كاملة لنظام منع التجول ، عمال يضربون ، تلاميذ يضربون ، تجار يضربون ، اعتقالات واسعة ومحاكمات بالجملة ، ومع ذلك فان التقارير الواردة في الصحافة العبرية جزئية ، وفي معظم الاحيان ليست صحيحة . ان الوضع اسوأ من ذلك بكثير .

اننا ننشر بالاضافة الى المعلومات الواردة في الصحافة الاسرائيلية تفاصيل اخرى ، جمعناها بدقة متناهية من قبل اولئك القلائل الذين قالوا في قلوبهم « ليس بمقدورنا ان نرى امورا كهذه ونسكت » وعملوا بناء على ضمائرهم . اننا نطرح امامك الوضع في غزة مثلما هو في الحقيقة :

أ) ان رجال حرس الحدود الذين يتجولون في القطاع ، مجهزون بالاضافة الى اسلحتهم بالعصي، كما وان قسما منهم مزود أيضا بالسياط ، يقومون باعتقال السكان ، ويضربونهم بوحشية ، ويكسرون عظامهم ، بغرض وضعهم تحت طائلة الارهاب والخوف . انهم يضربون السكان بالسياط ، كما تضرب بها البهائم . ٢) ان الضرب المبرح ، يدفع كثيرا من الناس الى الهرب من رجال حرس الحدود ، حال ظهورهم في المنطقة . وهذا هو السبب الحقيقي لما يوصف بعد ذلك في الصحف كـ «اطلاق النار باتجاه أشخاص حاولوا الهرب» بهذه الطريقة اصيب مئات من الاشخاص ، من بينهم نساء واطفال ومسنون. الا ان الصحافة الاسرائيلية كعادتها تحاول الانكار . في صحيفة « هآرتس » (١٥ يناير) ورد المقطع التالي : ان انباء المراسلين الاجانب التي تزعم ان مستشفيات غزة مليئة بالمصابين الذين ضربوا او جرحوا بنيران قوات الامن لا أساس لها من الصحة . ففي الزيارة التي قمت بها البارحة لثلاثة مستشفيات في غزة (المعمدانيون ، الشفاء ، النصر) وجدت ثلاثة من السكان » . ليست أقوال شهود العيان هي فقط التي تدحض وصف هآرتس ، بل أن هذا الوصف ذاته لا يستطيع مواجهة النقد البسيط اذا ما قارناه بالنشرات اليومية لعدد الجرحى ! فقد شاهد مراسل جروزلم بوست (١٥ يناير) في نفس اليوم ستة من الجرحى في مستشفى « المعمدانيون » ، يقاسون حسب شهادات الاطباء من « جروح ناجمة عن الضرب » وفي نفس اليوم عرض امامه الدكتور الطرزي في مستشفى « الشفاء » رجلين ضربا بواسطة قوات الامن . ولكن من البديهي ان معظم المصابين لا يصلون بالبتة الى المستشفيات في الوضع السائد الان في القطاع ! ٣) ان التحقيق مع المشتبه بهم يجري بوحشية فظيعة . فقد ذكر طبيب يعمل في القطاع : « احضر الي جريح اصيب بطلقات في ساقيه واظهر التشخيص الاولي ان احدى ساقيه قد فقدت ، ويمكن انقاذ الساق الثانية اذا نقل الجريح على الفور الى احد مستشفيات اشكلون . ولكن رجال الامن رفضوا

ذلك ، واخذوا الجريح بناء على أمر ضابط كبير ثم اعادوه بعد اربع ساعات ، وعند ذاك كان الجريح قد فقد ساقه الثانية . ٤) ان اعمال التفتيش في مخيمات اللاجئين وفي الاحياء الفقيرة تجري مصحوبة بسوء معاملة السكان ، وتحطيم ممتلكاتهم البسيطة . وتجري أعمال التفتيش هذه بواسطة رجال حرس الحدود وافراد وحدة الاستطلاع الذين يقومون عادة بتعرية النساء بحجة « التفتيش » ويوقفوهن شبه عاريات ، او حتى عاريات تماما لمدة طويلة أمام الحائط وبهذه الطريقة عاملوهن داخل باص للممرضات ، وكذلك في الشارع الرئيسي . وبعد تدخل اوساط دولية اوقفت هذه العادة في الشوارع الرئيسية ، غير أنها استمرت في الازقة . حلى النساء وساعاتهن تسرق في وضح النهار ، والامتعة البسيطة للعائلات الفقيرة تحطم بوحشية . ٥) آلاف من الناس يعتقلون . وبسبب « النقص في الامكنة » في المعتقلات العادية فتح معتقل ضخم على شاطىء البحر مقابل « كتيبة العمل » . ان الصراخ المرعب ينطلق خلال ساعات كثيرة من هذا المكان المحظور دخوله حتى على الجنود الاسرائيليين . ٦) فتح معسكر اعتقال لعائلات المطلوبين ، في وسط سيناء في ناحال بمنطقة القسيمة ، ويجري توسيعه بسرعة . ويودع في هذا المكان النائي نساء واطفال ذنبهم الوحيد أنهم اقرباء « المطلوبين » . وقد حققت سلطات الاضطهاد في عمليتها النكراء هذه ضد النساء والاطفال رقما قياسيا في البربرية . ومن اجل اضافة التلون على الجريمة ، صدر أمر ينفى بموجبه رجل واحد على الاقل مع كل عائلة « لكي لا يقال بأننا ننتهك شرف المراة العربية ». ٧) يتم نفي الرجال من عائلات « المطلوبين » (اخوة ، أشقاء ، ابناء عم) الى معسكر اعتقال اخر في سيناء في منطقة ابو رديس ، وذلك بناء على « أوامر ابعاد » رسمية ، حسب تعليمات واضحة من قبل السلطات العليا . ولا ذنب لهؤلاء الا كونهم اقرباء عائلة انسان وقع عليه الاشتباه فقط !

لا تحاولوا التهرب من المسؤولية بدعوى انكم تجهلون ، لا تحاولوا التستر وراء ادعاءات الشرف المزعوم . لا تحاولوا القول ان هذه الاقوال هي بمثابة « تحقير للدولة كلها » . « وانتهاك لمنصة الكنيست » كما قال في الكنيست عضو الكنيست « جدعون هاوزنر » المدعي العام في محاكمة ايخمان (معاريف ٢١ يناير) . الشرف الحقيقي هو اظهار الحقيقة . الشرف الحقيقي هو احترام حقوق الانسان . ان شرفك الحقيقي ، انت ايها المواطن ، يتمثل في وقوفك ومطالبتك بوقف الاضطهاد والتنكيل . ولذا ، فاننا نناشد مواطني اسرائيل كافة ، وذوي الضمائر في كل مكان من العالم : ارفعوا اصواتكم ضد الفظائع التي ترتكب في غزة . اننا نحذر من احتمال تأزم الوضع . اننا نطالب باقامة لجنة شعبية قضائية مستقلة لتحقق في الوضع في غزة . اننا نناشد كافة الجنود والمواطنين في غزة والمناطق المحتلة او في المناطق المحتلة الاخرى بأن لا يلتزموا حبل الصمت ، وان يدلوا باقوالهم عما ابصرته عيونهم، وسمعته اذانهم ، لا تمروا مر الكرام بالقرب من المكان الذي تسمع فيه صرخات المعذبين ! لا تلقوا بالا للتعليمات التي تأمركم بالتزام حبل الصمت . تذكروا : الذي يسكت يساعد القائم بالتعذيب ! تذكروا : ان كل من يتغاضى عن اعمال الكبت ، وكل من يسكت على الظلم ، هو شريك في هذا العمل ، ويتحمل مسؤوليته مع القائمين بهذه الاعمال . ارفعوا أصواتكم ضد الاضطهاد في غزة . هلموا بجماهيركم الى التظاهر .

١٩٧١/١/٢٣

دراسات عربية

تحرص مجلة « دراسات عربية » على ان تكون منبرا لكـل الاراء والافكار التقدمية ، لانها تؤمن ان تفاعل هذه الافكار والآراء هـو الذي سيساعد على بلورة وعي سياسي عربي متقدم .

و« دراسات عربية » من أجل تحقيق هذه الغاية ، لا تكتفـي بنشر الترجمات المفيدة المتنوعة فحسب ، بل تحرص على نشر الدراسات الجادة التي تتناول جوانب حياتنا العربية المختلفة .

وعلى الرغم من أن « دراسات عربية » ممنوعة في العديد من البلدان العربية ، فانها اصبحت من أوسع المجلات العربية الجادة انتشارا .

ولكي تستطيع « دراسات عربية » أن تواصل اداء مهمتها قررت ان تصدر سلسلة من الكتب الخاصة التي تعالج قضايا اجنبية هامة . وقد صدر الكتاب الاول من هذه السلسلة بعنوان : « من كومونة باريس الى مجازر عمان » . وسيصدر الكتاب الثاني خلال اوائل تموز عن « المقاومة الفلسطينية وقضاياها » . أما الكتاب الثالث فسيكون عن « الثورة العربية والوحدة العربية » .

تطلب المجلة والكتب الخاصة من :

دار الطليعة ، ص. ب ١٨١٣ ، ت ٢٥٧١٧٨ ، بيروت

مطبعة الغريب
بيروت

السعر ٤ ل.ل. في الوطن العربي او ما يعادلها
٢½ دولار في الخارج (بريد جوي)




Bibliotheca Alexandrina
0535844